

عبدالله القصيمي

العرب ظاهرة صوتية

”إنه لا أضحج أو أخسر أو أردأ خطأ ومجداً
من كتاب عظيم أو جيد يتكلم اللغة العربية
ويكتبُ بها مخاطباً الإنسان العربي.. إن
اللغة العربية لن تكون إلا كفاً غير مجيد
أو نظيف لكل فكرٍ أو معنى عظيم أو صراً أو صادق
أو شجاع أو متبرع يكتبُ بها أي لو كتبَ بها
.. وهل حدث أن كتبَ بها؟...“

الفرس

صفحة

٥ الشمس بصمت ٠٠ أم القمر بصراخ
٧ حين وصل وفد من السماء الى القاهرة
٣٦ تعليم غير الموهوبين ٠٠ اضخم عملية تزوير
٧٤ انت مبصوق في راسك ولست مؤمنا
١٣٥ كن سهيلا بلا جواد ٠٠ لا جوادا بلا سهيل
٢٦٥ العلاقة بين فم النبي وآذان السوق
٢٨١ يوم يحاكم العرب البشر امام الاله
٣٠٩ اسمعوا ٠٠ كل الناس رعايا لنا
٣١٩ لماذا يلد الانسان الانبياء والقادة
٣٤٣ لماذا الاذن قبل العقل في بلاغة القرآن
٣٨٢ حينما تلد كل يوم نبيا
٣٩٥ لا تقرأوا هذا ٠٠ لثلا تشنقوا قبور أنبيائكم
٤١٩ اقرأوا هذا ٠٠ كي يتواضع اعجابكم بتاريخ قبوركم
٤٢٧ وما الناس الا منشدون لمجدنا
٤٨٥ لو قسمت العبقرية بعدل ٠٠ لما قامت اية حضارة
٥١٤ غربا ناعبا ٠٠ لا صقرا صامتا
٥٣١ المتنجي يروي معارك سيناء والجولان
٥٧١ مؤلف الكتاب ٠٠ من يؤلفه
٦١٣ يقتلون الذباب ويصلون لخالقه
٦٣٦ اللغة بلا موهبة ٠٠ أتبح اجهزة الاستفراغ
٦٤٩ لغة بلا مجد أو شرف
٦٦٠ هل اللغة منطق
٦٩٥ غيروا القادة ولكن لا تنتظروا اخبارا جديدة
٧٥٨ لماذا لا نستورد حكامنا كما نستورد عقولنا
٧٧٨ كم تفجعونني يا اصحاب المواهب الخرساء

عبدالله القصيمي

العرب ظاهرة صوتية

”إنه لا أضحج أو أخسر أو أردأ خطأ ومجداً
من كتاب عظيم أو جيد يتكلم اللغة العربية
ويكتبُ بها مخاطباً الإنسان العربي.. إن
اللغة العربية لن تكون إلا كفاً غير مجيد
أو نظيف لكل فكرٍ أو معنى عظيم أو صراً أو صادق
أو شجاع أو متبرع يكتبُ بها أي لو كتبَ بها
.. وهل حدث أن كتبَ بها؟...“

.. الشمسُ بصمتٍ ..

أم القمرُ بصراخٍ ؟

ان العربي ليرفض الصعود الى الشمس ممتلكا لها ان كان ذلك بصمت ليختار
التحدث بصراخ ومباهاة وعن صعوده الى القمر واملاكه له اي بلا صعود ولا امتلاك .

ان العرب ليظلون يتحدثون بضجيج وادعاء عن امجادهم وانتصاراتهم الخطابية
حتى ليذهبون يحسبون ان ما قالوه قد فعلوه ، وانه لم يبق شيء عظيم او جيد لم
يفعلوه لكي يفعلوه ..

ان من أصل وارسخ واشهر مواهبهم ان يعتقدوا انهم قد فعلوا الشيء لانهم قد
تحدثوا عنه . اليسوا قد فعلوا امجاد وانتصارات حرب اكتوبر لانهم قد قالوا انهم
فعلوها ؟ اليسوا قد اعتقدوا ذلك لانهم قد تحدثوا عن فعلهم له ؟ اليسوا قد فعلوا
كل امجاد وحضارات وانسانيات التاريخ لانهم قد قالوا ذلك ؟ اليسوا قد قالوا ذلك
لكي يعتقدوا انهم قد فعلوه ؟ اليسوا قد قالوه ليكون بديلا عن ان يفعلوه ؟

انه لن يقاسي من الضياع والاغتراب مثل من يتحدث الى الاذان والعقول والاخلاق
والاصالة العربية بغير الصهيل والنهاويل والاختراق لكل حواجز وشروط واوامر
المنطق والحكام والتهديب والوقار والصدق والحب والتواضع والرؤية بعيون غير
كاذبة او منافقة او جبانة او بليدة او عمياء اي بعيون غير عربية اي بعيون ليست
امية الرؤية والقراءة والتفسير والتفكير والحوار والاخلاق .

انه في كل التاريخ العربي ، في كل الوطن العربي لم يحدث ولن يحدث ان يعطو
ان يسمع ، بكل الجراءة والقوة والحرية ومشاعر الامن والمباهاة والكبرياء ، من فوق
كل منبر الا الصوت الجاهل او المنافق الكاذب او الدجال او الابله او للفاجر !
لهذا اتمنى بل واطالب ان يكتب فوق كل منبر عربي وعلى غلاف كل كتاب
عربي وعلى الصفحة الاولى من كل صحيفة عربية وعلى كل قلم وفم عربي هذا الهتاف
او الانشاد او التمجيد :

« ايها الكذب البليد ، ايها النفاق الفصاح المنفوح ، ايها الغباء الجاهل ، ايها
الجهل الغبي ، ايها الصهيل العقيم البذيء ، ايها السقوط ، ايها المار الفكري
والنفسى والاخلاقي والفني والتعبيري .. ان كل المجد والسلطان لك .. »

ان التفسير الدائم الشامل الصادق للانسان العربي انه الكائن الذي لا توجد اية
علاقة محاكمة او محاسبة او محاورة او مسالة او غضب او رفض او احتجاج او حتى
عتاب بين لسانه وعينيه او تفكيره او ضميره او ارادته او قدرته او حقيقته او
كينونته او نيته او اي شيء من حياته او مواجهاته ..

حين وصل وفدٌ من أسماء إلى القاهرة

••• ما اصفرُ الافواه التي تتحول فيها اصفر
الاشياء وكذبها الى اكبر الاشياء واصدقها. لهذا
ما اصفر افواه النبوات والقيادات والزعامات
العربية! ••• اننا صفار صفار لهذا تصبح اصفر
الاعمال والامجاد بل وكذبها في رؤانا ومزاعمنا
كبارا ، كبارا • فمتى نصبح كبارا ، كبارا
لتصبح اكبر الاعمال والامجاد في افواهنا
وحساباتنا صفارا ، صفارا ؟ ، •

بعد المواجهة العربية الاسرائيلية الاخيرة ، اي مواجهة شهر اكتوبر المعتدى عليه ، تفجرت آبار الايمان والتقوى المخزونة في النفوس العربية منافسة لتفجر آبار نطفهم ، وتصاعدت ارواحهم واصواتهم وصلواتهم الى الله ، السى السموات يؤمنون ويهتفون ويشكرون ويمجدون .. نعم، لقد اعتدينا على شهر اكتوبر وحولناه الى شهر ذليل حزين مهان !! كيف لا يفعل الآخرون شيئا لانقاذ شهر اكتوبر من تحقيرنا له وكذبنا واستفراغنا عليه ؟

والعربي دائما لا يفخر أو يجدد تقواه وإيمانه وتدينه الا الكوارث والهزائم والفضائح والهوان . انه لا يتذكر الله الا مهزوما مفضوحا مهانا مذعورا . انه قويا ومنتصرا وسعيدا يتكبر ويطنى حتى على أعظم ما يراه أعظم قيمة . انه قويا ومنتصرا . وسعيدا ينسى ويهزم كل تفاسيره الانسانية .. انه لا يستطيع ان يرى جمال الاله او اشراقه الا في دمامات وظلمات هزائمه وفضائحه وآلامه وعجزه وقبحه ..

لحنه اذن لعدل ومنطقي ان يكون ثواب ومجد تقواه اي تقوى الانسان العربي ومجد وثواب ايمانه محسوسين ومنسوسين ومردودين لمن أوقعوا به الهزائم والكوارث والآلام والضعف والعجز ..

اذن افرحي يا اسرائيل فان مجدك وثوابك عظيمان .. ان الاله سوف يبالح ويتأنق ويتعب جدا في حسابات وتقدير مجدك وثوابك يا مجددة ومفجرة آبار الايمان والتقوى المخزونة في الارواح العربية .. يا من سوف تظلين تفجرين وتجديدين هذه الآبار لانك سوف تظلين طويلا تصنعين اسباب ذلك ، يا اسرائيل المحظوظة .. المحظوظة بأعدائك ، بكون العرب هم اعداك ..

وانه لاحتمال اليم ان يكون الاله قد فطن الى ذلك ، وانه لهذا سوف يظل يصنع ويدبر الهزائم والفضائح والهوان والضعف للعرب ويساعد على ذلك لكي يتجدد ويقوى ايمانهم به ورجوعهم اليه وتذكرهم له . ولعله اي الاله لم يظن الى

شيء مثلما فطن الى هذه الدسيسة والخدعة والمكر . ومهما عجز أي الاله عن أن يخدع فلن يعجز عن أن يخدع العرب !!

وهل يمكن وجود أو تصور انتهازية أو انانية مثل انتهازية أو انانية الاله ؟ كيف والاله هنا الاله عربي ، عربي بكل تفاسيره وصيغه ؟ والاله العرب لن يجيء مثل آلهة غيرهم لانهم أي العرب لم يجيئوا مثل غيرهم أي في المزايا والنماذج . .
والعربي لم يفطن الى انه بهذا السلوك والمنطق لا بد أن يحرض الاله على أن يظل يتقصده بالهزائم والكوارث والآلام لكي يزداد رجوعا اليه وايمانا به وشكرا وحبا له . والاله العربي كالسلطان العربي ، كالانسان العربي ، يجزي على الهوان والاستسلام له بالزيد من الاسباب الصانعة لذلك .

وتحكان المفروض أن يتمرد ويخرج عليه ويجازيه بالعصيان والاستنكار كلما أصابه بآية هزيمة أو اذلال أو هوان أو ضعف لكي لا يصيبه بشيء من ذلك أو يعرضه له بل ولكي بحميه من ذلك . اليس كل كائن حتى الاله ينبغي أن يجازي ويعامل بما ينفع ويदाوي ؟ اليس كل احد حتى الاله يجب أن يجزي خيرا أو شرا بما يجعله افضل وأنبل واعقل ؟

كيف لم يفطن الى هذا المكر البسيط السهل الذي فطن اليه الاله . . أي كيف لم يفطن اليه الانسان العربي ؟

كيف لم يفطن الى شيء فطن اليه الاله العربي ؟

اكل شيء وكل احد اذكى من الانسان العربي حتى الاله العربي اذكى من الانسان العربي ؟ ايمكن أن يوجد من يتفوق بغائثه على الاله العربي سوى الانسان العربي ؟

نعم ، بعد حرب اكتوبر المهان المحقر بمزاعمنا عنه وله وبانتماء أمجادنا وانتصاراتنا اليه هجم العرب على الله ايمانا وتمجيذا وتعبدًا وقراءة وتفسيرًا لآخلاقه وعقوباته النفسية والفكرية والسلوكية والتخطيطة . . لقد فضحوه وارهقوه وعروه حبا وتقبيلًا ومعانقة ومغازلة ووصالا وانتظارا . .

لقد اصابتهن نوبة حادة ضاجة شاملة من الدروشة الدينية المتخطية لكل حدود الوقار والرصانة والذكاء ، والتقوى والصدق العقلي . . حتى لقد جن سكان السماء سرورا واعجابا بهذه الهجمة الدينية العربية على الله . والتاريخ لا يعرف للعرب آية هجمات قوية من أي نوع سوى هجماتهم الدينية على الله . ان الله لا يفتضح أو

يصفر أو يحرج مثل افتضاحه وحرجه وصفره حينما يهجم العرب عليه ايماننا وتمعبدا
وامتدادها ودعاء وتاميلا وتفسيرا ...

لقد اجتمعوا أي سكان السماء بالاله ليسعدوا ويفنوا ويرقصوا فرحا بهذه
العودة العربية الى الله ، ولكي يتذكروا ويتشاوروا فيما ينبغي ان يفعلوه ويقدموه
للعرب من شكر وحب وتأييد وحماية وتحذير من جميع الاحتمالات الفادرة الخسيسة
التي يدبرها ويتآمر بها دائما كل العالم وكل الكون وكل من فيهما ليقوموا بالعرب
كل اللوان الخراب والمذاب والاذلال ، غيرة وخوفا من تفوق عبقرياتهم وحضاراتهم
ومواجهاتهم واصالاتهم وتقواهم ونفطهم .. آه يا كرامة وشجاعة وعبقريات العالم .
كم يجب الرثاء لك من اذلال وفضح وارهاب النفط العربي لك .

لقد تكررت وتكررت اجتماعاتهم اي اجتماعات سكان السماء برئاسة الاله .
لقد قرروا في خاتمة اجتماعاتهم قرارا خطيرا قد يكون بلا شبيهه .. حتما انه بلا
شبيهه ..

قرروا ان يؤلفوا وفدا سماويا ليهبط الى الارض ليرفع شكر واعجاب وآراء
ونصائح وولاء السماء وسكانها الى العرب .

انها بعض نتائج حرب اكتوبر الموضوعة المنغنية للعرب عن اي مجد اخر ! ..
تألف الوفد .. نزل الى القاهرة لانها عاصمة الدنيا ، عاصمة للعروبة ، عاصمة
الحضارات والديتها ومصدرتها ..

طالب بان يؤلف وفد عربي من كل الاوطان العربية ليكون اللقاء والحوار معه .
تألف الوفد العربي الموحد متجمعا من الرؤساء والمسوك والقادة العسكريين
والسياسيين ومن المفكرين والشعراء والاساتذة والكتاب وغيرهم برئاسة مصر لان
مصر هي ابدأ البداية لكل الكينونات العظيمة ..

تواجه الوفدان وتماقنا .. والعربي لا يعانق او يقبل بقلبه مهما عانق وقبل يفمه
وبكل جسده . انه لا بد ان يهب القبلات والمانقات بجسده وفمه وثيابه مهما جهلت
اخلاقه وقلبه وفكره وضميره ونياته وحبه كل معاني المانقة والتقبيل والشوق
والصدق . ان العربي لا يهب احر قبيلات جسده الا حين يهب احر لعنات قلبه ونياته .
ان للجسد العربي لغات خارجة على كل لغات وتفاسير عواطفه وحوافزه وافعاله .
انه ليس للانسان العربي لغات تفسره او يفسر بها .. انه لن يوجد من يستطيع ان
يتعامل مع الانسان العربي او يفهمه باللغة ، بأية لغة .

تكلم طويلا ، طويلا وفد السماء ، مثنيا وشاكرا ومعجبا ومحبا ٠٠ ثم انتقل
الى القضايا الحادة الخطيرة بكل الحماس واللهفة ٠٠

قال بارتجاف ورهبة ومودة مملوءة بالاخلاص والصدق :
ان لدينا نحن وفد السماء معلومات واستنتاجات خطيرة ، مخيفة ٠ وان الاله ،
اعظم واصدق واوفى صدق لكم ايها العرب ، ليشاركنا بكل التخوف والارتجاف في
هذه المعلومات والاستنتاجات ٠

تقول هذه المعلومات والاستنتاجات السماوية :

ان اسرائيل الفادرة قد تحتل القاهرة ٠٠

نعم ، تحتل القاهرة ٠ كلمة تخرج الكواكب عن مداراتها عند سماعها ٠٠ فرد
لوفد العربي بصوت واحد مشحون بالكبرياء والثقة :

لا بأس ، لا يهيم لان لنا مجد العبور ٠٠٠ رد هذا الرد بكل السرعة قالها الوفد
العربي بغير ارتجاف لها كل اعصاب واخلق التاريخ ٠٠

قال وفد السماء : وتحتل الارض المصرية كلها ٠٠

فرد الوفد العربي بالصوت الواحد : لا بأس ، لا يهيم لان لنا مجد العبور ٠

قال اي وفد السماء : وتأخذ اي اسرائيل كل الشعب المصري ليكون اسرى
وارقاء واشياء اخرى ١٠٠

فرد الوفد العربي بضجر واستنكار : لا ، لا ، لا تنزعجوا ، لا تنزعجوا فان لنا
مجد العبور ٠٠ ان لنا وحدنا مجد العبور ٠٠

قال اي وفد السماء : وتزيل القناة شرقها وغربها ٠٠ وتحتل الكعبة والمدينة
والنجف وكربلاء والازهر وكل الاماكن المقدسة وكل العالم العربي والاسلامي ،
وتسرق كل المصاحف وكتب الحديث ليصبح العرب والمسلمون بلا قرآن أو احاديث
نجمية ٠٠ وايضا تشرب اي اسرائيل كل النفط العربي الذي هو كل التاريخ العربي ،
وتحكم كل العالم والكون وتاسر الاله وكل سكان السماء ٠٠٠ تحذيرات تصنع كل
الذعر والهول ٠٠٠

وعند كل تحذير من هذه التحذيرات السماوية الرهيبة كان الوفد العربي كله
يكرر نفس الرد متصاعدا في ضجره واستنكاره وتعجبه بل وفي سخريته واشمئزازه
من الجاهلين بامجاد عبوره ٠

سمعنا ، سمعنا ، أجل ، أجل ، لا بأس ، أبدا ، أبدا لا بأس .. ألم تسمعوا ،
الم تسمعوا ما قلناه لكم ؟

لقد قلنا لكم : ان لنا مجد العبور ..

هل انتم صم ؟ هل انتم لا تعرفون اللغات ، لا تعرفون اللغة العربية ؟ هل يمكن
ان يجهل سكان السماء اللغة العربية ؟ ولو جهلوا فبأية لغة يمكن حينئذ ان يتكلموا
ويقبل الاله ان يخاطبوه بها ؟ هل انتم يا سكان السماء لا تقرون التاريخ العربي ،
لهذا لا تعرفون امجاده وانتصاراته ، لهذا لا تعرفون امجاد عبوره ؟

كم يجب ان ناسى ونرثي لكم يا سكان السماء لانكم لم تسمعوا عن عبورنا ،
لم تعلموا ان لنا مجد العبور ، ولانه ليس لكم مجد مثل مجد عبورنا ، لانه ليس لكم
عبور مثل عبورنا ؟

آه .. كم يجب ان نحزن ونتعذب من اجلكم لو انكم يا سكان السماء قرأتم
تاريخنا وعرفتم مجد عبورنا ثم حاولتم ان تجدوا لكم تاريخا مثل تاريخنا او مجدا
مثل مجد عبورنا ؟ آه .. ان كل امجاد التاريخ لا تساوي امجاد تاريخنا ، وان كل
امجاد تاريخنا لا تساوي شيئا من امجاد عبورنا !..

ذهل وانبهر وارتاع وفد السماء وقاسى من مشاعر الهوان والحيرة والاستحياء
والانكسار مما سمع لانه لم يسمع عن هذا العبور ومجده ..

وبتأدب وتضرع وتشوق هائل تجرأ وفد السماء وسال :

ما مجد العبور هذا .. ما هذا العبور الذي صنع مجدا استطاع ويستطيع ان
يستر ويغفر ويهزم كل الهزائم والمهانات والعيوب والذنوب والمار والقبح الكوني ،
ويعوض ويغني عن كل مجد مطلوب مفقود ؟ ما هذا العبور الذي لم تعرفه او تتلمه
لغات السماء ولا امجادهما !!؟ حتى سكان السماء لا يعرفون كل امجادكم ايها العرب ؟
آه .. كم انتم معجزون ومحيرون ايها العرب .. نعم ، اذن كيف جاءت اسرائيل ؟

فسروا لنا ايها القادة العرب ذلك .. اننا نحن سكان السماء ومثلنا مولانا الاله
الحزين المنبوذ البائس الحظوظ محتاجون جدا الى ان يكون لنا شيء ولو قليلا من
هذا المجد ، من هذا العبور ، من مجدكم وعبوركم هذا .. نعم ، ولكن كيف
امكن ان تجيء اسرائيل ايها العرب ؟ نعم ، سوف نظل نسال ويسال كل معجب
بالعرب ورائض لهم : اذن كيف جاءت اسرائيل ..

انا لنسترحمكم ايها العرب الكرام .. نستجديكم ، نصلي لكم ، نمد ايدينا
وامالنا اليكم ايها العرب الرحماء . جودوا علينا ، تصدقوا على الاله وعلينا بشيء
من هذا المجد .. علمونا ، هبونا شيئا منه .. اليس الكرم كله هو دائما كرما عربيا ؟
اليس العرب هم وحدهم الذين علموا التاريخ وقرأوا على التاريخ وفسروا للتاريخ كل
لغات الكرم واخلاقه ؟ ألستم تقولون هذا وتصدقونه وتلقنونه لابنائكم ؟ ألستم
تعلمون ابنائكم ان العالم لم يتعلم شيئا من الكرم الا من العرب ؟

آه ايها العرب . لقد ارهبتونا واذللتونا واخجلتونا بل لقد سحقتونا
بحديثكم عن مجدكم هذا ، عن عبورك هذا ..

كل رثائنا لالهنا المسترخي هناك فوق عرشه حين يسمع عن عبورك هذا
و يحاسب مجده بمجدكم هذا ..

العبور .. العبور .. العبور .. مجد العبور . مجده . مجده ! لقد نسينا نحن
سكان السماء كل شيء ، وهان في حسابنا كل شيء غير العبور ومجده ، غير عبورك
ومجدكم اللذين سمعنا منكم الحديث عنهما . لقد هان وصغر كل مجد وكل شيء امام
حديثكم عن عبورك وعن مجده .. هل هذا العبور نوع من الالهيات الجديدة
المفوقة جدا التي تحتاج الالهيات القديمة ، الالهيات السماء والالهيات الكون ان
تتعلم منها القوة والمجد او ان تتنازل لها عن وظائفها ؟

ان حديثكم ايها العرب عن عبورك هذا ليفرض علينا هذا التصور اي ليفرض
علينا ان نتصور ان هذا العبور ليس الا الالهية الجديدة مفوقة جدا على كل الالهيات .

ايها العرب ، يا اكرم واعظم وامجد من مجد وكرم وافرح الاله نفسه وتاريخه
وعبقريته بان خلقهم .. يا من لم يجرب الاله الابتسام ولا النظر الى وجهه او الى
مرآته الا بعد ان خلقهم فراهم .. يا من لم يحب الاله نفسه وعبقريته ووجوده
وبيقاءه الا لانه خلقهم وعاشهم وعاملهم وفهمهم وحقق في عبقرياتهم .. يا من لم
يرغب الاله في ان يكون الها ومعبودا الا لكي يكون الهكم ومعبودكم ..

يا هؤلاء العرب فسروا لنا هذا العبور ، ارونا اياه ، هبونا وهبوا الهنا المحروم
المهزوم الجائع ابدا شيئا منه . علمونا اياه ..

نرجوكم ، نرجوكم ايها العرب يا من لم يرج اجود او انبل منهم ... لقد مبطنا
من السماء اليكم محبين وشاكرين وناصحين ومفارضين ... مبطنا اليكم ضيونا

فتقبلتمونا في ضيافتكم ولا زلنا فيها ، بعميين كثيرا عن مكاننا في سمواتنا مع الهنا
الماجز الضائع الحزين المهجور ابدا . . من اجل هذا وباسم هذا نرجوكم ، نرجوكم .
اليس تركنا الاله نحن سكان السماء لنكون معكم يستحق كل جزاء نطلبه منكم ايها
العرب ؟ فكروا ، فكروا ايها العرب . لقد تركنا الهنا الحزين جدا وحده لكي نلتاكم
ونتحدث معكم . .

كان وفد السماء مصابا بغفلة اليمه او بصفاء نفسي واخلاقي وفكري عجيب .
لهذا كان يفترض ان الانسان العربي قد يفسر او يفهم من اقواله ، وانها قد توجد
علاقة بين لغته وواقعه او بين لغته ونيته او قدرته او رغبته او رؤيته او معرفته او
تاريخه . انه اي وفد السماء لم يكن قد قرا شيئا من شعر العرب او من تعاليمهم او
سهيلهم او شرائعهم او كتبهم او قوانينهم واقام مقارنة بين ذلك وبين كل صيغ
وجودهم في كل تاريخهم ليعرف انها لا توجد اية علاقة بين ما يقولون وما
يستطيعون او يفعلون او يعنون او يريدون او يحترمون او يحبون او يعلمون او حتى
يتمنون . وكما انه اي وفد السماء لم يكن يعرف ان العربي لا يقول شيئا ولم يقل في
كل تاريخه شيئا مهما قال ، كذلك لم يكن يعرف ان العربي لا يقال له شيء مهما قيل
له كل شيء ، اي ان كل ما يقال له ويعلمه وينزل عليه ويوجه اليه ويكتب من اجله
يمر به بعيدا عنه بعيدا عن فكره وقلبه وضميره واخلاقه وفهمه واهتمامه وحساباته
وعن كل حياته بل وبعيدا عن اذنيه . ان كل ما يقال له يمر به خارج كل حدوده . .
ان قول وتعليم كل شيء للانسان العربي يساوي الا يقال له شيء والا يعلم شيئا
اي في العجز عن صياغة حياته او نياته او اخلاقه او عقله او ضميره او قوته او
ضعفه ، في صياغة اي معنى من معانيه . . ان كل النيات والانكار والتعاليم لا بد
ان تدحر وتعبث على ابواب اذني الانسان العربي .

لقد ضاع وقاه ومات بلا ثمن او اجر او جزاء او تاثير كل الانبياء والعلماء
والدعاة والمعلمين والقادة والفكرين والمرشدين في التيه الواسع الفاصل بينهم وبين
الانسان العربي حينما جاءوا وتوجهوا اليه ، ليحدثوا في حدوده وحصونه واسواره
المغلقة اية شروخ او صدوع لينفذوا منها الى ذاته المقمة ضد الاصابة باية قيمة
حضارية او انسانية او فكرية او نفسية او اخلاقية . . ان ذات الانسان العربي
محصنة تحصينا لا تستطيع اختراقه اية قوة من قوى الفكر او الحضارة او الزكاء او
الجمال او الحب او النقاء او الصفاء . . انها لا توجد اية علاقات بين ذات العربي
وبين ما يقال له ويقول . .

لقد ذهب كل هؤلاء الذين جاءوا الى الانسان العربي دون ان ياخذوا منه شيئا او

يهبوه شيئاً • أي دون أن يسحبوا منه أو يضعفوا فيه أية نقيصة ، أو يضموا أو يضحكوا فيه أية مزية •• وهذا لأن الانسان العربي لا يكون شيئاً مما يقال له كما لا يكون شيئاً مما يقول هو كما لا يعني أو يحترم أو يعرف شيئاً مما يقول لنفسه أو عنها أو للآخرين أو عنهم • انه يقول بالتفاسير والنيات التي بها يعطس ويسعل ويتقأب وبجيء ويتوالد ويمرض ويموت ويحقد ويكره •

ولأن وفد السماء لا يعرف هذا عن الانسان العربي فقد حسب انه يقول ويعني شيئاً حينما حدثه عن عبوره وعن مجد عبوره •• لقد حسب انه يتحدث عن شيء هو اكبر واعظم من كل امجاد السماء التي عرفها وعاشرها وهبط بها ومنها • انه لم يعرف ان الانسان العربي تصويت فقط •

هذه سطور اعتراضية تفسيرية لم يكن بد منها هنا •• ولنعد بعدها الى
لكمال رواية هذا الحدث الاعظم ••

بعد كل هذا التضرع والتوسل للذين صلى بهما وفد السماء لكبيرياء الوغد العربي تحركت الشهامة وموهبة السخاء والعطاء والرحمة في النفس العربية •
تحركت ولكن بكبيرياء وفضاظة وعروبة تهون وتصغر وتهزم امام وقاحتها وقبحها كل الوقاحات والقبح ••

آه ما اصغر واقبح كل الاشياء حين تتحرك نخوة العربية ، عارضة نفسها ، مملنة عنها ، متحدية كل شيء عظيم وايضا كل شيء تافه ، بكل لغات واساليب للصراخ والادعاء والادلال •• آه يا نخوة العروبة كم انت ضخمة وقهارة ولكن في السمر وفوق المنابر وفي افواه القادة والزعماء وكل الصارخين ••

قال وفد العروبة لوفد السماء : نعم ، نعم ، لقد رققنا لكم واشفقنا عليكم ، لهذا قررنا بالاجماع ان نعلمكم بل ونهبكم شيئاً من عبورنا ، من مجدنا هذا ، لكي تصبوحوا بعض رعايانا وتلامذتنا وبعض مجدنا انتم والهكم الحزين النبوذ المسترخي بعيداً ، بعيداً فوق عرشه يتغذى بالضياح والاهمال الدائمين الاليمين ••

نعم ، ادعوا الهكم البائس ليحضر سريعاً ، سريعاً ••
ادعوا الهكم الذي لا مثيل لجوعه الى المجد ولا مثيل لقسوة ودوام حرمانه من المجد • نعم ، انه لا احد يتعذب بالحرمان من المجد مثل اله العرب بل وبالحرمان من الحب والاحترام والوفاء والصدقة والخوف منه ••

حضر الاله وانضم الى وفده ، وفد السماء ••

قاد وفد العروبة الاله ووفده الى القناة وكانت قوارب وجسور العبور قد اعدت لكي يصبح للاله ووفده عبور ومجد مثل عبور العرب ومجدهم ...
عبر الاله ووفده الى الجانب الشرقي من القناة . عبروا الى الجيش العربي المصري الثالث ١٠٠

آه . لتفجع ، لتتوقف عن الحركة ايها الكون المفجوع .. لتتحول كل انهارك وبيحارك وسحاباتك الى دموع ، لتكون بعض دموعك ، تعبيرا عن بعض احزانك .. لتتلفىء الشمس وتتساقط المجرات .. ليتحول كل شيء فيك ايها الكون الى ماتم لتتلقى العزاء من كل الحزاني لك وبك .. هل تموت ايها الكون .. هل تستطيع ان تموت ؟ هل قبيح ان تموت ايها الكون ؟ اليس شيئا رائعا ان تجرب الموت ؟ هل تقبل ان تحيا لو جربت الموت :

واهلوا ، واعاراه .. لقد اصبح الاله ووفده السماوي الذين جاؤا ليكون لهم عبور ومجد مثل عبور العروبة ومجدها .. لقد اصبحوا محاصرين مع الجيش العربي المصري الثالث ..

ايتها الارض لا تخبري النجوم .. ايتها النجوم لا تخبري الشمس .. ايتها الشمس لا تخبري المجرات ، لا تخبري الشمس الاخرى ... ايها الكون لا يخبر بعضك بعضا بان الاله ومعه وفده قد اصبح محاصرا وبان العرب هم الذين جروه الى هذه المفاجعة ..

انها المفاجعة الكونية الاولى .

انها المرة الكونية الاولى التي يحاصرها الاله واعوانه وكل مستشاريه وكل اجهزته الكونية السماوية .

اذن كم انت مذنب وفاجع وخائب يا مجد العبور ؟ هل يوجد اذن صانع للخسران والفواجع والاسى مثلك يا مجد العرب ، يا مجد عبورهم ؟ هل يمكن تصور جريمة تساوي او تشبه جريمة من خدعوا وقادوا الاله وجميع حراس ومنفذي جميع اعماله الكونية والسماوية ليصبحوا محاصرين مع جيش عربي محاصر ؟

اذن هل يمكن تصور جريمة تساوي او تشبه جريمة العرب حينما صنعوا عبورهم ومجده وحينما تحدنوا الى وفد السماء عن عبورهم وعن مجده بالاساليب التي يتحدثون بها الى قطمانهم العربية ؟ معذور انت ومعذور وفدك ايها الاله حين

عجزتم عن تصور ماذا تعني أو تساوي الكلمة عند الانسان العربي ، قائلا لها ومقولة له .. هل يستطيع غير العربي ان يعرف ماذا يعني ان يقول العربي اي شيء وان يقال له ..؟

علمت المنظمات والقيادات العالمية بذلك . ذعرت ذعرا يتكافأ مع ضخامة الحدث .. رأت وقررت كتمان الحدث الرهيب الفريد عن جماهير كل العالم حتى تتدبر القضية لعلها تجد لها حلا ما من نوع ما قبل ان تعلم بما حدث شعوب العالم . ان ما لا بد ان يصيب الشعوب وما قد تفعله لن يستطيع حساب نتائجه لو علمت .. آه . لقد اصبح الاله محاصرا ومعه اعوانه الكونيين . ماذا يمكن ان يحدث لو عرفت الشعوب ذلك ؟

جيد ، جيد .. ليطمئن العالم ويفرح لان الاله ومعه وفده ، سيصبح طليقا ليذهب ويظل يمارس العابه وحماقاته في هذا الكون الضخم البليد المقيم الخارج على جميع النماذج والشروط والحدود الفنية والمنطقية والاخلاقية والجمالية .. ليظل اي الاله يمارس ذنوبه والعابه وتوتراته في هذا الكون بلا اي وقار او تقوى او حب او شهامة او توبة ..

آه . هل يوجد احوج الى التوبة واحق بها من الاله ؟

نعم ، لقد وجد الحل . لقد كان حلا امريكيا ، الهمة وخططه واخرجته العبقرية اليهودية الامريكية او اليهودية التي زعمت وقرئت امريكية ١١٠٠ نعم ، ايها الذكاء ، ايها الذكاء المبدع المسيطر على كل العالم هل لك من خالق غير اليهود في مزاعم ورؤى كل الزعامات والقيادات والنبوات العربية ؟

السنا نرى ونعلم ان كل شيء قوي ار ذكي او ماكر يقع في هذا العالم بل في هذا الكون انما هو تدبير وتخطيط واخراج ومكر يهودي ؟ السنا نرى ان الله لم يتخلق بالغضب ولم يخلق الجحيم الا لان اليهود قد وجدوا ؟

اجل « الدنيا لعبة اسرائيل » ، اي لعبة اليهود ١٠٠٠ اليس هذا اسم كتاب صدر باللغة العربية وآمن به الانسان العربي بل آمن به الحاكم والقائد وال كاتب والفكر العربي وجوزي كاتبه او معربه كما زعم وطابعه وناشره بالثناء والاعجاب وبالنفط والحب ؟ السنا نؤمن ونقول دائما على السنة كل فوي الالسنة فينا ان كل ما يصيبنا او يصيب سوانا ليس الا بعض تدبير وتخطيط ومكر وعمل اليهود الحاكمين بدهائهم لكل العالم ؟

لقد جاء الحل الامريكي اليهودي او اليهودي فقط الذي زعم امريكا ليصاغ هكذا:

تعلن الزعامة العربية المصابة دائما بالغرور الخطابي وبالوقاحة الاستعراضية الصوتية ، تعلن بأسلوب طيب وودّي وصالح ومقبول جدا توبتها الى امريكا من كل ما كان .. من كل الذنوب والعيوب والنشوز ومن الحديث عن طلب الطلاق والتفكير فيه ، ومن العصيان اللفظي الخطابي العاجز عن التنفيذ الذي هو موهبة اصيلة وشهوة خالدة لا تداوى ، في كل زعامة وقيادة ونبوة عربية ..

تعلن توبتها من هذا العصيان اللفظي المنبري العربي العاجز ابدًا عن ان يكون عصيانا ميدانيا .. ان يكون عصيانا اكثر من صوتي .. اليس العصيان العربي يجيء دائما عصيانا صوتيا خطابيا حينما يجب او يراد او ينبغي او يطلب او يفترض ان يكون عصيانا ميدانيا ؟ هل يستطيع او استطاع العربي ان يعصي هذا العصيان الميداني حينما يجب ان يعصيه ، مهما اراد ان يعصيه ومهما زعم او حسب انه يعصيه ؟ هل استطاع العربي في اية مرحلة من تاريخه ان يعصي حين وجب ان يعصي او الا يعصي حين وجب الا يعصي ؟

انها لموهبة عربية اصيلة : ان يظفروا يفعلون بالقول ما يجب ان يفعلوه بالفعل وما يعجزون او يهابون او لا يعرفون ان يفعلوه بالفعل . انهم بقدر ما يعجزون عن الفعل بالفعل يذهبون يبالغون جدا في الفعل بالقول . ان اصواتهم لتعلو بقدر ما قصمت قدراتهم .. ان اسلحة كل العالم لا تستطيع ان تصنع شيئا من الانتصارات التي تصنعها السنة العرب ..

انها لا توجد قوة تساوي قوة العرب في فعلهم بالصوت لكل ما يجب وينبغي فعله بالفكر والتخطيط والارادة والقدرة والجسارة والقلب .. انهم حينما يفعلون بالقول ليسعرون بالرضا والزهو وبانهم قد انتصروا اكثر مما يشعر بذلك من يفعلون بالفعل ..

ان افواه العرب هي البديل الجيد الدائم المرضي عن كل المواهب والالتزامات الاخرى المطلوبة من الانسان والمفترضة فيه . ان العرب في كل تاريخهم لم يحملوا او يرفعوا سلاحا لينتصروا به على الاعداء او على الطبيعة مثل افواههم ..

اجل ان العربي لينتصر بالقول اقوى مما ينتصر المنتصرون بالفعل .

نعم ، جاء الحل هكذا او اريد ان يجيء او يبدو هكذا :

العرب يتوبون هذه التوبة الى اميركا لكن لا كما يتوبون الى الله .. يتوبون الى اميركا توبة تقنع اميركا بانها ليست مثل توبتهم الى الله .

أما أمريكا فتعلن باسلوب يهودي أمريكي هو في غاية البراعة والمق والاسترضاء والتلطف والتدليل ومحاولة الستر على الصغفاء المهزومين المفضوحين المحتاجين الى الانقاذ والستر - تعلن عن خطة للفصل بين الجيوش العربية والاسرائيلية ..

انه لحل يبدو فوق قمة الذكاء والدماء وروعة التخطيط . انه يعني ان يفك الحصار عن الآله ووفده بهذا الاسلوب المتلطف التخفي الذي قد تعجز كل العقول والاخلاق غير العقول والاخلاق اليهودية الاميركية ان تعرفه او تستطيعه . حل يرفع الحصار عن الآله ووفده دون ان تشعر جماهير العالم بما حدث . اذن اليس محتموا الا يكون الا حلا يهوديا امريكيا ؟

لقد كانت شعوب العالم ولا زالت وقد تظل ابدا تحسب ان الذي ينقذ من هذا الحصار ويدبر لانقاذه هو الجيش العربي وليس الآله ووفده السماوي الذي قاده استماعه الى الصهيل العربي وتصديقه له الى السقوط في هذه الكارثة ..

لهذا لم تستطع الشعوب ولا سيما العربية التصديق بان كل هذه الشهامة الاميركية اليهودية هي فقط من اجل انقاذ الجيش العربي من الحصار والدمار . اذن لا بد من ان يكون وراء هذه الشهامة وفي احشائها ونياتها الوان الاتهامات واشتات الاغراض الماكرة اللثيمة . انه لا بد من الاقتناع بذلك . ان الشعوب العربية لا تقبل او تستطيع ان تخدع . لهذا لن تصدق اي خير او جمال او نبيل يفعله الاخرون .

ان العربي لا يستطيع ان يصدق ان احدا غيره وغير آبائه وخلفائه وسلاطينه ومعلميه قد يفعل شيئا جميلا او نبيلاً بدون ان يكون مدفوعا باغراض دميمة او لثيمة او شريرة . ان كل الناس غير العرب لن يكونوا في اقتناع العربي الا اشرارا ولثاما واعداً وخبثاء وانذالا ومحاربين مهما فعلوا الحب والصدقات والسلام والجمال والخير كله ..

وقد صنع هذا الحدث مشكلة صعبة جدا ، هي :

هل يمكن ان يغفر الله للمعرب او ينسى لهم في اي طور من اطوار حياته انهم هم الذين قادوه الى هذا الحصار ، الى هذا الهوان والاذلال والافتضاح ؟ اليس المفروض ان الآله هو اقسى الكائنات انتقاما لكرامته ؟

اذن هل يتصور من يستحقون كل غضب الآله مثل من اوقعوه في هذا الحصار اي مثل المعرب ؟

نعم ، اذا لم يستطع اي الآله ان ينسى او يغفر للعرب ذلك فما الذي يحتمل ان يوقع بهم ؟ العرب يوقعون الآله في الحصار واليهود ينقذونه ..

ينقذونه باذكي واستر والطف الاساليب . اذن كم هو رهيب ان نتصور لو
نقوم أو ننتظر ما يحتمل ان يفعله بهم ، ان يفعله بالعرب الذين سمعهم يتحدثون
عن عبورهم وعن امجاده فصحتهم واراد ان يكون له شيء من عبورهم وامجاده فوق
في الكارثة ..

اذن يا مجد العبور ، ليتك كنت شهما او مهزبا او رحيما فلم تات الي
العرب لتكون احد امجادهم ، لتكون اعظم امجادهم ، لتكون التدليل الاليم على
قيمة امجادهم القديمة المروية ، والتفسير الفاجع لما تعنيه تلك الامجاد التاريخية .
لقد عرفت تلك الامجاد من حديثهم عنها . وقد عرف الان ماذا يساوي حديثهم عن
امجادهم .

وبعد فهل هذه رواية لحدث قد وقع ام هي تصور هو اذكي واصدق واقوى
واقعية مما وقع ؟

اليس التصور ولو احيانا هو اذكي واقوى واعمق منطقا وتفسيرا وتخطيطا
من الواقع ؟ اليس التصور اتقى وارجم من الواقع ؟

اليس كل واقع بلا تصور ومتصور سفها مهما عايشه وعاش به العقل ؟
اليس الكون وكل شيء يجيء حقا وعدلا وجمالا ومقبولا ومعقولا بالتصور
اكثر مما جاء او يجيء كذلك بالواقع ؟

اليس الكون قد جاء بكل هذا القبح والغباء لانه قد جاء بلا تصور له
او منه ؟ اليس التصور او المتصور واقعا بأسلوب وتفسير ومنطق آخر ؟ والان
ماذا يجب علي ان اتول او ماذا اريد ان اتول ؟

اولا :

اعتذر اصدق واقوى الاعتذار لاني تحدثت عن هذه الفاجعة الكونية الاولى من نوعها
وقد تكون الاخيرة ..

وقد يكون من اسباب الغفران لي اني قد كشفت عنها بعد ان رفع اخطارها
عن العالم والكون الذكاء اليهودي الامريكي ...

ثانيا :

متى يشفى او هل يمكن ان يشفى او اليس واجبا ان يشفى الانسان العربي
والاعلام العربي والزعامات والقيادات العربية من هوس العبور او من مجد العبور
او مرض العبور ؟ لقد أصبح العبور ومجده والتحدث عنه والتباهي به جنونا
ومرضا وسخفا وافتضاحا عربيا يجب ان يداووا ويفرغوا منه كل اساليب التفرغ ..

ان اخطر واقبح امراض العرب حديثهم الدائم عن امجادهم التي لم يروها او يعرفوها
او يريدوها او يستطيعوها .

وهم محتاجون دائما الى ان يصدر اليهم الطب والشفاء من خارج انفسهم
لواجهة كل امراضهم وآلامهم . انهم المرضى الذين لا يلدون الاطباء او يتحولون
الى اطباء

ما اخس وانذل واقسى وابلد العالم اذا لم يفعل كل شيء ويسخر كل
عبقرياته لشفاء العرب من عبورهم ومجده ومن حديثهم عنه ومباهاتهم به وهم
كما فسر وثبت لا يملكون احتمالات ان يشفوا انفسهم الا بقدر ما كانوا يملكون
من احتمالات تكافؤ عبقرياتهم واخلاقهم مع عبقريات واخلاق نطفهم . . .

بل ان العرب لمحتاجون الى من يشفيهم من كل امجادهم ومن الحديث عنها
والفاخرة والتحدي والاعجاب بها والتحديق الدائم الاعمى فيها مثل احتياجهم الى
ان يكون لهم مجد فوق الارض ، فوق النجوم والاقمار والسحاب وليس فقط فوق
الغابر والسطور والشفاء وتحت شواهد القبور . انه لا مرض كمرض العربي متحدثا
عن امجاده ، مصليا لها ، منشدا فيها وغناها وفوق مقابرها كل اشعاره الامية في
اخلاقها وموهبتها ولغتها . . .

ثالثا :

قد يظل العرب يتحدثون عن عبورهم وعن مجده ويظلون يستترون ويكفرون
به كل مزائمهم وضعفهم وذنوبهم وفضائحهم حتى يصبح العالم لا يعرف عنهم
الا انهم شعب العبور او الشعب العابر وحينئذ قد تنسى او تطرد وتهزم كلمة
« الشعب العربي » ليصبح البديل « الشعب العبوري » ، ليصبح العرب هم « الشعب
العبوري » ، لا « الشعب العربي » . ويجب الا ننزعج او نخجل او نفضب من هذا الاحتمال
فقد يكون ربنا لنا دون اي خسران . واي خسران في الهرب من كلمة « عرب » ؟
قد يكون لهذا الاسم الجديد العديد من المزايا . منها ان كلمة « الشعب العبوري »
تصبح حينئذ بعض كلمة « الشعب العبوري » اي اقل منها اي يصبح « العبوري » اكثر
من « العبوري » اي يصبح الانسان العربي اي الذي كان عربيا اكبر من الانسان اليهودي .
ليس العرب قوما صوتيين وقد اصبح التصويت بهم اكبر من التصويت
باليهود اذن هـ م اكبر منهم ؟

ان معنى هذا ان تصبح الامة العبرية اي اسرائيل وكل اليهود في العالم احد

معانينا نحن العرب وأحد تفاسيرنا وأملاكنا وقوانا وأمجادنا وانتصاراتنا ، لا معنى مضادا أو عاصيا أو معاديا أو هازما أو مذلا أو متحديا لنا أو خارجا علينا أو أخذنا منا أو فاضحا لماضينا ومستقبلنا بالقسوة التي فضح بها حاضرنا . . . نعم ، أنه لم يفضح أو يهيج أو يهن ماضي أي شعب أو مستقبله بحاضره مثلما فضحت وهجت وأهانته إسرائيل ماضي العرب ومستقبلهم بحاضرهم أي بما فعلت بحاضرهم أي بكشفها عنه وتفسيرها له .

اذن اليس هذا كسبا ومجدا لا يرتفع إليه أي مجد من أمجادنا حتى ولا كل ما في قبور كل أنبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا ودرائشنا وأبائنا من أمجاد مخطوب بها مكتوبة مقروءة مروية دون أن تكون مرثية أو تستطيع أن تكون مرثية ؟ نعم ، اليس ذلك كذلك ؟ أي اليس كل أمجاد العروبة هي أمجادا مروية لا مرثية ، أمجادا صوتية ؟

اليس كل أمجادنا أمجادا قبورية لا تراها العين أو تمسك بها اليد أو تحيا بها الحياة ، وإنما يستمرغها الفم على الأذان والاقلام والصفحات والتاريخ ؟

اليس كل الامجاد المرثية هي أمجادا غير عربية ؟

اليس العرب مرضى جدا بالوقار والتقوى الاخلاقية لهذا يرفضون ان تكون أمجادهم مرثية ؟

اليس الامجاد العربية مصابة بأقصى حالات الخجل والتواضع لهذا لا تستطيع أو تريد أو تقبل أن تكون مرثية، لهذا هي أبدا مروية قبورية منبرية ، تروى ويخطب بها وترقد في مقابرنا مع تاريخنا الراقد في مقابره دون أن ترى أو أن تستطيع أو استطاع ان ترى أو ان تحيا أو ان يحيها بها أحد ؟ اليس كل الامجاد العربية أمجادا غيبية أي كالامجاد الالهية ، كالذات الالهية ؟

لماذا لا ترى الامجاد العربية ؟ ان الجواب عن هذا السؤال هو الجواب عن : لماذا لا ترى الذات الالهية .

وابعا :

هذه محاولة لماتبة الذات انها محاولة مبتدئة ومع انها مبتدئة فانها تكاد تكون الاولى في معاتبنا لانفسنا ولتاريخنا بكل هذا الجهر والرؤية . . . انه عتاب للنفس لا يرتفع الى محاكمتها بل لعله لا يصل الى نقدها بالاسلوب المطلوب المفروض . ليس المفروض ان تجيء قسوة أو قوة النقد متكافئة مع بشاعة الخطأ أو

الغضب أو التقصير أو العار أو التدليل للنفس أو الإعجاب بضعفها وتفاقتها مع سماجة وقبح الفرور بها والإدعاء لها ؟

أذن هل هنالك من يستحقون أن يعاقبوا ويعذبوا بأقسى النقد وأشمله وأدومه غير العرب أو مثلهم ؟

هل تستطيع موهبة النقد في كل تاريخها ، في كل البشر أن تكون كافية لنقد العروبة وتاريخها أو قادرة على ذلك أن كان محتوما أن يكون النقد متكافئا مع الاستحقاق له ؟ أن النقد القاسي الصحيح لعيوب الذات وضعفها ليست قيمته في أنه نقد ولكن في أنه رؤية وشجاعة وصدق ورغبة في الانتقال إلى الأفضل وتطلع إلى ذلك وشوق إليه . لهذا كم يجب أن نتعود نحن الشعب العربي أو « الشعب المعبوري » ما لم نتعود شيئا منه في كل تاريخنا، أي أن نتعود تقبل وغفران هذا العتاب أو النقد للنفس الذي لم نتعود قط أن نقوله أو نكتبه أو نقرأه أو نسمعه، بل الذي لم يصبح يوما ما حلما أو أملا أو تصورا من أحلامنا أو آمالنا أو تصوراتنا ، أعني النقد الذي يعني الرؤية والجرأة والصدق والشوق إلى الاقتحام والتغيير والاصرار على التنفيذ ..

انها لقضية حضارية وإنسانية وأخلاقية ، بل وطنية قومية .

انها حروف أولى من لغة يجب أن تتعلم العروبة الجرأة على النطق الجاهر بها وعلى الاستماع التوثب إليها بكل معاني الاستقبال المستجيب المتلهف المتوقد ..

انها لغة إنسانية قد تخلفنا كثيرا عن بلوغ طورها ..

ان اللغة الإنسانية ليست للتفاهم أو التخاطب أو للتحدث عما هو موجود أو للتعريف به أو لامتداحه والدفاع عنه أو لتفسير مزاياه الدينية أو الأخلاقية أو التاريخية أو القومية أو المذهبية كما نفعل نحن باللغة . ولكنها أي اللغة الإنسانية جهاز إنساني هائل وشامل للتغيير والتخطي والخلق والابداع والرفض والرؤية المخترقة بلا حدود أو حواجز .. حين يقال : الإنسان كائن متكلم أو لغوي يجب أن يعني ذلك أنه كائن مخطط مقتحم مغير متغير رافض لذاته التي كانت بالأمس ..

ان اللغة عند الإنسان الآخر لا تعني إلا أقوى وأعظم الوسائل للخروج والارتحال والصعود والطموح والرؤية البعيدة انها تطلع وزحف دائم إلى الآتي البعيد الأعظم ، واحتلام به وحدهاء له ليحيى ..

لما عندها نحن الشعب العربي أو « الشعب المعبوري » فلا تعني أي اللغة إلا

الاعتقال في التاريخ والخيمة والصحراء والبدواة الاولى والحراسة الدائمة على ذلك مهما اختلفت الاسماء والازياء والالوان .. أما النقد عندنا أي لو وجد فلا يعني إرادة التخطي أو القدرة عليه أي على التخطي أو دفع تكاليفه وإنما يعني التمسك بالجهر به .

ولهذا قاننا لا نعرف أو نتكلم اية لغة انسانية مهما حسبنا وبدونا كائنات لغوية .. أننا غير لغويين مهما كانت السننتنا أطول من كل اللسنة ومهما تفوقنا على كل البشر بكثرة الكلام وبلاغته اللغوية وطنينه المفرغ من كل التفاسير والالتزامات والقيم الانسانية واللغوية ..

ان من اعظم ما تعنيه اللغة لدينا ان تتحول الى جيوش حراسة لتمنعنا من ان نفهم أو نفكر أو نرى أو نحاور أو نحاسب أو حتى نتكلم أو نحتج ونغضب أو نقالم أو نئن أو نصرخ مهما تهاوت علينا الآلام .. أي لتمنعنا من ان نضاد طفولتنا التاريخية والانسانية أو نفكر في مفادرتها . انها أي اللغة ليست الا سدودا وحدودا وقيودا تضربها على أنفسنا ويضربها علينا كل قادتنا ومعلمينا وانبيائنا لئلا نضاد أو نتجاوز أو نكون أو نصرف ..

انها أي لغتنا لتمنعنا من كل ذلك لانها تحدد لنا كل شيء تحديدا مطلقا ، تحده لنا كلما وجب علينا أو اردنا أو طولبنا ان نرى أو نفكر أو نفسر أو نقرا أو نسمع أو نحاور أو نحب أو نبغض أو نعجب أو ننكر أو نؤمن أو نكفر أو نريد أو نعمل أو نمدح أو نذم .. انها تضعنا في ولادة واحدة وثوب وكفن وقبر وتاريخ واحد .

انها اذن أي لغتنا توقف أو تقتل أو تخيف وتهدد كل وظائف وتفاسير وقوى وطموح الانسان فينا أو تحاول ان تفعل ذلك بنا . انه لذلك لحق ان يقال : ان أي عربي في كل التاريخ لم يتكلم قط وأنه لا يوجد اليوم عربي واحد يتكلم أو يستطيع ان يتكلم ١٠٠

ان العربي ليبعد عن ان يكون متكلما كلما تكلم أو بدا مثل من يتكلم .. اذن كم يجب ان نخطي لغتنا هذه صاعدين الى طور اللغة الاخرى ، لغة الانسان التي تعني التخطي لكل اطوار التاريخ وابدياته وتعني تعليم الارتحال والخروج الدائمين ، وتعني الرؤية والقراءة البعيدة المطلقة المتجددة الدائمة .. تعني انه لا يوجد تاريخ وإنما يوجد خطو دائم يسمى تاريخا ؟ نعم كم يجب ان نصعد الى اللغة التي تعني الارتحال الدائم من الذات والتاريخ ومن كل موقع قديم ؟

كم أتمنى أن نفارق كل أطوار طفولتنا التاريخية المستعصية على كل معاني
وصيغ النمو والنضج والتمرد وأرادة الارتحال من التاريخ الى الحياة .
كم أتمنى أن تكبر في التاريخ ويكبر التاريخ فينا ..
لقد ظللنا طويلا ، طويلا بلادة وعجزا في التاريخ وظل التاريخ فينا كذلك
بلادة وعجزا ، طويلا ، طويلا ..

لقد صغر التاريخ بنا حتى كاد يفقد أو ينسى أو ينكر ضخامته بغيرنا ..
لقد تحولنا طويلا ، طويلا الى هجاء للتاريخ كما تحول التاريخ الى هجاء لنا .
فمتى يعتذر احدنا الى الآخر ويعموض عليه ويكفر عن هجائه له ؟ أينما يجب عليه أكثر
إن يعتذر الى الآخر ويعموض عليه ؟

هل اذنبنا الى التاريخ أكثر أم اذنب الينا أكثر ؟ ان ذنبا اليه اننا هبطنا
به وذنبا الينا أنه حفظ وروى هبوطنا . فاي الذنبيين اعظم ؟

آه . ما أقوى وأعمق وأشمل وأدوم كل صيغ ومعاني الطفولات الذاتية
والنفسية واللغوية والانسانية والاخلاقية والتاريخية فينا نحن الشعب العربي أو
« الشعب العبوري » ، نحن أصحاب « مجد العبور » . لهذا فما أخرجنا الى كل
الجبور والمساعد والى كل وسائل العبور لكسي نعبر عليها كل طفولتنا هذه
لنتجاوزها ونرتفع فوقها وبعيدا عنها .. أن كل جسور ومساعد الحضارات ووسائل
عبورها عجزت عن أن تعبر بنا شيئا من طفولتنا هذه ..

آه .. اننا صفار ، صفار . لهذا تصبح أصغر الاعمال والامجاد بل اكذبها
كبارا ، كبارا في مزاعمنا ورؤانا . فمتى نصبح كبارا ، كبارا لتصبح أكبر الامجاد
والاعمال واصدقتها وأشهرها صفارا ، صفارا في أفواهنا وحساباتنا وتحدياتنا
وطموحننا ؟ ان شهوعنا الصغيرة أو المنطفئة أو التي لم توجد لنراها ونزعمها أكبر
من كل شمس الأخرين ..

آه . ما اصغر الافواه التي تتحول فيها أصغر الأشياء واكذبها الى أكبر الاشياء .
واصدقها . لهذا فما أصغر أفواه النبوات والقيادات والزعامات العربية ؟ هل كبرت
أو تكبر اتفه التفاهات مثلما كبرت وتكبر في أكبر الافواه العربية ؟ ..

هل كان مستحيلا أن نصبح كبارا لا نصاب بشيء من الفرور حينما يصبح
لنا عبور ، يبدأ عبورا ويزحف عبورا وينتهي عبورا ويظل عبورا ؟ هل كان
مستحيلا أن نصبح كبارا على أن نصاب بأي شيء من الفرور حينما نفعل ما يصبح
مقبولا ومقبولا ومغفورا ومنتظرا أن يصيبنا بكل نماذج الفرور ؟

هل كان محتوما ان نظل اصغر من كل الاحجام ، نملا الدنيا غرورا يصنع الغثيان للكائنات التي لا تصاب بالغثيان حين ندير عبورا ليقرا ويسمع عبورا ، وينتهي ثبورا ، ليظل ثبورا وغرورا ، اي لنكتبه ونقرأه ونسمعه ونعلمه نحن عبورا، عبورا ٠٠ اما العالم كله فيكتبه ويقرؤه ويسمعه ويعرفه ويفسره ثبورا ، ثبورا ٠٠ هل كان محتوما ان نصبح ونظل صغارا لنصاب بكل لغات الغرور وتفاسيره حينما نصبح هوانا وافتضاحا وعارا في كل العيون والعقول والقراءات والتفاسير، في كل المقاييس والحصايات والنماذج ؟ وهل نحن نصبح كل هذا حيننا دون حيننا لا دائما ؟ السنا كذلك كل الاحيان ؟ هل نستطيع ان نكون حيننا شيئا وحيننا شيئا آخر ؟

هل كان محتوما ان نصاب بموهبة غرور لم تصب ولن تصاب بشيء منها اقل الحشرات وقارا واستحياء ؟ لماذا نحن وحدنا ؟ هل نستطيع او تقبل أدنى الحشرات ان تصاب بأي غرور لو انه او لانه قد اصبح لها عبور مثل عبورنا ؟ ان قبج غرورنا ليس في غرورنا فقط بل وفي قبج اساليبنا في التعبير عنه . وفي ايهما نحن اوقع واقبح : في غرورنا أم في تعبيرنا عن غرورنا ؟ انه لا شبيه لقبج غرورنا الا قبج تعبيرنا وحديثنا عن غرورنا ٠٠ آه ايها الغرور البليد السخيف المتحول الى استهزاء وسخرية وانفجاج ورثاء لكل العالم وفي كل العالم لماذا وهبت كل صيفك وتفاسيرك لابناء المروبة ؟

كيف تنتقبل اية مرأة ان يقف امامها اي عربي ليقرا فيها وعنها باعلى واقبح الاصوات كل لغات وتفاسير غروره متجمعا فيه كل غرور تاريخه ؟ ان العربي ليرى في المرأة كل غرور تاريخه حين يقف امامها . ليرى خيول ونياق آبائه محلقة فوق النجوم لتمطر الارض بالحضارات والنبوات ٠٠ اذن كيف لا ترفض اية مرأة ان يقف امامها اي عربي ، رفضا لوثاحة وسذاجة غروره واشمئزازا من ذلك ؟

من علم المرأة البلادة والهوان لتنتقبل ان يقف امامها اي عربي ليرى فيها ويقرا عليها غروره ؟ كيف تقبل اية مرأة ان يحدق فيها اي عربي ليقرا عليها وفيها وليروي لها ويرى فيها كل امجاد عبوره ٠٠ ليستقرغ عليها كل امجاد عبوره ؟ كيف يقبل اي نجم ان ينظر اليه او يعيش تحته اي عربي بعد عبوره وبعد حديثه عن امجاد عبوره وبعد اعجابه ومباهاته بعبوره ؟

نعم ، ايها « العبور » كم انت فاضح او آثم او نافع او مصحح للاخطاء

لأنك قد صنعت شكاً أو احتمالاً بل أو يقيناً بأن جميع أمجاد العروبة الروية هي من نوع مجدك قوة وصدقاً وضخامة وروعة وتعبيراً باللفة أو بالصوت . .
 إذن أي ذنب وفضح مثل ذنبك وفضحك أيها العبور إذا أثبت ذلك عن كل أمجادنا الحفونة في القبور والروية عن القبور ؟ أي هاج ومكذب ومفسر بكل القسوة لامجادنا الهيتة مثلك أيها العبور ؟

نعم، ان السفر والطيران الدائمين الى الآفاق الاخرى القصوى على اجنحة الكلمات وبتخطيها هما التفسير الشامل الدائم لكل لغة انسانية . ان اللغة الانسانية او الحضارية في تفاسيرها كلها ليست الا تحليفاً وارتحالا الى الاشواق والاهداف البعيدة .

اذن هل يستطيع الانسان العربي ان يكون كائننا لغويا ، ان تكون له لغة ؟
 نعم ، ان الانسان أي غير العربي باللفة يتعلم ويخلق ويسير .

اما الانسان العربي فانه باللفة يرفض ويقاوم ان يتعلم او يعرف او يتخطى
او يتحرك او حتى يتكلم ! . .

هل يستطيع صاحب « العبور » . . الذي تحدث عن عبوره كما تحدث ويتحدث ان يتكلم اية لغة انسانية أي ان يكون انسانا لغويا ؟ هل يمكن ان يحسب العرب او ان يكونوا لغويين او متكلمين بعد ان تحدثوا عن عبورهم بالاساليب التي بها تحدثوا ؟

لقد تحول حديثنا عن عبورنا وعن امجاده الى هجاء لكل الأذان الاخرى التي استطاعت وتقبلت ان تستمع اليها ، والى هجاء لكل اللغات أي في حساب من يرونها كائنات لغوية . وهل يوجد من يرونها كذلك أي كائنات لغوية ؟

لقد تحولنا بذلك الى شماتة ونشوة لثيمة لكل الشامتين والمعادين والساخرين والتلفذين بعار وهوان وافتضاح الاخرين . . والى تعذيب وترويع وانفجاع لكل الاصدقاء والرحماء والانسانيين . .

لقد أسعدنا الاعداء واللؤماء وروعنا الاصدقاء والنبلاء . .

اننا بعبورنا وباحاديثنا عنه وعن امجاده وانتصاراته قد أصبحنا أعظم فنانيين في تأليف واخراج وصناعة المأساة الواهبة كل الفرح والسعادة النشوى لبعض المشاهدين ، والصانعة ، كل العذاب والخجل والاسى للمشاهدين الآخرين ، أي للقارئ والسامعين والمفسرين من الفريقين بالاسلوبين والاحساسين المختلفين . .

بل السنا دائما عباقرة في صناعة الماساة الصانعة للسخرية والفرح والصانعة
للأسى والخجل لاننا ابدا نحن شعب « العبور » ! والان لتسمعوا وتعرفوا وتعترفوا !
هل يوجد عباقرة مثل من يحولون أقسى الهزائم بالفعل والرؤية الى اعظم
الانتصارات بالقول والسمع .٠٠ اي لتصبح اعظم الانتصارات بالتصديق والايمان
والاقتناع والوطنية التورية ؟

هل وجد أو يمكن ان يوجد هؤلاء ؟

نعم ، لقد وجدوا ويوجدون دائما ، انهم العرب ، انهم اصحاب العبور .٠٠ لقد
للموا بعبورهم وبعابانهم عن عبورهم انهم اعظم المحولين لافدح الهزائم المفعولة
المرئية الى أضخم الانتصارات المسموعة المقررة المخطوب بها .

ان هل توجد عبقرية مثل عبقرية العرب ؟

بهذا التفسير لا ، لا توجد ولن توجد ويجب ألا توجد .٠٠ ان العرب دائما أضخم
العبقريات اي العبقريات المضادة للعبقريات ١٠٠

آه يا عبورنا البائس الحزين . لیتنا بلا اقدم ولا أجنحة ولا حركة لثلا
نمبرك أو نحاولك ، أو لیتنا بلا السنة لثلا نتحدث عنك ، أي لكي لا يسمع
العالم زعمانا وقادتنا وفلاسفتنا ومفكرينا وشعراءنا وفنانينا وقديسينا وعلماؤنا
وكتابنا العظام ، العظام وهم يتحدثون عنك ، وهم يرهبون بامجادك وكبريائك
الشموس والنجوم وكل أمجاد التاريخ وكبريائه وهم يخجلون ويفضحون كبرياء
الآله بزعمهم أنك أكبر هداياه وعطاياه لهم ١٠٠

انني لو كنت ألها راضيا عن الوهيتي معجبا مؤمنا بها كل الرضا والاعجاب
والايمان - أو لو كنت عبقريا راضيا عن عبقريتي معجبا مؤمنا بها كل الرضا
والاعجاب والايمان ثم سمعت العرب يتحدثون ويخطبون ويكتبون عن عظمة الوهيتي
أو عبقريتي لكان محتوما أن أشك في أنني آله أو عبقرتي بل ولرفضت وخجلت أن
أكون هذا أو هذا أي ان كنت قد سمعتهم وهم يتحدثون ويخطبون ويكتبون عن
« عبورهم » وعن أمجاده ! .٠٠

ان الذي ليس محتوما ان يكون الآله قد وقع في أزمة أو ورطة في علاقته بذاته
وفي اقتناعه واعجابه بها ؟

لقد كان راضيا عن نفسه مؤمنا بها راضا وإيمانا مطلقين بلا حدود .٠٠ وكان
من أقوى أسباب رضاه عنها وإيمانه بها طوفان الدائش والتعظيمات والصلوات
والهتافات التي كانت تفرقه بها وتصيبها عليه كل الافواه العربية من فوق كل المنابر،

بكل الاقلام ، بل بكل الاصوات واللغات ، كل الاوقات ، حتى غرق في رضاه عن نفسه وفي ايمانه واعجابه بها . حتى أصبح عاجزا عن أن يقرأ نفسه أو يراها أو يفسرها أو يحاسبها أو يشك في أي موقف و عمل و قيمة من مواقفه وأعماله وقيمه . لقد اقتنع في نفسه ما قاله ويقوله العرب فيه . لقد سحره وبهره وقهره وخرده وأغنه بمدائحهم عن كل التصادم والحوار مع ذاته والتفكير فيها والرؤية لها بل وعن نقدها وتقويمها وعن محاولة تغييرها والسمو بها وعن أن يكون أية صيغة أخرى . . .

لقد كان يصدق العرب جدا ، أو لقد أصبح يصدقهم لانه يريد ويشتهي أن يصدق ما يقولونه فيه وله وعنه . لقد مدحوه ومجده وزعموا فيه وله حتى صار عاجزا ومستحييا أن يكذبهم أو يرتاب في صدقهم . . . لقد أفسدوه أي أفسدوا الآله بمدائحهم كما أفسدوا بها كل سلاطينهم وحكامهم وأنبيائهم ودرأويشهم ولصوصهم ورجالهم في كل تاريخهم . . . ان من اعظم مواهب العرب افسادهم لآلهتهم وكبرائهم وطفاتهم بمدائحهم لهم . . .

نعم ، لعل العرب مسؤولون عن مواقف الآله وأعماله واخلاقه لانهم بمدائحهم وتمجيدهم له في كل ما يفعل ويرى ويريد ويكون جعلوه يتوقف ويكف عن أن يتغير ويتطور الى الافضل أو الاذكى أو الاعقل أو الاجمل أو الاعدل أو الاقوى . ان كل العالم في كل التاريخ يتغير ويتبدل حكامه وطفاته الا الكون فان آلهه أو طاغيته واحد ثابت لا يتغير أو يتبدل . اذن كم هو بائس هذا الكون ؟

ان مسؤولية العرب هذه لمسؤولية تهون وتغفر وتنسى امامها جميع المسؤوليات في كل العالم بل في كل الكون . . .

لقد منموا الآله أو صرفوه أو خدعوه أو اغنوه أو خدره عن أن يحاول تغييره وتطوير نفسه بتمجيدهم له كيفما كان وفعل وبزعمهم أن ذلك هو الكمال المطلق .
لقد ظل كل الارباب يتغيرون الى الافضل الا رب هذا الكون . . .

ولكن الآله الان لا بد أن يكون قد سقط في أزمة أو ورطة أو قد يسقط في ذلك وصانع هذه الأزمة أو الورطة هو العبود ، والحديث عن أمجاده .

لقد كانت مدائح العرب له هي التي خلقت فيه رضاه عن نفسه واعجابه وايمانه بها ورسخت فيه هذا الرضا والاعجاب والايمان لانه كان يصدق العرب جدا فيما يقولون أو كان يريد أن يصدقهم . . .

ولكن لقد سمع العرب يتحدثون عن عبورهم وعن انتصارات وامجاد عبورهم بالاساليب التي بها تحدثوا ويتحدثون ٠٠ وهو يعرف كل هوان وعار عبورهم ٠٠ لقد رأى ذلك رؤية ١١٠٠

فهل يستطيع بعد اليوم ان يصدقهم في اي شيء يقولونه عنه او عن اي شيء آخر ؟

لقد كان ايمانه بنفسه مساويا لايمانه بالانسان العربي مادحا واعيا صادقاً اي مساويا لايمانه بالمذائح العربية . ولكن لقد سقط او المفروض ان يكون قد سقط ايمانه بالانسان العربي قائلاً وصامتاً ، مادحا وذاماً بعد ان سمعه متحدثاً عن « عبوره » وعن امجاد عبوره ٠٠ اذن ما الذي يستطيع ان يبقي له ايمانه بنفسه اي بكونه آلهاً جيداً كاملاً بلا اي نقص او عيب ؟ اذن لا بد ان يتراجع عن ايمانه واعجابه بنفسه وان يتحول الى ناقد ومحاسب وقارىء لنفسه ولاخلاقه واعماله وحينئذ لا بد ان يصوغ او يحاول ان يصوغ ذاته وتصرفاته صياغات اخرى افضل واتقوى واكثر جمالا وحباً ورحمة وصدائة وفناً وشعراً وذكاءً كونياً ٠٠ نعم ، هل يمكن ان يرضى عن نفسه آله وخالق هذا الكون لولا مذائح العرب له ؟ هل قبل نفسه او عمله الا مخدوعاً بهذه المذائح العربية ؟

اذن لقد اعطى حديث العرب عن امجاد عبورهم اعظم النتائج لقد جعل ذلك الآله يغير ويصحح نفسه ٠ وهل يوجد شيء يساوي في نفعه وعظمته ما يجعل الآله يغير ويصحح نفسه ؟

اذن ايها « العبور » الهزيل ان لك وللحديث عنك كما تحدثوا لمزية ، مزية عظيمة ١٠٠ اذن اليس كل شكر يعجز عن شكرك ايها العبور الهزيل ؟ لقد جعلت الآله ايها العبور يرفض العربي مادحا ومتكلماً لانه سمعه مادحاً لك ٠ اذن لا بد ان يرفض مدحه له ٠ اذن لا بد ان يقرأ ويرى نفسه من جديد ٠٠

ولكن اليس محتوماً او محتملاً جداً ان يكون استماعه اي استماع الآله الى العرب متحدثين ، مادحين وممجدين ومؤمنين ومصليين ومعاشرته ومعايشته ومصادقته ومحاورته ومعاملته لهم كل هذا التاريخ الطويل قد قتلت او اخمدت فيه او سحبت منه كل القدرة على الرؤية والنقد والرفض والغضب والاستقباح وعلى التمييز بين الجمال والصدق والذكاء والشجاعة والشهامة وبين نقيض ذلك ، اي قد انسدت وشوهت فيه كل اخلاق ومواهب الآله المفترضة او المزعومة او المطلوبة ؟

واذا كان قد اصيب بذلك فلن يستطيع بل ولن يريد او حتى يقبل ان يكتشف قيمة المذائح العربية بسل الكلمة العربية بعد ان جرحت واهينت وشتمت أفناء

طويلا ، طويلا بالمدائح التي قيلت والتي سوف تظل تقال عن أمجاد « العبور » وعن معجزاته التي سوف يظل التاريخ في كل التاريخ يهاب ويرهب ويستحيي ويجبن عن أن يذكر أي مجد من أمجاده لأنه أي كل التاريخ في كل التاريخ سوف يظل مشغولا ومسحورا مبهورا مقهورا بأمجاد العبور العربي ومعجزاته ، متصاغرا مصغرا محقرا لكل ما يفعله وينجزه محاسبا منافسا بأمجاد ومعجزات هذا العبور العربي . هذا العبور العربي الذي لا بد أن يصبح ويظل نبوة وبطولة وقيادة وتاجا لكل التاريخ بل تاريخا لكل التاريخ . بل صلاة ومعبدا ودينا لكل عقل التاريخ وقلبه وضميره وأخلاقه وشهامته وتقواه !

وهل يمكن الا يكون الانسان العربي قد فعل كل ذلك بالآله بمدائحه له ؟ انه لا حدود لقدرة المدائح العربية على الاغواء والافساد والتشويه . .

اذن لا خوف على الآله من أن يصاب بهذه الازمة أو الورطة أو الصدمة التي لا بد أن تجعله يرى نفسه ويفقد ايمانه واعجابه بها ، ويرى انه لا بد أن يدخل عليها وفيها الكثير من التغيير والتصحيح بل كل التغيير والتصحيح . انه أي الاله لم يكن يرى نفسه وانما كان مشغولا باستماعه الى المدائح العربية له . ومن لا يرى نفسه كيف يريد تغييرها أو تجميلها ؟

لقد تملق وناقى الانسان العربي اذنيه أي اذني الآله وأنشد وغنى وصلى وهتف لهما واستفرغ فيها كل قبائح مدائحه واعتقاداته البدوية الجاهلة الحمقاء - نعم ، لقد فعل الانسان العربي كل ذلك في اذني الآله وبأذنيه طويلا ، طويلا حتى نسي وأهمل وأسكت وأمات أي الآله كل وظائفه ومعانيه الأخرى غير اذنيه . . كل وظائفه ومعانيه العقلية والنفسية والفنية والأخلاقية أي المفترضة المزعومة فيه وله لقد تجمعت كل معانيه أي معاني الآله في اذنيه ، لقد تحول الى أذنين فقط تستقبلان وتطربان وتتسمعان لكل ما يستفرغ فيهما من الأكاذيب والبلادات والبذاءات ومن المستحيل . .

لقد أصبح اذنين فقط لا تقرأ أو تحاسبان أو تحاوران شيئا مما يلقي فيهما . نعم ، لقد أصبح اذنين فقط كالانسان العربي . .

لقد صاغه استماعه الى الانسان العربي ومعاملته وصداقته له الى كائن يسمع المديح والتهنئ والغبي السخيف المنافق فيصدق ويطرب ويفرح ويرضى بلا أية تفاسير أو مواهب أو شروط أخرى كما صاغ الانسان العربي نفسه أو كما صيغ الانسان العربي أو كما صاغ الآله الانسان العربي . لقد مرض الآله بحب

المديح وتصديقه وبالاستغناء به عن كل عمل جيد • لقد اصاب مديح الانسان العربي بهذا المرض العربي ••

لقد فعل الانسان العربي بالآله ما فعله الآلهة بالانسان العربي •• لقد جمع الآلهة كل طاقات وعبقريات وفروسيات وشاعريات الانسان العربي وكل رؤاه وأشواقه وامجاده وانتصاراته واديانه وتقواه وفنونه وكبريائه في فمه وفي أذنيه ، فعاد الانسان العربي وفعل بالآله نفس الشيء • لقد جرى الآلهة او عاقبه جزاء او عقابا ملائما • لقد أصبحت كل مواهب وعبقريات الآلهة في فمه وأذنيه كما أراد للانسان العربي ان يكون كذلك ، اي كما صاغ الانسان العربي كذلك • ولماذا صاغه كذلك هل هي خطة ام غلطة ام عجز ؟ او لعلها شهوة شاذة • لعله اشتهى ان يصوغ الانسان العربي كذلك ••

ولكنه بهذا العقاب الذي عاقب به الآلهة قد عاقب نفسه وعاقب العالم بل وعاقب الكون كله لانه قد جمد الآلهة في صيغته الاولى الواحدة فلم يتغير أو يتطور الى الافضل أو الاعظم كما تتغير وتتطور كل الاشياء • وهل يوجد عقاب للكون والناس والكائنات مثل ان يظل المريد المدير المخطط الخالق لكل شيء ، والمسؤول عن كل شيء متجمدا في صيغة واحدة ابتدائية بدوية راضيا عنها معجبا مؤمنا بها لا يريد أو لا يستطيع أو لا يعرف تغييرها أو تصحيحها بل أو نقدها اي لان عقائد وهتافات ومدائح الانسان العربي له ، مهما كان وفعل ، ومهما كف عن أن يكون أو يفعل ، جعلته يرى نفسه في كل كينوناته وتصرفاته هو الكمال والجَمال المطلق الابدي الذي لا يجوز التفكير في تغييره أو تبديله ، كما جعلته يزداد اصرارا على ان يظل يريد ويفعل ما لا يراد أو يقبل أو يربح أو يعقل أو يغفر أي لأن الانسان العربي يزداد ايمانا واعجابا به وتمجيذا وصلاة وثناء عليه كلما أراد وفعل ما لا يراد أو يعقل أو يقبل أو يغفر أو يربح ؟ ليس الانسان العربي يرى الله جميلا ورحيما وحكيما ومحبا حين يفعل كل التشوهات والأفات أكثر من ان يراه كذلك اذا لم يفعل ذلك ؟

لقد وجد الآلهة ان الانسان العربي يزداد ايمانا واعجابا به وحباً وتمجيذاً له كلما فعل أي الآلهة الاخطاء والآلام والتشوهات والبلاغات والنقائص ، وكلما عجز أو رفض أو جهل ان يفعل الحب والجمال والسرور والسعادة والمنطق والذكاء والمبقرية والانسانية ••

اذن ليس محتوما ان يخشى فقدان هذا الايمان والاعجاب والحب والتمجيد لسو

لأنه غير أو بدل شيئا من سلوكه هذا أي لو أنه أصبح أفضل أو انبل أو أعقل أو أعدل أو أذكى أو أتقى أو أقوى مما كان أي مما وجدته الإنسان العربي ؟ نعم ، لقد وجد الله أن الإنسان العربي يتذكره ويمجده ويتضرع إليه ويصلي له ، ويرى جماله وحبه وعبقريته ويعلن عن ذلك ويفسره ويزداد ثناء عليه وعلى حكمته ورحمته ومحبته ويتصاعد إيمانه به كلما أوقع به كل التشوهات والأمراض والآلام والمظالم وكل فنون السوء أكثر مما يفعل له ذلك إذا لم يوقع به ذلك أو إذا فعل نقبض ذلك به له .

أذن أليس المفروض أو المعقول ألا يكون الآله غير ما كان لئلا يفقد هذه الامجاد والمدايح التي يهبه إياها الإنسان العربي ، أي لو أنه أي الآله تحول إلى صيغة أفضل أو أعظم أو أقل قبحا ووحشية وبدلوة ؟ لقد وجد أي الآله كل مجده وسروره في أن يكون كما كان فما الذي يجعله يغامر ويخاطر بمجده وسروره أي بأن يكون غير ما كان ؟ لقد أفتنعه العرب بأنه في صيغته هذه هو كل الجمال والكمال . فكيف إذن يفكر في تغيير صيغته أو يقبل تغييرها ؟

ولكن ماذا لو أن العالم عرف أن العرب بمعائدهم وهتافاتهم ومدائحهم للاله بقدر ما يكون رديئا ومسيئا وخارجا على كل ما ينبغي ويراد ويعقل ويقبل هم الذين قتلوا وفسدوا فيه كل معانيه ما عدا اذنيه ، وهم الذين قتلوا وفسدوا فيه كل القدرة على الرؤية والنقد والرفض والتغيير والتطوير والتصحيح لذاته ولسلوكه وكل الرغبة في ذلك ؟ وهل العالم لا يعرف ذلك ؟

نعم ، ماذا لو أن العالم عرف ذلك ؟

إن العرب في حساب العالم عربان : عرب قبل النفط ، وعرب بعد النفط أي بعد وجود النفط . إذن لو أن العالم عرف هذه الحقيقة عن العرب وهم بلا نفط لكانت الاحتمالات والتفاسير قاسية جدا بل لعل الاحتمالات والتفاسير والنتائج تكون جيدة جدا حينئذ . . . فقد يكون من نتائج ذلك أن يبذل ويطور ويصحح الآله نفسه وسلوكه ليصبح لها بمواهب وأخلاق اله لا لها بمواهب وأخلاق حاكم أو زعيم أو شيخ عربي . لأن العالم حينئذ لا بد أن يحمي الآله من تضليل وتخدير وخداع العرب له بايمانهم وهتافاتهم ومدائحهم الذليلة الجبانة الجاهلة المناقطة المفسدة لمن يستمعون إليها موجهة اليهم حتى ولو كان المستمع إليها هو الآله . وهذا لا بد أن يعني احتمالا أو حتما أن يصبح أي الآله لها بتفاسير ونماذج حضارية انسانية لا لها بتفاسير ونماذج عربية بدوية جاءت على مقاييس المدائح والمعائد العربية . . .

اما بعد ان اذل واهان وافسد وروض النفط العربي كل عقول وقلوب وضمانه
واخلاق ومواهب وحضارات وكرامات وعبقریات وانسانيات كل الشعوب فقد اصبح
العرب مغفورة لهم كل ذنوبهم ووقاحاتهم ويداوتهم واهاناتهم وجهالاتهم ، بل لقد
اصبحوا كل الجمال والذكاء والحب والعبقرية والشهامة في كل العيون والعقول
والقلوب واللغات والمؤتمرات والهيئات والمنظمات حتى حينما يحولون الاله المسمى
اذنين فقط تستمعان الى المدائح والتصرعات والهتافات والصلوات الكاذبة المنافقة
الغيبية البدوية فتصدقان وترضيان وتطربان كأنهما اذنا نبي او سلطان او قائد او
فيلسوف او شاعر عربي . وهل يوجد مثل اذني الانسان العربي في استماعهما
للمدائح السخيفة البليدة المهينة وفي طريهما وتقبلهما لها الا اذنا الاله المتخاطب
للتعامل مع فم الانسان العربي ؟

اذن لا خطر او امل او نفع في ان يعرف العالم هذه الحقيقة الان . .

نعم ، العرب قد افسدوا وشوهوا اخلاق الاله وضميره وقدراته ومواهبه
بمدائحهم وهتافاتهم وصلواتهم وحلوه الى عاشق نفاق ، وايضا اذلوا وقهروا
وارهبوا كل العالم بنفطهم ١٠٠

اذن اي مجد او قوة مثل مجد العرب وقوتهم ؟

ولكن ماذا لو عرف العالم ان العرب هم الذين فعلوا بالاله ذلك ، اي لو عرف
بعد ان تكون قدرة العرب على الاغواء والافساد قد ماتت اي مات نفطهم ؟ قد يقال انه
لا خوف حينئذ لان العرب لا بد ان يكونوا قد فرغوا من افساد وتشويه واضعاف
وقهر كل مواهب وقيم وفروسيات وقدرات واخلاق كل العالم باذلالهم اي باذلال
نفطهم الطويل الاليم له اي للعالم . لا بد ان يكونوا قد فرغوا من تعريب وتطويع
كل طائفات وطموح ورؤى ومعاني العالم ليكون مثيلا للعرب لا مسطيا او معلما او
مصححا لهم . وحينئذ لن يستطيع او يريد ان يعرف ان يحمي الاله منهم او يطرده
عن الصيغة التي صاغوه بها . انه اي العالم لا بد ان يكون حينئذ مساعدا للعرب
على افساد الاله وخداعه لا منقذا او مطورا او مصححا له . .

قد يرى القارئ هنا اني امزح واتالم ولست اجد . فاذا راي ذلك فاني عاذره

حتمًا . .

نعم ، ان للعرب غزوتين او مجمتين روعتا وصدمتا واهانتا العالم وفجمتا
رؤاه وتقاسيره لنفسه وافكاره عنها واثلتا حضارته وتفوقه .

الغزوة او الهجمة الاولى كانت بسلاح الاله والاسلام وباسمهما .

اما الثانية فبالنقط ٠٠ هذا السلاح العجيب الذي يهدد ويقاتل وينتصر دون ان يكون اصحابه مقاتلين او قادرين على القتال او مريدين للقتال او عارفين شيئا من فنون القتال او قادرين على اي انتصار لو قاتلوا . انه لم يوجد سلاح يصنع النصر لاصحابه دون ان يقاتلوا او يستطيعوا او يعرفوا القتال غير النفط العربي ٠٠ ولكن أي الهجمتين أو الفزوتين ستكون اقسى أو اعظم النتائج تأثيرا في العالم وعلى العالم ؟

ان أعجب واقسى ما في الهجمة الثانية انها هجمة هجمها العالم بقوته وارادته وتدبيره ، على نفسه باسم العرب أو لمصلحة العرب ، تحت راية العرب ، دون ان يكون للعرب فيها سيف او رمح او خنجر أو حتى مصحف ١٠٠

تعليم غير الموهوبين ضمن عملية تزوير

« ٠٠ ان اسوأ فاقدي المواهب هم المتعلمون تعليما عاليا وان افضلهم أو اقلهم سوءا هم الذين لم يتعلموا هذا التعليم . ان أردأ الناس هم الفاقدون للمواهب الذاتية اذا علموا تعليما عاليا وان اقل من هؤلاء رداءة هم الفاقدون لهذه المواهب اذا لم يعلموا هذا التعليم .٠٠ انه لا عقاب ولا تشويه ولا افساد لاي انسان أو مجتمع مثل ان يعطى العاجز عجزا ذاتيا شهادة بانه قد اصبح نبيا أو عبقريا أو مبدعا أو خبيرا أو عالما أو مفكرا أو شيئا آخر عظيما .٠٠ أليس التعليم العالي لفاقد الموهبة يعني اعطاءه هذه الشهادة ، اي يعني تزوير الانبياء والعباقرة والعلماء والقادة والعظماء والخبراء في كل شيء ، أي يعني اعطاء النبوة بلا وحي أو مجيء النبي بلا نبوة ؟ ، »

هل تعرفون هذا ؟ كم هو واجب ان تعرفوه وقبيح وأليم الا تعرفوه ؟ وهل يمكن
الا تعرفوه ؟ وكيف تطبقون ان تعرفوه دون ان تقاوموه او ترفضوه او تنكروه ؟
اسمعوا ، اسمعوا اذن . . .

ان تعليم المتخلفين ذاتيا يحولهم الى معوقين معطلين عالة . . . الى ظاهرة عجز
وتعجز لهم ، والى موظفين بلا وظائف والى وظائف بلا موظفين ، دون ان يصنع منهم
اي تعليمهم نبوغا او اخلاقا او اية قيمة او حتى تفوقا على الاميين في اي معنى
انساني او اخلاقي او فكري او فني او حتى لغوي تعبيرى . ان تعليم فاقدى المواهب
في المجتمعات المتخلفة لن يكون الا عملية خصاء لكل عضلات ومعاني الانسان فيهم . بل ان
تعليمهم لا بد ان يشوههم ويفسدهم ويحولهم الى عاهات انسانية وتعبيرية شاملة
ضاحجة بالقبح والعجز والسخف والفضح . انه اسلوب مثير من اساليب قطع الايدي
والارجل والعضلات والرؤوس وكل الاعضاء وفقء العيون ليصبحوا عاجزين عن ان
يعملوا أو يخطوا أو يصعدوا أو يفكروا أو يفهموا أو يروا أو يفعلوا اي شيء ، أو أن
يكون لهم اي تفسير أو وظيفة في الحياة غير أن يكون مجتمعهم ملزما ملتزما بأن
يصنع منهم ويجد فيهم موظفين بلا وظائف ، وانبياء بلا نبوات ، ونبوات بلا
انبياء ، وعباقره وفلاسفة وقادة بلا اية قدرة او فهم لاي شيء ، أو على اي شيء ، مع الجراة
على كل شيء ، والادعاء لكل شيء . . . ليصبحوا عروشا وقيادات وجامعات ومعابد بكل
تكاليفها ومظاهرها وطقوسها وضجيجها وبغرور وادعاء اكثر واغنى ، ولكن بلا ملوك
او قادة او اساتذة او مؤمنين او مصلين . . . ليصبحوا فرسانا وشعراء ومفكرين
ومعلمين ومتكلمين ، ولكن بلا اية فروسية او فكر او شعر او كلام او معرفة ، ولكن
بغرور وكبرياء لا تستطيع شيئا منهما او تجرؤ على شيء منهما كل الفروسيات
والاشعار والانكار والمعارف والكلمات ، ولا كل الفرسان والمفكرين والمتكلمين
والعلماء والشعراء . . .

ان المجتمعات المتخلفة لتذهب تعاقب وتشوه نفسها وحياتها بكل الاساليب
والقسوة البليدة حين تذهب بضجيج ودعاية وكبرياء تعلم غير المهوبين الذين هم

كل من يتعلمون فيها ، لانهم فيما يرى ويبدو كل من فيها ، او لان كل من فيها متواضعون ومهذبون حتى ليرفضون من تواضعهم وتهذيبهم وتواضعهم ان يكون فيهم موهوبون خشية ان يهينوا او يخرجوا غير الموهوبين - وحين تذهب اي هذه المجتمعات ترى وتعلن او تعلن دون ان ترى انها بتعليم هؤلاء تسرق من الشمس والالهة كل اضوائها وامجادها وكبرياتها وسلطانها .

انها اي هذه المجتمعات المتخلفة لتذهب تعاقب وتشوه نفسها وحياتها بكل الصيغ والتفاسير والضجيج دون ان يفعل العالم شيئا لمنعها من ذلك او لوعظها ونهيتها او يأسى من اجلها . بل انه ليذهب يعرضها ويساعدها على ان تفعل ذلك بنفسها وحياتها بتعليم هؤلاء الفاقدين لكل المواهب القوية التي لا بد منها لكي يكون التعليم مشروعا ونافعا وغير متحول الى تعجيز وتشويه .

ان غير الموهوبين في المجتمعات التي لا تلد الموهوبين يجب ان تعلم ايديهم وعضلاتهم وارجلهم ليعقلهم وافواههم او عيونهم . . ان يحشدوا في المصانع والمزارع والناجم، لافي المدارس او المعاهد او الجامعات . . ان تدرب ايديهم وعضلاتهم وارجلهم على الحفر والرفع والتحطيم والعمل والخطو والقفز واخلاقهم على الفداء والعطاء والصبر والحب ، لا ان تدرب ايديهم او عيونهم او افواههم وذاكرتهم على القراءة والكتابة والمذاكرة والاستذكار والحفظ ، لا ان تدرب على ما لن يصنع منهم حفظا او مذاكرة او تذكرا او استذكارا او قراءة او كتابة فيها او فيه اي نفع او مجد او قوة او قيمة من اي نوع ، لا لهم ولا لمجتمعاتهم . . ان يدربوا على الكيئونة القوية المتفوقة لا ان تشحن ذاكرتهم وافواههم واهتماماتهم ووقاتهم بقراءة وكتابة وحفظ ما لن يفهموا او يحترموا او يحبوا او يسمو بأي شيء فيهم او في الحياة . .

..... وقد تختار هنا المبالغة في التسامح والاعتدال فيقال : نعم ، ان هذا الرأي جيد وصحيح اذا اريد التعليم الجامعي او العالي بكل مستوياته . اما التعليم الابتدئ، والمتوسط فقد يكون غير نافع حرمان غير الموهوبين منه كما قد يكون غير ضار ان يتعلموه ، بل قد يكون نافعا ومجملا وجميلا ومطلوبا بل وزلاما ان يتعلموه بل وذنبا وظلما الا يتعلموه . .

قد يقال هذا وقد يصبح الرأي فيه مختلفا ويصبح اختلاف الرأي فيه وعليه محتملا . .

اما التعليم الجامعي او العالي فلا ينبغي ان يوجد رأي ، مهما كانت الرغبة في التسامح والاعتدال ، يقول انه قد يكون نافعا او مطلوبا او مغفورا تحت اي حساب

او منطلق ان يتعلمه غير الموهوبين او يقبل ان يتعلموه او يعلموه . ان الذين يدعون الى تعليم هؤلاء هذا التعليم او ينفذون هذه الدعوة لا يفعلون ذلك عن حساب او تفكير محسوب مدروس بل يفعلونه تائرا بشعارات مطلقة خاضعة لحوافز الدعاية .

انه لا يمكن تصور افساد او تشويه او خسران او عبث او بحث عن كل الاضرار والاختفاء والخطايا لايقاعها ومقاساتها مثل ان يعلم هؤلاء هذا التعليم اي الجامعي او العالي .

ولكن هل هذا هو فقط كل الخطر والضرر في تعليم غير الموهوبين في المجتمعات المتخلفة اي تعليمهم بالقلم والورق والكتاب وبالعقل او الفكر الذي لن يفهموه او يحترموه او يستطيعوا معاشته او محاورته او حمله او تمجيده او حتى الاستحياء او الرهبة منه وامامه او حتى الاحساس به او رؤيته او معرفته او الاعتراف بانسانيته اي بانتمائه الانساني ؟ ان الخطر والضرر حتما اكبر واكثر من كل هذا .

فذلك ان تعليم هؤلاء غير الموهوبين في المجتمعات المتخلفة لن يتحول الى تشويه وتمجيز ، لهم فقط ، بل لا بد ان يحولهم الى مشوهين ومعجزين لغيرهم اي الى ان يفعلوا بغيرهم ما فعله غيرهم بهم من تشويه وتمجيز ، اي بتعليم غيرهم ما علموا بنفس الاسلوب والتوظيف والنية والنتائج والتفاسير . اي انهم يتحولون الى اجهزة تشويه وتمجيز وتعويق وتعطيل في مجتمعهم ، اي الى اجهزة خصاء لطاقة العمل وارادته وظروفه ونياته في من يعلمون . اي كأنهم ينورون معاقبة مجتمعهم بما فعل بهم وجزاء ما فعله بهم . ليس اغلب التعليم في كل المجتمعات وكل التعليم في كل المجتمعات المتخلفة خصاء لمعاني الانسان في الانسان ؟ ليس خصاء الانسان سلوكا دوليا ؟

ان الذين لا يعملون لا بد ان يعملوا ضد العمل . فلن يوجد من يستطيعون ان يجمعوا بين العجز عن العمل والعجز عن العمل ضد العمل الا بقدر ما يستطيع اي كائن ان يجمع بين كونه غير حي وكونه غير ميت او بين كونه غير ذكي وكونه غير غبي .

ان جميع وسائل البشر وعبقرياتهم لا تستطيع ان تجعل من لا يصنعون التقدم والابداع والرخاء والذكاء والحضارة والخير والحب والجمال يكتفون عن صنع نقیض ذلك ، عجزا او تعففا او شهامة او كرامة او حياء او طاعة واحتراما للالهة او للاديان او للمذاهب او للحياة او للجمال

ان جميع هذه الوسائل والعبقریات لا تستطيع ان تجعل من لا يستطيعون ولا يعرفون ولا يريدون ان يعلموا ما ينبغي ويحرك ويحيي ويبنني ويقوي ويعز تعليمه

يكفون عن تعليم ما يفسد ويؤخر ويهدم ويميت ويضعف ويذل تعليمه . . لا تستطيع ان تجعل من لا يعلمون المعرفة والفهم والنشاط والحماس والالتحام يهابون او يتاثمون او يستحيون او يتكبرون عن ان يعلموا ما يناقض وينافي وينفي كل ذلك .

بل ليس المجتمع يفرض على هؤلاء الذين تعلموا او علموا ليتحولوا الى عجز وتشوه ، يفرض عليهم ان يصيبوا غيرهم بهذا العجز والتشوه ، يفرض عليهم ذلك باسم الفناء والشفاء فداء للوطن أو الدين أو المذهب أو الحضارة أو الحب أو الانسانية أو فداء لكل ذلك أو باسم كل ذلك ، دون ان يكون أي شيء من ذلك مقصودا أو مذكورا أو محسوبا في الفكر أو الضمير ؟

ان المجتمعات المتخلفة لا تصيب بالعجز والتشوه فقط حين تعلم غير الموهوبين بل تلزم هؤلاء الذين اصابتهم بالتشوه والعجز أن يصيبوا الاخرين بالعجز والتشوه . نعم ، ان عملية الخصاء لمعاني الانسان لا بد أن تصبح في المجتمعات المتخلفة وظيفية اجتماعية دعائية تؤدي باساليب متنوعة عديدة ضاحجة ، والتعليم هو اقوى واشمل هذه الاساليب .

ان كل ما عند البشر من حضارات ومواهب وتقوي وطهارة نفسية ودينية ومذهبية لا تستطيع ان تحميمهم أو تزجرهم عن ان يكونوا مستفرغين للالهة والنبوات والاديان والمذاهب وكل الوان المعتقدات والاحقاد والعداوات والسفاهات ومستفرغة عليهم ، ليحسبوا ويزعموا هذا الاستفراغ المتبادل قمة الذكاء والافتناع والطهارة والتقوي والايمان والتدين والحب والاحترام للجمال والصدق ، وقمة التمجيد للالهة والاديان والاطنان والانسان ولكل القيم الحضارية والانسانية . هل وجد أو يمكن أن يوجد على مستوى شعبي أو جماهيري اي اله أو نبي أو دين أو مذهب أو نظام أو زعامة باية وسيلة غير وسيلة الاستفراغ في اذان ونفوس الجماهير والالتقاء المتكرر فيها وعليها؟

وقد يكون صوابا كل الصواب القول بأن تعليم فائدي المواهب الذاتية القوية هذا التعليم لن تكون له اية قيمة بأي تفسير الا بقدر ما يمكن ان يكون من ذلك للاستفراغ أو القذف أو الالتقاء المسمى والمحسوب « ايماناً » اي الا بقدر ما يمكن ان يكون في استفراغ الالهة والاديان والمذاهب والتعاليم والعداوات والخصومات التاريخية في نفوس الجماهير ، من قيم دينية ومذهبية وفكرية واخلاقية وحضارية وانسانية . لانه اي هذا الاستفراغ قد حسب وزعم ايماننا ورؤية روحية ونفسية وعقلية ، كشفية استكشافية كونية .

ان كليهما اي هذا التعليم وهذا الايمان القاء او استنقراغ في الحفرة او في المكان غير الملائم ، وبصق او كتابة أو وطء على الورق ، وليسا اي هذا التعليم وهذا الايمان استقبالا او حوارا او تفاهما أو تعاملًا أو تحديا أو مصارعة أو تلاؤما وتوافقا وتعاونًا او حتى ترائيا بين ذات وذات او فكر وفكر او قلب وقلب او ضمير وضمير او خلق وخلق او حتى بين شهوة وشهوة او هوى وهوى او مصلحة ومصلحة ، او حتى بين نذالة ونذالة . انه ليس في هذا التعليم او هذا الايمان اي تعبير أو نية تعبير من التخاطب أو نياته الا مثل ما بين الانسان والحجر أو بين الحجر والحجر من ذلك .

ان المعارف أو العلوم أو الثقافات أو الافكار أو الحضارات أو المجتمعات أو الحياة لن تسعد أو تمجد أو تتقدم أو تكبر أو تقوي أو تفرح بتعليم هؤلاء الفاقدين للمواهب الذاتية القوية الا بقدر ما تمجد وتسعد وتعظم وترضى وتفرح وتظهر وتنتصر وتجمل وترى الالهة والاديان والنبوات والمعتقدات والمذاهب ، ويتأكد وجودها وصدقها وخلودها وجمالها ، بايمان هؤلاء المؤمنين الذين آمنوا بالاستنقراغ عليهم وفيهم

بايمان هؤلاء المؤمنين الذين لم يروا او يسمعوا او يحسوا او يفكروا او يفهموا او حتى يخبروا او يلتقوا ويعلموا ، وانما قذف فيهم قذفا . . . بايمان هؤلاء المؤمنين الذين لم يؤمنوا أو يريدوا أن يؤمنوا أو يعرفوا أنهم قد آمنوا أو يعرفوا أو يسألوا : ما هو الايمان أو من هو المؤمن ، وانما اسقط فيهم اسقاطا . . . بايمان هؤلاء المؤمنين الذين تحولوا الى اقسى تحقير وتعبير للايمان وللمؤمنين لانهم آمنوا اي لانهم حسبوا وزعموا مؤمنين ، كما تحولوا الى اسقاط لكل احتمالات الذكاء أو الصدق أو النظام أو الشرف عن اللغة لانها قد تقبلت ان يسمى الاستنقراغ ايمانا والاستنقراغ فيه وعليه مؤمنا بل لانها اي اللغة قد فعلت ذلك وتعاملت عليه راضية عن عبقريتها معجبة بها مغنية لها ، حتى ليتصاعد بها اي باللغة الغرور الى أن تدعى وترى انها هي كل ادوات ووسائل كل الالهة لتوصيل وتبليغ وتفسير نفسها الى كل من تتعامل بهم وعليهم وفيهم ومعهم .

انه لحق ان يحسب هذا الاستنقراغ المزعوم ايمانا عدوانا يجب رفضه ومعاقبته . اذن اليس حقا ان يحسب ويحاسب تعليم غير الموهوبين كذلك ؟ بل لا بد أن يكون تعليم هؤلاء هو اقسى عدوانا واثما لانه اشمل وأقسى في أضراره وافساده وتشويهه وفي خصائصه لطافات واراديات ونيات وظروف العمل في الانسان ، من هذا الاستنقراغ المحسوب المزعوم ايمانا .

اجل ، ان التعليم الجامعي او العالي لفاقدي المواهب الذاتية القوية يشبه ان يعد من فقدوا ايديهم وارجلهم وعيونهم وحاسة السمع وكل الحواس والاحاسيس الاخري ، ان يعدوا لكي يضع مجتمعهم في ايديهم كل اجهزة القيادة و اجهزة الاطلاق والتوجيه والتسديد والتحرك والتشغيل والاشعال والتحرك والسير والتوقف، مقودة مأمورة اي هذه الاجهزة التي هي كل اجهزة حياة مجتمعهم بأيديهم وارجلهم وعيونهم واذانهم وحواسهم واحاسيسهم التي هي غير موجودة او التي لم توجد قط ولن توجد أبدا . . .

لهذا فانه لم يوجد ولن يوجد اردا او أعجز أو أقبح أو أكثر ضللا وسفها وخطايا من المجتمعات المتخلفة التي يقودها ويحكمها رجال فاقدون للمواهب الذاتية القوية قد علموا تعليما جامعييا عاليا . . .

وانه لصواب القول بان المجتمعات التي يقودها ويحكمها رجال لم يتعلموا اي تعليم ولكنهم موهوبون لا بد ان تكون افضل واذكى واعقل من هذه المجتمعات التي يقودها المتعلمون التعليم العالي الفاقدون للمواهب الذاتية القوية . . . بل انه لافضل واذكى واعقل من هذه المجتمعات مجتمع يقوده ويحكمه رجال غير موهوبين ولكنهم لم يفسدوا ويشوهوا ويعقدوا بالتعليم الذي لن يكون الا ارهاقا وتشتيتا واحراجا واخجالا وتحديا مهينا معجزا مواهبهم ومزاياهم الضئيلة او المفقودة ، لكي يكونوا محكما عليهم بالتحركات والخطوات والمبارزات والادعاءات والتظاهرات العشوائية البليدة السفيفة المغرورة القتالة الصانعة لاقسى السخرية ولكل السخرية ، لانهم متعلمون تعليما عاليا وهم قادة وحكام وهم ايضا فاقدون لجميع المواهب الذاتية القوية . اذن اليس محتوما ان يتحركوا على جميع جبهات وآفاق الحماقات والسفه والجنون والمخاطر ؟ هل يمكن ان يوجد من يساوي هؤلاء في قيادتهم المحتمومة الى الخراب والاختفاء والافتضاح ؟

انه ليجرؤ المنطق والتقوى الدينيان والمذهبيان والحضاريان والفكريان والانسانيان ، في كل مستوياتهما واخلاقهما ومواقفهما ، ان يريا ويعلنا انه خير لاي مجتمع ان يحكمه ويقوده حاكم او قائد أمي موهوب او غير موهوب من ان يقوده ويحكمه قائد أو حاكم متعلم أعلى تعليم ان كان بلا مواهب ذاتية قوية . . . قائد أو حاكم بلا اية موهبة ذاتية قد علم تعليما عاليا . هل تجد الاخطاء أو الغباء أو الالام والفضائح مجدا لها مثله؟ هل تجد مثله ضاجا زاحفا الى كل ألوان الحماقات والجنون في مواكب من الضجيج والغرور ؟

ان العالم اليوم ولا سيما المتخلف منه ليوافقه آفة رهيبة ، تلك هي انه يريد ان يعلم كل العاجزين في كل مزاياهم وطاقاتهم الذاتية كل انواع ومراحل التعليم ٠٠ ان ذلك يعني اعداد هؤلاء العاجزين عجزا تكوينيا لكي يكونوا بالالزام والحتم والمنطق والوطنية والانسانية هم كل عيون وآذان واخلاق وعقول وطموح ومنطق وعضلات وطاقات وعبقريات كل مجتمعاتهم ، او كل الحاكمين والموجهين والمعلمين لكل ذلك والمعبرين عنه والمتحكمين فيه بل وكل الصائغين المفسرين له ٠٠٠

ليست نتائج مثل هذا على مجتمعاتهم وفيها لا بد أن تكون اكثر خطرا وضررا وتعويقا وتشويها من كل غزو خارجي مدمر ، ومن كل هرب من كل تقدم علمي وحضاري وانساني وفكري واخلاقي ، بل اشد خطرا وضررا وتعويقا وتشويها من كل الاعمال التخريبية التدميرية التجريبية المبررة ؟

ليس ذلك أسوأ من وضع كل الايدي والارجل في يد ورجل مصابتين بالشلل المستعصي ، ووضع كل العيون في عيزن ولدت بالكمه المولود الذي لا يداوى ؟
ان الظروف الحضارية والانسانية والدعائية الدولية الجديدة هي التي هيأت لهذه الافة ومجدها ودعت اليها بل وفعلتها زاعمة لها اضخم واجمل المزامم الحضارية والانسانية بل والكونية . ولعله من المحتوم الدائم ان تلد وتعلم وتصنع كل حضارة ما يناقضها ويعاقبها ويشوهها . بل لعل كل شيء جيد لا بد أن يفعل ذلك دون ان يريد او يدري ٠٠٠

• واضرار هذه الافة على المجتمعات متفاوتة كثيرا . فاضرارها على المجتمعات المتخلفة فادحة وشاملة رهيبة . ان هذه المجتمعات لتبها اي لتب هذه الافة كل الظروف والاسباب والقويات والمحرضات لكي تكون شرورها وآلامها متألقة مهيمنة حاسمة . اذ لا يوجد في هذه المجتمعات زاجر او مقاوم او فاضح او فاهم او مستنكر لها ، كما لا يوجد فيها بديل عنها او منافس مزاحم ٠٠٠

ان كل ما في هذه المجتمعات لا بد أن يتحول إلى عون وهتاف واغراء لها .
وجميع المجتمعات المتخلفة تعيش وتقاسي اليوم شرور وآلام وفضائح هذه الافة اي آفة أن يصبح المتعلمون العاجزون عجزا تكوينيا ذاتيا هم كل عيونها وآذانها وعقولها وضمانتها واخلاقيها ومنطقها وطموحها وعبقرياتها وطاقاتها واصواتها ولغاتها ، وكل الحاكمين الموجهين المعلمين الصائغين المفسرين لها المعبرين عنها المتحدثين باسمها المتحكمين فيها المساومين عليها التاجيرين المبرزين بها المشاتميين المعادين نيابة عنها وعن اخلاقيها ومصالحها وكرامتها ٠٠

لهذا فان التحديق والتفكير في هذه المجتمعات لن يعنيا الا كل الغيظ والغضب والاشمئزاز والانفجاع ، و احيانا لن يعنيا الا كل السماتة والنشوة اللثيمة والفرح البذيء الآثم . اجل ، هل يصنع الغيظ والاسى او السماتة والفرح البذيء مثل مجتمع متخلف يحكمه قادة بلا اية مواهب قد علموا تعليما عاليا اي جامعا ليوажوها هذا العصر بكل تحدياته وتعتيداته ، قوته وضعفه ؟

نعم ، ان تعليم الموهوب يسلمح موهبته ويشحذها ويسددها ويطلقها ويفجرها منتشرة على كل الافاق والجهات والاعماق والاهداف واليها . ان الموهبة بلا تعليم تظل مثل النظرية العبقريية بلا تطبيق والكتاب المبدع بلا قراءة جيدة منفذة والعين المبصرة تعيش في الظلمة الدائمة .

اما تعليم فاقد الموهبة الذاتية فلن يجد فيه شيئا يخاطبه او يعامله او يطلقه سوى ان يهبه الجراءة والقدرة والشريعة على ان يعبر عن عجزه المولود الطبيعي بكل الاصوات والاساليب الاعلانية ، وعلى ان يفرضه على كل القيم الحضارية والثقافية والانسانية ، وان يجعله النموذج والتفسير الشامل الدائم لها ، وسوى ان يشحنه بالاشهوات المتولدة من العقد المتولدة من عجزه عن المواجهات المفروضة عليه ومن رهبته منها مع التزامه والزامه بها ومع اضطراره الى ان يخطو ويفعل ويقول دون ان يرى او يستطيع او يفهم او يستطيع ان يفهم . بل ان تعليم غير الموهوب لا بد ان يزيد ضعفه وبلادته ضعفا وبلادة لانه اي تعليمه لا بد ان يرهقه ويحرجه لانه يلزمه بما لا يستطيع وبما لا يعرف . .

اما المجتمعات المتقدمة فانها لن تقاسي كثيرا او لن تقاسي البتة من اضرار هذه الآفة او لن ترى او تدرك مقاساتها منها .

تفسير ذلك ان اصحاب المواهب الذاتية المتفوقة لا بد ان يتخلقوا بتتابع وديمومة وبروز ودوي وقوة في هذه المجتمعات . وهم فيها لا بد ان يتعلموا كل مراحل والوان التعليم موزعين على كل ذلك ، وحينئذ سيكون من المحتوم ان يستولوا على اغلب او على كل مراكز ومواقع القيادة والتوجيه والتحرك والتسيير والخلق والمواجهات الصعبة . ولن ينافس او يمانع او يعارض في ذلك اصحاب المواهب المفقودة او الضعيفة . بل انهم لا بد ان يتنحوا لهم برضا وسعادة وصدق واعجاب وتأييد . وسوف يكونون عوننا لهم وتثبيتنا لا منافسة او مزاحمة او مناقضة . ان فاقد المواهب وضعافها في المجتمعات المتقدمة اي في المجتمعات التي تلد وتخلق وتصوغ اصحاب المواهب

المتفوقة ، لا يستطيعون أو لا يريدون أو يعرفون أو يتقبلون أن يجيئوا في نذالة أو حقد أو غباء أو وقاحة أو انانية فاقدي المواهب في المجتمعات المتخلفة فأصحاب المواهب الضعيفة أو المفقودة في المجتمعات المتقدمة لا بد أن يكونوا متقدمين في صيغة واسلوب ومستوى فقدمهم للمواهب المتفوقة وضعفهم فيها ، أن يكونوا سلوكا ونيات وانفعالات مثلثمين متكافئين مع مجتمعاتهم المحكومة المقودة المسيرة الموجهة بذوي المواهب الذاتية القوية . أن فقد الموهبة في المجتمع الموهوب لن يكون الاصيغا واساليب موهوبة ان هذا الفقد في مثل هذا المجتمع لن يكون الا تعبيراً موهوباً والافقدا موهوباً ان المجتمعات التي تلد اكبر الكبار لن تلد اصغر الصغار ان صغارها لا بد أن يكونوا كباراً لان كبارها كبار ، لكي يكون التفاهم وكذا التعامل بين الفريقيين موصولا ومستظاعا ونافعا بل وخالقا . ان كينونة الموهوب الكبيرة المنتصرة لدليل على انه يتعامل مع موهوبين في قدرتهم على التعامل مع الموهوبين وعلى فهمهم لهم . . .

•• ان ضعاف وأغبياء الاذكياء الاقوياء لن يكونوا في غباء او ضعف اغبياء وضعفاء الأغبياء الضعفاء ، كما ان ضعاف الحيوانات او الطيور القوية لن تكون في ضعف ضعاف الحيوانات او الطيور الضعيفة . . .

ان اكبر الرؤوس لن تثبت فوق اصغر الاجسام ، وان اضخم الاجسام لن تنمو فوق اصغر السيقان والاقدام . . .
ان ضخامة الثمرة وجودتها لدليل على قوة وجودة الشجرة التي حملتها وصاغتها واعطتها .

ان اذكي الافكار لن تتفجر بها اغبي الرؤوس او اصغر الرؤوس . . .

ان اعظم العباقرة لن يتكونوا في ارحام اردأ او اجهل او افسد المجتمعات او السلالات . ان ارحام المجتمعات الضعيفة لن تحبل بالمواهب القوية . . . والمجتمعات المتقدمة بممارساتها الحرة القوية الذكية لكل اساليب والوان حياتها واشواطها الحضارية والانسانية قد تمنع بلا قمع او حجر او اكراه او تشريع او اهانة او اشعار بالاهانة او نية اهانة ، قد تمنع فاقدي المواهب الذاتية القوية من ان يتعلموا تعليماً عاليا اي تعليماً لا يحتاجون اليه ولا يحتاج اليهم ولا يتلاءم معهم أو يتلاءمون معه ولا ينفعهم او يسعدهم ان يتعلموه او يضرهم الا يتعلموه ، ولا يشعرون بالنقص او الهوان الا يتعلموه بل ولا يحتاجون الى ان يتعلموه . لانها اي المجتمعات المتقدمة تضع امامهم كل مجالات الحياة والتقدم الاخرى الملائمة المريحة النافعة لهم وبهم ، كما تضعهم في هذه المجالات الواسعة المتعددة المتنوعة الكثيرة النافعة الكريمة المطروح اليها . . .

اي ان هذه المجتمعات لا تعطي شهادات بالنبوة او بالمعبرية او بالشاعرية او بالاستاذية او بالفنية او بالانسانية او بالفكرية او بالقيادة والزعامة لكل احد او لكل من يريد او يطلب هذه الشهادات المعطاء ، موقعة من جامعاتها ومعاهدها

اليس التعليم العالي اي الجامعي لغير الموهوبين يعني اعطاء هذه الشهادات بهذه التفاسير لكل احد ولكل من يريدتها او يطلبها ؟

اليس ذلك يعني اعطاء النبوة بالشهادة لا بالوحي او الالهام او بالعروج الى السماء ؟

نعم ، اليس تعليم فاقد الموهبة في اي مجتمع متخلف تعليميا جامعييا انما يعني جعله وزعمه نديا او عبقريا او خبيرا او مخططا او مكتشفا او مبدعا او مفكرا او فيلسوفا او شاعرا او فناانا او قائدا باعطائه شهادة بذلك اي بالتوقيع له بانه كل ذلك او بعض ذلك ؟

اي اليس تعليمه هذا التعليم يعني حتما وضعه في مكان ومكانة هؤلاء او في مكان ومكانة بعض هؤلاء مع اقتناعه وتظاهرة بانه قد اصبح كذلك ومع محاولته ان يثبت بالسلوك والادعاء انه قد اصبح كذلك ؟ كانت المجتمعات البدوية تلمذ الانبياء بالرؤيا او بالادعاء واليوم تلمذهم وتلد العباقرة بالشهادة . . .

انت مواطن في مجتمع متخلف ، وانت بلا اية موهبة ذاتية قوية بل وانت بلا اية مزية من اي نوع ، باي مقدار ، ولكنك متعلم تعليما عاليا اي تحمل شهادة من جامعة ما محلية أو خارجية . اذن انت حتما نبي أو عبقرى أو خبير أو مخطط مبتكر أو فيلسوف أو شاعر أو فنان أو ناقد أو قائد أو زعيم أو انت كل هؤلاء ، اي انك مفترض ومزعوم وموضوع ومقروء ومفسر كذلك ومحكوم عليك ، مطالب بان تكون ذلك وبان تزعمه وتقتنع به لنفسك وبان تلبس كل ازيايه وصيغه ، وبان تتكلم وتقف وتواجه كل لغاته ومواقفه ومواجهاته بل وبان تفعل كل افعاله . ومجتمعك المتخلف هذا مجتمع مريح ومستريح . انه لن يفهم او يتصور الفرق حينئذ بينك وبين من هو كذلك حقيقة اي بالموهبة . انه لا يعرف ان الموهبة اكبر واصعب من التعليم او انها غيره . . انه لمحتوم الا يوجد اردا او اضعف او اغبي او اوقح كينونة من مجتمع كل انبيائه وعباقرته واساتذته ومبتكريه ومخططيه ومفكريه وفنانيه وشعرائه وزعمائه وقادته هم كذلك بالشهادات الجامعية الموقعة لا بالموهبة الذاتية . ان مثل هذا المجتمع لا بد ان يكون أسوأ في كل شيء من المجتمع المائل الذي ليس فيه احد من

هؤلاء لا بالموهبة ولا بالشهادة الموهوبة • ان الاعمى لاذكى رؤية من الاعمى الذي ركبت فيه عينان مزورتان وحسب نفسه وحسبه الاخرون مبصرا •

نعم ، ليس المجتمع الذي ليس فيه احد من الانبياء او العباقره او الفلاسفة او المبتكرين افضل او اقل سوءا وتبحا من المجتمع المشحون بالانبياء والعباقره والمبتكرين والفلاسفة والاساتذة الذين اصبحوا كذلك بالشهادة اي بالعتاء الموقع من مكان يسمى جامعة ، ولم يصبحوا كذلك باية مزية ذاتية او استحقاق ذاتي ؟ كما ان الغبي لا بد ان يكون اكثر ذكاء من الغبي الذي اعطاء المجتمع شهادة بأنه اذكى الاذكياء ثم الزمه بأن يعمل فيه وله ومع على انه كذلك فصدق هو ذلك والتزم به ••

ليس اي جيش بلا اي قائد اعظم حظا او ابعد عن احتمالات الدمار والهزائم عن اي جيش له عديد القادة المناقضين لكل اوصاف وشروط القيادة ؟ انه لشيء مخيف جدا • انت عالم ويجب ان تعمل وتعامل كعالم لان معك شهادة من جامعة ، ايه جامعة •• ! أليس ذلك شيئا مخيفا جدا ؟

وهؤلاء المتعلمون في المجتمعات المتقدمة المحرومون من المواهب الذاتية المتفوقة المولودة معهم لو انهم ارادوا وحاولوا أن يصبحوا منافسين مزاحمين أو حتى مشاركين لاصحاب المواهب المتفوقة في قيادة مجتمعاتهم ، وأعني بالقيادة هنا معناها الشامل المطلق اي قيادة الحياة بكل قضاياها وميادينها وتفاسيرها ، لما استطاعوا ذلك • ان مجتمعاتهم لن تجعلهم يستطيعونه ، وان المتفوقين فيها لن يجعلوهم يستطيعونه انهم اي المتفوقين لن يتركوا أي مركز من مراكز القيادة اي قيادة الحياة والتقدم ، فراغا لكي يستطيعوا اي فاقدوا المواهب القفز اليه ••

انهم لا يفعلون ذلك منافسة او انانية او غرورا بل استجابة لاملاء مواهبهم واحتياجات مجتمعاتهم ••

ان السباق في المجتمعات المتقدمة سباق مفتوح معروض تحت اقوى واقسى الاضواء والتحديد والمراقبة والمحاسبة والنقد والاشتراط والمساءلة • انه لن ينتصر او يلمع فيه الا المتفوقون جدا • بل ان المتفوقين جدا ليقاسون ويرهبون من خوض هذا السباق لانهم يعرفون ويحسبون صعوبة الفوز فيه بل صعوبة ان يظل عجزهم عجزا مستترا او محترما او حتى مغفورا او معذورا •••

انه سباق لا تستطاع او تجرؤ ان تتدخل فيه مشاعر الرثاء او الحب او الاشفاق او المحابة او الغباء او التسامح او العجز عن الرؤية او التحديد ••

انه سباق لن يفسده او يضلله الاختلاف في التقديرات او التفاسير او المواقف او العجز عن الذكاء او عن الصدق ..

ان احدا في هذه المجتمعات المتقدمة لن يضل في حساب او محاسبة نتائج هذا السباق اي السباق على قيادة الحياة وقيادة التقدم فيها .
ان الاميين ليقرونها اي نتائج وعطايا هذا السباق ، وان العميان لييصرونها ، وان الاعبياء ليفهمونها ، وان الجهال ليعرفونها . انهم لن يختلفوا فيها مثل اختلاف المؤمنين في تفاسير كتبهم المقدسة أو ينتظروها مثل انتظار هؤلاء المؤمنين لصدق وعود انبيائهم الاسطورية الجميلة لهم ..

انها ليست تحديتا عما بعد الموت او عن احكام الزواج والطلاق وتعدد الزوجات في الجنة ، ولا عما في ضمير الآله وقلبه ونياته من حب وتمجيد وتدبير عظيم للعروبة والاسلام ومن تصميم على تحكيمهما في كل المستقبل على كل العالم والكون ، ولا عما في نفوس ومواهب الزعامات والقيادات العربية من عبقریات وصفاء وطهر وتقوى وقدرة على الانتصار والتفوق والصعود ، لولا دسائس ومكاييد وتآمر كل خبث الشيطان والاعداء والاشرار ضدهم وعليهم . نعم ، انها ليست شيئا من هذا التحدث عن شيء من ذلك . انها ليست وعودا في جنة او تفاسير لنصوص او تحديقا في كرم ورحمة السماء وانتظارا لهذا الكرم والرحمة . ولكنها نزلوا فوق القمر او لم ينزلوا ، عاد رواد الفضاء او لم يعودوا ، انطلق الصاروخ او لم ينطلق ، بلغ الهدف او لم يبلغه ، سقط فوق المريخ او لم يسقط ، اخطا مسيره او لم يخطى . انها ليست تفسيرات للنبوات ولكنها رؤية وقراءة وحساب ومحاسبة واحصاءات بالعيون والعقول الكونية . انهم في هذه المجتمعات المتقدمة لا يقرؤون عن نتائج هذا السباق ولا عن تفاسيرها واحتمالاتها ومعوماتها وظروفها ومتى تكون وكيف تكون حين تكون ، ولكنهم يجدونها ويعيشونها او لا يجدونها ولا يعيشونها اي يجدون نقيضها ويعيشونه اي نقيض النتائج المزعومة المطلوبة المنتظرة ..

انهم ليسوا عربا يظلون ابدا بلا رؤية او محاسبة او غضب او حتى مساءلة او تعجب او رثاء للذات ، يقرأون ويسمعون ويفسرون ويصدقون ويروون خطب ووعود ونبوات انبيائهم وسلطينهم وخلفائهم دون ان يصدقوا او يكذبوا ، اي دون ان يصدق شيء مما قالوا او يكتشفوا هم كذبهم فيصبحوا في رؤيتهم كاذبين .

ان هذا السباق في هذه المجتمعات سباق لن ينتصر فيه من يستحق الهزيمة او ينهزم فيه من يستحق الانتصار . وحتما سيكون اعظم المجتمعات هو المجتمع الذي

لا ينتصر فيه احد يجب ويستحق ان يهزم ، ولا يهزم فيه احد يستحق ويجب ان ينتصر . . . وحتما سيكون اردأ واقبح المجتمعات هو المجتمع الذي يحدث فيه نقيض ذلك . وهل وجد مثل هذا وهذا من المجتمعات كبنونة لا تمنيا وتصورا فقط ؟

قد يقال انهما قد جدا بكل قسوة وقبح هذا التباعد والتضاد . اليس من الصدق ان يقال ولكن بصيغة اخرى : انه لم يحدث ولن يحدث ان انتصر او ان ينتصر في مجتمعاتنا العربية كل من يجب وينبغي ان ينتصروا او حتى احد منهم ، او ان انهزم او ان يهزم كل من يستحقون الانهزام ؟ اليس جميع المنتصرين والمتفوقين والمصدرين بل وجميع العباقرة الكونيين الذين قد كانوا والذين هم كائنون اي مي مجتمعاتنا العربية هم من الذين يستحقون ان يوضعوا في المكان الاخر المناقض ؟

وقد تكون البالغة في الورع مطلوبة هنا ، فيقال : اكثر هؤلاء لا كلهم . . .

قد يقال ان من صعوا فوق راس التاريخ من عباقرة وابطال العرب قد يستحقون الصعود الى قدميه فقط . وهذا كثير . . .

اما المتقدمون في المجتمعات المتقدمة فلن تجهل او تخطيء او تكذب او تنافق عيونهم او عقولهم او اخلاقهم او حساباتهم او احساسهم او معارفهم او اجهزتهم ليروا او يزعموا القمر اكبر حجما او اعلى مكانا او اكثر اضاءة او حرارة من الشمس ، او ليسموا ويتعلموا تفاسير القمر من تفاسير مفسريه بآياتهم واناجيلهم لا من تفاسير الهابطين فوقه ، المحطمين لصخوره ومجده ، القارئین لاحشائه ، المسقطين الماحين من فوق جسمه اي جسم القمر ووجهه وثيابه وبرائه وطهارته كل صور وآثار وكتابات وإخلاق الالهة والمتحدثين عنها وباسمها وبحنا عن بصماتها ومجدها المتوحش . ان سطوع القمر في هذه المجتمعات لن يبهر اكثر من سطوع الشمس او ان يسرق سطوعه من سطوعها كل العيون او بعض العيون .

ان اصحاب اعلى القامات سموخا لظالمون في المجتمعات المتقدمة بان تكون قاماتهم اعظم سموخا . وقد يتهمون بقصر القامات ، وقد يرون كذلك .

اذن كيف يمكن ان يبديو في هذه المجتمعات اقزام القامات ؟ كيف يخشى ان يسرقوا فيها السماء ، ان يسرقوا فيها النجوم من ذوي اعلى القامات والهامات سموخا ؟ كيف يخشى ان يصبح الاهيون المباهون بأميتهم الابدية انبياء ومفسرين لمجد الآله وذكائه ومحبته ورحمته وحكمته وعبقريته وشاعريته المخزونة في ضمائر وقلوب وإخلاق الحشرات والعاهات والامراض والموت - ان يصبحوا كذلك في المجتمعات التي حلقت شمسها ونجومها واقمارها فوق شمس واقمار ونجوم هذا الآله الامي

الواضع الخازن حبه ومجده ورحمته وحكمته وكل عبقرياته وفنونه وشاعرياته في ضمائر وقلوب واخلاق واجنحة الحشرات والتشوهات وكل ألوان العذاب والزرع والخراب ..

ان انهزام من يستحقون الانهزام هو افضل واقوى معاني الانتصار وانبل وانتقى معاني الانهزام ، كما ان انتصارهم هو اقبح واندح معاني الانهزام وواقع وانجر معاني الانتصار ...

وايهما افجع واقسى ايلاما : أن ينتصر من يجب ان يهزموا ويستحقون الانهزام أم ان يهزم من يجب ان ينتصروا ويستحقون الانتصار ؟

نعم ، انها لكثيرة هي المجتمعات التي ينتصر فيها من يستحقون الانهزام ومن يجب وينبغي أن يهزموا أو ألا ينتصروا . ولعل هذه المجتمعات هي اكثر المجتمعات او كل المجتمعات مع الاستثناءات القليلة المحتومة المعروف مكانها . ولكن كم هي المجتمعات التي يهزم فيها من يستحقون الانتصار ومن يجب وينبغي ان ينتصروا ؟ وهل وجدت او يمكن ان توجد امثال هذه المجتمعات ؟ واذا وجدت فهل توجد الا شخوذا والا اختراقا للديمومة والثبات والشمول ، بل وللمنطق بكل تفاسيره ؟

ليس وجود ذوي المزايا الذاتية القوية في اي مجتمع انما يعني ان هذا المجتمع الذي وجدوا او ولدوا وتخلقوا فيه مجتمع قوي متقدم موهوب ، لهذا يلد ويهب ذوي المزايا والمواهب القوية ؟ وهل يلد او يهب ذوي المواهب المتفوقة الا المجتمعات الموهوبة المتفوقة ؟ أليس المولود والولادة هما ابدا صفات وتفاسير الوالد ؟ أليست قوة الولادة والمولود وضعفهما تعبيرا محتوما عن قوة الوالد وضعفه ؟ هل يحدث ان يجيء مولود قوي عن ولادة ضعيفة او عن والد ضعيف ؟ اذن فوجود ذوي المزايا الذاتية القوية لا بد ان يعني ان المجتمع الذي وجدوا وجاءوا منه مجتمع ذو مزايا قوية . ومثل هذا المجتمع هل يمكن ان يهزم فيه من يجب ان ينتصروا ومن يستحقون الانتصار ؟ ولو وقع مثل هذا فهل يقع الا شخوذا لا بد ان يعاب ويرفض وييزال ؟

أليس التفوق في ولادة المواهب لا بد أن يعني تفوقا مماثلا في فهم هذه المواهب وفي استقبالها والتعامل معها وبها وفي الانتصار لها ؟

هل يمكن تصور مجتمع يلد العباقرة والاسود والصقور ثم يظل يحكمه ويقوده ويخضعه وينتصر ويتألق فيه التافهون والارانب والغربان ، ويظل يتلاءم ويتفاهم ويتعامل مع التافهين، والارانب والغربان ، تاركا رافضا مهمل ما في داخله من اسود وصقور وعباقرة ؟

اذن فحيث يوجد مجتمع كل المنتصرين فيه هم ممن يجب ان يهزموا وممن يستحقون ان يهزموا فلن يكون التفسير الا ان ذلك المجتمع لا يلد او يهب او يتخلق فيه من يستحقون ان ينتصروا او من يجب او ينبغي ان ينتصروا .

بل حيث يوجد مجتمع يتقبل او يأذن او يرضى او يستطيع ان ينتصر او يناق فيه ولو احيانا هؤلاء الذين يستحقون النقيض ويجب ألا يناقوا الا النقيض اي نقيض التائق والانتصار فلن يكون التفسير الا ان هذا المجتمع مجتمع غير موهوب اي لا يلد الموهوبين ولا يتخلقون او ينجبون فيه لهذا لا يفهمهم او يلتزم بالتعامل معهم او يبحث او يسأل عنهم اذا اختفوا او غابوا او ابعدوا بل ولا يشعر بفقدهم اذا فقدهم . وهل يمكن أن يشعر الفاقدون للموهوبين بانهم فاقدون لهم ؟ هل يمكن أن يعرف صفات الموهوبين من لا يلدونهم ؟

اذن فكل من يبكون على مجتمع من المجتمعات لان الضعفاء والاغبياء والتافهين والفاستدين قد انتصروا وسادوا وتالقوا فيه بينما ظل الاقوياء والانتقياء والعباقرة فيه مهزومين مسحوقين عاجزين مغمورين تابعين - نعم ، ان كل من يبكون هذا البكاء لن تكون دموعهم مشكورة او مغفورة او مقبولة او معقولة أو ذكية . اي لانها دموع ذرفت على غير شيء ، وفي غير مكانها . . . ذرفت على مصاب غير مصابها . . .

انه لا بد ان يكون السؤال عن مثل هذا المجتمع : لماذا لا يلد او يخلق الا العاجزين والتافهين والفاستدين . . . ولا يصح او ينبغي ان يكون السؤال : لماذا ينتصر ويتالق فيه العاجزون والتافهون والفاستدون وحدهم ويهزم ويخمد وينطفئ ، فيه كل من سواهم . لان مثل هذا السؤال هو حتما بلا موضوع او قضية . . . لانه لن يوجد مجتمع يحدث فيه مثل ذلك اي تخلق فيه النمل والصراصير وتزحف فيه النسور . . . وهكذا ينبغي ان يكون تفسير كل اسى وبكاء على مثل هذا المجتمع . . .

ان من آفات الشعوب العربية او من خصائصها او من مزاياها ان ثقافتها وزواحفها وآثامها اقدر على الانتصار والتطبيق والقيادة والتائق من عبقرياتها وصقورها وقداستها . ان هذه تظل في قاع حضيضها وهوانها وظلامها بينما تصعد تلك لتحتل وتسرق كل سمواتها واضوائها وامجادها .

ان من اصالات الانسان العربي الخالدة ان يجيء اغبياءه وتافهوه وفاستدوه وأوغاده اجرا واقدر على النضال والانتحام والسيطرة من اذكيائه وعبقرييه وصالحيه واهل الشهامة والفروسية فيه . . . ان يجيء النبي الكاذب الفاجر الغبي اقدر على ان

يصبح نبيا فيه من النبي الصادق الذكي التقى .. اي هكذا يرى ويزعم دعائه
ومعلمه .. وهكذا يفسرون عجزه واخطائه وآثامه وضعفه وتخلفه وجميع نقله .
 ان معلمي العرب ودعاتهم ليرون انهم قد صعدوا الى اعلى سموات الذكاء والرؤية
 والصدق حين يعلنون هذا الراي ..

اذن فالعالم العربي معجز وخالق في كل شيء حتى في كون زواحفه اقدر على
 الطيران والتحليق من صقوره . بل في كون زواحفه هي القادرة على الطيران والتحليق
 دون صقوره ..

وايضا هو خارق ومعجز في كون اغبيائه وضعفائه ومشوهيه اشجع واجرا
 واذكى واقرى وانشط واعظم حماسا ومغامرة ومخاطرة من عباقرته واغويائه واسويائه .
 بل في كون اولئك هم وحدهم الجراء الاذكياء الاقوياء الشجعان الحماسيين النشطين
 المغامرين المخاطرين ، دون هؤلاء .. في كون دجاليه اقدر من انبيائه على ان يصبحوا
 انبياء ، ويحسبوا ويروا انبياء ، ويعلنوا انفسهم انبياء ، ويؤدوا وظائف النبوة ..
 في كون دجاجه اقدر واجرا على اقتحام سمواته من نسوره وصقوره . نعم ، الزواحف
 اقدر واجرا على الطيران والتحليق من النسور والصقور في سموات العروبة .. هكذا
 يقول معلمو العرب ودعاتهم ! ..

ان في هذه القضية لمسؤولية او خطيئة او جريمة كبرى . انها مسؤولية او
 خطيئة او جريمة الدول المتقدمة ..

اليست هذه الدول المتقدمة تصنع للدول والشعوب المتخلفة انبياء وعباقرة وخبراء
 في كل شيء ، تصنعهم من فاقدى المواهب الذاتية بكل انواعها ومستوياتها ...
 تصنعهم او تزورهم باعطائهم الشهادات ، باعطائهم النبوات والعبقريات وكل
 الخبرات بالشهادات ، لكي تصنع منهم شهادات زور كبرى عالمية حضارية ، لتعاقب
 وتشوه وتفسد بها الدول والشعوب المتخلفة باساليب شمولية ودعائية دولية ...
 لكي يذهب هؤلاء العباقرة والانبياء والخبراء المزورون يتعاملون مع شعوبهم وبها ومع
 العالم وبه ومع الحضارات والعبقريات والنبوات والخبرات وبها بلا اي قدر من ذكاء
 او قدرة او رؤية او خلق او وحي او الهام او حياء اية عبقرية او نبوة او خبرة ، بل بكل
 الخروج على كل ذلك ، بل بكل التشويه والتحقير والتعبير والغيظ لكل نبوة وعبقرية
 وخبرة ؟ اليس هذا يساوي ان تصنع اخطر الاجهزة الكاذبة الفاسدة لتكون هي كل
 الاجهزة الموجودة والمستعملة والموثوق بها في حياة وتقدم هذه الدول والشعوب المتخلفة؟
 اليس هذا ما يعنيه تعليم غير الموهوبين ؟

هل وجد او يحتمل ان يوجد تزيف او تزوير مثل هذا ، اي مثل ان تعطي جامعات الدول المتقدمة شهادات لكل من يتقدم اليها بلا اية موهبة او احتمال موهبة من رعايا الشعوب المتخلفة ، تعلن وتشهد اي هذه الشهادات العطاة بأنه اي هذا المخلف ذاتيا المتقدم اليها قد اصبح نبيا او عبقريا او خبيرا خلاقا او فيلسوفا او مفكرا او ناقدًا او فنانا او شاعرا او مؤرخا او قائدا عسكريا او اي شيء يريد ويطلبه ، او بأنه قد اصبح كل ذلك ، لكي يعتقد ويعتقد فيه ويتصرف وكأنه قد اصبح كذلك ؟

ليست جميع الدول المتقدمة تفعل هذا بكل الدول المتخلفة وتفعله لها ؟ نعم .
ليست جميع الدول المتقدمة اصبحت مزورة ، تزور الانبياء والعباقرة والخبراء والمفكرين والفنانيين لتصدرهم الى المجتمعات المتخلفة ؟

ليست جميع الدول المتحضرة تهب التحضر لمن لا يستطيعون ان يتحضروا وتزعمهم وتعلمهم متحضرين اي باعطائهم شهادات بذلك ؟ ليست هذه ابلع واخطر عملية تزوير في العالم بل في الكون ؟

وهل هذه الدول المتحضرة تصنع ذلك خبثا وتآمرا ، ام حبا ورفاء ومجاملة ، ام متاجرة وبيعا ، ام اضطرارا ام حياء ، ام املا وتوقعا ، ام غفلة وانخداعا ، ام شهامة تحولت الى اعتداء على التفكير والرؤية والاخلاق والرصانة ، بل الى اعتداء على التحضر وعلى منطقته واخلاقه وشرفه وايمانه وكبرياته ؟

وايهما اقسى نتائج واكثر خروجا على الذكاء والامان والامانة ان يوضع قادة عسكريون لا يعرفون ولا يمكن ان يعرفوا اي عمل او فن من اعمال وفنون الحرب والعسكرية ليقودوا جيشا الى حرب رهيبه ام ان يوضع على القيادة الى الفكر والعلم والعقل والتقدم والاخلاق والى كل فنون التطور والتحضر والحياة الجميلة الفنانة الذكية القوية النظيفة قادة لا يعرفون ولا يستطيعون مهما تعلموا وعلموا ان يعرفوا او يحسنوا شيئا من ذلك ، ولكن باعطائهم شهادات تقول انهم قد اصبحوا اهلا لذلك ؟ ولا بد ان يتعاضم جدا قبح واثم هذا حين تكون جامعات الدول المتحضرة المتقدمة جدا هي التي تعطي هذه الشهادات ..

ما الذي اصاب ضماثر اساتذة الجامعات في العالم المتقدم حتى امكن ان تاذن لهم اي ضماثرهم بان يعطوا بكل الاناقة والسهولة اعلى الشهادات لفاقدي المواهب من ابناء المجتمعات المتخلفة ؟

نعم ، انه لا يمكن تصور شيء ، ينبغي او يستحق او يجب ان تضرب وتغرض عليه اقسى واذكى الشروط الذاتية مثل الذين يراد تعليمهم تعليما عاليا اي قبل ان يعلموا ويسمح بان يعلموا هذا التعليم .

انه لو كانت جميع الاشياء بلا اية شروط لظل شيء واحد محتاجا الى اقسى واكثر الشروط ، وكان هذا الشيء الواحد هو الانسان الذي يراد ان يعلم تعليما عاليا .
 انها شروط ذاتية وليست شروطا اخري . انها ليست شروطا عقلية او نفسية او اخلاقية او انسانية او حضارية او عاطفية او تعبيرية فقط بل انها كل ذلك اي انها كل هذه الشروط الذاتية مجتمعة .

ان الانسان يولد ماشيا على قدمين ويولد اغويا اي متكلما قبل ان يستطيع المشي او الكلام . كذلك يولد اخلاقيا وانسانيا وحضاريا وعاطفيا وشجاعا ومهذبا شهما نبيلنا وفيما وكذلك يولد عبقريا وشاعرا وفنانا ومفكرا ، او يولد نقيض ذلك اي قبل ان يستطيع هذا او نقيضه اي قبل ان يستطيع التعبير عن هذا او عن هذا ، تحت الظروف الملائمة والمستترطة . ان كل انسان يولد نبيا او عبقريا او يولد نقيض تلك بالاسلوب الذي به يولد اي كائن ليكون انسانا او ذئبا او غرابا او ذبابا دون ان يستطيع اي شيء ، ان يسحب منه يوم ولادته .

ان كل ما يفعله اي انسان في كل حياته تحت جميع الظروف المتفاوتة والمتناقضة سواء افعل كل العبقرية والشهامة والنظافة والتقوى ام فعل نقيض ذلك . نعم ، ان كل ما يفعله لن يكون الا تفسيرا ليوم ولادته والات تعبيرا عما جاء مختزنا في ذاته يوم ولادته ، والا توزيعا واخراجا لذلك باشتات الصيغ . فالانسان بكل طاقاته وتفاسيره ومنجزاته ليس الا موهبة تتخلق ايام تخلقه ومع تخلقه . وجميع التعاليم والتعليم والظروف لن تكون الا تحاورا وتخطبا مع هذه الموهبة واخراجا وتفسيرا لها . ولكنها لن تخلقها او تزيدها او تنقصها . بل ان الانسان يولد قارئنا وكاتبنا لهذا فان الكائنات الاخرى لا تصبح قارئة او كاتبة لانها لا تولد كذلك . فالكائن يساوي ولادته . . .

اذن فالانسانية والاخلاقية والحضارية والعاطفية وجميع النوعيات البشرية ليست الا موهبة تولد مع الانسان يوم ولادته كما تولد معه موهبة المشي والكلام واللغة والقراءة والكتابة . وكما تولد مع اي حيوان او نبات موهبته اي قدرة واحتمالات كينوناته التي لن يستطيع غيرها او اكبر او اذكى او اصغر او اغبى منها . . . متى

تتخلق او تنبت اسنان الانسان وشعرات وجهه ؟ تنبت او تتخلق يوم ولادته بل وقبل ذلك . ومتى تولد او تتخلق مواهبه الانسانية المختلفة ؟ تتخلق او تولد يوم تتخلق او تولد اسنانه وشعر وجهه اي ساعة ودلته بل قبل ذلك
ان تعليم اي كائن - الانسان او غيره لن يستطيع ان يكون الا حوارا وتعاملا مع موهبته التي تخلقت وولدت معه وفيه والا تعبيرا عنها وتفسيرا واخراجا وتحريكا وايقاظا لها اي ان كانت موجودة . اما اذا لم تكن اي الموهبة موجودة فلن يكون تعليمه اي تعليم الانسان او غيره الا فضا وفسادا وتشويها وتعذيبا له واعلانا عن قحطه الذاتي . .

ولن يستطيع اي كائن ان يتخطى يوم ولادته الا بان تضاف الى ذاته طاقات وفوات وولادات اخرى متفوقة ان كان ذلك ممكنا لا بان يعلم اي تعليم او كل تعليم . فالتعليم اي تعليم لن يكون اضافة للذات المعلمة ، لن يكون الا تقاهما وتخطابا معها والاتصلا وارشادا لها الى نفسها وتعريفها لها بها وقراءة لها عليها اي على نفسها ، وسقيا وغرسا واستثمارا لبذورها وجذورها . ان اي تعليم لن يكون عطاء للذات ، لن يكون الا تفجيرها واطلاقا وتفسيرا وصياغة لها او اندحارا ووقوفنا على بابها وحروفا على ثيابها لانه لا يجد فيها شيئا يفجره او يطلقه او يفسره او يصوغه أو يخاطبه او يتعامل معه . .

اذن فكل من يراد له ان يعلم تعليما عاليا يجب ان تفرض على موهبته الاخلاقية والانسانية والحضارية والنفسية والعاطفية كل الشروط واقسى واذكى الشروط التي يجب ان تفرض على موهبة الذكاء والعقل فيه لان كل هذه مواهب ذاتية تولد مع الذات اي تولد طاقاتها ومقاديرها ونشاطها وحراراتها وضميرها وبسالتها ورفضها وعفتها ومقاومتها ، لا صيغها او لغاتها او اقتناعاتها او مذهبها او شعاراتها او مذهبها او محاربيها ومنابرها واربابها . .

فهذه الاخيرة تكتسب او تحي، بالتعليم او الاستمرار او من التاريخ او الظروف او مكان الولادة دون الاولى اي دون الموهبة التي لا بد ان تولد ولادة مع الذات كما يولد اللون والنوع والجنس . ان الانسان يتعلم ويعلم اللغة ولكنه لا يعلم القدرة على تكلم اللغة . لهذا فان التعليم العالي لفاقد الموهبة الحضارية او الاخلاقية او النفسية او العاطفية او الاحتجاجية الباسلة المقاومة المعجبة والمشمزة قد يكون اكثر عبثا أو عقما او افسادا وضررا وتشويها من ان يعلم هذا التعليم العالي فاقد الموهبة العقلية والفكرية والابداعية . قد يكون التعليم العالي لفاقد الموهبة اقل ذكاء من محاولة تعليم الحشرة ان تتحول الى انسان يتحول الى نبي يفسر ما في خلق الحشرات من نظافة الاله وحبه

ورحمته وحكمته وعبقريته وشاعريته وجماله وعشقه للجمال كما يفعل انبياء
الانسان ! .. انها لا تقسى واخطر نماذج الغفلة والتقصير . ان التعليم لا يساءل او
يحاكم ، لا يقال له : ماذا ، او ماذا ، او كيف ، او متى ، او لمن ، او من .. لا يوضع
تحت الحساب والمحاسبة والمراقبة والقراءة المفسرة، بحثا عن النتائج والاهداف المنتظرة
والمطلوبة منه ..

انه لا شروط له او عليه او فيه ، لهذا لا شروط فيمن يتعلمون ولا شروط عليهم
اي من حيث القدرة على الصعود او الهبوط به والقدرة على تحويله الى قوة وجمال
وذكاء وعلاج للمشكلات او الى عجز وقبح وبلاهة وتعويق وغرور وقح مخرب معطل .
لهذا فان كل الناس فيه سواء ، لا انتقاء ولا تمييز . مباح للجميع ان يعتدوا عليه
وان يهينوه ويشوهوه ويهبطوا به الى كل حضيض ، مباح لكل الانذال والاورعاد
والمشوهين والمعتوهين والساقطين والمقعدين والمرضى والادعياء والاغبياء ولكل
المصابين بكل تفاسير ونماذج ومستويات العجز الذاتي ان يتزوجوه وبخاندونه وينزلوه
الى حضيض مستوياتهم ، وبأن تعقد وتسجل لهم عليه عقود الزواج والمخادنة وشرعية
الهبوط به الى حضيض نماذجهم ومواهبهم ، ويوهبوا بذلك وعليه الشهادات المكتوبة
والموقعة بكل توقعات وشروط واساليب الاعتراف والشرعية الدولية والمحلية ،
ليحملوها في حقائبهم وجيوبهم وايديهم وعلى جلودهم وثيابهم والسنتهم
ومقاعدهم ، وليعلقوها مصلوبة مهانة مشنومة مبصوفا عليها فوق جدران مكاتبهم
المسروقة باسمها وفوق جدران غرف نومهم السكنونة بارداً وأوقح وأقبح الحشرات
العقلية والنفسية والاخلاقية والتاريخية الاصلية الموروثة والمروية عن كل الابداء
والانبياء والعباقرة الذين هم كل الماضي وكل امجاد التاريخ الجيد ..

نعم وفوق جدران غرف نومهم السكنونة المشحونة بكل ألوان وتفاسير الجهل
الذاتي العريق الاصيل الذي لا يستطيع اي علم او تعليم ان يشفي منه ، بل الذي
يتعاضم ويتوقح ويزداد رسوخا وقبحا وغرورا وبذاءة واستعصاء على العلاج والتهديب
والفهم والتواضع كلما كبرت وعظمت الشهادة التي يحملها والتي تزعم انه قد تعلم اي
تزعم انه قد اصبح نبيا او عبقريا ، والتي لا بد ان يعاقب ويشوه ويفسد ويحقر بها
كل القيم الحضارية والانسانية والعلمية والفكرية والاخلاقية بل واللغوية ، بل التي
كانما اعطيها وحملها اي الشهادات لكي يصنع بها ذلك ، بل التي لا تفسير ولا وظيفة
لها غير ذلك اي غير ان يعاقب ويشوه ويفسد ويحقر بها كل القيم الانسانية
العظيمة ، لانها اي هذه الشهادات تبيح له ان يصنع ذلك وتساعد اي تعطيه الجراة

والقدرة على ان يصنعه . . . اذن هل توجد شهادات هي تحقير وتشويه لكل القيم الحضارية والانسانية مثل الشهادات العلمية التي تعطى لفاقدي المواهب ؟

اجل ، لقد اصبح للتعليم بلا اي قدر من الكرامة او المجد لانه بلا اي قدر من الحراسة او الحماية او الشروط ، من الشروط الذاتية التي يجب ان تكون هي كل شروطه وشروطه . وهل للتعليم ، لاي تعليم شروط غير الشروط الذاتية في ذات من يراد له ان يتعلم ؟ وهل يجوز التعليم ، اي تعليم بدون هذه الشروط الذاتية ؟ وهل يجب ان تشترط اية شروط مثل ما يجب ان تشترط هذه الشروط ؟

ولكن اليس قد اصبح اي التعليم مباحا لكل من لا يستطيعون او يتقنون او يريدون غير ان يفسقوا بكل قيمه واخلاقه وتفاسيره كل الوان الفسق ؟

اليس قد اصبح مباحا لكل هؤلاء ان يوهبوا ويحملوا عنه وفيه وباسمه كل انواع الشهادات لكي تصبح تسويغا بل وتشريعا ليفعلوا به كل ذلك وليفعلوا كل قبجهم وجهلهم وضعفهم وبلاذتهم ونذالتهم وكل فسادهم وشورهم باسمها ؟ بل اليس ذلك قد اصبح واجبا لهم وجوبا حضاريا وانسانيا وقوميا وطنيا ؟ حذقي ايتها الحضارة فيما تفعلين . . . حذقوا ايها المتحضرون . هل فقدتم كل معاني التحديق ؟

انهم بكل مشاعر ولغات المباشرة والرضا عن الذات يقولون ، « ان التعليم للجميع . . . انه كالماء والهواء والغذاء . . . اي يجب ان يكون كذلك . اليس هذا يساوي ان يقولوا : ان النبوة والعبقرية والقيادة والزعامة حق للجميع مثل الماء والغذاء والهواء ؟ اذن هم بقولهم هذا لا يعرفون وظيفة التعليم ولا موضوعاته .

انهم يرونه تعامللا وعملا مع الذات وفي الذات داخل حدودها من اجلها ولحسابها فقط مثل الماء والغذاء وتنفس الهواء ووضع الزخارف والاصباغ والصور والورود وكل انواع الزينات على الثياب والوجوه وفي المكاتب وغرف النوم والصالونات وفوق ابواب وجدران البيوت . . .

انهم اذن لا يرونه اي التعليم تعامللا وعملا فقط مع المجتمع والحضارة وفيهما ومن اجلهما ، اي انه لا ينبغي او يراد او يستطاع ان يكون الا كذلك . . . واذا كان اي التعليم ليس الا تعامللا وعملا مع الحضارة والمجتمع وفيهما ومن اجلهما فهو اذن لن يكون في اي تفسير من تفاسيره مثل الماء او الهواء او الغذاء او وضع الزهور فوق الصدور والمكاتب تجملا او تشهيا او عرضا للذات او اتباعا وتقليدا لسابقين كانوا مقلدين ايضا لسابقين كانوا قبلهم . انه لا شيء يحقر التعليم ويهبط بوظيفته مثل

ان يقال ان لكل الناس ان يتعلموا كما ان لهم جميعا ان ياكلوا ويشربوا ويتنفسوا
ويناموا ويعشقوا .

ان التعليم ليس كشراب الماء او التغذية بالطعام او لبس الثياب الجديدة او العشق
او النوم او الضحك او الغناء ، وانما هو مخاطرة كبرى في المجتمع وبه وضده احيانا
بل كثيرا من الاحيان - اعني التعليم العالي الذي يبيح ويشرع لتعلميه ولحماهلي
شهادته ان يزعموا ويعلنوا وينصبوا فوق المجتمعات لنبياء وعباقره ومبدعين خالقين
صاعدين بها اي بالمجتمعات الى الشمس والنجوم والى الافاق البعيدة المجهولة
الطلقة مهما كانت اعضاؤهم وموابعهم واشواقهم اعضاء وموابع واشواق زواحف
وحشرات سامية . . . ان القول بان التعليم العالي حق للجميع
او فرض على الجميع قد يكون اكبر اثما وبلادة وبحشا عن
التخريب والافساد والضلال من القول بانه حق للجميع او فرض على الجميع
ان يعلموا ويدربوا ويحرضوا ويوهبوا القدرة والجرأة والاقدام والشرعية على القتل
والسرقة والغدر والخيانة والكذب والجبن والنذالة والوقاحة والجنون والضلال
والتدمير والقيادة الى العجز الشامل الضاح المفرور البليد .

الليس كل هذا هو بعض ما يفعله ويتعلمه غير الموهبين حين يعلمون تعليما عاليا
لينصبوا فوق مجتمعاتهم انبياء وعباقره وقادة وخبراء وعلماء ومخططين وفنانين ؟
نعم ، التعليم لا يراد به ولا يستطاع ان يكون تعامل مع الذات او فيها او بها
او تجميلا او مجاملة او انصافا او تعظيما وتصخيما لها او ارضاء لاشواقها وطموحها
او مساواة لها بغيرها او استجابة لشعارات العصر وآماله وهتافاته او لحوافز التقليد
والتشبه وضرورتهما . . .

انه ليس وضعا للاصباغ والالوان على الثياب والحدود والاظافر . انه ليس تعلما
للصلاة او للتضرع الى الاله . . انه اكبر واصعب واطخر كثيرا من كل ذلك . انه اي
التعليم وضع لقيادة سفينة الكون أو سفينة الحياة أو سفينة الحضارة أو سفينة يعيش
في داخلها كل المجتمع بكل مشاكله واحتياجاته واشواقه ومخاطره وعبقرياته وتفاهاته
في قبضة انسان ما بلا أية شروط ذاتية فيه بل وضد كل الشروط الذاتية ولكن لان
فقط قد اصبح يملك شهادة تزعم أنه قد اصبح متعلما . وهذه السفينة الموضوعية
قيادتها في قبضة هذا الانسان المزعم متعلما تتحرك في كون لا حدود لحدوده ، كون
مشحون بالظلام والضياء والاطار والكواكب والنيازك والشهب والسفن المتناقضة
التصادمة المتعادية بل المتحاربة المقودة بلا قيادة وقادة او المقودة بقيادة متناقضين

متعادين متخاصمين متلاعنين متحاسدين متفاوتين جدا في كل مواهبهم و اخلاقهم واهوائهم ورؤاهم واتجاهاتهم وقدراتهم ومذاهبهم وانتماءاتهم العرقية والوطنية والتاريخية . . اي ان تعليم غير الموهوبين تعليما عاليا يساوي وضع مثل هذه السفينة في قيادة ويد مثل هذا الانسان !!

اذن اليس محتوما ان يكون تعليم غير الموهوبين عقليا و اخلاقيا ونفسيا اي غير المالكين للمواهب الذاتية القوية الاخلاقية وعقلية ونفسية هو اي تعليمهم اخطر واردا في جميع نتائجه من تعليم القتل والسرقة والخيانة والغدر والغش والكذب والغباء والنذالة وكل انواع الفساد والسقوط مع تعليم القدرة والجرأة على كل ذلك ، بل ومع تسويغ وتشريع كل ذلك بكل مذاهب ووسائل ومنطق التسويغ والتشريع ؟

اليس هذا التعليم تعليما للهزائم والافتضاح والعجز وتعليما للجرأة على ذلك ؟

اليس اخطر من وضع السلاح في يد القاتل المخرب ، ومن وضع الخزائن الثمينة الممتلئة في حماية يد وضمير اللص ، ومن وضع حراسة الحدود الوطنية والقومية تحت حماية قوات العدو المحارب الحاقد ، ومن وضع هاتفك العرض والشرف حارسا للعرض والشرف ، ومن وضع برنامج التخطيط للصعود الى القمر في مسؤولية عقول ودكاه ومواهب واهتمامات من يفاخر انبياءهم كل العالمين بانهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون اي ولا يخجلون حين يفتضحون اي ولا يتألمون حين يفتضحون لانهم يفتضحون يدرون انهم يفتضحون حين يفتضحون ، اي ولا يتألمون او يستحيون لانهم يفتضحون لو عرفوا انهم يفتضحون ، اي ولا يدركون انهم يفتضحون حين يظلمون يقرأون ويعلمون ويروون ويفسرون مباحاة انبيائهم للعالمين بكونهم اميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون ، اي ولا يتألمون او يحزنون او يخجأون حين يظلمون اتباعا ورعايا لانبياءهم يعلنون بكل النخوة البدوية بانهم هم واتباعهم واقوامهم خلقوا وصيغوا ليظلموا ابداء اميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون ليظلموا اميين في عقولهم وتفكيرهم ومواهبهم ورؤاهم و اخلاقهم وفي كل تفاسيرهم وصيغهم مهما قرأوا وحسبوا وكتبوا ، ليظلموا معلمين لكل العالم وفضل من كل العالم اي لانهم بالطبيعة والديمومة والمهبة الخالدة اميون بكل هذه التفاسير للامية ؟ ولكن هل حدث او يمكن ان يحدث ان يعلن نبي بكل المباحاة بأنه امي لا يقرأ ولا يكتب ولا يحسب لا هو ولا قومه ، ثم يظل قومه يقرأون ويكتبون ويروون ويفسرون قوله هذا بل ثم يظلمون يؤمنون بنبيهم هذا ؟ هل حدث او يمكن ان يحدث هذا ؟

نعم ، ان هنالك اميين لا يقرؤون ولا يكتبون ولا يحسبون مهما تعلموا القراءة والكتابة والحساب واعطوا كل الشهادات من كل الجامعات واعظم الجامعات بل ان اميتهم الحضارية والانسانية لتزداد قسوة ورسوخا وافتضاحا حين يخرجون من امية القراءة والكتابة . ان اغلب البشر لحكوم عليهم بهذه الامية ، بهذه الامية الانسانية والماساة ان الحضارة بكل انجازاتها وعبقرياتها لا تستطيع الانقاذ من هذه الامية العالمية العريقة . .

ولن يحكم على اي انسان او مجتمع باقسي او اقبح من هذه الامية لانها امية لا يستطيع الخروج او التخفيف منها باية وسيلة مهما كانت عبقرية هذه الوسيلة وقوتها الانقاذية . انت امي هذه الامية . اذن لا انقاذ لك مهما تعلمت ! . هل يوجد اقسي من هذا ؟ هل يوجد اقسي او اقبح من الا يستطيع كل العالم بكل علمه وتعليمه ان يشفيك من اميتك الانسانية ؟

وانه لمحتوم وكما تقدم ان من حكم عليهم بهذه الامية لا بد ان يزدادوا قبحا وتشوها وافسادا وايجاجا ونذالة حين يعالجون من امية القراءة والكتابة اي حين يصبحون متعلمين تعليما عاليا او جامعا كما ان القتل والسرقة والفسق والفسوق وكل الوان الفساد لا بد ان تزداد انتشارا وجرأة حين يعطى المريدون لذلك والمستعدون نه والمدربون عليه السلاح والقدرة ويسوغ ويشرع لهم ان يفعلوه . . فكيف حين يوظفون لفعله بالاسلوب الذي يوظف به فاقدو المواهب المتعلمون ليفعلوا بلاداتهم وتشوهااتهم وكل ضعفهم ضد المجتمعات والحياة ؟

اغلقي ايتها النجوم عيونك لئلا تري ما يفعله ويوقعه المتعلمون غير الموهوبين بالحياة والمجتمعات وبكل قيمها حين يصبحون فيها وفوقها انبياء وخبراء ، وعباقرة وقادة وفنانين بل حدقي فيهم وفيها لكي تفعلوا شيئا ملائما منقذا ، اي لملك تفعلين ذلك . كيف ، وهل يوجد ابلد من عيونك ايتها النجوم ، ابلد ممن صاغك وارادك بلا عيون ؟ ولماذا ينبغي او يطلب ان يكون للنجوم عيون ؟ هل للعيون في اي كائن وظيفة جمالية او اخلاقية او منطقية او حتى عاطفية ؟

ولكن هل هذا هو كل ذنوب وعيوب تعليم غير الموهوبين ؟ ليت ذلك كذلك . ان الخسران اذن ليس فادحا . ولكن كلا . .

ان المجتمعات الضعيفة المتخلفة لتذهب تقاسي اعنف المقاساة واطولها انفاقا واهتماما وهموما وتدبيرا وتدريبا لكي تجعل من هؤلاء متعلمين ، لكي تصبح ملزمة ملتزمة بان تدفع لهم الاجر بلا عمل بل لانهم ضد العمل ومفسدون لكل عمل ، وبان

تدفع لهم الثمن بلا أية سلعة يصنعونها او يعرضونها ، بل لانهم معوقون ومفسدون
مضللون لكل الاعمال والهمم التي تعرض وتبدع وتنتج السلع
ان تعليم فاقتدي المواهب الذاتية . . العقلية والنفسية والاخلاقية ليس اذن تعويقا
وتعطيلًا وتشويهاً وافسادًا وتجهيلًا فقط ولكنه كل ذلك واكثر من كل ذلك مدفوعاً ثمنه
غالياً فادحاً مرهقاً .

اذن فتعليم غير الموهوبين ليس فقط تخريباً وتشويهاً وتعويقاً وتشريعاً وتسويغاً
للتخريب والتشويه والتعويق ولكنه ايضاً اي تعليم غير الموهوبين مقاساة باهظة
شاملة من الانفاق عليه ، من انفاق الموارء والاموال والطاقات والاهتمام والهموم بلا
اي ناتج يقبض او يذتظر غير هذا التخريب والتشويه والتعويق وغير هذا التسويغ
والتشريع لذلك .

**

لماذا نتعلم ؟ ان لهذا السؤال جواباً دولياً لن يصاب بأي اختلاف . هذا الجواب
الدولي : نتعلم لكي نصنع ونطور ونهب الحياة ونحولها الى قوة وجمال وفرح
وحب وسعادة وفنون . . لكي نفعل كل ذلك لحياتنا ولحياة كل الاخرين . ولكن هل
هذا الجواب الذي لن يصاب باي اختلاف عليه موجود في حساب كل من يتعلمون وكل
من يصنعون وسائل التعليم للجميع وكل من يطالبون بذلك ؟ ان هذا الجواب محذوف
من حساب ونيات اكثر من يتعلمون وحساب ونيات اكثر من يصنعون التعليم او
يدعون اليه . بل أن حسابات ونيات اكثر هؤلاء وهؤلاء مناقضة كل المناقضة لهذا
الجواب العالمي . . .

ان اكثر هؤلاء وهؤلاء ليعرفون ان التعليم اي بأساليبه الحاضرة لا يراد به او منه
الا ان يكون تشريعاً وتسويغاً وتأهيلاً لاكثر من يتعلمون بالا يصنعوا او يهبوا للحياة
شيئاً وبالا يكونوا مطالبين بذلك او ملومين او مقصرين اذا هم لم يصنعوا او يهبوا
شيئاً من ذلك . . .

لا يراد به او منه الا ان يتحول الى تشريع وتسويغ وتأهيل يفعله المجتمع باسم
كل قيمه وشعاراته ليجعل من اكثر من يتعلمون هذا التعليم آخذين فقط ، آخذين من
الحياة ومن المجتمع دون اي عطاء او انتظار اي عطاء او مطالبتهم باي عطاء . وهذا
التشريع والتسويغ والتأهيل هو كل ما في حساب ونيات اكثر من يتعلمون . اي
انهم يعرفونه ويتقبلونه ويطبقونه بفرح غير شهم . . او هم يعرفون انه لن يكون الا
كذلك مهما كانت الشعارات والدعاوي . . .

ولان هذا العطاء ليس في حساب هذه المجتمعات فانها تضع كل من يراد تعليمهم في حجم وبعد وارتفاع واحد كما تضعهم جميعا في هذا الحجم والبعد والارتفاع الواحد ، كما تفترضهم جميعا هذا الحجم والبعد والارتفاع الواحد بل كما تصوعهم هذا الحجم والبعد والارتفاع .

انها تضع لكل العيون والاذان والعضلات والقامات والبدانات مقاسات ذات درجات وحدود موحدة ، كما تضعها في هذه المقاسات حتى المصابة منها بالعمى والصمم والنحالة والقزامة . لانه ليس المطلوب او المفروض ان ترى او تسمع او تصعد او تقفز او تعمل او تبدع او تتلاءم او تبدو جميلة او مريحة او فنية بل ان يتحمل المجتمع والحياة كل التكاليف وان يتحول من يتحمل المجتمع والحياة الانفاق على وضعهم في هذه المقاسات ذات التكاليف الغالية الى معفين من ان يهبوا الحياة او المجتمعات اي شيء جميل او ذكي او نافع . انها تفعل مثل من يضعون لكل العيون الضعيفة والفاقة الرؤيئة نظارات طبية للقراءة والرؤيئة موحدة الدرجة .

ان كل المطلوب والرجو والمنتظر ان يعطوا شهادات ، شهادات اعفاء لهم من كل عمل ومسؤولية ، وشهادات الزام والتزام للحياة والمجتمع باعنائهم من كل عطاء للحياة أو للمجتمع ، وشهادات الزام والتزام بالانفاق عليهم وبتوظيفهم بلا وظيفة بل وضد كل وظيفة . ان كل الحساب ان يضعوا على عيونهم نظارات طبية وليس في الحساب ان تكون النظارات رائية او مريحة او جميلة او نافعة او الا تكون نقيض ذلك .

ولا ينبغي ان تحسب الامتحانات بأساليبها المطبقة وضعا لمقاييس مختلفة لان الاحجام مختلفة . ان الامتحانات القائمة ولا سيما في المجتمعات المتخلفة او النامية لهي اردأ اساليب الهزل والعبث والخداع والتزوير القانوني الرسمي الجماعي لاعظم القضايا التي لا يستطيع كل الصدق والجد والاهتمام والانتقان والذكاء ان يكون كافيا لاحتياجاتها .

انه لن يكون الا كل الصدق والصواب ان يقال :

ان التعليم باساليبه المنفذة في المجتمعات المتخلفة او التي تسمى نامية ليس الا نقلا او تقليدا عقيما هازلا . . ليس الا ورطة او ماساة تحتاج الى الدلوين المنقذين الشجعان . نعم ، انه قد يكون الاحتياج الى الانقاذ من هذا التعليم اعظم واصدق من الاحتياج الى الانقاذ من الجهل الامي . .

ان هذا التعليم ليس الا هتكا للبيكاراة باسلوب غير شرعي او صحي ، باسلوب ليس فيه شيء من النشوة او الفرح او الجمال او الحب او الانجاب . انه ازالة للبيكاراة بلا أية قيمة شهوانية او اجتماعية او اخلاقية .

نعم ، ايها الامي البسيط الراعي المسمن الحالب لحيواناتك ، الزارع الساقى لحقولك ، العامل في مصانعك ، المؤدي بسذاجه وأمية صادقة مخلصه متواضعة لحرمتك البسيطة ، في مجتمعتك المتخلف المسمى احيانا ناميا . نعم ، كم انت جميل ورائع ومريح ونافع ومعقول وفني وذكي وعبقري خلاق ، مقارنا محاسبا بك او بمثيلك حاملا واضعا في بينك او مكتبك او جيبك او في بيته او مكتبه او جيبه اكبر الشهادات لتجعل منك او منه مغرورا مشوها عاطلا متعطلا وقحا معوقا فادح التكاليف كاذبا منافقا جبانا انتهازيا جاهلا بكل شيء ، الا في ممارساته للجهاالات ، مناقضا لكل ما تعنيه الشهادة التي يحملها ، هاجيا محقرا بكل الاساليب والتفاسير لها اي للشهادة المسكينة المحمولة الموضوعه في البيت او المكتب او الجيب لتكون اقبح وأفدح شهادة زور وتزوير . نعم ، انها لبائسة ومسكينة ومهانة هي اكثر الشهادات الدراسية العليا الموضوعه المدسوسة في اكثر المكاتب والادراج والخزائن والحقائب . . .

اجل ، ايها الامي البسيط العادي . . . كم انت حياة وعطاء وذكاء وفداء ووقار واحترام وتهذيب ، في مثل هذه المجتمعات ، محاسبا مقارنا بنفسك او بمثيلك ، حاملا مثل هذه الشهادة لتصنع منك او منه مثل هذه الشخصية المزورة المشوهة المفضوحة باعطائها مثل هذه الشهادة ؟

انك في مثل هذه المجتمعات انت كل مجد وفرح وعزاء وشوق الانهار والسحاب والحقول وطلعة الشمس ايها الامي البسيط المتواضع القارىء الكاتب بزراعيك وعضلاتك وعملك وعرقك وحبك وصحتك . . .

انك انت كل بسمات و عطور الحقول والورود ، وتغريد كل الطيور ، ونبضات كل قلوب الحياة . . .

انك اي في المجتمعات المتخلفة او النامية في التعبير الاخر انت كل كبرياء وقوة وطعام وملابس وبيوت وحياة مواطنيك من حاملي اعلى الشهادات المتحولة الى تزوير وتشويه وتعويق وتعجيز والى التزام بالانفاق ودفع الاجر والثلث بلا عمل او سلعة او خدمة والمتحولة كذلك الى تشريع وتبرير وتسويغ لكل هذا اي لكل هذا التشويه والتزوير والتعويق والتعجيز والالتزام بهذا الانفاق وبهذا الدفع للاجر والثلث بلا اي عمل او سلعة او خدمة . ايها الامي البسيط العامل في المجتمعات المتخلفة انت وحدك الاعتذار والتكفير عن ذنب وورطة أن يكون الانسان مواطنا في احد هذه المجتمعات . أنت وحدك التفسير لعنى الحياة لو كان لها معنى ، والقيمة لوجود الآله لو كان لوجوده اية قيمة .

اجل ، لمن تجيء الانهار والسحاب ، وعلى من تشرق الشمس ، ومن اجل من تخضر الحقول وتزهو الزهور اي في المجتمعات المتخلفة او النامية لولاك ايها الامي البسيط الطيب الذي لم تتعلم يده او عيناه قراءة او كتابة الحروف الملونة بكل الوان الكذب والنفاق والغباء والهوان والخذاع والوثنية المتبدلة المتنوعة الالوان ، المصلية الهاتفة لكل الارباب والمذاهب والمعتقدات والمعسكرات المتعاقبة المتناقضة المتشائمة المتحاربة ؟ نعم ، هل نشر الوثنيات المتعددة الجنسيات والالوان ، او فسرها وسوغها واقنع بها وصلى وهتف لها مثل الحروف الملونة بكل الوان الاحقاد والبلادات والاهواء والوجوه المختلفة المتبدلة الالوان الفاجرة الالوان ؟

حشود هائلة من البشر المخلوقين بلا عناية او مهارة او اناقة او دراية او حاجة او شهامة يذهبون يقاسون وتذهب المجتمعات تقاسي اقصى المقاساة وكل الوان واساليب المقاساة لكي تعلمهم او تهبهم صكوكا تسميها شهادات تزعم انهم قد تعلموا ، ولكي يتعلموا او يزعم ويعتقد انهم قد تعلموا ، تعلموا وعلما ما لا يشعرون باي شوق او احتياج اليه او باية رغبة فيه ، او باي حب او احترام او فهم له او لاية قيمة من قيمه ، او بانه سوف او قد يهبهم اي معنى جمالي او اخلاقي او نفسي او انساني او حتى لغوي بل وهم لا يريدون او يتصورون او يفكرون ان يهبهم شيئا من ذلك ، او بانه سوف او قد يهب المجتمع او الحياة شيئا يحتاج اليه المجتمع او الحياة كما لا يريدون او يتصورون او يفكرون او يظنون او يحاولون ان يتمكنون ان يكونوا هبا هذا الشيء او انه مطلوب او مفروض او منظر ان يهبه . . اي ان يكون اي شيء جيد او جميل او ذكي او نافع في انفسهم او حياتهم او مجتمعهم . بل وهم يعرفون انه اي هذا الذي يتعلمون او تعليمهم بالاساليب القائمة سوف او لا بد ان يحولهم ، بالتشريع والقانون وبالسلوك والانزمام الاجتماعي ، الى عاطلين معطلين مغرورين بل والى مجزيين ماجورين على عطلهم وتعطلهم وتعطيلهم وغرورهم ، بل وهم يريدون ان يكون ذلك كذلك اي ان يحولوا الى ذلك . .

نعم ، سوف او لا بد ان يحولهم الى انبياء وخبراء وعلماء وقادة ومعلمين بلا اية نبوة او خبرة او علم وبلا اي قدر من اوصاف او اخلاق او مواهب القادة والمعلمين ، مدفوعة لهم مسلمة اليهم كل اجور وتكاليف والقاب ومراكز ووظائف الانبياء والخبراء والعلماء والقادة والمعلمين . .

ان هذا هو كل التفسير للتعليم والتعلمين بالاساليب المطبقة في المجتمعات النامية او المتخلفة ، وفي غير هذه المجتمعات احيانا . .

حتى الشوق والحب والاحترام والاعجاب لا يجدون شيئاً منه لما يتعلمون او لما يزعمون او يزعم انه يتعلمونه ، كما لا يشترطون شيئاً من هذا الشوق او الحب او الاحترام او الاعجاب او يبحثون عن شيء منه او ينتظرون او يتمنون ان يجدوا في انفسهم شيئاً منه ، او يخجلون او يستنكرون لانهم لا يقاسون او يحيون اي قدر منه . انهم كالذين يتزوجون بلا حب او صداقة او لقاء او توافق او فرح او تعارف والمجتمع يدفع تكاليف الزواج واستمراره .

ان كل تفاسير هذه القضية انهم حين جاءوا دون ان يعرفوا او يسألوا من اين او لماذا جاءوا ، وجدوا الناس او بعضهم او امثالهم يفعلون شيئاً يسمونه او يسمى تعليماً فيعطون صكوكا او اوراقا مكتوبة فيها اسمائهم تسمى شهادات ، ويعطون وظائف ، ويسمون متعلمين ، وتصبح لهم امتيازات وحقوق ملزمة على المجتمع . فذهبوا يفعلون هذا الذي وجدوا ، دون ان تكون لهم اية نيات او حوافز او تفاسير او حسابات اخرى .

دون ان يسألوا او يفكروا لماذا يفعل الآخرون ولماذا نفعل مثلهم ومن المبتكر المدبر للعملية او الراجح منها . كما لم يسألوا او يفكروا لماذا جاءوا ومن المدبر لمجئهم ، المستفيد منه ، وهل يستفيد منه احد .

ان هذه هي كل التفاسير لقضية التعليم في حسابات وحياة المجتمعات المتخلفة او النامية التي المجتمعات العربية هي بعضها او هي قمتها في تفاسيرها البائسة . اجل ، ان المجتمعات العربية هي دائماً القمة في جميع التفاسير البائسة . ان الانسان العربي لا يقبل ولا يستطيع التنازل أو النزول عن القمة في كل موقف رديء او سخي .

اذن هل توجد قضية حزينة فاضحة فادحة التفاسير والنتائج مثل قضية التعليم في المجتمعات العربية وفي كل المجتمعات الاخرى المشابهة ؟ نعم ، قبيح ان تكون عربيا لانه قبيح حينئذ الا تتعلم ولانه اقبح من هذا القبح حينئذ ان تتعلم . . . واقسى بل وارذل واقبح ما في هذه القضية هذا التسابق المتزايد المشهود على استعطاء او شراء او نشل ارقى الشهادات اي اسماء التي لا تعني الا المزيد من هذه التفاسير والنتائج الحزينة البائسة الفاضحة . . . نعم ، انهم اليوم في العالم العربي وفي غيره يشترتون ويستجدون وينشلون اكبر الشهادات باسلوب سباق . . . انه سباق يتعاضد في العالم العربي وفي انداده من العوالم الاخرى المشابهة ، تحرض عليه وتيسره وتمكن منه الظروف المالية والدولية المجنونة المحابية الواهبة بلا صدق او

كرامة او حب او استحقاق . كما يحرض عليه وييسره ويمكن منه ان العالم العربي وانداده لا يحاسب او يفسر او يثمن الناس او الاشياء بما يعطون وتعطي من قيم عملية او انتاجية او فكرية او جمالية او اخلاقية او حضارية ..

بل انه اي العالم العربي ، وكذا انداده ، لا يستطيع ان يعي هذه القيم او يحددها او يميز بينها وبين نقيضها او يجعلها شرطا او التزاما في اي انسان او اي شيء .. بل ان النقيض ائتمح لكل القيم هو اعلى القيم في حسابات وتفاسير العالم العربي وانداده من المجتمعات اي ان كان له انداد ..

ان الشهادة الدراسية لا تساوي في كل حساباته وشروطه الانفس الشهادة ودرجتها . انها لا تساوي اي شيء اخر ..

فالشهادات لها قيم ذاتية ثابتة . وحامل الشهادة يساوي الشهادة التي يحمل انه لا يساوي ذاته او ما يفعل او يعطي او يعرف او يستطيع ..

اذن فلنكن الشهادة اكبر شهادة ليكون حاملها اكبر انسان لان الانسان العربي لا يستطيع ان يعرف ان الانسان كبير او صغير بحدوده او احجابه الذاتية .. نعم ، انت انسان عربي ، اذن فانك تستطيع وانه لحق لك ان تشتري او تستجدي او تنشل لو تستعير او تغتصب بالاكراه وبتهديد واغراء المال العربي الاسطوري الجبروت ، اكبر شهادة من اي بلد او مكان تريد ، عربي او غير عربي ، لتكون اكبر انسان ، اكبر عالم او خبير او مفكر او فيلسوف او نبي او ناقد او مطلق صواريخ واقمار كونية .. لانك في مجتمع لا يفرق بين من يفعل ومن لن يفعل اذا كان يحمل شهادة قد يحملها من يفعل كما لا يفرق بين الافعال .

ان الطبيعة قد وهبتك ووهبتك قدرة مالية قد اذلت وهزمت واهانت كل العالم وجعلتك قادرا بالامارة او الثمنى او التمشي ان تشتري او تستعطي او تنشل او تستعير او تأخذ بالضغط والاملاء والارهاب ما تشاء ممن تشاء حتى اكبر الشهادات ، دون ان تجد او تسمع من يقول « لا او انتظر او سوف افكر وارى .. » ، ان كل الشروط والقيود الاخلاقية والعقلية والحضارية والانسانية لتهزم وتسقط وتنسى امام رغبتك ايها العربي الاسطوري الحظوظ والمواهب ..

ايها العربي الذي لم تقتضح الآلهة مثل افتضاحها حينما صادقته وصادقها ، حينما تعاملت به وتعامل بها ..

اخي وصديقي الانسان العربي . انك لتستطيع ان تكون وتظل اميا لا تقرا ولا تكتب ، ولو قرأت وكتبت لكنك اسوأ وأردأ ممن لا يقرأ ولا يكتب - نعم ، ان تكون وتظل اميا لا تقرا ولا تكتب وتفخر بانك لا تقرا ولا تكتب مثل نبيك الذي لم يكن يقرأ او يكتب والذي كان يفخر بانه لا يقرأ ولا يكتب - نعم ، انك لتستطيع ان تكون كذلك ثم تستطيع ان تحمل اكبر شهادة علمية او فنية من اي مكان تريد . . . انك ايها العربي لتستطيع ان تحظى اكبر شهادة لك بالنجوة وانت لا تقرا ولا تكتب كما اعطت الملائكة نبيك . . .

لقد حدث هذا ، لقد حدث ، وان حدوثه ليزيد ، متحولا الى اذلال وتعيير وغاز لكل العالم .

نعم ، ايها الانسان العربي لقد تحولت شهادتك العالية التي تحملها والتي سوف تحملها الى فضح وسباب واتهام وتهوين لكل جامعات العالم ولكل اساتذة الجامعات في كل العالم .

ايها العربي . لا تخشى ان يرفض العالم ، كل العالم يوما ما ان يحمل اية شهادة عليا او ان يدرس اية دراسات عليا اذا كانت تعني ان يحمل شهادات عليا لانه وجدك انت تحمل شهادات عليا ؟

الا تستطيع ان تكون شهما او تقيا اذا لم تستطع ان تكون موهوبا او عبقريا ؟
الا تستطيع ان تظل اميا طيبا مستورا ان كان البديل ان تصبح متعلما فاضحا مفضوحا ؟

أليست الامية سترا جيدا ونبيلا لاكثر من يتعلمون من مواطنيك ؟ أليست رفقا بالمشاهدين ؟

الا تستطيع ان تكون كريما او رحيما اذ لم تستطع ان تكون عظيما ؟
الا تستطيع الا تكون شيئا حيث لم تستطع ان تكون شيئا كبيرا او لو في ذنوبك وتفاهاتك ؟

لماذا ايها العربي جئت كما جئت ولم تجيء شيئا اخر ؟

هل خططتك الآلهة او الطبيعة بتدبير أم استفرغتك استقراغا ؟

نعم ، ايها الانسان العربي . . هل جئت تدبيرا أم جئت استقراغا ؟ ماذا تجيء ابدا كما تجيء ؟

لماذا لا تجيء سلاما او هدنة او مصالحة او تهديبا او وقارا او صمنا بلا ادعاء او غرور او وعيد او زئير حين لم تستطع ان تجيء خصومة او عداوة او حربا منتصرة

او حتى منهزمة ولكن بكرامة ؟ لماذا لا تجيء في حروبك وعداواتك ومخاصماتك هزيمة بلا افتضاح ان لم يكن بد من ان تجيء هزيمة في كل حروبك وعداواتك ومخاصماتك ؟

لماذا لاتجيء شيئا معذورا او مغفورا او مفسرا او محتملا حين لم تستطع ان تجيء شيئا معقولا او محترما ؟

لماذا لا تجيء لا هدما ولا بناء ، لا جمالا ولا دمامة ، لا حبا ولا بغضا حين لم تستطيع ان تجيء بناء أو جمالا أو حبا ؟

من النحات الذي نحتك ايها الانسان العربي ؟

لماذا جاء نحاتك بكل هذا الضعف او الجهل او القبح او الوقاحة او البداوة او بكل ذلك ؟ لماذا اختارك او اختير لك نحاتك ؟ لماذا لم تجيء موهبة نحات آخر ؟

لماذا ايها الانسان العربي لم ترفض ان يكون نحاتك هو نحاتك ؟

ايكما المعتدي على الاخر ، ايكما المتهم : انت ام نحاتك ؟

ايهما المتهم : الفنان ام التمثال ؟ ولكن هل انت من اعمال اي فنان ؟

هل يقبل اي فنان مهما كان تواضع موهبته وتواضعه ان تكون من اعماله ؟

انت ايها العربي ترى وتعلن ان التمثال الرديء هو المتهم وليس النحات . . . اذنت ترى وتعلن ان قبح ورداءة المخلوق هما قبحه ورداءته وذنبه وليس قبح او رداءة او ذنب من اراده وخلقه كذلك .

انت ترى وتعلن ان المقتول هو القاتل وان القاتل هو المقتول . انت ترى كل من لا يرى هذا الرأي زنديقا . . . انك ترى ان كل امجاد ومسرات الهك لا يصنعها او يهبها له سوى آرائك هذه فيه . . .

لهذا انت ترى ايها الانسان العربي ان الانسان المخلوق هو المذنب والضعيف والبليد والجاهل والدميم والمريض والميت والمسؤول والمعاقب ، وليس الآلة الذي اراده وخططه وخلقه واخرجه كذلك او الذي لم يفهم أو يستطيع ان يريده او يدبره او يخلقه او يخرجها الا كذلك . . . انك لم تستطع ان تعرف ان المخلوق الخاطيء الضعيف القبيح الذميم ان كان قد جاء كما يريد خالقه فهو هجاء واتهام حاد لخالق ونماذج خالقه ، وان كان قد جاء نقيضا وخروجاً على ما يريد خالقه فهو هجاء واتهام حاد لموهبة وقدرة ومعرفة خالقه . . .

ايها الانسان العربي . . . انت اعظم معذب وفاجع لمعاني الانسان في الانسان ، وانا اعظم من يتلقى ويقاسي منك هذا التعذيب والتفجيع .

ان كل معنى من معانيك ليعذب ويفجع كل معنى من معاني . . . انك لتعذب وتفجع بكل القسوة والديمومة وبكل الاساليب كل حواسي واحاسيسي ورؤاي

ونماذجي وشروطي وتطلعاتي الفكرية والاخلاقية والانسانية بل والتعبيرية ، لانك
لفت كل ما ارى واسمع واقرا واحاور واواجه واعيش واعامل واجد . آه . هل
يطبق هذا احد ؟

اذن ارثوا لعذابي وانسوا عذابكم بل واغفروا لعذابكم ايها المعذبون . . يا كل
المعذبين .

اذن اينها الكائنات الكونية الكبرى المطة علينا من فوق ، من بعيد ، ببلادة
واسترخاء وكبرياء وضخامة جوفاء ، احترقي ، انتحري ، اهربي لثلاثصايي بشيء
من عذابي وفجائعي ، لثلاثقاسي الانسان العربي بكل صيغه وتقاسيره كما اتقاسيه .
كما اتقاسيه انا وحدي . . .

لماذا انا وحدي اتقاسي كل الانفجاع بكل الانسان العربي ؟ لماذا لا اجد من يحملون
عني بعض مقاساتي ؟

لماذا لا يوجد من يتقاسمون مقاساة الانفجاع بالانسان العربي ؟

هل يوجد تفرد اليم فاجع مثل التفرد بمقاساة الانفجاع بالانسان العربي ،
الانفجاع به مرثيا ومسموعا ومقروءا ومحاورا ومحاسبا ومطالبا باية قيمة من قيم
الانسان الحضارية او الابداعية او الفكرية او الاخلاقية او النفسية او التاريخية او
حتى الدينية او اللغوية ؟ ان من المسلمات الدائمة ان مزايا الانسان العربي الدينية
هي اعظم واشهر مزاياه بل وانه يتفوق على جميع العالمين في مزية التدين وقوته .
ولكن هل يوجد ضعف مثل ضعفه في هذه المزية المحسوبة له باسلوب كأنه لا يقع
عليه اي اختلاف ؟

نعم ، انت تواجه الانسان العربي مواجهة حادة شاملة دائمة بمنطق وضمير
وقلب وعيون وآذان وشروط اخلاقية وانسانية ونفسية وحضارية غير عربية اي
انا افترضك كذلك . .

اذن هل يوجد عذاب مثل عذابك ، مثل عذاب مقاساتك اي لو انك كنت كذلك
وواجهت الانسان العربي هذه المواجهة ؟

ولكن الست متوحشا وعدوانيا جدا . حين افترضك كذلك او لو اني افترضتك
كذلك اي لو اني افترضتك ذا مواهب غير عربية ثم افترضتك تواجه الانسان العربي
هذه المواجهة وهو يؤدي بكل الاساليب مواهبه العربية ؟

اليس الافتراض المتوحش وحشية وعدوانا على من افترض كذلك ؟ اليس
افتراض الشيء او تصوره جيدا او رديئا نوعا من الحكم عليه ؟ اليس
افتراضك او تصورك لوجه لم تره وقاحة وقسوة وعدوانا اي لو تصورته دميما ؟
لهذا ، اليس افتراض الآله مدبرا ومريدا وفاعلا للامراض والتشوهات والموت

والاخطاء والكوارث وجميع النقائص اسلوبا قبيحا وقحا بليدا بذينا من الوحشية والعدوان عليه ؟ لهذا لن توجد وحشية او عدوان على الاله مثل افتراضه المخرج لهذا الكون . .

انت انسان غير عربي النماذج والشروط والتفاسير ، تواجه وتعايش الانسان العربي بكل الديمومة والشمول والاساليب . .

نعم ، لنفترضك كذلك ، فهل انت حينئذ اقسى مقاساة وعذابا ام الاله المفترض في مواجهة ازلية ابدية متفردة شاملة لكل ما في هذا الكون من شرور واطاء والام وقبائح وتبجح ونزق وعبث؟ هل يمكن تصور جنة او كينونة خارجة على كل النماذج والاشترطات المنطقية والذنية والجمالية والاخلاقية مثل هذا الكون الخارج على كل القيم المعروفة والمتمناة ؟

لهذا نعتذر اليك ايها الاله البائس المسكين المعتدى عليه . نعتذر اليك عن وحشيتنا ونذالتنا حينما افترضناك مواجهها مواجهة ازلية ابدية متفردة شاملة لهذا الكون الذي لا مثيل لقبحه اي لو حوسب بأية قيمة من القيم . .

اغفر لنا ايها الاله الطيب الذي لم يفعل او ير شيئا قط والذي لم يره ولن يراه احد او شيء . اغفر لنا نذالتنا ووحشيتنا . .

ان الاعلان والاعتقاد بانك ايها الاله الطيب لم تفعل او تر شيئا او احدا وبان شيئا او احدا لم يرك ولن يراك هما انبل واتقى دفاع واعتذار عنك . .

ان اعظم مزاياك وحظوظك بل كل مزاياك وحظوظك ايها الاله انك لم تر او تفعل شيئا وانك لن تفعل او ترى شيئا ، وان احدا او شيئا لم يرك ولن يراك . انك ايها الاله انت الكائن المنفرد في ان كل تقواك ومجدك وبرائك ونظافتك وسعادتك وراحتك في ان تكون عاجزا عاجزا مطلقا عن ان ترى او تسمع او تفعل .

انك ايها الاله لست طفلا مصابا بكل حالات الشذوذ والنزق والبذاءة لكي تسعد وتفرح وترضى وتتلفذ بان تكون مشاهدا لهذا الوجود ، متفرجا على الآمه . تفاهاته ونقائمه وعبثه الدائم المكرر بلا اناقة او نظافة او جمال او فن او تفسير مفهيم او معقول او محترم او مجيد او مريح ، او لكي تتجرا عينك على ان تظلا تريان كل هذه التشوهمات والدمامات والآلام والاحوال والاطاء والذنوب والفحش . لهذا نتضرع اليك ان تغفر لنا جهلنا ووقاحتنا حينما افترضنا هذا الكون يفعل كل وجوده وكينوناته داخل عينيك واذنيك وقلبك وضميرك وتفكيرك وكل حواسك واحاسيسك وانت تغني لنفسك اعجابا ومرحا وتدليلا .

انه لا تعذيب ولا تشويه ولا تقبيح ولا ترويع ولا تفجيع لاي كائن مثل ان يعيش كل هذا الوجود بكل صيغه وتفسيره داخل ذاته اي ان كانت تملك اي قدر من الموهبة التي تعني ان تكون ذاتا رائية او سامعة او محاسبة او محاكمة او ناقدة او مشترطة او حتى قارئة ..

ان معنى هذا ان تحشد كل العفونات والدمامات والتشوهات والآلام والاختفاء والفسوق والفحش والظلم والعبث والسفه حشدا ابديا داخل نفس او ذات متوقدة بالحب والتقوى والجمال والرفض والاحتجاج والاشتراط وبالاشواق الجمالية المنطقية الاخلاقية .

ان الذين يرون كل هذا الوجود يعيش داخل كل رؤى الاله ثم يرون انهم بهذا يقصدونه اي الاله ويرضونه ويفرحونه هم قوم لن يستطيع تفسير بلادتهم بأي نموذج او حد من حدود ونماذج البلادة . انه لن يمكن تصور قبح او تعذيب مثل ان يعيش او يوضع كل القبح والبلادة والبغضاء والقسوة داخل ذات لا تتقبل الا الجمال والذكاء والحب والخير الصداقة .

انهم بهذا بحولونه اي الآله نفسيا واخلاقيا وفكريا وفنيا وجماليا الى كائن لا تستطيع كل نماذج وتفسير القبح ان تحتويه او تقترب منه او تنافس قبحه ان كل عقائد المؤمن وصلواته وتصوراته وتفسيره ومناشداته للآله وهتافاته به لا بد ان تحوله اي تحول الآله الى قبح شامل بلا منافس او مشابه . ان الايمان بالآله لن يكون الا فسقا به ، بكل تفسيره ونماذجه وتصوراته ، بكل أنواع الفسق وتفسيره ونماذجه .

وانه لشيء قبيح ورهيب الا يعرف المؤمنون ذلك . من يصوغ غباء المؤمنين ؟ كيف امكن ان يوجد من يستطيع ان يخطط ويصنع في المؤمنين ولهم غباءهم ؟

اذن فمهزلة هذا التعليم او مأساته او قصته تؤلف وتفسر هكذا :

انهم يتعلمون هذا التعليم لكي يشغلوا ويستغنوا به عن ان يعلموا او يعملوا او يفهموا وعن ان يتعلموا الحياة او اي شيء نافع في الحياة ولها وعن ان يتعلموا ما يعنيه التعليم او يلزم به او يدعو اليه او ما يزعم انه هو كل غاياته ونياته . انهم يتعلمون ليكونوا علميا وعقليا وفكريا ونفسيا وثقافيا نقيضا لما يزعمون ويزعم لهم انهم يتعلمونه .

انهم يتعلمون لكي يشغلوا بالتعليم ويستغنوا به عن ان يعرفوا او يعملوا اي شيء ، تطالب به الحياة ويصنع الحياة ويهبها القوة والجمال ، وعن ان يكونوا ملزمين او ملتزمين او مطالبين بشيء من ذلك . . .

لكي يصبحوا نقيضا لما يتعلمون ، نقيضا لكل تفاسيره واهدافه وشعاراته . اي انهم يتعلمون لثلا يعملوا او يعرفوا او يعملوا او يحاولوا او يطالبوا او يشعروا بان عليهم ان يعلموا او يعرفوا او يعملوا ، او بان للتعليم اية وظيفه او تفسير غير ان يتعلموا هذا التعليم لتصبح كل علاقاتهم بالحياة ان يستهلكوها ويسرقوها ويعوقها ويشوهها ويضعفوا نبضها وحماسها واشواقها واندفاعها . . .

اذن افرحوا وارقصوا وتبلجوا وارقدوا ايها المتعلمون في المجتمعات العربية وفي كل المجتمعات المماثلة لانكم تتعلمون لثلا تعلموا او تعرفوا او تفهموا او تعملوا او تلمزوا بشيء من ذلك او ينتظر منكم شيء منه

بل لكي تصبحوا في كل قدراتكم واهوائكم وظروفكم ومواقمكم واشراقكم نقيضا لكل ذلك وخروجاً عليه . بل ان كل مزاياكم وكل اساليب الانقاذ منكم ان تتحولوا الى متعطلين تاخذون ولا تعطون او تفعلون شيئا مما اعدتكم له اي مما اعدتكم لتكونوا له وفيه انبياء وعلماء وخبراء وعباقره . . .

نعم ، انهم لكثيرون اولئك الذين يتعلمون ويراد لهم ان يتعلموا لكي لا يعملوا او يفهموا او يعملوا او يحاولوا او يلزموا او يطالبوا بشيء من ذلك . اليست كثيرة هي انواع التعليم وكثيرة هي المؤسسات والمعاهد التعليمية التي لا تعني والتي لا يراد بها او منها الا ان تكون كذلك اي الا ان تكون ضد العلم والفهم والعمل والمحاولة والمسؤولية ، ومانعة من ذلك ومغنية شاعلة عنه ، وبديلا مقبولا معترفا به عنه ؟

اليست كل انواع التعليم الديني والغيبوي والروحي والتاريخي وكل معاهد ومؤسسات هذا التعليم لا تعني ولا يراد بها او منها الا ان تكون كذلك والا ان تنتهي اليه اي الا ان تكون قتلا لوظيفة الانسان في الحياة وقتلا لوظيفة الحياة في الانسان ؟

ان اي انسان يدخل اية مؤسسة او معهد من هذه المؤسسات والمعاهد التي تعلم كل انواع هذا التعليم فليس الا انسانا قد حكم عليه بالاعدام اي في حسابات العطاء للحياة ومجتمعه وحكم عليه بان يكون لصا وغرما وخسرانا اي في حسابات الاخذ من احياء ومن مجتمعه . . .

أن من يشيدون معهدا أو جامعا أو مؤسسة من هذه المعاهد والجامع والمؤسسات التعليمية إنما يشيدون قبورا ، يشيدون أماكن وبيوتا لقتل كل من يدخلونها ولتعليمهم القتل لغيرهم أي قتل معاني الحياة فيهم وقتل معانيهم في الحياة ، ولكي يتعلموا فيها كيف يصبحون لصوصا ، يأخذون من الحياة والمجتمعات كل شيء دون أن يعطوا أو يطالبوا بأن يعطوا الحياة. أو المجتمعات أي شيء ، أو أن تأخذ منهم الحياة أو المجتمعات أي شيء ، لأنها لن تجد فيهم أي شيء يؤخذ أو يعطى ، بل ولكي يصبحوا عدوانا على الحياة والمجتمع وتشويها وفضحا وتضليلا لهما ، وتزييفا والهاء واستهلاكا وتخديرا لاشواقهما وحماسهما . كم هم المعلمون والتعلمون الذين كل عملهم أن يحاولوا سرقة وامتنصاص طاقات ونبضات وأشواق الحياة من الحياة ومن مجتمعاتهم ؟ اليس كل معلمي العرب ومتعلميهم هم من هؤلاء السارقين الممتصين للطاقات والنبضات والاشواق ؟ أي من المحاولين لذلك ولكن الحياة لا تستجيب لهم الا بقدر ما تعجز عن عصيانهم ..

نعم ، اذا تعلم غير المهوبين في المجتمعات المتخلفة تعليما عاليا فما افضل اساليب التعامل بهم ومعهم أو ما أقل هذه الاساليب ضررا ؟

افضل اساليب التعامل بهم ومعهم وأقلها ضررا هي ان يمنعوا من أن يعملوا فيما تعلموه مع دفع الاجر لهم ان لم يكن من ذلك بد . . لان دفع الاجر لهم بلا عمل أفضل أو أقل أذى من أن يدفع لهم الاجر مع الاذن لهم بأن يتحولوا الى معوقين ومشوهين ومخربين ومفتضحين فاضحين قاندين الى الهزائم والبلادات والعجز والعار لانهم قد أصبحوا أنبياء وخبراء وعلماء وعباقرة وقادة أي وضعوا على عروش هؤلاء وفي وظائفهم مع أن كل معانيهم وتفاسيرهم نقيض حاد شامل لكل معاني هؤلاء وتفاسيرهم بل هجاء بذوي لها . .

كما أن الافضل والأقل ضررا بل والواجب أن يسحب من الميدان ويسحب السلاح من يده بكل عاماته العسكرية ، ولو مع دفع الاجر له ، كل جندي لا بد أن يصنع أو قد يصنع الهزيمة والضعف والعار لجيشه وشعبه وسلاحه وتعليمه ، وتبه العسكرية أي حينما يكون مظلوما ومفتظرا منه وواجبا عليه أن يصنع النصر والقوة والمجد لشعبه وجيشه وتعليمه وسلاحه ورتبه . .

ان مثل هذا الجندي لو ترك في الميدان قائدا أو مقاتلا لن يكون أكثر أضرارا بمجتمعه وقومه من غير المهروب الذي علم تعليما عاليا لو ترك يعمل فيما علم وتعلم .

أنت مبصوق في رأسك ولست مؤمناً

••• اتمنى لكل انسان ان يصبح حبا وصدقا وجمالا ونبوة وشعرا وفنا بلا ايمان او مذاهب او تعاليم ، وارض له ان يصبح ايمانا ومذاهب وتعاليم بلا جمال ولا حب ولا صدق ولا نبوة ولا فن ولا شعر ••• اتمنى لكل انسان ان يكون انسانا لا ايمانا ولا عقيدة ••• اليبست العقائد تزويرا وتشويها للانسان وعدوانا على طهارته وبرائه وبكرته وصفائه وحيه ؟ اليبست عدوانا على جميع تفاسيره وصيفه الانسانية ؟ اليبست تعلمه كيف يعادي ويبغض ويحقد ويقبح ويذنب ويضل ويسفه ويقتل ويقتل بل وتشرع له ذلك ؟ اليبست العقائد اسلحة بينكرها وبعدها ويشمخها ويحملها ويرفعها القادة والزعماء والمعلمون الماكرون الخيما، والجهلاء، ليضربوا ويخدعوا ويذلوا ويخيفوا ويحاربوا ويحكموا ويشوهوا بها الانسان ؟ هل ابترك هؤلاء، الخيما، سلاحا مثل سلاح الايمان والاعتقاد والمذاهب والتعاليم لظهر الانسان واذلاله ولافساد ذكائه وصميره وحيه وبرائه واخلاقه ولسوقه الى كل حماقاتهم وعداوتهم واكاذيبهم تحت اعلى الاناشيد نزقا ودويا وقبحا ؟ هل في عبقریات الشيطان ما يساري عبقريته التي اهتمت القادة والزعماء والمعلمين الماكرين ابتركار المذاهب والعقائد والتعاليم ؟ وهل ساعد الشيطان اصداقاه ومساعديه بشئ، مثلما ساعدتم بابتكاره لهم سلاح الايمان والتكتلات الدينية والمذهبية وغيرها وغيرها •••؟

٠٠ الانسان كائن لغوي . وكينونته اللغوية هي أشمل كينوناته الانسانية
 ٠٠ انها أشمل من كونه كائنا مفكرا أو متدينا أو أخلاقيا أو مذهبيا أو عاطفيا
 أو غير ذلك من مزايا الانسان أو من حصائنه التي هي ليست مزايا وان كان
 قد تفرد بها دون سواء . والتفرد ليس دائما مزية بل قد يكون نقیصة أو عذابا .
 والانسان يرى تفرد مزية ولكن اليس ذلك يساوي ان يرى الوحش قدرته على
 الافتراس مزية على من دونه ؟

٠٠ ان كل البشر لغويون حتى الذين لا يتصورون ان لرؤوسهم أو انه قد
 يكون لها اي معنى أكثر من المعنى الذي لرؤوس الكائنات الاخرى التي هي دون
 الانسان ، أو أكثر من ان تكون أي رؤوسهم قد وضعت فوق اجسامهم ليحملوا فوقها
 بعض احمالهم ، ولكي تزرع فيها عيونهم وأذانهم التي لا وظيفة لها غير ان تكون
 مباحق يلقي فيها لتقبل وترضى وتشكر وتستسلم مبهورة مصدقة مصلية هاتفة
 لفاقئها وأمريها وقاهريها وخادعيها ومستعديها ، دون ان ترى أو تسمع . . . وكم
 هم الذين يرون أو يريدون ان يكون لرؤوسهم اي معنى أكثر من ان تكون حدودا
 لاجسامهم فقط ؟

والذين قالوا ، يعرفون الانسان ، إنه « حيوان ناطق » هم مصيبون لو
 كانوا يعنون بكلمة « ناطق » انه كائن أو حيوان لغوي أو متكلم أو مصوت لا
 « مفكر » . وقد قيل انهم يعنون أنه مفكر لا لغوي أو مصوت فقط .

وقد يقال اعتذارا ودفاعا عن هؤلاء المرفين للانسان بالحيوان المفكر انهم يعنون
 بذلك انه الكائن الذي قد يستطيع ان يكون مفكرا أو الذي يطلب منه ويفترض فيه
 ان يفكر ، أو الذي قد يتخلق فيه ومنه من يفكرون كالعصاة والخوارج والشذوذ بل
 كالالم فيه والتعذيب له !!

نعم ، كل من يفكرون هم عصاة وخوارج وشذوذ وتمرد وآلام في مجتمهم وله . . .

ولا يعنون اي هؤلاء المعروفون للانسان ان النطق اي التفكير فيه ظاهرة شاملة او غالبية مثل ظاهرة التصديق والتدين والانخداع والخوف والحب والكره والحقن والسقوط والنذالة والعجز عن الرؤية والفهم والشهامة والصدق . . .

لا يعنون الا ان الانسان هو الحيوان العاجز عن التفكير الخائف منه المعاقب عليه المطالب بان يكون مفكرا . . . ان الانسان في تفسيره او تعريفه العام او العلمي ليس هو فقط العاجز عن التفكير بل والخائف منه المعاقب عليه .

ولان كينونة الانسان اللغوية كينونة شاملة بل لانها وحدها الكينونة الشاملة المطلقة اصبح محتوما ان يكون اي الانسان مؤمنا ومتدينا ومقتنعا ومحبا ومبغضا ومعاديا ومصادقا ومعجبا ومحتقرا بل وراثيا واجدا فاعلا محاربا مقاوما مسالما باللغة . . . أي أنه باللغة يتعلم ويعلم كل ذلك ويوصله ويقنن ويقنع به بل ويراه ويجده ويفعله ويعتقده بها أي باللغة . أن الانسان ليرى باللغة أكثر وأعمق وأقوى مما يرى بعينه . . . اي ان اذن الانسان وفمه هما حاسة الرؤية فيه لا عيناه . ان عينيه تتعلمان الرؤية من أذنيه وفمه .

انه باللغة رأى السه ونبيه وبطله وزعيمه وقديسه ودينه ومذهبه ونظامه وتاريخه ووطنه ، واحبه واعجب به وصدقته ووجده جميلا وعبقريا وحقا ومتفوقا على كل نقبض ومخالف ومنافس ومعاد ، وقاتل وعادى معه ودفاعا عنه وباسمه . . . أي انه فعل كل ذلك وأعلن اقتناعه والتزامه به لانه قد تعلمه وعلمه وصب فيه باللغة ، أي لانه كائن لغوي . لقد كانت اللغة هي كل الانابيب والانهار التي تصب في الانسان كل الهته وانبيائه واديانه واقتناعاته وعقائده بل وكل رؤاه ومرثياته . . .

لو لم يكن الانسان كائنا لغويا فهل كان محتتملا او مستطاعا ان يرى الهته او انبيائه او مذاهبه او اديانه او زعاماته او أية عقيدة او قداسة من معتقداته وقداساته او أن يقنن بها او حتى يجدها او يتصورها أو يفهمها ويفسرهما بكل هذه الضخامة والجمال والذكاء والتفوق والخلود ؟ هل كان محتتملا ان يحدث ذلك مهما كان ذكاؤه وصدقته ورغبته وقوة وديمومة ونفاذ تحديقه في الاشياء واختراجه لها ولحصونها واغبيتها ؟ ان اللغة هي التي تقنن بمزايا المعتقد وبنقائصه ، بل هي التي تري وتخلق وتصوغ هذه المزايا والنقائص . انها اي اللغة لا تعلم او توصل او توحى او تسمع فقط بل انها ايضا تخلق وتصوغ وتري مزايا الاشياء أو نقائصها ، كذبها وصدقها . نعم ، أن اللغة هي اعظم وأشهر وأشمل اجهزة الاستفراغ وانابيب الصب لاستفراغ وصب الآلهة والانبياء والاديان والمذاهب والاحقاد والعداوات وجميع الوان

الاحوال والبذئات والبلادات والاكاذيب والاحزان والاطفاء في رؤوس وقلوب وضمائر
واخلاق وعلاقات الناس . لهذا كان محتوما أن تجيء هذه المستفرغات والمصبوبات
مختلفة أو متضادة لاختلاف أو تضاد من يستفرغونها ويصبونها لا لاختلاف أو تضاد
فيمن يستفرغ ويصب فيهم .

انت كائن لغوي ، اذن انت حتما مستفرغ وقاذف ملق في غيرك، وغيرك مستفرغ
قاذف ملق فيك . . انت حتما مستفرغة فيك الآلهة والانبياء والتاريخ والاديان والمذاهب
ومستفرغها على غيرك لانك كائن لغوي .

هل تعرف ذلك ؟ هل انت راض عن نفسك أو معجب بها لانك كذلك اي لانك
تستفرغ الآلهة والانبياء والملائكة والابالسة والاديان والمذاهب والنظريات والعداوات
والاحقاد والبغضاء وتقذفها في نفوس الاخرين لتكون لهم عقائد وضمائر وشعارات
ومواقف واخلاقا ليقاتلوا ويعادوا ويخاصموا ويفاخروا ويتحدوا ويلعنوا كل من عداهم
بها وباسمها ومن أجلها ، ولان الاخرين يستفرغون ويقذفون كل ذلك في نفسك ،
لانهم يفعلون بك مثلما تفعل بهم ، اي لانك انت وهم تفعلون ذلك باللغة اي لانكم
كائنون لغويون ، اي لأن جميع معتقداتكم توضع فيكم وتصوغونها وتصاغ لكم
باللغة ، قذفا واستفراغا والقاء دون ان تستشاروا أو تختاروا أو تروا أو تجدوا أو
تفهموا أو تفكروا أو تتاوموا ، لكي تحسبوا وتحسبوا انفسكم مؤمنين اذكياء اتقياء
صادقين مخلصين عاشقين للحق والحقائق ، راثنين مدركين للبراهين المألثة عليكم كل
آفاق منطقتكم ورؤاكم الروحية والعقلية والانسانية .

نعم ، لكي تحسبوا انفسكم ويحسبكم غيركم مؤمنين بالاسلوب أو المنطق الذي
يومن به المكان أو الوعاء بقيمة وجمال ونظافة كل ما يلقي فيه وعليه ؟
هل فكرت يوما في انك لست الا وعاء يلقي فيه ؟ كيف لم تفكر ؟ انت حتما وعاء
لان الوعاء لا يفكر ، لهذا لا تفكر .

اجل ، انت ملقى فيك ، ملقاة فيك جميع اعتقاداتك المختلفة القيمة والنسب
والافتساب . اذن انت « مؤمن » تستحق كل الثناء والمجد ، ترفعهما الى نفسك ،
ويرفعهما اليك كل ما في التاريخ والحياة والكون من ذكاء ورؤية ومنطق واريحية
والتزام بالصدق والاعتراف بالواجب وبالحب . .

كذلك المكان والبناء يلقي فيهما فيقتبلان ما يلقي فيهما هثلما تتقبل انت
المعتقدات التي تلقى فيك بل والاحوال النفسية والاخلاقية التي تلقى فيك . اذن لماذا
لا يكون المكان والوعاء « مؤمنين » مثل ايمانك بل اقوى من ايمانك لان قدرتهما على
استقبال وتقبل ما يلقي فيهما اعظم واتقى من قدرتك ؟

هل يستطيع الزعم بانك قد حاسبت أو فهمت ما القى ويلقى فيك من المعتقدات والصفونات النفسية والاخلاقية اكثر أو اذكى مما حاسب وفهم المكان والوعاء ما القى ويلقى فيهما - أو الزعم بان ما القى ويلقى فيك اذكى أو أنظف أو اشرف أو انفع مما القى ويلقى فيهما - أو الزعم بان الملقين فيك اعظم فهما أو صدقا أو اخلاصا أو شهامة من الملقين فيهما ؟ اذن هل يستطيع اي شاهد عدل ان يشهد لك بانك مؤمن ابها « المؤمن » ما لم يشهد للوعاء والمكان الملقى فيهما بانهما مؤمنان ايماننا اذكى واتقى وأنظف من ايمانك ؟

لعل كل الفرق أو اعظم الفرق بينك وبينهما هو الاختلاف في وسيلة الالتقاء فأنت قد القى فيك بواسطة اللغة ، ثم ذهبت تتحدث عن مزايا ما القى فيك لانك كائن لغوي . بل ذهبت تفاخر وتلاعن وتخاصم من القى فيهم غير ما القى فيك اي لادك كائن لغوي لا لانك اكثر وعيا او رؤوية او محاسبة لما القى فيك من وعي ورؤية ومحاسبة المكان والوعاء لما يلقي فيهما . اما هما اي المكان والوعاء فان الالتقاء فيهما يكون بوسائل اخرى غير اللغة . وهما ايضا لا يذهبان يتحدثان عن مزايا وتفوق وعبقرية ما بلقى فيهما ، كما لا يذهبان يلاعنان أو يكرهان أو يحقران أو يباهيان الاماكن والواعية الاخرى التي القى ويلقى فيها غير ما القى ويلقى فيهما ، لانهما اي المكان والوعاء كائنات غير لغويين . اذن فنقولك باللغة على المكان والوعاء قد تحول المره نقيصة وذنب قد برى، منهما المكان والوعاء .

هل تجرؤ ايها المؤمن على أن تباهي أو تمجد نفسك بانك مؤمن أو لانك مؤمن بالاستفراغ عليك وفيك ان كنت قد وعيت هذا ؟

هل تسر أو ترى من مجدك أو تفوقك ان اصبحت كائنا لغويا حين تعني ان اغتلك قد تحولت ومحتوم ان تتحول الى جهاز استفراغ يستفرغ به عليك وفيك كل لصوصك وغه اتك وجهالك وخادعك الذين تدعوهم بأنبيائك وخلفائك ومعلميك ووعاظك وزعمائك - يستفرغون فيك وعليك كل بداواتهم وبداءاتهم وبلاداتهم واحقادهم وبفضائهم وجميع رذائلهم النفسية والعقلية والتاريخية والاخلاقية والتأمرية التسلطية ، لكي يصبح كل ما يستفرغونه عليك وفيك هو كل امجادك الاعتقادية الايمانية ؟

نعم ، هل تقبل ان تكون الها أو نبيا أو زعيما مقدسا أو دينا أو مذهبيا أو اي معتقد لو علمت انك لست الا استفراغا لغويا ؟

ولكن كيف يمكن الا تعرف وتعني ذلك ؟ كيف يستطيع أو استطاع أحد ان يجله ؟ انت ترى الايمان شيئا عظيما ، تراه كل الذكاء والخير وكل الرؤوية والاخلاص

للحقيقة ، وترى انك انت مؤمن ، لهذا انت راض عن نفسك معجب بها ، تراها النموذج الذي يجب ان تصاغ عليه جميع النماذج ، ان تخضع له جميع النماذج .

ترى انك انت مؤمن دون ان تعرف أو تسأل : كيف عرفت انك مؤمن او ما هو

الايمان .

وايضا انت ترى ان كل من لم يؤمن ايماناك فهو ملحد جاحد زنديق ، اعمى شهير خبيث فاسد كذاب . . كل جسم الشمس داخل عينيه ولا يراها أو تصعد به الوقاحة الى ان يزعم انه لا يراها . . لهذا فان كل طاقات وقوانين واخلاق ونيات جميع الاشياء يجب ان تتحول الى اساليب وعضلات واجهزة تعذيب لكي توظف كل الآلهة كل وقتها وحماسها لتعذيبه بها . .

وبعد الاعتذار عن جرح كبريائك وعن الاساءة الى رضاك عن نفسك وعن احتمالات شكك لي مجد ايمانك نتقدم اليك باستحياء وتواضع وحذر شديد لنسأل بل لنسأل بغضب وانفجاج وتحد :

من هو « المؤمن » ؟ هل المؤمن هو المؤمن ام الملحد أو من تزعمه وتراه ملحدا هو المؤمن ؟ وقد ننتظر ان يتحول هذا التساؤل الى صدمة لك ولكثيرين ممن قد يقرأونه او يسمعونه . انه تساؤل لم يكن يعيش في ضمير أي مريض بالتساؤل . .

انه ليس من الممكن او المقبول معرفة من هو المؤمن ، هل هو من يحسب ويدعى مؤمنا ام هو من يحسب ويدعى ملحدا ، قبل ان يعرف ما هو الايمان . ان اغلب الناس أو كلهم قد عرفوا المؤمن واعترفوا به مؤمنا ودعوه مؤمنا قبل ان يعرفوا ما هو الايمان بل ودون ان يتساءلوا هذا التساؤل أو يفكروا فيه . حتى المفكرون والمتوقرون والمحاسبون جدا لأنفسهم قد فعلوا ذلك دون ان يتخاصموا مع افكارهم أو صدقهم أو تقواهم . . . هل معرفة من هو المؤمن دون معرفة ما هو الايمان تعني التهوين من شأن القضية ام تعني الغباء ؟

ومهما كان الرأي أو الحقيقة في تفسير الايمان فليس محتملا ان يكون أو أن يعد « ايمانا » ايمان هؤلاء الذين يحسبون انفسهم ويحسبهم الآخرون « مؤمنين » . . ليس احتمالا ان يكون ايمان هؤلاء المؤمنين بالآلهة والانبياء والخلفاء وبالتاريخ والاديان والآراء والنظريات والمذاهب المحفوظة المعبأة المخزونة الروية المطروحة المستفرغة باللغة .

اجل ، ليس احتمالا ان يكون ايمان هؤلاء ايمانا ، اي ليس احتمالا ان يكونوا أو ان يحسبوا مؤمنين مهما كان الاختلاف على تفسير الايمان الا اذا كان محتملا أو

مقبولا ان تحسب كل ورقة يكتب عليها وكل حفرة يلقي فيها مؤمنة لانها قد ألقي فيها أو كتب عليها أي شيء دون ان تعارض أو تقاوم أو ترفض أو تحاسب أو تحاور أو تفهم أو تطلب الفهم أو تستطره أو تسترط أي شيء . وهل يجاور أو يحاسب أو يرفض أو يقاوم أو يشترط أو يفهم أو يطلب الفهم هؤلاء المؤمنون لما يلقي فيهم أكثر مما تفعل الحفرة لما يلقي فيها أو الورقة لما يكتب عليها ؟

وحتى « التلقين » فان ايمان هؤلاء أو ما يسمى ايمانهم لا يرتفع الى أن يكون « تلقينا » . انه اقل من ذلك ، فالاستفراغ أو الالقاء أو القذف أو الوضع أو الخزن للشيء في المكان أو الاناء أو الحفرة أو الصندوق لا يمكن أن يكون أو يسمى تلقينا . فالتلقين لا بد أن يكون فيه شيء من المخاطبة أو المحاورة أو المعاملة أو حتى شيء من التشاور أو التفاهم أو الاستئذان والاختيار .

وهؤلاء « المؤمنون » اي المزعومون مؤمنين لم يصعدوا في ايمانهم الى اي شيء من ذلك ، لم يخاطبوا أو يحاوروا أو يعاملوا أو يشاوروا أو يستأذنوا أو يخبروا أو يفهموا أو يتفاهم معهم حينما القيت أو وضعت أو استفرغت فيهم الالهة والانبياء والاديان والمذاهب وكل معتقداتهم الشاملة الراسخة ، ليكونوا مؤمنين أو ليزعموا ويحسبوا كذلك . . . ان الاستفراغ في الشيء أو عليه أو الاسقاط فيه لن يعد تلقينا . انه اقل مجدا واحتراما من التلقين .

اذن انت ايها « المؤمن » جدا اقل كينونة وقيمة ومعنى من اي ملقن ، لأنك موضوع ومستقط فيك ولست ملقنا . . . ان التلقين تعامل مع الانسان أو مع كائن اخر يلقن . وانت في ايمانك لست انسانا أو كائنا يلقن بل وعاء .

ان من أول واشمل معاني الايمان انه لا بد ان يكون ممارسة ذاتية بل مقاساة فكرية ونفسية واخلاقية وحوارية مع الذات ومع القضية ومع أوعيتها وظروفها ومنطقها واخلاقها ومع من يوهب الايمان به أو من يعاقب ويورط ويشوه ويلزم بالايمان به . انه اي الايمان محاسبة ذاتية بكل اجهزة الذات بكل القسوة والشمول لكل الاشياء والواجبات ، لكل ذواتها واخلاقها وتفاسيرها .

انه اي الايمان بدء من الذات لا من الذوات الاخرى ولا من التاريخ أو الكتب المحفوظة التي لا يمكن أو لا يقبل تبديلها أو محاكمتها أو محاورتها أو التصحيح لها أو التحديق في ضمير أو عقل أو نيات أو اخلاق أو عيون قائلها أو راويها أو كاتبها أو حافظها أو دفسرها . نعم ، ايها المؤمن جدا ، انت محرم عليك التحديق في ثياب

آلهتك وانبيائك أوفي ثياب من يفسرونهم لك ويعلمونك اخلاقهم وشهواتهم ويحدثونك عن جمال ثيابهم . . انه اي الايمان ولادة وليس تبنيا . انه حبل وولادة تصنعها علاقات الذات بنفسها وبموضوعات ايمانها لا علاقاتها بأشخاص آخرين ! انه حبل ذاتي لا حبل زواج أو معاشرة . انه ليس تلقيا بالقذف من الخارج . انه اي الايمان بدء رحلة ورؤية وكيونة وموقف ، بدء من الفراغ ، فراغ الذات من كل موقف ورحلة ورؤية وكيونة سابقة معلمة أو مفروضة أو منزلة أو مستقرعة . . انه خلق من البدء اي بدء خلق .

انه اي الايمان هو التفرغ للذات من كل الذوات الاخرى ، من كل رؤاها ورواياتها وقراءاتها وتفاسيرها ومن كل اشواقها ورهبوتها وذكرياتھا وأطلالها المسكونة بكل جنسيات الاشباح الخارقة الكيونة والاخلاق ، لكي تبدأ اي الذات من الفراغ ، من البدء ، لتصنع وتصوغ رؤاها ورواياتها وقراءاتها وتفاسيرها واشواقها ورهبوتها وذكرياتھا وأطلالها ، بادئة من البدء اي من الفراغ ، اي بادئة الذات من الذات . اجل ، ان الايمان في أي تفسير من تفاسيره لن يكون الا بدء الذات من الذات بقيادة الذات . .

ان الايمان هو أن ترى القمر بعينيك لا بأذنك ، لا بأفواه الاخرين . . لا ان تراه بأذنك من أفواه الاخرين . وهل يوجد من يرون بأذانهم بواسطة أفواه الاخرين ؟ نعم ، ان كل الناس لذلك الا من يحسبون خوارج متمردين مرتدين .

ان المؤمن الذي يرى نفسه والذي يراه الآخرون ويحسبونه بكل حساباتهم مؤمنا هو الذي يرى القمر بأذنيه، متخلقا وبازغا من أفواه المعلمين . . هل رأيت القمر طالعا من أفواه المعلمين الدراويش الدجالين ؟ نعم ، لقد رأيت ان كنت مؤمنا هذا المزعوم ايماننا . ان هذا الايمان اي المحسوب والمزعوم عالميا وتاريخيا ايماننا ليس رؤية حتى ولا بعيون الاخرين لان الاخرين الذين استقرغوا هذا الايمان في نفوس من بعدهم لم يروا بعيونهم . لقد رأوا بحواس أو بأدوات أو بوسائل أخرى ليست العيون منها حتما . استيقظ أيها المؤمن انك لم تر جمال الهك أو ذاته بعينيك ولا بعيون معلميك اذ ليست لهم عيون ترى ، بل رأيت اي الهك وجماله بأذنك . .

واين هي الرؤية بالعيون ؟ هل وجدت أو يمكن ان توجد في أي مكان أو عصر هذه الرؤية ؟ هل وجد من يرون بعيونهم أو يرون بها فقط ؟

انه اذا وجد أو لو وجد من يرون بعيونهم لكانت رؤيتهم بعيونهم هي اقل واضعف واخفت واعمى رؤاهم . انه لا يوجد عمى مثل عمى رؤية العيون . . انه لا يوجد مصاب بكل تفاسير العمى مثل العيون البصرة اي البصرة حسيا .

ان العيون اذا رأت أو لو رأت فلن ترى الا مأمورة محكومة خاضعة لطفيان
 طفاة كثيرين شرسين هم ضد العيون الرائية وضد الرؤية وناقون مقاتلون ناقثون لها
 بل مفسدون مزللون لها ، يحولونها الى نقيض معناها ٠٠٠ هل وجدت أو يمكن ان
 توجد عين واحدة مبصرة ليست معتدى عليها ومأمورة مهزومة مضللة ؟
 انك لن تستطيع ان تحب الا بقلبك او ترى الا بعينيك او تسمع الا باذنيك ، او
 تشتهي وتمارس شهواتك الا بأعضائك وجسدك ، أو تضرب وتحطم الا بعضلاتك ،
 كذلك لن تستطيع ان تؤمن الا بفكرك واخلاتك ومحاسباتك ومحاوراتك وتحقيقاتك
 ٠٠ الا بتتجر وتزاحم الاشواق الفنية الشاعرية الانسانية في نفسك ومن نفسك الى
 نفسك ٠٠

اي انك لن تصبح مؤمنا الا بذلك مهما حسبت او حسبت نفسك مؤمنا ٠٠
 انك اذا آمنت آمنت باية وسيلة او حيلة اخرى فليست مؤمنا ولكنك مستفرغ
 عليك وفيك ٠٠ انك حينئذ لست مؤمنا حتى ولو صبت فيك أو كتبت وصورت
 ونقشت على جلدك كل الكتب المقدسة المنزلة والتعاليم المعلمة ، وكل اللوهيات
 والنبوات والقداسات وكل المنابر والمحاريب وكل أوصاف وفصاحات التهاويل عن
 أهوال الجحيم وكل الوعود الخرافية البلهاء المعدة المنتظرة لك في جنات النعيم
 التي زخرقتها آياتنا واساطيرنا واقنعتنا بها مجاعاتنا وخيالاتنا البدوية المصابة
 بالقطح الابدي ٠٠ هل يستطيع اي شيء ان يتحول الى فضح وهجاء مثل موهبة
 الخيال والتصور والشعر والتأميل فينا ؟

انه اي الايمان هو أن تقيم اقوى واذكى الحراسات على حدود ذاتك وعلى
 اذنيك ، فلا تترك اي اله أو نبي أو قديس أو زعيم أو مذهب أو دين أو رأي أو
 صوت يمر ليستقر في عقلك أو ضميرك أو تقواك أو حبك أو تصديقك أو احترامك
 أو اخلاقك أو أية معاملة من معاملاتك الا بعد أن تتفه طويلا عند حدود ذاتك واذنيك
 لتحاسبه بكل اجهزتك الذاتية اطول واشمل واقسى وابرع المحاسبات ٠٠ اقسى
 واطول وابرع واشمل مما تحاسب كل اجهزة الكون اي متهم كوني بكل ذنوب
 وعاهات وبلادات كل الكائنات والاشياء ٠٠

ولكن هل يوجد مباح لكل اللصوص والاعداء والمتسللين ولكل السوان وجنسيات
 المهاجمين دون اية حراسة أو نية حراسة أو مطالبة باية حراسة مثل حدود اذنيك
 وحدود ذاتك الانسانية اي الادبية المعنوية اي ذاتك الفكرية الاقتناعية الفنية
 الاخلاقية الانتمائية النفسية ؟ هل شكوت أو بكيت ذات مرة لان اذنيك وذاتك هذه
 بلا اية حراسة ؟ هل طالبت ولو مرة بهذه الحراسة ؟

ان ذات الانسان اي الادبية المعنوية هي في كل الاوقات والمجتمعات اشهر واشهرى واكبر واغلى هدف لكل اللصوص والغزاة والمتسللين والاعداء المزعومين المحسوبين آلهة وانبياء ودعاة وقادة وزعماء ومعلمين ، دون ان يواجها بأية حراسة او حدود او مقاومة ..

واعني دائما بالحراسة والمقاومة هنا حراسة الذات لنفسها ومقاومتها هي دفاعا عن نفسها ..

انه اي الايمان لن يكون ايمانا ما لم يتعامل ويتفاهم مع اقوى وانكى الحراسات على كل حدود الذات ، وما لم يستأذن هذه الحراسات فتأذن له بالدخول الى الذات ليخطو اليها خائفا مترددا متواضعا مؤدبا مستحييا مقاسيا لكل مشاعر الغربة والحر ، بعد ان تحاكمه اي اجهزة الحراسات الذاتية بكل القسوة والجرأة والصدق والحزم . ان كل الحراسات المطلوبة هنا والتي الحديث عنها يجب ان تكون جميعا من الذات ضد كل من يريدون الاقتحام لها أو التعامل والتخاطب معها .. انه لا شيء اغلى من ذات الانسان الادبية ولكن هل وجد مثل هذه الذات متروكا مباحا لكل المهاجمين بلا اية حراسة منها عليها ؟

اجل . ان انبل الحراسات واتقاهما واوجبهما هي الحراسات التي تقيمها الذات على كل حدودها لتحقيق وتتحاور بكل القسوة والصدق مع كل الآلهة والانبياء والدعاة والقادة والمعلمين الذين يريدون الدخول اليها والسكن فيها ، لكي تقراهم وتقهمهم وتراهم بكل التحديق والتعرية والارهاب لهم قبل ان تقبل التعامل معهم أو التفكير في الاذن لهم بالدخول اليها ..

انه ليجب الا تكون هناك اية محاسبات امام اية حدود اقسى أو اذكى من المحاسبات التي يجب ان تحاسب بها الآلهة والانبياء والاديان والزعامات والقيادات وكل المعتقدات والمقنات امام حدود الذات ...

ان هؤلاء ليجب ان يحاسبوا ويفتشوا ويقرأوا ويوقفوا بكل نيات ومنطق ومشاعر الاتهام والتوجس والريب قبل ان تفتح لهم الذات أي باب أو نافذة من ابوابها وانه اذها اقسى واطول مما يجب ان يحاسب ويفتش ويقرأ ويوقف اي متهم بل اخطر متهم محكوم عليه عالميا بل وكونيا بالادمان على العدوان والتزوير والتضليل لكل العالم وعلى كل العالم ...

وهل عومل بكل التسامح والغفران بكل أساليب وتفسير ونيات الحب والايمان والتمجيد والاستسلام ، متهمون بابشع واضخم وأشمل التهم بل فاعلون

لها ، مثلما عومل بكل ذلك الآلهة والانبياء والزعماء والقادة والاديان وكل ألوان
المعتقدات والمأثورات والمرويات المطروحة في كل الاسواق المفتوحة المباحة لكل
اللصوص والغزاة ولكل الفجار والكذبة والجهال الاغبياء ؟ هل وجد اعداء مغفور
لهم بل مشكورون معبودون مثل هؤلاء ؟
اجل ، أليس أخطر وأردأ وأوقع وأقبح اللصوص والمتسللين الى الذات الانسانية
يسرقوا منها ويفسدوا وينسوهوا فيها كل ذكائها وكبريائها وصفائها وشرفها وحبها
وصدقها وشجاعته بل وكل رؤيتها وحسها وحدها هم الآلهة والانبياء والقادة وكل
الوان وأنواع المعلمين ؟

**

اذن هل ينبغي أن توجد قسوة في المحاسبة أو في الحراسة مثل القسوة
التي يجب أن تكون في محاسبة هؤلاء وفي الحراسة التي يجب أن توضع لاتقائهم ،
لاتقاء تسللهم الى الذات الانسانية مبصوتين وباصقين من الافواه التي لا تستطيع
ولا تعرف ولا تريد أن تكون صادقة أو ذكية أو نظيفة أو مهذبة أو محبة ؟
نعم ، هل الآلهة والانبياء وكل أنواع المعلمين والمذهبيين تحت كل ازياتهم
الا افواه باصقة أو افواه مبصوطة ؟

اذن لقد كانت غلطة أو أكذوبة أو بلاة أو خدعة عالمية ضخمة اعني بذلك حسابان
وزعم من تلقى فيهم الآلهة والانبياء والاديان والمذاهب وكل ألوان التعاليم الموروثة
المحفوظة ألقاء « مؤمنين » .. ولا يزال العالم يتعامل بهذه الغلطة أو الاكذوبة أو
البلاة أو الخدعة - يتعامل بها اقتناعا أو تغابيا أو غيبوبة أو لغة فقط ، أو لا يزال
ساكتا على من يتعاملون بها وعنهم ، غافرا لهم تعاملهم هذا أو مشغولا عنها وعنهم .

**

والان .. اذا لم يكن من يحسبون « مؤمنين » مؤمنين بأي تفسير من تفاسير
الايمان ، وكان الايمان شيئا محتوما أو مفروضا أو مطلوبا أو نافعا ، أي وكان مستحيلا
أن يكون الانسان دون أن يكون الايمان بقدر ما هو مستحيل أن يكون الانسان ثم
لا يكون التفكير والنقد والقبول والرفض والغضب والاحتجاج والاعجاب والاشمئزاز
والحب والبغض والشعر والغناء والموسيقى والفرح والبكاء والغباء والنذالة والوقاحة
- نعم ، اذا كان ذلك كذلك فمن هم اذن المؤمنون الذين لا بد أن يكونهم الانسان
أو الذين لا بد أن يكونوا بعض الانسان أو ظاهرة أو شيئا في الانسان أو مجدا
وقوة له أو اعتذار عن بلاداته وهوانه .. عن كونه في كل تاريخه أشهر وأرخص

واوسع وعاء في الكون لاستقبال بصاق واستفراغ كل الباصقين والمستفرغين عليه وفيه ، أي باصقي ومستفرغي الآلهة والانبياء والاديان وجميع ألوان المذاهب والتعاليم ، أي باصقي ومستفرغي الاكاذيب والاهام والتهاويل الرهيبة الكئيبة المذلة المحقرة المشوهة لكل ما يزعم للانسان من نكء وكبرياء وحصانة منطقية وأخلاقية ونفسية ودينية ومذهبية ؟

إذا لم يكن المؤمنون مؤمنين أو هم المؤمنون فمن هم اذن المؤمنون ان كان محتوما أن يوجد مؤمنون ؟

بلا تفوق في الذكاء أو الشجاعة وبلا ادعاء شيء من ذلك لا بد أن يقال أن الملحدين ، أي من يزعمون ويحسبون ملحدين ، هم هؤلاء المؤمنون بكل تفاسير الايمان وشروطه وصيغه .

« الملحدون هم المؤمنون » انها قضية لا يستطيع أي منطق تخلق عن منطق أو تخلق باساليب منطقية ، أن ينكرها أو حتى يشك فيها

اذن فان كل المجد والنجاة والحب للملحدين أن كان الايمان هو الطريق الى المجد والنجاة والحب اعني الملحدين الذين فعلوا الحادهم لا الذين لقتوه أو بصق فيهم . . . ان « الايمان » فعل والمؤمن فاعل أي فاعل للايمان وليس مفعولا به الايمان أو مستفرغا فيه وعليه ، أي هكذا يجب أن يفهم ويفسر .

ان فعل « آمن » مثل أفعال أحسن وأتقن ورأى وسمع وأحب ونطق ومشى وكذب وقتل وسرق ونافق . أي ان هذه الافعال أو الكلمات تعني أن من أسندت اليه قد فعل الشيء وأوجده ولا تعني أنه قد فعل أو صب أو ألقي فيه الشيء . اذن فالمؤمن هو فاعل ايمانه . أنه لن يكون مؤمنا الا اذا كان هو الفاعل لايمانه كما أن السارق أو القاتل أو المحب أو المعجب أو الكاره أو الرائي أو السامع أو المغني أو المصلي هو الذي يفعل فعله وتفاسيره وأوصافه بذاته ، بأعضائه وأحاسيسه وممارساته ، وليس هو الذي يفعل به أو فيه ذلك . أليس الحزين أو العاشق هو الذي تصوغ ذاته ومشاعره وطاقاته وظروفه ومجاعاته ورؤاه أحزانه أو عشقه ، وليس هو الذي يسقط فيه الحزن أو العشق ، أو الذي يعلم الحزن أو العشق أو يؤمر به أو ينزل عليه في كتب مقدسة محفوظة ، أو الذي يحزن ويعشق له الآخرون ، كما أن القارئ والرائي والسامع والكااتب هو الذي يرى ويقراً ويسمع ويكتب بعينيه وأذنيه ويده ، وليس هو الذي يقرأ ويرى ويسمع ويكتب له الآخرون ، ولا هو الذي يفعل ذلك بعيون وآذان وأيدي الآخريين ؟ هل يمكن أن يرى أو يسمع انسان بالتعليم ؟ ولو رأى أو سمع بالتعليم فهل يمكن أن يكون أو يحسب رائيا أو سامعا ؟

أجل ، أنه لن يكون مؤمنا الا من صنع هو ايمانه لا من صب أو استفرغ فيه ايمانه أو صنع له أو أوحى اليه أو علمه أو امر به أو روي له أو ورثه أو وصل اليه تقليدا واستمرارا .

والمحد أعني به غير المقلد قد فعل الحاده أي ايمانه ، فعله برؤيته وتفكيره ومحاكماته ومحاسناته وباشتراطاته الحادة على عقله وأخلاقه ونماجه المختلفة .
 • باشرطاتها عليه • ولا بد من الاعتراف بأنه ليس كل ملحد ملحدا .
 ان كثيره من الملحدين ليسوا ملحدين وإنما صب فيهم الاحاد صبا ، لهذا فمهم ليسوا مؤمنين .

ان المحد أنسان قد خرج من كل أكواخ وخيام وعباءات آباءه وأنبيائه وتاريخه لانه لم يجد في هذه الاكواخ والخيام والعباءات الجمال أو الفن أو المنطق أو الراحة أو الابداع أو الشروط التي يفهمها ويشترطها ويطلب بها . . . لقد وجدها خروجا على كل نماجه ورؤاه وأخلاقه ، على كبل اشتراطاته الفنية والعقلية والجمالية . . .
 انه انسان قد هاجر من عيون وعقول وقلوب وضمائر وأخلاق وسطور ومحاريب مجتمعه وتاريخه وصحرائه الى عينيه هو والى عقله وقلبه وضميره وأخلاقه ووجوده وحياته والى جميع اشتراطاته الخاصة المتعددة .

لقد ألقى بين يديه بكل ما استفرغ وبصق في رأسه وهجم عليه يراه ويقرؤه ويفسره ويحاسبه ويحاكمه ويحاوره ، بكل الشراسة والجرأة والحماس والصق ، بعينيه وفكره وشروطه وتجاربه وأخلاقه وبكل أمانيه وأشواقه ولهفاته .
 لقد ألقى أمامه على الارض بكل البصاق والاستفراغ الذي صب في رأسه دون أن يفهم أو يريد أو يرفض ودون أن يكون خصما أو عدوا لمن بصقوا أو استفرغوا عليه وفيه ؛
 لقد أقتحم رأسه ، متخطيا متحديا هازما لكل أنواع الحراسات والحصون المقامة حوله والمضروبة عليه ليخضع كل ما ألقى وتجمع فيه لاقسى عمليات التفتيش والاختبار ، ليرى ويعرف ويقتنع ويختار فيؤمن ، يؤمن بما رأى وعرف وأقتنع وأختار .
 • أليس أنبل الاقتحامات هو اقتحام المرء لرأسه لمحاوره ومحاسبة ما ألقى وتجمع فيه ؟ وهل يكون انسانا من لم يقتحم رأسه لتطهيره من الجثث الملوثة له ؟
 ان من يزعم ويحسب ملحدا ليس الا انسانا قد رفض ان يكون أو ان يظل مبصوقا مستفرغا في رأسه ليكون رائيا عارفا مختارا مقتنعا مؤمنا .

لقد تخطى طور من يبصق ويستفرغ فيه الى طور من يؤمن ، الى طور من يفعل رافضا طور من يفعل به ، رافضا أن يظل رأسه مقبرة تاريخية للمفونات المبصوقة .

لقد رفض أن يظل شيئا يستقبل الأشياء ملقاة فيه كما تلقى فيه ليصبح انسانا يستقبل الأشياء بالرؤية والفهم والاختبار والافتقار ثم بالايمان المفهوم منطقته واسبابه ، ثم بالايمان الراض التقبلي . وهل يكون الايمان الا رفضا وتقبلا ؟ ان الايمان مؤلف دائما من شيئين : الرفض والتقبلي أي الذاتيين الفعولين المفهومين المختارين ذاتيا لا المستفرغين المبصوقين .

ان من يؤمن دائما وفقط لن يكون مؤمنا وكذلك من يرفض دائما وفقط . ان الذين يؤمنون بشيء ما دائما في كل أطوار ومراحل حياتهم بدرجة واحدة واقتناع واحد من قوة الايمان ، واصفين ورائين لما أو لمن آمنوا به رؤية وأوصافا واحدة لا تتغير ان هؤلاء لن يكونوا مؤمنين .

ان الايمان لا بد ان يكون متحركا قوة وضعفا ، صعودا وهبوطا ، ولا بد ان يكون مرتجفا رضا وغضبا ، فرحا وخوفا ، تقبلا ورفضاً ، إعجابا واشمئزازا ، رؤية للجمال ورؤية للدمامة ، والا فلن يكون ايمانا . ان الذي يرى آلهه أو معلمه أو دينه أو مذهبه في صورة واحدة دائمة ثابتة من الجمال أو القوة أو الذكاء أو النظافة لن يكون مؤمنا .

ان الآله أو النبي أو المعلم أو الدين أو المذهب الذي تراه دائما رؤية واحدة في لقناعها وجمالها واعجابها وقوتها وثباتها ، لن يكون أي هذا الآله أو النبي أو المعلم أو الدين أو المذهب الا حجرا وانك أنت أيها المؤمن الرائي لن تكون لك تفاسير أو عيون أو ايمان أكثر أو افضل أو اذكى مما للحجر من ذلك . . .

ان الايمان ليس الا تعاملات وتجاوزا مع ما نؤمن به ، تجاوزا وتعاملا بالرؤية والفكر والقلب والضمير والاخلاق وبالشروط القاسية الملتزمة . وأي آله أو نبي أو قائد أو دين أو مذهب يحكم عليه بهذا الايمان به ليس محتوما ألا تكون احتمالات نجاته من الرعب والضياح والتمزق والتشوه واحتمالات بقاءه في مكانه وذاته وصورته الدائمة افضل من احتمالات أن ينجو من كل ذلك من يوضع تحت اعصار هائل دائم أو فوق مركز زلزال هائل دائم النشاط والعمل ؟

انه لا شيء يستحق أفسى المحاسبة والمساءلة الشاملة الدائمة الحازمة مثل الآله أو الدين أو المذهب الذي نؤمن به أو نريد أن نؤمن به أو نجد أننا قد آمننا به مستقرغا مبصوقا في رؤوسنا . . . اذن هل يمكن تصور ما يستحق كل الرثاء والاشفاق مثل ما نؤمن به أو من نؤمن به حين يكون ايمانا محاورا ومساءلة ومحاسبة وتحديق شجاع صادق ؟ ولكن كم هي حظوظة الايمان محاورا والنسبوات والزعامات والمعتقدات لان الناس لا يؤمنون بها هذا الايمان . . .

أنه أي من يحسب ويدعى ملحدا ليس ألا انسانا رفض منطقته وضميره وصدقته وشجاعته وكرامته وأخلاقه وشرفه الانساني أن تكون آلهته أو انبيأؤه أو عقائده أو مذاهبه أو انتماءاته جثنا تاريخية تلقى القاء ، أو أن يكون رأسه مقبرة للجثث المكفنة بكل العفونات والعامات والجرائم التي حبل بها وحملها كل جسد التاريخ المصاب بكل الاوبئة والآفات والتشوهات المعروفة وغير المعروفة ..

وهل كان رجالنا التاريخيون الخالدون العظام الذين جاءوا ليعلمونا الايمان بهم وباربابهم وأشباحهم واديانهم وكتبهم المقدسة وبمذاهبهم بكل تعاليمهم .

هل كانوا جميعا الا ناقلين أينا كل ما كان في جسد التاريخ من قبح وتلوث وعجز ووباء وأخطاء ؟ بل هل كانت لهم قضية أو رسالة أو نفع أو تفسير غير ذلك ؟ لقد كانوا أقوى الاجهزة وأغلاها ثمنا لتوصيل أردا الاشياء أينا ..

تذكر ايها المؤمن . أن نبيك أو معلمك أو دينك أو مذهبك ليس ألا ناقل عدوى تاريخية شاملة اليك . تنبه ايها المؤمن !!

**

اذن لقد فصل في قضية الايمان وجاء الحكم فيها أن من يحسب ويدعى ملحدا هو المؤمن ، أما من يحسب ويدعى «مؤمنا» فليس الا مبصوقا في رأسه . وهنا ويتكرر لا بد من القول بأنه ليس كل الملحدين ملحدين بهذه التفاسير بل الكثيرون ممن يحسبون ملحدين ليسوا الا مبصوقا في رؤوسهم مثل من يحسبون مؤمنين ..

ولكن ما الرأي أو الحكم في قضية الاخلاق بعد قضية الايمان ؟ ايها ، أي من يحسب مؤمنا ومن يحسب ملحدا ، أقوى وأذكي حسا واشترطا أخلاقيا ورؤية واشواقا أخلاقية ؟

ايهما ينتظر منه ويفترض فيه أن يكون أتقى وأقوى أخلاقا وأقدر على أن يكون كذلك وأبعد عن المنطق وعن التوافق مع الذات اذا لم يكن كذلك ؟

أنه لمن الصعب أو المستحيل أن يوجد من يتقبل أو يتحمل حتى الاستماع الى هذا التساؤل ، اذ لم يوجد من يتعلم ويعلم ويقتنع بأن الايمان أي المزعوم ايمانا هو المبتكر والواهب والمعلم والمؤكد لكل الاخلاق ، وأن الالحاد أي الخروج على هذا الايمان المبصوق هو الخروج الشامل البذيء على جميع الاخلاق ، على جميع القيم الانسانية العظيمة ..

ولكن لو حوسبت هذه القضية ووضعت تحت التفكير من جديد فماذا يمكن أن تكون الرؤية والرأي لها وفيها ؟

أريد أن أحكم هنا قبل أن أذكر الأسباب والأدلة فاقول أن الاحاد أي ما يحسب ويزعم الحادا ليس إلا رؤية وموقفا أخلاقيين أو لا بد من افتراضه وتفسيره كذلك . أما الايمان أي البصق في الرؤوس المزعوم أي مانا فلن يكون إلا عجزا عن كل الرؤى والمحاسبات والاشترطات الاخلاقية ، لن يكون إلا فقدا لكل الحس الاخلاقي ، أو لن يفسر أو يفترض أو يفهم إلا بأنه كذلك .

ان من يدعى ملحدا قد قرأ وحاكم وحاسب وفسر هذا الكون الذي هو كل عبقرية الآله وفنه وحيه وضميره وأخلاقه وقدرته . فوجده فضيحة أخلاقية لا تتنافسها أو تشبهها أية فضيحة أخرى واقعة أو متصورة . وهو أي المزعوم ملحدا يفرض على كل الاشياء حتى على الآلهة ويفترض فيها أقسى الشروط والنماذج الاخلاقية لان في داخله حسا واشترطا أخلاقيين . . . والانسان أي انسان لا يمكن أن يرى الاشياء أو يحاسبها خارجا من كل ذاته .

لهذا أصرخ قائلا : كلا ، ايها الكون السخيف الاليم الوقح ، انت لست عطية آله ، وليس فوقك أو حولك أو معك أو فيك أي آله لان الآله لا بد أن يكون اخلاقا . اني لن أتصوره أو أفهمه أو أتقبله أو أفسره الا كذلك .

أنك اذن ايها الكون القبيح لنفي حاسم شامل قاسي لكل احتمالات أي آله . ان أي آله بل ان اي كائن مهما كان هبوطه وضعفه لن يقبل أن يكون عقله أو موهبته أو خلقه أو فنه أو شاعريته أو حتى عبثه أو لعبه أو مسلاته . . .

اني لا امك الوقاحة الاخلاقية التي تجعلني أجد في هذا الكون أي تفسير أخلاقي أو اية صيغة اخلاقية أو تجعلني أتصور أو أتقبل الآله خارجا على كل التفاسير والصيغ والمستويات الاخلاقية

اني لا استطيع الهبوط الى هذا للحضيض في اخلاقي أو تصوراتي أو تفكيري أو في تفسير من تفاسيري .

أما المؤمن أي المحسوب مؤمنا لانه قد بصق في رأسه فلا بد من تفسيره بأحد هذه التفاسير الثلاثة : أما أنه قد وجد كل ما في الكون قمة اخلاقية أو أنه وحده خروجا على كل التفاسير والقيم الاخلاقية ولكنه لا يشترط أو يفترض في الآله أو له أية شروط اخلاقية من أي نوع ولا بأي قدر ، أو أنه لا يرى الاشياء أو يقرؤها أو يحاسبها قراءة أو رؤية أو محاسبة أخلاقية لانه هو فاقد لكل الاحاسيس والتطلعات والاشترطات والاشواق الاخلاقية . اذن كيف يكون

الشيء أو يبدزم بالشيء أو يخاطر ويتقاسي ليكون الشيء الذي لا يحسه أو يشترطه أو يتطالع ويشتاق إليه ؟ كيف يمكن أن يحدث هذا أو ينتظر ؟

الذي لا يشترط أو يفترض في الكون أو في أي شيء بل أو في الآله بل أو ينتظر منه أو يطالبه أن يكون اخلاقيا ، وكذلك الذي لا يرى أو يقرأ أي شيء رؤية أو قراءة أخلاقية لأنه هو فائق كل الاحاسيس والاشواق والتمنيات الاخلاقية - مثل هذا الانسان كيف ينتظر منه أن يكون اخلاقيا ؟

نعم ، انسان يرى الكون كله قمة أخلاقية في جميع صيغه وتفاسيره كيف يمكن أن يكون هبوط وفساد وعيه وتفاسيره وتصوراته للاخلاق ، أو يرى كمال الآله ومجده وحبه ومسراته وشهوته في أن يكون بلا أي قدر من الاخلاق كيف يمكن أن يتصور أو يعتقد أنه هو ملزم بأي قدر أو أسلوب من الاخلاق أي بأن يكون هو ملزما بكمال لا يلتزم به الآله بل ولا يفترض فيه أو يراد منه ؟

كيف ينتظر ممن يرى الآله خروجاً شاملاً على كل الاخلاق ، بل ممن يرى أن كل كمال الآله ومجده وعظمته وحبه وفنه وبراهين وجوده ومسوغات الايمان به والعبادة له في أن يكون خروجاً شاملاً على الاخلاق كلها .

نعم ، كيف ينتظر ممن يرى ذلك أن يكون هو أخلاقيا أو ألا يكون عدواً للاخلاق أو أن يكون محكوماً بأي احساس اخلاقي أو رؤية اخلاقية ؟

كيف حدث أو يمكن أن يحدث هذا ؟ هل فقد كل الناس كل المنطق ، في هذه القضية بل وفي قضايا أخرى بل في جميع القضايا ؟

كيف أمكن أن يخطئ أي منطلق في هذا أو في أي شيء منه ؟

كيف أمكن أن يخطئ في أن هذا الكون خروج شامل وقسح على كل الاخلاق ، أو في أن مرید هذا الكون وصانعه وحاكمه خارج بكل الوثاقحة والوحشية على جميع التفاسير الاخلاقية ، أو في أن من يرى فيه أي في الكون أية صيغة اخلاقية لا بد أن يكون فاقداً لكل احساس اخلاقي ولكل رؤية اخلاقية ، وكذلك من يرى أنه من المقبول أو المغفور أو المحتمل أن يكون الآله بلا أية اخلاق ، أو في أن من يرى هذه الرؤية للكون والآله ويفقد كل الاحاسيس والرؤى الاخلاقية لن ينتظر منه أن يكون أخلاقيا بأية صيغة أو تفسير ؟

كيف أمكن أن يخطئ في أي شيء من هذا أي انسان مهما كان فاقداً للرؤية والحاسبة؟ أن افترض الكون اخلاقيا مستحيل ، وكذا مستحيل افتراضه غير اخلاقي مع افتراض صائغه وحاكمه الآله اخلاقيا ، وكذا افتراضه أي الآله غير اخلاقي وغير

مطالب بأن يكون اخلاقيا ، وكذا مستحيل أن يكون ذا حس اخلاقي أو رؤية أخلاقية من يرى للكون اخلاقيا أو يراه غير اخلاقي مع رؤيته للآله أخلاقيا ، أو يراه أي يرى الآله معنى من أن يكون أخلاقيا ومغفورا له ألا يكون ذلك بل ويرى كل عبقريته ومجده في ألا يكون ذلك ..

كذا مستحيل أن يكون اخلاقيا من فقد كل الرؤية والحس الاخلاقيين ..

اذن مستحيل أن يكون المؤمن اخلاقيا أعني المؤمن باخلاقية الكون أو بخروجه على الاخلاقية مع اخلاقية الآله أو باعفاء الآله من أن يكون أخلاقيا • أي أعني المؤمن بتفاسير الانبياء والاديان للمؤمن والايمان • أن هذا المؤمن لن يستطيع أن يكون أخلاقيا الا اذا كان خارجا على أيمانه هذا • ان سلوكه الاخلاقي اتهام وتجهيل لايمانه ..

• نعم ، كل هذا مستحيل أن يكون فيه شيء من الصدق أو الذكاء أو المنطق أو الصواب أو الرؤية أو المحاسبة ..

انها لقمة البلادة والعمى ان ترى الكون اخلاقيا أو أن تراه غير اخلاقي ثم ترى الآله اخلاقيا ، أو أن ترى الآله غير اخلاقي ثم ترى أنك أنت تستطيع أن تكون اخلاقيا أو أن عليك أو أن من الامتض والاكرم والاجدر بك ولك أن تكون اخلاقيا • وانها لقمة الزندقة والهجاء للآله أن ترى اخلاقيته في أن يكون غير اخلاقي ، أو أن ترى أن عليك أن تكون أنبل اخلاقا من الآله ..

نعم ، أنه لا قسى سباب لـك أو لآلهك أو لكما معا أن يكون أي آلهك غير اخلاقي ثم تكون أنت اخلاقيا أو ترى أن عليك أن تكون كذلك • وانه لا قسى سباب لذكائك ولاخلاقك أن ترى الكون أو الآله اخلاقيا • انها لورطة لن يستطيع المؤمن الخروج منها الا بأن يفقد كل الرؤية والذكاء والصدق والحس والمحاسبة لأي شيء •

اليس المفروض عليك والانتقى لك أن تخرج على كل الاخلاق بل ان تعادي وتقاوم كل الاخلاق ان كان الهك بلا اية اخلاق أو ان كنت تراه كذلك لثلاث تكون أو ترى نفسك أفضل أو اتقى منه ؟ نعم ، أليس أيمانك يفرض عليك ألا تكون أنتقى لو أنبل من آلهك ؟ ثم اليس هذا يعني ألا يوجد مثلك احتياجا الى معاداة الاخلاق والى الخروج عليها ؟

نعم ، أنه ليجب عليك أن تعتقد أن الآله لن يعادي أحدا أو شيئا مثلما يعاديك أو مثلما يجب أن يعاديك حين تحسب أن عليك أن تلتزم وتفعل من جيد الاخلاق ما

لا يلتزم أو يفعل هو أو أن تتجنب وترفض من سيء الاخلاق ما لا يرفض أو يجتنب هو . أنك لن تستطيع أن تنجو من هذا وهذا : من أن ترى الكون قمة المجد الاخلاقي أو أن ترى الآلهة قمة الفجور الاخلاقي .

ولكن هل تستطيع أن ترى شيئاً من هاتين الرؤيتين ؟

كيف ترى أنه خروج على كل الاخلاق والتقوى والرحمة والنبيل أن تؤذي أو تحقر أو تشوه أو تمرض أو تقتل أو تعذب أو تخيف أو تجيع أي كائن ، أي كائن بريء أو أن تكون مستطيعاً لانتقاده ثم لا تنفذه ، وترى أنك فاجر ونذل ووحش لئيم لو أنك فعلت ذلك أو شيئاً منه ، أو لو أنك لم تفعل هذا الانتقاد وأنت تستطيعه - ثم ترى ان الآلهة هو كل الاخلاق والحب والنبيل والرحمة مع أنه أو لانه يفعل كل هذه القباحت والجرائم ولا يفعل هذا الانتقاد الذي يستطيع أن يفعله بلا أية مفاسة أو خطأ أو زمن أو تخطيط بل بالمشيئة والكلمة السريعة غير المختارة أو الانيقية ؟

نعم ، وأنتك لترى هذا وهذا .

كيف ترى أنك لا بد أن تكون وأن ترى نفسك ويرلك الآخرون ندلاً ودميماً وعابئاً وسفياً وجائراً لو أنك أردت أو دبرت أو صنعت الدمامات والعبث والسفه أو لو أن متألماً أو مكروباً أو خائفاً أو مظلوماً أو جائعاً أو ضالاً دعاك وتضرع اليك وهتف واستغاث بك ثم لم تستمع إليه أو تستجب له أو حتى تترث أو ترق له وأنت قادر أن تفعل له كل ما يريد دون أن تقاسي أو يؤخذ منك ، أو لو أنك فرقت وميزت بين متساويين بأن أردت ودبرت وأستهيت وجعلت أحدهما سوياً ذكياً قوياً جميلاً سعيداً كريماً ثم فعلت بالآخر وأردت ودبرت وأستهيت له نقيض ذلك ؟

نعم ، كيف ترى نفسك وترى كل الآخرين أمثالك هذه الرؤية بكل محاسباتها ومحاكماتها ولحكامها ولكنك لا ترى الآلهة شيئاً من هذه الرؤية ولا تحاكمه أو تحاسبه أو تحكم عليه بشيء من محاكماتها أو محاسباتها أو أحكامها ؟

نعم ، أنك لترى نفسك وكل أحد هذه الرؤية دون ان ترى الآلهة بها . . .

لقد رأيت الآلهة وقرأه دائماً يريد ويدبر ويشتهي ويفعل كل الدمامات والتشوهات والعبث والسفه ويفرق بين المثليين بكل القسوة والفظاظة والتبع بادناً مخططاً ، ورأيت وترى دائماً جميع المتألمين والخائفين والمكروبين والمظلومين والصلابين والضائعين يدعون ويستغيثون ويهتفون به بكل مشاعر اللهفة والامل والايمان والحرارة والصدق والخنوع والهوان والسقوط والتمزق والذلة والتذلل والامتضاح

والتنازل عن كل مستويات الكرامة والكبرياء والذكاء والاستحياء والشجاعة والرؤية للذات ٠٠ دون أن يسمع أو يستجيب أو يرق أو يرثي أو يبقي أو يهرب أو يختفي أو ينتحر خجلا واشمئزازا من صممه أو عجزه أو قسوته او نذالته . كيف أمكن أن يقبل الآله نفسه أو أخلاقه أو أفعاله أو ان يغفرها او يغفر لها أو يصبر عليها أو ألا يتخطاها ويخرج عليها ولو بالانتحار أو بالهرب من كل هذا الكون ؟

انه لشيء مهين أن يكون قد بقي انسان واحد يرى أو يعتقد أن للآله سمعا أو قلبا أو ضميرا أو رؤية أو قدرة أو وظيفة أو اي قدر من الاخلاق أو العواطف وهو يرى كل افواج وطواير كل المكروبين والخائفين والمتعذبين والمظلومين المسحوقين المتالمين يئنون ويصرخون ويهتفون ويدعون ويصلون وينتظرون ويؤمنون ويؤمنون دون أن يسمع أو يستجاب لواحد منهم تحت أي ظرف أو في أي وقت . هل يوجد من يحقر الآله ويحقر نماذجه مثل من يراه أو يعتقد يرى ويسمع ويستطيع ثم لا يستجيب ولا لواحد من الهاتفين الضارعين المستنجدين العرقي في كل بحار الذعر والعذاب ؟

ان على من يشك في ذلك أن يجرب ، أن يدعو ويتضرع ويهتف ويستغيث ويصرخ ويئن بكل قلوب وضمانر وتقوى ولغات وصدق كل الانبياء والقديسين متوجها الى ذلك الجالس بكل استرخاء وخمول فوق السماء ثم لينظر هل يمكن أن يسمع أو يستجيب . ثم لينظر هل يمكن أن يجد مستمعا أو مستجيبا ؟

اني أطلب من كل المؤمنين بل من كل العالمين أن يجربوا هذه التجربة المكررة ابدا ، أن يجربوها على هذا الانسان الذي أتصوره وأفترضه وأصف آلامه ٠٠

هذا الانسان مصاب بعاهة او تشوهات او اخطاء بدنية خطيرة وأليمة وقبيحة بكل القبح ، عجز كل الطب والعلم عن علاجها ويئس من شفائها أو رفض علاجها وشفاءها أو لم يحاول أن يعالجها ويشفي منها ، أو لانه لم يجدها أو تجده

ليذهب هذا الانسان ومعه كل المؤمنين بل كل العالمين يحملون كل الكتب

المقدسة ، الى كل المعابد ، ليدعوا ويهتفوا ويستجدوا ويئنوا ويصرخوا بكل الاصوات واللغات والقلوب والضمانر ، طالبين ومنظرين ومؤملين الشفاء لهذا الانسان ، يصنعه له ذلك الكائن النهائي المتفرغ المنتظر لمن يطلبون منه لكي يستجيب ويفعل لهم بكل السرعة والنخوة والشهوة والقوة والنشوة والفرح

ثم اطلب منهم أن يحاسبوا ويحاكموا ويقرأوا ويحاكموا ويقرأوا ويفسروا

انفسهم وایمانهم وذلك الكائن المدعو المرجو - اطلب منهم أن يفعلوا كل ذلك بكل

الصدق والعدل والشجاعة ٠٠٠

ثم اطلب منهم أن يسألوا كل ما فيهم من احتمالات الذكاء وللصدق والرؤية ليقول لهم ماذا وجدوا . . .

عجبا ! . . هل الانسان بليد أو متبلد أو متبالد أو عاشق مريد للبلادة لو اعمى او باحث عن الغواية والضلال والعبث الى كل هذا الحضيض ؟
اذن كيف صنع عبقرياته وانجازاته المذهلة ؟

انه لا يوجد شيء لم يكن يجوز أو يقبل أو يحتمل أن يخطئ فيه انسان واحد ومع هذا اخطأ فيه كل البشر في كل التاريخ ، ولا يزالون يخطئون فيه ، مثل الاعتقاد بأنه يوجد كائن أعلى مطلق فوق وخارج الاسباب والقوى المرئية ، يسمع ويستجيب ويستطيع ويفعل كل ما يراد ويؤمل منه ويشكى منه اليه ، بالصلاة والدعاء والبكاء والتخضع والتذلل والمسكنة وبالسقوط الى الارض ركوعا وسجودا وانهيارا بل وبكرامة وسب الاخرين المخالفين ، لان المؤمنين بهذا الكائن الاعلى المزعوم يرون أنه يفعل ما يطلبه منه بارضائه وهم يرون أن كراهة الاخرين المخالفين وسبهم يرضيانه .

انه لو جاز أن تغفر أو تعذر أو تسامح كل الاخطاء أو حتى تفسر لما كان ممكنا أو جائزا أن يغفر أو يعذر أو يسامح أو يفسر هذا الخطأ اي الاعتقاد بأن فوق هذا الكون كائنا أعلى مطلق يفعل ويهب وينفذ بالدعاء والبكاء والتذلل وبالطلب منه . أنت تدعو وترجو لكل مشاكلك وآلامك واحتياجاتك وشكاياتك من دعوت ورجوت كل حياتك دون أن يسمعك أو يرد عليك أو يستجيب او يفعل لك أي شيء دعوته ورجوته لفعله . ومن رأيتة وعلمته يفعل مع كل من يدعونه ويرجونه مثل الذي فعل معك وبك . .

نعم ، أنت تفعل ذلك . . أصحيح أنك تفعله ؟ حدق في نفسك بقسوة !! وهل تستطيع أن تحدق في نفسك ؟ هل يوجد من يستطيعون التحديق في انفسهم ؟ اذن هل يوجد مثلك سخفا وغفلة وبلاهة وعبثا وضياعا بل وعمى وبلادة وهزلا وسخرية ؟ هل يوجد مثلك ساخرا بكل القسوة من نفسه ؟

اذن لماذا لا تدعو الحجارة لتفعل لك ما تريد وتدفع عنك ما تكره وتوفض وتخاف ؟ هل جربت فوجدت ان هذا الكائن الاعلى المزعوم يسمعك ويستجيب لك أكثر أو أقدر مما تفعل الحجارة ؟ حاول أن تجرب ذلك مرات أخرى واشهد على تجاربك كل من شئت من كل العالم ، ثم أحكم بصدق وشجاعة وليحكم معك كذلك كل شهودك .

احكموا هل هذا الكائن الاعلى المزعوم يسمع أو يستطيع أو يفعل أكثر من أي حجر ؟ أليس الفرق بينهما أن الحجر حجر مرثي أما ذلك الكائن الاعلى المزعوم فحجر غير مرثي ولا يستطيع أن يكون مرثيا ؟

الليست دعوة المرثي الذي لا يستجيب معذورة أو مغلوبة أو فنية شاعرية أكثر من دعوة من لا يمكن أن يستجيب أو أن يكون مرثيا ؟ ألسنت تظل معقولا أو مقبولا حين تهتف بالنجوم أو الاطلال المرثية ولكن هل تظل كذلك لو خاطبت الاشباح الاسطورية غير المرثية ؟

وكم كان مفروضا بل ومحتوما أن تنشأ الجمعيات وتعقد الندوات والمؤتمرات العالمية والمحلية الدائمة المؤلفة من كل ألوان العلماء والمفكرين والنفسانيين ، ليدرسوا ويعرفوا ويفسروا هذه البلاهة أو الآفة أو الظاهرة التاريخية العالمية . . ليدرسوا ويعرفوا ويفسروا كيف أمكن أن يحدث هذا ، أي أن يظل كل البشر في كل التاريخ يدعون ويرجون وينتظرون من يعرفون بكل تجاربهم الدائمة الاليمة أنه لم يسمع أو يستجب لواحد منهم في أي وقت ، في أي طلب ، تحت أي ظرف ، وأنه لن يسمع أو يستجيب في المستقبل لاي واحد منهم لأنه لم يسمع أو يستجب في كل الماضي والحاضر لهذا الواحد منهم ؟ نعم ، أنهم جميعا ليعرفون أنه لا يسمع ولا يستجيب ولا يستطيع بل ولا يرى . لهذا أمكن أن يحيوا ويتصرفوا كما يحيون ويتصرفون وأن يتعروا ويتلوثوا داخل عينيه وضميره دون خشية أن يفتقوا عينيه أو يحرقوا ضميره أو يفجروا غضبه أو يثيروا أحزانه .

اذن كيف لم يحدث ما كان مفروضا ومحتوما أن يحدث ؟

هل هي غفلة عالمية ؟ هل هو تأمر يتأمره الانسان ضد نكائه ومنطقه وجده وصدقته ، ضد كرامته الانسانية وضد حضارته وعبقرياته ؟

هل هو جمال أو حاجة أو ضرورة أو فن أو شاعرية في الحياة ولها وفي الانسان وله أن يكون أي الانسان ممارسا بكل الافتضاح والديمومة والعالمية للبلادات والبلافات والآفات والسخافات والعبث والجنون ؟ هل الانسان لا يستطيع أن ينام أو يأكل أو يفرح أو يمارس الجنس ببذاءة أو يحب أبناءه الا بأن يكون بليدا وعبثا وسخيفا ؟

نعم ، افواج هائلة متتابعة متكررة من البشر العقلاء أو المفروضين عقلاء وجادين ، تذهب بديمومة ومهابة الى المعابد لتقييم الاحتفالات والصلوات طالبة مؤملة منتظرة كل شيء ، كل المستحيلات ، بالدعاء والبكاء والمناشدة الذليلة البائسة ، من كائن

يعلمون جميعا بالتجارب القاسية المستمرة أنه لن يسمع أو يفعل شيئا مما يطلب ويؤمل وينتظر منه . . . لتحول هذا الهزل السخيف العقيم الى طقوس مهيبه مقدسة، مفسرة بكل تفاسير التقوى والعقل والجد والوقار . هل في سلوك الحشرات من الافتضاح مثل ما في هذه الطقوس ؟

ان كل ما في الحياة والاشياء والانسان من احتمالات الذكاء والمنطق والجد والصدق ليتحدى كل من قد يزعم ان لذلك تفسيراً مقبولاً او معقولاً او مغفوراً الا ان يكون بحثاً عن العبث والضياح والضلال والاستفراغ للذات باي اسلوب وبكل اسلوب بيل وبلا أي اسلوب . . . هل لاي شيء هدف او تفسير او وظيفة غير ان يتحول الى استفراغ ؟ اليس الاستفراغ للذات باي اسلوب وبكل اسلوب وبلا أي اسلوب هو المنطق الشامل للحياة ؟

نعم ، هل وقعت على الانسان اعجب واطغر واقتوى عملية سحرية كونية في هذه القضية ؟ نعم ، هل يمكن تفسير هذه القضية بغير الاقتناع بان البشر لا بد ان يكونوا مسحورين في كل قضاياهم او في بعضها والا فلن يقبلوا انفسهم ؟

ان مما يضحك قبح هذا العبث او البله او الجنون او من بشاعة هذه العملية السحرية المفترضة ان جميع من يدعون ويرجون هذا الكائن الاطلي المزعوم يتصرفون جميعاً تصرف من لا يشكون في ان هذا الكائن لن يسمع او يستجيب ولا مرة واحدة لشيء مما يدعونه ويرجونه له . . . انهم جميعاً بكل اعماقهم وتوقعاتهم واحساساتهم المتنوعة وسلوكهم في كل اتجاهاتهم المؤلمة واليائسة ، الراجية والخائفة لا يختلفون عن من يتعاملوا او يتحاوروا او يتخاطبوا بعقولهم او صلواتهم او نياتهم او دعواتهم وتأميلاتهم مع هذا الكائن قط . . . ان اي نبسي ليهرب بكل الذعر من الخطر المشهود المناشد لآلهه بالحماية منه أكثر مما يهرب من ذلك أي صرصار . . .

ان أقوى الناس ايماناً لن يكون خوفه او فراره من الخطر او الالم المرثي او المتوقع او توقعه لهذا الخطر او الالم الذي يناشد آلهه لحمايته منه اقل او اعقل من خوف او فرار او توقع من لا يؤمن ولا يدعو . كما ان أي مؤمن يدعو ويناشد آلهه طالبا منه ان يضرب هذا الكون بكل الزلازل والبراكين والاعاصير والابوثة وبكل صيغ ومعاني الدمار ، لن يكون خوفه وتوقعه الاليم واستعداده للفرار اعظم او اعرق من خوف وفرار وتوقع أي مؤمن يدعو ويناشد آلهه بكل الالهة والتضرع والحب ، طالبا منه ان يحمي كل شيء وكل أحد من كل الهم وخطر وخراب

وقرئ و ايداء . ان وجود الآله المدعو السامع المستجيب الفعال لسواء في كل النفوس اي لفقود منها كلها . . انه مدعوا وسامعا ومغيثا وفاعلا لا وجود له في سلبوك او حسابات او حياة اي انسان .

ان اي مؤمن يدعو ويقول : آلهي اغرقنا بالطوفان لن يكون انتظاره واستعداده لمجيء الطوفان وللإحتماء منه اكثر من استعداد وانتظار واحتماء اي مؤمن آخر يدعو ويناشد آله طالبا منه ان يحمي من كل طوفان ، وان هذا المؤمن الضارع الداعي طالبا الحماية من الطوفان لن يتوقع الا يحدث اي الطوفان الامثل توقعه لو أنه صمت عن كل دعاء ومناشدة وتضرع . .

ان اي مؤمن أسود الجلد او قصير القامة يظل كل حياته يناشد كل الآلهة بكل لهفاته وضراعاته طالبا ومؤملا منها أن تطيل قامته او تصبغ جلده باللون الابيض لن يكون توقعه او املة او انتظاره او استعداده لابيضاض جلده وتطاول قامته أقوى من توقعه او املة او انتظاره او استعداده لهذا الابيضاض والتطاول في القامة لو أنه ظل كل حياته يناشد آلهته بكل لهفاته وتضرعاته طالبا منها أن تزيد لونه سوادا وقامته قصرا . . أن جميع المؤمنين ليعرفون ان دعاء الآله بأن يزيد عدد النجوم لا يساوي الا ما يساويه دعاؤه بأن ينقص عدد النجوم اي في الاستجابة . .

ان دعاء الآله للنجوم او ضدها لا يساوي الا ما يساويه دعاؤه لاي شيء او ضده . ان اي مؤمن ، نبي او قديس ، لن يقيم حساباته على أن عدوه قد يموت او لا بد أن يموت موتا عاجلا لانه يطلب له من آلهه هذا الموت العاجل اكثر مما يقيم حساباته على هذا الموت العاجل لعدوه لانه يطالبه الهه بطول العمر او لانه لا يطالب له لا بهذا ولا بهذا ، ان دعاء اي نبي او قديس لا يساوي في توقعاته غير نفس الدعاء . .

في البدء ، بدء الدين الاسلامي كانت المحاورات المتحولة الى اقصى التحديات تتصارع بكل العنف بينه وبين مخالفيه ورافضيه .

كان الاسلام يحاورهم بل يتحداهم بأقوى ما يعرف ويستطيع من المنطق ومن وسائل الاقتناع بل والقهر لهم اي لمنطقهم وعقائدهم اي فيما يحسب . كان يناضل بكل طاقاته ولهفاته لابطال اوثانهم وللتدليل على انها اي اوثانهم زائفة مخجلة . .

كان لكي يقتل اقتناعهم بها بل لكي يقتلها هي ، يلجا الى اساليب التحدي المباشر المنازل الراضي كل الرضا عن نفسه وعن قدرته على ان يهزم وينتصر ويسكت ويقنع .

كان يرى انه قد وضع كل رقابهم في اقوى المشائق وتحت كل شفرات كل السيوف حينما كان يقول لهم بأسلوب ونيات التحدي القاهر - يقول لهم كما حتى القرآن : « ادعوهم فليستجيبوا لكم أن كنتم صادقين » ، اي ادعوا اربابكم .. ويقول : « اسالوهم ان كانوا ينطقون » ، ويقول : « ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم » ، ويقول : « ومن اضل ممن يدعو من لا يستجيب له الى القيامة » ، نعم ، انه لا اضل ممن يفعلون ذلك .. ولا اضل ممن يرى هذا الضلال في الاخرين ولا يراه في نفسه .

اذن فالقرآن يرى بكل الحسم واليقين والانبهار برؤيته أن من لا يستجيب للدعاء أو يسمعه أو ينطق ردا على السؤال الوجه انيه فهو باطل وعاجز وخاسر الايمان والافتناع به وكذا دعاؤه أو مخاطبته . انه لا اختبار معقول ومنصف أو يجب أن يكون كذلك . ولكن بأية وسيلة يعرف انه لا يستجيب أو يسمع أو ينطق أو يرد على السؤال ؟ يعرف ذلك كما يرى القرآن بالاختبار والتجربة المتحدية .. أي بان توجه اليه عديد الطلبات والاسئلة المحددة ليستجيب للطلبات كما حددت وينرد نطقا على الاسئلة المحددة أيضا ، فان لم يستجب وينرد بالفعل والنطق فهو حتما لا يقدر ولا يسمع ، أي فالتوجه بالادعية او الاسئلة او الصلوات او الآمال اليه باطل ولغو وعبث وجهالة جاهلية ووثنية بدوية .

والمؤمنون ، الحاضرون والسالفون والمقبلون يرون ولا بد أن هذا المنطق القرآني المصوغ بأسلوب ونيات التحدي والتعجيز منطق تركع له كل العقول حتى اكثرها شراسة وغرورا وعصيانا وغنادا .. يرون ولا بد أنه منطق لا بد أن يؤمن ويلتزم به كل مؤمن . وصادق ومخلص ..

اذن اليس محتوما عليهم ومطلوبا منهم أن يحاكموا ويحاسبوا به الآله الاعلى المزعوم الذي يعتقدون انه يسمع من يدعونه ويستجيب لهم في كل لحظاته وحالاته دون ان يغفل أو ينسى أو ينام أو يهمل أو يعجز أو يصاب بالصمم أو يستهلك ويلهي اذنيه او قدرته او شهامته صوت عن صوت أو طلب أو استغاثة عن أي طلب آخر أو استغاثة أخرى مهما تزاخمت وتجمعت وتكاثرت على اذنيه وقدرته وشهامته ورحمته الاصوات والطلبات والاستغاثات ؟ انه الكائن العجيب الذي لا تزدهم أو تمتلى اذناه مهما تجمعت فيهما الاصوات والطلبات .. وهل يمكن أن يبقى شيء من هذه الآله الاعلى المزعوم لو أنهم أو لو أن اخرين حاكموه أو حاسبوه أو تحدوه بالمنطق الذي حاسب وحاكم وتحدى به القرآن والنبي ارباب اوثنان المخالفين والرافضين ؟ بل هل يمكن ان يبقى أي شيء من هذا الآله لو أنه رئي

او قرى، او فسر او حوكم او طولب بأي عقل او عين او تفسير او شرط او مستوى ؟ وهل يمكن أن يرى هؤلاء المؤمنون أن ارباب ومعتقدات الجاهلية ملزمة بان تحاكم وتحاسب بالمنطق والواقع والتجربة وبما تفعل أو ما لا تفعل ، دون أن يكون رب القرآن ورب النبي ملزما بشيء من ذلك ، أو أن يكون أهل الجاهلية ملزمين بذلك دون أن يكون القرآن أو النبي ملزما به أو بشيء منه ؟

كيف يكون عجز الوثن عن أن يسمع أو يستجيب أو يرد السؤال أو امتناعه عن أن يفعل ذلك دليلا حاسما على عجزه وبطلانه وعلى سخف وضلال من يدعونه أو يؤمنون فيه أو يؤمنون به، ثم لا يكون عجز الاله الاعلى ، اله محمد والقرآن عن أن يسمع أو يستجيب أو يرد على أي سؤال ، أو امتناعه عن أن يفعل شيئا من ذلك دليلا أقوى واقتل على عجزه وبطلانه وفقدانه وعلى جهل وبلادة وسفه من يظنون يدعونه ويؤمنونه ويصلون له ويؤمنون به وينتظرون منه أن ينصر أو يشفي أو ينفذ أو يفعل أي شيء بل ويزحجون مدنهم وقراهم باضخم وأغلى المعابد لئيتوجهوا منها اليه داعين شاكين بكل الهوان والانتضاح ليعطي ويحيي ؟

كيف يشترط على العاجز وفي العاجز عن أن يسمع أو يفعل أو يرد على مخاطبته - كيف يشترط عليه وفيه أن يسمع ويفعل ويرد على مخاطبته ثم لا يشترط شيء من ذلك على من لا حدود لقدرته المطلقة الشاملة ولا يشترط فيه ؟ كيف يطالب الاصم الابكم بان يسمع وينطق ويشترط لجواز مخاطبته أن يسمع وينطق ثم لا يطالب من له كل السمع والنطق بان يسمع أو ينطق أو يشترط لمخاطبته أن يسمع أو ينطق ؟

كيف يكون عجز الوثن عجزا ونفيا له ثم لا يكون عجز الآله عجزا ولا نفيا له؟ او كيف يكون صمت الوثن عن الرد أو الجواب أو الفعل دليلا على عجزه وصممه وبكمه ثم لا يكون صمت الآله عن ذلك دليلا على عجزه أو على بكمه أو صممه ؟ وهل جرب البشر مصابا بكل الصمم والبكم والعجز عن الاستجابة مثل الاله ؟ وهل هزمت أو عبثت تجربة مثلما هزمت وعبثت تجربة البشر للآله ؟

كيف أمكن أن يهبط منطق المؤمنين أو منطق القرآن أو النبي الى كل هذا الحضيض من الضعف أو من التجاوز للعدل أو من المغالطة ؟

كيف أمكن أن يكون القرآن والنبي والمؤمنون مبصرين ومنطقيين في رؤيتهم لمخالفيتهم وفي محاكمتهم لهم ، وأن يكونوا عميانا وبلا أي قدر من المنطق أو الذكاء في رؤيتهم لانفسهم ومحاكمتهم لها ؟ كيف استطاع ان يهبط بالآله ويحقره بكل هذه القسوة من صاغوا له وركبوا فيه عيونهم وعقله وأخلاقه ؟

هل المعلمون الذين يجيئون إلينا من السماء ، من وراء السحاب وفوق النجوم ليعلمونا منطق الآله وليروغونا بشمول وحدة وقسوة رؤيته لا بد أن يكونوا عميانا وخارجين على كل منطق بلا مثيل أو شبيه في عماهم وفي خروجهم هذا ؟
العرب مشهورون بتقبل المبارزة بل وبطلبها والبحث عنها واختلاق اسبابها . .
انهم صانعوا ومعلمو كل ألوان المبارزات والتحديات مهما كان عجزهم عنها وجهلهم بكل فنونها .

مهما كان محتوما أن يهزموا ويفتضحوا فيها . أن الانتصار ليس هو المطلوب بل الصهيل . انهم صاهلون ، صاهلون وإن لم يكن الجواد موجودا أو حتى مخلوقا !
اذن حينما تحداهم القرآن هذا التحدي الداعي الى المبارزة ماذا فعلوا ؟ هل نزلوا الى الميدان وقالوا لمن وجه أليهم هذا التحدي : نعم ، نقبل التحدي المبارز ونوجه نفس السلاح الى آلهك ونقول لك : « أدعه فليستجب لك أن كنت صادقا » . . .
« أسأله ان كان ينطق أو يرد جوابا أو سؤالا » .

« أطلب منه أي شيء محدد معين . . تحده أنت أو نحدده نحن ، وتضرع اليه ان يسمع ويستجيب لكي يهزمنا ويقتنعنا وينقلنا الى أن نكون عبيدا له واتباعا وانصارا لك . . لكي يحسم المعركة الشرسة الاليمة الكريهة . . » ؟
« ان سلاح الانتصار علينا بسيط جدا ، وأنت وهو حريصان جدا على هذا الانتصار . . »

هل قالوا له : « ها أنت تدعو من لا يسمع أو يستجيب أو يرد أو ينطق . . ومن أضل ممن يدعو من لا يستجيب له . . ان تدعه لا يسمع دعائك ولو سمع ما استجاب لك ؟ . . اذن ادعه ليفعل ضدك ولا تخشى أن يفعل . . » ؟
هل تساوي دعوة الآله التي أن ينصر الا ما تساويه دعوته التي أن يهزم ؟ ليجرب ذلك المرتابون . .

نعم ، هل أدرك العرب الرافضون لمحمد والمخالفون له ما في هذا التحدي الوجه أليهم من سلاح يوضع في أيديهم ويقتل من وجهه اليهم ؟
هل أدركوا ما في هذا التحدي من ضعف أو مغالطة أو بلاهة أو عجز عن كل رؤية أو من مخادعة لن يخدع بها أحد الا أن يكون عربيا ، عربيا جدا في كل طاقاته ورؤاه ومستوياته وتقاسيره ؟ نعم ، العربي يخدع حيث يجب الا يخدع ، ولا يخدع أو لا يثق ويصدق حيث يجب وينبغي أن يخدع أو أن يثق ويصدق . .
ان من يقرأ ويعرف ويفهم الانسان العربي الموجود اليوم في كل مستوياته

وصيفه ومكاناته فلا بد أن يكون من الصعب عليه جدا أن يقول أو يحسب أن أولئك العرب الآباء قد أدركوا ذلك أو أنه قد كان من الممكن أن يدركوه أي أن يدركوا ما في هذا التحدي من سلاح قاتل لموجهه اليهم ٠٠

كم في عربي اليوم من الفضح والتهوين لعربي الامس ، لكل عربي قد كان ؟ فظيع والييم جدا أن نحدق في الانسان العربي الموجود اليوم محاورا أو قارئا أو رائيا لنفسه أو للاحداث أو للاخرين ٠٠ الاعداء أو الاصدقاء ، أو متحدثا عن نفسه أو عن الاحداث أو عن الاخرين أو متحدثا اليهم أو اليها ٠٠٠

أنه ليستحق العزاء والثناء بل والبكاء من وهب القدرة أو الجراءة أو الصبر على التحديق في الانسان العربي المعاصر ٠٠٠

ان عربي اليوم ليذهب بكل الجراءة والجهر والمباهاة يتحدى الاخرين ويتهمهم بالاذلام لانهم هم يملكون الشمس ولانه هو يملك القمر أو يدعي امتلاكه ٠٠٠ انه لا يستطيع أن يرى الشمس الساطعة في سماء الاخرين لان عيونه مبهورة مسحورة مشغولة بالتحديق في شمعته المزعومة أو المنطفئة ٠٠

ان الشمعة العربية الغائبة لتخفي وتلعن الشمس غير العربية الساطعة ٠٠ ان الشمعة العربية المنطفئة ، الموجودة أو المزعومة أو التي يزعمون أنها كانت موجودة لتذهب تبارز وتتحدى شمس الاخرين ، الاعداء والاصدقاء ، بكل الكبرياء والاستعلاء ، متهمة وشائمة لها بانها أو لانها بلا حرارة أو ضوء ، ولانها أو بانها قد سرقت ضوءها وحرارتها منها أي من الشمعة العربية المنطفئة ، الموجودة أو المزعومة أو المزوم أنها كانت موجودة ٠٠!! انهم ليصيبيون الدنيا كلها بالغثيان في حديثهم عن امجادهم في حرب أكتوبر لان فيلهم جرؤ على الخطو الى النملة لكي تضعه تحت احدى قدميها ٠٠

انه أي عربي اليوم ليتحدى ويباهي وبيارز الاخرين الذين مشوا فوق القمر وتساقطت سهامهم فوق هامات النجوم ، زاعما تفوقه وكبرياه عليهم وهزيمة مجده لكل امجادهم لان له قبورا ومقارنات في الصحراء ، تعلمه كيف يظل اميا ، امية اجدية وامية انسانية وايمانية شاملة ٠٠

وامية الايمان هي أصل وأشمل وأقوى أميات الانسان العربي ٠٠ ان امية الانسان العربي هي امية ذاتية تكوينية لهذا لا يمكن التداوي أو الشفاء منها ٠

انه ليزعم جهرا أو همسا صراحة أو ايباء ان الذين مشوا فوق القمر انما

مشوا فوqه على أقدام آباءه وفوق خيولهم وابلهم ، وانهم انما عرفوا الطريق اليه واستطاعوا صعوده والخطو فوqه وقرأوا اسراره وتقاسيره واخلقه ...

انما فعلوا كل ذلك آخذيه ومعلميه من نبواته وتراثه وحضاراته ومن كتابه المقدس الموجود فيه كل شيء كان أو سوف يكون والمختزن في حروفه كل علوم الكون وغير الكون أي ما فوق الكون وخارجه !!

انه ليرى ويعلم أن كل ما يحدث فلن يكون الا تفسيراً وتطبيقاً لبعض ما في نبواته وتعاليمه ..

اذن هنا اكتشاف مثير . . هنا منطق يقول به القرآن والنبي ويفرضان التزامه ويتحديان به، ويريان انه لا يوجد اصل ممن لا يؤمنون ويعملون به ، وهذا يعني حتما أن على جميع المؤمنين والقرآن أن يؤمنوا ويلتزموا به ، أي بهذا المنطق . يقول هذا المنطق أن كل من يدعى فلا يستجيب فهو باطل ، باطلة دعوته والايمان به والانتظار منه والرجوع اليه في أي شيء ...

انه منطق سهل وواضح وبسيط . وان تطبيقه وتجربته كذلك . انه منطق لا يحتاج الى منطق أو الى عقل خارق أو حتى قوي بل لا يحتاج الى أي قدر من العقل لكي يفهمه ويقنع ويتعامل به . انه فقط تجربة بسيطة ..

اطلب من آلهك أو وثنك أو نبيك أو قديسك أن يفعل لك شيئاً تريده أو أن يدفع عنك شيئاً تخشاه فان لم يرد عليك ويستجب لك فاعلا الشيء المحدد الذي تريده وتطلبه منه ، وحاميا من الشيء المحدد الذي تخشاه وتطلب منه ان يحميك منه فانك ملزم حينئذ بأن تعرف أنه هباء وكذب وملزم بان تفارقه .. ولننظر الى النماذج والامثال ..

أنت مواطن في صحراء مزروعة ومحروسة بالقحط والجبال ، لا تلد الانهار ولا يزورها السحاب ، ولا تتقاطر دموع الالهة فوقها استحياء أو اعتذارا عن شحها وقسوتها .

وأنت أسود الجلد أو أبيضه .. وأنت لم يتخلق فيك أو يبق لك الا يد أو رجل أو عين أو اذن أو رئة واحدة ، أو قد تخلق فيك كثر من اثنين من هذه الاعضاء والحواس .

وأنت قد فارقك الفراق الابدي احب الناس اليك أو اعظمهم لديك .. وأنت قد أبيض شعر رأسك أو عجز رأسك عن أنبات الشعر ، أو قد سقط أو تلف أحد أضراسك أو اسنانك . وأنت قد جئت أحد الجنسين وتريد أن

تكون الجنس الآخر ، وجئت انسانا وتريد أن تكون كائنا آخر أو انسانا آخر . وأنت عربي المواهب وتريد أن تكون حضاري المواهب . . .

أنت كل هذا أو بعضه بالتصور والافتراض لا بالتمني بل وضد التمني لك . . . وأنت محترق ذابل مريض من قسوة ايمانك بالآله الاعلى المزعوم المفترض . . . الصديق الحبيب الرحيم المواهب كل نفسه لك حبا وطاعة واستجابة .

اذن مطلوب منك كما يفرض عليك قرآنك ونبيك وايمانك ان تضع آلهك هذا تحت التجربة بالمنطق الذي دعا اليه وآمن به قرآنك ونبيك . . . تحت التجربة التي وضع قرآنك ونبيك تحتها أرباب وأوثان المخالفين . . .

أي مطلوب منك أن تتوجه بكل تضمراتك ودعواتك الى آلهك الاعلى المزعوم ليفعل لك نقيض ما أنت مصاب به ، ولتنظر هل يمكن ان يسمعك أو أن يستجيب لك أو أن يزول شيء مما تعاني وتشكك منه . . .

ألمت قد جربته طويلا وكثيرا هذه التجربة الخاسرة البلهاء دون أن تقبض منه شيئا ؟ ألمت قد رأيت كل الآخرين قد جربوه هذه التجربة دون قبض أي شيء ودون أن يأتي هو ولو مرة واحدة ليعتذر أو ليتوب من عجزه أو تقصيره أو كسله أو قسوته أو بخله ودون أن يموت أو يمرض عقابا لنفسه ؟

اليس توجهك الى الهك الاعلى المزعوم ليفعل لك نقيض هذه الآفات والآلام التي أنت بها مصاب يساوي تماما أن تتوجه هذا التوجه لهذا الغرض والامل الى أي وثن أو حجر أو حشرة - يساويه في جميع النتائج والتوقعات مع الفروق الهائلة لمصلحة الوثن والحجر والحشرة ؟

ان كل مدعو قد يسمع وقد يستجيب حتى الحيوان والحشرة والطير قد يسمع ويستجيب ولكن الدعو الوحيد الذي لن يسمع أو يستجيب هو الكائن الاعلى المزعوم ، هو الآله . . .

ولنضع تحت التجربة هذا الآله وأي كائن آخر ، حشرة أو طير أو حيوان لنجد الفرق بينهما . . .

اذن ليست كل مقاساة البشر العقلية والكلامية والتعليمية ، كل ما كتبوا وقالوا وكل ما سوف يقولون ويكتبون ليدلوا على وجود وحضور هذا الكائن الاعلى المزعوم - ليس كل ذلك يذهب هباء سخيفا اليما أمام هذه التجربة البسيطة ، أمام هذا المنطق الذي جاء وتحدى وآمن به القرآن والنبي ؟

ان هذه التجربة السهلة التي يستطيع أبسط انسان وكل انسان أن يجربها

ويعيها لهمم وفضح واسكات وتكذيب لكل ما قيل وزعم ولكل ما قد يقال
ويزعم في هذه القضية .

انه لشيء مخيف ومذهل أن يوجد انسان واحد مهما كان عماء وغباؤه رجراته
على الكذب ، يجرؤ على التحدث عن هذا الكائن الاعلى المزعوم . . كيف أمكن ان يوجد
انسان واحد يستمع اليه أو يقتنع بحديثه مع وجود ومواجهة هذه التجربة الدائمة
البسيطة التي تستطيع أن تراها وتقرأها وتفسرها وتفهمها أكثر العيون والعقول
عمى وأمىة وبلادة ؟

انه لشيء من الاعجاز الخارق أن وجد انسان واحد استطاع الا يرى هذه التجربة
والا يفتنن اليها ويقتنع بها . .

لقد حكم وأعلن وعلم النبي والقرآن أن كل من يدعون من لا يستجيب لهم
فلا أجهل أو أضل منهم . اذن لا أجهل ولا أضل ممن يدعون الآله الاعلى المزعوم
بحكم وأعلان وتعليم القرآن والنبي ، أي لا أضل ولا أجهل ممن يؤمنون به لانهم أي
المؤمنين به يدعون من لا يمكن أن يستجيب لهم ابدا ومن يشك في ذلك فليحتكم
الى هذه التجربة السهلة الواضحة البسيطة الدائمة .

اذن ايها المؤمن بالآله الاعلى المزعوم الداعي له ، أن عليك أن تؤمن بأن قرآنك
ونبيك يريانك أضل الناس وأجهلهم . .

اذن ايها المؤمن لا تؤمن بهذا الآله ولا تدعه لثلا يراك قرآنك ونبيك أضل الناس
أجل ، أيها المؤمن بهذا الآله ، ان آلهك هذا هو الكائن العجيب الذي لا يساوي
دعاؤك له ليفعل لك الا ما يساويه دعاؤك له ليفعل بك أي ليفعل ضدك . ان
قولك له : يا آلهي اعطني أو انصرنني أو أشفني لا يساوي الا ما يساويه قولك
له : يا آلهي أحرمني أو أمرضني أو اهزمني .

فان كنت في ريب من ذلك فان عليك أن تزيل ريبك هذا بالتجربة . .
نعم ، لتقل له : أشفني فوراً ، وأنت مريض مرضاً مستعصياً ، أو لتقل له :
أمرضني فوراً ، وأنت في أكمل صحة ثم لا تخشى البتة أن يستجيب لك في هذا
أو هذا . والان لتجرب دعاءه ليفعل لك أو ليفعل بك

انه لن يفعل بك أي ضدك مهما طلبت منه ذلك ومهما سكت عن دعوته
بل ومهما كنت مستحقاً أن يفعل ضدك . أليست هذه هي أعظم مزايا كل آله
أي الا يفعل لك أو بك ؟

ولكن كيف ؟ أليس الآله يسمع ويستجيب بالمشاهدة الدائمة ، يسمع ويستجيب
لاضخم واصعب الدعوات والمطالب ؟

لندعه طالبين منه ان تأتي الاشياء في اوقاتها كما لا بد ان تأتي . . . ان تأتي الشمس والقمر والليل والنهار وفصول السنة وتأتي الانهار والامطار والرياح والإعاصير والموت والشيخوخة والامراض والآلام والاحزان والاحقاد واللطفة والدجالون والاعبياء والثوار والمتآمرون والصوص .

لندعه طالبين منه ان يأتي كل هذا وكل هؤلاء كما لا بد ان يأتي ويأتوا في الزمان والمكان اللذين لا بد ان يأتي ويأتوا فيهما .

لندعه ان تأتي الشمس من المشرق وان تذهب الى المغرب . . .

كذلك لنطلب منه أي من الآله الا تأتي الاشياء التي لن تأتي أو الا تأتي الا في الاوقات والصيغ التي لن تأتي الا فيها أو التي لا بد ان تأتي فيها .

الا تأتي الزلازل والبراكين والابوثة والمجاعات والحروب والانقلابات والثورات والمشاكل والمهوم وفناء الانسان وعجزه أو توقفه عن التوالد وموت الشمس والامطار والنجوم وكل الكون . . . الا يأتي شيء من هذا الذي لن يأتي أو الا يأتي الا في اوقات والصيغ التي لن يأتي الا فيها أو التي لا بد ان يأتي فيها . . . لنطلب منه أي من الآله الا يصبح الانسان العربي حضاري أو انساني العقل أو القلب أو الضمير أو الاخلاق أو الحب أو البغض أو اللغة أو العداوة والخصومة .

نعم ، لنطلب منه اي من الكائن الاعلى المزعوم ان يفعل هذا وهذا وسنجد انه لا بد ان يسمع ويستجيب بكل الوفاء والشهامة والحسم . . .

ولكنه لن يتفرد حينئذ بهذا المجد والسخاء والقوة والاستجابة . . .

ان الحشرات والاحجار والاوئان وكل الاشياء العاجزة والرديئة والخرساء والصماء بل وغير الموجودة لا بد ان تسمع وتستجيب لو طلب منها أن تفعل هذا وهذا ، بالاسلوب الذي به يسمع ويستجيب ويفعل الكائن الاعلى المزعوم . نعم ، ان الحشرات لا بد ان تستجيب لو طلبنا منها أن يظل العربي بدوي المواهب والاخلاق ، نعم ، لنجرب دعوة الحشرات بأن يظل الفكر العربي أميا في جميع تفاسيره الانسانية لنجد انها لا بد ان تستجيب .

اذن أي فضل لهذا الكائن أي للآله على هذه في سماع الدعاء والاستجابة المحتومة له أي للدعاء ؟

أجل . . . اهتف ايها المؤمن طالبا من آلهك أن تشرق الشمس غدا في الوقت والاسلوب اللذين لا بد أن تشرق فيهما وطالبا منه الا يموت القمر هذا العام . انه لا بد ان يسمع ويستجيب مثلما يفعل الوثن ولا بدلو طلب منه عابده ذلك . . .

ولكن ان كنت مريضا أو مشوها أو دميما أو مقعدا أو اعمى أو ناقص التكوين فحذار أن تطلب منه الانتقاد لئلا تفضحه وتفضح ذكاءك وايمانك . .
نعم ، ان عليك اذا أردت أن تستر على آلهك الا تطلب منه الا ما لا بد أن يحدث والا تناشده ان يحميك الا مما أنت منه محمي . ولعلك ترى أن غفلتك كافية للستر عليه .

اذن ايها المؤمن ، ليحرب كلاكما نخوة آلهه ، اي أنت وعابد الوثن . ولكن لا تحاولا أن تتفاخرا أو تتبارزا ، فان احدكما لن يكون اعظم حظا أو مجدا أو اقوى أو انبل آلهما من الاخر . .

انه لا يوجد متساويان في كل مزاياهما الذاتية مثلما يتساوى الآله والوثن . .
ان كل ما يستطيعه ويفعله الآله لا بد أن يستطيعه ويفعله الوثن ، وكل ما لا يستطيعه ولا يفعله الوثن لن يفعله أو يستطيع فعله الآله . .

اذن ليفرح الآله بمجده الذي لن يكون اعظم من مجد الوثن . .
واذن ليفرح الوثن لان مجده لن يكون أقل من مجد الآله . اذن ليتواضع الآله والوثن لان كليهما بلا مجد . لان مجد كليهما لا يساوي الا جهل عابده . ان الجهل هو اعظم صانع للامجاد .

نعم ، ايها الآله المزعوم . . أرجوك ، أرجوك بكل التضرع والمسكنة والصدق والاخلاص وبكل الرغبة في معرفة الحق والصواب .

أرجوك أن تصيب يدي في هذه اللحظة بالعجز عن العمل والحركة والكتابة لاعجز عن كتابة هذا الكلام الذي لا يرضيك . .

نعم ، أرجوك ، أرجوك أن تفعل ذلك لكي اقتنع بك ولكي تحميني من الزلل والهلاك ومن الاساءة اليك والاغصاب لك . اليس تعجيز المخطيء عن أن يخطيء وتعجيز المدمر لنفسه عن تدميرها نبلا وتقوى وحباً ؟ اذن لا تبخل على نفسك بهذا الفبل والحب والتقوى . ولا تبخل علي بهذا الاقتناع والايمان بك وبهذه الحماية من الزلل والهلاك ايها الآله الطيب .

نعم ، أرجوك ان تفعل ذلك فان لم تفعل استجابة لرجائي واشفاقا علي فاني اتحداك ان تفعله كما تحديت أنت على لسان النبي محمد مخالفه ورافضيه . . هل ترفض أو تغضب ايها الاله الكبير الوقور أن اتعلم منك فن التحدي ؟ هل ترفض أن تكون معلما ؟

اما أن كان التحدي نزقا وسفها يجب ان يرفضاً فلماذا اذن فعلت انت وقرآنك ونبيك هذا النزق والسفه ؟ وهل يحتمل ايها الاله الشهم العادل ان تكون قد نسيت

انك قد تحديت خصوم نبيك هذا التحدي الذكي الوقور الحاسم ؟ نعم ، أصب يدي بالمعز ايها الاله في هذه اللحظة لانك رحيم وحكيم تحمي من الخطأ والضلال والهلاك ، ولانك ايضا فارس شجاع تقبل التحدي وتواجه بكل اخلاق الفروسية وكبرياتها وشهامتها .. ليست اصابة يدي بالمعز في هذه اللحظة كما اطلب منك وارجوك تنقذني من الضلال والهلاك وتنقذ شرفك وكبرياءك من الهزيمة والتبليد ؟ اذن اصبها ، اصب يدي بالمعز في هذه اللحظة . ارجوك واتحداك ان تصبها ..

انه احد عبيدك وعبادك الباحثين عن الحقيقة وعنك يطلب منك طلبا سهلا جدا عليك هو ان تصيب يده بالمعز في هذه اللحظة . هل تبخل عليه بالاستجابة لطلبه هذا ؟

اما ان كانت رحمتك وحنانك يمنعانك ويزجرانك عن اصابة يدي بالمعز فانك تستطيع بكل السرعة والرحمة ان تشفيها بعد اصابتها بل وتستطيع ان تعوضها عن اصابتها بصيغ كثيرة وقوية من صيغ التعويض ..

الست كما يقول انبياؤك تصيب الابرياء بكل الالام واللوان العدوان لكي تعوضهم هناك بعيدا ، بعيدا ؟

وهل انت رحمة وحنان بكل هذا القدر من الرحمة والحنان ؟ كيف امكن ان يوجد من يجرو على اتهامك بالرحمة أو الحنان ، أو كيف تجرؤ انت على تقبل هذا الاتهام ؟ الست تصيب الاطفال والشيوخ وكل الناس والكائنات بكل انواع الاصابات والتعجيز والتشويه بكل القسوة والفضاعة بلا سبب أو تفسير مقبول أو مفهوم وبلا ضرورة أو حاجة بك أو بمن تصيب الى شيء من ذلك ؟ أليس اتهامك بالرحمة والحنان تزويرا بذيئا وبليدا لاخلاقك وشخصيتك ولكل تاريخك ؟

وأما ان كانت الكبرياء هي التي تمنعك من الاستجابة لهذا التحدي أو الاهتمام به فهل الذي يخطط ويدبر ويريد ويصنع هذا الكون بكل حشرات وحيواناته وقفاهاته وبذاته وعاهاته ونقائصه وصفائره يملك شيئا من الكبرياء يزجره عن ان يفعل اي شيء مهين لكل تفاسير الكبرياء ؟ ان فقد الكبرياء الذاتية هو الشرط الاول والدائم لكل آله لكي يقبل نفسه ووجوده وعمله واخلاقه وشهوته .. كذلك فقدان الرحمة بل وفقدان الرؤية ...

تنبه ايها الاله الاعلى المسكين .. تنبه ، انك محاصر من كل جهاتك ... ان محاصرک ليسالك : هل الذي يصنع الزعامات والقيادات العربية يملك اي قدر أو نوع من الكبرياء ؟

ان محاصرك ليرثي ويحزن لك كل الحزن وكل الرثاء • ان رثاءه لك وحزنه من
اجلك ليعذبانه كل العذاب واقساه ••

انه لا احد يستحق ان تتفجر كل العواطف اسي عليه وله مثلك ايها الآله الاعلى
المزعوم ••

انه لا شبيه لضعفك امام كل محاور ومسائل ومحاسب محاكم محقق •
ان كل قوتك ومجدك لا يساويان الا حمايتك من كل محاورة ومساءلة ومحاسبة
ومحاكمة وتحديق •• لا يساويان الا الصمت والاعضاء عنك والتصويت الدائم لك •
ان الرؤية المحدقة هي العدو القاتل لك ايها الاله الذي لا يرى جماله او حتى ذاته الا
العميان ••

ان كل مزايك وخوارقك ايها الاله الاعلى المزعوم لا تساوي الا الصمت الدائم
الشامل عن ان تقرا او تفسر او ترى او يشترط عليك او فيك او تطالب باي شيء او
ينتظر منك ان تفعل او تستجيب او تسمع او ترد او تحاسب باي نموذج عقلي او
اخلاقي او فني او انساني او الهي • انك الموجود الذي ترفض وجوده تفاسير كل
موجود • انك الموجود الذي ترفض اخلاق وتفاسير كل وجود وجوده •

انك ايها الاله الاعظم لن تستطيع ان تكون مرثيا او معقولا او مفهوما او جميلا
او سامعا او مسموعا او مجيبا او مفسرا او فعلا او موجودا الا بالصمت عن محاولة
رؤيتك وفهمك ومخاطبتك وقراءتك ومطالبتك والانتظار منك والاستماع اليك والاعتماد
عليك والاشتراط لك او فيك او عليك • انك الموجود الخالق العادل الذكي الجميل
الخارج على كل نماذج وصيغ وشروط واخلاق وصفات الوجود والخلق والمعدل والذكاء
والجمال وعلى كل تفاسير واحتمالات ان تكون موجودا •• انك الموجود الذي يرفض
وجود كل موجود ان تكون موجودا ••

ايها الاله الاعظم •• ان كل جمالك ونكائك وظهورك وحضورك ونشاطك
وعبقرياتك وخالفياتك لا تساوي الا بلادة ودمامة وتبلد وعجز وعمى من يرونك
ويقرأونك ويجدونك ويخاطبونك وينتظرونك ••

انظر ، هل تستطيع ان تفهمهم : انهم جميعا يخاطبونك ولكن هل فيهم من
ينتظرونك ؟

انك حاضر جدا لان من أنت حاضر لديهم وفيهم غائبون جدا ومصابون بأشمل
وأقسى أنواع الغيبوبة المصابة بالديمومة •• ان كل حضورك وظهورك لا يساويان الا
عمى وغيبوبة من يرونك ويجدونك ويخاطبونك •

انك الكائن الذي لا يجدرك أو يتعامل معك الا الغائبون جدا عن ذواتهم وعنك
وعما يواجهون ويعاملون ويفعلون ويرون . . المصابون بالغيبيوية الدائمة الشاملة .
انك الكائن الذي لا يراك الا العيون التي لا ترى ولا تريد أن ترى ولا تستطيع ان
ترى . انك الكائن الذي تراه في كل شيء عيون من لا يستطيعون ان يروا شيئا .
ان كل عظمة كتابك لا تساوي الا امية قارئيه ومفسريه . . انك الكتاب العجيب
الذي ليس فيه اي معنى من معاني اي كتاب . . انك الكتاب الذي لا يقرؤه الا الذين
لم يقرأوا ولا يستطيعون ان يقرأوا اي كتاب . انك الكتاب الذي لا يرى حروفه
الا العيون الفاعدة لكل الرؤية . انك الكتاب الذي ألف وكتب قبل عصر الكتابة
والقراءة والذي لا يقرؤه الا من يعيشون في ذلك العصر ويعيش فيهم ذلك العصر !!

**

وللعلامة بين الايمان والاخلاق حساب أو تفسير اخر . . .

ان المؤمن يرى الاخلاق مساومات ومزايدات واخذاء وعطاء بينه وبين الاله ،
يراهما بيعا للاله باسلوب وثمن ما . ان الاله في حساب المؤمن ليس الا تاجر
ومساوما باسلوب فظ شحيح يأخذ اشياء ليعطي شيئا أو ليعده به . .

انها اي الاخلاق سلوك معين محدد مأمور به امرا غيبيا باهواء وشهوات غيبية،
مقصود بها أن تصنع الفرح والمجد والرضا والكبرياء للاله . . .

انها اذن ليست جمالا أو اشواقا أو تجارب أو ظروفًا أو ضرورات أو مستويات
أو حسابات انسانية أو قيما أو تغيرات ذاتية ، بل هي نصوص واملاءات منزلة
محفوظة لكي تصنع السعادة والقوة لكائن مطلق لا يمكن تفسيره كما لا يمكن ان
تكون شهواته أو املاءاته أو مجاعاته اخلاقية أو منطقية .

اذن فالمؤمن لا بد ان يخرج على الاخلاق الانسانية ، ان يرفضها ويعاديتها لكي
يكون مؤمنا او لكي يكون اخلاقيا بالتفسير والقائيس الدينية . انه مستحيل ان
تكون مؤمنا ايمانا دينيا وملتزمًا بايمانك وبالاخلاق الدينية التي يطالبك بها ايمانك
ثم لا تكون خصما ونقيضا للاخلاق الانسانية وللحب والتسامح وللجمال الانساني
. . انك حينئذ لا بد أن ترى ان الهك ونبيك ودينك وايمانك وتفكيرك واخلاقك
وتعاليمك وكل نماذجك الملعنة المنزلة الابدية الازلية هي كل الحق والصدق والجمال
والاخلاق المطلقة في شمولها وخلودها ونكائها ، وان كل ما عداها لن يكون الا فقا
لعيون الاشياء. والا استقراغا على وجوهها واخلاقها .

انك حينئذ لا بد ان تكون متعصبا كالحا مغلقا حاقدا مبغضا معاديا للاخلاق والانسان والجمال والصدق والحب باسم الاخلاق والانسان والجمال والصدق والحب .
انك بقدر ما تكون مؤمنا تكون مغلقا دون كل شيء غير ايمانك .

انك لن تكون غير ذلك الا بقدر ما تتخطى ايمانك أو تتراخى فيه أو تتناساه أو تخرج عليه وتغيره بالتفاسير الاخرى التي ليست هي تفاسيره بل تفاسيرك انت وتفاسير ظروفك واحتياجاتك وشهواتك وضروراتك . . انك لن تستطيع ان تؤمن أو أن تظل مؤمنا ما لم تقسر الهك باحتياجات حياتك لا بصفات الهك .

ان اجمل وافضل ما في المؤمن أنه لا بد ان يتخطى ايمانه ويخرج عليه بأحد الاساليب والتفاسير أو بكل الاساليب والتفاسير مهما كان مصمما عليه اي على ايمانه ومقتنعا به وبأنه هو كل ما كان وما سوف يكون ، منطقا وجمالا وخلودا وحقا وقوة .
انه لن يوجد أو يبقى اي وفاق بين المؤمن وايمانه لو لم يفسر ايمانه تفاسير فيها كل الخروج على ايمانه . . لهذا امكنت معاشة المؤمنين وتعايشهم اي لكونهم لا بد ان يتخطوا الالتزام بايمانهم وباخلاقه وتعاليمه وايحاءاته ورؤاه واحقاده . ان الانسان لن يستطيع ان يكون انسانا الا بقدر ما يعصي ايمانه وتعاليمه ويخرج على ما يأمرانه به .

ان المؤمن ليس الا كهفا رهيبا كئيبا يثوي ويعيش ويجوع ويعوي في داخله وحش لا يستطيع كل وحش الكون ان تساوي نابا أو ظفرا من انيابه أو اظفاره ، يتحول اي هذا الوحش الساكن المحتل لنفس المؤمن الى تعاليم واخلق ومشاعر وعلاقات وكتابات ولعنات وقراءات وصلوات . ان كل ما يدعى ايماننا وتعبدا ليس الا لغات لعواء هذا الوحش الساكن في نفس المؤمن ولغات للعواء له .

اتمنى لكل نبي ومعلم وشاعر وفنان وانسان ان يكون حبا وصدقا وجمالا ونبوة وشعرا وفنا بلا مذهب أو انتماء أو ايمان أو تعاليم ، وارض له ان يكون مذهبا أو ايماننا أو انتماء أو تعاليم بلا حب أو صدق أو جمال أو نبوة أو فن أو شعر . .

اتمنى له ان يكون انسانا لا ايماننا أو عقيدة . . أليست العقائد تشويها وتزويرا للانسان وعدوانا على طهارته وبكارتته وبراءته وحبه وصفائه ؟ اليست فسوقا بصفة الضمير واخلقه ؟ اليست تعلمه كيف يعادي ويكره ويحقد ويقبح ويذنب ويضل ؟ اليست سلاحا يبتكره ويشحذه ويرفعه القادة والزعماء والمعلمون الدجالون لكسي يضربوا ويخدعوا ويحكموا ويقهروا ويحاربوا ويشوهوا به الانسان ؟ هل للعقائد في

حساب ونيات الاقوياء والمتسلطين والطامحين اي تفسير غير أن تتحول الى سلاح لارهاب قهر وسوق الجماهير الضالة العمياء الجبانة؟

هل ابتكر الزعماء والقادة والمعلمون الماكرون سلاحا لاذلال الانسان وخداعه وتضويبه ولافساد ذكائه وضميره واخلاقه وحبه وطهارته الانسانية وللسيطرة عليه ، مثل سلاح الايمان والتعاليم والمذاهب ؟ وهل ابتكروا هذه الا ليفعلوا بالانسان كل هذا ؟ وهل ابتكر سلاح لمحاربة الانسان ولقيادته الى كل الحماقات والعداوات والاكاذيب تحت اعلى الهتافات والاناشيد مثل هذا السلاح ؟ وهل في عبقریات الشيطان ما يساوي عبقريته حينما ألهم الزعماء والقادة والدعاة الماكريين ابتكار العقائد والتعاليم والمذاهب ؟ وهل ساعد الشيطان اصدقاءه ومساعديه بشيء مثلما ساعدهم بابتكاره لهم سلاح الايمان والشعارات والانتماءات ؟

ان الانسان لا يكون حياة أو ابداعا أو ذكاء أو قوة أو نظاما أو جمالا أو حبا أو اخلاقا أو سعادة أو فرحا أو صحة بالايمان أو التعاليم أو بأي انتماء مذهبي أو ديني أو قومي ، ولكنه يكون كل ذلك بالخبرة والمعرفة والقدرة والحاجة والضرورة وبالحوافز والاسباب الاخرى التي ليس منها الايمان أو التعاليم أو الانتماءات المختلفة . كما انه لا يكون بالايمان أو التعاليم أو بالانتماءات خبيرا وذكيا في ابتكار وصناعة الازياء الجيدة أو في ابتكار واصلاح وتشغيل الاجهزة العلمية الدقيقة أو في زراعة الصحاري المجدبة أو في اختراع وانتاج الصواريخ الكونية أو في اعداد وقيادة الحروب المنتصرة ، كما لا يكون وسيما أو قوي العضلات بشيء من ذلك . انه يكون لانه يريد ويستطيع ان يكون لا لانه يؤمن . . . لقد تكون انسانا لانه استطاع ان يتكون لا لانه قد آمن بشيء أو بمجده ، اذا تكون انسانا .

نعم ، انه محتاج الى ارادة الشيء والى الاقتناع بقيمته ونفعه وجماله ومجده لو الى الاقتناع بكون الشيء ضرورة أو مواجهة محتومة أو موقفا ينبغي الالتزام به . لانه محتاج الى التعامل نفسيا وعقليا مع الاشياء . ولا بد من هذا التعامل مع الاشياء . ولكن الفرق العظيم بين الاقتناع والارادة والموقف وبين الايمان والتعاليم والانتماء المذهبي وغير المذهبي . . . الفرق العظيم بين ان نفعل بالاقتناع والارادة والمواجهة وبالاختيار للموقف وبين ان نفعل تحت املاء وضغوط واوامر الايمان والتعاليم والانتماءات المختلفة . . .

ان الفرق لعظيم بين ان نفعل لاننا نعرف ونريد ونختار وبين ان نفعل لاننا نؤمن أو نلقن ونؤمر . . . بل ان الايمان والتعاليم والانتماءات لا بد ان تكون هزيمة أو اضغافا أو تضليلا أو افسادا للاقتناع والارادة والمواجهة وللأختيار للمواقف وللحماس

لها ٠٠ انها تفسد وتخدع وتشوه الذكاء والمنطق والرؤية والصدق . انها تخيف وتسرق كل تفاسير الانسان .

ان جميع الاشياء والكائنات من حيوانات ونباتات ومواد طبيعية تكون جميلة وعظيمة ومفيدة وشامخة وذكية وذات قيمة أو تكون نقيض ذلك بالخصائص الذاتية وبالظروف الاخرى المشابهة بلا تعاليم أو ايمان أو انتماءات ، وكذلك يكون البشر مهما قيل وظن غير ذلك .

ان هذه الكائنات الحيوانية والنباتية والجمادية والمعدنية لو كانت تكون أو لا تكون بالايمان والتعاليم والانتماءات اي لو كانت تحكم وتتكون وتعمل بها لكان محتوما ان تتشوه وتضل وتفسد وتقبح وتفقد كل خصائصها النبيلة الجميلة المهذبة ان لم تعجز وتمت ، ولكان محتوما ان يخدعها ويفجر باخلاقها ومزاياها الزعماء والقادة والوعاظ والمعلمون الجاهلون الماكرون كما خدعوا الانسان وفسنقوا بعقله واخلاقه ولا يزالون وسوف يظلون يفعلون ذلك به دون امل في النجاة أو الانقاذ أو التمرد لو الرفض ٠٠

لنتصور ، لكي نسقط ذعرا وانفجعا ، لنتصور الشمس أو الارض أو السحاب أو الانهار أو البحار أو الحقول محكومة بتعاليم ومذاهب واحقاد وعداوات الزعماء والقادة والانبياء وكل افواج المعلمين ٠٠ لنتصورها تتعادي وتتباغض وتتقاتل بالزعامات والنبوات والنظريات والمذاهب والاديان كالبشر ٠٠

لنتصورها لا تتكون أو تعمل أو تعطي أو تجيء أو تذهب أو تصادق أو تعادي الا بالايمان والمذاهب والتعاليم والانتماءات لكي نكف عن كل تصور ، روعا وهربا من وحشية التصور لقبح ووحشية هذا التصور .

ولكن هل يمكن ان نكون حينئذ موجودين اي لو ان هذا التصور كان واقعا لنذهب نتصور ، لنزاع ونهرب من كل تصور ؟ لقد وجدنا وظللنا موجودين لان الكون ليس مؤمنا ولا مذهبيا ، ليس تابعا لنبوة أو زعامة أو لاية تعاليم ولا يستطيع ان يكون كذلك ، لهذا امكن ان نوجد ونبقى والا لامره ايمانه بنبوته أو زعامته بتدميرنا وتدمير كل شيء .

انها لاعظم واسذج خدعة تلك هي القول والافتناع بان الانسان لا يستطيع ان يصنع حياته جيدة وجميلة وعظيمة ومتطورة الا بالايمان والمذاهب والتعاليم ، لو بان حياته محتاجة الى ذلك لكي تكون كذلك ٠٠

ان هذا يساوي القول أو الافتناع بان البشر لن يستطيعوا أو يعرفوا ان يصنعوا ملابسهم ويلبسوها أو ان يبنيوا بيوتهم ويسكنوها أو ان يشقوا الطرق ويسيروا

فيها أو أن يشتهوا الطعام ويقيموا مواعده ويجلسوا اليها أو أن يحبوا الجنس ويمارسوه أو أن يتعاونوا ويتصافحوا ويتعانقوا ويتصادقوا ويتحابوا ويتلاقوا ويتحاوروا ويتعلموا القراءة والكتابة واللغات الا بالايمان والتعاليم والشعارات وبالتحول الى قبائل وعشائر مذهبية أو دينية أو قومية ٠٠٠ نعم ، ليست الانقسامات بالايمان والمذاهب مثل الانقسامات بالقبيلة والعشيرة ؟ اليس الانتماء الى هذا والتعصب والولاء له مثل الانتماء الى هذه والتعصب والولاء لها ؟ اليس الحب والبغض طاعة واحتراما للقبيلة مثل الحب والبغض طاعة واحتراما للاله أو للنبي أو للمذهب أو للايمان أو للزعيم أو للمعلم ؟ اليس الموقفان بداوة ؟

ليست الدولة التي تعادي لاختلاف العقيدة أو المذهب أو النبي أو الاله أو المعلم مثل الذين يعادون لاختلاف الانتماء الى القبيلة أو العشيرة ؟

ليست هذه الدولة قبيلة أو عشيرة مذهبية ولكن بوحشية وبداوة وخبث وجاهلية اقسى ؟ اذن اليس البشر جميعا قبائل ويظنون قبائل مهما اختلفت الاسباب والتفسير المعلنه ؟ اليسوا جميعا بدوا في اعماقهم مهما كانت ازياؤهم وبيوتهم ومدنهم ؟ ليست البداوة هي التفسير الدائم لكل صيغ الانسان الحضارية ؟

نعم ، حينما نجد انسانا متفوقا في شيء أو اشياء ، في ابداعه أو نجاحه أو نشاطه أو في حدة ذكائه وفعال رؤيته وسرعة بديهته أو في قدرته على أن يعطي الحب ويأخذه وعلى ان يكون ساحرا قاهرا في علاقاته ولقاءاته ومعاملاته ومحاوراته فهل نفكر في قوة ونوع ايمانه أم في قوة ونوع مواهبه الذاتية ؟ هل نقول حينئذ : ما اقوى واعظم ايمانه أو مذهبه أو تعاليمه أو الهه أو نبيه أم نقول : ما اقوى واعظم الانسان الذي في داخل ذاته ؟ هل نسأله حينئذ عن ايمانه أو فننقل الى ايمانه أو نستعير حينئذ منه كتابه المقدس لنقرأه ونؤمن به لكي ينتقل الينا تفوقه من حروف كتابه المقدس ؟

ان التفاوت بين البشر في قدراتهم واعمالهم وتقواهم النفسية والاخلاقية لا يمكن ان يكون تفاوتا بين ايمان وايمان أو بين ايمان وفقد ايمان ، ولكنه ولا بد تفاوت بين مواهب ذات ومواهب ذات متعاملة مع ظروفها لا مع ايمانها . انه لا يمكن ان يكون تفاوتا بين اله واله أو بين نبي ونبي أو بين دين ودين أو بين مذهب ومذهب . ان اي انسان لن يساوي الا ضخامة أو تفاهة ذاته ، لن يساوي الا حدود ذاته مهما كانت ضخامة أو حدود الاله أو النبي أو المعلم أو المذهب أو الدين الذي يؤمن به اي في تصويره له أو في حقيقته .

انه لو آمن بالله أو نبي أو زعيم أو دين أو مذهب له كل ضوء وحرارة وارتفاع الشمس لما ساوى في نفسه اي المؤمن به الا ما كانت تستطيع ان تطلق وتعطي ذاته من ضوء وحرارة وارتفاع قبل ان يؤمن به وبعد ان يكفر به لو كفر به او لو لم يؤمن به .

لهذا فان الفروق بين ضخامات وتفاهات وقامات وهامات البشر لا تساوي الفروق بين آلهتهم وانبيائهم وايمانهم وتعاليمهم في الضخامات والتفاهات والهوامات والقامات . ان احدا لا يعظم بعظمة الهه أو مذهبه . . ان ذات المؤمن هي التي تخرج وتحدد وتفسر ذات الهه ومعلمه وليس العكس . . لهذا فان اصحاب الاله أو النبي أو الدين أو المذهب أو الزعيم الواحد يتفاوتون جدا في مواهبهم . ان اي اله أو دين أو مذهب أو عقيدة أو انتماء من اي نوع لا يحيا في ذاته بل في ذات المؤمن والمنتمي . ان المؤمن هو القوي أو الضعيف لا الاله .

ما ارحص واسهل التقدم والعظمة والتقوى الاخلاقية والنفسية لو كان الانسان يستطيع ان يصبح متقدما وعظيما وتقييا هذه التقوى اذا آمن بالله أو نبي أو مذهب عظيم ومتقدم وتقي أو يدعو الى ذلك أو يزعم كذلك . . لو كان يساوي ايمانه الذي تصوره أو أعلنه أو علمه أو اعتقده . .

اذن لتسعد وتفرح عيون وضمان النجوم وكل الاشياء . . لتسعد وتفرح جدا لان جميع هؤلاء التافهين والعاجزين والاغبياء والانذال المالمئين لكل الاتجاهات يستطيعون ان يصبحوا نقيضا حادا شاملا لنقائصهم اذا هم آمنوا بالله أو مذهب يرفض ويلعن نقائصهم هذه أو ينهي عنها ويدعو الى نقيضها ويعلم نقيضها .

نعم ، لتفرح وتسعد عيون وضمان النجوم وكل الاشياء ، ولتسترح من عذاب الرؤية والمواجهة والتفكير والاستفطاع والانفجاع . . لتسترح من الوان العذاب الذي تصبه فيها التفاهات والبلادات والنذالات والذنوب المالمثة لكل الافاق .

ايتها النجوم ، نتضرع اليك ان تصابي بالشهامة ، ان تصبجي الهمة لكي يؤمن بك الساكنون في اعماق الحضيض ، لكي يرتفعوا الى سمواتك ، لان المؤمن يصعد الى مكان الهه ، الى المكان الذي يتصوره ويؤمن به لالهه . . لان المؤمن يصعد صعود ايمانه لا صعود انسانيه ، لا صعود هامته وقامته وطاقاته الذاتية . . لان المؤمن لا يخلق بأجنحته بل بأجنحة اربابه كما لا يجوع أو يتالم أو يرقص بأعضائه وشهواته بل بأعضاء وشهوات اربابه .

ايها المتخلفون جدا في كل مستوياتهم العلمية والعقلية . . المتقدمون جدا في كل مستويات الجهالة والجهل والغباء . .

لا تحزنوا ، بل أفرحوا وتكبروا لانكم ستصبحون الهة في العلم والعقل والذكاء ، ستصبحون كل الالهة للعلم والعقل والذكاء ، لانكم تؤمنون باله هو كل ذلك وتؤمنون بكتاب مقدس يمتدح العلم والعقل والذكاء والعلماء والاذكياء والعقلاء ويهجر النقيض ويوعده بالعذاب والهوان . والانسان يخلقه ويصوغه ايمانه ، كما تخلقه وتصوغه اخلاق وصفات ومواهب الاله أو النبي أو الزعيم أو الدين أو المذهب الذي يؤمن به . اذن ضخموا ، ضخموا جدا صور وتصوراتكم للاله أو النبي أو الدين أو المذهب الذي به تؤمنون !!

اذن ليزدد ايمانكم بهذا الاله وبهذا الكتاب المقدس لكي يصنع منكم ايمانكم هذا الذي لا بد ان يصنعه . ولماذا لم يصنعكم حتى اليوم ؟ هل التفسير ضعف ايمانكم أو فقد ؟ هل انتم كاذبون في ايمانكم بهذا الاله وبهذا الكتاب المقدس ؟ اذن اصدقوا في ايمانكم لكي تصبحوا كل آلهة العلم والعقل والذكاء أليس صدقكم يحولكم كما تقولون وتؤمنون الى كل ما تريدون من قوة وعظمة ومجد وتفوق وجمال ؟ لماذا انتم دائما كاذبون في ايمانكم ايها المؤمنون بأعظم الالهة والانبياء والاديان والمذاهب ؟ هل عظمة الدين أو الاله أو النبي أو المذهب تعني حتما كذب المؤمن ؟

ولكن يا قومنا ، يا مالكي هذا الاله وهذا الكتاب المقدس ، يا محتكري الايمان بهما ، كونوا نبلاء وهايين ، علموا كل العالم الايمان بهما لكي لا تبقى فوق الارض ولا في احسانها اية جهالة أو بلادة أو سفه أو خطأ أو بله لان الايمان يصوغ المؤمن على مقاساته هو لا على مقاسات المؤمن . .

لان من يكون الايمان به يصوغ الايمان، يصوغ قوته وضعفه، جماله وقبحه، . . ان اله العرب وكتابهم المقدس هما اعظم الالهة والكتب المقدسة . اذن اليس محتوما ان يصنع الايمان بهما اعظم الشعوب لان الناس يجيئون مساوين لايمانهم ، ولان ايمانهم يجيء مساويا لما ولن يؤمنون به ؟

اما اذا لم يصنع الايمان بهما ذلك فهل يوجد تفسير غير التفسير القائل بان الانسان لا يساوي الا ذاته ، لا يساوي ايمانه أو آلهه أو نبيه أو معلمه أو دينه أو مذهبه - غير التفسير القائل بان الايمان لا يعني أي شيء جيد أو يقود الى أي شيء جيد . . بان الايمان لن يكون الا لغة يطلقها المؤمن أو تطلق عليه ولكنه لن يكون خالقا أو واهبا أو محرزا أو منشطا لاي معنى من معاني المؤمن . . اما التفسير الاخر البديل فهو القول بان آله العرب وكتابهم المقدس ليسا شيئا عظيما ، لهذا فالايان بهما لن يصنع عظمة أو مجدا أو قوة أو تقوى أو جمالا

أنسانيا بل لا بد أن يصنع أي الايمان بهما نقيض هذه الزايا .. لان الانسان يساوي ايمانه فقط ، وايمانه لا يساوي الا ما يساويه ما يؤمن به من آلهة وانبياء ومعلمين وقادة ومذاهب وتعاليم ..

• فقيمة ما نؤمن به ، عظيمة أو رديئة ، تنتقل الى ايماننا وتصوغه بمعظمتها أو رداءتها ، وايماننا ، باعنا أو معوقا ، ينتقل اليها ليصوغ قوتنا وضعفنا ، مزايانا ورتائلنا .. لهذا انتقل آلهتنا ونبيينا وكتابنا المقدس الضعيف في كل شيء الى ايماننا ليصبح ضعيفا في كل شيء ، ثم انتقل ايماننا الضعيف في كل شيء اليها ليجعلنا ضعفاء في كل شيء ، ليجعلنا في ضعفنا بلا نموذج ..

فهل يمكن القول بهذا التفسير البديل ؟ أما تفسيرنا الدائم لهذه القضية فهو الزعم أننا لم نؤمن الايمان الكافي دون أن نسال : لماذا نظل دائما عاجزين عن هذا الايمان ، أو لماذا يشترط علينا ايمان لا نستطيعه أو لا نريده . لماذا آلهتنا عاجزة أن تصنع لنا الايمان بها ؟

أيها المؤمن ، أنت خارق في جودة حظوظك . أنك تستطيع أن تكون في سلوكك ونياتك واهوائك كل النذالات والفجور والتلوث والعصيان والقبح الانساني ثم تظل التقى المرضي المحمي المرعي الاول في منطق الآله ورؤيته ومحاسبتها لك وفوق مائدة محبه . وذلك بأحد شرطين أو أسلوبين ، أو عملين سهلين تافهين بل نذلين فاضحين مخجلين في حوافرهما ونطقهما وتفاسيرهما ..

أحدهما أن تقول بأسلوب الاعلان والشعار والتوكيد والاعتقاد : أنك تؤمن بأن لا اله الا الله وبأن لا معبود بحق سواه ، وبأنه هو وحده الخالق الواحد القادر الواهب الآخذ المانع المحيي القاتل المسوي المشوه المضل الهادي الكاسر الجابر المحب المبغض المعز المذل المرض الشافي المغني الفقير المقوي المضعف الهادم الباني المضحك المبكي الخادع الماكر الفعال لما يريد لا لما يريد المحتاجون والمتألون المنتظرون المؤمنون الضارعون المخلوقون المحكومون .. الفعال لما يريد لانه يريد لا لانه نيل أو حق أو جمال أو واجب أن يريد .. المريد لانه يريد لا لانه يعرف أو يحترم أو يريد ما يريد .. الفعال لانه فعال قادر لا يستطيع أن يكف عن الفعل لا لانه يفعل ما يعقل أو ينفع أو يطلب منه أو يجدر به أو يصنع له المجد أو الفرح أو الراحة أو يصنع ذلك لمن يفعلهم ويفعل لهم ويفعل بهم أو يفعل فيهم ...

فاذا آمنت هذا الايمان تحولت كل خطاياك وذنوبك ونذالاتك وشرورك واوحالك الى تقوى وقداسة وطهارة ونبل والى غفران ورضوان ومحبة ..

نعم ، لقد آمنت بالسلطان الاعظم ووحدته ومجده وأرضيت انانيته الهمجية والقيمت على عتباته بكل قصائد المديح والهوران والافتقاصح ...

انه سلطان • انها اخلاق وشهوات وطموح اي سلطان بدوي همجي ••
اذن فلتتمح سيئاتك من كل صفحات الكون • بل لتتحول جميع سيئاتك الى اعظم واتقى الحسنات ، تكتبها لك دواوين الآلهة بكل اقلامها على كل صفحاتها •
انها اخلاق الهك العربي البدوي الذي نحت ذاته على صيغة ذات سلطانك البدوي •
نعم ، انه سلطان عربي بدوي المواهب والحسابات والشهوات والمثاعر ••
اليس السلطان العربي يغفر لمادحه وموحده وممجده ولو نفاقا وخداعا كل اخطائه وخطاياها ونقائصه ؟ بل اليس يهبه كل الرضا والعتاء والعطف والتقريب منه والحب له ؟

اجل ، الست ايها المؤمن تحول الآله الذي تؤمن به الى سلطان عربي همجي ، لا يحاسبك او يراك او يقرؤك الا بمقدار ولائك له واعلانك لهذا الولاء ؟ الست تقول بكل الجهر والفخر ، راويا عن آلهك ونبيك وايمانك : « من شهد الا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرمة الله على النار ، ••

« ما من عبد قال : لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة ،

« ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك ،

« من قال لا آله الا الله دخل الجنة وان زنى وسرق وقتل ،

ومن كان آخر كلامه : لا اله الا الله غفرت ذنوبه ولو كانت ملء السموات والارض ،

اي ان أي انسان يقول هذه الكلمة في آخر لحظات حياته تمحى كل الآثام والاحوال التي ملا بها اعوامه المائة او الاكثر من المائة التي عاشها !

هل يستطيع سخاء جميع سلاطين العرب البدو ان يساوي شيئا من سخاء

هذا الآله على مادحيه وموحيه ؟

هل يستطيع جميع سلاطين العرب الهمج ان يكونوا احد التفاسير الهمجية

لهذا الآله الهمجي في محاباته لمادحيه وعابديه ومناققيه ، في فقدته لوقاره ونكائه ،

في حبه وعتائه لهم ؟ هل يستطيعون ان يكونوا في سخائهم على الشعراء المداحين

الكذابين الضالين منافسين لهذا الآله في سخائه السفيه على مؤلهيه ؟

كائن يفرق في حبه لك ورضاه عنك وأعجابه بك ، غافرا لك كل قباحتك

ورذائلك وفحشك وفحشائك اذا أنت اعلنت انه وحده في كل شيء دون أي شريك ،

ولكنه أي هذا الكائن يوقع بك كل عقابه وبغضائه وغيظه ، رافضا منكرا لاعنا

محقرا كل مزايك وطهاراتك وعبقرياتك لو أنك قلت انه ليس وحده في كل

شيء أو لو أنك شككت في ذلك أو لو أنك آمنت بغيره أو احترمته أو صليت له أو هتفت به أو له أو حدثت في مزاياه ليتحول تحديقك في مزاياه الى غيرة مجنونة في ذلك الكائن .. أو لو أنك ظننت أو تمنيت أن يكون له أمثال أو أبناء ليساعده اذا شاخ أو مرض أو تعب أو اخطأ أو سئم .

ولكن من هو هذا الكائن العجيب الكئيب ؟ وهل وجد أو يوجد حقا ؟
انه الهك ايها المؤمن ، وانه سلطانك ايها العربي !

اذن كم يفضحك ايمانك بأهلك ايها المؤمن ، وكم يفضحك سلطانك ورئيسك وزعيمك ونبيك وذكاؤك واباؤك ايها العربي !!؟

كم يفضحك آباؤك ايها العربي ؟ انهم هم الذين صاغوا لك الهك ..

لقد صاغوه من اخلاقتهم ، من اخلاق انبيائهم وسلطينهم البدو ..

اما الامر أو الشرط أو العمل أو الاسلوب الاخر الذي يحول كل سيئاتك وذنوبك الى أبر الحسنات والصالحات فهو التوبة الى الهك ايها المؤمن .. والتوبة شيء خارق في مزاياها وقدرتها .

انها الطاقة العجيبة التي تستطيع أن تغسل وتطهر ما لا تستطيع جميع البحار والانهار أن تغسله أو تطهره .. انها تحول النذل والخسيس والفاجر واللوث جدا في كل تاريخه ونياته ومواهبه وقدراته الى أعظم شهم وقديس وظاهر يتحدث الآله في كتبه المقدسة وبالسنة انبيائه عن شهامته وقداسته وطهارته وعن احتراق قلبه أي قلب الآله حبا له وشوقا اليه وخوفا من العجز عن مجازاته وتكريمه . انها القدرة الخارقة التي تحول الانسان الى نقيض طبيعته وقدرته لانه غير أسلوبه أو مكانه أو لغته ، خوفا أو عجزا أو تعباً أو خديعة ..

انها اي التوبة هي أن تظل كل حياتك تقارف كل ذنوب وندالات ودمامات وشرور الكون والاشياء ، ثم في آخر لحظات حياتك تعلن ، خوفا أو عجزا أو مكررا أو متاجرة أو ساما ، أنك قد تبنت الى الهك لكلي يصرخ الهك بكل جنون الفرح قائلا لك : تعال الي لكي اصافحك واعانقك واقبلك واعايشك وأمرح واناخر بك يا أنبل واقدس واتقى واطهر واصدق كائن تمناه وتخيله واحتم به فكري وضميري وحببي وفني وخيالي وصنعتي واخرجته يدا يوقدرتي وأطوار ومعجزات تاريخي أنا الآله ، أنا الآله !! تعال الي يا أسعد وأنظف وأجمل من سوف أجمل منه نديمي وجليسي وأنيسي في أعلى أعالي جناتي ليكون دوائي وشفائي أنا الآله ، أنا الآله من عذاب وقبح وكآبة ووحشة وحدتي وغربتي أنا الآله ، أنا الآله .

أه • وهل يوجد ما يمكن أن يداوي أو يشفي وحشتي وغربتني ووجدتي أنا الآله ، أنا الآله ؟

ان من نماذج ذلك ان توقع بانسان ما كل ألوان القتل والتعذيب والسرقة والتحقير والاهانات والوقاحات واللعنات والعدوان ، أي أن تفعل به وبابنائيه وأهله وأمواله وقومه ووطنه وقيمه وبكل ما يجب ويحترم يريد كل ذلك ، بكل نيات وأساليب وأخلاق النذالة والخبث والبذاءة والعدوانية ، ثم تحت عدد من الاسباب والحوافز غير النقية أو النظيفة أو النبيلة أو الشجاعة تعلن توبتك الى ذلك الانسان اي تعلن أنك لمن تفعل به شيئاً مما فعلت به أي مستقبلاً ، ولكن دون أن ترد اليه شيئاً مما أخذت منه أو تشفيه من شيء أوقعته أو لوثته أو أوجعته أو أحزفته أو أغضبته به ، ودون أن تتحول من خصائص وأخلاق ونيات وطبع النذل الوقح الخبيث الكريه الى نقيض ذلك ، لكي يجن أي ذلك الانسان الذي فعلت به كل ذلك واعلنت أنك سوف تتوقف عن ان تفعل به ما فعلت - نعم ، لكي يجن فرحاً واعجاباً بك ورضاً عنك وحباً لك ، لكي يراك ويعلمك اعظم وانبل وانفع واتقى أصدقائه وأحبائه وخصائمه !!٠٠

لكي يراك كل تفاسير النبوات والقداسات والصفاء والوفاء والحب والظهر •• ان هذا لمن اصغر النماذج لتفاسير وقيم توبة المؤمن الى الهه وتقبل الهه لتوبته وفرحه المجنون بها وبه !

ان هذا النموذج لمن اصغر التفاسير لمجد التوبة والتائب والتوب اليه •• اذن هل يمكن ان يوجد أو يتصور أرخص أو أردأ قيمة وتفسيراً وجهداً ونتيجة من التوبة والتائب والتوب اليه المتقبل الفرح بالتوبة اليه المطالب بها المتحدث عنها بابتهاج وفرح معان ؟

هل يوجد اصغر تفسيراً ممن يفرح بأن يتوب اليه الصغار الانذال الملوثن لانهم قد خافوا أو عجزوا أو شبعوا ؟

هل يوجد مخادع وقح هاج مهين مثل التائب ، أو مخدوع مهجو مهان متوقع عليه متقبل لذلك فرح به مثل المتوب اليه اذا تقبل التائب أو فرح به أو جزاه وشكره على توبته ؟

اذن هل يوجد مثل الآلهة سذاجة وضالة حينما تطالب بالتوبة وتفرح بها وتجزي عليها ؟

ان من يتوب لا يغير ذاته أو يصوغها صياغة جديدة وانما يزيئها •• انه ليس انساناً يكبر أو ينظهر أو يشفي من ضعفه أو غبائه أو دماماته أو وقاحاته أو نذالاته

أو من أي مقياس من مقاساته الانسانية ، ولكنه انسان يضعف ويهون ويتضرع ويصلي بلا ايمان أو جمال أو حب أو صدق أو بايمان ليس فيه شيء من المجد أو العظمة أو البسالة أو القوة العقلية أو النفسية أو الاخلاقية .

ان الثائب ليس انسانا يتخطى ذاته ولكنه انسان يخفي أو يشوه ذاته بوضعها في مقاسات وأعضاء غير أعضائها ومقاساتها . . .

ان الصرصار حينما يتوب أو لو تاب فلن يكون أكبر من صرصار أو غير صرصار ، كذلك الانسان حينما يتوب أو الذي يتوب ، لن يكون أكبر مما كان أو غير ما كان قبل أن يتوب .

والذين يجدون في الثائب تقاسير أفضل مما كان فيه أو غير ما كان فيه قبل أن يتوب ، أو يتوقعون أن يجدوا فيه شيئاً من ذلك هم قوم يجدون في الصرصار غير الصرصار أو يتوقعون أن يجدوا فيه غيره . ولكن ليس كل الناس يجدون في الصرصار ويتوقعون أن يجدوا فيه بل ويريدون أن يجدوا فيه أكثر وأجمل من صرصار ، من كل صرصار ؟

ان أي اله أو نبي أو انسان يطلب التوبة من الموثنين المذنبين المتوقحين المتضحين الهابطين الى كل أعماق كل الاحوال والتشوهات الانسانية ، لن يكون الها أو نبيا أو انسانا يبحث عن الكمال أو الجمال أو السمو أو النظافة أو التقوى أو الحب ، وإنما يبحث عن القبح والضعف والفحش والهوان والنفاق الراكع المطيع له . انه آله أو نبي أو انسان يبحث عن الطاعة والاستسلام لا عن العظمة . وهل في الآلهة أو الانبياء أو القادة من يبحث في الاخرين عن العظمة لا عن الطاعة ؟

ان من يطالب بالتوبة ليس كائنا يغازل أو يعشق أو يخاطب النجوم أو يصعد اليها أو يلقي بالثائبين فوقها ، ولكنه كائن يحدق في الحضيض ويهوي اليه ويعظه أو يهدده أو يرشوه ويعدده ليكون حضيضا مطيعا خاضعا له متلائما معه ، ليكون حضيضا كما يريد هو ، بالصيغة والتفسير اللذين يريحانه ويتوافقان مع اهوائه وأوضاعه وطموحه . ليس كل ما تريده الآلهة والانبياء والاتقياء والاقوياء من الاخرين هو الحضيض مطيعا مستسلما مريحا ملائما لهم ؟

والتوبة لا تعني كل هذا فقط بل تعني أتبع وأفزع . ان التوبة كما يقول الايمان والاديان تسعد الآله وترضيه وتفرحه . اذن لا بد من فعل ما يجعل التوبة مطلوبة ومفهومة ، أي لا بد من العصيان والفساد لكي يتاب منهما الى الآله بكل التضرع والانكسار والاستغفار لكي يتقبل ويغفر وهو في أعلى نشوات الفرح والرضا والاعجاب بالنفس ! . . .

انه يريد أن يفرح لانه قد أصبح نبيلاً وشهما لانه يتقبل ويغفر ويسامح من يطلب منه ذلك !

وهل يتوب أو يستغفر من لم يذنب أو يفعل الفساد ؟ وهل لتوبته أو استغفاره معنى ؟ وهل يسعد الآله بتقبل أو باستقبال التوبة أو الاستغفار ممن لم يفعل شيئاً يوجب التوبة والاستغفار ؟

أجل ، هل يمكن أن يسعد الآله بتوبة التائب وتقبل واستقبال توبته ما لم يكن أي التائب مثقلاً بكل الاحوال والخطايا ؟ أليس مجد الاله وسروره في لعق الذنوب والاحوال ؟

اذن فالؤمن مطالب بان يفعل المعاصي والفساد ليتوب ويستغفر ، ليسعد الآله بتقبل توبته وبالغفران له . . أنه مطالب بأن يظل أبداً بالتكرار والديمومة يعصي ويتلوث ، لكي يظل أبداً بالتكرار والديمومة يستغفر وينوب ، لكي يظل الآله أبداً بالتكرار والديمومة يتقبل ويغفر ، لكي يظل أي الآله أبداً بالتكرار والديمومة فرحاً سعيداً راضياً عن نفسه ، عن مجده وقوته وأخلاقه وكبريائه . . ! . . وهل للمؤمن من ثمن أو معنى أو قيمة غير أن يصنع الفرح والسعادة والنشوة الراقصة للآله ، لقلب الاله وعينبه ؟

اذن فالإيمان بلا فساد وعصيان متكرر لا يساوي أو يعني شيئاً في حساب الاله ، في حساب فرحه ونشوته وسعادته الجائعة الى النزق أبداً .
اذن فالؤمن النظيف المستقيم أبداً هو اردأ وأقبح المؤمنين في حساب الاله ومعاملاته وأمانيه لانه لن يهبه أي يهب الاله الفرح المتجدد وهل لأي شيء قيمة في حساب الاله غير أن يصنع له الفرح المتجدد ؟

وأئمة رجال الدين والمحدثين يروون عديداً من الاحاديث النبوية في تفسير وتقرير هذه القضية . . .

انهم يروون أن النبي قال : « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم . . » . كما يروون أنه قال : « ان الله لا يفرح بشيء مثلما يفرح بتوبة العاصي يجيء اليه تائباً مستغفراً ، . . والاحاديث والآراء في تأكيد هذا المعنى كثيرة معروفة . . انهم يدركون ان الله لم يرد من الناس الا ان يراقصوا عواطفه بالاقبال عليه والادبار عنه . .

وهم يرون بكل للقوة والحسم أن شيئاً من صفات الله لا يجوز أن يتعطل أو يتوقف عن العمل أو يستغنى عنه أو يكون بلا تفسير أو بلا وظيفة . . وهل يوجد تخفير للآله مثل أن يصبح شيء فيه بلا عمل ؟

ومن أشهر صفاته وأحبها إليه وأفرحه بها : أنه غفار وغفور وتواب وقابل للتوبة وُفرح بالتائب والتوبة ، وباسط كفيه ليستقبل بهما كل الخطايا والاختفاء والاحوال ليلقي بها في محيطات كرمه وعفوه وتسامحه وشهامته • أنه يريد أن يكون شهما • وهذا هو طريقه الى الشهامة • اذن فالؤمنون الذين يتظهرون ويستقيمون ويطيعون كل التعاليم الى أن تصبح صفات الاله هذه بلا وظيفة أو عمل لا بد أن يتحولوا الى أعداء وغيظ وأغصاب وتهوين وأضعاف للآله ولفرحه بنفسه ورضاه عنها • انهم يحرّمونه من أن يكون غافرا متقبلا محسنا غاسلا للادران • انهم يحرّمونه من أن يقول بكل الفرح والكبرياء : لقد غفرت وغفوت وسامحت وتقبلت ••

أن هؤلاء المؤمنين لو وجدوا لمن يكونوا الا أحمادا واسكاتا لعينى الاله ولاشواقته عن الابتهاج المتحرك النابض المتجدد •• انهم يعطلون بعض صفاته ويجعلونها بلا وظيفة أو تفسير ••

وهل يسعد أو يفرح أو يحيى الاله الا بالانفعالات المتصادمة المتناقضة المتفائلة المتشائمة الراجية الخائفة المطاعة المعصية المواجهة لكل القبح والتلوث ولكل الجمال والنظافة ؟ وهل يصنع له هذه الانفعالات الا من يتلوثون ويذنبون ثم يتضرعون ويستغفرون ويتوبون ، ليستمروا يتلوثون ويذنبون ، ليستمروا يتضرعون ويستغفرون ويتوبون ، لكي تستمر عواطفه أي عواطف الاله متنقلة بحماس متوهج بين الشيء ونقيضه •• بين الفرح والاكتئاب ، بين الانتصار والإنهزام ، بين التناؤم والتناؤل ؟ ان الحماس المتوهج المتناقض هو أعظم عزاء وتعويض لمن حكم عليهم بان يكونوا موجودين وأحياء ••

ان كل الاحياء محتاجون الى التداوي والى التخفيف من قسوة ودماة مواجهتهم ومعايشتهم لحياتهم ولذواتهم وأعضائهم •• والانفعالات المتضادة هي احد اساليب هذا التداوي والتخفيف من قسوة ودماة هذه المواجهة والمعايشة • وهل يمكن تصور محتاج الى أن يتداوى ويخفف من عذاب وتقاهة ودماة وسخافة وجوده وحياته ، ومن عذاب وتقاهة وسخافة وقبح مواجهته ومعايشته لوجوده وحياته ، مثل الاله ؟

اذن هل يمكن تصور محتاج الى الانفعالات المتناقضة مثل الاله ؟
اذن هل يمكن تصور كائن يحتاج الى أن يطاع ويعصى ، الى أن يعصى ثم يسترضى ويرشى بالاستغفار والدعاء وبالوعد بالتوبة له وبالرجوع اليه ، بلا توقف أو نهاية ، مثل الاله ؟

وهل يمكن ان يفعل الاله الا ما يحسب انه يهبه الفرح والمجد والراحة والقوة والاعجاب بالنفس والرضا عنها ؟ فلو كان يرى أن الهبوط الاخلاقي والنفسي والعقلي والانساني بكل اساليبه لا يهبه ذلك لكان محتوما بل وواجبا عليه جدا ان يخلق الناس ضخاما كبارا جدا ، لا يستطيعون أو يريدون أو يرضون أو يحتاجون أن يهبطوا الى أي مستوى من مستويات الفسوق والعصيان أو التلوث أو الغباء أو الذل أو القبح باية صورة من صوره . هل يمكن أن يكون هبوط الانسان بكل تفاسيره الا تعبيرا عن صيغة تكوينه ؟ هل يهبط أو يضعف الا من خلق ضعيفا هابطا ؟ هل يخلق الضعيف الهابط الا من يسعد بالضعف والهبوط ؟ هل يمكن أن يخلق الاله الانسان بصيغة من لا يراد له أو منه أن يهبط أو يضعف ثم يستطيع أن يهبط أو يضعف ؟

هل يستطيع أي مؤمن أو عاقل أن يعتقد أو يظن أن الله قد يتعمد أن يفعل أو يخطئ فيفعل ما يصنع له الاكثاب أو الغيظ أو الغضب أو الهزيمة أو الانفجاع أو المرارة ؟ هل يستطيع أحد أن يشك في أي شيء من هذا ؟

اذن فالدعاة الذين يحاولون أن يصوغوا الانسان صيغة تقوى وطهارة اخلاقية ودينية ونفسية هم قوم يحاولون أن يحرموا الاله من فرحه وسعادته ولذته اذن أنت أيها المؤمن محمي ، بتوحيديك الاله وبتوبتك اليه واستغفارك اياه ، من ان تكون مستقيما اخلاقيا أو دينيا أو انسانيا بل ومن ان تكون مطالبا بذلك بل أنت مطالب بأن تكون نقيض ذلك بل ومرفوض لو لم تكن هذا النقيض ، بل ومعاقب . ولكن هل تستطيع الا تكون هذا النقيض ؟ هل تستطيع الا تكونه مهما فرض عليك وطولبت بل وأردت الا تكونه ؟

نعم ، توبتك واستغفارك بالتكرار والديمومة يصنعان أيها المؤمن ، للاله الفرح والمجد . اذن أنت مطالب بأن تكون آثما وملوثا بالتكرار والديمومة لكي لا تحرم الاله من فرحه ومجده ، بل لكي تصنع له الفرح والمجد أنك بفسادك وتلوثك لست مؤذيا أو محزنا للاله أو فاعلا ما لا يجب بل صانع له السرور والحب والمجد .

اذن فالإيمان ليس طريقا الى الاستقامة او الطهارة الاخلاقية بل هو طريق الى الخروج على هذه الاستقامة والطهارة . .

ان المؤمن الذي لا يكون ملتزما بهذا الخروج على هذه الطهارة والاستقامة فلن يكون صناعا للاله ما يريده ويسعى له أي فلن يكون المؤمن المثالي المرجو المطلب به ، أي الذي جاءت النبوات والاديان لتصوغه وتعلمه وتبشر به .

هذه حقيقة حزينة ومثيرة يجب أن يعلمها ويتعلمها مفسرو الاخلاق ومعلموها ودعاتها . . وشيء آخر أعجب وأكثر جدًا من كل هذا . ذلك ان فاعل المعاصي والخطايا الكثيرة تتحول معاصيه وخطاياها الى حسنات اذا تاب . .

يقول القرآن : « اولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات ، . اذن لتتعاضم وتتكاثر اثمك وذنوبك ايها المؤمن لكسي تتعاضم وتتكاثر حسناتك عند الله . .

بايمانك بالاله وتوحيدك له تغفر وتغسل كل ذنوبك وعاهاتك واوحالك ، وبحاجتك الى ان تتوب اليه وتستغفره وتبكي بين يديه ، بل بالزامك بذلك ، وبحاجته أي الاله واشواقه الى ان تفعل له ذلك أي التوبة والاستغفار والصلاة ، تطالب وتلزم بأن تكون بالترار والديمومة عاصيا خسيسا وتعا ملوثا فاعلا كل الرذائل والنقائص . وايمانك هذا بكل هذا لا بد ان يحرضك على الا تكون قاسيا في الزامك لنفسك بان تكون اخلاقيا في سلوكك او نياتك او تقواك .

اذن ايها المؤمن كيف يمكن او كيف تستطيع او تجرؤ او يقبل منك او يغفر لك ان تكون نظيفا او تقيا او اخلاقيا او عظيما ؟

انك لو كنت ، او لو استطعت ، ان تكون كذلك ، أي نظيفا او تقيا ، او عظيما ، لفقدت أنت والاله كل هذه المزايا .

نعم ، الاله لا يكون الها سعيدا فرحا مجيدا الا بان يكون بالديمومة منظفا غافرا متقبلا . . اذن أنت ايها المؤمن مأمور بان تكون بالديمومة ملوثا آثما ندلا لكي يستطيع أي الاله أن يكون منظفا غافرا متقبلا ، لكي يستطيع أن يجد من يجعله كذلك . . !! ليس المحتوم أن يكون الاله أعظم منظم غافر متقبل ؟ اذن ليس المطلوب ان تكون أعظم ملوث مذنب ؟

هل يستطيع أي مفسر للايمان ولاخلاق الاله وشهوته ورغباته وأشواقه وأوصافه ان يخالف في شيء من هذه التفسير لهذه القضية ؟ وهل يسعد الاله او يفرحه أو يريحه أو يمجده ان يفسر بغير هذه التفسير ؟

ان الاله متواضع جدا في تفاسيره وفي اشتراطه لتفاسيره . أنه يريد ان يفسر كما هو لا كما ينبغي .

ولكن ما أعظم حظوظ الاله في هذه القضية . لقد كان المؤمنون به في جميع العصور والمجتمعات اسخياء واتقياء جدا في فعلهم لكل ما يريده ويريحه ويفرجه ويطمح اليه من فجور وسقوط وضعف وهوان ونذالة وكذب وغباء ودمامات ومن تلويث له وكذب عليه وبه ومن عبادة للطغيان والاونان الفاجرة وتسويغ لكل للظلم

والمظالم والسرقات باسم الايمان به وتوحيده وطاعته وعبادته . لقد كان المؤمنون دائما نبلاء وشرفاء وكرماء في خروجهم على الاله . لقد كانوا دائما خارجين عليه بكل الاساليب التي تصنع له كل الفرح والرضا والاستمتاع .

حتى الوثنية . . ان دعاة الايمان بالاله ودعاة توحيده وكل المؤمنين به وحده هم وثنيون بلا منافس ، هم عابدون بكل الحماس والهوان لافجر واقبح الاوثان دون أن يستطيع أي وثني منافستهم في كثافة وشمول وتنوع وهوان وثنيتهم ان اوثانهم اوثان فاجرة ظالمة سارقة ضاجة بالخبث والشر والفحش وليست اوثانا عاجزة صامتة بريئة مهذبة وهمية كالاوثان التاريخية .

ان شيوخ وأئمة دعاة الايمان بالاله الواحد الاحد لا تستطاع منافستهم فسي عبادتهم لكل الاوثان المتعددة المتعاقبة ، لكل الحكام والسلاطين ولكل ألوان الطفاة والاقوياء والتسلطين المتعاقبين الوثنيين ، وفي تعبدهم وهوانهم لكل ما يبتكره أو يعلنه هؤلاء الوثنيون من وثنيات متبدلة متعادية متلاعنة باسم المذهب أو العقيدة أو الثورة أو الوطنية أو حتى باسم الدين أو الاخلاق أو النظام . حتى للدين والايمان ، انهما يتحولان الى أقبح الوثنيات ويتحول دعائهما الى أقبح وأقبح الدعاة الى الوثنية . .

ليست كل الوثنيات تصغر وتهون وتتواضع لو حوسبت بوثنية الايمان والدين؟ ان اكبر شيوخ وأئمة الدعوة الى الايمان والتوحيد ليحولون شهوات وأهواء وحماقات وبلادات وبذاءات وأكاذيب ومظالم وأوامر وأخطاء طفاة مجتمعاتهم المتعددين للتناقضين المتعاقبين الى أقسى وأقبح الوثنيات ، يفسرونها ويعلمونها ويمجدونها ويمسكون لها وبها . ويحولون كل الالهة والانبياء والايان والكتب المقدسة والتاريخ وكل شيء حتى أخلاق النجوم والبحار والانهار والاعاصير والزلازل الى تسيويع وتفسير وتبشير لها وبها والى تناء عليها وتدليل على صدقها وتقواها وفزاعتها وشهامتها وعبريتها بل انهم ليحاولون أن يجللوا على أن التعاليم والشرائع والكتب المنزلة لم تنزل الا لتكون دفاعا ونبوءة عن العاهات والهزائم والمهموم التي يصاب بها من يحكمون ويتسلطون .

نعم ، ان اكبر شيوخ وأئمة الدين والتوحيد بل كلهم هم في كل العصور والمجتمعات أقبح وأكثف من كل الوثنيين والمشركين وثنية واشراكا بالاله ، ايماننا وسلوكنا ودعوة وتعلينا وتوظيفنا . انهم عبدة اوثان وصانعو معلمو اوثان .

نعم ، ان شيوخ الدين وأئمته هم دائما عبدة اوثان وصانعو معلمو اوثان . هل يجهد ذلك احد؟ بل هل يعرفه احد؟ كيف لا يعرفه كل احد؟

أليس يراه ويعيشه كل احد ؟ هل الناس لا يعرفون الشيء لانهم يرونه ويعيشونه ؟ انه ان كانت الوثنية أو الاشراك بالاله الواحد طريقا الى الجحيم فلا بد أن يكون شيوخ وأئمة الدين والتوحيد هم أول من يسيرون في هذا الطريق . . هم أسمن الحيوانات التي سوف تمتلىء بها الجحيم ويمتلىء بها الطريق الى الجحيم . . انه قد يندر حينئذ الاقبال على الجحيم لانه يندر من يقبل مساكنة هؤلاء الشيوخ والأئمة ولو في الجحيم لضعف معاني الانسان القوية الشامخة الشجاعة فيهم ولعنف كآبة ضمائرهم وقلوبهم واخلاقهم .

ان أردنا وأفسق وأقسى الاوثان في كل التاريخ هم الطغاة في المجتمعات المتخلفة التدينية ، وأن أفسق وأردأ وأبذأ وأذل المفسرين والسوعين والمشرعين المجددين لهذه الاوثان اي لهؤلاء الطغاة الاوثان هم شيوخ وأئمة الدعوة الى الايمان والدين والتوحيد هم معلمو الاديان وحمايتهم ومفسروها وموظفوها .

لنتذكر ، نعم ، لنتذكر هذا جيدا . .

لنتذكر أن الشيخ أو الداعية الديني الكبير لا بد أن يصب علينا كل اللعنات ويعد لنا أفضح مكان في الجحيم لو أننا اعتقدنا في حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو في حيوان نافع بريء نبيل بينما يتحول هو الى أفجر وأذل عابد وحارس ومفسر وممجد معلم لاغبي وأقسى وأردأ الوثنيات التي يفرضها الطغاة اللصوص القتلة الجهلة الانذال الخربون على المجتمعات . . .

على عقول المجتمعات وافكارها وعقائدها وتصوراتها وظموحها وتمنياتها واخلاقها وعلى فنونها وآدابها ولغاتها وعلى مذاهبها وأديانها بل وعلى صداقاتها وعداوتها وهمومها ومسراتها . . . أي يفرضون عليها أن يتحولوا فيها الى اقوى وأشرس الالهة المطلقة الرئية الحاضرة ، أي ان يكون كل شيء فيها كما يريدون ويأمرون حتى الالهة والنبوات والاديان والكتب المقدسة يجب أن تكون في كل نصوصها وتفاسيرها كما يريدون ويأمرون . ان الالهيات والنبوات والاديان والكتب المقدسة لا تهون أو تنتشوه في مكان مثل هوانها وتشوهها في المجتمعات المؤمنة التدينية لانها في هذه المجتمعات لا بد أن تؤدب وتزور وتحتقر لئلا يكون لها أي معنى غير أن تكون كما يهوى ويطلب الحكام المتخلفون الفاسدون المتسلطون .

نعم ، حتى الايمان بالله وحده وعبادته يتحولان الى اذل واوتق وأردأ أنواع الوثنيات ، لان شيوخ الدين وأئمته يذهبون يعلمونها اي يعلمون الايمان بالله وعبادته ، ويفسرونها ويلقنونها ويؤدونها كما يريد ويأمر ويرى الطغاة المتسلطون .

انه لا شيء يهان ويشوه مثلما يهان ويشوه الاله والدين في المجتمعات المؤمنة المتدينة ،
مثلما يشوههما ويهينهما شيوخ الدين ليكونا على مقاسات حكام هذه المجتمعات .

انهما اذن اي عبادة الله والايمان به يتحولان الى ايمان بالطغاة الحاكمين والى
عبادة لهم مهما زعما عبادة للاله الواحد وايماننا به وحده . ان ائمة الدين وشيوخه
يحولونهما الى ذلك في كل العصور والمجتمعات . . . ولهذا فان صيغ الاله واخلاقه
ورغباته وتعاليمه وتفسيرات كتبه المنزلة تتبدل وتتغير بقدر ما يتبدل ويتغير الطغاة
الحاكمون ، ويقدر ما تتبدل وتتغير احوالهم وظروفهم ومصالحهم ومواقفهم .
انه اذا تحول طاغية المجتمع المؤمن المتدين من ملك الى رئيس فلا بد ان تتحول كسل
تفسير الاله الى اخرى تلائم التحول الجديد . . .

ان مقاسات شخصية الاله في أي مجتمع متدين مصنوعة ومستلهمة دائما من
مقاسات شخصية الحاكم القوي المتسلط ، أي لا بد أن تصاغ وتفسر كذلك . أن قبح
وجه أو صحة أو نسب هذا الحاكم لا بد ان يتحول الى قبح في تفسيرات شخصية الاله .
اذن هل توجد وثنية مثل وثنية المؤمنين المتدينين الموحدين ؟ او هل يوجد صناع
للوثنية مثل ائمة الدين وشيوخه المعلمين للايمان والتوحيد ؟ هل يوجد متروك لشيوخ
الدين الجهال المنافقين الاغبياء مثل الاله ، ينحتون ذاته وجميع نماذجه من نفاقهم
وغباثهم وجهلهم ليكون تفسير الاثام ونقائص طغاتهم ؟

اذن هل وجدت او يمكن ان توجد ذات معبوث ملعوب مهزوء فمجور بها ، مباحة
معروضة لكل انواع التحريف والتسخير والتزوير ، مثل ذات الاله ؟

اذن لتحرزن وتبك وتتعذب كل القلوب والعيون والضامائر رثاء له اي للاله واشفاقا
عليه ومجاملة لهوانه وماساته وضعفه ولاستسلامه وصبره وصمته الذليل البليد
الطويل . . . وهل يوجد مثل صبر الاله وصمته على كل من يشوهونه ويلوثونه ويعبثون
به ويكذبون عليه وبه بلا اي رفض او مقاومة ؟

نعم ، ها هنا حقيقة يجب الا تكون مفاجئة مهما كانت فاجعة وصادقة . . . تلك هي
ان الاله والدين في المجتمعات المؤمنة المتدينة لا يحولان المؤمنين بهما الى تفسير
لهما ، ولكن المؤمنين بهما هم الذين يحولونهما الى تفسيرات مستسلمة طيبة لكل
تفاهاتهم ونفاقهم وهوانهم واهوائهم وبلاداتهم وآثامهم ، ولكل طغيان وحماقات
ونذالات واكاذيب وسرقات طغاتهم المتعاقبين المتبدلين عليهم . . .

أي ان الاله والدين لا يصوغان المؤمنين بهما ولكن المؤمنين بهما هم الذين يصوغونهما . انهما
يطيعان المؤمنين بهما دون أن يطيعهما المؤمنون بهما . انهما ابدأ تفسير لاجساد المؤمنين
بهما لا تخطيط او تعليم او صياغة لاجسادهم . . . ليس المؤمن انسانا يعبد او يطيع
او يحترم الها لو دينا بل انسان يعبد ويطيع اخلاق وتعاليم جسده .

ان الناس لا بد ان يفعلوا شهواتهم ونقائصهم وخطائهم وخطاياهم الملائمة للشهية ، مؤمنين بالاله والدين وغير مؤمنين بهما ، ولكنهم حينما يكونون مؤمنين بهما فلا بد ان يفسروا ويسوغوا ما يفعلون ويدافعوا عنه بهما اي بالاله والدين ، او يفعلونه عصيانا وفسوقا متمدا فوق سرير الاله والدين ، وداخل تحديقاتها الغاضبة المتوعدة ، واختراقا لتهديداتها واغراءاتها وتضرعاتها الحزينة الباكية ، دون ان يموتوا او يمرضوا او يفقدوا الشهية من الحياء والرهبه او التادب . وهل وجد او يمكن ان يوجد عصاة أجرا على العصيان واكثر شعورا بالامن من عصاة الاله والدين ؟

هل غير الاله والدين شيء يستطيع عصيانه ويجرؤ على عصيانه كل احد كل الوقت بلا اية مقاساة ؟

ان لهذه القضية منطقا او تفسيرا آخربائسا . . .

ذلك أن المؤمنين الايمان الديني الغيبي قد يحولون ما يوجد أو ما يفترض فيهم أو ما يطالبون به أو ما يشعر به أو ما يشعرون انهم ملزمون به ومحتاجون اليه من حماس وطاقات وتعبيرات اخلاقية وانسانية وفكرية وفنية وعاطفية وحضارية - نعم ، قد يحولون ذلك الى اساليب استقراغية استنزافية ايمانية دينية تعبدية . قد يستقروغون كل معاني الانسان فيهم استقراغا دينيا . ان لاستقراغ انسانية الانسان استقراغا دينيا لتاريخا طويلا اليما بائسا .

نعم ، ان ممارساتهم للطقوس والشعارات والاهتمامات والعداوات الايمانية والتعبدية والدينية قد تسحب منهم او تضعف فيهم كل الاقتحامات والكينونات والاحتمالات والاشواق الانسانية الاخرى . . . أليست الاتجاهات المختلفة والمتعارضة تتنافس على سرقة حماس واشواق وطاقات الذات ؟

ان هذه الممارسات قد تعوضهم وتلهيهم عن كل احتمالاتهم الاخرى اي الفكرية والاخلاقية والانسانية . . انهم قد يشعرون ويقتنعون بهذا التعويض ويتلهون به ويستقروغون كل حماسهم ونشاطهم الانساني فيه . ان الالهة والاديان مهما كان عجزها عن صباغة الانسان اية صياغة قد تستطيع أن تسرق منه حماسه الانساني .

ان هتافهم وصلواتهم وامتداحهم ودعاءهم لاشباح آلهتهم وانبيائهم واشباح كل اصنامهم المقدسة الخارقة في كل تفاسيرها وتصوراتها وقدراتها ومزاياها ، وان ايمانهم واعجابهم بهم وبها وتحديقهم فيهم وفيها ، ان ذلك قد يقتل او يضعف او يخمد او يشغل فيهم كل شوق وحنين والتفات الى اي معنى انساني او اخلاقي او فدائي أو جمالي آخر . . . ألا يتحول الايمان بالاله والصلاة له الى صلاة ضد الانسان والى زندقة بقيمه ؟

ليس التحديق والتفكير الحادان الدائمان في الاشباح والارواح غير المرئية
الرهيبية القوية الحاضرة المحاصرة المتربصة المطلقة التصرف ، مع التحدث الدائم
الساخن التعبدي الارهابي عن هذه الاشباح والارواح ...

... نعم ، ليس ذلك يضعف الرؤية للوجود المنظور والرؤية للذات ويضعف
الشخصية والتفكير والمنطق والقدرة على ضبط السلوك والانفعالات وعلى اخراجهما
اي اخراج السلوك والانفعالات اخراجا ذكيا قويا جيدا محترما وايضا يضعف كل
الاهتمامات والحسابات الاخرى المطلوبة ؟

ليس معايشة الاشباح بالايمن والاحساس والرهبة عدوانا على معايشة الحياة ؟
اذن ليس محتوما او محتلا او مفترضا ان يجيء المؤمنون بالآلهة والاديان هم
أضعف الناس في قيمهم وتفاسيرهم الاخلاقية والانسانية والحضارية اي بقدر ما
يكون ايمانهم هذا قويا وحماسيا وحيا اي ولو باللفظ والوعظ والاسلوب اعني ولو كانت
قوة وحماس حياة ايمانهم بالخطابة والتحدي والادعاء والشكل فقط ؟

وقد تكون المشاهدة الدائمة اقوى تدليلا على ذلك من كل تفكير ومحاولة
اثبات . وهل يهجو الايمان بالآلهة والاديان مثل التحديق في المؤمنين هذا الايمان ومثل
مشاهدتهم وقراءتهم بمساءلة ومحاسبة ومحاكمة في كل عصورهم واطانهم ؟

نعم ، قوم يعيشون مع الشمس وتعيش الشمس معهم ، تعيش في بيوتهم
وعيونهم وافكارهم واحاسيسهم ولغاتهم وصلواتهم وفي اناشيدهم ، بكل الجهر
والقوة والاحراق والاشراق والديمومة والشمول ..

هؤلاء القوم هل ينتظر منهم ان يصنعوا او يوقدوا الشموع او أية اجهزة اضاءة
أخرى ؟

ليس محتوما ان يحطم ويطفىء هؤلاء القوم كل الشموع ان كانت لديهم شموع ،
او ان يتركوها تتحطم وتنطفىء ؟ انسان يعيش شبح الاله في كل معانيه
واحاسيسه الانسانية كيف يمكن او يستطيع ان يعي اي شيء سواه او يهتم به او
يراه ؟

نعم ، انه لا مكان ولا سرير فعلت فوقه كل الخطايا وأوقح الخطايا مثلما فعلت
وتفعل فوق سرير الاله ، فعلها ويفعلها المؤمنون به التائبون المستغفرون الباحثون
عن رضاه اي رضا الاله وعمما يصنع له الفرح والابتسام والمجد والكبرياء ..

نعم ، وان كل التفاسير لاي داعية دين وتوحيد كبير هي انه داعية ومفسر
ومسوغ ومشروع وناشر وعابد لافبح واثقل وأرسخ الوثنيات .

ان اي نبي كبير ليس الا داعية كبيرا ومشيدا كبيرا لوثنية كبيرة ، اكبر من
كل الوثنيات التي جاء ، في دعواه ، ليلعنها ويلغنها .

نعم ، ان البشر لا يتخلصون او يتداولون من الوثنيات • انهم لا يستطيعون ذلك ولا يريدونه ، ولكنهم ينتقلون من وثنية الى اخرى ويعلمون كفرهم بوثنية ليؤمنوا بوثنية قد تكون اطغى وأقبح ••

ولم تتعاطم كما لن تتعاطم حظوظ البشر من الوثنيات مثلما تعاطمت وتتعاطم في مجتمعات وعضور النبوات والديانات الكبرى المعلمة للتوحيد والداعية اليه واللاعنة الملقية للوثنيات •

في مجتمعات وعصور الايمان والديانات القوية التوحيدية تتحول ويراد ان تتحول كل الاشياء الى اوثان فادحة خالدة ••

تتحول الى اوثان تحرسها وتعلمها وتعيشها النبوات ••

ان ذات النبي الذي يجيء ليعلم التوحيد والايمان بالاله الواحد ، كذلك ولادته ومكان عصر ولادته وموته وقبره وكل اقواله وافعاله واوصافه ونشواته وآلامه البدنية والنفسية والفكرية ، وحتى قتيه وبصاقه وهزائمه واناته وضحكاته وملابسه وشعر لحيته وبياض شعره ، وحتى اقاربه وقديله وزوجاته واصدقائه ، وحتى حروبه ولعناته وبغضاؤه واحقادته وخصوماته وحساسياته وحتى مخصصاته لزوجاته ••

•• حتى علاقاته الجسدية بزوجاته ••

نعم ، ان كل ذلك يتحول الى اوثان معبوده مقدسة لا تحاسب او تناقش • كذلك في مجتمعات الايمان والتوحيد والتدين القوي تتحول شهوات ومغامرات وحماقات وبذات واطغى واهواء واكاذيب وسرقات الحاكم القائم ، ملكا أو أماما أو خليفة أو رئيسا ، الى اوثان ووثنيات مخربة قاتلة جاهلة مفسدة فاسدة وقحة ••• كذلك تتحول جهالات وخرافات ونفاق وضعف وتعاليم ومواعظ وفناوي مسن يزعمون ويسمون شيوفا وأئمة ودعاة واقطابا واولياء وعارفين وواصلين - تتحول الى اوثان غبية باسم الايمان والتوحيد الذي يعلمونه ••

بل ان الاوبئة والامراض والمجاعات والقحط والحشرات وجميع الكوارث والاطغى الطبيعية تتحول وتحول في مثل هذه المجتمعات المؤمنة المتدينة الموحدة الى اوثان مسحوبة ومصنوعة ومنحوتة من ذات الاله ، من حكمته ورحمته وعقله وحبه واخلاقه وفنونه وجماله •• لهذا يجب الشكر والصلاة لها ومن اجلها ، كما يجب التحدث عن حكمته ورحمتها وجمالها ، كما يجب تفسير كل ذلك واعلانه والاعتراف به لها وفيها • اليس يجب الايمان بانها اي الحشرات والابوة وكل حماقات الطبيعة جزء من ذات الاله ، من تدبيره وارادته ونظافته وشهامته وعبقريته ؟

اذن ايها الايمان ، ايها التوحيد ، ايها الديانة القوية الكبرى •• لا تجيئي ، لا تجيئي لئلا يتحول كل شيء في المجتمعات المؤمنة الموحدة الى اوثان والوثنيات •

لثلا يتحول بصاق وقيء ودمامات وبذاءات وعداوات انبيائك ومعلميك الى اقموى
وارسوخ الاوثان والوثنيات ٠٠

اما ان كنتما قد جتتما ايها الايمان ، ايها التوحيد ، وجئت ايتها الديانة القوية
الكبرى فموتا وموتي لكي تموت افسى الاوثان والوثنيات ٠٠٠
ان شعيرة واحدة من شعائر اية ديانة توحيدية جاء بها نبي من انبياء السماء
لهي اثقل واشمل وثنية من جميع الوثنيات ٠٠

هل عبدت الحجارة والاماكن او الازمنة او التاريخ او التعاليم او ذوات البشر
مثلما عبدت وتعبد في تعاليم الديانات السماوية الكبرى التي جاءت لتعلن التوحيد
وتفرضه على كل العالم ؟
هل عبد التراب والقبور والاكفان البدوية التاريخية مثلما عبدت في اديان
التوحيد ؟

ان في احشاء واسنار كعبة واحدة من كعبات ديانات التوحيد من صيغ وتفاسير
الوثنيات ما لا تستطاع جميع الوثنيات أن تماثله أو تنافسه في كل صيغها
وتفاسيرها ، في كل تاريخها واطانها واثانها ٠٠ أن في ذات نبي واحد جاء معلما
للتوحيد من معاني الوثنية ما ليس في كل اوثان الجاهلية ٠٠٠

لهذا فان مجيء وانتصار دين توحيد قوي في اي مجتمع من المجتمعات لا يمكن ان
يعني الا الانتقال من وثنية صغرى الى وثنية كبرى ٠٠ من وثنية متسامحة متواضعة
فنانة شاعرية انسانية جمالية غنائية باسمه الى وثنية قوية كئيبة متعصبة
كالحة حاقدة عدوانية محروسة بكل اسباب واساليب وجيوش الارهاب والتهديد
والبطش والالغاء لكل معاني الانسان ٠

محروسة بالزبانية والملائكة الغلاظ الشداد وباهوال الجحيم وبكل افواج واللوان
الطفاة ، من الحكام الاندال ومن الشيوخ والعلمين الجهلاء الاغبياء الاذلاء المنافقين
الجبالين المحولين للاله والنبي والدين والكتاب المقدس ولكل الاشياء التي يزعمون
الايمان بها ٠

وللتاريخ والحياة وكل شيء الى عباات وقمصان وجلابيب ، مفصلين لها على
كل المقاسات والاحجام ، لتكون على مقاسات احجام جميع الوثنيات والوثان المتعاقبة
المختلفة في احجام ومقاسات اجسامها وهوائها وقبحاتها وتشوهاتها ونذالاتها وآثامها ٠
نعم ، هل حدث ان حكم وتسلط اي وثن دون ان يجد هؤلاء الشيوخ الله والنبي
والدين والسماء والتاريخ والكتب المنزلة وكل شيء طبق جميع احجامه ، في كل
تفاسيره ، بكل تفاسيرها اي دون ان يصبح الله والنبي والدين والسماء والتاريخ
والكتاب المنزل وكل شيء عباات وقمصانا وجلابيب وتفاسير مفصلة على مقاسات
واحجام هذا الوثن الحاكم المتسلط مهما كانت مقاساته واحجامه ، اي في تعاليم

وتفاسير ومواعظ وآراء وفقه هؤلاء الشيوخ المتحدثين بأسم الأزل والابد ٠٠ باسم السماء والارض ٠٠ باسم الابالسة والملائكة، باسم الجحيم والفردوس ، باسم الانسان في كل اجياله واطواره واعرقيه واجناسه وتاريخه وحضاراته اي هؤلاء الشيوخ الذين يتحدثون كلما تحدثوا ومتى وحيث تحدثوا بضمائر وقلوب وأخلاق ونيات ونظافة وشموخ وشجاعة وذكاء اردأ وأصغر وأذل الحشرات ؟

ولا بد من الاعتذار هنا الى الحشرات ، من الاعتذار اليها عن المبالغة في تحقيرها وفي العدوان عليها بهذا التشبيه والتمثيل بها .

**

اجل أعلموا وتذكروا ايها المؤمنون بأديان التوحيد السماوية الكبرى انكم لستم الا عبيد وثنية ، وثنية هي أطفى وأتبع وأشمل وأكثر بداوة وجاهلية من جميع الوثنيات ٠٠

انكم لستم مؤمنين ولا موحدين ولكنكم عباد قبور واحجار ومزارات وكعبات ومغارات ونصوص ورجال من البدو تحولت احقادهم وعداوتهم وبدواوتهم وضعفهم وتشوهاتهم واحزانهم ومجاعاتهم وآهاتهم وجميع عاهاتهم وتفاهاتهم ونقائصهم الشخصية الى تعاليم وتعاويذ وتساويح وصلوات و اخلاق وشعارات وكتب منزلة تتعلمونها وتعلمونها وتحفظونها وتروونها وتفسرونها وتصلون لها وبها وترون وتجدون وتشرحون بها جمال وذكاء وروعة ورحمة وحكمة الدمامة والعامة والوباء والمرض والكارثة والظلم والموت والقحط والذباب متنقلا بكل الكبرياء والمرح ومشاعر الامز والثقة بين العيون والانوف والموائد والاحوال ومتربعا مغنيا باصقا مستفرغا فوق سطور الكتاب المنزل ٠٠ فوق الجباه الراكعة الساجدة المنصية ٠٠

اجل ، أعرفوا هذا وتذكروه يا أصحاب الاديان والنبوات والكتب المنزلة الموحدة ٠٠ يا أصحاب الاله الواحد الغيور الاناني المطالب بالا يكون له اي شريك في حيكم أو أشواقكم أو ايمانكم ، أو صلواتكم أو توجهاتكم أو مغازلاتكم حتى ولا الحجر أو الشجر الطيب الجميل البريء ٠٠

أذكروا أن جميع وثنيات التاريخ تتصاغر وتهون وتموت وتغفر أمام وثنية نبي واحد من انبيائكم الذين جاءوا اليكم ليعلموكم التوحيد وليهدموا كل الاوثان والوثنيات الصغيرة البريئة المتواضعة المسالمة الصديقة الانسانية الغنائية الفنية التي لا تصنع أو تعد أو تتقبل أو تبارك شيئاً من النيران أو المخاوف أو العقاب أو الحساب أو الاحقاد أو العداوات أو الحروب أو الخصومات أو التصورات الكئيبة

الرهيبية المتوحشة التي يعدها ويصنعها ويوعد بها ويتقبلها ويباركها بل ويصلي لها وبها جميع انبيائكم القادمين اليكم من وراء الكون ليعلموكم التوحيد والايمن والحب والجمال والحنان والرحمة !..

**

ونعود الى قضية الدين والاخلاق و الايمان والاخلاق .. وهل الدين أو الايمان يحرض ويساعد على أن تكون الاخلاق قوية وملتزمة او على ان تكون ضعيفة ومنحللة . يقول القرآن مبشرا وميسرا ومتسامحا وغافرا بسخاء لا حدود ولا مثل له . يقول: « قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . ان الله يغفر الذنوب جميعا » ..

هل يوجد تحريض على التحلل من الالتزام الاخلاقي والديني أو تهوين من قيمة هذا الالتزام بل أو إلغاء لكل القيم الاخلاقية والدينية والانسانية مثل هذا ؟ انه أسلوب عجيب فريد من أساليب المبايعة والمعاهدة والوعود القاطعة لكل الآثام والعفونات بالتسامح والغفران بل بالمصافحة والمعانقة والحب والتقبل والرضا الصادق الحار .

كن صميلاً بلا جواد .. لا جواداً بلا صميل

ايها الصديق .. تحدثت في رسالتك الاخيرة وفي الكثير من رسائلك السابقة عن موهبة العرب الكلامية أو عن علتهم القديمة الحديثة المستعصية الدائمة التي معناها : انهم يتكلمون بلا حساب او محاسبة او محاكمة او ضبط لاية كلمة يقولونها ، في اي موقف وامام اية قضية ، وانهم يهبون الى الكلام كل اهتمامهم واعجابهم وحماسهم وحيهم وايمانهم ، وانهم يجنون فيه كل معاني ومستويات النضال والمقاومة والشجاعة والموهبة والانتصار والداواة والارتواء ..

وقد رايت في رسائلك ان في موهبة العرب ، هذه او في آفتهم هذه استنزافا او تفريغا بليدا وخطيرا لطاقتهم ولاحتمال النضال والابداع والعمل القوي المجدي فيهم .. انك ترى انهم جميعا : زعماءهم وحكامهم وقادتهم ومعلميهم وكتابهم وجماهيرهم يزحفون على جميع القضايا والمشاكل والمخاطر والاحتياجات التي تواجههم وتفرض عليهم امالا ومواجهات وافكارا وتحركات ومواقف قوية وصعبة وشجاعة - نعم ، يزحفون عليها بجيوش متتابعة من الكلام الشاتم المهدد الصارخ البليغ المتدين المغرور القبيح البذيء .. وحينئذ ينفذون ويسترخون ويشعرون بكل مشاعر الراحة والانفصال والجذوة والقوة .. بكل مشاعر المناضل المعطى المتفوق الظافر على جميع الخصوم والانداد والمواجهات . ان كل غضب الحياة وحماسها يموتان فيهم بلا ثمن . انك ترى انهم لو لم يتكلموا لفلوا .. لقد جاء الكلام الكثير بديلا عن الفعل العظيم .. لقد سرق الكلام من انفسهم كل طاقتها واحتمالاتها وغضبها وحماسها . بل كل نكائها . لقد استنزفها من الاعماق ..

ان العرب قد عاقبوا تاريخهم وبعاقبون حياتهم بالكلام وسحبوا من تاريخهم ويسحبون من حياتهم بالكلام ايضا كل خصوصيتها وراثتها وعبقريتها وكل ما فيها من احتمالات الولادة الجيدة .. انهم يبالبون جدا في سب وتهديد وتحقير الاعداء والمشاكل والاططار وحينئذ يشعرون بالارتواء والشفاء .. انهم بذلك يستفرغون انفسهم ..

وهذا الرأي الذي رايت وقلت ايها الصديق يراه اليوم ويقوله كثير من متحدثي العرب ومفسريهم بل ومفكريهم . انهم يعتقدون كما اعتقدت ان العرب لو لم يوهبوا هذه الموهبة او لو انهم شفوا منها لتفجرت فيهم المواهب الانسانية الاخرى التي تاخر

تفجرها كثيرا حتى ملت عيون الاشياء من انتظارها ، بل حتى صارت تخجل من انتظارها . . لهذا فان هؤلاء المتحدثين والمفسرين بل والفكرين قد هبوا في نوبات من الحماس الصادق المتصاعد ينصحون ويحرضون ويعلمون الاقلال من الكلام ومن كل فنون البلاغة والمبالغة والخطابة ، من كل فنون الصوت والتصويت . . لكي يجيء في زعمهم ما طال انتظاره من الاعمال والقفزات العظيمة المفقودة حتى الافتضاح والياس . . انهم يرون ان كل عبقریات العرب تتحول الى اجهاض بلا اية ولادة بسبب كثرة الكلام والتصويت .

اجل ، ان العرب ظاهرة كلامية . وقد يقال انهم ظاهرة صوتية اي اقل من كلامية . . ان للكلام او للتصويت او الصوت في حياة العرب وفي تاريخهم شأننا بل تاريخا بل مجدا ضخما ، ضخما . . ان مجد الكلام في حساب العرب ليس في قوله او في الاستماع اليه فقط او في المقاتلة والتهديد والانتصار او في التداوي ومحاولة حل جميع المشكلات به فقط . بل ان مجد الكلام وقوته في كل ذلك ، بل وفي اكثر من ذلك جدا . ان الكلام في حساب العرب وتفكيرهم وايمانهم بل وفي تاريخهم هو كل المجد والقوة . حتى الاله الذي يؤمن به العرب ويصلون له هل له مجد او قوة غير الكلام المنزل البليغ ؟ ان منشورا او خطابا او قصيدة ضاجة بالشتائم والتهديد والادعاء والمفاخرة والمبارزة وبالتحدث عن الامجاد والانتصارات التي كانت يوما ما او التي زعمتها الكتب والحكايات او التي زعمت الكتب والحكايات انها سوف تكون ، انها من علامات الساعة واخر الزمان . . حتى التحدث عن علامات الساعة وعن عجائب اخر الزمان هو موهبة خطابية عربية . .

- نعم ، ان منشورا او خطابا او قصيدة من هذا الطراز يقولها او يقوله ، يلقيها او يلقيه زعيم او خطيب او شاعر مهتاج صارخ قافز من النزق والاعجاب فوق جمهور هاتف صائح من الايمان والغفلة والبلادة والهوان ، يوجهه او يوجهها اي المنشور او الخطاب او القصيدة الى عدو مثل قاهر ، او الى ضعف او فساد لا مثيل له في فضحه وافتضاحه ، او الى هزيمة هي في قسوتها اعتذار عن عار كل الهزائم ، تبتدو كل الهزائم محاسبة ومحسوبة بها كأمجد الانتصارات لقسوتها .

- نعم ، ان مثل هذا المنشور او الخطاب او القصيدة ليتحول في مشاعر وحسابات القائل والسامع ، في حسابات ومشاعر القادة والحكام والجماهير بل وفي حسابات ومشاعر التاريخ والمخابر والمحاريب الى اعظم واشمل تعويض عن كل ما فقد من انتصار وكرامة وقوة واستقامة ومجد وذكاء ، بل والى اشمل واعظم تكبير عن كل ما حدث وعن كل ما هو حادث ومستقر من هزائم وعار ونذالات وحقارات وضعف وتلوث وسقوط في جميع الحفر وفي اعماق كل الاحوال . . بل ان ذلك ليصنع من مشاعر الانتصار والابتهاج والتباهي والكبرياء والرضا ومن الحماس والنزق اكثر واقوى مما يصنع الواقع المجيد جدا . بل ان ذلك ليوهمهم جميعا : يوهم القائل والسامع ،

القادة والحكام والجماهير والتاريخ والمناير والمحاريب بان ذلك الواقع المجيد جدا قد جاء ، اروع مجيء لان ذلك المنشور او الخطاب او الشعر قد انشد باحتفال ضاح قافز هائج . ان العربي ليجد الشيء المستحيل الذي يتحدث عنه باحتياج اكثر مما يجد الشيء الواقع الذي يراه بصمت ووقار . . .

حقا . . . ان العرب ظاهرة كلامية او لغوية . وقد يكون الصدق انهم ظاهرة صوتية او تصويجية ، اي انهم لم يبلغوا طور ان يكونوا ظاهرة كلامية او لغوية

ان الفرق كبير بين الكلام او اللغة وبين الصوت او التصويت . . . الكلام تخطيط او تعبير عن تخطيط او عن خطة او فكرة او تفكير . . . ان فيه معنى الهدف والتحديد والتسديد الى شيء معين مراد معروف او مظنون . . .

اما الصوت او التصويت فانه لا يصعد الى هذا الطور . انه ليس الا تعبيراً عن الذات او عن الحالة ، تعبيراً ليس فيه معنى التحديد او التسديد او الهدف المراد او المعروف او المظنون . ليس فيه اي معنى من معاني الضبط او القصد . انه ليس الا افراراً او اطلاقاً مثل البكاء والابتن والتوتر وارتحاف العضلات . . . مثل كل الانفعالات الذاتية التي تطلق او تنطلق دون اية حسابات او انضباط او تحديد او بحث عن شيء معين معروف او مظنون . . .

وتحت هذه الفروق بين الكلام او اللغة وبين الصوت او التصويت هل العرب ظاهرة كلامية لغوية ام هم دون ذلك ؟ ام هم فقط ظاهرة صوتية او تصويجية ؟ ان الجواب على هذا التساؤل يحتاج الى تفكير فيه كل مخاوف وتكاليف الشجاعة والصدق والاخلاص والمغامرة . وهل يوجد اثقل من هذه المخاوف والتكاليف ؟ ولعل نفس هذا التساؤل اقسى واخطر من الجواب عليه او من محاولة الجواب عليه . . .

ولعله تساؤل لم يسمع او يطرح بل او يتعامل مع الخيال او التصور او التفكير قبل اليوم . . . اذن كم يمكن ان يكون في طرحه وفي الاستماع اليه وتقبل محاكمته والتفكير فيه من المانة والرهبة والمخاطرة ! . . . وكم هي الكائنات المصوتة التي لا تستطيع ان تكون متكلمة ! ماذا يمكن ان يكون جواب من يتساءل او يساءل : هل العرب امام اية قضية يتكلمون ام يصوتون ؟ هل جربت هذا التساؤل ؟

ولان العرب ظاهرة كلامية او صوتية تصويجية فقط فانهم بالكلام او بالصوت والتصويت مرفوعا بلا اي ضبط او حساب يعالجون ويكفرون ويفغرون ويمجدون ويحطلون ويقاومون كل شيء ، وينتصرون على كل شيء ، على كل عدو وعلى كل خطر وتخلف وفساد وعجز وهزيمة . . . انهم يجدون في الكلام شفاء من كل داء وعزاء عن كل هوان وانتصارا على كل عدو وغطاء لكل قبح وتشوه . . .

انهم لو واجهوا ابشع هزيمة او اهانة قومية لا نموذج لها في قسوتها وفي ضعف تفاسيرها فقام صاهل وانشد قصيدة غراء من قصائد الجاهلية الاولى او مما بعد الجاهلية ، او قصيدة من ابتكاره هو يمجدها فيها آباء العرب وبطولاتهم وفتوحاتهم

وقهرهم لكل العالمين ، او يمجّد فيها الابناء الذين انتقلت اليهم بطولات وعبقريات آبائهم ، ويمجّد ما سوف يصنع هؤلاء الابناء من معجزات مثلما فعل آباؤهم ، او يمجّد نبوات العروبة او تعاليمها او اخلاقها او ما في قدرتها وقدرها ان تصنعه وتهبه ، ما لا بد ان تصنعه وتهبه ، بل او يمجّد خلفاءها وسلاطينها الغابرين المدفونين في مقابر جواربهم ..

- اليس تمجيد السلاطين والخلفاء الغابرين هو في حساب الانسان العربي تداويا من كل هوان وضعف وفساد وهزيمة ، وصعودا فوق كل قمة ومجد منافس او محارب ؟ بل وايقاعا بكل الغيظ والحسرة على كل عدو ؟
- اجل ، انه لو حدث ذلك وهو يحدث كثيرا بل دائما ، بل وهو وحده الذي يحدث ولا شيء سواه لنسيت تلك الهزيمة والاهانة ولتحول الموقف موقف انتصار ومجد وكبرياء وابتهاج صائح ، صائح من الاعجاب والايمان والحماس والرضا . ان كل المواقف والمواجهات والاشياء الرديئة والدميمة جدا لتتحول الى النقيض بالكلام او بالتصويت .. بالخطبة او بالمنشور او بالصيدا او بتلاوة بعض النصوص من الكتاب المنزل الموحى به ..

انظر ، ان العرب لا يقاسون اي شعور بالعار او الافتضاح او الهجاء والتعريض للنفس او بالحاجة الى الاستتار او الاعتذار حينما يعلنون بتكرار واصرار وايمان ان اعظم ما وهبوا الحياة والحضارة ، واعظم ما تفوقوا به على العالمين ، واعظم ما تحدوا واعجزوا به الجن والانس وكل الكون المنظور وغير المنظور ، واعظم ما سوف يشفى كل شيء من آلامه وادوائه وما يختزن في ذاته او ضميره او عقله ونياته كل المعارف والعلوم والحقائق فيما كان وما سوف يكون ، ازلا وابدا ..

- ان اعظم كل ذلك هو كتاب اي كلام ، وان قيمة هذا الكتاب ليست الا في تركيبه الكلامي اي اللغوي اي الصوتي ، او ليست الا في اسلوب تصويته ..

انه كتاب ، اي كلام ، كلمات ، اصوات ، قد زعم آباء العرب ولا يزال ابناؤهم يزعمون وسوف يظلون يزعمون انه اي هذا الكتاب المعين الذي تقرؤه بتحقيق وابتدال اردا واطع واصفر الافواه ، وتحفظه وتفسره ارض الصمائر وانغبي واجهل العقول ، لتبئمه بأبخس الاثمان على الكذب والظلم واطفى المشتريين ، المتعاملين في اقبح الاسواق اخلاقا وسلما ووجوها .. وهل يوجد كتاب يباع كذبا ونفاقا ويشترى كذبا ونفاقا في اكثر الاسواق جهلا وغبا وفسادا ، مثل هذا الكتاب ؟

- نعم ، قد زعموا ولا يزالون يزعمون انه اي ذلك الكتاب الذي هو كلمات واصوات وقد يكون اصواتا فقط ، هو كل شيء واكبر من كل شيء !! انه حتى لو كان اي هذا الكتاب يختزن في حروفه كل العبقريات والمداواة لكل الآلام لما كان مجده وقيمته عند العرب اكثر من استماعهم اليه مصوتا .. ويلى عليك ويولي لك ايها الانسان العربي . ويلى على آباءك وتاريخك ولاآباءك وتاريخك .. ابك ايها الانسان

العربي لآبائك وتاريخك ، وعلى آباءك وتاريخك . . ابك بكل وجودك ، بكل اعضاءك ومعانيك رثاء لقومك ولتاريخ قومك ولعبقرية قومك كلما تصورت هذه القصة ، قصة هذا الكتاب الذي هو كلمات واصوات او الذى هو أصوات فقط ، اصوات من أي نوع . . نعم ، من أي نوع !!

نعم ، انه اصوات ولكن ما نوع هذه الاصوات ومن اين جاءت ومتى جاءت وكيف جاءت ؟ هل فكرت في ذلك ؟ انظر بانفجاع . . ان قومك العرب بكل الجسارة النفسية والعقلية والاخلاقية والتاريخية بل والحضارية . . انهم بكل هذه الجسارات يقرؤون هذا الكتاب بكل مستوياتهم ، جماهير وقادة ، قوما وحضياً ، يقرؤونه اصواتا وتفاسير على جميع هزائمهم ومشاكلهم وهمومهم ومخاوفهم وضعفهم وعلى جميع اعدائهم واندادهم . . يقرؤونه ويقرؤونه لكي يحدث النقض ، لكي يحيى كل ما يريدون ويذهب كل ما لا يريدون . .

انه كلام قديم ، قديم ، او اصوات قديمة ، قديمة لا يزال قومك العرب يقاتلون بها كل الاحداث ، يقرؤونها بالتصويت والتفسير لينتصروا بها على جميع مواجهاتهم الاليمية لان قومك ظاهرة كلامية او ظاهرة صوتية او تصويتية اي اقل من كلامية . . انه كلام ، كلام قديم يقرؤونه على جميع دنوبهم وتلوثاتهم لكي تتحول الى طاعة ونظافة . ان قومك اعجب معجزة في جميع نماذجهم ونقاشاتهم وتفاسيرهم البشرية . هل توجد معجزة تساوي قومك ايها العربي ؟ وماذا يعني القول بان العرب ظاهرة كلامية او صوتية ؟

انه لا يعني انهم هم وحدهم الذين يتكلمون ويصوتون ، او انهم هم اكثر الناس او اكثر من كل الناس كلاما او اصواتا وتصويتا او اعلى اصواتا وتصويتا . انه ليس محتوما ان يكونوا كذلك . انه لمحتمل ان يكون ذلك كذلك . ولكن ليست هذه هي القضية . .

ان المراد بذلك انه ليس في البشر جميعا او ليس في البشر المتحضرين او ليس في البشر الذين نعرفهم ، او ليس في البشر الذين هم نموذج البشر او النموذج الاعلى والمنطق الاعلى للبشر .

– نعم ، ليس في هؤلاء من يعولون على الكلام او على التصويت ، من يتداولون من كل شيء ويداولون او يحاولون ان يداووا كل شيء بالكلام والتصويت ، مثل العرب او غير العرب او باسلوب العرب او بايمانهم واقتناعهم ، ليس فيهم اصحاب مملقات مثلما كان للعرب حول كعبتهم . لقد كان تعليق العلاقات حول الكعبة يعني عند الانسان العربي اضخم عرض لكل القوة والمجد والانتصار والعبقرية والحضارة والتفوق على كل شيء . .

اجل ، ليس في هؤلاء غير العرب او مثل العرب او باسلوب العرب وبايمانهم واقتناعهم من يحاولون ان يقاوموا كل شيء وينتصروا على كل شيء وان يحولوا كل

شيء الى النقيض بالكلام او بالاصوات السبابة الغاضبة الصاهلة المهدة المتهمة التظاوله المغروره المباهية المبارزة المتحدية المتحولة الى نبوات والى كتب مقدسة منزلة . . هل وجد غير العرب من حولوا اصوات آباءهم السبابة المهينة المهدة الى نبوات والى كتب أوحث بها السماء ؟

لقد رأوا من مبالغتهم في قيمة الكلام ان الله قد اراد ذات مرة ، مرة واحدة ان يصنع اعظم شيء ، لاعظم شعب . فماذا فعل ؟

لقد استنجد بكل قدرته وعبقريته وبكل رحمته وكرمه لكي يصنع هذا الشيء الذي هو اعظم شيء لهذا الشعب الذي هو اعظم شعب ، كما شاور وفاوض وحاوّر طويلا ، طويلا جميع مستشاريه وملائكته واعوانه المخلصين الاذكياء جدا ، جدا ، ضاغطا مقسما عليهم وبهم وبحبه لهم وبخوفهم منه ان يمنحوه كل نصحهم وصدقهم واخلاصهم وذكائهم . وبعد أهوال المعاناة العظمى استطاع ان يصنع هذا الشيء الاعظم للشعب الاعظم . لقد صنع للعرب كتابا اي صنع لهم كلاما او اصواتا ! لقد كان هذا الكتاب الذي هو اصوات كل عطايا هذا الاله لشعبه العربي الذي وهبه كل حبه . ولكن استغفرك ايها الاله . . ليس اللفظ هو اعظم شيء وهبته لقومك العرب الذين وهبتهم كل قدرتك على المحابة ؟

لقد آمنوا واعلنوا ان الله قد مجدهم تمجيذا لم يمجده اي شعب من الشعوب، وانه حينما اراد ان يمجدهم هذا التمجيد الذي لم يجد أعظم منه ولم يرد أن يمجده شعبا آخر أعطاهم كتابا اي انزل عليهم كلاما . لقد آمنوا بذلك ولا يزالون يؤمنون به واعلنوا عن ايمانهم هذا اعلانا عالميا وانهم لا يزالون يعلنون عنه هذا الاعلان العالمي . لقد وجدوا في الاعلان العالمي الدائم عنه مجدا بقدر ما اعتقدوه هو مجدا .

انهم يرون ان الله قد اختار أن يجعل معجزات كل الامم معجزات علمية لانه لم يرد أن يصعد كثيرا بمكانة هذه الامم ، ولم يرد او يقدر أن تكون معجزاتها ونبواتها وقيادتها للعالم وللضمير الانساني وللمسيرة الانسانية خالدة او شاملة . . ان الله لا يستطيع ولا يريد ان يعدد في اختياره او في تفضيله . انه موحد في اختياره وفي تفضيله للعرب بقدر ما هو واحد في ذاته . .

أما هم اي العرب فقد اختار بعد تفكير طويل وحسابات حادة دقيقة متفانية في الاخلاص والحب والولاء والشهامه ان يجعل معجزاتهم معجزات كلامية اي صوتية ، اي ان يجعل هذه المعجزات كتابا يقرأ ويغنى ويفسر وتشغل جميع الخبايا والمحاريب والاقلام والدجالين واللصوص بتلاوته وتغنيه وتفسيره ، كتابا يكذب ويسرق ويظلم ويقتل ويشتم ويعادي باسمه وباسم تفسيره والاستمسك به والدفاع عنه والغضب له ، الاقوياء والضعفاء ، الاذكياء والاغبياء ، القادة والجماهير . ألم تكن معجزات نبي العرب كلاما ومعجزات انبياء الامم الاخرى علوما تغير الطبيعة والاشياء وتنتصر عليها وتحكمها وتسخرها ؟ ألم يفاخر العرب بأن ذلك كذلك ؟

لقد اراد الله ان تكون امجاد العرب وحضارتهم وعبقريتهم كلاما لانه يريد ان يحبهم وأن يكرمهم جدا وان يؤبد ويخلد قيادتهم للبشرية وسيادتهم عليها . أما الآخرون فلم يرد الله لهم هذا الحب او التكريم ولا هذه القيادة او السيادة . لهذا جعل أمجادهم وحضاراتهم وعبقرياتهم علمية . . . لقد كانت كل امجاد الاله امجادا كلامية لهذا اختار ان تكون كل امجاد العرب المشابهين له في كل شيء امجادا كلامية اي صوتية . . .

هكذا رأى العرب وقالوا واعلنوا وتباهوا واصروا ، ولا يزالون يفعلون ذلك . لهذا فانهم لن يصدوموا او يغاروا اذا غزا مجد الآخريين الشموس لان مجد العروبة لن يطاول او يمس . انه مجد الكلام ، مجد الكتاب المنزل المعجز . . . اذن ارث . . . ابك ايها الانسان العربي ان لم تستطع شيئا افضل واعظم من الرثاء والبياء . . . اذن ابك وارث مهما استتعت وفعلت اشياء افضل واعظم من البياء والرثاء . . . ارث وابك على امجاد آباءك وتاريخك ولامجاد آباءك وتاريخك . ارث وابك لقوم كل مجدهم في كل التاريخ كتاب منزل اي اصوات ، وكل مجدهم في عصر غزو السماء هو النفط .

اجل ايها الصديق . . .

ان العرب مصابون بجموابة الكلام . ولعلمهم لم يصابوا بشيء مثلما اصابوا بذلك مهما كانت اصابتهم في كل معانيهم وتفسيرهم جيدة جدا ، جودة يعترف بها ولها كل العالم . ولو أن العالم اراد ان يختار ابلغ الناس او اقصى الناس اصابة بجموابة الكلام لكي ينصبهم شيئا ما او على شيء ما ، استطاع ان يجد من يتفوقون على العرب في ذلك . ولو ان الاله جمع البشر في مكان واحد ثم نادى : ليقيم ويتقدم الي ارضا الناس كلاما واكثرهم كلاما امام كل المشاكل وفي كل المواقف ولمعالجة كل الآلام والاختفاء والهزائم بل والذنوب لكان العرب هم في اول من يقومون ويتقدمون او هم كل من يقومون ويتقدمون . ان البشر لو لم يكونوا قد ابتكروا الكلام او لو انهم قبل ان يبتكروا الكلام قد سمعوا العرب يتكلمون او يؤدون ما يسمونه كلاما بالاساليب والتفاسير التي بها يؤدون ويعيشونه ، لكان من الهجاء لهم اي للبشر ومن القسوة المتوحشة عليهم الافتراض بانهم قد يقبلون ان يصبحوا متكلمين او أن يطالبوا او ينتظر منهم بأن يصبحوا متكلمين ، اي لو فهموا كلام العرب واقتنعوا بأن كل من يتكلمون لن يتكلموا الا كما يتكلم العرب . ان العرب لا بد أن يتحولوا الى اقصى هجاء لكل من يسمعهم يتكلمون ثم يحاول ان يكون متكلمًا . أليس احتمالا ان يتعلم الناس العجز عن الكلام خوفا من ان يتكلموا كما يتكلم العرب ؟

ولو ان الكائنات الاخرى التي لا تستطيع ان تكون متكلمة ، ان تكون شاعرة او خطيبة او واعظة او معلمة او مفكرة او مذيعة او كاتبة او صحفية او قائدا عسكريا يتحدث عن معاركه المقبلة والماضية والحاضرة ، او زعيما يتحدث مهددا الاعداء

والخصوم والانداد او اعدا مبشرا بالخيرات والانتصارات والعبقريات التي صنعها ووهبها في الماضي والتي سوف يصنعها ويهبها في الآتي ، كما يتكلم ابناء العروبة ، كما يتكلم اساتذة اللغة التي تعلمت عليها الالهة كيف تصعد الى منابرها ٠٠

– نعم ، لو أن هذه الكائنات الاخرى التي لا تستطيع ان تصبح متكلمة سمعت شاعرا او خطيبا او واعظا او مفكرا او معلما او مديعا او كاتبا او صحفيا او قائدا عسكريا او زعيما عربيا يقول نفسه وفنه ويعبر بالكلام عن موهبته او عن ارادته وشهوته ، ثم عرض على هذه الكائنات ان تصبح مستطبعة ما لا تستطيع ، اي ان تصبح متكلمة كالانسان العربي ، كالشعراء والخطباء والوعاظ والفكرين والمعلمين والصحفيين والمذيعين والكتاب والعسكريين والزعماء العرب ، لكان من الاحترام لهذه الكائنات ومن التأدب معها والرفق في تفسيرها والحكم عليها الاقتناع بانها لا بد أن ترفض هذا العرض وان تحتج بكل الغضب والعنف على ما في العرض من معاني الاهانة والتحقير لها ٠٠ أليس مجرد التفكير في هذا العرض على هذه الكائنات البريئة لا بد ان يحسب اهانة قاسية لها ؟

بل اننا لو افترضنا الالهة تحترم نفسها ثم افترضنا انها اي الالهة تعرف منذ بدء الاشياء وقبل بدئها ان العرب سوف يتكلمون ، اذا تعلموا الكلام ، معها اي مع الالهة وعنها وفيها وباسمها ، ومع انفسهم ومع الاخرين ، والى انفسهم والى الاخرين وعن انفسهم وعن الاخرين، وعن الاشياء وفيها ومعها وباسمها وتفسيرها لها، بالاسلوب الذي به تكلموا ويتكلمون .

– نعم ، انهم سوف يتكلمون كذلك اذا تعلموا الكلام لكان من المحتوم ان نفترض بانها اي الالهة لن تأذن بان يتعلموا اي العرب الكلام ، بل ولن تأذن بان يتعلم الاخرون اي غير العرب التكلم او القدرة على الكلام لثلا يتكلموا اي اولئك الاخرون بالاسلوب الذي يتكلم به العرب او خيفة ان يتكلموا باللغة العربية بالاسلوب الذي يتكلمها به العرب – بل لكان من المحتوم ان نفترض بان الالهة نفسها لن تأذن لنفسها بان تتعلم التكلم بأية لغة او بمعرفة اية لغة لثلا تتورط بان تتكلم باللغة العربية او بأية لغة اخرى كما يتكلم العرب او لثلا تعرف كلام العرب حينما يتكلمون – بل لكان من المحتوم ان ترفض اي الالهة بأن تتخلق فيها ولها حاسة السمع خيفة ان تسمع العرب يتكلمون حتى ولو لم تفهم ما تسمع ، بل وأن ترفض اي الالهة أن تكون مبصرة خيفة أن تراهم يتكلمون ٠٠٠ ان رؤيتهم وسماعهم ، مجرد سماعهم ورؤيتهم وهم يتكلمون لشيء بائس مرهق حتى بلا فهم او سماع لما يقولون .

اننا هنا نفترض الالهة حيوية وذكوية ومهذبة ومالكة لموهبة النقد والاحتجاج والاستقباح والاشمزاز ٠٠ اننا نفترض مستواها الحضاري والاخلاقي والشعوري أعلى من مستويات الانسان العربي ٠٠ ولكن كيف نفترض الالهة اعظم موهبة من الانسان العربي ؟ اذن من صاغ للانسان العربي موهبته ؟ ولماذا تصادقه وتعامله

وتختراره ان كانت افضل او اعظم منه ؟ أليس محتوما ان تفترض جميع المستويات الحضارية والاخلاقية والشعورية لجميع الكائنات حتى للالهة اعلى من مستويات الانسان العربي ؟ بلى ولكن قد تستثنى الالهة من ذلك .

انه لو كانت توجد مخلوقات اخرى غير متكلمة تخوض معارك منافسة او مخاصمة ضد الانسان العربي لكان من الحري او من المنطقي جدا ان تجد سلاحا جيدا في تعبيره بأنه كائن متكلم او كائن مصوت اي انه لم يبلغ طور المتكلم . ولعل هذه المخلوقات غير المتكلمة موجودة ، ولعلها ظلت غير متكلمة لانها ترفض ان تتعلم الكلام لانها تخشى ان تتكلم كما يتكلم الانسان العربي . . .

ان القوة او القوانين التي تصوغ الكائنات والاشياء لم تكن حفية ولا رحيمة او كريمة في صياغتها للانسان العربي حينما صاغته متكلم او مصوتا ولم تصفه صامتا ، صامتا . هل صاغته كذلك عن بلاهة وجهل ام عن عداوة ؟ هل قصدت هذه القوة او القوانين تشويبه وتعبيره حينما صاغته متكلم او مصوتا ام هي في موهبة النقد والرؤية للاشياء ليست افضل من الانسان العربي ، لهذا لم تدرك كما لم يدرك هو أن صياغته او مجيئه متكلم او مصوتا اقسى اساليب التشويه والتعبير له ؟

انه لصعب جدا ان يكون هناك اي خلاف او شك في ان مجيء الانسان العربي متكلم فصح وهجاء له ، وانه كان من الرفق به والاحترام له والمستر عليه ان يجيء مصابا بالخرس الطبيعي الشامل الذي لا يمكن الشفاء منه ولا العلاج له ، بل الذي لا يراد له هذا الشفاء او هذا العلاج . . .

افن كيف لم يفظن عربي واحد بل ولا غير عربي لهذه الحقيقة او كيف لم يببال او يتعذب بها ولها ؟ لهذا لم ترتفع اية دعوة باي اسلوب في اي وقت تنادي بأن يحرم على الانسان العربي ان يتعلم الكلام ليظل ضعفه اخرس ، لتظل تشوهاتة ومواهبه المفقودة غير ناطقة او غير مذقوق بها . أليس الخرس احيانا هو اجمل الازياء واتقى وسائل الاستتار؟ أليست اضخم الذنوب ان تتحول التشوهات والمواهب المفقودة الى نبوات تخاطب ويخاطب بها ولها من فوق كل منابر الدنيا كل الاوقات بأعلى الاصوات ؟

كيف لم يفظن والد عربي واحد الى أن من القسوة المتوحشة أو من الاهمال البذيء ان يترك ابناءه يتعلمون الكلام دون ان يحاول اية محاولة لحمائتهم من ذلك . أليست حمايتهم من ذلك حماية لهم من السقوط في كل الاحوال ومن التعري والتشوه في كل العيون والاذان بواسطة الفم .

هل الموقف هنا موقف قسوة ام تقصير واسترخاء ام بلاهة وجهل ام رغبة في مشاركة الاخرين والانداد والامثال وللجيزان من المواطنين في عارهم وافتضاحهم ، ام رفض للخروج على الجماعة والاجماع ، ام عجز عن هذا الخروج وخوف منه ، ام ان الانسان العربي هو دائما اكبر او اصغر من كل التفسيرات والمقاييس والمحاصرات

المنطقية ، هو دائما فوقها جدا او تحتها جدا حتى انه لا يخضع لها ابدا ولا تحاول إخضاعه ابدا ؟ هل جنى الآباء العرب على ابنائهم مثلما جنائيتهم عليهم حينما تركوهم يتعلمون التكلم ليتكلموا كما يتكلم الذين يتكلمون اللثة العربية ، اي كما يتكلمون هم اي الآباء ، اي ابائهم .

كيف لم توجد حتى اليوم في اية فترة من التاريخ مدارس ولا اساتذة في العالم العربي لتعليم المواطنين العرب الخرس او العجز عن تعلم الكلام او عن حمل ادوات الفصح واجهزة التعيير والتحقير للنفس والموهبة ؟ الا يمكن في يوم من الايام ان توجد هذه المدارس وهؤلاء الاساتذة ؟

كيف يستطيع انسان ما ان يسمع او يقرأ للزعماء او القادة او المفكرين او العلمين او الشعراء العرب ثم لا يرى واجبا ان يعلم كل العرب الخرس ؟

أليست دعوتك ايها الصديق انت واخرين الى ان يقلل العرب من الكلام او الى ان يكفوا عن الكلام ، لان الكلام فيما رأيتم وذكرتم قد امتص من العرب او هزم غيهم كل المواهب الاخرى القوية الطيبة التي قد تفرد بها الآخرون - لان كل احتمالات العرب القوية قد حولها الكلام الى اجهاض .

نعم اليست دعوتكم هذه ايها الصديق وشكواكم من موهبة العرب الكلامية احساسا قويا بالحاجة الى مثل هذه المدارس وهؤلاء الاساتذة لتعليم الانسان العربي الخرس او لتعليمه العجز عن الكلام اي عن ان يكون فضاحا لنفسه ولكل شيء بما يسميه نبوات او تعاليم او فنونا او ادابا او كتبنا او خطبا او مواعظ او صلوات او اديانا او افكارا او فلسفات وتخطابا مع النفس ومع الآخرون او عن النفس وعن الآخزين او تهديدا او انذارا او سبا او هدا او ثناء او هجاء او فتخارا ، او بما يسميه اي شيء اخر ، زاعما انه كما يسميه ويدعيه ، او بما يسميه هتانا وايماننا بالالهة وتمجيدها او تكريما لها ، واستنصارا بها على الاعداء وتحريضها عليهم ، وتحدثنا عنها وتحدثنا ايها عن الآلهة والى الآلهة ؟

نعم ، أليس ذلك كذلك ايها الصديق ؟

وكم كان ذلك رائعا لو ان الانسان العربي قد علم بوسيلة ما العجز عن فنونه هذه كلها فلم يتكلمها ، لم يتكلم واحدا منها ، فلم يكن لواحد منها اي من فنونه هذه اي تاريخ في تاريخه ؟ كم كان ذلك رائعا لو انه حدث من البداية ، من قبل البداية ، فلم توجد اية بداية ! كم كان رائعا او استتارا جيدا لو ان الانسان العربي في كل تاريخه لم يقل كلمة واحدة مما يسميه ويحسبه افكارا او اشعارا او حكمة او فلسفة او تعاليم او صلوات او نبوات او كتبنا منزلة او فنونا او سياسة او دعاية ؟

اجل ، أليس محتوما ان التاريخ العربي سيكون اكرم وانظف واثقل تشوها او عارا لو انه قد حذف من جميع ما يحسبه ويسميه نبوات وتعاليم واديانا وصلوات وافكارا وادابا وفلسفات وخطبا واشعارا ومخاضات وملاعات ومجادلات ومخاطبات

ومحاريب ومناير ونصوصا وكتبا مقدسة وتضرعات وهتافات بالالهة وتهديدا وانذارا
 وشتما للاعداء ، اي جميع ما يسميه كلاما او جميع ما انتجه الكلام او اعلن عنه
 لانه قد تعلم الكلام ، او جميع ما تعلمه وعلمه بالكلام ؟
 هل اعتدى على التاريخ العربي شيء مثلما اعتدى عليه الكلام او ما عبر عنه
 بالكلام او ما اكتشفه عنه وفيه الاخرون بالكلام ؟ وهل اعتدى الكلام على قوم مثلما
 اعتدى على العرب او اكثر مما اعتدى على العرب ؟ او هل اعتدى قوم على الكلام او على
 ما يسمى كلاما مثلما اعتدى عليه العرب او اكثر مما اعتدوا عليه ؟

**

اي صديقي ..

نعم ، ولكن ليست هذه هي القضية هنا . ليست القضية هنا : ان ظاهرة العرب
 الكلامية فضيحة عقلية واخلاقية وحضارية وتاريخية اي فضيحة انسانية شاملة .
 هذه قضية ينبغي الا تحاور ..

ولكن القضية ايها الصديق هنا هي ما رأيت انت ورأى اخرون من ان هذه الظاهرة
 العربية الكلامية هي التي جعلت العرب عاجزين عن ان يكونوا اقوى او افضل او اعظم
 مما كانوا او عاجزين عن ان يكونوا كما يجب ان يكونوا . اي ان موهبتهم الكلامية
 قد اعتدت على عبقريتهم الابداعية والحضارية والاخلاقية والهجومية فسلبتها كل
 طاقاتها وكل قدرتها على المحاورات والانتصارات اي انها قد عطلت فيها كل اجهزة
 التفجير والاطلاق ..

لقد رأيتم ان كون الانسان العربي متكلما بالاسلوب الذي به يتكلم هو الذي جعله
 غير عظيم ولا كبير ولا قوي في اية كينونة من كينوناته ولا في اية صيغة او نموذج
 من صيغه ونماذجه الانسانية او الحضارية ، بل ولا في اية مبارزة او مواجهة او
 مخاصمة من مبارزاته ومواجهاته ومخاصماته ، وانه لو صمت او لو اقل الكلام او لو
 تكلم باسلوب اخر لاصبح عظيما وقويا وكبيرا في جميع ممارساته وانطلاقاته ، فـ
 جميع الاشياء التي تتحداه أو يتحداها . تبارزه او يبارزها ..

كلا ، ليس ذلك كذلك ، ولا ينبغي الاقتناع او الحوار على احتمال انه كذلك ..
 ان الكلام ليس هو الذي جعل الانسان العربي ضعيفا ومهزوما ومتخلفا .
 الانسان ، كل الانسان ليس تعبيراً عن الكلام ولا صياغة الكلام ، ولكن الكلام تعبير عن
 الانسان وصياغة الانسان .. الانسان يكون ضعيفا ومهزوما ومتخلفا لانه ضعيف
 ومهزوم ومتخلف لا لانه يتكلم كثيرا او رديئا او بلا نكاه او صدق او وقار او براعة او
 منطق او حساب او محاسبة من اي نوع . ولماذا يتكلم كذلك ؟ لماذا لا يتكلم باسلوب
 اخر ؟ من وهبه هذا الضعف الكلامي او جعله ضعيفا حين يتكلم ؟ هل الكلام الضعيف
 الرديء البليد السفهيه هو الذي وهب نفسه ضعفه وردائه وبلاذته وسفاهته ، ام الذي
 وهبه ذلك هو الانسان ، هو موهبة الانسان ، كما ان الموهبة الاخرى المناقضة

او موهبة الانسان الاخر المناقض في مزاياه هي التي تهب الكلام الذكي القوي الجيد الاحكام بالمنطق وبالحواسبات الصادقة البارعة ، هي التي تصوغه اي تصوغ الكلام ذكيا قويا منطقيا محسوبا باذكي الحواسبات العقلية والاخلاقية او بآدق الحواسبات التجارية والانسانية ؟ ان الانسان هو الذي يخلق كلامه ، يجعله عظيما او رديئا ، وليس الكلام هو الذي خلق او يخلق الانسان .. الانسان يلد غباءه وضعفه دون العكس ...

ان الكلام الجيد او الرديء قد يجعلنا نعرف مستوى الانسان المتكلم . ولكنه لا يجعلنا ننتظر ان يبنيه او يهدمه ، ان يسلبه او يهبه . اننا لن ننتظر ذلك ولن نعتقده ..

الكلام كيفما كان لا يستطيع ان يسحب الموهبة او القوة من ذات المتكلم ولا ان يضعفها ، كما انه لا يستطيع ان يهبها او يزيدنها او يعلمها . هل يمكن ان يكون تصويت الطفل او اي كائن اقل من الانسان قد سحب شيئا من موهبته او من قدرته ؟ وهل يمكن ان يكون شيئا اعظم او اقوى او اذكي لو ترك التصويت ؟

ان اجهزة الطبيب وتحليلاته قد تدل على حالة الجسم ولكنها لا تعطيه ولا تأخذ منه . وان المرأة قد تدل الناظر فيها على مستوى جمال وصحة وجهه ولكنها لا تصوغه اية صياغة . كذلك الكلام الجيد والرديء ، الغبي والذكي بالنسبة للموهبة او للذات التي تطلقه .. ان اصوات السحاب او الاعاصير او الانهار المتحدرة او اصوات الحيوانات قد تدل عليها ولكنها لا تصنعها او تهدمها ..

الفاقد للموهبة او للقدره او للذكاء ، هل يمكن ان يصبح موهوبا او ذكيا او ذا قدرة لو انه صمت نهائيا بل لو انه اصيب بالخرس التام ، او لو انه اقل من الكلام حدا او لو انه لحن الكلام الجيد فذهب يقرؤه قراءة اذا تكلم عن اي شيء وفي اي شيء ، فذهب يحفظه حقتا ليقرأه على الناس وعلى الاشياء قراءة ؟

والموهوب القوي الذكي لو انه ذهب يتكلم كلاما كثيرا او كلاما غبيا همجيا او بلا صدق او وقار او حسابات صحيحة ذكية ، او لو انه ذهب يقرأ كلاما او كتبها غبية او رديئة او كاذبة او بذيئة وسفوية ، هل يمكن ان يفقد موهبته او قوته او ذكائه او ان تضعف موهبته او قوته او ذكاؤه ؟ لو ان هذا الموهوب الذكي قرأ او حفظ كل ما قاله وكتبه العرب في كل تاريخهم وفي كل حاضرهم وايتهم فهل يحتمل ان يسلبه ذلك شيئا من موهبته وذكائه او ان يضعف او يفسد اي معنى من معانيه المنفوقة .

ولكن هل يمكن ان يتكلم الموهوب والقوي والذكي بغباء او بغوغائية او ببذاءة او بلا وقار او بلا ضبط او حسابات ومحاكمات اخلاقية وعقلية وانسانية لكل كلماته ؟ هل يمكن ان يعبر الشيء الجيد جدا عن نفسه تعبيرا رديئا جدا ؟ وهل يمكن ان يعبر الشيء الرديء جدا عن نفسه تعبيرا جيدا جدا ؟

هل يمكن هذا او هذا مهما كان ممكنا بل مهما كان محتوما ان يعبر الشيء الجيد عن نفسه تعبيرا جيدا ، وان يعبر الشيء الرديء عن نفسه تعبيرا رديئا ؟
ليت الانسان يستطيع ان يكون اكبر او اعظم من نفسه او من احتمالاته بالتحكم فيه متكلما اي بجعله يتكلم اقل او بمنعه البتة من الكلام او بتلقيه كلاما اقل غباء وصياحا وبذاءة وافتصاحا وغرورا .

ليت ذلك كذلك . اذن لكان ممكنا او محتملا ان يكون ممكنا ان يصبح قادة العرب وحكامهم وزعماؤهم ومعلموهم ومفكروهم وادباؤهم وشعراؤهم وكتابهم بل وعامتهم اعظم واكبر واذكى جعلهم كذلك ، اي بجعلهم اقل كلاما او بمنعهم من الكلام البتة او بتلقيهم وتحفيظهم الكلام المطلوب العاقل . .

ليت الالهة او الطبيعة كانت خيرة او سخية فجعلت هذا الامكان قانونا او خلقا من قوانينها او من اخلاقها . .

ولكن هل يمكن ان توجد اية قوة او قانون او اي شيء يستطيع ان يمنع هؤلاء من الكلام او يلزمهم بان يقلوا منه ، او بان يعوا ما يلتقون ويدرسون من الكلام المطلوب منهم ان يقولوه فقط والا يقولوا سواء وان يلتزموا بذلك ، او يستطيع منعهم نهائيا من ان يتكلموا ؟

هل يمكن ان يوجد مثل هذا المانع ؟

لو انهم منعوا البتة من الكلام او قللوا منه فماذا يبقى لهم من المجد والقوة والكبرياء ومن اساليب الثناء على انفسهم واساليب الاستعراض لها ؟ أليس الكلام هو كل مجدهم وقوتهم وكبرياتهم وثنائهم على انفسهم وكل اجهزة وادوات العرض والاستعراض لها ؟ ان منعهم من الكلام او اقلالهم منه هو كل الهزيمة والسقوط والموت لهم . انه نفى واجلاء وحذف لهم من السوق والتاريخ ومن كل مكان . انه لا تفسير حينئذ لمجيبهم ولا لبتائهم . ان الشمس حينئذ لن تجد لهم عملا او تفسيرا . . بل انها اي الشمس حينئذ لن تجدهم او تعلم بوجودهم . .

اما تلقيهم وتحفيظهم الكلام المحسوب بالحكم بالذكاء والادب والصدق والوقار والنظافة لكي يقولوه فقط فهذا اشد اساليب التعذيب والقتل والحرمان لهم . ان قيمة الكلام عندهم باسلوبه اي بخروجه على جميع حسابات ومقاسات وشروط الذكاء والعقل والتهديب والصدق والشرف والوقار والاستتار . . ان كل قيمة الكلام ومجده عندهم وكل النشوة والسعادة التي يصنعها لهم في ان يكون بذيئا وقحا مغرورا كذابا بليدا سخيفا متطاولا مهددا شاتما متهاجا صائحا بلا اي قيد من الذكاء او الصدق او الشرف او الاعتدال او الحياء او الاحترام او الرؤية او الحاكمة او المحاسبة لاي شيء . آه . . هل رأيتم وهم يتكلمون كذلك اي بهذه الاساليب ؟ هل استطعت حينئذ ان تستبطن اعماق نشوتهم وكبرياتهم ونزقهم البهيج ؟

ان اي قائد او حاكم عربي لو انه وضع امام خيار بين صفتين : بين ان ينال اعظم نصر وطني او قومي او مذهبي على اشرس واقوى واخبت عدو - ان ينال هذا النصر بتهديب وهذو ووقار اي بلا ضجيج من الخطب والتحقير والشتم والفتاوي والادعاء والشماتة والمفاخرات المهينة لكبرياء وضياء ومجد الشمس ، وبين ان يحرم من هذا النصر على ان يتحول وتتحول كل اجهزته الى صراخ دائم شامل تهديدا ووعيدا ووعودا وسبابا وانذارا ومزاعم مملوءة بالصلف والادعاء والمفاخرات والبذاءات والاكاذيب وبكل اساليب التقيوء اللغوي والروحي والاخلاقي . .

- اجل ، ان اي قائد او حاكم عربي لو انه وضع في خيار امام هاتين الصفتين بالاسلوبيين المذكورين لكان محتوما ان يشعر انه قد وقع في ورطة وأنه عاجز عن ان يختار احدى الصفتين ، ان لم يكن محتوما ان يختار الصفة الثانية . وقد يكون القول بانه سوف يصاب بالحيرة او بالتردد بين الصفتين اهانة كبرى له ، لاخلاقه وذكائه واصالته وعرويته . . اذ هل يمكن ان يختار في الاختيار بين موقفين : موقف ضاج مفتضح وموقف صامت مستتر ؟ هل يمكن ان يشتري الاستنار والوقار بأي ثمن يدفع له . . ان يتقبل الشمس ثمنا لصلته او لوقاره واستناره وتهذيبه اذا تكلم ؟ ان الصياح الشاتم المهدهد المتكبر المفاخر البارز المتناول بلا اي قيد من الصدق أو الزهادة أو التهذيب أو المحاسبة أو الاحترام أو التوقير لاي معنى انساني او اخلاقي . .

- نعم ، ان ذلك بلا اي شيء لافضل من كل شيء مع الصمت وتقييد النفس او اللسان باي قيد فكري او اخلاقي او انساني او ديني او مذهبي او من اي نوع . . ان هذا هو الشعار المنطوق او المفهوم لكل زعيم وقائد وحاكم عربي . بل ان هذا هو التفسير العالمي لكل التاريخ العربي ، لكل ما فيه من عبقریات ومعارك وانتصارات، ولكل من فيه من زعماء وقادة وحكام وشعراء ومفكرين وفنانين ، من كبار وصغار ، خاصة وعامة . . هل احب العرب الهتهم وانبياءهم وامنوا بهم الا لانهم يتحولون الى شتائم وبذاءات صارخة في افواههم وضمايرهم ؟

ان الكلام البذيء البليد الشاتم النزق الصلف الصارخ المتهور ، عن كل شيء وفي كل شيء ومع كل احد وعن كل احد هو اعظم واشهر موسيقى في تاريخ العروبة ، في روحانية العروبة . . ان كل موسيقى الطبيعة لعاجزة ان تصنع للانسان العربي النشوة التي يصنعها له الكلام الضاج البليد البذيء الفضح المهدهد . .

ان العرب لم يبتكروا او يحملوا سلاحا أو يضرخوا بسلاح في كل تاريخهم اشهر او اقوى من هذا السلاح او مثل هذا السلاح . انهم لا يقبلون ان يشتروا كل مجد الدنيا وكل مجد الاخرين بمجدهم هذا . لن يقبلوا ان يتنازلوا عن اي شيء من مجدهم هذا حتى ولو كان الجزاء ان يعطوا كل مجد السماء ، كل مجد الشمس والنجوم . .

ان قصيدة خرقاء تسب وتحقر الاعداء او الاخرين او المنافسين بلا صدق او شرف او حياء ، وتمتدح وتمجد النفس والاباء ايضا بلا صدق او شرف او حياء ، يلقيها شاعر يتعمى ويتساقط من الذوق والاعجاب والرضا عن النفس ، لهي في حساب الشاعر وفي حساب قومه العرب المستمعين اليه اعظم مجدا واقدر على اعطاء النشوة الروحية والقومية والوطنية والدينية والذهبية من كل مجد كل من حولوا كل صحارى السماء الى مروج ، وكل كهوفها الى مصانع للحضارات ، وكل صخورها الى رجوم للبدواة والجهالة والفقر ، وكل قحطها الى انهار تروى منها الالهة ظمأها وتبرد بها لهيبها وتنظف بفيضاتها ادرانها الازلية المستعصية على التنظيف والطهارة والاعتسال ...

بل ان قصيدة بدوية الثياب والذات ، بدوية اللغة والروح والاخلاق والتفكير ، تمجد عبقرية البراعيث ونظافتها ، وتلعن وتحقر عبقرية من زرعو الحضارات فوق بدواة القمر ، يلقيها شاعر بدوي الصوت والحركة والطلعة والسذاجة يلقيها فوق قوم ولد تاريخهم كل ما في التاريخ من بدواة ، وعجزت حياتهم عن ان تستقبل بل او ان ترى شيئا مما في الحياة من حضارة ..

– نعم ، ان مثل هذه القصيدة مفروءة ومسموعة ومحشودة لها المناير والمحاريب والافواه والاذان وكل الاكف والطبول ، لتتحول في اي مجتمع عربي يلقيها وتلقى عليه الى اقصى درجات الارتواء والامتلاء والشبع من مشاعر النشوة والبهجة والتفوق والانتصار والقوة والكبرياء والاسترخاء والرضا عن كل ما يقاسى من الالام والمظالم والاهانات والهزائم والتخلف والتضليل ، حتى ليعجز اي مجد او تفوق او انتصار او تقدم او اخذ حقيقي مهما كان حجمه ان يهبهم مثل ذلك او اكثر من ذلك ، اي من المشاعر السعيدة الملائمة . ان اعظم وأشهر وأصدق أمجاد وانتصارات ومباهج الانسان العربي هي التي تجيء اليه من اذنيه . ان كل تاريخه او اجمل واروع ما في تاريخه انما صنعت له اذناه . انه لا توجد آذان لها من التاريخ والمجد والقوة والافتخار بل والابتكار مثل الذي لآذان الانسان العربي .. ان العرب ليرفضون ان يبيعوا آذانهم بكل ما في التاريخ والحياة والمستقبل من حضارات وأمجاد وانتصارات وعقول ومواهب وطاقات ..

ان كل الضجيج الكلامي الخطابى ، مهما اختلفت موضوعاته او بدواته ، ليحدث نفس التفجرات الانفعالية الاستفراغية في نفس الانسان العربي . فالقصيدة والخطبة والبيان الرسمي والتلاوة من الكتاب المقدس او من اي كتاب ديني – كل ذلك سواء في احداث الانفجارات النفسية الاستفراغية المصابة بكل تعبيرات ومعاني الهوس . والفرق فقط في قوة واسلوب الصوت وفي حجم ونوع البذاءة والافتضاح . وهذا الفرق هو الذي يصنع الفرق في اسلوب ومستوى الاستقبال .. ان اسلوب المؤذن وقارىء القرآن في اخراج صوته هو كل القيمة والجمال والتاثير والقوة ..

ولا شروط لتأثير ما يقال ويسمع غير ان يقال ويسمع باسلوب ما ، بالاسلوب الملائم . . لا شروط لذلك عند الانسان العربي . . لا يشترط بان يكون مفهوما بل او بان يكون له اي يمكن فهمه . . ان الاذن العربية لا تشترط للكلمات أو للاصوات التي تطلق عليها بان تكون مفهومة ولا بان تكون لها أية معان كما ان الحنجرة العربية التي تطلقها اي تطلق الكلمات او الاصوات لا تشترط ذلك ، اي لا تشترط الفهم او المعنى لما تطلق ولا على ما تطلق . بل لعله لو وجد المعنى والفهم لما يقوله ويسمعه الانسان العربي لفقد كل سحره وكل قوة الاقتناع فيه . بل لعل الانسان العربي حينئذ يرفض ان يقول ويعجابه وتفجراته حين يقول ويسمع وبان يقول ويسمع ولان يقول ويسمع . لعل كل القوة والجمال في ان يقول ويسمع حيث لا معنى ولا فهم . وحيث لا بحث عن ذلك .

انه لا مثيل للاذن العربية ولا للحنجرة العربية في تسامحهما وتنازلهما عن اي اشتراط في تعاملهما مع الاشياء ومع الآخرين ومع نفسيهما . . وعن اي اشتراط لكرامتهما او لاختلافهما او للاعلان عنهما أو للعرض لهما . انهما اي الاذن والحنجرة العربيين معروضتان دائما بلا اية شروط من اي نوع . .

وانه كذلك لا مثيل للانسان العربي في تسامحه مع اذنيه ومع حنجرته مهما كان عدوانهما عليه وعلى كرامته وكبريائه وذكائه وتهذيبه . ان علاقات الانسان العربي باذنيه وحنجرته لا مثيل لها في تنازلها عن جميع الشروط المعروفة وغير المعروفة . . وايهما المعتدى على الآخر : اذنا الانسان العربي وحنجرته هما المعتديتان عليه أم هو المعتدى عليهما؟ وهل يوجد هنا معتد ومعتدى عليه؟ هل المعتدى غير المعتدى عليه؟ هل يوجد عدوان؟ هل الانسان جسما ومعاني أو الكون أو اي شيء ينقسم الى معتد والى معتدى عليه أو كله معتد أو كله معتدى عليه أو كله معتد معتدى عليه أو كله لا معتد ولا معتدى عليه؟ هل الشمس معتدية على توابعها أو توابعها معتدية عليها بعملية التجاذب والدوران والاتباع؟ هل الجسم الساقط على الارض معتد عليها بسقوطه فوقها أو هل هي معتدية عليه بجذبها له؟

هل الموت هو الذي يبحث عن الكائن الحي ليقنتله شهوة وعدوانا ام الكائن الحي هو الذي يصطاد الموت ليقع عليه وليوقعه في ذاته مظلوما مشتوما مهانا متهما بالقسوة والوقاحة والغدر اللئيم؟ أليس الموت دائما مهجوما عليه لا هاجما؟ أليس الموتى هم الذين يموتون اي هم الذين يصنعون الموت دائما دون ان يكون الموت هو الذي يصنعهم موتى؟ اذن فالموت مصنوع لا صانع اي مظلوم لا ظالم .

هل هذه اسئلة ام هي بكاء ورثاء ، عجز واحتجاج واستفطاع وغضب؟ ولكن اي غضب هذا؟ انه غضب بلا مغضوب عليه . وهل يوجد مغضوب عليه مهما وجد الغضب؟ أليس كل مغضوب عليه هو كائن يستحق ان يغضب له لا عليه

في التفسير البعيد الممتد الرؤية والشامل الرؤية الذي يرى ان السلاح الذي يضرب هو اليد التي تقبض عليه ، وان اليد التي تقبض عليه هي الذات التي تحرك اليد ، وان الذات التي تحرك اليد هي الضرورات والارادات والاحتياجات التي تحكم الذات ، وان الضرورات والارادات والاحتياجات هي القوانين والاشياء الاخرى الكثيرة ، الكثيرة التي تصوغ وتخلق وتسير الارادات والضرورات والاحتياجات ، وان القوانين والاشياء الاخرى الكثيرة هي ايضا القوانين والاشياء الاخرى المتماسكة المتصاعدة المتعاقبة التي ليس واحد منها مسؤولا او محكوما او حاكما او تابعا او متبوعا اكثر من آحادها الاخرى ؟ اي هذه هو المسؤول او المذنب او ايها الحق بذلك حينما يحدث الفرق والدمار : البحر ام السحاب ام النهر ؟ او ايها هو الذي صنع الفرق والدمار هل احدهما فعل ذلك دون الاخر ؟ ايها صنع الفيضان ، او ايها صنعه اكثر ؟

ان هذا التفسير البعيد الرؤية والشامل الرؤية لا بد ان يرى بأن الاله - لو وجد - ليس هو المذنب المسؤول الذي يجب ان يوجه اليه الغضب والعقاب ، ولكن المسؤول الذي يجب ان يوجه اليه ذلك هو الذي جعله موجودا وموجودا كما هو موجود بكل اخلاقه ومواهبه وشهوته واحتياجاته وضروراته ومجاعاته المختلفة الرهيبة التي تصوغه وتقوده . وهل يوجد من جعله كذلك ؟ ومن هو هذا الذي جعله كما جعله ؟ ولماذا جعله وجعله كما جعله . هل ذلك هو الافضل له ؟

اذن من المسؤول ؟ من الذي يستحق الغضب والعقاب والحاكمة في هذه السلسلة الشريفة الطويلة الضالة الكئيبة ؟ من الضارب ، ومن المضروب ؟ من الذي يستحق الرثاء اكثر ؟ اي هذه الحق بالغضب والعقاب : عقل الانسان ام تدبيره ام عيناه ام اذناه ام يدها ام رجلاه ام ضروراته وخذواته المشتركة كلها في التنفيذ ؟

ان الاله حينما يمرض ويقتل ويصيب بالشيخوخة والتشوّهات والعاهاات لمحكوم عليه بان يفعل ذلك بقدر ما حكم على من امراض وقتل واصاب بالشيخوخة والعاهاة والتشوّه بان يكون مريضا وقتيلا ومصابا بالشيخوخة والعاهاات والتشوّهات . . ان احدهما ليس احق من الاخر بالغضب والعقاب . .

ان الاله محكوم عليه بان يكون وجوده وذاته واخلاقه وشهوته وضرباته ونزواته يقدر ما حكم على المريض الضعيف بان يكون ضعفه ومرضه وآلامه . . ان الحاقق والبليد احكوم عليهما بان يعيشا حقدّهما وبلادتهما كما حكم على المحب والعبقري بان يعيشا حبهما وعبقريتهما .

لماذا جاء الاله كما جاء بكل صيغته الذاتية والنفسية والمنطقية والاخلاقية ؟ ليس شيئا محيرا وعجيبا بل ومذهلا مؤلما شادا جدا ان يجيء ، كذلك ؟ هل فرضت عليه هذه الصيغة فرضا ؟ ولماذا فرضت كما فرضت ؟ هل كان يستطيع او يمكن ان يجيء بصيغة اخرى ؟ ولماذا لم يجيء ، بتلك الصيغة الاخرى ان كان ذلك ممكنا او كان يستطيعه ؟ واذا لم يكن ممكنا واذا لم يكن يستطيعه فاي شيء او اي قدر هذا ؟

هل يوجد مشوه او مظلوم او محكوم عليه مثل الاله الذي لا يستطيع ان يجيء، او ان يكون غير ما جاء وكان ؟

اذن من فرض عليه اي على الاله صيغته ؟ هل فرضها هو على نفسه ؟ اذن من فرض عليه ان يفرض على نفسه ويفرض عليها كما فرض ؟ من فرض عليه او من اعطاه القدرة او الموهبة او الحاجة او الضرورة او الرؤية او الارادة التي فرضت عليه ان يفرض على نفسه كما فرض عليها والتي جعلته يستطيع ذلك ؟ لا بد من الافتراض بأنه يعمل بالقدرة والمشيئة والحاجة والضرورة والرؤية . ولكن كيف جاء بهذه القدرة والمشيئة والحاجة والضرورة والرؤية ومن وهبه اياها او وضعها فيه ؟ كيف لم يجيء بدونها او كيف لم تجيء فيه بأسلوب آخر ؟ هل يمكن ان يوجد مخطط اول ؟ ولو وجد هذا المخطط الاول فمن خططه هو وعلى اي قياس او نموذج يذهب يخطط وهو لا شيء امامه او معه ؟

ان اي شيء لا يمكن ان يكون بدء نفسه او سبب نفسه او مخطط او مدبر او حاكم او خالق نفسه . انك اذا كذت هبة موهبتك وقدرتك وارادتك وحاجتك فان موهبتك وقدرتك وارادتك وحاجتك لن تكون هبة نفسها ولا بدء نفسها .
ان اي شيء يبدأ لا بد ان يبدأ من او عن بداية سابقة او بدء سابق او عن حالة سابقة لا بد ان تكون مسبوقه . .

اجل ، ان الكلام ليس هو البدء . انه في البدء لم تكن الكلمة . لقد كان الانسان هو البدء ، كانت موهبته وطاقاته هي البدء . كلا ، بل لقد كانت ذاته هي البدء ، هي البدء لمواهبه وطاقاته ولكل كينوناته . . كانت ذاته هي البدء النسبي لا البدء المطلق . ان كل بدء ليس الا بدء نسبيا لانه لا يوجد بدء مطلق . لقد كان الانسان بدءا نسبيا لا بدءا مطلقا ، كذلك كان البرغوث والصرصار . ولو كانت الكلمة هي البدء لجاء هذا السؤال الصارم : ومن اين جاءت الكلمة التي لا شيء قبلها او معها في البدء وكيف بدأت بدءها . . نعم ، ان اي بدء ليس الا ولادة . وهل تحدث ولادة بلا اي شيء تتولد منه ؟

اذن ليس صحيحا ولا يحتمل ان يكون صحيحا ان الانسان العربي ضعيف ومتخلف وعاجز في جميع مستوياته ومحاولاته لانه يتكلم كثيرا ويتكلم بلا ذكاء ولا منطق ولا وقار ولا تهذيب ولا انضباط . .

ان اسلوبه الضعيف في الكلام هو احد اساليب ضعفه واحد معاني ضعفه ولكنه ليس سبب ضعفه ولا احد اسباب ضعفه . . ان عقله وقلبه وضميره وعضلاته ومواهبه لن تعالج بعلاج لسانه او بتغيير عمامته او بتغيير اخشاب منابره او بتغيير الجهاز الذي يصوت منه ويصوت فيه . .

انه ضعيف في ذكائه واخلاقه ومعانيه الاخرى . لماذا هو ضعيف في كل ذلك ؟ وانه لضعيف حينما يتكلم . ما اسباب ضعفه في هذا وهذا ؟ ان اسبابها ضعف ذاته

او ضعف مواهبه . ان ذاته او موهبته التي صنعت ضعفه المنطقي او الاخلاقي او الحربي او الابداعي او الفني او النفسي هي ايضا التي صنعت ضعفه الكلامي او الصوتي . ان ضعفه الكلامي قد يكون سببه ضعفه المنطقي والاخلاقي والابداعي والحربي والفني والنفسي ، ولكن العكس لا يكون صحيحا . ان قبح الصورة او جمالها قد يكون سببه قبح الذات او جمالها . ولكن قبح الذات او جمالها لن يكون سببه جمال الصورة او قبحها . ان صوت الذباب او الوحش او الغراب يدل عليه اي على صاحب الصوت ولكنه لن يكون هو الذي يصوغ ذاته .

ان الكلام الكثير الضعيف الرديء الصارخ البذيء المغرور الشاتم الحاقد المبارز المملوء بالمزاعم المملوءة بالكبرياء، والتهديد والوعيد والاكاذيب وبالهوس والبلادات وبكل فنون السفاهات والتناول والغفلة .

– نعم ، ان مثل هذا الكلام الذي نموضه الجيد جدا كلام الانسان العربي لا يستطيع ان يسرق من قائله او سامعه او منشده او ناسخه او حتى من المؤمن به والحافظ الدارس له اية موهبة من مواهب بل ولا ان يأخذ منها شيئا او ان يضعف او يخمد حماسها الا بمقدار ما استطاعت او تستطيع اصوات الحيوانات : زئيرها أو نفاؤها او رغاؤها او صهيلها او نهيقتها او عواؤها او أنينها ان تصنع بها ذلك ، ان تصنعه بأية موهبة من مواهبها او بأية قدرة او طاقة من قدراتها وطاقاتها ، بأظفارها او بأنيابها او بعضلاتها او بظهورها او بأيديها او بأرجلها ، بسرعتها او بجرأتها او باقتحامها او بصبرها او بوفائتها او بحبها او بصدقها او بكرامتها او بشرفها . انه لن يكون احتمالا بان تصويت الانسان العربي او بان اصواته التي يسميها كلاما هي التي سحبت منه العبقرية الا بقدر ما يكون احتمالا بان تصويت الحيوانات او بان اصواتها هي التي جعلتها بلا عبقرية او اقل من الانسان عبقرية .

نعم ، ان مثل هذا الكلام قد يكون جهاز تفجير واطلاق للام والضياع والعجز والتفاهة والهزائم وللأحتقار للذات ولشتمها وتعيبها وللأحتجاج الهمجي عليها ، ولإطلاق وتفجير سائر الشحنات النفسية الضالة المتأكلة ، وجهاز تنفيس وتعبير واطلاق عن كل ذلك ، باكثر الاساليب بدواة وقبحا وفضحا وغباء ، كما قد يكون عواء الذئب او رغاء الجمل تنفيسا عن جوعه او عن عذابه وعجزه وحيرته وبلادته .

قد يكون مثل هذا الكلام يمثل هذه الاساليب هو اعظم فنون وموسيقى من لا يعرفون او يستطيعون او يتقبلون او يستسيغون فنا او موسيقى افضل او اجمل من ذلك .

ان لكل الناس بل لكل الكائنات الحية المصوتة فنونا وموسيقى . كل الناس وكل هذه الكائنات لا بد ان تكون منشدة وسامعة لنوع ما من الفنون والموسيقى .

لماذا يجد الآخرون النشوة والجمال والحب في الموسيقى والفنون ولا يجد العرب ايضا هذه النشوة والجمال والحب في كلامهم مقولا ومسموعا اي فيما يحسبونه كلاما

وفيما يحسبه الآخرون عليهم اشمل اساليب الافتتاح ؟ ان طربنا لاي موسيقى او فن لا يستأذن طرب الآخرين ، ولا ينتظر اي طربنا من طرب الآخرين ان يتحول الى تشريع او الى تزكية له كما لم يطلب طرب الآخرين من طربنا شيئاً من ذلك . . .

ما هي الموسيقى وما الفنون ؟ لماذا لا يكون ما يسمى او يحسب كلاما عربيا هو ارقى واجمل الموسيقى والفنون ؟ هل توجد حدود دولية تمنع او ترفض ذلك ؟ أليست الموسيقى والفنون هي ما رآه وزعمه وأعلنه الانسان كذلك ؟ اذن لا اعتراض على الانسان العربي حينما يرى ويزعم ويعلن موسيقاه وفنونه بالاسلوب والمستوى اللذين يستطيعهما ويعرفهما ويسعد بهما . . .

اذا لا يعد العرب حينما يتكلمون ويسمعون انفسهم يتكلمون هم اعظم صانعي الموسيقى والفنون والمستمتعين بالاستماع الى الموسيقى والفنون ؟

او لعل الانسان العربي ليس الا كائنا يتألم ويبكي ويشاتم نفسه ويخاصمها ويعيرها ويحقرها حينما يبدو او حينما يظن او يزعم انه يتكلم ، حينما يظن ويزعم ويعلن انه شاعر ينشد ، او نبي يبلغ نبوته ووحيه ، او مفكر يصوغ افكاره ، او معلم يفرض تعاليمه ، او واعظ يهدد بمواعظه ويلعن الخارجين عليها ، او حاكم او زعيم يطالب كل العالم بالاستسلام والبايعة وينذره اذا لم يستسلم ويباع بصغار . لعل الانسان العربي ليس الا كائنا يقذف بالآلامه واحزانه باكثر الاساليب بذاءة وبدواة حينما يظن انه يكلم الالهة ويدربها على حب الموسيقى والجمال .

اذن ليس الخطر والخسران في استعمال العرب للكلام بالاساليب التي يستعملونه بها انه يسحب منهم عقريتهم او يؤخر مجيئها أو يصيبها بالاعياء ، أو الاسترخاء أو التثسوه ، ولكن الخطر والخسران في استمرارهم يتكلمون ، يتكلمون بالاساليب التي بها يتكلمون . أنهم بذلك يتحولون الى فضائح وعار والى صانعي خصومات وعداوات واحقاد ، والى عدوان على مسامع الناس وعلى أخلاقهم وحياتهم وآدابهم ، والى هجاء اللغات ولعن ابتكروها وان يريدون ان يتعلموها ، والى اشمزاز وغثيان في روحانيات وشاعريات جميع الاشياء ، والى غضب في كرامة واعصاب كل ما عرف البشر وابدعوا واحترموا من قيم فنية وانسانية وكونية بل ومن قيم صوتية . ان للتصويت لقيما ، وانه ليوجد دائما من يسلبون التصويت قيمه كما يوجد كذلك من شادوا ويشيدون. قيمه حتى الكائنات التي هي دون الانسان منها كائنات تسلب التصويت قيمه واخرى تصنع وتؤكد هذه القيم . ولكن اليس في استمرار العرب يتكلمون كما يتكلمون مغانم ومزاي كثيرة منوعة ؟ أليسوا بذلك يصنعون السعادة والراحة والكبرياء والرضا عن النفس لاعدائهم وخصومهم ؟ اذن أليسوا بذلك مفيدين ووهابين ؟ ما انبل وانقى ان تكون نافعا وسارا حتى ولو لمن يعاديك او يكرهك او يحقد عليك ! .

الكائن الحي الذي يفاصي التالم والحزن والخوف والحب والبغض والاشمئزاز والحسد والغيرة ، مهما كانت مقادير هذه المقاساة ، هل يستطيع اي هذا الكائن الحي ان يكون بلا تصويت او بلا أصوات ؟ انه قد يستطيع ان يكون بلا كلام كما يستطيع ان يكون بلا عبقرية . ولكن هل يستطيع او يمكن ان يكون بلا تصويت واصوات اي بلا تعديرات مسموعة . . . ان يكون بلا زئير او جئير او نهيق او نباح او سهيل او تغريد او نعيب ، او بلا طنين او نقيق ؟

ان الكائن الحي في تصاعده الذاتي او التطوري يبدأ بالصوت او يصل الى طور التصويت ليصبح كائنا مصوتا . وهذا الطور قد يكون الفاصل بينه وبين طور الكلام او طور الكائن المتكلم فاصلا خياليا في طوله ، وقد يكون فاصلا آديبا لا يمكن اقتحامه ولا تخطيه . ثم يوجد الفاصل التالي بين طور الكلام اي بعد بلوغه ان حدث بلوغه ، طور العبقرية او الخلق او الابداع او التأثير في الطبيعة والاشياء والتغيير لها وفيها . وهذا الفاصل بين الطورين لا بد ايضا ان يكون طويلا جدا . وهل محتوم تخطي هذا الطور اي طور الكلام الى الطور الذي بعده مهما طال الفاصل بينهما ؟ الا يمكن ان يظل الكائن متكاما دون ان يصل الى طور البدع ؟ ولكن اليسن طور الكلام هو طور الابداع بلا عازل بينهما ؟

والانتقال من طور الى طور خاضع لقوانينه ولا يمكن تحقيقه او الاسراع به بالواعظ والتعاليم والتحريضات ، بل ولا حتى بالاحتياج اليه او بالشعور بالاحتياج . حتى الاحتياج الحاد جدا . انه لا يصنع القدرة ولا يزيد فيها ولكنه قد يحرضها ويطلقها او لا بد أن يفعل ذلك .

ولماذا وصل هذا الكائن الى طور التصويت فقط او الى طور الكلام فقط دون وصول الى الطور الذي بعده ؟ هذا سؤال لا جواب له او عنه غير ان يقال : هكذا حدث . كما يكون الجواب حينما يوجه او ينطلق في ضمير العقل هذا السؤال : لماذا حدث هذا الشيء ولم يحدث ذلك الشيء ، او لماذا تحدث الاشياء ، او لماذا تحدث بالصيغ والاعداد التي تحدث بها وفي الاوقات والاماكن التي تحدث فيها . . . وانا هنا افترض ان طور الكلام غير طور الابداع وان الكائن قد يكون متكاما دون ان يكون مبدعا . . .

وكما لم يكن ممكنا منع حدوث الاشياء وحدثها كما حدثت كذلك لم يكن ممكنا ولن يكون ممكنا ان تمنع الكائنات التي بلغت طور التصويت او طور الكلام او طور الابداع من بلوغها ما بلغت . . . او ان يصعد بها الى طور اعلى من طورها

والإنسان العربي قد بلغ طور التصويت اي قد اصبح كائنا مصوتا بلا تدبير او تخطيط صنعه هو او اي كائن اخر فووقه . أليس قد بلغ هذا الطور ؟ هل يمكن ان يوجد من قد يخالف في هذا ؟ هل يمكن ان يوجد من ينزل او يحاول ان يريد ان ينزل به عن هذا الطور ؟ انه ارجو ألا يوجد هذا . . .

وانا لنرجو الا نصاب بالكبرياء والغرور والمبالغة الوقحة لنذهب لنزعم انه قد ارتفع على هذا الطور وصعد الى الطور الذي بعده . . لاننا لا نريد ان يهزأ بنا ولا ان نهزأ بانفسنا . .

لهذا لعنا نستطيع ان نقول بكل الجراءة او بشيء من الجراءة :
ان الانسان العربي قد بلغ الطور الذي جعله كائنا مصوتا دون ان نملك اي قدر من الجراءة لنقول : انه قد تخطف هذا الطور بل ولا انه نزل عنه او دونه .
ولسنا هنا نريد الامتداح او التمجيد له ، اذ لا يمكن ان نزع من ان طور التصويت مزية على اي تفسير من التفاسير . لا يمكن ان نزع من هذا الطور افضل او اعظم من الدور الذي قبله او من الطور الذي دونه . وقد نزع من الطور الذي قبله اي الذي هو اقل منه اكثر سترنا للعار والضعف . انه ان لم يكن اعظم او افضل فانه حتما استر . أليس المستر لما يجب ستره شيئا طيبا ؟ أليس الخرس ولو احيانا اسلوبا جيدا من اساليب المستر ؟

اليس هذا الطور قبيح وفضح وعدوان وبذاءة واستفراغ فقط ما لم ينتقل الى الطور الذي بعده ؟ ان طور التصويت هو طور متطور في اخلاق وقوانين الطبيعه عن الطور الذي قبله اي عن طور الصمت الطبيعي . ولكنه طور لا مزية له في ذاته . ان كل ميزته في ان يكون جسرا او مرجا الى الطور الذي فوقه والا ظل طور قبح وفضح وعدوان وبذاءة واستفراغ على الذات وعلى الاشياء وعلى الآخرين ، ولا شيء غير ذلك . قد يكون شيئا غير قبيح او قد يكون شيئا جميلا ان تصبح الكائنات التي هي دون الانسان مصوتة فقط . اما الانسان الذي يظل مصوتا فقط فلن يكون الا قبحا ضاحا شاملا فضاحا . .

وهل توجد اية علامات على ان الانسان العربي قد يتخطى هذا الطور او انه لا بد ان يتخطاه ؟ وهل يوجد في اخلاق الطبيعه وقوانينها ما يحتم هذا التخطي او ما يجعله احتمالا او املا ؟

الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان والتي هي كائنات قد بلغت طور التصويت او الطور الذي جعلها مصوتة هل مرجو او محتوم ان تتجاوز طورها هذا الى الطور الافضل ؟ واذا لم يكن ذلك مرجوا او محتوما فهل يوجد ما ياذن لنا او يفرض علينا او ما يقنعنا بان نقول ان هذا التجاوز مرجو او محتوم للانسان العربي ؟ كيف نستطيع ان نقنع او نستطيع اي انسان ان يقنع ان العصفور او الذئب او الغراب او الجمل لن يتخطى طور الكائن المصوت الى طور الكائن المتكلم ثم نستطيع ان نقنع بأن اي زعيم او قائد او نبي او مفكر عربي قد يستطيع ان يصبح متكلماً ؟ اليس تصور القائد او النبي او المفكر العربي متكلما ابعد من تصور البرغوث متكلماً ؟ بأي منطق او تقوى او اخلاقية نجرؤ على ان نقنع ونقول ونعلن ان جميع الكائنات المصوتة لن تتحول الى كائنات متكلمة او محتمل الا تتحول الى ذلك ثم نقنع ونعلن بان

الانسان العربي وهو كائن مصوت فقط ، لا بد أن يتحول الى كائن متكلم او محتمل تحوله الى ذلك ؟

ليست العدالة والذكاء والتقوى النفسية والعقلية والاخلاقية تفرض علينا التسوية في هذه القضية ؟ هل يجوز ان تحكم علينا رغبتنا وامانينا واهواؤنا المناهزة بلا وقار او رحمة او شهامة بأن نفرق بين متساويين لا فرق بينهما غير أن هوانا مع احدهما دون الاخر ؟ اليس الانسان العربي بنماجه وممارساته الصوتية هو ابعد من جميع الكائنات عن طور الكائن المتكلم ؟

ومع ان الفروق بين التصويت والكلام فروق كبيرة والمسافات الفاصلة بينهما مسافات بعيدة فانه قد يكون من الصعب جدا تحديد هذه الفروق والمسافات . وفي سطور سابقة جاء ذكر شيء من هذه الفروق . ولعل الكثيرين من الناس لم يتصوروا انه توجد فروق بين التصويت والكلام . انهم لم يتصوروا ان للكلام اخلاقا او شروطا او التزامات او تفاسير . لهذا لم يتصوروا ان بينه وبين التصويت اية فروق .

ان الفرق بين دقائق الساعة والدقائق وبين صوتها اي صوت الساعة الدقائق ساقطة متحطمة على الارض قد يساوي او يشبه الفرق بين التصويت او الاصوات وبين الكلام .

وان الفرق بين أصوات الآلات العاملة في المصانع وبين أصوات الرياح متصادمة بالأشجار وبالبيوت وبأي شيء ليسوى او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .
وان الفرق بين اصدار الامر الى الاجهزة العلمية لتعمل وبين شتم هذه الاجهزة والدعاء ضدها يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .
وان محاوراة المخالف او الخصم او العدو او التفاوض والتفاهم معه وبين لعنة يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .

وان التفكير في الشيء او في القضية او في المشكلة او في الانسان وبين الحقد عليها لو عليه يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .
وان فهم الطبيعة والعمل فيها وضدما لتهد ودعاء الاله والصلاة له ليهب - نعم، ان الفرق بين هذا وهذا يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .
وان الفرق بين المصافحة والاستفراغ او بين المعانقة والاستفراغ او بين القاء التحية والاستفراغ يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . . وان الفرق بين خطاب يلقيه زعيم عربي وخطاب يلقيه زعيم لم يستطع او لم يرد أن يكون عربيا يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .

ان الكلام تفكير وخلق وتخطيط ومعالجة ووضع حلول او بحث عن حلول . أما التصويت فانه استفراغ وقذف . انه حالة وليس عملا . أما الكلام فانه عمل وليس حالة . . . الكلام سير او صعود او نزول . اما التصويت فانه تدرج او انزلاق او

سقوط . انه ليس سيرا ولا صعودا ولا نزولا ، اي ليس حركة مدبرة محسوبة بأية حسابات .

ان المتكلم كائن يتعامل ويتفاوض ويتفاهم ويتحاور مع الاخرين ومع الاشياء .
اما المصوت فانه كائن يتصادم ويتشائم ويتخاصم مع الاخرين ومع الاشياء ومع نفسه

المتكلم يسير الى الاحداث والاشياء ويسير معها وبينها وبها وفيها وفوقها .
أما المصوت فهو يقذفها وينبجها ويلوثها ويعيرها ويهددها . . .
المتكلم يفكر بأسلوب مسموع ، والمصوت يرتجف بأسلوب مسموع أيضا .
المتكلم يخلق الاحداث والاشياء ، يصوغها . اما المصوت فينشدها وقاحات وسفاهاته ، همومه أو مسراته بأسلوب صغير . . .

وإذا كانت هذه بعض الفروق بين التصويت والكلام ، وكانت هذه التفاسير هي بعض التفاسير لكل منهما أي من التصويت والكلام فإلى أيهما يمكن ان يكون انتماء العرب ويتفاسير أي منهما يجب أو يمكن ان يفسروا ؟ وهل يمكن أن يخطئ أحد في اي المكانين أو الطورين ينبغي أن يوضعوا .؟ بل هل يمكن أن يقبلوا هم حسابانهم متكلمين لا مصوتين فقط اذا عرفوا أو لو عرفوا خصائص وفساير المتكلم وخصائص وتصاير المصوت ، أو هل يقبلون حينئذ أن يتحولوا من مصوتين الى متكلمين ؟ هل يتقبلون دفع ثمن التكلم أو الكلام ، أو هل يستطيعون حمل موهبته ومقاساتها أو الالتزام بشروطه ومعانيه أي شروط ومعاني التكلم والكلام ؟ اليس المتكلم يقاسي ويدفع ويحاکم نفسه أكثر وأقسى من المصوت .؟ أليس الانسان يدفع ثمنا لكلامه أكثر وأغلى مما يدفع الحيوان ثمنا لصوته أو لتصويته ؟

وهل ظل العرب في كل تاريخهم مصوتين لا متكلمين عجزا عن الانتقال وجهلا به وبمزاياه ام خوفا من الانتقال ورفضاً لتقاساة ولشروط وتكاليف الطور الذي يكون الانتقال اليه ؟

هل رفضوا وخافوا ام عجزوا ؟ وايهما أردأ : ان تخاف من ان تكون وترفض ام ان تعجز ؟ ومهما كان ممكنا ان يتطور او ينتقل الكائن من مصوت الى متكلم فليس ممكنا ان يعود اي الكائن من متكلم الى مصوت . معنى هذا ان اي كائن مصوت فقط في هذه اللحظة لا يحتمل انه قد كان متكلماً في اية لحظة من التاريخ الذي قد كان . . .
أليس ذلك كذلك ؟ نعم ، ليس محتملا ان شعبا من الشعوب في تاريخ ماض كان متكلماً ثم انحدر ليصبح شعباً مصوتاً فقط . . .

لهذا فلقد كان العرب في كل تاريخهم مصوتين فقط ولم يحدث ان كانوا متكلمين ، لم يجربوا او يقاسوا الكلام في اي طور من اطوار التاريخ . انهم الان مصوتون فقط ، اذن لا يحتمل انهم كانوا يوماً ما متكلمين . . . لقد كانوا يجهلون الفرق بين الكلام والتصويت لهذا كانوا يحسبون انفسهم متكلمين

انه ليقنع جدا بهذا الحكم عليهم او بهذا الحكم لهم مراجعة كل ما يسمونه تراثهم المكتوب والمحفوظ . . كل تراثهم حتى ما يروونه ويزعمونه منزلا مقدسا . لقد ظل كل تراثهم في كل التاريخ وحتى اليوم مستوى واحدا لا يتفاوت مع تعاقب الحضارات وتفاوت اطوار التاريخ الغازي لهم والمحيط بهم والانتقل المتصادم الضاج المتفاعل فوقهم وحولهم . ان الزمن والتاريخ لم يستديعا ان يتجددا او يتغيرا او يتحركا او ينتقعا بخصائصهما او بقوازيتهما داخل مواهب وطاقت الانسان العربي . .

لقد توقف التاريخ والزمن عن الحركة وعن التأثير حينما تعامل مع الانسان العربي . لقد تنازلا عن معانيهما وتفاسيرهما . . لقد هزما ، هزما . . لقد هزمت حتمية القوانين الطبيعية حينما تعاملت مع الانسان العربي . . لقد خرج الانسان العربي بالتاريخ وبالزمن عن قانونيتهما ثم لم يهبهما اية قانونية لا افضل ولا اردأ ، لا اذكى ولا اغبى . .

هل وجد من هزم التاريخ والزمن واذلها مثلما هزهما واذلها الانسان العربي ؟
هل وجد من افسد عليهما مجدهما وسلبيهما موهبتهما وقدرتهما مثلما صنع بهما وضدهما الانسان العربي ؟

ان الانسان العربي الذي صوت « المعلقات » وصوت العنتريات والفرزدقيات والجبريات والحمدانيات والحاتميات والحسانيات وكل تلك الجاهليات والاسلاميات . . والذي صوت تلك السور والايات والروايات والذبوات . .

– نعم ، ان الانسان العربي الذي صوت وورث كل ذلك التراث في ذلك الزمن البعيد العقيم هو نفس الانسان العربي الذي يظل علينا اليوم بتصويته واصواته من جميع اجهزة ووسائل ما يسمونه الاعلام العربي او الكتاب العربي او الصحافة او الاذاعة او القصيدة العربية . ان الصوت والمصوت لم يتغيرا . . لم يتغير فيهما شيء . . لا المنطق ولا الذكاء ولا التصور ولا الاخلاق ولا التهذيب ولا الصدق ولا الرؤية بل ولا اسلوب او مستوى الوقاحة والقباحة والغرور ، بل ولا مستوى واسلوب الصوت او الحركة التي توقه وتقبحه ، او اسلوب التهيج ، التهيج السوري بلا اي حماس نفسي او اخلاقي . .

نعم ، ان الانسان العربي اسلوب او صوت انفعال ولكنه ليس انفعالا . ليس عاطفيا كما يتهم دائما ولكنه صيغة عادمي . .

عد الى الماضي وانثر جميع تواديت اربابك وانديانك وآبائك وآبائك ووعاظك وشعرائك لتقرأ فيها كل معلقاتهم وجاهلياتهم واسلامياتهم وكل حماسياتهم ومصاهلتهم ، ولتقرأ ايضا فيها كل آياتهم وكل سورهم ونبواتهم ورواياتهم ، كل عينانياتهم وقحطانياتهم . ثم عد من ذلك الماضي ان استطعت . عد من ذلك الماضي لتستمع وتقرأ اليوم كل ما تقوله وتكتبه وتذيعه جميع صحفك واذاعاتك وكتبك وجميع

أجهزة اعلامك ودعاياتك وجميع منابرك ومحاربيك ثم لا تحاول ان تجد ان الزمن او التاريخ قد تحرك او فعل شيئاً بل او انه قد وجد ليصنع اي فرق بين ما كان وما هو كائن . . .

لا تحاول ان تجد ان التاريخ او الزمن قد وجد في تاريخك . ان الزمن والتاريخ خطوات متعاقبة متغيرة . ولكن هذه الخطوات لم توجد في تاريخك ولا بين تاريخك الذي تقرؤه وتروييه وحياتك التي تراها وتحياها او التي تقاسيك وتقاسي منك دون ان تحياها او تراها . ان الزمن والتاريخ لم يتحركا بل لم يوجدوا في كل المسافة الممتدة بينك وبين ابيائك . لقد حذف الزمن والتاريخ من حساباتك . . .

انك لو وضعت اعظم ما تروييه عن الهتك وانبيائك على السنة اصغر كتابك ووعاظك وشعرائك ، ووضعت اتفه ما يقوله ويكتبه اصغر شعرائك ووعاظك وكتابك في اعظم ما تروييه عن آلهتك وانبيائك ، ناسبا الى كل فريق ما للفريق الاخر او ما تروييه او تعتقده للفريق الاخر ، او ناسبا الى فريق واحد كل ذلك ، او معلنا عجزك عن التمييز بين ما لكل فريق لشدة التماثل . . .

– نعم ، انك لو فعلت ذلك لما شعر احد انه قد حدث خطأ او تزوير او اتهام لاحد بما لا يستحق او بما هو دونه ، دون اخلاقه او دون عبقريته او دون ما يريد ويرى لنفسه . . . حتى آلهتك ، انها لن تكون مظلومة او مهانة ولن تشعر انها كذلك لو نسبت اليها أردأ ما يقوله ويكتبه اصغر كتابك وخطابك لانه لا فرق ولا تفاوت .

ان الكلام لا بد ان تختلف تفاسيره ولا بد ان تتفاوت مستوياته الاخلاقية والفكرية والنفسية . اما التصويت أو الاصوات فلا يمكن أن تختلف او تتفاوت هذا الاختلاف والتفاوت . ان الطنين والنقيق والصهيل والنداح والزئير لا يختلف او يتفاوت في تفسيره او في مستوياته النفسية أو الفكرية أو الاخلاقية مهما اختلفت وتفاوتت مخارجه وضجاته . لهذا فان جميع الخطب والبيانات والنبوات والروايات والآيات والتعاليم والتقصائد والكتب والمواعظ والافكار والشرائع التي قالها وكتبها واوحى بها وانشدها جميع حكام العرب وجميع انبيائهم وشعرائهم وحكمائهم وقادتهم ومعلميهم ومفكريهم ومشرعيهم بل وأربابهم في جميع عصورهم لا تختلف ولا تتفاوت هذا الاختلاف والتفاوت . . .

اجل ، ان كل ذلك لا يمكن ان يختلف او يتفاوت بهذا التفسير للاختلاف والتفاوت لانه تصويت أو أصوات وهي لا تختلف او تتفاوت بهذا التفسير . . . ان الفرق بين كلام وكلام او بين متكلم ومتكلم قد يكون في تفاسيره اكبر وابعد واعمق من كل ما في الطبيعة من تفاسير وضخامة وعمق وبعد ، من كل ما في الطبيعة من فروق في ذلك .

ولكن الفرق بين صوت وصوت او بين مصوت ومصوت ماذا يساوي في جميع تفاسيره ؟ وهل توجد فروق في تفاسيره ؟ أليس كل صوت مثل اي صوت او مثل كل

صوت في معانيه مهما اختلفت او تفاوتت الابواق او اجهزة التصويت ؟ هل يمكن أن يكون صوت العندليب او الجواد اعرق او اذكى تفسيرا او تفكييرا من صوت الغراب او الاتان مهما اختلفت الموسيقى ؟

اذن هل ندري اننا نمارس عبثا حزينا حينما نطالب اي متكلم عربي اي مصوت عربي ان يكون اذكى او اتقى او اكثر وقارا او تهديبا او صدقا حينما يتكلم اي حينما يصوت ، وحينما نطالبه او نرجوه وننتظر منه ان يتخطى نفسه او يتخطى تاريخه وآباءه ليكون اعظم واقوى اي حينما يتكلم أي يصوت ؟

نعم ، هل ندري اننا نعبث عبثا اليما حينما نذهب نطالب هذه المطالبة او نرجو هذا الرجاء ؟ ذلك لان الكائن الذي هو في طور التصويت فقط لا يستطيع كما ذكر ان يتفاوت ولا ان يتجاوز نفسه او تاريخه او آباءه ، ولا ان يكون اذكى او اتقى او اكثر وقارا او تهديبا او صدقا ما لم ينتقل من طور الصوت الى طور المتكلم ، والانسان العربي وكما سبق هو كائن مصوت لا متكلم . اذن كيف يمكن او كيف يستدعي ان يكون افضل في تصويته ، افضل من نفسه او من تاريخه او من آباءه ، او ان يتخطى ما كان ؟ كيف يمكن ان يتفاوت في مستوياته ؟

انه مهما اراد واريد منه بل ومهما علم او تعلم ان يصنع ذلك فلن يصنعه او يستطيع ان يصنعه حتى يصعد من طور الصوت الى طور المتكلم . انه يمكن ويستطاع ان يجعل المصوت يغير صوته ولكن لا يمكن نقله بالتعليم من مصوت الى متكلم ولا رفع مستوى موهبته بذلك . .

وتراث العرب الثقيل المكتوب الضخم جدا في حجمه لن يكون ضارا او موقعا ان يبقى وان يقرأ ويحتفل به وان يوهب كل الايمان والافتناع بقيمته وبتفوقه وعبقريته، كما ان زواله او فقدته او هجرانه او نسيانه او حتى الكفر به لن يكون منفذا او خالقا او صائغا صياغات افضل او اذكى للانسان العربي . ان اجتناب قراءة الغباء لن يجعل الغبي ذكيا كما ان اجتناب رؤية الدمامة والضعف لن يجعل الدميم او الضعيف جميلا او قويا .

ذلك لان الانسان العربي ما دام في طور المصوت فلن يضيره ان يقرأ اصوات تاريخه او اصوات اربابه وانبيائه وشعرائه ومعلميه وآبائه الذين كانوا في التاريخ ، او ان يؤمن ويحتفل وجزن اعجابا بهذه الاصوات ودراسة لها وصلاة بها . لن يضيره لو يعوقه او يؤخره ذلك كما لن يضير او يعوق او يؤخر اي كائن مصوت ان يسمع اصوات نفسه او اصوات آباءه او تاريخه او اصوات مصوتين آخرين . . اي كما لن يضير او يؤخر او يعوق الحصان او الجمل او الذئب او الذباب ان يسمع صوت نفسه او اصوات آباءه او تاريخه . . والعربي اذا قرأ تراثه او مهما قرأ تراثه فليس الا قارئاً وسامعا ومتعلما اصواتا ، انه مصوت يقرأ عن مصوت آخر ، عن مصوت يعين في قبور آباءه وفي نفسه . .

أما إذا تخطى الانسان العربي طور المصوت الى طور المتكلم فان قراءته لتراثه هذا وحفظه له واستماعه اليه لن يؤثر فيه تأثيرا رديئا او معوقا الا بقدر ما يؤثر في الانسان مثل هذا التأثير ان يستمع الى اصوات الكائنات المصوتة التي هي دون طور الانسان ، او الا بقدر ما يمكن ان يؤثر هذا التأثير في الانسان المتحضر البالغ طور الكلام أن يقرأ هذا التراث العربي بل وان يتدارسه ويقيم له المتاحف والمعارض ويوظف له الدارسين المتخصصين ...

هل يمكن ان يفقد العبقري عبقريته اذا قرأ لمن لا عبقرية لهم او ان يتراجع المتكلم عن طور المتكلم اذا قرأ لمن هو في طور المصوت ؟

وإذا ظل الانسان العربي طويلا في طور المصوت دون ان يصعد الى طور المتكلم فليس السبب ولا بعض السبب ولا احد الاسباب قراءته لتراثه الصوتي او حفظه له او استماعه اليه او ايمانه واعجابه به ، بل كل اسباب بقائه في طور المصوت هو عجزه الذاتي عن تخطي هذا الطور الى طور المتكلم . كما ان اسباب بقاء الكائنات الاخرى المصوتة في طور التصويت هي عجزها الذاتي عن تجاوز هذا الطور . وليست الاسباب انها تقرأ او تسمع او تحفظ او تقتني تراثا صوتيا هو التراث الصوتي العربي او تراثا صوتيا يشبه التراث العربي ورثته هذه الكائنات عن آباؤها وتاريخها كما ورث العرب تراثهم عن آبائهم وتاريخهم ..

ان قراءة الاصوات او الاشياء الرديئة لا تمنع ولا تعوق الصعود الى طور الكلام ولا تهبط بالموهبة كما ان رؤية الكائنات المصوتة او الدميمة او الرديئة لن تجعل ذات الرائي لها ذاتا مصوتة فقط أو ذاتا رديئة او دميمة ما لم تكن هي كذلك . ان الدميم ليس دميما لانه رأى كائنا دميما كما ان الغبي ليس غبيا لانه قرأ لغبي او لانه رأى او عايش غبيا . ان الهة هذا الكون لم تصبح فظة وعدوانية وعابثة لانها قرأت او رأت او سمعت من هم كذلك ...

كذلك فان قراءة المصوت للكلام وللأشياء الجيدة لن تنقله الى طور الكلام وذوور المتكلم ولن تجعله شيئا جيدا ، كما ان الرؤية للكائنات المتكلمة او للكائنات الجيدة والجميلة لن تصوغ ذات الرائي لها ذاتا متكلمة او ذاتا جيدة او جميلة اي لم تكن هي كذلك . ليت الرؤية للأشياء الجميلة والجيدة تجعل الرائي لها جميلا وجيدا . ولكن لا ، لان الرؤية حينئذ للأشياء الدميمة والرديئة ستجعل الرائي لها رديئا ودميما . ان الخسائر حينئذ ستكون اعظم من الازياع ..

ان الكائنات التي انتقلت الى طور المتكلم او طور المنتج للعبقرية ليس لانها قرأت كلام كائنات متكلمة وكائنات عبقرية ، ولا لانها رأت مثل هذه الكائنات . ان الاعضاء والنيات التي تعلمت القدرة على التعامل مع الشيطان والرغبة في هذا التعامل لم تتعلم هذه القدرة والرغبة لانها رأت او قرأت لاعضاء ونيات اخرى قد تعلمت ذلك قبلها ...

وان الكائنات التي لم تبلغ طور الكلام او طور المنتج للعبقرية ليس لانها لم تقرأ لكائنات متكلمة او لكائنات عبقرية ، وليس لانها لم ترمثل هذه الكائنات ، وليس كذلك لانها قد قرأت لكائنات لم تبلغ طور الكلام او طور انتاج العبقرية . . ان الاعضاء العاجزة عن الانتهاء او عن الاقتحام ليست عاجزة لانها قرأت عن اعضاء عاجزة او لاعضاء عاجزة ولا لانها رأت مثل هذه الاعضاء . .

ان الانسان لم يصبح انسانا لانه قد قرأ لانسان قبله او لانه رأى انسانا اخر كان قبله . . وان الذئب او الجمل او البرغوث لم يظل ذئبا او جملا او برغوثا لانه قد قرأ للذئب او لجمل او لبرغوث كان قبله ، او لانه قد رأى ذئبا او جملا او برغوثا كان قد جاء قبله ، ولا لانه لم يقرأ للانسان او ير الانسان . . ان الانسان لم يصبح انسانا بالتعليم او التقليد او القراءة او السماع او الرؤية ، وان الفأرة لم تصبح فأرة او تبقر فأرة بشيء من ذلك . . ان نموذج الكائن وطاقته لا تصوغهما عيناه او اذناه ولكن نموذجه وطاقته هما للذان يصوغان عينيه واذنيه . ان شخصية الكائن او كينونته مختبئة فيه قبل ان يرى ويسمع ويعامل .

لن التراث العربي مهما كان تخلفه لن يكون مسؤولا عن تخلف الانسان العربي الا بقدر ما يمكن ان تكون آباء الجمل مسؤولة عن بقاء الجمل جملا ومصوتا كما يصوت الجمل لانه رأى آباءه الجمال وسمعها تصوت فقط ولم يسمعها تتكلم كالانسان ، ولم يرها كذلك في صورة الانسان .

ان المسؤول عن الانسان العربي وعن الجمل وعن كينونتهما هي خصائص ومواهب آباؤهما لا رؤية هؤلاء الآباء ولا سماع أصواتهم ولا القراءة لهم . لقد بقي الانسان العربي والجمل مصوتين فقط غير متكلمين ، لان خصائص ومواهب آباؤهما انتقلت اليهما لا لانهما سمعا او رأيا آباءهما أو قرأ لهم او عنهم . .

والخصائص او المواهب لا تكون ولا تعمل بالرؤية ولا بالقراءة ولا بالسماع ولكن تفعل ذلك بالقدرة والقوانين الذاتية والطبيعية . وكذلك ايضا تورث وتنقل اي المواهب والخصائص . .

ان الكائنات تأخذ عن آباؤها مواهبهم وقدراتهم وكل احتمالاتهم الذاتية حتى ولو لم ترمهم او تسمعهم ، ولكنها لا تأخذ عنهم شيئا من ذلك بالرؤية ولا بالسماع ولا بالقراءة او التعليم . . انها اي الكائنات تأخذ عنهم أي عن آباؤها التعبير عن القدرة والمهبة والاحتمال بالتعليم والسماع والرؤية ولكنها لا تأخذ عنهم بذلك نفس المهبة او القدرة او الاحتمال . . ان المهبة والاحتمال والقدرة تؤخذ بالاسلوب او بالقانون الذي يأخذ به الفصن او البذرة من الشجرة او الثمرة او النبتة اشكالها وألوانها وطعمها وانتماءاتها النسبية . .

ان الانسان يتعلم اللغة وللکلام وانواع التعبير بالسماع والرؤية والتعليم ولكنه لا يمكن ان يتعلم نفس القدرة او المهبة التي تجعله قادرا على ان يتكلم ويستعمل

اللغات - لا يمكن ان يتعلم ذلك بالرؤية ولا بالسمع ولا بالقراءة ولا بأي شيء اخر .
لا يمكن ذلك الا بقدر ما يمكن ان تتعلم الشجرة لونها وشكلها وحجمها وجنسياتها
وكل خصائصها من اباؤها بالرؤية أو القراءة أو السماع ...
والا بقدر ما يمكن ان يملك البرغوث موهبة القدرة على ان يكون كائنا متكلمنا
بالتعليم او بالتحريض او بمعايشته لمن يملكون هذه الموهبة ..
لو أن انسانا ما او اي انسان عزل عن جميع البشر ساعة مجيئه فماذا يمكن ان
يكون ؟

انه حتما سيكون حينئذ بلا لغة ولا تعاليم ولا عقائد ، لا دينية ولا مذهبية
ولا اخلاقية . اي سيكون بلا اي اسلوب من اساليب التلقين والتعبير . سيكون لغة
خرساء .. سيكون كتابا مكتوبا بلغة لم تقرأ ، مكتوبا بحروف صامتة . سيكون
لغة لم تتعلم التعبير . ستعيش فيه مختبئة جميع مواهبه واحتمالاته الذاتية التي كان
محتوما او ممكنا ان تنفجر تحت الظروف الملائمة او الملزمة او المحرصة . حتما ستعيش
فيه جميع طاقاته صامتة . أليست اكثر الطاقات طاقت صامتة ؟ اليس كل شيء
مهما كان لا بد ان تعيش فيه طاقت صامتة ؟

ستعيش فيه بلا اي نقصان موهبة اللغة وايه موهبة اخرى كانت في ذاته .. فنية
او فكرية او اخلاقية او انسانية او من اي نوع . انه سيكون لغويا وان لم ينطق
بأية لغة . وسيكون شاعرا او رساما او قصاصا او مفكرا او مخترعا وان لم يقل او
يكتب او يفعل او يعط اي شيء .. سيكون ايضا مؤمنا ومذهبيا ومصليا ومعتقدا
ومخدوعا وخادعا وكاذبا ومكذوبا عليه ومقتنعا بالخرافات والاشاعات وهاتفا للطفاة
والقتلة والغزاة والجدالين - اي سيكون كل ذلك بالاحتمال والامكان وبالقدرة
والانتظار . سيكون كالسلاح المغمد او كالنجم المتوقف عن العمل . سيكون كالحبل
الذي لم يولد او كالحبلى التي لم تجد مكان الولادة او اجهزة التوليد . اليس اكثر
انواع الحبل هو الحبل الذي لا يتحول الى ولادة ؟

ولكن هذه الاحتمالات والقدرات والمواهب قد تفقد او تعجز . لانها قد تصاب
بالاسترخاء او بالشلل او الضمور او الشيخوخة او الهزيمة الحادة او بالتعود الطويل
على الصمت او بفساد مكانها او عضوها او جهازها او بفقدها للحماس وللرغبة في
المقاومة والانطلاق والاقترام ..

نعم ، ان هذه الامكانيات والاستعدادات الذاتية قد تفقد نفسها او تصاب بالضعف
الشديد وبالعجز عن ان تتحول الى ولادة ، ليس لانها لم توجد او تورث او تتخلق ،
وليس كذلك لانها لم تر او تسمع او تقرأ او تعلم او تحرض ، بل لانها لم تعمل
ولم تتعامل حتى ماتت او وهنت او ضمرت جدا بالتقادم والشيخوخة وبقوات الاوان
وبضعف الجهاز ، كما تضعف او تعقم او تموت او تتوقف عن العطاء جميع الكائنات
الحية بالتقادم وبتخطي السن الملائمة او الموسم الملائم . هل يوجد شيء لا يؤثر فيه

تقادم السن أو اختلاف السن ؟ أو هل يمكن ان يوجد شيء يعيش كل حياته في عمر واحد لا تتفاوت فصوله ولا هطول امطاره ؟

الا تكون هناك اعمار مختلفة أو فصول متفاوتة في قدرة موهبة الانسان وقواه واحتمالاته ، في قدرتها على التفجر والنشاط والتحدي والانتصار ، كالأعمار والفصول المختلفة والمتفاوتة في قدرة كل الكائنات على الكينونة وعلى الحياة وعلى الولادة ؟

اليس لانبعث المواهب أعمار محسوبة ومحكومة بأعمار الموهوبين ؟
الا يكون هناك عمر أو فصل هو اكثر الاعمار أو الفصول ملاءمة لانطلاق موهبة التفكير أو الرسم أو الشعر أو الغناء أو الابتكار والاكتشاف والرؤية .. فاذا مر هذا العمر أو الفصل دون ان تجد هذه الموهبة الظروف التي تاذن لها بالانطلاق والعمل أو تلائم انطلاقتها وعملها ضعفت قدرتها على ان تنطلق وتعمل ، بل وضعف ايضا حماسها وتطلعها وكل معاني الطموح فيها ؟

الا تكون السنة الثانية وما حولها من عمر الانسان اكثر ملاءمة له من السنة الثلاثين من عمره لكي يلتقط اللغة من اهله ومجتمعه بالسمع والحاكاة ؟ اذن فلو عزل اي انسان ساعة ولادته عن كل الناس فبقي بلا لغة الى سنه الثلاثين لكان في هذه السن وما بعدها أعجز عن اخذ اللغة بالسمع والحاكاة - اعجز منه لو انه استطاع اخذها في سنه الاولى ؟ .

قد يكون ذلك كذلك . انه احتمال ، احتمال فقط ولا اقوله عن تجربة . كذلك قد يكتشف انسان نظرية جديدة او يبتكر شيئاً جيداً في العشرينات او الثلاثينات من عمره ولكنه قد يعجز عن ذلك في الخمسينات او الستينات من عمره . ومعنى هذا ان الظروف والاحداث لو انها منعت هذا الانسان ان يحاول في الفترة الاولى من عمره ثم واتته اي الظروف والاحداث في الفترة الثانية لما اكتشف اكتشافه ولما انجز ابتكاره ولبدا وكانه عاجز بموهبته عن ان يفعل ما فعل . انها افتراضات ، افتراضات فقط .
اليس جميع الولادات تخضع لاوقات معينة وهذه ولادة ؟

اذن فموهبة الانسان وقدرته وكل امكاناته تكون او لا تكون ، تكون هذا او هذا ، هذا المستوى او ذلك بالقوانين الذاتية والطبيعية لا بالسمع ولا بالرؤية ولا بالقراءة ولا بالتحريض ..

ان مواهبه وكل طاقاته وخصائصه تتخلق فيه وتنتقل اليه ونظلم مختبئة او متفجرة مقتحمة بالاسلوب او القانون الذي به تتخلق وتنتقل وتبقى وتختبئ وتتفجر وتفتحم طاقة حبة القمح او غير القمح ..

فهل طاقة الحبة تكون او لا تكون ، تنفجر او تظل خاملة خامدة لانها قرأت او رأت او سمعت شيئاً جيداً او شيئاً رديئاً مناقضاً او لانها لم تقرأ او تر او تسمع شيئاً ؟ هل القراءة او السمع او الرؤية او الحرمان من القراءة او السمع او الرؤية مهما كان نوعها يهب الحبة شيئاً او يأخذ منها شيئاً ؟

ولو تحولت حبة القمح الى قارئة وسامعة ورائية بل ومؤمنة فرائت وقرأت
وسمعت اي شيء وكل شيء فهل يمكن ان تتغير طاقتها قوة او ضعفا ؟
أليس الانسان مثل الحبة حتما في ذلك ؟ انه يأخذ من ظروفه وعنها بقدر طاقتها،
وكذلك تفعل حبة القمح ويفعل كل شيء حي وغير حي . .

اذن فمزل الانسان عن ظروفه يعني شبيئين : يعني وجود وبقاء طاقاته فيه ، ثم
يعني بقاءها حبلا لا ولادة وصمتا لا تعبيرا . أليست جميع اللغات مثلا موجودة في كل
انسان ولكن وجودها فيه قد يكون وجودا صامتا ؟ وليس كذلك من هو دون الانسان .

اما وضع الكائن في ظروف اكبر من موهبته فلن تصنع له هذه الظروف موهبة
متكافئة معها اي لن تهبه او تعيره او تزور له موهبة اكبر من موهبته ليكون ندا لها
اي للظروف التي هي اكبر منه بالامكان والاستعداد . انها لن تستطيع ذلك ولعلها
ايضا لن تريده . ولعلها لن تقاسي او تحزن لانها لن تستطيعه . . اذا عاش الصرصار
او الذباب مثلا بين البشر ومعهم ، يراهم ويسمعهم ويمارسهم كل انواع واساليب
الممارسات ، ويمارسونه هم كل هذه الممارسات ويقروون ويصوتون ويصلون ويتكلمون
ويؤمنون وينافقون ويكذبون ويتخادعون امامه وفوقه وفي اذنيه وعينيه فهل يمكن
ان يصبح مثلهم : يتكلم لغة ويؤمن بالله وبانبياء وبطغاة وزعماء ودجالين ، وبمذاهب
وعقائد ونظريات وقوميات ، يتعصب ويعادي ويبغض ويحقد ويشتم ويكذب ويزور
ويسرق ويخدع ويقتل ويقاثل باسمها وباسمهم وبحجة الدفاع عنها وعنهم والانتصار
لها ولهم ، ويشيد من اجلها المناير والمحاريب ويكتب وينزل على السننها الالواح
والاسفار والصور والايات ليزداد جنونا وعارا وافتضاحا وصراخا كما يصنعون هم ؟
لو ان اي ذباب او صرصار ظل يسمع ويقرا ويحفظ في كل حياته جميع قصائد النفاق
التي قالها العرب في كل تاريخهم فهل يمكن ان يتحول ذلك الذباب او الصرصار الى
سائق وان ينشد قصيدة واحدة من امثال هذه القصائد العربية الخالدة ؟

اذن لا خوف على الانسان العربي من ان يظل يقرأ ويسمع ويحفظ تراثه الصوتي
الا بمقدار ما يمكن الخوف على الذباب او الصرصار ان يصبح متعصبا وحاقدا ومعاديا
وشاتما ومهددا ومعييرا ومبارزا ومباهايا وقاتلا مقاتلا باسم الالهة والانبياء
والاديان والمذاهب والنظريات والقوميات والاطوان وباسم الحق والصدق والغيرة
والإخلاص والمحافظة على الكرامة ، او ان يصبح اي الذباب او الصرصار يتكلم لغة من
اللغات ليحولها الى اسلحة من السباب والبهذات والوقاحات ومن العدوان على الحياء
والتهذيب والحب والرصانة والذكاء ، أو أن يصبح شاعرا منافقا مفتضحا فضاحا كأحد
شعراء العروبة العظام ، أو يصبح اي الذباب او الصرصار زعيما عربيا يخطب واعداء
متوعدا محاربا منتصرا متفوقا على جميع السفهاء والاغبياء في سفاهاته وغباواته
ودعاواه .

نعم ، الا بمقدار ما يمكن الخوف على الذباب او الصرصار ان يصيح كذلك لو انه عايش البشر وساكنهم وضاجعهم وتعذب طويلا برؤيتهم وبالاستماع اليهم وهم يتقروون ويصلون ويهتفون ويخطبون ويصرخون وينافقون لاربابهم وانبيائهم ولظفاتهم ولقاداتهم القتلة الاغبياء ، ولاكاذبيهم وبلاداتهم واحقادهم ولحروبهم وخصوماتهم وعداوتهم التاريخية والدينية والمذهبية والوطنية والقومية ومن كل جنسية وبلاية جنسية . ولكن الا يستحق الرثاء ، الرثاء لعبيته ولاذنيه ولذكائه وكرامته ولوقاره اي كائن اخر يعايش البشر او يظل من بعيد عليهم فيراهم ويسمعهم ويمارسون كل ذلك بالاسلوب الذي يمارسونه به ؟ أليس في ذلك اشد التعذيب والترويع لذلك الكائن بل والعدوان عليه ؟

**

اجل ، انه لا خوف على الانسان العربي من ان يظل يقرأ ويحفظ بل ويقدم تراثه ، ولكن الخوف عليه من ان يظل عاجزا عن امتلاك الطاقة او الموهبة التي تجعله يتخطى هذا التراث كما انه لا خوف على الكائن النابح أو الناهق أو الراغي من ان يظل يسمع ويرى ويعايش النابحات او الناهقات او الراغيات لافتراض ان ذلك سوف يجعله دائما في طور النابح او الناهق او الراغي ، عاجزا عن تجاوز هذا الطور . . . ولكن الخوف عليه من ان يظل بلا موهبة تجعله يتخطى هذا الطور ، طور النباح والنهيق والرفاء . . .

ولا بد ان يتخطى الانسان العربي تراثه حينما تتخلق فيه الموهبة والطاقة التي تجعله يستطيع تخطيه ، لا حينما يمتنع او يمتنع من قراءة هذا التراث ومن الاستماع اليه او الاحترام والتمجيد له . كما ان الكائن الناهق او النابح او الراغي سيتخطى حتما طوره هذا حينما تتكون فيه الطاقة التي تهبه القدرة على هذا التخطي ، لا حينما يحال بينه وبين الكائنات المصونات مثل تصويته .

وهذه الموهبة او الطاقة التي تصنع التخطي او القدرة عليه تتخلق في الانسان وفي الكائن الذي هو دون الانسان كما يتخلق فيه جسمه واعضائه ولونه وحدوده الذاتية ، ولا يتعلمها اي لا يتعلم هذه الطاقة او الموهبة كما يتعلم اللغة او الدين او المذهب او القومية او التعصب او السباب والبغضاء للمخالفين او للاخرين او الهناف للظفاة وللقادة القتلة المجانين ، او الايمان بالمحتلمين المهديين بالالهة وبالابالسة والملائكة وباوقح الاشباح وحشية وتشوها وقبحا وطلعة ووجوها ، وبالبحيم عقابا او ثوبا او اصلاحا او تصحيحا لمن لم يستطع ان يجد في اعنى واقبح وانذل العاهات والنشوهات والالام والدمامات والتفاهات والحشرات انبل واتقى وارحم واجمل وانكى الالهة واعمقها شاعرية وموسيقية واخلاقية وفنية وانسانية وعبقرية .

هل وجد او هل يمكن ان يوجد ابسع احلاما واحتلاما ممن احتلموا ويحتلمون بمثل هذه الالهة المحتملة بكل هذه الدمامات والوحشيات ؟

ان الذين يحسبون ان الموهبة او القدرة تخلق او تتخلق بالرؤية او السماع او القراءة او التلقين او التعليم هم كالذين يرون ان الاعضاء وصفاتها وصفات ابدانها تكون او تصاغ بمثل ذلك اي بالرؤية والسمع والقراءة والتعليم والتلقين . . وان الذين يحسبون ان القراءة او السماع او الرؤية للاشياء الجيدة او للاشياء الرديئة تحول او تغير الى الافضل او الى الابدأ ، هم كالذين يحسبون ان الاعضاء والابدان والالوان انما تخلق أو تتخلق بذلك اي بالقراءة والرؤية والسمع والتلقين والتعليم .

والظروف المواتية ويراد بها كل اساليب التعليم والتلقين والتحريض والتوظيف والالزام والاعجاب وكذلك الرؤية والسمع والمعاشية والمواطنة وكذا الاثابة والتمكين والتسهيل والافتداء .

نعم ، الظروف المواتية وهي هذه البيئة النفسية والعقلية والحضارية والاجتماعية الواسعة ، قيمتها انها تأذن للموهبة او للطاقة الموجودة الساكنة الصامتة بان تنفجر وتتحرك وتتحول الى نشاط والى تعبيرات مختلفة ومتفاوتة ، وتساعدها على ان تكون كل احتمالاتها وصيغها التي تقدر وتريد ان تكونها ، ولكنها اي الظروف المواتية لا تخلق او تحدد الموهبة او الطاقة في الذات ، بل ولا تهبها شيئا من المقادير او الجودة . . انها تفجر الشيء الموجود وتستخرجه او تسمح له وتساعده على ان يفعل ذلك ، ولكنها لا توجد . ان هذا ، اي تفجير الشيء الموجود واخراجه وصياغته هو كل عمل الحضارة والتحصير . . ان الحضارة لا توجد ولكنها تخرج وتصوغ وتفجر وتحول . انها كالصائغ او الحداد أو النجار الذي يصوغ الموجود ولا يوجد .

ان مثيل ذلك الطاقات والمعادن المدفونة في الطبيعة . ان الانسان يستخرج النفط وغيره ثم يحول الطاقة المخزونة فيه الى حياة ورخاء وقوة . ولكنه اي الانسان لا يستطيع ان يوجد النفط او ان يزيد من مقاديره ، ولو اوجده لاوجده من طاقة اخرى ، من طاقة موجودة ايضا لا يستطيع ان يوجد ما هو اي من غير شيء او من غير طاقة اخرى . وهو في تحويله لطاقة النفط المخبوءة فيه لا يستطيع ان يزيد في مقادير هذه الطاقة وانما يستطيع ان يستغلها استغلالا كاملا أو غير كامل بالمستوى الذي تستطيعه اساليبه ووسائله واجهزته . لقد فجر الانسان المتحضر طاقات النفط العربي وحوله الى مجد للحضارة ، فلماذا لم يفعل بالانسان العربي كذلك . هل عجز أو لم يرد ، أو لم يجد فيه شيئا يفجره ويحوله .

ان اية حبة او بذرة أو جذع شجرة او نبتة حينما تستنب في بيئتها وتحت ظروفها الملائمة لن تستطيع ان تكون او تعطي اكثر من طاقتها الذاتية والنوعية والسلالية او غير هذه الطاقة المحبوسة في ذاتها ونوعها وسلالتها . نعم ، لا غيرها ولا اكثر منها . .

نعم ، انها قد تعطي بل انها حتما تعطي غير ذلك واكثر من ذلك ولكن بان تضاف اليها وتدخل فيها باسلوب علمي مادي طاقات اخرى مادية .. ان اي تغيير في الطبيعة او في الاشياء نوعا او مقدارا لا يمكن ان يكون الابتغير مادي باسلوب مادي .
باضافات مادية تؤدي بوسائل مادية .

وقد يشبه ذلك بالنسبة للانسان ان ينقل مخ او عضو او قلب عبقرى او ذات عبقرية الى ذات انسان اخر ، او ان يحدث فيها اي في ذات الانسان اية تغييرات ذاتية ومادية اخرى لتتحول فيها الى طاقات ومواهب ذاتية مادية .
وهل يمكن ان تحدث اية تغييرات مادية في ذات الانسان حتى في طاقته العقلية او العصبية او الروحية الا بوسائل مادية ؟

انه لو جمعت جميع المخصبات في الطبيعة ثم وضعت باقوى اساليب الاغراء امام شجرة او نبتة او امام أحد المروج ثم حدث بكل اللغات وبكل اساليب البلاغة عن قيمة هذه المخصبات وعن منافعها الاسطورية لهذه الشجرة ولهذه النبتة ولهذا المروج ثم وعظت وهددت هذه الشجرة وهذا المروج وهذه النبتة بكل مواظ وتهديدات كل الانبياء والقديسين والواعظين في كل التاريخ بان عليها اي على هذه الشجرة والمروج والنبتة ان تكون قوية ومثمرة وجميلة وكبيرة بقدر ما في هذه المخصبات من قدرة على ان تصنع لها وفيها ذلك والا فلا بد ان تعاقب اي الشجرة والمروج والنبتة بكل العقوبات التي اعدتها واعد بها الالهة والانبياء كل من لم يبروا جمال الاله ورحمته وعدله وحبه وشاعريته وذكاه وعبقريته كلما راوا تشويها او عاهة او شيخوخة او مرضا او موتا او جوعا او ظلما او طغيانا او خرابا او حربا او وباء او حاكما عربيا يخطب ويهدد او مفكرا عربيا يفكر .

ليس الفكر العربي حينما يفكر والحاكم العربي حينما يخطب ويهدد يتحولان الى افضع اساليب التشويه والتقبيح لكل ما في الحياة من قيم واشياء ؟
نعم ، ان كل ذلك لو حدث ولكن بدون ان تدخل هذه المخصبات بوسيلة مادية في ذات الشجرة او المروج أو النبتة لما كان ممكنا ان يتغير النماء او الجمال او اللون او الحجم الا بقدر ما هو محتوم او ممكن ان يصبح اغبي الناس واتفهم هو اذكى الناس واعظمهم عبقرية بدون اي تغيير مادي في ذاته ، في اجهزة الذكاء والغباء والتفاهة والعبقرية .. في اعضاء العقل والنفوس والانفعال والقبول والرفض والتحدي والعصيان والاستسلام والقدرة والعجز فيه .

نعم ، بدون اي تغيير مادي بوسائل مادية في هذه الاجهزة الذاتية المادية ، بل يصبح أي اغبي الناس واتفهم هو اذكاهم واعظمهم عبقرية لانه فقط سمع أو آمن أن الاديان أو المذاهب أو الاخلاق أو الوطنية أو الانسانية أو الحضارة توجب بان يكون الانسان كذلك ، اي اذكى الناس واعظمهم عبقرية ، وتلمن وتحتقر وتعاقب من لم يكن كذلك ..

- او لانه قد جمع في بيته كل الكتب الذكية والعبرية ..
- او لانه قد قرأ كل الكتب الذكية والعبرية او سمعها تقرأ ..
- او لان جميع العباقرة والاذكياء قد زاروه في بيته وسمعهم يتحدثون بكل اساليب الذكاء والعبرية ، وكتبوا اهداءهم له على جميع كتبهم ..
- او لان جميع هؤلاء الاذكياء والعباقرة قد صافحوه او صافحهم او لمسهم ولمسوه او لانه وضع يده على مكان الذكاء والعبرية فيهم ، او لانهم قد وضعوا ايديهم على مكان الغباء والتفاهة فيه .

نعم ، أو الا بقدر ما هو ممكن أو محتوم أن يصبح أي حاكم أو زعيم عربي حكيما او فيلسوفا او عالما او مهذايا او متحضرا او صادقا او مخلصا او شجاعا او نظيف النية واللغة أو بريئا من الغيرة أو الحسد أو الانانية الهمجية ، أو أن يصبح منتصرا على الاعداء والتخلف والفساد او قائدا الى هذا الانتصار - نعم ، الا بقدر ما هو ممكن او محتوم ان يصبح اي زعيم او حاكم او قائد عربي كذلك لانه قد قرأ لكل زعماء وحكام وقادة العالم المخالفين المتجاوزين له بكل مزاياهم ، او لانه سمعهم يخطبون او يتكلمون وراهم يفعلون بمستويات واساليب اخرى ، او لانهم جميعا زاروه او زارهم ، او لانهم استضافوه أو استضافهم ، أو لانه اراد أن يتفوق عليهم وان يتفرد دونهم بكل مجد التاريخ ، أو لانه أي حاكم أو زعيم أو قائد عربي قد وجد كل أجهزة بلده ، لانه قد فرض عليها ، وكل مفكري ومعلمي وكتاب وشعراء ووعاظ ومغني بلده ، بل وكل الكتب المقدسة في بلده وكل تفاسيرها وكل مفسريها ومعلميها وحفاظها - لانه وجد كل ذلك ليس الا تحديثا عن مجده وعبقريته وانتصاراته وعن عصمة ملابسه الداخلية من ان تصاب بالدرن أو بالعرق ، أو أن تصاب اي ملابسه الداخلية بأية حساسية أو باي شبق الى غير النبل والشهامة والتقوى او الى غير الحب للصدق والعدل والنظافة والحكمة والفلسفة والحقيقة والحضارة والتفكير الشجاع المقتحم .. نعم ، ان هذه النبتة او المرج او الشجرة لن تستطيع ان تستفيد من هذه المخصبات بالنصائح والزواجر حتى ولو عرفت جميع اللغات الا اذا كان ممكنا ان يحدث ما لا يمكن ان يحدث ..

لو ان جميع نصوص وتفاصيل العبرية والحكمة والمنطق والحضارة قد كتبت على جلود وثياب حكام العرب وقادتهم وزعمائهم ومفكريهم وكتابهم ، او لو انهم ولدوا او عاشوا في كفالة وحضانة وبيوت جميع عباقرة وحكماء ومفكري ومنطقي وكتاب كل العالم الحضاري فهل يمكن ان يصاغوا اية صياغة افضل او اعظم ، اية صياغة جديدة غير صياغة التعبير ؟ اي هل يمكن ان تصبح طاقة عبقريتهم او حكمتهم او منطقتهم او تفكيرهم او تحضرهم او مواجعتهم اكبر او انبل او اقوى او اتقى ؟

ان جميع حضارات البشر في كل التاريخ لو نقشت وطبعت على أكف وجباه وهامات حكام العرب وزعمائهم وقادتهم لما صنعت منهم متحضرين فكريا او اخلاقيا او عاطفيا او حتى لغويا او حتى في تحركات عضلاتهم .

حتى تحرك العضلات منها المتحضر ومنها الهمجي البدوي . ما اوقح واقبح همجية العضلات حينما تعبر عن نفسها بالحركة او بالصمت .

ان الموهبة مستوى مادي مستوى اعضاء واجهزة مادية . وانها لا يمكن تغييرها الا بعمليات مادية ، كالتربية وكالاجهزة العلمية . ان الانسان العبقري هو انسان ذاته عبقرية لا لانه اراد ان يكون عبقريا ، واذا اراد ان يكون عبقريا فلانه عبقري الارادة لا لانه عبقري العظام والتعاليم .

ان الصوت في الطبيعة وفي الاشياء ليس الا تعبيراً عن مستوى مادي ، وهكذا صوت الانسان وهكذا تفكيره وذاؤه وعبقريته ، بل وهكذا جميع انفعالاته واحاسيسه واستجاباته . ان مستوى الرفض والتقبل والاحتجاج والاشمئزاز والحب والبغضاء والغضب والتوتر والاسترخاء والاعجاب - ان مستوى كل ذلك ليس الا تعبيراً عن مستويات مادية ذاتية عضوية وكيميائية .

حتى القدرة على النوم والعجز عنه ، انها حالات مادية او تعبير عن حالات مادية ، بقدر ما نمو الشجرة وعجزها عن النمو ، وبقدر ما حالة الفيضان والزلال والرعد والبرق والرياح حالات مادية وتعبير عن هذه الحالات المادية . . لماذا صوت هذا الانسان وانفعاله وتفكيره هكذا . . . انه سؤال يساوي : لماذا صوت هذا الزلال أو الرعد أو الفيضان وقوته هكذا . أو لماذا جمال هذا الوجه او الجسم هكذا .

حتى ما يسمى بالامراض والانحرافات النفسية وكذا الصحة النفسية ، هل يمكن ان يكون ذلك الا مستوى ذات ، مستوى اعضاء واجهزة ذاتية ، تصنع حالات مادية ، تتحول الى تعبيرات نسميها مرضا او انحرافا نفسيا ، ونسميها في حالة اخرى صحة نفسية ؟

الليس الفرق بين حالة هذا الانسان النفسية والحالة النفسية لانسان اخر يساوي للفرق بين ذاتيهما ، بين ما في ذاتيهما من فروق عضوية وكيميائية وتكوينية ، اي من فروق مادية ؟ ليس اختلاف ذاتيهما في التعبير وفي الاستجابة ، او فيما يسمى حالة نفسية جيدة ومريحة وسوية او رديئة ومتعبة وشاذة - نعم ، ليس اختلاف ذاتيهما في هذا يساوي الاختلاف بين جهازين او بين اي وجودين ماديين من اي نوع ، من الكائنات الحية او الجمادية ، في كينوناتهما المختلفة والمتفاوتة ، تعبيراً ومستوى ، جودة ورداءة ؟ أليست الفروق بين حالتيهما النفسية تساوي في اسبابها الفروق بين حالتيهما البدنية ؟

ان تورد الزهرة وشحوبها ، وان جودة الثمرة ورداءتها ، استواءها وتشوهها ليساوي منطقاً وقانوناً وتفسيراً ما ندعوه بحالة نفسية صحية سوية له . . .

مرضية . انه لا يمكن ان تكون حالة الانسان النفسية غير حالته البدنية او منفصلة عنها او محكومة بغيرها الا بقدر ما يمكن ان يكون توهج الزهرة او كآبتها ، واكتمال الثمرة أو نقصانها ، صحتها أو مرضها شيئا غير حالتها المادية . .

انه بقدر ما السرور والكتابة حالة عضويه وكيميائية اي حالة مادية فذلك ما يدعي بالامراض النفسية او بالصحة النفسية . .

ان الانسان يكون ذكيا او غبيا ، قويا او ضعيفا ، نشيطا ومتوقدا ورافضا ومحتجا او خامدا مسترخيا مستسلما بالقانون والتفسير الذي تكون به الزهرة او الثمرة او الشجرة او النجمة او اللؤلؤة كبيرة وجميلة ومشرقة وجيدة او نقيض ذلك . ليس الانسان الا صيفا مادية تجيء تعبيرات مختلفة ومتفاوتة تساوي في اختلافها وتفاوتها تفاوت صيغه المادية . .

ان موهبة الانسان العقلية او الفنية او الاخلاقية او العاطفية او النفسية لن تكون شيئا غير صيغة وجوده المادي او غير موهبة وجوده المادي ، وكذلك موهبته اللغوية او الصوتية الا بقدر ما يمكن ان يكون طعم الثمرة وحجمها او لون الزهرة وشذاها شيئا غير صيغة وجودها المادي . وان محاولة علاج الانسان مما ندعوه امراضا نفسية بوسائل غير مادية ليساوي محاولة علاج الثمرة او الشجرة الضعيفة او المريضة بوسائل ليست مادية اي بوسائل نفسية وايحاءية ان الذين يحاولون معالجة البشر مما يدعونه بالامراض النفسية بالايعاء والتحليل النفسي او بآي علاج غير مادي هم كالذين يحاولون ان يعالجوا الثمر او الشجر بنفس هذا العلاج . .

ليست معالجة ما يدعي امراضا نفسية بالايعاء والتطبيب النفسي تساوي معالجة مرض السرطان او القلب او السلس بذلك ؟

اعني ان الانسان كسائر الكون الذي تخلق منه ليس الا حالة مادية تتحول الى تعبيرات مختلفة ، تتحول بقدر احتمالاتها وطاقاتها فقط . . تتحول الى ذكاء وعبقرية ونشاط وحماس وتفكير وفنون جيدة او تتحول الى نقيض ذلك اي الى غباء وتفاهة وخمول وتبلد والى عجز نفسي شامل . كما تتحول الى لغات واصوات . .

نعم ، ان اللغة ليست الا حالة مادية اي حالة مادية لذات ما . ان هذه الحالة المادية لهذه الذات اللغوية او الصوتية هي التي جعلت الذات تريد ان تكون ذاتا لغوية او صوتية وتستطيع ذلك . ان ارادة اللغة واستطاعتها لن تكونا الا حالة مادية .

ان اللغة ليست الا مستوى ذات تحولت الى ارادة والى قدرة . ان احدا ما لم يعلم الانسان ان يكون لغويا كما ان احدا لم يعلمه ان يكون ذاته ونموذجه .

ان الكائن دون الانسان لا يستطيع بكيهونته الذاتية ان يكون لغويا ولم يسرد ان يكون ذلك . انه حتما لم تجتمع له القدرة على ذلك والارادة له كما اجتمعتا للانسان . .

ولا يمكن ان يجتمع له ذلك الا بكينونة ذاتية اخرى ملائمة . لماذا اصبح الانسان كائنا لغويا او عاطفيا او اخلاقيا او مفكرا دون الكائنات الاخرى حوله ؟ هل يمكن ان يكون لهذا تفسير غير الاختلاف في كينونة الذات ، ذات الانسان وذوات الكائنات الاخرى ؟ اي كينونة الذات المادية ؟

**

ولكن لو ان الانسان العربي فهم انه يوجد فرق بين التصويت والكلام او بين الصوت والتكلم وفهم هذا الفرق ، ثم فهم انه هو في طور الصوت لا التكلم وان ترائه كله ليس الا اصواتا حسبت كلاما بل حسبت اعظم كلام ، حسبت كلام الهة وانبياء وسموات وكائنات تسكن السماء - لو ان الانسان العربي فهم كل ذلك فهل ينفعه فهمه هذا شيئا ؟ هل يجعله ينتقل من طوره الادنى الى الطور الاعلى اي من طور الصوت الى طور التكلم ؟ هل يستطيع ذلك ويتقبل دفع تكاليف الانتقال ويعرف كيف يفعل ذلك ؟ هل الذين يعرفون يفعلون ما يعرفون ؟ هل كل من يعرف يفعل كل ما يعرف ؟ هل يستطيع ذلك ويريده وينفذه ويعرف كيف ينفذه ويتقبل تحمل كل الام المقاساة ، مقاساة التنفيذ ؟

الليست مشكلة التنفيذ ، ارادته والقدرة عليه وتقبل دفع الثمن هي دائما اعصى واصعب من مشكلة المعرفة ؟

هل الذي يعرف انه سخييف او بليد او مشوه او مذنب او لص او ظالم او جاهل او عاجز او قصير القامة او اسود اللون محتوم ان يتحول الى نقيض ذلك ، اي محتوم ان يريد هذا التحول وان يستطيعه وان يعرف كيف ينفذه وان يقدم على دفع كل الثمن المطلوب لعملية التحول هذه ؟

هل يمكن ان يوجد اي انسان او اي مجتمع او ان يوجد كما وجد او ان يوجد او يبقى اي شيء لو كانت المعرفة تعني التنفيذ والالتزام .

اليس طور الكينونة الاعلى اكثر تعذيبا واقسى تكاليف ؟ اليس الطور الاقل او الادنى اقل اشتراطا والزاما وتكليفا واكثر اعفاء ومحابة ووصفا ؟

اليس طور الكلام اقسى من طور التصويت ؟ اليس التكلم يقاسي ويلتزم ويحاذر ويحاكم نفسه اكثر واعنف ؟ اليس طور الكلام توريطا وتكليفا وليس محابة وتحليلا؟ التكلم يواجه ويحذق ويسائل ويحاسب ويخطط ويقاضي ويحكم اما الصوت فيستقرغ ويبصق . فايهما اشد مقاساة او ايهما الذي يقاسي ؟

اذن هل يقبل الكائن الصوت ان يصبح كائنا متكلما اي اذا كان الموقف خيارا ؟ هل يتقبل النابح او الراعي او الناعي او الناهق ان يصبح متكلما لو وضع في موقف المخير وعرف معنى ان يكون متكلما اي وعرف التزامات ذلك وشروطه ومقاساته ومخاطره ومهمومه ؟

اذن هل يقبل الانسان العربي وهو كائن مصوت ان يتحول الى كائن متكلم ، اي لو انه كان في موقف من يختار وعرف كل الالتزامات والشروط التي تفرض او التي تقع على من اصبح كائنا متكلمًا ؟

هل يمكن ان يكون الانسان العربي معاديا لنفسه أو هاويا للعذوب وللالتزامات والشروط الباهظة، أو ان يكون فاديا أو بطلا بلا نموذج أو قياس لكي يتقبل ان ينتقل من طور التصويت ، من الطور الذي يهبه القدرة والجرأة بل والمباهة والنشوة على ان يقف فوق اي منبر وكل منبر واعلى منبر ، وفي كل ناد واي ناد واكبر واصغر ناد ، وفوق كل جبل ودخل كل مغارة من جبال ومغارات الوحي وتلقي الألواح وانتظار الملك الزائر القادم من فوق ومن تحت عروش الالهة ومجالس الالهة .

نعم ، من الطور الذي يهبه القدرة والجرأة على ان يقف فوق كل هذه المناير والنوادي والجبال والمغارات وفيها وداخلها لكي يصوت ويصرخ ، فقط يصوت ويصرخ بكل موهبة وشهوة التصويت والصراخ فيه ، يصوت ويصرخ على كل الاتجاهات، وعلى كل الاشياء والقضايا والمواقف ، وعلى كل الاعداء والاصحاء ، بلا اي قيد أو شرط من قيود أو شروط الكلام أو من محاذره أو مخاطره أو وقاره ، ثم ليتحول تصويته وصراخه الى اعظم واخذ واذكى واتقى النبوات والاديان والكتب المقدسة المنزلة المعجزة ، والى اعظم واخذ واغوى التعاليم والبلاغة والفنون والشعر والمواهب الانسانية التي يجب ان ترقع لها وتتعلم منها كل مواهب الانسان في كل اطواره وتاريخه ومجتمعاته ؟ اجل ، ليس الانسان العربي ، لانه مصوت لا متكلم ، يفعل كل ذلك بكل البرود النفسي والاخلاقي والعقلي بل بكل حماس ونزق النشوة والغرور والمباهة وبكل الرغبة الاعلانية ؟

هل يتقبل الانسان العربي ان يتخطى هذا الطور الذي يملك فيه كل النشوة والقدرة والجرأة على ان يذهب يستفرغ ويبصق تفاهاته وبدائاته وجهالاته واحقاده وهمومه وعجزه وجوعه ووقاحته على كل شيء وعلى كل احد بصراخ واعلان وتناول وكبرياء ومبارزة وغرور بذى ، بذى ليصبح اعظم اله أو اعظم نبي أو اعظم حكيم أو اعظم فيلسوف أو اعظم شاعر أو اعظم كاتب ؟

نعم ، هل يقبل الانسان العربي ان يتخطى هذا الطور الذي يهبه كل هذه المكانة الضخمة وكل هذه الحظوظ الاسطورية بلا اي ثمن أو نضال أو موهبة غير ان يستفرغ ويبصق عفوناته بلا اي حسابات أو قيود أو شروط - ان يتخطاه الى طور الكلام الذي معناه كل القيود واقسى القيود العقلية والفكرية والعلمية والثقافية والاخلاقية والانسانية والنفسية والتاريخية .

الذي معناه كل الرؤية والمواجهة والحاسبة والمحاكمة والمحاذرة والمخاطرة ، وكل الفهم والعمق والصنق والتهديب والاخلاص ونبل الاخلاق والالتزام بل وكل الموهبة والقدرة والاحساس بالمسؤولية - الذي معناه كل ذلك ولو افتراضا واما وتعليما

ومحاولة ، دون ان تكون الحظوظ او المكانية اسطورية كحظوظ ومكانة التصويت والمصوت ، بل ودون ان تكون الحظوظ او المكانية مضمونة ؟ نعم ، ان طور الكلام ضخامة تكاليف والتزامات وضالة حظوظ . اما طور التصويت فأعظم واكثر الحظوظ دون اي التزامات او تكاليف .

اذن هل كانت الطبيعة او الاقدار او الالهة محابية للانسان العربي ام معاقبة له متحاملة عليه حينما جعلته مصوتا لا متكلمًا ؟ هل الذي يختارنا للاقى الاقوى الاكبر لا للاسهل لضعف الاصغر يحاينا ويحبنا ام هو يعاديننا ويكرهنا ؟ هل الافضل والانفع او الاتقي لك ان تكون لها في ضخامة الاله وضخامة تكاليفه والتزاماته ام ان تكون ذبابا ، في ضالة الذباب وضالة تكاليفه والتزاماته بل ومع ضخامة حظوظه ؟ ليست حظوظ الذباب ضخمة ؟

اذن فالانسان العربي لن ينتقل من طور المصوت الى طور المتكلم لو انه فهم ان بين التصويت والكلام فروقا وفهم هذه الفروق ، ثم فهم انه هو مصوت لا متكلم . . . لن ينتقل لانه لن يستطيع ، ولانه غالبا او حتما لن يقبل دفع ثمن الانتقال ، ولانه غالبا او حتما لن يريد ان يتحقق هذا الانتقال من الراحة العظمى ومن الحظوظ والمكانة العظمى الى المقاساة العظمى دون حظوظ او مكانة عظمى . كيف يقبل ان ينتقل من مصوت يستقرغ نفسه على كل شيء ، بلا اي قيد الى متكلم مقيد بكل قيود العقل والذكاء والصدق والرؤية والحاسبة والقراءة لكل شيء ؟

لكن لو انه اي الانسان العربي فهم ذلك اي فهم أن بين التصويت والكلام فروقا وفهم هذه الفروق ، وفهم انه هو مصوت لا متكلم ، الا يحتمل ان يكون ذلك نافعا باسلوب ما او بتفسير ما ؟

الا يكون فهمه هذا نافعا مع انه لن يجعله ينتقل من مصوت الى متكلم ؟

وكيف يمكن حينئذ ان يكون هذا النفع ؟ انه لن يستطيع ان يصمت وان يصبح اخرس حتى ولو اراد او تمنى وحاول ان يصبح كذلك لن يستطيع ان يكف عن استفراغ او عن افراز الفضلات والعفونات . وهل يوجد من لا تزدهم ذاته بالفضلات والعفونات المحتاجة الى ان تمستقرغ ويلقي بها ؟

ان كل النفوس حتى ازكاها واسماها محتاجة الى اجهزة تفريغ واستفراغ والى عمليات استفراغية تفريغية مثل النفوس الاخرى .

ان الحياة بكل اساليبها ومستوياتها ليست الا عمليات استفراغية . ان الاختلاف ليس الا في اساليب هذه العمليات الاستفراغية لا في الحاجة اليها ولا في الالتزام بها . انه لا شيء في الانسان بلا استفراغ بل لا شيء فيه ليس استفراغا حتى النضال والعمل والعبقرية والتفكير والحرب والانتصار والموت والقتل والتغذي وممارسة المسرات واللذات ، حتى ذلك كله ليس الا عمليات استفراغية كالصلاة وسائر العبادات المختلفة وكالسباب والحقد والغضب والبكاء وكالتقاير وكالنفجار الخراج وكالذهاب

الى المعبد العالمي الموجود في كل بيت متحضر والموجود حول كل بيت غير متحضر وحول كل خيمة غير متحضرة أو متحضرة هل عرفت هذا المعيد ؟ انه لا يوجد معبد لتفريغ الذات من شحناتها الاليمة البذيئة انفع ولا اتقى من هذا المعبد الموجود في كل بيت متحضر بل وغير متحضر من هذا المعبد الذي لا بد ان يصلي ويستترغ كل انسان فيه حتى من لا يؤمن بأي اله أو دين .

ان الانسان لا يستطيع ان يعيش على اسلوب واحد من اساليب الاستفراغ ولا على اساليب محددة معودة . انه مهما استغنى عن بعض الاساليب الاستفراغية او مهما استبدل اساليب باساليب فان هنالك اساليب لا يمكن الاستغناء عنها ولا الاستبدال بها

ان الاستفراغ او القذف او الافراز او التقبيل بالتصويت هو اكثر الاساليب الاستفراغية عالية وشمولا . انه اسلوب اكثر من عالمي . انه اكثر من بشري . ان الاستفراغ بالتصويت او بالاصوات ليس اسلوب البشر وحدهم . . ان الحيوانات والحشرات تشترك البشر في هذه المهوبة الاستفراغية . وليست الحيوانات والحشرات والبشر هم وهي وحدهم ووحدها المستفرغين والمستفرغة بالاصوات والتصويت بل والطبيعة الجمادية تشترك في ذلك ، بل ولعلها احيانا تتفوق في هذه المهوبة او الضرورة

هل في الطبيعة الجامدة والميتة شيء لا يصوت ؟ وهل تصويت الطبيعة الا اسلوب من اساليب الاستفراغ والتفريغ ؟

حتى الذين يمارسون ويجيدون اعظم الاساليب الاستفراغية لا يستطيعون الكف عن الاستفراغ او عن التفريغ بالتصويت . فالذين يفكرون ويفهمون ويبدعون ويبتكرون ويناضلون وينتصرون ويعملون الاعمال العظيمة القوية ويعيشون كل اللذات والمسرات ويحلقون في كل الافاق باقوى الاجنحة والحركات - وهذه كلها اساليب استفراغية وتفريغية .

نعم ، فالذين يفعلون كل ذلك بتجويد وتفوق يظنون ايضا محتاجين الى عمليات التفريغ والاستفراغ بالتصويت مهما اختلفت اساليب وصيغ التصويت لانها لا شيء يستطيع ان يصبح بديلا كاملا عن التصويت ، عن هذه الضرورة والمهوبة او الخطة الكونية

لانه لا شيء ولا احد يستطيع ان يكون غير مصوت ، يستطيع ان يعيش حياته او وجوده بصمت شامل ابدى

ان الكثير من الفنون العالمية كالغناء والموسيقى وكل اساليب العزف ، وكذا الكثير من الممارسات والطقوس الدينية ، كالهتاف بالالهة والمناشدة لها ، وكذا الكثير من المظاهرات الوطنية او القومية او التاريخية كالاناشيد والهتاف للوطن او للامة او

للشعب أو للزعيم أو للذكريات أو للتاريخ ، وكذا الكثير من الاحاديث والمحاورات والملاعنات والتهديدات والمصاهلات .

نعم ، ان الكثير ، الكثير جدا من ذلك ليس سوى اساليب استقراغية وتفرغية بالتصويت . لان الكثير من ذلك لا يراد به معناه اللغوي البتة وانما يراد به الصوت فقط ، اي يراد به تفرغ النفس او استقراغها بهذه الوسيلة الصوتية . والذي يسمع الصوت هو احيانا مثل الذي يصوته . ان السماع تصويت بضم آخر ، او هو تصويت بالاذن . والناس يصوتون بأذانهم كما يفكرون ويقتنعون ويسرون ويؤمنون بأذانهم . بل انهم يفعلون كل ذلك بأذانهم اكثر مما يفعلونه بعقولهم او بعيونهم ، بل وهل يفعلونه الا بأذانهم ؟ ان الاذان المحولة الى اجهزة تفكير وافناع وايمان ورؤية هي اكثر العيون والعقول عالمية اي بعد افتراضها عيونا وعقولا . ان البشر لم يفكروا او يقتنعوا او يروا مثلما فكروا واقتنعوا وروا بأذانهم . لقد رأوا كل الهتهم وانبيائهم وتاريخهم ومذاهبهم واديانهم وامنوا بهم وبها وابصروا جمالهم وجمالها بأذانهم لا بأي شيء اخر . . .

هل يوجد اي احتمال ان الذي يناشد الاله او يخاطبه او يطالبه او ان الذي يهتف للوطن او للشعب او للتاريخ او للزعيم او للمذهب او للقضية او للحرب او للسلام ، او ان الذي يغني او يعزف او يسمع ذلك ، او ان كل من يتحدث او يحاور او يلاعن او يهدد او كلما فعل ذلك .

نعم ، هل يوجد اي احتمال ان من يفعل ذلك يقصد اي معنى غير ان يصوت ، غير ان يؤدي عملية استقراغية تفرغية بالتصويت؟ هل يحتمل انه بذلك يتكلم أو يريد ان يتكلم او يعتقد انه يتكلم او يستمع اليه احد وكأنه تكلم ؟ هل يمكن ان يحاسب وكأنه يتكلم ما لم يحسب مجنونا او ما لم يكن محاسبه مجنونا ؟ هل يحتمل ان من يتحدث الى الديار والاطلال أو مع النفس أو أن من يهتف بالنجوم يعني شيئا غير الاستقراع والتفرغ او غير القذف بما في النفس خارجها باسلوب التخاطب ؟

نعم ، ان الذين بلغوا طور الكلام ، بل الذين بلغوا طور عبقرية الكلام لن يستطيعوا الكف عن التصويت ، أي لن يستطيعوا الكف أو الاستغناء عن كل أساليب الاستقراغ والتفرغ بالاصوات التي هي ليست كلاما والتي لا يراد منها ولا بها ان تكون كلاما انهم لا بد ان يظلموا مصوتين مهما كانوا قمة المتكلمين . ولكن تصويتهم لن يكون في اخلاقه ولا في نكائه ولا في همجياته بل ولا في اي شيء من تفاسيره بل او في اي شيء من موسيقاه او في اي شيء من صيغ ادائه ، مثل تصويت الصوتين فقط

ان تصويت من هم في طور المتكلمين قد يكون فيه من الجمال والذكاء والمنطق والتخاطب المحسوب مثل ما في كلامهم . . .

ماذا لو استطاع الانسان التعبير عن كل نفسه وعن كل ما في نفسه ، عن كل افكاره واماله والامه واحتياجاته ومشاكله وتعاليمه وعن كل خزائنه النفسية والجسدية • لو استطاع التعبير عنها باي اسلوب علمي شامل او باية وسيلة شاملة اخرى علمية •

نعم ، ماذا لو استطاع الانسان ذلك ؟

هل يستطيع حينئذ الاستغناء عن الصوت بكل اساليبه وصيغه واستعمالاته وفي كل موضوعاته ، او عن الكلام الذي يعني به التصويت لا الكلام ؟ هل يستطيع الانسان او يقبل ان يغلط فمه او عينيه او اذنيه لو انه استغنى عن هذه الاعضاء كاجهزة وظيفية متخصصة ؟

بل، هل يستطيع ان يصمت من اصبح كلامه او تصويقه فضولا او عبثا او نزقا او ضياعا او خسرانا او ايلاما او افتضاحا واتهاما وهجا له ؟ او هل يستطيع ان يكف عن الاستماع من اصبح استماعه امانة او ايداء او تصغيرا له او اخذا من كبريائه وزكائه ووقاره ؟

انه لاحتمال جيد جدا ان يستطيع البشر في المستقبل ابتكار اجهزة ووسائل علمية دقيقة جدا يستطيعون التعبير بها عن كل ما يريدون التعبير عنه باسلوب اشمل وافضل واذكى - اي يستطيعون بها الكلام بغير الكلام او بغير الاصوات وبغير استعمال اللغات المعروفة ، بغير الافواه ، بغير الاحتياج الى اي شيء من فنون البلاغة ، من البيان او البديع •• بغير الاحتياج الى اي شيء من ذلك التراث الضخم المثقل بكل تلك الفنون البلاغية اللفظية التي انفق الانسان وقاسى على وضعها وتعليمها والدعابة لها وعلى الاعجاب والايمان بها دون ان تهبه اي مجد او قيمة من اي نوع • انه الاحتمال ان يتوصل الى التخاطب والحوار بالاجهزة بدل الكلمات والافواه •

واذا تحقق هذا الاحتمال أو لو تحقق فهل تموت اللغات والاصوات وتصبح تاريخا يروى ، او هل يقل استعمال الناس للكلام والتصويت •

ان الجواب يجب ان يكون : كلا ، اي عن احتمال موت اللغات والاصوات • أما عن احتمال تقليل الناس من استعمال اللغات والاصوات فالجواب ينبغي أن يكون : قد يحدث ذلك • انه احتمال قد يكون قويا وقد يكون ضعيفا • وقد يكون الصواب ان الناس كلما تقدموا احتاجوا الى التصويت اكثر لان شحناتهم الانفعالية لا بد ان تكون حينئذ اكثر • وهذا يعني احتياجا اكثر الى عمليات التفريغ والاستفراغ النفسي بالتصويت •

وايضا فان البشر وكما سبق لا يستعملون اللغات او الكلام او الاصوات للتخاطب او للتفاهم او للحوار او للتفسير او للابانة فقط بل وللانفراغ والتفريغ النفسي بل والذاتي الجسدي ، اي لتفريغ الذات او الجسد والاعضاء من شحناتها

او من عفوناتها بل او من قداساتها ونظافاتها وصدقاتها وحبها وجمالها أي لتوزيع ذلك واحيانا لتحويله الى عطايا .

ان الاستفراغ أو التفريغ النفسي ليس الا استفراغا أو تفريفا للجسد او للاعضاء من طاقاتها والامها ومن تنافضاتها وتصادماتها واحتجاجاتها .

ولايهما يستعمل البشر اللغات او الاصوات اكثر : للتخاطب والتفاهم والمحاورة والتفسير اكثر ام للتفريغ والاستفراغ النفسي والذاتي اكثر ؟ انه سؤال قد يختلف الجواب عليه . والاختلاف على الجواب لا يعني احيانا او دائما ان الاتجاهين او الجوابين المختلفين سواء في القوة أو في الصحة أو في الوضوح ، كما لا يعني احيانا او دائما ان في القضية غموضا . ان لاختلاف الاجوبة اسبابا اخرى اكثر واقوى جدا من الاسباب الموضوعية او المنطقية . ان الاسباب الموضوعية والمنطقية هي اقل واضعف الاسباب التي تصنع اختلاف الاجوبة . .

والانسان حينما اخترع اللغة او حينما حبل باللغة ولدها او حينما نبتت فيه اللغة هل حدث ذلك له او هل فعله بحوافز الرغبة في التفاهم والتخاطب والحوار والتفسير لما يراد ام بحوافز الرغبة في التفريغ والاستفراغ ؟ اي هل حدث ذلك من اجل التصويت ام من اجل الكلام ، اي لانه يريد ان يتكلم ام لانه يريد ان يصوت ؟ لقد كان الانسان في البدء مصوتا فقط . فهل كان في البدء يصوت لانه يريد ان يصوت ام لانه يريد ان يتكلم ؟ هل كان يظن انه يتكلم حينما كان يصوت ؟ او هل كان يصوت لانه يريد ان يصل الى متكلم ولانه يعرف انه بذلك لا بد ان يصل او قد يصل الى متكلم ؟ وهل كان يعرف الفرق بين الكلام والتصويت ؟ وهل كان يعرف ان طور الكلام اعلى من طور التصويت ، وان عليه ان يناضل لكي يبلغ طور الكلام ؟

هل الكائنات التي هي ادنى من الانسان والتي هي مصونة فقط ، هل هي تظن انها تتكلم او هل هي تريد ان تتكلم او تعرف ان استمرارها في التصويت وسيلة لتحولها الى متكلمة ؟ وهل تعرف هذه الكائنات ان هناك شيئا اسمه الكلام او طور الكلام وانها هي لم تبلغ هذا الشيء الذي هو الكلام او طور الكلام وانه ارقى واعظم واصعب من التصويت ومن طور التصويت ؟ وهل هي تعرف ان الانسان الذي تعاشه ويعايشها هو كائن متكلم ، وانه لهذا هو اسمى منها ، وانه من اجل هذا ينسخرها ويظن عليها ، وان له الحق ان يصنع بها ذلك ، وانها تطيعه لانها تعرف انه واجب عليها ان تطيعه مهما ظني وظلم واذى لانه متفوق ، فهو يفعل ذلك بها بحق التفوق عليها ، وهي تطيع وتقبل وترضى بحق التخلف عنه ؟

اذن هل هذه الكائنات تتقبل معايشة الانسان الذلة المرهقة لها وتصبر عليها بل وتستمسك بها لانها تريد ان تكون قريبة منه لتعلم منه الكلام والانتقال الى طور التكلم بالاستماع اليه وبسماعه يتكلم ؟

لعلها فاضلة ولبيبة وفداثية الى كل هذا المدى . لعل هوانها ليس هوانا ولكنه تدبير وشجاعة ودهاء .

هل هي تريد ان تتعلم منه اللغة كما ترى ان الابناء منه يتعلمونها اي يتعلمون اللغة من الاباء ؟ ثم هل هي اذ تقاسي الغيرة منه والحسد له ؟ هل تعلمت الغيرة والحسد من البشر ؟ هل يمكن ان تصبح الغيرة والحسد والحقد تعلما او تعليما ؟ وهل يمكن ان اي كائن غير الانسان يستطيع ان يصبح مصابا بالحسد او الغيرة او الحقد أو البغضاء ؟ وهل يستطيع أو يقبل أي كائن غير الانسان أن يعيش مستويات الانسان النفسية أو الشعورية أو الاخلاقية ؟ بل هل يقبل أو يستطيع اي كائن غير الانسان ان يعيش مستويات الانسان اللغوية او الفكرية حينما يجده اي يجد الانسان ويستمتع اليه ويحقد فيه وهو يستعمل لغاته وافكاره كما يستعملها وفيما يستعملها ، وهو يحولها الى عداوات ومخاصمات وبذاءات وحمائمات ومشاتمات ومبارزات ومفازرات وتحديات ، والى اكاذيب وحروب ، والى تقسيمات متعادية للبشر ، والى حدود فاصلة بينهم محروسة باشرس الالهة والابالسة والاديان والمذاهب وباشرس واغبي الجيوش ؟ ولعل الانسان نفسه لو رأى نفسه من خارج نفسه ، يعيش لغاته وافكاره ، ويتعامل بها بالاساليب التي يعيشها بها ويتعامل عليها وبها لرفض بكل الغضب والخوف ان تكون له لغة او افكار

لعل الكائنات الاخرى لم تصل الى طور الكلام والتفكير لانها رأت وسمعت الانسان يتكلم ويفكر فرفضت واشمأزت أن تكون كذلك .

ولكن كيف يمكن الافتراض بان الكائنات التي هي في طور التصويت والتي هي دون الانسان تعلم تفوقه عليها بالكلام وتحاول ان تتعلم هذا التفوق منه ، وبأنها ايضا تعرف ان هناك تصويتا او اصواتا وان هناك كلاما هو اسمى من التصويت ومن الاصوات التي ليست كلاما ، وبان بين الكلام والتصويت فروقا يمكن ان تعرف او لا بد ان تعرف .

نعم ، كيف يمكن افتراض كل هذا في هذه الكائنات الدنيا ؟ هل يمكن افتراض هذه الكائنات اسمى او اذكى او اكثر رؤية لما تواجه ومعرفة به وتطلعا الى الافضل وتمييزا بين الافضل والارداً أو بين الكلام والتصويت ونقدا لعجزها من الانسان العربي ؟

هل يمكن تصور هذا الافتراض او حتى التحدث عن تصوره وعن احتمال تصوره ؟

ذلك ان الانسان العربي وهو كائن مصوت لا متكلم يعايش او يواجه او يرى بقسوة واذلال الانسان المتكلم . . . يواجه كل عبقرياته الكلامية ، تحيط به وتحاصره بكل اساليب التحدي والقهر والجبروت والديمومة والشمول ، ومع ذلك فهل ادرك اي الانسان العربي ان التصويت ليس حتما ان يكون كلاما وانه توجد فروق كبيرة بين التصويت والكلام ، بل توجد مسافات شاسعة بينهما ، او ادرك انه هو مصوت

وليس متكلماً ، وان عليه ان ينتقل الى طور المتكلم لان المتكلم اسمى كينونة من الصوت ، بل او هل ادرك ان عليه ان يعيش بفكره او بمشاعره او بتعبيره شيئاً ولو قليلاً جداً من التواضع او التهذيب حينما يذهب يفاخر بل يبارز بل يقاتل كل الاخرين المتكلمين باصواته المصابة بكل ما في البلاغة العربية من عنجهية وعدوانية وهجائية وصحراوية ومن امية عقلية واخلاقية ونفسية وانسانية وتاريخية وحضارية بل وامية دينية ؟ نعم ، دينية . ان امية البلاغة العربية لامية لا تشبه لها في شمولها وديمومتها وكبرياتها . . انه لشبيه لالهة العرب وانبيائهم وقادتهم وحكمائهم وبلغائهم في امبتهم البلاغية .

ان الانسان العربي لم يدرك شيئاً من ذلك ، ولا يبدو انه سوف يدرك . وهل يرى ان من الافضل او من الواجب ان يدرك ؟ وهل يمكن ان يدرك انه لم يدرك ؟ ولو ادرك انه لم يدرك فاراد ان يدرك فهل يمكن ان يعرف كيف يدرك وهل يريد حتما حينئذ ان يدرك ؟

اذن الانسان العربي لا يستطيع ان يصمت عن التصويت لا يستطيع ذلك ولا يريد ولا يستطيع ان يريد حتى ولو اراد ان يريد . انه لا يختار ارادته . . ان الانسان لا يريد ارادته ولكن ارادته تهجم عليه باسلوب عدواني كما تهجم عليه الامة واحزانه وامراضه وموته . .

ولكن لو كان ممكناً ان يفرض عليه الصمت باسلوب من اساليب القهر فهل يقبل اخلاقياً او انسانياً ان يفرض عليه ذلك ؟ ان تركه يصوت كما يصوت اليوم وكما كان يصوت في كل تاريخه وكما سوف يظل يصوت في المستقبل القريب او المستقبل القريب والبعيد ايضاً - نعم ، ان تركه كذلك شيء رديء ومسيء اليه بل عدوان عليه وعلى قضاياه ومواقفه وتفاسيره ، بل وقد يكون فيه عدوان على كل من يواجهونه ويتعاملون معه بل وعلى تفاسير الانسان وتقويمه لنفسه . بل قد يكون في ذلك اهانة عالمية لكل البشر . نعم قد يكون ترك الانسان العربي يصوت كما يصوت اهانة لكل البشر وليس له وحده .

ان تركهم له اي ترك البشر للانسان العربي يصوت كما يصوت واستماعهم الى تصويته ، وتعاملهم مع تصويته ، ومخاطبتهم لتصويته وقراءتهم له كما يتخاطبون مع الكلام العبقري وكما يقرؤون الكلام العبقري ، واعلانهم عن تصويته مع اعلانهم الاجاب نفاقاً ومتاجرة وانتهازية بتصويته ، وتقبلهم ان يتلو عليهم تصويته من فوق اعلى المنابر الدولية ومن كل المنابر الدولية ، مع اعطائهم لتصويته كل ما فيهم من مواهب الاصفاء المتحضر المخادع المحابي اما بحوافز المتاجرة او بحوافز السخرية او بحوافز الاشفاق او الرثاء ، او بحوافز الكبرياء والشماتة ، او بمشاعر المتحضر المتفوق ازاء البدوي المتخلف ، او بمشاعر الكائن المتكلم ازاء الكائن الصوت .

نعم ، ان تركهم له كذلك بهذا الاسلوب وبهذه الحوافز والتفاسير لهو اهانة عالمية قاسية لكل البشر ، بل انه لهجاء لكل قيم البشر الحضارية والاخلاقية

والنفسية .. انظر كيف يأذن العالم للحكام والزعماء العرب باعتلاء كل منابره ليستمتع اليهم ويهتف ويصفق لهم مبهورا بما يسمع منهم . هل يوجد هوان او ذللة أو خداع أو كذب كهذا ؟ او لعله نبل ورحمة .. انه لشيء رهيب وظالم وبذيء وقبيح جدا ان يترك الانسان العربي يصوت باصواته فوق كل العالم وفوق كل قضاياه وحضاراته وقيمه وفوق كل منابره ومجامعه ومؤساته، لكي تستقبل اصواته هذموتعامل وتخطب وتداول وتسجل وتفسر كما يصنع باعظم العبقريات ولاعظم العبقريات .. انه لاقتسى تعذيب لك وعدوان عليك واهانة لانسانيتك ان تكون واقعا كل اوقاتك تحت اصوات الانسان العربي ..

اجل ان ترك الانسان العربي كذلك شيء يجب الا يطاق . ولكن ما العمل ؟
ليكن مستطاعا فرض الصمت او الخرس عليه بوسيلة قهرية ، فهل يجوز حينئذ ان تنفذ فيه هذه الوسيلة القهرية ؟ هل تاذن الاخلاق او الانسانية بذلك ؟
ان الموقف موقف خيار أو اضطرار بين الالتزام باحد أمرين أو تقبل أحد أمرين كلاهما رديء بلا حدود في رداءته . فكيف يكون الاختيار او كيف يكون تنفيذ هذا الاضطرار ومواجهته ؟

كائن يحمل في داخله شحنات بذئية وردئية جدا ، هو محتاج الى استفراغها والقذف بها . انه لا يستطيع استبقاءها داخل ذاته . انه ليعذبه عذابا رهيبا استبقاؤها كذلك لو فرض عليه باسلوب ما ان يستيقظها . ولكن استفراغه او تفرغها لها لا بد ان يكون قبيحا ومؤذيا وفضاحا جدا . فكيف ينبغي ان يكون التصرف دون انقطاع كامل عن الالتزامات الاخلاقية والانسانية . ان الموقف هنا موقف تصادم بين ما ينبغي وما يستطيع . وهل الحياة الا تصادم دائم بين ما ينبغي وما يستطيع ؟ او هل فيها ما ليس فيه تصادم بين ما ينبغي وما يستطيع ؟ ولكن التصادم هنا تصادم بذئي ورتديء وقبيح جدا . انه تصادم قليل المثال والشبيه ..
ان مجتمعا من المجتمعات قد وضع في مكان المضطر بين احد سلوكين لا ثالث لهما ولا مهرب من احدهما .. احد السلوكين ان يأذن لاطفاله بان يقذفوا بفضلاتهم الجوفية في الطرقات العامة وحول البيوت بل وفوق المنابر والرؤوس وفي الاماكن المحترمة وغير المخصصة لذلك ، بل وفوق منابر النوادي الدولية بكل الجهر والاعلان ، بل وداخل المعابد وفوق ثياب المصلين .. اي بالاسلوب الذي اذن به لحكام وزعماء العرب ان يقذفوا بعفوناتهم العقلية والنفسية والاخلاقية واللغوية فوق منابر العالم ورؤوسه واخلاقه ومثله ..

لانه لا توجد في هذا المجتمع اماكن اخرى غير هذه الاماكن ليستفزع فيها الاطفال وقاحات الطبيعة الوقحة التي قاءتها بكل عفونة وجمعتها داخل ذواتهم ، ثم لم توجد اي الطبيعة اية وسيلة اخرى لامتناس هذه الوقاحات او الفضلات الرهيبة جدا في فونتها او لافرازها او لابتلاعها او لتحويلها الى شيء افضل او اقل سوءا او الى

بناء أو طاقة في اجسام حاملها • انه لا وسيلة اذن غير القذف بها اي بهذه الفضلات الشهيرة العالمية بالاسلوب الشهير العالمي الذي تقذف به ..

وهل توجد عالمية تتفوق في عالميتها على عالمية اسلوب القذف بهذه العفونات ؟
ان الطبيعة لم ترد او لم تستطع او لم ترد وتستطع ان تكون هنا ، في هذه القضية كريمة او نبيلة او رحيمة او نظيفة او عبقرية او عادلة او رفيقة في تلوينها واحراجها وتعذيبها لمن حكمت عليهم بان تصنع في داخلهم هذه العفونات للوبيلة الكريمة ، ثم حكمت عليهم بالا يجدوا اية وسيلة للتخلص منها غير هذه الوسيلة المؤنية المرحجة المذلة الفضاحة لكل العالم بلا تفريق او محاباة او رفق • هذا الاسلوب العالمي للقذف بهذه الفضلات كيف يأذن للانسان بان يزعم انه فكرة اله لو شهوة اله او صيغة اله او كبرياء اله • كيف يجروا الانسان وهو محكوم عليه بهذا القذف ان يصعد فوق اي منبر ليتحدث باية لغة عن اي شموخ ؟

ان الطبيعة لو كانت تحول الى بناء في الاجسام ما تحوله الى عفونات فيها لكان في هذا خلاص منها اي من هذه العفونات ومن توريطاتها واذاها واحراجها وافتصاحها واضرارها ، ولكان فيه ايضا اغناء رائع عن الاماكن التي تخصص لها واستفادة كبيرة من تحويلها الى بناء وطاقة في الاجسام • وهذا اسلوب لا تخفي منافعه الاقتصادية والفنية والنفسية على احد الا ان يكون هذا الاحد هو الاله او من في مستواه كيف لم تعرف او تفعل الطبيعة او من صاغها ان كان احد صاغها هذا للذي لا تخفي منافعه حتى ولا على اي اله بدائي الالهوية ؟ هل موقف الطبيعة هذا او موقف من وراءها عن عجز أو عن جهل او عن نذالة او عن رغبة في العدوان أو السخف او التبذير او القذارة ؟

ان هذه القضية وحدها ، قضية تحويل مقادير كبيرة من الطعام الذي يشقى الانسان ويكافح اعنف الكفاح لكي يوجد ، والذي يشعر دائما انه مهدد بنقصه ، والذي يخاف أو يخاف الكثيرون منه دائما الا يجدوه ، والذي يواجهون كل المهائن والمخاوف والعذاب لكي يجدوه او يعطوه •

نعم ، ان قضية تحويل مقادير كبيرة من هذا الطعام الذي هذه بعض قيمته الى فضلات عفنة ضارة يقاسي ويهون ويصغر البشر لكي يتخلصوا منها ولكي يجدوا ويرجدوا اماكن للتخلص منها كذنب او كمار او كعامة يجب التخلص منها باستتار وباسلوب سري ، دون تحويلها الى حياة وقوة وعضلات في الابدان التي تشقى في البحث عنه اي عن الطعام وتشقى لانتاجه واعداده لكي يصبح صالحا وسائغا ومفيدا •

نعم ، ان هذه القضية لاعظم هجاء للطبيعة ولواضع الطبيعة لو كان يوجد لها واضع ، وانها لاعظم نقد بل وتائيم وتجهيل لمن يفترضون في الطبيعة أو في أي كائن فوقها أي مستوى من الذكاء أو الشهامة أو الصداقة أو المعرفة أو من أي شيء طيب أو

ان ذات الانسان التي هي مخزن هذه العفونات هي ايضا مخزن الحب للاله
في هذا الكون . انهم هكذا يؤمنون ويقولون . . .

ولكن هل فعلت الطبيعة اوقح او اقبح من انها قد وضعت العضو الذي يستفرغ
هذه العفونات في هذا المكان من جسم الانسان ، في هذا المكان الذي لم يعبد البشر
مثله ولم يصنع لهم الغواية والنشوة والارتجاف والجنون مثله ؟ كيف وضعت
الطبيعة العضو الذي يعبده كل العالم في المكان الذي يستقذره كل العالم ؟ كيف
وضعت اقوى لذات الانسان في المكان الذي يستفرغ اقوى وافظع قاذوراته ؟ مسكين
المحب . ان مجد وجمال وجبروت حبه هنا . . . هنا ، هنا !!

ان اعظم فنان قد وهب اعظم خيال لو طلب منه او لو اراد ان يتخيل كائننا ضخما لا
مثيل له في بلادته ودمامته ووقاحتته وسفهه وفي عبوطه تحت جميع مقاييس الذكاء
والاخلاق والحكمة والصداقة والجمال والعدل والرحمة والمنطقية لما استطاع ان يجد
افضل من هذا الكون او من هذه الطبيعة نموجا اعلى لهذا الكائن الضخم الذي طلب
منه او الذي اراد ان يتخيله ، حتى ولو لم يشهد او يعلم او يقاس من الكون او من
الطبيعة الا هذه القضية او هذا المشهد او هذه الوقاحة ، وقاحة الطعام الذي يتحول
الى عفونات لكي يكون محكوما على البشر بان يقذفوها بهذا الاسلوب العالمي البذيء
المهين الوقح الفضاح - بدل ان يتحول اي الطعام تحولا كاملا الى كينونة جيدة
ونافعة في ابدان وحياة منتجييه وآكلييه . ما اوقحك ايتها الطبيعة . كيف استطاعت
وقاحتك ان تصعد بك او ان تهبط بك الى ان تحكمي على كل انسان بان يكون محكوما
عليه بهذا القذف مهما كانت عقيرته ومكانته ونظافته وقسامته ؟

ولكن هل الطبيعة محتاجة الى التدليل على انها كل نماذج القبح والغباء والسفه
والقسوة والعداوة والنذالة والهوان ؟ وهل يوجد قبح او غباء او سفه او قسوة او
عداوة او نذالة غير قبحها وغباؤها وسفاهتها وقسوتها ونذالتها وهوانها ؟ لمليست
هي كل ذلك وصانعتة ومعلمته كله وحدها بلا شريك او معين ؟ كيف استطاعت
الوقاحة او البلادة ان تصعد او تهبط ولو بانسان واحد ليزعم ان هناك كائننا اخر
اعلى او غير اعلى هو الذي وهب الطبيعة كل وقاحتها وتلوثاتها وتلويثاتها ؟

**

اجل ، لقد كان احد السلوكيين المفروض احدهما حتما على هذا المجتمع العجيب
ان ياذن لاطفاله بان يرموا بفضلاتهم الجوفية بهذا الاسلوب ، في هذه الاماكن
اذ لا اماكن اخرى . لقد كان سلوكا او اختيارا رهيبا لثيما في قسوته . . .
اما السلوك الاخر او البديل الذي لا بديل سواه فهو ان يفرضوا على اطفالهم
بوسيلة قهرية ان يختزنوا في داخلهم وقاحات الطبيعة هذه دون اي تفريغ او
تصريف . . .

ان تصور هذا ، تصوره فقط شيء لا يطاق ، ويجب الا يطاق . . . وايهما اكثر
واقسى فجيعة للحمال او الذكاء وخروجا عليهما : ما نتصوره ام ما نجده ؟

لقد كان الموقف من تصويت الانسان العربي الذي يحسبه كلاما يشبه موقف هذا المجتمع من قضية عفونات اطفاله الطبيعية وقضية تصريف هذه العفونات . .

الانسان العربي يصوت على نفسه وعلى كل العالم كما يصوت على كل القضايا والمواقف والمشاكل من فوق كل المنابر والنوادي بكل جرأة وبكل اساليب التباهي والاعلان والمبارزة . في كل الاوقات ، تحت جميع الظروف . وتصويته هذا الذي يظنه ويزعمه كلاما بل عبقري الكلام يؤذي ويجرح ويفضح ويهين ويلوث ويصنع كل مشاعر الغضب والحق والحزن والرثاء والاشمئزاز والخجل . . . انه يصوت باسم الانسان المتحضر جدا وباسم الالهة والانبياء والاديان وباسم كل القيم الجمالية والانسانية . واهولاه اذن .

انه تصويت لا يمكن تحويله الى كلام او جمال او الى اي فن من الفنون . انه لا بد ان يظل اطلاقه او الاستماع اليه او التخاطب به مع الآخرين ، من فوق كل النوادي الدولية والمحلية يشبه قذف اولئك الاطفال في المجتمع الذي ذكرت قصته بفضلاتهم البديئة فوق عيون الناس ووجوههم وخطواتهم وثيابهم وفوق منابرهم ونواديبهم ومعابدهم وفوق كل ما يحترمون ويحبون . .

ولكن ليس كل الاطفال في كل المجتمعات كل الاوقات يفعلون ذلك واقعا لا افتراضا ؟ اذن المراد بالاطفال هنا من كانوا اطفالا . .

ان على العالم ان يتحمل بتجلد وشهامة تصويت الانسان العربي والا يمنعه من التصويت بوسيلة قهرية حتى ولو استطاع ذلك . ان عليه تحمل ذلك بالالتزام الاخلاقي والانساني . كما ان على ذلك المجتمع الذي فرضه الخيال ان يتحمل ايضا بتجلد وشهامة ما يروي من ان كل وجوهه ورؤاه ومواقع اقدامه وكل مراكز الكبرياء والجمال والحياء والنظافة والتدين فيه قد تحولت الى اماكن لكي يستفرغ فيها اطفاله العفونات التي خلقتها الطبيعة الوثقة العفنة فيهم من الطعام الذي يكدح البشر اقسى واشرس الكدح لكي يجوده ويوجدوه ويعدوه ويأكلوه ، ثم لكي تحوله الطبيعة المريضة بعشق الوقاحات والعفونات الى هجاء بل الى استهزاء بنظافته وكبريائه وبوضوئه وتطهره لمقابلة الاله وللصلاة له ، بل لتحوله ، اي الطعام الى هجاء بل الى استهزاء بموهبة التكوين والخلق في ذات الانسان ، او بموهبة من اراد وعبّر وخطط وصاغ ذات الانسان لتكون اي ذات الانسان جمالا في عينيه اي في عيني مخطط ذات الانسان وفرحا في قلبه ونظافة في اخلاقه وثناء على فنونه وطموحا لطموحه وعبقرية في عبقريته ومحابة لكبريائه ولاعجابه بنفسه - بدل ان تحوله تحويلا كاملا اي الطعام الى كينونة عقلية واخلاقية وعضلية وجمالية ونفسية في ذات الانسان . كيف لم تعرف الطبيعة او يعرف الخالقون للطبيعة او المجددون لها ان تحويل اي شيء من الطعام الى هذه العفونات اسلوب لا مثيل له في هجاء منطلق واخلاق وكرامة كل الاشياء ؟

ان الانسان العاجز المتخلف اشد احتياجا من القادر على استفراغ ذاته بالتصويت . . .

نعم ، ان المتفوق القادر اكثر واقوى شحنات نفسية بل وغير نفسية . ولكن وسائل التفريغ الاخرى الافضل والاذكى والاكثر تقدما عنده كثيرة جدا . وبها يفرغ شحناته الذاتية المختلفة فيصبح احتياجه الى التفريغ بالصوت اقل اما العاجز المتخلف فان وسائل التفريغ الاخرى الذكية القوية الحضارية قليلة عنده او ليست موجودة اذن لا بد ان تشد حاجته الى وسيلة التفريغ الاولى المتخلفة العاجزة البذيئة وهي التصويت لكي يقاوم ويعالج ويواجه بها كل المشاكل والمواقف والقضايا والاعداء .

انه لا بد من العلاج والمواجهة والمقاومة او من زعم ذلك اما بهذا او بهذا او باي شيء اخر . انه لا صمت عن كل شيء .

قد يكون ممكنا قول هذا كما قد يكون صحيحا او محتملة صحته كما قد يكون ممكنا قول غيره . . .

لهذا فقد يكون الانسان العربي محتاجا اكثر من الاقوياء المتفوقين الى التصويت لكي يستفرغ ويفرغ به اي بالتصويت كل ما في نفسه بل كل ما في ذاته واعضائه ومواهبه من عجز واحزان وتقاهات وآفات ومن هموم واحقاد وغيره ونقائص وعفونات اخرى . . .

حتى الاعضاء انها تفرغ حمولاتها الاليمة والبذيئة بالتصويت المختلف التعبيرات والجنسيات واللهجات .

ان شحناته النفسية والعقلية والانسانية والاخلاقية اقل جدا . ولعله لا توجد فيه شحنات عقلية او اخلاقية او انسانية واية شحنات اخرى سوى شحناته النفسية والجسدية والعضوية - اعني الانسان العربي . . حتى الحزن . هل يحزن الانسان العربي ؟ انه يحقد ويحسد ويبغض ويخاف . ولكن هل يحزن ؟ ان الحزن مستوى انساني . . فهل بلغ الانسان العربي مستوى من يحزن ؟ ليته بلغه . .

نعم ، ان شحناته اقل جدا ولكن وسائل التفريغ والتصريف عنده تكاد تكون وسيلة واحدة وهي الصوت . لهذا فقد يكون احتياجه الى الصوت احد واكثر من احتياج جميع الاقوياء المتفوقين المتحضرين الذين تتجمع وتتوقد وتتزاحم وتتصادم فيهم اغزر واضخم واقوى الشحنات المختلفة الجنسيات والمستويات والاتجاهات والافاق .

ان ضخامة الحياة وتجدها وتنوعها تعني حتما ضخامة الانفعالات وتجدها وتنوعها . . .

ان الضربة او الخصومة او الحرب او البغضاء او الارادة او الشهوة او الخطة أو الاحقاد بل أو اليد أو الرجل أو الانامل العاجزة المهزومة لتتحول الى اصوات

اي لتتحول الى احتياج الى الاصوات ، اي لتستبدل الاصوات بها اي يعوض عنها
بالاصوات والتصويت . .

اي تستبدل الاصوات والتصويت بانتصارها وقدرتها ، اي يعوض بالاصوات عن
انتصارها وقدرتها أي عن انتصار وقدره الضربة والخصومة والحرب والخطبة
والبغضاء والاحقاد والايدي والارجل والانامل التي لم تستطع ان تكون قادرة او
مفتصرة حيث كان يجب ان تكون كذلك وحيث كان ينتظر منه ذلك . . .

اي انك اذا كنت محتاجا الى ان تضرب او تخاصم او تحارب او تبغض ،
او اردت ان تفعل ذلك فلم تستطع ، او فعلته فلم تنتصر ، او كنت في موقف
من يجب عليه ان يفعله فلم يفعله .

نعم ، انك اذا كنت كذلك فلا بد ان تحتاج حينئذ الى التصويت لكي تعوض
عن عجزك وهزيمتك ، ولكي تستفرغ وتفرغ مشاعرك الاليمة المحورة . انه اسلوب
عزيم وسخيف من اساليب الاستبدال والتحويل ولكنه اسلوب طبيعي . اي انك
حينئذ تذهب تحارب وتتداوي بالتصويت ، وان عجزك عن ان تفعل وتنتصر
حيث يجب ان تفعل وتنتصر لا بد ان يزيد من شحناتك الانفعالية والاليمة
المحتاجة الى التفريغ والتوزيع .

ان معنى هذا ان الضربة او الخطبة او المحاولة العاجزة تتحول الى اصوات او
الى احتياج الى الاصوات ، بل ان اليد او الرجل او الاصابع الضعيفة او العيون
المريضة او العاجزة عن الرؤية او الضعيفة الرؤية لتتحول الى تصويت او الى احتياج
الى التصويت ، اي الى تفريغ للذات وللنفس بهذه الوسيلة . لقد كانت الضربة
او الخطبة او المحاولة او اليد او الرجل او العين خليقة بان تنفذ عملية التفريغ هذه
لو كانت اي الضربة او الخطبة او المحاولة او اليد أو الرجل أو العين قوية ومفتصرة ،
كما لم يكن مفروضا حينئذ ان تتحول الى شحنات نفسية الائمة تبحت عن التفريغ
والتصريف . ان الاصوات ليست الا عملا قد هزم او عملا لم يؤد او عملا لم تخلق
أدواته . انها عمل قد جاء بصيغة اخرى ، رديئة متخلفة عاجزة . .

نعم ، ان الضربة او المحاولة او الارادة او الحاجة العاجزة تتحول الى تصويت
او مفروض ان تفعل ذلك . ولكن الاصوات القادرة أو العاجزة هل يمكن ان تتحول
الى اي شيء قوي او جيد أي الى أي بديل قوي أو جيد ؟ أي هل يمكن ان يتحول
الإمتناع عن التصويت او التقليل منه او الزجر عنه الى اية قوة أو موهبة أو الى
اي مستوى أعلى أو أقوى أو أفضل ؟

ان الشيء قد يعبر تعبيرا أقل منه ويفعل ما هو دون قدرته واحتمالاته ، ولكنه
لن يكون كينونة اكبر من كل قدرته . ان من يستطيع ان يضرب وينتصر ويفعل
فعلا جيدا وقويا قد يشتم او يحقد او يحسد او يصرخ او يبكي او يصنع كل ذلك .
ولكن من لا يستطيع الا ان يشتم ويحقد ويحسد ويصرخ ويبكي لن يستطيع ان

يضرب أو ينتصر أو يفعل ما هو جيد أو قوي أو عظيم . ان القوي القادر اذا عجز أو هزم أو ذل أو اهين فقد يتحول الى تعبيرات صوتية . ولكن المصوت اذا عجز عن التصويت أو منع منه فلن يصبح أكثر أو افضل من مصوت .

ان المتكلم يستطيع ان يصوت ولكن الكائن المصوت اي الذي في طور التصويت فقط لن يستطيع ان يتكلم أو ان يتحول الى متكلم . ان الانسان يصنع المصوت ولكن المصوت لن يصنع الانسان ، وان المصنع يحدث المصوت ولكن المصوت لن يبني المصنع

ان الشيء أو الانسان قد يكون اصغر أو اقل من ذاته أو موهبته ولكنه لن يكون اكبر أو أكثر منها .

اذن فالانسان المصوت اي الذي هو في طور التصويت لن يتحول الى موهبة أو عبقرية أو الى ذكاء أو انتصار أو قدرة أو تفوق حتى ولو منع من التصويت أو قتل منه . . ذلك لان الطور الاعلى قد يفعل فعل الطور الادنى ، دون ان يفعل الطور الادنى فعل الطور الاعلى ان في العظيم ضالة ولكن هل في الضئيل عظمة ؟

اذن فالنصائح الموجهة الى الانسان العربي لكي يمتنع عن التصويت أو عن الكلام أو لكي يقلل منه هي نصائح لن تهبه شيئاً أكثر أو افضل من ان يسمعها ويعجز عن احترامها أو التزامها دون ان يدري ان احترامها والتزامها - لو كان ممكناً - لن يهبه اي شيء ، مما يقال له ويوعده به . انه يعجز عن الامتثال لما يقال له عجزاً لا لمعرفة بانه اي الامتثال لا جدوى منه .

انه يعصي معصية لا ذكاء . يعصي لانه يعصي أو لانه محكوم بارادة العصيان وبظروف العصيان ، ولا يعصي لانه يعرف انه لا نفع في ان يطيع . ان نضالنا الطويل الدائم الذي نحسبه اعلى مستويات الذكاء والتقدم لكسي نجعل الانسان العربي يكف عن الكلام أو يقلل منه لعبث وبلادة سخيفان ومثيران ، وان تأميلنا بان يهبه الكف عن الكلام أو الاقلال منه - أي لو أمكن هذا - ذكاء أو عبقرية أو قدرة أو انتصاراً أو مستوى اخر افضل أو اتقى لبلادة وعبث اخران سخيفان ومثيران . كذلك ان هذا التأميل يساوي التأميل بان امتناع العين أو الاذن عن الرؤية أو السماع قد يتحول الى ذكاء في العقل أو الى جمال في الوجه أو الى بياض في الجلد أو الى قوة في العضلات .

والكائن المصوت اي الذي هو في طور التصويت لا يستطيع ان يقرأ أو يسمع أو يفهم أو يفسر اي كلام الا بانه تصويت مثل تصويته . انه لن يتعامل مع اي متكلم الا بأسلوب من يتعامل مع مصوت .

انه - وكما سلف - لايعرف انه يوجد مصوتون ومتكلمون كما يوجد عباقرة ومجانين ، ومتحضرين وبدو ، ومهذبون ووقحون ، بل وكما يوجد بشر وكائنات اخرى ، وكما يوجد صاعدون فوق القمر ومنحدثون عما في خسوف القمر من تعبير عن دموع الاله واحزانه وغضبه وغيرته لانتصار جميع اعدائه عليه في جميع

معارك الذكاء والعضلات ، وايضا من تعبير عن وحدته وضياعه وهجرانه وهزائمه التي لا نموذج لها ولا شبيهه في جميع الهزائم وجميع اساليب ومستويات الضياع والوحدة والهجران .

نعم ، ليس جميع المؤمنين لا يرون في خسوف القمر الا احزان الاله وهزائمه الغاضبة وعضاته الضائعة ؟

وانه ايضا اي الكائن المصوت لن يفهم الفرق بين التصويت والكلام وانه هو مصوت لا متكلم اي لو فهم ان بين هذا وهذا فرقا او فروقا . وهذا ايضا قد سلف الحديث عنه . هل يمكن ان يفهم الجمل او الصرصار ان بين الصوت والكلام فرق او ان يفهم هذا الفرق أو أن يفهم انه هو مصوت لا متكلم ، أو أن يسمع أو يفسر اي صوت بغير ما يفسر به أو يسمع به اي كلام ؟ هل يمكن ان يفهم ان الانسان متكلم اكثر مما هو متكلم ، او انه هو مصوت اردأ او ابلد مما الانسان مصوت ؟ او هل يمكن ان يتعذب اي الحمل او الصرصار غيرة وحسدا حينما يسمع الانسان يتكلم لانه حينئذ يدرك الفرق بين كلام الانسان وتصويته هو ، او هل ان يمكن ان يقاسي لكي يصبح متكلما مثل الانسان ؟

هل يمكن ان يفسر الكائن الادنى او اي كائن اعلى او اي كائن بتفاسير هي اذكي او اعظم مما يفسر به نفسه ؟ هل يمكن ان يختار اي كائن لغيره الها او دينا او مذهباً او منطقاً افضل مما يختار لنفسه ؟ هل يمكن ان تفسر الهك أو دينك أو مذهبك تفسيراً هو أردأ من تفسيرك لاله او لذهب او لدين جارك او خصمك ؟

لقد آمن الانسان بالاله مبهورا مقهورا ، فهل استطاع او احب ان يفسر هذا الاله الذي آمن به بانقهار وانهار ، بل آمن به فاقد كل الاتزان والذكاء والكرامة والشجاعة بل آمن به ليكون اصغر واهون من صرصار - نعم ، فهل استطاع او احب ان يفسر هذا الاله الذي آمن به تفاسير افضل او اعظم او اقل ضالة او حقارة من تفاسيره لنفسه ، بل من تفاسيره لاصغر وانذل واجهل صغاره وانذاله وجهاله ؟ بل ألم يهبط باله في جميع تفاسيره له عن جميع مستوياته هو ؟ ألم يهبط بجميع مستويات الهه حينما فسره عن مستويات جميع طغاته وشراره وقتلته ولصوصه وفساقته ومجانينه ؟ هل هبط الانسان في تفسيره لاي شيء ، مثل هبوطه او قريبا من هبوطه في تفسيره للاله ؟

هل وصف احدا او جماعة او طائفة منه بالحقد والخسة والنذالة والبخل والعدوانية والقسوة والبغض والانتقام والنزق والشره والانانية وحب النفس بل وبالغباء والجهل والجنون مثلما وصف الاله بذلك ؟ بل هل وصف اي كائن بلوصاف تقرب في قبضها وخستها من اوصافه للاله ؟

نعم ، ان الكائن لا يستطيع ولا يقبل ان يفسر اي كائن بافضل او اعظم مما يفسر به نفسه . لهذا لم يكن ممكنا ان يفسر الكائن المصوت اي كائن اخر بانه

كائن غير مصوت اي كائن افضل من مصوت . ولهذا ايضا فان الانسان العربي لانه كائن مصوت لن يستطيع التعامل مع اي كلام او مع اي متكلم مهما كانت عبقريته الكلامية الا على انه ليس متكلما وانما هو مصوت مثله . وكيف يمكن ان تتعامل مع شيء لا يتصور وجوده وهو الكلام والمتكلم ؟ والتعامل مع الكلام مختلف جد الاختلاف عن التعامل مع الصوت كاختلاف المتكلم عن المصوت .

انه اي الانسان العربي لن يحاول ان يقرأ او يسمع او يفهم ذلك الكلام الذي وجه اليه او قيل عنه او فيه او الذي يتصل بكل قضاياه او بكل القضايا التي تتصل بكل قضاياه ، او الذي يتصل بكل انسان . . . انه اي الانسان العربي لن يحاول ان يقرأ او يسمع او يفهم اي كلام على انه كلام لكي يتعامل معه اي مع الكلام بمنطق وبموقف وبذكاء وسريع متحرك ملائم متكافئ قاريء مفسر محاسب متسائل . ما اصعب التعامل مع الكلام بالكلام ، وما اسهل التعامل مع الصوت بالصوت او مع الكلام بالصوت . ما اصعب ان تكون متكلما وما اسهل ان تكون مصوتا . . .

انه اي الانسان العربي لن يخوض اية معركة حوار او ذكاء او فهم او منطق او تفسير او اخلاق . . . انه لن يدخل اية مبارزة عقلية او انسانية او حسابية مع اي كلام او مع اي متكلم لانه ليس متكلما ، لانه مصوت .

انه لا بد ان يتعامل مع اي كلام على انه اصوات فقط مثل اصواته هو . اذن لا امل في المواجهة الفكرية او الحسابية او النفسية او الكلامية او السلوكية او الحركية المساوية او الملائمة المتغيرة .

اذن ما اقل وأضال همومه وتكاليفه ومقاساته الحضارية والانسانية بل والاخلاقية بل ما اقل احزانه الانسانية . وهل له احزان انسانية . انها اصوات تنفجر وتظل تنفجر بلا اي تغيير في الصيغة أو التفسير او في مستوى الذكاء . انها اصوات تنفجر بلا اي تواجه اصواتا . نعم ، لان كلام الآخرين والخصوم لن يكون الا اصواتا . اذن لا بد ان يظل الانسان العربي يواجهها باصوات ، باصوات اعلى واكثر صوتية منها . . .

انها حجارة تواجه حجارة او تلقى على حجارة . هكذا يفهم ويتصور الانسان العربي القضية حينما يواجه اي كلام باصواته ، او حينما يفعل ما يحسبه كلاما او تفكيرا او منطقا او حوارا او ذكاء يواجهه او يقاوم به كلاما او تفكيرا او منطقا او حوارا او ذكاء . . . حينما يواجه ويتعامل مع كل الحضارة والمتحضرين ومع كل الاشياء وكل المواقف ومع كل الاصدقاء والاعداء والانداد بالتصويت . ان التصويت هو كل عبقريته وقوته وحضارته بل وكل تاريخه . انه اي الانسان العربي لا يتغير او يتفاوت في اسلوبه او في مشاعر المقاومة او المواجهة فيه مهما اختلفت وتفاوتت القضايا والمشاكل والمواقف والافكار والتحديات والتبعات والايثار المطروحة عليه.

او حوله او المطروح عليها او حولها . . ان كل تغييره او تفاوته في كل هذه المواجهات ان يشتد صوته ويزداد نزقه وارتجاجه عنفا وافتضاحا وتجريحا لمسامع من يسمعون . . كم يجب الرقاء لمسامع الاله ان كان يسمع كل تصويت الانسان العربي الذي يحسبه كلاما اي ان كان الاله متكلم لا مصوتا فقط . .

انه ليوالجه اعلى مستويات الذكاء والتفكير والتخطيط العقلي الذي يجبر ضده لسحقه ولهزيمته او لمخاطبته والتحاور معه بالأسلوب الذي يواجه به اعلى مستويات البلاغة الفكرية والحضارية والنفسية والانسانية . انه يواجه كل الاشياء المختلفة والتفاوتة اشد الاختلاف والتفاوت بالأسلوب واحد هو التصويت الذي قد يختلف ويتفاوت شدة ونزقا وارتجاجا دون ان يختلف او يتفاوت تفسيره او منطقا او في فهمه وتفسيره لما امامه او حوله من منطوق ومن تفاسير . . .

انه مصوت . . وهل يختلف او يتفاوت الصوت فاهما ومفسرا وقارئا او مفهوما مبهرا مقروءا ؟ ان هتافا او تصفيقا متعاليا في موقف خطابي متصايح لهو في حساب الانسان العربي كل الذكاء والتفكير والمقاومة والانتصار على كل الاخطار والاعداء ، بل انه لاثوى من كل ذلك ، بل واذكى وانقى .

لهذا فان الانسان العربي لا يحتاج الى اية عبقرية فكرية او تفسيرية او علمية او حضارية لكي يقرأ ويفهم ويفسر بها الاشياء كل الاشياء ، انه فقط يصوت عليها . وهذا هو اعلى مستويات قراءته وفهمه وتفسيره لكل الاشياء ، واعلى مستويات تصوره لاى القراءات والفهم والتفاسير ، بل واعلى مستويات مقاومته لكل الاشياء واستجابته لها وتعامله معها .

انه حينما يصوت على الاشياء او في مواجهة الاشياء يعتقد انه لا احد يناضل لويواجه او يستجيب او يتعامل او ينتصر ويتفوق مثله . كما انه اي الانسان العربي لن يحوجك الى اية عبقرية فكرية او علمية او ثقافية او اخلاقية او حضارية او لغوية لكي تقرأ او تفهمه او تفسره او تتعامل معه او تخاطبه . انه تصويت فقط . لتصوره ومحاسبته على انه تصويت فقط هو كل القراءة والفهم والتفسير له ، وكل التعامل والتخاطب معه ، بل وكل الاحترام والتمجيد والفهم له . . انه لا يريد ان يفهم او يقرأ او يفسر الا بأنه تصويت ، بأنه بلاغة صوتية او ظاهرة صوتية وكم في هذا من المجد في حسابات الانسان العربي . .

لئن هل يحتاج الى اية عبقرية من اي نوع او هل يحوج الى مثل هذه العبقرية ؟ انه اذن اي الانسان العربي ليربح جدا بقدر ما هو مستريح . انه ليربح لن يريد ان يفهمه او يفسره او يقرأ . انه ليس معقدا او بعيدا او عميقا ، ليس تفكيرا او تفسيريا او منطقا معقدا او محيرا او متعبا او بعيدا . انه فقط تصويت . اذن كم هو ربح ومحاب لن طرح امامهم او عليهم ليفهموه ويفسروه ويخاطبوه ويتعاملوا معه او به ، او لن ارادوا ان يتسلوا بقراءته او بفهمه او بتفسيره او برويته معروضا بكل

فضائحه وتشوهات بل عارضا لكل فضائحه وتشوهات . . انك قد تتحول الى مجر و سعادة للاخرين حينما يستعرضونك او تعرض نفسك امامهم مثقلا بالفضائح والتشوهات والضعف .

ان في الانسان العربي اذن لنفعا ومجاملة لمن يريدون او لمن يراد منهم او يفرض عليهم ان يفهموه او يفسروه او يخاطبوه او يقوموه ويحسبوه ويصدقوا فيه او يتعاملوا معه او يخدعوه ويهزموه ويعروه ويفضحوه ويتسلوا بضعفه وباستعراض ضعفه . انما لمن يبرهتهم او يحرجهم او يذل كبرياءهم او يهدد تفوقهم او يجعلهم يخطئون او يعجزون او يتضائلون . انه ليس لغات او تفاسير او اجهزة متعددة متغيرة تصنع الخطأ والحيرة والرغبة والعجز عن الفهم . انه لغة واحدة وتفسير وجهاز واحد لا يتطور . . ان فيه اذن لمزية ونفعا ولو لاعدائه ، اي ولو الشامتين الماكرين الصيادين الخبثاء . . لان الانسان العربي لا يوجد له اعداء . لان الاعداء ليسوا الا تفسيرا كبيرا لمن يعادون . ان الاعداء مستوى قوة وذكاء وموهبة فيمن يطلقون عداوتهم عليه . وانهم ايضا اسلوب تمجيد له وخوف منه . اذن هل يمكن ان يكون للانسان العربي اعداء ؟ ليته يملك هذا المجد او يوهب هذا التمجيد . . انك اذا عادت انسانا فليست الا واهبا له مجدا او معترفا له بمجد . انك لن تعاديه بلا ثمن او بلا قيمة فيه ، اي اذا لفترضا عداوتك عداوة انسان وعداوة حساب وتدبير وتفكير وليست عداوة حشرة . . .

ان الانسان العربي في كل تاريخه لم يتعامل مع اي كلام او يفسر او يحاسب او يتصور اي كلام على انه كلام ، فيه صدق الكلام وتفسيره ومعناه وعمقه وكل التزاماته الفكرية والنفسية والاخلاقية والحضارية والنفسية بل والدينية والمذهبية . اجل ، ان كل هذه الالتزامات هي بعض التزامات الكلام في مطامحه واخلاقه وتطلعاته الحضارية والانسانية . ان الكلام في مستوياته الحضارية والانسانية باهظ الشرح والالتزامات . . .

انه اي الانسان العربي ليس نفا او وحشا بلا نموذج لكي يذهب تصوره الى انها قد يوجد كلام بهذا التفسير أي يحاسب او يطالب بكل هذه الالتزامات العنيفة او حتى ببعضها او يلتزم بها .

ان هذه الالتزامات القاسية والصعبة جدا المطروحة على الكلام او المحاسب بهه الكلام او التي لا يكون الكلام كلاما الا بها - نعم ، ان هذه الالتزامات التي لا تفسير ولا مجد للكلام الا بها هي مستوى حضاري وبشري لا تذهب قسوة الانسان العربي او كبرياؤه او عناده او اشتراطاته او رؤاه لنفسه او للاشياء ، لا تذهب به الى تصوره اي الى تصور هذا المستوى الحضاري المرهق تصوره . ان الكلام هو اعلى ما في الكينونة والحياة من طموح واعلى ما في الطموح من احتمالات الحياة والكينونة متحولا الى التزام فكري واخلاقي وانساني معلن . . .

ان الكلام في حساب الانسان العربي مستوى متواضع جدا . ان نموذجه الاعلى والاصعب في تصوره هو صوت الرعد والزلازل والاعصار المدمم . ان هذا الصوت اي صوت الزلازل والاعصار والرعد لا يراه الانسان العربي كلاما فقط او كلاما جيدا جدا فقط . بل انه ليراه كلام الاله في اقوى واروع مواقفه الكلامية . أليس هذا الصوت هو كل كلام الاله ؟ هل يعرف الاله اية لغة غير لغة الرعد والزلازل والاعصار ؟ وهل يتكلم في كل تاريخه بغير هذه اللغة ؟ وهل سمع احد من البشر الاله يتكلم بغير هذه اللغة ، او هل عرف احد ان الاله يتكلم او يعرف اية لغة لولا اصوات الزلازل والاعصار ؟

ان هذا الصوت المنطلق عن الطبيعة بكل خشوع ورهبة ووقار هو كلام الاله ، قد وضع فيه اي الاله كل تقواه وذكاءه واخلاقه وحماسه وكل التزامات الطبيعة والكون والحياة والبشر والحضارات والالهة ، وكل التزاماته هو ازاء الكون والطبيعة والحياة والحضارات والبشر وازاء نفسه ، اي كل التزامات الاله ازاء كل ذلك . وهل توجد التزامات اقسى واكبر من التزامات الاله ازاء الطبيعة والحياة وكل شيء ؟ ولكن هل يعرف الاله ذلك او يلتزم به ؟

ان هذا الصوت هو كلام الاله يوجهه وهو في اعلى مستويات الجد والحماس والحسم والتقوى والذكاء والمنطقية اي وهو في اعلى مستوياته الالهية ، في اعلى مستويات الاله فيه - يوجهه اي الاله الى الانسان والى كل شيء لكي يهبه كل المعرفة والايمان والتدين والفهم وكل الكينونات الكبيرة العظيمة . ان الاله بكلامه هذا اي بصوت الطبيعة هذا يعتقد انه لا احد يتكلم مثله او يفهم او يبده او يناضل او يخاطب او يتفاهم مثله . . .

ان الانسان العربي هكذا يفهم ويفسر صوت الرعد والزلازل والاعاصير الحمقاء وانه هكذا يفهم ويتصور الكلام في اعلى واذكى نماذجه . انه لا شيء يفسر قيمة الكلام عند الانسان العربي مثل اعتقاده بان صوت الرعد والزلازل والاعصار ليس الا كلام الاله في اعلى نماذجه المنطقية والبلاغية والتعليمية والجدلية . . .

وهل يطعم او يستطيع او يريد الانسان العربي ان يكون كلامه او اي كلام أعلى او اذكى من كلام الاله اي اعلى او اذكى من اصوات الرعد او الزلازل او الاعصار ؟

ولانه اي الانسان العربي لا يطعم في ذلك ولا يريد ان يستطيعه فقد ظل ابدا وكأنه لا يريد ان يتعلم او يعرف او يتكلم بغير لغة الاله هذه ، كأنه يريد ان يظل ابدا يتعلمها ويتكلمها ولا يتخطاها ابدا ، اي يتعلم ويتكلم ابدا كلام الاله الذي يتكلمه الرعد والزلازل والاعصار . لقد ظلت هذه اللغة اي اصوات الرعد والزلازل والاعاصير هي النموذج الاعلى للكلام في حساب الانسان العربي ، لان هذه الاصوات في ايمان الانسان العربي وفي موهبته هي الاله متحدئا بأعلى مستوياته اللغوية

والبلاغية والفكرية والاخلاقية والتعليمية والخالقية ، بل بأعلى مستوياته النفسية والانسانية .

نعم ، ان الاله لا يتحدث الا بمستويات الانسان فيه . ولكن هل يتحدث بأعلى هذه المستويات ام بأدناها ؟

انه لم يحاول اي الانسان العربي ان يتكلم او يتعلم اية لغة اخرى لكي يتعلمها منه الاله او لكي يعلمها هو الاله . والاله دائما يتعلم جميع لغاته ومواهبه وأخلاقه بل وذاته من الانسان العربي . وهل له معلم سواه ؟ وهل استطاع الاله ان يتعلم ذاته ، نفس ذاته الا من الانسان ؟ ...

وهل يتعلم الاله اي شيء الا من الانسان ؟ وهل يتعلم الانسان اي شيء الا من الانسان العربي ؟ اذن هل يتعلم الاله اي شيء الا من الانسان العربي ؟ اذن فالانسان هو معلم الاله ، والانسان العربي هو معلم الانسان ، كل الانسان . اذن فالانسان العربي هو المعلم للاله وللانسان ، لكل الانسان ولكل احد كل شيء . . .

انه اي الانسان العربي هو الذي علم الاله ان يتكلم او هو الذي جعله يتكلم بصوت الرعد والزلازل والاعصار ، كما انه اي الانسان العربي هو الذي علم الاله كل ذاته ، كل نماذجها وحدودها وصفاتها وشهواتها ومجاعاتها وهمومها وكل تشوهات وقسوتها وانانياتها . . . لقد علمها اي علم ذات الاله او صاغها بقسوة وهمجية لا نموذج لهما . لقد صاغ ذات الاله بأسلوب من يعاقبها ويسبها .

وهو ايضا اي الانسان العربي هو الذي علم الطبيعة ان تتكلم او جعلها او زعمها تتكلم بلغة الاله وبأخلاقه وشهواته واحزانه وبجميع مستوياته العقلية والنفسية والشخصية . . .

اذن فالانسان العربي هو المسؤول عن جميع اخلاق الاله وعن جميع مستوياته ونماذجها النفسية والعقلية واللغوية بل والذاتية ، لانه اي الانسان العربي هو الذي علمه اياها او هو الذي صاغه بها او هو الذي وهب اياها او خلعها عليه او اتهمه بها . نعم ، انه هو الذي اتهمه بها . . .

ان احدا لم يتهم احدا او شيئا او يشوهه مثلما اتهم الانسان العربي الاله وشوهه حينما وضع او صاغ او رأى له كل نماذجها العقلية والنفسية والاخلاقية بل واللغوية والصوتية . . . لقد كان الاله صامتا باستتار وتواضع وظل كذلك لا يزعم لنفسه ولا عنها شيئا حتى جاء الانسان العربي والقي عليه بكل اوصافه وبكل ملبسه . . .

اذن هل يوجد مذنب او مسؤول مثل الانسان العربي ؟ هل توجد ذنوب مثل ذنوب من وهب او علم الاله جميع نماذجها الذاتية والعقلية والنفسية والاخلاقية والفنية واللغوية ، او مثل ذنوب من اتهمه بذلك او تصوره كذلك ، او مثل ذنوب من خاط

للإله ملابسه وصاغ له اوصافه ؟ ٠٠ ان من تصورك او فسرك تصورات وتفاسير رهيبة ومشوهة فقد اعتدى عليك وأساء إليك ٠٠

الاهل يوجد مذنب مثل من جعل او افترض اصوات الزلازل والاعاصير والبراكين واصوات كل التنجرات الطبيعية المخربة هي اعلى واتقى النماذج للاله ، متحدثا بكل بلاغته وعبقريته وبكل تدينه ووقاره وتقواه ومحبته الى نفسه والى كل عباده واكوانه؟
لانه لا توجد تصورات مذنبه ومشوهة وظالمة مثل التصورات التي تصورت او تقبلت نماذج الاله وصوره ٠٠ انه لم يوجد من ظلم وأذنب اليه مفسرا ومتصورا مثل الاله ٠
ان التصورات والتفاسير المذنبه هي سلوك مذنب ٠

**

ان العرب ، وكذا جميع من هم في مستواهم يشوهون كل شيء يتعاملون به او يفرض عليهم التعامل به ٠ وايضا يشوهون كل شيء يؤمنون به او يفسرونه او يتصورونه او يناحزون اليه ويدافعون عنه ٠ اليس الشيء يشوه بالايمان به ويتفسيره وتصوره وبالانحياز اليه والدفاع عنه ؟ ألسنت قد تشوه المذهب أو النظام أو الزعيم أو النبي الجيد لانك قد آمنت به ووقفت معه وانتصرت له ودافعت عنه ؟

ان الاشياء ، جميع الاشياء لا يمكن ان تكون في جمالها او همامتها او قوتها او ضمنتها معزولة عن يتعاملون عليها او بها ولا عن يعرضونها او يناحون بها او يؤمنون بها بل ولا عن يفسرونها او يقرؤونها او يتصورونها ٠ أليس الثوب قد يتحول الى عدوان عليه والى تشويه له ؟ بل ليست صدافتك لانسان قد تشوه ذلك الانسان وتجوله الى متهم ونذل ؟

نعم ، ان جمال الثوب والجهاز وجودتهما ليسا مستقلين او منفصلين عن اللباس وعن المشغل او المحرك او الوجه المسير ٠ حتى الاله والمذهب والدين والنظام ، ليست لوصافه غير اوصاف من يؤمن به وينفذه ٠ ان عبقرية الشيء في عبقرية المتعاملين به وعليه ومعه ٠

ان العرب وكل من لهم مثل موهبتهم ليهبطون بجميع الاشياء التي يضعون عليها ايديهم او افواههم او عقولهم او اخلاقهم او تفاسيرهم او تصوراتهم او قلوبهم وتقواهم ، او التي يضعونها في ذلك منهم ، حتى الاشياء التي يضعون عليها عيونهم او يضعونها في عيونهم ، انها لا بد أن تصاب بالهبوط والتشوه ٠ حتى عيونهم ورؤاهم ، انها تشوه الاشياء ٠ انها لا تراها فقط بل تفلحها ٠ اننا لا نرى الاشياء فقط بل ونصوغها بروئيتنا لها ، كما نصوغها بايماننا بها وبتصورنا وتفسيرنا لها وبتفكيرنا فيها ٠٠

نعم ، اي شيء تعاملوا عليه بأي اسلوب من اساليب التعامل ولو حتى بالرؤية واللغة ثم لم يهبطوا به ويشوهوه ؟ اي شيء تعامل عليه العرب او آمنوا به ثم لم يهبطوا بكل مستوياته واخلاقه وتفسيره ؟

ألم يتحولوا الى تشوهات في وجوه الحضارة التي قدمت اليهم غير معشوقة ولا مفهومة ولا مرحب بها ؟ هل تركوا وجها من وجوه الحضارة بلا تشويه ؟ ٠٠
لقد رأينا كيف هبطوا بالكلام واللغات ٠٠ لقد جعلوا الكلام واللغات اصواتا ، وجعلوا
الاصوات هي اعلى ما في الكلام واللغات من عبقریات وفصاحات ٠٠ حتى الاصوات ،
لقد هبطوا بها ٠٠ ورأينا كيف هبطوا بالصحافة - هذا الفن الحضاري المخيف العظيم
٠٠ كيف حولوها الى استفراغ بذيء بليد وقح على كل معاني الانسان والحياة ٠٠

الم يحولوا هذا الفن الحضاري الضخم الى عار يملأ كل الزمان والمكان والحياة ؟
ألم يحولوها الى توبيخ وتأنيب وتأثيم لمن وهبوا المطبعة والورق والوسائل الاخرى
الميسرة لها الانتشار والسرعة ؟ ٠٠ ألم يحول العرب الصحافة ، هذه الظاهرة
الحضارية الرهيبة الى حشود هائلة من الاكاذيب والنفاق والبلادات والصلوات
والنبوات والعبادات لكل الاوثان والوثنيات ولكل الطغاة الجاهلين ولكل الطفيان
البدوي الشرير الحمر الجاهل في جميع المحاريب وتحت جميع الاعلام والشعارات ؟
ألم يحولوا الصحافة الى لعنات يشتمون بها كل طلعة نهار ، والى تشوهات
يغطون بها وجه الشمس كل إشراقة صباح ؟ ألم يجعلوا مجيء الصباح نذبا وعارا ،
لان مجيئه يعني مجيء الصحافة العربية ؟ قبيح مجيئك ايها الصباح لان الصحافة
العربية تجيء مع مجيئك ايها الصباح المبصوق عليه ٠٠

ألم توزع الصحافة العربية نفسها على جميع الاوثان والوثنيات وعلى جميع
المتسلطين وعلى جميع اللصوص الفادرين باسلوب قد تخجل منه وتعف عنه صغار
الحشرات ؟ هل وجد متسلط واحد في العالم العربي لم تركع تحت قدميه اكبر واصغر
الصحف العربية مهما كان جهله وغباؤه وعاره وفساده ، لتصنع من مزاياه وعبقرياته
ونقواه ونظافته أئمة وخلفاء وانبياء بل وآلهة - لتصنع من عاره مجدا لمجد التاريخ
ومن هبوطه الانساني تيجانا لهامات الشمس ؟؟

هل وجدت معارض متجددة كل صباح ومساء - معارض للجهل والكذب والنفاق
والهوان والسخف والتفاهة وللتعبد الخاضع الذليل ، ولبيع الاخلاق والذاهب
والشعارات ، بل ولبيع الاديان والانبياء والالهة بلا اية شروط بل وبأثمان قد ترفض
الحشرات ان تبيع بها شيئا من كبرياتها او نظافتها او ذكائها ، واحيانا بلا اية
اثمان ٠٠ ؟

نعم ، هل وجدت او توجد معارض لذلك مثل الصحافة العربية بكل أحجامها
ومستوياتها ، بكل ارتفاعاتها وانخفاضاتها ، بكل آفاقها وسمواتها ؟ الم تتوزع
الصحافة العربية على جميع الاكاذيب والبلادات والجهالات والوقاحات والمغامرات
والمظالم ، زاعمة لها كل انساب الانبياء والالهة ، زاعمة انتساب كل الانبياء والالهة
الى انسابها ؟

الم تصبح كلمة « هذا صحفي عربي » كلمة هجاء وتحقير ، يصغر عما فيها من هجاء وتحقير كل ما في الدنيا من كلمات الهجاء والتحقير ؟ أليس محتوما او مظنونا انه لو وجد من يحترم الاذان ويرفض تعذيبها وتحقيرها لما جرؤ ان ينطق بكلمة « صحفي عربي » او بكلمة « صحافة عربية » ؟ أليس محتوما ان تقتل كل الاذان كلمة صحافة عربية او صحفي عربي لو أن في قدرة اية كلمة ان تقتل او ترحل اية اذن ؟ كم يجب الرثاء للفم الذي ينطق بهاتين الكلمتين وللاذن التي تسمعهما ٠٠ كم يجب الاعتذار الى الافواه والاذان الناطقة بهما والسامعة لهما ٠٠

ليست فاجرة جدا او جاهلة جدا تلك الافواه التي تجرؤ على النطق بكلمة « صحفي عربي » او بكلمة « صحافة عربية » ، وتلك الاذان التي تستطيع الاستماع الى هاتين الكلمتين ؟

ان التاريخ لو جمع كل عاره في كل شعوبه وآحاده ليفاخر ويكاثر به اي عار آخر لكان من المظنون جدا ألا يجرؤ على ان يفاخر او يكاثر به عار الصحافة العربية . كم يجب الهجاء او الرثاء لوقاحتك او بلادتك او لصبرك وتواضع كرامتك حين تقبل ان يقال عنك : « صحفي عربي » ؟

ابتها الصحافة العربية . ما اضخم عارك . ما اقسى هجاءك واهانتك للحاجة او للفكرة التي ابتكرت الصحافة او التي ابتكرت الصحافة استجابة لضغوطها . كيف تتجاسرين على ان تكتبي او تقرئي او تطرحي نفسك في الايدي او الاسواق في عصر سحب فيه الانسان الاخر من صدر الاله كل شموسه واقماره ومن قمنيه كل أرضه ومن فوق رأسه كل سمواته ومن غرفه الداخلية كل كراسيه وسرره ومن فوق جسده كل ملابسه واغطيته الداخلية ؟ ٠٠ ان الفروق بين الصحافة في مستواها الحضاري والصحافة في مستواها العربي لا قسى واضخم من كل الفروق بين احدث واجمل مدينة عصرية وبين اشرس الصحاري بدابة وجهالة وكآبة ودمامة وقحطا . ان المسافة الفاصلة بين الصحافتين لاوسع اتساعا من المسافة الفاصلة بين التاريخ قبل التاريخ وبين العصر الذي صلى فيه الانسان ضد الاله فوق القمر ٠٠٠

نعم ، ان صلاة الانسان فوق القمر لهي صلاة ضد جميع الالهة ، ضد جميع الصلوات في جميع تفاسيرها الدينية ، وتفاسيرها العربية .

انه لو كان امام المنطق وامام قوانين الاشياء املان : ان تصلح الصحافة العربية او ان تزال ، ان تداوى او ان يتداوى من وجودها لكان الامل الثاني هو الذي لا بد ان يقع عليه الخيار ، لكان هو الامل وحده . ومع انه امل مستحيل فانه يصبح ويظل مع ذلك املا محتملا محاسبا بالامل الاول ٠٠

وهل وجد او يمكن ان يوجد من امل او من يؤمل ان تصبح الصحافة العربية شريفة او ذكية او تقيّة او صادقة او رسالة حضارية او انسانية او اخلاقية ، بل او شيئا لا يضر ولا ينفع ، لا يعطى ولا يأخذ او لا يلوث ولا يحقر كما لا يظهر ولا يمجّد ؟

ان التأميل بأن تصبح الصحافة العربية صادقة او ذكية او عارفة او شجاعة او نزيهة او في مستوى الفكرة او الحاجة التي ابتكرت الصحافة او التي ابتكرت الصحافة تحت حساباتها .

– نعم ، ان هذا التأميل لو وجد من يؤمله هجاء واهانة لكل استعمالات الامل ولكل تفاسيره ولكل المتحدثين عنه والمتعاملين معه وبه نفسياً وفكرياً واخلاقياً . ان الامل حينئذ ليس الا اقصى حالات اليأس ، وان اللغة حينئذ لم ترد ان يكون هناك فرق بين كلمة محال وكلمة امل او واقع . . .

ولكن هل اللغة تقية او ذكية لكي لا تقول نقبض ما تريد ونقبض ما يحدث ونقبض تفاسيرها ؟ وقضايا وعطايا الحضارة الاخرى غير الصحافة والكلام واللغات والاصوات، ماذا صنع الانسان العربي بها حينما واجهها وعاملها وتحدث عنها وفسرها وآمن بها وادعاها ؟

هل عامل الانسان العربي شيئاً بأذكي او اتقى مما عامل به اي شيء، اخر ؟ هل خص شيئاً بتشويبه له دون شيء اخر ؟

ماذا صنع بالديمقراطية والاستقراطية والراسمالية والحرية والحقوق الانسانية والوطنية والقومية والانسانية والعالمية وبالانحيازية والحيادية والانتماية والاستقلالية ؟

ماذا صنع بها ممارسة ومفسرة ومقروءة ومدعاة ومعاقبة ومعاقبا بها ومخطوبا بها ومشتومة شاتمة ؟

وماذا صنع بالتعليم والمدارس والجامعات والشهادات والدراسة والقراءة والثقافة والتفكير والاعلام والدعاية والفنون والاداب والنقد وبكلمة عالم وخبير ومتخصص وزعيم وقائد وحاكم وشعب وولاء واخلاص وطاعة ووحدة واتحاد ؟ بل ماذا صنع بالحرب الحديثة والاسلحة الحديثة ؟ حتى الحرب الحديثة والاسلحة الحديثة ، ماذا صنع بهما ؟ آه ماذا صنع بهما حينما فرض عليه ان يجربهما ؟ آه كيف اهانهما ؟ كيف بصق عليهما ضعفه وبدأوته ؟ وكيف رفضا ان يكونا صديقين ليديه او لفكره او لاخلاقه ؟ . . .

اجل ، ماذا صنع الانسان العربي بكل ذلك حينما واجه واستعمله وفسره ونطقه وقرأه وتصوره واقتنع به وتعلمه وعلمه والتزمه ، وحين امتدحه وادعاه وخطب به وله وبشره وعنه ، وحينما وجد في بلده وحينما شعر انه يستطيع ان يأمره وينهاه ويقرر ويغيره ويصوغه ويخرجه ويصنع نماذج ويتحكم فيها ؟

كيف شوه كل ذلك وهبط به وسحب منه كل قيمه ومعانيه ومستوياته الحضارية والانسانية وحوله الى عار وبدأوة والى سباب ونجاء وغرور وكبرياء وعجز والى افتضاح شامل ؟

كيف سحب من كل عطايا الحضارة ومن كل انجازاتها كل منطقتها وذكائها
واخلاقتها وجمالها وقوتها وعبقريتها ؟ كيف سحب من جسمها عضلاتها ، ومن عضلاتها
قدرتها ، ومن رأسها عقلها ، ومن عقلها منطقتها وفكرها ، ومن ضميرها براءتها ونظافتها ،
ومن اخلاقها نبيلها وشهامتها ، ومن قلبها حبها وصدافتها ، ومن لسانها صحتها
وتعذيبها ، ومن وجهها حياءها وسماحتها وابتسامتها وترحيبها ، ومن منابرها
تواضعها ، ومن حركاتها توازنها ووقارها ؟

كيف سحب من الحضارة كل تحضرها ومن السماء كل معاني الارتفاع فيها ؟
كيف افسد وشوه كل شيء بالتعامل والمواجهة والتفكير والتفسير والتحدث
والقراءة وبالتصور والانتماء والامتناع وبالايمان والحب والصدقة والادعاء له ؟
كيف سحب من كل شيء جيد اخلاقه وخصائصه وحوله الى هجاء لنفسه ؟

كيف نقل خصائصه الى كل شيء يعيشه او يواجهه او يدعيه فهو به اي بكل
شيء متحضر يعيشه او يواجهه او يدعيه او يؤمن به - فهو به من قمة التحضر
والتهذيب والقوة والذكاء والصدق والجمال الى حضيض البداوة والضعف والدمامة
والكذب والفحش والغباء ؟

كيف هبط بكل شيء ذكي وقوي الى ذاته ليكون في مستواها بدل ان يصعد
بذاته الى اي شيء عظيم وذكي يحكم عليه بمعايشته ومعاملته لكي تكون اي ذاته في
مستوى ذلك الشيء العظيم الذكي ؟

كيف حول كل قيمة العلم الذي قرأ او لقن او سمع عنه الى تسويخ وتفسير
لبدائوته الدينية والفكرية والتاريخية ؟

كيف حول كل مقاسات الحضارة الى مقاسات خصائصه ، ولم يحول اي شيء
من خصائصه الى مقاس اي شيء من مقاسات اي شيء من الحضارة ؟

كيف هبط بكل السماوات الى حضيض ارضه ولم يرتفع بشيء من حضيض
ارضه الى اي مستوى من مستويات اي سماء من السموات ؟

حتى السلاح الحديث وحتى الحرب الحديثة ، لقد تعامل بهما بمواهبه هو
وبمواهب تاريخه لا بمواهب من فكروهما وابتكروهما وتعاملوا بهما بمستوياتهما
الحضارية ؟

لقد نقل اي الانسان العربي مواهبه الى السلاح الحديث والى الحرب الحديثة
اللذين تعامل بهما وحينما اراد او فرض عليه التعامل بهما ولم ينقل مواهب السلاح
الحديث او الحرب الحديثة الى مواهبه هو ، لم ينقل مواهبهما الى عضلاته او عقلا
او ارادته او شجاعته او الى اي معنى من معانيه او تفسير من تفاسيره او الى اية
لغة من لغاته او ضربة من ضرباته ...

لقد عرب كل شيء تعامل به ولم يحضر اي شيء عربي فيه اضطر الى التعامل بالحضارة . لقد استعربت كل الحضارة في عقل و اخلاق ومشاعر ولغة وعضلات الانسان العربي . . .

لقد تحول السلاح الحديث والحرب الحديثة في يديه وعقله وتدبيره وبسالته الى كائنين غربيين بعيدين جدا عن نفسيهما . لقد فقدوا ونسيا نسبهما ووطنهما وقوميتهما . لقد أنكروا ذلك وجهلاه ، لقد فقدوا ونسيا اخلاقهما ومواهبهما . . .

لقد اصبحا اي السلاح الحديث والحرب الحديثة عربيين ملتزمين بكل مواهب و اخلاق العروبة وبكل عجزها اي عجز العروبة عن ان تكون متحضرة او قوية او ذكية او منتصرة . . .

فليعاقبك الله يا اسرائيل فلقد كشفت ان كل شيء جيد يصبح شيئا رديئا في يد الانسان العربي حتى الحرب الحديثة والسلاح الحديث .

ايتها الحرب العلمية الحديثة . . ايها السلاح العلمي الحديث ، ماساتكما قاسية وعالية حينما فرضتما على الانسان العربي ان يتعامل بكما ، ان يجرب عليكما مواهبه وكل تاريخه العلوم المجهول . .

نعم ، ان التاريخ العربي معلوم جدا لانه مكتوب ومرورى باسهاب ولكنه مجهول جدا لانه لم يكتب او يرو بصدق او بذكاء او معرفة او شجاعة .

هل تستطيعان ان تنسيا ، او يستطيع العالم ان ينسى تجربتكما هذه او ماساتكما هذه حينما ذهب الانسان العربي يجرب عليكما عضلاته وفكره و ارادته ، يجرب كل تاريخه ، او حينما ذهبتما تفسران وتقرآن للعالم كل تفاسير آباءه وكل عبقرياتهم الحضارية المتبورة معهم في مقابرهم المنقوشة عليها اجمل الآيات القرآنية وأروع الاشعار الجاهلية والاسلامية ؟

ايتها الحرب الحديثة والسلاح الحديث هل تستطيعان ان تنسيا او يستطيع العالم ان ينسى تجربتكما او ماساتكما هذه ؟ هل تقبلان ان تجيئا لو كنتما مخيرين اي لو علمتما ان الانسان العربي سوف يجرب عليكما نفسه كما جربها ؟

اذن ليس الكلام او اللغة او الصحافة هي وحدها التي هبط الانسان العربي بمستواها او التي فرغها من كل معانيها والتزاماتها الحضارية والانسانية ، بل لقد فعل ذلك بكل انجازات الحضارة وعطاياها ، بل وبكل قيم الانسان وتفاسيره . انني لو اردت ان اختار اقوى دعاية ضد الشيوعية او الديمقراطية الرأسمالية او اية مذهبية لاخترت ان يأخذ بها العرب ليكونوا هذه الدعاية التي هي اقوى دعاية . . .

ان للعرب اذن لمجدا . أليس مجدا ان يهبطوا بالاشياء العظيمة والقوية ويشوهوها؟ ايهم اقوى وأصل مجدا : الذين يصنعون الحضارة ام الذين يستطيعون تشويهها والهبوط بها ؟ أليست القدرة على تدمير الاشياء القوية عبقرية كعبقرية القدرة على ابداعها ؟ اليس العبقرى في الهبوط الى الحضيض عبقرىيا ؟

كان يوجد دائما من يخطئون في فهم الانسان العربي خطأ نبيلًا او خطأ حوافزه النبيل او الاشفاق . كان يوجد دائما من يخطئون هذا الخطأ الذي كأنما كانوا يتعمدونه ويريدونه بحوافز الشهامة . . . أليس الخطأ المتعمد بحوافز الشهامة افضل من الصواب الذي تهدي اليه حوافز النذالة ؟

نعم ، انه ليجد من يخطئون ولو احيانا بتعمد شهامة ونبلا واشفاقا ، لان اجتناب مثل هذا الخطأ يصبح اجتنابا للشهامة والنبيل والاشفاق ، ويصبح ايضا قسوة وتعذيبا ، اي احيانا . . .

لقد كان يوجد دائما هؤلاء الذين يخطئون بهذا الاسلوب وبهذه النيات في فهمهم للانسان العربي . . . ومهما كانت وحشية البشر فهل يمكن الا يوجد من يشفقون على الانسان العربي ويرثون له ثم يستجيبون لاشفاقهم وراثتهم ؟

لقد وجد ولا يزال يوجد من حسبوا ومن يحسبون ان الانسان العربي كائن متكلم وليس كائنا مصوتا فقط . وهنا ألا يحتفل ان هذا الحساب ليس الا خطأ متعمدا حوافزه الشهامة والنبيل والاشفاق ، لان الذين حسبوا هذا الحساب واخطأوا هذا الخطأ لم يستطيعوا او يريدوا ان يفهموا الانسان العربي بانه دون ذلك رفضا للقسوة والتحقير ؟ أليس احتمالا جيدا ونبيلا انهم رفضوا فهمه دون ذلك لانهم يرفضون ان يحقروه ويقسوا عليه بهذا الاسلوب ؟

وحين اخطأوا هذا الخطأ ذهبوا يفسرون اصوات الانسان العربي ويقروونها ويمتخاطبون ويتعاملون معها ويكتبونها ويروونها ويتحدثون عنها ويستنبطون منها ويقيسون المقارنات الجادة بينها وبين اي كلام اخر باسلوب غاية في القدرة والصبر على اخفاء الحوافز

– نعم ، ذهبوا يفعلون كل ذلك وكأنهم امام اعظم الكلام عبقرية وأصله كلامية انهم يقروون التراث العربي القديم ويتعمقونه ويكتبون عنه الدراسات الكثيرة ويقاسون في محاولة فهمه والفهم منه والحكم عليه والحكم به بل وفي محاولة تمجيده وتقضيله على كل تراث اخر ولو احيانا . . . ان الاشفاق قد يتحول احيانا الى مغالاة في الحب والتمجيد والعتاء . . .

لقد توجهوا الى التراث العربي القديم وراحوا يبحثونه ويتعمقون فيه بروح الرهبانية والايمان والتعبد والتصوف العميق . كانوا كأقوى المؤمنين ايماننا حينما يتوجهون الى كتب العرب المقدسة ليستلهموها ويسائلوها عن جميع الاسرار والتفاسير والحلول . . هل يمكن ان تفسر مغالاة المتحضرين في تمجيد التراث العربي القديم بغير هذه التفاسير تحت هذه الحوافز النبيلة الريحمة المسرفة في نبلها ورحمتها وسخائها ؟

انهم لم يروا في هذا التراث كلاما فقط مثل اي كلام ، بل لقد رأوا فيه اذكى الكلام واكثره اصالة كلامية او من اذكى الكلام ومن اكثره اصالة وعمقا في تفسير

الكلام . انهم لم يروه اي التراث العربي ولم يحاسبوه على انه ليس سوى اصوات كتبت بحروف كحروف الكلام ونطقت باسلوب يشبه النطق بالكلام وخطب بها كما يقع التخاطب بالكلام . انهم لم يستطيعوا افتراض هذا التراث كما هو اصواتنا فقط ليس فيها اي تفسير او قصد او خلق من تفاسير الكلام او مقاصده او اخلاقه . ان اخلاقهم لم تجرؤ على الهبوط الى هذا الواقع . . .

انك قد ترفض او تهاب تصديق الواقع لان فيك شهامة لا لان فيك غباء ! وهم اليوم اي هؤلاء الذين اخطاوا هذا الخطا الشهم النبيل في فهم الانسان العربي - نعم ، وهم اليوم ولا بد ان يظلوا زمنا طويلا ايضا لا يزالون يعيشون هذا الخطا ويتعاملون به ، كان كل شيء واي شيء لا يستطيع ان يجعلهم يرون خطاهم او يريدون اويستطيعون رؤيته ، او يجعلهم يريدون الكف عنه حتى ولو راوه واستطاعوا الاقتناع بكونه خطأ لا يستطيع ان يخطئه لشدة وقبح خطئه أشد الباحثين عن الخطأ او ان يهتدى اليه اقدر الناس اهتداء الى الخطا لهبوطه تحت جميع درجات ومستويات الخطا .

اجل ، ان هنالك لخطاء تقبح وتهبط وتعجز عن التزيمي بأي زي من أزياء الخطا وتصغر عن ان تحمل او تملك اي اغراء او جمال او قوة من اغراءات الاخطاء ومن قوتها وجمالها حتى ليعجز عن ان يخطئها اصغر الناس اخطاء واشدهم بحثا عن الاخطاء واقدرهم على ان يخطئوا كل الاخطاء ، أقدرهم على ارادة الاخطاء وعلى الاهتداء اليها . نعم ، ان كثيرا من الناس يخطئون لانهم يريدون ان يخطئوا لا لانهم عاجزون عن ان يعرفوا . ولكن اليست ارادة الخطا تتحول الى عجز عن المعرفة ؟

انك مهما كنت موهوبا في قدرتك على الاخطاء وفي ارادتك لها وجراتك النفسية والعقلية والاخلاقية عليها ، على اعلانها وممارستها والاقتناع بها .

- نعم ، انك مهما كنت كذلك فانك لن تستطيع ان تخطي ، كل الاخطاء . ان اخطاء لا بد ان تظل عذراء بلا ازواج او عشاق او اصدقاء لبشاعتها او لافتضاح عارها او لفقدتها اسباب واساليب الاغراء والخداع . انها لهذا لن تجد من يعشقها او يتزوجها او يتهم بها او من يتبناها او يديعها او يصادقها او يتداوى بها او يخاصم او يقاتل او ينافس او يتاجر او يخادع او يسرق ويكذب ويستغل باسمها ، كما يفعل كل الناس حينما يؤمنون او يعلنون ايمانهم بالاخطاء الدينية او المذهبية او القومية او الوطنية او التاريخية او الاخلاقية اي حينما يؤمنون هذا الايمان باحد هذه الاخطاء او بها كلها ويعلنون ايمانهم هذا وحوافزهم المضمرة هي المخاصمة او المقاتلة او المتاجرة او المنافسة او الخداع او الاستغلال او شبه ذلك من الحوافز التي تضمر بل وتنكر بينما هي اقوى في جهرها من كل جهر وتشهير واعتراف . . ان اقوى وأصل الاخطاء الاعتقادية بل اقوى وأصل كل الاعتقادات هي التي تؤمن بها او ندعيها لكي نحارب ونعادي ونخاصم ونشاتم بها .

اجل ، ان من الاخطاء اخطاء لا بد ان تظل عاجزة عن ان تجد من يقبل ان يتعامل بها او يعطف عليها او يدعيها ولو بحوافز الرثاء والاشفاق او باملاء الشهامة والنبيل . حتى هذه الحوافز والاملاء تعجز عن ان تجعل كل الاخطاء مقبولة او متعاملا بها او عليها . مع ان الاخطاء هي اكثر الاشياء واقواها اصداقاً وعشاقاً وانصاراً واتباعاً . . . حتى الاخطاء والاكاذيب والاوهام المختلفة الجنسيات تحتاج ولو احياناً ، اي يحتاج بعضها الى المعاملة بحوافز الرثاء والاشفاق وباملاء النبيل والشهامة لئلا تكون مرفوضة رفضاً ليس فيه اي قدر من العزاء . ولكن اخطاء واكاذيب واوهاما اخرى لن يوجد ما يجعلها غير مرفوضة ومهجورة كل الرفض والهجر . ان جميع حوافز الرثاء واملاءات الشهامة لن تنقذها من هذا الرفض والهجران .

اجل ، انه اذا كان بعض البشر لن يجدوا من يتعاملون معهم او من يتحدثون اليهم او يفكرون او يحدقون فيهم الا بحوافز الاشفاق والرحمة او باملاء الشهامة او النبيل فان بعض الاخطاء والاوهام والافتناعات المختلفة كذلك ايضاً ، اي تحتاج الى مثل هذه الحوافز والاملاء الاخلاقية والنفسية لكي يستطيع الايمان بها والتعامل معها ويستطاع التحدث عنها والتحديق والتفكير فيها ، اي مع الاستثناء السابق الذي معناه ان اخطاء واوهاما وافتناعات اخرى لن تجد من يجروء على ان يخطئها او يريد ان يخطئها او يهتدى الى ان يخطئها او يستطيع ان يخطئها مهما كانت موهبة العطف والاشفاق فيه ومهما كانت املاءات الشهامة والنبيل عليه . ولعل من الصعب ان يفظن الانسان الى انه لا يؤمن او يلتزم بالكثير من معتقداته المذهبية او الدينية او الاخلاقية الا بحوافز الرثاء والشفقة او باملاءات النبيل والشهامة . . .

ولقد كان من المفروض الذي كان يجب ان يكون محتوماً الا يوجد من يمكن ان يعتقدوا او يتصوروا ان التراث العربي القديم كلام يجوز او يمكن ان يناقش او يحاسب او توضع عنه وفيه الدراسات ، الا يوجد من يحسبه غير اصوات لا تفهم او تفسر او تحاسب باي مستوى من مستويات الكلام ، ولا تلتزم او تطالب بان تلتزم باي التزام من التزامات الكلام . اشعار المديح والهجاء والمفاخرة في تراثنا ، واوصاف الجحيم والجنة والثواب والعقاب في كتابنا المنزل هل يمكن ان تحاسب محاسبة الكلام او ان تفسر تفاسيره ؟ هل يمكن ان يخطئ احد في ذلك ؟ لقد كان الاقتناع بان التراث العربي القديم كلام وليس تصويتنا فقط هو من الاخطاء التي كان من المفروض بل المحتوم الا يوجد من يجروءون او يريدون او يستطيعون ان يخطئوها تحت اي حوافز او املاءات من اي نوع . لقد كان المفروض ان يكون هذا الخطا خارج جميع الحوافز والاملاءات النفسية والاخلاقية بل والمذهبية والدينية . انن كيف امكن ان يوجد من يخطئون هذا الخطا ؟

وهؤلاء الذين ذهبوا بايمان وبراءة وسخاء نفسي وحضاري يهبون التراث العربي القديم كل هذا التقدير والتمجيد بحسبانهم ومحاسبتهم له بأنه كلام ،

توجهوا بنفس الايمان والبراءة والصدق والحماس وبنفس السخاء النفسي والحضاري الى اصوات الانسان العربي المعاصر يقرؤونها ويحاورونها ويفسرونها ويخاطبونها ويحاكمونها مثلما يفعلون مع الكلام، بل مثلما يفعلون مع اجود الكلام . . . انهم يهبون قدرا كبيرا وجيدا من طاقاتهم الذهنية والنفسية لتعاملهم مع اصوات العرب المعاصرين . لقد ارتفع هؤلاء الذين يعاملون اصوات العرب هذه المعاملة فوق جميع مقاييس الشهامة والنبيل والشفقة والمجاملة .

ما اصغر وأردأ هذا الذي يحدث دون ان يصنع اي تعجب او اشمئزاز او استنكار كأنه شيء يمكن ان يكون معقولا او مقبولا او مغفورا او معذورا . كأنه ليس شيئا خارجا على جميع المقاييس والتفاسير وعلى جميع مستويات السخاء الانساني والحضاري . كأنه ليس سخاء نفسيا لا بد ان يتحول الى هجاء لكل تفاسير السخاء . . . ما اصغر وأردأ وأفظح ان يصوت زعيم او حاكم او مسؤول عربي او ان تصوت اذاعة أو صحيفة أو دعاية عربية أو أن يصدر مؤتمر اقطاب عربي تصويتا ما أو اصواتا ما يسميها ويحسبها بيانا عبقريا حربيا كونيا يوجهه الى كل العالم ، الى كل شعوب وقيادات ومذاهب ونظم واديان وجيوش ومواهب كل العالم ، يوجهه بأسلوب ونيات الانذار والتهديد والقتال بكل معانيه وتفسيره ورعوده وكبريائه وشتائه .

– نعم ، ما أردأ وأصغر وأفظح ان يحدث هذا التصويت العربي أو هذه الاصوات العربية فينهض باهتمام وجد ناس من الناس ، فينهض اي ناس بأسلوب من يصنعون شيئا من الجد أو المنطق أو الذكاء أو الواجب أو الاهتمام أو الحماس المعقول أو المعنور أو المشكور .

– نعم ، فينهض قوم من المتحضرين جدا بل ينهض قوم لا حضارة لولا حضارتهم ولا مجد لاية حضارة لولا مجد حضارتهم ليصوغوا من كل مواهبهم العقلية والحضارية والخيالية طاقة فكرية واحدة ليجادلوا ويحاسبوا ويفسروا ويفهموا بها هذه الاصوات العربية التي يطلقها ويصوتها الحكام والزعماء والخطباء وجميع المتحدثين العرب اي جميع المصوتين العرب – التي يصوتونها ويطلقونها على كل القضايا، على اصغر القضايا واكبرها . . . يطلقونها ويصوتونها دون ان يقرأوا او يروا او يتصوروا او يخاطبوا او حتى يعنوا القضية التي يطلقون اصواتهم عليها ، بل ودون ان يعرفوا ان هناك قضية او ان لهم قضية او ان من الخير ان تكون لهم قضية . . .

نعم ينهض قوم قد وهبوا الحياة والتاريخ كل ما فيهما من حضارات وهبوا هذه للحضارات التي وهبوا كل مجدها واخلاقها وذكائها وكل تفاسيرها الجميلة – ينهضون لكي يقياسوا ويقياسوا بعقولهم واخلاقهم وبكل مواهبهم الحضارية والانسانية والنفسية ، لكي يستطيعوا التعامل مع هذه الاصوات العربية تفسيرا وتثمينا وفهما واستنتاجا ومحاسبة ومحاورة، كأنها اي هذه الاصوات كلام حقا يعني شيئا او يمكن

ان يفسر بشيء ، وانه قد قاله قوم قد يقصدون به شيئا او يخطون به لشيء او يفسرون به شيئا او يلتزمون به اي معنى من معاني الالتزام ، او يفهمون معنى الكلام او الفرق بينه وبين التصويت او انه يوجد بينهما اي فرق . نعم ، ان قوما قد صنعوا كل الحضارة ليزدهبون يقاسون كل المقاساة لكي يقرأوا ويفهموا ويفسروا اصواتنا من الاصوات . . .

كيف يحدث هذا ؟ انه لمذهل ومرهق للعقل ان يحدث هذا ويستمر يحدث دون ان يذعر او ينجح او يصدم احدا . . .

كيف لم يدرك هؤلاء بالتجارب الطويلة ان العرب يصوتون ولا يتكلمون ؟ هل جربوا عليهم ولو مرة واحدة انهم يتكلمون ؟ ألم يجربوا عليهم دائما وفي جميع المواقف والقضايا انهم فقط يصوتون ؟

هل وجدوا او عرفوا ولو في موقف واحد ان الرئيس او الزعيم او القائد او المسؤول العربي حينما بصرخ ويعلن : سأحارب . . . سأنتصر على كل الاعداء والانداد . . . سأحول شعبي الى معجزة كونية . . . سأجعله اول شعب يزرع القمر ويسكن الشمس ويبطل الزلازل والبراكين والاعاصير . . . سأهبه كل ما في مواهب الطبيعة وعضلاتها من قوة ورخاء وذكاء وكرامة ومجد وحب وجمال . . . سأكون ذكيا وقويا ومهذبا وصادقا ومتحضرا ومعافى من الحقد والخبث والخداع والكبرياء والطفيان والضلالة والغباء والوقاحة ومن قصر القامة وضيق الهامة . . . سأجعل بلدي اول بلد ينزل اليه الاله ضيفا او زائرا او لاجئا او مواطنا لاني لا بد ان اجعله اي اجعل بلدي ساحرا لعيني الاله ولقلبه بتقدمه وجماله وتدينه ونظامته وبمستوياته الانسانية الضخمة .

- نعم ، هل وجدوا او عرفوا ولو في موقف واحد ان الرئيس او الزعيم او القائد او المسؤول العربي حينما يخطب ويعلن ويصرخ هكذا - انه يتكلم او يعني اي معنى من معاني الكلام بل او يفهم او يتصور اي معنى من المعاني التي يفهمها ويتصورها من يتكلمون ؟ بل ان هذا المسؤول العربي حينما يصرخ هكذا لا يتصور ان احدا يتوقع منه انه يعني شيئا او انه ملزم بشيء او يستمتع اليه ليفهم منه شيئا . . .

نعم ، هل وجدوا او عرفوا بالتجارب الطويلة المكررة ان هذا الرئيس او الزعيم او القائد او المسؤول العربي حينما يصرخ ويعلن ويخطب هكذا يتكلم اكثر او اعلم مما عرفوا ووجدوا ان الذباب او البرغوث او الجمل او الذئب يتكلم حينما يصوت ، وانه يريد اي الذباب او البرغوث او الجمل او الذئب ان يعلن بكلامه : ان القيادات العربية هي التي علمت الطبيعة قوانينها وقياداتها لنفسها ولكل وحداتها الاخرى ، وانها هي التي وهبت الشمس قوتها وذكاءها في قيادتها لتوابعها ولرعاياها ، ويعلم ايضا اي الذباب او البرغوث او الجمل او الذئب انه لم يتعلم موهبة الكلام بكل عبقرياته والتزاماته وتفاسيره الا من الانسان العربي ، وان الانسان العربي سيكون اول من

يررع الشمس بالذوج وبالمناخ الصانع لاعلى واجمل واضخم حقول الحياة
وانواعها ؟

هل الاصوات العربية أقدر على أن تخدع بنفسها وعلى أن تفسر بانها كلام،
هل هي أقدر على ذلك من أصوات الكائنات التي هي دون الانسان ؟ هل يمكن
أن يخدع أي كائن فيعتقد بأن في خطب أي زعيم أو مسؤول عربي من معاني الكلام
وتفاسيره أكثر مما في طنين أية ذبابة ؟

كيف يمكن الاعتقاد بأن أصوات الزعماء والحكام والدعاة والعلمين والقادة
العرب بل وأصوات أي أنسان عربي - كيف امكن أو يمكن الاعتقاد بأن أصوات
العرب كلام دون الاعتقاد بأن أصوات الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان
كلام أيضا ، بل مع الاعتقاد بأن أصوات هذه الكائنات ليست كلاما ؟ كيف لا
تقتنع بأن أي صوت يطلقه أي كائن هو أعظم كلام اذا كنت قد اقتنعت بأن
نبوات وتعاليم وشرائع وخطب أنبياء ومعلمي وزعماء العرب نوع من الكلام ؟ ٠٠٩

أن أصوات هذه الكائنات أصوات فقط أي ليست كلاما وليست كذلك ضد الكلام
أو نفيا للكلام أو لمعاني الكلام ٠٠ أما أصوات العرب ولا سيما أصوات زعمائهم
ورؤسائهم ودعاتهم وقادتهم ومعلميهم فانها ليست أصواتا فقط ، انها أردأ جدا من
ذلك ٠ أن أصواتهم ضد الكلام ونفي لجميع معاني الكلام وتفاسيره ٠ أن الكائنات
دون الانسان تصوت وكأنها تعلن بقواضع أنها لا تستطيع أن تتكلم ، أما الانسان
العربي فيصوت ليقتل أو ينفى أو يسكت كل من يستطيع أن يتكلم أو كأنه يريد
أن يفعل ذلك ٠٠

أن أي عربي يتكلم أي يصوت سواء أكان رديسا أو زعيما أو قائدا أم كان معلما
أو مفكرا أو شاعرا أو دون ذلك انما يعني بقصد أو بغير قصد أن يطارد ويقاوم ويهزم
ويهرب ويسكت ويفسد ويشوه كل كلام قد وجد أو قد يوجد وكل من يستطيعون
أن يتكلموا ٠٠

أن الانسان العربي ليس فقط كائنا لم يبلغ طور الكائن المتكلم ، ولكنه أي
الانسان العربي كائن يرفض ويخاف وينافي أن يكون هناك متكلم أو كلام ٠٠ أن
الانسان أما متكلم وأما مناقض محارب للكلام ٠ أنه لا يكون صهتا بين الحاليتين
أو عن الحاليتين ٠ ولما لم يكن الانسان العربي متكلما كان محتوما أن يكون
الحالة الاخرى ٠٠

ان كل ما قاله وكتبه العرب في كل تاريخهم ، وكل ما يقولونه ويكتبونه،
ليس الا مقاومة للكلام بمعانيه الحضارية بل وبمعانيه الانسانية والاخلاقية ٠٠ ان

الزعيم أو النبي أو المعلم المفكر العربي لا يكون عظيما أو شهيرا جهيرا أو محققا لغناه بصيغة عالية الا بقدر ما يكون مقاوما للكلام بكل معانيه الحضارية والانسانية .

ان أي زعيم عربي بل ان أي عربي يتكلم أو يريد أن يتكلم أي يصوت أنما يقاوم الكلام ويريد مقاومته ، وأنه ليقاومه ويريد مقاومته بقدر ما يتكلم أو يريد أن يتكلم . انه بذلك يقاوم الكلام الذي تحول الى كينونة أو قد يتحول الى كينونة أو يطالب بالتحول الى كينونة . لان الكلام بمعناه الحضاري بل وبمعناه الانساني والاخلاقي ليس الا حالة أو كينونة قد كانت أو سوف تكون أو يطالب لها بأن تكون . لهذا كان يوجد دائما في جميع العصور والمجتمعات على مستويات متفاوتة من يقاومون الكلام ، أي يقاومون كينونات واقعة يرفضونها ويخافونها أو يقاومون كينونات يخافون أن تقع وقد تقع . ان الطاغية أو النبي اذا بطش بسلوك ما أو بوضع اجتماعي معين أو بمذهب ما فانما يبطش بشيء كان يوما ما كلاما ولا بد أن يتحول أيضا كلاما . واذا بطش بكلام فانما يبطش بشيء لا بد أن يتحول أو قد يتحول الى وضع أو سلوك أو مذهب ما .

ان الكلام لا يقاوم لانه كلام ولكن لانه كينونة أو حالة واقعة أو محتملة الوقوع لئن فالذين يقاومون كينونة أو حالة ما انما يقاومون كلاما ما لان هذه الحالة أو الكينونة التي يقاومون انما هي كلام قد تحول الى كينونة أو الى حالة ، كما أن الذين يقاومون كلاما ما انما يقاومون كينونة أو حالة قد تكون أو يناضل في سبيلها لكي تكون . . ان كل كلام هو كينونة قد وجدت أو يراد لها أن توجد ، ويطالب لها بالوجود ، وان كل كينونة ليست الا كلاما قد تحول الى تفسير أي قد بلغ أقصى مداه .

لئن ليس الذين يقاومون حرية الكلام أو حرية التفكير والتعبير بل أو حرية البكاء والابكين بل أو حرية النظر في المرأة الى الوجه الحزين أو المريض أو الهزيل أو الجائع أو المتالم المقهور الذعور .

نعم ، ليس الذين يقاومون هذه الحرية - والمقاومون لها موجودون دائما في كل العصور والمجتمعات وتحت جميع المذاهب والنظم والعهود والسلطين - انما يقاومون كينونة قد وقعت أو يخشون وقوعها ؟ أن جميع الطغاة والمعلمين ليقاومون ان ينظر الوجه الحزين أو المريض أو المهزول أو المتالم المقهور الى نفسه في المرأة بقدر ما يقاومون أن ينظر اليهم هم بايعة امرأة عقلية أو أخلاقية أو انسانية بل أو مذهبية أو دينية أو كلامية . .

وبهذا التفسير للكلام هل يمكن أن يكون في أصوات العرب التي كانت في التاريخ أو في أصواتهم التي تشتم بها الحضارة اليوم نفسها لانها تطلقها وتذيعها باجهزتها ووسائلها الحضارية الشاملة - نعم ، بهذا التفسير والتقييم للكلام هل

يمكن أن يكون في أصوات العرب تلك أو في أصواتهم هذه ما ليس مقاومة شاملة للكلام ؟

وهل يقبل العرب ، انبيائهم أو خلفائهم أو قادتهم تفسيراً لانفسهم غير تفسيرهم بانهم المقاومون العتاة للكلام ، اي بمعناه الحضاري . .

هل وجد صوت عربي واحد ليس مقاومة لكيئونة أو لحالة جديدة أو لوجود جديد أو لمستوى من الحياة جديد ، أو ليس مقاومة لنظام أو لمذهب أو لفكر أو لشوق أو لتعبير جديد أو لرؤية جديدة ، أي ليس مقاومة للكلام في أحد معانيه أو في جميع معانيه ؟ ان اتهام أي عربي بأنه ليس مقاوماً للكلام لا يعني في حساباته الا اتهامه بأنه ليس مقاوماً للفساد ولا للخيانة ولا للضلال ولا للزندقة ولا للتأمر . .

ماذا تعني أو تريد النبوات والتعاليم والعظات والشرائع والفنون والآداب العربية ؟ بل ماذا تعني وتريد الكتب العربية المنزلة أو المقدسة ؟

بماذا جاءت نبوات العرب ولماذا جاءت وماذا قالت ولماذا قالت وبماذا يمكن أن تفسر - ماذا أعطت وصنعت وأرادت ؟

ليست جميع نياتها ونوائجها وتفاسيرها أن تقاوم الكلام بجميع معانيه الحضارية والانسانية ، أي أن تقاوم جميع الكيئونات والحالات والمستويات والرؤى والافكار والمذاهب والاشواق والامال والارادات والتعبيرات والاسفار الكونية والانسانية وجميع التخطيطات والتحديات الجديدة التي ليست موجودة في معابد التاريخ ولا في مقابره ؟ أن موهبة كل نبوات العروبة موهبة كلها لمقاومة كل الكلام لان كل تقوى كل العروبة ليست غير الرفض الدائم لكل معاني التخطيط والتحدي لمقابر الارباب الشائخة جدا .

هل يمكن أن تكون مقاوماً للتخطي أو للتحدي أو للرفض أو للاشمئزاز أو للغضب العقلي والاخلاقي واللغوي ثم لا تكون مقاوماً للكلام ؟ أو هل يمكن أن تكون مقاوماً للكلام دون أن تكون قاصداً مقاومة ذلك كله بل دون أن تكون مقاومتك للكلام مقاومة لكل ذلك ؟

أست بقدر ما تكون مقاوماً رافضاً لكل كيئونة أو صيغة للحياة لم يعيشها الابهاء أو للتاريخ أو لا تعيشها حياتك الحاضرة تكون مقاوماً رافضاً للكلام بتفاسيره المسابقة ، وأنتك بقدر ما تكون مقاوماً رافضاً للكلام أي بمعانيه التي شرحت تكون حتماً مقاوماً ورافضاً لتلك الكيئونة وتلك الصيغة للحياة التي لم يعسها آباؤك أو تاريخك ولا تعيشها حياتك الحاضرة ؟ أنه مستحيل أن يوجد من يخشى كل كيئونة جديدة ثم يقبل أن يكون كلام ، أو من يقبل أن يكون كلام ثم يرفض أن تكون كيئونة جديدة . .

أنه لهذا لا أهل في أن يسمح بالكلام أي مجتمع يرفض ويقاوم جميع الكيئونات والامال الجديدة .

لئن فالعرب ليسوا تصويتا أو أصواتا فقط مثل الكائنات المصوتة التي هي دون الانسان . انهم لو كانوا كذلك لكانوا حينئذ كائنات خيرة . انهم حينئذ عاجزون عن الكلام ، عن ان يكونوا بشرا متكلمين وليسوا اعداء أو نقيضا للكلام . ليتهم بكل هذا الذبل والفضل . . نبي أو زعيم أو شاعر أو مفكر عربي يصوت فقط دون أن يعني شيئا . . كم في هذا من النفع والخير والتقوى !! وهل الانسان العربي صالح وطيب وشهم وبريء وعبقري وورع بكل هذه الضخامة والشمول ؟

شيء رائع جدا لو أن جميع أنبياء العرب وقادتهم وحكمائهم وشعرائهم ومفكرين ومعلمين كانوا في كل التاريخ مصوتين فقط مثلما يصوت البعوض والديك وليسوا مصوتين أو متكلمين ضد الكلام ومقاومين لكل كلام بأصواتهم . ليت ذلك كذلك .

نعم ، رائع جدا أن تكون كل أصوات معلمي العرب وقادتهم المحسوبة كلاما مثل نقيق الضفادع لا شيئا أردأ وأخطر . .

هل السذاجة العقلية والتفسيرية والنفسية بل والاخلاقية موهبة حضارية؟ هل أكثر الناس تحضرا هم أكثرهم غفلة وخطأ في تفسيرهم وفي قراءتهم ورؤيتهم وتصديقهم لاقل الناس تحضرا وصدقا وموهبة ولاكثرهم افتنصاحا وتمسوها وخبثا نفسيا ؟

هل الموهوب يفقد موهبته حين مواجهته لفاقد الموهبة ، حين تعامله نفسيا معه ؟ هل من مجد القوى والمتحضر أن يصاب بالانخداع للضعيف المتخلف وأن يبالغ في تمجيده وتضخيمه ؟ هل هي ضريبة على الحضارة وعلى القوة أن تريا الضعف والبدواة أكبر من حجمها وأذكي من تفاسيرها وأجمل من ذاتيها ؟

هل هي قوة في الموهبة والتفوق أن يضعف الموهوب المتفوق أمام فاقد الموهبة وفاقد التفوق وأن يخطئ ويبالغ في تفسيره له ؟

هل مفروض على المتفوق أن يكفر عن تفوقه بالاعجاب بالتخلف ؟ هل الاعجاب بالتخلف صدقة أو جزية يفرضها التفوق على المتفوق ، كما يفرض التخلف على المتخلف أن يكون ندلا ؟

هل التفوق ذنب لا يغفره الا تفسير المتخلف بأجمل وأذكي التفاسير مهما كان محتوما ألا يفسر المتخلف المتفوق الا بأعبي وأردأ التفاسير ؟ . . .

هل الانسان المتكلم لا يستطيع أن يقتنع بأنه متكلم الا اذا أقتنع بأن الانسان المصوت هو كائن متكلم ، بل الا اذا فسر تصويته وأصواته بأنها أكثر الكلام غبقرية وأصلها كلامية ؟

هل من قوانين الحياه المحتومة ان يهب المتفوق كل تواضعه وتهذيبه للمتخلف لكي يذهب التخلف يطلق كل وقاحاته وكبرياته على المتفوق بكل نيات وأساليب البذاءة والعدوان ؟

هل الأكثر حضارة وتقدما محتوم بأن يكون أكثر براءة نفسية وفكرية وأخلاقية؟ وهل هذه البراءة تعني الإعجاب والانخداع بمن لا يملكون هذه البراءة والانخداع لهم؟ هل التفوق يفرض على المتفوق أن يرى المتخلف متفوقا ويرى الكذاب والنذل واللوث صادقا وشهما ونظيفا؟

هل الطبيعة تعاقب المتفوقين حضاريا وإنسانيا وعلميا بأن تجعلهم مصابين بموهبة الانخداع والغفلة في تعاملهم مع المتفوقين جدا في خبثهم وغفهم النفسي والفكري والأخلاقي؟

هل قضت الطبيعة بأن تكون هباتها وتوزيعها لعبقريتها هكذا : تهب قوما الغفلة والتصديق الساذج لأنها قد وهبتهم كل ألوان العبقرية والقوة وهبتهم البراءة والطهارة والسماحة النفسية والإنسانية وشهامة الرؤية والتفسير للآخرين ، لكي تهب أي الطبيعة قوما آخرين كل الخبث والمكر والعفونة النفسية وهمجية بل وعدوانية الرؤية والتفسير للآخرين لأنها قد وهبتهم كل العجز عن كل قوة وعن كل عبقرية حضارية أو إنسانية أو أخلاقية؟ هل قوانين وإخلاق الطبيعة قضت بأن تجعل الإنسان مخدوعا وساذجا ومكذوبا عليه بقدر ما يكون متفوقا وتجعله ندلا وخداعا وعدوانيا وخبثا متوقحا بقدر ما تجعله متخلفا عاجزا؟

هل العبقرية والبراءة هما دائما خطأ وعجز في رؤيتهما وفي تفسيرهما للثقافة والمكر والخبث؟ هل العبقرية طفولة نفسية وتصنيقية بقدر ما التخلف أوحال وأكاذيب نفسية ولغووية؟ هل كل ذلك كذلك؟ لننظر إلى معاملتنا للمتفوقين وإلى معاملة المتفوقين لنا لنعرف جواب هذه التساؤلات .

كيف رأنا ويرأنا الآخرون أي المتفوقون؟ وكيف رأينا ونرى هؤلاء الآخرين؟ قبيحة هي رؤيتنا للآخرين ، في نذالتها وكذبها ووقاحتها وعدوانيتها بقدر ما هي كريمة رؤية هؤلاء الآخرين لنا ، في سخائنها وتفضلها وحبها وانخداعها ومحاباتها . ما انذل همجية عيوننا في نظرها إلى المتفوقين ، وما أعظم تهذيب عيونهم في نظرها إلينا؟

كيف يفسروننا ويتصوروننا ويصوغوننا أي بأفكارهم وأمانيتهم؟ كيف يضخمون أحجامنا جدا؟ كيف يزورون لنا أحجاما لم توجد في فواتنا أو تاريخنا بل في سخائهم وشهامتهم فقط؟

كيف يهبوننا ويريدون أن يهبونا بل ويقاسون لكي يهبونا ويثببتوا لنا أمجادا وتفوقا وتقوى وطهارة وسبقا وحضارات لا نعرف عنها شيئا ، بل لا نستطيع مقاساتنا ونماذجنا البشرية واحتمالاتنا الحضارية أن تعيشها أو نتكافأ أو نتفاهم معها لو قدمت إلينا صناعة جاهزة ، بل لو فرضت علينا فرضا ، أو لو جاء أنبياؤنا ليعاقبونا بنيرانهم الهمجية أن لم نعشها ونتكافأ معها؟

كيف يتجدثون عن أمجاد لنا لا نستطيع كل قبور آبائنا ولا عبقریات آلهتنا أن تتسع لها أو تطمح إلى تصورها؟

كيف نريد هؤلاء الاخرون المتفوقون ويحاولون أن يهبونا كل مجدهم الحضاري والانساني والاخلاقي ؟ كيف يريدون ويحاولون أن ينسبوا الينا مجدهم هذا بل وكل مجد وأن يجعلونا نحن السباقين الوهابيين لكل شيء جيد ومبتكر وجميل . . . أن يجعلونا السباقين الوهابيين لهم ولكل أحد كل شيء جيد ومبتكر وجميل ؟ كيف يريدون أن يفتنوا بانهم قد تعلموا منا ، من مقابرتنا جميع ما وهبونا ؟ كيف يحاولون أن يقرؤوا ويكتبوا تاريخنا بلغة لم نتكلمها ولا نستطيع أن نتكلمها ؟ كيف ينحازون الينا ضد أنفسهم وضد من هم في مستواهم الحضاري اذا وقع بيننا وبينهم خلاف أو خصومة أو تصادم ؟ كيف يحاولون أن يجعلوا الصواب والعمل معنا دائما وأن يجعلوا الخطأ والظلم دائما فيهم وفي من هم في مستواهم الحضاري ؟

كيف يرون كل الأرباب جاهلية وهمجية ولكن أربابنا هي وحدها التي يرونها حضارية وعلمية ؟

كيف يجندون لنا دائما أصواتهم وآرائهم وشرائطهم مسحوبة من حساباتهم هم ومن حسابات اندادهم وأمثالهم في الحضارة والقوة ؟ كيف يرونا بل يجندونا دائما على مقاسات أمانيتهم وطموحهم ويرون انفسهم بل ويعلنونها خارجة على هذه المقاسات بل تقيضها ؟

كيف يحاولون دائما أن يخلعوا علينا جميع أثوابهم الجديدة والجميلة والنظيفة وأن يخلعوا عنا جميع أثوابنا القديمة والرديئة والمتسخة ؟ كيف يريدون دائما أن يروا كعبتنا هي أقدم وأصل وأتمى وأنظف وأجمل وأعلى الكعبات وأقربها الى جبهة الاله والى ضميره وأشواقه ، مصليا وساكننا ومتوجها . . .

كيف يريدون أن يرونا ويجدونا كما يريدون أن يكونوا أي أكبر وأفضل وأجمل مما نريد أن نكون ؟ كيف يرونا كما يريدون أن يرونا لا كما يجدوننا ويرونا ؟ كيف يصرون على أن يكرهوا عيونهم لترانا أجمل وأضخم وأنظف وأقوى مما ترانا ؟ كيف يريدون أن يؤلفوا عيونهم وأن يصوغوها لكي ترانا كما يريدون لنا لا كما نحن ؟ كيف يعاقبون عيونهم وعقولهم لكي تتحول الى تزوير والى زور في رؤيتها وفي تفسيرها لنا ؟

لكي ترانا أي عيونهم وعقولهم جمالا وضخامة مكذوبين مزورين ؟

كيف يفعلون كل ذلك أو يفعله فريق منهم بنا ولنا ومن أجلنا ؟

كيف لا يرهقنا الحرج والخجل من محاباتهم لضعفتنا وتخلفتنا ، ومن تدليلهم لنا وتحديقهم في مواهبنا ومزاياها التي لم توجد ؟

أجل ، انه ليجود دائما فريق منهم يصر على ان يفعل كل ذلك لنا وبنا ومن أجلنا بكل الصدق والبراءة والشهامة والحب ، وأيضا بكل الغفلة والسذاجة والانخداع . . .

انهما سذاجة وانخداع المتفوق .. ما انبل واتقى واذكى سذاجة وانخداع المتفوقين ..

نعم ، انه لتوجد دائما طائفة في هؤلاء الاخرين المتفوقين ترانا وتجندنا وتحسبنا وتعلن عنا وتعلننا اكبر واجمل واعظم واصدق مما كنا ومما نكون ومما نستطيع ونريد ان نكون ومما نعرف اننا قد كنا ، بل اكبر واجمل واعظم مما نتمناه لانفسنا ولحياتنا ولتاريخنا ..

كيف يتصوروننا ويريدون لنا اكثر واجمل مما تصورتنا وارادت لنا جميع آلهتنا ونبواتنا ؟

بل كيف تحدثوا عنا وقرأونا وقرأوا لنا اذكى وأروع مما تحدث عنا وقرأنا وقرأ لنا جميع اربابنا وانبيائنا ؟

كيف هبطوا تحت جميع مقاييس الذكاء وتحت جميع مهابط الغفلة والاختفاء لكي يرتفعوا بنا ، لكي يفسروا أصواتنا بأنها كلام ولكي يفسرونا بأننا كائنات متكلمة بل عبقرية الكلام ؟

كيف ذهبوا بغفلة مذهلة يقرؤون أصواتنا ويحاورونها ويحاسبونها ويضعون عنها وفيها للدراسات ويتخاطبون معها وفيها وعنها ، ويستمعون اليها بل ويتحدثون عنها بعقولهم ونفوسهم ولخلاقهم وبكل مستوياتهم الحضارية والثقافية والانسانية ؟ كيف حولوا الاهتمام بأصواتنا وبنا نحن الكائنات المصوتة الى قضية حضارية وانسانية يفرضونها على جميع مواهبهم وقضاياهم ؟

كيف تحولت محاباتهم لنا وتصميمهم على أن يرونا ويجدوننا وعلى أن نكون اكبر واعظم مما كنا ومما نكون ومما نستطيع ونريد أن نكون ، بل اكبر واعظم مما تريد لنا آلهتنا ونبواتنا ومما تستطيعه لنا وبنا ..

نعم ، كيف تحولت محاباتهم هذه وتصميمهم هذا الى فضح لذكائهم وكبرياتهم وقدرتهم على رؤية الاشياء وقراءتها ولضعفهم النفسي والفكري في مواجهتهم لنا وفي تعاملهم معنا ؟

اجل ، أنهم ليتحولون الى ضعف شامل يستحق كل الرثاء كلما واجهونا أو قرأونا أو فسرونا أو أحبونا أو خاصمونا ..

كيف تحولنا الى قهارين ومذلين لتفوقهم ؟ كيف حولنا الى قهارين وفضاحين مذلين لهم بضعفنا وتخلفنا ؟ كيف ذلل تفوقهم تخلفنا وذلت مواهبهم وحضارتهم لبدواتنا حتى لاصبح حقا علينا أن نرثي لهم ، أن نحزن من أجلهم ؟ نعم ، كيف خلقتنا ورأونا وفسرونا أعظم وأكرم وأذكى مما خلقتنا ووهبتنا وفسرتنا جميع آلهتنا وانبيائنا ؟

ولكن نحن ماذا نريد أن نهب هؤلاء المتفوقين ، وماذا وهبناهم وماذا نستطيع أن نهبهم ؟ كيف رأيناهم ونراهم ، وفسرناهم ونفسرهم ، وماذا قلنا ونقول عنهم

وفيهم ؟ وماذا تمنينا ونتمنى لهم ؟ وبماذا اعترفنا لهم ، وروينا لهم وعنهم ؟ هل رأينا لهم سبقا أو مزية ؟ هل تقبلنا أن تنسب اليهم اية موهبة أو فضيلة أو شيء ، لا نحسبه عارا أو فجورا أو غواية أو سقوطا ؟ هل وهبناهم غير الشتائم والبغضاء والتحقير ؟ وهل قلنا فيهم الاكاذيب والاتهامات ؟

هل سعدنا بشيء مثل سعادتنا بسبهم واتهامهم وقذفهم وتحقيرهم بل وتجهيلهم؟ هل تحدثنا عن أي ذنب من ذنوبنا أو عن أي تخلف أو هوان أو عجز أو بلاء أو عزيمة أو طغيان أو ظلم أو جهالة نعيشها من قبل أن يعيشتها أباؤنا ، ويعيشتها آباؤنا من قبل أن تعيشتها آلهتنا ونبواتنا ، وتعيشتها آلهتنا ونبواتنا قبل أن تتعلمها الاشياء والحشرات منها أي من آلهتنا ونبواتنا .

نعم ، هل تحدثنا عن اية عاهة أو رذيلة من عاهاتنا ورذائلنا هذه دون أن نعلن بكل الغرور والجرأة والوقاحة والفحش بأنهم أي هؤلاء المتفوقين هم الذين علمونا اياها بل هم الذين زرعوها واستنبطوها في اخلاقنا وشهواتنا واعضاءنا وارضنا ، بل هم الذين أكرهونا عليها ، بل هم الذين دسوها بجيلهم وأساليبهم الاستعمارية الامبريالية الصليبية الصهيونية - دسوها في نيات و اخلاق وتعاليم اربابنا وانبيائنا وخلفائنا - بل دسوها في آيات قرآننا وفي بلاغة احاديث نبواتنا ؟ ألم نجعلهم هم الجانين والعلمين حتى لبدوات وجهالات انبيائنا ؟ ألم نجعلهم هم الذين قالوا وكتبوا ورووا وفسروا وحى انبيائنا ليجعلوه هزيمة وهجاء لنا ولانبيائنا ؟

الم نزعم ولا نزال نزعم أنه لولاهم لما وجد الشيطان ، ولو وجد لما وجدت الشرور والآلام ، ولو وجدت لما وجدها أي الشيطان ولما عرفها ، ولو وجدها وعرفها لما انتهى التحريض عليها ، ولو أستهى التحريض عليها لما عرف كيف يحرض عليها ، ولو عرف ذلك لما جرؤ عليه ، ولو جرؤ عليه لما وجد من يعلمه أو يثق به أو يفهم منه ؟ حتى الشيطان لقد كان محتاجا الي من يعلمه فنونه . من علم الشيطان فنونه ومن جعله يريدها ويريد تنفيذها ويسعد بتنفيذها ؟ هل يوجد متعلمون بلا معلمين ؟ هل يولد الكائن متعلما ؟ كيف ولد الشيطان متعلما ؟ بل الم نزعم أنه لولاهم أي لولا هؤلاء المتفوقون لما استطاع الاله بل ولما عرف او اشتهى تشويه الاطفال والشيوخ ولا ابتكار العاهات والآلام والاحزان والأمراض والموت والشيوخة ، بل لما تعلم أو عرف أو أحب أي الاله أي خلق من أخلاقه أو شهوة من شهواته أو أي فن من فنونه التي لن يقبل أي فنان مهما كانت مواهبه وأخلاقه وعاره وفحش ضميره وأنانيته ان يتهم بها ، بل النبي لن يستطيع أي فنان أن يهبط الى مستواها مهما كان هبوط مستوياته الفنية والنفسية والاخلاقية والاجتماعية ؟ هل سأل المؤمن ايمانه : من جعل الاله يعرف ويشتهي ويمارس أخلاقه وموهبته الفظة العدوانية الشاذة بلا نموذج أو قياس أو تفسير ؟ هل يمكن

أن يكون أي الاله قد علم نفسه أو أحب نفسه أو رضى عن نفسه بدون أن يكون له معلم أو ملزم لا شبيه له في وحشيته ونذالته وقبحه ؟ ..

بل ألسنا نزعم نصا أو تفسيرا أن هؤلاء هم الذين حرضوا الطبيعة بنية المؤامرة والكيد لنا - حرضوها على أن تجمع فينا ولنا وحدنا كل العبقريات المختلفة التي كان المفروض أو العدل أن تقسم على كل البشر أو أن يوهبوا جميعا بلا تمييز أو يوهبوا منها مقادير متساوية عادلة .

أجل ألسنا نزعم أن هؤلاء قد دبروا مع الطبيعة أن نخس وحدنا بجميع العبقريات البشرية ولادة وقدرا وأن يحرم منها أي من هذه العبقريات جميع البشر لكي يغاروا ويخافوا منا ، ولكي يعادونا ويحسدونا ، ولكي يذهبوا حينئذ أي كل البشر الى آلهتهم المعادية لنا الحاقدة علينا لكي يطالبوها بأن تسحب كل اساليب الحركة والنشاط والذكاء من عبقرياتنا التي خصصنا بها دون كل البشر ، لكي تظل أي عبقرياتنا فينا خمودا ومواتا ، لكي نصبح حاملي عبقريات دون أي عمل أو عقل أو تدبير أو أي شيء عبقري ، لكي تتحول هذه العبقريات فينا الى جثث وتتحول نحن للى مقابر وتوابيت للجثث ، لجثث العبقريات ، لكي نصبح أعظم الناس وأنفسه الناس ، أعظمهم كمدافن وتوابيت ، وأنفهم كحياة ووجود وتفكير وعمل ، لكي نصبح أعجب شيء في هذا الكون : خزائن فيها كل الاشياء وأعظم الاشياء دون أن تعطى أي شيء عظيم ، أو تخرج أي شيء عظيم ، أو يوجد فيها أي شيء عظيم ، أو ينتظر منها أي شيء عظيم ، بل ودون أن تتلملأ أو تقاسى من أحتوائها لكل الاشياء العظيمة دون ولادة أو تفريغ أو عطاء أو تعبير ملائم مريح ؟

نعم ، ألسنا نحن كل المخازن لكل العبقريات دون أن نعطي اية عبقرية أو تتفجر فينا لية عبقرية ؟ ألسنا الحبالى الذين لا يلدون ولا ينتظر منهم أن يلدوا ؟

أجل ، ألسنا نزعم كل هذه المزاعم عن هؤلاء المتفوقين ، نزعها بالنص أو بالتفسير أو بالنص والتفسير ؟ نعم ، أننا أن لم نزعم هذه المزاعم أو أن لم نزعم بعضها بالنطق والاعلان فاننا نزعها كلها بل وأكثر منها بالنية والمعنى والتفسير . ولكن هل نخاف نحن من أي عار لكي نلجا الى الاخفاء والنية ؟

كم هي هائلة وفضيعة شتائمنا واتهاماتنا لهؤلاء المتفوقين . كم هي عظيمة وكثيرة وكريمة هدايانا أليهم . هل وجد أو هل يمكن أن يوجد شاتمون متهتمون مثلنا ، أو مشتومون متهمون مثلهم ؟ هل وجد غافرون واهيون متسامحون محابون منكرون لانفسهم ولتفوقهم ولعطاياهم مثل هؤلاء ، أو وجد جاحدون معتدون متوقنون مسيئون مغرورون مثلنا ؟ ولكن هل غررونا غرور ، أم هو قضح لعجزنا وتخلفنا وفحشنا وعلان عن عدوانيتنا قد جاء بأسلوب الغرور ؟ أليس الغرور شيئا أسمى وأنقى من الوقاحة والبغضاء والنفاهة والحقد والتناول على المتفوقين ؟ هل الصرصار مفرور مهما كانت بذاءاته ؟

هل وجدت علاقة بين سقاء وعطاء وصدافة وتواضع وضخامة واحسان بين
كفران ونذالة واساءة وسباب وادعاء وكبرياء وضلالة مثل العلاقة التي بيننا وبين
هؤلاء المتفوقين الذين هميون واحبون واحبوننا بلا حدود أو مثال ، حتى لقد
بالغوا وبالغوا في ذلك حتى زعمونا كائنات متكلمة لا مصوتة فقط كما نحن ، وحتى
زعموا أصواتنا كلاما يقرأ ويكتب ويسمع ويحاور ويدرس ويحاسب كما يحاسب
الكلام بل كما يحاسب الكلام الجيد بل العبقري ..

كيف تطبق عيون الاشياء وضمائرها أن تحقق في هذه العلاقة بيننا وبين هؤلاء ؟
كيف تطبق الاشياء رؤيتنا والصمت عنا ؟

هل ضمائر الاشياء وعيونها بليدة أو وقحة أو عمياء أو عدوانية الى هذا المدى ؟
كيف تطبق عيون الالهة أو ضمائرها أو شهوتها للعدل وللشهامه والوفاء ذلك ؟
هل يمكن أن تكون قد بقيت للالهة عيون أو ضمائر أن كانت قد وجدت لها
عيون أو ضمائر - هل يمكن أن تكون قد بقيت لها عيون أو ضمائر وهي تواجه
وتعالمش كل هذا الذي يحدث ، هذا الذي يواجهه كل من لهم عيون وضمائر ؟ هل
يمكن تصور سباب للالهة مثل الزعم بان لها أي للالهة عيون أو ضمائر أو مثل
الزعم بان عيونها وضمائرها لم تتفجر ذعرا وهربا واستحياء ؟

وهل يمكن أن يوجد أو يبقى في مواجهة هذا الكون من خلقت فيهم أو بقيت
لهم عيون أو ضمائر ؟ اليس كل ما يحسب عيون وضمائر انما هو جثث عيون
وضمائر مفرغة من كل معانيها ؟

اليس محتوما أن تقتل مواجهة هذا الكون أقسى وأقوى وأنجر العيون والضمائر
عني ولو كانت في قسوتها وبذاتها وفجورها مثل عيون وضمائر الالهة والملائكة
والانبياء الذين جاءوا ليتحدثوا عن رحمة ورقة وكرامة وشهامه وحب عيون وضمائر
الالهة والملائكة ، الملائكة الذين كل علمهم وتقواهم أن يقرؤوا ويفسروا كل عيون
وضمائر الالهة - أن يقرؤوا ويفسروا باعداد الجحيم وصياغته وحراسته وجمع
الزقود والطعام له أي للجحيم ، وبانزال الموت والعذاب والدمار بالمدن النائمة ،
وبإيقاع العاصات والتشوهات بالشيوخ والاطفال والضعفاء والابرياء ، وبالتجسس
والكتابة والاحصاء على خفقات القلوب وهمسات الشهوات ، وعلى قراءة العيون للعيون
ويفسرون وبقروون بذلك عيون الالهة وضمائرها وحبهم وتقواهم ورحمتهم ؟

ولكن هل توجد قسوة أو عدوانية مثل قسوة وعدوانية من يفترضون للالهة
والملائكة أو للانبياء عيون أو ضمائر ؟ وهل يمكن أن يغفروا أي الالهة أو الملائكة
والانبياء لمن يفترضون لهم عيون أو ضمائر ؟

أن احتمال وجود عيون أو ضمائر مواجهة لهذا الكون ليس أفضل من احتمال وجود
همرة حية داخل جسم الشمس ..

كيف أمكن أن نصوصغ علاقتنا بهؤلاء كما صغفناها ؟ أو كيف أمكن أن نعامل بكل
هذا العدا والبغضاء والجحود هؤلاء الذين عاملونا بكل هذا الحب والصدافة والعطاء

والسقاء والمحابة ؟ هل يمكن أن يكون لهذا تفسير أو سبب يمكن أن يفهم أو يقبل ؟ نعم ، اننا نملك موهبة لعل أحدا غيرنا لا يملكها ولا يستطيع امتلاكها . . . نملك موهبة العدوانية ، عدوانية النفس والاخلاق واللغة . اننا نملك هذه العدوانية بعبقرية لن ينافسنا أو يبارزنا فيها أحد أو شيء . . .

اننا نعادي ونبغض كل شيء وكل احد . ولكن هل نصد أو نهبط في عداوتنا وعدواننا وبغضنا مثلما نصد أو نهبط حينما نهب عداوتنا وعدواننا وبغضنا للتفوق والذكاء والعظمة والبعقرية والبطولة والصدق والحب والجمال ولكل شيء ولكل احد جيد أو نظيف أو كريم أو عظيم ؟

نعم ، ان لنا اذن لعبقرية دون اي منافس أو مبارز فيها أو عليها . . .

هل وجد من يملكون اية عبقرية دون ان يكون لهم منافسون أو مبارزون ودون احتمال وجود منافسين أو مبارزين كثيرين ودائمين ومخيفين جدا ؟

نعم ، لقد وجد هؤلاء المالكون للبعقرية دون وجود أو احتمال وجود اي منافسين أو مبارزين . لقد وجدنا نحن مالكين لهذه العدوانية ، لهذه العبقرية في العدوانية دون ان نخشى وجود اي مبارز أو منافس . . .

لقد تفردنا دون كل البشر في انه لا مبارز ولا منافس لنا على عبقريتنا هذه ، على اعظم واشهر عبقرياتنا . . .

ان عبقريتنا أو موهبتنا أو عدوانيتنا هذه بلا نموذج في قوتها وشمولها ووحشيتها واصالتها وفي عمايتها ونذالتها ايضا . وهل عار أو ذنب ان تكون عبقرية قوم بلا شبيهة في نذالتها أو في عمايتها وخسستها ؟ أليست العبقرية في الخسة والنذالة والعماية عبقرية ايضا ؟

ان اي قوم سوانا لا يستطيعون امتلاكها كما لا يستطيعون مقاساتها أو تنفيذها بالاسلوب الذي ننفذها به . . . اننا اذن مخصوصون أو متفوقون مرتين : مرة لاننا نملك عبقرية لا يستطيع احد سوانا ان يملكها ، ومرة اخرى لأن احدا سوانا لا يستطيع ان يقاسيها أو ينفذها مثلما نستطيع نحن . . .

ان هذه العبقرية تعني الكره والحقد والاتهام والسباب والتحقير بالنفس والنية والشهوة وبالاخلاق واللغة وبكل اساليب التعبير ، لكل احد في كل المواقف . ان احدا ما لا يستطيع ان ينجو أو يعفى من معاملتنا له بكل ذلك . ولكننا حتما نوزع خباثتنا هذه على جميع البشر الذين نشعر بهم أو نواجههم أو نتعامل معهم أو حتى نعلم بوجودهم ، توزيعا مختلفا ومتفاوتا . . . اننا عالميون في عدواننا النفسي والاخلاقي واللغوي . انه لا مثيل لنا في عالميتنا هذه ، في عدوانيتنا العالمية . . .

ان افضل البشر وانظفهم واتقاهم وأعظمهم وأكثرهم عطاء للحضارة وللانسانية ولنا ايضا لا بد ان نخصهم بالاكثر والاقسى من عطايانا الشريرة هذه . . .

اننا لا بد ان نهب الزهرة الاكثر عطرا من عدواننا وبغضائنا اكثر مما نهب الزهرة الاقل عطرا او مما نهب الثبته الشريرة .

ان التفاوت في توزيعنا لشورونا هذه ليس عن تدبير او تفكير او عن اي حسابات ، بل عن طبيعة وموهبة ذاتية كالبلادة وكقصر القامة وضعف العضلات . . . ان تخصيصنا للافضل او للانظف او للاعظم بالكره او العدوان عليه ليس عن تدبير او تفكير بل عن موهبة وغريزة .

ان احدا لا يستطيع ان يعالجنا من عدوانيتنا هذه عليه بان يكون عظيما او نظيفا او فاضلا او مهذبا او انساني او صديقا او معظيا او محبا او محابيا لنا ، بل انه بذلك يحرص ويؤجج عدوانيتنا عليه اكثر واقسى . اننا نكره الشيطان كراهة خطابية لا نفسية لاننا علمنا انه ليس عظيما ولا يفعل شيئا جيدا من اجلنا . ولو انه اصبح عظيما وصديقا لنا ويفعل من اجلنا وعرفنا ذلك لكرهناه كراهة واقعية لا خطابية . . . ساذج جدا هو ذلك المتفوق او اولئك المتفوقون في حضارتهم او قوتهم او رخائهم او في لجازاتهم العلمية والفنية او في تسامحهم وحررياتهم او في اي اسلوب من اساليب حياتهم . . .

– نعم ، ساذجون اولئك المتفوقون في اي شيء من ذلك حينما يحاولون ان يصدوا عدواننا النفسي والاخلاقي واللغوي عليهم – ان يصدوه عنهم او ان يشفوننا منه بان يهبونا ويفعلوا من اجلنا ما لم يستطع جميع آلهتنا وانبيائنا وآبائنا ان يهبونا او ان يفعلوا من اجلنا شيئا منه . ويصبح هؤلاء ساذجين ومصابين بالغفلة اكثر لو انهم ارادوا او فكروا ان يصدوا عدواننا هذا اكثر بان يكونوا شرفاء واتقياء واصحقاء ومحبين محابين لنا بلا حساب ، وانسانيين ومتواضعين ومفكرين لانفسهم ولزايهم، اي مع اعطائهم لنا ما لم يستطع جميع آلهتنا وانبيائنا وآبائنا ان يعطونا شيئا منه . . . احذر ايها الفكي او القوي او الابي او المنتصر او النافع للحياة احذر فاننا لا بد ان تعاديك ونشتمك وننتهمك بقدر ما تكون ذكيا او قويا او ابيا او منتصرا او نافعا .

انه لا شيء يستطيع ان يشفينا من عدوانيتنا هذه . ان اكثر واقوى ما يمرضنا يموهبتنا هذه ، موهبة العدوان النفسي والاخلاقي واللغوي – ان اكثر واقوى ما يمرضنا بذلك هو ما يحسبه كل العالم شفاء لكل امراض هذا العدوان . ان محاولة هذا وقتنا بهذا الدواء الذي يحسبه جميع البشر علاجا لكل داء ليست الا احدانا للداء وتضخيما وتاجيجا له . . .

ان ما يداوى به الناس لا ينبغي ان نداوى به نحن . . . ان امراضنا ليست كأمراض الناس لهذا فان امويتهم ليست لنا اموية .

اننا نعادي هذا العدا بقدر ما نجد من مزايا وعطاء وصداقة وحب ومحابة لنا فيمن نعادي . . . اننا نكره بقدر ما نجد من حب ونفع لنا فيمن نكره . . . نكره ونعادي

بموهبة لا تستطيع ان تهبط اليها الوحوش او الحشرات .. ان الحقد والبغضاء فينا موهبة ، موهبة معادية ومضادة لكل موهبة ..

اننا نبغض القمر ونشتمه ونتهمه بقدر ما يهبنا من نوره وهدايقه وحناننا حينما نسير في صحارى الضلال والظلام والضياح والحيرة والبدواة .

اننا لنعادي القمر ونراه دميا وعدوا ومتآمرا علينا وسارقا منا النور والجمال والحب بقدر ما يريد ان يضع كل النور والحب والجمال والتقوى في عيوننا وقلوبنا واخلاقنا وفي جميع آفاقنا . هل الشمس والقمر الا متآمران ليسرقا منا النور حينما يبدوان وكأنما يريدان ان يحاييانا بكل نورهما ؟

اننا لنتهم القمر بالظلام والدمامة بقدر ما نجد فيه وبقدر ما يكون فيه من اشراق ووسامة . اننا لنسبه ونذمه بقدر ما يفعل لنا ما يوجب ان نحبه وتمتدحه ..

اننا لنبغض ونذم ونتهم دائما حينما يجب ان نحب ونمدح ونشكر ونثق ونعجب . اننا لنبغض السحاب ونلعنه ونتهمه بسرقتنا وبمعاداتنا وبالتآمر والكيد لنا بقدر ما يستقي ويحيي ارضنا ، وبقدر ما يجن في محاباته لنا حتى ليهبنا كل غيبه ومائه الذي فرض عليه وطلب منه ان يوزعه على كل المروج والصحاري الجائعة اليه المنتظرة له ..

اننا لننكر الطيب ونشنع عليه ونصليه بأوqح تهمنا ولعناتنا بقدر ما يكون مامرا شافيا مخلصا حفيا بنا .. ان اعظم واتقى طبيب لن يستطيع ان يشفي لو يحمي نفسه او ان يلحقها ضد شتائنا واتهاماتنا واحقادنا وبغضائنا بل او ضد غرورنا وكبريائنا وتحقيرنا له ..

نعم ، السنن اليوم ودائما نعادي وتبغض ونلعن ونحقر كل مجتمع وشعب بقدر ما يكون حرا ومتسامحا وصانعا للحضارة والتقدم والرخاء ، وبقدر ما يكون شافيا لنا وللشعر جميعا من التخلف ومن الجاهلية والبدواة ، بل وبقدر ما يكون منقادا لنا من الاستعباد ومن الاحتلال ومن الغزاة ومن تاريخنا الذليل الجاهلي المهين ، وبقدر ما يكون ميالفا بجنون في حبه وتمجيده لنا حتى ليذهب يعلن اصواتنا كلاما بل كلاما عبقريا يقرأ ويفسر ويدرس ويحفظ ويحاور ويخاطب وتقام المعارنات بينه وبين اي كلام بل بينه وبين اعظم كلام - بل حتى ليبالغ في حبه وتمجيده لنا الى ان يذهب يعلم ويتعلم اصواتنا معلنا انه انما يتعلم ويعلم كلاما لا اصواتا لا تحمل براءة الاصوات ولا جمالها ولا تواضعها ولا حبهها او صداقتها او روحانيتها او استحياءها او موسيقاها او شاعريتها ؟ كم هي مظلومة ومساء اليها جميع اصوات الكائنات الأخرى التي هي دون الانسان حينما نتواضع او حينما نتكبر ونقول ان كلامنا ليس الا اصواتا مثل اصوات الكائنات الأخرى ..

اذن اليس هذا يعني اننا نعادي ونكره ونلعن ونتهم ونحقر الشيء والانسان بقدر ما يكون مستحقا للتقيض ؟

ولكن اذا كنا نقسو كل هذه القسوة المبغضة الشائمة المتهمة المحقرة على من يبهوننا كل الحب والصدقة والتمجيد والمحابة ، وعلى من اخرجونا ويخرجوننا من جميع صحارنا التوحشة المجدية الكثيبة البليدة الجاهلية - صحارنا التاريخية والحصارية والعقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية بل وصحارنا الدينية ، او يحاولون ان يفعلوا لنا وبنا ذلك ، اي يخرجونا من كل تلك الصحاري .

نعم ، اذا كنا نقسو كل هذه القسوة بعداوتنا وبغضائنا وشتائمنا وتحقيرنا على كل من يفعلون شيئا جيدا لنا وللشعر جميعا فلماذا اذن جاء موقفنا من الاله خارجا على اخلاقنا هذه ؟

اجل ، اننا فيما نعلن نؤمن بان الاله كائن عظيم وجميل ومحب وصديق وانه زكي ونظيف وخير ورحيم ووماب وخادم مخلص لنا ، وانه لا يفعل او يريد او يدبر الا الاشياء الجيدة والنافعة والمظيمة بل وانه هو وحده الفاعل لكل الاشياء الجيدة والمظيمة والنافعة . . .

اننا في اعجابنا بالاله وثنائنا عليه لحارجون على جميع صيغ وشروط الوتر والذكاء والصحة والرؤية .

السنا نعتقد فيما نقول ان الاله يساوي في مزاياه الذاتية الشخصية وفي مزاياه الشخصية الفاعلة للاخرين ولنا ولكل احد ولكل شيء يساوي اي الاله في مزاياه هذه وهذه هؤلاء المتفوقين الذين نههم كل عدوانيتنا النفسية والاخلاقية واللغوية ؟

نعم اننا نزع لاله كل المزايا التي هي بعض مزايا هؤلاء المتفوقين الذين كل مجدنا وتقوانا ان نبغضهم ونشتهمهم وننتهمهم . .

اذن فلماذا لم نعاده هذا العداء كما عادينا هؤلاء الاخرين المتفوقين ؟ لقد عادينا هؤلاء المتفوقين لمزاياهم التي تحولت الى مزايا وعطاء وانقاذ وتحرير وتكريم ورخاء لنا . فكان منطق عدائنا هذا يوجب ان نعادي اي الاله بكل هذه القسوة والشتمول كما عاديناهم لانه هو ايضا له كل هذه المزايا التي لهم كما نؤمن ونعلن ، او له - اذا اردنا ان نكون حذرين وصادقين - بعض هذه المزايا . لان كل مزاياها هي ان نعادي اصحاب المزايا ، لانه محتوم علينا ان نسب ونبغض وننتهم جميع المتفوقين ولا سيما اذا تحول تفوقهم الى محابة والى عطاء لنا .

لا بد من البحث عن تفاسير لهذا .

قد يكون التفسير اننا لا نؤمن بوجود هذا الاله المزعوم للبتة ولهذا نحبه ونمجده وننصب اليه كل شيء بنية الامتداح والتعظيم والعبادة . وقد يرضي شهامتنا ان نفعل هذا ونهب كل هذه المزايا والامجاد والصلوات لكائن ليس موجودا . ان ما ليس موجودا وما لا يمكن او يحتمل ان يكون موجودا لن يصنع فينا جتدا او حسدا او بغضا مهما كانت مزاياه المعروءة والمكتوبة والمطعة . .

اننا نبلاء وكرماء جدا لهذا لا نغار من ضخامة مزايانا كائن ليس موجودا ولن يكون موجودا ، كما لا نعادي مثل هذا للكائن . بل اننا لاننا كرماء ونبلاء بلا قياس نذهب نبالغ جدا الى حد الافتضاح في تمجيد وحب هذا الكائن الذي لم يوجد . ولن يوجد وفي تجميع كل الامجاد والمزايا والعظمة في ذاته وتحت سلطانه . اننا شجعان وشامخون النفوس والاخلاق جدا ، لهذا لا نخاف اي كائن ليس موجودا كما لا نغار منه او نحقد عليه او نهاب منافسته وتفوقه . . .

اننا لن نقاسي كثيرا ولا قليلا لكي نقنع بهذا التفسير ، اي لكي نقنع باننا لا نؤمن بوجود بل ولا باحتمال وجود هذا الكائن المسمى الها . بل ان كل المقاساة في ان نحاول الاقتناع بوجوده او باحتمال وجوده او الاقتناع باننا نؤمن بوجوده او باحتمال وجوده . . .

اننا حتما لسنا ملحدين لان الاحاد مستوى صعب ومعقد من التفكير والتفسير والبسالة والاشتراط والغضب الانساني والاخلاقي ومن الرؤية الشاملة البعيدة المحاكمة المحصية . وهل نستطيع كل هذا ؟ ولكننا حتما لسنا مؤمنين بهذا الاله ، باوصافه التي نزعها كما نعلم وعلن وندعي . . .

هل يوجد اي احتمال باننا نؤمن بوجوده او باحتمال وجوده ثم نحيا كما نحيا ، بل ثم نبقي دون ان نحترق ونذوب او نموت او نتحرق او نصاب بكل اساليب الجنون ومعانيه ؟ ان وجودنا كما نحن موجودون لا يترك اي احتمال لايماننا بوجود هذا الكائن المسمى الها او باحتمال وجوده . ان حياتنا وسلوكنا لا يدلان على نفي شيء مثلما يدلان على نفي هذا الاله الذي لا نتحدث عن شيء مثل تحدثنا عن الايمان به .

كذلك هل يوجد اي احتمال لان يكون هذا الكائن المسمى الها موجودا ثم يصمت على ما هو كائن وعلى جميع مواجهاته دون ان يغير او يصلح او يعاقب او يموت او ينتحر ياسا وغضبا وحزنا وخجلا وحقدا وكرامة ، ودون ان يخرج من احتجابه او يقدم من اغترابه او يهبط من فوق سحابه عاريا صارخا لاطما ناديا قائما مستغيثا مستغفرا ؟ ان صمت الاله وصبره على نفسه وعلى مواجهاته صمت وصبر لا يمكن ان يوجد من يستطيع فهمهما وتفسيرهما او غفرانهما بل او تصورهما او اقترافهما . . .

ان الاله لو كان موجودا وموجودا بالصفات التي ندعيها له ثم كنا حقا نؤمن به او ثم آمنا به ، ثم عشنا حياتنا ووجودنا وانفسنا كما نعيشها وكما عشناها دائما لكان غضبه علينا اقسى من غضبه علينا لو اننا لم نؤمن بوجوده بل لغضب علينا لاننا كنا مؤمنين به ومع ايماننا هذا بقينا كما بقينا وواجهنا انفسنا والاشياء كما واجهناها ، ولم يغضب علينا لاننا لم نؤمن به . ان ايماننا حينئذ به لن يكون الا اوقح اساليب التحقير والاهمال والاستهزاء والتناول . . . ان ايمانك بالاله موصوفا

باوصافه التي تحفظها يجب ان يقتل فيك كل شهواتك وصفاتك والا كنت اوقسح
ساخر منه معير له كاذب عليه .

ولكن اذا كان هذا التفسير صحيحا ، اي اذا لم نكن نؤمن بوجود هذا الاله ولا
باحتمال وجوده فلماذا اذن نتحدث بكل هذا الشمول والديمومة والترويج وبكل هذه
الاهوال والتهاويل وبكل هذا النزق والافتضاح عنه ؟ بل لماذا حينئذ نتحدث عنه اي
حديث ؟ هل نبيع الحديث الى كائن لا وجود له ؟ هل يوجد من يبيعون نفاقهم وملقهم
وهوانهم لمثل هذا الكائن الذي لا وجود له ؟ هل يوافق غير الموجود السامع الحاضر
المتقبل ؟

لعلنا نتحدث عنه كذلك لاننا لا بد ان نتحدث عن شيء موجود ومعقول وجيد
باسلوب معقول جيد ، او عن شيء غير موجود وغير معقول وغير جيد باسلوب ليس
معقولا ولا جيدا . لعلنا لا بد ان نتحدث بتضخيم وتهويل عن انفسنا او عن غيرنا
بصدق وذكاء او بلا صدق وبلا ذكاء . لعل الاله لم يكن معنيا بحديثنا ، ولعل اوصافه
لم تكن معنية او مرادة او مفهومة او مفهومها او مقصودا ان تكون امتداحا او ذما . لعل
المعنى بالحديث عن الاله هو نفس الحديث لا الاله . . .

لعلنا لا بد ان نتحدث عن شيء مثير وكبير نجده او نتصوره ، نصنعه او يصنع
لنا ومن لجلنا ، نملكه او ندعي امتلاكه او احتمال امتلاكه . ونحن لم نجد او نصنع
او نملك هذا الشيء المثير الكبير فذهبنا نتصوره وندعي امتلاكه وصنعه من اجلنا
ولنا ، وذهبنا نتحدث عنه بهذا الجنون الذي لا جنون يساويه او ينافسه . . . نعم ، ان
كل جنون لا يستطيع ان ينافس جنون البشر في حديثهم عن الاله وفي تعاليمهم عنه
وفي فرضهم له على انفسنا وعلى الاخرين . . .

لعل التحدث عن المحالات والبشاعات وعن اقبح القبحات والحماقات بلا صدق
ولا ذكاء ولا وقار او محبة او معرفة او اقتناع وبلا منطق بل بالخروج على احتمالات
المنطق كلها .

نعم ، لعل التحدث كذلك هو كل موهبة التخلفين والعاجزين والتافهين وكسل
حضارتهم ونشيدهم وعزائمهم وامجادهم . . . وهل يمكن ان يقبل اي قوم انفسهم
او ان يتصوروا انفسهم بلا اية موهبة او حضارة او عزاء او نشيد او امجاد اي في
حساباتهم وتفاسيرهم لذلك ولانفسهم ؟

وقد كان التحدث عن الكائن المسمى الها بالاساليب التي نتحدث بها عنه هو قمة
التحدث عن اقبح المحالات والبشاعات والسخافات والدمامات وعن اقبح اساليب
الخروج على الذكاء والمنطق والصدق والوقار والمعرفة والرؤية والاقتناع . لهذا كان
الافتتان بالحديث عنه بهذا الاسلوب هو قمة الافتتان البشري لانه قمة الافتتان
بالحديث عن البشاعات والمحالات والقبح .

لعل شيئا ما لا يساوي في همجيته اللغوية والحضارية والانسانية تحدثنا عن الاله بالاساليب التي نتحدث بها عنه . لعل الانسان في كل تاريخه لم يهبط في اي مهبط من مهابطه مثل هبوطه في رؤيته للاله وفي تصوره له لعني في لغته عنه اي في تحدثه عن صوره ونماذجه وعن مطامحه واهوائه واحتياجاته وانانياته وعن ممارساته لنطقه ولاخلاقه ولرضاه وغضبه وحبه وبغضه . . .

هل يوجد نموذج لاي كائن تشبه بشاعته بشاعة نموذج الاله في حديث الانسان عنه وفي تحدثه اليه ؟

ان البشر لم يفضحوا شيئا ولم يفتضحوا بشيء مثلما فضحوا الاله وافتضحوا به اي في حديثهم عنه واليه وفي حديثهم عن تصورهم ورؤيتهم وتفاسيرهم له ولنماذجه النفسية والمنطقية والاخلاقية والسلوكية والتاريخية . هل يوجد قبح كقبح نماذج الاله الاخلاقية والنفسية والمنطقية والسلوكية والتاريخية في تصور للبشر له ؟ هل يوجد صغير وثأذ جدا في حبه لنفسه وفي رؤيته لها وفي عرضه وتخليه لها مثل الاله في تصور المؤمنين به له ؟

هل يمكن ان يصغر اي طفل في حبه لنفسه وفي تعبيره عن حبه هذا مثلما يصغر الاله في حبه لنفسه وفي تعبيره عن حبه هذا مثلما يصغر الاله في حبه لنفسه وفي تعبيره عن حبه لها ؟

ومن الممكن ايضا ان يكون التفسير لذلك اي لكوننا لم نعاد او نبغض او نشتم الاله الذي نصفه بكل المزايا وبكل معاني التفوق بالاساليب التي نعادي ونبغض ونشتم بها اليوم ودائما كل اصحاب المزايا والتفوق ولا سيما اذا حولوا مزاياهم وتفوقهم الى انقاذ وتحرير لنا من صحرائنا الانسانية والمكانية بل والروحية . نعم ، قد يكون التفسير لذلك اننا لا نؤمن بالمزايا التي ندعيها للاله ، بل نؤمن له بنقيض كل المزايا ، بنقيض كل مزايا هؤلاء المتفوقين الذين وهبونا كل شيء جيد عندهم ووهبناهم نحن كل شيء رديء وبذيء عندنا ، اي وهبناهم كل ما عندنا اذ لا شيء عندنا غير ما وهبناهم اي غير الشنائم والبغضاء والحقد والاتهام والزور والادعاء .

قد يكون هذا هو التفسير في اعماقنا العدوانية البيضية ويكون التفسير لثنائنا على الاله ولادعائنا حبه وتمجيده انه نقيض لهؤلاء المتفوقين . نقض لجمع مزاياهم . . . نعم قد يفسر ولاؤنا للاله او اعلاننا الولاء له بكونه لا يملك اية مزية من مزايا هؤلاء المتفوقين ، بكونه نقيضا حادا لهم في مزاياهم . . .

لقد وجدنا بدون ان نعرف ان ثنائنا عليه وتمجيدينا له هو سباب وتحقير واتهام وعجاء لهؤلاء المالكين للمزايا التي لا يملك منها شيئا بل التي يملك نقيضها . ولعل منطقتنا في هذا يعني ان الثناء على الشيء والحب له ان يكونا الا بغضا وسببا لنقيضه . . . قد يكون من المنطق ان امتداح الكذب والخباء والجبن والبدواة لا بد ان يعني ذم الصدق والذكاء والبسالة والحضارة . كما ان امتداح الاله الناقص في كل اخلاقه

وكينوناته وقدراته لكل مزايا هؤلاء المتحضرين المتفوقين قد يعني - في حسابنا ومنطقنا - هجاء هؤلاء المتحضرين المتفوقين وهجاء تفوقهم وحضاراتهم وجميع مزاياهم . لهذا نمدحه اي نمدح الاله لاننا لا بد ان نهجو ونسب ونبغض هؤلاء المتفوقين الذين حررونا وانقذونا من صحراواتنا الانسانية والمكانية والذين وهبونا كل الاشياء الجيدة - اعني ان كانت عندنا اشياء جيدة واعني ان كنا قد حررنا او تحررنا من صحارانا تلك . اعني ان كان شيء ما او احد ما او خارق او ساحر ما يستطيع ان يجعلنا نستطيع تقبل الاشياء الجيدة او ارادتها او الاستجابة لها أو التكافؤ معها أو الكثرة عليها وعلى معاشتها ، او يستطيع ان يجعلنا نقبل التحرر من صحارانا الارضية او التاريخية او نستطيع هذا التحرر او التحرير او نستجيب لمن يريدون ان يفعلوا بنا ولنا ذلك . . .

ان وفاءنا لصحرائنا الانسانية والمكانية قد يعجز جميع المحاولات لخراجنا منها . . .
ان قدرة بعض الناس او بعض الشعوب او بعض المجتمعات او بعض السلالات على ان تصنع بها ولها الحضارة والتقدم قد تكون اصعب واعجز من قدرة شعوب او مجتمعات او سلالات اخرى على ان تبتكر الحضارة والتقدم مبتدئة . ان صنع الحضارة لك او بك او توقيعها عليك اي ان جعلك متحضرا بالاكراه او بالحيلة والاغراء قد يكون اصعب من ان يبتكر غيرك الحضارة ابتكارا . . .

نعم ، ان بعض الشعوب او السلالات أو المجتمعات لتستطيع أن تبتكر الحضارة التي لم تكن حتى ولا خيالا في تصورات وحسابات غيرها اكثر مما تستطيع شعوب او مجتمعات او سلالات أخرى ان تتقبل هذه الحضارة أو تفهمها أو تستطيع أو تعرف أو تريد معاشتها ، مقدمة اليها بأسلوب الاهداء ، بل مرفوعة اليها بكل اساليب ونيات التذليل والاغراء والمحابة والمغازلة بل بكل اساليب التضرع والتخضع والحب والصدقة ، بل وحيانا بكل اساليب الاحراج والاضطرار والالزام ، لكي تتفضل بالقبول مشكورة ممجدة . . .

اجل ، لقد صنع هؤلاء المتفوقون الذين كل مجدنا وعبقرتنا وتديننا ان نكرمهم ونستهمهم ونعاديهم ونتهمهم - صنعوا لنا كل ذلك لكي نتقبل الحضارة التي ابتكروها ، لكي نتقبلها مرفوعة اليها بكل هذه الاساليب والنيات ، اساليب ونيات التذليل والاغراء والمحابة والمغازلة بل والتضرع والتخضع والحب والصدقة ، بل وبكل اساليب ونيات الاحراج والاضطرار والالزام . فهل استطعنا او اردنا تقبلها او فهمنا كيف نتقبلها او كيف نعاشها او نتكافأ معها ؟ أليس العجز عن ابتكار الحضارة معنى من معاني العجز عن تقبلها وعن معاشتها اي احيانا لا دائما كما ان القدرة على ابتكارها تعني حتما القدرة على تقبلها وعلى معاشتها ؟

وقد يكون هذا التفسير لادعائنا حب الاله وتمجيده والامتداح له تفسيراً محتملاً جداً بل قد يكون تفسيراً مختاراً وممتازاً . . .

ذلك ان التفسير البديل لهذا التفسير - وهو اننا حقا وصدقا نؤمن للاله بالمزايا التي نزعها له - تفسير يصعب تقبله بل يصعب تصوره بل قد يكون محالا تقبله مهما كان ممكنا تصوره . ان تقبل التفسير الحزين او الاليم او الكريه او القاسي افضل من تقبل التفسير المستحيل او البليد - افضل لعقل المفسر والمفسر له ، وافضل لاخلاقتها ولكرامتهما الانسانية . . .

على جميع المستويات العقلية والمنطقية والاخلاقية والتصورية كيف يستطيع الافتراض او الاقتناع او التقبل بان اله هذا الكون وهؤلاء البشر - ان كان يوجد او لو كان يوجد اله - يملك اية مزية من المزايا النفسية او الفكرية او المنطقية او الفنية او التصويرية او العلمية او الاقتصادية او الاخلاقية او حتى العاطفية ؟ اليس كل شيء في هذا الكون وفي هؤلاء البشر يناهي بكل القسوة والشمول اي احتمال لوجود مثل هذه المزية ؟

كيف يستطيع الافتراض او الاقتناع او التقبل ان كائنا ما يصنع ويواجه ويعايش ويدبر كل هذه الالام والاحزان والعاهاث والصرخات والانين والتضرع دون اي مجيب ، وكل هذه المظالم والطغيان والعدوان والفساد والعبث والنقائص والفوضى والتناقضات والاسراف والشح والضخامة والضالة والايجاد والاعدام والحب والبغض والضحكات والمناجات ، وكل ما هنا وهناك وكل ما قد كان وما هو كائن وما قد يكون وما لا بد ان يكون وما لن يكون . . .

نعم ، كيف يمكن الافتراض او الاقتناع او التقبل ان كائنا يدبر ويريد ويصنع ويواجه ويعايش كل ذلك بالصمت والوقار والهدوء البليد ، بل المميت في بلادته - كيف يمكن الافتراض او الاقتناع او التقبل ان مثل هذا الكائن يملك او يعيش اي قدر من الرحمة او الحب او العدل او الشهامة او الكرامة او الكرم او الذكاء او المنطق او البراعة او الشجاعة او الحضارة او العلم او الرؤية او الحياء او أي معنى من المعاني التي عرفتها او مجدتها او علمتها او طمحت اليها الحضارة بل او البداوة؟ حتى البداوة انها في جميع مستوياتها ونماذجها اعظم من هذا الكائن الاعلى الذي دبر وخطط وصاغ هذا الوجود . ان جميع مثل البداوة لاسمى من جميع مثل هذا الكائن . . .

ان الاقتناع بان الصرصار او البرغوث او جرثومة السل او اي وحش يملك ويعيش كل الرحمة والحب والنظافة والكرامة والذكاء والعلم والعقل والحكمة والحياء والشجاعة وكل العبقريات الاقتصادية والفنية والشعرية ، وانه هو الذي علم الانسان كل مستوياته وفنونه الحضارية والانسانية والاخلاقية ، وعلمه جمال ممارسة الجنس وكيف يمارسه بعبقرية ، ولئه هو الذي علمه ابتكار الارباب والنبسات والمذاهب والاخلاق التعليمية والايمان بها دون ان يعلمه القدرة على الالتزام بها او الرغبة في هذا الالتزام ، وعلمه ان ينظر ومنعه من ان يرى او يبصر ، وضع فيه جهاز النظر وسحب منه جهاز الرؤية والابصار ، وعلمه الشهوة ولم يعلمه الحب ، ووضع

فيه الفهم ولم يضع فيه المنطق ، جعله يفهم ولم يجعله قادرا على ان يحول فهمه الى منطق اي الى سلوك منطقي اي جعله يفهم ولم يجعله يطبع فهمه ، وعلم قامته الانتصاب ولم يعلمها الشموخ ، علمها الانخفاض اكثر مما علمها الارتفاع ، وعلم قلبه الخفتان خوفا او شهوة او حفا او تعبوا ولم يعلمه الرجفان اشمئزازا أو رفضا أو احتقارا للحقارات والتفاهات وللصغائر والذنوب والقبايح التي يعيشها الصغار والكبار ، الالهة والحشرات .

التي يفعلها ويباركها ويعلمها ويباهي بها الاحرار والعبيد ، الثوار والمحافظون ، الرجعيون والتقدميون ، المذهبيون والناقضون ، المؤمنون والزنادقة ، الانبياء واتباعهم ، الانبياء وخصومهم . . التي يحيها المتفوقون بعمق وضخامة وشمول وجهر اكثر مما يحيها المتخلفون كذلك .

نعم ، ان الاقتناع بان الصرصار او البرغوث او الذباب او جرثومة السل او اي وحش يعيش ويملك كل هذه الزايا ، وانه هو الذي علم الانسان كل ذلك وانه هو الذي صاغه جميع صياغاته الادبية المعنوية والمادية الذاتية - نعم ، ان الاقتناع بذلك لاكثر اتناعا ومنطقية من الاقتناع بان الاله الجالس فوق هذا الكون وفوق هؤلاء البشر والكائنات الاخرى يملك او يعيش اية مزية فكرية او منطقية او فنية او اقتصادية او اخلاقية او نفسية او شعورية او حتى عضلية . هل يوجد فقء للعيون والعقول مثل الاقتناع بان هذا الاله يملك او يعيش شيئا من اية مزية ؟

ان البشر لم يسخروا من انفسهم ومن مواهبهم مثلما سخروا منها حينما امنوا او حينما اعلنوا دون ان يؤمنوا ان الاله هذا الوجود العبقري في سخره وبلادته وهمجيته التكوينية يملك اية مزية او موهبة من اي نوع ، باي قدر وعلى اي مستوى - بل حين لم يعلنوا ويؤمنوا بانه اي الاله هذا الوجود الفاضح في حماقاته وذنوبه وجهالاته لا يحتمل انه يملك او يعيش اي مستوى او نوع من مستويات او انواع الذكاء او الحب والرحمة او العدل او الفنون او النظام او الشهامة او الاستحياء او الرؤية بل او القدرة او المعرفة او احترام النفس او حتى مساءلة النفس او معاتبتها . ان الصمت عن نفي ذلك ، مجرد الصمت عن هذا النفي لهو صمت لا مثيل له في البلادة والخمول والهوان والعجز الفكري والنفسي والاخلاقي واللغوي .

ان جميع المستحيلات لو تحولت الى ممكنات بل الى واقع لبقى شيء واحد هو المستحيل وحده ، والمستحيل ان يكون غير مستحيل ، ولكان هذا الشيء الواحد المستحيل والمستحيل ان يكون غير مستحيل ، هو ان يفترض او ان يعد احتمالا ان الاله هذا الكون وهؤلاء البشر قد يكون طيبا او ذكيا او رحيبا او صديقا او فانانا وحتى قويا ، او ان يفترض او ان يعد احتمالا انه ليس خارجا على كل ذلك ومحروم منه ، بكل مقاديره وصيغه وتفسيره . . ان كل منطق ولغة نطقا بكلمة مستحيل يجب ان يفترض انهما قد تعلمهما بدءا من هذا المستحيل .

اذن كيف حدث ان اشمل المستحيلات استحالة وابعدها عن ان يخطأ في الاقتناع بكونه مستحيلا - كيف حدث ان اصبح هذا المستحيل والمستحيل ان يصبح غير مستحيل هو اشمل وأقوى الواقعيات اليقينييات التي لا بد ان يكون بعض العقاب لمن يشك في واقعيتهما ويقينيتهما الموت والنبد والمطاردة وغضب جميع الارباب ؟

اية حيلة شيطانية أو خدعة كونية جعلت البشر أو بعضهم يخطئون في رؤية هذا المستحيل أو يكذبون في رؤيتهم له وفي اعلانهم عن رؤيتهم له ، أو يخافون فيرون هذه الرؤية المخطئة أو يعلنون عنها ، أو يشتبهون ان بخطئوا فيها اي في رؤيتهم هذه ، أو يشتبهون الاعلان عنها وعن الخطأ فيها ؟

نعم ، ان الخطأ قد يكون شهوة وقد يكون خوفا وقد يكون عن رغبة في الاعلان او في التحدي والمخاصمة .

كيف أمكن ان يصغر البشر او بعضهم الى هذا الحجم ؟ كيف امكن ان يخرجوا على ذكائهم او ان يخرج عليهم ذكاؤهم ، او ان يعاقبوا ذكاؤهم او ان يعاقبهم ذكاؤهم بهذا الاسلوب والى هذا المستوى ؟ كيف ؟ ليس لغباء الانسان وضآلته حدود ؟

البيست توجد مستويات من الغباء والقماء لا يستطيع الانسان ان يبلغها او لا يجرو على بلوغها ؟

ان جميع مواهب الانسان وعبقرياته وحضاراته وجميع انجازاته الرائعة لن تستطيع ان تكون اعتذارا او كفارة عن اقتناعه او عن اعلانه الاقتناع بان اله هذا الوجود المذهل في عقمه جيد او صديق او ذكي او أخلاقي او محترم محاسب لنفسه أو انه جواد او صاحب موهبة أو مزية من أي نوع ، بأي حجم . هل استطاع الانسان ان يحقر مواهبه مثلما استطاع ان يحقرها حينما اعتقد او اعلن ان لباصق هذا الكون اية مزية من أي نوع ؟

ان جميع مواهبه لتصغر وتهون ويرهقها الاستحياء والتواضع امام اقتناعه هذا أو امام اعلانه هذا الاقتناع . . . هل غار الكون من مواهب الانسان المتفوقة فدبر له هذا الاقتناع بهذا الاله بالاسلوب الذي اقتنع به او الذي اعلن اقتناعه به لكي يذل مواهبه ؟ هل دبرت مؤامرة كونية ضد الانسان لكي يؤمن بان لاله هذا الكون مزية ما ؟

اذن فلعلها محاولة من محاولات الرفق بنا ومن محاولات الإبقاء على شيء من كرامتنا الفكرية والاخلاقية والانسانية ان يزعم بل ان يقتنع باننا كاذبون لا معتمدون باننا متعمدون للكذب لا مخطئون حينما جننا بالتحدث عن مزايانا ومدبر وصانع هذا الكون وهذه الكائنات ، وحينما جنت عقولنا وعقائدنا ومنابرنا ولغائنا وكتبنا المنزلة نحدثنا عن هذه المزايانا واعلانا عن الايمان بها وعن مقاتلة واعدام كل من يشكون فيها من او يحاورون او يجذقون فيها . بل ويسألونها اية مسألة . . .

هل جنت جميع مواهبنا وتفاسيرنا مثلما جنت حينما نصبنا فوق هذا الكون ، فوق هذه الدمامة او المسخافة او البذاءة او البلادة العظمى كائننا انتحرت جميع عقولنا

وعقائدنا ومحاربينا ومنابرنا ولغاتنا واخلاقنا وكتبنا اعلانا عن مزايه وتفسييرا
وتعديدا لها وارهابا وترويعا بها ودعوة اليها وقتلا وطردا وبغضا وسبا لمن يجادلون
فيها او يسائلون عن اي تفاسير لها او عن اي شبيه محمود يشبهها ؟ كيف لم تنتحر
جميع عقولنا وقلوبنا وضامئنا وفنوننا وعيوننا واخلاقنا استقباحا لاستفرغ هذا
الكون ؟

وقد يكون من التفاسير المحتملة جدا او الجيدة المطلوبة جدا - قد يكون من هذه
التفاسير لادعائنا واعلاننا الحب والتمجيد والولاء والحمد للاله اننا باسلوب لثيم
صغير عن انما نريد ان نذمه ونحقره ونشتمه ، وان نجعل ذمنا وشتمنا وتحقيرنا له
ثيرا حادا في تجريحه وايدائه وفي اعلانه والتذكير به والتحريض على الاقتناع به .
وقد تكون نيتنا هذه في الذم والشتم والتحقير ونحن نعلن الحمد والحب والولاء
والتمجيد ، واضحة ومفهومة او يجب ان تكون واضحة ومفهومة من معاني وتفاسير
الصفات التي نلقي بها عليه ، ومن اساليبنا في تمجيده اي تمجيد الاله وفي اعلان
حبنا وحمدنا وعبادتنا له ، ومن المسوغات والاسباب التي نسوغ ونفسر بها جنوننا
في هذا الحب والحمد والعبادة لهذا الاله . ان في نماذج امتداحنا للاله وفي اساليب
اعلاننا لهذا الامتداح ما قد يفسر بقسوة نيانتنا غير الجيدة او البريئة او الصادقة .
اننا نقاسي ونقاسي لكي نجد ونختار اكثر الاوصاف والاخلاق جهالة ونذالة
وسخافة وهمجية وضعفا لكي نجعلها ونعلنها اسمى واتقى واشمل وانبل اوصافه
واخلاقه اي اوصاف الاله واخلاقه . ان البشر لم يجيدوا في تحقيرهم لشي مثلما
اجادوا في تحقيرهم للاله حينما صاغوا اوصافه وتخيلوها واختاروها واعلنوها .
اننا في سباحة دائمة داخل مغارات انفسنا وضامئنا المشحونة بالعفونات
والصغار ، نغيب فيها عن اقبح واولح النماذج والصيغ لنجعل منها اجمل ملابس
الاله واجمل زيناته وازكى عطوره .

اننا نتخيل او نصنع ملابس في قبح الملابس التي تخيلناها وصنعناها والبسناها
للاله .

ان لنا لعبقرية لا تزاحمها عبقرية اخرى ، تلك هي عبقريتنا في اختيارنا لصور
الاله التي لن يصعد اي خيال الى تصور مثلها في دمايتها وفضافتها وكآبتها . اننا لن
نجد لنا عبقرية تساوي عبقريتنا هذه ، عبقريتنا في رؤيتنا لذات الاله بكل هذه
البشاعة التي لن تستطيع جميع بشاعات الطبيعة والاشياء متجمعه ان تصوغ مثلها .
السنا نصفه اي نصف الاله الذي نزعم اننا لا نحيا ولا نتعامل او نتعاقق او
تقصافح او نحب ابناءنا او نتعصب لهم ، ولا نكره او نخاف المتفوقين والصادقين
والمفكرين والرافضين للنفاق وللصلاة في المحاريب التي يصلي لنا فيها وللاوثان
التي نصلي لها ، الا لاننا نحبه ونمجده ونؤمن به ونطيعه ونستجيب لخفقات قلبه
وضميره - وهل يخفق قلب او ضمير احد مثلما يخفق قلب الاله وضميره ؟

نعم ، ألسنا نصف الاله الذي نزع له ومن اجله كل هذه المزاعم ، نصفه بانبه يحقد ويحسد ويمكر ويخدع ويكيد ويبغض ويشتم ويفسد ويضل ويغوي بالتدبير والارادة والتصميم . . . وبانه يغلق ويعمي العقول والقلوب والعيون والاذان وكل الحواس والاحاسيس ويختم عليها ويضع فوقها الاقفال والحراسات لئلا ترى او تسمع او تحب او تفهم او تتقبل الحق او النور او الجمال او الطريق اليه هو ، اي لئلا تراه هو اي الاله ، ولئلا تسمعه او تحبه او تفهمه او تتقبله او ترى جماله وجاذبيته ولئلا تهتدي اليه . . . بل وبأنه يتآمر مع الاعداء والاشرار والابالسة على عباده وابنائهم وانبيائه ، وانه يهب هؤلاء الاعداء والاشرار والابالسة كل الاسلحة والخبث والمكر والدهاء والقوة بل والتخليد في الحياة لكي يضلوا ويخلوا عباده وابنائهم وانبيائه الذين نزع انه يريدهم ويطلبهم بان يكونوا له وحده ، وانه لم يتعذب في خلقه لهم الا لكي يكونوا له وحده ، وانه قد اعد لهم كل العذاب اذا لم يكونوا له وحده ، وانه يجس غيرة وغضا وباسا اذا لم يكونوا له وحده ؟ نعم ، ألسنا نزع انه يريد ويدبر وينفذ بشهوة مجنونة هذه الشرور والمكايد والمؤامرات اي ضد نفسه باسلوب لا ينافسه فيه اي منافس ؟

ثم ألسنا نصفه بان لا شبيه له في انانيته وفي حبه لنفسه وغضبه لها حتى انه ليخرج على كل مستويات ونماذج وحدود الوقار والتهذيب والتعقل في انانيته وفي حبه لذاته وغضبه لها . . . حتى ان جميع الحكام الطغاة المرضى بالانانية وبحب النفس والغضب لها ، وحتى ان جميع الاطفال المصابين بالتوتر والشذوذ والعقد النفسية المختلفة المتحولة الى صيغ بذيئة فضاحة من جنون الانانية وحب السذات والغضب لها .

نعم ، حتى ان هؤلاء الطغاة والاطفال لبيدون في غاية الوقار والتعقل والتهذيب لو حوسبوا بانانية هذا الاله وبحبه لذاته وغضبه لها ؟ انه ليجب نفسه حبا لا مثيل له في افتضاحه وهبوط تقاسيره ، وانه ليدبر ضد نفسه باساليب لا مثيل لها في جنونها وعدوانيتها . . .

انه اي الاله كما نقول عنه ونصفه ، ثناء وتمجيذا واقتناعا ليغفر باغضاء ونبل وتسامح مهيب ، كل التلوثات والسرقات والجرائم والخيانات والظلم والظفيان والعدوان والقتل والسقوط والفسوق واغتصاب الاعراض ، وكل ما عرف البشر والاديان والنبوات والمذاهب والقوانين والتعاليم وكل ما لم يعرفوا من ذنوب ونذالات وحقارات .

نعم ، انه كما نصفه ونقول عنه بنية الثناء والتمجيد والعبادة ليغفر كل ذلك بكل الاريحية والكرم ، بل انه كما نصفه ونقول عنه ليهاب ويتحرج من النظر الى اي ذنب من هذه الذنوب خوفا على اريحيته وكرمه بل وعلى تسامحه من ان تظن به الظنون .

ان عيني الاله لا تريان اي ذنب ولا اية وقاحة حتى ولو ماتت عيون الحشرات من كثرة ما ترى من الذنوب والوقاحة .

ولكن الشهيء الواحد الذي لا يغفره ويموت حياء وتأتئا من ان يتهم بانه قد يغفره هو الخلاف عليه او الاختلاف معه في العقل او التفكير او المذهب او الرأي او الرؤية ، هو الخطا في الرأي ، اي في الرأي الذي يحسبه او يراه هو خطأ حتى ولو كان غير ذلك في رأي غيره ، في رأي رائيه . . انه ليغفر ان تبصق عليه كل العفونات والخبائث ، وانه ليموت رفضا لان يفكر في الغفران لاي فكر يريد ان يحاوره او يراه او يحدث فيه محاسبا او مسائلنا او معانبا . .

انه لا يغفر ان يشرك به غيره ، ان يجعل معه غيره ، او يحب غيره او يعتقد في غيره ، او يعظم غيره ، او يهتف بغيره ، او يؤخذ بمنطق غيره ، او ان يكون اي شيء او اي احد غيره واهبا المعرفة او الحق او النور او الجمال ، او ان يشك في انه هو كل الجمال والمعرفة والصواب والخير والحب وكل المنطق والذكاء والقوانين والاخلاق والشرائع والتعاليم والخلود ، او ان يشك في ان له كل التمجيد والعبادة والشكر والرهبة والخنوع والسؤال والتذلل والتملق . . . حتى التذلل والتملق خوفا وطمعا ، انه يرفض ان يشاركه فيهما احد . انه يريد هما له وحده .

انه لا يغفر لمن يجروء على النظر اليه بعقله او بمثله او بتعاليمه او بطموحه واحتياجاته واخلاقه ليحاكمه او ليحاسبه بها او ليطالبه بالالتزام بها ، او ليطمناه وليتمنى له ان يكون ملتزما بها . . هل يوجد مثل ضمير الاله وعينيها اتساعا وتسامحا للذنابات والقبائح والعفونات والشورور ، ومثل عقله ضيقا وتعصبا ضد التفكير والبرؤية والصدق العقلي والاخلاقي !

انه لا يغفر اي رأي فيه ولا اية رؤية له ولا اي تفكير غير تفكيره المكتوب الدائم ، ولكنه بعد ذلك مستعد ان يبتلع ضميره وكبرياؤه ونظامته كل الاوحال والعاهات والصفائر والندالات دون ان تصاب كبرياؤه او نظامته او ضميره بالقصة او القبيء او حتى بالغثيان ، او حتى بفقدان الشهية او حتى برداءة المذاق ، او حتى بالتشبع ، او التسبع ، او حتى بالنظاهر بالشيوع او بالتشبع ، او حتى بالغيرة والحسد من قدرته الخارقة على هذا الابتلاع لكل الاوحال والعاهات والخطايا والصفائر . . انه لا مثيل للاله في عجزه عن ان يصاب بالقبيء او بالغثيان او حتى بالاشمزاز الفكري او الاخلاقي او النفسي مما يرى او يواجه او يفعل او يريد . .

انه لا شبيه له في معاداته للفكر والعقل ولحرية الرأي كما لا شبيه له في صداقته للاوحال والفسوق والسقوط والتلوث الاخلاقي والنفسي والعقلي والجسدي - اي في صفنا له وراينا فيه . . ان الاله ليقاوم الرؤية له والتحديد فده حتى الموت ، انه ليختار ان يموت او ينتحر على ان تراه اية عين او تحدد فيه .

ثم أليس - كما نصفه ونروي عنه معجبين بنبل اخلاقه وعمق ذكائه - يخص عباده المؤمنين به المخلصين له بأشد العذاب والبلاء ، وأنه يتصاعد في تخصيصهم بأشد واسمئله اساليب واللوان التعذيب والابتلاء بقدر ما يشتد حبه لهم ويقدر ما يتفانون في حبهم وعبادتهم واخلاصهم وتوحيدهم له ؟

أليس أسلوبه في التكريم ان يؤذي ويؤلم اي ليختبر ويرى ويجرب ؟ أليس أقوى وأذكى واتقى اساليبه في تعبيره عن حبه رضاه ان يؤذي ويضرب ويصيب ويبتلي بالاحزان والاهوال وبكل انواع المصائب ؟ أليس هذا الاسلوب كما نقول ونعلن ونؤمن - هو ابرع فنونه وأشعر شاعرياته في اعلانه عن رضاه وحبه وعن شكره واعجابه ؟

أليس - كما نرى ونروي - يوقع باحبابه وابنائيه والاقربين اليه جدا كل العاهات والالام والاهوال واشد العاهات والالام والاهوال - تدبيراً وتخطيطاً وقصداً وتعمداً لا يهاب الاعلان عنه ، ليجربهم : هل يصبرون ويشكرون ويحمدون بل ويفرحون ويغنون طرباً وترحيباً ام يغضبون ويتألمون ويشكون ويئنون ويتساءلون : من فعل هذا ، ولماذا فعله ، وما قصده ونينه ومنطقه وحكمه ومصطلحه . .

أليس يميث الطفل او يفتق عينه او يصيبه بأية عاهة وبيلة او بأي تشويه رهيب لكي يجرب صبر ابويه وايمانها وماذا يمكن ان يفعلوا ويقولوا ويفكروا ويفهما - ليرى هو ويسمع ويشاهد ويتفرج ؟

ألسنا نقول ذلك عنه في مدحنا له وفي اعجابنا بدهائه وذكائه وحكمته ؟ ألسنا نرى افظح الالام المنزلة بالاطفال والشيوخ والحيوانات وبالابرياء فنشير اليها بايماننا وتقوانا ونصرخ هاتفين : ما ارحمك ايها الاله ، ونرى افدح المظالم فنهتف : ما اعدك ايها الاله ، ونرى اقبح الدمامات والتشوهات فنهتف : ما اجملك ايها الاله ، ونرى اسمئله اساليب العبث والفوضى والخراب واعلى مستويات الجنون فنهتف : ما اعظم شجاعتك وقيادتك وانتصاراتك في جميع المعارك والياديين ايها هزائم المؤمنين الاتقياء الدائمة وهوانهم العالمي الدائم فنهتف : ما اقوى حمايتك ومحالفتك لعبادك المؤمنين الاتقياء ايها الاله ، ما اعظم وادوم مجدهم وانتصاراتهم لانك حليفهم ايها الاله ، ونرى الشيطان قائداً منتصراً دائماً في جميع المعارك والياديين ايها فنهتف : ما اعظم شجاعتك وقيادتك وانتصاراتك في جميع المعارك والياديين ايها الاله . . ؟؟ ألسنا نهتف دائماً لمجد الاله ولانتصاراته ولذكائه كلما رأينا كل المجد وكل الانتصارات والذكاء للشيطان وحده ؟ ألسنا نعلن تسميعنا للشيطان كلما شبعنا الاله ؟ ألسنا كلمارأينا أو عرفنا أو تذكرنا شيئاً رديئاً أو أليماً أو لثيماً أو ظالماً أو عابثاً أو وقحاً أو قبيحاً أو بليداً في هذا الكون شكرنا ومجدنا له هذا الكون ، مدبره ومريده وصانعه ومخرجه وواضع كل تفاسيره وافكاره واخلاقه وقيمه ونماذجه ، بل وذهبنا نصفه بنقيض ما نرى ونجد ونعرف ونتذكر ؟

السنا كلما راينا الاله عاريا تحدثنا عن جمال ملابسه وعن جودتها وجدتها وكثافتها ؟

اننا بهذه المدايح والايوصاف والسوغات والاسباب نمتدح الاله ونعلن حبنا وتمجيدنا وشكرنا له . السنا نحول كل ما نراه ونجده ونحبه ونكرهه ونعجب به ونشتمئز منه ونمجده ونحتقره الى ثناء على الاله والى حب له ؟

اذن هل يحتمل اننا صاقون في هذا الامتداح والحب والتمجيد والشكر ؟ السنا انما نريد ان نذم ونبغض ونسب ونحقر ونشهر ولكن باسلوب وبنيات اكثر تخلفا وقوقا وجبنا ؟

اذا اشرت الى ذباب يتنقل بين العفونات وبين وجه حسناء غيور غضبي متأنقة متكبرة ليخطف منه لسة او قبلة ، او يتنقل بين العفونات وبين الاسترخاء على وجه طفل نظيف نائم او على طعام انسان اعمى ، او اشرت الى اي الى الذباب مشاركا يباطمئنان وامان طبيب امراض معدية في طبق طعامه ومجالسا مصاحبا له في غرفة اعماله وعملياته دون ان ينظر اي الطبيب في المرأة ليرى اي كائن هو قد اصبح بعد ان تحول الى كائن غير الانسان ، او ثم استطاع هذا الطبيب ان ينظر في المرأة لكي يعجب بجمال وجهه او بجمال ملابسه او ليطمئن على صحته الغالية . . .

نعم ، اذا اشرت الى هذا الذي ترى ، الى الذباب والى الطبيب المصاحب المجالس المستضيف للذباب بكل هذا التسامح والكرم والاعضاء وبكل هذا النعمى العقلي والعلمي والنفسي والاخلاقي والانساني وبكل هذه البلادة الحسية الاعضائية الذاتية التاريخية اي بكل هذا العمى العربي وبكل هذه البلادة الذاتية العربية ، اذ هل يمكن ان تطمئن الى انك واجد حتما مثل هذه العلاقة بين طبيب وذباب في غير العالم العربي ؟

نعم ، اذا رايت ذلك واورت اليه وقلت :

ياالله . . . يا للروعة والجمال والتهذيب والنظافة والكبرياء ، فهل يمكن ان يقع في خلاف على ماذا تعني او على انك حتما لست مادحا ؟ هل يمكن ان تعني بذلك غير النفس اساليب الهجاء والاشتمزاز ؟

ولو انك تحدثت عن المواجهة العربية الاسرائيلية منذ سنة ٤٨ حتى اليوم وقلت ان مجدكم العسكري والحضاري والانساني ايها العرب في هذه المدة القصيرة من التاريخ قد اربب وانسى بضخامته كل امجاد التاريخ الماضية ، وانه لا بد ان يربب ويخيف ايضا كل امجاد التاريخ الاتية اي لضخامته ، وانه قد يمنعها اي يمنع امجاد التاريخ الاتية من ان تجيء رهبة واستحياء وحرجا من مواجهة مجدكم العسكري والحضاري والانساني الذي صنعته لكم مواجعتكم لاسرائيل ايها العرب ، يا من لا مجد الا مجدكم . يا من لا مجد في مجدكم يساوي مجدكم الذي صنعته لكم مواجعتكم لاسرائيل . يا من لم تعجب الحشرات بمجدها ولم تجرؤ على التحدث عن مجدها الا بعد ان رأت مجدكم .

نعم ، لو انك قلت هذا فهل يمكن ان يشك احد فيما تعني ؟

هل يمكن ان يوجد من يحسبك مادحا ؟

ولو انك قلت ان مواجهة العرب لاسرائيل قد صدقت كل ما حكاه ورواه العرب

عن انفسهم ولانفسهم من شجاعات وبطولات وانتصارات كانت لهم وخدمهم ،

فهل يمكن ان يفسرك اي مفسر بانك مادح او بانك لا تعني النقيض ؟

اذن كيف يمكن ان يعد مادحا وشاكرا وممجدا للاله من رأى الالام والاحزان

والعاهات والتشوهات والمظالم والبلادات والعبث والموت والامراض والجنون والخراب

والدمار والفساد ، فقال : ما اعدك وارحمك واذكاك واعقلك واسخاك وانبلك واعظم

حبك وصدقتك للناس وللانبياء ايها الاله .

نعم ، كيف يمكن ان يعد مادحا للاله من رأى ذلك فقال مثل هذا القول ، ولم يعد

ماجيا حادا في هجائه ؟ حتى الاله هل يمكن ان يعتقد انه يمدح او يشكر حقا حينما

يسمع انسانا قد انزل به كل العاهات والالام والمحن يقول له : شكرا ومجدا لك ايها

الاله الرحيم الحبيب الشهم ؟

اليس هذا اسلوبا بذينا متوقحا من اساليب الهجاء والتحقير يعجب به المتخلفون

المتوقحون امثالنا ويتعاملون به ويجدونه قمة البلاغة والجمال والعبقرية والذكاء

والتطرف ؟ نعم ، حتى الاله هل يمكن ان يهبط به ذكاؤه وانخداعه الى الاعتقاد بانه

يمدح حينما يسمع من اوقع بهم كل المآسي يمتدحونه ويتحدثون عن نعمائه ؟

قد يكون الكثير مما نعهده عبقرية في البلاغة والجمال الفني ليس الا عبقرية في

العجز والتخلف والوقاحة وبذاء النفس والضمير والنية .

ان احكامنا على البلاغة واراها فيها لم تكن سوى احكام و آراء بدوية ، قد

ابتكرها وحددها واعلنها وراها كذلك ثم اغلقها واغلق عليها قوم من البدو ، واننا لا

نزال خاضعين وتابعين لاولئك القوم من البدو في ابتكارهم واعلانهم وتحديدهم

وارائهم بل وفي اغلاقهم . بل اننا لنناضل لكي نستطيع ان نتعلم منهم كل

ممارساتهم للبلاغة ولكل فنون القول وكل ارائهم في ذلك ، ولكي لا نحرف اي انحراف

عما رأوا او عما فعلوا في ذلك . . .

اننا لنهاب الخروج على بلاغة ابائنا البدو بقدر ما نهاب الخروج على تعاليم نبواتنا

البدوية . بل اننا لنرى ان كل العبقرية والانتصار والاستقامة القومية والوطنية

والتاريخية بل والدينية في ان نستطيع الالتزام ببلاغتهم استعمالا ورأيا ، كما نرى

ان كل الغدر والزندقة والضلال والانهازم في ان نعجز عن هذا الالتزام . . .

حتى البلاغة انها نوع من النبوة في اقتناعنا لهذا فالخارج على تعاليمها

لا بد ان يكون زنديقا . . .

ان تخلفنا البلاغي ليس اقل من تخلفنا الفكري او العلمي او الصناعي او الفني

بكل معانيه . وان التزامنا ببلاغة ابائنا او محاولتنا لهذا الالتزام ليس اقل خطأ من

التزامنا أو من محاولتنا الالتزام بحضارة ابائنا العلمية أو الصناعية أو الفكرية أو الذهبية أو التطبيقية أو حتى العسكرية والحربية . وإن اعجابنا بهذه ليس أبعد عن الذكاء من اعجابنا بتلك . وأنه كما ماتت أو كما يجب ان تموت اساليب المواصلات التي ورثناها عن ابائنا كذلك يجب ان تموت الاساليب البلاغية التي تعلمناها من اولئك الاباء .

ان الاسلوب البلاغي أو الرأي في البلاغة ليس الا تعبيراً أو محاولة للتعبير عن حالتنا النفسية والاخلاقية والفكرية والحضارية ، أو عن مستوانا في ذلك . ان الصيغة البلاغية أو اللغوية أو التعبيرية أو الصوتية ليست الا مستوى نفسياً أو فكرياً أو اخلاقياً أو حضارياً .

اننا باسلوبنا الكلامي أو بما نسميه بلاغة أو فنونا بلاغية قد نقصد ان ننسب ونهين ونهجو ونقذف بذاة وقبحا بل نقذف قبيحا ، وقد نقصد بذلك فقط ان نفسر لو نخطب أو نعلن أو نقنع . وان قصدنا هذا أو هذا لا بد ان يكون محكوما بمستوياتنا الحضارية والانسانية المختلفة .

والمتحضرين يكونون أو يحاولون ان يكونوا مهذبين ، أو يفترض فيهم ان يكونوا كذلك في بلاغتهم اي في فنونهم الكلامية والتعبيرية ، حتى حينما يعارضون وينكرون ويرفضون ، بل حتى حينما يقاومون ويقاثلون ، بل وحتى حينما يريدون ان يشنعوا ويهجوا ويسبوا . حتى السباب والهجاء والنشنيح منه المهذب المتحضر ومنه المتوقع البذي ، وهل يمكن ان يخفي اي الاسلوبين اقوى واقدر على الانتصار واكثر توصيلاً الى الاغراض أو النتائج المطلوبة أو الى احتمالات الشفاء مما يشكي منه أو مما يراد الشفاء منه ؟ ان بلاغة المتحضر ليست مضاربة أو مشاتمة مهما كان الموقف موقف مضاربة ومشاتمة ، ولكن بلاغته مصافحة ومصالحة أو محاولة لذلك .

اما المتخلفون فان مستوى بلاغتهم لا يساوي في حسابهم ومشاعرهم الا مستوى بذاتها ووقاحتها . ان البذاة والوقاحة مطلب وحاجة عند المتخلفين .

انهما اي البذاة والوقاحة بلا ثمن بل وضد كل ثمن لافضل عندهم من كل ثمن يبيونهما .

ان المطلوب أو الحافز عند المتخلفين ليس هو ان يفسروا أو يقنعوا أو يعلنوا أو ان يعالجوا أو يصنعوا نتائج مفهومة ومقصودة ، بل الحافز أو المطلوب عندهم بل وكل القيمة والقوة لبلاغتهم ان تكون اي بلاغتهم قمة البذاة والتوتح والقدرة على الاساءة والتحقير . انهم لا يعنون ببلاغتهم ان يعالجوا موقفاً أو ان يخلقوا وضعاً جيداً ، أو مريحاً أو ملائماً أو محدداً ولكن ان يستفرغوا انفسهم استفرغاً بذيثاً .

ان كل حوافز واثمان البلاغة عند جميع المتخلفين ان تكون مثيرة ، مثيرة اثاره مؤذية ومؤلة أو اثاره منافقة متملقة . ان كل قيمة البلاغة عند هؤلاء ان تكون هجاء

مثيرا في بذاته وايلامه او مديحا مثيرا في تملقه ونفاقه . ان قمة البلاغة عندهم هي قمة التهويل في الوقاحة والايذاء او في التملق والكذب المنافق . . .

ان المطلوب هو الاثارة في السب والهزاء او الاثارة في الامتداح والتقرب ، وليس المطلوب البتة المخالفة او المعارضة او الرفض باسلوب ملائم ، ولا المداوب كذلك الولاء او التأييد او الموافقة او حتى الحب باسلوب ايضا ملائم . ان هذا وهذا ليسا في حساب بلاغة المتخلفين وليسا في اهتماماتها . وحتى كونها مؤذية او مؤلمة ومقنعة بمدحها اي البلاغة ليس شرطا فيها عندهم ولكن شرطها الدائمة ان تكون مثيرة في بذاتها وقبحها وفي خروجها على كل ادب ووقار .

حينما يوجد انسان يسرف وجهه في الانماسة او قامته في القصر او لونه في السواد فيقول له قائل : وجهك اقل جمالا مما ينبغي او قامتك اقصر مما يلزم او لونك اشد سوادا من المألوف ، ويقول له قائل اخر : يا من تعلم كل وجه جميل من وجهه الجمال ، او يا من استعارت المسافات بين المجرات من طول قامته ابعادها ، او يا من وهب اشراق وجهه الشهوس كل اشراقها - وكان الموقف موقفا خطايايا استعراضيا جادا فاي القائلين اكثر بذاءة او ايذاء او هزاء وسبابا ، او ايها البذيء المؤلم او الساب الهاجي ؟ واي الاسلوبين سيكون اسلوب المذهب المتحضر ان لم يكن بد من ممارسة احد الاسلوبين؟ ان المتخلفين ليتحولون الى اردأ وواقع هجائين ومعييرين حينما يذهبون يمتدحون او يتعبدون او يؤمنون او يصلون بكل طاقاتهم وفنونهم البلاغية . ان الشعر العربي والصلاة العربية لئله لنموذجان لهذا الهزاء والتعبير . . .

اذن حينما يشاهد المؤمن الالام والاحزان والامراض والتشوهات والمظالم وكل الوان العبت والبلادات والحماقات والجنون والخراب والفساد والنهيات الاليمية العقيمة - حينما يشاهد كل ذلك يسد كل طرقه واتجاهاته ، ويغطي كل افاقه وتصوراته وتجاربه وتوقعاته بلا منفذ او منتد ، فأراد ان يتحدث عن ذلك مفرغا مشاعره واحتجاجاته واستنكاره باسلوب قد يكون مبهما او مزجورا ، وحينئذ اما ان يختار الاسلوب المذهب المتحضر او الاسلوب الوقح البذيء في بلاغته البدوية . . . اذ اختار الاسلوب الاول فسيقول : عجايبها الاله . . . امن الرحمة او العدل او الذكاء او المنطق او الوقار او الوفاء أو الحياء أن تفعل هذا او ترضاه أو تتقبل ان يحدث ؟ وكيف تطيق عينك او ضميرك ان يحدث ؟ كيف تطيق ايها الاله العجيب ان ترى او تواجه او تفهم او تسمع الصرخات والانات والتضرعات دون ان تهوت خجلا ؟ اني لا استطيع ان افهمك او اعقلك او افسرك او اصمت عنك او اصبر عليك ايها الاله . فهل تستطيع انت ان تفهم او تعقل او تفسر او تتقبل نفسك او ان تصمت عنها او تصبر عليها ؟ كيف لا تعاقب نفسك او تعاقبك نفسك ؟ كيف لا يقتل احدهما الاخر او يفارقه ؟ من علمكما هذا التقبل الذي لا يمكن تقبله ؟

أما إذا اختار أي المؤمن الأسلوب البذيء المتوخى للبليغ جدا في وقاحته وبذاته فسيقول هاتفا مصليا كلما رأى شيئا من هذه الخطايا والقباحات أو كلما رآها كلها في منظر واحد - أي لو كان المؤمن يستطيع أن يرى شيئا ما دام مؤمنا - لأن المؤمن لن يظل مؤمنا ما لم يظل أعمى عمى شاملا ودائما - نعم سيقول حينئذ أي المؤمن : ما أرحمك وأعدلك وأعتلك وأنبلك .. وما أعظم وأصدق وأعمق حبك وذكاءك ومنطقك وإخلاصك وتبصيرك وتخطيطك أيها الإله .. أنت أيها الإله معجز ، معجز في كل تفاسيرك الرحيمة والذكية والمنطقية والإنسانية . أقرأ أيها الإله نفسك ..

أنك تصيب عيوننا بالعمى لانك تريد لنا أن نرى ، وتصيب أذاننا بالصمم لأنك تريد لنا أن نسمع ، وتصيب عقولنا بالبلادة وبالجنون لانك تريد لنا أن نفهم وتعتقل ، وتصيب أبداننا بالامراض والعاهات والشيخوخة والضعف لانك تريد أن نسعد ونستمتع بالحياة ، وترسل علينا الإبلاسة والشياطين وتهبهم كل العبقريّة والقدره على افسادنا واضلانا لانك تريد لنا الهداية والاستقامة .. . انك تفعل لنا وبنا كل ذلك لانك تحبنا جدا ولانك صديق لنا جدا وطيب جدا . آء، أيها الإله ، لها كانت هذه هي عطايك لنا لانك تحبنا ولانك صديق لنا ، اذن ماذا يمكن أن تكون عطايك لنا لو كنت لنا عدوا مبغضا ؟

أو لعل الإله عاجزة أن تعبر عن حبها وبغضها ، بل لعلها عاجزة أن تعرف الفرق بين حبها وبغضها ..

آء أيها الإله العجيب .. من صاغك هذه الصياغة العنيفة الفاضحة في جمالها ونبلها واعجازها الشاذ المتفرد ؟ هل صاغتك نفسك أم صاغك كائن آخر ؟

وصائغك من صاغه هذه الصياغة ؟ من علمه أيها أو جعله قادرا عليها ؟ من علم صائغتك القدرة والنطق لكرم يصوغك كما صاغك ؟ وهل صاغك صائغك كما أردت أم صاغك ظالما مشوما لك ؟ وهل تقبلت صياغتك مقهورا ومضطرا أم راضيا ؟

من وهبك هذه العبقريّة الاخلاقية والنفسية والعقلية والفنية والتخطيطية ؟

وواهبك من واهبه ؟ الواهب ان كان يوجد واهب على أي قياس أو نموذج وبأي حسابات أو منطق يهب ؟ من علمه أو حدد له كيف يهب ؟

كيف استطاع أي خيال أن يتصور نموذجك أيها الإله العجيب أو استطاعت اية قدرة أو عضلات أن تصوغ قدرتك وعضلاتك ، أو استطاع أي منطوق أن يصنع منطقك ، أو استطاعت اية شهامة أو رحمة أن تضع فيك شهامتك ورحمتك ، أو استطاعت اية موهبة اقتصادية أو صناعية أو فنية أو تطبيقية أن تريد لك وتبتكر فيك موهبتك الاقتصادية والصناعية والفنية والتطبيقية ؟ من وهبك ضميرك أيها الإله ؟ كيف استطاع واهبك ضميرك أن يتصور نمودجه وأن يبتكر هذا النموذج الذي استطاع أن يتصوره ضميرا لك ؟

كيف اهتديت ايها الاله الى هذا الدهاء والذكاء والى هذه العبقرية الوعظية التعليمية الاصلاحية ؟ ان كل العيون والعقول والاخلاق لتنفقا وتتنجر وتخصا لو همت بفهمك او برويتك او بروية مثال لك او لو همت بالاعجاب بك او بالتعلم منك ؟ ان اي عقل او عين او ضمير لم ينج من الاصابة بالجنون او بالزندقة او بالعمى الا لانه لم يجرؤ على التحديق او التفكير فيك او على محاسبتك او مساءلتك ..

الست ايها الاله تهجم بكل تقواك وبكل اظفارك وانيابك وحيك واختفائك وبكل جنودك وكبرياتك على غلام جميل بريء يؤمن بك ويهتف لك ويحفظ كتابك ووصاياك ويتحدث بطهارة وعمق وتصديق عن رحمتك وحيك وصادقتك وحكمتك وعن وضعك له في عينك وضميرك حماية له من الوحوش ومن الاحداث النزقة الطائشة المهاجمة ابدا باعلان وجهر او بتسلل ، حماية له من هجماتك الغادرة المتخفية في جسد ذنابة او بغوضة او زلزال او فيضان .

اجل ، الست ايها الاله العجيب تهجم على مثل هذا الغلام لكي تصيبه على غفلة منه ومن النجوم الناطرة اليك بكل الذهول والترويع ، باحدى العاهات او بعديد من العاهات الرهيبة ، لكي تحيمه من الشيطان ومن الخروج عليك ، ولكي تجعله يرى جمالك وعبقريتك ورحمتك ويؤمن بك ويشكرك اكثر واكثر ، وايضا لكي تجعل الغلمان الاخرين يعجبون بانفسهم وبك ويشكرونك ويؤمنون بك وبعبدك وبشهامتك اكثر لانك لم تصيبهم بما اصبحت به الغلام المصاب الذي قد تعده محظوظا جدا لانك قد خصصته بهبتك الجيدة جدا دون من سواه من الغلمان امثاله ، وايضا لكي تجعل ابويه اي ابوي الغلام المصاب واهله يتعظون ويؤمنون بك وبقدرتك اكثر ، ولكي تجربهم وترى هل يصبرون ويسلمون لك ويحمدونك ويرضون عنك وعن ذكائك وحكمتك وعن اهتمامك بهم باختيارك ابنهم لاصابته بالعمية الباهظة ، ام يجزعون ويفجعون ويرتاعون ويصرخون من فظاعة ووقاحة ما يواجهون ويرون ويقاسون ، وايضا لكي تزداد رضا عن نفسك وعن قدرتك واقتناعا بانك فعال لما تريد ، وبانك كما استطعت اصابة هذا الغلام بعاهته الوبيبة دون ان يستطيع احد مقاومتك تستطيع ايضا ان تصيب كل شيء وكل احد بما تشاء دون ان يوجد من يستطيع ان يحول بينك وبين ذلك ؟ نعم ، لتثبت لنفسك وللآخرين انك فعال لما تريد . كم انت فخور بمجدك لانك اصبحت هذا الغلام ، لانك فعال لما تريد ..

نعم ، ايها الاله العجيب ، الست تهجم دائما على مثل هذا الغلام بهذا الاسلوب من الهجوم لكي تصيبه بمثل هذه الامة مدفوعا بمثل هذه التفاسير والحوافز .. الست تهجم دائما على مثل هذا الغلام بمثل هذه الجراءة والقسوة التي تستحق ان تهنتك عليها كل الوحوش .

ألستنا بهذا الاسلوب نراك ونمجدك ونصلي لك ، وبهذه المزايا والمدائح والتفاسير نمتدحك ونفسرك ونحشد لك كل ما في احتمالات الاشياء وخيالها وكل ما في احتمالات البشر وخيالهم وامانيهم وطموحهم من مزايا وامجاد ؟ او لستنا نعلن ذلك ونزعمه

ونتظاهر به ؟ عجباً ! كيف لم يقتلك الاستحيا، من كثره ونوره الخاضع الذي بوجهها اليك ؟ هل الاستحيا، لا يصيب الالهة لهذا لم تقتلك مدانحنا ؟
اذن هل يحتمل اننا نمتدحك ايها الاله العجيب او ننوي مديحك ام اننا ياسلوب
لتيم صغير نذل منخلف نهجوك ونحترق ونسبك باوقح واقبح الاساليب والنيات
واللغات . . . باكثر اساليب البلاغة بدائة ونذالة وخبثاً ؟ هل يهجي شيء مثلاً يهجي
الاله بمدائح البشر له ؟ كيف لم يعرف الاله ذلك ؟ هل الاله لا يعرف اللغات لهذا
لم يعرف الهجاء الذي يرفع اليه باسم الامتداح ؟

ام هو اي الاله لا يعرف المديح من الهجاء لهذا يتقبل اقبح الهجاء ظاناً انه اعظم
الديح ؟

ان تفسيرنا باننا نؤمن بالاله ، ونفسيرنا باننا نحبه ونصلي له ونمجده حينما
نوجه اليه هذه المدائح وننتهمه بهذه المزاي ، وان في نيتنا هذا التمجيد والحب
والصلاة - نعم ، ان تفسيرنا بهذا وهذا تفسير قد رواه وكتبه التاريخ وروته وكتبته
جميع الكتب المتدسة وخطبت به جميع المنابر والمحاريب ونقش فوق جميع هامات
القبور . ان افجع ما في هذا ان من فسرونا ويفسروننا هذه التفاسير لم يفجعوا بنا ،
لم يفجعوا بان فهمونا وبان يفهمونا كما فسرونا ويفسروننا . . . !

ولكن الا يمكن ان نفسر تفسيراً اخر او ان يفسر تفسيرنا هذا بتفسير اخر ؟
نعم ، الا يحتمل ان يكون ايماننا بهذا الاله ، بهذا الاسلوب ، تحت هذه التفاسير
ايماناً حقا وقويا ، او ليكن كذلك او انه حتماً لكذلك . ولكن الا يحتمل او الا يجب
الاقتناع ان اسباب وحوافز ايماننا هذا هي ضد الايمان وضد الحب والتمجيد وضد من
وقع عليه الايمان ومن وجه اليه الحب والتمجيد ؟

قد يكون التفسير لذلك اننا مشحونون بشحنات هائلة من الالم والضياغ والحقد
والغيرة ومن الهزائم والتجارب الاليمة ومن العجز والخبت والتفاهة .

بل اننا حتماً مشحونون بكل ذلك . انه لا يوجد كائن في هذا الكون تعيش فيه
شحنات اليمة وبذئبة مثلنا .

ونحن لا نستطيع الا ان نطلق ونفرغ هذه الشحنات بكل القسوة والشمول على
اي كائن ملائم او في اي فراغ يتسع لذلك . اننا بقدر ما نكون مشحونين بالالام
والبداءات محتاجون الى تفرغها بنفس الاسلوب ، اي ياسلوب اليم بذيء .

ولكن كيف واين ومن هذا الكائن الملائم لتفريغ هذه الشحنات البذئبة الحزينة
عليه ؟ لا بد ان يكون هذا الكائن هو اردأ الكائنات حظاً واعجزها دفاعا عن نفسه
واكثرها اتساعاً وتقبلاً لاطلاق بل لالقاء اخطار واقبح العفونات فوجه . لقد كانت رحلة
عجيبة ولكنها حتماً لم تكن رحلة شائقة ، اعني بها رحلتنا بحثاً عن هذا الكائن الرديء
البحوظ الذي نريده لنستفرغ عليه شحناتنا هذه . . .

اين انت ايها الكائن العجيب البائس ؟ اين انت لكي نختارك لهذه الوظيفة
التي لن تكون فيها سعيداً ولا كريماً مهما كنت فيها عالماً شهيراً . . .

مسكين انت ايها الكائن البائس . انك لن تستطيع او تعرف الهرب منسا • مسكين انت اذن حتما •

نعم ، لقد وجدنا هذا الكائن المبحوث عنه ، اي لقد اوجدناه • انه لم يرفض ان يوجد له اي انه لم يستطع ان يرفض ايجادنا له • وهل يستطيع اي كائن ان يرفض او يمنع ايجاده اي ان يوجد موجد مهمم كره ذلك ومهما خسر او تعذب او افتضح به اي بايجاد موجد له ؟ هل خسر اي كائن بان يوجد موجدوه مثلما خسر الاله بايجادنا له ؟ لقد اوجدناه لنبصق عليه او حالنا ولم نوجده لنكرمه ••

نعم ، لقد كان هذا الكائن المأساوي الحظوظ بلا شبيهه عو الاله •

آه لو علم اي الاله الاسباب التي اوجدناه من اجلها • ان من الرفق به الا يعلم ذلك • اه • لعله لم يعلم • لعله •

اجل ، لقد اوجدنا هذا الاله بكل نماذجه وصيغه واخلاقه وتفاسيره البليدة المستسلمة لكي نفرغ فيه ونطلق عليه ونغرقه تلويثا ، لكي نفجر فيه دون ان نخشى رفضه او غضبه او احتجاجه او مقاومته ، نفجر فيه كل شحناتنا هذه محولة الى سباب وبغضاء واتهام وتحقير وتعبير واستهزاء وصراخ وتحد وتقريع وتجهيل ، ولكن باساليب ولغات كانتها التمجيد والحب والتكريم والتعظيم ، وكأنها الايمان والدفاع والافتتاع والصلاة والنصرع ، بل مع اعلان ذلك كذلك وزعمه كذلك ، اي مع ان القصد والنية هو النقيض ، اي مع ان التفاسير المنوية هي نقيض اللغة المنطوقة ، والموقف لا يمكن ان يعني غير التفاسير المنوية ، اي لا يمكن ان يعني الا نقيض اللغة المنطوقة •

اي لكي نقول حينما نرى كل القبائح والالام والمظالم والبلادات والتفاهات والعيب والقسوة والجنون : ما ارحمك واعدلك واذكاك واعقلك وابرك واعرق صداقتك وحبك وحنانك ونظامك ايها الاله ، ونحن لا نعني الا اقسى واقصى النقيض ، اي ونحن لا ننوي او نعني الا افتك اساليب الهجاء والسخرية والرفض •• وهل يمكن ان ياذن الموقف لنا بان نعني غير ذلك اي غير افتك اساليب الرفض والهجاء والسخرية ؟

وايضا لكي نوجه اليه اي الى الاله المذائح ونطلق عليه المزايا التي لا يمكن ان تعني في اي تفسير من تفاسيرها الا كل معنى من معاني الذم • ان من حظوظ الاله المأساوية ان اي مدح يوجه اليه لن يكون في كل تفاسيره الا كل الذم في اقسى تفاسيره وكل تفاسيره • هل يمكن ان يكون في اي اسلوب من اساليب امتداحنا لاله او في اي موقف نمثدحه فيه او امام اية مواجهة او تجربة نمثدحه امامها وتحت املائها وايجائها ونعلن امامها او تحت املاءاتها وايجاءاتها حيننا له واعجابنا به •

نعم ، هل يمكن ان يكون في اي شيء من ذلك الا كل احتمالات بل كل حتميات ارادة الذم والهجاء والبغضاء والتعبير والتحقير والسخرية والرفض قد جاءت اي

ارادة ذلك بالاسلوب المناقض اي جاءت ارادة اقسى واقصى الذم والهجاء والجدود والتحدي والزندقة بارداً واحبث وانذل اساليب الايمان والحب والافتناع والصلاة والطاعة . ما اوقع ان تمتدح بالسخاء او بالرحمة غمامة مستلقية في السماء وتحتها مروج تموت ظلماً . ما اوقع ان تمتدح الاله بالحب او بالحياء وانت ترى او تسمع دمة او انة او صرخة يطلقها مريض او مقهور او مهان او جائع أو حزين أو مطارذ بالعمار
اجل ، لقد آمنا بالاله بالصيغة التي تصورناها وزعمناها له لكي نفرغ فيه ونطلق عليه كل موهبتنا في العدوان والخبث والبغضاء واللؤم والحقد بكل الشمول والقسوة للذين يتكافأان مع موهبتنا هذه ، لكي نصب عليه وفيه كل افرزاتنا اللثيمة القبيحة
اذن نعتذر الى موهبة الذكاء فينا . فان ذكاءنا لم يهبط ولن يقبل ان يهبط الى ان نؤمن بالاله اعجابا به وحبا له لا لكي نعاقبه ونعتدي عليه ، لا لكي نجعله يمتص من انفسنا واخلقنا وحياتنا كل ادائها وعرقها وعدوانيتها

نعم ، لقد آمنا بالاله لكي نصب عليه ونفرغ فيه كل عداوتنا وحقدا وخبثنا وبغضائنا والامنا وهجائنا بحجة الايمان والاحترام والحب والتمجيد والتعظيم والشكر والصلاة له ، اي ياسلوب من يفعل له ذلك اذن نعتذر اليك يا اخلاقنا او اعتذري انت الينا فقد هبطت بنا او هبطنا بك بلا قرار وان كان ذلك تحت اقسى اضطرار
هل يوجد ساخر من الاله وماج مهين معير محقر له مثل مريض مشوه ضال مصاب بقصر القامة وصغر الهامة حينما يذهب بتضرع وبكاء يطلب منه ان يهبه الشفاء والجمال والهداية وان يهب قامته الطول وهامته الضخامة وهو يعلم انه هو الذي فعل به كل ذلك ، فعله به بتدبير وتخطيط واصرار وبحكمة ومنطق ايضا ؟

هل سمعت ايها الاله من فعلت به ذلك يطلب منك انقاذه ؟ هل رثيت لنفسك او له وانت تسمعه ؟ هل حمدت اذنك ؟

أليس الذي يفعل ذلك هو اكثر استهزاء وقبحا وسفها وبلادة وسخفا وغواية من انسان تنقل اليه ذبابة او بعوضة او اية حشرة اخرى جرثومة وباء فيصاب بالوباء فيذهب يتضرع الى تلك الذبابة او البعوضة او الحشرة طالبا اليها ان تهبه الشفاء من نفس الداء الذي نقلت اليه بل ومن كل داء اخر ؟ هل سمعت من يتضرع الى مثل هذه الذبابة او البعوضة ؟ لقد سمعته كثيرا لانك قد سمعت من يتضرع الى الاله لينقذه مما اصابه هو به

ان الذي يطلب من الحشرة ان تشفيه مما اصابته به لافضل من الذي يطلب من الاله ان يشفيه مما اصابه به لان الحشرة تصيب بلا تدبير او تخطيط او منطق او اصرار اذن فلا مانع ان تفعل نقيض ما فعلت متراجعة عن الالرد الى الافضل .
اما الاله فقد اصاب بما اصاب به بتدبير و ارادة وحكمة ومنطق وتفكير ومحاسبة ومحاكمة للموقف كله فكيف يرجع عنه ، كيف يشفي مما اصاب به ؟ كيف يهسدم ما شيده بعلم ومن ووعي وبحسابات مدروسة ومعلومة لا يمكن ان نخطئ ، او ان يوجد

ما هو اذكى او ادق او اصدق منها في حساباتها - نعم ، كيف يهدم بناء شيده بهذا الاسلوب وتحت هذه الحسابات لانه قد طلب منه ان يهدمه ؟ أليس الذي يطلب منه ان يهدم مثل هذا البناء هو اقبح هاج متهم له ؟

الليست مطالبتك بان تهدم ما صنعت هي مطالبة لك بان تهدم نفسك ؟ أليس ذلك اذلالا وهجاء لك ؟

اذن أليس المريض او المشوه او المصاب او الضال الذي يطلب من الاله ان ينقذه من ذلك هو اقبح هاج متهم له اي اذا كان يؤمن بان الاله هو الذي اصابه بذلك وهو الذي يحكم هذا الكون ويديره ويريدده ويصوغه ؟ أليس الذي يقول يا الهي اشفني مما اصبتني به هو كالذي يقول : يا الهي اقطع يديك اللتين صاغتا عذابي وآفتي ؟

ان كلمة « رحيم » موصوفا بها الاله لن تكون الا استهزاء فظيما . ان كلمة رحيم موصوفا بها الاله لا وقع من كلمة « نظيف » موصوفا بها الذباب والصرصار . . .

كيف يمكن ان تكون المواجهة بين عيني الاله واذنيه حينما يسمع باذنيه او حينما تسمع اذناه من يصفونه بالرحمة ، بكل الرحمة ، ثم يرى بعينيه او ثم ترى عيناه الالام الوحشية الشاملة التي يوقعها بتدبير وتعمد واصرار بمن يصفونه بهذه الرحمة ، بل التي يوقعها بكل احد وبكل شيء ؟

كيف امكن ان يوجد اي تعايش او تجاور بين عيني الاله واذنيه ؟

كيف امكن ان يخدع او يتقبل او يرضى او يفرح اي الاله حينما يسمع من يصفونه بنقيض ما يفعل ونقيض ما يرى ونقيض ما يحدث بل ونقيض ما يريد ويدبر - بنقيض ما يصيبهم به وبنقيض ما يدبر ويريد لهم ؟

كيف يصدق انهم حتما يمدحونه ويشكرونه ويحبونه ؟ كيف لم يفكر او يظن او يوقن ان في الامر خدعة ، وانه امتداح لا يمكن ان يعني به الامتداح ؟

وإذا كان يفترض ان امتداحه امتداح وليس استهزاء فظيما فكيف يتقبل القتال امتداح المقتول له ؟ كيف ؟

اذن هو احتمال جيد اننا لم نؤمن بالاله الا بنيات شريرة عدوانية اي لكي نصدق عليه كل شحناتنا الخبيثة محولة الى شتائم واتهامات واستهزاء وهجاء ولكن باساليب ولغات الامتداح والثناء والحب والشكر والصلوات . . .

انه الذم باسلوب المدح او بحجة المدح وبادعاء المدح وهو اوضح اخلاق الذم . انه لا يوجد كائن يوجه كل اساليب ولغات وتقاسير ونيات الذم باساليب ولغات ودعاوي كل المدح مثل الاله . انه اذن لا اجد يقسى عليه مثلما يقسى على الاله في صياغة الذم له وفيه وفي اساليب ذمه واساليب توجيه الذم اليه وفي الظروف التي يوجه فيها هذا الذم اليه وفي التقاسير التي يفسر بها هذا الذم . . .

انه لا يوجد ولم يوجد مدح او شكر او اعجاب او حب يعنى به او يجب ان يعنى به اقسى الذم والجحود والاشمئزاز والبغضاء مثل امتداح الاله وشكره وحبه ومثل الاعجاب به . انه اذن لا يوجد ولم يوجد مستهزأ به مكذوب عليه مثل الاله . . . ولكن هل عرفنا او هل يمكن ان نعرف اننا لم نؤمن بالاله الا تحت املاء هذه اللبيمة الشريرة العدوانية - نية البصق عليه ، نية ان نبصق عليه كل شحاناتنا غير النظيفة او الكريمة او الثمينة ؟

هل عرفنا اننا لم نؤمن بهذا الاله الا لكي يكون مبصوقا عليه ولكي نكون نحن الباصقين ، او هل عرف ذلك انبيأؤه ودعااته الذين يجيئون لكي يقاتلونا ويلعنونا ويهددونا ويوعدوننا اذا لم نؤمن به ، اي اذا لم نبصق عليه كل شحاناتنا البذيئة اللبيلة ؟ هل عرف اكبر الدعاة الى الاله ان دعوتهم لا تعني الا الدعوة الى ان يستفرغ الناس كل شحاناتهم اللبيلة البذيئة هذه على الاله وباسمه ؟

هل عرفنا او عرف هؤلاء الانبياء والدعاة الذين يجيئون لكي يمتصوا من انفسنا وحياتنا وتاريخنا كل العفن ليلقوا به على الاله الذي يزعمون او يحسبون انهم لم يجيئوا الا لكي يصنعوا له المجد والنظافة والكبرياء والمسرات . . . نعم هل عرفنا او عرف هؤلاء ذلك ؟

ولكن هل شيء جيد او مفيد او محتوم او مشروط ان نعرف ذلك ؟ او هل هو قاتل او مضعف او زاجر لحماقاتنا او لنزقنا او لانتضاحنا او لرغبتنا في ذلك ان نعرف او الا نعرف ؟ هل المعرفة بخطا الامتناع تمنع من الاقتناع او تمنع من ارادة او من ممارسة ما المعرفة ضده ؟ هل المعرفة شرط في ان نفعل او نكون او في ان نحيا ؟ هل اشتربت قلوبنا الا تخفق او اعضاؤنا الا تجوع وتشتهي وتتوقع وتتقضح الا بان تعرف ؟ بل هل اشتربت عقولنا بالآ تعرف الا بعد ان تعرف بان عليها ان تعرف او بانها مطالبة بان تعرف او بان من الخير لها او من التقوى والشهامة ان تعرف وبان ما تعرف هو الذي يجب عليها ان تعرف وكل ما يمكن ان يعرفه كل من يستطيع ان يعرف ؟

هل الذي يعرف يقتنع او يقدم اكثر او اقوى واذكى من الذي لا يعرف ؟ هل المعرفة شرط في اي شيء ؟ هل نحن لا نقنع ولا نتحمس ولا نرى ولا نعجب بل ولا نكره لو نحقد او نصر الا لاننا نعرف او بقدر ما نعرف ؟

وهل نحن لا نعرف الا لاننا نعرف ؟ وهل نعرف اكثر لاننا نعرف ام لاننا نجهل ؟ هل يموت حماسنا لاوهامنا وشهواتنا ورغباتنا ومصالحنا لو لم نعرف لماذا نجهن حماسا لها ؟ هل يموت حقدنا على الآخرين وغيرتنا منهم وحبنا لانفسنا اكثر من حبنا لهم ، او تموت اموأنا المتوجهة الى قوم آخرين ؟ . . .

نعم ، هل يموت شيء من هذا او حتى يضعف او يصاب بالاستحياء لو عرفنا اننا لا نعرف لماذا نحقد ونغار ونهوى ونحب انفسنا بكل هذا النزق والعدوانية ، او

لو عرفنا أننا يجب أن نكف عن ذلك ، وأن من الغباء واللؤم والنذالة والفجور والهجاء لانفسنا ولاربابنا ومذاهبنا وادياننا الان نكف عنه ؟

هل الذباب يهاجمنا بقدر ما يعرف بأن عليه ان يهاجمنا او بان من الانسانية او الاخلاقية ان يفعل بنا ذلك او من النافع له ، او الا بقدر ما يعرف كيف يهاجمنا وينتصر علينا ؟ وهل يكف عن مهاجمتنا لو عرف ان من النذالة ان يستمر في مهاجمتنا وان من الشهامة ان يتوقف عن ذلك ؟ او لو لم يعرف اذكي وافضل الاساليب لمهاجمتنا او لو لم يقتنع بشرعية مهاجمتنا ؟

هل عرفنا او عرفنا ان علينا ان نعرف الاسباب او المسوغات او الحوافز او الافكار التي جعلتنا نفتنح بما نحن به مقتنعون ، وجعلتنا نجرؤ على الجهر باقتناعنا هذا بل وعلى مباهاة ومبارزة ومقاتلة كل الاخرين باسمه ودفاعا عنه ؟

ولو عرفنا أننا لم نعرف هذه الاسباب والمسوغات والحوافز والافكار ولم نحاول معرفتها او محاسبتها فهل يمكن ان يصاب اقتناعنا هذا بالموت او بالوهن ؟ هل نحن نفتنح بقدر ما نفتنح ام بقدر ما نريد الاقتناع ونحتاج اليه ونلقنه ؟

اذن لو عرفنا أننا لم نؤمن بالاله الا تحت املاء ومشورة هذه الذية العدوانية فهل يمكن ان يضعف ايماننا هذا او ان تضعف رغبتنا العدوانية هذه او تضعف ممارستنا لها بكل هذه الفسوة والشمول والاعلانية ؟

هل يمكن ان نصاب حينئذ بالحياء والتهديب ونكف عن الايمان بهذا الاله المظلوم المهان ؟

هل الذي يصنع الايمان هو المنطق ام الاحتياج الى الايمان والممارسة ؟ وهل الذي يصنع الاقتناع بالمنطق هو المنطق وقوته ام الذي يصنع ذلك هو الاحتياج الى الشيء الذي لقتع ويقنع به المنطق ؟ هل الاقتناع عملية عقلية منطقية ام هو عملية اخلاقية ونفسية وعضوية واجتماعية وسلوكية ؟ هل اعضاؤنا اقدر على اقتناعنا ام عقولنا ؟ هل اي منطق يساوي قوته وصحته ام يساوي الاحتياج اليه واساليب تلقيته واملائه وظروف الاقتناع به وظروف مجيئه وتلقيته واملائه ؟

هل المنطق رؤية وتجربة ووجود ام شهوة وحاجة وتعليم وفرض ومجتمع وتاريخ وقبور ؟

هل المرئي يساوي نفس المرئي ام يساوي العيون التي تراه ؟ وهل العيون التي تراه تساوي نفس العيون ام تساوي الشهوات والاهواء والاحتياجات التي ترى بها ؟ وهل الشهوات والاهواء والاحتياجات تساوي نفسها ام تساوي ما يعقل او ما ينبغي او ما يتحول الى وقار واتزان لا الى افتضاح وعار ؟

هل الشهوات والاحتياجات والاهواء تكون كما يراد لها وكما يجب ان تكون ام تكون لانها هكذا تكون ؟

وهل الافتضاح والعار يساويان نفس الافتضاح والعار ام يساويان حكمنا عليهما، ولكن حكمنا عليهما ماذا يساوي ؟ ان حكمنا يساويانا . اذن نحن ماذا نساوي ؟ اننا نساوي مجيئنا . ومجيئنا ماذا يساوي ؟ انه يساوي الكون الذي جئنا منه وفيه . والكون ماذا يساوي ؟ انه السؤال الذي يجب الانتظار الى ان يجيء اي اله من آلهة القدماء لكي يجيب عليه . . .

**

ولكن هل تستطيع ان تتقبل هذا ؟ هل تتقبل اننا قد نؤمن بكائن لا وجود له ولا يمكن ان يوجد لكي نعتدي عليه ، اي لكي نفرز عليه آلامنا وخبثنا ؟ وهل يمكن ان يوجد ما يجعلك تعجز عن تقبل هذا او عن تقبل اي شيء ؟ هل وجدت او هل يمكن ان توجد حدود او حواجز او علامات تفصل بين ما يمكن تقبله وما لا يمكن تقبله ؟ هل تستطيع كل حضارات البشر وعبقرياتهم ان تصنع هذه الحدود والحواجز والعلامات او ان تعرفها ؟ ولو وجد من يريد ويستطيع ان يصنعها فعلى أي قياس او نموذج يصنعها ؟ وحينئذ لو صنعها من يصدقها او يقبل منه او يلتزم به ؟ ان جميع البشر لو تحولوا الى عباقرة في مواهبهم العقلية والى انبياء في تقواهم واخلاصهم وفي حدسهم الغيبي ثم تحولوا الى ندوة عالمية علمية لكي يعرفوا ويحددوا ما يستطيع الانسان بعقله وبارادته وقدرته وضميره واخلاقه وباقتناعه ان يقبله او يفعله او يرضاه وما لا يستطيع ان يقبله او يفعله او يرضاه اي بعقله وضميره وباخلاقه واقتناعه وبارادته وقدرته ، لما استطاعوا ان يتوصلوا الى هذه المعرفة ولا الى هذا التحديد . . . ان احتمالات الانسان العقلية والنفسية والاخلاقية والاعتقادية والعاطفية لا يمكن ان تضبط بأي حسابات مهما ضبقت جميع الاشياء بهذه الحسابات . ولو انهم اي جميع البشر استطاعوا بوسائلهم العلمية والفنية ان يعرفوا ما يستطيع ان يفعله ويتحملة ويقدر عليه قلب انسان ما او رثناه او كبده او اي عضو من اعضائه او غدة من غده لما استطاعوا ان يعرفوا ما يمكن ان يتقبله او يتحملة او يؤمن به او يعرفه او يستسيغه عقل ذلك الانسان او اخلاقه او ضميره او عقائده ، وكذلك اي انسان اخر . انه قد يمكن ان تعرف الاحتمالات الصحية لاي طفل يوم ولادته ولكن هل يمكن ان يعرف ان هذا الطفل لن يكون نبيا ولا قديسا ولا مؤمنا او انه لابد ان يكون ذلك ؟

انها لا توجد اية حراسة من اي نوع على افكار الانسان او على ضميره او على اخلاقه او على عقائده واقتناعاته ، متقبلة او رافضة ، مستطبعة او عاجزة ، مستحسنة او مقبحة . ان جميع العلماء والانبياء والمصلحين والمعلمين لا يستطيعون ان يصنعوا هذه الحراسة ولا ان يكونوها . انها لا توجد داخل هؤلاء الانبياء والمعلمين والعلماء ولا حولهم حراسة مهما حاولوا ان يصنعوا اشمل الحراسات . . .

وان البشر مهما تعلموا وعرفوا كل شيء فانهم لن يستطيعوا ان يعرفوا او يتعلموا ما يجوز او ما يجب ان تتقبله وتستطيعه وتستسيغه عقولهم او ضمائرهم او اخلاقهم او عقائدهم واقتناعاتهم ، وانه لن يوجد من يعلمونهم ذلك مهما وجد من يعلمونهم كل شيء ، وكذلك ما يجب او ما لا بد ان ترفضه وتكره وتعجز عنه عقولهم او ضمائرهم او اخلاقهم او عقائدهم او اقتناعاتهم او كرامتهم وشهامتهم وكبرياؤهم . ان موهبة التقبل والرفض ، الاستساغة والاستنكار ، الاحجام والاندماج ، الاعجاب والاشمئزاز بالفكر او الضمير او الاخلاق او العقائد او الاقتناعات ، ان هذه الموهبة ليست طاقة تحسب وتحدد كما تحسب وتحدد الطاقات . انها ليست كطاقة العين او الاذن او القلب او العضلة او اليد ، تستطيع ان ترى او تسمع او تحمل وترفع وتتحمل او لا تستطيع . ولكنها اي هذه الموهبة فوضى وضياح واطلاق بلا حسابات او مسوغات او قوانين مضبوطة او معروفة او مظنونة او محتملة ان اي معلم لاي شيء من ذلك لا يوجد من يعلمه ما يريد ان يتحول الى معلم له . . انه بلا معلم . . انهم ليسوا اقوى او اكبر الناس عقولا او اخلاقا او ضمائرهم هم اقدرهم على التقبل والاقتناع والاستساغة بالفكر او الضمير او الاخلاق او بالاقتناع للاشياء وللمواقف وللتفاسير وللدعاوي وللاستعراضات والدعايات المختلفة الموضوعات والجنسيات ، وللتنقل بينها وللاستعداد الدائم لهذا التنقل السريع الدائم الذي لا توجد له او حوله اية حراسة .

ان ذلك ليس كالعضلات والاعضاء والاجسام التي تجيء اقواها اقدرها على حمل ورفع الاثقال وعلى تحمل الضربات والمصادمات والتحديات والمبارزات اجل ، انها لا حدود ولا قوانين ولا ضوابط ولا علامات ولا نبوات لما يمكن ان تقبله او ترفضه عقولنا وعقائدها واخلاقنا وضمائرنا وشهامتنا وشرفنا وكبرياؤنا وذكاؤنا وتقوانا .

ثم كيف يمكن ان يكون شيئا شاذا او مستغربا او شيئا يصنع التساؤل والحوار ان تؤمن بكائن لا وجود له ولم نجد او نر او نعلم شيئا يجعل وجوده شيئا محتملا لكي نبصق عليه اي على ذلك الكائن الذي لا وجود له ، لكي نبصق عليه شحاناتنا الاليمة اللثيمة ، لكي نبصقها ، لثلا تحرقنا وتخفقنا وتعرقنا ، سبابا وبغضا واتهاما وتحقيرا وصراخا وبذاءات ونذالات ، نؤديها وكأننا انما تؤمن ونصلي ونحج ونقطر من كل تفاسير ونيات الخبث واللؤم والخسة وننشد السماء كل اناشيد التمجيد والصدافة .

- اجل ، كيف يكون ذلك شيئا شاذا او صانعا للتساؤل والحوار والحيرة او الاستغراب ونحن نفعل ذلك باشمل الاساليب واكثرها عالمية واعلانية ، بل ونحن نحول ذلك ، وهكذا كنا في كل تاريخنا نفعل ، نحوله الى طقوس وشعارات وعقائد دينية

ومذهبية ووطنية وقومية ، يكون الخارج عليها بل او الناقد او المحاور لها زنديقا
وشريرا وعدوا يجب الالقاء به الى الموت والجحيم ؟

لقد آمننا بان الشيطان والابالسة والقوى الغيبية الاخرى الرهيبة موجودة بل
ومألثة لكل الكون ولكل اماكننا وطرقنا وبيوتنا بل وانها داخل ذواتنا وملابسنا
وعيوننا وقلوبنا وسررنا تملؤها وتملؤها حتى ان غيرها ، الالهة والانبياء والملائكة
والقديسين وسائر المعلمين لا يجدون لهم فيها اي مكان . . . لقد آمننا بوجود هؤلاء الذين
لا توجد لهم ونحن نعرف مهما كان غباؤنا انهم لا وجود لهم . لقد آمننا بهم اي بوجودهم
لكي نفرغ عليهم وفيهم كل ما في ذواتنا وحياتنا وتاريخنا من احتشادات بذينة قبيحة
تبحث عن التفريغ والتصريف - لكي نفرغها عليهم وفيهم بأساليب سباب وبغضاء
وهطوات وتضرعات ومواعظ وخطب وتعليم ضدهم وتطاول ظالم عدواني عليهم ،
لنحولهم الى مظلومين ومعتدى عليهم بلا نموذج مع انهم في براءتهم وكرم اخلاقهم
ومصيرهم بلا نموذج . ان الشيطان واخوانه من الابالسة لم يدبروا او ينفذوا اية
تخبيعة او دعاية لكي نؤمن بهم ونتصورهم بكل هذه الشرور لكي نصب عليهم كل
اخطائنا ونذلاتنا وستائمنا بكل هذه الاساليب التي نمارسها ضدهم . لقد كان ايماننا
بهؤلاء الابرياء ظلما لا نموذج له لكائنات لا نموذج لها في براءتها وشهامتها .

واننا ايضا لنؤمن دائما باننا محاصرون ومحاطون باعداء لا اعداد لهم ولا مثيل
لرغبتهم في العدوان علينا كما لا مثيل لمشاعرهم العدوانية التأمرية المبغضة الحاقدة
نصرونا ، بل وان كل من حولنا او كل الاخرين اعداء ومبغضون ومحاربون لنا ومخطون
معتبرون متأمرين ضدنا . حتى الطبيعة انها لا تعمل الا لانها تكيد لنا وتحاربنا .

لقد آمننا هذا الايمان لكي نستطيع ان نستفرغ كل شخاتنا الرديئة القبيحة على
اعداءنا وخصومنا لا وجود لهم . . .

اننا لن نتصور لانفسنا اي مجد ولا اي تفسير حضاري او انساني بل او اخلاقي
او ديني . . . كما لن نعيش اية سعادة او شاعرية نفسية وقومية الا بقدر ما نجد او
نتصور لنا من اعداء متأمرين . . .

اننا لا بد ان نجد هؤلاء الاعداء والخصوم هابطين علينا من السماء متصدقة علينا
بهم النجوم والكائنات السماوية الطيبة ، والا وجب علينا ان نفترضهم افتراضا او
لخلقهم خلقا . انهم انقاد لنا . انهم قد يكونون نافعين ومنقذين ومريحين لنا اكثر من
والاصدقاء والانصار والمحبين . بل انهم قد يكونون اعظم نفعنا لنا وامجد وجودا وظيفيا
وفي حياتنا من جميع الانبياء والقديسين وسائر المعلمين المذهبيين والانسانيين . ان
وقية الانبياء والقديسين وسائر المعلمين ، ان كل قيمتهم ونفعهم لنا انهم يحرضوننا
على الايمان بوجود هؤلاء الاعداء والخصوم وعلى ان نستفرغ فوقهم كل شخاتنا
والبذينة . . .

وايضا السنا نصنع المناير والمحاريب والتعاليم واللغات والكتب المقدسة والانبياء والزعماء وكل المعلمين والواعظين لكي نستفرغ عليها وعليهم كل عفوناتنا وآلامنا بشتى الاساليب والتعبيرات ؟ ان جميع علاقاتنا بهؤلاء الانبياء والزعماء والمعلمين وبالمحاريب والمناير واللغات والكتب المقدسة ليست سوى اساليب استفراغية عليهم وعليها ..

وايضا السنا نصنع الابناء ونتخذ الاصدقاء وامثالهم لكي نعتدي عليهم كسل اساليب الاعتداء وبكل تفاسير العدوان وبياته ولغاته وارتجافاته - لكي نقذف عليهم ونفجر فيهم كل خزائننا النفسية والاخلاقية والتاريخية والبدوية الاليمة - لكي نقذفها عليهم ونقذفهم بها بشتى الاساليب وبكل الاساليب ، باسلوب الشكوى والحيي والالقاء بالاسرار، وايضا باسلوب الحوار ومحاسبة الاحداث والقضايا والاقدار والايام، وايضا باسلوب نقد المذاهب المخالفة والآخرين المخالفين وباسلوب لعنها ولعنهم . وايضا باسلوب الغضب للحق والحقائق وللاخلاق المهجورة المهانة المكذوب عليها والمكذوب بها ، وباسلوب الغيرة عليها والموت فداء لها ، وايضا باساليب اخرى كثيرة مختلفة . ان الاصدقاء وكل من هم في معناهم لهم من اجود الاساليب الاستفراغية التي هدتنا اليها موهبتنا العدوانية وضروراتنا الحمقاء البائسة .

هل يمكن ان نصادق انسانا او ان نبحت عن صديق لو لم نكن محتاجين ومريدين ان نلقي بآلامنا وهمومنا ومناعبنا ومخاوفنا وضياعنا وهزائمنا عليه وبين يديه بأية لغة وأي تعبير او بكل لغة وكل تعبير ؟ فالصداقة لا تكون الا عدوانا ولكنها في الاكثر عدوان متبادل ، عدوان منك وعدوان عليك . كذلك ايضا صناعة للابناء .. هل يمكن ان نفكر الصداقة بغير فعل الاعتداء او بغير تقبل الاعتداء ؟

ولكن هل كل عدوان تحاسبه او تحاكمه او ترفضه الاخلاق او المذاهب او الشهامة او الحب او الايمان ؟ بل ليست هذه كلها اساليب وصيغا مختلفة من اساليب العدوان وصيغه ؟ هل يمكن ان يكون الدين او الاخلاق او الحب او الشهامة او المذهب او اي سلوك او موقف جيد الا عدوانا ما باسلوب او تعبير ما ؟ لو اننا عرفنا تفاسير الصداقة وحواضرها فهل يمكن ان ننزل في الثناء عليها الكتب المقدسة كما فعلنا ؟

ولننظر الى هذا للتفسير او التقسيم او الى هذه الوظائف الجيدة المريحة لنا .. لننظر الى هذه الاتهامات او الدعاوى او الحقائق الفاجعة ..

الالهة والانبياء والمعلمون والزعماء وكل من هم في معناهم ، باسمهم وبتعاليمهم وتحريضاتهم وبجحة الدفاع عنهم والغضب لهم والايمان بهم نستفرغ آلامنا وعفوناتنا النفسية والاخلاقية واللغوية ، وايضا نستفرغها عليهم بشهية اكثر حماسة واصالة وشمولا وضجيجا . ولكن أليس هؤلاء يفعلون لنا وبنا وبجحة الدفاع عنا والعمل من اجلنا والحب لنا نفس الشيء وان كان باساليب اطفي واقتوى ؟

أما الشيطان واخوانه واقاربه وكل مجتمع الغائبين الغيبين الرهيب فاننا نستفرغ عليهم هذه الالام والعفونات . ولكن هؤلاء هم فوق كل حدود الشهامة والكرم والصفح . انهم لا يفعلون ولا يفنون ان يفعلوا بنا شيئا مما نفعله بهم .

أما المناير والمحاريب والكتب المقدسة واللغات والصدقات والاخوات وجميع ما في معناها من علاقات ولقاءات ، وكذلك المذاهب والقوميات والوطنيات وكل ما يعني معناها من تجمعات وانتماءات ، فاننا نستفرغ هذه الالام والعفونات من فوقها وبلغتها وبواسطتها ومن طريقها وبين يديها ، وايضا قد نستفرغها عليها بل حتما نعمل بها ذلك . آه لو استطنا ان نبصر ما فوق هذه المناير والمحاريب والصدقات واللغات والقوميات والمذاهب وكل هذه العلاقات والانتماءات من عفونات تتراكم وتتهاوى . اذن ما اعظم حظوظنا او ما اعظم عبقرياتنا وابتكاراتنا . لقد وجدنا او ابتكرنا الكائنات التي نستفرغ عليها آلامنا ووقاحتنا واولحنا ، ووجدنا او ابتكرنا الاماكن التي نستفرغ فيها ومن فوقها ذلك ، ووجدنا او ابتكرنا لغات واساليب استقرارنا لذلك ، ووجدنا او ابتكرنا المسوغات والاسباب والتشريعات التي نفسر ونحلل بها ذلك بل التي نجعل بها ذلك واجبا حضاريا او انسانيا او اخلاقيا او وطنيا او ثوريا او دينيا او منطقي او كل هذه المسوغات والمحللات والمفسرات والموجبات والواجبات . هل في حظوظنا او فنوننا او ابتكاراتنا في كل تاريخنا ما يساوي موهبتنا الاستفراغية ؟ كيف كان يمكن ان نتعامل مع انفسنا وعفوناتنا وخبائثنا هذه لو لم نجد او نبتكر هذه الكائنات والاماكن واللغات والاسباب والمسوغات والاسباب والتشريعات التي بها استطعنا ان نؤدي بها عملياتنا الاستفراغية هذه بكل هذه الروعة والبسالة والشمول والاعلانية بل وبكل هذا الافتضاح والتعري والوقاحة والجبن والعدوانية ؟ لماذا جننا محكوما علينا بالاستفراغ الجسدي والاستفراغ النفسي والاخلاقي واللغوي والديني والمذهبي ؟ لماذا جننا محكوما علينا بكل هذا التلوث والتلوين ؟

أيتها الالهة والانبياء والزعماء والمعلمون ، ايها الشيطان وجميع الابالسة . . ايتها الصدقات والاخوات وجميع العلاقات والتجمعات والانتماءات والقوميات والوطنيات والمذمبيات والاديان وجميع الاعتقادات . . ايتها المناير والمحاريب واللغات والكتب

القصة المنزلة . .

ايتها الصحافة والاقلام والفنون والبلاغات والثورات . .

يا كل هذه وكل هؤلاء ، كم انتم نبلاء واسخياء وفدائيون ، او كم انتم جبناء وانذال ومهينون ومحقرون وفاقدون لكل هموم وهمم واهتمامات الكرامة والرفض والتطهر اذ تقبلتم بكل هذا الصبر والاستسلام والصمت والطاعة ان تكونوا اهدافا ونفاسير ومناير ومحاريب وعروش واسواقا وتعابير واساليب وتسويغا وتشريعا وتحليلا ومنطقا ونبوات لكل المشحونين بكل القبائح والوقاحت والندالات والبداءات وبكل العفونات النفسية والاخلاقية واللغوية والتاريخية لكي يستفرغوا ويصبوا كل

شحناتهم الوبيلة البذيئة هذه باوتق واشمل الاساليب عليكم ومن فوقكم وبكم وبافواهم واخلاقتكم وتعاليمكم ولغاتكم واصواتكم وباسم الدفاع عنكم والغضب من اجلكم والحب لكم والشكوى اليكم والحوار معكم والتعلم منكم والصلاة بين ايديكم والتهاتف لكم - لكي يصبوا ويستفرغوا سبابا وطعنا وذما وتحقيرا وتشنيمًا وبغضا واتهاما وبذاءة وتوقحا وفحشا !!

ماذا لو أن اي نبي او زعيم او معلم او اله علم انه انما يجيء او يبتكر او يدعى الى المجيء او يفرض عليه المجيء لكي يكون هذا فقط اي لكي يكون عملا من اعمال هذا الاستفراغ ، اي ليكون ذاته او مكانه او منبره او لغته او منطقته او اسلوبه او ثوبه او اسمه او معلمه او مشرعه، وعلم ان المؤمنين به والهاثقين المستقبليين المتبعين المجددين المخلصين له والمقاتلين دونه او معه لا يريدون منه الا ان يكون ذلك ولا يفهمون له اي تفسير او اية وظيفة سوى هذا التفسير وهذه الوظيفة - لو علم اي اله او نبي او زعيم او معلم ان اي مؤمن به حينما يهتف له او ينصرع اليه انما يريد بذلك ان يستفرغ عليه آلامه واولحاله وجميع شحناته البذيئة . .

- نعم ، لو ان اي اله او نبي او معلم او زعيم علم ذلك هل يقبل حينئذ المجيء تحت اي ظرف او حافظ او نية من الظروف او الحوافز او النيات المختلفة والمتفاوتة القيم والتفاسير ؟ بل هل يمكن ان يقبل حينئذ الاعلان عن نفسه او الدعاية لها او التعريف بها او ان يعترف على نفسه بانها قد اصبحت لها او نبيا او زعيما او معلما ؟ ما أوقع وقاحة من جرؤ على أن يزعم لأول مرة انه قد اصبحت لها او نبيا او زعيما او معلما ؟ كيف وهب هذه الوقاحة ؟

ولكن هل يستطيع الالهة او الانبياء او الزعماء او المعلمون ان يعلموا ما لا يستطيع جهله او ان يرفضوا ما لا يستطيع تقبله او ان يقاسوا اية مقاساة من اي عار تقتل قسوة مقاساته كل احد حتى ابلد الحشرات وأصلها هوانا وتقبلا ؟ هل يوجد مثل هؤلاء تبلدا او توقحا ، عجزا عن الفهم او عجزا عن الشهامة والحياء ؟

ايها الزعماء والانبياء والالهة والمعلمون . . ارثي لذكائكم ان كنتم لا تستطيعون ان تعرفوا هذا ، وارثي لاختلاقتكم ولكبريائكم ان كنتم لا تجدون في هذا عارا بل كل العار ، او ان كنتم تجدون في وجودكم اي مجد او متعة او سعادة او عزاء . .

ارثي لكائنات كل مجدها واستمتاعها ونفعها ووظيفتها ان تتحول الى اجهزة وامكنة لكل انواع الاستفراغ . . اي ارثي للالهة والانبياء والزعماء والمعلمين . .

يا هؤلاء الالهة والانبياء والزعماء وسائر المعلمين ، ان كل مجدكم وجاهكم عنقنا وكل نفعكم لنا وكل تعاملنا معكم وكل ما نريده منكم ونجده فيكم - ان كل ذلكم في ان تتحولوا الى اجهزة والى اساليب ولغات وامكنة وتسويغ وتفسير ومنطق لكل عملياتنا الاستفراغية . وحقا لقد تحولتم الى كل هذا الذي اردناه واملناه بكل السخاء

والشهادة والاستجابة والنبيل بل وبكل ضروب الكفاءة . فهل تستطيعون ان تغضبوا او تفهموا او تتكروا ..

ان كل مزاياكم وعبقرياتكم في رؤيتنا وتفسيرنا لكم ، وكل ما نطلبه ونؤمله من ايماننا بكم ان نذهب بكل اصالتنا في الوقاحة والفحش نسب ونبغض ونعادي وننهم ونحقر وننفث كل حقنا وخبثنا وعدوانيتنا على كل سماء وارض واتجاه ، وعلى كل احد وكل شيء حتى عليكم انتم .

- ان نفعل كل ذلك بكل الجهر والاعلان والشمول والديمومة ، باسمكم وبتعاليمكم وتحريضاتكم ولغاتكم وفوق منابركم ومحاريبكم وبحجة الايمان بكم والحب والولاء والاخلاص لكم والدفاع عنكم ومقاتلة اعدائكم واندادكم ومنافسيكم على المجد وعلى قيادة التاريخ وخديعته وتلويته وعلى سوق البشر المخدوعين الطيعين الاغبياء ابدا الي الموت والخراب والعداوات والخاصمات والحروب وايضا بحجة مقاتلة ونبغض منافسيكم على الالهية والنبوة والزعامة وعلى كل اللوان ومعاني القيادة والسلطان .
اواه ما اطيب مذاق هذا واعظم سعادتنا به ..

ان كل ما رجونا من هباتكم لنا ان تتحولوا الى مشرعين ومحللين لكل شبحنا لكي نعبّر عنه بكل بذائتنا ، بكل مواهب الهمجية والعدوانية فينا . ان اعظم ما حللتم وسرعتم لنا هي العداوات والسفاهات والبذاءات والشتائم باسم الايمان بكم والحب لكم ، باسم الاخلاق والتقوى ..

انا هنا لنعترف لكم بذلك لاول مرة - بل ان هذا هو اول اعتراف نعترف به لانفسنا في هذه القضية . هل كنا في كل تاريخنا نجعل هذه الحقيقة ، نمارسها انفسنا واشمل واجهر ممارسة ومع هذا ظللنا نجعلها ؟ ام كنا نهاب الاعتراف بها لكم او لانفسنا خوفا عليكم وعلى انفسنا من العلم بها واستمساكا بسلوك او بكتمان حسينا الاستمساك به هو اول مراحل التهذيب ؟

والان هل نخشى عليكم ان تصدقوا هذا الاعتراف وان تصعقكم تفاسيره وان تسحب منكم كل اسراركم التي الحجي . عن نحسى بعد هذا الاعتراف على من جاءوا منكم ان يسافروا الى حيث لا يوجدون ، وعلى من لم يجيئوا منكم ان يغرقوا كل السفن الكونية ويعفروا كل الجياد التاريخية المعدة لنقلهم اليها ؟ هل نخشى حينئذ اغلاق كل الطرق التي تحيى بكم اليها ؟

آه . هل يستطيع البشر في اي تاريخ آت ان يغرقوا جميع السفن ويعفروا جميع الجياد التي تنقل اليهم انبياءهم وقادتهم وزعماءهم من اقصى غابات الكون وحشية وعدوانية وسفها ؟

انني لافزع ان اتصور كيف يمكن ان يجيء الالهة او الانبياء او الزعماء او المعلمون او كيف يمكن ان يقبلوا انفسهم او يواجهوها او ان يقرأوا عنها او يعرفوا او يظهرها للبعثون او ان يهتف لهم او ان يصعدوا فوق أي منبر أو أن ينسب اليهم أي كتاب أو

مذهب أو تعاليم أو أن يكون لهم اتباع أو رعايا أو مؤمنون أو أن يعرضوا في أي سوق أو يعلن عنهم تحت أي شعار أو قضية أو في أية معركة أو موقف .

– نعم ، اني لافزع واعجب بل واعجز ان اتصور ذلك أو شيئا منه لو استطاعوا أي الالهة والانبياء والزعماء والمعلمون ان يعلموا انه لا يوجد في هذا العالم • بل ولا في هذا الكون مكان أو كائنات يلقي عليه أو عليها ، فيه أو فيها ، باسمه أو باسمها من الاحوال والبذات والعاهات مثلما يلقي عليهم أي على الالهة والانبياء والزعماء والعلمين ومثلما يلقي فيهم وباسمهم • انه لشيء رهيب ان يحدثوا فيما يلقي ويتجمع فوق ذواتهم وضمائرهم واخلاقهم وتعاليمهم واسمائهم من ذلك أي من الاحوال والبذات والعاهات والعداوات المستفرغة •

انه ليجدو احيانا كان هذا الكون انما تحكمه وتضع فيه قوانينه وتفسيره واخلاقه ومنطقه قوة شريرة تتغذى وتتسع بالعار والقبائح والحقارات ، لهذا فانها أي هذه القوة الشريرة المفترضة تدع وتهمي جميع الظروف الجيدة المواتية التي تحرض العار والقبائح والحقارات على اللجئ والتكاثف والانتصار بل وعلى ان يكون لها كل الجد والتفوق والرسوخ ، كما انها أي هذه القوة الشريرة المفترضة تطارد بل تخنق جميع الظروف الاخرى الرافضة لاستنابات العار والقبائح والحقارات أو التي لا تنمو فيها بكل القوة والافتضاح والديمومة • ان كل شيء ليجدو وكان في داخله قوة رهيبه في قدرتها وشرورها تخطط لجعل كل شيء يعيش العار والقبح والفضيلة والبلادة والفضائح ••

لو لم تكن هذه القوة الشريرة المفترضة هي التي تدبر وتصوغ الكون وجميع الاشياء فما الذي اذن دبر هذا التدبير الهائل للقوي جدا لكي يظل الالهة والانبياء والزعماء والمعلمون عاجزين ابدًا عن معرفة هذه الحقيقة أي عن معرفة العلاقة بينهم وبين الجماهير المؤمنين بهم الصارخين لهم ، وعن معرفة الاسباب التي جعلتهم يطيعونهم ويسيروا وراءهم ويتعصبون لهم وعن معرفة التفاسير لهتافهم لهم وتضرعهم اليهم واستماعهم لما يقولون ويعلمون ، وحفظهم وقراءتهم وتفسيرهم لما ينزلون ويخلفون من آيات واناجيل واسفار والواح وكتب تعليمية ومذهبية وكتب اخرى •• وايضا لكي يظل الاتباع والمؤمنون عاجزين هذا العجز عن معرفة أي شيء من ذلك ، أي لكي يظل الجد والسلطان والانتصار الدائم للعار ولكل اللوان القبائح والحقارات • لقد منعت معرفة ذلك ليظل كل شيء ، كما تريد وتخطط هذه القوة الشريرة ••

أليس مظلونا أو محتوما جدا ان الالهة والانبياء والزعماء والمعلمين لا بد ان يرفضوا التقدم اليينا لو عرفوا ذلك فرارا من هذا العار وهذا الاستفراغ فوقهم مهما كان مستوى كبريائهم وتنظفهم ، وان يرفض ايضا الاتباع والمؤمنون ان يؤمنوا ويتبعوا أي ان يرفضوا ممارسة هذه العمليات الاستفراغية أو ان يفكروا في الرفض وان يهابوا ممارسة هذا الاستفراغ ، ولو حياء أو استقذارا أو تحت زجر الضمير أو عقابه أو

استمغزازه او خوفه او توقعا واحتماسا لاحتمال ان تكون هناك اية قوة غيبية تحاكم وتعاقب ، اي لو انهم اي الاتباع والمؤمنين عرفوا تفاسير ايمانهم وتفسير ما يفعلون اي تفاسير علاقاتهم بالالهة والانبياء والزعماء والمعلمين . وايضا قد يرفضون ذلك لو يهابونه استقباحا للاستفراغ الدائم . ليس الاستفراغ حتى على الالهة والانبياء والزعماء شيئا مؤذيا ومحقرا لفاعله ؟

لكن لقد دبرت هذه القوة الشريرة التي تحكم الكون وتصوغه وتضع له اخلاقه وتفسيره ونكاهه وكبريائه ، لقد دبرت بدهاء شرير ان يظل الجميع ، الارباب والعبيد يجهلون هذه الحقيقة لكي يظل الجميع يمارسون العار والفتنات والحقارات بكل الشهوة والاعجاب والشمول والاعلانية بلا توقف او تردد . . .

انه لن يوجد اي تفسير لما حدث ويحدث في هذه القضية بل وفي كل قضية لولا افتراض هذه القوة الشريرة . ولكن اي عزاء او مجد او سعادة او لذة او اية مصلحة لهذه القوة الشريرة المفترضة في ان يحدث هذا الذي يحدث ؟ ليس لفعل الشر ثم ما؟ انه لو لم يكن بد من ان يكون فوق هذا الكون كائن ما لكان اقرب التصورات لنموذجه ان يكون شريرا جدا وذكيا جدا . انه لصعب جدا ان يكون شريرا فقط او ذكيا فقط . كما انه صعب ايضا ان يفترض طيبا غيبيا او طيبا فقط او غيبيا فقط . أما افتراضه طيبا ذكيا فذاك هو اقصى نماذج الاستحالة . ولكن هذا الذي هو اقصى نماذج المستحيلات قد اصبح في احد اطوار التاريخ هو منطق كل العقول والحاربي ، كل المباقرة والزنادقة وكل التافهين والمؤمنين .

ان هذا الكون اذا افترض وحده بلا كائن اخر يدبره ويصوغه ويحكمه فلا بد من الافتراضه اي الكون وجودا مغلقا دون ان يكون خيرا او شريرا ودون ان يكون ذكيا او غيبيا . ولقد كان مذهلا ان يكون هناك اي افتراض غير هذا الافتراض في قضية الكون . لقد كان مذهلا ان يتقبل اي عقل في اي طور من التاريخ افتراض هذا الكون ليس وحده . . .

اما الكائن الذي فوقه - اي اذا افترض هذا الكائن او اذا كان موجودا حقا - فصعب جدا او مستحيل جدا ان يفترض نموذجه او ان يكون نموذجه كذلك اي لا خيرا ولا شريرا ، لا ذكيا ولا غيبيا . هل يمكن ان يكون اي مستحيل يساوي في استحالاته ان يفترض فوق هذا الوجود اي كائن مهما كان افتراض صيغه ونماذجه ؟

اما الذين آمنوا بان فوق هذا الوجود كائنا شاملا في كل تفاسيره وقواه وانه كائن خبير وذكي بلا حدود فهو لا الذين آمنوا هذا الايمان كما انهم لن يكونوا او يفترضوا عقلاء فانهم كذلك لن يكونوا مجانيين ولن يفترضوا كذلك . انهم بكل التفاسير للجنون وللماجنيين هم اقل جدا من مجانيين . ان اي مجنون لن يستطيع ان يتصور او ان يؤلف او يركب مثل هذا الجنون . ان كل الجنون ليس بكل هذا

المستوى من الجنون ٠٠ ان جنون من ليسوا مجانين هو احيانا اعلى مراحل الجنون
او اعلى من كل جنون ٠٠

« هذا الكون قد اراده وديره وخططه وأخرجه ويحكمه وينفذه ابر وأنبل واذكى
واقوى كائن ٠ وقد وجد اي هذا الكائن ان هذا الكون بكل صيغه وتفاسيره هو كل
الذكاء والرحمة والبر والنظام الذي يستطيعه ويعرفه ويتخيله ويتمناه مجدا لمجد
وفنا لفنه ٠٠ ان هذا الكائن لم يستطع ان يتصور او يتمنى او يعرف او يقدر ان
يصنع كونا اكثر جمالا او عدلا او رحمة او حبا او ذكاء او فنا من هذا الكون ٠٠ »
هذا المنطق لا يستطيع تأليفه او تصوره اي مجنون ٠٠

انه ليجدر بالخيال ان يذهب ليفترض ولو احيانا ان هناك شيئا ما ، شيئا غامضا
غموضا لا يساويه او يشبهه اي غموض ، وليفترض مرة اخرى ان هذا الشيء الغامض
هذا الغموض هو الذي استطاع ان يمتص من الانسان كل طاقته المنطقية والعقلية
بل والاخلاقية والانسانية بل وكل طاقاته الدينية والاعتقادية لكي يستطيع ان يجم
ويرى فوق هذا الكون مريدا مديرا مخططا مخرجا حاكما منقذا له هو اعلى نماذج
الذكاء والحب والرحمة والخير ٠٠ هل يمكن ان احدا قد قال مثل هذا القول او تقبل ان
يسمعه يقال من فوق اي منبر او في آيات اي كتاب منزل او في همسات اي خيال ؟
كيف لم يفكر العالم بكل هيئاته ومؤسساته ومؤتمراته في هذا الشيء الغامض
الذي امتص طاقة الانسان المنطقية في هذه القضية ، او كيف لم يفكر في احتمال
وجود او في افتراض وجود مثل هذا الشيء ؟ كيف يصاب كل العالم احيانا او دائما
امام بعض القضايا بغفلة لا يستطيع اي منطق ان يتصور كيف امكن ان يصاب بها ؟
هل هذا للشيء الغامض الذي امتص او الذي يجتفل انه قد امتص طاقة
الانسان هذه قد امتص منه اي من الانسان ايضا قدرته على ان يفكر في هذه القضية ،
في قضية الامتصاص هذه ؟ هل في هذا الكون كائنات خفية او متخفية طيبة او
شريرة تمارس احيانا او دائما لمصلحتها او لمصلحة الانسان عملية الامتصاص هذه
لطاقة الانسان المنطقية ؟

ان الانسان يتحرك بين حدين لا يوجد بعد يساوي البعد الذي بينهما ٠٠ ان
هذين الحدين هما قمة ذكائه وحضيض غبائه ٠ وهل يوجد في هذا الكون بعد كالبعد
الفاصل بين اعلى مستويات ذكاء الانسان وادنى مستويات غبائه ؟
او هل يوجد تناقض او تفاوت كالذي بين الانسان في كل ذكائه والانسان في
كل غبائه ؟

ان لذات الانسان طرفين : طرفا هو كل ما فيه من ذكاء ، وطرفا هو كل ما فيه
من غباء ٠ اذن هل يوجد كون يتنافس طوليه طول ذات الانسان ؟ ان جميع ذوات واجساد
كل هذا الكون ٠ لو حولت لتكون طولا واحدا لما استطاع طولها الواحد ان يكون في طول
ذات الانسان التي طرفاها قمة ذكائه وحضيض غبائه ٠٠

ولكن لماذا خصصنا بهذه الموهبة بكل هذا الكرم ، موهبة البغضاء والحدق والسباب والاتهام والبذاءة وموهبة العدوان النفسي والاخلاقي واللغوي بل والعدوان القومي والوطني والمذهبي والديني ؟ لماذا خصصنا بكل هذا الخبث في علاقاتنا ومعاملتنا مع كل شيء وكل احد حتى مع الاله نفسه ، وفي مشاعرنا واحاسيسنا نحو كل احد وكل شيء حتى نحو الاله نفسه ؟

هل خصصنا بهذه الموهبة العدوانية المشحونة بكل الخبث والشرور الحادة لاننا حرمننا من المواهب الانسانية الجيدة الاخرى . مواهب الحضارة والابداع والقوة والتفوق والعلم والذكاء .

هل جاءت هذه المواهب الرديئة تعويضا عن هذه المواهب الجيدة ، او منافسة ومزاحمة لها او اغتصابا لمكانها ، او رثاء لمن فقدوا المواهب العظيمة ، رثاء لهم من ان يعيشوا بلا مواهب لا جيدة ولا رديئة ، ام جاءت هذه المواهب الرديئة احتجاجا على فقد المواهب الجيدة وتأميلا في اثاره غضبها وغيرتها لعلها حينئذ تجيء ، او لكي تجيء تحت ضغوط الغيرة والغضب والمنافسة ؟

هل ارادت الطبيعة ان تجعل انفسنا مصنعا للدمامة لانها لم تستطع ان تجعلها مصنعا للجمال والعبقرية ؟

هل شيء من هذا يمكن ان يكون هو التفسير لتخصيصنا بقبح وبذاءة كينونتنا النفسية والاخلاقية واللغوية والعاطفية ؟

هل هذا يعني اننا لو كنا قد وهبنا المواهب الجيدة لما وهبنا هذه المواهب الخسيسة او لما ولدت وتخلقت فينا ، ويعني ايضا ان كل من فقدوا المواهب الجيدة فلا بد ان يعيشوا المواهب الرديئة الخسيسة بالاسلوب الذي نعيشها به ، وان كل من ملكوا المواهب الجيدة فلن يملكوا المواهب الرديئة ؟ هل الانسان لا بد ان يكون عبقرية ونبلا وتخلفا وخبثا ولن يكون عبقرية وخبثا او تخلفا ونبلا كما لن يكون شيئا واحدا فقط من ذلك ؟

هل هذا هو التفسير ؟ ام التفسير ان انواع المواهب منفصل بعضها عن بعض في مجيئها وتخلقها وفي اجتماعها وافتراقها وتفرقتها ؟

اليس ممكنا ان يجيء هذا النوع من المواهب مع مجيء النوع الاخر ومع فقدده وان يفقدا معا دون ان يكون أحدهما جاذبا ومحضرا للاخر أو طاردا له أو أن يكونا متواعدين على الا يجيء منهما أحد ؟

الليست الدمامة تجيء في صحبة الذكاء وأيضا في صحبة الغباء ، وكذا الجمال كون ان يكون أحد الشبيئين تعويضا عن الاخر أو احتجاجا على فقدده أو على مجيئه أو منافسة ومزاحمة له أو شوقا اليه أو هربا منه أو احتراما له أو انقازا له من الوحدة والتفرد الموحش ؟ هل توجد بين وحدات المزاي أو بين وحدات الرذائل أو بين وحدات المزاي ووحدات الرذائل صداقة أو صحبة أو تحالف على العايشة في ذات واحدة ؟

ليس بعض الناس أو بعض المجتمعات أو الشعوب أو الاجناس يوهب الخبث والندالة الروحية أو يصاب بذلك كما يصاب بعض الناس أو بعض الشعوب أو المجتمعات أو الاجناس بسواد الجلد أو باصفار اللون أو بقصر القامة وضالة التكوين أو بأي عيوب ذاتية وجسدية مثيرة وأليمة ؟ أليست الدمامة النفسية ، والاخلاقية واللغوية تجيء وتتوزع كما تجيء وتتوزع الدمامة الجسمية ؟

اذن أليس احتمالا جيدا جدا اننا قد خصصنا بهذا اللؤم الروحاني أو وهبنا ذلك كما وهبنا صفات اجسامنا والوانها وتخطيطاتها ، وكما وهبنا صفاتنا وظروفنا الاخرى وكما وهبت أرضنا عيوبها ومزاياها وفضائح نفلها أي دون أن يكون ذلك تعويضا أو تعبيرا عن شيء أو احتجاجا عليه أو مجاملة أو تحية أو استقبالا له أو فرحا وأعجابا به ؟

لعلنا فاقدون للجمال الروحي وللطهارة النفسية والاخلاقية واللغوية كما اننا فاقدون للموهبة الحضارية والابداعية ، أي فاقدون هذه وهذه ، ولسنا فاقدين هذه لاننا فاقدون لهذه .

••• ولعل الاخرين مالكون لهذه وهذه أو مالكون لهذه كما انهم مالكون لهذه ، وليسوا مالكين لهذه لانهم مالكون لهذه .

ولعله يوجد اخرون أيضا مالكون لهذه دون هذه ، مالكون للبراءة أو التقوى الروحية دون الموهبة الحضارية أو مالكون للموهبة الحضارية دون الجمال أو الصفاء أو النبيل الروحي أو التقوى الروحية . لعل ذلك كذلك بالمنطق والاسلوب الذي به يكون الانسان ذكي العقل دون أن يكون جميل الوجه ، أو جميل الوجه دون أن يكون ذكي العقل ، ولكن ، أليس من الصعب جدا بل ومن المخاطرة العقلية الاقتناع بأن العلاقات بين أنواع مواهب الانسان أو أنواع مواهب المجتمع أو بين مواهب المبدعة القوية وبين استجاباته أو صيغته أو مستوياته النفسية والاخلاقية واللغوية بل والدينية والمذهبية والقومية والوطنية .

– نعم ، أليس من الصعب جدا بل من المجازفة الفكرية الاقتناع أو الزعم بأن العلاقات بين هذه وهذه ليست متأثرة مؤثرة ؟ أليس من اخلاق المواهب الانسانية أن تهاجم وتناصر ، أن تهاجم نقيضا محاولة اضعافه أو طرده أو هزيمته ، وأن تناصر مثيلا محاولة تقويته وأجتذابه ؟ هل تكون موهبة بلا مقاومة ومناقضة وبلا مناصرة ؟

وسواء أكان التفسير هذا أو هذا أو اي شيء اخر ، أم كان التفسير لهذه القضية انه لا تفسير لها فان هنا حقيقة لا يجوز الاختلاف فيها. ولا عليها مهما وجد هذا الاختلاف بل مهما كانت هذه الحقيقة غير معروفة بل وغير مطروحة بل وغير معروف انها يمكن أن تكون معروفة أو مطروحة أو أنه ينبغي أو يجوز أن تكون معروفة أو حتى مطروحة أو معروضة أو مسؤولا عنها . .

هذه الحقيقة هي أننا موهوبون بسخاء وإصرار عدوانية نفسية وإخلاقية وتعبيرية قد تكون في بشاعتها وشمولها وحدتها أسلوبا قاسيا من التخصيص لنا حتى ليصعب أن يوجد منافسون أو مشابهون لنا في ذلك ، بل حتى لبيدو وكأنه من القسوة والتعجيز والاحراج للطبيعة أن تطالب أو تؤمل أن تكرر نموذجنا في هذه العدوانية . نعم ، أنه قد يكون من التكليف للطبيعة بما لا تستطيع أو بما لا يسعها أن تطالب بأن تصوغ نفوس أي قوم كما صاغت نفوسنا شائهة ومشوهة .

إن نفوسنا وضماثرنا وإخلاقنا ولغاتنا بل وتعاليمنا ومذاهبنا وأدياننا وكل نصوصنا وتفسيرنا وكل آياتنا وتراثنا ومنابرنا بل ومقابرنا ونقوش مقابرنا مشحونة بالعرفن ، بكل العفن وبالعرفن وحده . . . أن كل شيء تعايشه ويعايشها وتتعامل به ويتعامل بها لحكوم عليه بأن يتحول الى كل ألوان وجنسيات وتعبيرات العفن . أن كل شيء نؤمن به وندعيه ونحاز اليه ونتحول الى شعار له ويتحول الى شعار لنا ، أن كل شيء تعامله نفوسنا أو أخلاقنا أو لغاتنا أو يعاملها ، من الآلهة والمعتقدات والانبياء والمذاهب ، لا بد أن يصاب بكل ما في نفوسنا وأخلاقنا ولغاتنا من عفونة وعدوانية ، لا بد أن يتحول أي يتحول الانبياء والآلهة والأديان والمذاهب التي نؤمن بها وندعيها الى بغضاء وحقد وسباب واتهامات وتشنيع وبذاءة والى قبح شامل ضاج معبر . . .

إن علاقاتنا بأي شيء لن نتحول الا الى تشويه وتشويه . . . اننا قد نشوه الشيء الذي نحبه أكثر مما نشوه الشيء الذي نكرهه . . . أن أي نوع أو مستوى من الجمال أو الصفاء أو الحب أو البراءة أو من الصداقة والاحترام لا يستطيع أن ينبت في نفوسنا أو يراى اليها أو يتعامل معها أو يجرؤ على الاقتراب منها أو على مخاطبتها ومحاورتها . أنه لعنوان على انفسنا وتعذيب لها أن يحاول أي معنى من معاني الجمال أو النظافة أو الصفاء الدنو منها أو التحدث اليها . . .

اني لاشفق على الآلهة التي تعيش في نفوسنا أو التي نضعها أو نلقي بها في نفوسنا . وهل يوجد أردأ منها حظا ؟ هل يوجد أردأ مكانا من الآلهة أو الانبياء أو المذاهب أو التعاليم التي توجد في نفوسنا ؟ كم يمكن أن تقاسي وتواجه وتعايش من العفن والقبح هذه الآلهة والانبياء والمذاهب والتعاليم التي توجد في نفوسنا أو التي نزلها أو نزعها في نفوسنا ؟ هل يمكن أن يوجد شر منها مكانا وحظا ومواجهة ومعايشة ومقاساة ؟ أو هل يوجد أفظع منا عدوانا وإساءة حينما نحاول أن نضع في انفسنا لها أو نبيا أو مذهباً أو معتقداً أو ديناً ؟ هل يمكن تصور من يواجه ويقاسي من العفن والقبح مثل الاله أو النبي أو المذهب أو المعتقد أو الدين الذي نضعه في انفسنا ثم نتعامل به وعليه فوق منابرنا وفي أخلاقنا ولغاتنا ومشاعرنا وفي علاقاتنا مع الناس ومع الأشياء ومع انفسنا أيضا ؟ هل يوجد أردأ من الآلهة سكننا أو من يساويها في رداءة سكنها ؟ انها لا تسكن الا في النفوس الملوثة أو الجاهلة أو البدوية أو الغبية أو الضئيلة . . .

هل يوجد محقر معتدى عليه مثل القيم التي نضعها في ضمائرنا وفي إيماننا ولغاتنا ومحاربينا وفوق منابرنا وفي تعاملنا مع خصوماتنا وصدقاتنا ومع اعدائنا وحلفائنا ؟ هل يوجد من يستطيع ان يعتذر عنا اليك ايتها القيم التي يقع عليها تعاملنا .. التي تعاقب بتعاملنا بها ؟ اليست جميع القيم التي نتعامل بها تصبح نقيضا للقيم ؟

كيف لم يوجد قوم يملكون أي قدر من الشهامة أو من رفض العدوان والظلم لكسي يمنعوننا أو يحاولوا منعنا من الايمان بأية قيمة من القيم الانسانية أي من الايمان بأي اله أو نبي أو مذهب أو معتقد أو نظام أو باي انتماء ، اي لثلا نتعامل به ونعامله بنفوسنا أو باخلاقنا أو بلغاتنا أو بصدقاتنا وعدواتنا وتعاليمنا أو من فوق منابرنا ودخل محاربينا ، أي لثلا يلطخ بكل ما فينا من عفونة وقبح ؟ هل يعتدى على شيء مثلما يعتدى على أية قيمة نتعامل بها أو عليها باخلاقنا أو عقولنا أو ضمائرنا أو لغاتنا أو حتى بكتبتنا المقدسة ؟

هل يمكن أن يلطخ أي شيء بكل ألوان وجنسيات العفونة والقبح مثلما تلتطخ أية قيمة لانسانية تؤمن بها أو ندعيها أو نبحاز اليها أو نصادقها أو حتى نزعّم مصادقتها ؟ اليست الاشياء يساء اليها وتشوه أو تحترم وتجل بنوع الاعوية والاماكن التي توضع فيها ؟ تم اليست المذاهب والاديان والتعاليم والانبياء والالهة تمجد أو تحقر بالعقول والاخلاق والنفوس والالسنة التي تتعامل بها ؟

ان الشيء القبيح والذي يبدو شادا جدا اننا نجعم بين النقيضين الحاديين جدا .. نجعم بين موهبة الخبث وسوء الظن والشك والتوجس والتخوف والاتهام ونيات الذم والهجاء والغدر والافتناع بأننا لا نواجه الا الغدر حينما نواجه أو نعامل أي إنسان أو أي قوم أو مجتمّع - نعم ، نجعم بين كل هذا وبين موهبة الانخداع والغفلة والتصديق والتساقط في جميع الحفر والمصايد المفتوحة المكشوفة المرئية المتكررة الاسلوب والصورة والتفسير والنتيجة .

نجعم بين التكذيب بلا أية نية للتصديق بلا أية نية للتكذيب ..
نجعم بين الرؤية الحادة الضاجة لما لا تستطاع رؤيته بل لما ليس موجودا
وبين العجز الشامل المثير عن رؤية ما تراه كل العيون الاخرى .

اننا نرى حين لا يمكن أن يرى ولا نرى حين لا يمكن الا أن يرى ..
اننا نرى تحت اغطية كل الظلمات وما تحت كل اغطيتها ونعجز عن الرؤية تحت كل أشعة الشمس وما تحت كل أشعتها .
اننا نرى تحت كل أجنحة الظلام ما لا تستطاع رؤيته تحت كل عيون الشمس ، ونعجز عن أن نرى تحت كل عيون الشمس ما تستطيع العيون الاخرى رؤيته تحت كل أجنحة الظلمة ..
اننا نرى الشمس غائبة ولكننا لا نستطيع رؤيتها طالمة ..

اننا لا نرى أي شيء ، أكبر أو أجهر أي شيء بعيوننا أو عقولنا أو تفكيرنا أو بذكائنا أو بتجاربنا مهما رأينا كل شيء واصغر واخفى شيء وما ليس شيئا

بحقدنا وبغضنا وبسوء ظننا وبموهبتنا في الاتهام والعدوان والذم والخبث النفسي والاخلاقي . . . اننا نصدق بعقولنا وكان كل العبقرية في أن نكون مصدقين ، ونكذب بسلوكنا ونياتنا وكان كل التقوى والمجد والانتصار والشرف والنجاة في أن نكون كاذبيين . . .

اننا لا نرى أو نفهم أو نحاكم أو نفسر بعقولنا أو بعيوننا أو بتجاربنا بل بكرهنا وحقدنا وبضعفنا وخوفنا ونقائصنا وبعنوانيتنا الشاملة . اننا نصدق الكذب الاكاذيب وكل الاكاذيب بكل النشوة والسذاجة ونكذب أصدق الصدق وكل الصدق بكل الانغلاق والخبث والشراسة .

اننا مهما عايشنا الاخرين أو رأيناهم أو جربناهم أو صادقناهم أو حالفناهم فاننا لن نراهم أو نفهمهم أو نحبههم أو نصدقهم أو نصوغ أية تجربة واعية أو عادلة أو تقيية بريئة انسانية عنهم . . .

اننا مهما حذرنا أو خفنا من الاعداء أو من الاخرين أو من كل أحد حذرا أو خوفا نفسيا أو عدوانيا فاننا لن نحذرهم أو نخافهم حذرا أو خوفا عقليا أو منطقتيا . . . ان عقولنا وافكارنا لم تتعلم الخوف ، حتى انبياؤنا لم يكن في نبواتهم أن يعلموها هذا الخوف . . .

انه لاشد العقاب لاي انسان والعدوان عليه أن نضعه في تصوراتنا أو نياتنا أو معاملاتنا أو حساباتنا النفسية . . . اننا حينئذ لا بد أن نحوله الى نموذج بشع للدمامة والنذالة والفجور والعدوانية . لا بد أن نحوله الى أنقطع عاها بفهمنا ورؤيتنا وقراءتنا وتفسيرنا واتهامنا له وبتحدثنا عنه وباحساسنا به وضده . انه لشيء جيد جدا أن نخرج جميع اصدقائنا وجميع من نريد تكريمهم واحترامهم من جميع تصوراتنا ونياتنا ولغائنا وتذكرنا لهم وحديثنا عنهم لئلا نحولهم الى عار وتشوهات ، لئلا نغطي وجوههم بالعار والتشوهات .

اننا لن نستطيع أن نصوغ أو ننصور أي أحد أو شيء في انفسنا صياغة جميلة أو نظيفة أو عظيمة . . .

نحن عقليا ومنطقتيا مستسلمون دائما ، لا نريد ولا نستطيع أو ننوي أن نحمل أي سلاح ضد أي عدو ، ولا في أية معركة ، ولا تحت أي سبب أو تفسير . . . نحن لا نهاجم بل ولا ندافع، بل ولا نخاف أو نتوجس أو نشك أو نحذر أو نشيد الحصون أو الخنادق أو الخطوط الدفاعية . اننا لا نعرف العداوات أو الخصومات أو المؤامرات أو المكائد العقلية أو المنطقية . . . ان عقولنا وافكارنا ليس لها عضلات أو اعضاء تضرب أو تخيف أو تصارع ، تهدم أو تبني . ان أي عدو لم يعان من عضلاتنا العقلية .

اننا دائما مفتوحون ومباحون لكل الغزاة واللصوص والغادرين . . . ان كل غزاة عقولنا وافكارنا لن يرهبوا ، أو يقاسوا من احتمال هزيمتهم أو احتمال مقاومتنا .

أما نفسيا وانسانيا فاننا لا نستطيع كما لا نريد أن نسالم أو نهادن أو نصادق أو نحالف .

اننا دائما محاربون أي مهاجمون ، محاربون من جانب واحد . أي اننا دائما محاربون عدوانا ، أي محاربون لمن لا يمكن أن يصبحوا محاربين أو معادين لنا . . .
اننا أبدا معادون وكارهون ومتهمون ولاعنون ومتربصون ومهددون ورافضون لكل الوجوه والايدي والقلوب والنيات المصادقة المصادقة المصادقة المستقبلية المرعبة البريئة النظيفة المتسامحة الجميلة الذكية الواهبة . . .

اننا نفسيا لا نسالم ولا نصادق أحدا . أن كل الناس اعداء ، لا موهبة ولا نضال لهم الا معاداتنا والكيدهم لنا .

اننا نحمل السلاح أي نفسيا وانسانيا دائما . أننا لا نلقي بالسلاح ولا نغمده في أية لحظة ولا في أي موقف ولا أمام أي صديق أو حليف أو نصير . . .
وهل يمكن أن يكون الحليف أو النصير أو الصديق لنا إلا عدوا رهيبا شريرا متفكرا؟
اننا عقليا وفكريا مؤمنون بكل الدجالين والاعداء ، واتقون بهم بلا ريبة أو حذر أو شروط ، بلا أية معجزة أو كرامة يعرضونها أو يبصقونها وبلا أية عقابية أو قوة يرهبون بها وبلا أي ذكاء يخدعون أو يبتزنون به . اننا نهبهم أيماننا وثقتنا بلا ثمن . . .

أما نفسيا وانسانيا فاننا كافرون بكل القديسين والصديقين والاصدقاء والشهداء بلا أية عاطفة أو مراجعة أو محاسبة أو شهامة أو استحياء . . .
اننا لم نؤمن بانبيائنا ورجالنا المقدسين ونهبهم احترامنا الا لانهم جاءوا ساتميين وكارهين ومحقرين لكل العالم . . .

ان افكارنا لم تجرب حمل السلاح أو استعماله ، وأن ضمائرنا واخلاقنا لم تجرب الالتقاء بالسلاح أو الاعتماد له أو الشك في تقواه أو ذكائه أو مجده . . .
ان افكارنا لا تشك ولا تعادي بل ولا تخاف . أما أخلاقنا وضمائرنا فانها لا تصادق ولا تحب ولا تثق أو تطمئن أو تأمن . أنه لا نموذج لخبثنا النفسي والاخلاقي واللغوي . أما تفكيرنا فانه لا يصاب بهذا الخبث أية أصابة . . .

أن كثيرا من موافقا لتبدو وكأنها موافق فكرية أو عقلية أو جدلية ، واننا كذلك لنحدث كثيرا أو دائما عن موافقنا الفكرية والعقلية ، وعن خصوماتنا وعداواتنا وحروبنا الفكرية والعقلية والمذهبية وكذلك عن صداقاتنا ومحالفاتنا وانحيازاتنا التي ليست هي والتي لا يمكن أن تكون إلا فكرية وعقلية ومنطقية . . . هل يمكن أن نفترض أن أي موقف من موافقنا قد يكون غير فكري أو غير منطقي حتى شتمنا من مشوا فوق القمر وحقدنا عليهم بحجة انهم قد سرقوا منا ، من مقابر آبائنا القدرة على غزو القمر؟

ولكن كلا . أن جميع ذلك ليس الا مواقف نفسية . . .

ان عقولنا لا تفكر لتصنع مواقفنا النفسية أو لتقود تحركاتنا النفسية أو لتنفذ بها ، ولكن تحركاتنا النفسية هي التي تقود وتصنع مواقفنا وتحركاتنا النفسية . .
ان اعضاءنا ومجاعاتها هي التي تصوغ وتحرك حالاتنا النفسية محولة الى تعبيرات انسانية . .

ان افكارنا ليست موجودة لا فائدة ولا مقودة . حتى تحركاتنا النفسية واهواؤنا النفسية لا تستطيع ان تصنع لنا تفكيراً أو مواقف فكرية لان شيئاً ما أي لان أي شيء لا يستطيع ان يجعلنا نفكر أو يهبنا القدرة على أن نفكر ، أو الرغبة في ان نفكر .
ان الاهواء النفسية تجعل من يحمل تفكيراً يفكر ، ولكن من لا يحمل أي تفكير كيف يستطيع أي شيء أن يجعله يفكر ؟

ان نبواتنا وكتبنا المنزلة هي أشمل وأصدق واقسى النماذج لدمامتنا وعدوانيتنا النفسية والاخلاقية واللغوية . ان كتبنا الموحاة ونبواتنا لا مثيل لها أو لا شيء يتفوق عليها في حقدتها وبغضها وسبها وقسوتها واتهامها وعدوانها في رؤيتها لكل الناس ولكل الآخرين والمخالفين ، وفي تفسيرها لهم ، وفي حديثها عنهم ، وفي نياتها نحوهم ، وفي امانيتها وتوعدتها وتحقيرها لهم وتشنيعها عليهم ، وفي اوصافها وتصنيفها للذئاب والاهوال التي لا بد أن تنزل بهم وأن تكون هي كل مستقبلهم ومصيرهم وجزائهم . . شيء رهيب أن نتصور الدمامة والوحشية النفسية والاخلاقية التي كانت وراء نبواتنا ووراء كتبنا المنزلة ، التي صاغت وتصورت كل هذه العداوات والاحقاد والاهوال . .

أنه لن يكون زعماً ظالماً أو بعيداً لوزعم أن نبواتنا وكتبنا المقدسة لم تجيء أو تنزل الالهي تشتم وتكره وتحقر وتتهم وتعادي وتهدد وتقسو وتتحدث عن الاهوال والويلات المخدرة المعدة بكل الاناقة والحماس والنشوة لكل الخصوم والمخالفين والاعداء بل لكل الناس . ليس كل الناس في زعمها اعداء وخصوما ومخالفين ؟ أي شيء في النبوات العربية أو في الكتب المنزلة على العرب غير العداوة والسباب والبغض والاتهام والذم والتهديد واعداد العذاب وتصوره والتحدث عنه لكل احد ؟ لقد تصورت كتبنا ونبواتنا هذه لها لا يستطيع أي خيال سوى ان يتصور وحشيته وغيبرته وظموحه وانانيته ومطالبه واحتياجاته وغبه وشروطه لنفسه وكبرياءه . ما اوقع الخيال الذي استطاعت ان تتخلق وتعيش فيه كل هذه الصور والنماذج لمثل هذا الاله الذي لو وجد بكل هذه الصور والنماذج لما جرؤ ان ينظر الى نفسه في المرآة ولا ان تراه اية عين !!

لقد تصورته هذه الكتب والنبوات كذلك لكي يكون محالاً ارضاءه أو الاستجابة لكل مطالبه وامانيه ، ولكي يكون كذلك محالاً حبه أو الاعجاب به أو الفهم له أو الفهم عنه أو الاطمئنان اليه أو مصادقته أو الاشتهاء لصحبته أو القدرة على صحبته . . كن يقظاً وفاهما لنفسك . انك لم تحب أو تفهم أو تصادق الهك أو تطمئن اليه أو تشتمه صحبته أو صداقته مهما حسبت أنك فعلت كل ذلك

ولسن تستطيع وان تفعل . . . لقد تصورته بكل هذه الشروط والحدود والصفات لكي تجعل عصيانه محتوما وغصبه محتوما لكي يكون عقابه للجميع محتوما - عقابه الذي يعجز كل خيال سوي أو ذكي أو تقوي أو شهم أو رحيم أو متحضر عن تصويره . . . لانها أي هذه النبوات والكتب المنزلة هي التعبير الاقصى والاصدق عن موهبة القسوة والبغضاء والعوانية الشاملة . . .

هل توجد انهار أو اعاصير كونية تستطيع ان تصنع شيئا من التطهير لنفوسنا واخلاقنا ولغاتنا وعلاقاتنا او شيئا من الفيضان او الحركة او القوة او امن القدرة على التخطيط في عقولنا ؟ هل يوجد شيء يستطيع ان يصيب نفوسنا والسننتنا بشيء من التقوى والتدين ، ويصيب افكارنا ومعتقداتنا واقتناعاتنا بشيء من الفجور والتمرد والمعيان ؟؟ ان فجور الافكار والمعائد هو اتقى فجور .

**

نعم الانسان العربي كائن مصوت لا متكلم . انه لم يتكلم قط . انه في كل تاريخه ، بكل انبيائه وشعرائه وحكمائه وخطبائه وبكل شرائعه وتعاليمه وكتبه المنزلة ، وبكل صهييله وضجيجه وبكل بلاغته وفنون بديعه .
نعم ، ان الانسان العربي في كل تاريخه بكل ذلك لم يتكلم قط ، لقد كان في كل ذلك مصوتا لا متكلم . انه لم يقل كلمة واحدة منذ وجد . . . كيف؟ انها لدعوى رهيبه ، الانسان العربي لم يقل في كل تاريخه كلمة واحدة . هل توجد دعوى اكبر واعجب من هذه الدعوى ؟

نعم ، ولكن لا يزال هذا السؤال يطاردنا او نطارده :

ما هو التصويت الذي هو طور الانسان العربي ، وكيف يمكن ان يعرف ان هذا الكائن مصوت وليس متكلم . . . وقد تكرر هذا السؤال في الصفحات الماضية وتكررت محاولات الاجابة عليه . ومن المفروض ان الاجابة لم تكن حاسمة ، بل انها مهما كانت حاسمة وكافية لان تكون مقنعة فلا بد ان تظل وكأنها غير حاسمة وغير مقنعة لما في القضية او النظرية من كل معاني المفاجاة المذهلة بل الصادمة . . .

نعم ، ان مجرد عرض التساؤل : هل الانسان العربي مصوت فقط وليس متكلم ، نعم ، ان مجرد هذا التساؤل ليتحول الى اقصى الصدمات والمفاجآت . كيف ؟ كل هذا التراث والتاريخ والمجد من المناير والتعاليم والشرائع والكتب والنبوات والكتيب المنزلة والتخاطب مع الالهة ومع سكان النجوم ، في كل الماضي وكل الحاضر - كل هذا ليس شيء منه كلاما ؟

كيف لا يكون هذا القول او هذا الرأي هو اقصى المفاجآت والصدمات ، او كيف يمكن ان يكون الاقتناع به ، بل كيف يمكن ان يكون التحدث به او الاستماع اليه او طرحه كراي ، شيئا سهلا او شيئا مغفورا ؟؟

هل كان احد يتصور ان هذا الموضوع قد يصبح رأيا بل قد يصبح تساؤلا يوجد من يطرحه ؟

ان محاولة الاقتناع بهذا الرأي بل محاولة عرضه قد تكون غفلة تستحق كل الإزاء ، بل قد تكون مخاطرة لا وقار ولا نكاء فيها . . .

ولكن هل يمكن ان يكون هناك كائن واحد لا يعيش اي نوع من المخاطرة حتى ولو لم يعيش اي مستوى من مستويات الشجاعة ، او من لا يعيش كل انواع الغفلة مهما كان وقاره وحذره ومحاسباته لمواقفه ولنطقه ؟

ليس كل الناس يعيشون كل انواع المخاطرات والغفلات حتى اكثرهم جبنا ودما؟
ليست كل الكائنات كذلك ؟

ولاني عاجز عن تجنب هذه المخاطرة وهذه الغفلة ، ولاني مقتنع بهذه القضية او بهذه الدعوى فأني مدفوع الى طرحها كما اقتنعت بها والى محاولة الاقتناع بها . لماذا افعل ذلك ؟ لعلها حوافز التحدي او الرغبة في القتال والمبارزة والاثارة . . . اننا جميعا محكوم علينا بان نبارز ونتحدى ونقاتل بأسلوب ما وسلاح ما . . . لا بد ان نفعل ذلك مهما كنا بلا اية قضية وبلا اي امل في الانتصار . . . !

او لعله الغضب والاشمئزاز او لعله العجز عن الابتلاع والصمت ، او لعله الاحتياج الى التنفيس ، او لعلها قوة الاقتناع وشهوة الاقتناع ، او لعله البحث عن اهتمام الاخرين وعن جذب مشاعرهم الى الذات . او لعلها الرغبة في التحول الى صوت . . . الى طلقات مزعجة . . . او لعله الرفض للوقار والاستقرار والعيش في سلام . هل السلام الدائم الشامل مع كل شيء شيء مريح او مطلوب ؟ اليس ذلك خمولا وكآبة وتبعا ؟ اليس الخوف والتصادم ولو احيانا جما لانوشوة وتداوليا من الجمود والملل ؟

**

ليواجه العالم العربي احدى المواجهات الصعبة . . . هزيمة او فضيحة او ازمة او ورطة ما كبرى ، او احدى المشاكل التي لا يمكن الهرب منها ولا الصمت عنها . . . ثم لنستمع اليه في جميع اجهزته ، كيف يتحدث عنها اي عن هذه المواجهة الصعبة . . . كيف يفسرها ويفهمها ويفكر لها ويفكر بها ، وكيف يعالجها ويتوقعها ويشتمها ويهددها ويقف منها وفيها ، وكيف يخاطبها . . . كيف يصهل وبيزار وينبج عليها . كيف يشتم ويدعي ويتوعد ويتعالي .

كيف يتحول الى اعاصير من السباب والصراخ والدعاوى المفرغة من كل منطق ورؤية ونكاء ووقار . . .

ليصعد اي حاكم او زعيم عربي فوق اي منبر ليتحدث عن اي شيء ، عن الحب والصداقة والسلام او عن البغض والعداوة والحرب . . . عن الاديان او المذاهب والنظريات والنظم . . . عن الالهة والتاريخ او عن الانسان والحياة . . . عن النفس والاباء او عن

الاخرين .. ليتحدث عن كل شيء واعدوا او متوعدا .. مفسرا او مقررا ، قابلا مؤيدا او رافضا مناقضا ..

لنستمع الى اي شاعر او مفكر او فنان او معلم او كاتب او اديب او واعظ عربي ، او لنقرأ له ، يصوغ الكون صياغته النهائية الابدية الكاملة او يفسره او يراه او يقرؤه كذلك . أليس كل عربي يصوغ الكون ويصوغ كل شيء باسم الهه او نبيهه او باسم ابائه وتاريخه صياغة نهائية ابدية كاملة ؟

لنستمع الى اي كتاب عربي منزل والى اية نبوة عربية - لنستمع اليهما من فوق جميع المنابر ومن داخل جميع الحاريب ومن جميع الافواه يفسران ويعالجان ويفهمان ويشتمان ويهددان ويعدان ويتوعدان كل شيء وكل أحد ، ويخبران عن كل شيء، قد كان او لم يكن وكأنه قد كان ، وعن كل شيء، قد يكون او لا بد ان يكون او لن يكون وكأنه لا بد ان يكون ، بل وكأنه قد كان . كم هي عظيمة بطولة او بلاذة اذنيك ان استطاعتا الاستماع الى النبوة العربية او الى الكتاب المنزل على الموهبة العربية ..

لنستمع الى كل العرب قديما ومحدثين، الهة وانبياء وحكماء وشعراء وخطباء، قادة وجماهير ، جهالا ومتعلمين - لنستمع اليهم يخطبون وينشدون ويتحدثون ويعلمون ويأمرون ويفسرون ويفكرون ويوحون ويكتبون الايات والسور ويرتلونها ويتلونها ، ولنستمع اليهم ولنرهم ايضا يسمعون ويهتفون ويصلون ويؤمنون ويؤمرون ويطيعون ...

لنستمع الى كل العرب في كل نماذجهم ومراكزهم ومستوياتهم ومواقفهم ، في كل ماضيهم وحاضرهم بل ومستقبلهم في جميع مواجهاتهم ، امام جميع الاشياء والاحداث - لنستمع اليهم محدثين ومستمعين هاتفين معجبين مصفقين .. وهل تطيق الاستماع الى الانسان العربي او تطيق رؤيته هاتفيا معجبا مصليا لالهه او لنبيه او لحاكمه ؟

لنستمع اليهم في كل ماقالوه وانشدوه وكتبوه وعلموه لنعلم انهم منذ وجدوا لم يقولوا كلمة واحدة ، وان كل من استمعوا اليهم او قرأوا لهم او تعلموا منهم لم يسمعوا او يقرأوا او يتعلموا كلمة واحدة في كل تاريخهم ، وان كل من هتفوا او صفقوا لم يهتفوا او يصفقوا لكلمة لانهم لم يسمعوا او يقرأوا او يفهموا اية كلمة . مسكينة هي الاذان العربية . ماذا تسمع وماذا سمعت منذ ركبت في الانسان العربي اذانه ؟

ولكن أليست الاذان العربية عبقرية في صبرها وتحملاها ؟ هل قاسى شيء في هذا الكون مثلما قاست الاذان العربية ؟ هل تنازل شيء عن كرامته وشهامته وحياته وعن شرفه مثلما تنازلت عن ذلك اذان الانسان العربي ؟

كيف اطاعت وتطبق كل هذا الذي يصب فيها ؟ كيف تحملت في كل هذا التاريخ الطويل ان ترمى بكل هذه الاصوات المنطلقة والمسددة اليها من الكتب المنزلة العربية ، من الايات والسور المنزلة على الموهبة العربية . . المنطلقة المسددة اليها من النبوات العربية . . والموجهة المسددة اليها من المعلقات ، من كل الاشعار والروايات والاناشيد والتواريخ والمنابر والحناجر العربية في كل تاريخها الطويل الكئيب ؟

كيف امكن ان يتفجر فيها كل هذا كل هذا الزمن ؟ كيف لم ترفض او تمتلئ ، او تمت او تتمزق او تعجز عن الاستقبال والاحتواء والتعامل ؟

هل تطبق اذن كل الكون ولو تحول كله الى اذان ان تنفجر فيها فقط اصوات النبوات العربية او اصوات الايات والسور العربية . . الايات والسور المنزلة على العبقرية العربية ؟ هل يطبق الكون كله متحولا الى اذان تحمل الاهداءات والبذات التي تتحملها الاذان العربية مستقبلة لافواه النبوات والعبقریات العربية ؟

العلاقة بين نم النبي وآذان السُّوق

ولكن كيف ؟ هل الآذان العربية تقاسي وتتعذب في استماعها الى الاصوات العربية ؟ اليس محتوما أو محتملا انها تستمتع وتنتشي بذلك ؟ أليست العلاقة بين الآذان والافواه العربية علاقة مودة وتوافق وتناغم وليست علاقة تنافر أو تنابذ أو مخاصمة ؟ أليس الجوار بينهما جوار متحالفين متشابهين لا متعادين أو متباعدين ؟

هل الافواه او الاصوات او الآيات والصور العربية تهاجم الآذان العربية وتشامتها لم هي تنافقها وتتودد اليها وتبحث عن رضاها واعجابها بأساليب ونيات كلها تملق وحوان ؟ أليست الآذان العربية هي التي تصوغ وتعلم الافواه العربية وتضع لها أخلاقها ونكاهما ، أو هي تحاول ذلك ، أو هي في مكان من يفعل ذلك أو من يظن انه يفعل ذلك ؟ أليست الآذان تقول للافواه : اريد هذا وارفض هذا وحينئذ تصبح هي المعلمة للافواه الملية عليها الواضعة لها اخلاقها ومستواها ؟

هل الافواه العربية ، وكذا النبوات والآيات والصور العربية اي المنزلة على الموهبة العربية ، تعرض على الآذان العربية ما تريده وتشتهيه او ما تظن انها تريده وتشتهيه لم تعرض عليها ما يفضبها او ما ترفضه وتكرهه ؟

هل الافواه والنبوات العربية تعلم وتؤدب الآذان العربية أم تخادعها وتتملقها ؟ أليس موقف الافواه العربية من الآذان العربية هو دائما موقف المتاجر البائع المغازل الملقى بنفسه تحت الاقدام دون اية كرامة او وقار او استحياء ؟

أليست العلاقة بين الآذان والافواه العربية هي دائما علاقة بين فاسق ومفسوق به ، وان الفاسق هي الآذان العربية والمفسوق به هي الافواه العربية ؟

ان الآذان العربية موهوبة في قدرتها على الفسوق بمن يتعاملون معها .. أليست موهبة الفسوق في الآذان العربية هي التي فسقت بالآيات والصور والنبوات العربية حتى موت بأخلاقها وكرامتها وشرفها الى كل هذا الحضيض ؟ أليست الافواه والنبوات والآيات والصور العربية هي دائما المهانة المعتدى عليها ، والآذان العربية هي المعتدية المهينة ؟

أليس الذي يهتف لك حينما تكذب وتسقط محرصا لك على أن تكذب وتسقط ، لئن أليس معتديا عليك ؟

ليست الأذان العربية تشترط على الأفواه العربية ان تكون بلا ذكاء ولا صدق ولا اخلاق ولا موهبة ، بل تشترط عليها ان تكون خروجا على الذكاء والصدق والاخلاق والموهبة بل ورفضاً ومعاداة لها ؟ أليس تعامل الأفواه العربية مع الأذان العربية كتعامل الشاعر العربي المداح مع السلطان العربي المدحوح ؟ أليس الفم العربي شاعرا والاذن العربية سلطانا عربيا ؟

هل يوجد خارج على كل القيم بكل حدودها ومستوياتها بل محرض على هذا الخروج بل وأمر ملزم به مثل الأذان العربية ؟ نعم ، أليست الأذان العربية قد افسدت ذكاء و اخلاق الالهة والنبوات العربية لانها قد فرضت عليها ان تجيء على مقاساتها فقط ؟

ماذا لو ان الأذان العربية قد جاءت او صيغت بنماذج اخلاقية وعقلية افضل ؟ هل كان محتملا حينئذ ان تجيء الأفواه العربية كما جاءت ، ان تجيء الايات والسور والنبوات العربية كما جاءت ، أو أن يجيء أي شيء من التراث العربي كما جاء ؟ ألم يكن من المحتوم حينئذ ان يصاغ جميع التراث العربي ؟ تراث الالهة العرب وتراث انبيائهم وتراث جميع جماعاتهم وآحادهم بكل انتماءاتهم صياغة ملائمة لصياغة اذانهم اي صياغة افضل ، اتقى وأذكى واصدق واعظم في كل شيء ؟ أليست موهبة الأذان العربية هي التي صاغت موهبة افواه الالهة والنبوات العربية ؟ أليست الالهة والنبوات والايات والسور العربية اي المنزلة على العرب انما جاءت في هذه المستويات الحزينة أو صيغت هذه الصياغات الاليمة في ذكائها ، وكبرياتها وفي جميع مواهبها و اخلاقها لانها كانت تخاطب وتساوم بتملق الأذان العربية ؟ ألم تكن تناضل وتناضل لكي تكون صغيرة ، صغيرة ، اي لكي تجيء على مقاسات الأذان العربية ؟

اذن هل يوجد مذنب او مفسد مثل الأذان العربية التي افسدت كل شيء حتى الالهة وانبياء العرب ؟

ثم ماذا لو ان اذان العرب اليوم سحبت منهم ووضعت لهم مكانها اذان اخرى لها شروط و اخلاق ومواهب اخرى اكبر واصعب - او لو ان اذانهم الحاضرة فرغت من نفسها وألفت تأليفا جديدا فيه رفض واشتراط وذكاء وكبرياء ؟ أليست افواههم حينئذ لا بد ان تقع في ورطة يصعب الخروج او التداوي منها ؟ مع من حينئذ تتعامل افواههم ؟ هل تجد اذانا اخرى لها موهبة الأذان العربية لكي تتعامل معها وتصب نفسها فيها ؟ هل يحتمل ان توجد الأذان العربية أو أن يوجد نموذجا مرة اخرى ؟ أليست صيغة الأذان العربية معجزة لا تتكرر ؟

أليس الاله الذي صاغ الأذان العربية الها لن يجيء الا مرة واحدة ؟ وكيف استطاع المجيء هذه المرة الواحدة ؟

اذن ماذا يمكن ان تصنع الأفواه العربية حينئذ ؟

هل تتوقف عن العمل لانها لا تجد اذانها الملائمة ؟ هل تستطيع التوقف ؟
او هل تصر على ان تعمل مع اذان رافضة مناقضة لا امل في ان ترضى او تتقبل
او تسكت او تهادن ، هل تجرؤ على أن تلقي بنفسها فوق وبين اعداء وازداد لمن
يغفروا لها شيئاً من قبها أو من هبوط مستوياتها ، فوق وبين اعداء وازداد لا بد ان
يرموها بكل قسوة الاشتمزاز والاستقباح والغضب ؟ ما اعجب هذه الصورة أو هذا
التصور : الافواه العربية لا تجد اذانا تأذن لها بأن تصب فيها أحوالها .

هل يوجد من يستطيع ان يعمل ويستمر يعمل مع من يرفضونه ويناقضونه رفضاً
ومناقضة شاملين ؟ هل توجد ورطة اقسى من ورطة من لم يجد اذانا ملائمة ليستفرغ
قوتها فمه ؟ هل يوجد من لا يحتاجون الى استفراغ افواههم ؟ هل النبوة الا استفراغ
مم ؟

هل تستطيع الافواه العربية التعامل مع اذان ليست عربية ، او ان تستطيع الاذان
التي هي ليست عربية التعامل مع الافواه العربية ؟
هل تجرؤ هذه او تقبل تلك ان يكون هذا التعامل بينهما مهما كان وقاحة تلك
وتواضع الاخرى ؟

نعم ، كيف يمكن ان تتصرف حينئذ الافواه العربية اي لو انها واجهت الورطة
التي ذكرت في السطور السابقة ؟ هل تحاول حينئذ اي الافواه العربية ان تصوغ
نفسها صياغة جديدة افضل لتكون في مستوى الاذان الجديدة التي لا بد ان تتعامل
معها لانها لن تجد سواها ، لن تجد اقل منها في ذكائها واخلاقها وشروطها ؟ وهل
تستطيع ان تفعل ذلك لو حاولته ؟ هل تستطيع الافواه العربية ان تكون شيئاً افضل
واقوى لو حاولت ذلك او مهما حاولت ذلك ؟ هل يستطيع الشيء ، اي شيء او اي
أحد ان يكون اكبر أو أعظم أو أعلى من نفسه أو من قدرته أو من موهبته أو من
احتمالاته لو حاول ان يكون ذلك او مهما حاول ان يكونه ؟ هل عيب الشيء الرديء
أو الضعيف في قدرته وموهبته ام في ارادته ومحاولته ؟

هل الغبي غبي لانه لم يستطع ان يكون ذكيا ام لانه لم يرد او يعرف او يحاول
ان يكون ذلك ؟

والارادة والمحاولة الرديئتان او الضعيفتان من صانع ذنبهما او رداءتهما او
ضمفهما ؟ ومن الذي يستطيع ان يصنع جودتهما وقوتهما ؟ من اين تجيء الارادة
والمحاولة الضعيفتان او الرديئتان ؟ ولماذا يختاران هذا الكائن دون الكائن الاخر ؟

لماذا لا يحاول الشيء الضعيف او الرديء الذي تعيش فيه ساكنة صامته القوة
والجودة ان يكون قويا وجيدا كما حاول القوي الجيد ان يكون قويا وجيدا حتى كان
ذلك ؟ اليس المحاولة والارادة القويتان الجيدتان هما للتعبيرين او التفسيرين للقدرة
والموهبة ، او اليسا جزءا منهما ؟

هل يمكن ان يكون كائن ما مخزنا للقدرة وللموهبة ، او ان يكون قادرا وموهوبا ثم لا يريد ولا يحاول بقدرة وموهبة ؟ أليس فقد الارادة والمحاولة أو ضعفهما فقدتا للقدرة وللموهبة أو ضعفا فيهما اي في القدرة والموهبة ؟

أليست الارادات والمحاولات منها الموهوبة وغير الموهوبة كالعضلات والعقول منها القوي والضعيف ؟

ولكن أليس هذا التفسير للعلاقة بين الافواه والاذان فيه الكثير من الظلم للاذان والمحابة للافواه ؟ اليس العدل ان يحكم على الافواه بما حكم به على الاذان ، وان يحكم للاذان بما حكم به للافواه ، وان توصف هذه بما وصفت به هذه ؟ أليست الافواه هي المعتدية بكل معاني واساليب الاعتداء على الاذان وليس العكس ، او أليست هذه اكثر اعتداء على تلك ، اي نقيض ما ذكر وزعم في التفاسير السابقة للعلاقات بينهما ؟

أليست الافواه هي التي تبدأ العلاقات بينها وبين الاذان ؟ أي أليست هي التي تبدأ الهجوم ؟ أليس العدوان بدءا ؟ هل الذي لا يبدأ أو الذي يقع عليه البدء يكون معتديا ؟ هل حدث أو هل يمكن ان يحدث هذا اي ان تكون الاذان هي التي تبدأ الاتصال بالافواه أو حتى ان تعرض عليها هذا الاتصال أو ان تعرضها عليه أو ان تفسر لها مزاياه ؟

أليست الاذان تظل صامتا وبريئة وعفيفة قديسة ، لا تفعل شيئا ولا تطالب بشيء ولا تقترح أو تشتترط أو تعرف شيئا حتى تهاجم وتغزى دون ان تفعل أو تقول بل أو تعتقد شيئا يثير أو يفضب أو يخيف أو حتى يؤدي مهاجميها وغزاتها ؟ أليست اي الاذان مكانا فقط ، مكانا مهذبا متواضعا كريما نبيلنا يظل من كرمه ونبله مفتوح الابواب امام كل المهاجمين ؟ ولانه كذلك يأتي جميع اللصوص والمحتالين والغزاة والسفهاء والموثين وجميع الضالين والمهرجين والمتوقحين ليقنحموه ويحتلوه ويسقطوا فيه وعليه كل ذنوبهم واولحالمهم واكاذيبهم وحمقاتهم وعاهاتهم والامهم وخصوماتهم واحقادهم وغبواتهم ، متعاقبين متجمعيين متزاحمين متنافسين متقاتلين ، دون ان يرد احدا منهم أو يضع اية حراسة على حدوده أو على ابوابه أو على اية نافذة من نوافذه . انهم يهجمون عليه جميعا جماعات واحادا دون ان يستأذنوه أو يسألوه أو حتى يخبروه أو يفهموا شيئا من رغبته أو مصلحته .

هل يوجد شيء أو مكان أو هدف مفتوح ومباح لجميع الغزاة والمهاجمين بكل نياتهم ومستوياتهم وجنسياتهم دون اي دفاع ودون ان يفعل أو يقول أو يعتقد ما يثير أو يحرص الغزاة والمهاجمين عليه ، مثل الاذان ؟ هل يوجد غزو بكل هذه القسوة والظلم والشمول والوقاحة مثل غزو الافواه للاذان ؟

اجل ، هل وجد أو يمكن ان يوجد من يفعل به كل احد كل شيء دون ان يفعل هو باحد اي شيء مثل الاذان ! أو غير الاذان ؟ هل يوجد صامت مستقبل مرحب مهذب

متواضع مجامل مظلوم مثلها ؟ هل يوجد صمت وتهذيب وتواضع واستسلام ملوم ومنكر ومهان مثل صمت وتهذيب وتواضع واستسلام الاذان لكل من يهاجمونها ويبيصقون عليها ؟

ان الاذان لا تصوغ غزاتها اية صياغة . انها لا تصوغ شيئاً من اخلاقهم او ذكائهم او نظافتهم او مذاهبهم وافكارهم او من اهوائهم وتشوהاتهم . . . وانها لا تعلمهم او تختار لهم شيئاً من ذلك او تحرضهم عليه . انها فقط تستقبلهم وتستقبل ما يلقون فيها بكل الصمت والوقار والاستحياء وبكل واجبات ومستحبات الضيافة للنبيلة الكريمة جدا ، والمهينة المذومة الجبانة المحقرة جدا . . . لقد جمعت الاذان ولا سيما العربية بين اضخم كرم في الضيافة واشمل هوان في الكرامة .

نعم ، ان الاذان مكان فقط ، مكان لا نموذج لانفتاحه واستقباله . . . فهل المكان يعتدي ام يعتدى عليه ؟

بل أليست الانواء هي التي تصوغ الاذان أو تعودها أو تعلمها ؟ أليست بالقاءها فيها وبخوع ما تلقى فيها وباسلوب اللقائها فيها تصوغها أو تعودها أو تعلمها أو تقرض أو تشتترط عليها أو تفعل بها كل ذلك ؟ أليست الاذان تعلم ، ثم أليس الذي يعلم يصاغ صياغة جيدة أو رديئة ؟ ليس الفرق بين الاذان يساوي الفرق بين معلمها ولو أحياناً أو نظرياً ؟

ليس جميع الالهة والانبياء والجبارين والطغاة المتوحشين بقوتهم وارهابهم وتواعداتهم وجيوشهم يهاجمونها ويتفجرون فيها منطلقين من الانواء ليصوغوها ويعودوها ويعلموها ويفرضوا عليها لتكون النموذج الذي يريدون ويطلبون ؟ ليس جميع وحوش الانسان يهاجمون اذنيه مندفعين من فمه ؟

اجل ، من فمك ايها الانسان ينطلق جميع وحوشك ليفترسوا اذنيك ! هل عرفت ذلك ، هل رثيت لاذنيك ؟ هل طلبت منهما الغفران ؟ كل الهتك وانبيائك وطغائك وجهالك ومهرجيك وكذابيك واغبيائك ، كل هؤلاء يغزون اذنيك متفجرين من فمك ! هل فكرت في هذا ؟ هل حدثك عنه أحد من محدثيك ؟ هل جاء اليك نبي من انبيائك ليقول لك ذلك ؟

والان لقد جاءك من يقول لك هذا الذي لم يقله لك احد من قبل . فماذا انت صانع ؟ ماذا انت صانع بعد ان عرفت ان جميع غزاتك ينطلقون من فمك مهاجمين لك من اوسع واسهل وآمن الطرق الى احتلاك اي من اذنيك ؟

هل تعاقب فمك ، أو هل تغلقه ؟ هل تسد اذنيك أم تقفلها أم تستسلم لما هو حادث ؟ لعلك راض عما هو حادث ؟ لعلك متأمر مع فمك على اذنيك . . . لعلك متأمر مع آلهتك وانبيائك ومع كل غزاتك على اذنيك ؟ لعل كل الناس في كل التاريخ متأمرين مع انبيائهم وطغاتهم وآلهتهم ومع كل غزاتهم على انفسهم !!

ولكن هل هذا هو كل العدل في تفسير العلاقات بين الآذان والافواه ؟ بل هل في هذا التفسير اي قدر من العدل او الصدق او الصواب ؟
 هل يحتمل ان الافواه العربية قد وهبت الآذان العربية اخلاقها او ذكاءها او كبرياءها او اية صياغة من صياغاتها ؟ بل هل يحتمل انها علمتها شيئا او عودتها او روضتها او حرصتها او خلقت فيها الجرأة على شيء ؟ وحتى مهما حاولت ان تفعل بها او لها ذلك فهل هي التي فعلته او هل تستطيع فعله ؟
 من الذي علم الافواه العربية مستوياتها وصاغها صياغاتها ؟ ان الذي علمها وصاغها هو الذي علم الآذان العربية مستوياتها وصاغها صياغاتها . اذا اتهمت الافواه العربية بانها هي التي علمت الآذان العربية اخلاقها ومستوياتها فمن المتهم بانه المعلم للافواه العربية موهبتها التعليمية ؟

ان الفريقين او الجارين اي الآذان والافواه العربية لم يعلم او يصنع احدهما الآخر ، بل لم يختار او يدبر احدهما للاخر . لقد وجدا نفسيهما متجاورين ومتواجهين ومتشابهين متوافقين في مواهبهما واحتياجاتهما ، فذهبا يتعاملان باحثين عن الراحة والاستمتاع ومستجيبين لذاتيهما ولكل ما في ذاتيهما من احتمالات وخصائص وشهوات . لقد عامل كل منهما الاخر بما يريعه او بما يريد به او بما يستطيعه ويعرفه او بما يتوافق مع مواهبه . . . ان احدهما لم يعامل الاخر بنية او بموهبة او بوظيفة النبي ولا بنية او بموهبة او بوظيفة الشيطان . . .

ان الافواه لم تأت الآذان بما لا تريد او بما تنكر وترفض حتى خلقت فيها الارادة والتقبل والاستحسان لهذا الذي جاءتها به واسقطته فيها وهي لا تريد بل وهي ترفضه وتنكره . وكذلك فان الآذان لم تذهب لتضرع وتتوسل الى الافواه طالبة اليها ان تستقط فيها وان تعلمها ما لا تريد اي ما لا تريده الافواه وما لا تعرفه او تقبله او ما لا يستطيعه ، حتى رقت اي الافواه لتضرعات الآذان ولتوسلاتها وحتى غلبتها الرحمة والنخوة والشهامة امام هذه التضرعات والتوسلات ، فتعلمت اي الافواه وتقبلت وعرفت وازادت هذا الذي لم تكن تريده او تتقبله او تعرفه او تستطيعه ، ثم ذهبت بكل الرحمة والحنان والكرم والفداء تصبه في الآذان المتضرعة السائلة المتوسلة . ان الآذان لم تكن مستجدية وان الافواه لم تكن متصدقة .

اجل ، ان القضية لم تكن كذلك واحتمال تفسيرها بانها كذلك اي احتمال تفسير العلاقات بين الآذان والافواه بانها علاقات بين معتد غاز مفسد وبين مغزو مفسد معتدى عليه ، هو اي هذا الاحتمال خطأ قد يكون الاقتناع بكونه صوابا اقتناعا سهلا ببل ومغريا ومثيرا للحماس الفكري . . . ولكن أليس الاقتناع بالخطأ هو دائما اقتناعا سهلا ومغريا وصانعا للحماس الفكري بل والانساني ؟

ان العلاقة بين الآذان والافواه تشبه العلاقة بين فاسقين او بين كائنين يمارس احدهما مع الاخر او بالاخر ما يعد شهوة محرمة او سلوكا رديئا او مؤذيا او صانعا

للفضب او للاشمئزاز او للانكار ، او خروجا على المقرر او على المألوف او على الاذكي والاقوى . وفي هذه الممارسة او في هذا الفسوق أليس كلا الكائنين قد استجاب لنفسه او لرغبته او لقدرته او لموهبته ومعرفته وكيونته ؟
 ليس كلاهما قد استجاب او خضع لما حكم عليه به دون ان يكون الحكم على أحدهما اخف من الحكم على الاخر ؟

فمن الفاسق في هذين الكائنين ومن الفسوق به ، او من المعتدي ومن المعتدى عليه ، او من الصائغ للآخر المعلم الواهب له اخلاقه وشهوته ورغباته ؟
 هل فيهما فاعل ومفعول به ، وخالق ومخلوق ، مذنب وبريء ؟

ليس كلاهما اما أن يكون هذا وهذا او هذا فقط او لا هذا ولا هذا ؟ اذا ما عيانا واجهنا وعاملنا عينين اخريين بالاسلوب الذي يعد خطيئة او بذاءة او وقاحة او طريقا الى ذلك ، فاي هذه العيون الاربعة هما العيان الآثمتان المعتديتان ؟ وهل فيهما اي في العيون الاربعة معتد ومعتدى عليه وآثم وبريء ؟ أليست كلها اما هذا وهذا او هذا فقط او لا هذا ولا هذا ؟

وهل فيها اي في العيون الاربعة صائغ ومصوغ معلم ومتعلم واهب وموهوب ؟ هل يمكن ان تكون العيون المشتهاة قد علمت القلب ان يشتهي او صاغته كذلك ؟
 هل يدا الانسان علمتا رجله المشي او هل رجلاه علمتا يديه الامساك بالقلم ؟ وهل عيناه علمتا قلبه الحب والشهوة والخوف أو هل قلبه علم عينيه الرؤية والبلادة ؟
 واذا كان هذا قد علم هذا فمن الذي علم المعلم ؟

اذا كانت الآذان العربية مستوى افضل مما يلقي فيها او اذا كانت ترفض ما يلقي فيها او تستنكره وتعجز عن تقبله وعن الاستمتاع والتغذي به فلماذا ظلت ابدا تستقبل ما تصبه فيها الافواه العربية وترحب به وتهتف وتغني له ؟ لماذا لم تصب اي الاذان العربية ولا مرة واحدة ولا في موقف واحد بالغضب او بالاستحياء او بالصمم عما تلقيه فيها الافواه العربية ؟

لماذا لم تعارض او ترفض او تضرب او تهرب او حتى تصرخ او تغلق الحدود بينها وبين الافواه العربية في اية فترة من تاريخها ؟ ان المناقض باخلاقه او بمواهبه لو بارادته ومستوياته لا يمكن ان يظل كل التاريخ بلا اي تمرد او عصيان وبلا اي شيء يشبه التمرد او العصيان .

كيف لم تمرض الاذان العربية او تفقد شهيتها من كثرة الالتقاء المناقض فيها ان كان مناقضا ؟ ان الاذان العربية لن تكون بريئة الا بقدر ما يجب ان تكون الافواه العربية بريئة . ان احدى الطائفتين أي الاذان والافواه العربية لن تكون بريئة أو مذنبه الا بقدر ما يجب ان تكون الاخرى كذلك .

هل يمكن ان تصبح الاذان العربية شيئا افضل ، اذكى او اتقى لو انها تعاملت مع افواه غير عربية اي مع افواه افضل واعظم موهبة من الافواه العربية ؟ او هل كان ممكنا او محتوما ان تجيء اي الاذان العربية افضل مما جاءت لو انها تعاملت منذ وجدت مع هذه الافواه التي هي غير عربية والتي هي افضل من الافواه العربية ؟

والافواه العربية لو انها ركبت على آذان غير عربية اي على آذان تشترط للتعامل معها شروطا لقسى واذكى من الشروط التي تشترطها الاذان العربية - على آذان ترفض كل ما تهتف وتغني له الاذان العربية لانها تملك وتعيش مواهب ومثلا لا تملك ولا تعيش منها شيئا الاذان العربية .

- نعم ، لو ان الافواه العربية ركبت على مثل هذه الاذان الصعبة في اخلاقها ومواهبها واشتراطاتها فماذا يمكن ان يحدث حينئذ ؟ هل يمكن ان تصبح اي الافواه العربية خلقا جديدا عظيما لتكون متكافئة مع الاذان التي ركبت عليها والتي اصبح محتوما عليها ان تتعامل معها وحدها ؟ ان مثل هذا او قريبا منه ان تركيب الاذان العربية تحت افواه غير عربية لتتلقى عنها . . كم هي تجربة محزنة او فاضحة لو معلمة او مسلمية لو ان هذا جرب اي لو ان الذات او الشخصية او الموهبة العربية ركبت تحت موهبة غير عربية لتتعامل عليها وبها ومعها وفيها !

ماذا لو ركب قلب ضعيف او يد او رجل ضعيفة في جسد قوي ، او لو ركب قلب قوي او يد او رجل قوية في جسد ضعيف ؟

او ماذا لو ركب عقل ضعيف في رجل كبير اي كبير المنصب والموقع في المجتمع او لو ركب او وضع رجل ضعيف في عمل او في موقع كبير من المواقع الاجتماعية ؟ لقد جرب هذا الافتراض او هذا الذي وضع في صيغة تساؤل ، بل لقد كان هو اللواتع الدائم المشاهد دائما في كل مكان او في الكثير جدا من الاماكن . وقد جاءت النتيجة كما لا بد ان تجيء ، اي جاءت معقولة جدا ومؤلمة جدا .

اي لقد كان الواقع المشاهد دائما ان يركب العقل الضعيف او الموهبة الانسانية الضعيفة في الرجال الواقفين فوق المناصب ذات المسؤوليات الكبيرة جدا ، وأن يركب او يوضع الرجال الضعاف جدا في جميع مستوياتهم ومواهبهم فوق اكبر المواقع الاجتماعية واطرها . فما الذي حدث او ما الذي كان يحدث نتيجة لهذا التركيب اي لتكوين الضعف في موقع او في انسان يطالب بأن يكون قويا وبأن يعمل شيئا قويا ويفرض عليه ان يواجهه مواقف ومواجهات قوية ؟ نعم ، ما الذي يحدث او ما الذي يمكن ان يحدث حينما تكون المسؤولية كبيرة جدا والمسؤول صغيرا جدا ؟

ان الذي كان يحدث دائما ان الرجل الضعيف في تفاسيره ومواهبه البشرية حينما يوضع في موقع كبير من مواقع الحياة لا يوهب قوة او موهبة قوية او كبيرة لكي يجيء ندا او كفا لمواجهته ، بل ولا يظل في مستوى ضعفه ، بل انه يذهب يزداد ضعفا وعجزا . وهذا شيء معقول ومحتوم . انه لا بد ان يقاسي من الاحراج

والحيرة والارتباك والشعور بالعجز والافتضاح . وهذه المقاساة لا بد ان تمتص قواه ومواهبه الضئيلة وان تصيبه بالمزيد من الهزائم والخيبة والانهاك ومن ضياع الصواب . ان نكاهه وعزمه المحدودين لا بد ان يستنزفا وان يضلا ويتبددا ويهابا ويرهبا ويمرضا امام المواجهات والمواقف الصعبة الكبيرة المتحدية المحتاجة الى ذكاء وعزم شامخين بل الى مواهب عديدة متفوقة . انه لشيء مهين ومضيع للصواب ان تكون النبوة كبيرة ويكون النبي صغيرا . . . أليس هذا هو الذي يحدث دائما أي تكون النبوة كبيرة والنبي صغيرا ؟ انه لم يأت نبي مساويا لنبوته . . .

اذا وضع زعيم او حاكم او قائد يملك مواهب بشرية معينة هي اقل مما يجب . . . اذا وضع او وضع نفسه في موقع كبير اي اكبر من مواهبه - وهذا يقع كثيرا بل دائما - فان مواهب هذا الزعيم او الحاكم او القائد مع استمرار مواجهاته الصعبة لن تظل في مستواها ومقاديرها للسابقة المحددة المحسوبة ، بل لا بد أن تاكلها هذه المواجهات وأن تهبط بها الى حدود ومقادير اكثر ضيقا وضالة وافتضاحا . ان المواجهات لن تكون مسالة لمواجهتها ولا محايدة منهم . انها لا بد أن تكون معهم او ضدهم .

ان النموذج الجيد والقوي لتصديق هذه القضية هم زعماء وقادة وحكام العالم الذي يسمى العالم الثالث . ان هؤلاء الزعماء والقادة والحكام قد واجهوا ويواجهون ظروفا وقضايا ومشاكل واحتياجات والتزامات هي اكبر واصعب جدا من جميع مواهبهم وقدراتهم العقلية والاخلاقية والنفسية لان هذه الظروف والقضايا والمشاكل والاحتياجات والتزامات التي واجهوها قد صنعتها حضارة كبيرة جدا . وهذه الحضارة الكبيرة جدا قد ابدعتها ووهبتها مواهب كبيرة وعديدة جدا . ولقد كان محكوما على هؤلاء القادة والزعماء والحكام ان يواجهوا مواجهاتهم هذه الصعبة لانه كان محكوما عليهم ان يكونوا في هذا العصر ، ومحكوم على هذا العصر ان يعيش هذه الحضارة المحكوم عليها اي على هذه الحضارة بأن تتوزع وتقرض نفسها بلا رحمة او كرامة او خيار او تدبير ذكي أو أبي على كل احد وكل مجتمع ، على الاكفاء وغير الاكفاء بل وعلى الاضداد والمناقضين والعاجزين الذين لا بد ان يحولوا الى تشوهات وعاهات وعار بل والى هموم وتحقير لها وعدوان عليها لا مثيل لندالاته ووقاحاته . ان هذه الحضارة بقدر ما هي عظيمة وقوية فهي بلا كرامة او كبرياء . انها لا تختار او تستمرط لنفسها . انها تعاشر وتهب نفسها باسلوب اباحي رخيص جدا .

نعم ، وما الذي حدث حينما فرض على هؤلاء القادة والزعماء والحكام ان يواجهوا هذه الحضارة التي ليست حضارتهم والتي ابدعتها مواهب ليست مواهبهم وليست في مستوى او حجم مواهبهم ؟ والماساة ان هؤلاء القادة والحكام والزعماء لم يعرفوا ذلك اي لم يعرفوا انهم قد فرضت عليهم مواجهات هي اكبر واككى جدا من جميع مواهبهم . . .

اجل ، هل تعاضمت او تعلمت مواهبهم العقلية او الاخلاقية او حتى اللغوية والتعبيرية او النفسية لكي يستطيعوا التعامل مع ما فرض عليهم التعامل معه دون ان يتحولوا الى افتضاح لانفسهم ولتاريخهم ولابائهم المزعومة الروية امجادهم ، والى عقاب الحضارة التي اقتحمت بوقاحة ومهانة وتضرع عليهم حدودهم المحروسة بكل معاني ومستويات التخلف والبداوة ، دون ان يعشقوها او يخطبوها او يطلبوها او يراسلونها او حتى يعرفوها ، بل ودون ان يعرفوا لغة من لغاتها او يستطيعوا تعلم اية لغة من لغاتها . انهم لا يعرفون ولا يستطيعون ان يعرفوا لغات هذه الحضارة مهما تكلموها . . .

نعم ، لقد اقتحمت عليهم هذه الحضارة مخادعهم الملوءة بالحشرات والعامات والنفونات وبالروائح الكريهة دون ان تشترط لنفسها اي قدر من الاحترام او التقبل او التلاؤم . وحينئذ ألم يتحولوا في ضعفهم وعجزهم الى مأساة ؟ لقد فرض عليهم نقيض متفوق بلا حدود ان يواجهوه ويعاملوه ويعيشوه ويباروه ، وان يتعلموه ويفهموه ويتحدثوه ويتحدثوا باسمه وبلغاته وشعاراته وبمذاهبه واخلاقه فانها كل قواهم المتخلفة ، قواهم الإذنية والنفسية والاخلاقية والتعبيرية ، حتى تحول اي هذا النقيض المتفوق الى عقاب وفضح رهيب حزين لهم . انه لم يعطهم شيئا من مواهبه وتفوقه ، أنه لم يزرع فيهم أو ينقل اليهم شيئا من مزاياه ، بل أنه لم يترك لهم موهبتهم الضئيلة بل لقد فنك بها . لقد ذهب يخيفها ويحرجها ويخجلها ويورطها ويتحداها ويطلبها ويعجزها ويذلها حتى سلبها كل ما كان يحتمل انه قد قسم لها من مقادير ضئيلة من الذكاء او القدرة او الاخلاق او الوقار او الاتزان او الاستحياء او من اي معنى اخر جيد لا بد أن يقسم منه شيء ولو قليلا جدا لاي انسان حكم عليه بالجيء هنا . . .

وانه محتوم ان يزداد هؤلاء القادة والزعماء والحكام ضعفا وافتضاحا باستمرار مواجهاتهم لهذا النقيض او الخصم الرهيب المتفوق ، اي باستمرار مواجهاتهم لهذه الحضارة ، لهذه الحضارة الوقحة في ركوعها تحت كل الاقدام البدوية وامام كل الابواب بكل تعابير وتفسيرات التضرع والهيام والاستسلام الذليل .

وقد يكون من الوفاء والحماية والاحترام للحضارة وللمواهب التي ابتكرتها ان يمنع هؤلاء الزعماء والقادة والحكام من معاشتها والتعامل بها بل ومن مواجهتها والحياة داخلها . كما ان منعهم من ذلك قد يعد أسلوبا نبيلًا من اساليب الرفق بهم والستر لهم والحماية لمواهبهم من التعذيب والتعجيز والاذلال لها ولهم ، أي لو كان هذا المنع مستطاعا . . . انهم لا يحقرون ويشوهون الحضارة فقط بتعاملهم بها وبمواجهتهم لها بل انهم ليعذبون ويقاسون بذلك . . .

فهل يحدث ان تتحرك النخوة او الكرامة او الشفقة في العالم فيفعل شيئا اي شيء لكي يقيم حواجز وحدودا منيعة من أي نوع وبأي أسلوب لتعزل هؤلاء القادة

والزعماء والحكام ، اي حكام وزعماء وقادة العالم الثالث ، لتعزلهم عن مواجهة هذه الحضارة المناقضة لهم وعن التعامل بها ومعها وفيها ، حماية لكرامتها ورفقها بمواهبهم ؟ كم هو رائع ونبييل وشهامة ان يفعل العالم ذلك ؟ كم فيه من الرحمة بهؤلاء القادة والزعماء ومن الستر لهم .

هل يحدث ان يفعل العالم ذلك وفاء وحماية لهذه الحضارة من العدوان عليها والتشويه لها والهبوط بها ، وايضا رحمة ورفقا بهؤلاء القادة والزعماء والحكام الذين لا بد ان يقاسوا كل العذاب والهوان والافتضاح والعار والارهاق في مواجهتهم لها وتعاملهم بها ومعها ؟ آه لو ندرك عذاب وافتضاح وعجز هؤلاء القادة والزعماء والحكام في مواجهاتهم لمعاطيا وقضايا هذه الحضارة . آه لو يدركون هم ذلك . .

ماذا يمكن ان نتصور من التحقير والعدوان والفضح والتعذيب والارهاق حينما نتصور او لو تصورنا ان الافواه العربية قد ركبت على آذان غير عربية اي على آذان حضارية وفرض عليها اي على الافواه العربية ان تتعامل مع هذه الآذان الحضارية فقط دون اية آذان عربية ودون اية آذان في مستوى الآذان العربية دون ان تكون عربية ؟ نعم ، بجب ألا ننكر جدا او ألا ننكر بأسلوب حاسم انه قد توجد آذان غير عربية ولكنها ليست افضل كثيرا أو حتما من الآذان العربية . عجبا ! أوأثقون نحن انه قد توجد آذان غير عربية ولكنها في مستوى الآذان العربية ؟ أوأثقون نحن من ذلك ؟ أنجرؤ على اعلان ثقتنا هذه ؟

نعم ، ماذا يمكن ان نتصور من العدوان على الآذان التي هي ليست عربية ومن للتحقير لها ، وكذلك ماذا يمكن ان نتصور من الفضح والارهاق والتعذيب للامواه العربية ، اعني لو تصورنا ان الافواه العربية قد ركبت على آذان غير عربية اي على آذان حضارية ؟

كيف يمكن ان تجرؤ حينئذ الافواه العربية على التعامل والتخاطب مع الآذان التي هي ليست عربية والتي لا تملك مواهب واخلاق الآذان العربية ؟ أي نحن هنا نفترض ان الافواه العربية قد تدرك او لا بد ان تدرك حينئذ معنى كونها تتخاطب مع آذان غير عربية . .

بل كيف تجرؤ اي الافواه العربية ان تكون مجاورة ومواجهة لهذه الآذان التي هي ليست عربية وليست في مستوى الآذان العربية غفلة وسذاجة وبدلوة وتصديقا واستقبالا للأكاذيب والقباحات والبلادات والوقاحات واستمئعا وترجيبا بها ؟ اكرر اننا هنا نفترض ان الافواه العربية ستدرك الفرق بين الآذان العربية والآذان غير العربية . .

كيف يمكن حينئذ ان يكون الاستقبال لها اي للافواه العربية ؟ هل يستطيع اي شيء غير الآذان العربية ان يستقبل الافواه العربية ؟ . .

أنه لتخيل مثير : أن نتخيل استقبال اذان غير عربية لافواه عربية قد فرض على هذه ان تكون مستقبله لهذه • انه لتخيل مثير حتما ولكن هل يمكن ان يكون سعيدا ؟ وهل يستطيع اي خيال ان يجرؤ على تخيل مثل هذه البشاعة ؟ اليس تخيل مثل هذا الخيال يحتاج الى وحشية قد يكون من الصعب وجود نموذج لها ...

ولكن العكس ماذا يصنع ؟ أي ماذا يحدث لو ان الاذان العربية ركبت عليها أفواه غير عربية ؟ هل تشعر حينئذ الاذان العربية بوبرطتها وماساتها ؟ هل تقاسي حينئذ من العجز والهرج والاستحياء ؟ هل تتعذب وتدرج عجزها ، وهل تحاول ان تفهم او تفهم بأن عليها ان تفهم او ان تدرك الفرق بين ان تفهم وان تعجز عن الفهم ، بل هل يمكن ان تدرك حينئذ انه يوجد اي فرق بين الافواه او بين ما تصبه الافواه في الاذان؟ هل تشعر حينئذ انها محرجة وملزمة بما لا تستطيع ، اي بالتعامل مع متفوق لا تستطيع التعامل معه ويفضحها ان تتعامل معه لضخامة الفرق بين المتعاملين ؟ أو لعلها حينئذ لن تعاني شيئا من ذلك لانها لا بد أن تفتتح بأن القضية ليست الا أصواتا ، اي ان جميع الافواه ليست الا اصواتا فقط وأنه لا فرق بين صوت وصوت وبين فم وفم الا بأسلوب الاداء • وحينئذ لن تدرك بأن هذه الافواه التي ركبت عليها والتي هي ليست أفواها عربية ليست في تفاسيرها او في قيمها الاخلاقية او الفكرية او الانسانية او الحضارية مخالفة للافواه العربية او متفوقة عليها •

أليست جميع الاذان الصوتية او جميع اذان الكائنات المصوتة اي غير المتكلمة لا بد ان تواجه وتعامل وتفسر جميع الافواه بأنها اصوات فقط وانها حينئذ لا فروق بينها في تفاسيرها او مواهبها او مستوياتها ؟ هل تستطيع اذنا الحصان او الجمل ان تفهما الفرق بين صوت الواعظ شاتما كاذبا وكلمات العالم خالقا واهبا ؟

ولكن ما شأن تلك الافواه غير العربية التي ركبت افتراضا على الاذان العربية ؟ ماذا يمكن ان تفترض فاعلة حينئذ ؟ هل تتقبل حينئذ التعامل مع الاذان العربية ؟ هل تستطيع التنازل عن كرامتها وكبرياتها وذكائها والتزامها ووظيفتها الحضارية الابداعية ؟ هل تستطيع التعود على الهوان وعلى معاشرته ومعايشته وعلى التخلي عن التقوق بحثا عن التخلق بالتواضع وعن مسايرة ومجاملة العجز والتخلف والرداءة ، وهربا من احراج او اذلال هذا العجز والتخلف وهذه الرداءة ؟

هل يوجد من يريد ان يكون عاجزا ومتخلفا وريثا لكي لا يشعر العاجز والمتخلف والردوي، بالاحراج او الاذلال او التلعيز ؟ هل يوجد من يريد ذلك ويستطيعه ويفعله ؟ هل توجد تقوى او شهامة بهذا المستوى ؟

هل يوجد عبقرى او نبي يتخلى عن عبقريته او عن نبوته لثلا يعذب فاقدي العبقرية والنبوة بالغبيرة والحسد ؟

هل توجد غربة مثل غربة افواه غير عربية ركبت على اذان عربية ؟

هل يوجد من يستحق الرثاء مثل هذه الافواه التي جرؤ الخيال على ان يضعها في هذا المكان ؟

تعذيب لا تطيق مشاهدته النجوم ان توضع افواه غير عربية فوق آذان عربية . .
سخرية لا مثيل لفحشها وهزتها ان تقرأ اعظم الكتب العبقريّة على اذني جمل او
ذئب او على اذني قراد . أليس تركيب الافواه غير العربية على الاذان العربية هو كل
التقاسير لقراء الكتب العبقريّة على اذني الجمل او الذئب او القراد . . . ؟

ولكن لماذا لم يحدث هذا ؟ لماذا لم يحدث ان ركبت الافواه والاذان العربية على
آذان وافواه غير عربية ، او ركبت غير العربية على العربية ؟ لماذا لم يحدث هذا
الشيء الفظيع الرديء ؟ هل توجد قوة خيرة من الالهة او الطبيعة قاومت ومنعت أن
يقع هذا الرديء المنكر ؟ أليست الاشياء الرديئة والدميمة والمنكرة تغطي كل وجوه
واحداث هذا الكون ؟ انه لا يوجد في قوانين هذا الكون ولا في احداثه اي تدبير
او نية من نيات الشهامة او التقوى او من تدبيرها . . .

اذن لا يمكن الافتراض بان قوة ذكية او ابيهة او خيرة او غيورة هي التي قاومت
ورفضت ان يحدث هذا الشيء الرديء القبيح المهين ، اي ان تركيب المواهب غير
العربية على الانسان العربي أو أن يركب الانسان العربي على مواهب غير عربية .
ولكن هذا لم يحدث لان آذان البشر وافواههم ليست هي مواهبهم . . ان مواهبهم
هي دائما وراء آذانهم وافواههم وآذانهم وافواههم ليست الا ممرا او مكانا . ان
الانسان العبقري لا بد ان يكون فمه واذناه عبقريّة ، وغير العبقري لا بد ان تكون اذناه
وفمه كذلك . . ولو انتزعت اذنا وفم اتفه واجهل انسان وركبت على انسان عبقري
لكان محتوما ان تصاب اذناه وفمه بالعبقريّة ، وان العكس ايضا صحيح بنفس
النسبة ، اي لو انتزعت اذنا وفم اعظم عبقري لتركب على انسان غير عبقري او على
انسان تافه لاصيبت اذنا هذا العبقري وفمه بالتفاهة . . .

ولكن ليس هذا التركيب واقعا ومشاهدا دائما ؟

اي ليس الانسان العربي مركبا دائما على كل الناس بل على كل العباقرة ،
وكل الناس ، بل كل العباقرة مركبين على الانسان العربي بل على اتفه انسان
عربي ؟

ليس هذا يحدث دائما ولكن باسلوب اخر ؟ أليست الافواه غير العربية تتحدث
دائما الى الاذان العربية ؟ وأيضا أليست الافواه العربية تتحدث الى الاذان التي هي
ليست عربية ؟ أليست الاذان غير العربية تستمع الى الافواه العربية ، والاذان العربية
ليست تستمع الى الافواه غير العربية ؟ أليست الافواه العربية تتحدث بكل كبرياء
الالوهية والنبوة الى كل الاذان الحضارية ؟ أليست تقاسي من التواضع حينما
تتحدث اليها ؟

ليس هذا يحدث دائما او يبدو وكأنه يحدث دائما ؟

هل وجدت اية حماية دولية أو محلية لتحمي من هذا التداخل أو التركيب العدواني الاليم ؟

أليس هذا اسلوبا من اساليب التركيب اي تركيب الاذان والافواه العربية على آذان وافواه غير عربية ، وتركيب الافواه والاذان غير العربية على الاذان والافواه العربية ؟ أليس هذا مثل هذا أو قريبا منه أو مذكرا به أو حاملا لمعانيه وتفسيره ؟ أليست الاذان غير العربية لا تخشع أو تنتصت مثلما تفعل حينما تخاطبها الافواه العربية ، كذلك الافواه غير العربية لا تذل مثلما تذل حينما تتخاطب بكل التضرع مع الاذان العربية ؟

ولكن هل يحتمل ان يكون في هذا شيء من الجد أو الصدق ؟

هل يحتمل ان هذه الافواه غير العربية الموجهة الى الاذان العربية تعني حقا المخاطبة لها والتعامل معها حوارا وفهما ، أو ان هذه الاذان غير العربية حينما تتسمع بأسلوب اللهفة والايمان والتعلم والتوقع الجيد لاشياء جيدة ، حينما تفعل ذلك بأسلوب الراكع المرید الملباع المتلقى للنبوة والوحي .

– نعم ، هل يحتمل ان هذه الاذان غير العربية حينما تفعل ذلك مستقبلة للافواه العربية متلقية عنها ، تقصد حقا ما يبدو وكأنه تقصده ؟ هل البراءة الى حد الغباء معنى من معاني التفوق ؟ هل التفوق لا ينافي ان يكون المنفوق مصدقا ومحبا ومنواضعا ومجالا الى حد الافتضاح العقلي ؟

أو هل يحتمل ان الاذان العربية حينما تبدو وكأنها تستقبل الافواه غير العربية وتستمع اليها بأسلوب المحاور الباحث عن الفهم وعن المحاكمة لما عنده والاختبار لما عند الآخرين – نعم ، هل يحتمل ان الاذان العربية حينما تفعل ذلك تعني ما تفعله وتنوي ما يبدو انها تنويه ؟

وهل تستطيع ان تفعل ذلك وتعرف ان تفعله مهما نوت ان تفعله أو ظنت انها تفعله ؟

وايضا ، الافواه العربية حينما تتوجه الى الاذان غير العربية هل يحتمل انها تعني ان تخاطبها وتكلمها وتهبها أو تعلمها شيئا أو ان تفاوضها وتحاورها على شيء أو في شيء ام تعني فقط اي الافواه العربية ان تتحول الى اصوات ؟ أليس التحول الى اصوات هو عبقرية افواه كثيرة ، عبقرية نبوات كبيرة شهيرة ؟

• أليست الافواه العربية هي دائما اصواتنا فقط حتى حينما نتوجه الى اذان المتكلمين الذين يصوغون الكون ويحكمونه بكلامهم اي يصوغونه ويحكمونه لانهم متكلمون اي لانهم خالقون لان الخلق طور من اطوار الكلام . لان الكائن الذي يبلغ طور التكلم لا بد أن يبلغ طور الخالق . ان كل متكلم لا بد ان يكون خالقا ، وان كل خالق لا بد ان يكون متكلمًا . ان المتكلم الذي لا يكون خالقا ليس الا مصوتا فقط حسب

متكلما • ان الكلام ليس هو الذي يخلق ولكن طور الكلام هو الطور الذي لا بد ان يكون خالقا • والمصوتون لا يخلقون ليس لانهم يصوتون ولكن لان طور الكائن المصوت ليس طور الكائن الخالق • ان الكلام والصوت علامتان مختلفتان على كائنين متفاوتين جدا في مستوياتها التكوينية والحضارية ••

اذن لماذا تتعامل الاذان والافواه العربية مع الافواه والاذان غير العربية بهذه الاساليب التي تجعلها تبدو وكأنه لا مثيل لها في صدقها وجدما وخالصها وبراءتها وقيمة تعاملها ؟ لماذا تصر على ان تكون وقحة وبذيئة ومصابة بالسماجة والسخف مع انه يبدو انه لا ثمن لذلك ولا مجد فيه لا مقبوض ولا منتظر ••؟

هل ممارسة الوقاحة والكذب والسخف والسماجة والتزوير معنى او شرط او موهبة او صلاة او نشيد من معاني التخلف والعجز ومن شروطها ومواهبهما وصلواتهما واناشيدهما ؟ هل التخلف والعجز ليسا فقط تخلفا وعجزا ولكنهما علامتان على كون هائل من النقائص والاثام والقبائح والدمامات النفسية والاخلاقية ••

هل مستحيل ان يكون العاجز او التخلف مهذبا او صادقا او كريما او شهما او بريئا او صديقا او محبا او محترما لنفسه او لمواقفه او لاخلاقه او لاي تعبير من تعبيراته ؟ هل النذالة في المتخلفين كينونة ذاتية مثل كينونة الاعضاء ؟ هل هي التزام طبيعي ؟

هل يوجد قبح او تحقير او هزل او ضياع او عبث مثل ان يتعامل الصادق البري، المهذب الكريم الجاد مع الكاذب الملوث المتوهم اللئيم الهازل ، أو أن يتعامل المتفوق المتحضر مع التخلف الذي لا يستطيع ولا يريد ان يكون متحضرا ، او مثل ان يكون الكائن المتكلم محكوما عليه بان يتخاطب ويتحاور مع الكائن المصوت ، بان يتوجه اليه بكل منطقته وافكاره وقضاياه ، وبكل عبقريته وجدده وصدقته ، وبكل همومه ومشاكله ومطامحه الحضارية والانسانية ، بكل التهذيب والتواضع والتعبد مثلما يتوجه الى مثيله او نده ، بل مثلما يتوجه عبد الى الله او تابع مؤمن الى نبيه؟ اذن هل يوجد هوان او قبح مثل ان يتحاور الزعماء والمفكرون المتحضرون مع الزعماء والمفكرين العرب بنيات واسلوب الجد والحسم ؟

او هل توجد وقاحة او بذاءة او سماجة او عدوان او اثاره للغنيان والاشمئزاز مثل ان يستطيع ويجرؤ الكائن المصوت ان يتوجه بأصواته الى الكائن المتكلم كأنه يكلمه ويعلمه ويجادله ويفاوضه ، بل كأنه اله او نبي صحراوي ولد وعاش وتخلق وتعلم في الصحراء ، يتوجه الى عبيده او اتباعه البدو الصحراويين ، يتوجه اليهم باوامره ونواهي وزواجره ويتعاليه وشرائعه وبكتابه المنزل المقدس وبتفاسيره النهائية لكل الاحداث والاشياء ولكل المشاكل والقضايا ؟

هل تطبيق ان ترى او تعلم ؟ الكائن المصوت يتوجه الى الكائن المتكلم ليعلمه ويكلمه • هل تطبيق ان ترى او تعلم ؟

اذن هل توجد بشاعات ، اكوان وحشود من البشاعات مثل ان يوجد متكلمون خالقون بكل هذا التهذيب والتواضع والصدق والبراءة والحب يواجهون ويعاملون ويجاملون ويهبون ويخاطبون كائنات مصوتة بكل هذه الوقاحة والبذاءة والعدوانية والسماجة والتلوث. والخداع والكذب والضعف والعجز ، كائنات تسمى بشرا وتظن بشرا وتزعم لنفسها انها ارقى من كل البشر - كائنات تزعم ان الالهة والانبياء لم يخلقوا أو يتعلموا الكلام أو يهبطوا الى الارض ويعيشوا في حضيض الارض وأحوال الارض الا لكي يتكلموا معها ، بل الا لكي يصنعوا اي الالهة والانبياء لانفسهم مجدا وتاريخا بالتكلم معها اي مع هذه الكائنات المصوتة ؟ نعم ، ألسنت زنديقا ونذلا حقودا حسودا بليدا لو لم تعتقد ان الالهة والانبياء لم يتعلموا الكلام الا لكي يصنعوا لانفسهم كل المجد وكل التاريخ بالتكلم مع الانسان العربي وبالتكلم باللغة العربية ؟ نعم ، هل لاي شيء اي مجد الا ان يتحاور مع الانسان العربي ؟ •

يوم يحاكم العرب البشر أمام الآلهة

اي قومنا ، ابناء العروبة . . يا مجد الالهة والنبوات . . يا ضمير الانسانية والاديان . . يا عبقرية التاريخ . . يا منطق وموكب الحضارات . . يا عيون الشمس والنجوم التي ترى بها مجد الانسان . . يا انهارا تتفجر من السماء لتغتسل بها انهار الارض منظره من أدرانها وذنوبها مروية بها ظمأها . . يا مرايا ترى الطبيعة بها وجوهها لتحميمها وتعالجها من العاهات والدمامات وتصوغ لها جمالها ، وتضع لجمالها نماذجها ومقاساتها . . يا كل الموازين والمقاييس والنماذج للجمال والعدل والحق والذكاء والاخلاق والعبقریات .

ايها الموازين والمقاييس والقوانين التي تزن وتقيس وتضبط بها وحدات الكون احجامها واوزانها وحدودها وقوانينها وحركاتها ومساراتها لئلا تتصادم او تتناقض او تتنافر او تتقاتل او تتعادي او تتيه وتضل . .

يا نشاطا ودأبا يهبان كل شيء، نشاطه ودأبه واستمراره . .
يا ايماننا متفجرا متوقدا متوهجا يشفى ويحمي كل شيء، من الخمول والاسترخاء، ومن التجمد والظلمة والبلادة .

يا بسالة وانتصارات تتداوى بها كل الشعوب في كل التاريخ من كل هوانها وجبنها وهزائمها . . يا تاريخا يتداوى به كل التاريخ من كل هوانه وأثامه وهزائمه . .
يا قيمة اخلاقية ودينية وانسانية تتعالج بها كل القيم من ضعفها وانحرافها واخطائها ، وتتعلم منها كل مستوياتها ونماذجها العظيمة الشامخة . .
يا ضميرا كونيا تتعلم منه وتفسر به الالهة كل شرائعها وأخلاقها ونياتها وتقواها . .

يا نبوة تسجد لمعجزاتها كل النبوات والعبقریات . .
يا كقبا مقدسا منزلا تتعلم منه الالهة كيف تؤلف الكتب المنزلة المقدسة . .
يا دموعا وآهات مؤمنة تقيه تدوى الالهة من غضبها واحزانها وهزائمها وضياعها ووحدها . .

يا كل هذه ، يا قومي ، يا ابناء العروبة ، يا اباء كل مجد وعبقرية . . اعترز اليكم يا قومي ، يا مجدي . اعترز اليكم لانني قد فسرتمكم بأنكم كائنات مصوطة لا متكلمة . لا تراعوا من تفسيري هذا . لا تراعوا . يا قومي ، يا مجدي . . أليست

القضية هنا هي ان انسانا عربيا قد حكم على قومه العرب بانهم مصوتون فقط وانهم لم يبلغوا الطور الذي يجعلهم يريدون ان يتكلموا ويستطيعون ذلك ؟ اجل هذي هي القضية . انها قضية لا يمكن ان تصنع خوفا او خطرا ..

ذلك ان العرب ان كانوا كائنات متكلمة فتفسيرهم بغير ذلك لا يغير ولا يعني شيئا ، ولن يخيف ايضا لانهم حينئذ لن يهبطوا او يتأخروا عن طورهم ومستواهم ليكونوا مصدقين او مجاملين او مرضين للتفسير الخاطيء الذي فسروا به ، او لانهم لا يجروون على ان يجعلوا من فسروهم التفاسير المخطئة يدركون انهم مخطئون وظالمون ، لان جعلهم هؤلاء المخطئين يدركون انهم مخطئون يعذب ضمائرهم ويعاتب او يعاقب تقواهم . نعم . ان العربي لتقي وشهم ولو احيانا الى الا يجرؤ على ان يكون قويا او ذكيا او شجاعا في مواجهته لعدوه لئلا يخيفه او يهزمه او يجرجه او يصده عن العدوان عليه .

انه لم يحدث ولن يحدث ان تفسير اي شيء تفسيرا اقل او اردأ من معانيه قد اخذ لو انقص من معانيه اي قدر او اي شيء . ان كل شيء يكون كما يستطيع وكما يلائمه ويريبه ان يكون ، لا كما يفسر او كما يقال عنه وفيه وله ، وكما يطلب ويراد منه ..

بل انه لاحتمال جيد ان تفسير الكائن المفكر الشاعر الغاضب الخائف الراض اي الكائن الذي هو في مستوى من يعيش ذلك ويقاسيه ولو احيانا .

- نعم ، ان تفسير الكائن الذي هذا طوره بتفاسير هي اقل او اردأ من معانيه قد يطلق قواه ويحرضها على ان تكون قوية ورائعة ومكذبة للتفاسير المخطئة او الظالمة الكاذبة التي فسر بها .. ان من فسرك تفسيرا ظالما فلن يستطيع ان يسرق او يرهب أو يعتقل قدرتك أو ذكائك ، انه ان لم ينفعك فلن يقتلك أو يضرك ..

ان التحدي ، تحدي التحقير والتصغير والاستهانة والاهانة والخوف والعدوان والهزيمة والضعف والعجز - ان تحدي كل ذلك هو احدى مواهب الانسان العظيمة الباعثة المبدعة .. ان تحدي التفاسير المصغرة المهينة المحقرة الكاذبة الظالمة المخطئة - ان تحدي هذه التفاسير بالتفوق عليها والتخطي لها لهو من اقوى المحركات المحرضات لطاقت الانسان . لقد كان العرب دائما يفسرون انفسهم ويفسرهم الآخرون تفاسير تبالغ في تدليلهم . فماذا صنعت لهم هذه التفاسير المدللة ؟ ليتهم يجربون التفاسير الأخرى .

لعل جميع ابداعات الانسان وتخطياته لم تكن الا حاصل تحدياته للطبيعة وللآخريين وللنفس والذات ولصراعاتها وللتفاسير والتعاليم التي قيلت له وقيلت عنه وفيه . ان اعداءنا والقساة علينا بمواقفهم منا وبتفسيرهم لنا تفاسير صغيرة ومهينة وظالمة كاذبة قد يهبوننا ويصنعوننا . وانهم حتما لن ياكلوا قوتنا .

انه ليس الانسان هو وحده الذي يملك موهبة التحدي ويتحرك بها . ان غيره ايضا ، الحيوان والنبات وكل كائن حي بل وغير حي يتحدى مواجهاته واعداؤه وقيوده وآلامه ويخرج عليها ويتجاوزها ، اي انه يحاول ذلك . ولكن الاساليب والتعبيرات والقدرات مختلفة ومتفاوتة اي بين الانسان وبين ما سواه اي في امتلاك موهبة التحدي وفي ممارستها وارادتها ووعيها وتعمدها وصياغتها واخراجها .

لهذا فان الذين يفسروننا تفاسير مغضبة وجارحة قد ينفعوننا اكثر من الذين يفسروننا تفاسير محابية مرضية لغورنا ولمشقتنا لانفسنا . . .

اما ان كان العرب كائنات مصوتة فقط كما فسروا واتهموا وليسوا بشرا يتكلمون فلا شيء ايضا هنا يخيف او يعني شيئا . لا شيء يؤذي او يهين او يصنع شيئا في هذا التفسير او الاتهام . . .

ذلك ان المتهم المفسر هو انسان عربي . وقد افترض ان العرب مصوتون فقط . اذن هذا التفسير او الاتهام للعرب هو تصويت فقط وليس كلاما لان المفسر المتهم هو مصوت وليس متكلما لانه واحد من العرب المصوتين لا المتكلمين .

اذن فانها لم تقل كلمة واحدة في اتهام العرب او في تفسيرهم ، وانما صوت مصوت منهم عليهم كما يصوتون هم على انفسهم وعلى الاخرين وعلى كل شيء دون ان يكون في تصويتهم اي تفسير او اي اتهام لاي شيء او لاي احد . ان الصوت اذا قال ان العرب ليسوا الا اصواتا لا يعني الا ما يعنيه لو أنه قال ان العرب ليسوا الا عبقرية وليست العبقرية الا عربا .

اذا سهل او رغا او عوى او طن عليك حصان او جمل او ذئب او ذباب فهل يمكن ان يكون مفسرا او متهما لك ؟ هل يمكن ان يكون مادحا او ذاما الا بقدر ما يكون للعربي مادحا اذا قال مديحا وذاما اذا قال ذما ؟ هل العربي يقول مهما قال ام يصوت فقط ؟

وايضا اذا كان العرب مصوتين فان اي كلام يفسرهم تفسيرا رديئا ومهينا لن يفهموا منه شيئا رديئا او مهينا بل لن يفهموا منه اي شيء ، مهما اتهمهم وتوجه اليهم ، لانهم اي العرب لا يعتقدون انه يوجد تصويت وكلام وانه يوجد اي فرق بين التصويت والكلام . ان اي كلام في اقتناعهم ليس الا اصواتا مثل اصواتهم ليست له اية دلالة او تفاسير . وان جميع المتكلمين في حسابهم ليسوا الا مصوتين مثلهم . . . انهم لن يفهموا الاخرين او يفسروهم افضل مما يفهمون ويفسرون انفسهم . لنهم لن يفهموا انفسهم مصوتين ثم يفهمون الاخرين اعظم من مصوتين . . .

اذن فان العرب لن يفهموا ان احدا قد فسرهم او اتهمهم مهما فسروا واتهموا . انهم لن يفهموا الا انه قد صوت عليهم دون ان يعني التصويت عليهم اية فكرة او كلام او تفسير او اي شيء . انه استفراغ فقط . انهم هكذا يفهمون انفسهم ويفهمون اصواتهم المسماة كلاما ، وانهم هكذا لا بد ان يفهموا كل الاخرين . ان من فسرهم

اضخم واكبر التفاسير هو في حسابهم مثل من فسرههم اردأ واصغر التفاسير ، كما ان من امتدح الحاكم اقوى امتداح هو في رأيهم مثل من هجاه اقسى هجاء ، اي كلاهما المادح والهاجي لا يعني شيئاً لا مدحا ولا هجاء . انهما ليسا الا مصوتين اي مستقرفغين لاولحالهما وضآلتهما النفسية والاخلاقية واللغوية . وهم اذا رضوا عن المادح وجزوه وغضبوا من الذام او الهاجي وكرهوه او عاقبوه فليس لانهم يعتقدون ان المادح او الذام يعني شيئاً او ان بين الامتداح والهجاء اية فروق او اية نيات او تفاسير مختلفة . انهم لا يعتقدون ان المادح اكثر صداقة لهم او اعرف بمزاياهم من الذام . ان قول الامتداح عند العرب معزول عن الواقع وعن نيات المادح وعن تصديق السامعين بل وعن تصديق المدوح . . .

ان اي سلطان او خليفة او نبي عربي يجزى مادحا له اسخى الجزاء لا يعتقد ان هذا المادح له يرى او يجد فيه او يريد له او يفهمه او ينوي ان يقول او يثبت او يعلن من امجاده ومزاياه اكثر او افضل مما يريد ان يفعل اقسى هاج له . انه لا يعتقد ان عيون المادح اقوى رؤية وانها لهذا رأت واحبت فيه ما لم تر وتحب عيون الذام الهاجي فيه .

اذن لماذا او كيف يجزيه ، بل كيف لا يعاقبه اقسى عقاب ، اقسى مما يعاقب هاجيه ؟ أليس هذا المادح بهذا الاسلوب وبهذه النية والتفسير هو اعنف وواقع هجاء من الهاجي تصریحا ونطقا ؟

أليس الذي يقول لاقبح الناس وجها : انت اجمل الناس وجها هو اكثر هجاء وبذاءة ووقاحة وعدوانا وايداء من الذي يقول لصاحب الوجه الديميم ما يراه ، وكذلك من الذي يسكت عما يرى فلا بقول شيئاً ؟

أليس المادح لك بنقيض ما فيك ، بنقيض ما تراه كل العيون فيك هو واقع واقسى هاج لك ؟

ان السلطان او الخليفة او النبي او الحاكم العربي اي حاكم عربي يجزى مثل هذا المادح ويرضى عنه ويستنشده ويستمتع اليه باسلوب جماهيري استعراضي فضاح لان العربي لا يمكن ان يفهم او يفسر بالناطق الذي يفهم ويفسر به الناس والاشياء ، كما لا يمكن ان يفكر او يفهم او يفعل او يتحرك بمثل هذا المنطق .

ان الانسان العربي خروج على كل التفاسير والقوانين والمقاييس البشرية . انه خروج تاريخي . . . خروج ليس فيه شيء من التمرد او التجاوز ، خروج عجز وتخلف عن المستوى والنموذج والقانون ، لا اختراق له . ان الانسان العربي في كل نماذجه ومستوياته تعجيز لكل التفاسير التي لا بد أن يفسر بها كلها او ببعضها كل انسان وكل كائن .

بل ان في تفسير الانسان العربي بانه كائن مصوت لا متكلم شيئاً جيداً ونبيلاً ورحيماً بل وذكياً . ان تفسيره هذا التفسير اسلوب قوي وشهم وخير من اساليب الدفاع عنه .

نعم ، ان القول بان الانسان العربي مصوت لا متكلم دفاع جيد جدا عنه .
كيف كان ذلك ؟

نعم ، لقد سبق ان المصوت هو كائن يستنفرغ نفسه ولا يقول شيئاً ، لا يقول رأياً ولا ينطق حكماً ولا يحدد تفسيراً او تفكيراً . انه لا يلتزم بشيء لا عقلي ولا اخلاقي . لا يرى ولا يفكر ولا يقول . ليس الا باصفا شحناته الذاتية القبيحة الكريهة بصوت عال بلا تدبير او قصد او فهم او رؤية لشيء ، او لحد ، مثل من يحزن او يحقد او يكره او يبكي او يشتم او يصلي او يهتف بالالهة وبالسماء طالبا مناشدا ، ومثل من يصفع ذقنه او ينتف او يشد شعره او يقضم اظافره . ان كل من يفعل ذلك لا يعني الا ان يبصق انفعالاته او ان يعبر عنها او ان تحركه بلا تدبير او غرض محدد او معروف او مقصود كما يصنع المصوت بلا فرق . انظر . هل الذي يقضم اظافره يكلمها او يعلمها ام يبصق مشاعره ؟ ان مثله من يصوت . .

حتى الصلاة ومناشدة الاله انها ليست الا تصويوتا اي ليست الا بصفا للانفعالات وللشحنات النفسية والذاتية . انها اي الصلاة والمناشدة للاله ليست تكليما للاله ولا حوارا او تفاهما وتخطبا معه ، بل ليست اسماعا له ولا تأميلا فيه بل ولا ملقا او خداعا او تدليلا لكبريائه او لضميره وعقله او لانانيته وطموحه العنيف الاليم . انهما اي الصلاة والمناشدة للاله ليستا الا استفراغا للذات مثل البكاء والانين والحقد وشتم الاعداء والظعن فيهم من بعيد . نعم ، ان المصلي المنادي للاله بكل التضرع والصدق لا يساوي في جميع التفاسير الدينية والنفسية والاخلاقية اكثر من الباكي او الشاتم او الباصق .

اما الكلام فانه تفكير وخلق ومقاومة وعطاء ومجادلة ومفاوضة وتقبل ورفض . انه التزام شامل بكل معاني وتفاسير وطاقت الالتزام ، وبكل ما يعني الالتزام من تخطيط وتدبير وتعهد وصدق ومخاطرة وحذر ومعاناة ومن هدم وبناء . انه قراءة وتفسير شاملان للطبيعة وللأحداث وللناس . انه يعني كل الكينونة السابقة والحاضرة والمقبلة . ان الكلام هو كل الكينونات الحضارية والانسانية والاخلاقية والفكرية بل والكونية قد جاءت بصيغة اخرى . .

انه اذن لرفق كريم بالانسان العربي الا يفسر متكلماً بهذه التفاسير للمتكلم وللکلام . ان تفسيره بانه كائن متكلم فضح له لا رحمة ولا مجاملة فيه . ان تفسير الانسان العربي بانه متكلم لاقسى في قسوته من تفسير من يضع اصبعه في انفه بانه يعلم جمال التفكير والشعر والفنون .

انه لو كان الانسان العربي متكلماً لما وجد حضيض يكفي لكي تهبط اليه مستوياته العقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية . انه لن يوجد حينئذ من يستطيع ان يقرأ اي يقرأ الانسان العربي او من يستطيع ان يفسره او يحدد فيه اشفاقاً واشمئزازاً . . .

لو كان الانسان العربي متكلماً اي لو كان يحكم او يفكر او يرى او يلتزم او يحدد او يفسر او يعني اي شيء حين يستعمل فمه ويمارس الالفاظ اللغوية لما كان ممكناً حينئذ ان تفهم مستوياته البشرية ؟ كيف يمكن ان يكون مستواه العقلي او النفسي او الاخلاقي او الانساني حينئذ ؟ اي حضيض حينئذ يستطيع ان يكون مستقراً لهبوطه واحتياجه الى الهبوط ؟

كيف يمكن حينئذ ان يفسر حين يقول اي لو كان يقول ، وليس يستفرغ ذاته فقط استفراغاً لا يعني به شيئاً غير نفس الاستفراغ ؟

- اجل ، كيف يمكن حينئذ ان يفسر حين يقول او حين يصوت وكأنه يقول :

ونبطش حين نبطش قادرينا
ونظلم حين نظلم بادئينا
وماء البحر نملؤه سفينا
تخر له الجبابر ساجدينا

لنا الدنيا ومن امسى عليها
طغاة ظالمون وما ظلمنا
ملأنا البر حتى ضاق عنا
اذا بلغ الفطام لنا رضيع

**
*

لنا الصدر دون العالمين او القبر

وانا اناس لا توسط بيننا

**
*

وان نحن اوماننا اليهم توقفوا

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا

**
*

بها انف ان تسكن اللحم والعظام

وانى لمن قوم كأن نفوسهم

**
*

وهبناهمو كل الحضارات والربا

ونحن وهبنا الناس كل مزية

**
*

هتكنا عفاف الشمس بل سقطت ذعرا

اذا ما غضبنا غضبة مضرية

وحين يقول : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . في أي عصر كنا خير أمة أخرجت للناس ؟ في عصر البداوة والجاهلية حينما كنا نمجد أنفسنا ونفخر على العالم بكوننا أميين ونمجد الإله لأنه خصنا بذلك ؟ أم في عصر ملوك بني أمية ؟ أم في عصر ملوك بني العباس أم في عصر الأيوبيين أو الفاطميين أو المماليك أو المغول والتتر أو الصليبيين أو الغزوة الأوربية الشاملة ، أم في عصر المواجهة الكئيبة الرهيبة بين إسرائيل وبين عشرين دولة عربية ، أم في عصر الثورات العربية المتساقطة علينا حينما أصبح للعروبة كل شهر واحيانا كل اسبوع ثورة ، وقد يصبح لها كل يوم ثورة ، أم في عصر النفط .. النفط العربي ؟ نعم ، أم في عصر النفط العربي ، هذا الإله النذل الشرير المتآمر الذي جاء إلى العرب هذا المجيء الضخم الجهير المثير العالمي لكي يعلن إعلانا عالميا كونيا عن مواهبهم ، لكي يرفع كل أفتنة وحجب وسدود وروايات وجثث ومحاريب ومنابر وقبور التاريخ عن مزاياهم الاخلاقية والعقلية والانسانية والحضارية .. لكي يفرغ قبور آباءهم من كل امجادهم الدفونة معهم .. لكي يقرأهم على كل العالم قراءة دولية بكل لغات العالم ؟ نعم ، لقد قرأ النفط العربي ، العرب قراءة عالية وترجمهم إلى كل لغات العالم وفسرهم إلى كل مذاهب كل العالم وفي محاريب كل العالم ..

نعم ، في أي هذه العصور والعهود كنا خير أمة أخرجت للناس ؟ وفي أي مواهبنا وصفاتنا وتفاسيرنا نحن خير أمة أخرجت للناس ؟ في ذكائنا أم في اخلاقنا أم في جمالنا واجسادنا أم في قوتنا أم في حضارتنا ومعارفنا وابتكاراتنا .. في زعمائنا وحكامنا وقادتنا وعسكريينا أم في علمائنا وشعرائنا وفنانينا ومفكرينا ، أم في جماهيرنا .. في تهذيبنا وحبنا وصدقاتنا وعبقرية علاقاتنا بالاصدقاء والاعداء .. أم في مزايا آلهتنا وانبيائنا وادياننا ، أم في تفوق الشموس والاقمار التي تعيش فوقنا على كل الشموس والنجوم التي تعيش فوق الآخرين .. ؟

في أي هذه نحن خير الامم ؟ كيف جرؤنا على ان ننزل على أنفسنا وفي أنفسنا مثل هذا التمجيد ؟ هل حدثنا في أنفسنا قبل ان ننزل هذا النص في تفصيلها على كل العالم والكون ؟ كيف نجرؤ على قراءة او كتابة هذا النص ، او على الاستمرار في قراءته وكتابته ؟ هل فكرنا في تفاسيره ؟ ألم نخف ان يسمعننا او يراونا العالم ونحن نكتبه ونقرؤه ؟ ألا نخشى ان يراونا او يعرفنا ويفهمنا ويفسرنا أي العالم بعد ان يسمعننا ويرانا نقرأ ونكتب ونتلو هذا النص في تمجيدنا لانفسنا ، بعد ان يعلم اننا نتلو هذا النص في صلواتنا واننا نؤمن به بل واننا نعلن ايماننا به على كل العالمين بزهو اعنف من زهو من صعدوا فوق القمر حين يعلنون خطوهم فوق جبينه ، فوق اعضائه المحجبة الحرمه الحروسه باقوى الالهة واشرسها ؟ كيف نسمح لمطابعنا بأن تطبع هذا الكتاب الذي فيه هذه الآية ؟ كيف لا نخاف ان يقرأه احفادنا القادمون او يقرأه العالم الاخر ؟

اذن حينما انزلنا هذه الآية في تمجيدنا وتفسيرنا ورؤيتنا لانفسنا وحينما ذهبنا باستمرار وديمومة وایمان نقرؤها ونكتبها ونعلنها .

- نعم ، حينما فعلنا ذلك هل الافضل والاستر والاذكى لنا ان نكون متكلمين يعنون ما يقولون ام ان نكون مصوتين فقط اي باصقين لانفسنا ولاصواتنا ولوقاحتنا وبذاءاتنا وبلادتنا وقبحنا بلا اي قصد او معنى أو التزام بشيء مما يعنيه ويلتزم به من يتكلمون ؟

اجل ، أليس الاذكى والافضل والاستر لنا ان نكون مستفرغين لانفسنا لامتكلمين؟ أليس الذي يفسرنا مصوتين فقط اي مستفرغين حينما نزعم متكلمين يدافع عنا ويحمينا ويرفق بنا دون الذي يفسرنا متكلمين ؟ اذن فلنعلنهم اعداء ومحقرين لنا كل من يزعموننا متكلمين وكل من يحاسبوننا كما يحاسب المتكلمون . .

اننا نقول في انفسنا وعن انفسنا : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . شيء رائع جدا بقدر ما هو فاجع وفاضح جدا . اننا لم نزل نتلو هذا على انفسنا في جميع محاربينا . وقد نضل طويلا نفعل ذلك . . جرأة لا مثيل لها على الافتضاح . بل موهبة في البلادة والسماجة والوقاحة لا تطاول . .

اذا افترضنا مصوتين فقط فلا عيب في هذا القول والادعاء . انه لا يعني شيئا ولا يفسر بشيء ولا يعرض قائله او مدعيه اي عرض . انه تصويت فقط اي استفراغ ويصق فقط بلا دلالة على شيء او قصد لشيء . . ولكن لا بد من الاسلوب المؤدب في البصق والاستفراغ . فهل نأدبنا هذا التأدب ؟

اذن لقد نجا قائله من أن يفسر او يفهم او يؤخذ او يقاس بما زعم او ادعى . لقد نجا من اقصى اتهام ، من ان يتهم بانه متكلم يعني شيئا بما يزعم ويدعي وليس مصوتا فقط ، اي ليس مستفرغا فقط . .

ان في افتراضنا مصوتين لا متكلمين لمجاملة كريمة لعارنا وافتضاحنا . ان في هذا الافتراض لعزاء لنا .

انه لا نجا لقائل هذا من اقصى اتهام الا بأن يكون مستفرغا لا متكلما . . أليس محتوما او مفروضا ان يحاسب المتكلم ؟ ولكن هل يمكن محاسبة المستفرغ ؟ ان المستفرغ لا يحاسب مهما كان مستقذرا . المستفرغ قد يحاسب على اسلوب استفراغه . ولكن هل يحاسب على تفاسير او معاني استفراغه ؟

أليس المستقذر لانه مارس شيئا اضطراريا كالأستفراغ اقل قبحا او ذنبا او افتضاحا او عارا او هوانا او استحقاقا للاحتقار من الهابط في جميع مستوياته العقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية والحضارية والتعبيرية تحت جميع مهابط الحضيض . اذن أليس افضل لك او اقل هجاء ولو احيانا ان تكون مستقذرا

من ان تكون مفتنصحا او محتقرا او فاقدا لكل مستويات العقل والاتزان والاحترام للنفس ؟ اليس الافضل لك ان تكون مستفرغا وباصقا لا متكلما اذا كان هذا قولك ؟
 لنفترض انفسنا متكلمين هنا لحظات . اذن لنحاسب انفسنا في هذه اللحظات التي نحن فيها متكلمون اي افتراضا . . . لنحاسبها على هذه الدعوى التي لا يتسع لها كل ما في الكون والاشياء من وقاحة وبذاءة وسماجة ومن غرور وغباء . . .

لنحاسبها على قولها لنا او على قولنا لها ، على هذا الاعلام او الاعلان الكوني :
 «وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» .
 اصحيح ان هذا قول قد قاله احد ، قد قلناه نحن ؟ اصحيح اننا قد قلنا هذا بالسنة آلهتنا وانبيائنا ؟ ايمكن اذن ان يكون هناك آلهة وانبياء مثل آلهتنا وانبيائنا ؟

من هم نحن الذين سيكونون شهداء ؟ هل هم مشيخات الخليج الثائر ، اقبل النفط ام وقت النفط ام بعد النفط ؟ وهل هم كذلك من اجل النفط وتمجيدها للنفط ام مع الاغضاء عن فضائح النفط ومع تناسيه وغفران ذنوبه وتشويهاته واساءاته ؟ هل اعطى مشايخ الخليج هذا المجد من اجل نفطهم ام من اجل عبقرياتهم الحضارية والانسانية والدينية ؟

أم هؤلاء الذين سيكونون شهدائهم المجتمعات الثورية المواجهة لاسرائيل أي الفاضحة الذلة القاهرة لاسرائيل بانطراحها الدليل الباكي الدائم ، اي بانطراح هذه المجتمعات الثورية العربية امام كل الابواب الدولية وغير الدولية ، المرجوة والميؤوس منها ، امام كل الابواب المرجوة والراجية ، المبكى امامها والباكية امام الابواب الاخرى .
 - بانطراحها الدليل المهين الدائم المتحول الى صلاة وتعبد، بل المتحول الى وطنية ومذهبية وعبقرية كونية والى حضارة ونضال وبسالة تدق وتشد لمجدها الأجراس والاناشيد ، وتقام لتحتيتها وللإعلان عنها المهرجانات والمؤتمرات ، وتنزل لتكريمها وللتحدث عنها خاتمة النبوات .

- بانطراحها امام كل الابواب تدق وتشكو وترجو وتلقي بكل ملابسها عن عارها وهوانها وتشوهاتنا ، وتزرع الشماتة والمسرات في قلوب جميع الاعداء وتضع الدموع والاحزان في قلوب وعيون جميع الاصدقاء ، وتضع التعجب والحيرة في عقول وتساؤلات جميع الناس ؟؟

هل الذين سيكونون شهداء منا هم الذين جاءوا وذهبوا ام هم الذين جاءوا ولم يذهبوا ام هم الذين لا بد أن يجيئوا بالاسلوب الذي به جئنا ليكونوا مثلما كنا كما كنا مثلما كان آباؤنا ، ام هم كل هؤلاء ؟

هل الذين سيكونون منا شهداء هم حكامنا وزعمائنا ام هم علماءنا ومفكرونا وادباؤنا وشعراؤنا وفنانونا ومبتكرونا ، ام هم مشايخنا ومعلمونا ووعاظنا وانقيائنا وجماهيرنا الذكية العبقرية التقيية المؤمنة ، ام هم كل هؤلاء ؟ او لعل هؤلاء الذين سيكونون منا شهداء هم قادتنا العسكريين وجنودنا المحاربين اي بعد مواجهاتهم

الطويلة لاسرائيل ! نعم ، لعل الالهة لن تجد مجدا يعوضها عن فقدتها لكل مجد ويهبها أضخم وأشهر مجد سوى مجدنا الذي صنعتها لنا مواجهاتنا لاسرائيل ٠٠

ولعل آلهتنا وأنبياءنا وملهمينا شاهدوا من فوق اسوار الازل مواجهة قادتنا العسكريين وجنودنا الحاربين لاسرائيل فاستخف وقارهم الاعجاب بجيوشنا فحولوا اعجابهم هذا الى وحي منزل يتلى ويصلى به الى نهاية الابد ! لعل آلهتنا وانبياءنا لم يجدوا سرورهم وعزاءهم في شيء ، مثلما وجدوهما في مواجهة جيوشنا لاسرائيل ٠٠ ولكن أية محكمة أو هيئة قضائية سوف نتقدم اليها شهداء ؟ وكيف قبلتنا أو اخترتنا هذه المحكمة أو الهيئة القضائية لنكون هؤلاء الشهداء أو الشهود ؟ وهل محتوم ان تقبلنا ؟ هل عرفنا ذلك ؟ ولماذا اخترتنا لذلك أو لماذا وقع الاختيار علينا ؟ هل هو تكريم لنا ام تحقير وتعذيب وفضح ؟

واين مكان هذه المحكمة ؟ اهي في عالمنا هذا ام في عوالم اخرى ؟

ومتى عقدت او متى تعقد ؟ هل عقدت وانفضت وادينا الشهادة امامها ام انها سوف تعقد وسوف تؤدي الشهادة بين يديها ؟ وهل محتوم ان تعقد هذه المحكمة ؟ ألا يحتمل ان يحدث ما يجعلها لن تعقد ؟

ولماذا قبلنا دورنا هذا وهل قبلناه ، وهل قبلنا برضا ام بغضب ؟

وهل استمعت او سوف تستمع اليها المحكمة ومن شهدنا او من سوف نشهد عليهم باعجاب وتوافق ام باشمئزاز واستقبح ؟

هل ارضينا المحكمة ومن شهدنا عليهم او لهم بشهادتنا ام رفض كل من كان هناك شهادتنا ؟

وما هي اللغة التي سوف تؤدي بها الشهادة ؟ لعل المكان او العالم الذي سوف تعقد فيه هذه المحكمة ويؤلف من سكانه اعضاؤها لا يوجد فيه من يتكلمون اللغة العربية ، ولعلنا نحن لن نعرف اية لغة من لغات اهل ذلك المكان او العالم . لعل اهل ذلك العالم الذي سوف تؤلف منه وفيه المحكمة قد عرفوا اننا مصوتون لا متكلمون ، وعرفوا قيمة الكلمة عندنا مسموعة ومنطوقة ومفسرة . وهل يمكن حينئذ ان يستمعوا اليها ؟

ولا بد ان يكون هنا سؤال كبير وحاد التفسير والجواب ٠٠ هو : هل اقتنعنا باننا اهل لهذه الشهادة ، وان مواهبنا العقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية والحضارية تجعلنا اهلا لها ؟ وهل وثقنا باننا احق بها من كل العالم ؟ وهل اطماننا الى اننا لم نختر لذلك محاباة لنا تحايينا بها الالهة او احدى القوى الغيبية المبتوثة المتسترة داخل هذا العالم ؟ أليست المحاباة هي اشهر اخلاق الالهة ؟

أليست اشهر واعظم مواهبنا افسادنا لضمائر الالهة واخلقاتها بتعليمها المحاباة لنا ؟ هل افسد قلوب الالهة شيء مثلما افسدها حبها لنا ؟

ولكن هل علم ان شهادتنا هذه سوف تكون امام اية محكمة او اية هيئة قضائية؟
لعلها لن تكون كذلك ، اي لعلنا سوف نؤدبها امام اشمل واقسى الطغاة الجبارين ،
نؤدبها امامها كما يريد ويأمر لا كما نعرف ونجد ونصدق . . .
السنا دائما مأمورين مطيعين لا محاورين ولا محاكمين ولا هتنتعين او صادقين
او مبصرين ؟

لعلها ليست شهادة ولكنها وشاية وتآمر وتحريض وخيانة وتكتل في اجهزة
ومخابرات اوقح الطغاة . . . أليس اغلب الشهود والشهداء ليسوا شهودا ولا شهداء
ولكنهم قتلة وجواسيس في جيوش وحرس ومخابرات الطغاة ؟

لعل هذه الشهادة ليست الا اسلوبا رهيبا ندلا من اساليب التزوير والاتهام
استجابة لشهوة وجبروت طاغية ما كما يشهد الاذلاء والعملاء ضد الناس لمصلحة
ولا هواء طغاتهم القتلة . . . هل الحب او الصدق او الشهامة او الغيرة هي التي اخترعت
الشهادة والشهود ام هو البغض والنذالة والعداوة واللؤم والتسخير ؟

وهل الشهادة مهما كان صدقها فن جميل او كريم ؟ وهل يمكن ان تكون
الشهادة امام الطغاة او بامر الطغاة واجهزتهم وفي اجهزتهم حتى امام الالهة محمودة
او مغفورة ؟ وقد قيل ان هذه الشهادة سوف تكون امام الاله لمصلحة الاله استجابة
لرغبته . هل الشهادة امام الطاغية او بامر الطاغية ومع اجهزته عمل طيب حتى ولو
كان هذا الطاغية هو الاله ؟

هل يمكن ان يكون تكريما لك ان تكون شاهدا على الناس او ضد الناس حتى
ولو كانت شهادتك امام الاله ، لمصلحته ، استجابة لاموائه ؟

هل توجد نذالة او معصية كندالة ومعصية من يشهد امام الاله لمصلحة الاله
بأمر الاله ؟

وهنا مشكلة صعبة جدا لم يفتن اليها اولئك الذين فرضوا علينا او اختارونا ان
نكون شهداء او شهودا ، او لم نفتن لها نحن حينما اخترنا او التزمنا ان نكون هؤلاء
الشهداء او الشهود .

ليس محتوما ان نختلف في شهادتنا هذه اختلافا لا يستطاع ضبطه ولا التوفيق
او التقريب بين تفاسيره واتجاهاته ، كما اختلفنا في كل شيء ؟ لكن اختلفنا لن
يكون اختلافا في الرأي مهما زعم او بدا انه لا شيء غير الرأي . ان الرأي بريء من
جميع اختلافاتنا في كل تاريخنا .

واذا وقع هذا الاختلاف المحتوم في شهادتنا فكيف يكون التصرف ؟ كيف تصنع
حينئذ هذه المحكمة ؟ ورطتك ايتها المحكمة العجيبة المجهولة الشخصية والمكان
والتاريخ والقضاة ورطة صعبة يستحيل الخروج منها . لقد ضاع عليك شهودك
وشهداؤك وضاعت عليك مقاساتك ، بل لقد ضاعت او مست هيبتك ووقارك وثقتك
بنفسك وبكل اعمالك . لقد ضاعت الامل على اولئك الذين كانت لهم مصلحة او حكمة
في ان تنشئي وتعقدي ويعلن عنك وفي ان نكون نحن شهداءك او شهودك ، او ضاعت

على ذلك الواحد العجيب الذي اراد ودبر ان تكون تلك المحاكمة او المحاكمة، وان نكون نحن شهوده وشهداءه ثم استراحت امله الى النتائج الجيدة التي كان يريدتها ويخطط لها ويتوقعها آتية كالمضمونة بكل الضمانات الكونية والغيبية . كيف امكن ان يقتنع احد ان شهادة العرب متفقين ومختلفين قد تعنى اي معنى من معاني الشهادة ؟

كيف امكن ان يقع الجهل بهذا ، اي باننا لا بد ان نختلف في شهادتنا ، واننا اذا اختلفنا سقطت شهادتنا واصبحت القضية محتاجة الى ادلة وشهادات اخرى بل واصيبت هيئة المحكمة بورطتها المحتموة التي تستحقها ؟ بل كيف امكن الجهل بان شهادتنا لا تستطيع ان ترقى الى معنى الشهادة حتى ولو اتفقنا عليها ؟

هل الذين هم وراء هذه القضية والذين لهم مصلحة وحكمة ومجد ومسرات في انشاء هذه المحكمة وفي تدبيرنا شهودا فيها وفي الاستماع الى شهادتنا وفي الاعلان عنها والثقة بها - هل هؤلاء مصابون بكل هذه الغفلة وضيق الخيال ؟

حزني لكم ايها المنتظرون لشهادتنا لكي تشفيكم من احقادكم وغضبكم وضلالكم ومن جميع آلامكم وعقدكم النفسية والاخلاقية والتاريخية . . . اجل ، وحتى بلا اختلاف في شهادتنا لو كان ذلك ممكنا كيف كان محتملا ان يكون هناك من يحترم شهادتنا او من يحولها الى التزام قضائي او اخلاقي او منطقي او الى التزام من اي نوع ؟ بل كيف كان ممكنا ان يوجد من يتقبل ان يستمع الى شهادتنا او حتى ان يتحدث عنها او حتى ان تتعامل اي شهادتنا مع تصوره او مع اهوائه وتحليقاته في الفراغ والهباء ؟ ان هذا نوع من المبالغة في محاباة ذكائنا وتقوانا لم يكن غرورنا ولا اعجابنا باربابنا وتاريخنا يستطيع الطموح اليه . . .

هل نستطيع ان نصدق ان كائنا ما يتقبل او ييمنى او يدبر او يأمر ان نكون شهداء او شهودا له او معه في قضية لها اي شأن او احترام او خطورة او اي تأثير في حساباته او معاملاته او منطقته او حتى في احاديثه وانتماءاته ؟

أنحن كائنات يحتمل ان نكون او ان نقبل شهودا على اي شيء ، او في اي شيء ؟ كيف امكن ان يخدع بنا احد ؟ كيف امكن ان تكون الخديعة بنا بهذه الضخامة ؟ كيف حدث هذا ؟ اننا نعرف انفسنا ، نعرف مستوياننا الاخلاقية والنفسية والعقلية بل والدينية . نعرف جيدا وبال تكرار ماذا تساوي شهادتنا في تفاسيرها الاخلاقية والفكرية والعاطفية والدينية والتاريخية والانسانية .

لا نعرف لاننا اذكياء او صادقون او مبصرون بل لاننا لا نستطيع بل ولا نريد ان نجهل ذلك .

هل نحن نعرف انفسنا معرفة ظالة لها؟ هل هناك من عرفونا ومن سوف يعرفوننا معرفة فيها تصحيح لمعرفتنا الظالة لانفسنا وفيها اعتذار وتكفير عن هذه المعرفة الظالة ؟ لعل ذلك كذلك . ليته كذلك . . . هل مستويانا العقلية والنفسية والاخلاقية اعظم وانظف واتقى مما عرفنا ورأينا وقاسينا ؟

اذن لفرغض معرفتنا ورؤيتنا لانفسنا ، ولنؤمن برؤية ومعرفة اولئك الاخرين لنا ، اولئك الاخرين الذين يرون انهم يعلنون عن مجدهم وعن تقواهم وذكائهم حينما يعلنون انهم سوف يرجوننا ان نكون شهودا لهم ومعهم ، تدليلا على عدلهم وشهامتهم . . .

هؤلاء الذين يعلنون عن مجدهم باسلوب من يعلنون عن مجدنا حينما اعلنونا شهداء او شهودا . . .

اذن ايها الغرور لتتغير حدودك اتساعا وصعودا فان جميع حدودك القديمة لا تستطيع ان تكون حدودا لتحقيقاتنا وتحدياتنا والتفاتاتنا ، ولتتكاثر تفاسيرك ومفسروك ، ولتتعدد ويتعددوا ، فان جميع تفاسيرك القديمة لا تستطيع ان تكون تفسيرا واحدا من تفاسيرنا لانفسنا ولا بائنا وتاريخنا واربابنا . . .

انك يا غرورنا لصغير ، صغير اذا حوكت بما يجب لنا وبما نستحق من غرور . . . ولكن هل نقبل هذه الرؤية والتفسير الجيدين لنا ؟ ألا نخشى ان تتحول الرؤية والتفسير الجيدين لنا الى نوع من الالزام لنا بأن نكون كذلك؟ أليست الرؤية والتفسير الجيدين لك عدوانا عليك اذا كانا يلزمانك بأن تكون في سلوكك كذلك ؟ أليست لهذا ترفض ولو أحيانا ان ترى وتفسر هذه الرؤية وهذا التفسير الجيدين ، اي خيفة ان تصبح انسانا جيدا وانت لا تريد ان تصبح كذلك لانه لا يريحك ولا يسعدك ان تكونه ، او لا تستطيع ؟

انه ليس ربحا لك دائما ان تكون انسانا جيدا . بل قد يكون خسرانا لك دائما ان تكون ذلك بالاسلوب الذي تقوله لك وتطالبك به اديانك ومذاهبك وتعاليمك وخطبك بالاسلوب الذي يطالبك به اربابك وانبيائك وزعمائك .

نعم ، انهم يطالبونك ان تكون شيئا هم لا يريدون ولا يستطيعون ان يكونوه . . . ثم ما هو الموضوع الذي سوف نكون شهداء عليه او فيه او ضده او له او معه ؟ هل هو موضوع الحضارة والتقدم والتغييرات العلمية والفنية والانتاجية الكبرى ؟ ام هو موضوع الفنون والاداب والتفكير والشعر ؟ ام موضوع الاخلاق والتهديب والحب والصدقات وشهادة العلاقات بالناس وبكل شيء ؟ ام موضوع التقوى والتدين وبمسالة الضمير وبراءة النيات ؟ ام موضوع القوة والشجاعة والانتصارات وعبقرية الممارسة للحروب والاطار والتحديات ؟ ام موضوع الكرامة والاباء والرفض والتوهج الروحي والعاطفي والذهني والانساني ؟ ام موضوع القدرة على التغير والتخطي والتصحيح وعلى القراءة والرؤية والتحديق ؟ ام موضوع الجمال والنظافة، كينونتهما وعشقهما وممارستهما ومعرفتهما وابتكارهما وحمائتهما واجتذابهما ورؤيتهما والاحساس بهما ؟ ام هو موضوع قيادة العالم وتعليمه واعطائه المجد والرخاء والمآذيب والتفاسير والمستويات والصيغ الجديدة الدائمة ؟

ام هو موضوع حريات الانسان وحقوقه وحمائته ، حماية كرامته وذكائه وتمرده ورفضه وعصيانه ورؤيته من طغيان وجهالة وبدواة آلهته وانبيائه وطفاته وزعمائه وتاريخه وقبور آبائه ؟ وهل وجد من حمى الانسان من جبروت واغلال اربابه وانبيائه وطفاته وتاريخه وقبور آبائه مثلما حميناه نحن ؟ نعم ، هل وجد ؟ .. في اية قضية من هذه القضايا سوف نكون شهداء وشهودا ؟ او لعلنا سنكون كذلك في جميع هذه القضايا ..

هل يحتمل ان تساؤلا واحدا من هذه التساؤلات قد بزغ في خيال هؤلاء الذين اختارونا او امرونا او الزمونا ان نكون هؤلاء الشهداء والشهود او في خيال واحد منا يجرؤ على ان يقرأ او يسمع اعلاننا لانفسنا شهداء وشهودا ؟ هل تستطيع اذن ان تسمع تساؤلا واحدا من هذه التساؤلات ثم تقبل ان تظل اذنا لها وظيفة الاذن ؟ ايها الآخرون ، كيف تقبلون ان نكون مواطنين لكم في هذا العالم ان كنتم تسمعون او تعلمون اننا نعلن لانفسنا شهداء وشهودا اي ان كان تساؤل واحد من هذه التساؤلات قد جرؤ على ان يقتحم اي موقع من تصوراتكم؟ كيف لا ترجموننا بكل ما في الكون من حجارة وتراب واشمئزاز ؟ كيف تقبلون ان نصبح ارقاما مقروءة او محسوبة حينما تحصون تعداد سكان هذا العالم ؟

أليس غفرانكم لنا وصمتكم عنا وتقبلكم لمعيشتنا هو اقسى اساليب التحقيق والتصغير لنا ولكم اي ان كنتم قد علمتم او سمعتم اننا قد اعلنا على السنة انبيائنا وكتبنا المنزلة المقدسة باننا سوف نكون شهودا على كل العالم في كل شيء ؟ أليس الذي يغفر لك ويستمع منك ويتقبل فيك ما لا يمكن غفرانه ولا سماعه ولا تقبله انما هو انسان يبالغ كثيرا في تهوين شأنك وتصغير قيمتك ؟ أليس الذي يبالغ في الاستراط فيك ولك يحترمك دون من لا يشترط فيك او لك اي شرط ؟

**

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .. من هم الناس الذين سنكون شهداء اي شهودا عليهم ؟ هل هم ناس امريكا واروبا وسائر القارات بل وناس الاكوان الاخرى التي قد نجد نحن فيها ناسا؟ هل هم الذين حولوا القمر الذي كانت آلهتنا تتفقا عيونها خوفا من ان تجرؤ على النظر اليه ، والذي كانت اي آلهتنا تمرض بالكبرياء وبالاعجاب بنفسها حينما تجرؤ على التحدث عن جماله وعلو مكانه وعن عبقرية تكوينه وجهارة وسطوع نوره . - نعم ، هل هم الذين حولوا هذا القمر الى حذاء لآخديتهم ؟

هل هم الذين فرغوا هذا الكون من كل مجد الالهة ومن كل منطقتها اي منطلق الالهة ومن كل تقاسيرها وعيونها وارهابها ولغاتنا وسلطانها ؟ هل هم الذين سرقوا منا كل مجدنا وانتصاراتنا وعبقرياتنا وكبرياتنا التي حابانا بها تاريخنا وروايات واشعار وقبور آبائنا ، بل التي حابتنا بها نبواتنا

وكتبنا المقدسة ؟ نعم ، ان كل امجادنا وانتصاراتنا وعبقرياتنا ليست الا روايات روتها لنا اشعارنا ونبواتنا وكتبنا المنزلة .

هل هم الذين علمونا انه توجد لغات غير لغاتنا ، غير لغات محاربينا ومنابرنا ومعلقاتنا داخل الكعبة وخارجها وغير لغات سلاطيننا وخلفائنا ، وعلمونا ان لغاتنا هذه ليست احدى لغات الانسان ولا احدى لغات الطبيعة ، بل وانها اي لغات محاربينا ومنابرنا ومعلقاتنا وخلفائنا وسلاطيننا ليست لغات لشيء ولا تعبيرا عن اي شيء ، وانما هي اصوات وشتائم وهجاء لكل لغات الانسان ولغات الطبيعة ولغات الحياة والحضارة والتقدم والانسان ؟ نعم ؟ ان لغات محاربينا وانبيائنا وخلفائنا ومعلقاتنا ليست هجاء فقط للغات الانسان بل وللغات الحياة والطبيعة وكل الاشياء .

ام هم الذين قرأوا علينا ولنا آلهتنا وانبياءنا وآباءنا وتاريخنا وانفسنا وفسروهم وفسروها لنا بمنطق ولغات ولهجات وتفاسير وصدق وذكاء ورؤية جعلتنا نخجل ونهاب ان نقرأهم ونقرأها ونفسرهم ونفسرها ونراهم ونراها كما كنا نفعل ؟ نعم ، لقد أصبحنا نخجل ونهاب ان نقرأ او نفسر آلهتنا او انبياءنا او آباءنا كما كنا نقرأهم ونفسرهم . لقد أصبح عارا ان نراهم كما كنا نراهم . . .

نعم ، من هم الناس الذين سوف نكون شهداء وشهودا عليهم ؟ هل يحتمل ان يكونوا هؤلاء ، بل هل يحتمل ان يكونوا ناسا اي ناس ؟ هل عرفنا نحن هؤلاء الناس الذين سوف نحاكمهم امام الاله اي نشهد لهم او عليهم ؟

الا يحتمل ان هؤلاء الناس الذين سوف نكون شهداء عليهم ليسوا ناسا ولكنهم كائنات اخرى تسمى ناسا ؟ أليس هذا معقولا اكثر من الاحتمال باننا نحن سوف نكون شهداء اي شهودا على الناس ، على اي ناس ؟ أليس هذا الخلط او الخطأ في اللغة افضل او اقل تعبيرا وقبحا من الجنون في العقل او الاخلاق او التمني او التصور ؟ ان الموقف هنا لن يكون الا خطأ في اللغة او جنونا لا شبيه له في وقاحته وسخفه . . .

واذا كان هؤلاء الناس الذين سوف نكون شهداء عليهم هم الناس حقا اي هم اناس اوربا وامريكا واناس القارات الاخرى فبأي اسلوب او صيغة سوف نكون كذلك؟ هل نشهد كلنا عليهم كلهم ام نقسم نحن شاهدين ويقسمون هم مشهودا عليهم ؟

مثلا . . . عرب الخليج وعرب الجزيرة ومن هم في مثل مستواهم وظروفهم ونظهم يشهدون على شعوب امريكا واوربا الغربية وعلى كل من هم في مستوياتهم الحضارية والانسانية والتاريخية والاخلاقية . اما عرب افريقيا وهم في الاكثر مزعمون ثوريين اشتراكيين فيتحولون الى شهود على شعوب الكتلة الشرقية وعلى شعوب ما يسمى بالعالم الثالث . ولا بد ان تكون الصين واليابان داخلتين تحت هذا التقسيم اما في هؤلاء او في هؤلاء او في هؤلاء . ومحتموم ان تكون هنا تبادلات لا مفر منها بين تقسيمات الشاهدين وكذلك بين تقسيمات المشهود عليهم

واي الاحتمالين نتوقع ونتمنى ان يكون هو الذي يكون ؟ ان الذي يعطي العرب المجد والقوة والسيادة اكثر هو الاحتمال الذي يجب ان يكون هو الذي لا بد ان يكون .
 ليس كل التفسير لجعل العرب شهودا على كل العالم هو اعطاءهم اي اعطاء العرب كل صيغ المجد والسيادة والقوة لا اعطاء العدل او الحقيقة كل نماذجهما وتقاسيرهما ؟
 نعم ، سكان الخليج العربي النفطى وسكان الجزيرة العربية سوف يشهدون على شعوب امريكا وشعوب اوربا الغربية . هل يمكن ان توجد صيغ للمجد او للقوة او للسيادة والقيادة والتفوق مثل هذا؟ وسكان البلدان العربية الافريقية الثورية سوف يكونون شهداء وشهودا على بقية العالم . وفي بقية العالم هذا روسيا واليابان والصين واسرائيل ايضا ! . هل يوجد تمجيد وتزكية واسعاد لضمائر الالهة والطبيعة وكل الاشياء ولذكاؤها واخلاقها وقوانينها وعدلها مثل هذا ؟

هل رأت او يمكن ان ترى عيون النجوم منظرا أجمل من ان ترى سكان الخليج العربي يشهدون على شعوب امريكا واروبا او من ان ترى الشعوب العربية المواجهة لاسرائيل تشهد على بقية شعوب العالم ؟ انه لمجد نرفض ان نساوم او نفاوض عليه كل ما في الكون من ضخامة واغراء او ان نستبدل به كل ما في السماء من صعود وشموس وكل ما في الشمس من جهازة وضياء .

انهم يشهدون عليهم او لهم بانهم موجودون او بانهم احياء او بانهم بشر او بانهم يستحقون ان يبعثوا ليقابلوا الاله وليحاسبهم وليخاطبوه ويسائلوه ويخاطبهم ويسائلهم ، او بانهم متحضرون واذكياء واقوياء ومبدعون ومهذبون وطيبون وصادقون ومخلصون وانسانيون ، وانهم يستطيعون ان يتعلموا ويفهموا ويتطوروا ويكبروا وان يغتسلوا ويغسلوا ثيابهم بالمياه المطهرة من الادران والجراثيم . . وانهم ايضا يستطيعون ان يتعاملوا ويتحدثوا مع العرب وان يتعلموا عنهم ويتحدثوا بلغتهم اي باللغة العربية ، وانهم يستحقون ان يسمح لهم بذلك . . او بانهم يستحقون ان يستدفئوا او يستضيئوا او يتعاملوا اي تعامل بالنفط العربي ، بل او ان يعاقبوا بحرمانهم منه . . أليست المعاقبة بالنفط العربي تمجيذا وتكريما لمن ينزل به العقاب ؟
 نعم ، انهم يشهدون عليهم او لهم بانهم كذلك او بانهم ليسوا كذلك بل ولا يستطيعون او يريدون ان يكونوا كذلك . اي انهم يحاكمونهم بالشهادة عليهم فيحكمون لهم او ضدهم ، اي انهم هم وثائق وادلة المحكمة التي ستحكم عليهم او لهم . انهم اي اننا نحن الشهود الذين هم القضاة او الذين يحكمون على القضاة بالحكم الذي يصدرونه . اي اننا يومذاك سوف نكون قضاة امام الاله لمصلحة الاله او قضاة على الاله . ان شهادتنا الزام له . .

اي ان عرب الخليج وعرب الجزيرة وعرب الدول العربية المواجهة لاسرائيل والمهددة الحاربية لها من بعيد هم الشهود الذين معناهم كل معنى القضاة الذين سوف يحكمون على كل العالم . اي انهم هم الشهود الذين يصدرون الحكم أو يأمرون ويلزمون به . اي انهم الشهود الذين يحكمون على القضاة .

ان الشهادة هنا ليست شهادة ولكنها حكم ، على المحكمة وعلى المتهمين بل وعلى
الهولة . ان شهادة العرب على الناس ليست شهادة ولكنها اصدار للحكم مع التنفيذ .
ايها الناس وغير الناس في هذا الكون وفي كل كون اخر اسمعوا وصدقوا
وتادبوا وجاملوا - اسمعوا ولا تموتوا غيرة وحسدا أو موتوا غضبا واشمئزازا ورتاء
- اسمعوا :

« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيذا » . هل سمعتم ، وهل بقيت لكم اذان ان كنتم قد سمعتم ؟ وهل صدقتم
اذانكم ان كنتم قد سمعتم أو رضيتم ان تكون لكم اذان ان ائقنعتكم بانكم قد سمعتم؟
هل سمعتم هذا أو هل تستطيعون أو تتقبلون ان تسمعه ؟ وان كنتم قد
سمعتموه ووعيتموه وفسرتموه فماذا اصابكم وماذا ظننتم بنا وهل قبلتم ان تبقى
لكم اذان ؟

اسمعوه ونحن لن نرفض ان نعتذر بكل الصدق والتعذب والتضرع الى كرامة
وكبرياء وذكاء اذانكم . وهل توجد اذان قد بقي لها شيء من الكرامة أو الكبرياء ؟
هل ينتلقى شيء من العدوان على كرامته وكبريائه مثلما تنتلقى الاذان ؟

نعم ، اسمعوه ونحن لن نخشى اذا سمعتموه ان تحاولوا اصابة مسامعكم
بالصمم أو أن تمنوا انكم قد خلقتم صما لانكم قد عودتم وروضتم اخلاقكم وعقولكم
وإذانكم وكل معانيكم ومواهبكم طويلا طويلا على أن تتقبلوا وتسمعوا وتروا وتعرفوا
منا وعنا ما يستطيع ان يجعل موهبة الغفران والتقبل فيكم موهبة لا يستطيع اي
شيء ان يزعجها أو يصددها أو يثير اشمئزازها بل أو ان يتحول الى مفاجأة لها .
إنه لا يوجد ترويض وتعويد على تقبل وغفران كل شيء مثل الترويض والتعويد على
معايشتنا ورؤيتنا والاستماع الينا .

ان لنا اذن لمزية كبرى ، هي اننا نروض ونعود من يتعاملون معنا أو فينا أو
علينا أو يواجهوننا ويعرفوننا ويقرأوننا بالآي يصدموا أو يفجعوا أو يفاجأوا أو يثاروا
بأي شيء مهما كان قبحه وبلادته ودمامته ونذالته وخروجه على جميع المقاييس
والنماذج والشروط والمستويات والقيم . . اننا نسحب من العقول ومن العيون
والضماير والمواهب نموذجيتها وايمانها بالنموذجية في الذات وفي الاشياء .

اجل ، ان لنا وفينا لنفعا ، ولكن هذا النفع قد تكون له اضرار مخيفة . . اليس
محتملا ان من يشاهدوننا ويعرفوننا قد يتحولون الى متقبلين لكل شيء رديء وبليد
والى متلايمين ومتعاملين معه وسعداء به . . وحينئذ قد يتخلون عن موهبة الابداع
والتغيير والرفض والغضب والاشمئزاز فيهم ، أو قد تصاب موهبتهم هذه بالضعف
والتهاون والخمول والتسامح مع القبائح والقبائح . . وحينئذ قد تتباطأ فيهم عبقرية
وشهوة الخلق والابداع . . وقد تكون آلهة هذا الكون هي اكبر واشهر ضحايا
مشاهرتنا ورؤيتنا ومعرفتنا بالعين وبالضمير . . لعلنا بهبوطنا تحت جميع النماذج
والشروط الجمالية والاخلاقية والعقلية والفنية قد روضنا وعودنا عيون وضمائر

واخلاق وعقول الالهة على الا تستنبح او تستنكر أو ترفض أي شيء تصنعه وتديره وتريده هي، أو تراه وتعلمه يديره ويريده ويصنعه غيرها . نعم، ليست الالهة تروض وتعود ؟ وهل يحتاج الى الترويض والتعويد على الصغائر والقبائح والبلادات مواجهة ومفعولة مثل الالهة ؟ كيف تطيق وجودها لولا ذلك ؟

كيف يمكن تفسير تنازل الاله عن كل الشروط الجمالية والاخلاقية والفنية والمنطقية على أي شيء يصنعه ويخطه ويديره ويشاؤه هو بل ويعجب به ، وعلى أي شيء يشاهده ويقرؤه ويعلمه ويعامله ويتعامل به صانعا ومدبرا ومريدا له سواء .

نعم ، كيف يمكن ان يفسر تنازل الاله عن كل الشروط على كل الاشياء التي يخلقها أو التي يواجهها بغير تاثر مواهبه واخلاقه ونماذجه الفنية والجمالية بادمانه المواجهة والرؤية لنا ؟ ان الاله لا يشترط اية شروط من أي نوع على أي شيء يخلقه أو يواجهه ويعامله أو يراه . فكيف حدث هذا ؟ ما التفسير . . . ؟

أليس محتملا جدا ان مشاهدته ومواجهته الطويلة لنا بكل حواسه واحاسيسه قد افسدت قلبه وضميره ومنطقه وجميع حواسه بل وجميع صورته ومطامحه الذهنية والنفسية والخالقية ؟

السنا قادرين على ان نسحب من قلب الاله وعقله وضميره ومن كل مواهبه كل معاني الاله ؟

أليس احتمالا جيدا اننا نحن الذين صغنا عيني الاله وضميره وجميع مستوياته المختلفة بتعوده الطويل على مواجهتنا وقراءتنا وعلى مساكنتنا في هذا الكون ؟ اليس محتوما ان من يعايشنا طويلا لا بد ان نقلته تعذيبا أو ان نروضه على الهبوط الى مستوياتنا ؟

أليست الرؤية القبيحة الاليمة الدائمة ، أو أليست المراثيات القبيحة الاليمة الرديئة الدائمة تصوغ عيني وضمير واخلاق ومنطق الرائي الدائم لها ؟ أليس الاله محكوما بموهبة التلاؤم بضميره وعينيه واخلاقه مع ما يرى ويسمع ويعايش ؟

هل يجرؤ أي زاعم ان يزعم انه من الممكن ان يظل كائن ما يشاهدنا طويلا ، طويلا بكل حواسه وتحدياته المختلفة - وليكن هذا المشاهد هو الاله - ثم تظل موهبة الاستقبح والاشمئزاز والاشتراط والرفض فيه سوية أو قوية ، او يظل عاشقا للجمال أو للذكاء أو للنظافة والتهديب والقوة والجودة والحب ، أو كارها للدمامة أو للغناء أو للتلوث والبذاءة والضعف والرداءة والبغضاء أو مميزا بين هذا ونقيضه، بين الشيء ونقيضه ؟

أليست معايشتنا ومشاهدتنا بل ومعرفتنا بكل مستوياتنا وتصرفاتنا عوانا على العيون والضمائر والاخلاق والمواهب وافسادا لها واخمادا لحماسها ولتوقدها وذكائها ولغضبها على القبح والرداءة والتشوه والعجز ؟

السنا نسحب من عيون وضمائر وعقول وآذان واخلاق كل من يروننا ويسمعوننا أو يقرأوننا أو يفسروننا أو يعاشرننا وظائفها ؟ السنا نقلت ونفسد في كل العيون

والمقول والاذان والضمائر والاخلاق ووظائفها ونماذجها بروئيتنا والاستماع اليها ؟
 ان كل العالم في كل العصور قد شاهد وقاسى ضعف وقبح مستويات الاله .
 ولكن هل فطن أو فطن أحد منا الى هذا الاحتمال الذي قد يكون قويا ، أي الى
 احتمال ان يكون استمرار معاشته أي معايشة الاله لنا وادمانه التحديق في
 مستوياتنا وتعوده الطويل عليها هو الذي هبط بمستوياته ؟
 ليس التحديق الطويل في مستوياتنا قادرا على أن يهبط بكل المستويات
 حتى بمستويات الاله ؟

هل فطن العالم أو أحد منه أو فطنا نحن أو أحد منا ولو على مستوى
 الاحتمال الى أن تسمع الاله الدائم والحاد اليها ونحن ننشد معلقاتنا ونحكي رواياتنا
 ونقلو صلواتنا ونصوت كل أصواتنا بنيات واساليب من يعلمون ويفكرون ويتكلمون .
 - نعم ، هل فطن أحد من العالم أو منا الى أن استماع الاله الدائم اليها ونحن
 نفعل ذلك هو الذي جعل كتبه المنزلة المقدسة تجيء كما جاءت أي بالمستويات التي
 جاءت بها ، أي بمستوياتنا نحن الصوتية ؟ ألم تجيء هذه الكتب المقدسة التي ألفها
 الاله أصواتا مثل أصواتنا ؟ ليس ممكنا بل محتوما وحادثا أن يحسب كلام الاله
 كلامنا وان يحسب كلامنا كلام الاله دون أن يستطيع أحد الفصل بين الكلامين ؟

ليس احتمالا جيدا أن الاله لو كان معزولا عن الاستماع اليها لجاءت كتبه
 المقدسة أذكي وأصدق وأكثر وقارا وتهذيبا وحبا وصدقا وتعقلا ؟ بل ليس محتوما
 اننا لو لم نكن قد جئنا أو لو كنا خرسا أو لو جئنا متكلمين أفضل مما جئنا
 لجاءت كتب الاله المقدسة المنزلة باللغة العربية شيئا أعظم وأذكي مما جاءت ؟
 كيف لم يفتن احد منا أو من العالم الى ذلك ؟

أما نحن فلا عجب في الان فطن الى ذلك . ولكن الآخرون كيف لم يفتنوا ؟
 هل سحبنا منهم الفطنة ؟

لعل الاله حينما سمعنا نتكلم أي نصوت اقتنع أن البشر لا يستطيعون أولا
 يريدون أو لا يفيدهم أو يصلحهم أفضل من ذلك أي من تصويتنا المحسوب كلاما
 وعبرية أي اقتنع بأن ما يسمعه منا هو أعلى مستويات البشر وأقصى احتياجاتهم .
 نعم وهو يرانا نحن قمة البشر ونبواتهم وانبياءهم . .

أليست أقل مستوياتنا في رؤية الاله الدائمة لنا اننا نحن ضمير الانسانية وكل
 فنونها ونبواتها وعبرياتها ؟

اذن لعل استماعه اليها تحول الى حدة كبرى ، أي الى أن يقتنع أي الاله بأن
 عليه أن يتعلم منا كيف يعلمنا ويعلم العالم كله لاننا نحن النموذج الاسمي للعالم
 بل لقيادة العالم ولتعليمه كما رأنا واقتنع بنا وتحدث عنا دائما باننا كذلك .
 لعله حينما اراد أن يخاطب البشر وان يتوجه اليهم بتعاليمه ومطالبه وهو
 يفترضنا حتما قمة البشر ، فكر كيف يخاطبهم ويتوجه اليهم . لقد أحاطت به
 الحيرة . وبعد معاناة فكرية ونفسية واخلاقية طويلة وفادحة عذبت كثيرا أي عذبت

الاله رأى أن يخاطبهم ويتوجه اليهم بالاسلوب الذي به نخاطب ونتخاطب لانه هو الاسلوب الذي يستطيع البشر أن يفهموه ويعقلوه ويتوافقوا معه وأن يصنع حماسهم واعجابهم وهتافهم ، لاننا في اقتناع الاله نحن دائما النموذج الانفع والاعلى والاقوى والاذكى ، كما اننا دائما أي في اقتناع الاله نحن التعبير الشامل عن الانسان في أفضل وأقوى صيغته . فالفهم لنا والتعامل معنا هما فهم وتعامل للانسان ومع الانسان في أعلى وأصدق أطواره .

ان الاله لم يستطع أن يتصور صيغة مثل صيغتنا في ذكائها ومنطقها وجودتها وقوتها ، كما لم يستطع أن يتصور للبشر مستوى مثل مستوانا في تحضره وتهذيبه وفي معرفته بالانفع والاصح وفي الالتزام بهما . . .

اذن فعلبه أي على الاله ألا يتعامل مع البشر أو يفهمهم أو يخاطبهم الا بالاسلوب الذي به نتعامل ونعامل ونفهم ونتفاهم ونخاطب ونتخاطب ، كما أن عليه أي على الاله أن يقتنع أن هذا الاسلوب أي أسلوبنا الذي تحول الى أسلوب له هو كل الذكاء والمنطق والمستطاع . وأن هنا لاحتمالا قويا وممتازا وعجيبا ، هو أن الاله لا يعرف من اللغات سوى اللغة العربية . اذفانه لن يفهم البشر الا من العرب الذين يعرف لغتهم . . .

اذن فان على الاله أن يتعلم منا كل اخلاقه ونماذجه ومنطقه ومستوياته . . . ان يتعلم منا أن يكون مصوتا حينما يريد أن يتكلم أو حينما يفترض متكلما ، وأن ينزل كتبه المقدسة أصواتا لا كلام فيها وأن يصوغ انبياءه جميعا مصوتين وأن يختارهم من المصوتين وأن يأمرهم ألا يكونوا الا مصوتين وألا يكون وحيه اليهم وتشريعهم وعليهم ألا تصويتا . . . ان يتعلم منا كيف يفهم الناس وكيف يقرؤهم ويفسرهم ويخاطبهم ويراهم ويعاملهم ويتعامل معهم وبهم . . . اذن غفرانك يا اخلاق الاله ويا عينيه ويا ضميره ونماذجه ومشاعره ويا ذكاه وصوته . . . غفرانك فلقد نكون نحن الذين صنعناك وعلمناك . قد نكون نحن الذين وضعنا فيك كل تشوهاتك . . .

غفرانك وصفحك ايها الاله فلقد نكون قد جنينا عليك جناية لا نموذج لها في بشاعتها وتشويبهها . وهل يمكن تصور جناية في حجم وقبح جناية من علم الاله أو من صاغ له نماذجه التي يعامل بها مخلوقاته والتي يتعامل بها مع مخلوقاته ؟ هل يوجد صائغ أو معلم للدمامات والالام وللعدوان والعبث والغباء مثل من صاغ للاله وعلمه نماذجه التي يتعامل بها مع مخلوقاته ومع نفسه ؟

اذن اليس شيئا جيدا لو أن العالم استطاع أن يدبر وينفذ أية خطة لعزل الاله عزلا شاملا بكل رؤاه ومعاملاته وعواطفه ولغاته ومسامحه عن الانسان العربي ، أو لاختفاء الانسان العربي عن الاله حتى عن علمه بوجوده ؟ أليس احتمالا جيدا جدا أن هذا أو هذا لو حدث لكان محتوما أن تتغير اخلاق الاله ومستوياته الى الافضل والاقوى ؟ اذن الا يحتمل أن يحدث هذا أو هذا في وقت من الاوقات ؟ ولكن لقد كانت توجد أمنية أفضل وانفع كثيرا من هذه الامنية . . .

هذه الامنية التي هي اذكى وأفضل هي افتراض الاله وتمنيه معزولا منذ البداية عن الانسان العربي ، معزولا ليس فقط عن التعامل معه وبه وعليه ، ولا فقط عن الاستماع اليه وعن رؤيته وعن الاحساس به وعن مخاطبته ومقاساته ، بل وعن العلم بوجوده وعن السماع به وعنه لقد كان حظ الاله عظيما لو أنه عزل منذ البداية هذا العزل الشامل عن الانسان العربي . .

اليس معنى هذا العزل أن يكون الاله في كل تاريخه معصوما أو محروما من أن يتعلم من الانسان العربي اي شيء أو تتأثر اخلاقه أو مستوياته اي تأثر باخلاقه أو بمستوياته ، أو أن تتعلم منها أية صيغة أو تفسير من صيغها وتفسيرها ؟ انه لشيء رهيب ان يكون الاله أو أي كائن اخر معرضا لان تتعلم اخلاقه او رؤاه أو عقله أو ضميره أو لغته من الانسان العربي . .

اليس معنى هذا اي معنى عصمة الاله او حرمانه من ان يتعلم من الانسان العربي اي شيء أو أن يتعود على نماذجه ويألفها فتروض مواهبه وطاقتاه واشواقه وكل حواسه وانفعالاته على التقبل والغفران والتنازل عن كل طموح واشتراط وتحليق وعن كل غضب على الدمامات والقبائح .

- نعم ، ليس معنى هذا أن يكون الاله شيئا أكبر وأحكم وأعقل وأعظم مجدا وفنا وأبداعا واحتجاجا بل وغضبا على العاهات والبلادات والنقائص والام ، ورفضاً بل ومقاومة لها ؟ وإذا كان الاله شيئا أفضل أليس محتوما حينئذ أن تكون حظوظ كل شيء وحظوظ كل البشر شيئا أفضل ؟ هل يوجد شيء أفضل من أن تكون نماذج الاله جيدة ، أو شيء أردأ من أن تكون نماذج الاله رديئة ؟

اذن اليس احتمالا قويا اننا نحن الذين أفسدنا ضمير الاله وعينييه واذنيه وكل مواهبه واخلاقه واشواقه ، بل ولغاته ونبواته وشراعه وكتبه المنزلة لاننا جعلناه يصوغ ذلك على مقاساتنا ونماذجنا ، ولان مواجهته الطويلة لنا سحبت منه كل الاشتراطات الصعبة والجيدة التي كان يجب او يفترض ان يشترطها على ذاته وعلى اراداته وممارساته وعلى جميع مواجهاته والتزاماته وتخطيطاته ، فاعلا ومفكرا ومريدا ومعبدا ومصمما ؟ هل يوجد مذنبون واعدا لكل شيء ولكل احد مثل من صاغوا ذات الاله صياغاتها التي ترى وتريد وتصوغ بها الاشياء ؟

كيف كان ممكنا ان يهتدي الاله الى نماذجه الرديئة والضعيفة او ان يجروا او يتقبل ان تكون هذه النماذج هي نماذجه وهي مجده وعبقريته والاعلان عنه لولا اننا قد أفسدنا كل شيء فيه ؟ أنه لصعب ان يهتدي الاله الى نماذجه التي يعاملنا بها ويعامل بها نفسه والتي يحيها لو لم نهده اليها . .

من كان يستطيع أن يفسد نماذج الاله بنماذجه وان يهبط بنماذجه أي بنماذج الاله بهبوط نماذجه هو ، أو من كان يستطيع أن تكون نماذج الاله تقليدا لنماذجه - نعم ، من كان يستطيع أن يكون هذا أو هذا لولانا أو غيرنا ؟

نعم ، من كان يستطيع ان يهبط بنماذج الاله مثلما استطعنا نحن الهبوط بها ؟ هل يوجد مجد يساوي مجد من هبطوا بنماذج الاله ؟ اذن هل يوجد مجد مثل مجعنا ؟ والمأساة في القضية أن علاقات الاله بنا رؤيه وسماعا واهتماما وتفكيرا واعجابا هي أدوم وأشمل العلاقات .

بماذا يمكن أن نعاقب انفسنا أو نعتذر به الى الاله والى جميع الاخرين ، أو ماذا يمكن أن نفعل لكي نحرر الاله من صياغة وتعليم نماذجنا لنماذجنا .

- نعم ، ماذا يمكن أن نفعل لهذا أو هذا لو أننا استطعنا الاقتناع ولو احتمالا باننا نحن الذين جعلنا الاله يكون كما كانوعلمناه صيغ كينوناته ؟

وماذا يمكن أن يفعل لنا أو بنا العالم لو عرف هذه الحقيقة ، لو عرف اننا نحن الذين وضعنا للاله صفاته ، أو بأنه أي الاله هو الذي وضع واراد صفاته تقليدا لصفاتنا ؟ أليس هبوط صفات الاله ونماذج هبوطا في صفات ونماذج كل العالم وتعذيبا وتشويها لها وعدوانا عليها وعلى كل شي ؟

وهل يمكن أن يعرف العالم ذلك ؟ وهل من الافضل أو الانفع أن يعرفه ؟ أليس احتمالا ان العالم قد عرف ذلك كما عرف اننا قد هبطنا باخلاقه اذ جعلناه يركع نفاقا لنفطنا ؟

وإذا كانت نماذجنا قد صاغت أو علمت نماذج الاله أو سحبت منها كل الاشتراطات القوية والجيدة أو المفترضة على الذات وعلى الاشياء ، قد صاغت أو علمتها أو سحبت منها كل هذه الاشتراطات بالمواجهة والمعاشية والتقليد والالف الطويل فان هاهنا احتمالا كبيرا مخيفا .

هذا الاحتمال الكبير المخيف هو أن تفعل نماذجنا بنماذج الاخرين الذين قد يعايشوننا ويواجهوننا مثلما فعلت اي نماذجنا بنماذج الاله الذي عايشنا وواجهنا ، أو لانه عايشنا وواجهنا .

اذن يوجد حتما احتمال رهيب وقبيح النتائج جدا . أليس الذين استطاعوا أن يصوغوا ويعلموا بالمواجهة والمعاشية والتقليد والالف نماذج الاله وصفاته ومستوياته واخلاقه يستطيعون حتما أن يفعلوا ذلك بنفس الاسلوب والتفسير والمنطق في نماذج وصفات ومستويات واخلاق الاخرين المواجهين المعاشيين الساكنين المعاملين ؟ أليس محكوما على كل العالم أن يستمع لنا وأن يتعلم منا بكل الهوان والمسكنة الحضارية والوطنية والا غلا بد أن يعاقبه نفطنا بالموت ؟

اذن أليس احتمالا مزعجا جدا أن تهبط مواهبنا ومستوياتنا بمستويات ويمواهب الاخرين المتفوقين في مستوياتهم ومواهبهم والذين وهبوا العالم كله هذه الحضارة والمعرفة والانتصارات الانسانية الضخمة بالاسلوب والتفسير اللذين بهما هبطنا بمستويات الاله ويمواهبه ؟ لقد أصبح مفروضا على هؤلاء الاخرين المتفوقين ان يواجهونا ويعايشوننا بالاسلوب الذي فرض به ذلك على الاله .

في التاريخ الماضي كان هؤلاء الآخرون المتفوقون معزولين عنا فابتكروا هذه الحضارة الضخمة . كانت الحواجز بيننا وبينهم عاتية وعالية ، فلم يكن ممكنا أن تفسد أو تضعف أو تروض نماذجنا بما يعيشه والواجهة أو بالتقليد أو الالف الطويل أو بمحاولة التوافق والتلاؤم مع الأضعف والأردأ أو بارادة المجاملة له أيلاضعف الأردأ والرفق به واجتناب اذلاله أو أرهاقه أو أحراجة . أليس الكائن القوي أو الذكي لو الجيد قد يحاول أن يكون نقيض نفسه ولو تظاهرا رحمة أو رقما أو مجاملة الضعفاء والأغبياء والتافهين ؟

أما اليوم فقد زالت بل ذابت هذه الحواجز ، فلم يكن ممكنا أن نظل معزولين عنهم أو أن يظلوا معزولين عنا . لقد أصبحنا مفروضين عليهم ، وعلى عيونهم وأذانهم وأفكارهم ولغاتهم وانفعالاتهم ومعاملاتهم وعلى جميع مواجهاتهم واهتماماتهم وحساباتهم وتفاسيرهم . . .

لقد أصبح مفروضا عليهم أن يروضوا مواهبهم وطاقتهم وطموحهم لكي يتوافقوا معنا ويفهمونا ويحاملونا ويرضونا ، بل ولكي لا يزعجوننا أو يذلونا أو يرهقونا بتفوقهم أو بقوتهم أو بذكائهم . . . أي لقد أصبح مفروضا عليهم أن يتعاطوا البله والغباء والغفلة بل والندالة والضالة بل والنفاق والكذب والسقوط والخبت والسخف ، أو أن يتظاهروا بذلك ويتعودوه ولو أحيانا لكي يكون التعامل بيننا وبينهم مريحا أو حتى ممكنا ، بل ولكي يكون مفيدا ومتاجرة رابحة . أليس مفروضا على المتعاملين المتعاشيين أن يوجدوا تقاربا وتشابها بين نماذجهم ومستوياتهم ولغاتهم وتفكيرهم ؟

لقد أصبح مفروضا على كل تفوقهم أن يواجهه ويعايش ويتعامل تخلفنا وأن يتعامل به وعليه، ويتخاطب معه وباسمه ويعرض نفسه عليه عرضا دائما شاملا كل الاوقات في كل الاماكن . كل المجد والحمد لك يا نطفنا ، ايها النفض العربي . كل الحمد والمجد لك لانك قد فرضت على جميع الحضارات والمواهب ان تهون وتصغر لترضى عنها .

فهل يفعل أي تفوقهم ذلك بموهبته وقوته أم بموهبة تخلفنا وضعفه أي ضعف تخلفنا ؟ انه أي تفوقهم لو أتخذ الاسلوب الاول لما كان ممكنا أن يتعاملوا أو يتفاهموا معنا أو أن يرضونا ويحاملونا ويتاجروا بنا ، أو أن يكونوا إنسانيين أو رحماء أو أهل شهامة ونخوة وتواضع وتهذيب وتقاليد حضارية كريمة . أن المتفوق لن يكون رحيما أو شهما أو مهذبا بل أو ذكيا أو ناجحا لو انه عامل التخلف بكل تفوقه . ان الطويل لن يستطيع معانقة القصير بدون انحناء .

اذن لا بد ان يتخذوا الاسلوب الثاني في مواجهتهم ومعاملتهم لنا . وهذا اسلوب قوي وشامل ومستمر من اساليب الترويض والتعويد لتفوقهم لكي يتعلم ويأخذ عن تخلفنا ولكي يذهب يقلد مستوياته وصيغه شيئا فشيئا .

انه أسلوب جيد لتحويل القامة المنتصبة الى قامة منحنية . ان الترويض والتعويد الطويل يتحول الى ذاتي . . .

وهذه المعاشية التي قد تحولت الى محتومة لا بد أن تفرض على كل حواس وأحاسيس هؤلاء الاخرين المتفوقين أن تحدد دائما في ضعفنا وتخلفنا وخمولنا الانساني والحضاري . وهنا لا بد أن يوجد احتمال قوي بأن يالف تفوقهم مستوياتنا ونماذجنا الضعيفة والرديئة ويفقد أي تفوقهم طموحه وتوقده ونشاطه ويتنازل عن نماذجه ومستوياته واشتراطاته على نفسه وعلى الاشياء . . . ليس التحديق الدائم في الاشياء الرديئة والضعيفة والبليدة يضعف موهبة الاشمئزاز منها وينمي موهبة التوافق معها ، الالف لها والعطف عليها ؟

أليس هذا يعني أن يتحول تخلفنا الى معلم ومروض لتفوقهم . السئ مفيد ومضعف ومضلل له ؟ . أليس هذا احتمالا قويا أو احتمالا ضعيفا ؟ أليس احتمالا حتما احتمالا كريها رهيبا كئيبا ؟

أنه لحساب محتمل أن يهبط تخلفنا بتفوق هؤلاء المتفوقين وان يتحول الى معلم له . ولكن ليس احتمالا البتة أن يصعد تفوقهم بتخلفنا وان يتحول أي تفوقهم الى معلم لتخلفنا . ان المرضى والضعفاء والموثين قد ينقلون أمراضهم وضعفهم وتلوثاتهم الى الاصحاء والاقوياء والمتطهرين ، ولكن هل يحدث العكس ؟

أليس ممكنا أن يخمد أو يهزم أو يضعف أو يسكت أو يشوه أو يخاف أو يفسد أو يضلل أو يروض أو يحكم ذكاء الذكي وقوة القوي وجمال الجميل واستواء السوي ؟ بل هل أمكن أو هل يمكن أن يحيا أي ذكاء أو جمال أو قوة أو أن يظل دون تشويبه أو تضليل أو تحطيم أو انخداع أو اذلال أو أي معنى من معاني الانسداد ؟

ولكن هل يمكن ان يتحول او يحول الدميم او المشوه او الضعيف او البليد الى جميل أو سوي أو قوي أو ذكي بالمواجهة أو المعاشية أو الإرادة أو بالتقليد أو حتى بالاحتياج والاضطرار ؟ أليس ممكنا ان تخفى أو تنيم أو ترهب موهبتك القوية ، ولكن هل يمكن ان تحول موهبتك الضعيفة الى موهبة قوية ؟

اذن أليس احتمالا أن نهبط بهؤلاء المتفوقين دون أن يوجد أي احتمال بأن يصعدوا بنا . . . ان نهبط بذكائهم أو بقوتهم أو بشجاعتهم أو بصدقهم أو بنظافتهم ولو تظاهرا نفاقا أو رثاء أو اشفاقا أو تهذيبا أو تواضعا ؟

ولكن ما الذي يمكن أن يفعل العالم لو وعى هذا الاحتمال أو هذه الحقيقة ؟ وما الذي يمكن أن نفعل نحن لكي لا نجني على العالم هذه الجناية لو وعينا هذا الاحتمال أو هذه الحقيقة ؟ وهل في موهبتنا الاخلاقية أو الدينية أو الانسانية أن نرفض ونهاب الجناية على الاخرين أو على العالم كله لو استطعنا أن نفعل ذلك ؟

وقد يكون هذا الاحتمال أو هذه الحقيقة لا تزال محتاجة الى الكثير من التفسير ومحاولة الاقناع بها . أن المفروض بل والمعتقد المصدق دائما هو العكس ، أي أن المتفوق لا بد أن يصعد بالمتخلف وأن يعلمه دون أن يهبط المتخلف بالمتفوق أو أن يعلمه ، أي حينما يتواجهان ويتعايشان . . .

ولكن الحقيقة الاخرى أو الحقيقة المناقضة أو الحقيقة الدائمة الواحدة هي : أن الاقوى والاذكى والاكثر تقدما وتحضرا ومواهب قد ينتصر أو لا بد أن ينتصر على الاضعف والاغبي والاكثر تخلفا وبداوة وجهالة ، وقد يحكمه ويقوده وبذله ويعلمه ايضا ، أو لا بد أن يفعل به وله ذلك ..

لقد حدث هذا في كل التاريخ ومحتمل أن يظل يحدث دائما . وأنه لجيد أن يحدث وأن يظل يحدث دائما .

غير أن هذا الاضعف الاعظم بلادة وجهلا وبداوة وتخلفا قد يثار لنفسه بلا تدبير أو حساب أو وعي ، وقد يتحول من متأثر الى مؤثر أو لا بد أن يفعل ذلك ، أي قد يفسد هذا الاقوى الاذكى الاعظم خلقا وعبقورية ، وقد يعلمه ويحكمه وبذله ويفرض عليه ويشوه مواهبه ونماذجه وأخلاقه ويتدخل في صياغة ضميره ومثله ورضاه وغضبه واعجابه واشمئزازه وتقبله ورفضه ، أو لا بد أن يفعل به وله ذلك، يفعل بالتعويد والترويض والمواجهة الطويلة ، وبالاحتياج الى التوافق والمعاشية والرضا عن النفس والى التظاهر بالشهامة والتعذيب والتحضر وبالقدرة على التكيف وعلى الاقناع والتأثير . ان المتفوق قد ينداسى تفوقه أو يخفيه أو يضعفه أو يبذله أو يشوهه استجابة أو احتراماً أو تهديبا لتفوقه أو حياء منه أو توددا الى نبط المتخلف .. ان ذكاء أي انسان ببل أو أي كائن ومنطقه ومواهبه واخلاقه لن تكون معزولة عن أحاسيسه وحواسه ، عن عينييه أو اذنيه أو حبه وبغضه ورضاه وغضبه وعن لقاءاته وعلاقاته . ان هذه لن تكون معزولة عن هذه في أي انسان ولا في أي كائن اخر .. لن تكون معزولة عن التأثير بها وعن احيائها وضغوطها وعن أوامرها واتجاهاتها ..

وان هذه أي أحاسيسه وحواسه لن تكون معزولة عن مواجهاتها ومعاشياتها ومصدماتها وقراءاتها وتحدياتها وممارساتها ، أي لن تكون معزولة عن الوجود المواجه المعامل المخاطب المناقض أو الموافق لها .

اذن فان ذكاء أي انسان أو أي كائن ومنطقه ومواهبه واخلاقه لن تكون معزولة عن هذا الوجود المواجه المعامل المخاطب المحاور المناقض أو الموافق أي لن تكون معزولة عن الكون والاشياء وعن الناس المواجهين والمعاشيين والمعاملين المناقضين المعادين أو اللامثمين المصادقين ..

ان معنى هذا أن ذكاء ومنطق وأخلاق ومواهب المتفوق لن تكون معزولة أو معصومة من تأثير واملاء وضغوط وتعليم ذكاء ومنطق وأخلاق ومواهب المتخلف المواجه المعاش المعامل المخاطب التعامل عليه وبه . وأيضا فان طموح المتفوق الى المزيد من التفوق قد يترأخي حينما يكون المواجهون له متخلفين لا متفوقين يخيفونه ويتحدون تفوقه .

اذن ليس معنى هذا اننا نحن لا بد أن نصوغ ونفسد ونعلم ونفقد ونحكم ونشوه بأسلوب ما مواهب واخلاق وأفكار ولغات وعيون وآذان وضماير ونماذج

وطموح هؤلاء المتفوقين بمعايشتهم ومواجهتهم ومعاملتهم لنا ، وبكينونتهم معنا أو حتى فوقنا ، وبحدثهم واستماعهم اللينا ، وبتحديقهم الدائم فينا ، وبرغبتهم في أن يوجد بيننا وبينهم تلاؤم وتوافق ، وبرغبتهم أيضا في أن يكونوا انسانيين ومهذبين ورحماء وأهل شهامة ونخوة ونبل وتواضع وبساطة واريحية في لقاءاتهم وعلاقاتهم بنا وفي تحدي واذلال تفوقهم لتخلفنا ؟

وايضا برغبتهم في أن تكون علاقاتهم بنفطنا علاقات يرضى عنها تخلفنا بل تهبه الكبرياء والغرور .

أي أليس هذا يعني اننا لا بد ان نتحول الى عدوان على جميع مستوياتهم الحضارية والانسانية والنفسية لاننا لا بد أن نتحول الى عدوان على جميع احساسهم وحواسهم ، بل الى تشويه وتضليل لها ؟ كيف وقد دخل نفطنا الرهيب المعركة ليفرض كل نماذجنا الحضارية والانسانية بل واللغوية على كل نماذج المتفوقين ؟

ماذا لو أن أشد الناس ايمانا والتزاما بالنظافة المادية والمعنوية واعنفهم اشمزازا وغشيانا من الذباب والصرصار او أية حشرة تتحدى وتهين وتكذب ما تزعمه الالهة لنفسها أو ما يزعمه الزاعمون للطبيعة وللالهة من كبرياء وذكاء وطهارة ومنطق ورحمة ورعاية لصحة الناس وحماية لها وأهتمام بها ومن رفض للعبث وللسخف والضالة ولتحقير الذات .

– نعم ، ماذا لو أن مثل هذا الانسان قد عاش طويلا في مجتمع من الذباب والصراصير وسائر الحشرات ، وكان محكوما عليه بأن يواجه ويساكن ويعامل ويخاطب ويحاور ويجمال ويحابي ويرضى هذا المجتمع الذبابي الصرصاري الحشري بل ويتلام ويتوافق معه ويتواضع له ويكون مهذبا كل التهذيب معه وفيه وانسانيا بكل معاني وصيغ الانسانية ، وبأن يكون ممتنعا ومحرمنا عليه أن يشعره أي أن يشعر هذا المجتمع من الذباب والصراصير والحشرات بأي معنى أو ايماءة من معاني أو ايماءات الاحراج أو الاذلال أو التصغير أو التفوق عليه أو تشكيكه أي تشكيك هذا المجتمع في أنه هو أكثر وأعظم المجتمعات حضارة ونظافة وتدينا وذكاء وقوة ، وكان ايضا محكوما عليه أي على مثل هذا الانسان أن يحدق دائما في مزايا وعقربيات هذا المجتمع وأن يقرأها ويفسرهما ويعلمنها ويكتب عنها ويضع الاناشيد في تمجيدها ، وأن يستمع دائما اليه ويتحدث دائما معه بل وان يعاشره معاشرة موالكة ومعانقة ومصافحة بل ومزاوجة فيها كل العشق واليهام وتلاوة المغازلات الفضاحة ، بل وأن يزعمه أي يزعم مجتمع الذباب والصراصير والحشرات بأنه هو الواهب للشموس نظافتها وصعودها .

– نعم ، ماذا يمكن أن يكون أو يجيء أو يظل مثل هذا الانسان تحت مثل كل هذه الظروف والضغوط والالتزامات لو أمكن أن يقع مثل هذا ؟ ثم كيف لو كان هذا

المجتمع من الحشرات يملك نفطا مثلما نملك ليهدد به هذا الانسان مثلما نهدد بنفطنا كل العالم المتفوق ؟

هل يوجد أي احتمال أن يظل على مستوى نظافته سلوكا أو ايمانا أو أن تظل فيه موهبة الغثيان والاشمئزاز والاستقبح والرفض لاخلاق ومستويات الذباب والصراصير والحشرات كما هي ، دون أن تصاب أي موهبة الغثيان والاشمئزاز والاستقبح والرفض فيه ، بالموت أو الهزيمة أو الضعف أو بالاستحياء والتخفي والتراجع الشامل ، دون أن تصاب بالفساد الشامل ؟

بل ليس محتملا أو محتوما جدا أن يتحول مثل هذا الانسان الى معلم أو الى نبي يبشر ويعلم ويخطب عن مزايا وكرامات ونظافة الذباب والصراصير والحشرات ؟ البس محتوما أو محتملا أن تتركب في مثل هذا الانسان عينا واذنا وضمير ومنطق وكبرياء ذباب أو صرصار أو أية حشرة أخرى مماثلة ؟ وهل يستطيع أي انسان أن يعيش حياته أو نفسه أو عالمه ما لم تركب فيه عين حشرة واذن وضمير ومنطق واخلاق حشرة ؟

هل يستطيع إي عبقرى أو متفوق أو عادي أو أي كائن اخر تفرض عليه معايشتنا الشاملة بكل لغاتها وتقاسيرها وصيغها وضغوطها وضرورتها ان يكون افضل حظا أو اقدر على الاحتفاظ بتفوقه وبخصائصه وعلى التعبير عن كل قدراته بكل احتمالاتها من مثل هذا الانسان الذي فرض عليه احتمالا معاشية مثل هذا المجتمع الذبابي للصرصاري الحشري بالاسلوب الذي افترض هنا مفروضا عليه ؟

نعم ، كيف وهذا المجتمع الذبابي الحشري يملك ان يهدد هذا الانسان بسلاح نفطنا ان لم يتخلق باخلاقه ؟

لو ان عددا كبيرا من العباقرة الحكماء المهذبين المتفوقين في جميع نماذجهم النفسية واللغوية والاخلاقية والانسانية خاضوا منافسة عنيفة على معاشية أو امتلاك امرأة واحدة لا يوجد سواها ، جاهلة بليدة بذيئة حمقاء مستبدة مغرورة شريرة جدا ، فظفر بها واحد منهم ، وكان حريصا جدا على ان يرضيها ويعجبها ويتلاءم معها ، مع كل ضعفها ونفائسها واهوائها ، وحريصا على الا يثير أو يؤذي أية حساسية من حساسياتها أو بلادة من بلاداتها أو سفاهة من سفاهاتها وعلى ألا يرفض مطلبها أو رغبة من مطالبها ورغباتها ، اي لئلا تتركه الى سواء الكثيرين المرحين العاشقين المعذبين بعشقم لها ، فهل يحتمل ألا تتحول هذه المرأة الى عون فادح على مزايا هذا الرجل الذي ظفر بها والى تشويه اجميع مزاياه والى افساد باهظ لها والى انزال له عن جميع قممه وقيمه ؟ كيف اذا كان مع ذلك مضطرا الى ان يتقنعها بأنه يراها كل الجمال والتهذيب والعبقرية والاصالة والقوة في كل اهوائها وتصرفاتها ونماذجها وتعبيراتها ؟

وهؤلاء المتفوقون المتنافسون بل المتقاتلون بوحشية ونذالة ومهانة على معايشتنا وعلى الافتضاح في عشقنا وفي استجداء اعجابنا وتقبلنا لهم ، لصلواتهم المتضرعة الباكية ولاكتفهم الممدودة اليها بكل لغات الاسترحام والتوبة ، هل يمكن ان يكونوا اقدر على حماية مواهبهم واخلاقهم ونماذجهم الحضارية من افسادنا وتشويهنا لها ومن فتكنا بها وبشرفها .

- نعم ، هل يمكن ان يكونوا اقدر على ذلك من ذلك العبقري المتعامل مع تلك المرأة المحكوم عليه بمعاشرتها وبالالتزام بارضاؤها واسعادها ، حينما يريد ان يحمي عبقريته ومستوياته الجيدة من الازلال والافساد والتصغير والتحقير ومن تعليمها وترويضها على المستويات والتعبيرات المضادة ؟

كيف وتلك المرأة لا تملك السلاح المذل لكل ذوي المزايا الذي نملكه ؟ اي لا تملك سلاح النفط الذي فلقنا به كل الهامات . هل يمكن ان تكون قدرة هذه المرأة على الاساءة الى شخصية هذا الرجل المتفوق العبقري وعلى تشويهها وعلى انزال جميع العاهات فيها اعظم من قدرتنا نحن على الهبوط بجميع مستويات هؤلاء المتفوقين الذين فرضنا عليهم أو الذين فرضونا على أنفسهم - على الهبوط بجميع مستوياتهم الحضارية والاخلاقية والنفسية والانسانية بل واللغوية ؟ كنا نزعم اننا نحن الذين ابتكرنا كل الحضارات . ليتنا نتواضع لثلاث تكون الحقيقة اننا نحن الذين علمنا التحضرين الاساءة الى حضاراتهم . قد يكون كل مجدنا ان نكره المتفوقين على الهبوط بتفوقهم تملقا ومحابة ومعايشة لتخلفنا .

آه يا مبدعي الحضارات . استعدوا لسحب كل معاني الكرامة منكم . لقد دخل نطفنا المعركة . اذن ويلى لكم يا مبدعي الحضارات .

اسمعوا .. كل الناس رعايا لنا

ايها الاصدقاء ، بل ايها الاعداء ايضا .. هبونا شيئا من اشفاقكم ومن كرمكم ، ان اعظم وانبل اساليب اشفاقكم وتفصلكم الكريم علينا ان تعتقدونا وتفسرونا مصوتين لا يعنون شيئا أو يفكرون في شيء أو يلتزمون بشيء حينما يصوتون .. لا ان تعتقدونا او تفسرونا متكلمين . رحمتكم ايها الاعداء والاصدقاء ، لا تعتقدونا متكلمين ولا تفسرونا كما يفسر المتكلمون لتعاملونا بشيء من رحمتكم وفسرونا اي تفسير اخر ..

هل يمكن ان تقسوا علينا مثل قسوتكم لو أنكم فسرتونا أو اعتقدتمونا فنكلم حينما نسمعونا وتجودونا وتقرؤونا نقول لانفسنا وعن أنفسنا وتقول لنا وعنا نبواتنا الخالدة الخاتمة - نبواتنا التي هي كل عبقرينا ومجدنا وذكائنا وكبريائنا ، والتي هي كل عطائنا للحضارة والحياة والانسانية وكل مكاننا وجمالنا في التاريخ . نعم حينما نسمعون أو تقرؤون أو تجدون نبواتنا هذه تقول عنا ولنا بل تقول للعالم كله وللتاريخ كله من فوق كل منابر السماء ، بذكاء كل الالهة واذكي الالهة : « الناس تبع لقريش في هذا الامر .. كافر الناس تبع لكافر قريش ، ومسلم الناس تبع لمسلم قريش .. » و « الناس تبع لقريش في الخير وفي الشر .. » و « هذا الامر في قريش الى يوم القيامة .. لا ينازعهم فيه منازع الا كبه الله في النار على وجهه .. » أو « نعتذر اليك ايها الكائنات ، اينها الديدان الصغيرة ان كنت قد سمعتنا نلتو مجدنا هذا .. نعتذر الى كبريائك وذكائك والى حيائك ..

اشفاقا ورحمة بنا وسترا لنا ايها السامعون والقارئون .. نستنجد بكرمكم ونخوتكم وتهذيبكم ، اعتقدونا مصوتين أو مجانيين محتملا شفاؤهم أو أي شيء اخر ، ولكن - عظما ونبلا منكم - لا تعتقدونا متكلمين يفسرون ويحاسبون بما يقولون . لا تكونوا وحوشا وتحاولوا ان تتهمونا او تفسرونا حينما نسمعونا نعلم او نشرح او نفكر أو نحاور أو نصلي او نتحدث الى النجوم .

كيف يمكن ان ترونا او تجودنا او تقدرنا لو أنكم اعتقدتمونا متكلمين يفسرون ويحاسبون ويتمنون بما يقولون حينما نسمعون او تقرؤون عنا ومنا هذا الذي سمعتموه او قرأتموه الان ؟ ولكن مهما قرأتم او سمعتم هذا الذي سمعتموه الان هل تستطيعون الاقتناع بانكم قد قرأتموه او سمعتموه ؟ هل تجرؤون على ذلك ؟

واهولاه .. واعاراه ! هل يوجد مكان بعيد جدا لا يوجد ابعده منه او مثل بعده لكي نهرب اليه فرارا من تحديقاتكم في جهالاتنا ووقاحاتنا ؟ أو هل يستطيع كل ما

في الطبيعة من تراب وأشياء - لو تحول الى أعطية وحجب مكثفة - ان يخفيها عن عيونكم ومشاعركم وعقولكم لثلا تقرأنا أو تفسرنا أو حتى ترانا ، أو حتى تعلم بوجودنا ؟

كيف نستطيع حينئذ مواجهة هجوم العيون والعقول والاخلاق والمشاعر والضماير علينا اي لو حسبنا متكلمين لامصوتين فقط ؟ كيف تستطيع حينئذ جلودنا أو جوهنا أو عيوننا أو اعراضنا أو ضمائرنا ان تتحمل كل هجمات الاشمئزاز والتقييع والتعيير والتحقير والرتاء والانفجاع التي لا بد ان تنهال علينا بكل القسوة والشمول والديمومة ؟

لو كان ممكنا ان نفسر متكلمين ، اي لو عوملنا بكل الوحشية وبكل ارادة التشويه والتحقير فزعمنا متكلمين فبماذا يمكن ان يفسر زعمنا واقتناعنا بأن الناس جميعا وفي جميع العصور وتحت جميع الظروف الحضارية والتاريخية لا بد ان يظلوا اتباعا ورعايا لقبيلة قريش ، لسلطانها وخالفتها ولايمانها وكفرها ولتقواها وفجورها ولذكاؤها وغباؤها ولحضارتها وبدائيتها ، ولعلمها وجهلها - ان يظلوا رعايا واتباعا لها بالرضا او بالاكره ، في كل ذلك ، ما ظلت الشمس مصلوبة في مكانها ، مستجيبة ببلاهة وهوان لاوامر ورغبات قبيلة قريش ، الآمرة لها بأن تظل أبدا في مكانها ضيفا محتقرا مهانا في صحارها وبين خيامها ؟ أليست الشمس وكل شيء ملكا للبشر ومن أجلهم وتبعا لهم ، ثم أليس كل الناس تبعا لقريش ومن أجلهم وملكا لهم ؟ اذن أليست الشمس وكل شيء ملكا لقريش وتبعا لهم ومن أجلهم ؟

هل يمكن ان يفسر زعمنا هذا بأنه اسلوب لا نموذج له من اساليب العنصرية أو العرقية ؟ هل هذا تمجيد فيه كل الجنون والبذاءة لقبيلة قريش ام هجاء لها ولكل الناس ؟ هل التفسير ان قبيلة قريش لا بد ان تسود وتحكم العالم في كل التاريخ ام التفسير أنها لا بد ان تعلم وتحضر العالم ؟ هل المعنى انها سوف تظل فائدة كل الشعوب ، ابد الدهر ام انها سوف تظل معلمة لكل الشعوب كل حضاراتها ومعارفها واخلاقها في كل عصورها ؟

هل هو تشريع وأمر يعني المطالبة بالالتزام به ام هو رواية تعني الانباء الذي يعني النبوة أو النبوة ؟ اي هل نحن بقولنا هذا نطالب العالم ونفرض عليه ان يكون تابعا ورعية لقبيلة قريش يتعلم منها الخير والشر والتقوى والفسوق والايمان والكفر، ويطيعها حاكمة حامية له الى يوم الدين ، ويتعلم منها أيضا الحضارات وكل العلوم والفنون ، والا أي وان لم يطع هذه المطالبة والفرض عليه فلا بد ان تصدر الاوامر الى الاله اي الى اله قبيلة قريش ليصنع ويوقع كل غضبه وعذابه وعقابه به أي بالعالم الذي لم يطع الامر المطالب له والفاضر عليه ان يتعلم كل شيء من قبيلة قريش والا يكون له حاكم أو سيد مطاع سواها ، أم نحن هنا لا نواجه أوامر وانما نحن نبوات وانبياء نخبر عن واقع مقبل قد تكذب وتتخلف وتتأخر قوانين الطبيعة واخلاقها ومجيئها في مواعيدها وفي اماكنها وبأساليبها المتقررة المحتومة ولا يكذب أو يتخلف أو يتأخر هو أي الواقع القبل الذي نخبر والذي أخبرنا عنه ؟

نعم ، هل نحن بقولنا هذا نشرع ونلزم ام نخبر ونروي ام نحن هذا وهذا ؟ واي هذه الاحتمالات الثلاثة اكثر احتواءً للتمجيد ولارادة التمجيد ، اي ان نكون مشرعين ام مخيرين ام ان نكون الاثنين معا ؟

وهل من المجد أو الثناء على اي قوم أو لاي قوم ان يكونوا معلمي كل البشر الخير والشر ، الكفر والايمان ، الذكاء والغباء ، الحضارة والبدواة ، التقوى والفجور ، وان يكونوا قادة كل البشر الى كل ذلك ، وأن يكون كل البشر اتباعا لهم في هذا كله ؟ هل يمكن ان يستحق اي ثناء او اي مجد معلم أو واهب أو خالق كل شيء لو وجد مثل هذا الكائن الخرافي ؟ بل ألا يستحق كل الذم والغضب والاحتقار ؟

اليس الذين يعلموننا كل ذلك ، - لو وجد مثل هؤلاء - ويقودوننا اليه هم جناة وظلمة ومعتدون ومسيئون وأشرا ، وليسوا محسنين أو واهبين أو عادلين أو خيرين أو محمودين أو بناءة لان النقيض الرديء في هذه العطايا والاشياء المتناقضة هو اكثر واقوى وأشمل من النقيض الجيد ؟ أليس كل شيء جيد لا بد أن ينتهي نهاية غير جيدة ؟

اليس الذي يهبنا أو الذي يفعل اشياء جيدة اقل واشياء رديئة اكثر هو مسيئاً ومعتدياً وشريراً وليس محسناً او معطياً أو طيباً ؟

ماذا لو أن كائننا ما وهبك كل الامك واحزانك ومشاكلك وعارك وبلادتك وهزائمك وفصائحك وكل عجزك وجهلك واخطائك وكل عاهاتك وأناتك ، ثم وهبك كل ما عندك وكل تعاني وما لا بد أن تعاني نقيضا لذلك ؟ هل يمكن ان يكون لهذا الكائن الا تفسير واحد ، هو أنه شرير ورديء ونذل وعدواني بلا شبيهه ؟ هل يمكن ان يعد كريما أو حكيما أو صديقا من وهب الحياة كل شرورها وكل صالحاتها ووهب الوجهه كل جمالها وابتساماتها وكل قبحها وعبوسها ونهايتها وشيخوختها ؟ أو ماذا لو أن كل ما لدى البشر من حضارات وصناعات وفنون وتقدم ومعارف ورخاء كان هبة واهب واحد ، وكان كل ما لديهم وكل ما يقاسون وما لا بد ان يقاسوا وما قاسوا من نقائص ذلك كان ايضا هبة هذا الواهب الواحد ؟ هل يمكن حينئذ ان توجد موازين تستطيع ان تزن ذنوب وشرور ونذالات وعدوانيات هذا الواهب الواحد العجيب ؟

هل يمكن تصور متبوع او معلم أو قائد أوقح واقبح واكثر شرورا من كائن قد تبعه كل الاشرار والكنار والضالين وكل الاخيار والمؤمنين والمهتدين في مسيرتهم الى طريقهم ، وعلمهم كل ما فعلوا واعتقدوا واعلنوا ونووا وامتدحوا وباركوا ، وقادهم الى كل ذلك ؟ هل يمكن تصور اردأ وأضل من نبي قد قاد بنبوته كل الاشرار والزنادقة والفسقة ، وأيضا كل الاخيار وكل اهل التقوى والايمان ، وأيضا علمهم بنبوته كل مسيراتهم المختلفة المتناقضة ، وأيضا قادم بنبوته الى كل مسيراتهم هذه ، وأيضا اصبح متبوعا لهم في كل هذه المسيرات ؟

هل يمكن تصور ذنوب او جرائم مثل ذنوب وجرائم مثل هذه النبوة ؟ هل يمكن ان تكون مشكورا أو شهما أو محسنا لو أنك وهبت انسانا عينين جميلتين ثم خلفته بلا اذنين او بلا انف ، او لو أنك قبلته مئة قبلة صداقة ثم بصقت عليه بصقة وقاحة واحدة ؟ او هل يمكن ان تكون طبيبا جيدا لو أنك عالجت احدى عيني مريض ما ولكنك امرضت عينه الاخرى التي كانت سليمة وزدت على ذلك بأن شوهت انفه وقطعت احدى اذنيه ؟ وهل استطاع حاكم أو قائد أو نبي واحد في التاريخ ان يعالج احدى العينين دون ان يعمي الاخرى ويقطع الاذنين ايضا ؟

اما الحكم على قوم او اختيارهم ليكونوا حكام وخلفاء وسلاطين وقادة كل الناس في كل التاريخ الذي كان والذي سوف يكون فلن يكون هناك تصور للعقاب والتوريث والاثام والتشويه مثل هذا الاختيار او هذا الحكم على مثل هؤلاء القوم . . ان هذا الحكم أو الاختيار يساوي في قبحه وقسوته الحكم على كائن ما او اختياره ليكون هو الخالق والمريد والمدير لكل هذا الكون ولكل ما فيه ومن فيه المسؤول عنه . .

لو أن حكام وقادة كل البشر في كل العصور الماضية والحاضرة والآتية قد حوسبوا جميعا على جميع ما فعلوا ودبروا وخطوا ونووا ووقعوا ، وايضا على جميع ما قاسوا وواجهوا ، اي لو حوسبوا وحسبوا كائنا واحدا مسؤولا عن كل ذنوبهم وشورورهم واخطائهم ومقاسيا لكل الامهم واحزانهم ومواجهاتهم الرهيبة فهل يمكن تصور جناة اشرار وخاسرين معذبين مثلهم او مثل هذا الكائن الواحد بالافتراض ؟

ان جميع ذوي المزايا والحظوظ الجيدة منهم لا بد حينئذ ان يذوبوا ويغيبوا عن كل الرؤية والتفكير والحساب في زحام ومواكب الاخرين المناقضين الذين لا بد أن يصبحوا هم كل الرؤية والشهد والتاريخ والتفسير . . . انه لو خلط القادة والحكام والعلمون الطيبون والنافعون والمعطون والسعداء بنقيضهم من القادة والحكام والمعلمين لما امكنت رؤيتهم . .

لنفترض للبشر جميعا منذ وجدوا الى نهايتهم ان كانت لهم نهاية لنفترض لهم حاكما قائدا واحدا ، ثم لنفترض ان هذا الحاكم القائد الواحد قد حكم وقاد جميع البشر مثلما حكمهم وقادهم جميع حكامهم وقادتهم في كل عصورهم ، وانه اي الحاكم القائد الواحد قد قاسى وواجه من الآلام والهزائم والهجوم والخوف والموت كل ما قاسى وواجه جميع هؤلاء الحكام والقادة في كل العصور أيضا .

لو اننا قد جرؤنا على ان نفترض هذا الافتراض فهل يمكن ان نتصور كائنا قبيحا وسفيا وشريرا وجانيا وبليدا جاهلا ، وايضا خاسرا ومظلوما معاقبا معذبا مثل هذا الحاكم القائد ؟ لقد كانت الام الحكام والقادة والانبياء وهزائمهم وهمومهم وعارهم وجنونهم وكذا كانت شرورهم وأخطاؤهم وبلاداتهم وحمقاتهم ومغامراتهم موزعة عليهم جميعا لهذا لم تر أو تحاسب بكل بشاعاتها . آه لو انها تجمعت في ذات واحدة ، لو أن الحكام والقادة والانبياء تجمعوا في واحد منهم ! . .

اذن فالقوم الذين يفرض عليهم ان يكونوا قادة وحكاما وخلفاء بل وانبياء لكل الناس في كل العصور ، أو يختارون لذلك ليكونوا مسؤولين عن كل تفاسير ومنطق اختيارهم ، وليقاسوا وبواجهوا كل ما قاسى وواجه وما سوف يقاسى ويواجه كل الحكام والقادة والخلفاء والانبياء في كل العصور .

نعم ، مثل هؤلاء القوم المفترضين لو امكن افتراضهم هل يحتمل انه قد اريد تمجيدهم أو تكريمهم أو الثناء عليهم أو اسعادهم أو تخصيصهم بكل اسباب وشروط الراحة والمسرات والرضا عن النفس وعن الناس وعن الحياة وعن الالهة وعن الاقدار ؟ بل هل يمكن انه قد اريد بهم أو لهم غير اقصى اساليب التحقير والذم واقسى اساليب التعذيب والترويع والتشويه ؟ انه لا يمكن ان يحسب الحكام والقادة بل والانبياء حالة من حالات المجد لانفسهم ولا حالة من حالات السعادة أو المسرة لانفسهم ايضا ، انهم خروج على مجد انفسهم بقدر ما هم خروج على سعادة ومسرات انفسهم .

لماذا يختار الناس لانفسهم ان يكونوا قادة وحكاما بل وانبياء ؟ لماذا يقاسون كل الافتضاح والعار والنذالات والمخاطر بل والهوان والمذلات والهزائم والعذاب والشنائم والاتهامات لكي يكونوا قادة وحكاما بل وانبياء حتى ولو على اضعف واردا المقاسات والشروط وتحت اقبح واسوأ الظروف وفوق اصغر واجهل وافقر المجتمعات ؟ هل هو أسلوب من اساليب العطاء والرحمة والشهامة والموت من اجل اعطاء الاخرين الحياة والرخاء والحضارة والتقدم والمعرفة والذكاء والامن والسلام ؟ هل هو نموذج من الحب والفداء يموت كل خيال عجزا عن التحليق الى سمائهما وعن التصور لهما ؟

ان هذا التفسير لنيات وحوافز الحكام والقادة بل والانبياء لهو تفسير يجب الا يجرؤ احد على وضعه حتى ولا بين اضعف واكذب التفاسير للناس وللانبياء . واذا جرؤ اي حاكم أو زعيم بل أو نبي على أن يفسر نياته وحوافزه - ولو بأسلوب الاحتمال والظن - هذا التفسير فلن يكون له ند في وقاحته وبذاته أو في بلادته وغفلته او في كل ذلك . ولكن ليس محتوما ان كل من يقاسى المقاساة البذيئة الكئيبة التي يقاسيها كل من أراد أن يكون حاكما أو قائدا أو نبيا فلن يكون له ند في بذاته ووقاحته وأحيانا في بلادته وغفلته ؟

هل التفسير اذن هو البحث عن المجد للذات وللاسم ؟ هل تستطيع اية محاسبة أو محاكمة لجميع الحكام والقادة بل والانبياء مجتمعين او لكل حاكم وقائد منفردا ان تكون اي هذه المحاكمة والمحاسبة لمصلحة المجد ولارباحه لا لمصلحة وارباح العار والهوان والخزي والسقوط والمسبات ؟

اذا كان هذا هو حساب من يقاسون الى حد الجنون والموت والافتضاح ليكونوا قادة وحكاما بل وانبياء فهل يوجد حساب اغبي واجهل واخسر من هذا الحساب اي من حساب من يريدون ان يكونوا حكاما وقادة وانبياء ؟ ان اعظم الانبياء والقادة لو حوسبوا وفسروا بكل كينوناتهم وتفاسيرهم ونياتهم ونتائج مجيئهم لما وجد أو بقي لهم أو في حسابهم اي مجد أو ربح أو سعادة .

نعم ، ان كان الحكام والقادة بل والانبياء ايضا يجيئون بحثا عن المجد والشرف لذواتهم ولاسمائهم فلن يوجد من يساويهم في جهلهم وغبائهم وخسرانهم وعجزهم في الحساب والتوقع وفي فنون التنجؤات وقراءة النجوم . . ان اعظم مواهب الحكام والقادة والانبياء هي قراءة النجوم مع انهم هم اجهل الطوائف بقراءتها . .

اذن هل التفسير انهم يجيئون بحثا عن النشوة واللذة والراحة وعن كل احساس البهجة والسرور لانفسهم ، بحثا عن كل ذلك في حشود المخاطر والمخاوف والاحزان والمتاعب والالتزامات المؤرقة المعقدة ، وتحت تهاوي المثائم والاتهامات والاشاعات ، وأيضا تحت كل احتمالات الشنق والصلب والطرود وكل الاحتمالات الاخرى التي تحاين أو تظلم وتستضعف حينما تسمى وتحسب احتمالات فقط لا واقعا محتوما ؟

ان كان ذلك كذلك فليس هنالك عبقرية تساوي عبقريتهم في قدرتهم على تحويل الجحيم الى فردوس ، وتحويل الموت والخوف والخطر والسباب والاتهام والعجز والضباع والهزائم والهجوم والعار والوقاحة والافتضح وكل اصناف العذاب والورطات والمشاكل والمتاعب التي لا علاج لها الى لذة وبهجة وراحة ، أو رؤية أو تصور أو اعتقاد ذلك كذلك . نعم ، هل يوجد مثل الحكام والقادة والانبياء في رؤية الشيء في نقيضه وفي حسابان الاشياء وزعمها نقيضا لنفسها ؟

انه لا مثيل لاعضائهم ومشاعرهم وخيالاتهم ورؤاهم في ضلالها وبلادتها وهوانها وفي عجزها عن التمييز بين اللذة والالم وبين الراحة والتعب وبين الابتسام والعبوس . ان اعضاءهم ومشاعرهم وخيالاتهم ورؤاهم لاشد ضلالا وبلادة وغواية من عقولهم وأفكارهم ومذاهبهم ونظرياتهم ومن تعاليمهم . .

ان ضمائرهم واحاسيسهم واجسامهم معطلة الوظيفة . انها لا تستطيع ان تذوق الاشياء أو تذوق مواجهاتها ومعاملاتها مع مواجهاتها . انها لا بد أن تكون فاقدة للتذوق ، بل ضالة التذوق ، معكوسا تذوقها .

ان ضلال الاجساد والاعضاء والضمائر والاحاسيس والتصورات وبلادتها وفقدتها لوظيفة التذوق ولذكاء التذوق وضلال تذوقها هو اقبح ضلال وبلادة وفقد . انه اقبح من ضلال العقول والافكار والمذاهب والحواس والتعاليم ومن بلادتها وفقدتها . نعم ، هل يوجد ضلال يساوي ضلال اجساد وضمائر ومشاعر وتصورات ونشوات الانبياء والقادة والزعماء والحكام ؟

ان اكثر اخطاء البشر في التفكير والايمان والرؤية والحكم ليست الا تعبيرا عن الخطأ في الاحساس والتذوق والتصور والاشتهاء . .

انه يبقى تفسير واحد لمجيء الحكام والقادة والانبياء ولقاساتهم لكي يصبحوا حكاما وقادة وانبياء . انه تفسير لا يخشى عليه من أية مواجهة أو مهاجمة أو منافسة أو مناقضة . نعم ، ان التفسير لمجيء النبي هو نفس التفسير لمجيء القائد والحاكم . وان التفسير لرغبة هذا وسعادته في ان يصبح نبيا هو نفس التفسير لرغبة وسعادة ذلك في ان يصبح قائدا أو حاكما . . ان مجيئهم وكفاحهم البذيء المهين لكي يصبحوا حكاما وقادة وانبياء ليس الا بحثا عن أسلوب شامل حاد جهير من

اساليب الرغبة في توقيع اقصى الوان التعذيب والارهاب والاقلاق بالذات وبالآخرين بل وبالطبيعية وبكل الاشياء ايضا . ان شهوة توقيع كل ذلك بالنفس وبالطبيعة وبكل شيء وبالآخرين شهوة كشهوة الجنس والمجد والقوة والانتصار والتفوق .

انه ليس محتوما ان يعي هذه الرغبة من يقاسونها ويدينون لها وينفذونها بل قد يكون محتوما الا يعوها . ولو أنهم وعوها لما تحول وعيهم لها الى خروج عليها او الى تعجيز لهم عن تنفيذها او الى تزهد لهم فيها . ان هذه الرغبة لن تموت او تضعف او تتوارى أو تهرب لو عرفتها كل الاسواق والمحاريب والمناجر . ان الرغبات لا يهزمها أو يضعفها بل أو يخجلها وعي تفاسيرها . .

ان الحب لا يموت ولا يكره نفسه بمعرفة اسبابه أو أخلاقه . .

ان الرغبة في تعذيب وترويع واقلاق وفي اثاره وفجيرة الذات والآخرين بل والطبيعة وكل الكائنات والاشياء لا تحتاج الى تحديق طويل أو حاد أو ذكي جدا لكي تصبح مرثية مقروءة مفسرة بكل اللغات والمذاهب والاخلاق والشعارات ، بل مسوغة مزكاة مدعوا اليها بكل ذلك .

تعالوا لنقرأ ونفسر ونحاسب اي سلوك يأتيه وينويه اي كائن لنعرف صدق هذا التفسير وشموله . .

مثلا . . الاله لماذا جاء وعاش وجوده كما عاشه ويعيشه ؟ ولماذا خلق الكون والناس كما خلقه وخلقهم ، ولماذا طالبهم كما طالبهم وبما طالبهم وبالاسلوب الذي به طالبهم ؟

هل يحتمل ان يكون لهذا اي تفسير سوى ارادة الترويع والازعاج والاثارة والاقلاق والتعذيب لذاته وللناس ولكل كائن اخر ولكل شيء ؟ حتى الملائكة ، هل يمكن ان يكون الاله قد اراد بما فعل ودبر شيئا لهم سوى ان يزعجهم ويخيفهم ويثيرهم ويقلقهم ويعذبهم حتى ولو باحصائهم على البشر وبمواجهتهم لهم وبتعاملهم معهم وفيهم وبهم ؟ هل يمكن ان يكون في وظائف الملائكة هذه غير اقصى اساليب التعذيب والارهاق والاضراب لهم ؟

والشيطان . . لماذا خلقه الله وخلده وكلفه بما كلفه ؟ هل يحتمل ان يكون لهذا النبا او لهذه القصة المروعة او الرائعة تفسير غير رغبة الاله في أن يوقع كل الاهوال والشروع بنفسه وبالشيطان وبالبشر ؟ ابحثوا ايها المرضى بالتفاسير الروية عن القبور . ابحثوا كثيرا ولكن لا تنتظروا ان تجدوا اي تفسير لهذه المأساة الالهية الشيطانية الانسانية غير هذا التفسير . . ان كل عبقرية البشر لو تحولت الى عبقرية تفسيرية لما استطاعت ان تجد اي تفسير لخلق الشيطان غير هذا التفسير .

ثم الشيطان نفسه لماذا طالب الاله بأن يكلفه بافساد البشر واشقتهم وبأن يهبه الانتصار والتفوق عليه اي على الاله ، وايضا بأن يهبه الخلود لكي يظل ابدًا مفسدا مشقيا للبشر مختصرا منقوصا متفوقا عليه اي على الاله ؟ هل يمكن ان يوجد في جميع خزائن التفاسير او في جميع التفاسير المدفونة داخل احشاء المقابر ، في توابيت

المعلمين والمفسرين والقديسين - هل يمكن أن يوجد في جميع ذلك أي تفسير لهذا غير رغبة الشيطان في أن يوقع كل اساليب وصيغ التنكيل بنفسه وبالاله وباللائكة وبالبحر؟ لعله لا يوجد من بنافس الشيطان في هذه الرغبة اي في رغبة التعذيب للنفس وللآخرين ولكل شيء الا الاله . لعل الاله هو بطل الابطال في هذه الرغبة .

نعم ، هذه القضية أو القصة ان كانت واقعا فلماذا جاءت هكذا ، وان كانت تصورا فلماذا جاء تصورها هكذا او لماذا تصورناها هكذا ؟ وايهما اقوى هجاء وتعذيباً وتحقيرا للانسان : ان تكون واقعا ام ان تكون تصورا ؟ أليس التصور البليد اذل واقبح من الواقع الاليم البليد ؟

أليس تصورنا لها هكذا يعني حتما انه مفروس في منطقتنا وضماثرنا وفي كل معاني حياتنا وضروراتنا واحتياجاتنا ان كل سلوك وتدبير حتى سلوك وتدبير الآلهة والكائنات الغيبية السماوية وكل الكائنات الموجودة والمتصورة الطيبة والريئة ، محكومان اي كل سلوك وتدبير بارادة التعذيب والتخويف والازعاج والاثارة والافتراق للنفس وللآخرين ولكل شيء وكل احد ؟

لهذا لم نستطع ان نتصور اي كائن ليس محكوما بهذه الرغبة وهذا السلوك والتدبير حتى ولا الاله ، حتى ولا الشيطان ، اشهر واعظم نموذج للمأساة وللاضطهاد وللمتهم الصابر الكريم البريء . أليس محتوما ان نتصور هذه القصة تصورا اخر لو كنا نتصور ان اي كائن قد يستطيع ان يكون بسلوكه ونياته خارجا على رغبة التعذيب والعدوان هذه ؟

ولكن البشر .. ماذا ؟ ماذا يمكن ان تكون تقاسيرهم ؟

هل يمكن ان يفسر اي شيء فيهم أو منهم بغير هذه الرغبة العدوانية على النفس وعلى الآخرين وعلى كل شيء ، حتى على الالهة والابالسة واللائكة وعلى الحيوانات والحشرات ؟ وهل للبشر رغبة عدوانية مثل رغبتهم في العدوان على الالهة ؟

لماذا يجيئون ويريدون المجيء والبقاء ويصنعون المجيء للآخرين المسمين أبناء واحفادا وقطع اكباد ؟ لماذا يصير الشيوخ والمرضى والمعذوبون والمشوهون جدا والذين هم كل التعذيب والتزويج والافتراق والخسران لانفسهم ولقاريهم ولكل من حولهم بل ولضماير الالهة وعبودها ولاعجابها بموهبتها وبرضاها عن نفسها وعن رحمتها وشهامتها وعن موهبة الحب والصدقة والكبرياء والكرامة والشرف فيها - نعم ، لماذا يصير هؤلاء على البقاء ؟ هل يوجد شيء لا يستطيع تقبله أو غفرانه مثل رغبة كل الناس في البقاء واصرارهم عليه مهما كانت آلامهم واحزانهم وتشوهاتهم وخسرانهم واليأس منهم ، ومهما كان تعذيبهم وترويعهم لكل من حولهم ، لكل من يحبون ؟

لماذا آمنوا بالالهة وبكل الكائنات الغيبية وتصوروا بكل هذا الجبروت والقسوة والقوة والشمول والكتابة والانانية والغضب، وبكل هذا الحب للذات والانتقام لها ، وبكل هذه الرغبة في العقاب وفي الاحصاء عليهم وفي محاسبتهم حتى على وظيفة الخفقان والرؤية والجوع والتحديق والتساؤل في قلوبهم وعيونهم واعضاءهم

وضماثرهم وعقولهم ؟ انهم لم يتصوروا شيئا واحدا يعاقب اعضاءهم وحواسهم واحاسيسهم على وظائف الحياة فيها مثلما تصوروا الالهة والكائنات الغيبية الاخرى . ولماذا تصوروا هذه الكائنات والالهة تملك وتعد لهم كل هذه الاهوال - البعث والحشر والحساب والجحيم والزبانية الحراس لكل هذه الاهوال - هذه الاهوال التي تصورها ، التي مجرد تصورها والحديث عنها لن يبغي للالهة ولا لهذه الكائنات ولا للاسنان ولا لاي شيء اية كرامة او كبرياء او وقار او ذكاء او ابتسامه أو محبة أو شهامة أو منطق أو أمل أو عزاء — التي مجرد تصورها والحديث عنها والاستماع اليها والصلاة بها لن يترك لاي خيال ولا لاية أذن أو كلمة أو صلاة اي تفسير ذكي أو كريم أو محترم ؟

هل بقي للخيال اي شرف أو مجد أو كرامة أو كبرياء بعد أن تخيل احوال البعث والحساب والجحيم بكل زبانيته ؟

نعم ، أي فم يتحدث عن الجحيم الذي خلقته واعدته آلهة الانبياء لتعاقب به ، أو أي خيال يتصور هذا الجحيم ، أو أية اذن تستمع الى الحديث عنه أو أي قلب يصلى به هل يمكن ان يكون لها اي لهذه الاذن أو الفم أو القلب أو الخيال اي تفسير لا تصاب بالغثيان والاشمزاز من قبحه وبلادته كل ضماثر واخلق وانياب وأظافر كل الوحوش ؟ .. كيف أطاقت الافواه أو الاذان أو القلوب أو العقول أو التقوى أو التصورات أو الكرامة ان تتحدث عن هذا الجحيم أو تستمع الى الحديث عنه أو أن تتصوره أو تصلي به أو تفكر فيه ؟

وايضا لماذا تصوروا اي البشر هذه الكائنات الغيبية والالهة فارضة عليهم كل هذه التعاليم والعبادات والالزامات التي يستحيل الالتزامات بها والقدرة عليها ، واضعة عليهم اقصى اقصى اجهزة وزبانية الاحصاء والمراقبة والاستخبارات ، ملقبة بهم تحت اقصى وادوم واشمل تحديقاتها البذيئة الرهيبة الوقحة بلا حدود أو نموذج أو خلاص من احاطتها ومحاصرتها ، مهددة لهم بتلك الاهوال التي لا بد أن تموت خوفا واستنظاعا وتدينا ضماثر وعيون وقلوب واطفار وانياب الوحوش لو تصورتها - مهددة لهم بكل تلك الاهوال لو أنهم عجزوا عن اقوى الالتزام سلوكا ونية ومنطقا وحديثا بكل تلك العبادات والتعاليم والتشريعات والوامر والنواهي التي تعجز كل القدرة وكل النيات الصادقة المصدقة المؤمنة المقهورة بالخوف وبالايمان عن الالتزام باية واحدة منها ؟ ان افجر الناس لن يتفوق على الانبياء وعلى اتقى الناس بالعجز عن الالتزام بتلك التعاليم والعبادات والالزامات ..

ولماذا آمنوا بالزعماء والقادة والمعلمين والانبياء الحاقدين المتوترين المتعصبين الكارهين الشتامين المرضى بالطموح وبشبهوات الاستعلاء والاستعراض للذات وللجنون ، الصانعين للحروب والعداوات والخصومات والثارات ، وللمذاهب والاديان والقوميات والوطنيات المتعادية المتقاتلة المتشائمة ؟ بل ولماذا تصورهم وتمنوهم كذلك بل والهموهم ان يكونوا كذلك ؟

ولماذا هتفوا وصلوا لهم وحرصوهم بهتافهم وایمانهم وطاعتهم على المضي الى جميع حماقاتهم ومغامراتهم القتالة تحت دقات وهتافات وصلوات جميع الطبول والاجراس والمآذن ، وتحت أعلام وانشاد وتفاسير ومبايعة جميع الايات والاحاديث والاناجيل والاسفار والشعارات والمذاهب ؟ لماذا حولوا في جميع العصور جميع الايات والاحاديث والاناجيل والاسفار والمذاهب الى اناشيد وتفاسير وهتاف لجنونهم المقاتل المخرب ؟

ولماذا يطيعونهم كلما جنوا أو توتروا أو حقدوا أو غضبوا أو مرضوا بالطموح أو بشهوات العرض والاعلان والدوي والاثارة والصعود فوق الاعاصير والامواج والاهوال والآلام أو مرضت اعصابهم ونفوسهم وحساباتهم ورؤاهم ، فراحوا يتداوون من ذلك بكل ما في مقابر التاريخ من جثث وجنازات ودماء وهموم وخراب وضياع وتعاسات دفنوها فيها اي في مقابر التاريخ .

نعم ، فراحوا يتداوون من كل ذلك ويفعلون كل ذلك بسوتهم الى كل ما في مقابر التاريخ والى كل ما في ضمير واعصاب التاريخ وكل ما في نياته وخطئه المقبلة من حروب وعداوات وخصومات وشتائم وويلات دينية أو مذهبية أو وطنية أو قومية أو أنسانية أو بلا انتماء ؟ لماذا تقبلوا دائما ان يكونوا هم الدواء القاتل الذي يتداوى به القادة والزعماء والمعلمون المرضى من الداء الذي زرعه هم فيهم بهتافهم وطاعتهم لهم وایمانهم بهم ؟

لماذا يلدُ الانسانُ الأنبياءَ والقادة

لماذا يلدون هؤلاء القادة والزعماء والعلمين والانبيا الفادحين المخربين ؟ لماذا يستفرونهم ويفرزونهم ويحتلمون بهم ، ويتضرعون الي ما في الطبيعة من اظفار وانياب ومن قدرة على التخريب والتقتيل والترويع والتفجيع ومن مواهب متوحشة عدوانية لكي تتأق اي الطبيعة وتقاسي في صياغة هؤلاء القادة والزعماء والانبيا والعلمين وصياغة عبقريتهم في ابتكار الجنون وفي الاقدام عليه وفي تنفيذه بكل الليسالة والوقاحة والضجيج ، ثم في اهدائهم اليهم؟ انهم يلدون ويستفرون ويفرزون للقادة والزعماء والعلمين بأسلوب فيه كل معاني العدوان عليهم هم وعلى كل شيء وعلى نفس القادة والزعماء والعلمين . . .

هل عرفت للبشر عبقرية تساوي عبقريتهم في قدرتهم على ولادة واستفراغ وافراز هؤلاء الانبياء والعلمين والقادة والزعماء الفادحين المخربين ، وفي اشواقهم الي مجيئهم وفي هتافهم بهم ليحيئوا وفي تحريضهم لهم على المجيء وفي قدرة هتافهم على المجيء بهم ؟ وهل للجماهير عبقرية غير عبقرية ولادتها واستفراغها وافرازها وبصقتها لهؤلاء القادة والزعماء والعلمين ، اي لهؤلاء المعادين لها وللحياة ولكل شيء ؟ ان قدرة هتاف الناس على المجيء بالقادة والزعماء والعلمين وعلى صياغتهم وصياغة حماقاتهم وذنوبهم ووحشيتهم وعاعاتهم لاعظم من قدرة الزعماء والقادة والعلمين على المجيء ومن اشواقهم الي المجيء ومن قدرتهم على ان يصوغوا انفسهم ليصوغوا مواهبهم العدوانية الباهظة .

ايهما الزارع في القائد او في الزعيم المتوحش انيابه : هتاف الناس له ام هتاف شروره به ؟ وهل يمكن ان يسمع هتاف شروره به أو أن يستجيب لها لولا هتاف الناس به : بل هل يمكن ان يعرف ان في داخله شرورا جيدة قادرة على التدمير ولا عساف اليمانين به .

بل وايضا لماذا يحقدون ويحسدون ويغارون ويتشاتمون ويتعادون ويتخاصمون ويقتافسون وينقاطعون ويتراسقون بالاتهامات والبداءات ؟ ولماذا يتبارزون ويتفخرون ويتبادلون التحديات والتهديدات والتذكير بالذكريات الاليمة المهينة وبالعاملات والملاقات الماضية الفاجعة المسيئة الرديئة ؟ ولماذا يقرؤون التاريخ بالامه واحزانه وعاداته وحروبه وكروبه وخصوماته ومشاتماته ، بل لماذا يقرؤون كتبهم المقدسة

ونبواتهم وانتصاراتهم وامجادهم ؟ هل يمكن ان يقرأ التاريخ والكتب المقدسة وتاريخ النبوات من لا يعشقون العذاب والعار ؟

بل لماذا يصادقون ويحبون ويمتدحون ويألفون ويعجبون ويحنون ويشناقون ؟ حتى الحب والالف والاعجاب والحنين والامتداح والاشواق والصدقات ، ليست تعذيبا وتوريبا وافتلاقا وارهاقا وتخويفا بل وعدوانا واغتصبا وهجوما فيه كل معاني ونتائج الغزو والقتال ؟ اجل ، لماذا يقرأ الناس تاريخهم أو كتبهم المقدسة أو نبواتهم وانتصاراتهم ؟ هل يمكن ان يكون في ذلك محبة أو راحة أو سعادة ؟

نعم ، ولماذا ايضا يحنون وينادون ويتضرعون الى الالهة ويتعبدون لها بالصلوات والصوم والحج والنبكاء والهناف وبالامل فيها وبالخوف منها وبكل انواع العبادات الاخرى ، وبتفسيرها اي تفسير الالهة وتصورها بالتفسير والتصورات الرهيبة الكثيرة المروعة ؟

وايضا لماذا يئنون ويحزنون ويغضبون ويكرهون ويخافون ويتشاءموا ويفسرون ويتوقعون ويقرؤون ويرون انفسهم والآخرين والاحداث والمستقبل تقاسيفا وتوقعات وقراءات ورؤى اصعب واقسى واكثر ترويعا وافتلاقا من الواقع ومما يمكن ان يحدث بل ومما يستطيع ان يقول المنطق والتاريخ والمستقبل ؟ هل وجد او يمكن ان يوجد من يستطيعون الا يفسروا الاحتمالات الاليمية والرديئة أو ألا يتوقعوها ويقاسومها الا بقدر ما تستطيع ان تكون ؟ هل وجد او يوجد من لا يعذبون ويخيفون انفسهم بلا خوف وبلا عذاب ؟ لماذا التهويل دائما في الحدس والتوبة والرؤية والتفسير والخوف والتشاؤم ؟ لماذا يخيفون ويقلقون ويزعجون دائما انهم اكثر مما يمكن ان يخافوا ويزعجوا ويقلقوا ، اي اكثر مما يمكن ان يواجهوا من باب الخوف والانزعاج والافتلاق ، او اكثر من كل الخوف والانزعاج والقلق ، اي اكثر مما في طبيعة الالهة والحياة من قدرة على صنع الخوف والقلق والانزعاج ؟ ان الناس جميعا يموتون ويتعذبون ويخافون بالتوقع والتعاليم والتفسير اكثر واعنف جدا مما يموتون ويتعذبون ويخافون في الواقع او حتى الاحتمال . . .

لماذا يخافون ويقلقون ويزعجون حيث لا ينفع الخوف او القلق أو الانزعاج اي نفع ، وحيث لا يرد اي خطر ، او حيث يكون الخوف والانزعاج والقلق موقعا في الخوف والقلق والانزعاج وصانعا لاسباب ذلك ؟

أليس كل الناس يفعلون ذلك أي يخافون ويقلقون حيث لا توجد اسباب لذلك وحيث لا ينفع الخوف أو القلق بل وحيث يوقع خوفهم وقلقهم في مزيد من الخوف والقلق ومن اسبابهما ؟

نعم ، لماذا يفعل الناس كل ذلك بالاساليب والنيات التي بها يفعلونها ؟ ان جميع مفسري الوثنيات والدمامات والمعاهات والبلادات والالام اجمل واتقى التفاسير

لن يستطيعوا ان يجدوا للناس ، لجميع الناس في جميع تصرفاتهم ونياتهم اي تفسير غير خضوعهم لهذه الرغبة اي لرغبة التعذيب والارهاق والافتراق والترجيع والاثارة للنفس وللآخرين ولكل شيء . . .

انهم لن يستطيعوا ان يجدوا لذلك اي تفسير سوى هذا التفسير الا بقدر ما يستطيع الانبياء والمعلمون بالاله ان يجدوا لوجوده اي لوجود الاله ولنطقه وتدبيره ولنياته وتصرفاته ولجميع كينوناته واهوائه ومطالباته اي تفسير غير وقوعه اي وقوع الاله في قبضة هذه الشهوة شهوة التنكيل بالنفس وبكل احد وبكل شيء . . . انهم لن يستطيعوا ان يجدوا لذلك تفسيراً جميلاً او نبيلاً الا بقدر ما يستطيعون ان يجدوا للاله تفسيراً جميلاً نبيلاً حينما يصيب الجمال بالتشويه .

اذن فالذين يختارون ويدبرون لانفسهم ان يكونوا قادة وزعماء وحكاما وانبياء ايضا لن يكون محتملا تفسيرهم بغير هذا التفسير . لن يكون ممكنا ان يفسروا في اختيارهم وتدبيرهم وفي جميع ممارساتهم ومواجهاتهم لانفسهم وللآخرين ولجميع الاشياء والاحداث بغير التفسير الذي لا بد ان يفسر به الاله والذي لا بد ايضا ان يفسر به الشيطان في جميع تدابيرهما واختيارتهما وفي جميع ممارساتهما ومواجهتهما لذاتيهما وللآخرين ولجميع الاحداث والاشياء . هل يمكن ان يوجد للاله او للشيطان اي تفسير جيد مهما وجد لكل شيء تفسير جيد ؟

اما اذا كانت المجتمعات او الجماهير هي التي تختار وتدبر وتقرض على القادة والزعماء والانبياء ايضا ان يجيئوا وان يكونوا قادة وحكاما وزعماء وانبياء فان التفسير ايضا لن يكون غير ذلك ، لن يكون التفسير غير ارادة الجماهير او المجتمعات ان توقع كل اللون التعذيب والترجيع والتنجيع والتشويه والعقاب بهم اي بالقادة والزعماء والحكام والانبياء وبنفسها وبكل احد وكل شيء . وبأي هؤلاء ارادت الجماهير توقيع العقاب اكثر : بنفسها ام بكل احد وكل شيء ام بالزعماء والانبياء والقادة الذين هتفت وصلت لهم ليجيئوا ؟

ان الجماهير والمجتمعات لم تدع القادة والزعماء والانبياء والحكام الى المجيء ولم تفرض عليهم المجيء او ترد لهم المجيء لانها تحبهم او لانها تريد لهم السعادة او المجد او الغرور والكبرياء ، ولا لانها قد رأت او عرفت او جربت او عشت جمالهم او ذكاهم او عدلهم او عقبيتهم او نبوتهم او تقواهم . انها تهتف بهم ليجيئوا بالاسلوب الذي تهتف به الاجسام المحكوم عليها بان تمرض بالامراض لتصيبها !

ان المجتمعات لم تر او تعرف او تجرب او تحب من زعمائها وقادتها وحكامها وانبيائها الا مثلما رأت وعرفت وجربت واحبت الاغنام والحيوانات المسالمة من الذئب وسائر الحيوانات المفترسة - او الا مثلما ذاقت الاجسام من ضربات الامراض - والعاهات - او الا مثلما شاهدت العيون من جمال ونظافة الحشرات - او الا مثلما قاست الضمائر والعيون والانكار العذراء من منطق الاله وعدله وحب للناس وللجمال وللنظام !

وهل يمكن ان يقاسي اي شيء من العذاب والانفجاع مثلما يمكن ان تقاسي العيون والافكار والضمائر العذراء من مواجهة الاله ومن التحديق في تفكيره او في ضميره او في يديه ضاربتين او مصافحتين ، بانيتين او هادمتين ؟ حتى الاله لن يستطيع او يجرو على مواجهة نفسه او التحديق فيها لو كانت له عيون او افكار او اخلاق عذراء . ولكن هل يمكن ان توجد افكار او ضمائر عذراء ، او هل يمكن ان تظل عذراء مهملة وجدت او جاءت عذراء ؟ اليس محتوما ان تسحب الحياة والاحداث والمواجهات ، وان يسحب المعلمون والانبياء والزعماء والقادة والمحاريب والمخابر من جميع العقول والضمائر بكارتها ؟ والعيون ؟ هل يمكن ان تظل عين واحدة عذراء ؟ ان العيون غير البصرة هي التي قد تستطيع ان تظل عذراء . . .

ماذا يمكن ان تجد او ترى او تفهم او تقاسي لو انك واجهت الاله او الطبيعة او الحياة او الناس او اي شيء او حتى نفسك واعضاءك ومشاعرك بعقل وضمير لم يفتك ببقارتهما ؟ اذن ماذا يمكن ان تكون فجيعتك والترويع لك لو انك واجهت كل ذلك وقرأته بعين عذراء ؟

اذن لعل الذين اعتدوا على بكاره عقلك وضميرك كانوا بك رحما او لعلهم كانوا لك نافعين ان لم يكونوا رحما ! . . . ولعل الذي ينفحك دون ان يرحمك افضل لك من الذي يرحمك ولا ينفحك !

ولكن هل يوجد ارحم بك او انفع لك مثل من سلبوا عينيك عذرتهم ؟ وهل كائن ما او شيء ما يسلب عينيك عذرتهم دون كل الكائنات وكل الاشياء ؟

أليست كل الاشياء وكل الكائنات تحول كل العيون الى غير عذاري ؟ ان كل المرثيات حتى اتقاهم وانبلها واجملها وانظفها لا بد ان تفسق ببقارة العيون الرائية . ان توقيع العذاب بالنفس وبالآخرين وبالاشياء يخلص من عذاب اخر ويخلص ايضا من الكتابة والجمود والخمول ويهب الوانا من النشوات الحادة النزقة الراقصة . . . ما اقسى مواجهة النفس والحياة والاشياء لولا الانهماك في توقيع العذاب بالذات وبالآخرين وبكل شيء ؟

اذن فالتدبير والاختيار لقبيلة قريش لتكون ، او الزامها بان تكون ، او الانباء بانها لا بد ان تكون هي وحدها القائدة والزعيمة والحاكمة والنبوة والنبية لكل البشر في كل العصور وتحت كل الاطوار الحضارية ، لن يكون تمجيدها او اسعادها لها اي لقبيلة قريش ، ولا تخصيصا لها بأي شيء جيد او مريح او واهب للهجة . بل لا بد ان يكون ذلك اسلوبا شاملا حاشدا من اساليب القسوة والتعذيب والتشويه والعدوان والفضح . . .

نعم ، كيف لم تظن الى ذلك النبوة العربية التي اخبرت بذلك او شرعته وارادته لقبيلة قريش ؟

اذن حينما قلنا ونستمر نقول :

« ان كل الناس سيظلون ابدا اتباعا ورعايا لقبيلة قريش في كل شيء ، في الخير وفي الشر . الكفار اتباع لكفار قريش ، والمؤمنون والمسلمون اتباع لمؤمني قريش ومسلميها . »

نعم حينما نقول ذلك ونحوه الى نصوص خالدة مقدسة نقرؤها على الهنتنا وانبيائنا ونقرؤها علينا ولنا الهنتنا وانبيائنا ، ونرتفع في تمجيدها الى ان نضعها في افواه الهنتنا وانبيائنا ، والى ان نجعلها نزييف ضمائر وعبقريات الهنتنا وانبيائنا ونشيد منابرهم ومحاربههم وصلواتهم المفروضة المضروبة على كرامة التاريخ وعلى مجده وذكائه - المؤداة فوق شرف التاريخ وكبريائه وفوق خطواته وتحديقاته .
نعم حينما نعمل ونقول ذلك ، اي حينما نقوله وتفعله الهنتنا وانبيائنا بلغتنا وفكائنا وبوقارنا واستحيائنا ، فهل نحن نعدبر عن عرقية عنصرية لا شبيه لامتضاحها ونزقها ؟ هل يمكن ان يكون هذا هو التفسير ؟

نعم ، حينما نفسر ونحاسب كمتكلمين لا كمصوتين فقط لا يحاسبون على شيء ولا يفسرون بشيء فكيف يمكن ان يفهم او يفسر قولنا هذا في قبيلة قريش ، وكيف يمكن ان تفهم او تفسر مستوياننا الحضارية والاخلاقية والنفسية والعقلية بل والدينية والتاريخية ؟ هل يمكن حينئذ ان تحسب مستوياننا مستويات بشرية فهما افترضت المستويات البشرية بلا حد ادنى تقف عنده ؟

ان هذا الوحي عن قريش منفذا او مطبقا قد مات وطال موته واصبح سطورا وحروفا ميتة في كتب لا يقرؤها الا قراء شواهد القبور ، ولا يقنننها الا من يعيشون في ضمائر الموتى . وهل يوجد من لا يعيشون في ضمائر الموتى باسلوب ما ؟

ولكن كلا . . ان هذا التمجيد او التشويه والتعذيب والتوريث لقبيلة قريش ، او هذا التصويت عنها موجود في كتب تنادي جميع اجهزتنا الدعائية والتبشيرية بالدعوة وبالرجوع اليها وبالافتخار بها وبزعمها هي اللغة والبشرى والحروف والقراءة والصلاة والتعاليم التاريخية الاولى الحضارة الانسانية الشاملة . . بل ان هذا موجود في كتب تمجدها وتؤمن بها وتقاتل دفاعا عنها وتصلي بها ولها وتتعلمها وتعلمها جميع محاربينا ومنابرنا ومدارسنا وجامعاتنا ، بل جميع عقولنا وعبقرياتنا وقياداتنا وزعاماتنا ، بل كل مطامحنا وامانياتنا القومية والوطنية والدينية والحضارية والتحريرية والانسانية . . انه موجود في كتب لن يعد الا زنديقا من لم يجد ويقرأ فيها كل البداية والنهاية وكل التاريخ والمستقبل وكل الانسان والالهة .

ان هذه النبوة المخبرة الراوية او المشرعة الملزمة عن قبيلة قريش موجودة في كتب نعدما كل مجدنا في التاريخ ونعدما كل رؤيتنا وطريقنا الى المجد في المستقبل . انها موجودة في كتب نعدما كل نبوتنا ، واننا نعد نبوتنا هي كل مجدنا الذي قد كان وكل مجدنا الذي سوف يكون . ونعدما ايضا اي نبوتنا هي كل طريقنا الى كل مجد وقوة وحضارة ، وكل رؤيتنا لكل ذلك وكل اساليبنا التحريضية عليه . .

اننا لا بد ان نحاسب ونفسر بنبواتنا القديمة جدا لان كل مجدنا وعبقريتنا ليسا الا مجد وعبقرية نبوات ، ولاننا لا نستطيع كما لا نريد ان نتخطى نبواتنا القديمة جدا أو نتخطى شيئا منها ، ان تخطينا لنبواتنا ، لاي شيء مما جاءت به ولادتها او يوم ولادتها ، ان تخطينا لذلك ليس محسوبا في اي شيء من حساباتنا . . . واننا ايضا لا بد ان نفسر ونحاسب بمستوياتنا القديمة جدا وبارائنا ورواياتنا القديمة جدا لاننا لا نستطيع كما لا نريد ان نتخطى انفسنا . . . اننا لا ننقسم في مستوياتنا الحضارية او الفكرية او الانسانية الى تاريخ والى حاضر ومستقبل . . . اننا كينونة او صيغة واحدة او طور واحد . . . اننا اذن لا بد ان نحاسب ونفسر ونقرأ بكل تاريخنا القديم ، القديم جدا . . . اننا لا نستطيع كما لا نريد ان نتخطى تاريخنا ، ان نتخطى شيئا من ارائه او رواياته او مستوياته . . . ان اي مقطع من مقاطع تاريخنا لن يكون الا كل تاريخنا ، وان كل حياتنا ومستقبلنا لن يكونا الا ذلك المقطع من تاريخنا . . .

اننا لو اردنا ان نعرف انفسنا الى التاريخ والى الحياة والى العالم او الى الابد اصدق واتقى تعريف لقلنا اننا نحن النبوة العجيبة التي لا تصاب بالتطور او التغيير ، ولا بالقوة او الضعف ، ولا بالانتصار او الانهزام ، ولا بالشباب او الشيخوخة ، ولا بالموت او الحياة ، ولا بالتواضع او الكبرياء ، ولا باختلاف المناخ او الطقس ، بل ولا بالوجود والبقاء او بالفقد والذهاب ، بل ولا بالتحقير او التكريم ، ولا بالنقبيل او الرفض . . .

نعم ، السننا نحن هذه النبوة العجيبة في كل ما كناه وما نحن كائنوه وفي ما سوف نكونه ؟

اذن هل يوجد اكثر غرابة وشذوذا من هذه النبوة التي هي نحن ؟ واذن هل يوجد اكثر غرابة وشذوذا منا ؟ هل يوجد اشد غرابة وشذوذا من كائنات لا تخضع لقوانين الكينونة ومن كينونة لا تتفاوت صيغها ، ومن وجود لا يتحرك في الزمان ولا يتحرك الزمان فيه ؟

كيف ؟ اننا لا نزال نبوة كالنبوة التي روت او امرت بان يكون كل الناس اتباعا ورعايا لقبيلة قريش الى يوم الدين ، او لا نزال نحن هذه النبوة . . .

واننا ايضا لا نزال كتابا مقدسا كالكتاب المقدس الذي حكم ورأى وروى اننا نحن العرب ولا سيما عرب الخليج والجزيرة خير وافضل من كل البشر ، خير وافضل منهم في كل شيء ، في الايمان والتقوى والاخلاق بقدر ما نحن كذلك في الذكاء والعبقرية وفي ابتكار الحضارات - والذي ايضا حكم ورأى وروى اننا نحن العرب ولا سيما النائميين المصلين منا فوق ذلك الكائن الرهيب العجيب المهان الحزين المقاسي لاشد ظروف ومعاني ومشاعر الاغتراب في وطنه وبين اهله ، المسمى نفطا ، المسمى بلا صدق ولا حق نفطا عربيا مع ان كل عروبته هي ان العرب ظلوا منذ وجدوا يتتاءبون فوقه ، مجدين لمجاتهم وقطعهم وبدواتهم . . .

نعم ، الذي حكم ورأى وروى اننا نحن العرب سوف نكون شهودا وشهداء وقضاة على كل العالم في كل العصور امام كل محاكم التاريخ وكل محاكم الارض ومحاكم السماء . بل اننا لا نزال نحن هذا الكتاب المقدس ، ولسنا مثله فقط . . اننا لا نزال منطقته ونصوصه ، آياته وتفاسيره . اننا لا نزال الاله الذي قاله ، والملوك نقله ، والنبي الذي استقبله وسمعه ، وكاتب الوحي الذي كتبه ، والمفسرين الذين فسروه ، والحفاظ الذين حفظوه . .

اجل ، اننا نحن هؤلاء ولسنا فقط امثالهم . .

واننا ايضا لا نزال شعراء كالشعراء الذين علموا وجربوا ووجدوا اننا نحن العرب (لا توسط بيننا . . لنا الصدر دون العالمين او القبر) . وانه (اذا بلغ الطفل منا الفطام خر له جميع الجبارين ساجدين) وان (لنا الدنيا ومن امسى عليها . ونبطش حين نبطش قادرينا) . واننا من كبرياتنا وعزتنا (لتأنف نفوسنا ان تسكن اللحم والعظام) اي تأنف ان تسكن اجسامنا . (ونحن وهبنا الناس كل مزية . . وهبناهمو كل الحضارات والربا) اي وهبناهم كل الدنيا وكل الآخرة أو كل الانسان وكل الالهة ، اي كل القيم الحضارية والانسانية وكل القيم الدينية والاخلاقية والالهية . .

حتى الرب او الارباب جميعا نحن واهبوا لجميع الناس (وان الناس لا يسبيرون الا اذا سرنا لكي يسبيروا ورانا ، واننا اذا أومأنا اليهم بالتوقف عن السير والحركة توقفوا) . اي أنهم لا يجروون على السير ولا يعرفون كما لا يستطيعون ان يسبيروا او يتحركوا الا ورانا . واذا نحن طلبنا منهم ان يقفوا ويتجمدوا سمعوا واطاعوا اقتناعا واحتراما واتباعا ورهبة . حتى الاقدام . لقد علمناها ان وظيفتها السير عليها . هل كان يمكن ان تعرف اي الاقدام لماذا هي لو لم نعلمها نحن ذلك ؟

ان الناس جميعا في جميع العصور لا يقدرّون او يجروون او يعرفون او يريدون ان يشتهون ان يسبيروا او يتحركوا باقدامهم او بنياتهم او بعقولهم او باهوائهم او بأي معنى او مستوى من معانيهم ومستوياتهم الا بارشادنا وتعاليمنا ورغبتنا وأشارتنا وبمنطقنا ووامرنا . .

والا ايضا بعقريات ونبوات وابداعات عباقرتنا وانبيائنا وخلفائنا الراشدين . . اننا كل انبياء الناس وسلاطينهم ومؤدبيهم وواهبهم . . اننا كل قرآنهم وتوراتهم واناجيلهم وتعاليمهم ومذاهبهم وسيوفهم . ان سيوفنا لانبياء لسيوف كل الناس بالمنطق الذي به عقولنا انبياء لعقول كل الناس وانبيائنا لانبياء لكل انبيائهم . نعم ، اننا لا نزال شعراء مثل هؤلاء الشعراء الذين هذه النبوات بعض نبواتهم . اننا دائما وجميعا شعراء ، اي شعراء عرب . وهل يستطيع اي عربي الا يكون شاعرا عربيا ؟ أو هل يستطيع اعظم شاعر عربي أو أي شاعر عربي الا يكون اي انسان عربي ؟

بل اننا نحن هؤلاء الشعراء ولسنا مثلهم فقط . . اننا هم قد جننا في عصر غير عصرنا وغير عصرهم . اننا غرباء عن هذا العصر الذي نوجد فيه وغرباء بين

اهله او حول اهله • اننا غرباء عن هذا العصر وحول اهله مثل غربئة ابائنا ومثل غربئة هؤلاء الشعراء عن هذا العصر وعن اهله وحولهم • بل ان غربتينا هي نفس غربيتهم اي هي نفس غربئة ابائنا وغربئة هؤلاء الشعراء ، وليست فقط مثل غربيتهم ، لاننا نحن هم ولسنا فقط مثلهم • ان كل شاعر يتهم وكل ما فيها من عواء وصهيل وزئير وطنين وثناء ورغاء ومن خروج على كل ذكاء ومنطق وحياء واتزان وصدق وتهذيب ، ومن خروج على كل رؤية وتجربة حسية او فكرية وعلى كل مواجهة للاشياء وللأحداث بقراءة او بتحديد او بتفاعل او تعامل نفسي او عقلي او اخلاقي •

نعم ، ان كل شاعريتهم هذه بكل ما فيها من ذلك هي كل شاعريتنا بكل ما فيها من فنون النزق والامتزاج الفكري والنفسي والاخلاقي والاعلاني الاستعراضي ••

نعم ، هل استطاع واحد فقط من زعمائنا او قادتنا وحكامنا او مفكرينا ومعلمينا او شعرائنا وخطبائنا او من علمائنا العباقرة جدا الذين جعلنا اسماءهم عناوين لكل طبقات التاريخ وذكراهم نشيدا لكل امجاد التاريخ وصورهم لوحات على كل ابواب التاريخ ، وجنتهم نياشين على كل هامات التاريخ وفهمهم تقسيما لكل منطق التاريخ ، وقرآتهم قراءة لكل تراث التاريخ ، لكل ما في التاريخ من قرآن وتوراة واناجيل ومن مذاهب وتعاليم وفنون ، وبدواتهم تحضيرا لكل حضارات التاريخ ، واخطاهم واحقادهم وبغضاهم ومخاصماتهم وجهالاتهم نبوات ومعارف وتقوى وصوابا لكل التاريخ •

نعم ، هل استطاع واحد من هؤلاء ان ينتقل اليينا أو يكوننا أو أن ننتقل اليه او نكونه بصيغة اخرى ، اقوى وافضل او اضعف وارداً ؟ حتى الرداءة والضعف ، ان هؤلاء لا يستطيعون ان يكونوا اردأ او اضعف منا ، كما لا يستطيعون ان يكونوا اقوى او افضل منا • واننا كذلك لا نستطيع ان نكون افضل او اقوى منهم ، كما لا نستطيع ان نكون اردأ او اضعف منهم • انه التكرار المتماثل الذي لا نموذج له في اي شيء من اخلاق الطبيعة واخلاق الاشياء • انه التكرار المتماثل المتحول الى معجزة في قوانين ومنطق الاشياء • اننا مهما حاولنا بكل التصميم والايمان ان نتخطاهم أو نهبط عنهم ، ان نستقيم أو نتخلف عنهم ، اعني لو حاولنا و اردنا ان نفعل ذلك لما استطاعنا • لاننا لا نستطيع ان نكون غيرهم او ان يكونوا غيرنا • اننا لا نستطيع ان نولد منهم او فيهم او ان يولدوا فينا ولاة اخرى او صيغة اخرى • انه التوالد الذي لا يحتمل فيه ان يكون المولود غير الوالد او ان يكون مختلفا في اية علامة من علاماته •• ان الابناء ليسوا اصغر من الاء ولا يستطيعون ان يكونوا اصغر ، وان الاء ليسوا اكبر من الاء ولا يستطيعون ان يكونوا اكبر • هل توجد اعجوبة او معجزة مثل هذه الاعجوبة أو المعجزة ، اي كون الاء والابناء ابداً في عمر واحد وطور واحد ؟ اذن هل توجد اعجوبة او معجزة مثلنا نحن ابناء العروبة ؟

نحن ابناء العروبة نعيش كل تاريخنا ووجودنا صيغة تاريخية واحدة هل يوجد

اذن مثلنا ؟

ان جميع زعمائنا وقادتنا ومفكرينا وشعرائنا وكتابنا ومعلمينا وجميع من يتحدثون منا اليوم من فوق جميع المنابر واعلى المنابر ، من فوق كل السحاب ليسوا شيئا غير ذلك الكتاب المقدس او تلك النبوة او اولئك الشعراء ..

لنسمع او لنقرأ كل ما تطلقه او تكتبه اليوم جميع افواهنا واقلامنا الكبيرة المسؤولة المتصدرة مخاطبة متحثة الى جميع سكان الكون ، بل مهددة متحذية مفاخرة لهم .. اننا حينئذ لن نسمع او نقرأ او نجد الا عقل وذكاء ووقار واخلاق هذا الكتاب المقدس ، وهذه النبوة التي هي كل النبوات ونبية كل النبوات وخاتمة كل النبوات وهؤلاء الشعراء .. بل اننا حينئذ لن نسمع الا اصواتهم اي اصوات هذا الكتاب المقدس وهذه النبوة وهؤلاء الشعراء ، منطلقة بكل جهرها وبدواتها الحضارية والعقلية والنفسية واللغوية، عاروية صاهلة من تحت الخيام ومن فوق الاشجار والاطلال . نعم، لنقرأ ونسمع اليوم كل ما تكتبه وتذيعه اقلامنا وافواهنا المسؤولة وغير المسؤولة فاننا لن نجد الا ما كانت تطلقه تلك المواهب التي كانت تصهل تحت الخيام وفوق الربوع الخالية ...

**

ان هذا الذي روي عن نبوتنا وعن كتابنا المقدس وعن شعرائنا العظام ليس لاختيارا لحمامة من جمال او لبلادة من ذكاء او لنزق من وقار او لسفاهة من حكمة او لبذاءة من تهذيب او لكبرياء من تواضع او لعمى من رؤية او لافتضاح من استتار او لبداوة من حضارة او لنقاة من عبقرية او لتصويت من كلام وتفكير ..

ان هذا الذي رويناه ونقلناه ليس الا اخذا لشيء او اختيارا لشيء من امثاله ونماذجه . ان هذا الذي اخترنا نقله عن نبوتنا وعن كتابنا المقدس وعن شعرائنا الجالدين ليس شفوذا او غريبا فيما كان ولا فيما هو كائن ولا فيما سوف يكون .. لقد رويناه ونقلناه ما لن يستطيع اعقل عقلائنا واكثرهم تواضعا واتزان ان يهاب روايته ونقله او يخجل من الخطابة والمفاخرة به ..

انه اذا كان محكوما عليك الا تصدق هذا او اذا كنت تهاب تصديقه فان عليك ان تغلق اذنك وعينيك بكل ما في الدنيا من اجهزة الاغلاق، بل فان عليك حينئذ ان تفعل اي شيء لازالة عينيك واذنك لكي لا تقرأ او تسمع اليوم ما يقوله ويكتبه جميع زعمائك وقادتك ومعلميك وكتابك وشعرائك وخطباتك . لانك ان قرأت لهم او استمعت اليهم اليوم وغدا وبعد غد فلن تجد فيهم الا كتابك المقدس ونبواتك القديمة وشعراءك العظام الذين سمعت ورايت وقرأت كيف يتحدثون عن انفسهم وعنك وعن الاخرين . ولا بد انك قد صدمت او انه مفروض عليك ومنظرك جيد لك ان تصدم حينما سمعت وقرأت ووعيت كيف يفهمون انفسهم ويفهمونك ويفهمون الاخرين ، وكيف يقرؤون التاريخ ويفسرونه ويعونه ، وكيف لا يرهبون ان يقرأوا انفسهم على التاريخ وعلى الناس ، او ان يقرأهم التاريخ ويقراهم الناس ..

الم تسمع وتقرأ لهم ؟ انك حتما قرأت لهم واستمعت اليهم . ولكن هل ساءلت عينيك واذنيك عما قرأت وسمعت ؟ وهل حاورت او حاسبت او حاكمت عينك او اذناك ما قرأت او ما سمعت ؟

ضع لك عينين فيهما وظيفة العيون واخلاقتها ، واذنين فيهما وظيفة الاذان واخلاقتها بعد ان تضع لك موهبة تعرف وظائف العيون والاذان وتحاسب الاشياء على الالتزام بوظائفها وتفرض عليها هذا الالتزام .

نعم ، افعل ذلك ان كنت قادرا ان تفعله ثم اقرأ واسمع جميع ما يقوله ويكتبه جميع زعمائك وقادتك وشعراؤك وخطبائك وايضا جميع مثقفيك ومفكريك ثم انظر هل تجد اي فرق من اي نوع بين ما يقولونه ويكتبونه ويفهمونه وبين ما قاله واوحاه وخلده كتابك المقدس ونبوتك الخالدة وشعراؤك العظام الذين روينا لك واسمعتك من نماذجهم النفسية والعقلية والاخلاقية واللغوية في النصوص التي مررنا بها في الصفحات السالفة محزونين ومروعين ومجللين بكل الوان العار ومشاعر الضالة ، بل ثم انظر هل تستطيع ان تعتقد او حتى تظن انك تسمع او تقرأ لغير اسلافك الذين كتبوا لك كتابك المقدس ، واوحوا لك واليك بنبوتك الخالدة الخاتمة المغلقة لكل النبوات ، وانشدوا وعلقوا لك معلقاتهم وجميع مصاهلتهم ومزاءراتهم البدوية المسماة شعرا فوق كعبتك وتاريخك بل فوق كرامتك وكبرياتك ووقارك . . بل فوق موهبتك البدوية التي يبدو انها لا تستطيع كما لا تريد ان تفارق صحراءها التاريخية والانسانية . .

نعم ، افعل ذلك ثم انظر هل تستطيع ان تجد اي دفاع عن نفسك وعن تاريخك وعن قومك الذين كانوا كتابا مقدسا ونبوة موحاة خالدة مغلقة لكل ابواب السماء لثلاث تجيء نبوة اخرى قد تأخذ من مجدها المتفرد بالعلاقات والمصاهرات والمصادقات والمعانقات الاخيرة النهائية مع السماء ، والذين كانوا ايضا معلقات فوق الكعبة او كانوا شعراء معلقة جنتهم فوق اركان الكعبة - وكذلك عن قومك الذين كل نضالهم ومجدهم اليوم ان يعرضوا باصرخ واشمل الاساليب كل عارهم في اذان وعيون وعقول وضمانر واشمئزاز كل العالم ومن فوق جميع منابرهم ومحاريبهم ومؤسستهم واجهزته الفضاحة للباحثين عن الافتصاح . .

نعم ، ثم انظر هل تستطيع ان تجد اي دفاع عن نفسك او تاريخك او قومك الذين قد وجدوا ، والذين لا يزالون موجودين يصلون ويكذبون ، والذين قد يوجدون لكي يذهبوا يصلون ويكذبون غير ان تقول : اننا وانهم كائنات مصوتة ، اي كائنات باكية وآنة ومتأوهة ومغنية وشاتمة ومصلية متضرعة وكارمة متهممة اي ناغية راغية صاهلة عاوية ، لا كائنات متكلمة اي مفكرة ومدبرة ومخططة وحاسبة وقاضية وراثية وقارئة وملتزمة ومحاكمة لنفسها حتى لعيونها ولاذانها وللغاتنا ولقراءاتها ولصلواتها وهتافها ومنابرها . نعم ، ان التكلم كائن محاكم حتى لحواسه ، لانه كائن مفكر مجبر مخطط . .

انك حينئذ لن تجد اكثر رفقا وبراً بنفسك وبتاريخك وقومك من ان تعلن هذا مقتنعا به داعيا اليه مدلا عليه اي على انك وقومك مصوتون فقط لا متكلمون اي لكي تصبحوا غير محاسبين او مسؤولين او ملومين او مفسرين الا بقدر ما يكون الصاهر او العاوي او الثاغي محاسباً او مسؤولاً او ملوماً او مفسراً ، او الا بقدر ما يكون الباكى او الحزين او الازن او اللضارع المتضرع او الكاره او الشاتم الحاقد التهم ، او اللصارخ من الخوف او الهوان والعجز والبلادة والنزق محاسباً او مسؤولاً او ملوماً او مفهوماً او مفسراً او مقبولاً التعامل والتحاور والتفاهم معه . . ان كل املك حينئذ في الاي يكون قومك مسؤولين او مفسرين او مقروئين او مستمعا اليهم حينما يصوتون . .

بل قد ترى حينئذ ان من الوفاء والاخلاص لنفسك ولقومك وللصدق والعدالة والحقيقة المسكينة الحزينة الذليلة ابدا ان تدبر لحملة اعلامية دولية لكي تثبتت على مستوى عالمي شامل ان قومك العرب قد ظلموا ظلماً طويلاً رهيباً عالمياً حينما حسبوا وزعموا متكلمين لا مصوتين فقط وحينما حوسبوا وقرئوا وفسروا وفهموا وجردلوا وسمعوا واستمع اليهم على انهم كذلك اي متكلمون او كانهم كذلك . وليعاقب الله حينئذ كل العالم بكل اللوان عقابه اذا صدق وظل يصدق ان قومك قد يكونون متكلمين ولو احياناً وليسوا ابداً مصوتين فقط . قد تدبر حينئذ لاضخم حملة ارشادية تصحيحية تغطي بها كل منطلق العالم وكل أفكاره ورؤاه ومعلوماته واذانه لتدلل على ان اي قوم لم يشوهوا ويحقروا ويعتد عليهم مثلما شوه وحقر قومك ابناء العروبة ومثلما اعتدي عليهم حينما زعموا عن انفسهم وزعموا لانفسهم وللعالم انهم متكلمون ، فصدقهم العالم وراح اي العالم يهرام ويقرؤهم ويحاسبهم ويحاكمهم على انهم كذلك . . لقد كان العالم محتاجاً على ان يكون جلفاً وقحاً نزقاً لكي يستطيع تصديقهم في زعمهم هذا ! . .

لقد وجد العالم في زعم العرب لانفسهم وعن انفسهم انهم متكلمون يفسرون ويعاقبون ويحصي عليهم وينتظر منهم ويشترط فيهم وعليهم كما يفعل بمن يتكلمون . نعم ، لقد وجد العالم في هذا الزعم وفي الاسراع الى تصديقه اشباعاً وارواءً لجوعه الذي لجوع العالم ولظلمته الى الشماتة والتحقير والاستهزاء والى الرضا عن النفس والى اعطائها مكانة التفوق والاستعلاء .

لقد كان العالم فاجراً وخسيساً وعدوانياً ندلاً حينما استمع الى هذا الزعم وصدقته بكل النشوة والغبطة والرضا وبكل اساليب ومظاهر الاقتناع والحب والبراءة ، بل بكل اعراض الاصابة بالسذاجة والغفلة والضالة والتواضع الكريم البليد . كم في حوافز التواضع ونتائجه احياناً من اللوان العدوان والقسوة والكبرياء .

لقد كانت حسابات العالم انه لو فسر العرب مصوتين فقط كما تصوت نياتهم وتخيلهم وثنابهم وضبابهم لما وجد شهوته في ان يشمت بزكائهم او بتقافتهم او بعلمهم او باخلاقهم او باي مستوى من مستوياتهم ، وفي ان يحتقر كل ذلك فيهم

ومنهم ٠٠٠ ليست الشماتة والاحتقار صلاة انسانية تصلحها وقاحة الانسان النفسية راشية بها اخلاقه ، او تصلحها اخلاقه راشية بها وقاحته النفسية والام كينونته ؟

انه اي العالم لا يستطيع ان يشمت او يحتقر او يشنع حينما يسمع الابل والخيول والذئب والضباع ترغو وتسهل وتعوي . ولكنه اي العالم يريد ولو احيانا ان يشمت ويحتقر ويشنع ، لهذا فانه لا يريد ان يفسر العرب كما يفسر الابل والخيول والذئب . . . لقد اختار ان يفسر العرب متكلمين لانه يجد سعادته ومسراته في ان يشمت ويحتقر ويشنع وفي ان يصاب بالكبرياء وبالرضا عن النفس وبالافتقار بمكانته المتفوقة على اخرين موجودين في صيغ ونماذج بشرية اي في صور بشرية .

لقد كان افتقار العالم بان العرب متكلمون لا مصوتون فقط تعبيراً عن الاحتياج لا عن الاقتناع . لقد اراد الاقتناع واحتاج اليه ، فافتنع .

ان الاحتياج الى الاقتناع او الى ما هو موضوع الاقتناع ليصنع الاقتناع اكثر مما يصنع الاقتناع او اكثر مما يصنع الواقع او الرؤية او التجربة او الحقيقة او المنطق الاقتناع ، او اكثر مما يصنع الاقتناع . . . وهل يستطيع الاقتناع مهما كانت قوته ان يصنع الاقتناع ؟ هل حدث هذا في أية قضية او موقف ؟

ان الاحتياج الى رؤية الشمس او القمر او الكون او اي شيء جميل او الى ان يكون جميلا او الى الاقتناع بانه جميل هو الذي صنع الاقتناع بانه جميل اكثر مما صنع الاقتناع بجماله جماله او رؤيته او تجربته او فهمه . . . ان جمال الاله ليس هو الذي اقتنع بانه جميل . ان احدا لم يره . اذن كيف رآه جميلا او اقتنع بانه جميل ؟

وهل يمكن ان نفتنع باية حقيقة او واقع ما لم نكن محتاجين الى الاقتناع بذلك باي اسلوب من اساليب الاحتياج ، او ان نرى اي شيء جميلا ما لم نكن محتاجين الى رؤيته كذلك والى الاقتناع بانه كذلك ؟ هل يمكن ان يقتنع بالاله من لا يحتاج الى الاقتناع به او ان يرى جمال المرأة او جمال الجنس من لا يجوع الى الجنسي ؟

اليس الاقتناع هو دائما تابعا ولا يستطيع ان يكون متبوعا ؟ اليس تابعا حتى حينما يكون متبوعا او يبدو متبوعا ؟ اننا قد نفعل او نلتزم ، فنقبل او نرفض لاننا مقتنعون . ولكن لماذا نحن مقتنعون ، او كيف اقتنعنا باقتناعنا ؟ ما الذي جعلنا نقنع باقتناعنا ؟

انك حينئذ قد ترى ان العالم يجب ان يشكى وان يحاكم ويحاسب لتتخذ ضده قرارات بل ولتوقع عليه عقوبات لانه باقتناعه ان العرب متكلمون ، يحاسبون ويفسرون ويفهمون بكل القسوة والدقة التي يجب ان يحاسب ويفسر ويفهم بها المتكلمون ، قد جنى عليهم وأزدرهم وورطهم وعرضهم بكل الوحشية ، كما اشترط عليهم وفيهم وطالبهم وألزمهم بما ليس حقا او عدلا او منطقا ان يطالبوا او يلزموا به او يشترط عليهم او يفهم . انه بذلك قد القى عليهم تكاليف واعباء ليسوا اهلها ،

كما التى بهم تحت اقسى واشمل وادوم الاتهامات والتفاسير الفضاحة المهينة . ان وضع الكائن تحت المسؤولية والحاسبة وهو دون ذلك لعدوان ونذالة يستحقان العقاب والتأثيم . .

ولكن كيف ؟ الى من حينئذ يشكى او يحاسب ويحاكم العالم ؟ ومن هم حينئذ الذين يطلب منهم ويلجأ اليهم لكي يتخذوا القرارات الملائمة ضده ولكي يوقعوا عليه العقوبات المتكافئة مع جنايته هذه على العرب ؟

ان الجاني حينئذ ليس سوى من يرجى ان يكون قاضيا او منفذا . .

ولكن هل يمكن الافتراض ، مجرد الافتراض ، ان العالم قد اقتنع او حتى افترض ان العرب قد بلغوا او قاربوا ان يبلغوا او انهم قد يبلغون اي طور من التكلم ؟ أليس هذا الافتراض عدوانا وحشيا على ذكاء العالم وعلى اخلاقه وعلى تصور تعامله مع نفسه ومع حضارته ، بل وعلى تصوره متعاملا مع شماتاته وعداواته واحقاداه وبذاته ، ومع انانياته ونشواته ومع جميع لذاته غير المهذبة او التقية او الذكية ؟

انه مهما كان قوة الاتهام وصحة لتقوى العالم او لتهديبه او لوقاره او لرحمته ، او لحبه وفكائه وعدله فانه لشيء ليس اقل من الاستحالة ان يصدق اتهامه اي اتهام بالعالم بانه قد هوت به جميع مستوياته الاخلاقية والنفسية ، والحضارية حتى تجرؤ على هذا الاقتناع اي على الاقتناع بان العرب كائنات متكلمة او انهم بالتعلم او بالتدريب او بالتقليد والتلقين او بالتطور ، قد يصبحون متكلمين . .

لا . اننا لن نجرؤ على اتهام العالم بذلك ، اي على اتهامه بانه قد اقتنع او افترض بان العرب متكلمون . وهل يمكن ان يوجد قساة انذال يستطيعون ان يتهموا العالم بهذه التهمة ، اي يستطيعون ان يتهموه بانه قد اقتنع بان العرب قد بلغوا طور المتكلمين ؟ ان كل القساة الانذال لا تستطيع قسوتهم او نذالتهم ان تصعد بهم الى ان يتهموا العالم بانه يرى العرب متكلمين اي اكثر من مصوتين .

ان اتهام العالم بهذا الاقتناع لاكثر قسوة وعدوانا على العالم وظلما له من قسوة العالم على العرب وعدوانه عليهم وظلمه لهم لو انه اقتنع بانهم متكلمون لا مصوتون الاقط . ان اتهام العالم بهذا الاقتناع قسوة على العالم ، وان اقتناع العالم بهذا الاقتناع قسوة على العرب . ولكن اي القسوتين اكثر وحشية وظلما وتجريحا ؟

لقد سمع العالم العرب ولا يزال يسمعهم وسوف يظل يسمعهم ، وقراءهم وقراء لهم ولا يزال يقرؤهم او يقرأ لهم وسوف يظل يقرؤهم او يقرأ لهم . .

لقد قراهم وسمعهم تاريخا وحاضرا ، وسوف يظل يفعل ذلك بهم ومعهم ولهم ويستقبلا وابدأ . سمعهم وقراءهم بشرا كما قراهم وسمعهم الهة وانبياء وخلفاء ، وكما قراهم وسمعهم نباتا وكتبا مقدسة . . .

فلو كان يراهم متكلمين - والمتكلم كائن يخطط ويدبر ويرى ويفكر ويحكم ويحاكم ويجاسب ويحسب ويفسر بل ويهاجم ويغزو - فماذا يمكن ان يصيبه اي يصيب العالم ، او ماذا يمكن ان يفعل او يكون حينما يسمعهم يتكلمون او حينما يقرؤهم او يقرأ لهم وهم يتكلمون ؟ هل يمكن ان يواجهه هولا مثل الهول الذي يواجهه حينما يستمع اليهم او يقرأ لهم لو كانوا متكلمين لا كائنات مصوتة فقط ؟

ماذا يمكن ان يصيبه او كيف يمكن ان يكون او يتصرف او يعيش - لو كلن يراهم متكلمين - حينما يسمعهم او يقرؤهم ويقرأ لهم وهم يهددون كل العالم بل كل الكون بانهم لا بد ان يحكموه ويملكوه ويهزموه وبذلوه ويغنموه ويصوغوه ، وان يفرضوا عليه كل مستوياتهم ونماذجهم النفسية والعقلية والاخلاقية والدينيية والحضارية ، وان يلبسوه ويضعوه في كل ثيابهم وعباءاتهم وخيامهم واكفانهم ومقابرهم التاريخية - وانهم ايضا لا بد ان يكونوا كل انبيائه وقديسيه ومفكريه وقادته وعباقرته بل وكل الهته وكل كعبته وصلواته وكتبه المقدسة ؟ حتى كعبتهم انها لا بد ان تكون كل كعباته وكل قبلات صلواته ، وان حجارتها لا بد ان تكون كل مواقع قبلات شفاهه .

انه اي العالم دائما يسمعهم ويقرؤهم يقولون كل ذلك ويهددون كل شيء ، وكل احد بكل ذلك . فلو كان يراهم متكلمين ، يعنون ما يقولون ، اي يقولون ويفكرون ويحسبون ويحكمون ويدبرون كما هو محتوم ان يفعل المتكلم وكما هو التفسير العالمي والعلمي للمتكلم .

نعم ، لو كان يراهم متكلمين ثم سمعهم وقرأهم يقولون كل ذلك ويهددون به وهو دائما يسمعهم ويقرؤهم وهم يقولونه ويهددون به ، اليس محتوما حينئذ ان يصعبه ويذله ويهزمه ويرهقه ويعذبه الخوف والتوقع والاستعداد للمواجهة وللحذر والاتقاء لاقسى المخاطر والاحتمالات الرهيبة ؟ هل يستطيع حينئذ ان يضع في حساباته انه قد ينجو مهما كان حذره واتقاؤه ؟

كيف يستطيع ان يضع في حساباته انه قد ينجو من قوة لا مثيل لشمولها ولذكاؤها ولعبقرياتها ولعداوتها ؟

اليس محتوما حينئذ ان يقاسي العالم كل الوان الخوف من كل الوان المخاطر امام هذا المههد الذي لا نموذج لقوته وقسوته ولطموحه وانانيته ولتخطيطاته الغازية والذي لا نموذج لشمول تهديداته ولصراحة هذه التهديدات ولقوة الايمان بها وللاصرار على تنفيذها وللانتعاع بالقدرة على تنفيذها ، والذي لا نموذج لاقتناعه بانه هو كل انبياء وعباقرة كل البشر وكل مفكرهم وقديسيهم وقادتهم ، بل وانه هو وحده كل الهة البشر وكل كعبتهم وكل صلواتهم وكتبهم المقدسة بل وكل ثيابهم واكفانهم ومقابرهم وتاريخهم ، حاضرا ومستقبلا وماضيا ؟

ان كل العالم يجب ان يعيش في مقابر واكفان العرب والا فلا علاج له الا ان يموت
كما تموت الحشرات المريضة .

ان العرب لو كانوا في اقتناع العالم متكلمين لكان محتوما ان يظل اي العالم
مغشيا عليه ابدا تحت نوبات لا تنتهي من الذعر المجنون المدمر . . .

ان العالم حينئذ لا بد ان يسمع ويجد في كل الاوقات وامام كل القضايا والمواقف
والاختلافات زعيما او قائدا او نبيا او حاكما عربيا او الها عربيا او كتابا مقدسا عربيا
يعلم بكل الاقتناع والثقة والكبرياء ان العبريات العربية الشاملة المتنوعة لا بد ان تحكم
وتؤدب وتهزم وتذل وتسترق وتغزو وتصوغ وتؤدب وتعلم وتعاقب كل البشر ، كل
حضاراتهم وثقافتهم وعقولهم واخلاقهم واديانهم ومذاهبهم والتهتم وانبيائهم
وكل تعاليمهم وكتبهم المقدسة بل وكل جيوشهم في كل حاضرهم ومستقبلهم مثلما
حدث في كل تاريخهم . اليسوا قد فعلوا كل ذلك فيما كان ، ثم ليست نبواتهم
وكتبهم المقدسة تخبر انهم سوف يفعلونه فيما سوف يكون ويفعلونه ابدا .

فكيف يستطيع اي العالم ان يواجه ذلك او يطمئن الى اية كينونة من كينوناته لو
كان يرى ذلك كلاما اي لو كان يرى العرب متكلمين ، اي لو كان العرب يتكلمون
ويفهمون ماذا يعني الكلام ويعنون ما يعني ويلتزمون به ويخططون للالتزام بما يعني ؟

لقد استطاع العالم ان يحيا حياته ، وان يبذل ويجدد حضارته ، وان يشيد
مدنه ومصانعه ودور معارفه وصلواته ، وان ينشي ويدرب جيوشه ، وان يحدد
ويعلن حدود بلاده ، وان يكتب اديانه ومذاهبه ونظرياته ، وان يقرأ اسماء الهته
وانبيائه ، وان يستمر يصوغ ويطور جميع كينوناته .

لقد استطاع العالم ان يفعل كل هذه ، كل الوان حياته مطمئنا الى بقائسه
وبقائها ، والى انه سيجدها في صباحه مثلما تركها حينما نام عنها وعليها في ليله
لانه كان مقتنعا بان جميع ما تطلقه الافواه العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ليس
كلاما يقرأ ويفسر ويحسب ويفعل ولكنه اصوات تعوي وتستقرغ وتستنكر . ان
الاصوات لا تقرأ ولا تفسر ولا تحاسب ولا تخيف مهما استنكرت او ازجت او
اقتت او عبت بها الالهة والزعامات .

لو ان العالم كان يعتقد ان العرب يتكلمون حينما يخطبون وينطقون ويعلمون
ويكتبون ، مهديين او مبارزين او معلمين او مباهين او مشاهيرين او مفكرين لكان محالا
ان يطمئن الى انه سوف يجد في صباحه شيئا مما كان له في ليله ، مما امسى ونام
وهو في يديه ، اي ان يجد في صباحه شيئا او احدا من مدنه او مصانعه او مدارسه
او معابده او جيوشه واربابه وانبيائه ومذاهبه واديانه ، او من حضارته واتساره
وامجاده او اية كينونة من كينوناته . .

نعم ، لانه لا بد ان يقتنع حينئذ ان العرب قد شربوا كل تاريخه وحياته ووجوده باننصاراتهم وعقرياتهم وتهديداتهم . . .

لكان محالا ان يطئن الى انه قد يجد شيئا او احدا من ذلك في مكانه او في ذاته أو في نموذجه أو في اية صيغة أو مستوى من صيغه ومستوياته اي حينما يصبح . كيف يطئن الى ان اي شيء من ذلك لم يفتك به في ليله ؟

اذن لقد عاش العالم بكل كينوناته واشيائه وبكل ايمانه واطمئنانه ، وعاش ووجد في صباحه كل ما عاشه ووجده في ليله لان العرب لم يكونوا متكلمين ، ولانه كان اي العالم يعلم انهم ليسوا متكلمين بل مصوتون يستفرون انفسهم استفراغا حينما يبدون كأنهم يتكلمون . . .

ان العالم لو كان يرى العرب متكلمين مات بالاستحياء وبالاحساس بالضالة وبالخوف من معاشتهم او مواجهتهم او الاستماع لهم او من التحدث اليهم او من محاورتهم . انه لو كان يراهم متكلمين لصعقه الشعور بالفروق بينه وبينهم حينما يسمعهم ويقرأهم يتكلمون - حينما يسمع ويقرأ الهنم وانبياءهم وخلفاءهم وشعراءهم يتكلمون . . . حينما يسمع ويقرأ نبواتهم وملقاتهم وكتبهم المقدسة ترى وتروى وتحكم وتحسب وتتوعد وتتكبر وتحقر وتشتتم . ان العالم لو كان يرى العرب متكلمين يفهمون ويعنون ما يقولون لكان محتوما ان يصاب بنوبات متعاقبة من الذعر المدمر المهين القتال كلما خطب او تحدث زعيم أو قائد أو نبي عربي .

نعم ، ان العالم ليس غبيا أو همجيا أو ندلا أو متوحشا أو بذيئا أو فاجرا الشماتة الى المستوى الذي يجعله يهبط في عدوانه وعداوته وفي تحقيره اي في شهوته المحقرة للاخرين الى ان يقتنع بان العرب يمكن ان يقرأوا او يسمعوا او يحاسبوا او يفهموا ويفسروا ويحاوروا ويسألوا كما يفعل مع المتكلمين وبالمتكلمين . انهم اي العرب يسمعون فقط ثم يغفر لهم كل شيء بل ثم لا شيء غير ان يسمعوا ، لا شيء يفهم او ينتظر او يبراد . انهم يسمعون دون ان يستمع اليهم . . .

ان علينا ان نعرف هذا . . . ان نعرف ان العالم قد يقرأ لنا ويسمعنا ويحدثنا ويتحدث معنا ويحاورنا ويسألنا ويقابلنا ويعاملنا ويخطب فينا . وقد يذرف دموعه واهاته ويصلي لنا بكثير من احزانه تفجعا وتأثرا بسماعه وقراءته لنا بأسلوب المستمع الفاهم المتلف . وقد تسيل دموعه على خدودنا ودموعنا على خدوده ، كما قد يذيب اكباده باحزاننا ، واكبادنا باحزانه علينا ولنا .

ان العالم قد يفعل كل ذلك لنا وبنا ولكن دون ان يفهمنا او يفسرنا او ينتظرنا او ينتظر منا او لنا او يتوقعنا او يحاسبنا او يعاملنا كما يفعل مع من يتكلمون . انه يهبنا الصيغة دون ان يهبنا المعنى او التفسير . . .

بل انه قد يهبنا الاسلوب دون معناه ودون نيته اكثر مما يهبه اي اكثر مما يهب الاسلوب ان يراهم متكلمين . انه تعويض او رثاء او خوف من معرفة الحقيقة ومعرفة ما في النفس . انه قد يهبنا كل صيغ ونصوص عينيه واذنيه ومحاوراته بل انه حتما ليهبنا كل ذلك دون أن يهبنا شيئاً من تفاسيره اي من تفاسير عينيه او اذنيه او محاوراته ..

**

العرب ظاهرة صوتية .. نعم ، انه حكم لا يفرضه المنطق او التفسير للاشياء والتحديق فيها فقط ، كما لا تفرضه الاخلاق او الشهامة او ارادة العزل او الصدق فقط . بل وتفرضه ايضا الشفقة ورفض الوقاحة والهجاء والتحقير والعدوان . انه حكم يفرضه كل ما في الانسان من معاني قوية وناقدة ومفسرة ، وايضا من معان جيدة وصادقة ورحيمة ونبيلة مهذبة . انه حكم يفرضه الحب والاحترام للعرب . ولكن هذه القضية لا تزال تحتاج الي مزيد من التفسير والايضاح ..

الانسان العربي بالتصويت يفكر ويحاور ويقاوم ويقاوم وينتصر ويتحضر ويتطور ويحل المشاكل ويجد ويرضي ويغضب ويحب ويبغض بل ويؤمن ويصلي ويفتنع بالالهة والاديان والمذاهب والانبياء والزعماء بل وقد يمارس الحب والجنس بالتصويت كما يبتكر ويكتشف ويسبق كل العالم في افانق الابتكار والاكتشاف وفي غزو الاكوان البعيدة بل وغير الموجودة بالتصويت ايضا . انه يبدع وينتصر ويملك ويتفوق بالتصويت اكثر واقوى واذكى مما يفعل ذلك غيره بالفعل ..

انه في جميع مواقفه ومواجهاته وفي كل تاريخه يفعل كل ذلك باسلوب وغميات وحماس واقتناع وجد وجهر من يفعله بكل قوة السلاح والبطش والتنظيم والتفكير والذكاء والانتصار . انه لا يشعر انه يوجد اسلوب اخر اقوى او اذكى او افضل من اسلوبه اي من تصويته في مواجهة جميع الاشياء ليخلقها او ليهزمها .. انه يصوت على كل الاشياء والمشاكل وعلى كل الاصدقاء والاعداء وامامها وامامهم وكأنه يضرب ويعالج ويفعل ويبدع وينقذ وينفذ ويفكر بكل الايدي والعضلات والاسلحة والاساليب والادوات والعقائير والعقول .. بكل ايدي وعقول وعضلات وشهوات جميع الالهة والملائكة والابالسة .. لكي ينتصر ويداوي ويحل ويفهم ، ولكي يقتل ويدمر ويزيل ويبني ايضا ..

ان تصويته ليعلو ويصاب اي تصويته بالحدة والجد والاقتناع والاهتمام والحماس والاصرار والديمومة والاعلانية بقدر ما تكون المشكلة او القضية او المواجهة كبيرة او عظيمة او حادة او مخيفة ، كما ان الضرب والسلاح والتخطيط يجب ان يكون قويا وذكيا وحادا بقدر ما يكون العدو قويا ومخيفا وضاربا ، وكما ان التفكير

يجب ان يكون علميا وواعيا وشاملا وحذرا بقدر ما تكون المشكلة او العقدة او القضية صعبة او خطيرة او ذات حسابات ونتائج كبيرة وبعيدة ، وكما ان الطبيب يجب ان يكون طبيبا بقدر ما يكون المرض مرضا اي وببلا وعنيدا ومجهولا ومنتصرا اوقع بالعالم العربي اقسى هزيمة او مأساة او ورطة ثم لا تشك فديما سوف يحدث ؟ انه التصويت ، التصويت ، بكل لغاته وافانينه وجنونه . ان اذان العالم لا بد ان تعاقب كلما واجه العرب موقفا صعبا . . .

ان الانسان العربي ليكون قويا في صوته ويرى ان عليه ان يكون قويا في ذلك في المواقف والمواجهات والمشاكل التي يكون الآخرون او المتكلمون اقوياء فيها بضرباتهم وافعالهم وذكائهم وافكارهم ، والتي يرون ان عليهم ان يكونوا فيها اقوياء . اجل ، ان الانسان العربي ليرفع صوته ويحترم صوته ويؤمن بقيمه وينفع صوته بقدر ما تكون المشكلة او القضية حادة او خطيرة او مستعصية . . .

لهذا فان من الممكن ولو احيانا ان نفهم حدة او قسوة او خطورة القضية او المشكلة او التهديدات التي يواجهها الانسان العربي بأسلوبه في التصويت ، كما ان من الممكن ايضا ولو احيانا ان نعرف قيمة القضية او المشكلة او الاخطار التي يواجهها الانسان الآخر اي الانسان المتكلم من أسلوبه في الصمت والوقار والتدبير والتفكير والاعداد . ان الانسان العربي ليصوت جدا حيث يجب او ينبغي ان يضرب ويفعل ويدبر ويفكر ويصمت جدا اي حيث يصنع الآخرون النقيض . . .

ان الانسان العربي لا يشعر انه محتاج الى الاستتار او الاستخياء ، كما لا يشعر انه يفعل شيئا غير ذكي او قوي او منطقي او بطولي او مفيد او غير فعال - نعم ، انه لا يشعر بشيء من ذلك حينما يذهب بجرأة وبصيغة المناضل الجاد العبقري يحدد في التصويت على كل شيء وكل احد كل القوة والسلاح والعلاج والمقاومة والانتصار ، وكل الذكاء والتفكير والتدبير ، بل وكل الايمان والمذهبية والتدين والتقوى ، وكل العطاء والفداء للوطنية والقومية ، بل وكل الثورية بكل معانيها وصيغها واطوارها . انه حينما يفعل ذلك وهو ما يفعله دائما لا يشعر ان كل العيون والعقول والاذن والاحداث والاشياء تهزأ به او تتعجب منه او تتعذب وتتعزى بسذاجته ومن سذاجته ، او تقاسي من الرثاء له ، او تتعزى بالشماتة به . . .

ان اردا واقبح ما في هذا انه اي الانسان العربي يذهب ويظل حينئذ يتوقع بتناؤل كبير ان تجيء النتائج كما يتحدث عنها وكما يريدها ويتمناها . وكيف لا تجيء الاشياء والاحداث كذلك وقد صوت عليها بكل عبقريته الصوتية ؟ وحين تجيء خارجة على جميع امانيه وتوقعاته وتقاسيره وكما لا بد ان تجيء ، يصاب باقسى صدمات الذهول والتعجب من مجيئها كذلك ، من مجيئها كما يظن ويعلن خارجة دائما على

المنطق والواجب والحق وعلى النضال والتدبير القويين العبقريين الصادقين للذين يجب ان يكونا منتصرين دائما في كل المواقف . نعم ، لا بد ان تكون كل ابالسفة الكون قد تأمرت لكي لا تأتي النتائج كما هو محتوم ان تجيء وكما يجب ان تجيء . . .

لقد صوت دائما على كل قضاياهم ومشاكلهم ومع هذا لم ينتصر ولم تتحرك الاحداث كما يريدونها ويطالبها . كيف حدث هذا ؟ لا بد ان يكون في الامر خدعة او عقدة او مؤامرة بشرية او كونية طبيعية . . .

ان الصهيونية حتما ليست بريئة . حتى تأمر الطبيعة . انه بتدبير وتخطيط الصهيونية الكونية حتى الطبيعة انها قد تدبر وتصنع المؤامرات ضد الانسان العربي ، ضد الهته وانبيائه واديانه واوطانه وحضاراته وتفوقه بل وضد لغته . ليست الطبيعة هي التي خلقت اعداء العرب وهبتهم الذكاء والمكر والقوة لكي يستطيعوا ان ينتصروا في تدبير وصياغة المؤامرات ضد العرب ؟ ليست الطبيعة هي التي تهب الاقوياء الاذكياء قوتهم وذكاءهم ، وتهب الضعفاء الاغبياء ضعفهم وغباءهم ؟ ولماذا وهبت اعداء العرب او الذين سوف يصبحون اعداء لهم ، القوة والذكاء ، ثم وهبت العرب نقيض ذلك ولو احيانا ؟ هل لهذا تفسير الا ان الطبيعة تدبر وتصوغ المؤامرات ضد العرب ؟ لماذا جاءت الصهيونية ذكية وقوية وماكرة بكل هذا الشمول ؟ ليس التفسير ان الطبيعة جعلتها كذلك لكي يكون فنكها بالعرب شديدا ؟

اذن حتى الطبيعة تتآمر ضد العرب . بل وهل يوجد متآمر ضد العرب مثل الطبيعة ؟ اليس اقسى المتآمرين عليك هو من يصنعك ضعيفا بليدا ويصنع عدوك قويا ذكيا ؟

ولكن هل يمكن ان يقتنع الانسان العربي بان الاحداث قد جاءت على غير ما يتوقع ويشتهي ، او انه قد هزم او اذل او أهين ، او انه قد صغر او تضائل او تحول الى عار وافتضاح ، في اي موقف من المواقف ؟ اجل ، ان الاحداث قد تتظاهر بانها قد جاءت على غير ما يريد الانسان العربي تظاهرا فقط خبثا وكيدا وتآمرا منها عليه .

لو ان جميع هزائم الدنيا وعارها وفضائحها ومهاناتها وتحقيراتها قد تجمعت كلها بكل صيغها ولغاتها وتفاسيرها في ضربة واحدة على كل بلد وعلى كل احد وكل شيء في العالم العربي ، فقام خطيب عربي ، حاكم او زعيم او غير ذلك في حشد قد تجمع فيه كل ابناء العروبة الذين يعيشون كل هزائم الدنيا وكل عارها وفضائحها واماناتها ومذلاتها وتحقيراتها ، فتلا ذلك الخطيب العربي على حشده العربي الجامع اية قديمة جدا من الكتاب المقدس ، او رواية من الروايات القديمة جدا عن النبي العربي ، او قصيدة عن شاعر عربي ، او قصة عن غزوة عربية في احد كهوف او جيوب التاريخ ، تعلن هذه الاية او الرواية او القصيدة او قصة الغزوة العربية بكل فصاحة

عربية ، بكل موهبة العرب الصوتية ، ان العرب هم دائما كل القوة والانتصارات والمجد والذكاء والعزة والكرامة والقيادة والعبقرية ، وكل التدبير والايمن والتقوى والتهديب ، بل وكل عقل الاله وضميره وحبه وهواه ومجده وسعادته وجماله وتاجه فوق هذه الارض وفي كل الاكوان ، في كل الزمان والمكان . . . وتعلن ايضا ان جميع الالهة المختبئين في كل كهوف السماء المتوزعين على كل اطوار وبدوات التاريخ قد تعهدوا مقسمين بكل جبروتهم وتقواهم بان يجعلوا العرب دائما كل ذلك . . . قد تعهدوا به والتزموه واقسموا عليه بوثائق وعهود مكتوبة قد جاء بها جميع انبيائهم منزلة في جميع كتبهم المحفورة حروفها على ظهور وجباه واكف جميع الاشياء بل على جميع اعضاء الاشياء المحرمة المخفاة . . . المحفورة على ايدي واقدام واسلحة وطرق وافاق جميع الاعداء . . .

نعم ، لو ان ذلك حدث لكان محتوما ان يتحول جميع الحفل الجامع لجميع ابناء العروبة الى هتاف صارخ جدا وصلوات مجنونة من الاعجاب بامتلاكهم لجميع الانتصارات والامجاد والقوة والكرامة والشرف والكبرياء والذكاء والتفوق والحضارات ولكل الماضي والحاضر والمستقبل ، بكل ما في ذلك من الهة ونبوات واديان وايمان وتقوى وكتب منزلة ، ولما بقي انسان واحد في الحشد الجامع الرهيب يشعر بان عليه ان يتواضع او يخجل او يتوارى او يهاب تحديق العيون الاخرى فيه ، او ان ينظر في المرأة بحثا عن اي غضب او حيرة او تساؤل في وجهه ، او ان يهرب من كل مرآة خوفا من مواجهة وجهه لعينيه ، او ان يخفض شيئا من رأسه رحمة بالشموس والنجوم لئلا يحطمها باصطدامه بها ، او ان يضع رأسه مع اي رأس اخر في مباراة صعود كوني لا حدود له ولا توقف فيه . نعم ان اي عربي لن يقبل حينئذ ان يضع رأسه مع اي رأس اخر في مباراة مناطق للشموس بالرؤوس . . .

اجل - ان آية مقدسة او رواية عن نبي او قافية من الشعر او قصة عن حدث تاريخي وقع او زعم وقوعه ، او خطبة مطلقة كل الرجوع - اجل ، ان آية واحدة من هذه يسممها او يقرؤها الانسان العربي بتصويت عربي جيد لتستطيع ان ترتفع به عن واقع يعيشه اليوم وكان يعيشه بالامس وسوف يعيشه غدا ويعيشه ابدا ، عن واقع لا مثيل لما فيه من الهوان والعجز والبلادة والعذاب والظلم والهزائم والظغيان . بل ان سماعه او انشاده لذلك ليحطه لا يرى هذا الواقع او يذكره أو يخافه بل او يتصوره ان الانسان العربي سامعا ومنشدا لنفسه ليصعد فوق كل الاكوان ويتخطى كل الهزائم والمهانات والتفاهات . . .

ان تصويت الانسان العربي على نفسه ولنفسه وتصويت بعضه على بعض وبعضه لبعض لا يترك له او امامه او فيه اي واقع اليم او حزين او ردي . ان هذا التصويت لا يترك لعينيه ان ترى ، ولا لعقله ان يعرف او يفكر او يحسب او يتوقع ، ولا لاخلاقه

او كرامته او كبريائه ان تشتمز او ترتجف او تعاف ، ولا لضميره ان يتعذب كما لا يترك لطموحه ان يطالب او يتلفت او ينتظر او يسافر ...

بل ان تصويته هذا لا يترك له شيئا من عينيه او عقله او ضميره او اخلاقه او كرامته وكبريائه . ان كل شيء فيه يتحول الى تصويت . انه لا يشعر ان هناك ما يفعل او ينتظر او يطلب غير التصويت ..

ان تصويت الانسان العربي لنفسه وعلى نفسه ليهبه دائما واقعا جميلا عظيما مجيدا . انه ليهبه ما لا وجود له ويقنعه بوجوده . بل ان تصويته باسم واقع جيد واعلانا عن واقع جيد لا وجود له لافضل واعظم في حساباته واحاسيسه وفي رضاه عن كينونته من وجود هذا الواقع . انه لا يعرف انه يوجد فرق ولا يحس بوجود فرق ولا يسائل نفسه عن وجود فرق بين التصويت للشيء الجيد الذي لا يوجد وبين وجود هذا الشيء الجيد ..

بل ان تصويته لنفسه ليهبه كل الواقع الجيد العظيم الجميل المفقود .. ان نشوة التصويت مطلقا ومسموعا تسلبه القدرة على التمييز بين كون الشيء موجودا وكونه مستحيلا بل تسلبه القدرة على التمييز بين معنى وجود الشيء ومعنى فقده ..

انه لا يتصور ان الواقع الجيد والمريح مطلوب وجوده ، بل ان كل تصور ان المطلوب هو فقط التصويت باسم ذلك الواقع الجيد والملائم الذي لا وجود له والذي لا يعني وجوده شيئا . ان كل المطلوب هو التصويت على الشيء وللشيء المحسوب والمتصور جيدا ومجيدا . ان الساب والمعير لا يعني الا ان يسب ويعير وهكذا المصوت . انه ليس في القضية وسيلة وغاية . ان الوسيلة هي الغاية ..

ان التصويت بمجد القبيلة وبشجاعته وانتصاراتها وقوتها وبكرمها - ان التحدث عن ذلك واعلانه باصوات عالية لاعظم واكثر تمجيда للقبيلة وثناء عليها من امتلاكها المجد والشجاعة والقوة والانتصارات والكرم .. ان اية قبيلة عربية لو خبرت بين ان تكون كل المجد بلا تصويت وبين الا تكون شيئا من المجد مع التصويت بانها كل المجد لما وجد شك في الذي سوف تختاره .

ان كل عربي ليفضل التصويت له بالمجد بلا اي مجد على امتلاكه لكل المجد بلا تصويت !!

اجل ، ان الاستماع الى امتداح القبيلة وامتداح مجدها لاعظم دائما من نفس مجدها في احاسيس القبيلة نفسها وفي احاسيس المادح المنشد الصارخ المهتاج امام وفوق جماهيره الضاحجة المهتاجة ..

ان المنابر العالية الضاجة بالاصوات والاناشيد هي كل سموات الانسان
العربي ..

ان اعظم احتياجات العرب هي احتياجات اذان ، وان اعظم امجادهم وانتصاراتهم
وقائعهم وتاريخهم ومعاركهم ونشواتهم هي امجاد وانتصارات ووقائع وتاريخ
ومعارك ونشوات تهديها الافواه الى الاذان ، وان ميادينها هي المسافات الممتدة ما بين
الاذان والافواه . ليس هذا طاقتهم فقط بل وطموحهم ومعرفتهم وتمنيهم وشهوتهم
وثقافتهم واشواقهم ..

ان كل هذا الكون لو تحول الى هدية لجاءت اقل مما تهديه الافواه العربية للاذان
العربية .

اجل ، ان جميع الامجاد العربية العظيمة لم تجد في كل تاريخها مكانا تولد وتحيا
وتتحرك وتعمل وتخلد فيه غير المنطقة الواسعة جدا الواقعة بين الافواه العربية
والاذان العربية . انها لا توجد منطقة يتخلق فيها او يمر منها مثل الذي يتخلق ويمر
في المنطقة الواقعة بين اذان العرب وافواههم ..

ان جميع عبقریات العرب وطموحهم وتقواهم ولذاتهم هي عبقریات وطموح
وتقوى ولذات اذان وافواه . انهم لا يتعاملون مع شيء او يؤملون في شيء او ينتظرون
من شيء مثلما يتعاملون مع افواههم واذانهم ومثلما يؤملون فيها وينتظرون منها
وانهم لا يحترمون شيئاً مثل احترامهم لأفواههم واذانهم .. أو لعلمهم لا يحترقون
أو يحرقون شيئاً مثلما يحترقون ويحرقون آذانهم وأفواههم .

انه لا توجد علاقات تعامل ومحبة وثقة وتلاؤم بين شيئين او اكثر مثل العلاقات
التي بين افواه العرب واذانهم .. ليت كل العالم يتعلم نبل العلاقات بينه من نبل
العلاقات بين الافواه والاذان العربية بل ليت العرب انفسهم يتعلمون ذلك من اذانهم
وافواههم .

ان الافواه العربية مصبوبة في الاذان العربية هي كل مجد العرب التاريخي .
انها كل الهتهم وانبيائهم وحروبهم وانتصاراتهم وكل حبههم وتقواهم وايمانهم
ومذاهبهم ، بل وكل عزائمهم ومسراتهم .. نعم ، هل كانت كل الهة العرب وانبيائهم
وجميع امجادهم الا عمليات قذف او الا قذائف تقذفها افواههم الى اذانهم وعلى اذانهم .

ان جميع طاقتهم ومواهبهم البشرية تتجمع في افواههم لتزحف على اذانهم ..
انهم لا يرون او يشعرون ان البشر قد هبوا او انهم قد يوهبون شيئاً غير الافواه
مستفرغة في الاذان . انهم يعتقدون ان مجد كل شيء وكل احد هو فمه واذنه .
حتى الالهة والانبياء ، ان كل مجدها في اعتقاد العرب هو افواها واذانها . ان مجد

الالهة ان تصرخ طالبة امرة ناهية شائمة مهددة متوعدة ، وان تستمع بابتهاج ونزق طفولي الى الصراخ الموجه اليها بأسلوب صلاة أو ابتهاج أو تضرع أو شكاة أو مطالبة أو بكاء أو بأسلوب شتم للاخزين ودعاء واستعداد وتحريض عليهم ووشايات ضدهم . . . اجل ان الالهة تجد في الشتم والوشاية والتحريض والاستعداد والبغضاء باسمها ولديها مجدا لها وسرورا بل وكبرياء !

اما مجد الانبياء في اقتناع العرب فهو نقل صراخ الالهة وتعليمه ونشره والالزام به وتحويله الى اخلاق انسانية والى سلوك مجتمعات . انه لا احد له من المجد مثلما للالهة والانبياء من مجد الصراخ ومجد الاستماع الى الصراخ ومجد نقل الصراخ وتعليمه . . .

ان كل شيء واي شيء ليس سوى فمه واذنه ، حتى الالهة والانبياء . هكذا قد اقتنع العرب وعاشوا وتصرفوا . ان اعظم امجاد العرب وتاريخهم هي امجاد اذان وافواه وتاريخ اذان وافواه . انهم لم يجدوا من يحاييهم او يهيبهم بلا حدود او شروط غير اذانهم وافواههم . . .

ان العرب لا يعظمون شيئا مثل تعظيمهم للاذن لان الاذن هي وحدها المستقبل للفم المصوت ، المرحب به ، المتعامل معه ، انه لا يوجد صديق او مستقبل مرحب هاتف للفم غير الاذن او مثل الاذن . . .

لهذا يرى العرب ان الاذن هي انبل واعظم هبة تقدم لاي كائن حتى ولو كان هذا الكائن هو الاله . هل يسعد احد بشيء مثلما يسعد الاله باذنيه مستمعا الى الصلوات والتضرعات والاهات رافضا الاستجابة لها او عاجزا عن الاستجابة ؟

ان في تعامل العرب اللغوي وفي رواياتهم عن نبيهم بل وفي كتابهم المقدس ظاهرة مثيرة قد تكون تعبيراً عن مجد الاذن في اقتناعهم وفي تعاملهم . . .

لماذا الأذن قبل العقل في بلاغة القرآن

العرب دائما او غالبا يذكرون الاذن او حاسة السمع اول الاوصاف الحميدة المطلوبة حينما يصفون احدا من البشر او من الكائنات الاخرى . وكذلك ايضا يذكرونها اول الاوصاف المسلوقة او المفقودة التي يجب او ينبغي ان توجد حينما يتحدثون بأسى او بشماتة او بتهديد او بغضب واستنكار عن فقدها . . انهم مثلا يقولون : هذا يسمع ويرى ، او يسمع ويفهم ، او يسمع ويطيع ويعرف - حينما يريدون ان يمدحوا او يطمئنوا او يثقوا . أما حين يريدون الذم او التعبير عن الخيبة والتخوف وفقدان الامل او الثقة فانهم يقولون : هذا لا يسمع ولا يرى ولا يفهم ولا يعرف ولا يطيع ولا يستطيع .

انهم دائما او غالبا لا يذكرون اية حاسة او صفة قبل الاذن او قبل الوصف بالسمع لا حينما ينفون ولا حينما يثبتون حتى ولا الوصف بالعقل او العلم او بالحكمة او الخبرة . اي ان الاذن هي البدء حتى حينما يكون العقل والعلم والحكمة والخبرة موجودة وحاضرة . . واذا حدث غير ذلك فكانه الخطأ والخروج على القانون . .

وهذا الاستعمال او الالتزام يكون ظاهرا في القرآن حينما يصف الاله او البشر او اي كائن ، مادحا او ذاما ، معجبا او مستنكرا . اننا نجده يقول أمثال هذه الصيغ : (ان الله سميع عليم) (وكان الله سميعا بصيرا) (وكان الله سميعا خبيرا) (وكان الله سميعا حكيم) (انني معكما اسمع وارى) (صم بكم عمى فهم لا يرجعون) (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير) . لست اذكر انه جاء في القرآن : (ان الله عليم سميع) او (حكيم سميع) أو (خير سميع) او (بصير سميع) . .

وهذا يتكرر كثيرا في آيات القرآن الذي هو فن العرب ومنطقهم وبلاغتهم وموهبتهم ، او الذي هو فن ومنطق وبلاغة وموهبة بعضهم او واحد منهم وافقه وصدقه وآمن به كثيرون منهم ، او الذي هو أشهر مالهم من فن ومنطق وبلاغة وموهبة ،

او الذي زعموه او زعمه فريق منهم كذلك . او الذي هو اسى فنون ومنطق وبلاغة ومواهب الاله الذي صاغ نفسه او الذي صاغته نفسه على نموذج الانسان العربي وعلى مقاساته الذاتية والنفسية والفكرية والاخلاقية والبلاغية بل واللغوية . بل الذي كانت كل اشواقه وطموحه ومحاولاته ونضاله ان يكون تقليدا للانسان العربي في كل ظروفه ومستوياته وبداياته وجاهليته الاولى - ان يكون تقليدا شاملا ومتقنا للانسان العربي ، بل ان يكون نفس الانسان العربي حتى في حقه وكرمه وعداوته وخصومته وغروره وتفآخره وفي اعجابه وتباهيه بأميته الحضارية والفكرية والتاريخية على كل كائن اخر ، بل وفي اعجابه وتباهيه بأميته المتكبرة على معرفة القراءة والكتابة . ألم يمدح اي الاله قومه او نمودجه الاعلى العرب بانهم لا يقرؤون ولا يكتبون لانه هو لا يقرأ ولا يكتب ؟ لو كان الاله يقرأ ويكتب فهل يمكن ان يمدح نمودجه اي الانسان العربي والنبي العربي بانه لا يقرأ ولا يكتب ؟

ولكن ماذا يعني هذا اي جعل الاذن هي اول الاعضاء او الاخلاق او المواهب حتى في الاله وللاله ، جعلها قبل العلم والحكمة والخبرة والرؤية وقبل كل شيء ؟ أليس هذا يعني القيمة والتفوق والتمجيد وضخامة الوظيفة ؟ وهل يمكن ان يكون للاذن اية قيمة او تفسير او وظيفة انسانية او تعليمية لولا الفم الذي يستفرغ فيها ، اي لولا الالهة والانبياء والطغاة وجميع اصناف المعلمين والمصوتين الذين يستفرغون بأفواههم ومن افواههم كل قبحهم وقيحهم وطغيانهم واكاذيبهم وخداعهم فيها اي في الاذن ؟

نعم ، أليس كل عمل الالهة والانبياء والطغاة والمعلمين الاستفراغ في الاذان ؟

ان الاذن ليست لها قيمة ذاتية . ان كل قيمتها انها تستقبل المستفرغين فيها الباصقين عليها الشاتميين لها . انه لا شيء يهتم بالاذن ويعرف قيمتها مثل الفم . ولا يراد بالفم هنا كل فم او اي فم ، بل الفم المراد هنا هو فم الالهة والانبياء والطغاة وجميع الوان المعلمين والغزاة لعقل الانسان ولذكائه وكرامته وشرفه ولاخلاقه من نوافذ اذنيه . انه لا يوجد اي ممر للالهة والانبياء والطغاة في هذا الكون غير اذني الانسان ليمروا منهما لا الى عقله او قلبه او ضميره بل الى كرامته وذكائه وكبريائه هازمين مذلين ساحقين . . .

ولهذا فانه لا احد يرحب ويسعد بتخلق الاذان وبوجودها دائما واسعة وبلا حماية ، بل لا احد يسعد ويرحب ويطلب بتحول الانسان كله الى آذان اي الى آذان فقط مثل الالهة والانبياء وجميع اصناف الطغاة والغزاة للانسان ، مع احتمال وجود المنافسين والمزاحمين لهم . . . وهل وجد او يمكن ان يوجد اي مكان في هذا الكون للالهة او للانبياء او للطغاة والمعلمين غير آذان الانسان ؟

لو ان الفم اعني اللسان حينما جاء وجد الانسان بلا اذنين فيهما كل هذه الطاقة الاستقبالية ، فيهما فقط وظيفة الاستقبال ، فهل يقبل اي الفم اعني اللسان ان يركب نفسه في الانسان ؟ بل لو انه اي الفم حينما جاء وجد الاذن محروسة بالكرامة او بالكبرياء او بالذكاء او بالمسألة او بشيء من ذلك فهل يقبل المجيء او التخاطب معها ؟ او لو أن الالهة والانبياء وسائر الطغاة والمعلمين حينما جاءوا لم يجدوا المجتمعات او لم يجدوا الانسان فهل يقبلون ان يجيئوا او ان يصبحوا آلهة او انبياء او طغاة او معلمين ؟ اذن فالتمجيد للاذن او للسمع ليس الا تمجيذا للسان اي تمجيذا للتصويت وليس الا تعبيراً عن الحاجة اليه اي الى التصويت .

لعل الفم اعني اللسان قد تقبل ان يركب في الانسان بدءاً لان الصدفة العجيبة قد جعلت الانسان العربي هو اول انسان تعامل معه الفم اعني اللسان ، اي تعامل مع اذنيه حينما جاء مبتدئاً مجيئه وعمله . لقد كانت تجربته الاولى مع اذني الانسان العربي ، لهذا تقبل المجيء وسعد به واصر على البقاء . وقد كان محتملاً الا يقبل اي الفم الصوت ان يجيء او ان يبقى لو أن تجربته الاولى كانت مع آذان غير عربية . انه لاحتمال قوي بان يصدم اي الفم لو كانت تجربته الاولى مع آذان غير عربية . وقد يرفض المجيء حينئذ . . أليست الاذان اي غير العربية حراسة وشروطاً صعبة مشددة على الانواء ؟

انهم يهبون الاذن كل هذا التمجيد والتثمين لانها في حساباتهم او في تجاربهم او في امالهم تستقبل الفم المستفرغ فيها استقبالا مباشرا وبلا شروط او استئذان لاي جهاز او عضو او كائن اخر . . تستقبله لتؤمن وتهتف وتطبع ، لا لتحاوور او تحاسب او ترفض او تخجل او تستنكر او تعاقب . انه لا كائن يحق له او يجب عليه ان يحاور ويحاسب ويغضب ويرفض وينكر بل ويعاقب ويعصى مثل الاذان . . ان الاذان لو كانت تفعل ذلك لما وهبوا شيئاً من هذا التقدير والتعويل عليها بل لخافوها وقاوموها كما يقاومون ويخافون الفكر المحقق في نياتهم وافكارهم واخطائهم ، والعيون المحدقة في عيونهم وعاهاتهم وخطاياهم ، والاضواء التي تعري ظلام ليلهم والتي تسلبهم مغامرتهم . ان جميع الطغاة والدجالين والالهة والانبياء يعشقون الاذان ويريدون ان يتحول كل شيء الى اذان ولكن كم يرهبون ويلعنون ويعاقبون التفكير ؟

انها اذان صوتية لا فكرية اي يصوت لها وعليها ولا يفكر لها او فيها ولا تفكر هي فيما يلقي فيها او لما يلقي فيها . آه لو أن الاذان تحولت الى تفكير وتحديق ومحاوره ومحاسبة . . كم تصبح حينئذ مرهبة مكروهة مرفوضة مشقومة ؟ انها اي هذه الاذان لا تساوي الا السماع اي الا ان تسمع ، وان السماع لا يساوي او لا يعني عندها وعند المستفرغين فيها الا الطاعة . ولكن الطاعة لمن ؟ لاصحاب اجهل

واوقح وأعلى الافواه والاصوات - ايلالهة والانبياء والطغاة وسائر المعلمين واللصوص باسم الاديان والمذاهب والاخلاق والانسانية .. انه لا يوجد شيء فيه من البذاءة والدمامة والسوء مثلما في افواه الالهة والانبياء والطغاة وسائر المعلمين ..

انهم دائما يقولون « السمع والطاعة » انه لا تقاصل ولا تصادم ولا اختلاف بينهما من اي نوع . وان اي واحد منهما لا يكون بدون الاخر . لا سمع بلا طاعة ولا طاعة بلا سمع ، حتى الطاعة بلا سمع مرفوضة ومستنكرة ، لانها اي الطاعة يجب ان تكون خضوعا للامر والنهي اي خضوعا لاصحاب الافواه الكبيرة العاتية الوقحة المستبدة الغاوية المخادعة . انه ليس المطلوب هو السلوك المعين فقط بل السلوك المطيع اي الذي هو تنفيذ للامر الوجه من الاقوياء .

انهم يفرضون على كل البشر ان يقولوا : (سمعنا وأطعنا) . ويرفضون بكل الاصرار والقسوة ان يقولوا : (سمعنا وفكرنا) او (سمعنا فلم نقنتع) او (سمعنا فجادلنا او فلم نفهم او فرفضنا او فرفضنا شيئا واطعنا شيئا او اشياء او (سمعنا وسوف نرى) . ان جميع الالهة والانبياء والطغاة والمعلمين في كل العصور ليرفضون ان يقال لهم : (سمعنا وسوف نفكر او ننظر او نعرف ..)

ان كلمة (سمعنا) لا تعني في جميع افتراضاتهم وتعبيراتهم حتى حينما توضع على لسان الاله او حينما يضعها الاله على السنة انبيائه - نعم ، ان كلمة : (سمعنا) لا تعني في كل الاستعمالات والافتراضات الا : (اطعنا ، اطعنا) (غفرانك ربنا واليك المصير) . ان احدا منهم لن يقف حينما يسمع كلمة سمعنا ليسألها : هل يمكن ان تعني غير : اطعنا ، اطعنا ..

ان الاذن التي تسمع لتطيع فقط هي حتما اذن صوتية لا فكرية بل انها ليست اذنا ولكنها طغيان مهاجم . انها طريق طغيان واستعباد مفتوح مباح .. انها طريق جميع اللصوص والغزاة الى عقولنا وضماننا وضعفنا النفسي والفكري والاخلاقي .. ان الاذن السامعة الطيعة هي اوقح هدية اهدتها الطبيعة الى الالهة والانبياء والطغاة واللصوص ..

ان مثل هذه الاذن ليست الا حشودا متلاحقة من الغزاة البغاة المتوقحين القادمين من كل الاماكن والجنسيات وتحت كل الرايات والشعارات والمزاعم . اما الفم الذي يأمر ليقال له سمعنا وطاعة لا ليقال له : اعرض وفسر نفسك ، قف خاشعا متواضعا مؤدبا لكي نفهمك ونحاسبك ونقرأ معانيك ونياتك ، ونعرف من اين قدمت ولماذا قدمت ، والى اين انت ذاهب ومن مرسلك ولماذا ارسلك ، وهل جئت البنا من الياض بعد ان استأذنت واذنا لك بالدخول ، ام انك قد هجمت علينا من الشقوق ، مسن شقوق للتاريخ والاوهام والمذاهب والشعارات ، ومن شقوق ضعفنا وبلادتنا ومجاعاتنا النفسية والانسانية والتاريخية ، ومن شقوق تركيبتنا الاجتماعية المختلفة .

- نعم ، اما مثل هذا الفم فانه ليس فما فكريا او كلاميا ولكنه فم صوتي بل انسه ليس فما ولكنه غزو وعدوان وقح . وهل وجد في التاريخ او هل يمكن ان يوجد غزاة للانسان مثل الافواه في كثرتها ونذالتها وعدوانها وديمومتها وشمولها وفي اعداد قتلها وجرحاها واسراها ومشوهيها ؟

« قد يكون من التفاسير لجعل اول وافضل صفات الاله وحواسه هي الاذن او هي قدرته على السماع والاستماع والتسمع ورغبته في ذلك .

- نعم ، قد يكون من تفاسير ذلك شهوة الاله الحادة وغير المتوقرة او المعقولة لان يسمع هتاف وتصراعات وصلوات الهاتفين المتضرعين المصلين له واليه وبه ، وكذلك لان يسمع انات وآهات وصرخات المعذبين المسحوقين المهورين المظلومين ، يئنون ويتأوهون ويستغيثون ، حيث لا مغيث بل حيث لا راحم ولا راث ولا متالم لهم او معهم او من اجلهم . . .

قف ايها الخيال . هل تجد قبحا كتعب العلاقات بين عبد يئن ويستغيث واليه يسمع ولا يستجيب او لا يسمع ولا يستطيع ؟

ضاحكة راقصة مغنية هي نشوات الاله حينما يتحول الكون كله الى انات وآهات وصرخات واستغاثات يمزقها الالم والهول دون ان تجد مغيثا او مداويا او حتى مشفقا ، وكذلك حينما يتحول الكون كله الى معابد تتعالى وتتراحم فيها الهتافات والصلوات والتصراعات التي لا مستقبل لها ولا جازي او شاكر عليها ولا معترف بها . لعل الاله لا يستجيب ولا يعالج الالام المرفوعة المشكوة اليه لانه في قلبه لو عاجها لسكنت او ضعفت الشكوى والضراعات اليه .

آه يا مسامع الاله . . . كم انت موهوبة من معاني القسوة والجفاء والجحود والخمود . . . من صاغ لك ايها الاله اذنك ؟ كيف استطاع ان يصوغ اذنك من صاغها ايها الاله ؟ كيف لا تتفجران او كيف لا تهربان من كل هذا الكون . . . من كل المعابد والمستشفيات وعيادات الاطباء وميادين القتال ومن كل البيوت والاماكن ومن حول جميع السرر . . . لئلا تسمعا ، لئلا تسمعا اية صلاة او مناجاة او انة أو صرخة أو آهة فيها كل لغات وتفاسير الاحتقار والغضب والاحتجاج والسخط على الفاعل الاعظم . . . على صاحب الاذنين اللتين لا مثيل لهما في عجزهما عن ان تسمعا او تفهما لو تراثيا او ترحما او تحجلا او تنهزيا . . . !

آه يا اخلاق الاله كيف تتقبلين او تطيقين ان تكوني وتعيشي مع اذني الاله في ذات واحدة ؟ كيف تستطيعين التعامل او التخاطب مع اذنيه او مجاورتهما ؟ ما اعظم الوقاحة والنذالة والوحشية والبلادة ان تسمع اذنا الاله !!

ما اعظم العار والجرم ان تكون للاله اذنان تسمعان !!

اذنا الاله تسمعان كل هذا ثم تبقى له اذنان . كيف يقبل اي كائن ان تكون له اذنان ؟

اغلق او افسد ايها الكون اذني الاله رحمة به واشفاقا عليه واحتراما له وحماية لكرامته . هل يوجد مثل الاله عجزا عن حماية كرامته وشرفه ، وعجزا عن الغضب لكرامته وشرفه وعن معرفة الكرامة والشرف ؟

يا اذني الاله موتا اشفاقا علي وثأما من تعذيبي فانه لعذاب لي تعجز عن تصويره جمع تصورات الالهة ان تكون للاله اذنان تسمعان ! . . . ويلتاه . . . ويلتاه . . . الاله له اذنان تسمعان كل هذا ، كل هذه الانات والاهات والصرخات والاستغاثات ! . . هل يمكن هذا ، هل يمكن ؟

اسمعوا ايها المؤمنون . ان جميع الانات والاهات والصرخات والتضرعات تسقط في اذني الاله دون ان تتفجرا او تموتا . . اسمعوا !! . . . الاله يسمع كل هذا دون ان يستجيب او يموت او يمرض او يصاب بالصمم ، استحياء او انفجاءا او اشفاقا !! . . .

هل تصدقون ايها المؤمنون ذلك ؟ هل تقبلون حينئذ التعامل مع اذني الاله ؟ هل تقبلون او تتصورون ان للاله اذنين او ان تخلق له اذنان ؟ الا تتقاتلون لكي لا تكون للاله اذنان او لكي لا تنبت فيه اذنان ان كنتم تحترمونه او تخافون عليه ؟

هل يمكن ان يوجد تفسير لاخلق اذني الاله او لاهوائهما وشهواتهما ، او لذكائهما ومنطقتهما او لاستجاباتهما الفنية ؟ هل هجيت او حقرت الاذان ، كل الاذان بشيء مثلما هجيت وحقرت بأذان الاله . . بأن تكون للاله اذنان ؟

وقد يكون من التفاسير لجعل الاذن هي اول واعظم صفات الاله رغبة المؤمنين في ان يكون اي الاله سامعا لدعواتهم وطلباتهم وشكاياتهم واحتياجاتهم المرفوعة اليه بالدموع والخضوع واللهفات ليتأثر ويحرج ويرضى ويفرح فيستجيب ويقضي الحاجات والطلبات ويتحرك ليفعل تحت ضغوط المناشدات والالاح . . انه لعذاب اكبر من كل العذاب ، التصور بانه لا يوجد في هذا الكون اله يسمع ويستجيب . رهيب تصور الاله اصم . .

لقد كان خوف المؤمنين حادا واصيلا من الا تكون للاله اذنان يسمع بها ، يسمع بها كل شيء باحاطة وسرعة وحماس . ان كل صيحاتهم ولهفاتهم لا بد ان تذهب حينئذ في الفراغ الاصم الرهيب . يا له من ضلال وضياع حينئذ في النية الحزين الكئيب الموات . لقد كان تصورا لا مثيل لقسوته ان يتصور المؤمنون بأن الاله كبير وقوي وضخم جدا ولكنه لا يسمع . .

لقد كانت مخاوف المؤمنين من الا تكون للاله اذان تسمع اي شيء مخاوف مفهومة وسهلة التفاسير . ان جميع تجاربهم الدائمة الطويلة لتفسر وتسوغ مخاوفهم هذه بل لتؤكدما وتؤججها بل لتوشك ان تحولها الى يقين . كيف ؟ الاله يسمع ! . كيف ، متى حدث هذا ؟ من هو واين هو هذا الصارخ الذي سمع له الاله . . . ؟
 الم يتعذبوا ويتمزقوا ويفتضحوا طويلا ، طويلا من الدعاء والهتاف والتضرع للذليل الحزين الصالح المؤمن المنتظر دون ان يجدوا مجيبا او راثيا او معتذرا ؟ هل يمكن ان يكون لهذا تفسير سوى انه لا يوجد لا هنا ولا هناك من يسمع ؟ جربوا ، جربوا ايها المخدوعون ، ايها المؤمنون جربوا وتحذوا طويلا ، طويلا ثم لا تخافوا ان تجدوا الاله يسمع . . . راهنوا على كل ذكائكم وكرامتكم وتقواكم بان الاله لا يسمع ثم لا تخشوا ان تغلبوا في الرهان او تخطئوا او تتدموا او تتراجعوا او تشكوا في ايجابية رأيكم . . .

حتمنا انه لا يوجد من يسمع او لا يوجد من يستطيع او لا يوجد من يريد او من فيه شيء من الشهامة او النخوة او الرحمة او الحب او الاستحياء ، او انه لا يوجد واحد من هؤلاء . انه لو كان كل شيء في هذا الكون ممكنا لظل فيه شيء واحد مستحيلا ، هو ان يكون الاله سامعا فمهم وقدره ونخوة ومحبة ورحمة واستحياء . نعم ، ان تركيز المؤمنين على التوكيد بان للاله اذنين يسمع بهما لدليل على شكوكهم الحادة المقلقة في ان يكون الاله اصم صمما لا نموذج ولا شفاء له ولا دليل بل ولا شبهة على انه ليس كذلك . بل لعله من الصعب جدا ان يكون المؤمنون قد اقتنعوا بشيء اقوى من اقتناعهم بان الاله الذي يدعون ويسألون ويثنون ويبكون اليه وله باساليب كلها افتضاح وهوان وسقوط شامل لا يسمع شيئا ولن يسمع يوما ما شيئا كما لم يسمع في اي يوم شيئا . ان البشر لم يقفوا موقفا فيه كل الخسران والهوان والهزيمة والرفض والصد والبلادة مثل موقفهم من دعاء الاله والتضرع اليه ورجائهم ان يسمعهم او يستجيب لهم .

ان جميع المؤمنين في جميع العصور لمقتنعون بان جميع آلهتهم صماء صمما خالدا . انهم لم يؤمنوا بالهتهم ولم يعايشوها ويصادقوها ويحترمواها الا لانهم مقتنعون بانها صماء . بل انهم لم يناجوها ويسألوها وينتزعوا اليها ويصلوا لها ويستثمروا الاخرين ويحرقوهم باسمها الا لاقتناعهم بصمها الابدي ! . . . ان احدا ما لن يستطيع ولن يريد التعامل مع الالهة ما لم تكن صماء بل ما لم تكن فاقدة لجميع الحواس فقدا لا مخرج منه ! . . .

ان كل مزايا الالهة عند المؤمنين بها الداعين المصلين لها هي انها صماء بل فاقدة لكل الحواس والقدرة . . .

لقد ظل المؤمنون يتحدثون الى الهتهم بكل الاساليب وهي لا تستطيع ان تسمع ويعلمون انها لا تستطيع ان تسمع وهي ايضا لا تفعل اي شيء يدل على انها تسمع

او قد تسمع - نعم ، لقد ظلوا يتحدثون اليها كذلك لكي يدللوا تدليلا مستمرا ومقنعا جدا على انها لا تسمع ولا تستطيع ان تسمع . انهم يعرفون بالتجارب الدائمة انها لا تسمع . اذن لماذا يظلون يدعونها ؟ لعلمهم يريدون التوكيد بانها لا يمكن ان تسمع . . .

لقد كانوا سعداء باقتناعهم الدائم بانها لا تسمع وبانها سوف تظل ابدا لا تسمع ، لهذا ظلوا دائما يتحدثون اليها لكي يظل اقتناعهم بانها لا تسمع قويا وراسخا ومتجددا ودائما . أليست افضل الاساليب للاقتناع الدائم بأن الالهة لا تسمع هو التحدث الدائم اليها ومعها ؟ هل يمكن ان نتحدث الى الالهة ثم لا تقتنع بانها صماء بلا شفاء ؟

أليس اجمل وافضل نماذج وصيغ الالهة هي الالهة المفاقدة لجميع الحواس ، وهي كذلك الالهة التي تفقد جميع الحواس أي التي لا تستطيع جميع حواس المؤمنين بها ان تجدها ؟ أليس افضل واعظم الالهة في حسابات ونيات المؤمنين بها هي الالهة التي يقع التعامل عليها ومعها دون ان تكون موجودة او قادرة او فاعمة ؟ هل يوجد اقصى او اقبح او اوقح من أن يكون فوقك اله جيد الحواس حاد الاحاسيس ؟ نعم ، كل هذا بعض التفسير للحكم على الانسان العربي بانه مصوت وليس متكلام

ان الانسان العربي لا يقاتل او يعالج او يفعل او يخاطب او يفكر بالتصويت بأسلوب او بنية المناورة او الخداع او الدعاية او الضغط او الكذب الذكي ، اي انه لا يفعل ذلك تدبيراً وتخطيطاً ، اي انه في ذلك ليس كمن يرفع سلاحاً كاذباً وهو يعلم انه كاذب ، محاولاً ان يقنع الآخرين او الاعداء بانه سلاح لا مثيل له في صدقه وقوته وفتكه وبسالته . انه لجيد ان يكون المرء مغفلاً او كذاباً او غيباً بالتدبير والتخطيط لا بالاصالة او الموهبة ان لم يكن بد من هذا او هذا .

ولكن لا . ان الانسان العربي لا يعرف ان التصويت سلاح كاذب . وهو اي الانسان العربي لا يدري انه يناور او يخادع او يكذب كذبا ذكيا دعائيا او اعلاميا حينما يذهب يداوي ويحل ويفعل ويفسر كل شيء ، وينتصر على كل شيء ، بالتصويت . انه لا يدري ذلك ولا ينويه ولا يتظاهر به ويتعمده . بل انه جاد كل الجد ، وانه ليعتقد انه بذلك يواجه مواقف باقوى واذكى العبقريات والبطولات . انه لا يدرك انه يفعل ضعفاً ليقنع او بنية ان يقنع بانه يفعل قوة . لا يدرك انه يعالج بالسحر مؤملاً ان يصل الى ان يعالج بالطب . . .

وانه ايضا لا يعرف انه يوجد تصويت وكلام او تصويت وتفكير او تصويت وفعل . لا يتصور انه يوجد فرق بين هذا وهذه . لا يعرف ان التصويت تصويت ، لهذا لا يمكن ان يعرف انه هو مصوت ، ولا يعرف انه يصوت حين يصوت ومهما صوت !!

انه لا يعرف ذلك ولا يعرف شيئاً منه الا بقدر ما يعرف الصاهل او الزائر
او الفايح او الراغي انه صاهل او زائر او فايح او راغ وليس متكلما او مفكرا او
شاعرا او فنانا عبقريا ..

ان اعظم قائد او زعيم او نبي او معلم او مفكر عربي لا يعرف انه مصوت فقط
الا بقدر ما يعرف الحصان او الجمل او الصرصار انه مصوت فقط وليس اعظم
الفنانين او الشعراء او المفكرين او اعظم الانبياء والمعلمين ! وهل نستطيع ان نعلم
حقا ان هذه الكائنات لا ترى نفسها كذلك كما رأى الانسان العربي نفسه ؟
ان المصوت لا يستطيع ان يفسر نفسه مهما استطاع المتكلم والمفكر ان يفسر
نفسه ويفسر غيره بل ويفسر كل شيء ..

نعم ، الا يحتمل ان الصرصار او البرغوث او الجمل يعتقد ، حين يصوت ، انه
يقول اعظم الشعر او اعظم الفنون او اعظم الافكار مثلما اعتقد الانسان العربي
انه لا يقول الا ذلك حين لا يكون الا مصوتا اصواتا يرفض البرغوث والصرصار
والجمل ان تكون اصواته ؟ ولماذا نفترض البراغيث والصراصير والابل وامثالها
اكثر وقارا وتواضعا من الانسان العربي ؟ أليس هذا انحيازاً يرفضه الدين والضمير
والمنطق ؟

وهل من العدل ان يعد الصرصار او البرغوث او الجمل مذنباً او مغفلاً او كذاباً او
حيواناً لو اعتقد ان اصواته ليست الا نبوات تخاطب بها السماء الارض ثم لا يعد
الانسان العربي مذنباً او مغفلاً او كذاباً او شيئاً أردأ وأقل من ذلك حينما يزعم ان
اصوات من يحسبهم انبياءه ليست الا نبوات اعظم الانبياء ، الا نبوات انبياءهم
زعماء جميع الانبياء ، هم الانبياء الذين اغلقوا جميع ابواب السماء واخفوا مفاتيحها
لئلا يأتي بعدهم انبياء .. عجباً ! كيف يكون مجيء الانبياء دائماً شيئاً جيداً ثم
يصبح مجيئهم شيئاً رديئاً بعد ان اصبح للعرب انبياء ؟ كيف اصبح المجد عاراً ؟
لماذا العرب هم الذين اغلقوا ابواب السماء لئلا يجيء منها الانبياء ؟

هل من المحتمل ان ترضى السماء او ان يعجبها بان تعد او بأن تكون اصوات
الانبياء العرب هي اصواتها وتعاليمها ونبواتها الى الارض ثم لا يرضيها ولا يعجبها
ان تكون او تعد اصوات البراغيث والصراصير والنياق والحياد الصاهلة هي اصواتها
اي اصوات السماء وتعاليمها ونبواتها الى البشر جميعاً اي والى العرب والى انبياء
العرب ايضاً ؟

ليت السماء تعلن عن رأيها في هذه القضية مترفعة عن كل مشاعر المحاباة ولغاتها!
هل يوجد شذوذ مثل ان يتحدث دائماً كل الناس المتناقضين بل المتضاربين عن السماء
هون ان تتحدث السماء عن نفسها ولو مرة واحدة ؟ هل يوجد صمت مستنكر مثل
هكذا الصمت ؟ ...

اذن فالانسان العربي لا يتداوى ويداوى بالسحر الذي يعرف انه سحر ، مؤملا ومحاولا ان يجد وان يصنع الطب ثم يتداوى ويداوى به ، بل انه يتداوى ويداوى بالسحر الذي يعتقد بل الذي يعرف انه كل الطب . نعم ، يعرف ! لان الانسان العربي حين يعتقد لا يعتقد فقط بل ويعرف . ان عقائده ليست عقائد فقط . بل ومعارف اي علوم . .

كذلك فانه اي الانسان العربي لا يهدد او يضرب ويقاثل بالسيف الكذاب الذي يعرف انه كذاب ، مؤملا ومحاولا ان يجد وان يصنع السيف الصادق ، ثم لا يحتاج الى ان يهدد او أن يضرب ويقاثل به لان امتلاكه له يعني في منطلق الاشياء عن استعماله . بل انه اي الانسان العربي يهدد ويضرب ويقاثل بالسيف الكذاب في جميع حروبه وخصوماته وميادينه مقتنعا بأن هذا السيف الكذاب هو اصدق السيوف بل هو كل السيوف الصادقة . . نعم ، ان كل الذين ضربوا بالسيف لم اكثرهم انما ضربوا به لانهم لم يمتلكوه امتلاكا كاملا وقويا او لان الاخرين لم يعرفوا امتلاكهم له بهذه القوة . . نعم ، انك لن تضرب بالسيف ولم تضرب به الا حينها تكون عاجزا عن امتلاكه امتلاكا قويا كافيا او عن ان تضرب به بقوة وبراعة كافييتين مقتنعين ، او الا حينما يكون الآخرون الذين تضربهم بالسيف عاجزين عن الاقتناع بانك تملك مثل هذا السيف وتملك القدرة على الضرب به وعلى ارادة هذا الضرب ، باسلوب قوي كاف مقتنع . اجل ، ان اية حرب لم تقع ولن تقع الا عن عجز واقع او عن عجز محسوب او مقدر . . عجز في احد الفريقين المتحاربين . .

في هذه الاوقات التي اكتب فيها هذه الصفحات يقول العرب بكل اجهزتهم المصوتة انهم يواجهون ظروفًا واخطارًا لم يواجهوا او يواجه احد من البشر قط مثلها في قسوتها وتعقيدها وتآمرها وفي خبث تدبيرها . انها في زعم جميع اجهزتهم ظروف واخطار لا تستطيع كل طاقات وعقول وبسالات جميع البشر ان تكون ندا لها او قادرة على تحمل آلامها وتحدياتها لو حشدت لها جميع هذه الطاقات والعقول والبسالات . . لان هذه الاخطار والظروف في اقتناعهم الذكي جدا قد تآمرت جميع قوى الشر والخبث والبغضاء في الطبيعة وفي البشر بل وفي الكائنات الغيبية الخفية لكي تصوغها اضخم واذكي الصياغات لكي تنذل وتقهر بها الانسان العربي حسدا له على مزاياه وخوفا منه لقوته وتقوته وبسالته . ولقد كانوا اي العرب يعرفون دائما ان جميع انبياء واطفار الشر في هذا الكون لم تنبت بها ضماير وحوشه الا لكي تقهر وتنذل بها الانسان العربي حسدا وخوفا وبغيا .

لهذا رأوا اي العرب لكي يستطيعوا مواجهة هذه الظروف والاطار بقوة وانتصار انه لا بد لهم ان يستعيروا من جميع الالهة ومن جميع قوى الكون كل عضلاتها وضرباتنا وعقولها وكل دهائها وتدبيرها وحماسها وغضبها وكبرياتها ، ثم ان

يصوغوها صياغة اذكى واقتوى واشجع ، ثم ان يزرعوها في عضلاتهم وضرباتهم وعقولهم وفي دهانهم وتدبيرهم وحماسهم وكبرياتهم هم ، لكي يخلقوا ويركبوا منها قوة تساوي كل قوة الالهة وكل قوة كل الكون وكل من فيه وما فيه ، بعد أن يصوغوها الصياغة الجديدة التي هي اقوى واذكى ، كما تساوي ايضا كل قوتهم هم .
اجل ، لقد فعلوا ذلك . لقد خلقوا وركبوا هذه القوة المؤلفة من عضلات وضربات وعقول ودهاء وحماس وغضب كل الالهة والطبيعة والبشر ، من كل عنف ومواهب كل الاشياء . . .

والان . لنصق انبهارا واعجابا بما يحدث . ماذا يحدث الان ؟ هل نطيق التحديق في ما يحدث ، او هل نجرؤ على التفكير فيه دون الرهبة من ان تقتلنا صدمة الاعجاب والانبهار او صدمة الفرع والذهول والاسى ؟
ولكن هل نحن ممن يصابون بالصددمات ؟ هل سعدنا الى هذا المستوى الحضاري والانساني . . . هل سعدنا اليه بالفكر او بالاخلاق او بالعاطفة .

اجل ، ما هو احد الزعماء والقادة الكبار ، او لعله احد الشعراء او المفكرين الكبار او لعله احد الوعاظ او الخطباء او المعلقين او المذيعين الكبار او الصغار في احد المعابد او النوادي او الصحف او الاذاعات ، او لعله احد الاساتذة في احدى الجامعات . . .
اجل ما هو احد هؤلاء المقاتلين العرب بكل عضلات وضربات وعقول وكبرياء ودهاء وحماس وغضب وقوة جميع الالهة وجميع الكائنات الغائبة وجميع الكون وجميع البشر ، وبكل بطولات كل ذلك . . .

ما هو احد هؤلاء يقاتل . انه يصرخ ويصرخ بانفعال او بصيغة انفعال لو تحول الى سلاح ذكي مقاتل لاستطاع ان يقتل كل الاعداء بل كل الاحياء ، بل لاستطاع ان يقتل او يهزم كل ما في النفوس والاخلاق من خور وخسة وكذب وتفاهة .
انه يقول كاتبنا او مديعا او منشدا او خطيبا او متحدثا او مجيبا او محاورا :

« لا بد لنقاتل . انه لا شيء غير القتال . لا شيء . ليعلم كل العالم ، الاصدقاء والاعداء اننا لا بد ان نقاتل ، وانه لا شيء غير القتال . ليعلم كل العالم ذلك . . .
ليناج كل العالم كل الهته ان العرب لا بد ان يقاتلوا . ان العالم ان لم يناج الهته في كل صلواته ان العرب لا بد ان يقاتلوا فلا بد ان يندم ويخسر ويحزن اي كل العالم . . .»

اذن لقد قاتلنا ، لقد قاتلنا . . . انه لا بد ان يكون شعوره واقتناعه كذلك ، وكذلك شعوره واقتناع من حوله او من سمعوه . ان اي مقاتل في العالم لن يكون اقتناعه او شعوره بانه قد قاتل مثل شعور او اقتناع هذا الانسان العربي بانه قد قاتل لانه قد خطب او كتب او اذاع او تحدث صائحا ، صائحا : « لا بد ان نقاتل ، . . . هل يوجد قتال اقوى او انبىل او احسم في مشاعر الانسان العربي من ان يقول : « لا بد ان نقاتل . . . لا بد ؟ » . . .»

وما هو ايضا اقدمهم يصيح ويصيح بحماس او بصيغة حماس يستطيع بضربة من ضرباته ان يقتلع الشمس من مكانها . انه يقول بضجيج يخيف الاعاصير ويحولها الى صمت وقور : « لا بد ان ننتصر . لا بد . انه لا خيار لنا في ان ننتصر والا ننتصر . اننا لا نستطيع الا ان ننتصر حتى ولو رفضنا ان ننتصر ، حتى ولو هربنا من الانتصار تواضعا او اسفاقا على الاعداء او خيفة ان يحولنا الانتصار الى مغرورين او الى ظالمين ، لا بد ان ننتصر لان الانتصار قدر محكوم به على العرب في جميع معاركهم . . . »

نعم ، لقد انتصرنا ، لقد انتصرنا لاننا قلنا : لا بد ان ننتصر وقلنا : لقد انتصرنا ! .

وايضا لا بد ان نكون قد قاتلنا لاننا قلنا لا بد ان نقاتل ولاننا قلنا اننا قد قاتلنا . !! اليس التحدث عن الانتصار هو اعظم اساليب الانتصار في موهبة الانسان العربي ؟

بل اليس التحدث عن الانتصار هو كل الانتصار ، كل سلاحه وتفاسيره وقوته ولخته وكبريائه بل كل وجوده ؟

ان اي منتصرين لن يكونوا مقتنعين بانتصارهم او واجدين مشاهدين له أو عائشين فيه او معجبين او مباهين به مثل لقتناع هذا الانسان العربي بانتصاره ومثل امساكه به ومشاهدته له ومثل عيشه فيه ، مثل معاشته له ومثل اعجابه ومباهاتة به لانه قد خطب او كتب او اذاع او اعلن او سمع : « لا بد ان ننتصر . لا بد من ذلك . . . » انه لا احد غير الانسان العربي يتحول قوله الى كل الحقيقة والفعل والقوة والانتصار في احساسه ورؤيته واقتناعه وفي سلوكه وادعائه ايضا . . .

وهذا ايضا اقدمهم يعلن بزمو يتحول الى اقصى تعذيب لعيون ووقار وضمانر كل الاشياء ، يقول ناقلة عنه كل الاجهزة العربية والعالمية قوله : « لقد حشدنا لكل معاركنا ومواجهتنا واعدائنا حشدا لا تستطيع جميع احتمالات الاشياء ان تحشد مثله . . . لقد حشدنا من الطاقات وللعقول والاخلاق والذكاء والدهاء والتخطيط والبسالة والصدق والحماس والاخلاص ومن كل اصناف الاسلحة والابتكارات والمواهب المختلفة حشودا لو رأت او علمت شيئا منها جميع مشاكلنا وهمونا وظروفنا الصعبة والاليمة واعدائنا لجاءوا ولجأت جميعا اليها تائبين وتائبة ، معتذرين ومعتذرة ، مبايعين ومبايعة . لقد اعدنا لكل شيء اعدادا لو راته لو علمته الالهة لخنفا عليها ان يمرضها الحسد او يقتلها الخوف . . . »

حتما لقد حدث وتم هذا الحشد والاعداد في ايمان ورؤية واحساس القائل والسامع العربيين ، انه لا يوجد اي حوار او حراسة او محاسبة بين فم الانسان العربي واذنيه ولا بين اذنيه واقتناعه . . .

اجل ، ما هم جميع الزعماء والقادة والعلماء والمفكرين والشعراء والخطباء والوعاظ والاسانذة والادباء والمذيعين والملقنين الصغار والكبار العرب يقاتلون هذه الظروف والمخاطر التي تواجههم والتي يقولون ان اي قوم في الماضي لم يواجهوا مثلها وان اي قوم في الحاضر أو المستقبل لا يواجهون ولن يواجهوا مثلها ..

ما هم جميعا يقاتلون هذه الظروف والمخاطر بعضلات وعقول ودهاء وذكاء وحماس وتخطيط وشجاعة وغضب جميع الالهة والطبيعة والاشياء والبشر ..

اي لانهم قالوا ويقولون انهم يقاتلونها . لقد قالوا فاعتقدوا او اعتقدوا فقالوا .. ما اردأ واقسى ما يرى وما يحدث الان !! .. ما اردأ واقبح واقسى ان نرى ونجد الانسان العربي يقاتل الظروف والمخاطر التي تواجهه اليوم والتي يقول مصدقا قوله : انها ظروف ومخاطر لم يعيش او يمر مثلها تحت الشمس قط في قسوتها وتعقيدها وتآمرها وفي ذكاء وخبث التدبير الذي ارادها وخطتها وصاغها واعد لها لقهر واذلال الانسان العربي حسدا لمزاياه وعبقرياته وخوفا من قوته وتقوته وبسالاته ..

ان الماساة هنا ان العرب في هذا القتال ليسوا ممثلين بل حقيقيون . ليت العرب كلما تحدثوا او خططوا أو فعلوا يمثلون ويرون انهم يمثلون ويفسرون بانهم يمثلون . افن لكانوا حينئذ اقل بشاعة وبلادة وافتضاحا . ليت كل سخيف وذميم وبليد مزور لا حقيقي .

انهم في ايمانهم ومنطقهم يقاتلون وليسوا فقط يحرصون او يستعدون او يستثيرون او يتوعدون او يبكون ويئنون أو يئتمنون ويؤمنون ..

ان افواههم هي كل الاسلحة والقوة والضرب والتخطيط اي في اقتناعهم وسلوكهم وحياتهم ..

لننظر بجزع او بلا جزع الى ما يحدث في هذه الاوقات ..

لقد اعطت هذه الحضارة كل هذه الاجهزة الناقلة للاصوات المحابية للمصوتين والمعلنة عنهم بسفه ونفاق خسيس ، المحولة لهم الى وقاحات وبذاءات ودمامات عالية، وتتساقط في كل الاوقات من كل الاجهزة على جميع الاذان حتى على الاذان البريئة والعفيفة والمصابة بالاستحياء وبموهبة الاشتمزاز والغثيان رفضا للقبح والسفه والوقاحة والغباء والخسة .. ما اقسى وأوقع عدوان هذه الاجهزة على جميع الاذان .. الاذان الجيدة والرديئة ، الذكية والغبية ..

لقد فعلت هذه الحضارة كل ذلك دون ان تصاب بالندم أو باحاسيس المذنب بالخسيس المحتاج الى الاعتذار والاستغفار والتراجع والى اقامة الحراسات على بشرتها وكرامتها والى تشديد هذه الحراسات ..

نعم ، لقد فعلت الحضارة كل هذا وكأنها انما تريد ان تدلل على ان الحضارات والعبقريات التي تبديها ليست مستوى كرامة او شرف او نظافة او كبرياء او اختيار او اشتراط او استنحاء او حتى مستوى ذكاء او ضمير او حب ، حتما هي مستوى قدرة وضرورة . .

لقد فعلت الحضارة كل هذا وكأنها انما تنوي التذليل والاقناع بل والاعلان على ان اية حضارة ليست مستوى قلب او كرامة او تقوى او اخلاق ولكنها مستوى عضلات واطراف وانياب . . على أن أية حضارة ليست مستوى حضارة بل مستوى قدرة او ليست مستوى انسان متحضر يحب ويختار ويشترط ويقبل ويرفض ويعجب ويشتمز ولكنها مستوى كائن همجي قادر ذكي مبدع خلاق فاجر نذل يبيع ويعرض موهبته الخلاقة ويلقي بها دون اسف او تائم او شعور بالحرج او الذللة والسقوط ، يلقي بها تحت كل الاقدام والاهواء وفي كل الحفر والزبالات والاوحال . . يلقي بها تحت اقدام الانذال والاحساء لتكون طعاما ومجدا وشهرة لاذلتهم وخستهم وشهواتهم الهمجية اكثر مما يضعها في ضمائر الاتقياء والشرفاء والاذكيا لنتكون وقودا وتكريما وتحية وقوة لضمائرهم ولتقواهم وشرفهم وذكائهم . . كانها اي الحضارة انما تريد ان تدلل على انها مهما صعدت فوق تحقيقات كل النجوم فانها لن تكون بلا اقدام تمشي بها الى الهوان والنفاق والحضيض والذللة وفوق ذلك .

نعم ، وماذا مما صنعت واعطت هذه الاجهزة الناقلة للاصوات المحابية للمصوتين الملعنة عنهم بلا وقار او حياء او ذكاء او كبرياء او تقوى ؟

لقد كان مما اعطت وصنعت هذه الاجهزة ان اصبح العزب يلحون جميع مشاكلهم ، وينتصرون ويتفوقون على جميع الاعداء والمنافسين ، ويلدون ويهبون اكثر واضخم العبقريات ، ويرهبون بمزاييهم وقوتهم وخططهم كل العالم ، ويعرضون امجادهم وقبور ابائهم الواهبة للحياة كل امجادها ، اعني يثبتون هذه الامجاد . . نعم ، ان اصبح العرب يفعلون ويثبتون كل ذلك مجددا ومكررا ، كل الاوقات ، على طول امتداد الليل والنهار .

اذن في اليوم الواحد كم يثبتون ذلك ويهبونه ويجدونه ويقتنعون ويقتنعون به ؟ انهم في اليوم الواحد يفعلون ذلك اثباتا واقتناعا واقناعا وعتاء بقدر ما يصوتون متحدثين عنه وعن انه كذلك ، اي كما تحدثوا وصوتوا عنه . وفي اليوم الواحد كم يصوتون ويتحدثون ؟ عجبا ! . . العرب يلدون وجودهم وتاريخهم اللذين هما كل التاريخ والوجود كلما تحدثوا عنهما . اذن كم يلدونهما في اليوم واللييلة ؟

نعم ، في اللييلة الواحدة واليوم الواحد بهذه الاجهزة النبيلة الخسيصة كم يبديع ويهب العرب من الحضارات والعبقريات والانتصار والامجاد والبطولات والنبوات ومن القبور الواهبة للحياة وللأشياء كل شرفها وتقواها وتفاسيرها وذكائها ؟ كم يلحون من

هذه القبور في اليوم الواحد واللييلة الواحدة ؟ انهم يلدون ويشيدون ويبدعون ويهبون من ذلك في اليوم واللييلة بواسطة هذه الاجهزة العريضة الذليلة بقدر ما يتحدثون فيها اي في اليوم واللييلة . .

وكم يتحدثون في اليوم الواحد واللييلة الواحدة لنعرف كم يعطون ويلدون ويشيدون ويبدعون من ذلك في مثل هذه المدة ؟

وكم يجب ان نشفق على خيالنا لو اننا تصورناها قد التزمت بان تحصي ما يعطيه ويلده ويبدعه العرب في اليوم الواحدة واللييلة الواحدة مما لا يستطيع ان يبدعه او يعطيه او يفهمه او يحترمه او يلده سوى الانسان العربي ؟

اذن ما اعظم ما تهب هذه الاجهزة للانسان العربي من نشوات ومسرات وتذليل واستمتاع وروحي ومنبري وقومي ومذهبي واخلاقي ومن محابة لجوعه الدائم الى النزق والعرض للذات والاعلان عنها والى خوض المارك والخاصات والمفاخرات والبارزات بالشئائم والبذاءات والصهيل والمباهاة بالقبور وبالامجاد التي لم تخلق الا في القبور ولم ترو الا عن القبور والتي كل روايتها يعيشون في القبور . هل توجد قبور يعيش فيها من الامجاد مثل ما يعيش في القبور العربية ؟ ليست كل امجاد العرب أمجاد قبور اي امجادا تعيش في القبور اي تروي عنها .

نعم ، ما اعظم ما تهب هذه الاجهزة من ذلك القادة العرب ولزعمائهم وحكامهم وانبيائهم ولكل مصوتيههم وفصاحيهم ومفتضحهم الكبار ولقبور ابائهم كذلك . انه لا يوجد مكان تعيش فيه كل الامجاد والعبقريات التي كانت والتي سوف تكون والتي لن تكون سوى القبور العربية .

لقد جعلت اي هذه الاجهزة حاجتهم الدائمة الى الافتضاح المحلي والدولي تعيش في مهرجانات دائمة ضاجة من الرقص والغناء والعرض والبصق على الذات وعلى الاخرين وعلى كل شيء ، بكل اساليب جنون ونزق وكبرياء السعادة والفرح والانتصار . هل يوجد من يسعدون ويستمتعون بفعل الافتضاح معلنا وضاجاوعاليا مثل الزعماء والقادة العرب ؟ اذن هل كانت الحضارة حينما ابتكرت هذه الاجهزة تدبر لفصح الانسان العربي ؟

ان ها هنا لتفسيرنا اليما وحزينا للبشر ، لهم جميعا او لاقلمهم او لاكثرهم . انه لتفسير فادح وكالح في دلالاته . .

ان في البشر من يشعرون او يحسون او يعتقدون ان ادعاء الشيء او التحدث عنه او تهديده او مشاتمته ومخاصمته باصوات عالية وباساليب اعلانية مثيرة اعظم اعطاء للمجد والسعادة والقوة والشهرة والراحة والرضا من امتلاك الشيء او من تحقيقه او من كينونته كما يراد ويطلب به او من هزيمته والانتصار عليه ، اي اذا كان ذلك

اي امتلاكه او تحقيقه او تحققه او هزيمته والانتصار عليه بصمت ووقار ، او اذا كان ذلك يعني حتما الكف عن الادعاء والتهديد والمشاتمة والمخاصمة والمبارزة بصهيل ينزف نزقا وغرورا وتوترا وتوقحا . ليست الشتائم والوقاحات والبذاءات والمخاصمات والملاعنات الضاجة النزقة هي اكثر صلوات وفنون البشر عالمية واصالة وتقوى وصدقا وحماسا وروحانية ولسعادا ؟

اجل ، ولعل كثيرا من الناس يفضلون ان يكون لهم اعداء لكي يشانتموهم ويهدوهم ويكرهوهم وينذروهم وينذروا بهم باساليب اعلانية متهيجة ، على ان يكونوا بلا اعداء واحيانا على ان يتحول الاعداء الى اصدقاء . أليس شيئا قاسيا بل مميتا ان يكون المرء بلا شيطان او عدو رجيم يصرخ بلعنه وذمه واتهامه وتوعده وكرهاته ؟ أليس حتما ان آخرين يختارون - بحثا عن المجد والنشوة والسعادة النفسية - ان تكون لهم قضايا ومواقف يجدون من يخالفونهم فيها ليتهموهم بالضعف والضلال والغباء ومجانبة الحق والصواب وليزعموا لانفسهم التفوق في الفهم والذكاء والاهتداه الى الصواب باصوات عالية وعدوانية ومتكبرة وبذئثة .

نعم ، يختارون ذلك على ان يكون كل الناس رعايا عقليين ومذهبيين لهم وموقفين في كل ارائهم ورؤاهم ، اذا كان ذلك يعني صمتهم ووقارهم وحرمانهم من الادعاء والضجيج والمخاصمة والاتهام والتشنيع ؟ أليس في الناس من يتقبلون ان يحرموهم من الحرية والكرامة والذكاء والسعادة ، ولكن هل فيهم من يقبلون حرمانهم من المخاصمة والمشاتمة والتشنيع ؟

نعم ، وقد يسعد بعض الناس ان يكون لهم حق او شيء يطالبون به ويدعونه بصياح وتهيج وتكرار وباساليب دعائية صارخة ويتوعد وباعجاب بالنفس وبما سوف يخططون ويفعلون للاستيلاء على ذلك الحق أو الشيء بضربة سوف تصيب كل العالم بالذمول وهول المفاجأة اكثر مما يسعدهم الا يكون لهم حق او شيء تشقيهم المطالبة به والخوف عليه ، او اكثر مما يسعدهم ان يجيء اليهم ذلك الحق أو الشيء مطيعا تائبا ليسقط في احضانهم وجيوبهم باستسلام ومحبة وشوق ، اي اذا كان ذلك يعني ان يصبحوا كراما في صمتهم وتهذيبهم وفي كنههم عن الضجيج والادعاء والبذاءات وعن مشاتمة ومخاصمة النجوم . . .

نعم ، اليس الوقار والتهذيب اللغوي والاخلاقي والماعطي هو اقنسى اساليب التعذيب ؟ . . .

وايضا قد يرضى قوما ان تكون لهم مشاكل وهموم والام واخطار ومواجهات صعبة ليشكوا منها وليتحدثوا بكل الجهر والاعلان والفضاحة عن صبرهم وتحملهم وعن قدرتهم على المقاومة والتحدي والانتصار ، وعن ان الاخطار والاحداث القاسية

الايمة تخصصهم بحقدما وعداواتها وبغضائها بقدر ما تعرف من ضخامتهم وقوتهم وتفوقهم واصالتهم في المقاومة والتحدى . . .

نعم ، قد يرضى هوما ان تكون لهم كل هذه المشاكل والهموم والالام والاختار ليواجهوها وليخاطبوا بهذا الاسلوب اكثر مما يرضيهم الا يكون لهم شيء من ذلك وحينئذ يتخاطبون مع انفسهم ومع الاخرين بصمت او بهمس او بجهر ولكن بلا ادعاء او غرور او اعجاب بالذات . هل يمكن ان يعاقب انسان باقسي من ان يفرض عليه ان يكون صامتا او هامسا في كل موقف يكون الصمت فيه هو المطلوب او المفروض او الوتار او الذكاء ؟

ايهما يختار رجال الدين ومحاربو الشيطان ومعلمو الاستقامة والتقوى : ان يكون هناك فساد حاد شامل لكي يضحوا بمقاومته وذمه ولعنه ، ولكي يعلنوا انهم هم جيش الانقاذ والحماية منه ام الا يكون هناك اي فساد ، وحينئذ يحكم عليهم بان يغمدوا السنتهم وسيوفهم الخسبية وينزلوا من فوق منابرهم ويحرقوا صحائف توراتهم واناجيلهم وقرآنتهم الضاجة بالمواعظ والتعاليم المهدة ؟ بايها يسعدون ويجدون مجدهم ورضاهم عن انفسهم : بهذا ام بهذا ؟ ايها الشيطان ، انه لرجو منك بل انه لظنون بك الا يصيبك الغرور والكبرياء والا تتراجع عن وجودك وبقائك او عن عملك حينما تسمع هذا الحديث عن مزايك ونفعك .

اجل ، ايهما يختار محاربو الشيطان ولاعنوه والواعظون ضده : ان يكون موجودا ام الا يكون ، ان يكون مطاعا ام معصيا ؟ ايها يهبهم السعادة والمسرة : وجود الشيطان مع لعنه والوعظ والتعليم والصيح خوفا وتحذيرا منه ، ام فقده مع الصمت عنه ؟ . ومرة اخرى ، حذار ايها الشيطان ان تنتحر او تتوقف عن رسالتك لكي تحرم السعداء بك من سعادتهم . ابق ايها الشيطان نبيلا كما كنت دائما .

لماذا رأى الله واختار ان يجيء الشيطان ويبقى ، ان يجيء بكل هذا السلطان والقوة والانتصار والمجد ؟ أليس التفسير لذلك او بعض التفسير ان الله قد رأى واختار ذلك لانه يريد ان يحقق السرور والرضا والمجد لنفسه بالاستغلال بسبه اي بسبب الشيطان وذمه وبالتحذير منه والحديث عنه والتخويف به والتعليم ضده ، وبانه سوف ينتقم منه ومن اتباعه وسوف يعد له ولهم كل اساليب والوان العذاب ، وبانه في النهاية لا بد ان يكون هو المنتصر القهار ؟ هل يمكن تصور تعذيب وحرمان للاله مثل تصور حرمانه من متعته الوحيدة التي هي السب والذم والتحذير والتخويف بانتقامه وعذابه والاعلان عن قوته وانتصاره المحتوم ؟

ليس كل التفسير او بعض التفسير لتدبير الاله مجيء الشيطان بالجبـروت الذي به جاء ان الاله يريد ان يكون شاتما مخاصما مهددا معاديا غاضبا مبغضا مخاطبا بكل اصوات البشر بل بكل اصوات الكون لان ذلك يسعده ويفرحه ويمجده

ويشهره ويستعرضه ، ولا شيء يخفيه ويخمده ويحزنه ويذله بل ويقتله مثل الصمت والوقار والاعتزان والتعذيب ومصالحة الاشياء والنفس ؟ هل يشقى احد بالصمت والوقار والتعذيب والاعتزان والحب والصلح مع النفس ومع الكائنات ومع الاشياء مثل الاله لو امكن ان يفرض عليه او يفرض على نفسه ذلك ؟

الاله يصلح الاشياء ويصالح نفسه ويلتزم الوقار والتعذيب ويترفع عن البغضاء والبذاءة والسباب ؟ الاله يفعل ذلك ؟ هل يحدث هذا ؟ هل يوجد اقبح او اقسى من حدوث هذا ؟ هل يوجد خيال اردأ من الخيال الذي يتصور هذا ؟ في اي شيء حينئذ يجد الاله سروره او مجده او رضاه عن نفسه او اعجابه بها لو انه صالح الاشياء وصاغها كما يطلب وكما يقول انه يريد ما فكف عن البغضاء والوعيد والسباب والاتهام والتعيير اي فحكم عليه بالصمت والوقار ؟

هل يمكن ان يوجد او يتصور اعظم قسوة وعدوانية من هذا التصور ؟ اليس يستطيع اي الاله ان يصلح الاشياء ؟ لماذا لم يفعل ذلك ؟ هل لهذا تفسير غير انه يسعد بالخاصة السالبة الصالحة ؟

ماذا لو ان البشر ومعهم جميع الالباسة احبوا الاله او خافوه او احترموه او رثوا وتعذبوا لعذابه بعصيانهم له وخروجهم على اوامره وشهواته فتشاوروا وتفاوضوا فقررروا ان يطيعوه وان يكونوا جميعا كما يريد ويطلب ويعلم لكي يصبح غير محتاج الى ان يبغض ويلعن ويهدد وينذر ويذكر بقوته وجبروته وعقابه وانتقامه وبعبقريته في المكر والخداع والتدبير ، مؤكدا انه في النهاية ودائما هو المنتصر الاقوى الاسمى - لكي يصبح غير محتاج الى ان يفعل كل ذلك بكل اساليب الصراخ وافانينه ولغاته ، فوق كل منابره وفي كل محاربيه ، بل لكي يصبح محروما من كل ذلك ومحرمنا عليه كل ذلك - لكي يريحوه من عذاب ووقاحة الغضب والبغض والكيد والخداع والتدبير للعقاب والانتقام والاصياح ٠٠ ؟

نعم ، ماذا لو ان جمع البشر وجميع الالباسة فعلوا ذلك ؟ اليس المحتوم حينئذ ان يكون الاله قد وقع في ورطة لا مثيل لها في القسوة والتعذيب والحرمان ، وان يكون غضبه وسخطه وهياجه ولحياجه الى الانتقام والتعذيب اشد واحد ؟

بل اليس محتوما حينئذ ان يدبر اي تدبير او يخلق اية قوى شريرة اخرى او اي ابالسة اخرين لكي يكون معصيا مخروجا عليه ، ولكي يجعل البشر والالبالسة القتماء الذين استقاموا وتابوا عصاة من جديد كما كانوا ؟ هل يوجد في التصور متأمرين على الاله في قسوة من تأمروا عليه ليكون كل شيء كما يأمر ويريد ويطلب ويعلم ؟

اجل ، اليس محتوما حينئذ ان يذهب أي الاله يدبر هذا للتدبير لكي يصبح معصيا منبوذا ، لكي يصرخ غاضبا لاعنا مهددا متهما مبعضا ملعنا عن تصميمه وعن قدرته على الانتقام والانتصار ، اي لكي لا يصبح محروما من سعادته الشاملة

العظمى ، اي من الصراخ بكل الاساليب واللغات والمفسر بكل الاسباب وللتفاسير وبكل المذاهب والاديان ؟

الاي يحتمل ان يفظن البشر الى ذلك فيحاولوا حينئذ باسلوب ماكر لثيم ان يعاقبوا الاله وان يوقعوا به ، ثارا وغبضا وانتقاما لانفسهم منه ، اي استردادا لشيء من الحسابات والديون الثأرية الاليمة المتراكمة عليه لهم مما اوقع وفعل بهم ، اي بان يتحولوا جميعا ومعهم جميع الالبالسة الى مستقيمين مطيعين له ، بالاسلوب والمستوى اللذين يطالب بهما بكل الصياح والاعلان والديمومة والشمول .

نعم ، الاي يحتمل ان يفعل البشر والالبالسة ذلك باسلوب ونية المكر والتوريط والانتقام الثأري لكي يحرموه اي يحرموا الاله من لذاته الكبرى في السباب والتهديد واللعنات وفي الغضب والبغضاء والادعاء والمباوزة الصوتية ، بكل اساليب الصياح من فوق جميع المنابر وفي داخل جميع المحاريب ، وفي طقوس كل الصلوات والعبادات وفي آيات كل توراة وانجيل وقرآن ؟

عجبا ! كيف لم يفظن للبشر والالبالسة الى ذلك ؟ او كيف لم يقدموا على هذا المكر العظيم ؟

الليس حرمان الاله من هذا يتفوق في قسوته على حرمان كائن خارق في حدة احساسه وحده الامه واشواقه وحبه واحتجاجه وغبضه واحزانه واحلامه - حرمانه من جميع حواسه، من جميع ادوات ولغات التعبير ومن جميع اساليبه وصيغه ؟ اذن كيف حدث هذا ؟ كيف لم يفكر البشر في الاخذ بالثار ؟ هل عجزوا ام جهلوا ام اشفقوا ورحموا ام تأدبوا ؟ الاي يمكن يوما ما ان يفظنوا اليها ويفعلوها ؟ كيف لم يعاقب البشر الاله بان يكونوا كما يريد منهم وكما يطالبهم لكي يحرموه من الغضب والتوعد وانزال اللعنات عليهم وبهم ؟

ولكن السؤال الحاد هو : هل الانبياء الذين يجيئون الى الارض رسلا للسماء ليطلبوا سكان الارض بان يكونوا كما تريد وتامر السماء اي لكي يذهب غضبها اي غضب السماء وحقدما ووعيديها وبغضاؤها ومطالباتها ونواهيها وأوامرها المزمجرة المرعدة - نعم ، هل هؤلاء الانبياء يعرفون تفاسير هذه القضية ، اي يعرفون ان الناس لو استقاموا كما يطلبونهم ويعلمونهم لوقع الاله في الورطة التي فسرت جيدا ؟ هل الانبياء يعرفون او يستطيعون التحديق في داخل ذات الاله لكي يعرفوا تفاسير شهواته ورغباته ونياته واخلاقه واوامره ؟ هل احد من الانبياء جرؤ على قراءة ضمير الاله ؟

ان كانوا يعرفون ذلك فكيف يدعون الى ما فيه كل الهدم لسرات الاله ولسعادته ؟ وان كانوا لا يعرفون فكيف يجهلون مثل هذا الذي يصعب جدا جهله ؟ هل الغباء شرط

في النبوة ؟ هل من شروط اختيارك نبيا الا يكون فيك اي قدر من الذكاء ؟ هل درست او فهمت هذه القضية بل هل طرحت او نوقشت ؟

لكن لعل الانبياء لم يجهلوا هذا ولم يخشوا بدعوتهم ان يفعلوا او يحققوا شيئا يضر بمسرات الاله او ينقصها او يهددها لانهم اي الانبياء يعرفون انهم مهما دعوا وعلّموا وجاءوا فلن يطاعوا ولن يقل الفساد او العصيان او الزندقات او ما يسمى ويحسب كذلك . هل يحتمل ان اي نبي قد يهبط في مستوى ذكائه او مستوى غفلته الى ان يظن ان تعاليمه قد تطاع او ان تصوغ من توجه اليهم اية صياغة ؟

انه لا احد يهجو ذكاء الانبياء مثل من يظن انهم كانوا يتوقعون التأثير في اخلاق الناس او في نياتهم بمجيئهم .

اما الاحتمال بان يتآمر البشر والابالسة على الاله وعلى مسراته فيذهبوا باسلوب المكر والخداع وبنياتهما يطيعونه ويلتزمون بكل الصدق والصرامة والشمول بكل ما يأمرهم ويطلبهم به وبكل ما ينظرون بانه يريد مناهجهم ، فهو احتمال يجب ان يبعد عن جميع مناطق التفكير والتفسير .

لقد دبر واحتاط الاله لنفسه في هذه القضية . لقد صاغ البشر والابالسة وجميع من يطلبهم بطاعته صياغة تجعل طاعتهم له مستحيلة ، مستحيلة بالامكان والقدرة والطبيعة والمنطق والاخلاق . . . وطالبهم كذلك مطالبات غير مستطاعة تحت جميع الظروف والنيات والحواجز والوعيد والتهديد وتحت جميع اساليب الاغراء والرشوة . انه لمستحيل ان يستطيع اي نبي او قديس طاعة الاله او التأثير بتعاليمه واوامره مثل استحالة ان يهبط القمر ليصافح او يقبل او يشكر من يتغزلون به ويرنون اليه . . . اذن فلا خوف على الاله من احتمال هذا التآمر . . .

انه مهما كان الشك في موهبة الاله الفنية او الابداعية او العلمية او الاخلاقية فلا ينبغي ان يكون هناك اي شك في موهبته الكيدية او القتالية او العدوانية . . . انه لو انكرت جميع مواهب الاله لما امكن انكار مواهبه في التدمير والتقتيل والتعذيب والعدوان وكل انواع التخريب والاذلال ان كان هو مخطط وصانع وحاكم هذا الكون . . .

**

نعم ، ان الانسان كائن مصوت اي كائن شاتم ومبغض ومتهم ومخاصم ومعاد ومطالب ومدع ومهدد اكثر واعمق واصدق من كونه كائنا مفكرا او متدينا او مؤمنا او محبا او صديقا او قارئا او منتعيا او اخلاقيا او اجتماعيا ، بل اكثر واشمل واعمق واصدق من كونه كائنا جائعا او نائما او متناسلا . . .

ولكن الاساليب والمستويات محتوم ان تختلف وتتفاوت في ذلك . .
 انه لو كان محكوما على البشر ان يختاروا - ان يكون كل شيء كما يريدون
 ويطلبون ، اي ان تصاغ الاشياء والاحداث والكون والآخرين كما تريد احتياجاتهم
 ولكن بشرط ان يحرم عليهم التصويت بكل لغاته ، اي السباب والاتهام والمخاصمة
 والمبارزة بالكلمات ، وايضا الادعاء والتهديد والبغضاء الجاهرة المعلنه المفسرة بالاديان
 او بالمذاهب أو بالاخلاق او بالتاريخ ، وكذلك تحويل الحاربي والمنابر الى مصاهلات
 متحذية متكبرة متفجرة غضبا وغيظا وحقدا ونزقا - او لا يكون ذلك كذلك لتبقى لهم
 كل اصواتهم بكل لغاتها وتفاسيرها واسبابها واساليبها وعلانيتها الاستعراضية
 المتواقة المتباهية .

نعم ، انه لو حكم على البشر ان يختاروا بهذا الاشتراط او بهذا التقييد لكان
 محتوما ان يحملوا السلاح بل ان يقاتلوا باسنانهم واطافرهم لثلا تكون الاشياء
 والاحداث والكون والآخرين كما يريدون ويطلبون ويتمنون ويحتاجون .
 ولكن مرة اخرى : لا بد من الاختلاف والتفاوت بين البشر في ذلك . وقد
 يكون الاختلاف والتفاوت حادين في الاساليب والمستويات وفنون التعبير . .

اني لانتظر الصفح والغفران او التسامح ان كان محتوما اني سوف ابدو مكررا
 هنا . . وهل يعتذر عن التكرار ؟ هل الذي يكرر غضبه او احتجاجه او اشمئزازه
 او حزنه او رفضه او حبه او كرهه او هتافه لتكرر اسباب ذلك - هل الذي يفعل ذلك
 يحتاج الى اي اعتذار ؟

ان التصويت ليس وظيفة يراد بها ان تحقق شيئا . انه اي التصويت ليس
 تخطيطا او تدبيرا لو تفسيره او تفكيرا او توظيفا ، ليس عملية حسابية من اي
 نوع . ان الانسان يشتم ويحقد ويبغض ويدعي ويفاخر ويحقر ويخاصم ويعادي بصوت
 مسموع ، وكذلك يئن ويبكي ويتأوه ويعط ، انه يفعل ذلك بالنية والمنطق اللذين
 يصوت بهما اي حيوان جيد او ردي . . ان صوت اي واعظ او معلم من فوق اي منبر
 لا يحمل من التأثير او الوعظ والهداية اكثر مما يحمل صوت اي حيوان يئن من الالم . .

لماذا يهتف الناس بالهتف وانبيائهم وقديسيهم طالبين منهم ان يهبوهم او يهدوهم
 او يعلموهم او يشفوهم ، أو ان يقهروا الاعداء والابالسة ويذلوهم وينصروهم عليهم؟
 لماذا يتضرعون اليهم بكاء وتوهج وارتجاف ونحيب طالبين اليهم ان يتحكموا
 في آلية الطبيعة او في حماقاتها وضرباتها الالية العمياء - ان ينزلوا المطر او يمنعوا
 او يزيلوا الاوبئة او يعافوا المرضى والمشوهين او ينصفوا المظلومين والمقهورين
 والمهانين - طالبين الى الالهة ان تكون افضل مما ارادت ان تكون او اقدر مما استطاعت
 ان تستطيع ، طالبين الى زارعي القحط والبغضاء ان يزرعوا النجوم باللحوم
 والمحبة ؟ . .

لماذا يفعلون ذلك وامثاله بكل هذا الاصرار والديمومة وبكل هذه الاساليب العالمية ؟ انهم بالتجارب الطويلة التي لا تختل ولا تختلف بل وبالاحاسيس المختلفة يعلمون ان هؤلاء الالهة والانبياء والقديسين لن يستجيبوا لاحد ولن يصنعوا او يستطيعوا ان يصنعوا شيئا مما يطلب منهم . ان تاريخهم الطويل بريء من كل معاني الاستجابة واحتمالاتها . انه لا احد يملك من البراءة مثلما تملك الالهة من براءة الاستجابة . .

ان المريض الذي يهتف بالالهة او الانبياء والقديسين او بالارواح الغيبية الخفية، طالبا منها الشفاء ليعرف بالتجربة الطويلة الممارسة او المشاهدة اي بالتجربة في الذات او في الاخرين ، انها لن تستجيب ولن تستطيع ان تستجيب الا بقدر ما يستطيع السرير او الكرسي الذي ينام او يجلس عليه ، او الا بقدر ما يستطيع المريض المجاور له ، ان يشفيه لو انه طلب منه ذلك . بل كلا . ان السرير او المريض المجاور ليستجيب للمريض المستغيث اكثر واقوى من الالهة وارواح الانبياء والقديسين استجابة لن يستغيثون بها .

ان المريض الذي ينادي بانين ورهبانية : ايها الاله اشفني ليعرف بالتجربة والاحساس انه لن يجد من يسمعه او يستجيب له اكثر من ان يجد العاشق المهوف من يسمعه او يستجيب له حينما ينادي باحترق وجنون حبيبي الذي قد مات : تعال الي ، تعال ، اني في انتظارك ، او حينما ينادي القمر المتثائب من البلادة والكسل والضياح في الفراغ الكئيب : اهبط الي ، اهبط الي لابحث في وجهك وجيوبك وضميرك عن حبيبي الذي ضاع ! . .

نعم، انهم لكثيرون اولئك الذين يظنون ان وجوه احبابهم مخزونة في وجه القمر . . لهذا يرونها حينما يرونه . .

والالهة والانبياء وسائر المعلمين لماذا يصرخون دائما من فوق جميع المنابر وداخل جميع المحاريب بكل اساليب التهديد والغضب والغيظ والسباب ، يطالبون البشر بان يكونوا كما يعلمونهم ؟ انهم يعلمون ان البشر لن يكونوا كذلك وان تعاليمهم لن تصيب الشيطان او المسمى شيطانا الساكن في اعضائهم وشهواتهم ومجاعاتهم وضعفهم وفي قوانين الحياة فيهم ، لن تصيبه بأي قدر من الضعف او الحياء او الهزيمة او الادب او من الاشفاق على ضحاياه او من الرغبة في الستر عليهم واخفاء نقائصهم وضعفهم . . انه لا احد يهجو ذكاء الالهة والانبياء والمعلمين مثل من يعتقدون انهم اي الالهة والانبياء والمعلمين يظنون انهم قد يصيبون الشيطان بأية هزيمة بتعاليمهم . .

والاباء الذين ينهرون ابناءهم الاغبياء او المعتوهين او المصابين باي عجز عقلي او نفسي او بدني ويوجهون اليهم النصائح والوامر ليكونوا اذكيا وعقلاء واصحاء واقوياء . ماذا يريدون من هذا التوبيخ وهذه النصائح والوامر ؟ هل هي سذاجة او وقاحة او قسوة او شماتة او اعلان ودعاية او استمتاع بالسلطة ؟

ان هؤلاء الاباء ليعلمون ان ابناءهم لن يكونوا كما يريدون لهم بصياحهم بهم نهرا وتوبيخا ونصحا . ان صنيعهم هذا يساوي صنيع الاب الذي ينهر ابنه او يسبه لانه قصير القامة او اسود اللون ، ويذهب يطالبه بان يكون بالنصائح والامر والوعظ طويل القامة وابيض الجلد . . .

نعم ، أليس جميع الاباء يعلمون ويأمرون ابناءهم القصار السود البله بان يكونوا عمالقة وعباقرة وبيضا ؟

ان هؤلاء ليسوا موظفين أو مخططين أو مدبرين يريدون أن يحققوا شيئا مما ينادون به أو أي شيء آخر . انهم ليسوا الا مصوتين ، لا يعنون او ينوون الا ان يصوتوا . ان ما صوتوا عليه او له او به او باسمه ليس هو سبب تصويتهم او سبب حاجتهم الى التصويت ، ولكنه هو المصوب اليه والمسقط عليه تصويتهم والمفسر به والمعلن باسمه . انه هو الذي وضع عليه الشيء وليس هو الذي له الشيء او من اجله الشيء او خالق الشيء

انه هو المكذوب به وليس المكذوب له والمبصوق عليه لا المبصوق من اجله . . . ان ما يصوتون عليه أو له أو به أو باسمه هو الذي فعل به وليس الذي فعل من اجله . ان الشيء الذي يصوت عليه أو له أو به أو باسمه هو من اجل المصوتين وموظف عندهم ولهم وليسوا هم من اجله ولا موظفين عنده أو له أو فيه . . . ان الذي يصلي أو يهتف أو يحقد ويشتم باسم اله أو مذهب ليس في نيته التكريم بل الالتقاء بالاحوال الذاتية . . .

انهم لو لم يجدوا هذا الذي صوتوا له وعليه وبه وباسمه لصوتوا باسم شيء آخر أو لاجدوا شيئا آخر لكي يصوتوا باسمه وعليه وله وبه ، أو لصوتوا بدون أي شيء . . . ليس الذي يشتم ويحقد ويكره باسم اله أو مذهب أو باسم اية قضية أخرى يشتم ويحقد ويكره أيضا بلا اله أو مذهب أو قضية ؟

اجل ، ألم يوجدوا الالهة والانبياء والمذاهب والاديان والتعاليم والتاريخ والخصومات والخلافات والحدود المقسمة لكي يصوتوا باسمها وعليها ولها وبها مع أنهم يصوتون ايضا ودائما بدون هذه التي تتحول الى تشريع لتصويتهم ؟

ان المصوتين لا بد أن يصوتوا حتى ولو جاء تصويتهم ضد ما يصوتون له وعليه وبه وباسمه ، حتى ولو جاء تصويتهم اساءة وهزيمة وفسادا وتحقيرا وفضحا له أي لما يصوتون باسمه أو من اجله فيما يزعمون . . .

ان الذين يصوتون باسم شيء أو من أجله في زعمهم لا يستأذنون ذلك الشيء ولا يحاورونه بحثا عن مصلحته ورايته .

أليس أكثر تصويت البشر على الأشياء التي يزعمون انهم يصوتون من أجلها ودفاعا عنها واحتراما وتأييدا وتقوية لها هو تصويت يتحول الى اعتداء عليها والى اهانة واضعاف وفضح وتشويه لها ؟ هل وجد أي مذهب أو نظام أو دين أو الله أو زعيم لم يتحول التصويت له وباسمه الى تشويه وفضح له ؟

هل الذين يشتمون أو يبغضون أو يحقدون أو يعادون أو يتهمون أو يخاصمون أو يبارزون أو يتحدون أو يتوقحون ويتكبرون أي يصوتون باسم الهتهم أو أنبيائهم أو زعمائهم أو أوطانهم أو مذاهبهم واديانهم ، ويصوتون لها ومن أجلها فيما يعلنون . - نعم ، هل هؤلاء يحاسبون أو يحاورون تصويتهم ليعرفوا انه نافع وناصر لما يصوتون باسمه وله وعليه ومن أجله ؟ هل يفعلون ذلك أو هل فعلوه بحساب وصدق وإخلاص واهتمام ، ثم صوتوا أو كفوا عن التصويت خضوعا لما دلتهم عليه محاسباتهم ومحاوراتهم ؟ هل وجد من يحاكمون أو يحاورون أصواتهم لمصلحة ما يزعمون انهم لا يصوتون الا من أجله دفاعا عنه ، وحبًا وانتصارًا وتمجيديا له ؟

لو أن التصويت الذي يدعى ويحسب كلاما ، أو لو أن الكلام الذي هو تصويت كان تدبيرًا أو تخطيطًا أو وظيفة أو عملا محسوبا ومحاسبا بالنتائج فماذا يمكن أن يصيب هذه الاجهزة الصوتية العالمية ، الاذاعة والصحافة والتلفزيون في كل بلدان العالم وتحت كل نظمه ومذاهبه وانتماءاته ؟

ماذا يمكن حينئذ أن يكون مقبولا بقاءه أو مسموحا ببقائه من هذه الاجهزة ؟ نعم ، لو أن هذه الاجهزة لم تكن تصويتا فقط من أجل التصويت فقط ، أي لو انها كانت عملا يخطط ويوظف ويحسب ويحاسب بما يعطي من منافع وقيم دولية أو محلية ، مادية أو اخلاقية أو نفسية أو انسانية أو تعليمية أو سلامية .

- نعم ، لو ان هذه الاجهزة كانت كذلك فماذا يمكن حينئذ أن يبقى منها ، وكيف يمكن حينئذ ان تستقبل أو تعامل أو تصاغ ؟ كيف يمكن حينئذ ان تكون حاجتها الى التأديب والتهذيب والتشذيب ، بل الى العقاب الشديد ؟ هل توجد اية خطيئة عالمية تستحق من المحاكمة والمعاقبة مثلما تستحق هذه الاجهزة العالمية ؟

ان هذه الاجهزة الصوتية ليست الا مأساة عالمية متجددة مفخورا بها مصرا عليها موهوبة كل الاهتمام والعناية والتمجيد بأسلوب ومنطق عالميين . .
انها ليست الا مأساة عالمية اذا كان المفروض والمطلوب أيضا أن تكون عملا يخطط ويحسب ويحاسب بما يعطي ويصنع من المنافع والقيم الحضارية والانسانية المختلفة .
ولكن أليس مما يغفر لها ويخفف من ايذائها وعدوانها ان العالم كله يعرف انها ليست ألا تصويتا عالميا ؟

لقد أصبحت هذه الاجهزة ورطة عالمية .. أصبحت شقاقتا وبغضاء ومخاصمات وتحريضا على الحقد والخوف والانقسام والعداوات والتربص بأسلوب عالمي لا مثيل له في الشمول والمجاهرة والديمومة ..

انها تحريض على جميع الشرور بوجهه كل العالم ضد كل العالم بأكثر الاساليب ديمومة وشمولا والحاحا .

لو أن منظمة او هيئة أو جماعة دولية ألقت من رجال موهوبين كل الاخلاص والصدق والنزاهة والشجاعة والحياد والذكاء والمعرفة والعمق والعدالة ، ليكون عملها محاسبة ومحاكمة هذه الاجهزة الصوتية العالمية ، اي الاذاعة والصحافة والتلفزيون وكل ما هو كذلك ، لتغير أي هذه الجماعة الدولية من هذه الاجهزة ولتزيد وتنقص بل وتمنع وتعاقب كما تقول لها محاكمتها ومحاسبتها ورؤيتها - نعم ، لو أن ذلك حدث فماذا يمكن أن تكون النتيجة حينئذ ؟ حتما ستكون النتيجة حزينة وفضاحة بل مروعة ..

ان هذه الجماعة الدولية لا بد أن تصاب حينئذ بالهلع مما تصنعه هذه الاجهزة الصوتية من تخريب وفساد وعدوان .

هل يمكن حينئذ ان يترك جهاز واحد من هذه الاجهزة في أي بلد من بلدان العالم المختلفة الانتماءات والمستويات كما هو ؟ أليس محتوما أن تعاب وتشذب وتهذب جميعا ، وان يحاكم ويعاقب ويحرم ويمنع أكثرها ؟ ثم أليس محتوما أن تختصر وتصغر كلها ؟ حتى أفضلها واذكاها واعظمها نبلا وحبا ووقارا وصدقا لا بد أن تختصر جدا بل الا يبقى منها الا الشيء القليل جدا .. ان اخضاعها حينئذ للمنطق والحساب والمحاكمة لا بد أن يخرسها ويحولها الى فترات عاقلة قليلة كفترات الحب العاقل العميق .

هذه الديمومة والضخامة والشمول والعالمية في التصويت ، كل لحظات الزمان بكل الاساليب والوسائل كيف تكون مقبولة أو مغفورة أو نافعة ، حتى ولو كان هذا التصويت هو اعقل واتقى واعدل الاصوات ؟ كيف ، وهذا الاعقل الاعدل الاتقى هو الاقل بل هو النادر الذي يتحول وجوده الى شذوذ وسماعه الى مفاجأة مثيرة ؟ انك لساذج سذاجة تستحق كل الرثاء لو توقعت أن تسمع اية دعاية أو أية اجهزة صوتية محكومة بكل حسابات العدل والصدق والعقل والذكاء والوقار والنقوى .

ليكن .. هذا البلد أو النظام أو الحزب أو المذهب أو هذا الانسان مثلا له قضية مع آخرين أو مع نفسه ، وهي قضية عادلة وهو يتحدث عنها بتهذيب وذكاء وعدل، ولكنه يتحدث عنها كل الاوقات بكل كل اللحظات ، بكل الاجهزة ، بكل الافواه والاقلام والاصوات ، في الصحافة والاذاعة والتلفزيون وفي الكتب والنشرات ، بل وفي الصلوات .. فهل يقبل أو يغفر هذا ؟ بل هل يمكن أن يكون هذا مفيدا او ناصرا للقضية ، لاية قضية ؟

هل يمكن ان يكون التحدث عن أية قضية بكل هذه الشمول والديمومة مفيدا او غير ضار ؟ ..

أليس احتمالا جيدا أن مثل هذا الاسلوب قد يحول مثل هذه القضية الى نوع من العادة والاستساغة بل والهزل المتحول الى سخرية بل الى احتقار واشمئزاز ومضايقة تصنع النفور والغنيان ؟

أليس كل شيء محتاجا الى أن يحول الى اسلوب معين محكوم ومقيد بالشروط وبالالتزام الفني ؟

ليكن لك عدو محتل وطنك ومواقع منه وأنت مصمم على طرده بالحرب وبكل الوسائل الاخرى ..

حينئذ قد يكون معقولا أو مستساغا أو مفيدا أن تعلن مرات انك لا بد أن تفعل ذلك ، ان تعلن ذلك في الاوقات والظروف الملائمة ، باسلوب ذكي متوقر فيه تواضع وحزم واصرار وكرامة ..

لكن هل يمكن أن يكون من العقل أو الوفاق أو الذكاء أو المفيد لقضيتك أن تحول كل الاجهزة ، كل خفقات الزمن الى اصوات مجنونة محمومة منطلقة من جميع الانواء والاقلام ، تحت درجات متصاعدة من التوقد والتوهج والاحتراق والاحراق والبذاءة والنزق ، وأن تستمر تفعل ذلك أعواما أو عشرات الاعوام أو مئات الاعوام ؟ هل يمكن أن تظل قضيتك حينئذ قضية في احساسك أو احساس العالم ؟ الا يصبح حديثك عنها كالبكاء على الاموات والاطلال وعلى حبيب أو حب قد مات ؟

أليس محتوما أن تتحول حينئذ أنت وقضيتك الى مسلاة أو الى شماتة أو الى سخافة مألوفة قد تثير الاسفأق أو الاستهزاء دون أن تثير أي قدر من الاهتمام أو الاحترام أو التفكير أو التصديق أو حتى من الانزعاج أو الغضب أو الخوف منك أو من قضيتك ؟ أليس التصويت الدائم الطويل للشيء أو باسمه أو به أو عليه يسلبه نخوته وعفته وحماسته وبهجته وكرامته بل وبرأته كما حدث للصلاة والتضرع والهتاف للاله وباسمه ؟

ثم أليست جميع المجتمعات أو أكثرها أو كثير منها يصنع اليوم ودائما من وراء جميع اجهزته مثل هذا الذي تصورناك أو اتهمناك أو وجدناك تفعله أنت باسم قضيتك ؟ نعم أليس كل العالم أو كثير من العالم يعالج كل قضاياها أو يصوت عليها أو يصوت باسمها ، ولكن مع الافتراض المحتوم بأن تختلف وتتفاوت الصيغ والاساليب والمستويات في الذكاء والثقافة والتهديب وفي الأشياء الاخرى ؟ لننظر ماذا حدث لجميع الطقوس الدينية مثل الصلاة والدعاء والتضرع الى الاله ؟ ألم تتحول كل هذه الطقوس لديمومتها الى هزل وسخف والى موات ؟

ليس التصويت أو التحدث عن أية قضية عادلة - هنا نفترض القضية عادلة - يمثل هذا الأسلوب في شموله وديمومته، يشبه في اخف اساليب الحكم عليه أن تكون مريضاً أو مشوهاً أو جائعاً أو مظلوماً أو مهاناً أو عاشقاً أو غريباً أو حزيناً أو محروماً، فتذهب توظف نفسك وابناءك واقاربك واصحقاءك وكل من تستطيع توظيفهم ، لتصرخوا في جميع الاذان ، كل الاوقات ، بكل الاساليب ، في كل الاماكن ، بكل الاصوات واللغات ، متحدثين عن آفتك أو مشكلتك التي تقاسي ، لتستمروا تتحدثون وتصرخون كذلك أعواما عديدة و احيانا عشرات الاعوام ؟

لعلك ترى أن هذا شيء قبيح جدا بل شيء لا شبيه له في قبحة ، وأن مثله ليم يحدث قط ولن يحدث أبدا . لعل كل الناس قد يفعلون أو لا بد أن يفعلوا ما لا يصدقون انهم قد فعلوا أو قد يفعلون شيئا منه لقبحة أو لبلادته . . . ولكن ، كم يجب عليك أن تتجرع هذا . نعم ، انه لواجب عليك أن تقتنع بصبر وتحمل أن هذا أو مثيله هو الذي يحدث دائما ، هو الذي تفعله جميع اقطار العالم المتقدمة المهذبة والمتخلفة البديئة ، مصوتة أو متحدثة أو معلنة أو داعية أو ماحدة أو مفاخرة ومبارزة أو مخاصمة ، أمام جميع قضاياها ومواقفها وهمومها وانتماءاتها . ان كل العالم مفتضح بل مجنون بل أفتح وأردأ من مجنون في دعايته لقضاياها أو في تصويته لها وعليها .

نحن هنا نفترض القضية التي يصوت باسمها ولها بهذا الشمول والديمومة قضية عادلة ، ونفترض ان التصويت عليها ولها يجيء بأسلوب مهذب ومتواضع وذكي وانساني ، ومع هذين الافتراضين أو الشرطين لا بد أن يثيرنا قبح هذا التصويت لشموله وديمومته ولسخف نتائجه أو لحيي نتائجه مناقضة للنتائج المطلوبة والزعومة والمنظرة أن كان يوجد حقا من يينظرون أو من يطلبون أن تكون لمثل هذا التصويت نتائج جيدة تطلب وتنتظر أو نتائج من أي نوع . نعم ، أن كثيرا من الناس أو أكثرهم يفعلون ذلك غير مفكرين أو محدقين في النتائج أو محاسبين أو حاسبين أو قارئين لها . . .

ولكن كم هي القضايا التي يصوت أصحابها أو يتحدثون عنها بهذا الشمول والديمومة ملتزمين بالشرطين أي بأن تكون القضية عادلة وبأن يكون التصويت لها أو التحدث عنها مهذبا ومتواضعا وذكيا وانسانيا ؟ بل كم هم الذين يعرفون أو يتصورون أو يريدون أن يكون لتصويتهم على قضاياهم أي شرط من أي نوع ؟ بل كم هم الذين يصوتون لقضاياهم بأسلوب من يعتقدون بانهم يجب أن يكونوا خارجين على كل الشروط ؟

اذن كم من القبح والسخف والبذاءة والغباء والافتضاح والاثارة الاليمة ومن ألوان التحريض المنكر بل ومن الخسران في هذه القضية ، أي في موهبة الانسان الصوتية أو في كونه كائنا مصوتا ، وايضا في هذه الاجهزة الصوتية التي أعطت هذه الموهبة الصوتية في الانسان كل القدرة والظروف والتحريض لتعبر عن نفسها بكل هذا القبح؟

انه لا يوجد بلد واحد اليوم بل ودائما ليست له قضية أو قضايا عديدة يصوت باسمها أو يتحدث عنها زاعما أنه يهاجم بها ويحاول فرضها على الآخرين أو إقناعهم بها لكي يتحضروا ويتقدموا ويسعدوا بل ويعقلوا بل ولكي ترضى عنهم أسماء أو لترضى عنهم المذاهب والنظم الجديدة ، أو زاعما أنه انما يدافع عنها أي عن قضيته أو قضاياها ، ويحرسها من اللصوص والمتآمرين والغدارين المتسللين، يحرسها من الرجعيين والمغفلين والاستغلاليين أو من الزنادقة والمرتدين والهدامين .

– نعم ، انه لا يوجد بلد واحد اليوم ودائما ليست له قضية أو قضايا يصوت باسمها أو يزعم أنه يتحدث عنها أو يبدو وكأنه يتحدث عنها بهذا الشمول و الديمومة ، تحت بعض هذه المزايم أو تحتها كلها . هل حدث أن أحدا أطاع أو اعتقد أو أحترم أو أحب الله أو نبيه أو مذهبه أو انتماءه أو زعيمه أو قضيته بلا ملاعنات ومبارزات وعداوات وغرور ؟

أليس كل الناس في كل التاريخ الا النادر الذي لا بد أن يعد شخوذا كانوا ولأ يزلون يتقاتلون بالاصوات المتعادية المتلاعنة ، باسم قضاياهم المختلفة المتناقضة ، بلا أي مستوى أو قدر من الذكاء او الوقار أو الادب أو الحياء أو العدل أو الرؤية لأي شيء أو من المحاسبة للنتائج المطلوبة أو المنتظرة أو المزعومة ، بل أو من التفكير في هذه النتائج أو من الاهتمام بها ، بل دون أي حساب للنتائج المحتومة المضادة أو الثقات إليها أو رؤية لها مهما تفجرت في جميع العيون والعقول المتوقفة عن العمل ؟ أليس توقف العقول والعيون عن العمل هو الشرط الدائم لكي نحيا ونتقبل ولكي نجد ذكاء وعقلا ونرى جمالا في أي شيء ؟

هذا البلد ، وكل بلد هو مثل هذا البلد ، نعم ، هذا البلد قضيته أو قضاياها اله أو دين أو كتاب مقدس قديم جدا ، أو مذهب أو نظام أو رأي أو نبي أو زعيم أو معلم أو تاريخ أو موقف أو خلاف أو صراع أو عداء ، أو العديد من ذلك ، يحول كل الاجهزة المصوتة ، كل ثواني الزمن الى اصوات منطلقة من كل الافواه والاقلام ، بكل الاساليب الصوتية واللغوية والبلاغية والانفعالية اللفظية وبكل الغفلة والسماجة والوقاحة والكبرياء والادعاء ، وبكل الجذب والفراغ النفسي والعقلي والاخلاقي بل والاعتقادي من كل اقتناع أو تفكير أو رؤية أو صدق أو حب أو إخلاص أو محاسبة لأي شيء

– نعم ، يحول كل هذه الاجهزة المصوتة تحت كل هذه الظروف وبكل هذه الاساليب الى اصوات لتعلن أن قضيتها أو قضاياها ، أي الهها أو نبيها أو زعيمها أو دينها أو مذهبها أو نظامها أو رأيها أو موقفها أو كتابها المقدس أو خلافتها أو صراعها أو تاريخها أو عداوتها أو بغضها أو مخلصتها أو حزبها هي كل الحق والمنطق والعدل والاخلاق والتطور والثورية والحضارة بل وكل التاريخ والمستقبل وكل

الممكن والحتم المستحيل ما سواه . أليس كل البشر حتى العقلاء منهم جدا يرون أن كَيْل الوجود والجمال والحق والصدق هو فقط ما تراه عيونهم أو الهمم أو نبههم أو معلمهم أو زعيمهم ؟

الم تحاول أن تستمع الى هذه الاجهزة الصوتية الضاجة في كل بلدان العالم كل ثواني الزمان ، أو لم تضطر اضطارا الى سماعها ، أو لم يحدث أن هجمت عليك ، على اذنك وعقلك ووقارك بلا محاولة أو تدبير ؟ هل تستطيع ان تهرب باذنك أو بعقلك أو بوقارك أو باستحيائك من كل ذلك كل الوقت مهما حاولت؟ انه لا بد أن يكون قد حدث لك شيء كثير أو قليل من هذا . انه لامر أكثر من مستحيل ان تكون قد احتفظت امام هذه الاجهزة بكل عفتك ، بكل كرامة اذنك وحيائك واخلاقك . هل استحال الاحتفاظ بكرامة شيء مثل استحالة الاحتفاظ بكرامة الاذنين ؟ اذن كيف تصورت بشاعة أن يكون الانسان كائنا مصوتا أو بشاعة أن تبدع الحضارة هذه الاجهزة الصوتية ؟ هل تصورت حينئذ ما في كون الانسان كائنا مصوتا وما في احداث الحضارة لهذه الاجهزة الصوتية من عدوان على الحب والسلام والصدقات ، والذكاء والحياء والوقار ، وعلى التفاهم والعلاقات بين الناس واللؤلؤ ، وعلى براءة وصفاء النفوس وابائها على الاحقاد والبغضاء والمرارة والتربص والانفعالات المتوحشة المتفجرة غضبا وغيظا واستنفارا ؟

كيف لم يفعل العالم الباحث عن السلام والحب شيئا لاسكات أو تدمير هذه الاجهزة ، بل كيف لم يفكر ولو تفكيرا في ذلك ؟

كيف قرأت نفسك أو قرأت الانسان أو الاشياء حينما استمعت الى أحد بلدان العالم يصوت كل لحظات الزمان بكل هذه الاجهزة والافواه والاقلام ، بكل مستويات العقول والثقافات والاخلاق الرديئة والضعيفة ، ليزعم دون أن يستمع الى نفسه أو يصدق نفسه بل دون ان يريد الاستماع الى نفسه أو تصديقها ، بل دون أن يخشى من أن يستمع الى نفسه أو أن يصدقها لانه المحال والخطر للذان لا يستطيع التفكير فيهما أو في احتمال أن يعاقب نفسه بهما ، وكذلك دون أن يستمع اليه أو يصدق أحد ، أو أن يؤمل في أن يستمع اليه أو يصدق أحد ، بل ودون ان يريد أو يتقبل أن يستمع اليه أو يصدق أو يقرأ أو يفهمه أو يفسره أحد .

– نعم ، ليزعم تحت هذه الشروط والاحتياطات وبهذا التفسير لنياته ، ان دينه أو كتابه أو نبيه أو تاريخه أو عقله أو تقواه أو حضارته هي كل ما استطاعت كل عبقرية الالهة ان تراه وتريده وتختاره وتقدمه الى كل البشر في كل العصور ليؤمنوا به ويتبعوه ويبايعوه ويكونوه ، لكي يصبحوا كل اهتمام الاله وكل حبه ورؤيته وضميره وسروره وكل عضلاته وقوته وذكائه واخلاقه والا فلن يكونوا متقدمين ولا متحضرين أو اتقياء أو سعداء أو عادلين أو صالحين أو صادقين ، بل ولا شجعانا أو عابرة أو اذكياء أو محاربين أو منتصرين اذا حاربوا أو أن حاربوا ، – والا أيضا

فلن يجدوا الا جحيم الالهة وغضبها وعقابها المتوحش الذي لن يستطيع أي خيال كريم أو رحيم أو مهذب أن يصعد اليه أو يهبط اليه لابتعاده أي ابتعاد عقاب الالهة المتوقع به عن كل نماذج الخيالات الذكية والسوية والانسانية بل حتى عن كل نماذج الخيالات الشيطانية ؟ حتى الشيطان لا يستطيع تخيل هذا العقاب .

نعم ، كيف قرأت نفسك أو قرأت الانسان أو قرأت الاشياء حينما استمعت الى هذا البلد من بلدان العالم يفعل ذلك ؟ هل قبلت حينئذ ان تكون منتميا الى بلد من هذه البلدان او ان يكون لك اله او دين أو نبي أو كتاب مقدس او تاريخ او مذهب يرى نفسه هذه الرؤية ويدافع عنها بهذا الاسلوب ؟

حينما يندفع أي انسان الى هذه الاجهزة ليصوت مزورائها على قضيته او لقضيته او للقضية التي ظنها قضيته أو قيل له انها قضيته أو حكم عليه بانها قضيته ، بل او للقضية التي يعلم انها ليست قضيته بل يعلم انها ضد قضيته ، ولا يريد أو يتصور أن تصبح قضيته - نعم ، أنه لشيء شاذ أو مستحيل أن تكون القضية التي تدافع عنها وتزعم قضيتك هي قضيتك بل الا تكون خروجاً على قضيتك وهزيمة لها . .

- أجل ، حينما يندفع أي انسان الى هذه الاجهزة هل تسأل أو فكر هو أو أحد من مجتمعه أو السلطان الذي وظفه أو سخره في أن ما يفعله بالاسلوب الذي به يفعله نافع للقضية التي يصوت لها او لاية قضية اخرى جيدة وليس ضاراً مفسداً مشوهاً لها ؟

هل تسأل أو فكر أحد هؤلاء في ذلك مصمماً على أن يرفض ويقاوم هذا التصويت ان قاله له تساؤله أو تفكيره أن تصويته مخرب أو ضار وسفه وبلاذة وبذاءة وعدوان على الذات وعلى جميع القيم ؟

أنه لا الصوت ولا من كلفه بأن يصوت فكر في ذلك أو حاسبه بنتائجه الا بقدر ما فكر وعرف الحاقد والحاسد والبغض والشاتم والمخاصم والمغتاب أو البذيء المتوقع أن وقاحاته هذه لا بد أن تفيده وتفيد كل قضاياه ومشاكله وهمومه بل لا بد أن تتحول الى انتصارات وامجاد ومسرات لاربابه وانبيائه وتاريخه واديانه ولقبور ابائه ، بل والى تفاسير جيدة ومعجزة وعبقرية وحضارية لكتبه المقدسة البهوية الا بقدر ما فكر النذل واقتنع بان نذالته لا بد ان تصبح اقوى البراهين على وجود الهه أو صدق نبيه أو زعيمه .

أو الا بقدر ما فكر وعرف المتوجه بصلواته وتضرعاته وآهاته وهمومه وامراضه وتلواته الى الهته الصماء الخرساء المصابة بالفيجوية وبكل تعبيرات ومستويات الخمود والاسترخاء والعجز . والاهمال ، ان توجهه هذا لا بد ان يحولها اي يحول الهته الى سامعة مبصرة مستجيبة متوجهة القلب والضمير والتفكير والحركة . .

هل يوجد عبث وبلادة يشبهان عبث وبلادة من يهتفون بالالهة راجين ان تسمع او تستجيب ؟

انه لا شيء ، يسخر من شيء ، اقسى او أطول مما تسخر اذنا الاله من هتاف
الانسان بهما لتسمعا وتفعلنا ٠٠

هذا الانسان الذي يصوت كل يوم في صحافة او اذاعة او تلفزيون المجتمع الذي وجد نفسه فيه او في اي جهاز من أجهزته الاخرى - هذا الانسان الذي يصوت من وراء احد هذه الاجهزة او منها كلها كل يوم مرة أو أكثر من مرة ، على قضية واحدة او على عديد من القضايا المعينة بمنطق أو بتفسير واحد معين مكرر محفوظ ، أعواما عديدة قد تكون عشرات الاعوام أو مئات الاعوام ، قد تكون أكثر من ألف عام ، هل يمكن أن يكون هو أو المجتمع أو السلطان الذي ألزمه بذلك أو قبل منه ذلك وشكره وأجره عليه ، صادقا أو جادا أو محترما لنفسه بل أو وراثيا أو قارئا أو مسفرا أو فاهما لنفسه أو مريدا أو ناويا أن يحقق أي شيء جيد أو ذكي أو نافع لاية قضية من قضاياها أو من قضايا العالم أو قضايا الكون أو قضايا الالهة ، أو أن يقاوم ويمنع ويهزم أي شر أو خبت أو نذالة أو فجور أو زندقة و تخلف أو ظلم ، أو أية كآبة أو هزيمة أو تشوهات قد تصيب ضمير الاله و تفكيره أو رؤيته أو ذاته أو مرآته التي يرى بها جماله وعضلاته وانحناء قامته واحزان عينيه أمام انحناء قامات مخلوقاته ومخلوقيه وأمام احزانها واحزانهم وخطاياها وخطاياهم وآلامها وآلامهم وأمام عارها وتعريها وعارهم وتعريهم ؟

نعم ، هل يمكن تصور كائن مثل الاله يستحق ان تكون له أعجب واضخم ولقسي مرآة ليرى بها احزان عينيه وانحناء قامته وارتجاج عضلاته أمام العضلات والقامات والعيون التي شوهاها وحطها وحناها واذلها وصب فيها كل هذه الاحزان والالام والمخاوف والتوقعات الرهيبة ؟ ولكن هل يوجد كائن لم يتعامل مع أية مرآة ولا مع أي معنى من معاني المرآة مثل الاله الذي يجب أن تعلق كل المرايا في وجهه؟ لو أن أي انسان التزم لنفسه بأي مقدار من الاحترام أو الوقار أو الصدق أو القرفع عن العبث ، أو التزم بان يحاسب ويحاكم كل ما يفعله بالنتائج المعطاة أو بالحسوبة المنتظرة وبالمناطق المسائل المفسر فهل يمكن أن يجرؤ على أن يكتب أو يذيع أو يخطب كل يوم وقد يفعل ذلك أكثر من مرة كل يوم ، أو كل أسبوع أو كل شهر بل أو كل سنة ، عن قضية لا يحسها ولا يعطف عليها ولا يريدتها ولا يفكر فيها بل ولا يريد ان يكون شيئا من ذلك ، وايضا لا يجدي ولا يريد ان يجدي ان حديثه وعنها قد يقتلها أو يحييها ، ينصرها أو يذلها ، يهبها المجد والقوة أم العار والضعف وبسبب ولا يريد ان يقرأ أو يفسر عينيه أو نياته أو أخلاقه أو أهواءه أو تاريخه أو احلامه أو مصالحه أو اشواق ضميره ليعرف ما نوع وقوة وقيمة العلاقات التي بينه وبين القضية التي يكتب أو يخطب أو يذيع عنها كل يوم وقد يفعل ذلك في اليوم الواحد أكثر من مرة واحدة ؟

انها قضية يصوت لها أو يتحدث عنها كل مجتمعه من وراء جميع أجهزته بالاسلوب والتكرار والنيات والاحاسيس والاهواء والظروف والاخلاق التي يصوت ويتحدث هو بها وعنها ، دون أن يتساءل أو يفكر أو يبالي أو يحاسب هو أو مجتمعه أو أحد من مجتمعه أو شيء من أجهزته : هل وهب كل هذا التحديث والتصويت هذه القضية شيئا من المجد أو القوة في الارض أو من الجمال في العيون أو من المحبة في القلوب أو من الاقتناع في العقول أو من القدرة على الإقامة في الضمائر أو على ارهاق وتهذيب وتأييد وتنظيف الاعضاء والشهوات أو من الانتصار أو التفوق في مبارزة ومنافسة الخصوم والمنافسين والمخالفين ، بل ودون ان يريد لها اي للقضية احد منهم شيئا من ذلك اي من المجد أو القوة أو الجمال أو المحبة أو من القدرة على الاقتناع لو على الانتصار والتفوق في أية معركة أو خصومة مع اي عدو أو خصم أو منافس ؟

ان القضية التي يقع كل هذا التعامل عليها قضية قديمة ، قديمة جدا . انها مطروحة فوق كل المناظر والمحاريب ، تنتفجر بها كل الافواه والاقلام ، وتتساقط في كل الآذان ، منذ مئات السنين ، وحيانا منذ الاف السنين ، دون ان تجد قبرها بين القبور أو بيتها بين البيوت . . . دون ان تموت فتريح أو تحيا فيوجد أمل بان تموت فتريح ويصمت الصوتون باسمها . . . نعم ، ليس كل الناس أو اكثرهم يتعاملون بالحديث والحوار والتفكير والمخاصمات على قضايا لا تستطيع ان تموت أو تحيا في اخلاقتهم وحياتهم ولا يريدون لها ان تحيا ولا ان تموت ؟

كم انت مهزوء بل هازيء بنفسك ايها الصديق . اذن كم انت مسكين ؟ انه محكوم عليك بالانقراض والنزق والعبث والكذب والعار . محكوم عليك ان تكتب أو تذيع أو تتحدث أو تخطب كل يوم في هذه الصحيفة أو الاذاعة أو التلفزيون أو النادي عن هذه القضية أو عن أية قضية اخرى بالاسلوب ومنطق قد تكون انت لم تصنعهما أو تردهما أو تعرفهما أو تفتنن بهما أو ترضهما بل أو تفكر فيهما ، بل قد تكون ملزما أو مشترطا عليك دون نطق بالاشتراط بالا تكون كذلك اي بالا تكون صانعا للاسلوب والمنطق اللذين تتحدث بهما أو مريدا لهما أو عارفا أو مقتنعا بهما أو راضيا عنهما أو مفكرا فيهما . انه لا يشترط عليك الا تفعل الا ما تعرف وتعتقد وتريد الا بقدر ما لشرط عليك الا توجد الا بالمشروط والنماذج التي تعرف وتطلب وتريد . . .

كما لا بد ان تكون كذلك أيضا مع القضية التي تتحدث وتخطب وتكتب وتذيع عنها كل يوم ، اي ان تكون غير صانع ولا مريد لها ولا عارف أو مقتنع بها ، ولا راض عنها أو مفكر فيها بل وليست لك أية احاسيس أو عواطف نحوها ، بل قد تكون احاسيسك وعواطفك واهواؤك وكل ظروفك وتاريخك وحياتك وثقافتك ضدها ، بل قد يشترط أو يفضل ان تكون كذلك ، اي ان تكون بكل معانيك وظروفك ضد القضية التي توهب للتصويت لها . . .

انه لحكوم عليك ان تصوت لهذه القضية بعينها دون غيرها ، بهذا المنطق والتفسير دون غيرها لانك في هذا المجتمع او في هذا العصر ٠٠ لانك محكوم بهذا للحاكم او المذهب او الانتماء ، او الاله ٠٠

ولو تغير مكانك أو زمانك أو انتمائك لكان محتوما أن تتغير قضيتك ويتغير أسلوبك ومنطقتك ولكن دون أن تتغير أخلاقك أو أيمانك أو اقتناعك أو حماسك أو صدقك أو كونك كأننا مصوتا فقط بلا قضية وبلا منطق أو وقار أو استحياء من أن تكون مصوتا فقط . ان تغير قضايانا واساليبنا ومنطقنا لا يعني كما لا يصنع اي تغير في اخلاقنا أو حماسنا أو اقتناعنا أو صدقنا أو في كوننا كائنات مصوتة ٠٠

انت مخيف بوقاحتك وبموهبة الهزل والافتضاح فيك ايها الانسان ٠٠ انك تستطيع ان تتحدث كل يوم مرات من وراء هذه الاجهزة الصوتية ، وقد تكون ملتزما بذلك بعقد وظيفتي أو باسئوب وظيفتي ، داعيا الى الالتزام بالصدق ، وبالكرم والحب والايثار والوفاء والشجاعة والامانة والكرامة ، والى الاتعيش النفوس أو الاعضاء أو تنهى اي قدر من الحقد أو الحسد أو البغض أو الخسة أو النذالة أو الهوان أو الخداع أو الانانية أو الشهوات والاثام البهيجة المحرمة أو العبودية أو مخافة الطغيان أو القوة وتملقهما ، مفسرا بهوس هائل مزايا الالتزام بذلك ومدلا على ضخامة هذه المزايا وعلى وجوب الالتزام به ، بنصوص الكتب المقدسة وبتعاليم الانبياء والاديان ، أو بما تقوله الاخلاق والنصائح والحكم المروية ، أو بما يقوله الزعماء والقادة ، أو بما تقوله المذاهب والنظم أو بما تقوله القومية أو الوطنية ، مكررا بفلك هذا كل منابر التاريخ ومحاربيه واصواته ، بل كل اساليب انبيائه ووعاظه وكل صراخ توراته وانجيله وقرآنه ، بل فاعلا ما يفعله كل مجتمعك في كل لحظات زمانه من وراء جميع لهجته الصوتية ، بكل افواهه واقلامه . نعم ، وهل حدث ولو مرة واحدة ان توقفت لجرى نفسك أو لتسائلها أو تحاسبها أو تعاتبها على هذا الذي تفعل ؟

اجل ، انك لتستطيع ، بلا اية رجة في حياتك أو نكائك أو كبرياتك ، ان تفعل ذلك ، بل انك لتفعله دائما ولست مستطيعا له فقط ، ظانا او زاعما ، مظنونا أو موعوما لك انك بفلك هذا انما تصوغ الكون والحياة والانسان الصياغات التي كان كل آلهتك وانبيائك وحكمائك وزعمائك ، في كل التاريخ يطالبون وينادون بها من فوق جميع المنابر والمحاريب ، وفي جميع نصوص اياتهم واسفارهم وانجيلهم وقراسلاتهم ومفاوضاتهم مع السماء ، دون ان يحيياها اي الصياغات التي يطالبون وينادون بها ، واحد منهم ، بل دون ان يشعر واحد منهم بالعطف عليها أو بالحب والاحترام لها أو بأنها تستحق أن يحيياها أو انه من المحتمل أن يحيياها، أو يحيياها أحد من يطالبونهم بأن يحيوها ومن يوجهون اليهم كل اللعنات والتهديدات واقساها اذا لم يحيوها ، بل اذا لم تكن كل حياتهم ، بل دون ان يريدوا لهم ان يحيوها أو يحيياها واحد منهم اي من اولئك المهديين الملعونين اذا لم تكن كل حياتهم وأشواقهم

وتمنياتهم • فالالهة والانبياء والزعماء والقادة يرفضون ان يحيا اتباعهم ما يدعونهم اليه • انهم يدعونهم الى الصدق والاخلاص والذكاء والفهم فهل يقبلون منهم ان يكونوا ذلك ؟

بل دون ان يخشى واحد منهم اي من الهتك وانبيائك وحكمائك وزعمائك ان تتحول اي هذه التعاليم المنطلقة من هذه الاجهزة ، وهذه الصياغات التي تتمنها كل هذه الاجهزة للكون وللحياة ولجميع البشر ، ان تتحول الى تخويف او تهديد لهم ، بان تعشقها أو تؤمن بها ضمائرهم أو اخلاقهم أو اعضاءهم ، أو بان تصدق اذنانهم أو عقولهم أو اعتقاداتهم أو اخلاقهم أو افواههم أو نبواتهم أو نصوص كتبهم المقدسة ، فيلتزموا اي هذه التعاليم والصياغات المنمأة ، أو يحبوها أو يتمنوها أو حتى يفكروا في احتمال ان تكون اسلوبا من اساليب الحياة أو من اساليب حياتهم رهيب جدا ان تصدق اخلاق الانسان أو اذانه أو عقله فمه أو نبواته أو كتبه المقدسة أو زعاماته ••

بل ودون ان تشعر انت بانك قد تكون مخاطبا أو محاسبا بما تقول وبما تدعي اليك ، أو أنك قد تكون مخاطبا أو محاسبا بذلك ، أو ان تخشى بان تخوض حوارا فكريا أو اخلاقيا مع أي عضو أو خفقة أو قفزة أو صرخة أو همسة من اعضاءك أو من خفقات أو قفزات أو صرخات أو همسات أو مهممات شهواتك وانجداراتك ، لتقول لك بذعر أو باستحياء أو بسذاجة : انك قد تخطيت بها ما تقوله في مقالاتك أو اذاعاتك أو محاضراتك ومحاوراتك اليومية من وراء هذه الاجهزة الصوتية ، لتقول لتقول لك انها لتكاد تهلك وتجن وتصاب بكل الامراض ومشاعر الانهيار خوفا من ان تخضعها أو تلزمها بالتعاليم والفضائل التي احاديثك عنها هي كل منطق وتفسير وجودك وبقائك وتقبلك لنفسك ولطموحك المثير ولطالباتك للمجتمع بان يهبك ولزعمك انه مهما وهبك فهو لم يهبك كل ما تستحق - والتي احاديثك عنها هي كل مجد ومسررات واحتياجات وتمنيات وابتسامات الالهة والانبياء والزعماء والحضارة والتاريخ والتقوى •

بل انك لتستطيع بلا اية رجة من رجفات التوبيخ على ضخامة الكذب والهزل والافتضاح والتفاهة ان تتحدث من فوق كل هذه الاجهزة كل اوقاتك لتعلن بكل موهبتك الصوتية وبكل ما لك من تاريخ في التصويت ان البشر لو تقبلوا منك ان تقرأ لهم أو عليهم بعض الايات من كتابك المقدس القديم أو بعض الروايات عن نبيك أو بعض الآراء أو النظريات أو النصوص من تعاليم معلميك أو من كتابك الذمبي أو الحزبي أو الوطني أو الاخلاقي ، لتفسرها لهم كما فسرها لآبائهم كل التاريخ في كل تاريخه ، لكي يؤمنوا بها كما تفسرها لهم دون ان تستشرط أو يشترطوا ان توافق طاقة الشمس أو اخلاقها أو تاريخها الطويل العنيف الوحشية والاستبداد على تفاسيرك ، لكي يعلنوا التزامهم بها ويلتزموا كما تطالبهم وتفسر لهم ، لزال من

هذه الارض بل من الكون كله كل شيء قد يتحول الى دمة او آمة او أنة أو صرخة أو حسرة أو غصبة أو لعنة في عين الاله أو قلبه أو عقله أو فمه أو في ضميره أو في كرامته ونظافته وكبريائه ، من قبح ونذالة وبلادة ما يرى ويعلم ويعايش ويسمع ويقاسي ويناضل ، بل ولكان محتوما ان يتخلصوا من هوان الارض وحضيضها وجاذبيتها ليصعدوا فوق هامات النجوم صعودا علميا وحضاريا وعقليا ونفسيا واخلاقيا وانسانيا ودينيا ..

بل انك لتفعل ذلك دائما كما يفعله كل من حولك وكما كان يفعله كل ابائك ، دون ان تعذبك أو تثيرك احزان النجوم أو استبشاعها أو خجلها منك ولك وهي تراك وتسممك تفعل ذلك .. آه لو كانت النجوم أو الاشياء الاخرى حولك تمارس الخجل أو الاستبشاع أو الاحزان .. كيف يمكن أن تكون حينئذ احزانها وخجلها واستبشاعها لمراك ؟

وانك ايضا لتستطيع ، بل ولتفعل دائما هذا الذي تستطيع ، نعم ، انك لتستطيع ان تصوت من فوق جميع هذه الاجهزة الصوتية كل اوقاتك ، لتزعم لجميع المهزومين والمظلومين والمهانين والمرضى والمحزونين والشوهين ولجميع الاغبياء والبله والضعفاء والتخلفين ذاتيا ونفسيا وبشريا ، بل ولجميع من خلقوا بلا هامات أو قامات أو ارجل أو ايد أو عضلات أو رؤوس أو عيون أو بلا غدد وأعضاء تفرز الغضب أو الشهامة أو النخوة أو الشرف أو الابهاء أو الكبرياء أو العفة الفكرية أو النفسية أو السلوكية أو تفرز الاستزاز والاحتجاج والغثيان الانساني - لتزعم لجميع هؤلاء انك تستطيع ان تصوغهم أو ان تتعهد لهم بأن يصاغوا صياغة جديدة مبراة ومعافاة من جميع هذه النقائص والعجز والالام والمعاهات والذنوب ، اذا هم تقبلوا منك شيئا صغيرا و سهلا جدا ، اي اذا هم تقبلوا منك ان يؤمنوا بالاله أو النبي أو الكتاب أو الدين أو المذهب أو النظام أو الزعيم الذي تؤمن به أو الذي تدعوهم الى الايمان به دون ان تؤمن به أو تفترض انك قد تؤمن به أو تفكر في قضية الايمان به .. وتقبلوا ايضا ان يهبوه كل ثقتهم واخلاصهم واعجابهم وحبهم ، وان يلقوا في محرابه أو في قبضة جنونه ومغامراته وكبريائه بكل كبريائهم وكرامتهم وحياتهم وحياتهم وبكل هاماتهم وقاماتهم ، وبكل ما فيهم من احتمالات الشموخ أو الابهاء أو الذكاء ، ومن مواهب الصراخ والهتاف والبكاء .. وايضا اذا هم عادوا وابعضوا وتستمووا واتهموا وحقروا كل الالهة والانبياء والكتب والزعماء والاديان والمذاهب والنظم الاخرى المخالفة أو المناقضة التي يملكها الاخرون أو الجيران أو التي تملك الآخرين والجيران . ان معاداة الانسان للرب أو للنبي أو للمذهب أو للدين أو للنظام الآخر شرط في ايمانه بربه أو بنبيه أو بدينه أو بمذهبه أو بنظامه وشرط في احترامه له .

وانك ايضا لتستطيع ان تزعم بكل هذا الشمول والديمومة لجميع هؤلاء البشر الصابين بكل هذه الافات والهزائم والتخلف والعجز والعذاب ، انهم لم يصابوا باي شيء من ذلك الا لانهم لم يؤمنوا بهذا الاله أو النبي أو الزعيم أو الكتاب أو الدين أو المذهب أو النظام الذي تدعوهم الى الايمان به ، ولم يهبوه كل ما يجب ان يهبوه من تصديقتهم واستسلامهم وطاعتهم وتضرعهم وركوعهم وجنونهم ، ومن الحب والنفاء فيه وفي اهوائه وتمجيده . نعم ، انك لمستعد دائما ان تهب فكرك وايمانك وصلواتك ودعايتك وصوتك بلا اي شرط من اي نوع اكثر من استعداد اية امرأة عامة لان تلقي باعضائها في انياب كل الوحوش الغابية . انك لن تكون اقوى احتشاما أو حياء لو كرامة أو كبرياء أو تدينا أو تهذيبا من هذه المرأة المسحوقه بكل الانياب الهمجية . ولكن لا تفرح أو لا تحزن كثيرا . فكل الاخرين يفعلون هذا المجد أو هذا العار الذي تقعله ، أو هم مستعدون ان يفعلوه حينما يستطيعون ان يفعلوه وحينما يكونون في مثل ظروفك الذاتية والخارجية .

انك لست مخصوصا بالضخامة أو بالضالة ، بمحبة البشر أو بالرغبة في فضحهم وتحقيرهم . ان كل الاخرين مثلك ، فلا تفتلك ضخامة العار أو ضخامة الفرور . . انك لست الا برغوئا بين براغيث ، ولست برغوئا بين نسور ، أو نسرا بين براغيث . . وهل من العزاء أو التعويض أو السعادة أو المحابة للبرغوث ان يكون من حوله براغيث ؟

ان البشر حينما ابتكروا هذه الاجهزة الصوتية كان ذلك يعني حتما ان يلتزموا بممارسة هذا الافتضاح المصوت الدائم الشامل وبممارسة هذا العذاب والارهاق . . ان يحكموا على انفسهم وعلى حياتهم بتنفيذ هذا الالتزام بالممارسة ، دون ان يجدوا منقذا أو مشفقا ، بل ودون ان يشعروا بالحاجة الى الانتقاذ أو الى الاشفاق . .

هذه الاجهزة ، من صحافة واذاعة وتلفزيون واشياء اخرى كثيرة ، هذه الاجهزة الليلية النهارية الكونية الشاغلة لكل لحظات ودقات الزمان ، الجائعة ابدأ الى كل الاصوات والمصوتين ، على كل المستويات وبكل اللغات واللهجات والحماقات . . هذه الاجهزة الجائعة جوعا لا علاج له الى كل البذاءات والوقاحات والشتائم والاكاذيب الصائحة .

هذه الاجهزة المتوحشة في شرها وجوعها واتساعها ، كيف يمكن ملؤها أو اشباعها أو تشغيلها الدائم ؟ هل يمكن ان يشغلها أو يشبعها أو يملؤها أو يسكت جسمها كل ما عند البشر من ذكاء وعقل وحكمة ووقار وصدق وصدقة ؟ انه المستحيل . اذن هل يمكن ان يفعل لها ذلك كل ما عندهم من نزق وسفه وحماقات وعداوات واكاذيب وشتائم واحقاد وعفونات متعددة الجنسيات والاصناف ؟ انه ايضا المستحيل .

ان كل ما عند البشر وكل ما في احتمالاتهم من ذلك لن يستطيع ان يشبع أو يقتنع أو يملأ هذه الاجهزة • وهم ملتزمون باشباعها وملئها وتشغيلها وتشغيلها كاملا لانهم قد خلقوها وصاغوها هذه الصياغة المحتاجة الى التشغيل الدائم الكامل • افن ماذا يصنعون ، او ماذا يجب ان يصنعوا ؟

ان عليهم ان يكونوا اوفياء بالتزاماتهم ، لن التزموا له • ولكن كيف ؟

ان يكونوا فضلاء واذكيا ومتوقرين وصادقين عاجز جدا عن ان يكفي أو يقارب الكفاية لتشغيل هذه الاجهزة الصوتية المدة لان تشغل كل لحظات الزمان • وايضا لن يكفي ولن يقارب الكفاية لتشغيلها بهذه الديمومة والشمول ان يكونوا خبثاء وانذالا ومتوتحين نزقين كذبة بكل احتمالات وطاقات الخبث والندالة والتوقع والنزق والكذب فيهم • ان جميع الطاقات محدودة حتى طاقات الرداءة والخبث ••• انها افن لصيدة زهية صنعها البشر لانفسهم ثم فرضوا على انفسهم ان يقعوا فيها بل والا يريدوا أو يحاولوا الخروج منها أو تحطيمها ••

وهل يستطيعون الخروج أو الخلاص منها حتى ولو ارادوا وحاولوا ذلك ؟

اية ورطة تساوي هذه الورطة ، تساوي ان يواجه البشر موقفا يفرض عليهم التعامل مع اجهزة قد التزموا بتشغيلها وملئها واشباعها كل الاوقات ولكن جميع ما فيهم من مواهب جيدة وقوية ومن مواهب رديئة وضعيفة ، محشودة ومستنفرة كلها ، لا تستطيع ان تسد هذا الالتزام بل ولا ان تقارب ؟

انها هوة تزداد اتساعا وفراغا ونهما ومجاعة كلما ازداد الالتقاء فيها •

حينما يكون العقل والذكاء والوقار والصدق والحقائق غير كافية لما نحن مصرون على ان نريده ونكونه ونترضى به فما الذي لا بد ان نفعله ونعوض به حينئذ؟ حتما لا بد ان نلجأ الى النقيض ، اي الى الحماسة والسفه والضلال والنزق والكذب والخروج على كل التزام تطالبنا به التعاليم والاداب التي نزم الايمان بها بل التي نزم اننا لم نقبل ان نجى ، أو أن نبقى الا من اجل الايمان والالتزام بها • ولكن اذا لم تستطع جميع هذه الاشياء الرديئة الفاضحة ان تكفي لما التزمنا بأن نريده ونكونه وبأن نعامل به حياتنا ونصوغها عليه وبه فما الذي لا بد ان نفعله حينئذ ؟

وإذا كان محتوما ان نتكلم ونحن لن نجد صدقا أو حقا أو نكاء أو علما لنتكلمه ، او لن نستطيع ان نتكلمه أو نتكلم به أو عنه أليس محتوما حينئذ ان نتكلم النقيض وبالنقيض وعن النقيض ، أي الكذب والباطل والغباء والجهل ؟

ولكن اذا لم يكن هذا النقيض اي الكذب والباطل والغباء والجهل كافيا لكي نتكلمه ونتكلم به وعنه بالاسلوب المفروض المحتوم المطلوب ، في كل الاوقات

المفروضة المحتومة الملتزم بها فما الذي لا بد ان نعالج به حينئذ موقفنا ؟ نعم ، انفا
قد نكون محتاجين الى الكذب والغباء والجهل والباطل والافتضاح اكثر مما نستطيع
ان نفعل أو نعرف من ذلك

وإذا كان محتوما ان نقف فوق منبر تحقق فيه كل عيون ومشاعر الالهة والتاريخ
والناس والاشياء ونحن لا نستطيع ان نقف فوق هذا المنبر بشيء من ملابسنا أو من
حياتنا واستقارنا افليس من المحتم حينئذ ان نقف فوق المنبر وداخل عيون ومشاعر
الالهة والتاريخ والناس والاشياء بلا اية قطعة من الملابس أو الحياء أو الاستتار ؟
وكذلك حينما تكون بنا اشواق حادة واصيلة الى الافتضاح والى تحدي وتعذيب كل
العيون والمشاعر والاخلاق والمنابر بعارنا وعرينا . . .

ولكن اذا لم يكن هذا المنبر أو كل منبر كافيا لكي نوذي فوقه كل ما هو محتوم
علينا ان نوذيه من عري وافتضاح ومن تفجر وقح وبذيء في عيون وضمائير ومشاعر
جميع الالهة والناس والتاريخ والاشياء فما الذي لا بد ان نلجا اليه حينئذ لكي نفعل
كل عارنا وعرينا اللذين حولناهما الى التزام لا تفكير في التراجع عنه ؟ نعم ، هل
وجد مجتمع لم يحول ممارسة العار والعري الى التزام ديني او مذهبي أو اخلاقي أو
قومي أو وطني ، وليس الى ممارسة فقط ؟

حينما تلد كل يوم نبياً

ولكن ما هي القضية التي يلهث الحديث حولها هنا ويقاسي القلم رهبة وانفجاعاً من الخوض فيها بل ومن الاقتراب منها ، وعجزاً عن الهرب منها ؟
القضية هي ان البشر قد ابتكروا هذه الاجهزة الصوتية التي لا يكفي لاشباعها وملئها وتشغيلها كل ما فيهم من مواهب وطاقات وشهوات الضعف والرداءة والغباء والافتضاح والوقاحات . وهم قد التزموا تحت كل الظروف بملئها وتشغيلها واشباعها .
اذن كيف يتصرفون في تعاملهم مع مجاعات هذه الاجهزة التي مهما قدموا لها واعطوها اخذاً من ذكائهم وصدقهم ووقارهم واستنارهم وتقواهم وكرامتهم فلن تزداد الامجاعة ولهفة الى المزيد من ذلك ؟ انهم هم الذين ابتكروا وصاغوا هذه الاجهزة بكل هذا الشره والابتلاع . لقد ابتكروا اجهزة لا يشبعها كل ما فيهم من مواهب جيدة ولا ما فيهم من مواهب رديئة .

ان المفروض بل المحتوم ان يلجأوا حينئذ الى اسلوبين لمواجهة هذا الموقف أو لحل هذه العقدة ، أو تخبطاً وضياعا تحت هذه الحيرة . . .

أحد الاسلوبين ان يحاولوا ويقاسوا لكي يجدوا ويبتكروا المزيد من الطعام لهذه الاجهزة اي من الكذب والبذاءات والوقاحات والشنائم والنزق ومن كل الوان الافتضاح والعار والتعري لكي يخففوا من مجاعاتها واحتياجاتها الى كل أنواع الاطعمة البوبيلة .
ان هذه الاجهزة اذن ادوات تحريض على الابتكار الرديء السخيف الفضاح . . .

والاسلوب الثاني ان يلجأوا الى التكرار . . . يكررون عليها وفيها كل الاوقات بكل الاساليب والنوترات الكذبة والسخافة والبلادة والبذاءة الواحدة والادعاء والتشنيص والاتهام والسياب الواحد ، بالمنطق والتفسير والحماس والغرور والاعجاب الواحد الذي لا يزداد قوة ولا يزداد ضعفاً ، والذي لا يزداد قدرة على الاقتناع ولا عجزاً عنه ، والذي لا يزداد قرباً من الانهزام ولا قرباً من الانتصار . . .

يكررون عليها وفيها كل ذنوب والام وعاهات الماضي والحاضر والمستقبل ، أو يكررون عليها وفيها كل احقاد وعداوات وبذاءات كل الالهة والانبياء والزعماء والقادة والاياء ، ليحولوها الى اناشيد وصلوات تؤدي وتنشد كل الاوقات بكل الاصوات واللغات ، لكي تتحول جميع المجتمعات الى منابر وساحات ، تتبارى وتتقاتل فيها وفوقها كل الشنائم والعداوات والذذالات والاكاذيب ، ولكي تمتص منها اي من جميع

المجتمعات كل حقوقها وحظوظها من احتمالات الوقار والحياء والحب والحكمة والرياسة والنهذيب والتسامح ، ولكي تلقى عنها بكل ملابسها وبكل لزياء الحياء والاستتار ، لكي يصبح عريها وعارها عدولنا وتوقحا على كل عيون وضماثر وحياء جميع الاثياء .
دون ان تتوقف اي المجتمعات لتتحاور او تتعاتب او تتسائل او تعلن هدنة ،
لتعرف ما هذا الذي تفعله ، ولماذا تفعله ، ومن دبو لها او الزمها ان تفعله ، وهل هو نافع او هل هو الانفع ، وهل فيه اي جمال او عزاء او مجد او انتصار او مصلحة او مسرة لاي اله ودين او مذهب و نظام او حضارة او لاي مجتمع او انسان ، او هل يريد او يعنيه او يفكر فيه و يعطف عليه او يفهمه احد ممن يفعلونه او ممن يفعل لهم او فيهم او باسمهم ، او ممن يجزون عليه ويأمرون به ويوظفون له . وهل يحدث ان تتوقف المجتمعات عن احقادها وعداوتها وشتائمها وتباغضاها ودعاواها واقتناعاتها لتتحاكم وتتحاسب وتتسائل وتتعلتب ولتري وتعرف لماذا تفعل ذلك وهل هو نافع لها او لاي شيء ؟

انه لشيء مخيف في قبحه وفضاعته ان تستطيع جميع المجتمعات ان تكرر بكل هذا الاستمرار والاعلانية من فوق جميع اجهزتها الصوتية كل احقادها او حماقاتها وشتائمها وعداوتها وسخافاتا وانها ماتها وبغضائها ودعاواها وخلافاتها وشكوكها ومخاوفها وهمومها ومبارزاتها ومفاخراتها وتفاهاتها ، وكل عقائدها وتعاليمها ونبواتها واديانها ومذاهبها وزعاماتها ونصوصها المقدسة ، الموروثة الملقنة او المبتدعة ، التي لا تتحاور او تتشاور او تتعاطف او تتفاهم بل او حتى تتلامس مع حماسها او اقتناعها او منطقتها او حبها او مع اشواقها واحلامها او مع مشاكلها وهمومها بل او مع تقواها او فجورها او مع قوتها وضعفها او مع اي شيء من حياتها بل او من موتها . دون ان تشعر بان عليها ان تحاسب او تحاكم او حتى تعاتب وتساءل نكاهها او وقارها او حياءها او اخلاقها : لماذا تفعل هذا ، لماذا تفعله ، هل تفعله لانها عرفت انه شيء جيد ام لانها عرفت انه شيء رديء ، ام لانها لم تعرف انه هذا او هذا ولا تريد ان تعرف ولا تفكر ان عليها ان تعرف ، ولو انها عرفت فهل تفعل كما عرفت ام كما تفعل . . . هل المجتمعات تفعل لانها عرفت وعرفت انها عرفت ام تفعل لانها وجدت ووجدت انها تفعل ؟

هل تفعل بمنطق وموهبة الكائن التكلم المفكر المخطط ام تفعل بعشوائية الكائن الصوت الذي اخترع لنفسه بوقا والنزيم بان يشغله ويملاه ولكنه بوق لا يستطيع ان يملاه ويشغله الى حد الاشباع الذي للترزم به حتى ولو تحولت جميع مواهبه وطاقاته الى اصوات ليهبها كلها لبوقه هذا ، اعني لابيواقه العديدة ، فهي ابواق لا بوق واحد . ولكن يجب الحذر من خداع اللغة ، فهي ابواق اكبر من كل ما عنته اللغة بكلمة ابواق ان جميع اللغات لم تستطع ان تتصورها حينما تصورت ابواقها ونطقت بأبواقها . . .

انها ابواق لم تستطع جميع الهة التاريخ ان تملك منها بوقا واحدا ، بل لم تستطع ان تحلم ببوق واحد منها او ان يصعد الى تصوره كل خيالها ، مع ان كل

امجادها اي امجاد تلك الالهة التاريخية ليست سوى امجاد ابواق ، وليست اشواقها سوى اشواق الى الابواق . بل مع ان شيئاً لم يصنع مجد لتاريخ مثلما صنعه الابواق ولم تحترق اشواقه الى شيء مثل تحرقها الى الابواق . . .

نعم ، انت تستحق الرثاء والاشفاق بصدق وعمق . ان ماساتك لفادحة ولقليلة النموذج والشبيه . وكيف تكون قليل النموذج والشبيه ؟ بل انها لكثيرة النموذج والشبيه مهما وجب ان تكون قليلة النموذج والشبيه ووجب الاقتناع بانها كذلك . . . انك ، مثلاً ، لتملك بوقاً عجيبياً رهيباً . انه قد يسمى صحيفة يومية أو اسبوعية أو شهرية مثلاً . هكذا تدعو انت هذا البوق وهكذا يدعوه الآخرون . وتعيش انت وبوقك هذا في بلد أو مجتمع ما . وهذا البلد أو المجتمع له زعامة أو قيادة أو سلطة أو حكومة ، لها مذهب أو نظام أو دين أو انتماء أو ادعاء أو مظهر أو شعار ، قد يكون قديماً جداً وقد يكون حديثاً كما قد يكون بينهما ، أو خليطاً أو تركيباً منهما بلا منطوق أو ذكاء أو فن

وانت بالاكراه أو الشهوة أو الاقتناع أو الانخداع أو التجارة أو بأحد معاني أو اساليب الاعزاء أو البحث عن الميخ أو الاعجاب بالنفس أو عن وضعها في مكان التوافق والتلاؤم ، محتاج أو مضطر الى أن تضع بوقك أي صحيفتك مثلاً في موقف الملتزم المؤمن المتعبد لخوض جميع المعارك بكل فنونها وصورها ووقاحتها ونذالاتها وخطاياها ، وبكل بذاءاتها وعدوانها ومخاطرها ، وبكل سفاهاتها المنطقية والنفسية والاخلاقية بل واللغوية ، واضعاً في ذاتك كل ارواح وتقوى وتعصب ووقاحة وغضب جميع الانبياء والقديسين والشهداء ، لكي تؤيد دين أو مذهب أو نظام أو انتماء أو شعار أو مظهر تلك النبوة أو الزعامة أو القيادة أو الحكومة أو السلطة التي تعيش انت وبوقك في قبضتها ، ولكي تبارز وتقاتل وتشتائم وتتحدى كل المعادين والمخالفين والمنافسين ، بل وكل الآخرين ، بل وكل من لم يجيئوا طائعين مؤمنين مبايعين . . . آه . هل يوجد لك مثيل في عارك وهوانك وافتضاحك واكاذيبك ونذالاتك ؟ هل لك مثيل في قبحك ووقاحتك ؟

ان معنى هذا انه محكوم عليك بأن تملأ وتشغل كل يوم أو كل اسبوع بوقك هذا بالابمان والاقتناع واللتأييد والتمجيد والتهديد والبهامة بذلك المذهب أو العين أو النظام أو الشعار أو الانتماء أو التظاهر ، وبزعمه هو كل الماضي والحاضر والمستقبل وكل العقل والذكاء والصدق والعدل والكرامة والنظافة والقوة - وايضاً بأن تملأه وتشغله اي بوقك ، اي صحيفتك مثلاً ، كل اسبوع أو كل يوم أو كل وقت بكل الاسلحة والقذائف الهجومية والدفاعية المتجددة المتطورة المفاجئة ببحثها وشدة قمتها لكي تقتل وتدمر وتهزم حياة وحصون ومدن وارادة جميع من لم يصنعوا بوقك أو يوظفوه أو توظفه لتمجيد طغيانهم وسلطانهم أو يحملوه أو يستمعوا اليه أو يصوتوا به أو يصلوا لانشيده . نعم ، فبوقك يجب ان يكون اله ونبي وسلطان وقائد وشاعر ومفكر وعبقري ومسكت جميع الابواق . . .

ان معنى هذا انه قد اصبح محكوما عليك ان تصعد كل يوم أو كل وقت فوق منبر معروض في السوق أو في الميدان العام وفوق العيون والاذان والضماير ، ان تصعد فوقها وفوقه عاريا مشوها صائحا كاذبا مزورا مبخضا لاننا معاديا معتديا متهما محقرا ، مغرورا مباحيا متكبيرا مدعيا مبارزا فاضحا مفتنحا هازنا مهزوءا بك ، زاعما الايمان والافتناع والاعجاب والالتزام بما لا تعرف ولا تفهم ولا تريد ولا تعاش ، بل بما ترفض وتخاف وتنكر ، بل بما لم تتخاطب معه قط بعقلك أو بضميرك أو بحماسك أو باخلاقك أو حتى بأذنك أو عينيك أو اشفاقك ، بل بما لن تقبل التخاطب معه بأي تفسير أو تعبير أو اسلوب من تفاسيرك أو تعابيرك أو اساليبك أو نياتك . نعم ، ان الناس يتحدثون ويعلمون ايمانهم بما لا يقبلون أو يستطيعون التخاطب معه بنياتهم أو بتفاسيرهم أو بتعبيراتهم . .

انك لا تستطيع ان تستنتر أو تتوقر ولا يوما واحدا . ان بوقك اليومي يحتم الا تصمت ، يحتم عليك ان تكون دائما معروضا في السوق بكل عاهاتك وتشوهاتك وفنوبك بصياح وعلان ودوي . . انه يحتم عليك ان تتعري بكل سوءاتك وان تصيح عليها بكل صوتك طالبا من كل من في السوق ان يروها ويقرواها اي سوءاتك يحبوها ويعجبوا بها ويتحدثوا عنها وان يحولوها الى اديان ومذاهب وتعاليم .

انه لمحتوم عليك ان تعرض ذاتك في السوق وفي داخل العيون . فهل تعرضها كذلك ودائما في صورة أو صيغة أو لغة واحدة أو في زي أو موقف أو مستوى أو تفسير واحد أو فوق منبر واحد ؟ ألست محتاجا الى التغيير والتجديد الدائم اليومي ؟ ولكن هل تستطيع ان تتبكر كل يوم أو كل اسبوع بل أوكل شهر بذاة أو وقاحة أو سخافة أو بلادة أو حقارة أو كذبة جديدة ، أو سبابا أو عدوانا أو اتهاما أو بغضا أو زما أو تحقيرا أو ادعاء أو غرورا أو منطقا أو تفسيرا جديدا ، لتمجد وتؤيد وتجل وتنصر الهك أو مذهبك أو دينك أو نبيك أو زعيمك أو تاريخك أو وطنك أو قوميتك أو دعاواك أو موقفك أو اي زعم زعمته لنفسك وزعمت ايمانك واقتناعك واعجابك واللتزامك به ، زاعما له كل الزايات والتقوق والخلود ، وزاعما أيضا انك قد جربته وقارنته وحاسبته وحاكمته بكل ما سواه مما يخالفه أو يناقضه أو ينافسه أو يعاديه ففهمت ووجدت فيه كل التفوق على ذلك المخالف أو المناقض أو المنافس أو المعادي - وأيضا لكي تحقر وتشوه ونذل وتهزم وتقبح ذلك المناقض أو المخالف أو المنافس أو المعادي ؟ انها الكران من الاحوال لا بد ان تغوص وتغرق فيها بكل ازياتك وتفاسيرك ونماذجك ، بكل صراخك وتعميرك . . انها احوال من الاحوال لا بد ان تسبح فيها بكل عبااتك وعماماتك وخيامك كل اوقاتك بكل افتضاحك .

كيف تستسيغ ان يستساغ منك ان تستنمر تكرر شتيمة أو بذاة أو وقاحة أو الكذوبة أو بلادة واحدة أو اتهاما أو امتداحا أو تمجيذا أو تفسيرا أو تحقيرا أو اسلوبا واحدا في هجومك ودفاعك ، وفي ايمانك وتقبلك ، وفي كفرك ورفضك ، وفي جميع

معاملاتك مع بوبك ؟ كيف تتقبل لنفسك أو يقبل منك ان تستمر كل حياتك واوقاتك تصلي لالهك صلاة واحدة أو تمتدحه بمجد واحد أو تظهر بين يديه بزي ولحد.

كيف تستسيغ أو يستساغ منك ان تستمر تكرر تلاوة قصيدة واحدة في امتداح الهك أو نبيك أو زعيمك أو دينك أو مذهبك أو نظامك أو نفسك أو ذكائك أو اقتناعك أو بيتك أو جمالك أو جمال زوجتك واطفالك أو عبقرية تاريخك أو آباءك أو وطنك - أو ان تستمر تكرر عرض وكشف عاهة من عاهاتك في المعابد أو فوق المنابر أو في الميادين والمؤتمرات العامة ، تكرر عرضها وكشفها والحديث عنها بأسلوب ونية المعلم والمعلم والخطيب ، بل بأسلوب ونية المؤمن والمباهي والتحدي البارز ، بل المجد لدينه أو لالهه أو لمذهبه أو لنظامه أو لابائه أو لتاريخه ؟ ألست تفعل ذلك أو مثل ذلك أو اقبح من ذلك حينما تكون لك مثلا صحيفة أو اذاعة ، تلتزم كل يوم أو كل وقت أن تكتب أو تذيع فيها أو منها ؟

لو ان كائنا أو انسانا ما التزم بأن يسير كل يوم أو كل الاوقات في الطرقات العامة ، أو يصعد فوق المنابر ، ليعلم ويتحدث عن عاهة تعيش في اعضائه الداخلية المحرمة ، مشيرا اليها بيده وفمه ، مفسرا ومحددا كيف اصابته ومتى اصابته وكيف يقاسي منها ويحس بها ، وشارحا للفروق بينها وبين العاهات الاخرى وبينها وبين عاهات الاخرين ، مثبتا مزايها وتفوقها على عاهات الاخرين وعلى كل العاهات الاخرى ، ومثبتا ايضا ذكاء ونبل عاهته دون كل عاهات الاخرين ودون كل العاهات الاخرى ، وأن عاهته هذه هي وحدها ذات القيمة المنطقية أو الاخلاقية أو الانسانية أو الحضارية أو الوطنية أو الدينية أو المذهبية أو التاريخية ، دون جميع العاهات الاخرى التي اصيب أو يمكن ان يصاب بها جميع الاخرين ، المخالفين أو المعادين أو المنافسين ، ومثبتا ايضا انه هو وحده الذي يتعامل مع عاهته بذكاء ومنطق وشرف وقيمة وتقوى وتدين والتزام مذهبي وانساني .

نعم ، لو أن اي كائن أو انسان التزم كل هذا الالتزام بكل شروطه ونفذ التزامه ، فهل يقبل ان يكون عاره وقبحه مثل قبح وعار انسان قد أصبح له بوق ، وليكن هذا البوق مثلا صحيفة يومية ، لكي يصيح ويعلم كل يوم من بوقه ، مقسما على صدقه وعلى ايمانه واقتناعه وعلى ذكائه ، بل على تفرد بالصدق والاقتناع والايمان والذكاء ، بأن ما يؤمن به أو ما يزعم الايمان به أو ما يفرض عليه ان يؤمن وينادي ويلتزم به ويقاثل دونه ويدعي له كل المزاي والتفوق والعبقرية ، هو كل طموح ومنطق وارادة الالهة والطبيعة والتاريخ والمستقبل وكل شيء ، وبأن ما لا يؤمن ولا ينادي ولا يلتزم به ، أو بأن ما لا يجد نفسه مؤمنا ملتزما به ومناديا داعيا الى الايمان والالتزام به دون ان يعرف أو يريد اي بأسلوب الفرض والاكراه أو بأسلوب التلقين والتقليد أو بأسلوب الاستمرار والتكرار ، هو كل الباطل والاثم والبلادة والوقاحة ؟

اجل ، هل يقبل اي كائن او انسان ان يكون قبحه او سخفه او عاره او عريه مثل قبح او سخف او عار او عري من حكم عليه بان يكون له بوق يومي وحكم عليه ايضا بان يملأه ويشغله ويشبعه كل الاوقات بالاصوات ، هاتفة منادية مؤمنة بشيء او بانسان او بكائن ما او بقوم او بتاريخ ، ولاعنة محقرة رافضة مبغضة متهمة لشيء او لانسان او لكائن او لتاريخ اخر او لقوم اخرين ؟

اجل ، هل يمكن تصور سخف او قبح او هوان او بلادة او ندالة او عار او عري كهذا ؟

نعم ، اذن كم تستحق الرثاء والاشفاق بكل العمق والصدق حينما تكون محكوما عليك بان يكون لك بوق يومي قد التزمت او الزمت بان تحمله فوق فمك وعقلك ووقارك وحياتك ، لتسير به او يسير بك في الطرقات العامة وفوق المناير وفوق بيوت الناس ، لتصوت منه كل اوقانتك ، مؤيدا ومعارضا ، مؤمنا وكافرا ، مادحا وذاما ، محقرا وممجدا ، مؤكدا ونافيا ، محبا وكارها ، واهبا نفسك وكل ما عندك كل المزايا المتفوقة ، وساحبا من جميع الخصوم والاعداء والمخالفين والآخرين كل شيء طيب او جيد او ذكي او نظيف او نافع ، دون ان تدري شيئا عما تفعله غير أنك موضوع امام بوق او غير ان بوقا موضوع امامك فلا بد من ان تملأه وتشغله بصوتك ، بل دون ان تشعر باي احترام او حماس او اشفاق او أية عاطفة من اي نوع نحو ما تفعله وتتحدث عنه مؤيدا او معارضا ، او نحو ما تصوت له او تصوت ضده . ولكن هل يحدث او حدث ان فعلت هذا او ان عرفت او رأيت احدا فعله او يفعله ؟ هل تستطيع الطبيعة ان تلد مثل هذا الانسان او ان تحبل به - هل تستطيع الحشرات ؟

اذن هل قرأت او فسرت او رأيت او ساءلت نفسك ولو مرة واحدة وانت تتقدم الى احد هذه الابواق الصوتية ، لتعرف لماذا تفعل ذلك ، وهل يستساغ ان تفعله ، وهل تفعله لانك فهمته او اقتنعت به ، او لان من الذكاء او الكرامة او الشهامة او العدل او المصلحة ان تفعله ، او بان الحشرات لن تصاب بالغثيان حينما تفعله ، حينما تراك تفعله ؟ الا تشفق على الحشرات ان تراك فاعلا ذلك ؟ الا تخاف ان يقتلك الاستحياء لو رأتك الحشرات تفعل ذلك بالاسلوب الذي به تفعله ؟

هل حدثت في ضميرك او عينيك او في ركوع قامتك وانخفاض هامتك ، او هل قرأت لغة قدميك وانت تهبط الى احد هذه الاجهزة الصوتية لتكتب او تضيع اكافيبك وبلاداتك وبيضاءتك وبغضائك وشتائمك ، دون ان تعرف او تقتنع او تحترم او تحب او تؤمن او تلتزم او تبالي او تتساءل : لماذا تفعل بنفسك ذلك ولماذا جاء قدرك كذلك ، ومن جعلك قادرا وجريئا كل هذه القدرة والجرأة على ان تعيش كل هذا العار بكل هذه الاعلانية ؟ هل يحتمل ان يكون فوق هذا الكون من يجب او يحترم الانسان او يراه ويريده مجدا من امجاده ثم يتركه يغوص في هذه الاوحال ؟

اجل ، ماذا لو ان اي مجتمع او انسان قد التزم تفكيريا وتنفيذا بالا تكون له اية صحيفة او اذاعة او تلفزيون او صوت او قلم او بوق او منبر ، وايضا بالا يتعامل

مع أي واحد من هذه الأجهزة الصوتية والاي يعمل فيها بل أو يستمع اليها و ينفق عليها أو يقبل أن تكون في مجتمعه أو في وطنه الا بعد أن يعرف لماذا يفعل ذلك ولماذا يكون ، وأيضا بعد أن يعرف ويقتنع أن من الذكاء والكرامة والوقار والاخلاق والمصلحة ان يكون ذلك وان يفعله ، وانه لن يكون أو يفعله الا بقدر ما يأذن ويامر الذكاء والكرامة والوقار والاخلاق والمصلحة ، وان شيئا من ذلك لن يحول أو يستعمل نقيضا للذكاء أو للكرامة أو للوقار أو للاخلاق أو للمصلحة ، أو يحول أو يستعمل جهازا للاكاذيب والبلادات والعداوات والخصومات وللإعلان عن الفضائح والعار والنزق والاحقاد والبغضاء الحمقاء ، أو لن يستعمل الا اذا ثبت ان فوائده وارباحه وذكاءه واعطائه للحب والسلام اكثر من اضراره وخسائره ومن اعطائه للحرب والعداوة والبغضاء ؟

بل ماذا لو أن أي مجتمع أو انسان فكر في هذه الاشتراطات والقيود ، أو فكر انه قد يكون مطالباً بالتزامها أو منتظراً منه التزامها أو انه قد يحاول التزامها ، أو لن التزامها قد يكون في حساب أي مجتمع أو أي انسان ، أو ان الاله أو الدين أو المذهب أو النظام أو الزعيم أو الوطن أو الفكر الذي يتحدث باسمه ويصوت من فوق اجهزته ومنابره يفرض عليه ويتوقع منه ان يحاسب نياته وسلوكه بهذه الاشتراطات والقيود ؟ ماذا لو أن كل اله ونبي ومذهب ونظام وزعيم ومعلم قد اشترط بان يكون دعاته والمؤمنون به صادقين أو عارفين أو عقلاء ونفذ شرطه ؟

ليس شيئا رهيبا في قبحة وفحشه اننا لا نستطيع ان نتصور ان مجتمعا واحدا أو انسانا واحدا قد تصور أو تخوف أو شرطا أو قيودا من هذه الشروط والقيود قد يكون مفروضا على استعمال هذه الأجهزة الصوتية ، أو قد يكون مقبولا أو مستحبا أو محتملا فرضه على استعمالها بل أو مسموحا بفرضه بل أو جائزا فرضه ؟ ان احدا لم يعتقد ان على استعماله لهذه الأجهزة شروطا الا بقدر ما اعتقد ان على مجيئه ندلا أو سخيها شروطا . .

ان هذه الأجهزة الصوتية الدعائية ، أو أن معاملات هذه الأجهزة والعمل والتوظيف فيها ، أو أن علاقات الانسان باصواته أو بمعاركه ومخاصماته ومبارزاته وملاعناته ومفاخراته الصوتية هي الاعراض المباحة والفاسقة المسوق بها بلا مثال وبلا أي قدر من العفة أو الاستتار أو من الاشتراط لذلك . . انه لا فسق يساوي فسق الانسان بهذه الأجهزة أو يساوي فسقها به أو يساوي فضحها لذكائه واخلاقه .

انه لا مثيل للغات أو للاصوات أو للمنابر أو لكل أجهزة التصويت خروجا عالميا وتاريخيا على كل قيود العفاف والاستتار والوقار والحياء والشرف والصدق والذكاء والمنطق والحساب والمحاسبة . ان أي شيء في الانسان أو يعمله الانسان لم يترك دون أية حماية لشرفه أو لذكائه أو لتقواه أو لعرضه مثلما تركت لغاته واصواته ومنابره ، ومثلما تركت نبواته والوهياته وكتبه المقدسة مستعملة لنفسها ومستعملة في الافواه الأخرى .

اجل ، ان جميع البشر كائنات مصوتة وليس العرب هم وحدهم الكائنات المصوتة . ولكن القضية هي قضية الفروق والمستويات في ذلك . . .

العرب مصوتون فقط ، ومستويات ونماذج تصويتهم هي مستويات ونماذج يتفردون بها هم ومن يساؤونهم في مواهبهم وطاقاتهم واطوارهم البشرية التكوينية . . . ان التفاوت بين مستويات ونماذج تصويت وتصويت في تفاسيرها يساوي كل الفروق بين من يبتكرون الحضارات ومن يلعنونها او يهينونها باستهلاكهم لها . . .

اما الآخرون فانهم ليسوا مصوتين فقط . انهم ايضا متكلمون اي مفكرون ومخططون وخالقون . ان التصويت ليس ظاهرتهم ، ولكنه احد اساليبهم وتفاسيرهم . ان ظاهرتهم هي ابداع الحضارات والقوة والفكر وتجاوز الطبيعة وفهمها وتفسيرها وحكمها وقراءة اصواتها بالفكر والنطق والسيطرة . . . ان ظاهرتهم هي قراءة الاشياء قراءة فهم وتفسير ومحاكمة وتغيير وبحث عن التخطي والتفوق . . .

اما اصواتهم فانها مختلفة جدا في كل تفاسيرها واساليبها ونماذجها ومقاديرها وحوافزها واهدافها بل وفي لغاتها واخلاقها عن اصوات العرب . . .

نعم ، ان للاصوات لاخلاقا ولكن لا يفهم اخلاقها الا الذين تخطوا طور المصوتين . الآخرون لا يجدون في اصواتهم او تصويتهم الا اساليب او لغات مختلفة من الغناء او الانين او الحنين او الصلاة او المصانحة او التحية او الاحتجاج او التعبير عن الغضب او الاستنزاز أو الحزن ، أي لا يجدون في ذلك ولا يريدون أو يتوقعون منه الا تعبيرا عن حالة نفسية باسلوب صوتي أو بالفاظ . ولهذا فانهم يحاولون أن يكونوا في ذلك مهذبين ومتوقرين ومتواضعين ومتفاهمين مع الآخرين ومفهومين . انهم لا يريدون ان يفهموا انهم بأصواتهم أو تصويتهم يحاربون أو يشاتمون أو يبغضون أو يتحدون أو يفاخرون أو يخلقون الكون والناس والاشياء ، أو يعلمون النجوم كيف تكون اكثر تقوى أو حبا أو ذكاء أو حياء أو تواضعا أو اشفاقا على المتألمين والمهزومين والمسحوقين والهابطين الى اعماق الحضيض ، أو يعلمون الكائنات المصوتة كيف تتحول الى بشر متكلمين ، يرفضون أن يصوتوا بالاساليب والوقاحات والبلادات والبذاءات والكبرياء والتفاسير والنيات التي تصوت بها الزعامات والقيادات والذنبوات والالوهيات العربية ، بل التي تصوت بها الثورات والمذاهب والنظم العربية . انهم لا يريدون ولا يفكرون ان يجعلوا لاصواتهم أو أن يكون لاصواتهم هذه المكانة أو التفاسير كما يريد العرب لاصواتهم وكما يعتقدون فيها . . . أما العرب فانهم يجدون في اصواتهم ويريدون منها ويضعون فيها ويفهمونها ويعتقدونها كل عضلات وقوة وقوانين كل الطبيعة وكل الاشياء ، وايضا كل التفكير والتدبير والسلاح والحرب والابداع والنضال والمواهب والعبقريات والتفوق على جميع الاعداد والخصوم ، وعلى كل ما كان وكل ما يمكن أن يكون . ولهذا فانهم يحاولون أن يكون كل تعويلهم عليها وكل ثقتهم واهتمامهم بها وكل حماسهم لها . نعم ، هل يوجد عربي واحد لا يجد في

صوت أي اله أو نبي أو كتاب مقدس أو في صوت أي خليفة أو زعيم أو شاعر أو خطيب غوغائي سوقي يدوي من فوق منبر أو في محراب أو ميدان حاشد مهتاج من الفرح النزق أو من الخوف اللبليد الضائع تحت ظروف واحداث رهيبه أو بدون هذه الظروف والاحداث الرهيبه .

نعم ، هل يوجد عربي واحد لا يجد في ذلك شيئاً أو عملاً أو بطولة هي اذكي واقتوى واجمع لكل معاني وأسباب الانتصار والتفوق والمجد من كل ما يصنع الانتصارات والامجاد والقوة والتقدم في منطق وحساب الاخرين ؟ هل اقتنع الانسان العربي بقيمة شيء مثل اقتناعه بقيمة الاصوات العاليه الشائمه المتوقفة المفرورة المهناجة ؟

هل وجد أو يوجد عربي واحد لا يجد في آية من كتابه المقدس أو في رواية عن نبيه أو في قصيده أو خطبة يلقيها زعيم أو حاكم ، تروى وتتلى وتصور وتشد بضجيج واهتياج على حشود ضاحجة مهتاجة جائعة مفرغة من كل الذكاء والوقار والاتزان والمعرفة والحب والمقدرة - تشتم اي تلك الآية أو الرواية أو القصيدة أو الخطبة ، تشتم الاعداء والمنافسين والتفوقين ، وتحقرهم وتهدهم وتزعم التفوق عليهم وتتوعدهم بالسحق والمحق وبالانتصارات المبيدة والمستعبدة لهم ، وتتحدث عن انتصارات وامجاد الاباء وقبور الاباء التي اذلت وحكمت كل القبور التي كانت والتي سوف تكون ، والتي اصبحت اي قبور الاباء هي كل النماذج والمنطق والطموح والبداهة والنهاية لكل الحضارات والتاريخ والانسانية .

اجل ، هل وجد أو يمكن أن يوجد عربي واحد لا يجد في ذلك اذكي واقتوى واعظم وامجد من امتلاك كل المجد والقوة والتفوق والتقدم والحضارات والانتصارات ، اي اذا كان امتلاك ذلك بصمت ووقار وتهذيب وتواضع وبلا ادعاء حاشد صاحب شاتم ؟ اجل ، هل يمكن ان تعني الانتصارات أو التفوق أو الامجاد معناها في حساب الانسان العربي حينما تكون محكومة بالتهذيب والوقار والتواضع والصمت ؟

بل هل يوجد عربي واحد يعتقد ان مثل هذا التحدث يمثل هذا الاسلوب لا يعني امتلاك وتحقيق ما وقع التحدث عنه ؟ أليس التحدث عن الشيء ببذاءة وغرور ونزق وضجيج وصياح هو اقوى اساليب تحقق ذلك الشيء ، والانتصار عليه ؟

أليس كل عربي يعتقد بأسلوب غريزي ان التحدث عن الانتصار على الاعداء وعن التفوق عليهم وعن اذلالهم وابداتهم ، بهذه الاساليب الجامعة المهتاجة الضاحجة بالتلاوة والرواية والانشاد والاستماع المنهيج لا بد أن يعني تحقق ذلك الانتصار والتفوق والاذلال والابادة ؟ آه . ما اقوى الرواية والتلاوة والانشاد بأسلوب مهتاج صائح - ما اقوى ذلك في احساس الانسان العربي . .

هل يعتقد العربي أو يتصور انه توجد مسافات فاصلة بين الاصوات القوية المتهيجة التي يصوتها اربابه وانبيائه وخلفائه وزعمائه وشعراؤه وخطبائه أو التي

يصوتها من نفلا عن هؤلاء وبين ما يقع عليه ومن اجله وباسمه التصويت ؟
هل وجد العرب في اربابهم وانبيائهم وخلفائهم وزعمائهم أو أراحوا منهم غير
اصواتهم المصابة بكل معاني الجنون ؟

ولان العرب يجدون في اصواتهم ويريدون منها ويفهمونها ويعتقدونها كل
العضلات والقوة والقوانين ، وكل التفكير والتدبير والسلاح والحرب والابداع ،
والنضال ، وكل المواهب والعبقريات والتفوق والانتصار على الخصوم والاعداء والانداد
وعلى كل شيء ، فانهم اي العرب يحاولون ويريدون ان تكون اي اصواتهم تعبيراً
عن كل اساليب الوقاحة والنذالة والبغضاء والغباء والعذوان والنزق والافتضاح
والعار .. لانها اي اصواتهم سلاح وعتاة وبغضاء . وهل يمكن ان يكون
السلاح أو القتال أو البغضاء أو العداة شيئاً مهذباً أو عاقلاً أو ذكياً أو متوقفاً أو
محبا أو صديقاً أو عادلاً أو كريم الاخلاق ؟ ان اقوى وأشهر الحروب العربية هي التي
يحاربونها ببغضائهم وسبابهم وبذاتهم لا باسلاحتهم أو عضلاتهم أو عقولهم .

نعم ، كل الناس مصوتون . انه لا يوجد انسان واحد ليس مصوتا بالنية والقصد
والارادة والضرورة وبالتفكير أيضا . حتى المصاب بالخرس لا بد أن يصوت باساليب
كثيرة مختلفة . بل ان المصاب بالخرس قد يكون أكثر تصويتاً واعلى صوتاً . انه لا
بد أن يصوت بيديه وبعينيه وبكل اعضائه وحواسه واحاسيسه وحركاته . انه لو
فقد كل فمه وكل اجهزة ومصادر التصويت فيه لظل ايضا مصوتا . ان الانسان مهما
استغنى أو تخلى أو عوق عن أي شيء فانه لن يستغني أو يتخلى أو يعوق عن
التصويت ..

ان اعظم الناس عبقرية وجدا ووقارا وهدوءا وصمتا واستغراقا في التفكير
والابداع ورفضاً للعبث والنزق والكذب والغوغائية لن يستطيع ان يكون غير مصوت .
انه لن يستطيع ان يكون دائماً كلاماً وتفكيراً وجداً وخلقاً وعبقرية . لن يريد أو
يستطيع ان يكون دائماً منطقاً وقانوناً وحساباً ومحاسبة . ان الانسان لو وجد كل
وقته مجداً صامتاً ومفكراً ومتكلماً لتخلى عن بعض مجده هذا لكي يحوله الى تصويت
أو ليستبدل التصويت به اي ببعض مجده الصامت . انه لا بد ان يكون ولو احياناً
رعداً بلا مطر ، وزئيراً بلا هجوم بل بلا اسد ، وخطابة بلا موضوع أو قضية ، وصلاة
بلا ايمان أو عبادة ، واستغاثة هائفة متضرعة بلا مغنيث وبلا حاجة وبلا أمل ، وصهيلاً
بلا جواد . ان كل انسان لا بد أن يصبح ولو احياناً فارساً مبارزاً مهما فقد كل
تفاسير ومعاني الفروسية ..

انه ولو احياناً لا بد أن يقرأ بتصويت وانين قرآنه أو انجيله أو توراته بلا اله
وبلا أمل في استماع اله أو تقبل أو استقبال اله ، وبلا تقوى .. ان الانسان لا
بد أن يكون أي احياناً صوتاً بلا تفاسير وغناء بلا مستمعين وخفقاناً بلا حب ولا قلب .
اجل ، ولكن القضية هي قضية الفروق والمستويات ..

ان من الفروق ان المتحضرين المفكرين المبدعين اي الذين هم في طور المتكلمين ، حينما يصوتون ، انما يغازلون الاذان والمشاعر ويناجونها ويصافحونها ويلا مسونها وينقربون اليها ويبحثون عن حبها ورضائها واعجابها وصادقتها ومسالتها ، وقد ينوون تملقها أو خداعها أو مراقبتها أو ممارسة الغواية معها أو فيها - نعم ، انما يفعلون ويقصدون ذلك بأدب وتواضع وذكاء . ان التصويت عندهم فن ٠٠ شعر أو غناء أو موسيقى أو رقص أو رسم وليس سبابا أو بذاءة أو عداوة أو بغضا أو تحديا .

اما المصوتون فقط ، اي العرب ومن في طورهم التكويني والحضاري فانهم بتصويتهم انما ، بقصد أو بلا قصد ، يشتمون ويعيرون ويهينون الاذان والمشاعر ويستقطن فيها كل الوقاحات والبذاءات واللوان الغباء والسفه ، بكل اساليب ونيات الغرور والتطاول والادعاء والعدوان والتحدي والمخاصمة والبغضاء وعلان الحرب . ان البشر المصوتين الذين هم في طور الكائنات المصوتة فقط لهم بتصويتهم اقصى هجاء لجميع الكائنات المصوتة واقوى ثناء على الكائنات المصابة بالخرس الصامت .

ان اصواتهم ليست الا استفراغا على كل احتمالات ومعاني وصور السلام والحب والصدافة والنظافة والجمال والكرامة والذكاء والعبقرية

انها ليست الا تعبيرا وتشويها وهجاء وسبابا لكل شيء جميل او ذكي او جيد او مهذب . . .

ان الفرق بين هذا التصويت وهذا التصويت يساوي في بعض معانيه وتفاسيره الفرق بين تغريد طائر فوق غصن يحيى السحاب والصبح وبين طنين ذباب هجم على عين مريضة معلنا نقله الداء الوبيل اليها ولاعنا كل الطب الذي يحاول شفاءها أو الاقتراب منها ، وباصقا على كرامة الانسان وعلى مجده ونظافته وعلى ذكاء وحكمة وجمال وصدافة الالهة والطبيعة ، باصقا كل وقاحاته واناسيده البذيئة على الانسان وعلى الطبيعة والالهة وعلى كل ما للانسان وللطبيعة وللالهة من تفاسير ومزاعم ذكية جميلة مغرورة ، ومنصبا اي الذباب ، في احتقالات حاشدة مهيبية ، عرشه ومجده فوق كل العروش والامجاد والناير المصنوعة من تفاسير وكبرياء المجرات والشموس . . . هل وجد في التاريخ عرش أو مجد أو منبر ينافس عرش الذباب أو مجده أو منابره متفلا من الانف الى العين الى الفم ؟

لا بد ان تكون الفروق بعيدة ، بعيدة بين تصويت من يرون اصواتهم سلاحا وقتالا وعضلات وقوة ومجدا وحضارة بل وايماننا وتديننا وآلهة وانبياء وتمجيذا وصلاة وحبنا وارضاء للالهة وللانبياء ، وللتاريخ وللآباء ، واذلالا وقهرا للاعداء ، والمنافسين وللمشاكل والآلام ، وعلاجا من كل الادواء والاحزان والضعف والضلال والفسوق ومحبة الشيطان ومن الاستعداد لاتباعه وللانخداع به ، كما يرى العرب وامثالهم في اصواتهم كل ذلك ، ويريدون لها ويجدون فيها كل ذلك ، ويعاملونها وكأنها كل ذلك . . . هل يجد اي قوم مجدا أو قوة أو انتصارا أو جمالا لاي شيء ، مثلما يجد العرب كل ذلك في اصواتهم ولاصواتهم ؟

نعم ، لا بد ان تكون الفروق كبيرة جدا بين تصويت هؤلاء ، وتصويت اولئك الذين لا يجدون أو يرون أو يسمعون في اصواتهم الاغناء وموسيقى وانشادا ومصافحة ودعوة الى التعارف والحب والسلام والغفران والصفح ، والا حوارا روحيا عاطفيا اخلاقيا بل ولغويا ، والا تحليقا فوق احقاد وغباوات وتعصب المذاهب والاديان والقوميات والاطنان والتاريخ ، والا صلوات بلا آلهة ولا انبياء أو معابد أو كهان أو كتب مقدسة أو جنة أو جحيم ، كما لا يريدون منها اي من اصواتهم ان تكون الا ذلك .
نعم ، ان الفرق بين تصويت وتصويت لا بد أن يساوي الفرق بين وجه ووجه ومنظر ومفطر وعقل وعقل وثقافة وثقافة واخلاق واخلاق وكيئونة وكيئونة وحياة وحياة وانسان وانسان . .

اذن كم هي قاسية الفروق بين تصويت وتصويت . . بين تصويت الانسان العربي وتصويت الانسان المتحضر المفكر المبدع حينما يصوت للسحاب والنجوم محاورا ومغنيا ومصافحا ؟

لا تقرأوا هذا لئلا تشنقوا قبور أنبيائكم

لا تقرأوا ولا تسمعوا هذا ، أو اقرأوه واسمعوه . ألسنتم قد قرأتموه وسمعتموه بهذه اللغة والحروف أو بلغة وحروف أخرى ؟ اعني لا تقرأوا ما سوف أرويه في سطور آتية من تراثكم المسمى شعرا . انى اخاف لو قرأتموه ان تعافوا آباءكم وتعافوا كل تاريخكم ..

ولكن لماذا ارفض أو اخاف ان تقرأوا أو تسمعوا هذا أو أي شيء اخر ؟ هل اخاف على اذانكم أو اخلاقكم أو وقاركم أو افكاركم ان تغضب أو تحزن أو تمرض استقباحا أو حياء أو ذكاء أو انزانا ؟ كيف ؟ هل اذان أو عقول أو اخلاق أو وقار الانسان العربي تصاب بالاستقباح أو كالحياء أو الذكاء أو الاتزان ؟ أليس محتوما ان تكون اي اذان واخلاق ووقار وعقول الانسان العربي قد انتحرت أو هربت أو توقفت عن العمل أو اعلنت البراءة أو المقاومة لو كانت قابلة للاصابة بشيء من ذلك أي من الحياء أو الذكاء أو الاستقباح أو الاتزان أو الغضب أو الحزن أو ارادة الرفض والقدرة عليه ؟ كلا . ان اعظم وأصل مواهب الانسان العربي عجزها الاصيل الدائم عن أن تصاب بموهبة الاستقباح أو الرفض أو الغضب أو الوقار ..

الم تبتلع الاخلاق والاذان والضمائر والافكار والكرامة العربية دون ان تصاب بأية علامة من علامات عسر الهضم أو الغثيان أو فقد الشهية أو الشبح والامتلاء . نعم ، الم تبتلع بكل هذه الموهبة الهاضمة المتقبلة ، كل هذا التاريخ العربي من الالهة والانبياء والخلفاء والزعماء والحكماء والشعراء بكل ذبوانهم وكتبهم المقدسة وتعاليمهم وصلواتهم واشعارهم ، بكل أصواتهم المكتوبة والمحفوظة والمروية والمقروءة والمنشدة والمصلاة المصلى بها ولها ، المتلوة والمسهول المهدد المفخور بها فوق كل منبر ، وفي كل موقف ، وفي وجه كل عدو أو ند أو منافس ، وامام كل مشكلة أو خطر أو هزيمة ولتحدي وارهاب كل متفوق أو متحضر أو صاحب جبروت أو عبقرية ؟

اذن هل يخشى على الانسان العربي ان يغضب أو يحاكم أو يعاقب على اي شيء رديء ؟ هل الذين ابتلعوا وبيبتلمون كل هذا يمكن ان يعجزوا أو يعافوا أو يهابوا

أو برفضوا أو يتألموا ان يبتلعوا اي شيء ، بأذانهم أو افواههم أو اخلاقتهم أو بعقولهم أو ذكائهم أو كرامتهم أو بحياتهم أو بأصواتهم أو بأي مقطع أو تفسير من مقاطعهم أو تفاسيرهم الانسانية أو حتى البشرية ، أو يمكن ان يحاسبوا أو يحاكموا و يعاقبوا على شيء يتعاملون به أو يعاملون به أو يحيونه أو يواجهونه ؟

ان الذين ابتلعوا كل التاريخ العربي مقروءا و مسموعا و محفوظا و متعبدا مصلى به ، و مفخورا بمجده و ذكائه و وقاره على كل مجد و ذكاء و وقار ، و مزعوما نبوات و عبقریات و هدايا آلهة بل و عبقرية آلهة ، و مكتوبا ، فيما يزعم له ، باقلام الملائكة و املاء الالهة داخل مضاجعها امام شهودها ، اي شهود الالهة .

نعم ، ان الذين ابتلعوا كل هذا التاريخ العربي ولا يزالون يبتلعونه بشهية لم يحدث ان اشتكت من الضعف أو الامتلاء ، لن يخاف عليهم أو يرثى لهم من ان يبتلعوا اي شيء ، بل انهم لن ينزهوا او يكرموا عن ابتلاع اي شيء . كيف لم يفتن العالم الى ان القوم الذين ابتلعت اخلاقتهم و عقولهم ولا تزال تبتلع كل ما في التاريخ العربي هم قوم يجب ان يدرسوا على انهم ظاهرة قد يستحيل ان تتكرر ؟

ولكن هل الانسان العربي يقرأ أو يسمع ما يقرؤه و يسمعه ؟ هل القراءة بالفم و السماع بالاذن ؟ و هل كل من له فم و لسان و اذنان يقرأ و يسمع ؟ و هل كل فم و لسان و اذن يساوي الفم و اللسان و الاذن ؟ و هل يمكن أو يجوز ان تفسر اذنا الانسان العربي أو فمه أو قراءته بالتفاسير التي تفسر بها الاذان و الافواه و القراءات ؟

هل الانسان العربي يقرأ أو يسمع ما يقرؤه و يسمعه الا بقدر ما يرى ما يراه أو ما يسقط في عينيه ؟ و هل يرى ما يراه أو ما يستفرغ في عينيه الا بقدر ما يقرأ و يسمع ما يقرؤه و ما يسمعه ؟ و هل الانسان العربي يسمع بأذنيه الا بقدر ما يسمع بعينيه ، أو يرى بعينيه الا بقدر ما يرى بأذنه ؟ و هل يمكن ان يرى أو يسمع بعينيه أو اذنيه ما لم يسمع ويرى بعقله ؟ و هل يمكن ان يرى أو يسمع بعقله ما لم يير و يسمع بأذنيه و عينيه ؟

و هل يمكن ان يسمع أو يرى بعينيه أو اذنيه أو بعقله ما لم يفهم بعقله ؟ و هل يمكن ان يفهم بعقله ما لم يفهم بعينيه و اذنيه ؟ و هل يمكن ان يفهم بعينيه أو بأذنيه ما لم يغضب و يصدم و يقاس و يتجاوز باخلاقه و نماذجه و شروطه و طموحه و تفكيره ؟ و هل يمكن أن يغضب أو يصدم أو يقاسي أو يتجاوز بذلك أو بشيء منه ما لم يكن اكبر و اقوى و اجراً من كل الاشياء ، ما كان وما سوف يكون ، و من كل تعاليمه و تاريخه و من كل اربابه و انبيائه و آبائه و من كل وجوده و كينوناته ، بذكائه و قدرته و تقواه و طموحه و بكل مستوياته و مواهبه ؟

أليست كل قيمة الانسان الحضارية انه بتفاسيره اكبر و اقوى و اذكى من كل

لهذا فان الانسان العربي في كل تاريخه لم يقرأ أو يسمع شيئاً مما قرأ وسمع ومهما قرأ وسمع . ان اذنه وغمه يقرآن ويسمعان كما تقرأ وتسمع رجله ويده الاشياء التي يتصادمان بها . .

لقد كان آلهته وانبيأؤه ومعلموه وزعماؤه يطالبونه ولا يزالون يطالبونه بأن يقرأ ويسمع كتبهم المقدسة ونبواتهم وتعاليمهم وخطبهم ، ويهددونه بكل انواع العذاب اذا لم يقرأ ويسمع لهم ومنهم دائما . لقد كانوا يطالبونه بأن يقرأ ويسمع لانهم كانوا يعلمون انه لا يقرأ ولا يسمع حينما يقرأ ويسمع ، ولكنه يصلي ويتعبد . ولو كان يقرأ ويسمع ما يقرؤه ويسمعه لكان محتوما ان يحرموا عليه القراءة والسماع مثلما يحرمون عليه ان يكفر بهم أو ينقدهم أو يفهمهم أو ان يحاورهم أو يحاسبهم أو يفسرهم . ان القراءة والسماع لم يكونا يعينان في كل التاريخ العربي الا صدقنا وأطعنا ، صلينا وركعنا . لم يكونا الا تلقيا للاوامر الباتة . ولم يكن انبياء العرب وقادتهم في كل تاريخهم يعنون غير هذا حين يأمرون بالقراءة والسماع . ان الدعوة الى القراءة والسماع ليست في التاريخ العربي الا دعوة الى أمية العقل والرؤية والضمير والاخلاق .

ان العرب لو كانوا يقرؤون أو يسمعون ما يقرؤون ويسمعون لكان مستحيلا جدا ان يطلب منهم بل ان يقبل منهم أي اله أو نبي أو زعيم أو معلم من آلهتهم أو لنبيائهم أو معلمهم أو زعمائهم ان يقرؤوا أو يسمعوا له أو منه أي شيء ، بل لكان مستحيلا ان يقول اي اله أو نبي أو زعيم أو معلم عربي أي شيء لكي يقرأ ويسمع أو لثلا يقرأ أو يسمع . ان أي اله أو نبي أو معلم أو زعيم عربي لو خاف أو شك اي قدر من الخوف أو الشك . ان الانسان العربي قد يستطيع ان يقرأ أو يسمع ما يقرؤه ويسمعه لاقاموا جيوشا لتقاومة القراءة والسماع . . لقد كان آلهة العرب وانبيأؤهم ومعلمهم وزعماؤهم يطالبون قومهم بالقراءة والاستماع مثلما كانوا يطالبونهم بالنظر . لقد كانوا يطالبونهم بأن ينظروا اليهم والى الكون والى كل شيء ، وبأن ينظروا فيهم وفي الكون وفي كل شيء . لانهم كانوا يعرفون انهم مهما نظروا فانهم لا يرون . انهم لا يرون ما ينظرون أو مهما نظروا ، بل انهم لا يرون ما يرون . لقد كانوا يطالبونهم بما يعلمون انهم لن يصنعوه ولن يستطيعوا ان يصنعوه ، وبما لو صنعوه أو استطاعوا ان يصنعوه لقاتلوهم لثلا يصنعوه . .

كذلك كانوا يطالبونهم بأن يتفكروا في انفسهم وفي الكون وفي كل شيء لانهم كذلك كانوا يدركون انهم مهما تفكروا فانهم لا يفكرون ولن يفكروا . لقد كانوا يقولون لهم تفكروا ولا يقولون لهم فكروا لانهم لم يكونوا يعنون التفكير بمعناه الحضاري والانساني . .

وكذلك ايضا كانوا يلحون عليهم ويحرضونهم اشد التحريض بأن يعقلوا وبأن تكون لهم عقول ويكونوا عقلاء ، لان العقل عندهم وفي سلوك الانسان العربي هو

الطاعة والتسليم واخذ المكان في الطابور الخاضع المبايع . والعامل عندهم وفي وعي الانسان العربي هو الذي لا يحاسب أو يحاكم أو يفسر أو يعامل الاشياء أو التعاليم أو الاوامر أو الاحداث أو الطغاة الاغبياء والتسلطين والاقوياء والمدعين للنبوات أو للفقوق والتفويض ، بالعقل أو التفكير أو الحوار أو المسألة . انه هو الذي يتنازل عن كل محاسبة ومساءلة ومحاکمة ومحاورة حينما يريد منه قتلته ومجانينه ان يفعل كل الجنون ويؤمن بكل الجنون . . .

لقد كان العاقل في كل حساباتهم وتفاسيرهم وتصورهم هو الذي يتخلى عن كل تعامل بل عن كل تحاور أو تشاور أو تفاوض مع عقله بل عن التصور بان له عقلا حين يأمرونه أو يسوقونه أو ينتظرون منه ان يفعل كل ما يرفضه العقل ، ان يفعل كل الجنون والحماقات والبلادات . . ان يجن في طاعتهم والايمان بهم والهناف لهم وفي اقتراف كل الذنوب والجرائم والاختفاء والسفاهات والسفالات باسمهم وحباً وولاء لهم وتشبيها لامجادهم الفاجرة . ان الاله أو النبي أو الزعيم العربي لا يمكن ان يفهم العاقل أو يفسره الا بانه هو الذي يجن عقلا واعتقادا وسلوكا حينما يريد هو هذا الجنون . . .

ما الذي يحتمل ان آلهة العرب وانبياءهم ومعلميهم وزعماءهم يتصورونه أو يفهمونه أو يعنونهم أو يريدونه أو يطالبون به حينما يقولون لرعاياهم واتباعهم وعبيدهم : اقرأوا واستمعوا وانظروا وتفكروا وكونوا عقلاء ، او « افلا تعقلون » ، او « افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو اذان يسمعون بها » ؟ ان المطلوب من الانسان العربي ان يعقل بقلبه لا بعقله ولا برأسه . لعله قد افترض بلا عقل . ولعله لم يعرف ان للرأس وظيفة عقلية أو ان لرأسه هذه الوظيفة .

الليس المعنى هنا حتما : « آمنوا بنا وأطيعونا واعتقدونا كل الذكاء والجمال والحقيقة والنظافة والتقوى والخلود والعقل دون ان تراجعوا أو تشاوروا عقولكم أو عيونكم أو اذانكم أو اخلاقكم أو كرامتكم ووقاركم ، بل مع احتقاركم ورفضكم لكل ذلك فيكم ، بل مع اعتقادكم بان عقولكم واذانكم وعيونكم ليست لها اية وظيفة أو تفسير غير ان تطيعونا وتجنوا حبا لنا وخوفا منا وتمجيدا لمجد جنوننا ؟ ، .

ان كلمات : عقل ونظر وقراءة واستماع وتفكر هي كلمات لغوية فما تفاسيرها عند الانسان العربي ، وماذا يعني بها حين استعماله لها ؟ هل تعني اية كلمة يقولها أو يسمعها الانسان العربي غير دلالاتها وتفاسيرها اللغوية ؟ من علم الانسان للعربي تفاسير الكلمات ؟

هل آلهته وانبيائه ومعلموه وزعماءه هم الذين علموه ووضعوا له تفاسيرها ، أم هم تعلموا تفاسيرها منه أو مثلما تعلمها هو ، اي انهم فهموها بهذا التفسير كما فهمها هو دون ان يكون هنا معلم ومتعلم ، اي انهم هم ضالون ومخدوعون كما انه

هو ضال ومخدوع ؟ نعم ، ان كل شيء يحوله الانسان العربي الى نقيض معناه عند المتحضرين حتى التعليم ، انه لا بد ان يحوله الى النقيض ، الى الامية الشاملة في كل ممارساته وتفاسيره بل ونياته ولغاته .

اجل ، انهم لم يدبروا ان يضعوا لهذه الكلمات اللغوية هذه التفاسير لكي يخدعوه بها ولكنهم وجدوه هكذا يفهمها ويفسرهما فراحوا يعاملونه كما وجدوه ، كما راحوا يفهمونها ويفسرونها مثله لانهم لم يكونوا في معانيهم وقيمهم الحضارية والانسانية وللبشرية اكبر منه . انهم لم يعرفوا كما انه هو لم يعرف . لقد تعلموا هم وهو تفاسير الكلمات من مستوياتهم بلا معلم كما تعلموا نفس الكلمات وكما تعلموا ضعفهم وغباؤهم وطاقة عضلاتهم . . .

انهم لم يتقنوها او يترفعوا عن ان يكونوا خادعين ، ولكنهم عجزوا عن ان يكونوا في هذه القضية كذلك . قد يكون مجدا لك في بعض المواقف ان تكون خادعا ، ولكن قد يصبح هذا الجد شيئا لا تستطيعه موهبتك . قد تصبح الخديعة موهبة لا تملك ادعاءها . . .

ولكن ماذا لو ان آلهة العرب وانبياءهم ومعلميهم وزعماءهم فهموا هنا انهم خادعون ، وانهم هم الذين وضعوا للانسان العربي تفاسيره لكلمات : عقل ونظر وقراءة واستماع وتفكر ، وهم الذين جعلوه أي جعلوا الانسان العربي لا يقرأ ولا يسمع ولا يرى ولا يعقل ما يقرؤه ويسمعه ويعقله وينظر اليه ولا يفكر في ما يتفكر فيه ؟ اليس محتوما حينئذ ان يرهقهم الخوف والتوقع لانهم لن يثقوا بأن خدعتهم هذه سوف تستمر دون ان تكتشف وتفتضح ، وان الانسان العربي سوف يستمر في مستوياته العاجزة لا ينخطاها ولا يريد تخطيها ؟

وإذا اكتشفت أو بطلت أو عجزت عن الاستمرار أو تخطى الانسان العربي طوره هذا وعجزه الاليم وأصبح يقرأ ويسمع ويرى ويعقل ما يقرؤه ويسمعه وينظره ويعقله ويفكر فيما يتفكر فيه ، أفلا يتعون اي آلهة العرب وانبياءهم ومعلموهم وزعماءهم ، حينئذحتما في اقسى ورطة ؟ انه اي الانسان العربي سوف يقرؤه ويسمعهم ويراهم ويعقلهم ويفكر فيهم حينئذ بكل معانيه الانسانية . . . وحينئذ كيف يمكن ان يراهم ويسمعهم ويقرؤه ويعقلهم ويفكر فيهم ؟ كيف يستطيع حينئذ ان يتقبل نماذجهم أو يتصور انها نماذج لكائنات حقيقية ؟ كيف يستطيع حينئذ ان يتصور ان كائنات قد تملك وتعيش كل هذا العار والافتضاح والضعف بكل معانيه ولغاته ؟ ان عينا واحدة مبصرة أو اذنا واحدة سامعة أو عقلا أو ضميرا واحدا فاهما أو مسائلأ أو قارئا أو محاكما لن يستطيع ان يرى أو يسمع أو يقرأ أو يواجه واحدا من هؤلاء . . .

ان كل ما لالهة العرب ولانبيائهم ومعلميهم وزعمائهم من استنثار ومجد وتاريخ جيد ، مشروط ومحروس بأن يظل الانسان العربي عاجزا عن ان ينخطى طوره التاريخي الذي أحد تفاسيره ألا يستطيع ان يقرأ أو يسمع أو يعقل أو يرى ما يقرؤه ويسمعه

ويراه ويعقله كما لا يستطيع ان يفكر فيما يتفكر فيه . ان عربيا واحدا لم يقرأ أو يسمع أو ير أو يفسر الها أو نبيا أو قائدا واحدا من آلهته وقادته وانبيائه في كل تاريخه وتاريخهم .

اذن هل يمكن ان يدوم هذا المد والاستتار والتاريخ المجيد لهؤلاء الالهة والانبياء والمعلمين والزعماء الذين كل جمالهم في ألا توجد عيون تراهم ، وكل ذكائهم في ألا توجد عقول تفهمهم وتحاسبهم وتفسرهم وتناورهم ، وكل قوتهم في ألا توجد عضلات أو قوة أخرى تصارع وتبازر وتتحدى عضلاتهم وقوتهم ، وكل مجددهم وتقواهم وعظمتهم وصدقهم في ألا تكون التقوى والعظمة والمد والصدق غير النذالة والبغضاء والسفاهة والسباب والكذب والصراخ والادعاء والبحث عن المخاصمات وفي ألا تفسر هذه الابهة ؟ راثع جدا أو مخز ومهين جدا أن يكون مجد الالهة والانبياء والزعماء والمعلمين والاحترام لهم مشروطين بدوام هوان العبيد والاتباع والرعايا ويدوام بلادتهم . . ولكن أليس هذا الراثع جدا أو المخزي المهين جدا هو الذي يحدث دائما وحده في كل التاريخ العربي ؟

اذن لماذا نطلب الى الانسان العربي الا يقرأ أو يسمع هذا الذي سوف نكتبه في سطور آتية ؟ بل لماذا نطلب اليه الا يقرأ أو يسمع أي شيء نخاف عليه أو نرفض له أن يقرأه أو يسمعه ؟ لقد فسرناه ووجدناه اي الانسان العربي لا يقرأ ولا يسمع شيئا مما يقرؤه ويسمعه . اذن فهو لن يقرأ ولن يسمع مهما قرأ وسمع . . اذن فالخوف عليه من القراءة والسماع ونهيه عنهما عبث وبله . ان هذا الخوف والنهي يساويان نهى الاعمى عن ان يرى دمامة وجهه والخوف عليه من ان يرى هذه الدمامة أو أن ينظر اليها ، أو يساويان الخوف على الاصم من ان يستمع الى صوته القبيح ، ونهيه عن هذا الاستماع ، اشفاقا عليهما اي على الاعمى والاصم من ان يتعذبا ويحزنا اذا رأى احدهما وجهه ، وسمع الاخر صوته . ان الخوف على الانسان العربي ان يرى أو يسمع أو يقرأ ما يراه أو يسمعه أو يقرؤه يساوي الخوف على الهه من أن يرى وجهه في تشوهات وعاهات ما خلق .

ولكن اذا كان ذلك كذلك فلماذا نكتب باللغة العربية اي شيء اي ما دام الانسان العربي لن يصبح قارئاً أو سامعاً او لن يصبح قارئاً أو سامعاً ما يقرؤه ويسمعه ؟ ولماذا نطلب اليه ان يقرأ ويسمع ونحن نعرف أنه لن يفعل ذلك مهما فعله اي مهما بدا أنه قد فعله أو انه يفعل أو مهما بدا في صيغة من يفعله . . ونحن نعرف انه لم يوجد عربي واحد في كل التاريخ العربي قد قرأ أو سمع شيئا مما قرأه وسمعه ؟

أليس بلها أو سخفا أو نزقا مثيرا ان نكتب بلغة لن يوجد من يقرؤها ولا من يسمعه ، أو أن نكتب لقوم أو بلغة قوم نحن نعرف أنهم لا يقرؤون ولا يسمعون ، وانهم لن يصبحوا قارئين أو سامعين أو مستمعين ؟ أليس عبثا أو سخفا اليما ان يكون قد وجد هذا العناء الضخم جدا المسمى تراثا عربيا مع ان احدا لم يقرأه ولن يقرأه مهما قرىء ، وفسر وزعم بداية ونهاية كل عبقرية ومعرفة وتاريخ وحضارة . .

اننا لا بد ان نتكلم ونغني ونصرخ ونئن ونشكو ونبكي ونرى حتى ولو لم يكن هناك من نكلمه أو من نغني ونصرخ ونئن ونشكو ونبكي له أو ما نراه أو من نراه .
اننا لا بد ان نفعل ذلك ولو توجهنا الى الاطلاع والنجوم والسحاب والرياح والقبور .
ان سماع الاذن أو وجودها ليس شرطاً في الصراخ . .

اننا لا نتكلم أو نقرأ أو نعلم أو نفكر أو نريد بقدر ما نجد من نكلمه أو نقرأ له أو عليه أو من نعلمه أو نفكر له أو معه أو فيه ، ولا بقدر ما يوجد من يريون منا ذلك أو يستفيدون منه . ولكننا نفعل ذلك بقدر ما نحتاج نفسياً وذاتياً الى ان نفعله .
اننا لا نصلي بقدر استحقاق الاله الذي نصلي له ولا بقدر جماله أو ذكائه أو حبه أو قوته أو عطائه بل بقدر مجاعتنا الى الصلاة وقدرتنا عليها . .

اننا احياناً نفترض وجود من لا وجود له لان هذا الافتراض يجعلنا نستطيع ان نهتف ونصلي ونشكو ونتكلم ونغني ونبكي دون ان نحترق انفسنا وعقولنا أو ننتهم انفسنا أو يتهمنا الآخرون بالجنون لاننا نفعل ذلك مع من لا وجود له . واننا احياناً لفنترض ما لا يسمع أو يرى أو يفهم سامعاً ورائياً وناظرها لكي نخاطبه بكل اساليب المخاطبة . . اننا بالافتراض لنصنع للكائنات والاشياء العيون والاذان والعقول والاخلاق والمواهب المختلفة ، واننا لنصنع ذلك اي بالافتراض كما نحتاج لا كما نجد أو نعلم .

اجل ، اننا لنفترض هذا وهذا أو هؤلاء وهؤلاء لاننا لا بد ان نتكلم ونعلم ونقرأ ونهتف ونصلي ونخاطب ونحاور ، أي ونفترضهم على مقاسات احتياجاتنا هذه .
لقد افترضنا وجود الالهة والانبياء والقديسين وجميع الكائنات السماوية والغيبية وجميع الارواح الخارقة المطلقة الوجود والقوة والحواس ، وافترضناهم يرون ويسمعون ويفهمون ويطلبون ويحتاجون يشتهون وبستجيبون ويرضون ويغضبون ويطلبون ، بل ويخافون وبطمئنون ويتكبرون ، ويجوعون الى الامتداح والصراخ والهتاف والنفاق والانشاد والبكاء .
لقد افترضناهم في الصيغة التي نحتاج اليها لا في الصيغة التي تتحول الى تمجيد وتكريم لهم ولا في الصيغة التي وجدناهم بها وجربناهم عليها . .
نعم ، لقد افترضناهم كذلك لكي نفعل كل ما يوجبه أو يطلبه أو يعنيه أو يسوغه هذا الافتراض من قراءة وصلاة ومناجاة وتعليم وحوار ومن ارشاد وانشاد ومطالبة وتخويف . ان حاجتنا الى التحدث قد جعلتنا نهتف بالالهة ونصلي لها اكثر مما جعلنا نفعل ذلك علمنا بأنها سوف تسمعنا وتستجيب لنا . ومن اقتنع بأنها تسمع فقد اقتنع لانه محتاج الى التحدث لا لانه قد اقتنع حقا .

ان هؤلاء اي الالهة والانبياء وكل سكان السماء والغيب لا يساؤون ما سوف يعنون لنا من جزاء ولذات في الدار الآخرة ، أو ما سوف يهبوننا من ضمانات واطمئنان ومحبة وصدقة وذكاء وتعاليم ، أو ما سوف يقدمون لنا من تفاسير معقولة ومقنعة ومنطقية عن انفسهم أو عنا أو عن هذا الكون . ان نخوتهم وجمالهم لا

بساويان ما رأينا وجربنا من نخوتهم وجمالهم وانما يساويان احتياجنا الى ان نجدهم ونفترضهم كذلك .

انهم لا يساوون شيئا من ذلك واننا لم نؤمل او نرد ان يهبونا شيئا من ذلك مهما بدونا وكاننا نؤمل ونريد ذلك منهم ، بل وكاننا لا نريد ولا نؤمل شيئا غير ذلك . انهم لا يساوون انفسهم بل انفسنا . ان اي اله او نبي او قديس او ملك لن يكون صيغة لنفسه بل صيغة لانفس المؤمنين الهاتفين به المناجين له المتحدثين اليه وعنه . . .

اذن نحن محكوم علينا بان نفترض ان حولنا من يقرؤون ويسمعون ، وبان نفترض انه يوجد من يقرؤون اللغة التي نتكلمها ونكتب ونعلم بها ومن يسمعونها ويسمعون بها ولها . ان اللغات لم توجد لانه يوجد او قد يوجد مستمعون ولكنها وجدت لانه يوجد او قد وجد متكلمون او من يستطيعون ويريدون ان يتكلموا . ان العيون لم توجد مجاملة او حبا للمرئي بل احتياجا وقدرة واشواقا في الرائي .

واذن لا بد ان نفترض ان الانسان العربي يقرأ ويسمع وما يقرؤه ويسمعه . لا بد ان نفترض هذا الافتراض بقدر احتياجنا الى التعامل به ومعه وفيه وعليه لا بقدر اقتناعنا به او معرفتنا له ، بل ولا بقدر عجزنا عن معرفة كونه خطأ . . اي اننا لا بد ان نتعامل معه وبه وكاننا نفترضه او نعتقده كذلك . . .

اذن لقد اصبح الانسان العربي يقرأ ويسمع ويرى ويعقل ما يقرؤه ويسمعه ويعقله ويبصره ويفكر في ما يتفكر فيه او في ما تأمره آلهته واديانه وانبيأؤه ووعاظه ان يتفكر فيه لا ان يفكر فيه . نعم ، ان المطلوب من الانسان العربي ان يتفكر لا ان يفكر . . يتفكر بمعنى وفي صيغة يتعبد ويتخضع ويتقرب . هكذا علمه وامره كتابه المنزل . . يتفكر ، . . .

نعم ، لقد أصبح الانسان العربي كذلك لاننا هكذا احتجنا الى افتراضه وهكذا افترضناه اي بقدر احتياجنا الى افتراضه . اليس الافتراض الذي يحرض عليه الاحتياج يصبح واقعا ومنطقا يتعامل به الناس ويتعادون ويتشائمون ويتقاتلون باسمه ودفاعا عنه وايماننا به ؟

واذ قد افترضنا الانسان العربي كذلك اي يقرأ ويسمع ما يقرؤه ويسمعه ، وافترضناه يستطيع ان يخاطب وان يتعامل مع الخاطبة له ويستجيب لها ، فلا بد حينئذ من ان نتحدث اليه وان نجد وننتظر في التحدث اليه معنى وتفسيرا ، اي لا بد ان نكون معه تعاملًا وتوقعا كما افترضناه . أليست أقوى واكبر واكثر حقائقنا لم تكن الا افتراضا ؟

ماذا يبقى لنا من حقائقنا ، من اربابنا وعقائدنا ومذاهبنا وامجادنا وايماننا لو اننا لم نكن مصابين بموهبة الافتراض ؟

لأن لا بد أن نخاف عليه من بعض قراءاته واستماعه ، أي من أن يقرأ أو يسمع بعض ما يقرأ ويسمع لا بد أن نخاف عليه من أن يتعذب ويسحقه الشعور بالاحتقار لنفسه ولآبائه وأجداده الموجودة في مقابر آبائه ، وفي روايات كتبه لو أنه قرأ وسمع بعض تراثه ، أي بعض ما كانت تقوله وتقرؤه وتسمعه حضارات وأخلاق وعقول وعبقريات آبائه ، أي لو أنه قرأ ذلك بفكر قارئ وسمعه بأذن سامعة ، وحاسبه رحاكمه وطالبه وفسره واحسه وحدق فيه بخلق أو بحاسة أو بكرامة أو بعين أو بموهبة محاسبة محاكمة قارئة مفسرة حساسة محدقة ..

نعم ، لا بد أن نخاف عليه من ذلك وأن ننهاء عنه ..

لا بد أن نطلب إليه ألا يقرأ أو يسمع هذا الذي سوف نقلوه عليه هنا من قرات ومواهب وآبائه لئلا يفجع ، أي لو قرأه ، وسمعه ، فجيعة قد تقتل أو تذل وتهزم وتسكت فيه كل احتمالات الطموح والكبرياء والذكاء والحضارة والوقار والتطلع والإشواق إلى التفوق والمجد والابداع وأعجاب الآخرين أو رضاهم أو كفهم عن الاحتقار والاشمئزاز والاستهزاء منه وله ماضيا وحاضرا ومقبلا مستقبلا .. ألسنا أحيانا مطالبين بالآل ننظر في المرأة لئلا تشد فجيعتنا بأنفسنا ؟ أليس اختراع المرأة ذنبا اليما عظيما في حساب أكثر العيون والوجوه ؟ ألسنا أحيانا نعلم من نضع في بيته امرأة ؟

إنه لشيء رهيب أن تقرأ أو تسمع هذا الذي سوف نقلوه عليك من أصوات آباءك التي هي أشهر وأكبر أمجادهم ، أو التي هي كل أمجادهم في رأي آخر قد يكون هو الأصح .. وأنها لوحشية نقترفها بفضاظة حين نتمتع أسماك هذه الأصوات بل حين نستطيع أن نمنعك من قراءتها وسماعها ثم لا نمنعك ..

ولكن لقد جربناك ودرسناك يا ابن العروبة الأصيلة فوجدنا دماغك مشحونة بالحلم والوقار والاسترخاء والبرودة المستريحة . إنها أي دماغك لا تصاب بالغليان أو الغضب أو الأشمئزاز أو الخوف من أن تكون متهما بالعار أو الهوان أو البلادة والتخلف والحقارة ، أو بانك كائن مصوت لم تصعد إلى طور الكائن المتكلم ، أو من أن تكون كذلك ، ولست متهما به فقط .. إنه لا يوجد مثلك في أسرخاء وبرودة دمك وفي عجزه عن الفوران استنظافا للعار أو للحقارة أو للهوان أو للاتهام بذلك .

إنه لا يوجد من يتفوق عليك غفرانا لنفسك في أن تكون دون ما يجب أن تكون ، وفي أن تكون دائما أقل كثيرا من كل ظروفك . إنك لا تشترط لكي نونتك ولا لرضاك عنها ولا لأعجابك بها ولا لغفرانك لها أية شروط كبيرة ولا يعذبك إلا تشترط لها أو عليها .

إنه لا يوجد من يتفوق على ابن العروبة الأصيلة الكريمة في تسامحه وغفرانه لمرآته ، أي لما يراه في مرآته من قبح وتشوه وضعف وبذاءة واتساح ، أي حينما ينظر

فيها الى وجهه . بل انه لا يوجد ولم يوجد من يتفوق عليه بل او من يباريه في عجزه عن ان يرى مرآته أو يرى فيها ما تراه هي وما يراه الآخرون فيها . . .

انه لا يوجد غافر لوجهه ومتسامح معه مهما رآه أو مهما عكسته المرآة ، أو غافر لمرآته ومتسامح معها مهما كانت وحشيتها حينما تريبه وجهه وحينما تعرضه عرضا عالميا مثل الانسان العربي . بل انه لا يوجد مثله رائيا في مرآته كل الجمال والنظافة والقوة والتعذيب والاستواء حينما يرى فيها أو حينما يرى الآخرون فيها أو حينما تعكس هي كل الدمامة والقذارة والضعف والوقاحة والتشوه .

انه لا يوجد من يحب مرآته القبيحة الوقحة المتوحشة في قسوتها ، أو من يغفر لها أو يرى فيها غير ما ترى هي في نفسها ، مثل الانسان العربي .

انه لا يوجد مرآة جيدة الحظوظ في الغفران لها وفي الشعور بها ولها ، وردية الحظوظ في رؤاها ومواجهاتها ، مثل مرآة الانسان العربي . . .

انه لا يوجد شيء يرى ويعرض ويكشف ويعلن كل الضعف والدمامة والتشوه والبذاءة ثم يعامل بكل الحب والتمجيد والاعجاب والثناء ، مثل المرآة الموجودة في بيت الانسان العربي . انه لم يحدث ان غضب الانسان العربي على مرآته أو كره لها أو استنكرها أو فكر في الاستبدال بها مهما كان تبخها ووقاحتها وقسوتها وفضحها له .

نحن نعرف كل ذلك من اخلاق الانسان العربي ومن شمول تسامحه وغفرانه لنفسه ولآبائه وتاريخه ، بل من اعجابه بكل ذنوبه ونقائصه وجهالاته الفضاحة التي علمتها وروتها وورثتها له عبريات آباءه وتاريخه . ان الانسان العربي لطقس رائع من الاسترخاء والخمول وغفران النذالات والجهالات وجميع القبائح والنقائص لنفسه بل ومن العجز عن رؤية ذلك أو الشعور به . . .

لهذا فان ضماثرنا لن تعاقبنا أو تحتج علينا حين نسمعه اي نسمع الانسان العربي هذا الذي سنسمعه اياه في السطور التالية من اصوات آباءه التي يحسبونها ويسمونها اشعارا عبقرية ، يباهون ويتحدون بها كل ما لدى الكائنات الأخرى من عبقریات العواء والصهيل والزئير والثغاء والرغاء والطنين ، بل يقاتلون ويبارزون ويشتمون بها كل حضارات وانتصارات وتفوق وقوة جميع المتحضرين والمنتصرين والاقوياء والمتفوقين . . . بل انهم يرون أن مجرد حفظها اي هذه الاشعار العبقريّة التي سنتلوها عليك ، ومجرد كتابتها وروايتها وانشادها اعظم تمجيد وصلاة لعبقرية التاريخ والطبيعة والالهة والبشر . . . انهم يعتقدون انهم يصنعون مجد كل شيء بانشاده هذه الاشعار وباسماعها اياه وبكتابتها على جبينه وثيابه .

نعم ، يا ضماثرنا ، لقد اعتذرنّا اليك وفسرنا لك قوة وصدق اعتذارنا . اذن لن تجرئي يا ضماثرنا على ان تحاسبينا أو تحتج علينا اشفاقا على كرامة الانسان العربي ، وعلى موهبة الاستحياء والوقار فيه ، وعلى موهبته في اعجابه بنفسه وبتاريخه وبآبائه وعلى موهبة الرضا فيه عن نفسه وعن تاريخه وعن آباءه . . .

نعم ، يا ضمائرنا المرهقة المقتولة بكل انواع المقاساة والمواجهة ، لن تجرئي على محاسبتنا أو على الاحتجاج علينا لتفسيرك ايانا بأننا اقصى القساة حين نسلم الانسان العربي أصوات آباءه التي سيسمعا بعد قليل ٠ لا ، لن يقتلك الاستفطاع والجزع والاشفاق حين تعلمين ان الانسان العربي سوف يسمع ويقرأ هذه الاشعار لابائه . .

اننا لو لم نقدم اليك يا ضمائرنا المصلوبة دائما هذا الاعتذار أو التفسير لكان من المحتمل جدا أو من المحتوم ان تعجزى عن التصور باز الانسان العربي قد يقبل نفسه أو يقبل آباءه أو يغفر لنفسه ان يكون موجودا أو يكون هؤلاء آباءه حين يسمع أو يقرأ اصواتهم هذه ، ولكان من المحتمل جدا أو من المحتوم ان يعذبك أو يقتلك الاستفطاع والفرع والاشفاق حين تعرفين اننا سوف نتلو على الانسان العربي هذه الاشعار من عبقریات ابائه ، أو حين تسمعيننا نتلوها عليه . وانت حتما سوف تسمعيننا عن قريب نتلوها عليه . اذن كم نحن محتاجون يا ضمائرنا الحزينة الى ان يتسع غفرانك لنا ووعيك لاعتذارنا اليك حين تسمعيننا نتلو على الانسان العربي أصوات ابائه . .

ومع هذا يا ضمائرنا المعذبة لنا المعذبة بنا . . المتعذبة بكل شيء نراه أو نعلمه أو نحياه ، والمحولة لكل شيء نراه أو نعلمه أو نحياه الى تعذيب واشمئزاز وتحقير وهجاء لنا - نعم ، ومع هذا يا ضمائرنا فاننا سوف نفعل شيئا قد يعد اقصى لساليب المبالغة في الاعتذار اليك والاسترضاء لك . .

ذلك اننا هنا سوف نفترض الانسان العربي مالكا لموهبة الاستفطاع والاستنكار والاستقباح والاحتجاج والرؤية والغضب الفكري والاخلاقي والانساني ، كما افترضناه يقرأ ويسمع ما يقرؤه ويسمعه . . سوف نفترضه رأيا محاسبا محاكما قارنا مفسرا لمرآته . . سوف نفترضه حينما ينظر الى مرآته رأيا وجهه الذي في مرآته لا الوجه الذي قرأ عنه في تاريخه وتعاليمه واشعاره ورواياته واديانه وفي غروره ، والذي صنع له عجز خياله وطموحه وذكائه وكبريائه وعجزه عن الاشتراط على نفسه وعلى الاشياء وعلى رؤاه ، وعجزه عن الصدق في رؤيته له وفي حديثه عنه وفي تعامله به .

سوف نفترض الانسان العربي افتراضا افضل ، افتراضا يجعله يستطيع ويجرؤ ان يرى الدمامة دمامة ، والبلادة بلادة ، والنذالة نذالة ، والعار عارا ، والافتضاح افتضاحا ، والعجز عجزا ، والهزيمة هزيمة ، والبدواة بدواة ، ويرى العربي عربيا فقط لا عربيا وحضاريا ، أو لا عربيا ومبتكرا لجميع الحضارات والمزايا الانسانية ، أو لا عربيا والوهية ونبوة وقيادة لكل الحضارات والقيم والمعارف والبشر ، أو لا عربيا ومجدا للاله لايمانه به ولكونه من خلقه ، ومجدا للطبيعة لمعايشته لها ولوجوده فيها ولتعامله بها ، ومجدا للبشر لكونه من البشر ، اي اذا تواضع واريده له أن يتواضع . اي لكونه من البشر في اصغر مزاياه . اليس كون الانسان العربي من

البشر هو أصغر مزياءه ؟ أليس تقبله الانتماء الى البشر هو اعظم اساليبه في التواضع ؟

سوف نفترض ان الانسان العربي حتما يرفض ان يوجد أو يبقى ان كان محتملا أو لو كان محتملا ان يعيش أو يعايش أو يهوى أو يرى أو يقرأ أو يسمع أو يعامل أو ينمي اليه أو الى ابيه أو الى تاريخه غير المجد والذكاء والشرف والكرامة والوقار والحكمة والصدق والحب والتواضع ، وغير ابتكار الحضارات والعبقريات والمثل الدينية والاخلاقية والانسانية ، وغير ولادة الالهة والانبياء والقديسين وكل اللوان العباقر الكونيين . نعم ، أليست ولادة الالهة والانبياء والعباقر والقديسين هي بعض عطايا واهتمامات الانسان العربي ؟ أليست هذه الولادة هي اصغر مواهبه ؟

سنفترض انه لا بد أن يوقع افسى العقوبات بمرآته لو أنه حينما نظر اليها لم ير كل القسامة والاشراق والابتسام والنظافة والتهديب والشموخ في كل الاتجاهات والافاق . لو انه حينما نظر اليها اي الى مرآته لم ير كل الجمال والبهاء في الوجه الواحد الذي يراه ، وكل الذكاء والبريق في العينين اللتين يراها ، وكل الحب والصدق والرزانة في الملامح والايقاعات الحركية التي يراها ، وكل القامات والهامت كل شموخهما وانتصابهما في القامة الواحدة والهامة الواحدة اللتين ترتفعان وتمتدان امامه بكل اتساع الكون وبكل شموخه ، ولم ير كل الالهة والتقوى والنبوات والحضارات والعبقريات مطلة من العقل والضمير الزروعين في كل ارجاء ذاته .

اجل ، سوف نفترض الانسان العربي يملك حساسية رافضة غاضبة محرقة محتركة في مواجهة النذالة والنقص والسخف والهوان والضالة ، لو ان شيئا منها اي من هذه الحساسيات التي يملكها عولت بها الشمس أو عاشتها الشمس لتحولت اي الشمس الى رماد وتراب ، اي لقتلت وامتصت واستهلكت كل حرارتها بعنف احتراقها وتوقدها . سوف نفترضه جحيما محرقا في محاسبته ومحاكمته لنفسه وللأشياء التي يتعامل معها بعقله أو باخلاقه أو بشهوته أو بمواجهاته .

لا بد أن نفترض الانسان العربي كذلك وان نتحدث اليه بما يعنيه هذا الافتراض لاننا لا بد ان نتحول الى واعظين ومعلمين وصانعين للنصائح والوصايا . اي لا بد ان نقول له : افعل هذا ، ونهيك ان تفعل ذاك ولنمك ونطالب بغضب الاله عليك ان فعلت ذلك . لا بد أن نقول له : اننا نهيك بكل القسوة والغضب ان يخفق قلبك أو تجوع اعضاؤك أو يفهم أو يرفض أو يحتج عقلك .

ان كل انسان محتاج أو محكوم عليه بان يصبح واعظا ومعلما ومقدما للوصايا والنصائح ولو احيانا ، اي لا بد ان يمارس وظيفة الوعظ والتعليم والنصح والتوصية مهما كان ذلك عاجزا عن ان يصنع اية نتيجة بل مهما كان ذلك ضد كل نتيجة كان الوعظ والتعليم والنصح والتوصية من اجلها وبحجة البحث عن تحقيقها ، بل مهما كان ذلك ضد قوانين واحتمالات الاشياء المجربة دائما .

اننا جميعا لا بد ان نستمر نقول للاخرين كونوا اذكياء واقوياء وشجعانا وانتقياء وصادقين ومنظهرين وشامخي الرؤوس والنفوس ومحبين لاعدائكم ولاخوانكم مثل حبكم لانفسكم ، وعاطفين على ابناء الاعداء وملاعبين مدللين لهم مثل عطفكم على ابنائكم وملاعبتكم وتدليلكم لهم اي لابنائكم ، بل وحرانى من اجل الشيطان الموهوب لافسادكم . .

اننا لا بد ان نستمر نقول ذلك وامثاله حتى ولو كان قولنا هذا يساوي فسي دلالاته ونتائجه وتفاسيره ان نقول للبرغوث : كن انسانا أو كن آلهة أو نبيا أو زعيما عربيا أو كن بلا اخلاق وجسد وطموح برغوث ، أو أن نقول للنملة : كوني بحجم الفيل أو للشمعة كوني بحجم وحرارة الشمس ، أو للارنب كن بحجم وشجاعة الاسد ، أو ان نقول للزعيم أو للحاكم العربي : كن في الذكاء والقدرة والاخلاق والضخامة والرزانة وفي الصدق والشجاعة والايمان بالحرية وفي جميع المزايا مساويا للزعيم أو للحاكم غير العربي . . أو أن نقول للذنن العربية : كوني في احتجاجك وذكائك واخلاتك واستماعك واشتراطك وفي تقبلتك ورفضك - كوني في كل ذلك اذنا غير عربية .

نعم ، ليست اكثر نصائحنا ووصاينا ومواعظنا لا تعني الا ما يعنيه ان يقال للبرغوث : كن لها أو نبيا أو زعيما عربيا ؟ اذن السنن دائما نتوجه من فوق جميع منابرنا وصحافتنا واقلامنا الى البراغيث قائلين لها : كوني آلهة أو انبياء أو زعماء أو حكاما عربا ؟

السنن في اكثر مواعظنا ونصائحنا وتعاليمنا نساوي من يقولون للزعماء وللقيادة وللحكام العرب : كونوا اذكياء أو حكماء أو صادقين أو مهذبين أو شجعانا أو متواضعين أو مخلصين أو مؤمنين بالحرية أو بالحضارة أو بالفكر ، أو كونوا مفكرين أو عادلين أو انسانيين . أليس الذي يقول لزعيم أو لحاكم أو لقائد أو لنبي عربي : كن ذكيا أو قويا أو تقيا أو صادقا أو مهذبا أو مفكرا مثل من يقول للبرغوث : كن لها أو نبيا أو زعيما أو حاكما عربيا ؟

ايهما اكثر معنى وعظيا : ان يقال للنملة كوني فيلا ، وللبرغوث كن انسانا ، وللارنب كن اسدا ، ام ان يقال للزعيم أو للحاكم أو للقائد العربي : كن في جميع مزاياك مثل الزعيم أو الحاكم أو القائد الذي هو ليس عربيا في جميع مزاياه ؟ هل يوجد احتقار للكلام وللنصائح يساوي ان يقال للزعيم أو الحاكم أو المفكر العربي : كن في مواهبك غير عربي ؟

ايهما اكثر ذكاء أو توقعا للنتائج الجيدة : اله يرسل اعظم انبيائه وينزل اعظم كتبه الى صرصار لكي يتحول الى واعظ للبشر لكي يحميمهم اي الصرصار بمواعظه من مجاعات اعضائهم ، ومن ضلال عقولهم ، ومن اهواء انفسهم ، ومن هوان كبرياتهم ، ومن تلوث جلودهم ، ومن تساقط كراماتهم وشرفهم في الحفر ، ام واعظ أو معلم أو مفكر ينتوجه بنصائح ووصاياه وعظاته الى الزعماء والقادة والحكام العرب ليكونوا

اذكى أو اقوى أو اتقى أو اكثر رصانة أو حكمة أو تهديبا أو تواضعا ؟ اذن ماذا لو علم الاله انه حينما يرسل انبياءه انما يرسل صراصير ليكونوا معلمي صراصير كيف ترفض مجاعات و اخلاق اعضائها ؟

نعم ، هل الذين ينصحون الانسان العربي ليكون شيئا افضل يفعلون شيئا نافعا اكثر من الاله الذي يرسل اعظم رسله الى مثل هذا الصرصار وينزل اعظم كتبه المنزلة عليه اي على الصرصار لكي يبرجوه ان يحمي البشر بمواعظه من كل النقائص والذنوب والعامات العقلية والاخلاقية والنفسية والجسدية ؟ اجل ؟ اريد ان اكرو القول : هل الاله الذي يبعث الانبياء وينزل الكتب المقدسة لكي يصوغ اخلاق الناس وقلوبهم ونياتهم اكثر ذكاء من الاله الذي يبعث الصرصار ليفعل للناس ذلك اي ليصوغ اخلاقهم وقلوبهم ونياتهم اي لو وجد اله يبعث مثل هذا الصرصار ؟

ان الوعظ ليس وسيلة لغاية . انه غاية . ان الانسان محتاج الى ان يعظ ويعلم وينصح مثل احتياجه الى ان يبكي ويحزن ويصرخ ويشتم ويغني ويتحدث الى الاخرين ويتصادم بهم . ان منطق وحساب وحوافز من يصنع هذا هي حوافز ومنطق وحساب من يصنع ذلك . ان النتائج في الحالتين واحدة اي انها اي النتائج نفسية لا موضوعية .

الوعظ والتعليم لا يساويان نتائجهما أو التوقع لنتائجهما ، ولكنهما يساويان ممارستهما النفسية واللغوية والمنبرية . ان النبي والواعظ يستمران يمارسان عملهما بالاساليب والحوافز التي يستمر الطائر يمارس بها انينه ونعيبه وغناه مع الفروق الهائلة بين الخبث والبراءة . ولهذا فان اي معلم أو واعظ لا يمكن ان يحاسب نفسه على نتائج وعظه وتعليمه بل ولا يتصور هذه المحاسبة ، بل ولا يتصور ان الوعظ والتعليم يجب او يحتمل ان تكون لهما نتائج مرتقبة أو مطلوبة أو محسوبة أو محاسبة محاسبا عليها . ان اي نبي لم يحاسب أو يعاقب لان نبوته لم تطع أو لانها لم تصغ الناس الصياغة التي تطالبهم بها .

ولهذا ايضا فانه اي الواعظ أو المعلم أو الناصح يستمر يؤدي نصائحه وعظاته وتعاليمه بلا اي تساؤل أو توقف أو مراجعة كما يستمر يأكل ويجوع ليجوع ويأكل ، وينام ويستيقظ لينام ويستيقظ ، ويحب ليكره ، ويحقد ليحقد عليه ، ويحسد ليحسد ، ويسب ليسب ، ويمرض ليمرض ، ويتشوه ليتشوه ، ويشيخ ليشيخ ليموت ، دون أية مطالبة بأية نتيجة أو انتظار لها أو محاسبة عليها أو تساؤل عنها . ان النبوة ليست رسالة يوجهها النبي الى الناس ولكنها اداء يؤديه النبي الى ذاته ولذاته ويخاطبها به بأسلوب من يخاطب كل الدنيا اي كل الكون .

هل يمكن ان يجرؤ على المجيء الينا أو الى هذه الارض أو يجرؤ على البقاء لو انه اخطأ فجاء أو لو انه لكره على المجيء فجاء ، اي نبي أو واعظ أو معلم ، لو انه علم انه لا بد ان يحاسب على نبوته أو على تعاليمه أو على مواعظه بالنتائج التي تنتظر

منها والتي تهبها ، أو لو أنه اي النبي أو المعلم أو الواعظ كان يحاسب نفسه على ما يعطى من ذلك أو لو أن مجيئه كان يعني ان يخاطب الاخرين لا ذاته وكان محتوما ان يلتزم بذلك اي بمخاطبة الدنيا لا بمخاطبة ذاته بأسلوب ودعاوى مخاطبة الكون كله ؟ نعم ، لو كانت هذه المطالبة بالنتائج والمحاسبة عليها محتومة أو حتى محتملة احتمالا قويا فهل كان يمكن حينئذ ان يرفع اي منبر في هذا العالم ، أو أن يحتشد ويعاني ويتعاون جميع سكان السماء لكي يكتبوا كتابا مقدسا ليقرأوا عظاته وتعاليمه ونصائحه المتجبرة المغرورة على اعضاء واهواء وشهوات سكان هذه الارض من بشر وحشرات وكائنات اخرى ؟ أو هل كان ممكنا حينئذ ان يوجد واحد من هذه الحشود الهائلة القادمة اليها بنتائج بذي لتبصق ضعفها وجهلها وبلاداتها وسخفها واحقادها وهمومها وجميع تلوثاتها وحشراتها النفسية والاخلاقية واللغوية على جميع الاذان والكرامات والاخلاق والعقول بحجة التصحيح والتبديل وخلق كينونة جديدة مبرأة من مجاعات الاعضاء والشهوات ، ومن ضرورات الطبيعة وقاحاتها ، ومن كل معاني البشر وتقاسيرهم وتعاملهم مع قوانين اعضائهم ؟ نعم ، أليس جميع الانبياء والعلمين الخالدين انما يجيئون ليشفوا بمواعظهم البشر من معانيهم ، ويشفوا اعضاءهم من قوانين الطبيعة فيها ؟

قد يكون من اسباب ممارسة جميع البشر لوظيفة الوعظ والتعليم وشعورهم بالحاجة الى هذه الممارسة بلا تفكير في نتائج هذه الممارسة بل وبلا تصور ان هذه الممارسة تحتاج الى اية نتيجة ، بل حتى ولو تحولت هذه الممارسة الى تعويق أو تحطيم أو ابعاد للنتيجة التي يقع التحدث عنها وعليها ومن اجلها وباسمها . نعم ، قد يكون من اسباب ذلك رغبة البشر جميعا في التسلط والتسلط اي في امتلاك السلطة وفي التحول الى سلطان اي بقدر ما أو صيغة ما أو أسلوب ما أو على أي مستوى من المستويات المتفاوتة جدا . أليس الواعظ المحلل المحرم التحدث عن سلطان السماء أو عن اوامر الارض وقوانينها ، سلطانا وصاحب سلطة بأسلوب وقدر ما ؟

هل يوجد واحد من البشر مهما كان ضعفه وهوانه وضآلة شأنه لا يرغب في أن يملك اي قدر من السلطة ، من الامر والنهي والتوجيه والتأثير ، وفي ان يضع فوق رأسه اي تاج أو زي سلطاني أو أية علامة سلطانية ، أو في لسانه اية لغة سلطانية؟ هل يوجد من ليس سلطانا بأحد ازياء السلطان أو بأحد لغاته أو بأحد تفاسيره أو بأحد نياته ورغباته ومحاولاته ؟

ليس جميع البشر يقاسون من موهبة أو غريزة أو وظيفة « السلطانية » فيهم ، مطلقة مسددة منهم على الاخرين ومن الاخرين عليهم ، ومنوية محوثة عنها ، ومفقودة ومملوكة ، وقوية وضعيفة ، ومتكبرة ومتواضعة ، ومهذبة ومتوقفة ؟ هل يوجد من ليس سلطانا بأحد التفاسير ولو في النية أو التمني أو المحاولة أو التشبه ؟ ما معنى

السلطة أو « السلطانية » أو أن تكون سلطانا ؟ أليس معنى ذلك أو احد معانيه ان تتدخل في ارادة الناس أو في سلوكمهم أو في تفكيرهم أو في تحريك وصياغة رغباتهم ورهباتهم وحياتهم وان تكون أمرا ناهيا لهم محلا محرم عليهم ؟ هل لاي سلطان اي تفسير غير ان يحلل ويحرم ويأمر وينهي ويحاول صياغة حياة الناس ورغباتهم ومسيرتهم ؟ أليس المعلم أو الواعظ أو الناصح يفعل ذلك أو يريد وينوي ان يفعله ، أو يبدو كأنه يفعله ، أو يظن انه يفعله ؟ اذن أليس الواعظ والمعلم والناصح معنى من معاني السلطان أو صيغة من صيغه ، أو بحثا عن ذلك أو تشبيها به ؟ بل أليس الواعظ أو المعلم أو الناصح اذن هو اشمل معاني السلطان وان كان ذلك باسلوب اقل فتكا وسلطة وقدرة وانتصارا واملاء وترويعا ، اي وان كان ذلك بلا سيف ولا جيش ولا شرطة ولا اجهزة قمع وارهاب ظاهرة مرئية ؟

ولكن أليس المعلم احيانا هو اقوى واقسى وافتك السلاطين في قدرته على الاملاء والتفنيذ وفي انتصاره على حياة الناس وعلى رغباتهم وارادتهم وافكارهم وفي صوغ مخاوفهم واتجاهاتهم ، وذلك حينما يجيء في صيغة أو في زي نبي ؟ أليس هو حينئذ اكثر واقوى وافتك السلاطين سيوفا وجيوشا وشرطة واجهزة قمع وارهاب واذلال ظاهرة مرئية ؟ أليس الانبياء هم اشرس واشمل السلاطين في كينوناتهم ونياتهم ؟ هل جاء اي واعظ أو معلم كبير أو اي نبي الا لانه يريد ان يكون سلطانا ، أو الا لانه يعيش في داخله افتك واقسى واشمل سلطان ؟ هل يمكن ان يكون فني اي سلطان من معاني السلطان مثل ما في اي نبي من هذه المعاني السلطانية ؟ بل أليس اي سلطان هو سلطانا واحدا فقط ، أما النبي فقد ينتقل أو يخلد في عديد السلاطين المتفاوتين في قبحهم ؟ أو هل جاء اي سلطان الا وهو يريد ان يكون نبيا ومعلما ؟ هل امكن ان يعيش اي سلطان سلطانا فقط اي لا سلطانا ونبيا ؟ هل يمكن ان يقبل اي سلطان ان يكون سلطانا لو كان ذلك يعني ان يكون سلطانا فقط اي دون ان يكون نبيا ؟ نعم ، هل يقبل اي نبي ان يكون نبيا فقط دون ان يكون سلطانا ، أو يقبل اي سلطان ان يكون سلطانا فقط اي دون ان يكون نبيا ؟ أليس كل سلطان نبيا وكل نبي سلطانا ؟ أليست النبوة والسلطانية اسلوبين وتعبيرين عن تفسير واحد ؟ ان اي نبي يجيء الينا يحمل كتابه المنزل ، معلما واعظا لنا ، متملقا ضمائرنا وضعفنا وغفلتنا ، باكيا حزينا من اجلنا ورحمة بنا ، متحضا متضرعا راکما تهنيبا وادبا وحياء وضعفا وتواضعا بين أيدينا .

نعم ، ان اي نبي يجيء الينا كذلك ، بهذا الاسلوب من اساليب المجيء لن يكون الا سلطانا ضخما جبارا يحمل في ضميره واخلاقه وشهوته ، ويدس في طيات كتابه المنزل وبين سطوره وحروفه وعظاته الباكية الحزينة المسترحمة افتك واقوى واكبر واحد السيوف والجيوش وقوى البطش الاخرى . أليس الجحيم واهواله شيئا قليلا مما يدسه لنا النبي في كتابه المنزل ؟ هل يستطيع افتك سلطان ان يملك جحيم الانبياء وان يهدد به أو يتخيله ؟

وان اي سلطان يجلس على عرش مصنوع من ضمائر واخلاق ووحشية الابالسة، ومرفوع فوق عضلاتهم واكتافهم وامجادهم ، ومحروس بتدبيرهم وتخطيطهم وذكائهم، ومحمي بجيوش لا يدر بها ولا يعلمها ولا يمونها ولا يسلمها سواهم اي سوى الابالسة ، ومحاط مزين بمستشارين ونصحاء ووعاظ وامناء كلهم منهم اي من الابالسة .

نعم ، ان اي سلطان يستوى على عرش مثل هذا العرش لن يكون ولن يريد ان ينوي او يستطيع ان يكون ، الانبيا ، لهكل وحي النبي وتعاليمه وكتبه المقدسة وسمواته واربابه وملائكة وحيه ، وله كل معابده وصلواته ومقدساته ومحللاته ومحرماته ، وله ايضا كل اسراره وقواه الغيبية الخارقة الرهيبة المتفوقة على جميع التفاسير والافهام . ان اقوى وابطس ما في اقوى وابطس سلطان هو ما فيه من فعانى النبوة واخلاقها وتفاسيرها وتعاليمها واذلالها وبطشها وغواياتها !!

ولكن الا توجد تفاسير اخرى لتحول الوعظ والتعليم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى موهبة او وظيفة او غريزة او مجاعة روحية واخلاقية وفكرية في جميع البشر ؟ اليس شيئا مثيرا وسخيفا ان جميع البشر يريدون ان يكونوا امرين بالمعروف ناهين عن المنكر ؟

حتى الشيطان ، انه لا يستطيع ان يكون الا واعظا معلما محذرا ناهيا عما يفعله ويريده ويحبره ويخطه ويحرض عليه هو . انه لا يستطيع الا ان يكون امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، والا ان يكون نبيا في احد ازبائه وصيغه ولغاته . . هل وجد نبي أو واعظ يساوي الشيطان او يشبهه واعظا نبيا ؟ هل في اي نبي من تفاسير النبوة مثلما في الشيطان ؟

ان افسق الناس لا بد ان يكون واعظا معلما ولو احيانا . وان اطغى الطغاة واقسامهم بطشا بالحريات والتسامح والافكار الحرة ليتحول الى نبي حرية وتسامح في بياناته وخطبه واحاديثه وتعاليمه وعظاته وبكائه ، حتى ليكاد يذهب يلعن الطبيعة ويلعن معاداتها للحرية حينما تصيب انسانا بالخرس اللساني او بالخرس العقلي ، فتعجزه حينئذ عن ان يتكلم ويقاوم بعقله ويفكر ويعبر بكل الحريسة وباقسي واشمل اساليبها ، او حينما تصيب اي الطبيعة انسانا بضعف البصر لو يفقده فتجمله حينئذ عاجزا عن رؤية الاخطاء والعيوب والقبايح ، وحينئذ عاجزا عن استقباحها وعن التفكير ضدها ومقاومتها ، او حينما تعتدي اي الطبيعة على احد القلوب فتجمله عاجزا عن الخفقان او ضعيف الخفقان ، احتجاجا على كل طغيان ، ورفضاً له ، وتحريضا عليه ، وهتافا وصلاة للحرية بكل نماذجها وبكل مواجهاتها لكل اعدائها ، او حينما تصاب اي الطبيعة بالزرق والوحشية والفوضى وبمنطق واخلاق الامبريالية والراسمالية فتخلق كائنات وبشرا متفوقين في ذكائهم وجمالهم وقوتهم وفي جميع كينوناتهم ومواهب وصفات ذواتهم ، وحتى في عواظهم وفي

استجابتهم لها اي لعواطفهم وفي استجابة عواطفهم لهم ولواجباتها وظروفها وفي جميع تحركاتها اي تحركات عواطفهم . - نعم ، تخلقها وتخلقهم متفوقين على كائنات وعلى بشر اخرين ، وحينئذ يتحول المتفوق الاقوى في هذه المواهب والصفات الى عدوان على حرية تفكير المتخلف الاضعف ، وعلى حرية كينونته ، وعلى حريته في اعجابه بذكائه وجماله وقوته وبجميع كينوناته ، بل وعلى حرية مشاعره ولغته وعلى حرية جميع اساليبه في التعبير عن نفسه وعمما يريد التعبير عنه ، وعلى حريته في ان يكون هو الاقوى والاذكى والاجمل والاكبر والاشهر ، وفي ان يرى ويجد نفسه كذلك . . .

أجل ، أليس الاقوى في مزاياه وكينوناته الجسدية والذاتية والعقلية والنفسية بل واللغوية والتعبيرية عدوانا دائما على حريات الاضعف في هذه المزايا والكينونات؟ أليست الالهة عدوانا على الملائكة والملائكة عدوانا على البشر والانبياء عدوانا على اتباعهم والناس عدوانا على من دونهم بقدر ما الحيوان المفترس والاقوى عدوانا على الحيوانات الضعيفة المفترسة ؟

بل ، أليس الذكاء والجمال والحماس والحب والنظافة والصدق والوقار والتعذيب بل وجودة المنطق والبلاغة والتعبير عدوانا محتوما ووحشيا على حريات نقيض ذلك ؟ اذن ما اكثر واشمل العدوان على الحريات ؟ أليس عدوان التفوق الذاتي لقسى واقوع من العدوان الطبقي أو التاريخي أو الرأسمالي ؟ ليس الجمال يعتدي على الدمامة اقسى من عدوان الغنى على الفقر ؟

أليست جميع الاشياء والكائنات والبشر هي وهم اما معتدى عليها وعليهم ، واما معتدىة ومعتدون على غيرهم ، واما هي وهم هذا وهذا ، اي اما واقع عليها وعليهم الاعتداء واما واقع منها ومنهم هذا الاعتداء ؟

اذن ما اقسى ان تكون موجودا لانك لا بد ان تكون معنويا او معتدى عليك او

هذا وهذا . . .

نعم ، ان أطغى الطغاة وأشدهم فتكا بالحريات ومعامدة لها وخوفا منها وعدوانا عليها ، ليكاد في مواظه وخطبه وبياناته عن مزايا الحريات وعن ايمانه بها وممارساته لها ، يذهب يلعن الطبيعة ويحاكمها وينزل بها اشد العقاب حينما تفعل اي شيء قد يتحول الى عدوان على حرية اي شيء ، او اي احد ، او الى اضعاف او ارباب لاي معنى او صيغة من معاني وصيغ الحرية حتى الحرية الحيوانية والجمادية . اي لان كل احد لا بد ان يعظ ويعلم حتى ولو ضد نفسه وضد معانيه ومواقفه واحتياجاته . . . حتى الطغاة جدا لا بد ان يعظوا ويعلموا ويخطبوا عن مزايا الحريات ومزايا ممارساتها والايمان بها ، لا بد ان يعلموا ويخطبوا ويعظوا ضد ان يكون الطاغية طاغية . . .

ان كل طاغية ودجال وكاذب على الاله لا بد ان يعظ ويعلم ضد الطغيان والدجل

والكذب على الاله باسم النبوة .

حتى الابالسة جدا لا بد ان يعظوا ويعلموا ويخطبوا عن مزايا الملائكة والملائكية وعن قباحة ووقاحة ان يكون الشيطان شيطاننا ، او ان يعيش الشيطان نفسه . حتى الاله لا بد ان يعظ ويعلم ضد نفسه واخلاقه وضد كل تاريخه . . . وهل يوجد واعظ معلم ضد معانيه دون الالتزام بشيء من مواعظه وتعاليمه مثل الاله ؟ أليس يعلم ضد كل الشرور التي يصنعها ؟

ان احدا ما او كائنا ما لن يشعر ان مواعظه وتعليمه ونصائحه ضد نفسه وضد ممارساته قد تتحول الى عدوان عليه او الى احراج له او الى اعلان مضاد عنه او الى اضعاف لممارساته او لاجابه بنفسه او لاجابه بقوة ودقة التزاماته الفكرية والاخلاقية واللغوية والتعليمية والشعورية والانسانية والاجتماعية . انه لن يشعر انها قد تتحول الى خطر عليه او الى مضايقة او فضح له ، او الى التزام من اي نوع او على اي مستوى او في اي موقف . . .

نعم ، الا توجد تفاسير اخرى لرغبة البشر جميعا في ان يصبحوا وعاظا ومعلمين ، بل لتحولهم جميعا الى معلمين ووعاظ ؟ بل ليس البشر وحدهم . أليس سكان السماء من الهة وملائكة وابالسة هم اكثر واعظ الكائنات وعظا وتعلما ؟

اجل ، انها قد توجد تفاسير اخرى لذلك . وقد يكون الحقد والحسد والعجز والحرمان واردة الانتقام والتمذيب والمساواة في الحرمان والعجز من هذه التفاسير الاخرى . اننا قد نذهب نعظ ونعلم ضد الشيء الذي نريده ونتمناه ونرى القدرة عليه والامتلاك والممارسة له مجدا او قوة او جمالا او انتصارا ثم لا نستطيع فعله ولا امتلاكه . اننا قد نعلم ونعظ ضد الاشياء بالاسلوب والحوافز التي يلتمس بها الظمان جدا السحابة المطرة حينما تتخطى ارضه وفمه الى ارض الاخرين والى افواههم . . .

اننا قد نحسد الاخرين او نحقد عليهم او نعجز عما يستطيعون او نحرم مما يجدون وينالون ، او نريد ايقاع العذاب او الانتقام بهم او التحقير والتصغير لما يستطيعون هم ونعجز نحن عنه ، وحينئذ نذهب نعظ ونعلم محكومين بهذه الاسباب والحوافز والنيات . . . اننا قد نتحول الى انبياء تنتزل علينا الكتب المقدسة المحقرة واللاعنة للذكاء والجمال الموجودين في وجوه وعقول اطفال جيراننا دون عقول ووجوه اطفالنا !!

ان الدميم والمنسوه والجاهل والمعجز والبليد والمتخلف والمهين والساقط والموت والكذاب المنافق والمهزوم قد يذهب يعظ ويعلم ضد نقيض صفاته واخلاقه وعاداته ، كما قد يذهب يعظ ويعلم ويخطب ولو باساليب متسترة عن مزايا نقائصه وفنوبه وعاداته وحقاراته . ان الاله او النبي البدوي الجاهل الوقح لا بد ان يعلم ويعظم ضد التحضر والعلم والذكاء والتهذيب وينزل الكتب والتعاليم ضد كل ذلك . . .

لقد وجد في التاريخ معلمون كبار جدا وعالميون وخالدون قد ذهبوا في تعاليمهم وعظاتهم يمجدون ويمتدحون بتعبد ومغلاة مثيرة الهوان والحقارات والعجز والعامات والهزائم والخطايا بل والجهل والعمى والبلادة لانهم هم كانوا مصابين بذلك ويعيشونه وعاجزين عن تخطيه ، او لان اخرين ينتمون اليهم ويحسبون عليهم ويعيرون او يؤاخذون ويؤخذون بهم كانوا هم المصابين به ، وهم الذين يعيشونه ، وهم العاجزين عن تخطيه . . .

ان الام هؤلاء المعلمين الخالدين العالميين وهمومهم وهوانهم وعجزهم وهزائمهم وجميع ظروفهم ومواجهاتهم وتجاربهم وذكرياتهم الخاصة الكئيبة القاسية هي التي صاغت تعاليمهم وعظاتهم ومحرماتهم ومحللاتهم وكتبهم المنزلة المقدسة ، وليس الذي صاغ ذلك هو علمهم بقبح او بغباء ما يعلمون ويعظون ضده ، ولا لان اخلاقهم وضماثرهم وقلوبهم مخلوقة من كبرياء الشمس او من طهارة السحاب او من عطور الازهار ، او من رقة وتهذيب وتقوى النظرات العاشقة المتغزلة المتسوددة او من حنان ومحبة اذرع وعيون الامهات لاطفالهن المتألمين . ان الانسان يعظ ويعلم وينهي ويحرم لانه يريد ويخاف ويعجز ويواجه ويفقد ويتمنى ويتالم ويخاصم وينافس ويكره ، وليس لانه يعرف او يحب او يفهم او لا يعشق الا الكمال والجمال والنجوم ، ولا لانه يتعذب حبا ورثاء للالهة والكائنات الساكنة في السماء ، لهذا يذعب يعظ ويعلم وينهي ويحرم لمصلحة الالهة ولمصلحة الكائنات الساكنة في السماء ، استجابة لحبه ورثائه لها ، وبحثا عما يرضيها او يهبها السعادة والمسرة والاعجاب بالنفس ، وعما يشفيها من الكآبة والغضب والحقد والارق وانهيار الاعصاب . . . اننا مهما آمنا بالالهة وسكان السماء وصلينا لهم فاننا لن نبكي او نرتي لما يقاسون من ارق وحقد وغضب وانهيار اعصاب . . . ان اي معلم لو جاء وفي وجهه او في اي مكان من جسمه علامة كئيبة ، او في حياته ذكرى اليمه ، او في ذكرياته شبح حادثة قبيحة لكان محتوما ان تجسي تعاليمه ومحرماته ونواهيته ، وان تجيء صفات واخلاق ونماذج وشهوات اربابه وكائناته العلوية مخالفة لتعاليم ومحرمات ونواهي معلم اخر جاء سويا بلا علامات او ذكريات او اشباح احداث دميمة او ذميمة او شنيعة او أليمة ، ولكان محتوما ان تجيء صفات واخلاق ونماذج وشهوات ارباب هذا المعلم السوري وكائناته السماوية مخالفة في تصوره وفي تعاليمه عنها لما جاء في تصور المعلم المصاب المشوه المتألم وفي تعاليمه ورؤاه عن اربابه وعن كائناته العلوية . ان اية عاهة في جسد او في حياة اي معلم لا بد ان تظهر بصيغة ما في جسد او اخلاق او اهواء الهه ، كما لا بد ان تتدخل في صياغة تعاليمه ووصاياه . . .

ان قيمة تعاليم وشرائع اي معلم لا تساوي ما في ضمير هذه التعاليم والشرائح من جمال او دمامة ، من ذكاء او غباء ، من قوة او ضعف ، من نتائج جيدة او رديئة ،

متوقمة او مجربة ، مظنونة او مستيقنة ، وانما تساوي ما في جسد ونفس وحياة وفكرى وتاريخ ومولد ذلك المعلم من علامات وانطباعات وكينونات واحداث متقاونة القيمة والتاثير والتفسير ، تصنع التمجيد او التعيير ، القسوة والبغضاء والترويع او الرقة والحب والامان ..

ان جسد اي نبي وتاريخ الامه ولذاته ومكان وظروف ولادته - نعم ان كل ذلك لا بد ان يتدخل في صياغة اخلاق واهواء الهه وعوالمه السماوية .
ان صفات ومنطق ونماذج واخلاق اي اله او دين او مذهب او نظام او تعليم او كتاب مقدس لا تتخلق ولا تعيش في ذاته ، ولكنها تتخلق وتعيش في ذات نبيه او معلمه او سلطانة الحاكم القاتل الضارب السارق المطارد المذل القاهر باسمه ، او تتخلق وتعيش في ذات المؤمن به . ان اي اله او نبي او مذهب او نظام او دين او كتاب منزل لن يفسر بنفسه ولن يساوي نفسه وانما يفسر بدعائه ومنفذه وبالمؤمنين به ، وكذلك انما يساويهم هم ..

**

افن كل الناس لا بد ان يعظوا ويعلموا وينصحوا ويوصوا بلا اية محاسبة للنتائج بل او تفكير فيها ، بل لا بد ان يفعلوا ذلك ولو ضد انفسهم ومعانيهم وتفسيرهم وجميع احوالهم ومواقفهم ، دون ان يصابوا بالحرج او بالشعور بالتناقض او بالتعري او بانهم محاسبون او مذالمون بان يكونوا شيئا مما يعلمون ويعظون .

بل ان جميع الكائنات الحية الناطقة، المتكلمة والمصوتة ، لا بد ان تفعل ذلك ، وليس البشر وحدهم . ليست الحشرات والحيوانات والطيور والالهة وجميع الكائنات الغيبية السماوية تفعل ذلك بكل الاساليب واللغات ؟

هل يوجد مثل الاله وعظا وتعلما ونصحا ونهيا وزجرا ضد نفسه اي ضد جميع معانيه وتفسيره وقيمه واخلاقه ؟ او هل يرجد مثله امرا وتوصية ومطالبة بما يفعل ويريد ويختار دائما نقيضه ؟ أليس الاله باسلوب ليس له شبيه يعظ ويعلم وينصح ناهيا زاجرا عن كل قسوة وظلم وتشويه وارهاب وايداء وتجويع وبخل وايلام وتهديد وتشريد وقتل وعن كل تفريق او تمييز بين المتماثلين ، ثم لا احد مثله يفعل كل ذلك ؟ بل ليس جميع من يفعلون ذلك انما يفعلونه لانه قد صاغهم صياغة تجعلهم لا بد ان يفعلوه ، تجعل مطالبتهم بالا يفعلوه ليس عبثا وغيا ، ونزقا فقط بل وسماجة وصفاقة لا حدود لها ؟ ليست مطالبة الاله لن خلق بالا يكون كما كان اقبح واطلم وابلد من مطالبة الضارب بالسوط للسوط بالا يكون ضاربا او مضروبا به ؟

ثم أليس الاله ، وباسلوب لا يشبهه ايضا فيه احد ، يأمر بكل المعروف اي بكل الاخلاق والاعمال والصفات والذيات والمعاملات الجيدة التي اصبح كل العقلاء

والمتعاملين يعرفونها ويعرفون انها جيدة وان فعلها والالتزام بها شهامة وتقوى وخير وسعادة ، ويعترفون بها كذلك وبانهم مأمورون بالالتزامها ، ثم لا احد يشبهه اي يشبه الاله في خروجه على كل هذا المعروف بل وعلى كل معروف ؟ هل وجد او يمكن ان يوجد مثل الاله خروجا على المعروف الذي حول كل طاقاته للامر به وللنهي عن الخروج عليه ؟

ان جميع الفاعلين للمنكر المنهي عنه ، الموعوظ المعلم ضده في جميع الاديان والتعاليم والفلسفات والاخلاق والعقول والتقاليد والشهادات ، وان جميع التاركين المعادين بسلوكهم واهوائهم للمعروف المأمور به الموصى عليه الموعوظ بالالتزام به - ايضا في جميع الاديان والتعاليم والفلسفات والاخلاق والعقول والتقاليد والشهادات - بل ان جميع الفاعلين لكل المنكر الذي يذنون عنه بكل القسوة والغلظة والفظاظة والغضب ، وجميع التاركين لكل المعروف الذي يأمر به بكل الحماس والرغبة والالاحاح وبكل اساليب الاغراء والتملق الضمارع المهين المجنون .

نعم ، ان جميع هؤلاء وهؤلاء لو تجمعوا في خروجهم على كل المعروف وفي فعلهم لكل المنكر في ذات كائن واحد لما استطاع هذا الكائن الواحد ان يكون اسلوبا واحدا صغيرا متواضعا خافتا من اساليب الاله في خروجه على كل معروف وفي اقترافه لكل منكر . لعل الاله لا يملك خلقا او صفة او موهبة يمكن ان يعرفها ويعترف بها ويجدها ويقاسي منها ويعجز عن مباراتها كل احد مثل خروجه على كل معروف واقترافه لكل منكر . . .

اذن نحن ايضا محكوم علينا بان نعظ ونعلم بلا اية محاسبة للنتائج او للواقع او لاية قيمة او تفسير لما نفعله ، بل بلا اي تفكير في ذلك بل وضد كل تفكير . . . لقد حكم على كل احد بذلك بنفس هذا الاسلوب الخارج على كل محاسبة وحساب وتفكير وتوقع للنتائج او التزام او حتى اهتمام بها .

انه محكوم بكل ذلك على كل احد حتى على الاله ، ونحن لا بد ان نكون احدا . اذن لا بد ان نعظ ونعلم باسلوب قد يعني ويفسر بل قد يقنع باننا نعتقد ان وعظنا وتعليمنا لا بد ان بصوغا الكون وكل شيء وكل احد الصياغة المتنامة والارجوة ، وان تركنا للوعظ والتعليم لا بد ان يحول كل شيء وكل احد الى خراب وجنون وموت وفجور والى غزو مدمر لبيوت وعروش الالهة ، بل لجميع مراكز الالهة ولجميع امجادها الهازمة الساترة لكل شيء ولكل احد ولكل مجد . . . نعم ، اننا لنعظ ونعلم حتى ليبدا ان الاله لا بد ان يموت لولا وعظنا وتعليمنا . . .

اننا لا بد ان نستمر نعظ ونعلم ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر حتى يبدا كأننا نحن وكل الاخرين مقتنعون انه لولا وعظنا وتعليمنا وامرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر لما ولد الليل الصباح ، وولد للسحاب الانهار ، وولدت البحار للسحاب ، وولدت النساء الطغاة والانبياء ، وولد الطغاة والانبياء الاحقاد والعداوات والاديان

والمذاهب المتعادية المقسمة للبشر ٠٠ ولما استطاع الاله ان يصنع فوق هذه الارض مجده المصنوع من جراح جبهات الساجدين ، ومن هوان قامات الراكعين ، ومن طوابير المصلين المتملقين ، ومن ذنوب الذنبيين المستغفرين المعتذرين ، ومن خطايا المخطئين التائبين ، ومن عاهات المرضى والمشوهين المتضرعين المستغيثين ، ومن اخايد وجوه الشيوخ المهتمدين ، ومن انات وصرخات واحزان التالين والمحزونين والمقهورين . نعم ، لما استطاع الاله ان يصنع مجده المصنوع من العاهات والاهات والهوان ، والدموع والاحزان والضياح والعجز والضعف والحيرة والبلادة والامراض والموت والشيوخة ٠٠

انه لا بد ان نستمر نعض ونعلم حتى ليبدو انه لولا وعظنا وتعليمنا لما استطاع الاله ان يجد نفسه بيننا ، ولما قبل ان يجيء الينا او يبقى فينا او ان يصنع لنفسه او نصنع نحن له مجدا تغنيه وتنشده وتكتبه وتخدع وتكذب وتستغل وتستعبد وتتسلط وتسكت وتتاجر به منايرنا ومعابدنا وسلطينا وانبيائنا وكتابنا ووعاظنا وجميع المتنافسين والمتعاقبين على تسخيرنا وارهابنا وسرقتنا وسرقة كل ذكائنا وكرامتنا وكبريائنا من كل عقولنا وطموحنا واخلاتنا ٠٠

نعم ، اليس محتوما ان يتحول مجد الاله الى تحليل وتشريع وتحريض لكل اللصوص لكي يسرقوا كل معانينا الانسانية ؟ وهل لله مجد غير اباحة الانسان للصوص ؟

بل حتى يبدو اننا مقتنعون واننا قد اقمنا كل الاخرين انه لولا وعظنا وتعليمنا لما استطعنا ان نعرف وظيفة اعضائنا الجنسية ، ولا كيف نستجيب لها بالاساليب التي تحولها الى فرحة في قلب الاله ، والى جمال في عينيه ، والى وقار في اخلاقه ، والى نظافة في اعضائه ، والى تمجيد وتكريم لتاريخه ولكرامته وكبريائه ، والى ثناء على ذكائه ، والى منطق في تدبيره وتفكيره ، بل والى منطق لمنطقه ، والى نكاه لذكائه ، والى مجد لمجده ، والى قوة ابصار لعينيه ، والى مزيد من الحياء لحيائه وفي حيائه . نعم ، هل يوجد ما يمكن ان يصنع للاله الوقار والحياء والنشوة والرغبة في الرؤية لولا ممارساتنا لاعضائنا التناسلية بكل الوقاحة والافتضاح امامه ؟

بل ولا كيف نستجيب لها اي لاعضائنا الجنسية بالاساليب والممارسات التي تحولها اي تحول استجابتنا لهذه الاعضاء الجنسية وممارساتنا لها الى تعويض له اي للاله عن حرمانه البائس الاليم من هذه الممارسات ٠٠

ولكن هل المفروض ان تتحول ممارساتنا الجنسية الى تعويض للاله عن حرمانه ام الى اصابته بالغيرة ؟

نعم ، انه محكوم علينا بان نعظ ونعلم ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر . ولاننا محكوم علينا بذلك سنقول للانسان العربي باسلوب الخوف على كرامته وكبريائه وباسلوب من يريد ان يبقى على شيء من احترامه لنفسه ولابائه وتاريخه : لا تقرا هذا ...

اقرأوا هذا كي يتواضع عجايبكم بتاريخ قُبوركم

سأروي هنا شيئاً قليلاً جداً مما قال أجدادك أيها الإنسان العربي . ولو أنك عصيت نصيحتي لك بالآ تقراء هذا فقراته لوجدت اني كنت صادق الاشفاق والوعظ والنصح حينما وعظتك ونصحتك بالآ تقراء ، ولو وجدت انك كنت ملزماً أو حرياً بأن تطيع فلا تقراء حينما تجد ان هذا العار بل حينما تجد ان الافتخار بهذا العار وتحويله الى تاريخ هو كل امجاد اجدادك او اعظم امجادهم . حينما تجد كيف كان نكء اجدادك وكيف كانت رؤيتهم لانفسهم وللآخرين وللأشياء ، وكيف كانت مستوياتهم الحضارية والعقلية والانسانية والشعرية ، وكيف كان اعلانهم عن هذه المستويات وتباهيهم بها . . . حينما ترى كيف كانوا شيئاً مهيناً مذلاً مخجلاً . . . ولكن كيفما كانت عيناك وكانت قدرتك على الرؤية فهل تستطاع أو تجرؤ ان ترى كيف كان اجدادك ، كيف كانت نماذجهم ؟

اليس محتوماً حينئذ اي لو قرأت هذا الذي سوف ارويهِ هنا عن اجدادك والذي وعظتك ونصحتك بالآ تقراء - اليس محتوماً حينئذ ان تتعذب عذاباً لم يتعذبه انسان قبلك ولن يتعذبه انسان بعدك . . .

وانا هنا افترضك ترى العار بكل نصوصه وصيغته وتفسيره ، وتقرؤه وتفهمه وتخافه وتقاسي منه ، بعينيك وعقلك واخلاقك ومذهبك وتدينك وايمانك وتاريخك وبجميع نماذجك ومقاساتك وشروطك في جميع كينوناتك ومعاملاتك ومواجهاتك . نموذج رهيب في تعذيبه هذا النموذج للانسان الذي افترضناه لك . وهل يوجد انسان واحد يساوي نمودجه الانساني هذا النموذج ؟

اجل ، ان افترضك كذلك لمبالغة في القسوة عليك ، كما انه مبالغة جداً في الافتراض وتفسير نموذجك وفي تمجيد مستوياتك . وهل تقبل ان افترضك كذلك ؟ ليهما تختار : العار المريح السعيد ام المجد المعبأ المقاسي ؟

نعم ، لقد افترضتكم بهذه الصيغة وهذه الشروط الصعبة المقاسية . . . لهذا لا بد ان ارتجف خوفاً عليكم ورتاء لك لو تصورت انك قد تقراء هذه النماذج القليلة التي

قالها اجدادك وضرعوا الى التاريخ لكي يحفظها ويرويها عنهم ولهم ، لكي يجد فيها كل مجده وكبريائه وذكائه ورسالته . بل لقد تضرعوا الى التاريخ ، اعني انهم امروا التاريخ ان يحفظ ويروي هذه النماذج التي قالوها والتي عبروا بها عن مستوياتهم العقلية والنفسية والاخلاقية والفنية والشعرية والحضارية - امروا التاريخ ان يحفظها ويرويها وينشدها من فوق جميع منابره ويصلي بها في جميع محاربه ، لكي يقنع الاله حينما يقرؤها ويسمعها ويحفظها ويفسر لها بان له مجدا ضخما فوق هذه الارض صنع له واهداه اليه اجدادك . وهل صنع مجدا الاله غير اجدادك ؟

هل استطاع الاله ان يتحدث عن مجده الا بعد ان رأى وقرا مجد اجدادك وقرا عنه فادعاه مجده ؟

اذن اسمع واقرا ما قاله اجدادك القديما ..
نعم ، اقرا هذا واسمعه جيدا لكي يتواضع اعجابك بتاريخك ..
قال احد اجدادك هؤلاء الكبار العقلاء جدا :

فهل الناس غير ابناء قحطان
اذا ما ذكرت غير عبيدي
وقال الاخر من قديما اجدادك الذين اذلهم التواضع والوقار والصدق :

كل من يحتذي النعال ومن لا ..
يحتذيها من البرية عبيدي
وقال الاخر من نفس هؤلاء الاجداد والقديما العقلاء المتوقرين جدا :

ملكنا قبل داوود زمانا ..
وعبدنا ملوك العالمينا
وقالوا ايضا وهم يذوبون تواضعا وحياء وذكاء :

لا ينكر الناس منا يوم نملكهم ..
كانوا عبيدا وكننا نحن اربابا

ولعل كون اباك اربابا هو الذي صاغ كل الناس والكون والاشياء والحياة بلا اي ذنوب او عاهات او تشوهات او اخطاء او الام او مظالم او بلادات .. !!
وقالوا وهم يخجلون من شدة تواضعهم ، بل وهم يعتقدون انهم يهينون مجدهم وتاريخهم واباءهم لشدة تواضعهم ، بل وهم يعتقدون ان كل شيء وكل احد لا بد ان يتعذب لشدة حياتهم وتواضعهم ، بل وهم يعتقدون ان الله حزين ومريض بكل معاني الخجل والانهازم ومشاعر الخيبة والغيرة لهم من شدة تواضعهم ، بل وهم يخشون ان يتخلى الله عن جميع التزاماته ووظائفه في هذا الكون انزعاجا وانقهارا وغضبا حينما يسمعهم ويقرؤهم وهم يتواضعون كل هذا التواضع ، بل وهم يخشون

ان يتعلم الله منهم التواضع فيتواضع ، وحينئذ لن يجد اسلوبا يعبر به عن تواضعه سوى تنازله عن الوهيته وعن امتلاكه لهذا الكون وسيادته عليه .
نعم ، قالوا وهم يقاسون كل هذا التواضع بكل احتمالاته وتفسيره وبكل اخطاره ونتائجه هذه التي احداها سقوط الاله من فوق هذا الكون وفراره منه :

لولا صوارم يعسرب ورماعها ..

لم تسمع الاذان صوت مكبسر

فافخر بقحطان على كل الوري ...

فالناس من مدر وهم من جوهر

ان ما تلوته عليك هنا من جنون ابائك ليس الا قطرات من محيطات . انه ليس اختيارا من اسفه ما قالوا او احصاء له ولكنه اعتراف منه .

**

هذا عن الاءاء . ولكن ماذا عن الابناء ؟ هل نسوا مواهب ابائهم او سحبت منهم ؟ هل هبطوا عن سموات ابائهم او ارتفعوا فوق حضيضهم ؟

هل خرجوا او هموا ان يخرجوا من خيام وعباءات ابائهم وانبيائهم الفكرية او الاخلاقية او النفسية او اللغوية ؟

هل توجد وسيلة او عبقرية او اية حيلة من اي نوع تستطيع ان تسحب من الابناء مواهب او خصائص او نماذج او اعماق او تفاسير الاءاء مهما سحبت منهم لغاتهم او لهنياؤهم او خيامهم ؟ هل يمكن ان تسحب خيامهم من مواهبهم او من نفوسهم او تفكيرهم او اخلاقهم مهما سحبت من بيوتهم واطانهم ؟ هل يوجد قانون يسمح بهذا السحب ؟ أليس الصعب هو سحب الخيام من الموهبة والعقل والنفس والاخلاق وليس من المكان او البيت ؟

نعم ، ماذا عن الابناء ؟ هل استطاعت حضارات الاءاء او اساليب حياتهم المتفوقة القوية الغازية ، او استطاعت مؤامراتهم الضخمة الذكية الماكرة الشريرة ان تسحب من ابناء العروبة او تضعف او تسكت او تخفي فيهم جاهلية ابائهم بكل ما فيها من سهيل ونخوات ومبارزات صوتية هي اخلد وأشهر واعظم ما فيهم وما حشدوه في خزانات وصحراوات التاريخ من امجاد وعبقریات ؟

هل تستطيع اقوى الحضارات الغازية والمجلوبة متجمعة متأمرة متعاونة ان تقتل او تطرد او تحضر جاهلية المستوى ، اي جاهلية النفس والعقل والخلق ؟ هل تستطيع الحضارات الغازية مجتمعة ومتعاقبة ان تزيل او تخرق اية عباءة او عمامة او خيمة عردية نصبها أو نسجتها أو زرعها الموهبة الذاتية التاريخية داخل العقل والضمير والعقيدة والارادة والقدرة والاصالة العربية ؟

اعني هل استطاعت او يمكن ان تستطيع جميع حضارات العالم ، حضارات
الاصدقاء والاعداء وحضارات من ليسوا اصدقاء ولا اعداء ، مهما غزت وانتصرت
واذلت ، ومهما دعيت او جلبت او اشترت او تعومل بها ان تقتل او تهزم او تضعف
او تحضر في ابناء العروبة جاهلية اباء العروبة ؟
اليست جاهلية العروبة منتصرة دائما في رفضها الابي ان تأخذ اية مزية من
مزايا اية حضارة ؟

نعم ، هل استطاعت او يمكن ان تستطيع جميع حضارات ومؤامرات وغزوات
الامبريالية والرأسمالية والصهيونية ان تسحب من ابناء العروبة او تغير او تؤدب
او تهذب او ترهب فيهم شاعرية او صوتية اباثهم التي روبنا نماذج منها ؟ كيف
استطاعت جاهلية العرب او شاعريتهم او صوتيتهم الجاهلية ان تقاوم وتهزم جميع
الحضارات والمؤامرات التي ارادت تغييرها او تهذيبها او تحضيرها ؟ وهل استطاعت
ذلك حقما ؟

لعل افضل واصدق الاجوبة عن هذه الاسئلة ان نروي مقاطع من قصيدة يعربية
قالها احد اليعربيين الابناء المحدثين ، قالها متجمعة فيه جميع جاهليات اباثه
الصوتية وجميع عبقریات الصهيل والزئير والرغاء والثغاء والعواء المقسمة عليهم اي
على جميع اباثه في كل تاريخهم ..

قالها . وكأنه يريد ان يثبت ويقنع ان مواهب اليعربيين الاباء لن يستطيع شيء
ان يسحبها من اليعربيين الابناء ، بل ولا ان يؤدبها او يهذبها او يرهبها او يعلمها
شيئا من الاستحياء او الاستتار . اليس تأديبها وتهذيبها عدوانا عليها وفسادا
واضعافا لها ؟ اليست كل قوتها وقيمتها واصالتها في ان تكون بلا تهذيب ولا تأديب
اي عذراء البداوة ؟

قالها وكأنه كان يريد ان يهدي الاطمئنان الى جميع اصدقاء العرب الذين كانوا
ولا يزالون يتخوفون ان يستطيع هذه الحضارات والظروف والاساليب والتحويلات
السريعة الرهيبة في قوتها وسرعتها وشمولها واغراءاتها القهارة ان تسلب من العربي
الابن شيئا من جاهلية العربي الاب ..

كأنه قد يوجد من يشكون في ان الابن العربي لن يستطيع ان يتخطى في مواهبه
الاصيلة الخالدة الاب العربي ..

قالها وكأنه كان يريد ان يرد على جميع المتشائمين بل وعلى جميع المفكرين
والمنطقيين الذين كانوا يشكون - لانهم كانوا يفسرون كل شيء بالمنطق والقانون
الثابت في ان تستطيع الجاهلية العربية ان تثبت او تعيش او تستمر تنتقل من
الاجداد الى الاباء الى الابناء الى الاحفاد في مواجهة ومعاندة كل هذه التحديات دون
ان تصاب بشيء من خفوت الصوت او من الرهبة او الاستحياء او من التغيير في اي
شيء من اخلاقها او منطقتها او تعبيراتها او حتى من ثيابها !!

قالها وكأنه كان ينوي ان يدلل على ان الانسان العربي غير محكوم بالقوانين الطبيعية التي تحكم جميع الاشياء والكائنات والكينونات ، قوانين التطور او التغير او التخطي للذات وللطور التاريخي والطبيعي . كأنه كان ينوي ان يدلل على ان جاهلية العرب قد صاغها الله او صيغت او صاغت نفسها بالاسلوب الذي صاغ به الاله نفسه او صيغ به او صاغه العرب به ، وصاغ او صيغت او صاغوا به صفاته و اخلاقه وافكاره وعواطفه واطواره وجميع اساليب حياته ، اي بلا اي تبدل او تغير او زيارة او نقصان او تصحيح او تعديل ، وبلا اية رؤية جديدة او تفسير جديد لاي شيء فيها او فيه . ليست اعظم معجزات الاله ان شيئاً فيه لن يستطيع ان يغيره شيء حتى ولا هو يستطيع ان يغير شيئاً في ذاته او من ذاته ؟

نعم ، كيف يكون الله لا يتبدل او يتغير شيء فيه ثم يكون شيء في الجاهلية العربية يصاب بالتغير او التبدل ؟ نعم ، الله والانسان العربي هل يستطيع او يتقبل احدهما ان يتجاوز الاخر او يتفوق عليه او يهبط تحته ؟ أليس احدهما هو الاخر ولكن باسم اخر ؟

اجل ، كيف يكون العجز عن التغير وعن تخطي الذات والكينونة او رفض ذلك كامالا او مجدا او كرامة او جمالا في الاله ثم لا يكون كذلك في جاهلية العروبة ؟ ليست صفات الاله هي التفسير الشامل المؤمن لجاهلية العرب الابدية ؟ أليس الله هو الاسم الاخر لجاهلية العرب ؟

كيف يكون مقبولاً او معقولاً او ممكناً ان يثني على الاله بشيء لا يثني بمثله على العرب ؟ كيف يغفر الله مثل ذلك او كيف يغفره العرب ؟ ليس كل ما هو مدح او ذم لاحدهما هو مدح او ذم للاخر باتفاقهما ورضاهما ؟ ليست القضية يجب ان تصاغ هكذا :

ان كان التغير او التبدل في الذات او في الكينونة عظمة او قوة او مزية من اي جنوع فلماذا ان لا يكون ذلك لاله ، وان لم يكن هذا التغير او التبدل عظمة ولا قوة ولا مزية فلماذا ان لا يكون للعرب ؟

هل يمكن ان يكون هناك عظمة او قوة او مزية لا يحيياها العرب بالمشاركة او بالتفرد ؟ هل يستطيع الله ان يعيش مجدا لا يعيشه العرب ، او ان يتنزه عن نقص او عيب او ذنب لا يتنزه عنه العرب ؟ أليس كلاهما اي الله والانسان العربي انما جاء تقليدا لنموذج الاخر ؟

ولكن كم هي مقادير الوقاحة والنزق والمقاساة التي لا بد ان اعاشها وامارسها بفكري وضميري وبدي ومشاعري لكي استطيع ان اروي مقاطع من هذه القصيدة العبرية التي سوف ارويها هنا ؟

ليست الوقاحة والنزق يمارسان بالرواية والرؤية وبالاهتمام والنية كما يمارسان بالفعل ؟

أليس الذي يكتب أو يروي أو يرى أو يواجه أو يسمع أو يفسر أو حتى يتخيل أو يقرأ قبحاً أو دمامة أو وقاحة أو فضيحة أو عارا أو بلادة أو عاهة أو ألماً أو نزقاً أو سخفاً لا بد أن يعيش ذلك ويمارسه بأسلوب ما أو بأساليب عديدة عنيفة أو مخففة ؟ أليس الذي يوقع الحكم بالأعدام لا بد أن يعيش ويقاسي إحاسيس الموت وتقاسيره إلا أن يكون جهازاً الياً لا انساناً ؟

أليست العين أو الأذن التي ترى العذاب أو تسمعه لا بد أن تعيش العذاب وتقاسيه إلا أن تكون عينا أو أذنا ميتة ؟ ولكن هل يستطيع أي إنسان أن يعيش ما لم تمت عيناه وأذناه ولو بعض الموت أي ولو أكثر الموت ؟

لعله لا يوجد كائن غير الإنسان يعيش ويمارس ما يكتبه ويقرؤه ويرويهِ ويقرأه ويسمعه ويواجهه ويفسره ويفهمه ويتخيله . أن نوع ذلك وصفاته ، جودته وردائه ، أي ما يراه ويرويهِ ويسمعه ويفهمه ويفسره ويتصوره ويواجهه - أن نوع ذلك وصفاته الجيدة والرديئة ، العظيمة والحقيرة ، لتهبه أي لتهب الإنسان الاستمتاع أو العذاب ، المجد والكرامة أو العار والندالة . . .

والإنسان الذي لا يعيش ولا يمارس ، لا يكتب أو يتعذب ، لا يسر أو يستمتع بهذا الأسلوب ، أي لا يعيش ولا يمارس بعينه وأذنيه ومواجهته وخياله وبروايته وقراءته وكتابته ، ماذا يمكن أن يكون فيه من معاني الإنسان أو تقاسيره ، أو ماذا يساوي من قيمة الإنسان الإنسانية ؟ وهل يوجد تفاوتات كالتفاوت البشر فيما يساوي كل إنسان من قيمة الإنسان ومن معانيه وتقاسيره ؟

أن ذات الإنسان ، أي في مستواه الأعلى ، ليست إلا شبكة مؤلفة من أجهزة توصيل لا مثيل لها في شمولها وابعادها واعماقها وافاقها وفي حساسيتها ، لتوصل كل الأشياء والكائنات الموجودة بل وغير الموجودة أي المتخيلة أو الروية في التعاليم والأساطير ، لتوصلها إلى نفس الذات أي إلى نفسها لكي تعيشها أي تعيش كل الأشياء والكائنات الموجودة وغير الموجودة ، لكي تعيشها بالمجد والكرامة والاستمتاع أو بالندالة والعار والعذاب ، أي لتعيش هذا أو هذا أو هذا وهذا ، بالشعور والنية والمنطق وبالتقبل والرفض وبالاعجاب والأشمئزاز . هل يوجد كائن يعيش ويمارس كل شيء بكل الأساليب ، ويعيش فيه ويمارسه كل شيء بكل الأساليب أيضاً ، غير الإنسان أي الإنسان في مستواه الأعلى ؟

ها أنت ترى أو تسمع أو تقرأ أو تفسر أو تواجه أو تتخيل أو تروي ألماً أو ظلماً أو قبحاً أو غباءً أو كذباً أو سخفاً أو هواناً أو سقوطاً أو عاراً أو نقيضاً لكل ذلك ، دون أن تعيش وتمارس ذلك بغضبك أو برضاك ، بجبك أو ببغضك ، بأعجابك أو بأشمئزازك ، بمناصرتك أو مقاومتك ، بمشاعر الكبرياء والكرامة والمجد فينك

أو يمشاعر الانفجاع والمهانة والعار . ألسنت كذلك حتما ولو احيانا ؟ بل أليس ذلك هو الواجب والحتم عليك لكي تستطيع أن تحيا وأن تحب وتفرح وتغني وتعجب بنفسك ؟

هل انت اذن انسان ؟ او ماذا تساوي من قيمة الانسان او من تفاسيره ؟ هل يستطيع اي انسان أن يعيش كل معاني الانسان وقيمه وتفاسيره ؟ هل يستطيع أي انسان أن يكون كل الانسان ؟

هل تستطيع بدون ان تعيش فيك مقادير جيدة من الوقاحة والنزق وبلادة الضمير ودمامة الروح والفكر وخمودهما ، ان تواجه او ترى أو تسمع او تروي او تقرا او تكتب او تفسر او تتخيل بتعمد وتحديق ، هذا الموقف او هذا النظر او هذا الحدث او هذه الدمامة او لعاهة او هذا الكلام او هذا المستوى الفكري او الفني او الاخلاقي او الانساني بل الكوني ثم لا تتفجر غيظا وغضبا واشمئزازا وحرنا ؟

اذن هل تستطيع بدون ان تعايش وتمارس أي لون من ألوان الوقاحة والنزق وبدون ان تتقاسي من العذاب النفسي والفكري والاخلاقي والانساني بل والقومي والوطني ، ان تروي هذه المقاطع التي سوف ارويها من قصيدة يعربية قالها يعربي من الابناء بعد ان تجمعت فيه باصالة جميع مواهب الابهاء ، بل او ان تروي اي شيء مما كنت قد رويت في الصفحات السالفة من تراث اولئك الابهاء ؟

اذن ما اقسى واقبح ما حكم به علي حينما اصبحت محكوما علي بان اروي واكتب ما رويت وكتبت وما سوف اروي واكتب من مقاطع القصيدة اليعربية التي اقسى في هذه اللحظات من اشد حالات الارتجاج استحياء ورهبة واشمئزازا من ضخامة العار ، خوفا من البدء بمرآيتها ، والتي احاول ان اتحدث عن اي شيء وان اشغل باي شيء لكي اهرب ولو بعض الوقت من البدء بروايتها وكتابتها ، لكي اتأخر عن هذا البدء متعللا بأي شيء . ان رواية أو كتابة مثل هذا العار ليست شيئا مسليا أو مريحا بل ليست شيئا سهلا . ليست رواية او كتابة الشيء نوعا من مقاساته الفكرية والنفسية ؟

ولكن يا نفسي ويا اخلاقي وعقلي وكرامتي واستحيائي ، لا بد من التجلد ، لا بد من اقتحام الاوحال لانه لا حياة بلا اقتحام وخطو وممارسة ، ولانه لا اقتحام ولا خطو ولا ممارسة بلا اوحال انه لا رؤية ولا سماع ولا قراءة ولا تصور ولا تمن بلا اوحال ..

انه مهما كانت ملابسنا وجلودنا نظيفة فان مواجهاتنا وممارساتنا ومعانينا وتفاسيرنا لن تكون كذلك . هل يوجد من يستطيع ان تكون كل رؤاه وخیالاته وقرآته وافكاره وتحليلاته وتحدياته واسفاره الانسانية بلا اوحال او دممامات او ذنوب او وقاحات او مقاساة فكرية او اخلاقية او نفسية او انسانية او حضارية او مقاساة من اي نوع وبأي اسلوب وتعبير ؟

السنا نعيش في الظلام والوحل ونمارسهما بقدر ما نعيش تحت ضوء الشمس وفي اصفى واعمق الانهار ماء واطولها امتدادا ، او مهما عشنا تحت الشمس او فوق الشمس وفوق جميع الانهار وجميع السحاب ؟
هل يوجد ما يتفوق على الشموس عجزا عن الرؤية او على الانهار والبحار عجزا عن النظافة والتطهر ؟

ان الذين يعيشون داخل اجساد الشموس او داخل اجساد الانهار والبحار والسحاب لن يكونوا اكثر اشراقا او نظافة او جمالا او مجدا في رؤاهم او مواجهاتهم ، و قراءاتهم ، او في ما تتلقاه اذانهم ، او في ممارساتهم ، او نياتهم ، او في امالهم وتصوراتهم والتزاماتهم ، او في اي تفسير من تفاسيرهم ..

انهم لن يكونوا اكثر اشراقا وجمالا او نظافة او مجدا في ذلك ممن لا يعيشون الا في احشاء الظلام والاوحوال والدمامات . وان الشموس والبحار والانهار والغمام لن تكون في مواجهاتها او رؤاها او ممارساتها او معاشراتها او قراءاتها وعلاقاتها او في اشواقها او في تفاسيرها اكثر اشراقا او نظافة او تقوى او مجدا او تعففا من اية حشرة تعيش وتتسلل في العفونات والظلام ، هاربة من النور والنظافة والجمال .. بل ان مثل هذه الحشرة لاكثر تقوى وتعففا وتطهرا في مواجهاتها وممارساتها المختلفة من الشموس والبحار والانهار والسحاب ..

اذن لا بد من افتتاح الاحوال والعفونات ولو بالكتابة او القراءة او الرؤية او السماع او المواجهة او التفكير او بالتفسير او بالخيال او بكل ذلك ، او برواية هذه المقاطع من هذه القصيدة اليعربية وبنقلها الى الورق وعلى الورق . وهل يوجد مثل الاقلام والاوراق خوضا في الاحوال والعفونات ؟

اذن كل الاعتذار الى الورق الذي سوف تكتب وتنشر عليه هذه الاحوال والعفونات . كل الرثاء للحضارة التي اعطت المطبعة لتكون الاداة لنشر هذا القبح وتوصيله الى العيون والاذان ..

وما الناسُ الا منشدون لمجربنا

ايتها الكائنات الغيبية المطلة متلصصة من عيون ونوافذ وشقوق هذا الكون ...
اغلقي عيونك واذانك لئلا تقرئي او تسمعي ما سأرويهِ .. لئلا تعرفي انه توجد في
هذا الكون كائنات بهذا الحجم العقلي والنفسي والاخلاقي واللغوي التعبيري ..

نعم ، اغلقي عيونك واذانك حماية لعيونك واذانك واحتراما لها ، وتاثما بل
وتكرما من ان تعرفي ان قوما قد يصغرون ويصغرون ليكونوا بمثل هذا الحجم في
نكائهم ، او وقارهم ، او اخلاقهم ، أو في تعبيرهم عن حجمهم هذا .

اغلقي ايتها الكائنات الخفية المتطلعة اليانا من وراء وفوق هذا الكون اذانك
وعيونك لئلا تقرئي او تسمعي او تعرفي . اننا عقاب فادح او مسلاة لثيمة لكل من
يسمعوننا او يقرأوننا او يفسروننا او يعرفوننا او يحاوروننا ..

ارفقي بنا فلا تقرئينا او تسمعينا او تعرفينا . وارفقي بحياتك ووقارك وكرامتك
وبتهذيبك واحبك ، فلا تقرئينا او تسمعينا او ترينا او تعرفي حجمنا الانساني
والحضاري ..

نعم ، الان .. لتغلق بل لتتمت ولو منتحرة كل العيون والاذان لئلا تقرا او ترى
او تسمي .. ليتمت كل من يقرأون ويسمعون ويرون ..

الان .. لقد ماتوا ، ماتوا . لا بد من الافتراض انهم قد ماتوا ..

اذن فلينشد اليعربي انشاده الرهيب بعد ان مات كل من يقرأون ويسمعون
ويرون ويفسرون . نعم ، لقد ماتوا ، ماتوا . اذن فليسمعوا :

بلى ... قد وهبنا الناس كل مزية

وهبناهمو كل الحضارات والرياسا

بلى .. قد خلقنا الله مجدا لمجدنا

خلقناه كي يقرأ العربوية والعربيا

خلقناه لا يخشى سوانا ولم يطع

سوانا • ولو قلنا له : لتمت لبي
وما همه الا قراءة مجدنا
وتنزيله في مدحنا الرسل والكتبا
وما هو والاكوان الا قصائد
تغني لنا مجدا •• تفسرنا حبا
بلى •• قد خلقنا الشمس من ومض مجدنا
•• ونابى القمر المسكين مجدا لنا •• نابى
وما الارض الا ملعب لجيادنا
ولا الكون الا عائدات لنا تجبى
وما الناس الا منشدون لمجدنا
ألم يجدونا الدين والعلم والحربا
وما مجدهم الا تلاوة مجدنا
سلوا كل ذي مجد •• فما نطق الكذبا
ولم يستقوا من غير ابار فكرنا
لقد ولدت ابارنا للبحر والسحبا
ولم يزرعوا في غير صحراء جودنا
لقد انبتت صحراؤنا المجد والخصبا
وما اقتحموا الاقمار الا تشبهها
بسبب براق للنبي •• به خبا
وما ابصروا اذ حلقوا غير خيلنا
هنالك تجتاز المجرات والشهبا
فتعلو فلا شيء يروم مكانها
وتعدو فلا شيء يسد لها دربا
لقد وجدونا فوق كل مجرة
هناك رأونا نضع السهل والصعبا
بلى •• قد وهبنا الضوء سرعة ومضه
اذن فليحني الكون صواغه العربا
بلى نحن من قالوا لذا الكون فلتجني
فجاء كما شئناه مستسلما صبا
لذا قد رأينا الجمال جميعه
فلا قبح فيه قد نراه ولا ذنبا
وحتى الذباب فوق انف نبينا
نراه جمالا يبهر العقل والقلبا

لانا رأينا ما اعتقدنا كماله
 وصفناه مكتوبيا باخلاقنا الغضبي
 لذا عزم من شئنا له العز وحده
 لذا ذل من شئنا له الذل والكربا
 لذا نال ما يبغى الطيغ لامرنا
 لذا نال من يعصوننا السلب والصلبا

بعد هذه المسيرة الطويلة الصعبة الحزينة في احوال هذه القضية ، قضية
 ان العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية ، اريد ان اثبت الامور الاتية ، مع الاعتراف
 بان هذا الذي سوف اثبته واتحدث عنه ليس الا تكرارا لما سبق ٠٠ والتكرار قانون
 طبيعى وكروني وانساني ٠ انه لولا التكرار لتوقف بل ولما وتنفذ وتلاشى كل شيء ٠
 ان هذا لا عتذار الى من قد يتهمون بالتكرار ويجدون في هذا الاتهام لذة ومجدا ٠
 اولا :

صعب جدا ان يقرأ قارىء ما كتب هنا ، ان يقرأه بفكره وصدقته واهتمامه خارج
 جميع قيوده وتقنياته السابقة المتعددة الجنسيات والاملاءات ، ثم يستطيع ان يشك
 في صدق الاستنتاجات التي قررتها هذه الدراسة ، اي ثم يشك في ان العرب ليسوا
 سوى ظاهرة صوتية ٠٠ اعتقد ان اي مصاب بكل امراض الشك لن يصاب باي شك في
 هذه القضية ان هو قرأ هذه الدراسة بالشروط التي ذكرت ٠٠
 ان هذا القارىء لا بد ان يقتنع بذلك حتى ولو كان في هذا الاقتناع كل التعذيب
 والتحطيم لكرامته وكبريائه وضميره وكل الخروج على كل اهوائه وادعاءاته وقراءاته ٠
 بل حتى ولو كان عجزه عن هذا الاقتناع او رفضه له هو وحده الذي يهبه الجراة او
 التسويغ او التشريع او القدرة على ان ينظر في عيون الاخرين ، او على ان تصافح
 يده ايديهم ، او على ان يبتسم للمرأة او تبتسم له المرأة او على ان يصافح وجهه
 في المرأة ، او على ان تكون المرأة ويكون التحديق فيها شيئا مباحا ٠ اني افترض هنا
 ان لوجود المرأة وللتعامل بها وللابتسام لها شروطا ٠ فهل اشترط احد اية شروط لذلك؟
 ان اي انسان يتعامل من داخله مع جميع طاقاته وتفجراته وقراءاته وتساؤلاته
 الانسانية الذاتية ، لو انه قرأ الانسان العربي واستمع اليه وحقق فيه وفسره
 في ذات وبذات ومن ذات الانسان العربي ، ثم حكم عليه اي على هذا الذي قرأ وفسر
 الانسان العربي وحقق فيه واستمع اليه ، باقسي حكم يحكم به على اي انسان ، لو
 انه اقتنع من داخله بان العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية ، لما كان ممكنا او مستطيعا
 ان يقتنع بغير ذلك حتى ولو نفذ فيه الحكم الذي حكم به عليه والذي هو اقسى حكم ٠٠
 وان الله لو بعث رسولا من السماء وحمله رسالة كلفه بتبليغها وتعليمها ،
 وكانت كل هذه الرسالة المرسله مع هذا الرسول المهبط من السماء هي التحليل على ان

العرب اكثر من ظاهرة صوتية ، وكان هذا الرسول ذكيا وصادقا ، لما استطاع ان يقتنع بان العرب أكثر من هذه الظاهرة الصوتية ، اي بعد ان يعايشهم ويسمعهم ويقرأهم ويفسرهم . انه حينئذ لا بد ان يشك في صدق الاله الذي ارسله او في ذكائه او في جده ، اي ان لم يقتنع انه قد اخطأ وهبط على اقوام آخرين غير العرب . ان هذا الرسول لن يستطيع الاقتناع بان العرب اكثر من هذه الظاهرة الصوتية حتى ولو هدده الاله الذي ارسله بكل العقاب الذي يملكه ان لم يقتنع بذلك

ان هذا الرسول سيكون حينئذ هو اول رسول في التاريخ بل في الكون يشك في صدق أو ذكاء أو جد أو وقار الاله الذي ارسله ، او يشك في أن القوم الذين كانوا في ذهن الاله وفي نيته ليسوا هم القوم الذين بعثه اليهم او وضعه فيهم او ظنهم اياهم ، او ليسوا هم القوم الذين وصل اليهم بخطئه هو او خطأ الاله او بخطئهما معا . الا يحتمل ان يشك الانبياء في تعيين الاقوام الذين يبعثون اليهم ؟ هل موهبة الشك في الانبياء لا حدود لضعفها وخمودها ؟

ولكن هل يمكن الاقتناع بان احدا من اولئك الانبياء الذين ارسلتهم السماء لم يشك أو يتساءل أو يفكر : هل السماء التي ارسلتني صادقة أو عارفة أو ذكية او جادة او جيدة النية والاخلاق ، بل لم يقتنع انها ليست كذلك ، بل انها نقيض ذلك ؟ اليس محتوما ان كثيرا من الانبياء قد اقتنعوا بان الالهة التي ارسلتهم هي نقيض المزاي المزعومة لها ؟

هل توجد غفلة مثل غفلة اي نبي لا يقتنع بان الاله الذي ارسله هو نقيض حاد وشامل لكل معاني الاله المفترضة والمطلوبة والمصلى لها وبها ؟

اليس اعوان الطغاة واعوان جميع الاقوياء والمتسلطين لا بد ان يعرفوا دائما أو أحيانا حقيقة من يعملون معهم ولهم وبأوامرهم ؟ بل ليس هؤلاء الاعوان لا بد ان يكونوا اكثر الناس معرفة بنقائص وذنوب طغاتهم وسلطينهم ، واعجز الناس عن الاقتناع او الانخداع بمزايهم المقررة والمعلنة والمخطوب المصلى بها ولها بل المنزلة في التعاليم وفي الكتب المقدسة ؟ اليست اعضاء الكائن وملابسه الداخلية هي اعرف العارفين بمستويات نظامته ونظامتها ؟ هل يمكن ان تحدد ملابس واءاء الانسان الداخلية عما فيه من احوال ؟

هل يمكن الافتراض بان نقائص وذنوب هؤلاء الطغاة والحكام ، وبيان اخطاءهم وجهالاتهم اعظم او اشنع أو اظهر أو اشهر أو اكثر افتضاحا من نقائص وذنوب وجهالات واءاء السماء ؟ هل يمكن التستر على عاهات الالهة وذنوبها او الدفاع عنها مهما امكن التستر على ذنوب وعاهات كل الاشرار والدفاع عنها ؟

او هل يمكن الافتراض بان الانبياء الذين ترسلهم السماء وتختارهم لها رسلا وانبياء هم اقل ذكاء او اكثر عجزا عن رؤية الاخطاء والذنوب والجهالات

والفقاuss ، او اقل رفضا واستقباحا وفهما لها من اعوان الطغاة والسلاطين ؟ نعم ، اليس هذا الافتراض الاخير محتملا بل مقبولا بل معقولا ؟ هل يمكن تصور عاجزين عن الرؤبة والذكاء والنقد مثل المتحدثين مع الالهة ؟

وبدون هذين الافتراضين اليس محتوما ان يكون رفض الانبياء لذكاء السماء ولاخلاقها ومعرفتهم بعيوبها وذنوبها اقوى من رفض اعوان الطغاة والسلاطين لذكاء واخلاق طغاتهم وسلاطينهم ومن معرفتهم بذنوب وعيوب هؤلاء الطغاة والسلاطين ؟ ان اعظم تحقير وهجاء لذكاء الانبياء ولاخلاقهم الزعم انهم لم يكونوا اكثر رفضا لاخلاق ولنطق السماء من اعوان الطغاة رفضا لاخلاق ولنطق طغاتهم .. ان جميع عاهات وذنوب البغاة المتسلطين بل وعاهات وذنوب جميع البشر لو انها تحولت الى عاهة واحدة والى ذنب واحد لنتفجرا في جميع العيون والضامائر والعقول ، في جميع الاوقات ، بكل الاساليب والتعبيرات لما استطاعا ان ينافسا في منطقتها وتفاسيرهما اصفر العاهات والذنوب التي تمارسها السماء وتفجرها وتقاتل وتعاقب وتتحدى بها كل الاوقات كل العيون والضامائر والافكار والاخلاق وللتعاليم والاديان والمذاهب والكتب المنزلة بل والامال والتضرعات والصلوات والاهات ولللهفات المرفوعة اليها ..

هل يوجد مهين مخيب لكل الامال والتوقعات واللهفات والاشتراطات والحسابات والظنون مثل الاله .

هل يمكن ان يجهل اي نبي ترسله السماء ان اية خطيئة او وقاحة يقترفها او يعشقها اي انسان او اي كائن انما هو ، اي الكائن او الانسان ، هو ووقاحته او خطيئته ليسا سوى وقاحة او خطيئة يقترفها ويديرها ويعشقها ويسعد بها الاله الذي ارسله ؟ اليس الاله هو الخالق والحبر والمريد للوقح ووقاحته اكثر من خلق الوقح لوقاحته ومن تدبيره وارادته لها ؟

او هل يمكن ان يجهل اي نبي ترسله السماء انه لا يوجد ولن يوجد بل او يتصور كائن يخرج على جميع تعاليمه ويخرقها بكل القسوة والشمول والديمومة والامتضاح مثل السماء ؟ هل توجد جراءة وجه مثل جراءة وجه السماء التي تجن غضبا وانتقاما ممن عجزوا عن الالتزام بتعاليم لا تلتزم هي اي السماء منها شيئا دون ان تكون عاجزة ؟ كيف تجرؤ على الكشف عن وجهها ؟

او هل يمكن ان يجهل اي نبي ترسله السماء ، ان السماء التي ترسله يجب ان تكون ذكية ومنطقية واخلاقية ، وان تكون ملتزمة بما تحبه وتريده وتأم به وتعلمه وتراه جمالا وحقا وخيرا ؟ هل يمكن الافتراض انه قد يوجد نبي او يقبل او يغفر ان يوجد نبي يجهل ذلك او لا يفترض او يشترط في الهه الذي ارسله انه يجب ان يكون اي الهه ذكيا ومنطقيا واخلاقيا وملتزما بما يريده ويحترمه ويحبه ويراه

عدلا ونظافة وجمالا وحقا وخيرا ؟ اليس محتوما ان كل نبي كان يصرخ في وجع
 الله بلا صوت : لاجل ايها الاله من ان تعلم ولا تلتزم . مت خجلا ايها الاله ؟
 اذن هل يمكن الافتراض بان نبيا واحدا لم يكن يعرف ان الاله الذي ارسله
 بالتعاليم والاخلاق والتقوى وبالذعوة الى العدل والحب والرحمة والكرم هو
 الكائن الذي لا نموذج له في خروجه على جميع هذه القيم التي تجيء وتبتدع التعاليم
 للذعوة الى الالتزام بها ؟ اذن هل يمكن الافتراض ان اي نبي من الانبياء كان من
 داخله يحترم الاله الذي ارسله ، او انه كان يثق به او يصدقه او يراه جديرا بما
 يطالب به لنفسه ، او انه كان جادا فيما يقول ويعلم ؟

اه ايها الانبياء البؤساء . . كم كنتم تقاسون من الرفض لاخلاق ومنطق الهنكم .
 اه ايها الانبياء البؤساء . . اي ان لم يكن غباؤكم متفوقا على غباء الانسان العربي
 امام جهالات وسخافات وذنوب الهته وانبيائه وسلاطينه وخلفائه ورؤسائه وتاريخه .

ثانيا :

ان الاقتناع بان العرب ظاهرة صوتية ليس الا اسلوبا من اساليب الدفاع
 عنهم والرفق بهم بل والاحترام لهم . ان هذا الاقتناع يعني الخروج بهم من منطقة
 المحاكمة والمحاسبة والمسائلة القاسية الى منطقة الصفح والغفران او الى منطقة
 المسلاة والسخرية الصامتة الحزينة او السعيدة . .

انهم اذا كانوا اصواتا فقط فلن يؤاخذوا او يفسروا بما يقولون او بما يبغون
 او يظن انهم يقولون . ان تفسير العرب بما يقولون لهو اقسى اتهام وهجاء وتعيير
 وتحقير لهم . اما تفسيرهم بانهم اصوات لا تفسير لها فهو انبل غفران لهم . .

انهم حينئذ يظنون او يزارون او يجارون او يسهلون او ينهقون او يثغنون
 او يرغون باسلوب ونية وحوافز البكاء او الغناء او الخوف او السباب او الاستفراغ
 او الاعلان عن العجز والضعف والهوان والهزيمة والتفاهة والفراغ . واي شيء في
 هذا يؤاخذ او يعاقب او يصنع الغضب او الاحتقار ؟ ان ذلك مثل صوت الريح
 او الانفجار الطبيعي ، لا يعني اي خروج على النموذج ، كما لا يعني اي ادعاء سخيف .

ان الكائن الذي يطلق صوتا فيفسر بانه يظن او يجار او يسهل او ينهق او
 يعوي او يبكي او يغني او يستفرغ لافضل حظا واقل عارا ممن يطلق صوتا
 فيفسر بانه احق او ابله او مجنون او حقير او مفتضح او نذل او كذاب او دعوي
 او وقح النفس والاخلاق والعقل والتعبير والوجه والرؤية للنفس والتحدث عنها ، او
 يفسر بانه كل ذلك . ان هذا يواجه بالاحتقار والاشمزاز والغثيان . اما ذلك فيواجه
 بالثناء والاشفاق والاعتذار عنه او بالاستحسان والاستظراف والانصات اليه
 والاستزادة منه ، او يواجه بالصمت، اي بصمت المشاعر والتفكير والرؤية عنه ، لا
 له ولا ضده . .

الست صاحب حظ عظيم حين تستقبلك المشاعر ثم تصمت عنك لا تمجدك ولا تستفرغك استقباحا لك ؟

حين يقول العرب : نحن وحدنا كل الحضارة والعظمة والقوة والشجاعة والذكاء والسخاء والاخلاق والتقوى والصدق والتهديب والعلم ، وكل الالوهيات والنبوات والاديان والحقائق الخالدة المطلقة ، وكل الزعامات والقيادات لكل العالم .

نعم ، حين يقولون : نحن وحدنا كنا كل ذلك في كل التاريخ ، ولا بد ان نظل كل ذلك بل وكل شيء جيد ومجيد في كل المستقبل ، فكيف نفسرهم اذا اردنا الدفاع عنهم والرفق بهم ، وكيف نفسرهم اذا اردنا ان نفسو جدا في تحقيرهم وتفسيرهم ؟ اما الصمت عنهم وحذفهم من كل تفسير فهذا ، لو كان ممكنا ، اقصى اساليب التحقير في التفسير . .

لو قلنا ان العرب باقوالهم هذه يتكلمون ويعنون بها ما يعنيه الناس بكلامهم اي لو قلنا ان اقوالهم هذه ولسائر اقوالهم اية تفاسير اكثر من كونها اصواتا تسمع وتقرأ ويخطب ويصلى بها وتنزل وحيا في الكتب المقدسة على انبيائهم الخالدين الخاتمين لكل النبوات ، دون ان يراد بها او منها شيء اخر .

نعم ، لو قلنا ذلك فهل يوجد مثلنا عداوة وتحقيرا للعرب واستهزاء بهم ؟ ولكن اذا قلنا ان العرب في اقوالهم هذه وفي جميع اقوالهم لا يتكلمون كلاما يفسر كما يفسر الكلام ولكنهم يصوتون ، انهم يعبرون باساليب جديدة عن التصويت ، فجميع اقوالهم التي تبدو كأنها اقوال او كلام ليست الا اساليب جديدة للاصوات - نعم ، اذا قلنا ذلك افلسنا حينئذ نحاول الدفاع عنهم والرفق بهم ؟ بل قد يعد قولنا هذا نوعا من المحاولة للزعم بان اصواتهم هذه ليست سوى الوان بهيجة من الفنون ، من الغناء والتمثيل والتصوير والرسم والنحت وغير ذلك . . هل يوجد ما يصنع البهجة والمسلاة والرقص والتصفيق الروحي مثل هذه الاقوال اذا فسرت بانها اصوات وليست كلاما ولا تفكيراً ؟

لو ان ببغاء او اي طائر او حيوان قال : ان « العرب هم خير امة اخرجت للناس » ، او : « خلق الله العرب ليكونوا شهودا وقضاة على جميع الناس » ، او : « ان العرب يملكون كل الدنيا وكل من فيها وما فيها » او : « ان اي طفل عربي يبلغ الفطام يسجد له كل الجبارين في العالم خوفا منه ومانا بمزاياه وعبقرياته » ، او : « ان العرب لا يقبلون ولا يكونون ابدا الا متصدين دائما لكل العالم دون كل العالم ، او موتى اباء ومجدا وشجاعة وكبرياء ورفضا للمساواة بالآخرين » ، او : « ان كل ملوك العالم وكل العالم ليسوا الا عبيدا « للعرب » او : « ان كل البشر في كل العصور ليسوا الا منسحين لمجد العرب وما لهم من مجد سوى هذا الانشاد » .

نعم ، لو ان اي ببغاء او طائر او كائن اخر قال ذلك عن العرب ولهم او قاله عن نفسه ولنفسه ، فهل يمكن ان يوجه اليه اي احتقار او اشمئزاز او اي اتهام

من اي نوع ، او ان يصدم منطق او ذكاء او اخلاق او كرامة او وقار اي سامع ؟ بل اليس محتوما حينئذ ان يتحول الى بهجة روحية وفنية لا تساويها اية بهجة يصنعها اي فن من الفنون ؟ اذن ليت كل ما قاله الهة العرب وانبيائهم وشعراؤهم وفرسانهم امتداحا لانفسهم انما قاله ببغاء او اي طائر او كائن ولم يقولوا هم منه شيئا . انه حينئذ لشيء رائع . . .

لان هذا الببغاء او الطائر او الكائن لن يفسر الا بانه مصوت فقط ، انه لا يعني ولا يقول شيئا ، وانما يغني باسلوب جديد لا نموذج له في جميع اللوان الغناء والفنون . نعم ، ليت كل ما قاله العرب فخرا وادعاء انما قالته البراغيث والعصافير ولم يقولوه هم .

ولكن لو ان اي قوم من البشر قالوا ذلك او قالوا مثله عن انفسهم ، وحولوه الى كتب مقدسة والى نبوات خاتمة مختومة ، والى معلقات والى اداب وفنون خالدة تتعلمها الاجيال والمحاريب والمنابر عن الاجيال والمحاريب والمنابر ، وتدرس وتعلن وتجد ويباهي بها وتحول الى معارض والى قيم ضخمة قومية ووطنية وانسانية كما يفعل بالحقائق العلمية ولها - بالاساليب الفضاحة التي طرح ويطرح بها العرب انفسهم في الاسواق والتاريخ .

نعم ، لو اي قوم من البشر قالوا وفعلا ذلك ثم فسروا بانهم متكلمون لا مصوتون فقط بالاساليب جديدة من التصويت فباي الاساليب حينئذ يضطرون كل العالم الى احتقارهم ، والى الانفجاع بهم ولهم ، والى الذهول ، والعجز عن فهمهم وتفسيرهم باي مقياس او نموذج ؟ كم يمكن حينئذ ان يعذبوا عقول واخلاق ووقار وحياء وكبرياء واشفاق كل العالم ؟

هل يمكن ان يجد حينئذ الآخرون السامعون القارئون الراؤون لهم مقادير من الاحتقار والانفجاع والغضب والذهول والاشمئزاز والغثيان تكفي او تقارب الكفاية لكي يصبوها على هؤلاء الذين لا توجد لهم نماذج في العقلاء ولا في المجانين ، في البشر ولا في الكائنات التي هي اقل من البشر ؟ اليس افتراض العرب متكلمي - مفسرين بما يقولون هبوطا بهم عن مستوى البشر العقلاء والمجانين وعن مستوى الكائنات الاقل من البشر ؟

اليس اردا الاشياء او اصعبها ان نكون في موقف يستحق من الاحتقار والاشمئزاز والانفجاع والذهول ما لا نستطيع ان نفعل من ذلك ، اي من الاحتقار والاشمئزاز والانفجاع والذهول ؟ اليس شيء لا مثيل له في الفضاة ان يجب علينا من الاحتقار والاستقحاح ما لا نستطيع ان نملكه او ان نفعله او حتى ان نعرفه ؟

اليس اتبج وافظع المواقف موقفا نوجه منه الى شيء ما او احد ما كل ما فينا من مواهب وطاقات الاستقبح والاحتقار والانفجاع والاستنكار والرفض ثم نظل مقتنعين ان كل ما وجهناه من ذلك الى ذلك الشيء او ذلك الاحد لا يكفي ، نظل

مقتنعين باننا عاجزون عن ان نفعل ما يكفي او ما يجب ان نفعله من ذلك اي من الاستقبح والاحتقار والانفجاع والاستنكار والرفض ؟ أليست طاقات الاحتقار والاستقبح والانفجاع في البشر محدودة وانها لا تساوي دائما الحدث المستحق للاحتقار والاستقبح والانفجاع ؟

اذن فعلى العرب الا يinzعجوا او يفضبوا او يرفضوا حين يفسرون بانهم مصوتون لا متكلمون ولا مفكرون . بل ان عليهم ان يبتهجوا بذلك ويشكروا ويصلوا لمن يفسرونهم كذلك . انهم بهذا التفسير يرتفعون عن هذا الحضيض وينجون من هذا العار ..

انه لا نجاة للعرب من ان يحسبوا بلا نموذج في عارهم وغبائهم وهبوط مستوياتهم الا بان يفسروا مصوتين كالفريان والعصافير والضفادع . ان عليهم ان يعلموا ان من يفسرونهم بانهم يتكلمون ويفكرون حين يقولون ما يقولون ، وانهم يعنون هذا الذي يقولون .

نعم ، ان على العرب ان يعلموا ان من يفسرونهم كذلك هم اشد المعادين المحقرين لهم الهازئين بهم المريدين المدبرين لايقاع كل الوان العار بهم .. اني هنا افترض ان العرب يفهمون انها توجد فروق بين من يصوتون ومن يتكلمون ، وان التصويت هو شيء غير الكلام والتفكير وكل الكينونات العبقرية ..

ثالثا :

انه لواجب على جميع اصحاء العرب وعلى جميع العاطفين عليهم المشفقين من ان يفسروا اي العرب تفاسير تهبهم من الاستقبح والاشمزاز ما لا يستحقون - نعم ، انه لواجب على جميع هؤلاء ان ينظمو وينفخوا هجوما اعلاميا تفسيريا ، ليقتنعوا به كل العالم ان العرب يظلمون ويشوهون جدا حين يفسرون بانهم متكلمون ويتكلمون ، وبانه يجب او يجوز ان يحاكموا ويحاسبوا بما ينطقونه وبما يسمع منهم مما يشبه الكلام او يحيى بصيغة الكلام ، مثلما يحاكم ويحاسب المتكلمون . ان تفسيرهم هذا التفسير يعني حتما العدوان عليهم ومؤاخذتهم بما لا يستحقون . انه يعني حتما معاقبتهم باحتقار لا يستحقونه ، اي باحتقار هو اكبر منهم ومن مستوياتهم ، ولا يوجه اي هذا الاحتقار الا لمن هم الا الى من هم اكبر وأضخم منهم تفسيرا وكينونة . ان الاحتقار ، حتى الاحتقار قد يتحول الى نوع من المغالاة في التقدير والتفسير وفي الرؤية للشيء او للكائن .. اننا لا بد ان نفترض للشيء او للكائن نموذجا او مستوى لكي نستطيع ان نحقره او نحترمه ، محاكما بذلك النموذج او المستوى المقترض ..

حتى الاحتقار انه يجب ان يكون استحقاقا . انه احيانا عطاء بلا استحقاق .. ان الكائن الذي لا يفترض له مستوى ما من الجودة لا يصح احتقاره مهما هبطت تحت جميع المستويات ..

اننا لو احتقرنا الذباب او اي حيوان لان طنينه او عواءه او صوته لم يكن ذكيا ولا منطقيًا ولا متوقرا او متواضعا او مهذبا او صادقا او بليفا ، او لان سلوكه ليس نظيفا ولا شامخا مترفعا لكننا معتدين على هذا الذباب او الطائر او الحيوان وظالمين له . ولكن احتقارنا هذا الذي تحول الى ظلم واعتداء لا بد ان يتحول الى عطاء لهذا الكائن ، الذباب او امثاله ، بلا استحقاق ، اي الى تضخيم وتفسير له هو اكبر منه . انه لا يجوز او لا يمكن تحقير الشيء او الكائن ولا مؤاخذته لو معاقبته او محاكمته الا اذا هبط عن مستواه او عما يستطيعه وينتظر منه فسي حساب المحقر المؤاخذ ..

وهؤلاء الاصدقاء للعرب والعاطفون المشفقون عليهم يجب ان يحاولوا حمايتهم اي حماية العرب من الظلم والعدوان والتحقير حتى ولو تحول ذلك الى عطاء لهم لا يستحقونه ، اي حتى ولو تحول الى مغالاة في تقديرهم وتفسيرهم ورؤيتهم . فالتحقير يجب ان يرفض ويرد حتى ولو كان يعني في كل تفاسيره كل التقدير .. ان احتقارك لمن هم اصغر من التحقير نوع فظيح من الظلم والذذلة والغيباء والوحشية حتى ولو تحول اي التحقير الى تمجيد او تكبير او الى ثناء غير مقصود . اذن ان على هؤلاء الاصدقاء والعاطفين والمشفقين ان يحاولوا بكل الصنق والقوة والحماس والشهامة اقناع كل العالم بان العرب ليسوا الا مصوتين فقط ، وانه لا يجوز ان يفسروا أو يفهموا أو يقرأوا أو يدانوا أو يمسكوا أو يطالبوا بما يسمع منهم ، أو ان ينتظر ما يسمع منهم أن يعني أي شيء ، ولا أن يساءلوا عنه اي عما يسمع منهم ، أو ان يطالبوا باي تفسير او تنفيذ له .. انه لا يجوز ان يعاقبوا او ينقدوا او يلاموا او يصنعوا لاحد اي استغراب او اندهاش او صدمة او حيرة اذا لم يعنوا بما يقولون وبما يسمع منهم اي شيء اكثر من التصويت حتى الاندهاش لا يجوز ان يصنعه العرب لاحد اذا لم يعنوا بما يقولون شيئا لان الاندهاش نوع من النقد والمحاسبة !!

انهم يستحقون ان يسمح لهم بان يصوتوا وكانهم يتكلمون ، وان يستمع اليهم ولو احيانا مثلما يستمع الى من يتكلمون ، ثم لا شيء غير ذلك .. لا شيء يطلب او ينتظر منهم لانهم صوتوا باسلوب من يتكلمون ومن يعنون او ينوون شيئا بل كل شيء ، ولا شيء من النقد او اللوم او حتى العتاب يوجه اليهم ..

ليست جميع الكائنات المصوتة تعامل هذه المعاملة الكريمة ؟ فلماذا لا يعامل العرب بمثل هذه المعاملة وهم ليسوا الا بشرا مصوتين مثل الكائنات المصوتة ؟

انه ليجب ان يقنع كل العالم بان يأخذهم اي يأخذ العرب ويفهمهم ويعاملهم ويتعامل بهم ومعهم بكل هذه البساطة والسهولة والتسامح والعدل . وبهذا الاسلوب المهذب الجامل الطيب عليه ايضا اي على العالم ان يقرأهم اي يقرأ العرب ويستمع اليهم ويتحدث معهم ويطلب اليهم ان يتحدثوا معه . بل ان عليه ان يشعر بالنشوة

الروحية او ان يتظاهر بهذه النشوة حينما يستمع اليهم وحين يقرؤهم ، مثلما يفعل كل الناس او بعض الناس حينما يستمعون الى الكثير من الكائنات المصوتة ، فيضطربون ويبتهجون ويصفقون ، غير مطالبين لهذه الكائنات او منتظرين منها اي تفسير او التزام او معنى او اي شيء اخر لما يسمعون منها اكثر او افضل من أن يسمعوها منها ، دون اشمئزاز او استقباح بل او استغراب ، بل باتهاج ومرح . ان الناس يستمعون الى الكائن المصوت دون ان ينتظروا منه ان يقول لهم شيئاً عن اي شيء . وهكذا يجب الاستماع الى الانسان العربي .

ان افهام كل العالم هذه الحقيقة اي ان العرب مصوتون لا متكلمون لتفضل على العالم واحسان اليه وراحة له من الوان المقاساة التي لا بد ان يقاسيها كل من لا يعرفون هذه الحقيقة ان كانوا قد حكم عليهم بان يقرأوا او يسمعوها او يعايشوا العرب .

ان من لا يعرفون هذه الحقيقة لا بد ان يقاسوا من الصدمات والذهول والاستغراب والعجز عن الفهم ومن مشاعر الخيبة حينما يتعاملون مع العرب ، ومع الاستماع اليهم والقراءة لهم والتحدث والتفاوض والحوار معهم ، ومع الانتظار لما يقولون ويسمعون منهم ، مع الانتظار لصدقه ولذكائه ولتقاسيره ولالتزام والاهتمام به ولتطبيقه ، اي للالتزام واهتمام العرب به ولتطبيقهم له ، اي لما يقولون ولما يسمع او يقرأ لهم . . .

شديدة هي صدمتك ان انتظرت صدقا او ذكاء او التزاما او تطبيقا او تفسيراً لما يقوله العرب . . .

ان الذين لا يعرفون هذه الحقيقة عن العرب لا بد ان يقاسوا كل هذه المقاساة ايضا او لا بد ان يقاسوها باشد اساليبها قسوة حينما يقرأون لالهة العرب ولانبيائهم وخلفائهم وحكمائهم وشعرائهم الاقدمين الخالدين . . .

تعذيب لك رهيب ان تقرأ لالهة العرب او لانبيائهم وخلفائهم وحكمائهم وشعرائهم ان كنت تريد تفسيرهم بما يقولون . ان من لا يعرفون هذه الحقيقة ستكون مقاساتهم من الصدمات والذهول والاستغراب والحيرة والعجز عن الفهم والتقبل ومن مشاعر الخيبة - ستكون مقاساتهم هذه بلا نموذج حينما يقرأون او يسمعون ما قاله الهة العرب وانبيائهم وخلفائهم وحكماؤهم وشعراؤهم الاقدمون الخالدون . ارثي لك جدا ان كنت محاكما محاسبا لما تقرأ وتسمع ان كنت قد قرأت او سمعت لالهة وانبياء وخلفاء وحكماء وشعراء العرب . . .

اذن فافهام كل العالم هذه الحقيقة اي افهامه ان العرب مصوتون لا متكلمون شفاء وحماية له اي للعالم من هذه المقاساة الفادحة التعذيب . . . اذن ما اعظم تفضل واحسان من يستطيعون افهام العالم هذه الحقيقة عن العرب . ان كل من يملكون اي قدر من الذكاء والصدق والنزاهة ، ممن قرأوا او سمعوا او عاملوا العرب القدماء او المحدثين ، لا بد ان يكونوا قد عرفوا هذه الحقيقة اي ان

العرب مصوتون لا متكلمون . وهؤلاء لا يحتاجون الى اي هجوم اعلامي تفسيري لكي يعرفوا هذا الذي يعرفون ، ولكي يتقوا الصدمات والعذاب حينما يضطرون الى ان يقرأوا او يسمعوا للعرب او الى أن يتعاملوا ويتحاوروا ويتحدثوا معهم واليههم . ان كل هؤلاء لا بد ان يكونوا قد عرفوا هذه الحقيقة واطمانوا اليها واعلنوها بقدر ما هم بريئون من الحقد والخبث والشماتة والمعاداة للعرب . .

ولكن الاغبياء والخبثاء والاشرار الماكرين الذين يجدون متعة او راحة او مصلحة في ان يحقروا العرب قد يعجزون او يدعون العجز او يدبرون العجز عن فهم هذه الحقيقة اي كون العرب ظاهرة صوتية جاءت باسلوب او بصيغة الظاهرة الكلامية والفكرية والبشرية ، لكي يستطيعوا ان يستمروا يستمتعوا ويضطربون ويربحون ويتعالمجون بالاحتقار والتصغير لهم اي للعرب ، حينما يصرون على ان يفسروهم بانهم متكلمون وليسوا مصوتين فقط ، اي حينما يحاكمون ويحاسبون العرب باصواتهم مفسرين لها اي لاصواتهم بانها كلام وتفكير ، اي بانهم يعنون بها ما يفهم منها ، اي بانها اي اصواتهم هي مستواهم الفكري والاخلاقي والنفسي والثقافي والديني والمذهبي واللغوي ، مفسرة بانها كلام وتفكير ونيات ، اي بانها اشياء مقصودة مدبرة مخططة معنية مسموعة مقروءة مفسرة كما يسمع ويقرأ ويفسر الكلام والتفكير والنيات ، وكما يقصد ويدبر ويخطط ويعني اي الكلام والتفكير والنيات . ان هؤلاء يريدون ان يتهموا العرب بانهم يعنون باصواتهم شيئا اكبر وابعد واعسر واعمق من التصويت . انهم يتهمونهم بنيات ويفسرونهم بتفاسير هي اكبر واصعب منهم ، لكي يجدوا المسوغات لاستماعتهم بتحقيقهم اي بتحقيق العرب وبلاستهزاء بهم ، اي لانهم حينئذ لا بد ان يبذوا اي العرب هابطين تحت جميع الحدود الدنيا لجميع الكائنات التي تنتمي نماذجهم الى نماذجها . ان الذين يفسرون العرب بما يقول العرب هم اقسى واخبث اعداء العرب . .

انه لا احد يعادي العرب ويفضحهم مثل من يزعمون تراثهم نبوات وتفكيراً وشعراً وكتبا منزلة تفسر وتحاسب ، لا اصواتا فقط تسمع وتغفر وتهمل . . وهؤلاء الاغبياء او الماكرون الاشرار هم الذين يحتاجون الى حملة اعلام وتفسير يقوم بها اصداق العرب والعاطفون المشفقون عليهم لكي يفهمهم هذه الحقيقة اي كون العرب ظاهرة صوتية ، ولكي يشفوهم اي يشفوا الاغبياء والماكرين الاشرار من مكرهم وخبثهم اللذين يجدان متعة ونشوة ومنفعة في احتقار وتحقير العرب . الا يستطيع ولو احيانا ان يشفي الاعلام والتفسير والتفكير والفهم من الحقد والخبث والمكر والشماتة والبغضاء كما قد يشفي من الخطا والجهل ؟ اليس الحقد والبغض والشماتة والعداوة والذذالة عجزا عن الفهم احيانا ؟

كان العرب في التاريخ حتى في التاريخ القريب جدا محميين من العالم ، لا يقرؤهم ولا يسمعونهم او يراهم او يفسرهم او يفكر في قيمهم ومستوياتهم الا نادرا . كانوا معزولين عن اهتماماته وحساباته وطريقه . وكانت الاسباب لهذا للزل

والحماية عديدة . من هذه الاسباب بداوتهم اي بداوة العرب وعجزهم وفقيرهم وتخلفهم الحضاري والانساني وانغلاقهم الديني والنفسي والعرقى والاخلاقي . كانوا خارج كل العيون والاذان والافكار بل واللغات . لانهم كانوا خارج كل الوجود القوي المؤثر المرغوب والمرغوب فيه .

لهذا لم تكن هناك حاجة الى ان يعرف العالم او الى ان يقنع ان العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية . انه لا يقرأ ولا يسمع لهم او منهم ، ولا يتحدث اليهم او يتحدثون اليه ، ولا يفكر في ان يفسرهم اية تفاسير ، ولا ان يحاسبهم اية محاسبة بل لعل العالم لم يكن يعرف انهم اي العرب موجودون . ولماذا يعرف وكيف يستطيع ان يعرف ؟ ان اسباب المعرفة بوجودهم واسباب الارادة لمعرفة وجودهم اسباب غير موجودة وغير جذابة . .

اذن لا خطر ولا عار ولا اهانة في الا يعلم اي العالم ان العرب ليسوا الا مصوتين . انهم لم يكونوا يملكون ان يعيروا او يهانوا او يستهزا بهم لانهم لم يكونوا يملكون ان يروا او يسمعوا او يقرأوا او يعلم بوجودهم او يهتم به او يفكر في قيمتهم . .

اما اليوم فقد سقط العرب بكل القسوة في كل الاذان والعيون والافكار والاهتمامات واللغات . لقد اصبح كل العالم محتاجا الى ان يقرأهم ويستمع اليهم بكل الانصات والحماس والذكاء والتفكير ، والى ان يضع لهم التفاسير وان يبحث لهم عن التفاسير ، والى ان يصبح ويمسي عاكفا على كل ما ينطقون به يفسره ويحلله مرتجفا من الرغبة والرغبة ومن الولاء والانتماء ، اليهم ولهم كل العالم يريد ان يكون من موالي العرب .

لقد اصبحوا في قفزة واحدة هموم العالم ومسراته وصلواته المتضرعة . اصبحوا خوفا وامنه ، قحطه وخصبه ، مجاعاته وشبعه ، دفاء وبرده ، كل تغييرات وتناقضات طقسه . لقد اصبح العرب اارا وهوانا وسبابا لكل العالم لعنف افتضاحه في حبه لهم وخوفه منهم وانتمائهم اليهم وفي تملقه لغباواتهم وتحدياتهم ووقاحتهم . لقد جعلهم كل ذلك نفطهم الكريم . ان اية ثروة طبيعية لم يحدث ان صنعت لقوم من الاقوام فجاة وفي قبضة واحدة كل المجد والقوة والشهرة والتدلال والمحبة في كل القلوب او في كل اللسان واللغات ، مثلما فعل النفط للعرب . نعم ، ان نفط العرب قد خلق لهم كل مجدهم وشهرتهم وقوتهم وجمالهم وذكائهم وكل جاههم ودلالهم على العالم . فهل وجد خالق مثل النفط العربي ؟

اذن لقد اصبح العرب محتاجين الى اصدقائهم والى العاطفيين المشفقين عليهم لكي يقنعوا كل العالم بانهم اي العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية فلا يجوز ان يؤاخذوا لو يحاسبوا بما يقولون او بما يبدو انهم يقولون ، كما لا يجوز ان يكون لما يقولونه او لما يبدو انهم يقولون اية تفاسير او تطبيقات او مطالبات بذلك او انتظار لذلك . . ذنوبك يا نفط العرب ضخمة ، ضخمة لانها قد جعلت قومك العرب مرثيين ومسموعين

ومدركا وجودهم ، ولانها اي ذنوبك قد جعلت صناع الحضارة وصناعك انذالا جنبا
منافقين ٠٠

اذن اين هم هؤلاء الاصدقاء والعاطفون المشفقون ؟ نعم ، اذن اين هم ؟ اين هم
بعد ان نبت العرب بكل الوحشية في كل اذان وعيون وهموم ومخاوف ومشاكل
وتفاهير وقراءات وحسابات كل العالم ؟

اين انتم ؟ يجب ان تجيئوا ٠ اذن جيئوا ، جيئوا ، بحوافز الكرم والشهامة
والنخوة ، او بحوافز الرثاء والاشفاق ، او بحوافز الحضارة والانسانية والتفوق ،
او بحوافز الكره والرفض للظلم والعدوان والاتهام للابرياء ٠٠

او جيئوا لحماية من سوف يقرؤون ويسمعون العرب ويتحدثون اليهم ومعهم
ويحاولون تفسيرهم قبل ان يعلموا انهم اي العرب مصوتون فقط ٠٠
نعم ، لحماية هؤلاء من احوال الصدمات والذهول والاستغراب والاشمئزاز
والاستنكار والاستقباح ، اي حينما يذهبون يطالبون لما يسمعون ويقراون للعرب
بتفسير او بصدق او بذكاء او بتطبيق او بوقار او بتهديب ٠٠

جيئوا لحماية الناعب والناعق من ان يفسر نعيه ونعيه بانه كلام وتفكير
يطلب بان يكون صدقا وذكاء وتهديبا وتخطيطا وتطبيقا ووقارا وقصدا ، وبان تكون
له تفاسير ومعان وحسابات ونتائج مفهومة ومثوية ، والا عوقب اي الناعب والناعق
بالتحقير والاستهزاء والاستقباح ٠٠

رابعا :

ماذا يعني بتفسير العرب بانهم ظاهرة صوتية ؟
لا يعني بذلك انهم أكثر أو أعلى أو أقوى أو أشهر أو اجمل أو اشجع أو انفذ من
كل المصوتين او من كل المتكلمين اصواتا ٠٠ ان اصواتهم لا تخترق أو تقتحم
الاذان أو الضمائر أو العقول أو النفوس أو الصمت والسكون والهدوء أو الآفاق
والابعاد أو قلوب الاعداء والمنافسين والخامدين أكثر من أصوات الكائنات الناعبة أو
الناعقة أو الثاغية أو الراغية أو النابجة ٠٠

ان اذان الآلهة وضمائرها وتقواها واحاسيسها ومواهبها الفنية ومجاعاتها الى
الصراخ والهتاف والناداة لها وبها وتواتراتها الحادة المتلطفة الى أي صوت - ان ذلك
كله لن يجعلها اي لن يجعل الآلهة تسمع أصوات العرب او تستمع اليها أو تطرب
لها أو تتأثر بها فرحا أو ترحيبا أو تبحث لها عن تفاسير أو عن اساليب مجاملة ،
أكثر مما تفعل ذلك لانين خافت يطلقه أي حيوان مسكين ، شاكيا جوعه ومرضه
وضياعه وتفاهته الى جوعه ومرضه وضياعه وتفاهته ٠ نعم ، ليس أي حيوان
يصرخ أو يئن أو يعوي لا يعني أو ينوي الا أن ان يشكو آلامه وهمومه وهزائمه
 واحتجاجة الى آلامه وهزائمه وهمومه واحتجاجة ؟

ان كل اصوات العرب في كل اجيالهم وعصورهم لو تجمعت في صوت واحد ليصوتها انسان عربي واحد ، بعد ان حولها الى اتقى واقوى صلاة ، وبعد ان تجمعت في ضميره وتدينه وايمانه كل ما في كل الضمائر المؤمنة المتدينة من ايمان وتدين ؟ لما استطاع هذا الانسان العربي الواحد ان يوقظ أو يسمع أو يحرك بصوته هذا ضمير الآله أو حماسه أو أعجابه أو استماعه وانصاته أكثر مما يفعل له أي للآله أو يفعل به ذلك أي صوت ضائع يطلقه أي كائن ضائع من حيوان أو جماد ، في هذا الكون الضائع . ان الآله في كل تاريخه وفي كل أطواره النفسية لم يصفق لصوت أي نبي أو معلم أو زعيم عربي يصلي أو يعلم أو يامر أو يهتف به أو يتضرع إليه أو يفسر دينه أو تعاليمه أو كتابه المنزل أكثر مما يصفق لصوت أية حشرة تنادي حشرة أخرى في الظلمة ، لتمارسا صناعة الحشرات المولودة من أصلاب الآلهة .

ان احدا لن يجسر على الزعم بان الآله لم تتخلقا فيه او لم يخطط هو ويقاسي لكسي يخلقهما في ذاته ، لكسي يسعد ويستمتع بالاستماع الى الانسان العربي مصوتا . ان كل اصوات الانسان العربي منطلقة من افواه جميع انبيائه وخلفائه وفقهائه واتقيائه وشعرائه في كل اجياله لا يستطيع أحد ان يزعم انها صنعت لاذني الآلهه أية مسرة أو أغنية .

ولكن قد يوجد من يجسر على الزعم بل وعلى الاقتناع بأن الآله لم يفقد حاسة السمع ، لم يصبح عاجزا عن أن يسمع أو رافضا لان يسمع أو خائفا من ان يسمع الا احتما وفرازا من أن يسمع العرب مصوتين حتى ولو هتافا له وباسمه وبالصلاة المتضرعة اليه . هل يسعدك ان يصوت لك العرت هاتفين ومنشدين ومصليين لامجادك ان كنت قد وعيت وجربت تفاسير العرب مصوتين وهاتفين ومصليين ؟

اجل ، ان جميع الداعين المتضرعين المناشدين للآله بكل التقوى والصدق والاستسلام والمذلة ، طالبين اليه ان يهبهم شيئا يريدونه ويحتاجون اليه ولا يعجزه أو يتعبه أن يهبه ، أو أن ينقذهم من شيء يعذبهم ويرهبهم ويحطمهم بلا منطق أو حكمة أو عدل أو استحقاق ، وهو قادر على انقاذهم ، دون ان يفقد حياته او عضلاته أو سعادته أو قدرته على أن يهزم جميع اعدائه ومنافسيه وعلى ان يتفوق عليهم - نعم ، دون ان يفقد ذلك أو تفوقه فيه من أرهاقه في محاولته انقاذهم من ذلك الشيء الذي يطالبونه بانقاذهم منه نعم ، دون ان يفقد قدرته أو رغبته أو جراته على أن يهدم ويقعد ويشوه الاطفال والشيوخ اجل ، ان جميع هؤلاء ليعرفون بالتجربة الطويلة بل الدائمة التي لا تختلف أو يختل انتظامها ، ان صمم الآله صمم لا نموذج له في قسوته وديمومته وشموله وفي انه لا شفاء له . . .

ان جميع النادين للآله والمتضرعين اليه بالآلهم وشكاياتهم ، أو باحتياجاتهم ومطالبهم ليعرفون معرفة نهائية ان الآله لا يسمع ولا يستطيع ان يسمع اي شيء ، وأنه مصاب بصمم لا يوجد ولن يوجد من يشفيه منه . . انهم جميعا يعرفون ذلك بالرؤية والتجربة والمقاساة والصدقات الدائمة المستمرة، مهما انكروا انهم يعرفونه . ان الانكار اللغوي ليس انكارا فكريا أو اخلاقيا أو نفسيا .

أما استمرارهم على مطالبته وعلى الشكوى اليه بأسلوب من يخاطبون كأننا يسمع ويستجيب ويستطيع فقد يكون التفسير لذلك انهم يحاولون ان يستروا عليه أو أن يجاملوا سمعته . أو أن هذا الاستمرار نوع من التقرير والتعنيف له ولاسمه، أو هو نوع من التذكير بخطا من يستمررون يفعلون ذلك ، أي هو نوع من السخرية بانفسهم وبالأخرين ومن النقد لانفسهم وللآخرين وهل يوجد من يستحقون كل السخرية مثل من يظنون ابدا وبكل الاساليب الذليلة يهتفون بالآله بأسلوب من ينتظرون أن يسمع أو يستجيب ؟ أو هو أسلوب من اساليب الاستمسك بالمبدأ مهما تبين خطؤه ، أي أسلوب من اساليب المحافظة على التقاليد الباطلة ، أو من اساليب الاستمرار على الخطأ المشهور أو الموروث أو التاريخي . ليس كل الناس يفعلون ذلك ولو احيانا بل وقد يجدون فيه شيئا من النشوة أو المجد أو الاصاله ؟ ليس الاستمرار على الاخطاء المشهورة والمورثة والتاريخية سلوكا عالميا يفعله البعو والمتحضررون ؟

وقد يكون هذا الاستمرار أي الاستمرار على الشكوى الى الآله وعلى مطالبته وهو مصاب بكل هذا الصمم ، قد يكون ذلك نوعا من التمني ومن الاعلان عن الضياع والعجز . قد يكون ذلك أسلوبا من اساليب البكاء واعلان الهزيمة واستقبال الكون والسخرية منه أي من الكون الذي يجيء بكل هذه الضخامة والانتساع والتعدد والتنوع والبخذ والاسراف، وتكون فيه كل هذه المشاكل والمهوم والآلام والمخاوف والاحتياجات والضرورات ، وكل هذه الدموع وصانعي الدموع ، ثم لا يوجد فيه أي في الكون كائن كبير قوى يتكافأ مع هذه الضخامة والانتساع والاحتياجات والشكايات ، يدعى ويناشد ويطلب منه ، فيسمع ويستطيع ويستجيب . هل تستطيع ان ترى صيغة هذه الكيفونة بعقلك أو باخلاقك أو بطموحك وامانك ونماذجك المختارة دون ان تنفجر استغظاما واستقباحا وارتياحا ؟

كم هي حقيقة رهيبة الفضاءة والشذوذ ان يكون ذلك كذلك ، أي ان يكون هذا الكون كما كان ، وان تكون مواجعتنا له وآماننا وورطتنا فيه وفي انفسنا كما كانت ، ثم لا يكون مثل هذا الكائن الكبير القوي الطيب الذي يدعى فيسمع

ويستطيع ويستجيب . موجودا ؟ فظيع ، فظيع ان نكون في هذا الكون بكل هذه اللهفات والاشواق والتطلعات والصلوات دون أن يكون فيه كائن كبير طيب جدا .
يسمع ويخجل ويستجيب .

اليس شيئا يصعق الفكر والاخلاق والامل والاعجاب والتقبل والفهم مجرد التصور لهذه الحقيقة أو لهذه الفضاءة ؟

هل تستطيع ان تتصورها دون ان يسحقك الانفجاع والاستفطار ؟

ان وجودنا نحن والكون متواجهين متعايشين بالحتم والضرورة ، نحن في صيغتنا والكون في صيغته لهو اقبح واوقح واردا صيغة يمكن تخيلها او افتراضها . . كل هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه بلا مسؤول كبير، كبير جدا - هل يوجد افطع من هذا؟ وايضا قد يكون التفسير لاستمرار البشر على التوجه الى الآله بالشكايات والمطالب مع اقتناعهم انه اصم لن يسمع ولن يستجيب - قد يكون التفسير لذلك انهم لا يتوجهون الى الاله ولكنهم يستفرغون انفسهم ويصقونها باسلوب التوجه الى الآله . قد يكون اسم الآله جهاز أو مكان أو لغة استفراغ وبصق . . هل حدث ان استقبل أي كائن من الاستفراغ والبصق عليه مثلما استقبل الآله واستقبلت تماثيله ؟

ان الناس بل والمؤمنين جدا لا يتضرعون الى الآله ولا يطالبونه أو يهتفون به أو يشكون اليه بقدر ما يحبونه أو يعرفونه أو يثقون بقدرته أو باستماعه اليهم أو باستجابته لهم ، ، بل بقدر حالتهم النفسية ، بقدر حاجتهم الى استفراغ وبصق همومهم ومشاكلهم ومخاوفهم وعجزهم وضياعهم ، وبقدر حاجتهم الى الصراخ والبكاء والابكين والشكوى واعلان الاحتجاج على الذات وعلى الظروف وعلى الاحداث وعلى الآخرين . ان أشد الناس حاجة الى الاستفراغ والبصق النفسي والاخلاقي هو اكثرهم دعاء للآله وصلوات لمجده .

اجسل ، لقد أصبح معروفا ان الآله مصاب بالصمم الابدي . . وهل توجد حقيقة تساوي في قوتها الامتناع بأن الآله مصاب بصمم لن يوجد مثله ولن يوجد من يداوي منه ؟

واي انسان أو كائن يسمع العرب مصوتين ليس محتوما أن يفتنح أو يشك مع القوقر في الحكم ان الآله لم يصب بالصمم الا لانه قد سمع أصوات العرب أو الالته لانه اراد الهرب من أن يسمع اصواتهم فأصاب نفسه بالصمم او تظاهر بذلك ؟ ان أي كائن لن يجد من الاعتذار عن نفسه لو أصابها بالصمم مثل ما يجد أي

كائن أصاب نفسه بالصمم لئلا يسمع شيئاً مما يقوله العرب لأنه قد سمع شيئاً مما قاله أنبيأؤهم وشعراؤهم .

ليس الصمم أحيانا نوعا من الحماية لعفة ولشرف ولوقار الآذان والضمير والذكاء والحياء من الهتك والتلويت والتحقير والتعذيب والاذلال والغيظ .٠٠٤

ان المؤمن بالآله لا بد ان يفترض أو يقتنع أنه أي الآله قد سمع العرب قبل ان يصاب بالصمم يصوتون باسلوب من يتكلمون ، من يفكرون ويعلمون ويفسرون آلهتهم وانبياءهم واديانهم وكتابهم المقدس، وينشئون وينشدون اشعارهم في تمجيد انفسهم وفي هجاء وتحقير اعدائهم ، بل في هجاء وتحقير جميع الآخرين .

وباسلوب من يسبون ويهددون اعداءهم وخصومهم ويحاورونهم ويتحدثون اليهم ليخيفوهم أو ليقنعوهم بما يريدون ، أو ليخرجوا من نفوسهم ومن شهواتهم كل الشرور والابالسة ، وكل الاخلاق والعقول والمواهب غير العربية . هل للعرب اية رسالة غير ان يعلموا كل العالم ان يكون عربي العقل والقدرة والموهبة والاخلاق والبدآوة ؟

وايضا باسلوب من يؤمنون ويصلون ويهبون اربابهم كل تقواهم وصدقهم وحبهم وضمائرهم وهمومهم ومسراتهم ، وباسلوب من يصنعون لاربابهم كل مجدها ومسراتها وانتسلاماتها وجمالها وأغانيتها وكل انتصاراتها في كل تاريخها ومعاركها .٠٠

ان المؤمن لا بد ان يكون قد افترض أو اقتنع أن الآله قبل ان يصاب بالصمم قد سمع العرب يصوتون اصواتهم هذه ، يصوتونها بهذه النيات والتفاسير . آه ايها الآله المسكين . كم انت ايها الآله البائس محتاج الى الرثاء والاشفاق عليك قبل ان تصاب بالصمم أي حينما كنت تسمع العرب يصوتون كل اصواتهم هذه وكل اصواتهم تلك ؟ آه ايها الاله كم قاسيت وقاسيت ؟ نعم ، ما الذي فعل الآله حينما سمعهم يصوتون ؟ انه لا يحتمل أنه تقبل أن يستمر في الاستماع اليهم يصوتون بالاسلوب الذي به يصوتون . هل يمكن ان تطيق اخلاقه واذناه أو حياؤه أو وقاره أو ذكاؤه أو خالقيته لهم واتهامه بأنه خالقهم أو ادعاؤه ذلك أو حتى سمعته وارادته الكرامة لسمعته .

- نعم ، هل يطيق كل ذلك فيه أي في الآله أو بعض ذلك - هل يطيق تكرار الاستماع اللهم ؟ ومهما افترض الآله بلا اية شروط لكرامته وكبريائه ووقاره واستحيائه فهل يمكن ان يطيق الاستمرار في الاستماع الى أي شيء مما يقوله أنبياء أو شعراء أو زعماء العرب ؟

وإذا كان مفروضاً أو محتوماً انه لن يطبق ذلك فلن يكون امامه للفرار من هذه المورطة وهذا العذاب غير أمرين ، أحد الأمرين ان يعيد خلق العرب وخلق موهبتهم الصوتية من جديد . . . ولكنه لم يفعل ذلك لاسباب غير معروفة . . . لعلها أسباب سياسية أو فكرية أو أخلاقية أو نفسية أو أسباب أخرى بعيدة جدا عن التصور وعن ان تكون مفهومة أو معقولة أو مغفورة . . . ان الآله لو كان مفهوماً أو مهما كان مفهوماً فانه لن يكون مفهوماً أو معقولا أو مغفورا في أية علاقة من علاقاته بالعرب . . .

اذن لم يبق امامه أي امام الآله للهرب من الاستماع الى العرب مصوتين الا ان يحمي من حاسة السمع ، بان يصيب نفسه بالصمم او بان يصاب بالصمم ، او بان يصنع لنفسه جهازا يجعله لا يسمع أي صوت ينطلق من الارض مهما سمع جميع الاصوات المنطلقة من كل الاكوان والكائنات الاخرى . وهذا يعني ان العرب هم المسؤولون عن هذه المأساة التي حلت بالآله وعن هذه القضية العجيبة الاليمية التي لا مثيل لها في بشاعتها وقبحها وشذوذها وهي ان يكون هناك آله يخلق كائنات، يخلقها تصلي له وتتضرع اليه وتهتف به وتطلب منه وتشكو اليه وتصرخ ألما واستنظاعا وهولا واستنكارا وغيظا وضياعا وحيرة وضلالا وعجزا ، ويطلبها بكل ذلك ، ثم لا يكون سامعا منها شيئا . . . مشهد لا تستطيع أية دمامة أو بلادة أو مأساة ان تحقق أو تفكر فيه أو ان تغفره أو تعيشه لعنف قبحه ورياءته واهانتة وفضاعته . . .

اغفروا ايها البشر للعرب . اغفروا لهم فهم في حاجة الى غفرانكم . . . هبوا العرب ايها البشر من الغفران بقدر ما وهبتمهم من الحضارة والرخاء والقدرة على الادعاء والكبرياء . . . بقدر ما وهبتم نفطهم قيمته وقوته وعاليته وكينونته الحضارية والعلمية ، وبقدر ما وهبتم نفطهم هذه القدرة على الخروج من مقابره الكونية التاريخية ليكون كل العالم في استقباله وفي طاعته وفي محاربيته البجدية يصلي ويخاف ويتملق وينشد أناشيد الغزل والحب المجنون الجائع المتذلل المهان . آه . . . هل هان الخالق امام مخلوقه مثلما هان المتحضررون الخالقون امام مخلوقهم : امام نفط العروبة ؟

نعم ، هل كان ممكنا ان يخرج نفط العرب من مقابره التاريخية الكونية التي حفرها ووضعها فيها آلهم ليبقي خالدا منسيا مجهولا فيها بقدر ما هو أي آلهم خالد ومجهول ومنسى المكان والذات والوهبة بل والكينونة والفعل . . .

– نعم ، هل كان ممكنا أن يخرج نطق العرب من مدافنه الازلية لولا انتم ايها الآخرون الخالقون ؟

اذن اغفروا للعرب ذنبهم هذا تفضلا وعطاء بقدر تفضلكم على نطقهم ببعثه من موته الى الحياة واعطائه كل المجد والقوة والشهرة والكينونة الحضارية العلمية الانسانية .. هل وجد أي عطاء مثل عطائكم للنطق العربي كينونته الحضارية والعلمية بل والانسانية ؟ ان شيئا لم يعط شيئا مثلما أعطيتهم نطق العروبة كل أمجاده وحياته وعالميته ..

نعم ، يبدو انكم سوف تتفضلون وتغفرون لمن تفضلتم على نطقهم كل هذا التفضل . لعلكم من تواضعكم الحضاري والانساني لا تعرفون مقدار تفضلكم على نطق العرب .. لعلكم لا تعرفون لكم لم تستخرجوه فقط من مدافنه بل وخلقتموه .. أجل ، لقد خلقتم للنطق العربي قبل ان تستخرجوه ، أي خلقتم طاقته ، أي حولتموه بحضارتكم المبدعة الى طاقة والى قيمة حضارية . لقد خلقتموه خالقا ، خلقتم خالقيته . انكم لم تستثمروا وتبعثوا النطق العربي فقط ، بل لقد خلقتموه خلقا لا يساويه أي خلق ..

لعلكم لاتعرفون هذه الحقيقة أو تهربون من معرفتها تواضعا وتكرما ونبلا وحياء .. نعم ، انكم لم تخلقوا النطق العربي فقط ، بل لقد خلقتموه خالقا ، خالقا لحضارتكم ولجد العرب .. ولكن اليس مجدا فريدا وعظيما يخص به العرب ويتفوقون به على العالمين ان يرهقوا الاله ويعذبوه ويزعجوه حتى يضطروه الى ان يفقد سمعه نقدا شاملا او فقدا مكانيا وجزئيا فقط اي لا يسمع سكان الارض .. الى ان يفقد سمعه بتدبيره وارادته مكرها وهاربا ، أو بلا تدبير أو ارادة منه ، بل يفقده مرضا وانفعالا واسمئزازا مما يسمع ، أي يموت سمعه موتا ولا يقتل قتلا أو ينتحر انتحارا ؟ ان الاعضاء والحواس تقتل وتموت ، ولكن هل يحدث ان تنتحر ؟ اليس انتحارها تحت بعض الظروف والموجهات سلوكا فيه كرامة واباء ؟ اليس انتحار حواس الآله هو أكرم وأمجد ما يفعله أي كائن يواجه ما يواجهه الآله بل أو بعض ما يواجهه ؟

اذن أي قوم لهم مجد مثل مجد العرب هذا ؟ أي مجد يساوي مجد قوم يصيب الآله بالصمم ، يصيبه بالصمم موتا أو قتلا أو انتحارا ؟ ان فليتحدث العرب عن امجد امجادهم ، عن انهم هم الذين اصابوا الآله بالصمم .. ليجرب اذنيه كل من شكوا في صممه ..

وايضا لا يعني بتفسير العرب بالظاهرة الصوتية انهم يصوتون باختيارهم وتدبيرهم وذكائهم ، أي يصوتون بالتخطيط دعاية أو خداعا أو تضليلا أو تغطية

أو تخويفا أو مجاملة أو غناء أو فنا أو مرحا أو تجملا أو مشاركة أو تنفيسا ، اي متى شاءوا وفكروا ودبروا وراوا ذلك اي احيانا ، كما يتكلمون ويفكرون ايضا احيانا اخرى . ان تصويتهم حينئذ نوع من الكلام والتفكير ، اي ان التفكير حينئذ هو الذي يخطط للتصويت ويراه ويأمر به ويجده هو المنطق اي هو التفكير ، لان الشيء الذي يدبر له التفكير ويوافق عليه ويأمر به هو تفكير حتى ولو لم يكن تفكيراً ، حتى ولو كان تصويتاً . اليس الغناء الذي يدبره ويخرجه ويوافق عليه الذكاء هو ذكاء حتما مهما كان مستوى غبائه أو صيغة غبائه أو ظاهرة غبائه ، أو مهما كان اقناعه بأنه غباء ؟ اليس اقوى المفكرين واشملهم تفكيراً لا بد ان يحتاج الى الخروج على التفكير أو الى ان يبدو كأنه يفعل ذلك ؟ اليس الخروج على التفكير بالتفكير أسلوباً من اساليب التفكير ؟ ولكن كلا . انه لا يراد هذا التفسير للحكم على العرب بأنهم ظاهرة صوتية . . ان هذا التفسير للتصويت العربي نوع من المديح الكاذب أو المخطئ جداً . ولان هذا التفسير كاذب ومخطئ فانهم أي العرب يصوتون بلا اي مستوى من مستويات الذكاء أو الدهاء أو من مستويات القدرة على التأثير ، أو على الاقتناع ، أو على الاستتار والوقار ، أو على خديعة من يصوتون عليهم واليههم . .

اليس التصويت احيانا فنا دعائياً أو أخلاقياً أو جمالياً أو غنائياً ؟ اليس احيانا مغازلة أو مصافحة أو تقبيلا ؟ ولكن العرب حينما يصوتون بنية أو بأسلوب من يتكلمون أو يفكرون أو يحاورون ويشاتمون أو يخاصمون ويذمون أو يحقرون أو يكذبون أو يقنعون ويبشرون أو يخدعون أو يفخرون ويدعون أو يتكبرون أو يعيرون ويسخرون . نعم ، انهم حينما يصنعون ذلك لا يبلفون ولا يفعلون أو يغيرون شيئاً ، أو يكسبون احداً أو يثيرون أو يصنعون اهتمام أو التفات احد أو خوفه أو أمنه أو حبه أو اعجابه . لانهم لا يفعلون شيئاً من ذلك بتدبير أو تخطيط . . انهم ليسوا متكلمين ومفكرين يصوتون احيانا كما يصوت المتكلم المفكر بتدبير وتخطيط يصوغهما ويهدي اليهما ويأمر بهما الكلام والفكر . . ان الفرق بين تصويت من يصوت ويفكر وتصويت من يصوت فقط لأعظم من الفرق في الفكر والتفسير والجمال والذكاء بين عزف اعظم موسيقى واقبح صوت تطلقه الطبيعة من أوقح نباحاتها نعم ، ان الموسيقى صوت ولكن كم هو الفرق بين صوت الموسيقى وصوت قرع النحاس بالنحاس ؟ . . ان الذين هم في طور المتكلمين المفكرين لا بد ان يحولوا أكاذيبهم ودعائياتهم وخداعهم وخصوماتهم ومشاتماتهم وعداوتهم وكبرياءهم وهجاءهم ومظالمهم وتعبيرهم وسخرياتهم وجميع وقاحتهم وذنوبهم وبذاءتهم وعاهاتهم

المختلفة الى اساليب من الذكاء والدهاء ومن القدرة على التأثير والافتناع لأنهم يعلمون ان الاكاذيب والوقاحات والعداوات تحتاج الى الذكاء والتدبير والتفكير أكثر مما يحتاج الصدق والتهديب والحب الى ذلك . . . انهم لا بد ان يحولوا كل قبائحهم الى غزو والى محاولات غزو للعقول وللأخلاق والنفوس ، لأنهم يدبرونه ويخططون له بمستوى المتكلم المفكر وبموهيبته . . . انهم لا بد أن يحاولوا ذلك حتى ولو لم يستطيعوه . . .

. . . أما الذين هم في طور المصوتين فقط فانهم يؤدون ذلك ويؤدون كل ممارساتهم وحياتهم ليتحولوا الى مزيد من الافتضاح والسخرية والرياء والاستهزاء والدمامات في عقول وعيون وآذان ومشاعر كل الناس وكل الاشياء . لأن الذين هم في طور التصويت فقط لا يخططون ولا يدبرون ولا يحاسبون أو يحسبون . . . لأنهم لا يستطيعون أو يعرفون ذلك . انه فن لا يعرفونه كما لا يستطيعونه . . . انهم لا يتحركون أو يتنوعون أو يتشكلون أمام المواجهات والمشاكل والعقد المتحركة المتنوعة المتشكلة المعقدة . ان التحرك والتنوع والتشكل والتغير هو طور المتكلم المفكر وليس طور المصوت . ان الذي لا يتشكل أو يتنوع أو يتغير لا يمكن أن يفكر ، وان الذي يفكر لا بد أن يتنوع ويتشكل ويتغير . . .

. . . ان أي كائن حشري أو حيواني أو جمادي لا ينوع أو يشكل أو يغير أو يخرج تصويته ليكون ، أي تصويته ، متكافئاً مع المواقف أو الظروف والمواجهات والاحتياجات أو مع الذكاء والاخلاق والتهديب والجمال . انه في تصويته يكاد يكون صيغة واحدة . واذ تنوع أو تفاوت فلن يكون محسوبا منطقيا أو فنيا أو اخلاقيا لو عن تفكير أو وعي . . . ان الذي يفعل هذا التكافؤ ويحاوله ويعرفه ويريده ويدبر له هو الكلام أي هو التفكير أي هو المتكلم المفكر . . .

. . . ان الانسان الذي هو في طور المصوت فقط لن يستطيع أن يتحرك أو يتغير أو يتنوع أو يتشكل في أية مواجهة من مواجهاته ، بذكاء أو بتهديب أو بقدرة أو بروعة أو بتأثير أو باقناع أو بانتصار بل أو باستتار ، بل أو بلا مزيد من الافتضاح والعار - أي بتصويته أو حينما يحتاج الى أن يصوت وأن يواجه مواجهاته ومشاكله بأصواته . . .

. . . نعم ، ان مثل هذا الانسان لن يستطيع أن يفعل ذلك أكثر أو افضل مما يستطيع أي كائن دون الانسان من الحيوانات أو الحشرات أن يفعل ، مواجهها لمواجهته ولمشاكله ولاحتياجاته ومخاوفه بأصواته أي مصوتا لها وعليها . . . ولكن كم يظلم مثل هذا الكائن الذي هو دون الانسان ويعتدي عليه ويشوه

حينما يذكر تصويته محاكما ومحاسبا ومفسرا بتصويت مثل هذا الانسان الذي هو في طور الانسان المصوت فقط . . .

كم يظلم هذا الكائن المصوت هو دون الانسان حينما يشبه أو يقارن تصويته بتصويت أي حاكم أو زعيم أو قائد أو شاعر أو مفكر أو مذيع أو كاتب عربي حينما يصوت شاتما أو مهيدا أو مخاصما أو مبارزا مفاخرا بأسلوب ونية من يقاتل أو يعلم أو يعالج أو يفكر أو يصنع الحضارات والامجاد والتفوق ويفسر النبوات والآلهة والكون ؟

أجل ، ان كل ذلك لا يراد تفسيره للحكم على العرب بأنهم ظاهرة صوتية . ولكن التفسير لهذا الحكم أنهم في كينونتهم التاريخية والطبيعية قد بلغوا طور التصويت ، وأنهم في طور كينونتهم الطبيعية والتاريخية هذه لا يستطيعون أن يرتفعوا فوق الكائنات المصوتة ولا أن يهبطوا تحتها أي ما لم يتخطوا طورهم هذا في كينونتهم الطبيعية والتاريخية أي لا يستطيعون ان يهبطوا تحتها في كونهم مصوتين ولكن محتوم ان يهبطوا في وقاحاتهم ونذالاتهم وحماقاتهم تحتها جدا . . . انهم لا بد ان يؤدوا وظيفة طورهم ، أو لغته أو مستواه أو قدرته بلا تدبير ولا مقاساة ولا على مستويات أو درجات متفاوتة من الجودة والرداءة . حتى التفاوت في الرداءة ، انهم لا يستطيعون ان يتفاوتوا فيها . ان التفاوت نوع من الحركة والتغير . . انهم في ممارساتهم لمعنى طورهم هذا لا يستطيعون أن يكونوا افضل أو اردأ ، حينما اذكي رحيننا اغبى اي بالارادة والمحاولة والتصميم والرغبة في التفوق أو في التخطي . ان كل اساليب التعليم والتحريض والتدريب بل والجزر والتخويف لا تستطيع أن تصنع منهم شيئا افضل واذكي ، بل لا تستطيع أن تصنع منهم شيئا اردأ واغبي . . ان التفاوت في الرداءة والغباء قد يصبح مستوى جيدا واما بعيدا لا يستطيع بلوغه من هم في مستوى واحد من الغباء والرداءة . . انهم بقدر ما يعجزون عن أن يكونوا افضل ، يعجزون بنفسى النسبىة ولفس السبب عن ان يكونوا اردأ لانهم ليسوا حالات أو مستويات متعددة ومتفاوتة ، ولأنهم لا يمارسون مواجهاتهم ومستوياتهم بالتدبير أو التفكير أو الخطة ، اي لا يصوغون قدرتهم أو موهبتهم أو مستوياتهم بشيء من ذلك . ان الكائن الذي لا يدبر ولا يفكر لن يستطيع أن يكون في مواجهاته ومحاولاته وتخطيطاته مستويات متعددة متفاوتة . .

ان اي كائن مصوت دون الانسان لا يستطيع أن يكون في تصويته حينما جيدا ونكيا وحينما ردينا وغيبا ، أي حينما مصوتا وحينما متكلما مفكرا مدبرا . . أي انه لا يستطيع بالمحاولة أو بالتدبير والتفكير أن يكون اكثر من مصوت أو ان يصوت

أحيانا بذكاء وأحيانا بغباء . كما انه لم يصبح كائنا مصوتا بالمحاولة أو بالتعليم أو بالتفكير والتدبير . انه مهما تغير أو تفاوت تصويته فانه لن يكون تفاوتاً أو تغييراً في تفسيره أو ذكائه بل في اخراجه . . .

ان الانسان الذي هو في طور المصوت فقط هو مثل هذا الكائن المصوت الذي هو دون الانسان في هذه التفاسير . . نعم ، ليت الانسان العربي يستطيع بالتدبير أو بلا تدبير أن يكون أحيانا اغنى وارداً مما كان . لئنه يكون كذلك لأنه حينئذ يستطيع أن يكون اذكى وأعظم . . .

ان الانسان العربي ، وكذلك كل من هو في طور التصويت يصوت بالاسلوب والمنطق والتفكير والذكاء والتدبير الذي به ينتاب ويسهل ويرتجف من الضعف أو الخوف أو الخجل ، والذي به يحزن ويكره ويفار ويجوع ويحب ذاته ، ويمجد آلهته وأنبياءه وخلفاءه وآباءه وعقائده وتاريخه ، ويفضلهم على كل من سواهم ، والذي به تعمل غدده واعضائه ، والذي به أيضا تموت وتمرض غدده واعضائه وتستعيد غدده واعضائه . . .

ان التصويت الانساني لغة وكذا الكلام ، وان الانسان المصوت أي الذي هو في طور المصوت فقط هو كائن لغوي وكذا الانسان المتكلم أي هو كائن لغوي . . ولكن الفرق ان الكلام أو الانسان المتكلم فيه أو من ورائه أو فوقه أو امامه قوة أو جهاز أو سلطان أو قائد يخططه ويخطط له ، ويدبره ويدبر له ، ويضبطه ، ويأمره وينهاه ، ويرى له ويوجهه ويطلقه . ان الكلام أو المتكلم أي في مستواه الاعلى أو المنخفض محكوم ومحاسب ومضبوط بأقوى واتقى وانكى واقسى جهاز وسلطان وقائد موجود أو متصور . . هذا الجهاز أو السلطان أو القائد هو الفكر والمنطق والضمير والاخلاقي والموهبة أو الصيغة الانسانية التي ترى وتحاسب وتحاكم وتحسج وتقبل وترفض وتعجب وتشمئز وتحب وتكره وتجاوز نفسها كما تجاوز كل شيء ، وتقاسي من محاولاتها الدائمة والشاقة لكي تكون ذكية ومحترمة ومتوقرة ومفهومة ومعقولة . ان الانسان أي في صيغته العليا المتكلمة المفكرة لا يقاسي مثلما يقاسي لكي يكون مفهوما معقولا ذكيا وقورا محترما مهذبا محاكما محاسبا محاورا لنفسه ولكل شيء ولعلاقاته بالآخرين وبكل الاشياء . .

اما التصويت الانساني أو الانسان الذي هو في طور المصوت فقط فليست له قيادة تقوده وتوجهه وتحكمه ، ولا سلطان يأمره وينهاه ، ولا جهاز يضبطه . . انه خارج على جميع قوانين الضبط والتسيير دون أن يكون شجاعا أو نائرا أو قويا أو متحديا . انه بلا فكر ولا منطق ولا ضمير ولا موهبة أو صيغة انسانية تحكمها كل

هذه الشروط والمزايا والتبعات التي لا بد ان تحكم كل صيغة انسانية اذا كانت قد جاءت في مستواها أو في نموذجها الجيد . انه لغة بلا تفاسير ، أو لغة انسان بلا معاني انسان . انه صيغة انسان بلا نموذج انسان ولا مقاساة انسان . . .

اذن فالانسان المصوت والانسان المتكلم كلاهما كائن لغوي ولكن الفرق ان احدهما بلا قيادة وبلا اجهزة ضبط أو توجيه أو اطلاق أو تخطيط ، وبلا اية قيمة أو موهبة أو شروط من أي نوع . ان الفرق أو التفاوت بين كائن لغوي وكائن آخر لغوي يساوي الفرق أو التفاوت بين احدى مراحل البداوة واعلى مراحل الحضارة .

لهذا فانه من حيث الصيغة يمكن ان يقال : ان كليهما مصوت أو كليهما متكلم ، ولكن الفرق ان احدهما يصوت أو يتكلم بنموذج أو بقيمة أو بموهبة أو بشروط أو تخطيط وتفكير ، والآخر يصوت أو يتكلم كما يسعل أو يتثأب أو يحقد ويحسد ويغار وبجوع ويمرض أي بلا أي قيد أو منطق أو تفسير أكثر أو أصعب أو اعمق من ان يفعل ذلك او يفعله ذلك . . ان الانسان المصوت فقط لا يصنع اصواته ولا يسددها إلى اهداف معينة ولكنها تنفجر فيه وعليه وعلى الناس والاشياء وتنطلق كما ينطلق السلاح غير الوجه .

اذن فالانسان العربي هو كائن مصوت ، بل كائن متكلم أي من حيث الصيغة واللغة ولكن بلا أي قيد أو قدر من القيم أو المواهب أو الشروط أو من الذكاء والتفكير . انه ليس وراء تصويته أو لغته أي مستوى آخر افضل أو أقوى أو أصعب . انه كائن متكلم ولغوى دون أن يفسر بأي تفسير من تفاسير الكلام واللغات . انه يتعامل باللغات والكلام تعاملًا لفظيًا . ان تعامله هذا خداع للكلام واللغات وعدوان عليهما . . انه لا توجد أي مراكز للمرور أو للتفتيش ولا اية مسافات أو عوائق أو اجهزة اختبار أو مراجعة أو محاسبة بين انفعاله واحتياجه وبين جهاز التصويت أو اللغة فيه .

انه لا شيء موجود أو محسوب أو محتتمل أو مفترض فيه بين ارادته التصويت وبين جهازه المصوت . مع انه لا مكان يجب أن توضع عليه أقوى وأذكى واتقى الحراسات مثل المكان الفاصل بين الانسان وبين تصويته أو كلامه أو بينه وبين ارادته لذلك .

ان هذا هو التفسير للحكم على العرب بأنهم ظاهرة صوتية . وبهذا التفسير هل يمكن الاختلاف على ان العرب ليسوا شيئًا أكثر من ذلك أي أكثر من ظاهرة صوتية ؟

اما الانسان أي في مستواه أو في طوره الجيد أو العظيم فان بين ارادته

التصويت أو الكلام وبين جهازه الصوت أو المتكلم أطول واقسى المسافات ، واقدم وأصدق وأشمل مراكز المرور والتفتيش واجهزة الفحص والاختبار والمراجعة ، واضخم واذكى المواهب والعقول ، واكبر العوئق ، واتقى واصعب الشروط . . .

ان بين ارادته التصويت أو الكلام وبين جهاز التصويت أو الكلام فيه كل الحضارات والابداع والاخلاق وجميع الكينونات القوية العظيمة الجميلة المهذبة . . . ان كل وجود الانسان الجيد الذكي الخلاق يقع في المسافة الممتدة أو في الطريق الممتد ما بين ارادته التصويت أو الكلام وما بين اداة التصويت أو الكلام فيه . لهذا فانه لا يوجد فراغ مثل فراغ انسان لا يوجد شيء في هذه المسافة الواقعة بين انفعالاته واحتياجاته الى التصويت وبين اداة التصويت فيه ، بين ارادته أن يصوت وأن يفعل التصويت ، بل لا توجد فيه هذه المسافة . . .

وهذه المسافة لا توجد في الانسان العربي . لهذا هو كائن مصوت فقط . . . لسبب سحبت من كينونة الانسان العربي المنطق الضخمة الطويلة الشاقة الفاصلة بين ارادة الكلام والقدرة على الكلام وبين ممارسة الكلام عند الانسان المتكلم . . . ان الانسان العربي ينطلق بلا فاصل أو بلا مسافة بين كونه مريدا للتصويت وبين كونه مصوتا . ان ارادته لهذا تعني وجود هذا بلا اي قيد أو حاجز . . .

ان المنطق الانسانية أي التي تتخلق وتعيش فيها كل مواهب الانسان وحضاراته لم تتكون في الانسان العربي . ويعني بهذه المنطق الكون الواسع الذي لا بد أن تمر منه وان تعيش فيه كل ارادات الانسان وكل احتياجاته قبل أن تصبح كلاما ولكي تستطيع أن تصبح كلاما . انه لا تعرف اية منطقة في العالم بل في الكون تساوي في قيمتها الحضارية أو الانسانية ما تساويه هذه المنطقة أي الواقعة ما بين ارادة الكلام وفعل الكلام . . .

اذن حينما نقول : ان الانسان العربي ظاهرة صوتية نعني بقولنا هذا ان هذه المنطق الواسعة العظيمة جدا التي ينخلق فيها الكائن الصوت لكي يصبح كائنا متكلماً ، لم تتخلق في الانسان العربي . . . ان معنى هذا أن الانسان العربي لم يتخلق فيه المكان الذي تتخلق فيه مواهب الانسان المتحضر . . .

لهذا فقد جاء أي الانسان العربي صيغة انسان ولم يجيء معاني انسان ، وجاء لغة انسان ولم يجيء كلام انسان ، وجاء احتياجات انسان ولم يجيء مواهب انسان . لقد جاء الانسان العربي نصا انسانيا وقراءة انسانية ولكنه لم يجيء تفسيراً انسانياً .

ولكن لماذا لم تتخلق هذه المنطقة الانسانية في الانسان العربي ؟ ان الاسباب والحكمة في ذلك لا تزال مجهولة . لماذا جاء الانسان العربي كما جاء لا كما ينبغي ؟ لماذا جاء عربيا ولم يجرى حضاريا ، أو لماذا لم يجرى عربيا حضاريا لا عربيا فقط؟ هل يمكن أن يكون لهذا تفسير مقبول مريح ؟ ألا يمكن أن يقال ان هذا نوع من المحاباة الضخمة للعرب ، لأن في حرمانهم من تخلق هذه المنطقة فيهم حماية لهم من مقاساة أشد الاحوال التي لا بد ان يقاسيها كل من تخلقت فيهم هذه المنطقة ، أي كل من أصبحوا متكلمين ملتزمين بكل شروط وتبعات الكائن المتكلم ؟ كم هي احوال وقيود والالتزامات ومخاوف ومحاسبات الكائن المتكلم اي المفكر التي لا يقاسي شيئا منها بل ولا يعرف شيئا منها الكائن المصوت ؟

أو ألا يحتمل ان تكون هناك قوى كونية غيبية آلهية هائلة ، كل اهتماماتها ونضالها وتفكيرها ان تحقد على العرب وتغار وتخاف منهم ، وأن تعاديهم وتوقع بهم ، لهذا دبرت اي هذه القوى حرمانهم من أن تتخلق فيهم هذه المنطقة لكي يظلوا محرومين من المجد والتفوق والكينونة القوية الذكية العظيمة ، ولكي تصبح مواجهاتهم لأعدائهم ومنافسيهم ، لاسرائيل مثلا ، كالمواجهة التي واجهوها بها - اي لكي يواجهوا اسرائيل تلك المواجهة بل هذه المواجهة المستمرة التي قيل ان الطبيعة لم تحتقر موهبتها ولم تحتقر مخلوقاتنا وفنوننا مثلما احتقرتها حينما رأتها اي رأت مواجهة العرب لاسرائيل ، وان الشمس لم تكره الصعود فوق الارض ولم تفكر في الاضرار عن العمل وعن الجيء الا حينما رأت هذه المواجهة ، وأن الحشرات في كل تاريخها لم تقم لنفسها أية مهرجانات أو أعياد لتمجد فيها ضخامتها وشجاعته وقوتها وانتصاراتها وكبرياءها الا حينما شاهدت هذه المواجهة أي مواجهة العرب لاسرائيل ؟ ومما قيل ايضا ان الارض لم تحتقر أو تكره سكانها ، ولم تحتقر أو تكره نفسها لأنها مسكونة الا بعد أن فجعت بمشاهدتها للعرب يواجهون اسرائيل كما واجهوها !!!

بل ان اخبارا كثيرة قوية قد تواردت من ارجاء الكون البعيد تقول : انه منذ وقعت المواجهة بين العرب واسرائيل والآله ، بعد ان رأى كيف مارس العرب هذه المواجهة ، يعاني ازمة رهيبة مع نفسه ومع كرامته ومجده ومع اعوانه ومستشاريه . تقول هذه الاخبار : ان الاله في كل تاريخه الرهيب الحزين المشحون بالازمات والالام والورطات لم يعان من شيء مثلما عانى من ازمته هذه ، اذن كيف يتصرف ؟ . . . هو - اي الاله - يريد ان ينكر انه هو الخالق للكون وللبشر ، لانسه لا يطبق ان يكون هو المسؤول عن هذا العار ، عار مواجهة العرب لاسرائيل . . . لا

يطبق ان يكون خالقا لكائنات ضعيفة وبليدة كل هذا الضعف وهذه البلادة ، بل لا يطبق ان يكون خالقا لكون بعضه هذه الكائنات أو تعيش فيه هذه الكائنات التي واجهت اسرائيل بعد ان زعمت انها هي العرب ، بل بعد ان لبست جلود ووجوه وازياء العرب وتكلمت لغتهم ، بل بعد ان قرأها وفسرما ورآها وفهمها كل العالم بانها هي العرب ، كل العرب ..

ولكن هل صحيح ان الذين واجهوا اسرائيل ولا يزالون يواجهونها هم العرب الذين ذكرهم التاريخ ؟ هل يمكن تصور هذا ؟ .. وهو أي الاله يريد أيضا ان يتخلص عن وظيفة الخلق ويتوب منها نادما معذرا مقهورا بكل مشاعر الاستحياء ، لأنه ان أصبح يحتقر جدا وظيفه الخلق والخالقية ، بعد ان رأى كيف واجه العرب اسرائيل وهم اي العرب انما وجدوا وجاءوا كما يقال بأسلوب الخلق لهم . نعم ، هل يقبل أي اله ان يكون خالقا بعد ان رأى العرب المزعمين مخلوقين يواجهون اسرائيل انها لأقسى ورطة ..

اجل ، أي عار يمكن ان يصيب من قد يكون خالقا ؟ أليس ممكنا أن يقع أي خالق في العار الذي وقع فيه خالق القوم الذين واجهوا اسرائيل .. الذين واجهوا اسرائيل بعضلاتهم وعقولهم واخلاقهم ومزاعمهم ومفاخراتهم ودعائياتهم المهينة لكل الغباء بغباثتها ؟

وهو أيضا أي الاله يريد لهذه الاسباب ولتقاساته من هذه الازمة ان يهرب الى مكان مجهول ليعبش مع الوحدة والصمت ومع العتاب والعقاب للذات .. وهل يوجد عقاب أوفى للضمير وللعدل مثل عقاب الاله لذاته ؟ وهل وجد من يستحق كل عقاب واقسى عقاب غير الاله ؟ بل هل وجد من قاسى من العقاب مثل الاله ؟

ولكن جميع اعوان ومستشاري الاله ، على ما تقول الاخبار القوية المتواردة من اطراف الكون البعيد ، يعارضون ويقاومون نيات وافكار الاله هذه .. انهم يريدون منه اي من الاله أن يغالط ويكابى ضميره وواقعه وان يحول اقتبح ذنوبه الى أنبل الصالحات ..

وتقول اخبار اخرى قد تواردت ايضا من اعماق ذلك الكون البعيد : ان اعوان ومستشاري الاله هؤلاء قد تعلموا من اعوان ومستشاري حكام العرب وزعمائهم اخلاقهم وضمائرهم ومنطقهم ومشوراتهم . شيء رهيب ان يوجد أي كائن يستطيع ان يتعلم من مستشاري واعوان حكام العرب وزعمائهم شيئا من اخلاقهم أو ذكائهم أو حياتهم ..

لقد ذهبوا - أي مستشارو الاله واعوانه - تقليدا واقتداء باعوان ومستشاري حكام وزعماء العرب - يهونون عليه أي على الاله كل شيء يفعلوه أو يقع فيه ، وكل شيء يفعلونه هم أو يقعون فيه ، أو يشيرون به ويعينون عليه . . . لقد ذهبوا كما تقول هذه الاخبار المتواردة يهونون كل العار والاختفاء والحماقات والبلادات والتفاهات التي تقع ويفسرونها اجمل وانقى التفاسير ، بل ويحولونها الى أضخم وأشهر وأصل الامجاد والحضارات والانسانيات ، مثلما يفعل مستشارو وحكام العرب وزعمائهم ويفعل جميع اعوانهم ومن حولهم ، حينما يذهبون يهونون عليهم أي على حكامهم وزعمائهم العرب بل ويزينون لهم ان يكونوا كل البلادة والفساد والتخلف والظلم والبدواة والنذالة ، زاعمين لهم انهم كل الذكاء والاستقامة والعدل والتقدم وكل الحضارة والشهامة . نعم ، هل توجد قصة أو علاقة كذب وغباء وهوان وخداع وفساد مثل القصة أو العلاقة التي بين حكام ورؤساء العرب واعوانهم ؟

ولهذا يقال هنا : انه لولا المستشارون والاعوان العرب العاملون في خدمة طغيان وجهالات الحكام والزعماء العرب ، لما استطاع اعوان الاله ومستشاروه وجميع العاملين في اجهزته ان يعرفوا اخلاقهم أو أن يجروا عليها . . . وحينئذ لن يذهبوا يشيرون على الاله أو يتعاونون معه أو يطيعونه أو يزينون له الاختفاء والحماقات والمظالم بالاسلوب الذي به يفعلون اليوم ومنذ الازل والى الابد فيما يقال أو يظن . . . ولكن اية قوة كونية عبقرية في قدرتها على صياغة الخبث والنذالة وعلى ارادتهما علمت وصاغت اعوان ومستشاري حكام وزعماء العرب كما علمتهم وصاغتهم ؟

ما الذي كان يمكن أو يتوقع أن يحدث لو ان هؤلاء المستشارين والاعوان للاله لم يعرفوا اخلاقهم وضمايرهم هذه التي تعلموها من اعوان ومن مستشاري الحكام والزعماء العرب ، أو لو أنهم لم يجروا على التعامل مع الاله بها ، فلم يتعود اي الاله حينئذ على تقبل واستساعة ما يفعل وما يجد ؟ لقد كان بعيدا عن كل قفزات الظنون والتصورات ان يتقبل الاله ما اصبح لا يتقبل شيئا سواه . . .

انه ليوجد حينئذ احتمالان . . . احدهما ان يجيء الاله في ممارساته لأعماله ولنبياته ولنفسه ومع نفسه اذكى وانقى وارحم واعظم شهامة وعدالة وكرامة . . . وهل جاء كائن مثل الاله في خروجه على كل ضروب الشهامة والرحمة والعدل والكرامة والذكاء والتقوى ؟

انه حينئذ لن يجروا أو يقبل ان يجيء ، أو يكون كما كان وكما جاء . . . انه لن يقبل أو يجروا ان يجيء ، بلا شبيهه في قبح ووحشية ونذالة الصيغة أو الذات التي جاء بها . . . انه لا بد حينئذ أن يرى نفسه ويرى افعاله رؤية اخرى ،

رؤية لن تجعله يغفر أو يطيق شيئاً مما يرى أو يتقع أو مما يفعل ويريد ويدبر ، أي لولا ان هؤلاء الاعوان والمستشارين كانوا حوله يزينون له كل ما يرى ويتقع ويصنع ، بل ويحرضونه عليه ، بل ويرونه له اجمل رؤية ، مفسرين له انبل التفسير ، مقتدين بما يفعله الاعوان والمستشارون العرب المجذون لخدمة السلاطين العرب ، ومتعلمين منهم ذلك . انه لا بد ان يجيء كل شيء نقيض ما جاء اذا كان هذا الاحتمال هو الذي سيكون قدر الاله وورطته المحتومة .

الاحتمال الثاني ان يرفض الاله نفسه ويرفض كينونته وكل كينونة اخرى يراها أو يعلمها أو يفعلها . وسيكون هذا الرفض باحد اسلوبين : أما ان ينتحر وأما ان يهرب الى مكان بعيد مجهول بحيث لا يستطيع أن يرى أو يسمع أو يعلم شيئاً أو يشعر بأي شيء أو يكون مسؤولاً عن شيء أو متهما بشيء . كيف لم يرفض الاله نفسه وكل كينونة من كينوناته ؟ كيف اعجب بنفسه أو بما صنع او بما شاهد ويشاهد ؟ هل يوجد شيء يصدم المنطق والأخلاق مثل تقبل الاله لنفسه ؟

اذن فالعرب هم المسؤولون عن مجيء الكون وجميع الاشياء والأحداث بالصيغ التي جاءت والتي تجيء بها لأنهم هم المسؤولون عن أخلاق وعن ضمائر اعوان الاله ومستشاريه ، ولان اخلاق وضمائر هؤلاء الاعوان والمستشارين للاله هي المسؤولة عن اخلاق الاله وعن ضميره وعن كل صيغه في نفسه وصيغه في اعماله ، ولأن اخلاق الاله وضميره وصيغه النفسية والفكرية هي المسؤولة عن مجيء الكون وللأشياء والأحداث ان تجيء كما جاءت . . .

رهيبة هي الصيغ النفسية والفكرية والاخلاقية التي ارادت ودبرت للكون وللأشياء والأحداث ان تجيء كما جاءت . . .

ولكن هل هذا أعظم مجد للعرب أم اعظم عار واعظم اثم لهم ؟ اعني كونهم باسلوب غير مباشر هم الذين علموا الاله ان يصوغ اخلاقه وضميره وافكاره كما صاغها . . .

ان العرب لا يفعلون ولا يملكون أو يقبلون الا الاعظم ، أي الا ما جاء في صيغة « افعل » . لهذا فالفروض ان يكون تعليمهم للاله نفسه وصيغه هو اعظم مجد لهم أو اعظم اثم واعظم عار . انهم لا بد ان يكونوا اعظم اما في هذا او في نقيضه . انهم دائماً صيغة « افعل » .

ان لهم أما اعظم الامجاد والحضارات والحروب والانتصارات والعقول والاخلاق والكرم والحب ، بل واعظم الآلهة والانبياء والنبوات والاديان والخلفاء والسلاطين ، بل واعظم البلاد والمناخات والشموس والانهار والبحار . . . واما اعظم نقائص ذلك .

حتى الاله والنبي والكتاب المنزل العربي ، هل يقبل العرب الا يكون هو اعظم في كل شيء من كل آلهة وانبياء وكل كتب كل الاخرين ؟
لقد فرضت الاقتدار عليهم وفرضوا على أنفسهم وتقبلوا لها ألا يجيئوا الا صيغة
« أفعل » . . .

انه لا احد ولا شعب في العالم يملك ويعيش ويحتكر وحده صيغة « أفعل » غير العرب أو مثل العرب .

وقد حول العرب قدرهم هذا ، أي ان يكونوا دائما « أفعل » الى وحي انزلوه على احد شعرائهم الكبار ليصوغه نصا شهيرا مثيرا يحفظ ويروى ويغنى ، دون أن يوجد من يرفضه أو يستنكره أو من يراه غرورا أو جنونا ، أو من يحسبه يعني قوما آخرين موجودين في عالم آخر بعيد جدا ، أو يعني قوما آخرين لم يوجدوا ولن يوجدوا ، بل دون ان يوجد من يحسبه يسخر ويهجو ويبالغ في السذم والتحقير والاستهزاء ، بل دون أن يوجد من يفتش في ذاته أو ينظر في مرآته أو يقرأ تاريخه وتاريخ آبائه حينما يسمع هذا الوحي الذي صيغ شعرا شهيرا مثيرا ، ليعرف هل هو حقا كما تيل عنه وله وفيه ، بل دون أن يوجد من يبكي أو يهرب من هذا العالم حينما يسمع هذا الذي قاله الشاعر العربي الكبير ، خجلا وفرارا من العار ومن العيون المحجوة المتطلعة اليه لترى مقاساته وحدوده وحجمه ، محاكما محاسبا موزونا بما قاله هذا الشاعر الذي تحول قوله هذا الى نص موحى منزل يتلى ويحفظ ويفسر كما يصنع آيات الكتاب المقدس . كيف امكن أن يوجد من يقول مثل هذا أو من يقرأه أو يسمعه أو يرويه ؟

كيف لم تغلق أو تمت كل العيون والاذان والافواه خوفا من أن تقرأه أو تسمعه أو ترويه ؟

نعم ، لقد قال ذلك الشاعر العربي مقررا ومخلدا لقومه العرب هذه « الافعلية » :

« وانا اناس لا توسط بيننا . . . »

لنا الصدر دون العالمين أو القبر ،

هل يستطيع تصور ذكاء أو حياء أو رؤية هذا الشاعر لنفسه أو للاشياء أو ضبطه بأي مقاييس أو حسابات حينما قال ذلك ؟ هل يحتمل انه كان يعتقد انه كان يقول شيئا يجوز أن يقال أو يسمع أو يروى أو يصدق ؟ اين كان حينما قال ذلك ؟ ومن كان يخاطب ؟ وفي أية حالة نفسية وعقلية كان حينما قاله ؟

وليس هذا فقط ، اي ليست القضية هي فقط ان العرب يملكون ويعيشون ويحتكرون وحدهم صيغة « أفعل » . . . ويجب الا يصدم القارىء حينما يجدني عربيا

وفيا لعروبتى في استعمالى لصيغة « افعل » هذه . الست استعمالها للتدليل على عروبتى ؟

بل ان اللغة العربية مصابة بمرض « افعل » . اذن فللعربي مزيتان : لا يحيا الاشياء أو يقبلها أو يملكها الا بصيغة افعل ، ولغته لا تتحدث أو تتعامل الا بصيغة افعل .

انها تعشق دائما ان تكون تعبيراتها واحكامها مصوغة بصيغة « افعل » . . . ان اصدق وادق تعريف وتحديد للغة العربية : ان يقال انها هي لغة « افعل » . . . هي دائما تريد أن تقول : اذكى واعلم واقوى واتقى واعدل واكرم واشجع واكبر واغز وامجد واضخم ، وهكذا ، حيث تحدثت وعن أي شيء، تتحدث . . . وكذلك أيضا تعشق صيغة « افعل » ، كل هذا العشق مستعملة لها في المعنى المناقض .

ان الرغبة في استعمال كلمة افعل والتسرع الى استعمالها يعنيان ضيق الرؤية والخيال وضيق التجربة والمجال والكينونة والطموح . . . ويعنيان أيضا الانفلات من الالتزام بأوامر العدل والصدق والنزاهة والتقوى وعمق التفكير ، كما يعنيان اشمل اساليب النزق والطيش . . .

انهما يعنيان الانفلات من كل رقابة عقلية أو اخلاقية أو نفسية أو لغوية ، من كل رقابة على العقل أو على الاخلاق أو على العواطف أو على الخيال او اللغة ، كيف يجرو من له مستوى من الذكاء والصدق والرؤية والاحترام للنفس وللتعبير ان يستعمل كلمة افعل ؟ كيف أمكن ان تشيع صيغة افعل في أية لغة من اللغات ؟ ان شيوع هذه الصيغة في أية لغة اعلان عن تخلف اهلها .

بماذا يمكن ان يفسر من يقول عن انسان أو شعب أو مجتمع أو تاريخ أو بلد أو عن دين أو نبي أو آله أو كتاب ، أو عن وجه أو خلق أو عقل أو عن اي شيء : أنه هو الاعظم أو الاذكى أو الاقوى أو الانفع أو الاصدق أو الاتقى أو الابقى أو الاسخى أو الاشجع ، وهكذا ؟

بماذا يمكن ان يفسر أو يفهم من يصر على ان يستعمل دائما هذا « الافعل » ، حينما يتحدث عن كل هذا بل وعن اي شيء آخر ، بل من يجد نفسه مندفعاً الى استعمال هذا « الافعل » ، بلا تدبير أو تفكير أو اختيار أو مقاساة ، بل وبلا تخوف من ان يكون نزقا أو مبالغاً أو مخطئا أو متهما بأي شيء غير جيد ؟

كيف يمكن ان يكون تفسير مثل هذا الانسان : تفسيره العقلي أو النفسي أو الاخلاقي أو الثقافي ؟

الليس محتوما أن يكون من التفاسير لهذا الانسان أنه سخييف أو كذاب أو جاهل أو بليد أو أعمى الخيال والرؤية والتجربة جدا ، أو أنه بلا أي قدر من التقوى أو الوقار أو الشرف أو المحاسبة للنفس ، أو انه مقتنع بأنه لن يحسب قائلا أو مريدا شيئا مهما قال ، وبأنه لن يستمع اليه بأي تفسير من تفاسير الاستماع - أو أنه أي هذا الانسان هو كل ذلك ، أي كل هذه التفاسير ؟

ولعل من التفاسير لذلك ان من يفعله لا بد أن يكون عربيا والعربي لا يرى ان الاشياء تساوي ذاتها أو حجمها أو حقيقتها أو قيمتها أو رؤيتها أو تفسيرها بل تساوي اللغة التي تنطقها . واللغة عنده ليست صدقا أو رؤية أو تفسيراً بل فصاحة واسلوب . . . اللغة عنده تعبير لا تفسير ، نطق وقراءة لا محاسبة ولا واقع .

ان الانسان الحذر الصادق العادل الواسع الخيال والرؤية والتجربة والمجال والتفكير والمحاسب الحاكم المحترم لنفسه ولاحكامه ، والمقتنع بأنه لا بد أن يكون مسموعا ومقروءا ومسؤولا ومسؤولا ومحكوما عليه بذاته ، بما يقول ويستطيع ويعرف ويعلن ويبدو - بأنه لا بد ان يكون مرثيا ومفسرا بقسوة وبصدق واهتمام - ليس أكثر الناس بتكلمون وكأنهم مقتنعون انهم لن يكونوا مرثيين أو مقروئين أو مفسرين أو محاسبين - .

- نعم ، ان مثل هذا الانسان لا بد ان يقاسي ويهرب قبل ان يطلق كلمة «أفعل» . . . كيف يتصور أو يجروء على ان ينطق بان رجلا هو اشجع أو أكرم أو أنكى الرجال ، أو بان وجها هو أجمل الوجوه ، أو بان كتابا هو اعظم الكتب ، أو بان آلهة أو دينا هو افضل الآلهة والاديان ؟ كيف يجروء على مثل هذا ؟

انه لا بد ان يحذر حذر من يريد أن يلقي بكل جسمه وبكل ما في نفسه ونياته في كل العيون والخيالات والتصورات والنفوس والعقول والظنون ، أو حذر من يريد اطلاق سلاح فتاك على هدف أو عدو يتغطى جسده بأجساد يراد لاصحابها الا يصابوا بأي جرح أو خدش أو باي ازعاج ، بل تعني أصابتهم بأي شيء من ذلك كمل الخطر والعار والعقاب والعذاب . . ان مثل هذا الانسان لن يجد أو يتصور شيئا أو احدا يستحق كلمة « أفعل » حتى ولا الآله مهما طغا ايمانه به على كل وقاره وذكائه انه لمحتوم ان تجيء لفة مثل هذا الانسان حذرة من كلمة « افعل » هذه محاذرة لها محاذرتها للفصائح وللتخلف والجهل والسخف والنذالات . ان من يحاذر على استعماله لكلمة افعل انما يحاذر على ذكائه ووقاره وصدقه وعقله ورؤيته انه

لافتراض محتوم ان يكون استعمال اي انسان لكلمة « أفعل » مقياسا لذكائه ووقاره وصدقته ولكل تفاسيره الانسانية .

أما الذين لا يملكون هذه المزايا التي يملكها مثل هذا الانسان فلا بد أن تجيء لغتهم كما ينتظر ان تجيء أي بلا أي قدر من الوقار أو الذكاء أو الصدق أو الانضباط . انها لا بد ان تجيء كاللغة العربية .

ان اية لغة بلا شروط انما تعني قوما بلا شروط . واي قوم بلا شروط ماذا يساؤون ؟

ان اصابة اية لغة بآفة « أفعل » قد تكون مقياسا صحيحا وشاملا لجميع مستويات هذه اللغة العقلية والنفسية والبشرية والاخلاقية والحضارية .

واللغة العربية مصابة بهذه الآفة أي بصيغة « أفعل » اصابة خطيرة جدا ان اصابتها بهذه الآفة قد تكون تقويما شاملا لكل أخلاقها ومعانيها الاخرى .

ولغة أي قوم لا بد ان تكون بأسلوب ما تعبيراً عن مستوى القيم الانسانية المختلفة عندهم وعن تصورهم وفهمهم لهذه القيم والتزامهم بها وعن قوتها وقوة سلطانها فيهم وعليهم .

ان أي قوم يمكن ان يفهموا من لغتهم وأن يفسروا بها ، كما ان اية لغة يمكن ان تفهم بفهم اهلها وان تفسر بتفسيرهم وان تعرف اخلاقها وذكاؤها ووقارها وصدقها بمعرفة اخلاقهم وذكائهم وصدقهم ووقارهم . ان اية لغة هي اصحابها قد جاءوا بصيغة لغة .

ان أي قوم قد كانوا ثم ماتوا في التاريخ ليتمكن جدا معرفة القيم الانسانية التي كانوا يعيشونها ويفهمونها ويحترمونها ويستطيعونها ، من فكرية و نفسية و اخلاقية وحضارية بل وانسانية ، بقراءة ودراسة لغتهم التي قد خلفوها ان كانت لهم لغة قد بقيت من بعدهم ، دون معرفة أي شيء أو الرجوع الى أي شيء عنهم غير لغتهم . حتى حينما يكذب ويبالغ أصحاب اللغة لا بد ان تفسرهم لغتهم ؛ تفسر اخلاقهم وذكاءهم وجميع مستوياتهم المختلفة .

ولو أن أي انسان يعرف تفاسير اللغات ودلالاتها قرأ اللغة العربية بمحاكمة ومحاسبة لاستطاع ان يعرف نماذج العرب العقلية والنفسية والاخلاقية ، بل لاستطاع أن يعرف مقدار تدينهم والتزامهم بتدينهم ، ومقدار احترامهم لدينهم وآلاتهم وانبيائهم وأوطانهم ولكل قيمهم التي يتحدثون عنها ، ومقدار استمسكهم بها وفهمهم لها ، بل ومقدار احترامهم لانفسهم وآبائهم وتاريخهم وقبورهم ، ومقدار احترامهم لوجوههم ولعيونهم التي يواجهون ويقاتلون ويشاتمون ويفاخرون

ويبارزون ويهددون بها الآخرين ، والتي يتطلعون اليها في المرايا ، ومقدار خوفهم على مجدها أي على مجد عيونهم ووجوههم وعلى وقارها واستحيائها ونظافتها ، حينما يواجهون بها الآخرين والاشياء ، وحينما يتطلعون اليها أمام مراياهم بارتجاف وتملق ولهفة .

- نعم ، لاستطلاع مثل هذا الانسان ان يعرف كل ذلك عن العرب بقراءته للغتهم ، دون ان يعيش بينهم أو يعاملهم أو يلقاهم أو يراهم أو يقرأ أي شيء عنهم . أجل ، ان لغتهم لتفسرهم وتدل عليهم حينما يكذبون ويبالغون ويوزرون أقسى مما تفعل بهم ذلك حينما يصدقون ويتوقرون ويتهذبون . ان كذب الانسان ليس تزويرا له بل هو تفسير له وتعريف به .

ولو ان أي انسان عايش العرب وغاص في اعماقهم وداخل جلودهم وقرأ كل لغات وتعبيرات وخفقات اعضائهم وغدهم وعضلاتهم وقلوبهم واخلاقهم واهوائهم ومشاعرهم ووجوههم وعيونهم ، دون ان يقرأ أو يسمع حرفا واحدا من لغتهم ، ثم عرضت عليه لغات عديدة يفهمها كلها ويفهم تفاسيرها ودلالاتها ، وكانت اللغة العربية احدى هذه اللغات ، لكان محتوما أن يقف عند اللغة العربية وان يشير الى العرب صارخا قائلا : أيها العرب ، هذه هي لغتكم ، هي كل مستوياتكم . . . خذوها ، خذوها . انها هي انتم ، وانكم انتم لهاي . خذوها ، خذوها ايها العرب فانها لن تجيء على مقاس غيركم وانكم لن تجيئوا على مقاس غيرها .

ولو أن هذا الانسان الذي عايش العرب وعرفهم بهذا الاسلوب والعمق كان قاضيا فتقدمت اليه شعوب كثيرة كلها تدعى لاسباب عديدة مختلفة ، امتلاكها للغة العربية وكان العرب يبين هذه الشعوب المدعية امتلاكها للغة العربية لكان محتوما ان يحكم بها للعرب دون ان يعاني من عقله أو أخلاقه أو ضميره ، خيفة ان يكون قد اخطأ . نعم ، ان جميع اكاذيب العرب ومنبرياتهم ومصاهلاتهم لم تستطع ان تتحول الى تزوير اهم خادع بهم بل لقد تحولت الى تفسير فاضح معر لهم فاجع بهم . . .

ولو كان ايضا هذا الانسان عبقريا في ابتكار اللغات ووضعها مفسرة وملائمة لمن يضعها لهم ، فأراد ان يضع للعرب لغة تفسرهم وتلائمهم ، وكان قد عرفهم وقرأهم وفسرهم بالاسلوب والعمق المذكورين السابق وصفهما ، لكان محتوما أن يبتكر ويضع لهم اللغة العربية ، ولما كان محتما ان يضع لهم غيرها اي بالاسلوب الذي تختار وتوضع به صيغة الثوب على البدن . . .

ولو أنه أي هذا الانسان قرأ اللغة العربية وعرفها جيدا ، وكان خالقا ، فخلق له أخلق شعبا على مستوى هذه اللغة أي اللغة العربية لكان محتوما ان يخلق الشعوب العربية . ان الشعوب العربية نموذج للغتها بقدر ما لغتها نموذج لها . ان التشابه أو التماثل بينهما مثل التشابه والتماثل بين الشيء وصورته . أنه بقدر ما تعرف الصورة بصاحبها ويعرف صاحبها بها يعرف العرب بلغتهم وتعرف لغتهم بهم . . .

ولو أن حدثا كونيا خارقا عزل جميع الشعوب عن لغاتها أو انسأها إياها ، فأنشئت هيئة كونية من الخبراء العدول الاتقياء ليردوا الى كل شعب لغتيه بدراستهم لخصائص الشعوب وخصائص اللغات لكان محتوما ان يردوا الى الشعب العربي لغته العربية دون أى خطأ أو خوف من الخطأ أو توقع للخطأ مهما كانت احتمالات اخطائهم في توزيع اللغات الاخرى على اصحابها الآخرين . أليس احتمال الخطأ في توزيع الرؤوس المقطوعة على ابدانها أكثر من احتمال الخطأ في معرفة اللغة العربية بمعرفة العرب أو في معرفة العرب بمعرفة اللغة العربية ؟

ولو ان العرب كانوا بلا لغة أو لو أنهم باسلوب خارق غير معروف نسوا لغتهم ، ثم عرضت عليهم جميع اللغات ليختاروا منها ما يلائم نماذجهم البشرية والانسانية المختلفة ومواهبهم الذهنية والنفسية لما كان محتوما ان يختاروا لغة غير اللغة للعربية ، أي بعد أن يجربوا ويدرسوا أخلاق ومواهب كل لغة ، أي بافتراض ذلك شيئا ممكنا ومستطاعا . أليس احتمالات الخطأ في ان يعرف اصحاب الوجوه وجوههم أي مخلوطة بالوجوه الاخرى اكثر من احتمالات الخطأ في ان يعرف العرب لغتهم أي لو نسوها أو قبل ان يتكلموها ، مدسوسة بين جميع اللغات العالمية ؟ ان اللغة كائن حي متحرك متنوع متشكل . انها كائن انساني اخلاقي فكري نفسي . ان كل معاني الانسان وقيمه وقدراته وحساباته تشترك في صياغتها . . . ان مواهب الانسان ومعارفه وقدراته تصوغ كل اساليب حياته ، بقدر ذلك تصوغ كل معانيه كل لغاته . . .

ان ذكاءه يصوغها كما يصوغها صدقه ووقاره وحيأؤه وتهذيبه وعدله وكرامته وشهامته واحترامه لنفسه ولكل مواجهاته ومعاملاته وممارساته ونياته . ان الانسان لا يضع لغته بصوته أو بفمه واذنيه ولا يستعملها بذلك فقط بل وبقله واخلاقه وبكل مستوياته النفسية والانسانية . . .

واللغة التي تطلق صيغة « أفعل » بكل هذا الشمول والديمومة والسخاء والفوضى على كل شيء وكل أحد ، وعلى كل ما ليس شيئا وما ليس أحدا ، معلنة أنه

هو أعظم أو أعلم أو أكرم أو أكبر أو أشرف أو اذكى أو اقوى أو اجمل أو أصل أو انفع أو انظف من كل شيء، ومن كل احد ، من كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سوف يكون أو قد يكون ، بل ومن كل ما لن يكون .

- نعم ، اللغة التي تبيح وتؤدي نفسها بهذا الاسلوب الفاضح المفصوح الاعمى ، كيف يمكن ان يكون ذكاؤها أو اخلاقها أو كرامتها أو طموحها أو تجاريتها أو مجالاتها أو مناخها ، أو كيف يمكن ان يكون اصحابها ، واضعوا ومتكلموها ومعلموها ومحترموها والمعجبون بها؟ . . . ولكن ألسنت بهذا أنسى الفكرة العامة التي أريد تقريرها وهي ان العرب مصوتون فقط فهم اذا كانوا أصواتا فقط لا كلاما ولا تفكيراً فان استعمالهم لصيغة أفعال لن يعني شيئاً ؟

خامساً :

تصويت العرب ليس هو سبب عجزهم بل هو معنى عجزهم أو التعبير عن عجزهم . كما ان تصويت الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان ليس هو الذي جعلها عاجزة عن ان تكون أكثر من مصوتة ، أي عن ان تكون متكلمة ومفكرة وشاعرة وكتابة وفنانة ومعلمة للاديان والاكاذيب ومعادية محاربة باسم الآلهة والزعماء والعقائد والمذاهب ومنتصرة على اعدائها ومستغليها ومسخرتها وعلى الانسان ، وعن سبب الانسان في الصعود الى القمر ، وعن ان تختارها الآلهة لتجعل منها الانبياء ولتنزل عليها الكتب المقدسة بدل الانسان . . . نعم ، ليس هذا سبب هذا .

ان قطع نصف الطريق والصعود الى منتصف السلالم ليسا هما السبب في العجز عن قطع كل الطريق وعن الصعود الى أعلى السلالم . . .

ان سيرنا على الاقدام ليس هو الذي جعلنا عاجزين عن الطيران باجنحة ذاتية . ان حمل اليد لبعض الحمل المطلوب حمله وقدرتها على حمله ليسا هما اللذين جعلهما لا تحمله ولا تستطيع ان تحمله كل الحمل المراد حمله . . .

ان بلوغنا طور الانسان ليس هو الذي منعنا من بلوغ طور الآله الذي نتحدث عنه ولا نجده . . .

ان قدرتنا على ان نرى ونسمع من مسافة معينة ليست هي التي جعلتنا لا نستطيع ان نرى أو نسمع من مسافة أطول . ان بلوغ الكائن طور صيغة الانسان أو طور نصف الانسان ليس هو الذي منعه من بلوغ معنى الانسان أو من بلغ طور كل الانسان . . .

ان التصويت أو بلوغ طور التصويت أو القدرة على التصويت سير في نصف أو

في بعض طريق التطور . والسير في نصف طريق التطور أو في مراحل منه ليس سببا ولن يكون سببا في العجز عن السير في كل طريق التطور أو في قطع جميع مراحل التطور ، كما لن يتحول هذا السير في بعض مراحل التطور الى رغبة في السائر عن السير في كل طريق التطور وعن قطع كل مراحل هذا التطور المفترض أو المشود . ان السير حافيا أو عاريا ليس هو السبب ولن يكون سببا في العجز عن امتلاك الملابس والنعال . وان ممارسة الوقاحة والغباء لن تكون سببا في العجز عن التهذيب وعن الذكاء . . .

ولكن دعائنا ومعلمينا ومفكرينا الاذكياء المخلصين جدا مقتنعون برأي آخر مناقض . انهم يرون ويعلنون ان اصوات العرب أو ممارستهم لاصواتهم أو كثرة تصويتهم قد استهلكت أو استنفدت منهم كل معاني ومصادر الطاقة فيهم ، بكل انواعها الفكرية والنفسية والاخلاقية والحضارية بل والعضلية . نعم ، لقد استهلكت اصواتهم أو ممارستهم لاصواتهم أو كثرة تصويتهم كل معاني ومصادر الطاقة الانسانية فيهم التي كان يجب أو يفترض ان تتحول الى افكار واخلاق والى قوة وانتصار والى كل اساليب الابداع والخلق والتفوق والجمال والوقار ، او انها ايجد الاصوات وممارستها وكثرتها قد تحولت الى بديل عن ذلك والى تعبير زائف وصغير وهمجي عنه . أي لقد كان من الممكن أو من المحتوم ان يعبروا عن الطاقة الانسانية الكامنة فيهم تعبيرا قويا وذكيا لو لم يعبروا عنها تعبيرا ضعيفا غيبيا .

ان هؤلاء الدعاة والمفكرين والمعلمين وامثالهم من الوعاظ الغيري يرون ان العرب لو صمتوا ولم يقولوا بكل هذا الضجيج المستمر المحيط لكل احتمالات الذكاء والوقار : سنحارب وسننتصر وسنذل جميع الاعداء والخصوم والانداد والمنافسين - سنؤدبهم حتى يتعلم التاريخ من تأديبنا لهم كيف يكون التأديب العبقري . . سنسبق كل العالم ونفوق عليه ونكون فيه كل الاعزة الاقوياء . سنهبه ونعلمه كل الحضارات والمعارف والاخلاق والتقوى والضمير والحب والوضوء الروحي والنفسي والبدني . . وأيضا سنهبه اي نهب كل العالم ونعلمه كل الارباب والنبوات والاديان وكل الآيات والاناجيل والاسفار ، وايضا كل البلاغة والشعر والفلسفة والفنون . وايضا كل الزعامات والقيادات التي تقود الى مجد العبور او الى مجد الغرور والثبور والشرور والقبور .

سنعلم ونهب كل العالم كل ذلك في الحاضر والمستقبل كما علمناه ووهبناه كل ذلك في الماضي . سنكون وحدنا كل القمة وفوق كل القمة في الحاضر

والمستقبل ، كما كنا كل ذلك في كل الماضي ، في كل القبور ، كما تقول
جميع روايات القبور عن القبور . . .

سنكون ونكون حتى نجعل كل الناس بل وكل غير الناس يسلمون ويستعربون
سنجعل العروبة والاسلام هما كل القوميات والاديان لكل الناس ولكل غير
الناس ايضا . . .

حتى الابالسة سنجعلهم يسلمون ويستعربون ويحفظون أسماء خلفائنا الراشدين
ويعرفون عدد أزواجهم وجواريتهم واسماءهن وكم عدد المطلقات منهن واسباب
طلاقهن ، وكم عدد العربيات منهن والاجنبيات ، والى كم جنسية ينتمين . حتما
سنجعل كل الناس وكل من ليسوا ناسا يسلمون ويستعربون ويحفظون أسماء
جميع سلاطيننا وأسماء جميع جواريتهم وعبيدهم الملونين . . .

سنجعل كل الناس بل وكل الابالسة يحفظون القرآن ويتدارسون تفاسيره
ويعرفون ويعترفون انهم قد أخذوا منه أي من القرآن كل ما لديهم من حضارات
وعلوم ورخاء وذكاء وكبرياء بل وكل ما عندهم من تسامح وحرية تبيخ بل
وتشرع وتحمي كل تفكير وكل تناول فكري ، حتى الالحاد والزندقات والجرأة على
الارباب والاديان وعلى كل المقدسات الموروثة . نعم ، حتى صناعة الابناء والعلاقات
الجنسية هل عرفوها الا منا ، من كتابنا المقدس ؟

سنجعل كل هؤلاء يعرفون ويعترفون ان كل ما عندهم من تسامح وحرية
تبيخ بل وتحمي وتشرع كل الزندقات وكل الرفض لكل المقدسات ، انما تعلموه
من القرآن . نعم ، لقد تعلموا من القرآن كل شيء ، حتى رفضه أي رفض القرآن
لقد تعلموه من نفس القرآن . لانهم قد تعلموا منه كل الحرية ، والحرية لا بد
ان تتحول الى رفض وانكار حتى لمن علمها ولو أحيانا . ان الحرية لا يمكن ان تكون
مالية دائما لمن علمها . ان من علم الحرية ثم فرض عليها الولاء الدائم له فلن
يكون محترما للحرية أو مؤمنا بها .

سنجعلهم يقتنعون ان كل ما عندهم ، حتى الزندقات ، انما استوهبوه من
القرآن العربي . حتى الرفض للاديان وللقرآن انما وهبهم وعلمهم اياه القرآن لانه
هو الذي وهبهم وعلمهم التسامح والحرية للذين يبيحان بل ويحميان ويشرعان
كل مغامرات وغزوات وتحديات الفكر . . والفكر الغازي المغامر المتحدي لن يظل
صديقا او تابعا مأمونا أو دائما لاي شيء . ان من وضع السلاح في يد الفكر فلن
يأمن من ان يكون قتيله . . .

ليس الكتاب المقدس بل وغير المقدس الذي يبيح ويحرم الحرية الفكرية ، بلا أي قيد من خارج الفكر ، ويبيح ويحرم التعبير عن هذه الحرية ، إنما يبيح ويحرم الرفض لهذا الكتاب المقدس أو الكتاب الذي ليس مقدسا ، كما يبيح ويحرم إعلان هذا الرفض أو الكفر به ؟ أليس من يرفض الخروج على القرآن أو يرفض الكفر به دفاعا عنه واحتراما له إنما يعلن بذلك ان القرآن يقاوم ويعادي الحرية ويعاقب عليها ؟

أليس الدين أو النظام الذي يعلن الحرية العقلية ويبارك ويمجد التعبير عن هذه الحرية وممارستها ، إنما يعلن ويبارك ويمجد رفضه بل وإعلان رفضه ؟ ان معنى هذا ان اي دين أو نظام يعاقب الخروج عليه أو يرفضه أو ينكره إنما هو دين أو مذهب يرفض وينكر الحرية ويعاقب عليها ، على ممارستها والإيمان بها .

وأيضا سنكون أول من يغزو ويسكن ويزرع ويمدّن الشموس ، كما كنا أول من غزا وسكن واكتشف وخطب السماء ، وأول من صافح وجالس وساكن آلهتها وسكانها ، وتعلم لغتهم وعلمهم لغته . . .

هل وجد من تكلم لغة الآلهة وعاش في ضميرها ، أو من تكلمت الآلهة لغته وعاشت في ضميره مثلنا أو غيرنا ؟ هل تعلمت الآلهة الكلام الا لكي تخاطب العرب أو تعلم العرب الكلام الا لكي يخاطبوا الآلهة ؟

اجل ، ان دعائنا ومفكرينا ومعلمينا وسائر وعاظنا المحسوبين أذكيا وحكما جدا ليقولون ويعتقدون ان العرب لو صمتوا أو أصيبوا بالخرس أو بالاستحياء والوقار فلم ينطقوا ويصوتوا بمزاعمهم هذه لكان ممكنا أو محتوما ان يقفروا الى هذا الذي يزعمون انهم سوف يصنعونه ويحققونه ، والذي زعموا انهم كانوا قد صنعوه وحققوه في تاريخهم المقروء - أو لكان ممكنا أو محتوما ان يصبحوا أكبر واعظم واذكى في كل صيغهم وكياناتهم مما نخدمهم ويجدون انفسهم ومما يجدهم اعداؤهم ومنافسوهم والشامنون بهم الحاقدون عليهم ، الخائفون من احتمالاتهم ومواهبهم الضخمة التي لا تساويها أو تجاريها أية احتمالات أو مواهب أخرى .

وهذا التكبّر أو الامتناع أو الاعتقاد ، كم هو سهل وبسيط ومحزن . . .

قوم تخلفهم وعجزهم يصنعان الرثاء والدموع والحسرة والذهول والعجز عن الفهم في كل القلوب والعيون والضمانات والعقول يستطيعون ان يقفروا فوق ووراء جميع أسوار وحدود عجزهم وتخلفهم وان يصرعوا جميع حراس عجزهم وتخلفهم ، أو يموت هؤلاء الحراس ، لكي يصحوا أي هؤلاء القوم بقفزة مذهلة مالكين بأسلوب الاحتكار والتفرد لكل العبقريات والمزاجا . . .

نعم ، يستطيعون ان يصنعوا كل ذلك أو يصنع لهم كل ذلك دون ان يصنموه هم أو يصنعوا أي شيء غيره . بماذا يستطيعون ان يصنعوا أو يصنع لهم كل هذا ؟ بلا أي شيء عسير أو كبير أو عظيم . . .
فقط عليهم ان يخدموا أو يموتوا ، أن يتحولوا الى صمت ، أو ان يقلوا من الكلام أو من التصويت أو من الاعلان والتحدث عن امجادهم وعبقرياتهم . . .
فقط على هذا الذئب أو الحيوان ان يترك النباح أو الزئير لكي يتحول الى انسان متكلم مفكر مدع ١٠٠

غفلة أو بساطة يهنا عليها أو يصعب بها أو يحزن لها كل من عرفوا أو جربوا أو قاسوا منطق الاشياء ونقاسيرها واخلاقها ونذالة علاقاتها مع نفسها ومع البشر ومع الكائنات الاخرى . نعم ، هل توجد أية نذالة في هذا الكون أو في أي خيال تخير نذالة العلاقات بين الاشياء ونفسها وبين الاشياء وبين الناس والاشياء؟ قد يكون واقعا معقولا أو واقعا معروفا ومفهوما دون ان يكون معقولا : ان الذين لا يستطيعون ان يفعلوا ما هو اعظم واكبر واذكى واغوى من التصويت لا بد ان يذهبوا يصوتون أو يكترون من التصويت ، أو يصوتون بلا أي قدر أو اشتراط من الوتار أو الاتزان أو التهذيب أو الذكاء . ولكن الصوتين لو صمتوا أو لو اقلوا من التصويت لن يصبحوا شيئا اذكى أو اقوى أو اعظم لانهم اقلوا من التصويت لانهم صمتوا . ان ترك التصويت لن يصبح أو يتخلق قوة أو عبقرية أو تفوقا من أي نوع في ذات المصوت التارك للتصويت أو في مواهبه أو في أي عمل يمارسه أو يخطئه ويديره . . .

ان الذي يعجز عن الشيء الاصعب أو الافضل أو الاعلى قد يفعل الاسهل أو الأردأ والادنى . ولكن الذي لا يستطيع الا الادنى والأردأ والاصغر لن يستطيع ان يفعل الاكبر أو الافضل أو الاعلى مهما ترك فعل الذي يستطيعه وهو الاصغر والأردأ والادنى ، اي ان هذا التارك لن يكون صانعا لهذه الاستطاعة . . .
ان ترك الاسهل المستطاع لن يصنع القدرة على الاصعب غير المستطاع . . .

ان غير الذكي أو المفكر أو الشاعر أو الفنان أو المهذب أو غير القوي العضلات أو القوي البصر أو السمع لن يصبح مفكرا أو ذكيا أو شاعرا أو فنانا أو مهذبا أو قوي العضلات أو الابصار أو السماع لو انه صمت عن الكلام والتصويت أو عن الرؤية والسمع أو عن حمل أي شيء ، أو عن التفكير أو عن كل ممارسة أخرى ، أو لانه صمت عن ذلك . ان الصمت وكذا التارك لشيء ما لن يتحول الى عبقرية أو الى طاقة حضارية أو ابداعية مهما تحول في ظاهره الى جمال اخلاقي أو نفسي . . .

انه لا يمكن ان يتحول الكائن المصوت الى كائن أكبر من مصوت بصمته عن التصويت أو باقلاله من التصويت الا بقدر ما يمكن ان يتحول الوجه الدميم الى وجه جميل لو انه امتنع عن رؤية نفسه في المرآة أو لو انه امتنع عن السفور أمام الوجوه الاخرى أو عن منافسة وتحدي الوجوه الاخرى ، أو لو أن حامله صمت فلم يتحدث عز جماله - أو الا بقدر ما يمكن ان يتحول القصير أو الاسود لوجه الجاهل أو العبي الى طويل أو الى ابيض أو الى عالم أو الى عبقرى في النطق والنصاحة لانه قد أصيب بالخرس أو الصمم أو العمى أو الشلل أو بآية آفة اخرى . . ان القدرة أو الموهبة أو العبقرية ليست ان تترك شيئا أو تعجز عنه ولكنها هي ان تستطيع وان تفعل شيئا . أنها ليست تركا بل استطاعة .

ان العاجز عن المشي قد يحبو أو يزحف ولكن تركه الزحف والحبو لن يجعله يمشي .

اجل . . ان الصمت قد يتحول الى راحة أو اراحة أو الى استتار وتهذيب واجب وحياء ووقار ، ولكنه اي الصمت لا يتحول الى عبقرية أو قوة أو ذكاء أو معرفة أو انتصار أو الى طور أعلى من أطوار الكينونة . .

ان الصمت قد يرى أو يقرأ أو يفسر رؤى وقراءات وتفسيرات جميلة ، ولكنه لن يصنع أو يهب مستويات كبيرة أو عظيمة أو ذكية . انه قد يكون سلامة ولكنه لن يكون ضخامة .

ان جميع المتحدثين العرب لو صمتوا صمتا أبديا وشاملا لكان ممكنا ان يكون في ذلك شيء من السقر عليهم ومن التهذيب والحياء فيهم أو من حسابان ذلك ، ومن الرق بمشاعر الاستهزاء بهم والاشمئزاز منهم ، ولكان ممكنا أيضا ان يكون في ذلك أي في صمت جميع المتحدثين العرب شيء من المحابة للأذان التي تسمعهم ، وللعيون التي تحقق فيهم وتقرؤهم ، وللعقول والمواهب التي تفكر فيهم ، وللمنطق الذي بحاسبهم . . انه قد يكون في صمتهم تخفيف وتلطيف من تعذيب وترويع وتفجيع جميع الواجهين لهم المحققين فيهم . اذن قد يكون صمتهم نبلا . .

ولكن ذلك أي صمتهم لن يخلق فيهم عظمة أو عبقرية أو قوة أو أي شيء اخر جيد . ان في العرب لصامتين جدا ، صامتين استرخاء وكسلا وخمولا وبلادة ، لا وقارا أو تهذبا أو تقوى أو حذرا عقليا أو اخلاقيا . ان فيهم من لا يفتحون أفواههم من الخمول والتبلد والغيوبية . فهل استطاع صمتهم هذا ان يصنع فيهم شيئا جيدا أو قويا ؟

نعم ، وكما ان ترك الاسهل الاصفر لسن يهب القدرة على فعل الاصعب الاكبر أو الرغبة في فعله ، كذلك فان فعل الاصفر والاسهل ليس هو الذي منع تخلق

القدرة على الاصعب الاكبر ، او منع او افسد او اضعف الرغبة في فعل هذا الاصعب الاكبر • ان ممارسة اللغبا والبدابة والنذالة والشقاء ليست هي التي منعت تخلق القدرة او الرغبة على ممارسة الذكاء او الحضارة او الشهامة أو الرخاء •

اذن يا انبياء العروبة وزعماءها ، ويا كتابها وخطباءها ومعلميها : اصمتوا ، اصمتوا تستقروا وتبدوا اقل دمامة وجهلا وعارا وضالة وايذاء للعيون والعقول والاذان والضماثر • اصمتوا رحمة أو تائما أو شهامة ••

اصمتوا رفضا للعنوان على من لم يسيئوا اليكم ، وعلى من لا يستحقون اعتداكم عليهم ••

اصمتوا فان في صمتكم احتراما وراحة ورفقا بكل من يرون ويسمعون ويعقلون ويشمنزون ويحزنون ويحاسون ويشترطون •

اصمتوا فان أنبل وانتقى ما تفعلونه وما تستطيعون فعله وما تكرهون به الآخرين ، ان تصمتوا ••

ولكن لا تصمتوا ان كانوا في حسابكم ان يصنع صمتكم منكم شيئا اكبر او اذكى او اتقى ، بل اصمتوا حتى ولو كان هذا هو حسابكم وتفسيركم لقيمة الصمت • اصمتوا تريحو وتبدوا شيئا افضل حتى ولو لم يكن لصمتكم اي حساب أو ثمن آخر مما تريدون •

ويا وعاظ العرب بالصمت ودعاتهم الى الصمت •• أجل ، عظوم وادعومهم بكل الحماس والغيرة والصدق وني كل الاوقات الى ان يموتوا صمنا ان كنتم تريدون ان تستروا عليهم وان تهبهم في الظاهر شيئا من الجمال والتهذيب والوقار والذكاء ، او ان كنتم تخشون ان يروا بكل صورهم ، ويفسروا بكل معانيهم ، ويقراوا بكل نصوصهم ، بكل قرآنهم وانجيلهم وتوراتهم • نعم ، افرضوا عليهم كل الصمت كل الاوقات ان كنتم تريدون لهم شيئا من الاستتار والوقار ، ان كنتم تخافون عليهم من العيون والعقول أو على العيون والعقول منهم •• ولكن حذار ان تحدثوهم عن أي معنى من معاني الصمت ان كنتم تؤملون ان يصنع منهم صمتهم انسانا يساعد على التعجيل بغزو المريح ويسكنه ويعمارته ، أو انسانا يكون اول من يغزوه أو يسكنه أن يعمره بالحضارات والاديان والاخلاق والمواهب العربية ، أو انسانا لا يحتقر او يشتم او يبغيض اول من يغزونه اي يغزون المريح ويسكنونه ويحولونه الى مصنع للحضارات وللقيم الانسانية ••

حذار ان تحدثوهم عن الصمت ان كنتم تؤملون ان يصنع منهم صمتهم انسانا

أكثر أو أكبر من عربي ٠٠ بل افرضوا عليهم الصمت ان استطعتم مهما كانت توقعاتكم لنتائج صمتهم ضالة وغبية وعربية التفكير ٠٠

سادسا :

وحشية همجية لم يجرؤ على فعلها اي انسان ولا اي كائن : ان يمنع اي انسان من ان يستفرغ او يقذف او يبصق او يطرح وينظف بدنه أو ذاته من فضلاتها وشحناتها الوديئة الوبيلة الكريهة . ان اي دين أو مذهب لم يجرؤ على ان يمنع أو يحرم استنقاع الابدان لفضلاتها ولشحناتها البيضية المهينة لكبرياء الانسان . انه لم يحدث ان كائنا ما منع من ان يفعل ذلك تحت أي تفسير من التفسير ان اي آله من آلهة التاريخ البدوية لم يحدث ان وضع في قائمة عباداته وطلباته وشهواته هذا المنع من هذا القذف . لقد كان هذا المنع بعيدا عن خيال جميع آلهة التاريخ التي كانت تحتشد في خيالها كل المطالب والشهوات والتشريعات والوامر البعيدة عن كل مستويات النظافة أو الشهامة أو الكرامة أو الذكاء أو العدل أو الجمال أو المحاسبة للنفس . شيء لم تجرؤ جميع وقاحات آلهة التاريخ على ان تطالب به أو تمناه ٠٠ هل يمكن تصور ما فيه من تفوق على جميع الوقاحات والقباحات والذنوب ؟

ولكن ليس تحريم أو منع التصويت اسلوبا اخر من اساليب تحريم أو منع هذا القذف ، قذف الذات لفضلاتها وشحناتها الكريهة الوبيلة ؟
اليسا قذفين ذاتيين جاءا باسلوبين مختلفين ولكن بمنطق واحد وحافز واحد ليصنعا نتيجة واحدة ؟

أليس منع أو تحريم التصويت اسلوبا من اساليب تحريم ومنع الانفعالات ؟
اليس المصوت كائنا يستفرغ أو يقذف انفعالاته ؟ اليس يقذف بفضلاته النفسية ، مثلما يقذف بدنه بفضلاته الاخرى ؟ اليس النبي أو الزعيم حينما يصرخ شاتما أو مهددا انما يقذف بفضلات وشحنات ذاته الاليمة - يقذف بها من فمه من فوق المنبر وفوق سجد التاريخ وفوق الرؤوس ؟ اليست الفضلات النفسية أو الانفعالية تتكون وتتجمع ثم تحتاج الى القذف مثلما تتكون وتتجمع الفضلات البدنية ومثلما تحتاج الى القذف ؟ اليست ذات الانسان حشدا هائلا أو تركيبية هائلة من المنافذ لتقذف وتبدد منها كل ألوان الفضلات التي تتكون وتتجمع وتتراحم فيها تسمى احيانا تعاليم ونبوات واحيانا اشياء اخرى ؟

كيف ، أو لماذا صنع الانسان لغاته ؟ لقد كان يشحن بالانفعالات من مواجهاته واصطداماته واحتياجاته وعجزه وتجاربه الباهظة المضادة والملائمة المختلفة . فكان

يحتاج الى التعبير عنها أي الى اطلاقها والتخلص منها . . كانت وسائله أو أساليبه لهذا الاطلاق والتخلص والتعبير مختلفة . كان من هذه الاساليب والوسائل السباب والغيبة والنميمة وكل ألوان الوقاحات والسفه والحركة والرقص والبكاء والاشارة والمبوس والابتسام والضحك . . ثم كان منها التصوير . كان التصوير بكل انواعه اسلوبا من اساليب الاستفراغ والبصق والقذف للشحنات النفسية الانفعالية .

ثم ذهب التصوير يتطور ويتطور حتى أصبح كلاما ولغات . .
 لقد كان طور التصوير طريقا الى طور الكلام لا سببا أو خالقا له أو ملزما به . .
 ان الكلام واللغات ليست الا تطورا أو تحولا عن التصوير أو الاصوات ، أي ليست الا انتقالا من هذا الى هذا أي ليست الا عملية تجاوز وتفوق . .
 وان الاصوات ليست الا تطورا أو تحولا عن الانفعالات ، وان الانفعالات ليست الا تطورا أو تحولا عن التصادم والتعامل مع النفس ومع الاشياء والظروف ، وعن المواجهة لها بالرغبة أو الرهبة ، بالعتاء أو النع ، بالتوافق أو التنافر . ولكن ذلك كله ليس الا تعبيرا عن طور الذات التكويني . ان هذه السلسلة المتلاحقة لم يكن ممكنا حدوثها لو لم يكن طور الذات يفرض عليها ذلك ويجعلها قادرة عليه بالتكوين المحتصوم .

لقد جاء الانسان متكلما أو أصبح متكلما دون ان يقصد هذا أو يدبر أو يخطط له ، بل دون ان يعلم انه سوف يصبح كذلك . . لقد جاء كذلك أو أصبح كذلك كما جاء أو كما أصبح مصوتا ، وكما جاء أو أصبح منفعلا ومشحونا بالانفعالات وكما جاء أو أصبح متعاملا ومتصادما ومتناقضا ومتوافقا ومتواجها مع نفسه ومع ظروفه ومع ما حوله بل ومع كل شيء . . لقد جاء متكلما دون الكائنات الاخرى بالتحول الذاتي الذي لم يكن مقصودا أو مدبرا أو معروفا قبل حدوثه . لقد تفوق على غيره بلا عبقرية . انه لم يجي ، أو يصبح كذلك بالارادة أو بالفكرة . كما ان الكون الذي يواجهه وبعايشه ، وكما ان نموذج وجوده أو ذاته لم يجيئا أو يصبحا كما جاء وكما أصبحا بارادته أو بفكرته . . نعم ، لقد جاء الانسان أو أصبح متكلما ومفكرا ومتحضرا بالنطق أو بالقانون الذي أصبح أو جاء به النهر نهرا والبحر بحرا والصخر صخرا والصحراء صحراء . .

اذن فالذين يحرمون على الانسان ان يتكلم انما يحرمون عليه ان يصوت ، والذين يحرمون عليه ان يصوت انما يحرمون عليه ان ينفعل ويشعر وأن تتجمع الانفعالات وتتصادم في نفسه وأن يستفرغ ويقذف هذه الفضلات من نفسه ، والذين يحرمون عليه ذلك انما يحرمون عليه ان يواجه ويتعامل ويرى ويتصادم وان يتوافق ويتنافر،

بل يحرمون عليه ان يكون ٠٠ والذين يحرمون عليه ذلك هم كالذين يحرمون على بدنه ان تتكون فيه الفضلات وان يقذف بهذه الفضلات ٠٠

اذن هل توجد وقاحة أو همجية أو بلاهة أو وحشية مثل تحريم التصويت مهما كان سخفه وسذاجته وبذاءته وتفاهته؟ بل هل يوجد قبح أو غباء لا يجوز تحريمه بل توجب ممارسته في كل الاديان والاخلاق والمذاهب ، مثل التصويت ؟

ان التصويت لا يقبل تحريمه لهذه الاسباب الا اذا قبل ان يحرم على البدن استقراغه أو قذفه لفضلاته الكريهة للاسباب الماثلة . أجل ، ان المصوتين من انبياء وزعماء وشعراء ومعلمين ووعاظ ليسوا الا كائنات تقذف بفضلاتها البدنية من أفواها على العقول والاخلاق والآذان .

حتى الكلام الذكي المفكر بل العبقري ، حتى مثل هذا الكلام انه في احيان وحالات كثيرة أو في أكثر الاحيان والحالات ، ليست حوافزه شيئاً أرقى أو أعظم أو أتقى من حوافز التصويت ، وهي الحاجة الى الاستفراغ والقذف ٠٠٠ ان كل المتكلمين المفكرين الاذكياء المحترمين جدا لا يقصدون في احيان وحالات كثيرة حينما يتكلمون ويفكرون ان يتكلموا أو يفكروا أو يصنعوا شيئاً ، وانما يقصدون ان يستقروا ويقذفوا انفسهم مثلما يفعل المصوتون حينما يصوتون، ومثلما تفعل الابدان المشحونة بالفضلات الاليمة حينما تلتقي بها ٠٠

ان هؤلاء حينما يتكلمون ويفكرون بكل الذكاء والحماس والزرعة والاهتمام لا يطمحون أو يقصدون أن يصوغوا الكون أو الآله صياغة جديدة ، أو أن يركبوا للآله آذاناً أو عيوناً أقوى واتقى لتتري وتسمع وتقرأ الصرخات والانات والضراعات والدموع والدمامات والعامات والاطفاء والآلام بضمير وتفكير يستفطمعان ويشفقان ويستحييان ويفهمان ويستجيبان ويحيان بأسلوب اكثر شهامة وعظمة وذكاء واحتراماً للذات . انهم لا يطعمون بل ولا يفكرون أو ينوون ان يضعوا في عيني الاله او في عيني الطبيعة مرآة نظيفة وصادقة ليريا بها ما في وجهيهما من وقاحة ونذالة وبلاهة ووحشية .

كما انهم أي هؤلاء المتكلمين المفكرين ، حينما يتكلمون ويفكرون لا يقصدون أن يعلموا اعضاءهم اخلاقاً أو وظائف جديدة أو منطقتاً جديدة ، أو أن يقتنعوا أي يقتنعوا اعضاءهم بأن نياتها واحتياجاتها ومجاعاتها واهتماماتها ومطامحها واشواقها هي اعظم واتقى نموذج ، لتدبير وتخطيط وارادة اعظم واتقى عبقريية ، يعرض ويمتدح بها نفسه اعظم واتقى آله ، يؤمن به ويصلي له ويتصوره اعظم واتقى واذكي من يؤمنون ويصلون ويتصورون ٠٠ أجل ، انهم لا يقصدون بذلك ان يحركوا

غيرة الآله لكي يتعلم منهم كيف يتكلم ويفكر ويصوغ منطقته وأخلاقه وفنونه ، وهو اي الآله لا يوجد مثله احتياجا الى أن يتعلم التفكير والمنطق والاخلاق والفنون والكلام . ان الكلام الذكي والجاد جدا وكذا التفكير في أحيان وحالات كثيرة أو في أكثر الاحيان والحالات ، لا يكون تدبيرا أو تخطيطا أو بحثا عن تحقيق شيء آخر الا بقدر ما يكون الانين أو الصراخ أو البكاء أو السباب أو الحقد والبغضاء والاعتياب أو الغناء أو مخاطبة النجوم والاطلال والذكريات والحب الذي قد مات ، أو يكون الاستفراغ والتذف باية فضلة من فضلات الجسم .

- نعم ، الا بقدر ما يكون كل ذلك أو شيء منه تدبيرا أو تخطيطا أو بحثا عن تحقيق شيء آخر . ان قيمة أي شيء لا تساوي قيمة حوافزه أو أسبابه أو نياته أو تفاسيره . ان الكلام أو التفكير بل أو الابداع والخلق الجيد لا يعني انه في تفاسيره أكثر أو أنبل من عملية استفراغ . . .

انه لا يوجد ولن يوجد من يستطيعون الامتناع عن الاستفراغ باللغة أو بالكلمة أو بالصوت ، كما لا يوجد ولن يوجد من يستطيعون الامتناع عن الاستفراغ بالأعضاء أو بالجسم أي بقذف فضلاته المختلفة والمتفاوتة البذأة والتجج والقيمة .

ان كل الناس مهما كانت مستوياتهم الثقافية والعقلية والانسانية لا بد أن يستفرغوا بالتصويت استفراغا شعوريا وعاطفيا . أما الاستفراغ العقلي أو الفكري وكذا الاستفراغ الاخلاقي والمذهبي والانساني فليس الا أقل الناس هم الذين لا بد ان يستفرغوا هذا النوع من الاستفراغ ، لانه ليس الا أقل الناس هم الذين يقاسون من معاشنة الفكر أو العقل أو الاخلاق أو من الالتزام بالمذهب أو بالقيم والمعاني الانسانية أو من التفكير فيها والفهم لها . . .

ان الاستفراغ الفكري والاخلاقي والمذهبي والانساني هو مستوى الانسان الاعلى وحده . أما الاستفراغ الشعوري أو النفسي فيستفرغه سائر البشر وسائر الكائنات المصوتة التي هي دون البشر . . .

وعلى امتداد التاريخ وتحت جميع خطواته كانت توجد مذاهب واديان وتعاليم وآلهة وانبياء وزعماء ومعلمون وطغاة يخافون ويحرمون ويعاقبون بكل العنف كل أساليب أو أكثر أساليب الاستفراغ بالكلمة وبالتفكير أي اذا لم يكن هذا الاستفراغ مثل اساليبهم في الاستفراغ أو بلغة اساليبهم ، أو اذا لم يكونوا هم الذين وضعوا صيغته الاستفراغية ، أو اذا لم يكن باسمهم ، أو اذا لم يكن أي الاستفراغ في أفكهم أو في محاربيهم وفوق منابرهم وفوق طريقتهم وثيابهم ووجوههم ، وعلى صفحات وحرروف كتبهم المقدسة . . . لقد كانوا يريدون ان يكون كل شيء حتى

الاستفراغ باسلوبهم هم وبلغتهم وبأمرهم وفوقهم وفوق ثيابهم ومنابرهم وباسمهم وهتافا لهم وتفسيرا لمجدهم . .

حتى الاستفراغ بالتصويت أي حين يستفرغه الكائن المصوت الذي لم يبلغ طور الكائن المتكلم - نعم ، حتى هذا الاستفراغ الصوتي كان يمنع ويحرم ويعاقب مع انه تصويت فقط يطلقه او يستفرغه او يستفرغ به كائن مصوت لا يستطيع ان يكون متكلماً أو مفكراً . ولكن صبغة هذا الاستفراغ بالصوت تجيء في صيغة الاستفراغ بالكلمة وبالفكر والفكرة . لهذا يحرم ويمنع ويعاقب بسبب الصيغة فقط . كان الاستفراغ بالتصويت يمنع ويعاقب ما لم يكن بأمر ولغة الانبياء والسلاطين والمتسلطين . حتى الاستفراغ الصوتي يوجد دائما من يشترطون عليه شروطا تقيده وتحكمه وتصوغه وتنفذه .

الپست الزعامات والقيادات والحكومات والنبوات والمذاهب والاديان والمواعظ العربية تحرم على الانسان العربي ان يفعل بحرية ما يسميه ويظنه كلاما وتفكيراً ؟ مع ان الانسان العربي في كل تاريخه وفي كل مستوياته لم يتحول الى متكلم أو الى مفكر . أنه قط لم يتكلم أو يفكر . أنه لم يتكلم أو يفكر الا بقدر ما كان أول من غزا القمر وبقدر ما سوف يكون أول غاز للمريخ .

الپست بذلك تحرم عليه ان يصوت اي ان يستفرغ انفعالاته بالتصويت ؟ اليس كل تحريم لاي كلام أو لاي تفكير يطلقه أي انسان عربي إنما هو تحريم للتصويت أو للاستفراغ بالصوت بحسبانه استفراغا بالكلمة أو بالتفكير لانه قد جاء بنفس الصيغة ؟ نعم ، صدقوا . ان الزعامات والنبوات والديانات العربية تحرم على الانسان العربي ان يستفرغ تفاهاته وآلامه بالتصويت لان تصويته يجيء بصيغة الكلام . .

كيف يمكن ان تفهم أو تفسر القيادات والزعامات والحكومات والثورات والنبوات العربية نفسها لو عرفت أنها حينما تحرم على أي انسان عربي أن يتكلم أو يعلم أو يفكر أو حتى ينقد أو يستنكر إنما تحرم عليه أن يصوت أي أن يقذف بفضلاته النفسية بالتصويت ؟ نعم ، كيف يمكن حينئذ أن تفهم أو تفسر أو تحترم نفسها هذه الزعامات والقيادات والثورات والحكومات والنبوات العربية لو أنها عرفت ذلك ؟ ان أية حكومة أو زعامة أو نبوة عربية لم تحرم في أي وقت على أي عربي أن يتكلم أو يفكر لانه لم يوجد قط عربي يفكر أو يتكلم وانما كانت تحرم التصويت بحجة تحريم الكلام والتفكير . .

انها حينما تحرم على الانسان العربي ان يتكلم أو يفكر أو حتى ينقد ويستنكر، أي حينما تحرم عليه ما يظن أو يزعم كلاماً أو تفكيراً أو نقداً أو استنكاراً أو رفضاً،

انما تفعل مثل من يحرم على الاعضاء أن تستفرغ فضلاتها الوبيلة ، ومثل من يحرم على الكائن الذي هو دون الانسان ان يصفق بجناحيه أو أن يلعن الارض ويعاقبها ضاربا لها بقدميه أو يلحق جراحه، أو يحرك ذيله، أو يراقص ابناؤه وآلامه ومسراته، أو أن يعوي أو ينعق أو ينعب أو ينهق أو يطن سرورا أو كآبة ، خوفا أو مرحا ، مصافحة ومسالمة أو مشاتمة ومدابرة . ان الكائنات التي هي دون الانسان حينما تفعل ذلك انما تستفرغ انفعالاتها . ان هذه هي لغتها حينما تتكلم أو تفكر أو تخاطب مشاتمة أو مخاصمة أو مصافحة .

ولكن كيف لم تعرف ، أي الزعامات والقيادات والحكومات والثورات والنبوات العربية ذلك ، أي انها حينما تحرم على الانسان العربي أن يفكر كأنما تحرم على الكائن دون الانسان ان يفكر بأسلوبه هو ؟ هل يستطيع اي مجدد للعرب ان يزعم أنهم يتكلمون أو يفكرون حين يتكلمون ويفكرون أكثر أو أعمق أو أصحق أو أذكى من أي طائر أو صرصار حين يئن أو يغني أو يغازل ويحاور أمثاله ومسراته واحزانه بلغاته المختلفة البلاغة والشاعرية والاسلوب ؟

هل يمكن ان تضل كل هذا الضلال فتذهب تحسب الانسان العربي حينما يتكلم أو يفكر أو ينقد أو يحاور ، أي حينما يبدو في صيغة من يفعل ذلك ، يعني أكثر أو أعمق أو أقوى أو أخطر مما يعنيه أي كائن دون الانسان ، حينما يعلن شكواه أو ألمه أو جوعه أو ضياعه أو تعب أو فرحه وحزنه أو حبه أو بغضه أو خوفه أو أمنه ، وراحته ، بالصوت أو بالحركة أو بالاهتزاز أو بأية صيغة من صيغ التعبير ؟ هل يمكن ان تعتقد ان تفكير الانسان العربي أعمق أو أكثر تفكيراً من غواء أو جوار أي كائن دون الإنسان ؟

هل ارادت ان تبالغ في تمجيد وتقويم الانسان العربي وفي تفسيرها وفهمها له حينما ذهبت تحاسبه وتعاقبه على ذلك أي على استفراغه الذي حسب وزعم كلاما وتفكيراً ونقدا ورفضاً ورؤية ؟ هل هابت ان تفهمه أو تتصوره كما هو فذهبت تعاقبه ظالمة له ليكون اكبر واعظم من نفسه ؟ هل رأت ان معاقبته تهبه مجدا أو تعلن له عن مجد وهي تريد أن تهبه هذا الجدد أو تعلن له عنه ؟

هل رأت أي الزعامات والقيادات والحكومات والثورات والنبوات العربية أن مما يهب الانسان العربي هذا الجدد أو مما يعلن له عن هذا الجدد أن يحسب استفراغه لتقاهاته أو لضياعه أو لعجزه وخوفه أو لهزائمه وتخلفه أو لآلامه واحزانه ومهانته وبلاداته - ان يحسب استفراغه لذلك بالتصويت كلاما وتفكيراً ونقدا ورفضاً وثورة

وتخطيطا رهيبا ، ثم أن يعاقب على هذا الحسبان ، لهذا نفذت هذا الحسبان ونفذت العقاب عليه لتصنع وتهب له هذا المجد أو لتعلن له عنه ؟

هل رأيت أن فهم الانسان العربي وتفسيره كما هو يتحولان الى تحقيق وتهوين لا مثيل لهما فكذبت له شهامة وحبا ؟

هل هذه المعاقبة التي لا مثيل لوقاحتها ووحشيتها والتي ظل الاقوياء والطغاة العرب في كل التاريخ العربي ولا يزالون حتى اليوم يوقعونها على الانسان العربي عقابا وزجرا له على استفراغه لفضلاته النفسية البذيئة على استفراغه لها بالاصوات المزعومة كلاما وتفكيريا ونقدا وثورة مخيفة .

نعم هل هذه المعاقبة التي يمارسها بهذا الاسلوب الوحشي الاقوياء والطفافة العرب هي مستوى نبيل وشهامة وحب بلا مثيل او شبيهه ؟

الليست القسوة في العقاب أو في المحاسبة والرؤية والتفسير أفضل من القسوة في التحقير ؟ ألا يكون من التمجيد للصغير أو من محاولة التمجيد له أو من العطف عليه أن يعاقب بعقاب لا يعاقب به إلا الكبير ، لحسابه أي لحسبان الصغير كبيرا أو للاقناع بأنه كبير ؟ ألا يمكن أن يكون هذا رأيا وسلوكا معقولا وجيدا ؟ ليس أقسى أساليب التحقير لأي إنسان ألا يكون مستحقا لأي عقاب أو مؤاخذة وألا يكون مخيفا أو تهديدا ؟

ألا يحتمل أن يصبح العقاب غير المستحق تحت ظروف ونيات معينة نوعا جيدا من المحاباة لمن عوقب هذا العقاب الذي لا يستحقه ؟

ليس عدوك الذي يعاقبك لانه يخافك أكثر تمجيديا لك من عدوك الذي يضطك داخل جلده تهوينا واستهانة بك ؟

لقد ظلت جميع الزعامات والنبوات والحكومات والاديان والتعاليم العربية تعاقب الانسان العربي بكل الوحشية والهمجية لتضعه من أن يستفرغ بالصراخ شحناته النفسية الرديئة التي من التقوى والنظافة والرحمة والضرورة ان يستفرغها زاعمة انه بهذا الاستفراغ الصوتي الفارغ المفرغ ، أنما يتكلم ويفكر ويدير ويخطط ليكون خطرا وهولا ودمارا ونكرا . أليس محتوما ألا تحاسبه أو تعاقبه على أي قول يقول لو أنها فهمته ولم ترد تمجيده وتكبيره ؟

نعم ، لقد ظلت في كل التاريخ ولا تزال تفعل ذلك بكل الوحشية والهمجية . . . فهل كانت تمجده وتحابيه وتعطف عليه وتضع له صيغة أكبر من صيغته أم كانت تظلمه وتحقره وتوقع به ؟

أو لعلها ظلت تفعل ذلك لأنها لم تكن تعرف أن التصويت شيء أقل من الكلام

والتفكير ، لهذا لم تكن تعرف أن الانسان العربي مصوت وليس متكلم ولا مفكرا . ولكن الزعم أو الافتراض أو التظاهر بأن الانسان العربي قد يتكلم ويفكر ويخطط ويرفض ويستنكر ويصبح شيئا خطيرا مخيفا يتداوى منه بالعقاب القاسي اليس محتوما أن يتحول أي هذا الزعم أو الافتراض أو التظاهر الى هجاء لمن يفعله ولمن يفعل له ومن أجله وبه ؟

أي اليس محتوما أن يتحول الى هجاء لكل العرب قادة وحماهير ، دون أن يتحول الى مجد أو الى افتناع أو خداع بمجد أريد الافتناع أو الخداع به ؟

كيف يمكن التصور بأنه يمكن افتناع أحد أو خداعه بأن الانسان العربي قد يكون متكلماً أو مفكراً مخيفاً بتفكيره ؟ ان الامل بأن يخدع الآخرون بالانسان العربي لمجد يصعب ادعاؤه فكيف الامل في امتلاكه ؟ ان الماساة أن أحدا هنا لن يخدع ، بل لن يستطيع أن يخدع حتى ولو تحول الانخداع في حسابه واقتناعه السي شهامة أو بطولة أو الى تقوى اخلاقية وفكرية وانسانية . حتى ولو كانت جميع نبواته ومذاهبه واديانه وجميع شعاراته وتعاليمه الوطنية والقومية تفرض عليه ان يكون مخدوعا هنا . . .

الا يصبح الانخداع أحيانا مطلبا صعبا وحاجة لا يستطيع امتلاكها كالانخداع بأن الانسان العربي قد يتكلم أو يفكر ؟

الانسان العربي ، مهما كانت قيمته أو مكانته أو ثقافته أو عبقريته ، حينما يفعل ما يسميه ويزعمه كلاما وتفكيراً بل ثورة فكرية بل ابداعاً حضارياً وانسانياً وعالياً ، لن يمكن أن يفهم أو يفسر بأعمق أو أدكى أو أقوى مما يمكن أن يفسر أو أن يفهم به الكائن الذي هو دون الانسان حينما يصفق بجناحيه أو يقدميه أو بخيله ، وحينما يعرض شفتيه واسنانه ويلتصق جلده وشعره ، أو حينما يشاتم وينابح جيرانه واخوانه واعداءه واصدقائه وكل من حوله ، أو حينما يخاطب ويعاتب الآلهة واحزانه وهوانه وعجزه واستعباده وبلادته وثقافته ، بالأنين والصهيل والزئير والجئير والثغاء والرغاء . ان أي انسان متحضر لن يتصور في تصويت أي عربي ، أي نبي أو زعيم أو حاكم أو مفكر أو شاعر عربي من المنطق أو التفكير أو التدبير أو الرؤية للواقع والالتزام به اكثر أو أدكى مما في نقيق أو نعيب أي طائر أو حشرة .

نعم ، ان في تصويت الانسان العربي لافتنصاحا وهجاء شاملين ، وان في صمته لاستتارا ووقارا وراحة وتمجيذا ومحاباة لذكاء ووقار وضمائر واخلاق وأذان من قد يسمونه . ان الاعتداء على الآخرين يكون على آذانهم وعيونهم وعقولهم

وقارهم بالبلادة والدمامة والسفه والسخف كما يكون على اجسامهم بالسلاج وبالأيدي وبكل الادوات الاخرى . .

ولكن ، أخلاقيا وانسانيا وموضوعيا وطبيعيا ، لا يجوز ولا يستطاع منعه من التصويت أو معاقبته عليه ، أي لا يجوز ولا يستطاع منعه من هذا الافتتاح الشامل ، ومن هذا الهجاء لنفسه بهذا الاسلوب العالمي ، ومن هذا العدوان على الآخرين باسمهم كل هذه النماذج ، باللقاء بكل هذه النماذج من البلادات والبذات والسخافات نسي أذانهم وضمايرهم وعقولهم .

ليس قذف الاعضاء لفضلاتها البنيئة شيئا مؤذيا وريثا ومهينا ؟ ولكن هل يجوز أو يستطاع منعها من ان تلقي بهذه الفضلات بأساليبها الوحشية الفاضحة ؟ إن الحكم على البشر بأعضائهم ووظائفها وفضلاتها وبكل اساليب الاستفراغ والقذف فيها الحكم عليهم بالا يكونوا طهارة أو نظافة أو عطورا أو مجدا جسميا أو نفسيا أو فكريا أو تكوينيا .

ان مجيء الانسان العربي اي مجيئه في الطور الذي جاء فيه يفرض حتما تقبله مصوتا ، وتقبله مصوتا يفرض حتما تقبله مستقرا لتفاهاته وبلاداته وشتائمته واحقاده وبدائاته ولكل ضعفه وفضائحه ، فوق كل الآذان والضمائر والاخلاق ، وفوق كل المذاهب والنظم والكتب المقدسة وغير المقدسة ، وفوق كل المنابر واللغات والمؤتمرات ، وفوق كل الصداقات والعداوات والعلاقات . . كل العزاء والاسى لكل منبر أو اذن أو خلق أو ضمير أو مذهب أو لغة أو قلم أو مؤتمر أو احتفال يستفرغ عليه الانسان العربي كل ما في جوفه . .

كما ان تقبل الحياة يفرض حتما تقبل الأجسام والاعضاء ، وتقبل الأجسام والاعضاء يفرض حتما تقبل اخلاقها ووظائفها ، وتقبل اخلاقها ووظائفها يفرض حتما تقبل اختزانها للفضلات الرديئة الكريهة واصابتها بالآلام والمجاعات والآفات ، وتقبل ذلك يفرض حتما تقبل استفراغها لفضلاتها ولعاهاتها وآفاتها بأساليبها الوحشية الفاضحة . لقد فرض على البشر أن يكونوا كائنات مستفرغة يعقولها واخلاقها وعواطفها ولغاتها وباعضائها واجسامها ، مستفرغة لاردا واقدر واقبح واوقع ما في هذا الكون مما يذل ويهين ويشوه ويحقر . .

اذن تجلد ايها العالم ، وكن شهما في تقبلك للانسان العربي مصوتا ، في تقبلك له مستقرا عليك كل مستوياته الضعيفة والرديئة ، مطلقا لها عليك باصواته ، حينما يذهب يحسبها اي يحسب اصواته ويزعمها كلاما وتفكيريا بل وعبقرية فكرية لا بد ان تصوغ العالم كل صياغاته العبقرية المرجوة المنتظرة التمتنا . انك تتقبل كل

ذلك بل وتغفره وتسعد به احيانا من الكائنات التي ليست لها صيغة الانسان فكيف
اذن لا تتقبله بل وتستقبله ممن لهم صيغة الانسان ؟

نعم ، تقبل ايها العالم من الانسان العربي ان يستفرغ كل فضلاته وبذائه
النفسية مصوتا بها عليك وعلى نفسه وعلى كل شيء ، بالمنطق وبالتسامح للذين
تقبلت بهما من اعضائه واعضائك ومن كل الاعضاء كل شحناتها التي تقبلت ان
تستفرغها على وجوه وكرامات وكبرياء كل الاشياء ، على كل كتبك المقدسة وكل
اديانك ونظمتك ومذاهبك ، وكل طهارتك وتقواك ومعابدك . . التي تقبلت ان
تستفرغها على كل عيونك ووجوهك وحبك وجمالك .

اجل ، انه لا يجوز ولا يستطاع ، اخلاقيا وانسانيا وموضوعيا وطبيعيا ، ان
يمنع الانسان العربي من ان يصوت مهما كانت آثام ووقاحات وتقاهات تصويته .
ولكن يحوز بل يجب اخضاع تصويته للاساليب التهذيبية التي لا بد ان يخضع لها
كل شيء يستطاع اخضاعه لهذه الاساليب . انه لا شيء يحتاج الى الاخضاع
للاساليب التهذيبية دون اي اخضاع مثل التصويت العربي المزوم كلاما وتفكيريا
وابداعا .

ان استفراغ اعضائه وكل الاعضاء مخضع لاساليب وصيغ اريد لها وبها ان تكون
مؤدبة ، او ان تكون اقل سوءا وقبحا وايداء واهانة لعيني الشمس ولكبرياء الاله
ولاعجاب الانسان بنفسه وباربابه وانبيائه وزعمائه وابائه وبعبرية تكوينه الذاتي . .
هل يوجد ما يهين ويهجو عبقرية التكوين وكبرياءه ومجده مثل استفراغ الاعضاء ، مثل
كل اساليبها الاستفراغية ، بكل انواع ما تستفرغ ؟

اذن فاستفراغ فضلاته النفسية الوبيلة بالتصويت يجب ان يخضع مثل هذا
الاخضاع الذي فرض على استفراغ اعضائه . ليست كل عبقریات الانسان وتعاليمه
وآماله موجبة ومرادا بها اخضاع ما كان وما سوف يكون وما لا بد ان يكون وما يراد
له ان يكون - اخضاعه لاساليب معينة ، مختارة ومرادة ، مهذبة أو مظنونة كذلك ؟

بل انه لمن اساليب مناصرة الاخلاق وايجاد الاسباب والظروف التي قد جعلها
اقبل قبحا ان يؤذن للانسان العربي بأن يصوت بل ان يحرض على التصويت ويدعى
اليه والى الاكثار منه . ان ذلك يعني تحريضه على ان يطرح احقاده وعداواته
ويغضاه ونفاهاته ومزائمه ومجاعاته وأشوائه الى ايقاع الاهوال والالام والهجوم
والهزائم بالآخرين ، خارج نفسه . ليس الذي يشتم أو يسهف أو يذم بأساليب
متوحشة عدوانية هو انسانا يتخلص ويتداوى ويتنظف من شروره وعداواته ؟

أليس هذا يشبه تفريع الاسلحة وجميع اجهزة التدمير والقتل من ذخيرتها العبثية الرهيبة؟ أليس اسلوبا من اساليب تطهر النفس والاخلاق والذات من الخبث والبغضاء والاحقاد والعداوات المحتبسة المحتشدة المتوثبة داخل الذات ؟

أليس يشبه تطهير البيوت وجميع الاماكن المسكونة والمطروقة من الجراثيم والحشرات ومن جميع الكائنات القتالة والمرضة والمؤذية ، واللقاء بها بعيدا لتموت أو قتلها أو تفريغها من قدرتها على القتل أو على الايذاء والتخريب ؟

اجل ، أليست النفوس بيوتا تتخلق وتحتشد فيها أوقح وخطر الجراثيم والحشرات ، وتحتاج الى التفريغ والتنظيف ؟ أليس ذلك يشبه تطهير الاعضاء من احتشاد الامراض والآفات والعايات والادران والانتساخ وكل انواع التقيح فيها واللقاء بها في الفضاء البعيد ؟ أليس يشبه غسل الثياب والجدد والقلب والضمير ؟ أليس التصويت الوقح البليد هو أحد العقاقير الهمجية التي يتداوى بها الهمج والاطفال والنساء وجميع انواع المتخلفين والعاجزين وغيرهم احيانا من ذنوبهم وعجزهم وحيرتهم وآلامهم وعداوتهم واحزانهم النفسية والاخلاقية والتاريخية بل والدينية والمذهبية ؟ ان هذا التصويت هو أجود العقاقير للنبوات والقيادات العربية ..

كيف لو فرض ونفذ على نفس الانسان العربي ان تحتزن كل أنواع القبح الاخلاقي والتاريخي والتعليمي والديني والنفسي ، بكل بغضه وحقه وعدوانيته وتعصبه ، وبكل ما فيه من موهبة العبادة للذات ، ومن شهوة التعذيب والتحقير للآخرين ، لكل الآخرين ، دون ان تستطيع أي نفس الانسان العربي ان تستفرغ اي قدر من قبحها هذا بأي اسلوب من اساليب الاستفراغ ، بالتصويت أو بأي اسلوب آخر ؟ أليست نفس الانسان العربي هي أوسع واعظم مكان في هذا الكون تحتشد فيه انواع القبح الاخلاقي والتعليمي والديني والتاريخي والنفسي والقومي ؟ أليس قبحها حينئذ لا بد أن يكون أشد ايذاء وعدوانا وقبحا وتوقحا وجنوننا واحتشادا وتوثبا ، أي لو منع من الاستفراغ بكل اساليبه حتى الصوتية ؟

اذن أليس تصويت الانسان الصوت أو الكائن الصوت تبديدا لدمامات ونذالات ووقاحات وهموم يجب تبديدها ، واللقاء بها بعيدا خارج النفس ؟ أليس ذلك اذن تقوى نفسية ودينية ومذهبية بل وتقوى وطنية وقومية ؟ ثم أليس السماح بذلك تقوى واخلاقا حضارية وانسانية ؟

انه اي تصويت الكائن الصوت ليس تبديدا لجمال أو لمحبة أو لعبقرية أو لشهامة أو لقوة أو لسرات أو لأي شيء نفيس . ان الاشياء الجيدة والنفيسة والجميلة والقوية والنظيفة لا تستفرغ من النفس ولكن النفس تتعامل بها مع الاشياء

ومع ما حولها .. ان التصويت ليس اخذا من النفس ولكنه تخليص لها ..
انه اسلوب من اساليب الاغتسال من الداخل لكي يتحول الى تلويث للأفواه
والآذان والعيون والوجوه والثياب والجلود بل وللمنابر والمحاريب والمعابد والآلهة
والانبياء والاديان والكتب المقدسة لانه باسمها .
لعل اي وحش أو اي حيوان آخر لا بد أن يكون اكثر نذالة وحقدا وبغضا وعداوة
ووحشية وعذابا لو انه منع من ان يزار أو يعوي أو يتأوه أو يتوعد أو يبارز ويقاثل
بالزئير والجئير ، اي بالاسلوب الذي به يزار ويعوي ويتأوه ويتوعد ويقاثل ويبارز
الانسان العربي ..

ان عواء الوحش أو اي حيوان آخر لا يضعف قوته ولكنه يفرغ أو يبسدد من
وحشيته وحيوانيته . ان عواء الحيوان أو طنين أبة حشرة يساوي في تفاسيره
النفسية والاستفراغية ان يصرخ الانسان مصليا لآلهته أو شاتما أو مهددا أو متوقحا
أو مفاخرا ..

اجل ، ان الاعضاء ، اعضاء اي كائن حي لا تستفرغ الاشياء الجيدة والنافعة
والصحيحة والقوية والطبيعية ، وانما تستفرغ الاشياء الرديئة والضارة والمريضة
والشاذة والضعيفة والمستقدرة والمصابة بالتعفن والتقيح . انها لا تستفرغ دماءها
الحية القوية ولكنها تستفرغ فضلاتها المؤذية الكريهة ، بالاساليب والحوافز التي
يستفرغ بها الانسان العربي نبواته وتعاليمه وفنونه وافكاره وكتبه المقدسة . انها
فضلات يستفرغها زاعما انها قداسات وعبقریات .

وابضا فان العقول والضمائر والاخلاق لا تستفرغ ذكاءها أو صفاءها أو جمالها
أو حبها أو جودتها بل تتعامل وتحيا وتبدع وتستقبل بكل ذلك ، وانما تستفرغ
غباها وغفها وخبثها ودماستها ورداءتها واحقادها وبغضاءها ..

نعم ، ان اي انسان او اي كائن آخر لن يستفرغ ذكاه أو حبه أو طهارته أو
جماله باسلوب أو بنية التخلص منه كما يفعل بغبائه واحقاده وبغضائه وخبثه
ودماسته وانما يحوله اي حبه وذكاه وطهارته وجماله الى حياة وتعامل مسعد مريح
نافع محسوب .. اذن فالانسان العربي حين يصوت لا يستفرغ عبقریات وقيما
انسانية لتتحول الى ضياع بل ويستفرغ فضلات قبيحة ..

سابعاً :

ولكن ما الصحيح أو الحق في هذه القضية ؟ هل الناس ينقسمون الى مصوتين
والي متكلمين ، والمتكلمون هم اولئك الموجودون هناك ، والمصوتون هم هؤلاء

الموجودون هنا ، واولئك المتكلمون لا يكونون الا متكلمين كما ان المصوتين لا يكونون الا مصوتين ، بل كما ان الالباء والامهات البيض لا يلدون الا لونهم وكما ان السود لا يلدون الا نفس اللون ، بل كما ان من يمشون على اربع لن يلدوا من يمشون على اثنتين الا بقدر ما يلد من يمشون على اثنتين من يمشون على اربع ؟

هل هذا هو الصحيح أو الحق أو المراد؟ هل الانسان هو انسان دائم أو في كل شيء؟ نعم ، الحيوان هو حيوان دائم أو في كل شيء ما دام في طور الحيوان . ولكن هل الانسان انسان في جميع ممارساته ونياته ؟

لعل الصحيح ان جميع الناس مصوتون ولا يستطيعون ان يكونوا الا مصوتين بالارادة أو بالطاقة أو بهما معا بالفدر الذي لا يستطيعون به ان يكونوا دائما مستويات وتعديرات ونيات واخلاقا انسانية . ان اعظم انسان لا يستطيع ان يظل دائما مستوى انسان .

ثم بعد تقرير ومعرفة هذه الحقيقة البشرية العالمية الشاملة لا بد أن يستثنى منها افراد قليلون ، قليلون جدا . وهؤلاء الافراد القليلون الذين يعدون شذوذا وخرقا للقانون المطلق ، بل يعدون اتهاما لقانونية التناسل بل اتهاما للالتزام الطبيعية بقوانينها أو بأليتها ، بل اتهاما لكون الطبيعة محكومة بقوانين أو بألية يمكن فهمها وضبطها واستمرارها والثقة بها ، - نعم ، هؤلاء لا يوجدون في كل المجتمعات أو في كل الشعوب ، بل في القليل منها . وهل يوجدون في كل التاريخ؟ وهم ايضا ليسوا في كل حالاتهم متكلمين بل انهم في كثير من حالاتهم أو في اكثرها ليسوا الا مصوتين . ان التكلم ليس دائما متكلما بل لا بد أن يكون في كثير من حالاته أو في اكثرها مصوتا . أما الصوت فانه لا يكون الا مصوتا ، لا يكون متكلما . ان القادر على الصعود لا يكون دائما صاعدا . اما العاجز عن الصعود فانه لا يكون الا هابطا . ان القوي القادر قد يضرب بضعف وقد يمتنع عن الضرب . ولكن الضعيف العاجز لن يضرب بقوة في اي وقت او موقف لأنه لا يستطيع .

ان المجتمعات والشعوب التي تلد هؤلاء القليلين المتكلمين لهي بين الشعوب والمجتمعات الاخرى لقليلة كقلة الشعوب والمجتمعات التي تهب الحياة والحضارة قفزاتها واشواطها الجديدة المتخطية لما كان والدائمة في تخطيها وفي تفجراتها المبدعة المغيرة . . .

وهي ايضا اي هذه المجتمعات والشعوب الواهبة لا تهبهم اي لا تهب هؤلاء المتكلمين القليلين الا بتقتير ، كأنها تخاف على حياتها من حبلاهم بهم وولادتها لهم باكثر مما تفعل ، أو كأنها تخاف من حبلاهم بهم ان تعجز عن ولادتهم أو عن ارضاعهم ،

أو عن حضانتهم وتربيتهم ، أو عن تحملهم واستقبالهم ، أو عن التفاهم معهم والتكلم بلغتهم - أو كأنها تخشى من حبلاها بهم ومن ولادتها لهم أن يمتصوا منها كل طاقات الحياة فيها لقوة حياتهم - أو كأنها تخشى عليهم إذا جاءوا. ألا يجدوا بين ملايين قطعانها سكنا أو ماوى أو مكانا أو ترحيبا ، أو تخشى عليهم أن يصدموها حينما يواجهون ويعاملون جماهير الشعوب والمجتمعات التي يجيئون فيها واليها ، وحينما يفرض عليهم التعامل والتخاطب والتفاهم مع مستويات هذه الجماهير . . .

ليس تعذيبا رهيبا للكائن المتكلم المفكر ان يفرض عليه التعامل والتخاطب والكينونة الدائمة مع البشر المصوتين ؟

أو كأنها تخشى على حياتهم حينما يجيئون اليها ليطلبوها بأن تحلق معهم الى سمواتهم ، وان تطير معهم فوق أجنحتهم بالسرعة والقوة والمسافات التي تستطيعها اجنحتهم ، وبان تعيش وتغامر وتقتحم معهم كل مغامراتهم واطارهم واقتحاماتهم ، وكل تحدياتهم وزنقاتهم ، وكل آلامهم ونشواتهم . . ليس المتفوق بين المتخلفين يواجه أحيانا من الخطر أكثر مما يواجه أي كائن بين اعدائه وأي ظالم بين مظلوميه ؟

أو كأنها كانت تحابى وتناقض نفسها وضعفها ، لانها كانت تعلم ان هؤلاء المتفوقين ، اذا جاءوا ، لا بد ان يتحولوا الى هجاء وتحقير بل والى تعذيب وهزيمة لجميع مستوياتها ومقدساتها ، ولجميع آباتها وأربابها وانبيائها وأديانها ومحاربيها ومنابرها ، ولكل مفاخراتها وطموحها وآمالها واستقرارها واسترخائها . ليس مجيء المتفوقين الاقلين التمرديين المحاسبين المحاكمين للاشياء اسقاطا لمجد الارباب والآباء والانبياء وكل المقدسات في حساب الجماهير وكهانهم ؟ أليست معجزة أي آله أو نبي أو دين في أي مجتمع تساوي فقط فقدان المتفوقين في ذلك المجتمع ؟

أو كأنها أي هذه المجتمعات والشعوب ، في تقديرها حين تحبل بهؤلاء المتفوقين وحين تلدهم ، كانت تخشى ان تهين أو تحقر أغلب الشعوب والمجتمعات التي لا تستطيع ان تحبل بهم أو تلدهم أو تخلقهم أو حتى تستولدهم أو تستوردهم أو تتمنأهم أو حتى تتصورهم أو تنتظر مجيئهم ، أو كانت تخشى أن تصنع وتحرض وتطلق غيرة وحسد هذه المجتمعات والشعوب ، أي لو أنها جاءت سخية في ولادتها لهم أي لهؤلاء القليلين المتكلمين المتفوقين ، ولم تجيء مقتررة كل هذا التقدير الذي تقتره . . لعل هذه المجتمعات قد فترت في خلقها للمتفوق مجاملة ورتاء للمجتمعات التي لا تخلق إلا التخلف . لعلها فعلت ذلك رحمة وأدبا . .

لوقِست العبقريّة بعدلٍ لما قامت آية حضارة

نعم ، لعل أحد هذه التفاسير هو التفسير الذي جعل الشعوب أو المجتمعات التي تلد هؤلاء المتفوقين وكل أنواع المتفوقين ، لا تلدهم الا بتقثير مثير . أو لعل كل هذه التفاسير هي التفسير لذلك . .

والمجتمعات التي تهب المتفوقين تقاسي دائما من التزامات نفسية وانسانية لا تقاسيها المجتمعات الاخرى .

ويوجد تفسير آخر مثير لظاهرة هذا التقثير في ولادة المتفوقين . . لعل المجتمعات التي تلد هؤلاء رات بزكاء مقصود ومدبر أو غير مقصود أو مدبر ، أنها في كل فترة من فترات كينونتها تملك مقادير معينة أو محتملة أو مستطاعة من العبقرية ، ثم رات بزكاء آخر أنها لو قسمت هذه المقادير من العبقرية على جميع آحادها أو على عدد اكبر من الذين اختارتهم لكانت النتيجة فاجعة . اذ ان هذه المقادير من العبقرية الموزعة على اعداد اكبر لابد ان تتبدد وتضيع وتفقد قدرتها وطاقة عضلاتها في صحارى وفراغ فوات الاعداد الكبيرة ، في خمولهم وتبلدهم وتفاهاتهم وضياعهم اليس العبقرية والتفوق عملية تجميع أو تركيز أو تكثيف أو احتشاد في ذات واحدة ؟

ليس كل شيء يتبدد ويضيع بتقسيمه أو توزيعه بأسلوب أوسع من الملائم والمحتمل ؟ حتى العبقرية والذكاء ، اليسا يتبددان ويتلاشيان لو وزعا بلا حساب ، أي لو وزعت عبقرية أو ذكاء انسان واحد على اعداد كبيرة من الاغبياء والتافهين او من العاديين ؟ اليس العبقري انسانا كأنما تجمعت فيه او انتقلت اليه او وهب معاني او مواهب اعداد كثيرة من أمثاله لكي يكون شيئا ضخما ؟

اليس محتوما أن يفقد حينئذ هذا الانسان عبقريته وذكاءه دون ان يصبح الآخرون الذين توزع عليهم انكباء أو عباقرة أي لو أن عبقريته وذكاءه وزعا على اعداد كبيرة من الاغبياء والتافهين أو حتى من الناس العاديين ؟

هذا الوجه الجميل الذي يصيد بجماله قلوب النجوم ، ويفسق بضمائر الازهار ويفسد العلاقات بين أي نبي ونبوته ، وبينه وبين كتابه المنزل ، ويعلم عيون الملائكة النظر الى الارض أكثر من النظر الى السماء ، ورؤية جمالها أي جمال الارض أبهى واقوى واطفى من جمال السماء ، من جال آلهة السماء ، ويهبها أي يهب الملائكة الرغبة في السكن تحت الارض أكثر واقوى من رغبتها في السكن فوق السماء مجاورة للآله .

– نعم ، هذا الوجه لو قسم جماله على وجوه كثيرة أليس محتوما ان تاكله هذه الوجوه الكثيرة وان يضيع جماله في آفاق دمامات وتشوهات وأخطاء هذه الوجوه الكثيرة ان دمامات وتشوهات وأخطاء هذه الوجوه الكثيرة لقادرة ان تسحب كل جمال وشهامة من كل وجوه كل الاشياء ومن وجه الآله وضميره فكيف بهذا الوجه الواحد ؟

أليس محتوما ان يضيع جمال هذا الوجه دون ان يثبت أي جمال في الوجوه التي قسم عليها ومات فيها ؟ أليس احتمالا أن جمال هذا الوجه قد تعمد التجمع ليكون مرثيا وصاعقا لانه علم انه لو تفرق في وجوه كثيرة لما رآه احد بل لما وجد لضياعه وتبدده في صحارى تلك الوجوه العديدة الأخرى ؟

وهذه الشمعة التي نقرأ على ضوئها أكاذيب ونقاهاات وبلادات واحزان وآلام واحقاد وخصومات آلهتنا وانبيائنا وآبائنا وسلاطيننا وخلفائنا وابطالنا ، والتي نكتب تحت ضوئها المهان ما لا نعرف أو نريد أو نحترم أو نجد ، خوفا أو بلاهة – نعم ، هذه الشمعة لو قسم ضوؤها على شموع كثيرة ، أليس محتوما حينئذ

الا نستطيع لا نحن ولا غيرنا قراءة أي شيء عليها ولا على غيرها من الشموع التي تقسمت عليها ، ولا كتابة أي شيء تحت ضوئها المعتدى عليه ؟ مسكينة هي الشموع القديمة والاضواء الحديثة . كم اعتدى عليها وحقرت بالقراءة والكتابة تحت انينها المهان المفجوع ؟

اجل ، لعل هذه المجتمعات أو الشعوب قد رأت وعرفت هذه الحقيقة بذكاء قد يكون غير مدبر وغير مقصود ، فاضطرت مكرهة الى ان تخرج على المعدل والضمير بتجميعها كل ما لديها من مقادير العبقرية في آحاد قليلين جدا ، لكي تكون عبقريتهم قوية خالقة واهبة حتى لمن حرموها منها أو لمن أخذ منهم نصيبهم من هذه العبقرية المجمعة بأسلوب ومنطق الحباية ..

أليس هذا التجميع أفضل وانفع حتى لمن سلبوا حقهم في العبقرية من التوزيع والتقسيم الذي لا بد ان يتحول الى تبييد أو تبدد لا بد ان يتحول الى ضياع ؟

نعم ، ليس تجميع العبقرية أفضل من توزيعها وأنفع حتى لن حرموا منها بل حتى لمن سلبوا حقهم فيها ليحاسبى به أي بحقهم في العبقرية لتتجمع أي العبقرية في أفراد قليلين ؟

ماذا لو كان البشر يختارون كينونتهم أو صيغة كينونتهم أي مع افتراضهم عقلاء وحكماء ومريدين الخير والتقدم والحضارة والرخاء للجميع بلا حقد أعمى قتال ؟
 ليس محتوما حينئذ أن يختاروا تجمع المقادير المقسومة لهم من العبقرية والتفوق في أفراد قليلين ليكونوا خلاقين وهايين ومغيرين إلى الأفضل والاقوى والانفع ، لتكون عضلاتهم العقلية والنفسية والاخلاقية ، أي عضلات هؤلاء الافراد الاقلين ، قادرة على تحطيم حجارة وحدود وسدود وحواجز الطبيعة لصياغتها صياغة حضارية انسانية - لتكون أي عضلات هؤلاء الاقلين ، عضلاتهم العقلية والنفسية والاخلاقية قادرة على اخراج الحياة والطبيعة وجميع الاشياء كما يريد لها ويخطط لها ويحتاج اليها ويفهمها الانسان المتحضر ، لا كما تريدها وتخططها وتخرجها وتفرح بها وتفهمها وتنتصر عليها الآلهة البدوية الهمجية الصحراوية - بدل ان تتفرق أي مقادير العبقرية المقسومة والمقدرة ، فتضيع وتتبدد وتصبح عاجزة عن ان تظهر أو ان تفعل أو تخلق وتبدع وتهب وتغير ؟ كم يمكن ان تكون المأساة والخسران الحضاري لو أن عبقرية الافراد الاقلين وزعت توزيعا عادلا متساويا على جميع أفراد مجتمعاتهم ؟ وكم كان محتوما ان تجيء حظوظ الحضارة جيدة جدا لو أن ما فرق على أفراد المجتمعات من ذكاء ومواهب مبددة ضائعة جمع في أفراد قليلين ؟

ماذا لو أن آلهة هذه الطبيعة قد صاغت بغضها وعداوتها وحربتها وتحطيمها للانسان بأساليب أكثر ذكاء وإيلاما ؟ ليس محتوما حينئذ أن يكون من هذه الاساليب التي هي أكثر ذكاء وإيلاما ان توزع العبقرية التي تجمعت في آحاد قليلين على اعداد أكثر لكي تتبدد وتضيع فلا تستطيع أن تتحول إلى قوة مؤثرة أو معطية أو مقتحمة أو منتصرة ؟ لقد كان شيئا جيدا ان آلهة الطبيعة لم تكن جيدة الذكاء أو التخطيط والتدبير في عداوتها للانسان ولارادتها الايقاع به .

لعل أفضل وانفع عمليات التجميع والتكثيف وتجميع وتكثيف المواهب والعبقریات لتكون أقدر وأجرا على القفز والتأثير والتجاوز . ولعل أردأ وأقبح عمليات التبديد أو التوزيع تبديد وتوزيع العبقريات والمواهب أو تبديد وتوزيع طاقات الابداع في عقل الانسان وفي نفسه وأشواقه وطموحه ، أي تبديد أو توزيع المقادير المحسوبة والمعنية من ذلك على مجالات أوسع من احتمالاتها ، لتتلاشى وتضيع بل وتستهلك موتا فلا ترى أو تحس أو تستطيع أن تفعل . لعل أقبح واظلم أساليب العدل والمساواة

هو تقسيم العبقريات المحددة على كل احاد المجتمع بالعدل والمساواة . ولعل اعدل وأفضل اساليب الحباية والتفرقة هو تجميع ذلك في افراد قليلين ليكونوا خلاقين ، نعم ، ليس تجميع ذكاء آلاف العقول التي يملك كل عقل منها مقدارا ضئيلا من الذكاء ، في عقل واحد ليكون عبقريا خارقا خالقا هو اعدل واعظم واتقى تجميع ، كما ان توزيع عبقرية عقل واحد خارق خالق على آلاف العقول ليملك كل عقل منها قدرا ضئيلا لا يستطيع ان يتحول الى ابداع او الى عظمة هو اقبح واردا واظلم توزيع؟ ليس ذلك كذلك لو كان من المستطاع فعله ، او لو ان احدا قد فعله ؟

ليس احتمالا جيدا جدا ان كثيرا من العبقريات والمواهب المختلفة قد وضعت في الانسان وضاعت عليه لانها قد جاءت موزعة ولم تجيء مجمعة ؟

ليس احتمالا شريرا ان قدرا شريرا او خالقا شريرا قد وزع هذه العبقريات والمواهب بتدبير شريير ؟

ليست في ذوات اعداد كبيرة من البشر اجزاء او مقادير ضئيلة من المواهب والطاقات الانسانية لو انها تجمعت في ذات واحدة او في ذوات قليلة لتحولت الى عبقرية مكثفة تستطيع ان تصوغ الحياة والطبيعة صياغات عظمى ؟

ليست العبقريات الخلاقة هي فقط العبقريات المكثفة ؟ ليس اعظم وانفع تكثيف في هذا الكون او في هذا العالم هو تكثيف العبقريات الانسانية ؟

اذن ليست جميع الذوات البشرية التي تعيش فيها اجزاء او مقادير صغيرة من الذكاء والمواهب الانسانية المختلفة هي ذوات سارقة وقاتلة ، لانها قد سرقت وقتلت في داخلها طاقات موزعة لو انها تجمعت لتحولت الى شيء آخر ، الى شيء عظيم وكبير وفعال ؟ انها ذوات سارقة دون ان تنتفع بسرقتها او ينتفع بها سواها ، بل دون ان ترصد هذه السرقة او تعلم بها ، بل انها سارقة لما تضرها سرقتها ..

اذن لننظر ونحزن ، فقد تكون ذواتنا من هذه الذوات السارقة القاتلة .. من هذه الذوات التي تحولت الى مقابر لطاقات انسانية بعثرت ، فخدمت وعجزت وماتت او صممت ، لطاقات انسانية مبددة بلا منطق او تخطيط او حساب ، لو انها احتشدت في ذات واحدة او في ذوات قليلة لتحولت الى طاقة ابداعية هائلة . نعم ، لننظر ونحزن فقد تكون ذواتنا هي اقبح واوقح واغبي سارق في هذا العالم .

قد نكون سارقي شظايا واشلاء عبقريات وعضلات عقلية .

اذن لنفتش في ذاتك ولتحاسبها وتقرأها حزينا مذعورا فقد تكون اي ذاتك ، اي ذاتي هي احدى هذه الذوات السارقة القاتلة « القبر » .

اذن لافتش أنا في ذاتي ، فلعلها سارقة لقدر من العبقرية ، لقدر من العبقرية
ليكون تشويها فيها ..

ماذا لو أن البشر عرفوا ذلك ثم أستطاعوا بوسيلة جديدة خارقة أن يسحبوا
أجزاء الطاقة الانسانية المفرقة والمبعثرة في ملايين الذوات البشرية ليحشدوها في
ذوات قليلة لكي تصبح فعالة خلقة ؟

اليس محتوما أو محتملا جدا أن يقوموا حينئذ بعملية السحب هذه وبعملية
الحشد هذه ؟ ليتهم يستطيعون ذلك ويفعلونه . الا يحتمل ان يستطيعوه في يوم
آت ؟ هل يتائمون حينئذ اخلاقيا أو حضاريا أو انسانيا من فعله ؟

اليس من الواجب الاخلاقي والانساني بل والمذهبي والوطني والقومي ان يفعلوه ؟
بل اليس من الرحمة والتكريم والعتاء لمن يسحبون منهم أن يفعلوا هذا السحب
بهم ؟ اليس سحب عضلاتك التي لا تحميك لتضم الى عضلات تحميك وسحب
بصرك الذي لا يهديك ليضم الى بصر يهديك ، شيئا جيدا لك ولغيرك ؟

هل وجود القدر الضئيل من الذكاء أو من المهوبة في الذات الانسانية يمكن ان
يكون شيئا نافعا أو ممجدا لها أو للحياة أو الحضارة والتقدم ؟

اليس محتملا أن يكون وجود هذا القدر الضئيل ضارا ومفسدا ومحقرا ومورطا
وموقعا في المخاطر والمشاكل والازمات والتفاهات والسخف ؟

الا يمكن أن يكون ذلك معوقا ومضلا ومشوها ومغريا بالورطات والاطفاء
موقعا فيها ؟

اليس النافع والمطلوب والقوة أن تكون مقادير الذكاء والمهوبة في الذات مقادير
جيدة وقادرة على المواجهة وعلى الفهم والتعامل والتحدي بقوة وانتصار وتفوق والا
فمن الخير الا يوجد منهما أي من الذكاء ولا من المهوبة أي شيء ، أو أي قدر في الذات،
لتكون أي الذات أقل تشوها وتعقيدا وتوريطا وغرورا وأدعاء وعصيانا وجرأة بلا
قدرة وبلا تكافؤ مع الموقف ؟

اليس العطاء الذي هو أقيح وأكثر اىذاء وتوريطا من المنع ومن الحرمان الشامل
هو فقط إعطاء الذكاء والمهوبة بمقادير ضئيلة ؟ اليس النموذج المطلوب أن يكون
الانسان عبقريا جدا ليرى ويكتشف ويبدع ويقود ويخطط أو بسيط جدا ليطيع
ويتقبل وينفذ ويسير في الطريق بلا عجز أو منافسة حاقدة .

اذن فسحب مقادير الذكاء أو المهوبة الضئيلة من الذوات الكثيرة لتجميعها في
ذات واحدة أو في ذوات قليلة ليس شيئا جيدا ونافعا فقط ، بل شيء واق من
الشرور والآلام ومن العاهات العقلية والنفسية والاخلاقية ..

ان القدر الضئيل من الذكاء والموهبة شيء رهيب في قبحه وتدميره وتوريطه وتشويبه وبذاته . أنه قد يعلم العصيان والحقد والغرور والمنافسة والبغضاء ويقود الى ذلك ، دون أن يعلم شيئاً أو يقود الى شيء أو يستطيع شيئاً أو يعيش شيئاً عظيماً أو جيداً ..

ان ذلك يشبه قائداً في أضخم وأعنى معركة ، لا يملك الا قدراً ضئيلاً جداً من معاني القائد ومن شروطه وتفاسيره وقدرته . ان الشرط الدائم لكل قائد أن يكون كل معاني القائد أو الا يكون قائداً ، أو الا يكون فيه معنى من معاني القائد لئلا يصبح قائداً ..

ان النموذج المطلوب للقائد وللزعيم وللحاكم ولكل رجل مسؤول ان يكون شامل الذكاء حاده ، والا فالواجب أن يكون فاقداً لكل مستويات وفنون الذكاء الى المدى الذي يجعله يهاب أو يعجز أو يمنع أن يتخذ أو ينفذ أي قرار خطير أو كبير .

الى المدى الذي يمنعه من أن يصبح قائداً أو زعيماً أو حاكماً أو مسؤولاً ..

كما ان النموذج المطلوب للانسان العادي في المجتمع أن يكون متكامل الذكاء والا فالأفضل أو الاقل سوءاً وضرراً أن يكون فاقداً لكل درجات الذكاء وعارفاً معترفاً بفقده هذا ، جاعلاً من فقده هذا ومعرفته واعترافه به انساناً متواضعاً مطيعاً مؤدباً ، ليكون تابعاً منفذاً لاوامر الذكاء الشامل الحاد الموجهة اليه ، بالطاعة والتواضع والاخلاص والالتزام والدقة التي تتلقى وتنفذ بها الآلة الاوامر الموجهة اليها ، وايضاً لكي يهاب أن يتعامل بعقله أو بذكائه أو بتدبيره أو بغروره تعاملًا يحوله الى تشوهات وورطات واخطاءً وفصائح من كل نوع وبكل حجم .. ان النموذج الاعلى لاي مجتمع أن يكون الانسان فيه انساناً كاملاً في طاقاته النفسية والفكرية والاخلاقية والتخطيطية أو آلة كاملة في طاعتها وحبها واخلاصها وايمانها ودقة تنفيذها .

الليس النموذج الاعلى والاعظم والمطلوب لاي مجتمع أن يكون جميع آحاده أنكباء ذكاء شاملاً وحاداً ومتكاملاً متكافئاً ، أو أن يكون قادته وزعماءه وحكامه ومعلموه وجميع مسؤوليه في أعلى معارج الذكاء والعبقرية والتكامل الانساني ، ان يتجمع فيهم كل مقادير الذكاء والعبقرية الموزعة بأسلوب البعثة والتبديد والتضييع على جماهيره أو التي يمكن ان توزع عليها كذلك ، محروسة ومحكومة أي مقادير الذكاء والعبقرية المتجمعة فيهم بعبقرية اخلاقية ، وتكون جماهيره أفضل نماذج الطاعة والحب والتواضع والاخلاص والاحترام والتنفيذ والالتزام والدقة بل والآلية ولكن بلا هوان أو قهر أو اذلال أو استعباد ؟ أليس أسوأ وأخطر النماذج للبشر هو

الانسان الجزء ؟ اليس الانسان الآلة أفضل من الانسان الجزء ؟ أليست الآلة أذكى وانفع من الانسان البليد ؟

اذن ليس اردأ النماذج لاي مجتمع أن يكون معدولا عدلا شاملا وكاملا بين جميع آحاده في توزيع جميع ما فيه من طاقات الذكاء والعبقرية المقررة أو المحسوبة الموهوبة له أو المختبئة في احتمالاته لكي يجيء بعدا وارتقاعا وحجما واحدا ، بلا قمم ومنخفضات ، وبلا عمالقة واقرام ، وبلا شمسوس وتوابع ، حتى ليعتسببه أو يتماثل جميع افراده فيما يخترنون ويحملون ويستطيعون ويساؤون من القيم الانسانية والبشرية مهما تفاوتوا جدا في درجاتهم الاجتماعية والمكانية ، وحتى ليعذبون جميعا يحسبون ويزعمون انهم جميعا عمالقة وقمم وشمسوس كل ما حولها وكل ما هنا وهناك ليست سوى توابع لها تدور حولها ، لانهم لم يجدوا أو يروا أو يجربوا قمما شاهقة ترى وتبهر وتروع ، لكي يحاسبوا وقيسوا أنفسهم بها فيتواضعوا ويتأدبوا ويؤمنوا ويحبوا ويتبعوا باخلاص وفداء وانبهار واستمتاع ؟ ان مجتمعا ما يملك داخل حدوده قدرا من العبقرية التي جمعت في آحاد منه جميعا كثيفا لا بد أن يصبح اعظم وأفضل وأقوى من مجتمع آخر مساو له في العدد وفي جميع الظروف ، يملك قدرا أكبر من العبقرية ولكنها وزعت على جميع آحاده توزيعا عادلا أي توزيعا مبددا لها . ان أسرة أو جماعة فيها عبقرى واحد لاعظم من أسرة أو جماعة فيها مائة من ذوي المواهب المتوسطة أو دون المتوسطة . . .

اجل ، ان اردا نماذج المجتمعات هو المجتمع الذي يعجز عن أن يلد العباقرة والمتفوقين ، عن أن يجمع طاقاته العقلية والابداعية والامتحامية في آحاد منه ، أو عن أن تتخلق فيه مثل هذه الطاقات التي تذهب وكأنها تتعمد وتدبر ذلك تدبيرا الى افراد قليلين لتجتمع فيهم كالحاباة المدبرة النخيلة ، ثم يعجز أي المجتمع عن أن يتواضع أو يتهذب في فهمه وفي رؤيته وتفسيره لنفسه ، وفي تعبيره وحديثه عنها ؟ نعم ، ان اردا المجتمعات والاكوان هو المجتمع أو الكون الذي يلد الكثير من الاقمار والنجوم الخامة الهامسة دون ان يلد أية شمس أو أي قمر تصلي له العيون البهورة ولعله محكوم على جميع المجتمعات التي لا يتخلق فيها العباقرة ولا المتفوقون نالا تكون متواضعة أو مهذبة أو متوقرة في فهمها ورؤيتها وتفسيرها لنفسها وفي تعبيرها وحديثها عنها . . .

ان الوقاحة والغرور والبغضاء بديل وتعويض دائم عن العبقرية والوهبة والقوة . أما المجتمعات التي تصنع العباقرة والموهبيين فلا بد أن تكون أكثر واصدق تواضعا وتهذبا وتوقرا في فهمها لنفسها ، وفي رؤيتها وتفسيرها وعرضها لها ،

وفي احاديثها وتعبيراتها واعلانها عنها ، بل وفي تعاملها مع الاخرين ومعاملتها لهم وفي رؤيتها وتفسيرها وفهمها وتصورها لهم ، وفي تحدثها معهم وعنهم واليهم ومن اجلهم ، وفي احساسها بهم وباحتياجاتهم وحقوقهم وبظروفهم بل وبالامهم ومشاكلهم ، بل وباعذارهم واسبابهم وبمنطقهم حين يخطئون او يجهلون او يعتدون او يهبطون الى اعماق الحضيض بذكائهم او اخلاقهم او بعلاقاتهم ومعاملاتهم ولغاتهم وضمائرهم ونياتهم . ان المجتمعات العبقرية تجد تفاسير لأخطاء الآخرين ولعيوبهم اكثر مما تجد التفاسير لأخطائها ولعيوبها هي ، وترى مزايا هؤلاء الآخرين وتمجدها وتعلن عنها اكثر مما تفعل لمزاياها هي .

ان العبقرية والتفوق ليسا تعبيراً واحداً او صيغة واحدة ، ولكنهما كل الصنيع والتماييز . فالمجتمعات او الشعوب العبقرية والمتفوقة اي التي يظهر فيها الافراد العباقرة والمتفوتون ليحولوا الى صياغات اقوى واذكى واعظم واكثر تحضراً وابداعاً ، لا بد ان تكون مجتمعات او شعوباً افضل وانبل وانقى في جميع معاملاتها ومواقفها وعواطفها ورؤاها وتعبيراتها ، وفي حبها وبغضها وفي صداقتها وعداوتها وفي حربها وسلماها ، متعاملة مع نفسها ومع اصديقاتها واعدائها ومع كل احد . . انها في محاكماتها العقلية والاخلاقية والنفسية للاشياء لتقف مع الاخرين ضد نفسها اكثر مما تقف مع نفسها ضد الآخرين بل او ضد اعدائها .

اما المجتمعات والشعوب التي لا تهب هؤلاء العباقرة والمتفوقين فلا بد ان تكون حضيضاً ونذالة في كل شيء . لا بد ان تكون عدواناً بذيئاً وقاحات متفجرة في كل تفاسيرها وممانيتها ولغاتنا ونياتنا ، وفي كل علاقاتها ومعاملاتها مع كل احد وكل شيء . ان النذالة والقواحة والبغض والحقد والبذاء النفسية والاخلاقية واللغوية هي كل موهبتها ونضالها وحضارتها وتدينها . . ان هؤلاء بقدر ما يمجزون عن ولادة الافكار والفنون والحضارات والابداع يمجزون كذلك عن ان يحبوا ان يصادقوا او يصدقوا او يحترموا او يعلسوا او يتواضعوا او يتأدبوا ويتخبوا ان يتوقروا او ان تصاب ضمائرهم او نياتهم او اخلاقهم بالنظافة او التقوى او التدين ، مهما غطاوا ولثقلوا وزخرفوا منابرهم ومحاريبهم بالآلهة والانبياء والكتب المقدسة وبالصلوات والتعاليم المتوحشة في عييدها وتهديدها وقسوتها ومطالباتها . انهم بقدر ما يمجزون عن ولادة الذكاء والتفوق والقوة يذهبون يفرزون الخبث والسوء وكل انواع الفئح النفسي والاخلاقي واللغوي .

والاخلاق والضمائر ، كما ينبغي ان يكون معلوما جيداً ، ليست تعليماً او تهديداً او ايماناً بآله او بدين او بمذهب ، بل انها اي الاخلاق والضمائر المهذبة القوية

المتطهرة ليست حتى تربية أو ارادة أو نية أو تقوى ، وانما هي موهبة وطاقة ومستوى كينونة وذات ، مثل الذكاء والجمال وقوة العضلات . انها اي الاخلاق والضمائر لا تعلم ، وانما تعلم لغتها أو التعبير عنها والتوزيع لها وتحديد وتغيير اتجاهاتها واهدافها ..

ولكن ما التفسير للمجتمع الذي لا يتخلق فيه العباقرة والموهوبون ؟ هل تفسيره انه قد وزع عبقرياته ومواهبه توزيعا حولها الى تبديد وضياح ، ام تفسيره انه مجتمع مجذب لا يستطيع أن ينبت في صحرائه المحللة اي نبات قوي او جيد او جميل ؟ اليس البشر كالارض ، منها الخصب القوي ومنها التحول الى خزانات هائلة لكل انواع المعادن الثمينة ، ومنها المحروم من هذا وهذا ومن كل شيء ، جيد ونافع ؟

اليس محتوما لهذا أن جماهير المجتمعات التي لا تلد المتفوقين لا بد أن تكون في جميع مستوياتها اردا جدا من جماهير المجتمعات التي تلد هؤلاء المتفوقين ؟ اليس خروج النبتة أو الثمرة الجيدة والقوية والجميلة دليلا على جودة النوع والارض والبيئة ؟ ثم اليس العكس أيضا صحيحا ؟

البس نموذج المولود تعبيرا عن نماذج الاباء وتفسيرها لها واعلانا عنها؟ اليس وجود العبقریات الآحادية في مجتمع ما دليلا على عبقرية النوع ، على عبقرية البيئة الذاتية ؟؟

اذن حينما نجد أو نتصور مجتمعا لا يلد الموهوبين يجب أن نعرف جميع مستويات جماهيره ، مستوياتهم العقلية والنفسية والاخلاقية بل والدينية والمهنية . كذلك يجب أن نعرف جميع هذه المستويات لجماهير المجتمعات التي تلد هؤلاء الموهوبين . يجب أن نعرف نوع البيئة الذاتية للمجتمعات التي تلد المتفوقين وللمجتمعات التي لا تلدهم من مجرد ولادتهم ومن مجرد العجز عن ولادتهم ..

وحيئنذ لن نستطيع جميع التعاليم والمواظ بل والاديان والمذاهب ان تفعل شيئا للصعود بالمستويات الاخلاقية أو النفسية أو الفكرية أو التهذيبية أو الدينية أو الأدبية لجماهير المجتمعات التي لا تصنع المتفوقين والموهوبين .. أما جماهير المجتمعات التي تهب هؤلاء الموهوبين والمتفوقين فان حرمانها من جميع التعاليم والمواظ والنبوات والتهديدات والمناجر ومن اغراءات وارجافات الكتب المقدسة ، لن يستطيع أن يهزم أو يضعف شيئا من طاقاتها الذاتية التي تتحول الى تعبيرات انسانية وحضارية متنوعة . ان طاقاتها الذاتية لن تضعف بحرمانها من جميع التعاليم الا اذا كانت اي هذه الطاقات انما صنعتها التعاليم .

بل ان جميع البشر لو تحولوا الى انبياء ومعلمين ليأمروا ويعلموا جماهير هذه المجتمعات ان تتنازل عن شيء من مستوياتها الاخلاقية أو النفسية أو الانسانية أو التهذيبية أو الدينية لما امكن أن تتنازل بل ولما استطاعت ان تتنازل حتى ولو هددوها بكل احوال جحيم الآلهة التي روى أوصانها وحدث عنها جميع انبياء البداوة ان لم تتنازل هذا التنازل المطلوب . . ان الوعظ لا يستطيع ان يسحب من المجتمعات اخلاقها الا بقدر ما يستطيع ان يسحب من الوجوه جمالها . .

وانه لمشهد دائم من مشاهد التاريخ الدائمة ان المجتمعات التي يتزاحم عليها الارباب والانبياء وجميع طوابير الدعاة والمعلمين ، والتي تتزاحم مدنها وقراها وصحارها وجميع ميادينها وطرقها وبيوتها بالنابر والمحاريب وبزئير الآيات والاحاديث هي أضعف وأردأ المجتمعات اخلاقا وضماير ، بل وتدينا وابعدا عن الطهارة والصدق والحب وعن المجد وعن صفاء النفس وشموخها . .

انها لا بد ان تكون وان تظل ابعد المجتمعات عما توعظ به وعما تدعي اليه . . ان ابعد المجتمعات عن اخلاق السماء وعن طاعتها هي اكثر المجتمعات تحدثا عن السماء وولادة للمتحدثين عنها وعن آلهتها .

ليس لأن هؤلاء يضعفون أو يفسدون اخلاقها وصفاءها الروحي والفكري والانساني . ليس لأن هؤلاء بتعاليمهم وأساطيرهم المتوحشة يهزمون فروسيتها النفسية أو الاخلاقية أو الفكرية أو الدينية أو الوطنية أو الحضارية مع ان المفروض والمنتظر ان يفعلوا ذلك . .

ليس لانهم يجيئون بعد ان قاسوا من فسادها فارادوا مداواتها من ادواتها . اي ليس لأنهم يجيئون احتجاجا وغضبا على ما جربوا ورأوا من هوان ووقاحة اخلاقها . .

ولكن لأنهم هم اي هؤلاء المتزاحمين عليها من الارباب والانبياء وأصناف الدعاة والمعلمين ليسوا سوى معنى من معاني ضعفها ووقاحة اخلاقها ونياتها . بل انهم هم أكبر وأقوى هذا الضعف وهذه الوقاحة الاخلاقية والنفسية في هذه المجتمعات والشعوب . ان هؤلاء الارباب والانبياء والدعاة ليسوا تعبيرا عن ضخامة التقوى أو النظافة أو الحب أو الجمال أو المعرفة بل عن ضخامة الضعف والعجز والحقد والبداوة والقسوة . انهم يجيئون كما يجيئون وبما به يجيئون لأنهم وقحون وفضوليون ومعادون وحاقدون وصانعون للآلام والمتاعب والاحزان والمشاكل والاحتقادات والعداوات ، ولا يجيئون لانهم طيبون أو محبون أو أصدقاء أو عارفون لماذا يجيئون . انهم

يجيئون كالانتقام والغضب والبغضاء والعقاب ، ولا يجيئون كالحب أو الرحمة أو الصداقة أو الغفران أو التسامح .

ان مجيء هؤلاء الارباب والانبياء والدعاة والمعلمين بكل هذا التزامم والكثافة الى هذه المجتمعات لهُو التعبير الشامل العنيف عن وقاحة ونذالة اخلاقها ومستوياتها . انه قد يكون احد التفاسير لكثرة تخلق الحشرات والقحط والمجاعات والابوة في زمان او مكان ما . انه تعبير عن التخلف والعجز والفساد وعن فقدان النظافة والظروف الجيدة القوية . ان السماء لن تبعث برسلاها وتعاليمها الى المجتمع المتقدم القوي المتحضر السوي كذلك فان الطبيعة لن تخلق الحشرات والابوة في البيئة النظيفة . ان اي نبي او معلم او زعيم او حتى كاتب او مفكر او شاعر او فنان يجيء الى هذه المجتمعات التي لا تصنع المتفوقين ، او يجيء منها ، لن يكون في جميع تفاسيره واحتمالاته ونياته الاحقاد او بغضا او ضياعا او ألما او سخفا أو عداوة أو بذاة أو وقاحة أو بلاهة تنتفجر منها عليها .

انه يجيء كمرىض وكمرض ، ولا يجيء كطيب أو كطب . انه انفجار لا تدبير ولا خطة ولا ارادة .

انه اي هذا النبي او المعلم او الزعيم او المفكر أو الشاعر أو الفنان الذي يخرج في مثل هذه المجتمعات ، ليعلم ويشرع ويهدي ويقود ويهدد ويغني ويصرخ - انه ليس الا عقابا تفرزه اخلاقها وموهبتها لتعاقب به حياتها ولتعاقب ايضا به اخلاق وعقول وضمانر جميع المتحضرين والانسانيين . انه هو والد الخطيئة ومولودها وتفسيرها ، وليس هو المحتج عليها ولا مرسل المحتج عليها ولا مفسر الاحتجاج عليها .

ان هذه المجتمعات تلد وتعطي انبياءها وزعماءها وشعراءها وفنانيتها ومفكرها ومعلميها بالحوافز والنيات والاخلاق والتقوى التي تلد وتعطي بها اجسادها امراضها وتشوهاتنا وآلامها واحزانها ، والتي بها تعطي وتلد نفوسها وعقولها واخلاقها ومضلاتها وكل وراثاتها وخصائصها التاريخية والعرقية احقادها وبغضاءها وعداوتها وبلاداتها وبدواتها وذنوبها وعجزها وتخلفها وجميع صفاتها وبذاتها . نعم ، لها تلامم وتعطيم بالتفاسير والنيات والاخلاق التي يلد ويعطي بها الزمان والمكان الحشرات والمجاعات والابوة والآفات الاخرى .

انها لا تعطي ولكنها تفرز . انها تعاقب ، تعاقب بصيغتها لا بذكائها ولا بعنقها . انها حالة وليست فكرة . لهذا فانها لا تستطيع ان تكون غير ما تكون .

انه لمن المحتوم ان تكون اكثر المجتمعات خطايا وقبحا وتلوثا ونذالات ووقاحات واحقادا وعدوانا نفسيا واخلاقيا هي اكثرها آلهة ونبوات واديانا وتعاليم متوحشة محقرة معيرة متكبرة شاتمة - اي ومن المحتوم ايضا ان تكون اكثر المجتمعات آلهة وانبياء ومعلمين واديانا من هذا النوع المتوحش المحقر المعير المتكبر الشاتم هي اكثر المجتمعات خطايا وقبحا وتلوثا ونذالات ووقاحات واحقادا وعدوانا نفسيا واخلاقيا ، بل واكثرها كتابا ومفكرين وشعراء وفنانين ورعاظا من هذا الطراز الاليم البذيء الصغير العدواني الذي لا يعيش فيه اي مستوى او نوع من الحب او الصدقة او الصفاء او التهذيب او الكرامة او الشجاعة او التقوى الدينية او المذهبية او القومية او الوطنية او الاخلاقية او النفسية او الفكرية . . ليس صحيحا ان اغف الناس اديانا ومذاهب واربابا هم اقل الناس تقوى دينية ومذهبية وانسانية ؟

ان الانبياء والمعلمين والمفكرين والفنانين والزعماء والشعراء الذين يتخلقون في هذه المجتمعات كما تتخلق العاهات في الاجساد التي تخلق العاهات ، ليسوا الا باصقي احقاد وعداوات وبغضاء وبذاءات ووقاحات وقبح وحسد وعجز وتخلف وآلام وهموم وشماتة وتعبير وسنائم وقبح بكل معانيه وانواعه . ايهما اعتدى على الآخر أو صنع أو دعا أو اصاب الآخر : العاهات والامراض التي اصابت الاجسام أم الاجسام التي اصبحت بالعاهات والامراض ؟ ايهما الداعي وايهما المستجيب ؟

انهم ليسوا الا باصقين لكل ذلك ، وليسوا الا مبصوقين لكل ذلك ومن كل ذلك . لقد بصقتهم كل ذلك ثم ذهبوا يبصقون كل ذلك . . ايهما البادى بالبصق على الآخر : المجتمعات في بصقتها على انبيائها وزعمائها أم الانبياء والزعماء في بصقتهم على مجتمعاتهم ؟

انهم ليسوا واهبي نبوات او تعاليم او فنون او افكار او شعر او اديان او محبة او صداقة او غيرة او تقوى او جمال وتهذيب ، مهما جاءوا في صيغة او لغة من يفعلون ذلك . .

انهم ليسوا نشيدا او غناء او سلاما او مصافحة ولكنهم نيب وعواء ومشاتمة . ان هؤلاء الانبياء والمنقذين والغيرى والفدائيين الذين يجيئون الى مجتمعاتهم ويجيئون منها ليموتوا حبا وعتاء وفداء واحياء كما تموت الحقول والشموس والانهار والازهار ، كما تموت هذه لتكون حياة وضياء وجمالا ومجدا ومسرة ورخاء لمن تموت لهم .

نعم ، ان هؤلاء الانبياء المنقذين الفدائيين المحبين الغيرى ليسوا اكثر محبة او صداقة او عطاء او فداء لمن جاءوا من اجلهم ، ولا اكثر براءة او تهذيبا او صدقا او

رحمة أو جمالا نفسيا أو عقليا أو اخلاقيا من اللصوص والقتلة والاعداء وجميع انواع
الخربين . ان هؤلاء المنقذين يجيئون الى المجتمعات كما تجيء الامراض الى الاجسام
التي تصاب بها . ان الامراض تعبير عن حالة الاجسام وعن استعدادها وموهبتها
بقدر ما الاجسام تعبير عن حالة الامراض وعن قبحها وشراسرتها وقوتها . ان
المجتمعات تنبت هؤلاء المنقذين بالاساليب والاخلاق التي بها تنبت الابدان الامراض
والعاهات .

اجل ، فالمجتمعات التي تهب أو تلد العباقره والمنفوقين هي اقل المجتمعات . .
وهي في ولادتها لهم شحيحة ، شحيحة جدا محاسبة بمن تلد من الجماهير الاخرى .
انه تقتير حزين في الولدين والمولودين . انه لا نموذج لهذا التقتير في اخلاق
الطبيعة .

وهؤلاء العباقره والمنفوقون هل هم متكلمون دائما ، ام هم مصوتون في اكثر
حالاتهم ولا يتحولون الى متكلمين الا قليلا جدا ؟ هل يستطيعون ان يكونوا متكلمين
دائما ؟ هل يستطيعون ان يكونوا كذلك الا قليلا جدا ؟

هل العبقري أو المنفوق عبقري أو متفوق دائما ، هل هو الذي يفعل العبقرية أو
المنفوق دائما ولا يفعل ما ليس عبقريه أو تفوقا ابدا ، ام هو الذي يفعل ذلك احيانا
قليلة جدا ؟ اليس ولادة العبقري للعبقرية نادرة مثل معايشته لها ومثل ولادة المجتمع
العبقري للعباقره ومثل ولادة المجتمعات للمجتمع العبقري ؟

اليس العبقري جدا هو الذي حينما يعيش العبقرية أو يصنعها أو يحبها ويتلاءم
معها يبدو كأنه خارج على نفسه وشخوذ فيها وعدوان عليها وتعذيب لها ؟ اليس
العبقري هو الذي يعيش كل وجوده مثل الناس العاديين سواء ، بكل ضعفهم
وتفاهاتهم وصغائرهم وهمومهم الذاتية ، ولكنه احيانا قليلة جدا يفاجئ مجتمعه بل
ونفسه بشيء لم يكن معروفا أو موجودا ليبدو مثل ساحر أو نبي يضع يده في فمه
أو جيبه ليخرج منه شيئا لم يكن أحد يتوقعه أو يعرفه ؟

اليس العبقرية شيئا لا يطيقه العبقري ولا يهواه ولا يسعد به أو يشعر بمجده
وقيمته الا اذا كانت هي اقل ممارساته لحياته وفي حياته ؟ ان العبقري لا يفعل
عبقريته الا مرتحلا عن ذاته اي الا بأسلوب الارتحال عن الذات أو بأسلوب التحدي
والتخطي لها . .

هل يستطيع اشجع الشجعان أو اعظم العظماء أو اذكى الازكياء أو اعمق المفكرين
تفكيراً أو اكثر الجادين جدا - هل يستطيع احد من هؤلاء ان يكون كذلك ، اي أن
يعيش ويمارس ويلتزم ويهوى موهبته أو مزيته أو تفوقه الا في اقل مواقفه ؟ اليس

التفوق شذوذاً في حياة المتفوق بقدر ما التفوق شذوذ في المجتمع المتفوق بقدر ما المجتمع المتفوق شذوذ في المجتمعات غير المتفوقة ؟

هل يستطيع الاله أو النبي أو القديس أن يكون في كل اوقاته ومواقفه أو في اكثر اوقاته ومواقفه الها أو نبيا أو قديسا ، أو ان يكون سلوكه أو نياته أو اهواؤه أو اشواقه سلوك أو نبات أو اهواء أو اشواق اله أو نبي أو قديس في كل المواقف والاوقات أو في اكثرها ؟ اليس الاله جدا هو الذي يكون آلهما في اقل اوقاته ومواقفه ؟ بل هل استطاع أو يستطيع الاله أو النبي أن يكون الها أو نبيا في اي وقت أو موقف من اوقاته ومواقفه ؟

والتكلم اي الذي هو في طور التكلم بل في طور التكلم العبقري هل يستطيع أن يكون متكلما الا في اقل حالاته ومواقفه ؟ اليس محتوما ان يتحول في اكثر حالاته ومواقفه ، بل وفي اكثر اشواقه ونياته ، الى مستفرغ لذاته ، اي الى مصوت كما تفعل جميع الكائنات المصوتة وكما يفعل البشر المصوتون الذين لم يبلغوا طور المتكلمين ، اي كما يفعل الآلهة والانبياء والزعماء والشعراء والمفكرون العرب اي الذين يحسبون مفكرين من العرب ؟ اليس المتكلم لمفكر جدا يستطيع أن يعيش بلا كلام أو تفكير بمعناهما الحضاري كل حياته أو بعض حياته أو دون تعبير عنهما تحت الظروف القاسية أو الملزمة اكثر مما يستطيع أن يعيش شيئا من حياته بلا استقرار لنفسه بالتصويت وغيره ؟

لنفسر الكلام بأنه تفكير وتخطيط . ولا بد أن يكون التفكير والتخطيط هما بعض تفاسير الكلام . فهل يستطيع اذن أي متكلم أن يكون متكلما الا في حالات كأنه الشذوذ الحاد بل المرهق المخيف في حياته ؟ أين هو الذي يستطيع أو يريد أن يجعل التفكير والتخطيط مساحة واسعة في حياته ؟ أين هو الذي لا يضيع تفكيره وتخطيطه في عالم تصويته ؟

لنفترض ان الكلام هو أن نقول حين يجب ان نقول ، بالقدر وبالاسلوب اللذين بهما يجب أو ينبغي ان نقول ، بالنيات والحوافز التي يجب ان يقول بها من يقول ، للقوم الذين يجب أو ينبغي ان نقول لهم ، بالمنطق الذي لا بد أن يفهموه وان يقنعهم به ليست هذه شروطا وقيودا صعبة جدا أو مستحيلة التنفيذ ؟ ولكن ليست شروطا وقيودا لا بد منها أو لا بد من القول والتعليم بالتزامها ؟

أو لنفترض انه اي الكلام هو أن نقول شيئا لا بد ان يهنا أو يهب من نقول لهم أو يهب الآلهة أو التاريخ أو الشمس أو البحار أو الانهار أو الحقول أو اي شيء في الطبيعة أو من الطبيعة مجدا أو قوة أو ذكاء أو جمالا أو رخاء أو كرامة أو شهامة

أو نظافة أو رفضا وكرها للنذالات أو للالوحال أو الهوان أو العبث والاكاذيب . ان الكلام لا يمكن أن يكون بدون افتراض شروط وقيود عليه . . .
حينئذ هل يستطيع المتكلم ان يكون متكلما أو متى يكون متكلما أو يعد متكلما اي اذا كانت هذه الشروط هي كل الشروط أو بعض الشروط التي يكون بها المتكلم متكلما أو اذا كان بعضها شرطا في ذلك ؟

الانسان الذي بلغ طور المتكلم بل طور المتكلم العبقري محكوم عليه بكل الاحتياجات والضرورات والمجاعات والممارسات والانفعالات والعلاقات والآلام والآهات والاناث ، وبكل المخاطر والمشاكل والمضايقات التي حكم بها على كل البشر المصوتين غير المتكلمين ، بل محكوم عليه بكل ذلك بأسلوب أعنف وأشمل وأقسى محاصرة والحاح وتهديدا . . .

فهل يستطيع الا يتعامل مع كل هذه الاشياء التي حكم عليه بها - الا يتعامل معها بكل ادوات التعامل الموضوعه في تكوينه ، بكل رغبته ورهبته ، وبكل حماسه وتطلعه واشواقه ولهفاته ، وبكل قوته وضعفه وظروفه ومواجهاته النفسية والاجتماعية والتاريخية والصحية ، وبكل لغاته وتعبيراته ونياته ، وبكل تجاربه وحساباته واملااته الذاتية والشخصية والدينية والمذهبية والقومية والوطنية والانسانية والاخلاقية . ان جميع الالهة والنبوات والعبقریات والقداصات لو تجمعت جميعا في ذاته لا استطاعت ان تجميه من التعامل مع كل ذلك بكل معاني الانهزام والالتزام والعجز عن المخالفة .

واذا تعامل مع كل ذلك بكل ذلك فهل يستطيع ان يكون متكلما او متى يكون متكلما او يعد متكلما ، اذا كان التفكير والتخطيط هما بعض تفاسير الكلام ، واذا كانت الاشتراطات التي ذكرت وعددت في السطور التي سبقت هي بعض الاشتراطات على الكلام والمتكلم وبعض الاشتراطات لهما ؟

هل يستطيع أن يكون متكلما بهذا التفسير للكلام الا انفلاتا وتلصصا ومخادعة للالتزام باحكام حياته عليه في تعامله مع نفسه ومجتمعه ومع اي شيء ، وفي ارادته لنفسه وخضوعه ورؤيته لها وفي احساسه بها ، وفي ارادته لمجتمعه او لاي شيء وارادته التلاؤم معه ومعاشته ، وفي مخاطبته ورؤيته له وكيونته فيه وفي احساسه به . . . ؟

نعم ، في كل ذلك أو في أي شيء منه هل يستطيع أن يكون متكلما الا نادرا أو الا شفوذا اي اذا فسر الكلام بالتفسير المذكور واشترطت فيه وله وعليه الاشتراطات السابقة ؟ لهذا فان أي مجتمع لا يطالب اعظم متكلميه ولا ينتظر منهم أن يكونوا

متكلمين الا نادرا وشخوذا بل وخروجا • ولا يعجب أو يذهل أو ينكر اذا خرجوا على جميع تفاسير الكلام •

هل يستطيع اي متكلم بل اي مريض بالخوف من ألا يكون متكلما وبالالتزام بان يكون متكلما فقط - نعم ، هل يستطيع اي متكلم بهذه الشروط والالتزامات ان يكون متكلما في آهاته أو أناته أو شكاياته ، أو في غضبانه ولعناته ومخاصماته ، صيحاته وتهديداته ، بل أو في صلواته وتضرعته ومناشداته وهتافاتة ، أو في معانقاته ومصافحاته وتحياته أو في صداقاته وحبه ؟ هل يستطيع أن يكون متكلما في اي شيء من ذلك الا بقدر ما يستطيع الا يجوع او يمرض او يموت أو يخاف أو يحزن أو يغضب أو يكره الا بتخطيط فكري أو ديني أو مذهبي أو اخلاقي ؟

هل يستطيع أن يكون هذا المتكلم متكلما في ممارسته لذلك الا بقدر ما يستطيع الاله ان يكون متكلما حينما يواجه صرخاته منذرا ومحرضا وواعظا الى أعضاء وشهوات ونيات ومجاعات وضرورات واهتمام ومخاوف وعقول البشر ، طالبا اليها ومنها بالوعد والوعيد أن تطيع شهواته وأنانيتة وكبرياءه واستعلاءه هو لا شهواتها ولا أنانيتها وضعفها وعجزها هي - أو الا بقدر ما يستطيع ان يكون اي الاله متكلما حينما يذهب يهتف في آذان وافواه جميع انبيائه وعلى صفحات جميع كتبه المنزلة ، مادحا نفسه بكل هذا اللزق المثير ، مادحا رحمته وعدله ونكاهه وسخاه وايثاره وحبه وقربه ، مادحا كل ذلك فيه ومنه بكونه قاتلا ممرضا مشوها مذلا مجيما مقفرا مبكيا مخيفا صانعا للآيتام والارامل ، بكونه صانعا نعشا كلما وجد مهد ، وحافرا قبرا كلما صنعت حياة وراميا بسهم كلما نبض قلب - مادحا نفسه بكونه يفضل بعضنا على بعض في الرزق والجمال والقوة والذكاء والانتصارات والهداية والاضلال وفي سائر الحظوظ والمواجهات والاقدار والكيونات ••

رائع جدا ان يمدح الاله نفسه لانه يفعل بنا ولنا كل ذلك • وهل يمدح نفسه الا بذلك ؟ •• او الا بقدر ما استطاع اي الاله ان يصبح اذكى وانبعg المتكلمين لانه الف أو تكلم أو أنزل كتبه المقدسة ، مفسرا بها نكاهه ومنطقه واخلاقه وقوته ومجده وكل مزاياه واحتياجاته ومطالبه ، وكل اسراره النفسية والذاتية ، وكل همومه وخطئه التي كانت والتي سوف تكون ، طالبا منا ان نفهمه ونعقله من هذا الذي قاله في كتبه المقدسة هذه ، وان نراه ونفتنح به - مما يقول في كتبه هذه - اعظم نموذج لاعظم اله ، لا يستطيع اي عقل أو خلق أو طموح أو تجربة أو احتياج أو موقف أو خيال أو امل ان يقترح له أو فيه اي تصحيح أو تغيير أو تبديل أو تعديل ، في آية صيغة أو تفسير من صيغه وتفسيره النفسية أو الفكرية أو الخلقية أو الفنية أو

الشعرية ؟ هل تتصور العقول أو الاخلاق المنقورة كائنا يستحق الرثاء والشفقة كالاله حينما يذهب بقباسي ويقاسي في امتداحه لنفسه ويطلق اضخم واسخى الوعود لمن يصدقونه في هذا المديح لنفسه ، وأشرس التهديدات لمن يشكون في ان يكون الاله مصابيا بكل نزق الامتداح هذا للنفس ؟ كيف امكن ان يوجد خيال أو عقل بشري يتصور مثل هذا الاله ويتقبل نموجه هذا بل ويراه كل الجمال والذكاء .

ان كل البشر لا بد ان يكونوا مصوتين لا متكلمين ، حتى المتكلمون منهم القليلون جدا ، الذين يعدون شذوذا في مجتمعاتهم وتعد مجتمعاتهم شذوذا في المجتمعات - حتى هؤلاء لا بد ان يكونوا مصوتين ، وهم لا يستطيعون ان يكونوا متكلمين الاشذوذا اي كالمشذوذ . نعم ، ان هذا هو الذي لا يستطيع ولا يحدث غيره . انه لو وجد من يستطيع الالتزام بأن يكون متكلما كلما تكلم لما وجد من يستطيع تقبله أو معاشيته أو التفاهم معه أو الغفران له .

هل أحد من البشر يحيا حياته ووجوده أو يتقبلهما أو تقبلهما بالتفكير أو بالتخطيط والتدبير والنطق أو بالاخلاق ؟

هل احد يمرض او يجوع او يحزن او يشيخ او يحب او يحقد بالتفكير او التخطيط أو النطق .

ان الناس لا يستطيعون ان يكونوا متكلمين حين يتحدثون أو يخطبون أو يكتبون أو يعلمون ، أو حينما يمارسون الكلمة بأي اسلوب ، الا بقدر ما يستطيعون ان يكونوا ملتزمين بالنطق أو الضمير أو التدبير أو بالاخلاق والنيات والحوافز النظيفة التقية الانسانية حين يحبون ويكرهون ، او يرضون ويغضبون ، او يعيشون ويتوالدون ، أو يختارون آباءهم وابناءهم ليكونوا آباءهم وابناءهم ، أو يتقبلون وجودهم وحياتهم بقدر ما فهما من جمال وسعادة وذكاء وضخامة وعبقرية ومجد أو نفع للوجود ، أو يشيخون أو يموتون ، أو حين يحبون ابناءهم وآباءهم وانفسهم اكثر من حبههم لابناء أو لآباء الجيران أو من حبههم للآخرين ، الاعداء والاصدقاء ، الموافقين والمخالفين ، أو حين يهتفون ويصلون لآلهتهم وانبيائهم وزعمائهم ، ويطيعونهم ويؤمنون بهم ويصدقونهم ويرون جمالهم ومزاياهم ومعجزاتهم ونجواتهم وتقواهم وتفوقهم ، دون ان يروا شيئا من ذلك في آلهة وانبياء وزعماء الآخرين ، أو ان يفعلوا شيئا من ذلك لاولئك الآلهة والانبياء والزعماء الذين يملكهم الآخرون أو الذين يملكون الآخرين ، أو الذين يوجدون ويعيشون في عقول وافواه ومحاريب ومعابد واساطير الآخرين . ان الناس لا يستطيعون ان يكونوا متكلمين الا بقدر ما

يستطيعون الا يتقبلوا حياتهم ووجودهم والا يمارسوها الا بمقاييس دينية او
منطقية او اخلاقية او مذهبية .

ان الكلام حساب ومنطق وقدرة ومعرفة والتزام وشروط صعبة قاسية . فكم هم
الذين يستطيعون ذلك ؟ والذين يستطيعون ذلك كم يستطيعونه ومتى يستطيعونه ،
ومتى يجدونه محسوبا ومنطقا ، ويرون الالتزام به ؟ بل متى يجدون انهم ليسوا
ملزمين بالخروج عليه ؟ هل يوجد من لا يجد انه ملزم بالخروج على الكلام والمنطق
والاخلاق في كل موقف يطالب فيه بان يكون ملتزما بما يخرج عليه ؟

متى يوجد من يستطيع الا يرى أو يسمع أو يريد أو يفكر أو يعامل أو يواجه
أو يخاطب أو يشعر الا حين يجب أو ينبغي ان يفعل ذلك ، بالاساليب وفي الاوقات
التي يجب أو ينبغي أن يفعل بها وفيها ذلك ؟ أليس اقسى تعذيب وأبعد محال ان
يطالب اي كائن بالالتزام بهذا أو أن يحاول هو الالتزام به ؟ ولكن ليس جميع
المعلمين يطالبون بهذا المحال ويزعمون التزامه ؟

اذن متى يوجد من يستطيع أن يكون متكلمًا ؟ والذي يستطيع ان يكون متكلمًا
متى يكون متكلمًا ؟ أي متى يستطيع الا يقول شيئا الا حين يكون كلاما ؟ واذا وجد
أو لو وجد هذا المتكلم بكل شروطه ووصافه فمتى يأذن له أو يتقبل منه من حوله بان
يكون متكلمًا ؟

ان معنى أن تكون متكلمًا أو أن يكون ما تقوله كلاما أي لا تصويتا اي لا
استفراغا ذاتيا هو معنى الا ترى أو تسمع أو تريد أو تفكر أو تعامل وتواجه أو
تخاطب أو تشعر أو تعمل أو تعلم أو تصلي أو تؤمن أو تتقبل أو تهتف أو تحدد في
المرأة أو في وجوه اطفالك أو في وجوه اعدائك الا حين يجب أو ينبغي ذلك ،
بالاساليب والنيات والاقوات التي يجب أو ينبغي أن تفعل بها وفيها ذلك . انك
تتعامل مع لسانك أو مع لغتك بالاسلوب الذي تتعامل به مع عينيك واذنيك
وعلاقاتك وشهواتك . اذن متى تكون متكلمًا لا مستفراغا لذاتك ؟

ماذا لو ان الناس التزموا او الزموا الزاما منفذا بكل الدقة والصرامة بالا
يروا أو يسمعوا أو يتعاملوا أو يتواجهوا أو يريدوا أو يشعروا أو يصغروا أو
يتخاطبوا أو يتناصحوا أو يتصافحوا أو يتعادوا أو ينشأتوا أو يتلاقوا أو يتجمعا
أو لا يذهبوا الى المعبد أو الى المهرجان ، أو الا يتضرعوا الى آلهتهم ويصلوا لها والا
يهتفوا لزعمائهم وقادتهم ولتفاهاتهم وأكاديبهم ، والا يؤمنوا بهم اي بآلهتهم
وانبيائهم وزعمائهم الا اذا عرفوا صدقهم والا يروا جمالهم ونظافتهم الا اذا حدقوا في
وجوههم وضمائرهم .

نعم ، ماذا لو أن الناس التزموا أو الزموا الا يفعلوا كل ذلك أو شيئا منه الا حين يجب أو ينبغي أن يفعلوه ، بالاساليب والنيات والاقوات والتفاسير المنطقية التي يجب أو ينبغي أن يفعلوه بها وفيها ؟

اذن ماذا لو ان الناس التزموا أو الزموا الزاما منفذا صارما بألا يقولوا شيئا الا حين يكونون متكلمين أي الا حين يكون ما يقولونه كلاما لا تصويتا أي لا استفراغا ؟ ماذا لو أن انسانا الزم والتزم بأن يكون انسانا دائما في كل تفاسيره وصيغه وتعبيراته ؟ ان اعظم متكلم لا يستطيع أن يكون متكلما كلما تكلم الا بقدر ما يستطيع أي انسان ان يكون انسانا دائما • أليس اعظم انسان هو الذي يستطيع أن يكون انسانا احيانا ؟

ان الانسان لا يستطيع أن يكون متكلما الا بقدر ما يستطيع أن يكون عبقريا ومنطقيا واخلاقيا وانسانيا ومدبرا ومخططا • وان من يستطيع أن يكون متكلما أو من يستطيع أن يتكلم لن يستطيع أن يلتزم بأن يكون قوله كلاما الا بقدر ما يستطيع العبقرى المنطقى الاخلاقى الانسانى المدبر المخطط ان يلتزم بأن يكون في كل سلوكه وعواطفه عبقريا اخلاقيا انسانيا محكوما بالتدبير والتخطيط أو الا بقدر ما يستطيع اعظم انسان أن يكون انسانا دائما •

اذن كم هم البشر الذين يستطيعون أن يكونوا متكلمين ؟ والذين يستطيعون ان يكونوا متكلمين كم يستطيعون أن يجعلوا كلامهم كلاما لا استفراغا ذاتيا أي لا تصويتا ؟

هنا يوجد افتراض يلح على ان يعرض نفسه ••

يقول هذا الافتراض : هل كان محتوما بل أو ممكنا أن يصمت جميع البشر والا يتكلموا أو يتعلموا أية لغة ، أي ألا يقولوا أية كلمة أو ألا يصوتوا اي صوت من اصواتهم هذه التي يسمونها أو يزعمونها كلاما ، لو انهم استطاعوا من بداية وجودهم أو بعد ذلك ان يبتكروا أو ان يجدوا وسيلة أو طريقة خارقة غير كلامية أو غير صوتية ، يستطيعون بها أن يتفاهموا ، وأن يأمرؤا وينهؤا ويعلموا بها كل ما يريدون تعليمه ، وكل ما يريدون النهي عنه والامر به ، وأن يعبروا بها عن كل ما ينوون ويريدون التعبير عنه - أي ان يفعلوا بها اي بهذه الوسيلة أو الطريقة الخارقة كل ما يفعلونه وكل ما اعتادوا أن يفعلوه وأن يبينوا عنه ويعلموه بالكلام ، أي بالكلام الذي هو كلام وليس تصويتا يؤدي ويعامل بالاسلوب والنية اللتين يؤدي ويعامل بهما الكلام •

نعم ، لو أن البشر من بدايتهم أو بعد بدايتهم خلقوا أو وجدوا مثل هذه الوسيلة أو الطريقة الخارقة المغنية عن الكلام وعن التصويت بكل اساليبيهما وصيغهما

وحواجزهما ، فهل كان ممكنا أو محتملا حينئذ أن يصمتوا عن كل كلام وعن كل
تصويت ؟ هل كان ممكنا أو محتملا ألا يبتدعوا أية لغة ولا أي منبر ولا أية بلاغة أو
تعاليم ، أو ألا ينزلوا على انفسهم من السماء أي كتاب مقدس ، أو أن يلغوا وينسوا
ويرفضوا كل ذلك أي كل لغاتهم ومنابرهم وبلاغاتهم وتعاليمهم وكل كتبهم المقدسة
المنزلة ؟

بل هل كان ممكنا أو محتملا حينئذ أن تكون لغاتهم أو منابرهم أو كتبهم
المقدسة أو تعاليمهم أو استعمالهم لكل ذلك أو لأي شيء منه اقل أو أخفت صوتا أو
توترا أو بذاة أو أكثر وقارا وتهذيبا ؟ بل هل يمكن أن يكونوا اقل فرحا بذلك أو
تعويلا عليه أو حماسا له أو اقتناعا بمزاياه أو اقل مباحاة ومقاتلة به وتحدا عنه ؟
لو أن أي انسان اعطى أو نال جميع ما يعطى وجميع ما ينال بالكلام ، أي جميع
ما يمكن وينتظر ويفترض أن يعطى وينال بالكلام ، أي اذا تكلم مطالبا أو مفسرا أو
مقنعا أو ناقدًا أو مهاجما أو حتى مهيدا لاعنا مبارزا .

نعم ، لو أن انسانا ما أو أي انسان اعطى أو أخذ كل ذلك دون أن يتكلم بأي
اسلوب من اساليب الكلام أو التصويت ، فهل يحتمل ان يصمت أو ان يقل كلامه أو
تصويته ؟ بل هل يمكن حينئذ أن يسعد أو يسر بأي شيء يـ... أو يأخذه أو أن
يجد له أو فيه مجدا أو لذة أو قيمة ؟

هل يستطيع أو يتقبل ان يصمت أي انسان وضع امام خيارين : ان يأخذ كل
ما يطالب به وكل ما يحتاج اليه اذا هو صمت صمتا شاملا ، أي حيث لا يعني ان
يتكلم أو يصوت شيئا ولا يحتمل أن يحقق أي كلامه أو تصويته شيئا ، أو أن يأخذ
أو يكون بعض هذا الذي يطالب به ويحتاج اليه ، لا كل ذلك ، اذا هو تكلم وصوت ،
دون ان يعني كلامه وتصويته أي شيء غير ان يستفرغ به ذاته ؟ بل ان أي انسان
ليرى انه قد وقع في ورطة لا يعرف كيف الخلاص منها لو قيل له مع التنفيذ المحتوم
خذ كل شيء وليكن كل شيء كما تريد وتنادي ولكن مع الحكم عليك بالصمت ، أو
تكلم واصرخ وصوت كيف شئت ولكن لن تأخذ شيئا ولن يكون أي شيء كما تريد
وتنادي . . .

نعم ان الانسان ليرفض أن يأخذ أو أن يكون كل شيء ، أو كل ما يريد اذا كان ذلك
بأن يصمت صمتا شاملا ودائما ، لكي يأخذ أو يكون بعض الشيء أو بعض ما يريد ،
اذا كان ذلك يعني أن يصوت ويتكلم كلما اراد أن يفعل . بل لعله يرفض أن يأخذ
أي شيء أو يكون أي شيء كما يريد ويطلب اذا كان ذلك يعني الحكم بالصمت
والوقار عليه .

لعله يرفض أن تكون له الشمس محكما عليه بالصمت الشامل الدائم، ويتقبل أن يكون له القمر ، مآذونا له بأن يستفرغ ذاته بالكلام والتصويت استقراغا دائما وشاملا بكل الاساليب والتعابير . بل لعله يرفض ان تكون له الشمس والقمر صامتا ، ليختار أن يكون استقراغا دائما لذاته بالتصويت وغيره بلا شمس ولا قمر بل ولا نجيم خافت .

بل انه أي الانسان ليختار أن يكون نبيا كذابا مكفورا به ومحقرا ولكن مصوتا على أن يكون نبيا صادقا ومحترما ومتبوعا ، ولكن صامتا صمتا شاملا دائما مهذبا مؤدبا .

انه اذا اصبح نبيا أو لو أصبح نبيا ليختار أن يعصيه الناس وأن يعصوا الاله الذي جاء من اجله ومن اجل طاعته اذا كان ذلك يعني ان يصوت بكل الاساليب على ان يطيعوه ويطيعوا الله دون أي عصيان أو معارضة اذا كان ذلك يعني أن يصمت دون أي تصويت . . ان اي نبي ليفضل أن يعصى صائحا مصوتا مهددا متوعدا لاعنا محقرا منهما على أن يطاع صامتا متوقرا مهذبا . وهل يستطيع أي نبي أن يكون متوقرا أو مهذبا ؟ أليس الصمت والوقار والتهذيب قتلا وهزيمة لكل نبوة ؟

لهذا فان طاعة أي نبي والاستجابة لما يطالب به ولما يعلمه لن تقللا من تصويته واعداء وموعدا بالحالات ، ومعلما لما لا يستطيع ولما لا يراد أو يفهم ، وشانما بما لا يستحق الشتم ، ومنهما بما ليس اتهاما ، أي بما ليس تهمة في أية محاسبة دينية أو اخلاقية أو عقلية أو انسانية بل أو طبيعية . وهل يستطيع أي نبي ان يكون غير شاتم ومتهم بما لا يستحق الشتم والاتهام أو غير واعد وموعدا بالحالات أو غير معلم لما لا يراد ولا يفهم ولا يستطيع ؟

ان النبي أو الزعيم المعصى ليس محتوما أن يكون أكثر أو أعلى الانبياء أو الزعماء تسويتا ، كما ان النبي أو الزعيم المطاع ليس محتوما أن يكون أقل أو أخفت تصويتا من الانبياء أو الزعماء الذين ليسوا كذلك . ان أصوات الانبياء والزعماء الضاجة بالشتانم والاتهامات والغضب والوعيد ليجت محكومة أو مضبوطة قوة وضعفا بطاعتهم أو عصيانهم أو بأي واقع خارجي .

ماذا لو أن البشر اخترعوا جهازا يستطيع أن يقول كل ما يريدون قوله ، بأساليب أكثر اتقانا وتعبيرا وشمولا وتهذيبا وتقوى وصدقا واقناعا وتأثيرا ، أي دون أن يحتاجوا هم الى استعمال أو تحريك افواههم ليعبروا عن شيء أو ليعلموا أو يقولوا شيئا ؟

هل يعني ذلك أن يصمتوا حينئذ أو أن يقللوا من الكلام والتصويت ، ويدعوا هذا الجهاز يقول عنهم جميع ما يريدون قوله ؟

لقد تصور البشر الاله متكلمًا مصوتا ، بل تصوروا جميع الآلهة متكلمة أي مصوتة ، أمرة ناهية موعدة واعدة معلمة صارخة أبداً . ان الآلهة في اقتناع المؤمنين بها تستطيع ان تعلم وتبلغ وتصنع وتفرض ما تريد تعليمه وتبليغه وصنعه وفرضه دون ان تقاسي من الكلام والتصويت . . .

ولكنهم افترضوها وزعموها متكلمة أي مصوتة لانهم لا يستطيعون ان يفترضوا وجود أي كائن حي شاعر دون ان يفترضوه مصوتا أي مستقرغا لذاته بالاصوات . انهم يفترضون أو يتصرفون وكان التصويت ليس من اجل شيء ، ولكنه من اجل نفسه . انه ليس رسالة لتعلم أو تبليغ أو تفسر شيئاً . . . انه لو لم يكن التصويت بكل بذاءاته ونزقه حاجة أو حالة وليس رسالة لما أمكن افتراض الاله متكلمًا أو مصوتا . . .

انه أي التصويت هو النبي والنبوة والرسالة والتعاليم والآله والمرسل اليهم . انه هو النص والتفسير . انه النص الذي لا يطالب له بمعنى ولا يحتاج الى ان يكون له معنى ومع هذا يؤدي معناه بكل اللغات بدون ان تخالف في معناه لغة من اللغات .

ولكن كل هذا ماذا يعني ؟

انه يعني ان البشر جميعا محكوم عليهم بأن يكونوا مصوتين ، حتى المتكلمون منهم لا بد ان يكونوا مصوتين ، وأنهم حينما يتكلمون انما يتكلمون بحوافز ونيات التصويت لا بنيات الكلام ولا بحوافزه . ان الصوت لا يصوت بنية المتكلم ، ولكن المتكلم قد يتكلم أو لا بد ان يتكلم بنية الصوت . . .

ولهذا فانهم لا بد ان يتكلموا اي يصوتوا تحت كل الظروف المختلفة المتناقضة ، الموجبة والرافضة ، بل حتى حينما يكون الكلام اي التصويت لا يمكن ان يحقق اي مطلب او احتياج من المطالب والاحتياجات التي يقع الكلام أو التصويت باسمها ومن اجل تحقيقها أي بحجة تحقيقها . بل لا بد ان يتكلموا أو يصوتوا حتى حينما يكون الكلام أو التصويت ضد ما يتكلمون أو يصوتون من اجله أي من اجل تحقيقه أو الحصول عليه ، وحينما يقول المنطق أن الصمت اذكى وأقدر على تحقيق ما يراد ويطلب . ولهذا فما أقل الذين يستنشيرون المنطق أو يسائلونه أو يفكرون فيه بل أو يرون ذلك مطلوبًا في أي موقف من مواقفهم حينما يذهبون يستقرغون انفسهم بالتصويت أو يسائلونه أو يفكرون فيه . . .

واقوى وأدوم وأصل وأصدق وأعمق ممارسات الانسان واحتياجاته ومسراته بسبل ومجاملاته ومداواته لنفسه وتفاسيره لها واعلانه عنها . ان كل حياة الانسان بكل تفاسيرها وصيغها ونياتها وقيمتها ليست سوى اساليب استفراغية مختلفة التعابير لتفئة النفاسير . . حتى العبقرية والحب والمسرات والافعال القوية ليست سوى اساليب استفراغية ولكن النتائج تتفاوت . .

ولعل منعه من ذلك اي من التصويت او من الكلام الذي يعنى به التصويت وتحريمه عليه ، اي لو حدث ذلك ، هو اقسى واشمل وانذل عقاب يعاقب به الانسان انه العقاب الذي لم يجرؤ اقسى معاقب على التفكير في جعله عقاباً منفذاً . . نعم ، لعل هذا العقاب لو وقع ليس اقل وحشية من ان يعاقب اي الانسان بمنعه من ان يستفرغ فضلات طعامه وشرابه وفضلات حبه !! اي الفضلات المتخلقة داخل جسمه من طعامه الذي اكله ومن شرابه الذي شربه ومن حبه الذي قاسى منه !!

ومع ان قسوة طغيان الطغاة وطغيان الاديان والتعاليم على الانسان لم يكن لها حدود او قيود او منطق او اخلاق توقف او تضبط او تحكم او تفسر بها فانها لم تستطع ان تتصاعد الى ان تحرم عليه التصويت اي الاستفراغ للفضلات والنفونات النفسية باسلوب التصويت تحت اية دعوى دينية او مذهبية او وطنية او غير ذلك . بل لقد كانت جميع الاديان وجميع حيل واجهزة الطغيان تنتملق الجماهير بتجريضها على التصويت ، وبابتكار الوسائل والاساليب التي تجعلها دائماً مصوتة ، معجبة بتصويتها ، بل متدنية ومباهية بتصويتها ، مستمعة لمن يصوتون لها باسمها معرضة لهم على ان يستمروا يصوتون بكل اساليب ولغات التحريض . .

وهل توجد أو وجدت طقوس أو عبادات يتقرب بها الى الاديان والى الطغيان ، وتطالب بها الاديان والطغيان مثل تحول وتحويل جميع المعابد والاسواق الى أصوات؟ هل تفنن صانعو الاديان أو صانعو الطغيان في شيء مثل تفننهم في جعل التصويت كعبادات وفنوناً تؤدي في كل الاوقات في كل مكان بكل اساليب الافتضاح والجنون ؟ هل وجد دين واحد أو طاغية واحد لم يجعل التصويت له أو باسمه أو بلغته أو باسلوبه أو معه أو وراه ، ايماناً أو تقوى أو وطنية أو قومية أو مذهبية أو اخلاصاً أو وفاءً أو مجداً أو فناً أو فداءً أو بطولةً أو انتصاراً ، أو مقاومةً للاعداء والابالسة ، ورفضاً لهم وانتصاراً عليهم وابطالاً لمكائدهم ومؤامراتهم ؟

هل وجد اله أو نبي أو طاغية لم يجعل التصويت سلاحاً عبقرياً خارقاً شعبياً يقاوم به كل الاعداء والمؤامرات والفساد ؟

انه لا يوجد في حياة الانسان جهاز استفراغ يساوي في قيمته وشموله وضخامته جهاز التصويت فيه . انه اي جهاز التصويت هو الجهاز الذي يستفرغ كل ذات ان الكلام أو التصويت الذي يجيء بنيات وبحوافز الاستفراغ للذات هو أشمل

الانسان ، كل حواسه واحاسيسه وكل تصوراته ومعانيه ، بل يستفرغ كل الكون وكل مواجهاة الكون . . بل انه الجهاز الذي يستفرغ به كل الهته وانبيائه وزعمائه وقادته . وهل يستطيع تقبل هؤلاء لولا استفرغهم ؟

ان الانسان بجهاز التصويت فيه يستفرغ رؤاه واستماعاته وافكاره ، وجميع انفعالاته الجيدة والرديئة ، السارة والحزينة ، وكل تجاربه ومواجهاته ومقاساته . وبهذا الجهاز الصوتي يستفرغ الانسان ايضا جميع اديانه وعقائده ومذاهبه وتاريخه وحياته . ان كل قيمة لالهة الانسان ولانبيائه واديانه وعقائده وامجاد تاريخه انه يحولها الى اساليب استفرغية ، وانها ايضا تهبه مزيدا من هذه الاساليب الاستفرغية . .

ان عينيه اذا رأتنا ، واذنيه اذا سمعتنا ، وقلبه اذا خفق ، وضميره اذا ارتجف او ابتهج ، وفكره اذا تقبل او حاور او رفض او صدم او دعر ، وعقائده واقتناعاته اذا اهتزت او شاعت او افتضحت او هزمت ، ومشاعره اذا غنت او رقصت او حزنت او بكت ، وكرامته وكبريائه اذا اهينتا او جرحتا ، وشجاعته واخلاقه اذا هزمت .

- نعم ، ان كل ذلك فيه في كل حالاته واطواره وتقلباته يحتاج الى ان يستفرغ اي الى جهاز يستفرغه . انه لا يستطيع ان يستفرغ نفسه ، ولا يستطيع كذلك ان يظل بدون استفرغ . حتى قدماء وزجلاه ووجهه وعلامات وجهه وشعرات رأسه وجلده ، جيدة ورديئة ، مستريحة ومتعبة ، جميلة ودميمة ، محكوم عليها بالاستفرغ . ان العيون والاذان وغيرها من الحواس والاحاسيس لا تستطيع ان تستفرغ رؤاها او سماعها او شحناتها ومواجهاتها وتصادماتها الاخرى المتنوعة والدائمة . ولا تستطيع ان تظل بدون استفرغ . انها محتاج الى انقاذ .

لئن اين المنقذ ؟ اين جهاز الاستفرغ الشامل الجيد ؟

ان هذا الجهاز الاستفرغي هو المنقذ . فهل هو موجود ، وما هو ؟ انه موجود ، وانه لجهاز كاف كفى ، . انه ليؤدي وظيفته الاستفرغية دائما وخير أداء . انه لا يصاب بالعجز أو التوقف أو الخلل أو الكسل أو بالعناد أو التباطؤ في اي وقت ولا تحت اي ظرف او سبب . . انه جهاز لا مثيل له في نبله ووفائه وشموله وصبره وسلوكه الفدائي وحضوره الدائم . .

انه ، لكي يؤدي وظيفته بكل النبيل والشهامة والقدرة والذكاء والفداء لا يحتاج الى تحريض أو تعليم ، الى ترغيب أو ترهيب . لا يحتاج ، لكي يفعل ذلك ، الى نبوات او زعامات او ايمان او مذاهب او الى توعدهم بالجحيم او وعد بالفردوس .

بل ان كل شيء ، كل وعد ووعيد ، كل التعاليم والاديان والمذاهب والزعامات والنبوات ان كل ذلك لو جاء لينهاه ويجزه ويمنعه من ان يؤدي وظيفته بكل هذه القوة والبراعة والمثابرة والحماس والديمومة لما استطاع ان يفعل شيئا او ان يؤثر فيه أي تأثير نعم انه قد يؤدي وظيفته باسم التعاليم والمذاهب والزعامات والنبوات

وغيرها . ولكنه ايضا لا بد أن يؤديها بكل القوة والحماس والشمول بدون هذه التي قد يعمل تحت شعاراتها .

ان كل الكون وكل ذات الانسان لا بد ان يمر من جهاز التصويت فيه اي من جهاز الاستفراغ فيه بالتصويت تحت اي اسم او شعار وبلا اي اسم او شعار . . ان اخلاق واوصاف وممارسات عقولنا وضمائزنا وعيوننا واذاننا تتحول الى اخلاق واوصاف وممارسات لاصواتنا . .

انه لا يوجد شيء يستفرغ كل شيء ويمر منه كل شيء باسلوب الاستفراغ ونيته غير صوت الانسان . . نعم ، كل الكون وكل شيء يستفرغه الانسان بصوته ويمرره منه ان اكبر واجمل شيء وكذا اصغر واقبح شيء لا بد أن يمر من ذات الانسان بصيغة صوت بنية استفراغية . .

ان جهاز التصويت في الانسان او جهاز الاستفراغ فيه بالتصويت هو انفع- وانبل جهاز عرفه الانسان وتعامل عليه وبه ، ولكنه مع ذلك هو اكثر الاجهزة الاستفراغية عفونة وبذاءة وفضحا . نعم ، هل توجد اية وقاحة او نذالة او حقارة او بلادة او تقاهة او بذاءة لا يصوغها ويطلقها لسان الانسان على كل شيء وفوق كل شيء ومحقرا مهينا مشوها بها كل شيء ؟

ولكن لا . يجب ألا يظلم او يتهم هذا الجهاز بما ليس ذنبه او قبحه او عاره . ان لسان الانسان او تصويته ليس هو الذي يصنع العفونة او البذاءة او القبح او النذالة او الفضائح ، وليس هو الذي يصاب بذلك او يتهم او يحاسب به او يسأل عنه او عن اي شيء منه . حتى العشق والاستمتاع ليسا من حظوظه . انه اي لسان الانسان لا يعيش شيئا من ذلك ولا يستمتع بشيء منه . انه لا يهوى او يريد شيئا مما يفعله . .

بل انه اي لسان الانسان او تصويته ليس الا جهاز تمرير وتفريغ لذلك ومن ذلك . انه اذن جهاز تنظيف . يسحب العفونات والفضائح والنذالات والبذاءات من نفس الانسان ومن حضيضه ليلقي بها في الخلاء ، في الفراغ الرحب . . ان لسان الانسان او تصويته مظهر لذاته ولنفسه من وخالهما وآلامهما المتجمعة المتسعة .

انه فدائي عجيب في موهبته الفدائية . انه لا يأذن فقط بأن يكون ممرا لهذه الاحوال لكي تمر منه بعيدا عن اعماق الانسان ، بل انه يقاسي ويقاسي لكي يسحبها من نفس الانسان لينظفها منها ويخفف آلامها ومقاساتها . .

هل وجد او يوجد شيء تقبل ان يكون اعظم منظف لاقبح واكثر العفونات دون ان تكون له اية متعة في عمله غير لسان الانسان ؟

ايهما اقرب الى القيم الدينية والاخلاقية والذهبية والانسانية : ان يكون هذا المر اي جهاز التصويت في الانسان موجودا لكي يستفرغ ويسحب من نفس الانسان تقاهاته وبلاداته واحزانه ومخاوفه وآلامه وتوقعاته وتجاربه الاليمة ، وايضا

يستفرغ ويسحب من حضيض نفسه احقاده وبذاءاته ونذالاته وجميع فضائحه وصغائرته وتمنياته ونياته الرديئة الصغيرة - أم الا يكون هذا الجهاز الصوتي أو الامر موجود لتبقى كل هذه الافات والذنوب مخزونة محصورة متراكمة في امكانها المختلفة من ذات الانسان ، بكل قبحها ووحشيتها وتأججها ، لا تجد تفريجا أو تصريفا أو تخفيفا ؟

نعم ، ليست اصوات الانسان هي اعظم منقذ لنفسه من آلامها واوجالها ؟ ليست اعظم مفرغ لها من ذلك ؟

حينما تكون نفسك ونفوس من حولك مشحونة بالالام والاوحوال والتفاهات والبلادات والتشوهات وبكل الذنوب والصغائر ، ليس القاء بعضكم امام بعض بكل هذا الذي في نفوسكم حتى ولو تطايرت اشياء منه على وجوهكم او على ثيابكم او على اخلاقتكم وكراماتكم جميعا افضل او اقل سوءا او ذنبا او تعذيبا من ان تظلوا جميعا مخزنين لكل ما في انفسكم بلا اي تفريغ أو تصريف أو تخفيف ؟
ليس القذف بالاوحوال على الوجه والجلد والثياب انبل او اقل قبحا وتعذيبا وأهانة من اختزانها داخل الذات ؟

ليس القاء البشر بالفضلات المتكونة من الطعام الذي يأكلونه ومن الماء الذي يشربونه ، بعضهم امام بعض حتى ولو اصابهم جميعا اشياء من هذه الفضلات افضل او اقل سوءا وتعذيبا لهم من اختزان هذه الفضلات داخل ابدانهم اي اذا لم يكن هناك خيار ثالث او اذا لم يكن هناك بد من هذا او هذا ؟
ليس البشر في كل التاريخ يفعلون هذا الالتقاء بهذه الفضلات ولا يزالون يفعلونه ، بعضهم امام بعض بل وفوق بعض ؟

انه لو كان ممكنا الا يخترع او يصنع الانسان شيئا مما اخترع وصنع وابدع لكان هناك شيء لا بد أن يخترعه ويصنعه ، ذلك هو التصويت . انه الاختراع الذي يستطيعه غير العابرة والموهوبين ، بل الذي يستطيعه الاغبياء والعاجزون اكثر مما يستطيعه المتفوقون .

انه لو كان ممكنا او محتوما الا يبتكر الانسان حضاراته الضخمة والا يصنع شيئا من صناعاته والا يكون زارعا للارض ومستنبتا للبقول وآكلا لها ، والا يكون مؤمنا بالالهة والانبياء والاديان والمذاهب ، ومتعاديا متقاتلا متشامتا متباغضا محتالا كذابا مستغلا غازيا سارقا ناهبا متوقحا باسمها وبحجة الدفاع عنها والايماز بها والحب لها وادخال السرور في قلوبها ، وملقيا بكل الذنوب والبذاءات والسفاهات والاوحوال والاكاذيب في عيونها اي عيون الالهة والانبياء والاديان وفي اذانها .

- نعم ، انه لو كان ممكنا او محتوما الا يعرف او يفعل الانسان شيئا من ذلك لما كان محتملا ألا يكون مصوتا . انه لمحتوم ان يكون الانسان مستفرغا لتفاهاته وبلاداته وهمومه وسرراته ولجميع انفعالاته الجيدة والرديئة بقدر ما هو محتوم انه

يكون مستفرغا للفضلات المتخلقة داخل جسمه من الطعام الذي اكل ومن الماء الذي شرب ، بالاسلوب الذي يستفرغ به هذه الفضلات . .

اذن فالعرب ليسوا هم وحدهم المصوتين ، بل كل البشر لا بد ان يكونوا مصوتين ، بل جميع الكائنات الحية الشاعرة المتألدة والمتلذذة ، الفرحة والمكتئبة ، المريدة والرافضة ، لا بد ان تكون مصوتة . بل كل شيء موجود لا بد ان يكون مصوتا . .
- نعم ، حتى الالهة والحشرات لا بد ان تكون مصوتة بالاساليب والنيات التي يصوت بها الزعيم العربي . .

ولكن الفروق في النوع والقدار والاسلوب والنيات والمستوى . . كم هي عظيمة الفروق بين من يصوت مغنيا او راقصا او مصليا او محييا او مصافحا او معانقا بالالفاظ والكلمات ، او باكيا او معلنا عن اساءه وعذابه وتمنياته وحبه وعن رؤاه او عن مشاكله وورطاته ، بادب وتهذيب وصدق وصدقة ، وبين من يصوت شاتما محقرا مبعضا متنوعا مقاتلا مخاصما مفاخرنا هازئا متكبرا ، بكل الوقاحة والبذاءة والكذب والغرور والبغضاء - معتقدا ومعلنا انه بذلك يصوغ الكون والحياة والحضارات ، ويعبد الالهة والانبياء والاباء ، ويصلي لهم ويصنع لهم المسرات والامجاد ، وانه ايضا بذلك يهزم ويقتل ويذل كل الاعداء والخصوم والابالسة !! اي مثلما يعتقد ويزعم الانبياء والزعماء والقادة والشعراء العرب حين يصوتون ويصوغون كل شيء باصواتهم . .
نعم ، كم هي عظيمة الفروق بين من يصوت هاتفا للحب والجمال والسلام والتسامح وهاتفا بذلك ، متمنيا له ، وبين من يصوت هاتفا للحقد والبغضاء والتعصب والعداوات ، وهاتفا بها ، متمنيا لها !!

عظيمة هي الفروق بين من يصوت مصليا لجمال وعتور زهرة جميلة معطرة ، وبين من يصوت مصليا لوحشية وكبرياء وانانية اله بدوي متوحش متكبر اناني ، يطالب بان تركع له كل الهامات والقامات والعقول والضماير والاخلاق ، متنوعا بالاجحيم وبكل الاهوال ، راشيا بالوعود ، باللذات البدوية القافهة المستحيلة ، في جنات يهين تصورهما كل معاني الجمال والذكاء والوقار والرصانة والاستحياء . .
في جنات يخجل كل فكر وكل جمال وكل مستوى فني واخلاقي ان تكون اي الجنات من تفكيره او تمنياته او حظوظه !!

عظيمة هي الفروق بين نبي او كاهن او شيخ يصوت هاتفا وداعيا ومادحا ومفسرا لاله الكنيب الرهيب الذي يتصوره ويتعلمه ويعلمه ويقروؤه ويقراً عنه ومنه ، وبين شاعر انساني الفكر والاماني والتجارب والرؤى والالام ، يصوت مغنيا لحيه وطموحه وامانيه ولشروطه على التاريخ والحياة وعلى الانسان وايضا لشروطه للتاريخ وللحياة وللانسان ، انه يشترط على كل شيء ولكل شيء . .
اجل ، عظيمة هي الفروق بين الانبياء والكهان والشيوخ وجميع الرعايا ، مصوتين بالالهة وبالاديان وبالجنة والنار ، ومصوتين لها ، وبين جميع الشعراء

والانسانيين ، مصوتين للانسان ، لحرينه ولجده ولحبتة وصدافته ولحياته ومستقبله ، بلا آلهة ولا ابالسمة ولا زبانية من الملائكة وبلا جحيم وبلا أهوال أو تهديدات غيبية غير معقولة ولا مغفورة ولا محترمة ولا مهذبة ، بل وغير عاقلة . ان الفرق بين شاعر انساني وبين اي نبي أو شيخ أو كاهن أو واعظ بالجنة والنار ليس اقل من الفرق بين من يصافحك ويرثي لك ومن يشتمك ويشتمت بك .

انها لا تحتاج الى تدريس أو تعليم أو دعاية أو اعلان ، الفرق بين طائر يصوت بانشاد وتغريد ومحبة ، محييا الصباح أو السحاب أو المروج ، وهاتفا لها ، وبين ذبابة أو اية حشرة تصوت باسلوب النعي ونياته ، مهددة الصحة والحياة والنظافة والجمال والكبرياء بكل ما تحمل من موت وعذاب ووقاحة وبذاءة وقذارة ، ومهددة كرامة الالهة أو كرامة الطبيعة بالاذلال والتشويه والتحقير - مهددة لكل ما يزعم عن ذكاء ورحمة وشرف ونظافة الالهة ، أو ما يزعم عن عظمة الكون وعن مجده وعن اي تفسير جميل أو ذكي له . . مهددة اما مجد الالهة واما مجد الطبيعة ، ومستقرعة على كبرياء الانسان وعلى شرف عينيه !

انها ايضا لا تحتاج الى تدريس أو تعليم أو دعاية أو اعلان ، اي الفرق بين قلب يصوت برهبانية انسانية ، خافقا احتجاجا على ألم أو ظلم أو قبح أو على تشويه أو بلادة أو حقارة أو على اي اسلوب من اساليب اليؤس والعذاب والكينونات الدميمة أو الرديئة أو المشوهة ، أو خافقا راقصا هاتفا لاية صيغة جمال أو ذكاء أو نظام أو تهذيب أو محبة أو سعادة أو مسرة - وبين قلب مشحون بالسوء واللؤم والندالة ، يصوت قاذفا صارخا متفجرا بالاحتقاد والبغضاء والشتايم والبذاءات والتفاهات والبلادات ، ملقيا صارخا بها على كل شيء جميل أو ذكي أو نظيف أو كريم أو مهذب أو شريف ، بل واحيانا ملقيا وصارخا بها على كل شيء دميم وبليد وذليل وملوث ومهين ومتوقع . . ان القلوب والضمائر اللثيمة لا تختار لطلقات لؤمها الاهداف الجيدة . . ان وقاحة الذباب لا تختار اجمل الوجوه أو اشمخ الانوف لتعاقبها بأدرانها وبكبريائه وعدوانه . . ان الفرق بين تصويت وتصويت ليست أقل من أضخم الفرق بين ذكاء وذكاء ، أو بين اخلاق واخلاق ، أو بين أضخم جمال وأضخم دمامة ، أو بين أعظم عبقرية وأعظم بلادة ، أو بين أشهر وأوسع حضارة وأشهير وأوسع بدواة ، أو بين أكبر انسان وأصغر انسان ، أو بين نبي عربي يقرأ كتابه المقدس وانسان اخر من نوع اخر يقرأ اناته واحزانه رثاء للاله الاتهم بهذا الكون وهذا الانسان ورثاء للانسان المتهم بهذا الاله وبمحاسبة هذا الاله . .

ان الفرق بين هذا وهذا هو التفسير للفرق بين تصويت وتصويت ، وهو التعبير عنه . هل كان يمكن ان توجد الفرق بين هذا وهذا لو لم توجد الفرق بين هذا وهذا ؟ هل يمكن ان تختلف الاصوات أو ان تختلف تفاسيرها ونياتها لو لم تختلف مزايا المصوتين ؟

غراباً ناعباً.. لاصقراً صامتاً

ان الانسان العربي لا يصوت بأي تفسير أو معنى من هذه التفاسير والمعاني
الانسانية الجميلة الغنائية للغة والضمير والفكرة والاخلاق والحوافز ..

حتى الصلاة والتضرع الى الاله ، انهما عند الانسان العربي ليسا انشادا أو حبا
أو تعبدا بل سبب وحقد وعداوة .

انه اي الانسان العربي لا يصوت مصافحا أو معانقا أو مصادقا أو محبا أو
محبيا أو متمنيا أو ميتسما أو مواسيا أو مشفقا أو معالجا ، أو مغنيا هاتفا لجمال أو
لذكاء أو لعدل أو لنظافة أو لكرامة أو لتفوق أو لعبقرية أو لاية مزية يراها أو يعلمها
أو يحدث عنها أو يتصورها أو يتمناها أو يشنق اليها ، في نفسه أو في اصداقائه
أو في اعدائه ، في الانسان أو في الطبيعة حتى موهبة التمني عند الانسان العربي ،
انها لا تستطيع الاقتحام أو الاختراق أو الرؤية الجميلة أو الذكية أو النظيفة ..

كذلك لا يصوت ، رفضا أو احتجاجا أو غضبا أو اشمئزا أو بكاء أو اباء أو
استحياء ، لانه يواجه ويرى ويسمع ويعيش ويعايش ويتمنى ويصادق ويعشق
كل الدمامات والعاهات والتشوهات والبلادات ، وكل العار والذنوب والصفائر
والفضائح والهزائم ، هو وأهله وبنوه واباؤه وشعبه ووطنه وتاريخه وتعاليمه
ومثله بل واربابه وانبيائه وكتبه المقدسة ...

انه اي الانسان العربي لا يصوت تحية أو مصافحة أو صلاة أو مغازلة لشيء
جميل أو ذكي أو كريم أو نظيف ، أو متمنيا محبا له ، أو مشتاقا متطلعا اليه ، أو
محرضا له على المجيء وعلى الانتصار والانتشار ..

كذلك لا يصوت مقاومة أو معاقبة أو ارهابا أو رفضا لشيء دميم أو بليد أو ظالم
أو وقح أو حقير أو ملوث ، أو اشمئزا وخوفا منه ، أو بكاء وانفجعا توقعا لمجيئه
ولانتصاره وانتشاره .. ولكن هل يعرف الانسان العربي الفرق بين الشيء الجميل أو
الذكي أو الكريم أو النظيف وبين نقيضه ؟

انه لا يصوت لانه يحب أو يحترم أو يفهم أو يتقبل أو يعقل شيئاً ما ، ولانه يكره أو يرفض أو يحتقر نقيض ذلك الشيء ، ويعجز عن أن يفهمه أو يعقله ، فيغني لهذا محبياً وممجداً ومبايعاً ، ويغني ضد ذلك هاجراً وهاجراً ومقبحاً . .

وهل يستطيع أو يريد الانسان العربي أن يفهم أن الحياة أو الاخلاق أو الانسانية هي الشيء ونقيضه وان الشيء ، لا يساوي نقيضه ؟

انه لا يصوت انفجاعاً واستنقظاعاً وعذاباً وانينا حين يسمع ويرى ويجد الانين والمعذبين والمستذلين والمقهورين والمستصرخين والشوهين وهو لا يستطيع انقاذهم ، وحين يواجه ويرى الفاهرين والمعتمدين والسفهاء والسخفاء والانذال والمتجبرين المقهورين وهو عاجز عن قهرهم أو اصلاحهم . .

انه لا يصوت رثاءً أو اشفاقاً أو استنكاراً أو اعجاباً أو اشمئزازاً أو استنقباحاً أو استحساناً أو شوقاً روحياً أو فكرياً .

انه لا يصوت مبتهلاً خافق الضمير والاخلاق ليهب السرور للقلوب الحزينة ، أو العزاء للقلوب المنجوعة الكليلة ، أو الابتسام والجمال للوجوه العابسة الدميمة ، أو المحبة للقلوب الباحثة عن الحب التي لا تجد الحب ، أو الامل للاماني اليائسة ، أو الانتصاب للقامات المنحنية ، أو الارتفاع للهامات المطاطة ، أو القدرة على التحديق وعلى الرؤية للعيون الخائفة من التحديق والفاقدة للرؤية العاجزة عنها ، أو النظافة والتقوى للاخلاق الفاقدة للنظافة والتقوى ، أو القوة للمعضلات الضعيفة الواهنة ، أو الحركة للاعضاء المصابة بالسكون ، أو الفهم للعقول العاجزة عن الفهم الخائفة من الفهم ، أو التعويض والتفريج عن الالهة المهجورة . حتى الالهة ، ان الانسان العربي لا يصوت لكي يهبها العزاء أو السرور أو الامل أو ليخفف عنها من عذاب وحقها وصمتها وهجرها ومن عذاب العصيان لها . .

انه اي الانسان العربي لا يصوت كطير بريء الضمير والاخلاق ملحق الاجنحة والنيات فوق كل حضيض ونذالة وبغضاء ، أو كشاعر يعيش بكل معانيه ولغاته وتحديقاته فوق النجوم ، حينما يصوت اي هذا الطير أو هذا الشاعر ، مغنياً مسمعاً مهنشداً أذنيه وكل اذان كل الاشياء ، مغنياً لطموحه أو لحبه أو لاماله أو لتحليقه أو لسروره أو لتطلعاته وتحديقاته الجميلة البريئة ، أو لامنه وسلامه ، أو لحب ورخاء وسلام وصدقة واماني ومسرات كل الناس وكل الكون ، أو مصلياً هاتفاً لالهه الجميل المهذب المتواضع المسالم الرحيم العاجز عن ان يملك جنة أو ناراً يجن هو ويصيب بالجنون وعدا ووعيدا بهما ، والعاجز كذلك عن امتلاك زبانية أو ملائكة غلاظ شداد قساة لا يعصون أو يكرهون أو يرفضون أو يحتقرون طاغيتهم الرهيب الكئيب ، مهما طالبهم بالتدمير والتخريب وبالتمويت والقتل والتشويه والتعذيب والترويع وبكل ألوان الجنون والسفه والعدوان والوقاحات . كم هو قبيح وبذيء تصور مثل هذا

الاله أو هذا الكائن الذي يملك مثل هذه الجنة أو مثل هذه النار ويملك مثل هذا الوعد والوعيد بهما ويملك مثل هؤلاء الملائكة الغلاظ الشداد ؟

ان الانسان العربي لا يصلي ولا يغني ولا ينشد ولا يهتف أو يصوت أو يناشد أو يخاطب أو يخطب أو يقرأ مهما فعل ذلك . انه في كل ذلك وفي كل حالاته ليس الا شاتما أو مخاصما أو متوقحا أو مهددا أو محقرا أو هازئا أو كاذبا أو معلنا عن حقه وبغضه وسفاهته وبذاته . انه لا يستطيع ان يكون مغردا أو مصليا أو معزيا مهما قال وحفظ وتلا القصائد ، ومهما شيد وملا المعابد ، ومهما اقام المآتم وتزاحم عليها وارسل برقيات التعزية .

حتى الصلاة وحتى قراءته لكتابه المقدس . انه لا يعني او ينوي بذلك ان يصلي أو يقرأ كتابه المنزل ، وانما يعني وينوي بصلاته وقراءته ان يشاتم ويكره ويخذل ويعادي ويخاصم ويتحدى ويغيب . ان كل قيمة الصلوات والاديان والالهة والمذاهب عند الانسان العربي ان تتحول الى أصوات سابة متوقحة بذينة حاقدة مباحية عدوانية . .

وهو حينما يصوت هذا التصويت اي الذي لا يعنى به الا هذه الشرور والنذالات لا يفهم من ذلك هذا الذي لا يعنى او ينوي سواه . وانما يعلن ويفهم انه بهذا انما يصوغ الكون والحياة ويهبهما كل المجد والجمال والذكاء ، ويبدع اضخم واشمل وأدوم الحضارات ، ويؤدب ويهزم ويرهب كل الاعداء والخصوم ، ويعلم ويهدي ويهذب كل الضالين والفاستدين والمتوقحين والاشرار ، وانه ايضا بذلك انما يداوي ويشفي جميع الحشرات من حقاراتها وقذاراتها وصغائرها وهبوطها ، كما يداوي ويشفي جميع الالهة من همومها وهزائمها وبلاداتها وعبثها !! نعم ، انه لا يوجد من يحتاج الى ان يداوي من احزانه وهزائمها وتفاهاتها واحقاده كالاله . وهل يوجد الداوي له ؟

ان الانسان العربي لا يصوت كطفل او كطائر او كعذب يئن ويشكو ويحتج بل ولا كاعصار او زلزال او كوحش غاضب يتهيا للاقتراس والهجوم ، وانما يصوت كذبابه او بعوضة أو كآية حشرة حاملة وناقلة وناقلة وناقلة للموت والسموم والجراثيم والقذارات والغثيان والاشمئزاز والقبح والرعب البذيء . . ايها الانسان العربي ، ايها النبي والزعيم والمفكر والشاعر العربي ، متى تنتقل بتصويتك من كينونة ذبابه وبعوضة الى كينونة عصفورة أو حتى الى كينونة دجاجة ؟

ليتك ايها الانسان العربي ، ايها النبي أو الزعيم أو الشاعر أو المفكر العربي نعم ، ليتك حينما تصوت طفل أو طائر صادق بري، يصوت مغنيا أو باكيا ، أو ليتك زلزال أو اعصار يصوت مدمرا وفاتكا بقوة وشجاعة وشهامة ونبل وصدق . . ليتك ايها النبي ، ايها العبقري العربي حين تصوت تكون اي صوت غير صوتك . ليتك تتعلم جمال التصويت وبرائه وتهذيبه وصدق حبه وشاعريته من الطيور والحشرات والزلزال والاعاصير .

لينتك حين تصوت وحش قوي رهيب يصوت مهاجما ضاربا قاهرا منتصرا بلا ندالة أو بداءة أو وقاحة أو اكاذيب أو غرور أو ادعاء أو تهديد أو وعيد لا ينفذ أو يصدق أو يخيف بل ولا يحترم كتهديد ووعيد اربابك وانبيائك وزعمائك وشعرائك وخطبائك وكل ابائك وابنائك في كل تاريخك وكل حاضرک . وهل اجرؤ على أن أقول : وفي كل مستقبلك ؟ هل وجد من حقر التهديد والوعيد وسلبهما معناهما مثلك ايها الانسان العربي ، ايها النبي أو الزعيم العربي ؟

حزني لك وعليك ، بل حزن كل الناس وكل الاشياء لك وعليك ومن أجلك ايها الانسان العربي ، اذا كانت اضخم التمنيات لك أن تكون حين تصوت طفلا أو طائرا أو زلزالا أو اعصارا أو وحشا . . اذا كانت اجمل واتقى التمنيات لك ان يكون انبياؤك وزعماءك وشعراؤك ومفكرؤك حين يصوتون اطفالا وطيورا وزلازل واعاصير ووحشا حين تصوت !!

متى ايها الانسان العربي . . ايها النبي والزعيم والشاعر والواعظ والمفكر العربي - نعم ، متى تصبح حين تصوت في صدق وبراءة الطائر أو الطفل حين يصوت مفردا ، مغنيا أو باكيا أو راثيا أو مشتاقا أو محلقا متطلعا الى الافاق والنجوم ، أو في قوة وفتك وشهامة وصدق الزلزال أو الاعصار حين يصوت مدمرا مغفيرا فعلا ، أو في شجاعة وكبرياء ووثبة وروعة وجمال الوحش ، حين يزار واثبا ضاربا منتصرا قاهرا منفذا بلا وقاحة ولا ندالة ولا غرور ولا ادعاء وبلا تهديدات وبيانات وانذارات كاذبة بذينة سخيفة محتقرة مسخور منها ؟ كيف تستطيع أو تقبل أية اذن أن تظل حية أو سامعة ان كانت قد سمعت شيئا من انذاراتك وتهديداتك ايها النبي ، ايها القائد ، ايها الشاعر العربي ؟

متى ايها النبي والزعيم والشاعر والمفكر والعالم العربي تفسر وتسمع اصواتك كما تفسر وتسمع اصوات العصفير والدجاج ، لا كما تفسر وتسمع اصوات الذباب والبعوض ؟ هل يستطيع مجد اصواتك أن يقفز من مجد اصوات ذباب وبعوض وجراثيم الى مجد اصوات دجاج وعصفير وفضادع ؟ ان كل الناس محتاجون بل ومضطرون الى التخلص من شحناتهم وعفوناتهم النفسية بالاصوات المختلفة ، وايضا بالحركات وبكل الوان التعبير الكثيرة . ولكن كم يختلفون ذكاء وتهذيبا ووقارا وتحضرا وجمالا في النيات والاساليب وفي أداء الاساليب التي يتخلصون بها من ذلك ؟ كم يتفاوت الناس في ادائهم للوظيفة الواحدة أو العمل الواحد وفي تعبيرهم عن القضية أو النية الواحدة ؟ كم يقفوتون في التفاسير والاساليب ؟

ان اساليبهم في التخلص من الفضلات المتكونة داخل اجسامهم مما أكلوا وشربوا ليست اكثر تفاوتا واختلافا في ذكائها ونظافتها واستقرارها وعلمانيتها واخلاتيتها وفي جمالها وقبحها من اساليبهم التي يتخلصون بها من هذه الشحنات أو العفونات النفسية ، اي من اساليبهم الكلامية والصوتية والحركية وسائر اساليبهم

التعبيرية • ان اساليب التخلص من عفونات النفس والعقل والاخلاق بالتصويت وبغيره قد تكون اكثر وقاحة من كل اساليب التخلص من فضلات الطعام والشراب المختزنة في غرف الجسم الداخلية •

وكما أن تصويت العرب ليس تصويتا اي اقل من التصويت ، وانما تصويتهم شتائم وبذاءات ونذالات واحقاد وبغضاء وتهديد وادعاء واكاذيب فكذلك ايضا فان شتائمهم وبذاءاتهم ونذالاتهم واحقادهم وبغضائهم وادعاءاتهم واكاذيبهم ليست في مستوى مثيلاتها عند الاخرين ، انها عند العرب اردأ واصغر واكثر هبوطا في اساليبها وتفسيرها ونياتها •• كم يختلف الناس ويتفاوتون في اساليب ادائهم وممارساتهم لوقاحاتهم ودماثتهم وذنوبهم ؟ كم تتفاوت القباحات والوقاحات لتفاوت من يفعلونها؟ ان الاخرين اذا مارسوا هذه الرذائل والشرور مارسوها بدكاء وعقلانية ، بل وعلمانية واخلاقية ، بل وشاعرية وفنية وحضارية • نعم ، حتى الرذائل والشرور لا يمارسها المتحضرون الا باساليب حضارية وعلمية وعقلية • نعم ، ان اقواما ليتحولون الى شعراء وفنانين في ممارساتهم للرذائل والشرور وفي تعبيرهم عنها ••

حتى الخروج على الاخلاق واختراق الاخلاق انما يكونان عند المتحضرين باساليب اخلاقية بل وبنيات اخلاقية ، حتى الوقاحة لا بد أن تؤدي بتهديب ! ما اعظم الفرق بين الوقاحة الوقحة والوقاحة المهذبة !! اما العرب فكم يجب الرثاء للكلمات واللغات ، وكم يجب الاعتذار اليها اذا كان محكوما عليها اي على الكلمات واللغات ان تفسرهم اي تفسر العرب في كل الاوقات والمواقف ، وتحت كل الظروف كما يجب تفسيرهم • ما اعظم عذاب وهوان اللغات والكلمات التي قد حكم عليها بان تفسر العرب كل تفاسيرهم بكل الصدق والاعلانية كلما وجب تفسيرهم !

حتى اصواتهم اي اصوات العرب لا تستطيع ان تكون اصواتا ، انها اقل من الاصوات في كل معانيها وصيغها • وحتى شتائمهم وبذاءتهم ونذالاتهم وخصوماتهم وعداوتهم واحقادهم وادعاءاتهم وبغضائهم ودعاياتهم واكاذيبهم ، بل وحتى ايمانهم بآلهتهم وصلواتهم وعباداتهم وتضرعاتهم لها ، وحتى قراءاتهم وتفسيرهم لنبواتهم ولكتبهم المقدسة •

نعم ، حتى هذه كلها عند العرب لا يوجد ما يساويها او يشبهها عند غيرهم في هبوطها الفكري والفني والنفسي والاخلاقي والانساني • ان ممارسات العرب لجميع الاشياء لا تتفاوت في هبوطها الفكري او الفني او النفسي او الاخلاقي او الانساني ••

هل يوجد غير العرب من يشتمون او يخاصمون او يدعون او يخاطبون او يخطبون او يجادلون او يدعون او يعلنون أو ينزلون النبوات والاديان والكتب المقدسة ويقرونها ويفسرونها ويزعمون لها ويدعون لها واليها ويلزمون بها ، او من يصنعون الشعراء

والاشعار والمدائح وينشدونها ويحفظونها ويباهون كل العالمين بها ويمتلكون كل الامجاد بامتلاكها ، ويهزمون ويحلون كل المشاكل والمستحيات وكل الاعداء والخصوم والمنافسين بحفظها وانشادها والياهاة بها ، او من يعلنون ويعتقدون امتلاكهم وحدهم لكل مجد التاريخ ولكل ذكائه وتقواه وجماله وكرامته ولكل انتصاراته - ليس التحدث عن الشيء وادعاؤه بغرور مفضوح يساويان في حسابهم كينونة ذلك الشيء وامتلاكه وفعله - .

نعم ، هل وجد او هل يوجد غير العرب من يفعلون ويقولون ويعتقدون كل ذلك بلا اي قدر من الذكاء او الرؤية او الحكمة او الوقار أو الصدق أو التهذيب أو التواضع ؟ هل يوجد من يفعلون كل الافتضاح بكل اساليب ودوي الافتضاح غير العرب ؟ هل يوجد عاشق للافتضاح وفاعل معطن له وعنه مثل الانسان العربي ؟ هل يوجد كالعرب من يفعلون كل الضعف باساليب كانما ينون بها الاعلان عن ضعفهم ؟ هل يوجد من يفعلون كل الضعف والغباء معتقدين وزاعمين انهم يفعلون كل القوة والذكاء والعبقرية كالعرب ؟

كل الناس يشتمون ويخاصمون ويباهون ويكذبون ويحاورون ويعلنون ويخاطبون ويخطبون ، اي ولو لحيانا ولكن بذكاء ودهاء وشاعرية وفنية وموهبة وبمحاسبة وحسابات صارمة - الا العرب . العرب لا يقبلون كما لا يستطيعون ان يكونوا فنانيين ولا شعراء ولا موهوبين ولا متحضرين حتى ولا في فضائهم !! كل الناس يفتضحون ويتعرون باستتار ووقار وحياء الا العرب ، فان افتضاحهم وعريهم لم يبتكروا او يعرفوا اي زي او لغة يستتران او يتحدثان بهما غير الافتضاح والعري . ان العرب لم يوهبوا الصدق والصراحة والشجاعة في شيء مثلما وهبوا في الافتضاح والتعري من الوقار والاستتار والصدق . .

كل الناس اي الذين هم في مستويات اعظم من مستويات العرب يعرفون انهم يصوتون حين يصوتون الا العرب ، لانهم لا يعرفون ان التصويت هو شيء غير الكلام وغير التفكير والعبقرية والابداع والخلق . كما لا يعرفون ان الانسان او الكائن يكون احيانا مصوتا فقط وحيانا متكلما ومفكرا ومبدعا وخالقا . وانه اي الانسان احيانا يصوت وحيانا يتكلم ويفكر ويبدع ويخلق لانه يريد ويستطيع ان يكون احيانا هذا وحيانا اخرى يريد ويستطيع ان يكون ذلك . .

انه يريد ويستطيع ويعرف اما العربي فلا يستطيع ولا يريد ولا يعرف . . وكذلك ايضا كل من هم في مستوى الانسان العربي . .

اجل ، يجب الصدق . انه قد يوجد للانسان العربي اشباه وامثال . اذن فليتعز الانسان العربي بهؤلاء الاشباه والامثال . انه اي الانسان العربي او مثيله في هذه القضية لا يريد ولا يستطيع ولا يعرف . اما في القضايا الاخرى فقد يريد ، ولكنه اي الانسان العربي في جميع القضايا لا يعرف ولا يستطيع اي مهما اراد . . انه لا يعرف انه حين يصوت لا يحول بتصويته البحار الى انهار عذبة ، ولا

يحول جسم الشمس الى مروج لتسمن بها وعليها خيوله الاصيلة التي غزا اباؤه وانبياءه على صهوات اباؤها كل مجد وتاريخ وكبرياء الكفر والفسق والضلال والظلم والعصيان للعروبة . كما لا يعرف ايضا انه بتصويته لا يزرع الرحمة او الحب او الشهامة أو الذكاء أو العدل أو المنطق أو الحياء فوق جباه الالهة او في ضمائرهما ولا يهب الحياة والتاريخ كل خطوتها وقفزاتهما وحضاراتهما واديانها المقبلة ، ولا يصنع الحبل بالتقوى وبالجمال والحب في كل ضمير وفكر وشهوة . ولكن هل يستطيع غيره ان يزرع بائية وسيلة شيئا من ذلك اي من الرحمة او الحب او الشهامة او الذكاء او الحياء أو المنطق فوق جباه الالهة ؟

انه لا يعرف ان تصويته ليس هو الذي تحوله الملائكة الى اناشيد لتنشدها امام مجد الاله وامام جمال الطبيعة وامام تاريخ الانسان ، محببة ممجدة مباحبة مصلية مهنئة هاتفة . انه لا يعرف ان الملائكة لم تصنع او تتعلم من تصويته اي نشيد او تسبيح من اناشيدها وتسابيحها . . .

وانه اي تصويته ليس هو النشيد الذي يصب جميع المسرات في اذني الاله ليتحول الى اضخم واوفى تعويض له اي الاله عن قسوة وشمول حرمانه وهجرانه وضياعه واخزانه ومجاعاته ووحدانيته الرهيبة الكثيية . . . وهل يستطيع احد سواه ان يصنع شيئا يمكن ان يصبح تعويضا للاله عن الام وخسائر كينونته ومواجهاته ؟

انه يعتقد انه بتصويته بل ببعض تصويته يهب ويفعل كل ذلك . بل ان كل ذلك هو بعض ما يهب ويفعل بعض تصويته . اليس اله الانسان العربي يقول للنبيء كن فيكون اي يصوت على الشيء فيكون ؟ وهل اله الانسان العربي الا نموذج الانسان العربي ؟

انه لا يعتقد ان اي شيء يستطيع ان يفعل او يهب ما يستطيع ان يفعله او يهبه تصويته ، بل بعض تصويته . انه بتصويته يصنع ما لا يمكن صنعه . اليس بتصويته يصنع فيما يعتقد الاله ، يصنع ويصوغ اخلاق الاله وارادته وكل افعاله ، لهذا يصوت له ؟

ان الاخرين حينما يصوتون لا يعتقدون او يشعرون بشيء من هذا المجد او القيمة او من هذه القدرة على العطاء ، لتصويتهم او في تصويتهم . . .

انهم متواضعون جدا في تقديرهم لاصواتهم وفي رؤيتهم وتفسيرهم لها . . . انهم يعرفون ذلك ويصوتون ويتعاملون باصواتهم محاكمين لها وحاكمين عليها بهذه المعرفة .

انهم اذن بلا امجاد صوتية . ان الامجاد الصوتية للعرب وحدهم بلا مشارك او منافس او مبارز . ولقد كان العالم سخيا وشهما واريحيا وعادلا حين سلم للعرب وحدهم كل مجد الاصوات . ان احدا من العالم المتحضر لم يجرو على الزعم ان له شيئا من هذا المجد العربي الخاص بهم .

اذن فالآخرون حينما يصوتون لا بد ان يصوتوا بتهذيب ووقار وتواضع وحياء وبشاعرية وفنية وانسانية وابلال وبلا صراخ همجي ، لانهم يعرفون انهم يصوتون فقط ، ولانهم يعرفون تفاسير التصويت وقيمته وكيف يجب ان يكون ، ومتى يكون مفيدا ومؤثرا وجميلا وشاعريا وغنائيا وانسانيا . .

ان صراخ وهجاء وبكاء وسباب الانسان المتكلم لاذكى واجمل واعمق تفكيراً وتأثيراً واقناعاً من تفكير وصلاة ومغازلة وتحية الانسان المصوت .
ولا بد من التكرار هنا : انه قد يكون للعرب اشباه أو امثال في كل هذه التفاسير . ولعل هذا التكرار يكون مرعياً ومذكوراً في حساب كل من يقرؤون هذه الدراسة .

اما العرب ، لانهم يجهلون كل ذلك ، ولانهم يهبون تصويتهم كل هذه الامجاد والتفاسير والقوة والقيمة ، فلا بد ان يصوتوا بكل الكبرياء والنزق والافتضاح والفحش والبذاءة والتناول ، وبكل الهمجية والديمومة والصراخ والقبح . اليس للتصويت الذي يخلق ويصوغ ويهب كل شيء حتى اخلاق الالهة ومشاعرها وسلوكها يجب ان يكون كل الجنون والسفه والقبح والبلادة ؟

وهكذا فعلوا ويفعلون ولا بد ان يستمروا كذلك يفعلون حين يصوتون . . اي ما لم يولد فيهم من داخلهم انسان اخر اكبر جدا من الانسان الذي لقحه فيهم انبياءهم وخلفائهم وسلاطينهم وشعراؤهم وكل اسلافهم .

انه لن يوجد شيء يستطيع ان يؤدبهم او يعلمهم او يحضرهم او يعقلهم او يجعلهم يعرفون او يقتنعون ان التصويت ليس علاجاً لجميع الاشياء من كينوناتها واخلاقتها وخصائصها ، ومن جميع آلامها وامراضها وتشوهاتنا بل ومن فواتها وذاتياتها ، ومن كل تفاسيرها - او يجعلهم يعرفون او يقتنعون ان التصويت ليس محتوماً ان يكون دائماً تفوقاً وانتصاراً على جميع الخصوم والاعداء والانداد ، في كل المواقف وتحت جميع الظروف والمواجهات . نعم ، انه لن يوجد شيء من خارجهم يستطيع ان يفعل لهم او بهم ذلك . .

انهم لا يريون ولا يستطيعون ان ينزلوا بالتصويت عن هذه المكانة ، اذ ماذا يمكن ان يكون لهم او يبقى لهم من المجد او القوة او التاريخ لو نزلوا به عنها ليضعوه في مكانه ؟

ان العربي كما يفضل ان يصوت دون ان يربح او يأخذ شيئاً على أن يصمت ويربح ويأخذ كل شيء ، فانه كذلك ليفضل ان يصوت بوقاحة وبذاءة ليكون منبوذاً مذموماً محقراً مرفوضاً على أن يصوت بأدب وتهذيب وحياء ليكون مقبولاً محبوباً محترماً مقنناً بما يقول ويريد ويحاول - ويفضل ان يصوت بكبرياء وادعاء ليكون صغيراً وتافهاً على ان يصوت بتواضع ووقار ليكون كبيراً وعظيماً - ويفضل ان يزعم انه منتصر وقوي قهار ليكون مهزوماً ضعيفاً ذليلاً على الا يزعم لنفسه القوة والانتصار والجبروت والتفوق ليكون منتصراً وقويًا ومتفوقاً ، او على الا يكون منتصراً

ولا منهزما ، لا متفوقا ولا متفوقا عليه ، لا قويا غالبا ولا ضعيفا مغلوبا - ويفضل ان يشتم الشمس ويتهمها بكل الاظلام والبرودة وضآلة الحجم والمكان والشهرة ليكون محروما منها ومحجوبة عنه حجابا شاملا ودائما على ان يصمت عن ستمها واتهامها ليكون كل ضوئها واشراقها ومجدها وهواها ومجبتها وذهابها له وحده - ويفضل ان يزعم بصراخ وجنون وسفه عظيم ان كل الناس وكل التاريخ رعايا واتباع وعبيد لابائه ولتاريخه ولاربابه وانبيائه وسلطينه وخلفائه ليكون هو وكل ابائه وانبيائه واربابه وسلطينه وخلفائه وكل تاريخه ومعابده واياته واحاديثه رعايا واتباعا وعبيدا لكل الناس ولكل التاريخ على ان يصمت عن هذه المزاعم ليكون واقعا وحقا كما زعم لتاريخه ولاربابه وانبيائه وسلطينه وخلفائه ، او على الا يكون هذا ولا هذا ، على الا يكون الها ولا عبدا . انه اي الانسان العربي ليرفض ان يكون كل المجد الصامت المذهب المتوقر ليختار ان يكون كل الهوان الصارخ الوقح الشاتم البذيء . انه ليشترى الوقاحة بكل شيء !!

ان الانسان العربي ليفضل ان يكون صوت سحابة مرعدا بكل الرعود الصوقة بكل الاصوات القبيحة البذيئة الوقحة النزقة ، دون ان يكون سحابة تحمل او تعطى اية قطرة مطر لتذهب اليه حياة على ان يكون سحابة صامتا او مهذبة متواضعة ذكية متوقرة مستحبة في تصويتها وارعادها تحمل وتعطي كل المطر وكل الانهار والحياة والجمال وتصنع كل ذلك ، بكل الضخامة والقوة والابداع والسخاء . انه ليفضل ان يكون غرابا ناعبا على ان يكون صقرا صامتا . انه ليفضل ان يكون رعدا وقحا بلا سحابة على ان يكون سحابة مهذبة بلا رعد . انه اي الانسان العربي ليفضل ان يكون له اله زائف عاجز تافه بليد ليصوت باسمه وله مهينا شامتا محقرا متهما لكل الناس بحجة الاحترام والحب والطاعة له والدفاع عنه والايمان به على الا يكون له هذا الاله الزائف الرديء السفه ، او على ان يكون له اله مهذب ذكي كبير عاقل متحضر شهيم متوقر نبيل يرفض الصراخ والسباب والاتهام والوقاحات والبداءات والعدوان النفسي واللغوي والاخلاقي باسمه او من اجله ، او باسم اي شيء او من اجل اي شيء . ولكن ليست كل قيمة الاله ومزيته وشاعريته في ان يكون وقحا بذينا فضاحا مفضوحا ؟ وهل يطاق الاله المذهب المتوقر الشهم الكريم او هل يطبق مثل هذا الاله نفسه ؟

ان الانسان العربي ليرفض ان يكون له زعيم او قائد يهبه كل ما في الطبيعة من احتمالات المجد والقوة والحياة والرخاء والانتصار ، لو كان اي الزعيم او القائد صامتا او مهذبا ، لا يستطيع او لا يريد ان يكون معاديا مخاصما مشامتا مبغضا مشنعا متهما محقرا بدعاوي دينية او مذهبية او وطنية او قومية او اخلاقية ، بكل الاساليب الاعلانية والمنبرية - لكي يختار اي الانسان العربي ان يكون له زعيم او قائد او نبي تتجمع كل وقاحات وبداءات وعداوات وشتائم وفحش واحقاد وبغضاء كل المنابر والاديبان والمذاهب والقوميات والوطنيات والتاريخ في فمه وضميره ونياته

وعقله وأخلاقه ، صارخة بكل اللغات واللهجات والاصوات ، حتى ولو صنع ووهب له كل ما في الطبيعة والبشر والالهة وكل الاشياء من معاني واحتمالات الهوان والضعف والعار والهزائم والبؤس والموت . ولكن أليس من اقصى اساليب العدوان على كرامة الافتراض وعلى معانيه ان يفترض بان زعيما او قائدا او نبيا عربيا قد يكون صامتا او مهذبا او متوقرا ؟

انه اي الانسان العربي لو وضع في خيار بين الانتصار المهذب المتواضع الحيي الساكت عن الادعاء والغرور والمباهاة الضاجة اللوحة المهمجية المهينة ، وبين الهزيمة الضاجة بالشتائم والتهديدات وبكل لغات النقيق والطنين والنهيق والزئير - نعم ، انه لو وضع في خيار بين هذا النصر وهذا الهزيمة بكل هذه الاوصاف والشروط لهما ، لكان من البلادة التي لا يمكن غفرانها الشك في انه لا بد أن يختار هذه الهزيمة بشروطها واوصافها هذه الملائمة المرضية له جدا ، الملائمة المرضية العجبة له في كل تاريخه ومستوياته ، بكل معانيه وتفاسيره النفسية والعقلية والاخلاقية . . الدينية والمذهبية والانسانية . .

ان جميع زعماء العرب وانبيائهم وقادتهم في كل تاريخهم ومستوياتهم ومواقفهم ليختارون ان يهزموا ويرفضون ان ينتصروا اذا كانت الهزيمة تعني ان يضجوا بالادعاء والكبرياء والتهديد والشتائم والبيذات ، وكان الانتصار يعني ان يصمتوا ويتأدبوا ويتواضعوا . . ان العربي ليختار ان يكون عاريا زاعما انه لابس ويرفض ان يكون لابسا غير زاعم انه لابس كل الملابس . .

لقد آمن الانسان العربي بانبيائه ومعلميه وبخلفائه وسلاطينيه وزعمائه وشعرائه باقتناع وحمية فيهما كل اوصاف التوحش والتعصب . لقد كانت اعظم امجاد وعبقريات الانسان العربي في كل تاريخه وحشية ايمانه بانبيائه وزعمائه وخلفائه وشعرائه وسلاطينيه وجميع معلميه ودروايشه . ولكن لماذا آمن بهم هذا الايمان ؟ انه لم يؤمن بهم رؤية او فهما ، لمجزاتهم او لعبقرياتهم او لما صنعوا واعطوا من حضارات او انتصار او رخاء او مجد او من حلول او علاج او من تفسير ذكي لاية مشكلة او ألم او عاهة او تشوه او عجز او حيرة او وورطة . . كذلك لم يؤمن بهم نبلا او تصدقا او حبا او صداقة او رثاء او مجاملة لهم ، او اشفاقا عليهم من الكفر بهم او من الرفض والهجر لهم أو مقاساتهم لمشاعر الهزيمة والوحدة والغربة والضياع لو لم يؤمن بهم ، مع انه قد يكون الاشفاق والرثاء والرحمة والمجاملة والشهامة من اقوى اسبابه الايمان بمن يؤمن به او بهم . .

انه لم يؤمن بهم لانه رأي منهم أو لانه فهمهم أو احترامهم أو رحمهم ، او لانه قرأ في عيونهم مجد الذكاء أو الصدق أو الحب أو النظافة والطهارة . ولا لانه قرأ فيها اي في عيونهم كل اشواق الالهة وطموحها اي طموح الالهة وكل تمنياتها وعبقرياتها وقوتها ومستقبلها وكل اخلاقها ورغباتها واوامرها . ولا لانه قرأ في عيونهم كل عيون الالهة متطلعة متلهفة متضرعة محرصة على الايمان والاعجاب

والافتتان بهم . . انه لم يؤمن بهم لانه رأى في عيونهم بحرا او نهرا او سحابة او شمسا او قمرا او نجما ، ولا لانه سمع قلوبهم تخفق بلغة غير اللغة التي تخفق بها قلوب الضباع . .

انه لم يؤمن بهم لشيء من ذلك . ولكنه اي الانسان العربي آمن بهم اي بانبيائه وخلفائه وشعرائه وسلطينه ومعلميه وبقائه وزعمائه لانهم كانوا يملؤون كل آفاقه النفسية والعقلية والدينية والمذهبية والزمانية والمكانية والتاريخية بكل البذائات والوقاحات والتهديدات والاتهامات والمخاصمات والشتمات والصغائر الضاحكة تحت جميع المزاعم والانتماءات المختلفة الاسماء واللغات والقراءات ، دون أي اختلاف في النيات أو في التفاسير . لقد آمن بهم لانه وجدهم يملكون كل مجد الفحش والسباب والتطاول النفسي والاخلاقي واللغوي على كل احد وعلى كل شيء جيد ومحترم .

لقد كان الضجيج الفاحش المهيج المهاجم على كل الجبهات والاتجاهات هو كل معجزات انبياء وزعماء وشعراء وخلفاء وقادة ومعلمي الانسان العربي الذين جن بهم ايماننا واقتناعا وتعصبا وفحشا باسهمهم ومن اجلهم ! . . ان معجزات هؤلاء لم تكن مرئية او مفهومة او معقولة او معروفة او مجربة بل لقد كانت مسموعة فقط . . وايضا لماذا آمن الانسان العربي بكتبه المقدسة بكل هذا الجنون والاقتناع والنزق ؟ هل فهمها او وجد فيها شيئا خارقا او ذكيا او جيدا او نبيليا ، او انه يمكن ان يستفيد او يأخذ منها شيئا او يلنزم بشيء منها بعقله او بمشاعره أو احواله أو بتفانياته أو اخلاقه أو بحياته أو بمعاملاته ؟

بل هل قرأها لية قراءة ؟ هل الناس يقرأون كتبهم المقدسة مهما قرأوها ؟ ان المؤمنين لا يقرؤون شيئا مثلما يقرؤون كتبهم المقدسة . ولكن هل قرأوها أو هل يمكن ان يقرأوها ولو مرة واحدة ؟ ان الكتب المقدسة معصومة من القراءة . . هل يمكن ان نتقرأ كتابك المقدس ثم يظل مقدسا ؟ اليس الشرط الدائم لبقاء كتابك مقدسا الاتقراه مهما قرأته ؟ ان كتابك المقدس اما غير مقروء واما غير مقدس . انه لا يستطيع ان يكون مقروءا ومقدسا . ومن شك في هذا فعليه ان يجرب شكه . ان جميع الناس لا يقرأون كتبهم المقدسة الا قراءة واحدة ، مرة واحدة ثم لا يقرأونها مرة اخرى . وهذا المرة الواحدة التي يقرأونها بها يشترط فيها ولها ان تكون قبل قراءتها . وهل يمكن ان تقرأ كتابا قبل ان تقرأه ؟ اجل ، ان اكثر الناس يقرأون الكتب التي يقرأونها قبل ان يقرأوها . ولهذا فانهم لا يقرأون مهما قرأوا .

ان كل صاحب كتاب مقدس لا يستطيع ان يقرأ كتابه المقدس الا مرة واحدة وتكون هذه المرة الواحدة قبل قراءته له والا لما ظل مقدسا . . لهذا فان قراءة الكتب المقدسة ليست قراءة . والناس يخطئون حين يقول قائلهم : قرأت كتابي المقدس . انه لو قتل ما هي الكتب التي لم يقرأها قط من يؤمنون بها اقوى الايمان ويحترمونها كل الاحترام ، او ما هي الكتب التي يشترط للايمان بها وللاحترام لها الا

يقراها من يؤمنون بها ومن يحترمونها هذا الايمان وهذا الاحترام ، لوجب ان يكون الجواب : هي الكتب المقدسة . عجا ! كيف امتلكت الكتب المقدسة هذا المجد او هذا الهوان ؟ من اخترع لها مجدها هذا او هوانها هذا ؟

ولو قيل من هو القاريء ، او من هو صاحب الكتاب او مقتني الكتاب الذي يجب الا يقرأ كتابه ويجب الا يقرأه حين يقرؤه لكي يظل محترما مقدسا لكتابه ومؤمنا به لوجب ان يقال : انه هو المؤمن بكتاب مقدس او القاريء لكتاب مقدس او المقتني لكتاب مقدس . ولكن كيف لم يفتن المؤمنون الى ذلك ؟ هل عجزوا عن ان يفتنوا ام تعمدوا الا يفتنوا ؟ هل سحروا انفسهم ام سحرهم ساحر ام ارادوا ان يكونوا مثل مسحورين ؟

ما هي القراءة ؟ ان البشر حتى اليوم لم يضعوا ولم يحاولوا ان يضعوا تفسيرا محددا او مفهوما للقراءة . وهل يستطيعون ان يضعوا مثل هذا التفسير لو ارادوا وحاولوا ؟ وكم هم الذين يفهمون معنى القراءة او الذين يرون انه يجب ان يكون للقراءة معنى او الذين يقرؤون حين يقرؤون ؟

ومهما عجزوا عن ان يضعوا تفسيرا عالميا او جزئيا للقراءة او مهما تراخوا او رهبوا او كسلوا فلم يريدوا وضع هذا التفسير للقراءة فانه لا يوجد خلاف في ان الذين يقرؤون كتبهم المقدسة ثم تظل في اقتناعهم كتبا مقدسة لا يمكن ان يكونوا قد قرأوها او انهم حين يقرأونها يقرأونها . انه لذو قيمة حضارية وانسانية ان يعرف ان القراءة لا بد ان يكون لها معنى وان يلتزم كل قارئ بهذا المعنى . . .

ان اي قارئ ، لكتابه المقدس لا ينوي ولا يريد ان يقرأه ، بل ولا يفهم ان عليه ان يقرأه ، بل انه يخاف ويرفض ان يقرأه ، اي ما دام يراه مقدسا ويريد ان يظل يراه مقدسا . وهل قارئ الكتاب المقدس هو وحده الذي لا يقرأ حين يقرأ ؟ اليس اكثر من يقرؤون اي شيء هم لا يقرؤون ؟ اليس تعذبا هائلا ان يقرأ الناس ما يقرؤون ؟

هل يستطيع او يتقبل اي مؤمن بكتاب مقدس ان يقرأ كتابه المقدس لو عرف انه حين يقرؤه لا بد ان يقرأه حقيقة وان يفهمه وتفاسيره وان يقتنع بها وان تتحول الى التزام في حياته ، في تفكيره أو في اموره ومشاعره ونياته واخلاقه وعلاقاته مع نفسه ومع الآخرين ومع الاشياء ومع الاله الذي اوحاه اي اوحى كتابه المقدس ؟ اليست القراءة لاي كتاب مقدس وكذا اكثر القراءات لاي كتاب مساليب ونيات مختلفة من اساليب ونيات الهرب من التفكير والرؤية والفهم والالتزام او الاهتمام باي شيء بل من اساليب ونيات الهرب من القراءة بمعانيها وتفاسيرها المفترضة ؟ اليست هذه القراءات اساليب ونيات استفراغية على ما يقرأ وليست مسالة او محاوره او محاكمة لما يقرأ ؟

اليس الذي جعل الناس يستطيعون ان يؤمنوا بكتبهم المقدسة وان يقرأوها ، وهون عليهم هذا الايمان وهذه القراءة هو اقتناعهم انهم مهما قرأوها لن يقرأوها او يفهموها او يلتزموا بها ادنى أو أقل التزام ، أو أن تصبح مهددة لهم بأن يقرأوها

أو يفهموها أو يلتزموها أي قدر من الالتزام بأي معنى من معانيهم أو بأية صيغة من صيغهم ؟ إن نفس الإله الذي أوحى بالكتب المقدسة وصنعها لو ظن أنه قد يكون ملزماً بقراءتها وفهمها وبالالتزام النفسي أو الفكري أو الأخلاقي بها لما أوحاها أو ألفها أو قبل أن تكون . أليس أعجز العاجزين عن الالتزام بما قال وأوحى هو الإله ؟

أليست أفضل وأنبل واتقى المبادئ والتعاليم والنبوات والشرائع وأقدرها على الاقتناع بنفسها وبمزاياها وعلى أن تكون مصحقة محترمة ومعلمة ومعلمنا عنها وموعوظاً بها ومرحبة بها كل المنابر والمحاريب والأفواه ، هي التي لا يستطيع الالتزام بها ولا يراد أو ينوي أو يفترض أو يطلب الالتزام بها والتي لا يكون خارجاً أو عاصياً أو غريباً أو وحيداً من يعلن ويزعم بكل صوته وحماسه الإيمان بها ، ثم يعلن ويؤكد بكل حياته وإرادته وتحركاته الخروج عليها بل القتل والإذلال والتحقير لها ؟

نعم ، ما الذي جعل الإنسان العربي يؤمن بكتابه المقدس أو بكتبه المقدسة هذا الإيمان المتوحش ؟ هل فهم منها شيئاً أو وجد فيها شيئاً أو أراد منها شيئاً أو اقتنع بأن شيئاً منها قد يتحول إلى شيء في حياته أو يهبه شيئاً من الذكاء أو القوة أو الجمال أو الرخاء أو الفهم أو التسامح أو الحب للآخرين أو الغفران لهم أو العجز عن التحديق في الأهمم وعاهاتهم وهزائمهم وفضائحهم وعيوبهم المختلفة ، شماتة واستمتاعاً وحقدًا ونذالة ؟ حتى هذا لا يستطيعه الكتب المقدسة . لا تستطيع أن تؤدب وتزجر. وتحمي المؤمنين بها من أن يحدقوا بشماتة ولذة واستمتاع وحقد في تشوهات والام وهموم وفضائح وهزائم الآخرين . .

لقد آمن الإنسان العربي بكتابه المقدس بل بكتبه المقدسة لأنه قد وجدها أي وجد كتبه المقدسة عالماً بل كونا لا حدود له من الشنائم والتهديدات والبذات والانتقامات والتحقيرات والتوعيدات والمخاصمات والعداوات المتفجرة بكل الصراخ والارعاد والزئير من أفواه وضامائر وغضب وأخلاق وشهوات سكان السماء . . أليست بذات السماء هي أكثر البذات مجداً وأعلاها صوتاً في التاريخ وأقدرها على الاقتناع بجمال القبح ؟

أذن فلتجن أذن الإنسان العربي استمتاعاً وطرباً وأعجاباً وفرحاً وإيماناً بكتبه المقدسة الحاملة الناقلة إليه كل شنائم وأحقاد وبذات وبغضاء جميع سكان السماء ، مصوتة ومغناة بكل وقاحة ودمامة أصواتهم أي أصوات سكان السماء . . ما أجمل واتقى وأقوى بذات السماء في أذني المؤمن وفي ضميره وتقواه . . ما أفضح تصورات المؤمن لأخلاق السماء ولذكائها وتهذيبها وحبها للجمال ومعرفتها بفنونه . .

جميلة ومقنعة وفاتنة أنت يا أصوات السماء في أذن الإنسان العربي لأنك ضاجة بالوقاحة والبذاة وبالتهديد والسفه وبالتحقير والقسوة وبالتوتر المشحون . . لأصاحب بكل معاني ولغات الاهتياج المجنون الهمجي الشائم الشامت المعير الوقح . . وهل تستطيع أصوات السماء أن تكون غير ذلك أي غير كل هذا القبح ؟ هل تستطيع

ان تكون مهذبة ؟ ولو انها جاءت مهذبة او حاولت ان تكون كذلك فماذا يمكن ان يبقى لها من المجد او القوة او التقاسير ؟

وهل آمن الانسان العربي بانها اصوات السماء او اصوات تحبها السماء ؟ او عرف انتسابها الى السماء او قبل هذا الانتساب او اقتنع به الا لانها كذلك اي الا لانها كل هذه الوقاحات والضجيج والقسوة التي لا نموذج لها في اي شيء ؟ هل عرف او جرب للسماء من مزايا او امجاد غير هذه الوقاحات الضاحجة المتلوة في جميع محاربيها ؟

ماذا لو جاءت كتب الانسان العربي المقدسة مهذبة ورحيمة ومتواضعة ومتوقرة وملتزمة بالذكاء والحياء والصدق والمنطق والاعتدال والحب والانصاف ؟ ماذا لو جاءت هامة الصوت او متوقرة الشنائم او ورعة في اتهاماتها وتهديداتها ومخاصماتها او مساوية لما يستطاع ويمكن ويعقل ويحترم ؟

هل يمكن حينئذ ان يراها معجزة او مقنعة او قادمة من السماء ؟ بل هل يمكن حينئذ ان يسمعها او يستمتع اليها او يؤمن بها او يراها اكبر او اذكى منه ؟

بل هل يمكن حينئذ ان يراها كلاما من كلامه او من كلام ابائه ، او يتقبل ان تكون او ان تحسب كذلك ؟ هل تملك كتب الانسان العربي المقدسة اية موهبة لتجعلها مقنعة او مؤثرة او مثيرة او حتى مسموعة غير الوقاحات الضاحجة العنيفة المهذبة بلا وقار او ذكاء ؟

ان آيات الكتب المقدسة ونبوات الانبياء وخطب وتعاليم واوامر الزعماء والقادة والعلمين والعلماء وشعر الشعراء - ان كل ذلك عند الانسان العربي لا يساوي ما فيه من اعجاز او عبقرية او ذكاء او قوة او تهذيب او صدق او محبة او اخلاص او منطق ، وانما يساوي ما فيه من ضجيج وتوتر وتغصن وبغض وخروج على جميع القيم النفسية والفكرية والاخلاقية والحضارية والتعبيرية . وهل العبقرية والاعجاز والقوة والتهذيب والذكاء والصدق والمنطق والاخلاص شيء غير هذا في تفسير الانسان العربي اي غير الضجيج والتوتر والتغصن والبغض والخروج على كل القيم ؟

وهل استطاع او يستطيع الانسان العربي ان يفهم منها اي من الايات والنبوات والخطب والتعاليم والاورام والاشعار ، او ان يجد فيها غير ذلك اي غير ضجيجها المتوتر المتغصن البغض وخروجها على جميع القيم الانسانية المطلوبة المطالب بها ؟ وهل الاعجاز او العبقرية شيء غير هذا او فوق هذا في جميع حسابات الانسان العربي؟ ولو كان فيها حقا شيء من الاعجاز او العبقرية او الذكاء او الصدق او الاخلاص او القوة او الحب او المنطق الزعوم لها وفيها فهل يمكن ان يعيه او يحس به الانسان العربي ؟ باية وسيلة او طاقة او منطق او مقياس كان يمكن ان يعرف ذلك او يحسه او يقتنع به لو كان موجودا اي في آياته ونبواته وتعاليمه وفنونه ؟

هل يجرؤ اي انسان على الزعم ان الانسان العربي لم يؤمن بكتبه المقدسة وبنبوات انبيائه وبقياده وعبقريه وشاعريه وخلافة زعمائه وشعرائه وخلفائه وسلطينه الا لانه ادرك ما في ذلك من جمال وصدق وتفوق وحق وحقيقة واعجاز ؟ بل هل يجرؤ اي انسان الا يزعم بان الانسان العربي لم يؤمن بمن آمن بهم الا لانهم كانوا نقيض اسباب الايمان بهم ؟

هل يمكن الزعم انه اي الانسان العربي يستطيع ان يعرف الشيء من نقيضة ، ان يعرف الذكاء والصدق والاخلاص والمنطق والشاعرية والعبقرية والنبوة والموهبة والجمال والشهامة والقيادة القادرة الصادقة الشجاعة .

نعم ، هل يمكن الزعم ان الانسان العربي يستطيع ان يميز كل ذلك او بعضه عن نقيضه ؟ هل يمكن ان يوجد وقع كل هذه الوقاحة لكي يستطيع ان يزعم مثل هذا الزعم ؟ هل توجد وقاحة او بلاهة تساوي الزعم ان الانسان العربي قد يفهم الفرق بين النبي والدجال او بين القائد الزائف والقائد العظيم او بين الكتاب المنزل من السماء والكتاب الذي بصقه ضمير اجهل وافجر شيخ او كاهن ، او الفرق بين الذكاء والغباء او بين الصدق والكذب او بين الاله والوثن ؟

اقن لقد كانت كل المعجزة والعبقرية التي جعلت الانسان العربي يؤمن بما آمن به بكل هذا التعصب والافتناع الخيف بوحشيته وبلادته وانفلاته وغروره وبكل موهبة العدوان فيه - نعم ، لقد كانت كل المعجزة والعبقرية التي وجدها الانسان العربي في اربابه وانبيائه وزعمائه وخلفائه وشعرائه وعلمائه وقادته وسلطينه ومعلميه ليؤمن بهم هذا الايمان هي الضحيج بكل لغات واصوات الفحش والقبح والتوقع والبغض والتعصب والتوتر والكبرياء والتطرف والمبالغات الصوتية والحركية والانفعالية الحمقاء المخترقة لكل حواجز وحدود وقيود الاعتسادل والتهديب والوقان والحياء والذكاء ، وانها مأساة عقلية او اخلاقية او كل انواع المأساة لو ان الانسان العربي ظن او زعم ان الامر ليس كذلك ، اي افضل او اذكى من ذلك .

ماذا لو عرض في الاسواق العربية زعيمان او قائدان او شاعران او معلمان او نبيان او الهان او كتابان مقدسان او غير مقدسين ، احدهما مهذب ورسين ووقوي ومفكر وصادق ومنطقي ومتسامح وهادئ الحركات والانفعالات مضبوطها وقليل الكلام خافض الصوت ، والاخر مناقض لذلك بكل عنف المناقضة وشمولها ؟ اي ونحن هنا نفترض ان السوق العربية قد يعرض فيها نوعان او مستويان من المواهب او الاخلاق ، قد يعرض فيها نقيضان من الانبياء او الزعماء او الشعراء او المفكرين او المعلمين لكي تمارس اي السوق العربية الاختيار .

اليس محتوما ان تعرف نتيجة المباراة قبل نهايتها بل قبل بدايتها ؟ اليس محتوما ان تكون النتيجة معروفة بدون مقاساة التجربة اي لو وجد هذان النقيضان لكي يضعوا السوق العربية في محنة الاختيار او في شرفه ولذته ومتعته ؟ وهل جرب العرب الاختيار في اي وقت ؟

الليست وقاحة او بلادة لا نموذج لها ان يشك فيمن الذي لا بد ان ينتصر في السوق العربية اعظم انتصار ، وفيمن الذي لا بد ان يهزم فيها اقصى هزيمة ، بل الذي لا بد ان يعجز حتى عن الظفر بالهزيمة لان السوق العربية لن تشعر به حينئذ او تسمع عنه او تلتف اليه او تنبالي به لكي توقع به الهزيمة . اليس محتوما ان النبي او الزعيم المتوقر المهذب الصادق لا بد ان يكون اقل من مهزوم في السوق العربية اي اقل من مشعور به او ملتفت اليه ؟

الليست هزيمة الشيء نوعا من المبالاة والاهتمام به والالتفات اليه والاحساس به ؟ وهل يمكن ان تهب السوق العربية شيئا من اهتمامها او التفاتها او احساسها او من توجسها وتحسسها وتخونها او من مقاومتها لذلك النبي او الزعيم او القائد او الشاعر او المعلم او الاله او الكتاب المقدس او غير المقدس الذي افترض انه دخلها او غزاها او عرض فيها ليتعامل معها او ليخاطبها او ليعلمها او ليقودها او ليتهايرها ويحركها بتهذيبه ووقاره ورسالته وبصدقته ومنطقه وبتسامحه وهدوئه وبقليل كلامه وانخفاض صوته ؟

اليس شيئا محزنا بل ومخجلا ان يظن اي قائد او زعيم او نبي او معلم عربي انه قد ينتصر في الاسواق العربية او ان يقودها او ان يقنعها او ان يظفر باعجابها او بحماسها او بحبها او ان يعيش في صميمها بقدر ما يكون مهذبا ووقورا وصادقا ومنطقيا ومتسامحا معتدلا محبا رحيفا ، خافض الصوت ، متكلمة فقط بقدر ما يحتاج الموضوع الذي يكون الكلام عنه ، وبقدر ما يكون مضبوط الحركات والانفعالات هادئا ؟

المتنبّي يروي معارك سيناء وأجولان

ان الذي يدخل السوق العربية ليستحق كل الرثاء وكل التعزية في فقدته لكل موهبة لو ظن ان السوق العربية قد تفهم الفرق بين النبي او القائد أو الزعيم الجيد الصادق وبين نقيضه ، او ظن انها قد تختار الجيد الصادق لاتباعه وللسير معه وللايمان به ، او لو ظن انها اي السوق العربية قد تحترم الشيء او تؤمن به لانها تفهمه ، او لو ظن انها قد تعرف قيمة الشيء في نفس الشيء لا باسلوب ادائه ، او لو ظن انها قد تعرف عبقرية أو معجزة او جودة أو ذكاء الزعيم أو القائد أو النبي أو المعلم ، أو ان تعرف صدقه ، في قيادته او نبوته او عقله او حياته او تحديره لا في اساليب واخلاق ولغات ولهجات وتوترات وعدوانيات صوته . . ان اي زعيم او نبي يسر لان السوق العربية قد رحبت به لانها فهمت مزاياه لهو زعيم أو نبي يستحق كل الرثاء . .

لهذا فما التفسير الذي يجب ان نفهمه والا نفهم تفسيراً سواه حينما نجد ان زعيماً او قائداً او نبياً او معلماً او شاعراً عربياً او كتاباً مقدساً او غير مقدس قد توجته السوق العربية او التاريخ العربي ليكون مجداً لهما ، وهتفت له السوق العربية أو التاريخ العربي بكل الصراخ والجنون والنزق والغرور الوقح البليد ؟ هل يمكن ان يكون لهذا التتويج في السوق العربية غير تفسير واحد حزين أليم مهين ؟ انه حتى لو كانت هنالك احتمالات عديدة لتفسير ذلك لما كان منها اي احتمال لاي تفسير فيه اي شيء من الثناء على السوق العربية او على التاريخ العربي او على الانسان العربي . ولما كان منها اي من هذه الاحتمالات اي احتمال لتفسير ذلك تفسيراً يعني ان هذا الزعيم أو القائد أو النبي أو الشاعر أو الكتاب يحمل اية قيمة من القيم الجيدة . .

لننظر . . ان الشاعر المتنبّي قد اصبح قيصرًا في سوق الشعر والادب العربي . . لماذا ؟ هل ذلك لانه كان شاعراً جيداً ومستحقاً لكل ما ظفر به من امجاد ورنين ؟ او لانه كان مثلاً صادقاً او شهماً او شجاعاً او نظيفاً او ابياً او عفيفاً او كارهاً او رافضاً او مقاوماً للطغيان أو التخلف أو الفساد أو السرقة والاستجداء أو اللغواء ؟

او لان قامته كانت عاجزة عن الانحناء او التحطم في اي معبد او تحت اي عرش او اغراء ؟

هل ذلك مثلا كان لانه قومي او وطني او انساني او لانه كان مناضلا ضد سيطرة غير العرب على العرب ، وضد هوان واستعباد العرب تحت طغيان حكام غير عرب ؟ هل كان المتنبي في اي موقف من مواقفه قوميا او وطنيا عربيا . هل اصابه اي قدر من الغثيان القومي او الوطني او الاخلاقي وهو يرتل القصائد الحمقاء في تمجيد غزاة العروبة ومحتلي عروشها ؟

هل ذلك لانه قد صلب او عذب او طورد او نفي او سجن او جاع ثمنا لوقوفه الدائم ، مدافعا عن حرية قومه العرب وعن كرامتهم وعزتهم ، وعن كرامة ونظامنة وصنق جبهته وموهبته وكلمته وضميره ؟

كل الرثاء للمحارب الكثرية التي شوهتها وعاقبتها جبهة المتنبي بسجودها عليها وفيها . . .

هل لانه قد انشأ حرسا عربيا قويا واقامه حول كل باب حاكم أو لص غني غير عربي أو عربي ، ليمنعوا أو يقتلوا كل شاعر عربي كذاب مهين يذهب ليركع امامه اي امام باب الحاكم أو اللص الغني العربي أو غير العربي ، ليكذب وينشد ويؤله ويستجدي ويشتم قومه العرب تملقا لذلك الحاكم أو لذلك اللص الغني غير العربي ؟

هل لانه عرف انه ليس للشاعر اي مجد غير ان يدق جميع الابواب الغوية ساجدا سائلا كاذبا مهينا ذليلا ؟

هل لانه كان عبقريا أو مفكرا أو عالما أو مصلحا أو نموذجا اخلاقيا ، تهاب الاخلاق العظيمة ان تقره عجزا وغيره ورهبة من احتذائه ، وتهاب الاخلاق الصغيرة ان تقره خوفا من ان يقتلها التحديق في المسافة الفاصلة بينها وبين اخلاقه ، او خوفا من ان تتعلم شيئا من اخلاقه فتقاسي من أهوال الصعود والنظافة والاشراق والاباء والشهامة ؟ هل لانه كان فنانا وشاعرا عظيما يستحق ان يستبد بالسوق العربية وبالتاريخ العربي وان يتحول الى انشودتهما الدائمة ومجدهما وسلطانهما الدائم ؟

نعم ، انه لسؤال يجب ان يطرح : هل كان المتنبي فنانا أو شاعرا عظيما ؟ وحتى اذا كان ذلك كذلك فهل يمكن الافتراض ان السوق والتاريخ العربيين قد وهباه كل هذا المجد والتمجيد لهذا ؟ هل يمكن ان يكون جماله هو سبب العشق له وسبب رؤيته جميلا في عيون وقلوب السوق العربية أو التاريخ العربي ؟

هل السوق والتاريخ العربيان يمدان بالاستحقاق اي لان من يمدد ان يستحق ان يمدد لانه مجد ولان له مجدا ؟

هل السوق والتاريخ العربيان يحبان او يعجبان او يؤمنان بقلب او فكر او ضمير- او رؤية ؟

هل هما يعرفان المجد الذي يستحق التمجيد ، او يعرفان الفرق بين المجد ونقيضه ، أو بين من يستحق المجد ومن لا يستحقه ، ومن يستحق النقيض ؟ ان السوق العربية ليست فقط عاجزة عن رفض الشيء الرديء بل انها ترحب بالشيء لانه رديء

ان كان المتنبي فنانا وشاعرا عبقريا فهل يحتمل ان السوق والتاريخ العربيين قد عرفا ذلك ، وانهما حينما نصباه على عرشيهما قد أرادا ان يهباه ما يستحق وان يضعاه في المكان المستحق ؟

ليس تمجيد السوق والتاريخ العربيين طعنا في مجد المجد او تشكيكا فيه واهانة له ؟

هل يوجد من يجروء على اتهام السوق العربية او التاريخ العربي بالذكاء او بالاخلاقية ؟ هل يمكن الزعم ان اي اله او نبي او زعيم او معلم او شاعر معروض في الاسواق العربية قد فهم كما هو واعطى من المجد والتمجيد فقط ما يستحقه ، كل ما يستحقه ؟

هل يوجد من يستطيع الزعم ان جميع المتوجين ، او حتى كثيرا من المتوجين ، او حتى قليلا من المتوجين في السوق العربية او في التاريخ العربي يستحقون ذلك ؟ هل يمكن الزعم ان الحشرات لم تنل من المجد والقوة والرخاء والانتصار والتفوق والاعضاء والتسامح في البيوت العربية الا بقدر ما تستحق من ذلك مذهبيا او دينيا ؟ هل يستطاع الزعم ان السوق والتاريخ العربيين كانا يحاسبان او يحاكمان او حتى يسالان أو يقرآن أو يفسران أو يفهمان أو حتى يريان وجه أو جلد أو ثياب من يغزونهما او يحكمونهما او يدعون لامتلاكهما ؟ هل يوجد مثل السوق والتاريخ العربيين تسامحا في نكائهما واخلاقهما وكرامتهما وفي استقبالهما لمن لا يستحقون اي استقبال او تقبل ؟

المتنبي كان فحشا نفسيا واخلاقيا وانسانيا ولغويا . كان مأساة تحولت الى فحش ، وفحشا يفسر بمأساة . كان بلا ضمير وبلا رحمة او حب او عاطفة انسانية ، وبلا حواجز او زواجر اخلاقية او نفسية او فكرية أو من اي نوع أو باي قدر . كان وحشا انسانيا يستحق الشفقة والثناء بقدر ما يستحق الاشمزاز . . . كان وقاحة بقدر ما كان قباحة ، وخطيئة بقدر ما كان خطأ وتشويها بقدر ما كان تشوها . كان تأكيدا رهيبا لبعده الحضيض الذي يمكن ان تهبط اليه كرامة الانسان وحياؤه وتهذيبه !!

لم يكن يهاب او يخجل أو يقاسي من أن يكون اي شيء او يتصور باية صورة او يصاغ اية صياغة ، أو يفسر اي تفسير ، أو يلبس اي زي ، أو يقف امام اي باب ، او يهبط الى اي حضيض ، او ان يضع جبهته فوق اي تراب ركوعا تحت اي قدم غني او قوي ، او ان يكون اية جبهة في اي وجه ، ليركع في اي معبد ، مصليا لاي وثن ، داعيا متضرعا باية لغة وبأي اسلوب وبكل لغة وكل اسلوب .

كان يتعرى كل لغات وصيغ واساليب التعري كل وقت ، في كل مكان ، تحت كل الظروف ، داخل كل العيون المحدقة المفجوة المفجوة من دمامة النظر ووقاحته .. كان معجزا وهازما لكل من يريدون مباراته في الهبوط وفي الكذب والافتضاح .. كانت كل العيون والتصورات تعجز عن ملاحقته هابطا كاذبا مفتضحا مبتذلا ..

لو ان اية امرأة خاطئة لا شبيه لها في افتضاحها كانت كل حياتها تطوف في كل بلد وكل ميدان وبيت وعلى كل رجل ، عارضة جسدها العاري المشوه لتبذره لكل من يدفع الثمن ، بلا اي شرط غير دفع الثمن ، باعلان وتشهير ودوي ومباهاة ، دون اية مقاساة نفسية او اخلاقية او حتى جسدية .

نعم ، لو ان اية امرأة كانت كذلك وفعلت كل ذلك فهل تستطيع ان تدخل مع المتنبي اية مباراة للحصول على اكبر قدر من الافتضاح ؟ لقد كان اعتذارا عن جميع المفتضحين وعزاء لهم في انفسهم وفي فقدهم لكرامتهم . ان جميع المفتضحين لو قرأوا وفسروا افتضاحه لاستصغروا افتضاحهم ..

ان كلمات . وصولي ، انتهازي ، منافق ، متقلب ، متلون ، فضاح ، مفضوح ، بلا كرامة ، بلا حياء ، بلا مبدأ ، بلا ضمير ، بلا اخلاق - ان جميع هذه الكلمات وامثالها لا تستطيع ان تكون زيا او وصفا كافيا لحياة المتنبي . انه اكبر منها جميعا .. لعل جميع اللغات لا تجد كلمة رديئة لتكون على مقاسه . لعل قبحه معجز لجميع اللغات . تاريخ الادب والشعر وكل انواع الكلمة العربية لا يستطيع اي هجاء فيه ان يعد او يكون هجاء له ، لان اي هجاء مهما كان قبحه لن يكون اكثر هجاء له من هجائه لنفسه او مثل هجائه لنفسه ، اي لانه قد اكتمل كل مستويات ومعاني القبح ، فلن يضيف اي قبح اليه قبحا .

ان هنالك قبحا لا يمكن هجاؤه بأي شيء اخر لضخامة قبحه ، لان كل تقبيح له يذهب لغوا . انه قد توجد دمامة لا يستطيع اي شيء ان يتحول الى دمامة فيها اي لا يستطيع ان يزيدها دمامة اي ان يجعلها اكبر او اظهر أو أشهر أو اقبح . هل يمكن ان يكون هجاء العيون او الحديث عن دمامة العيون هجاء لوجه او

لانسان بلا عيون ؟ هل يمكن هجاء العيون غير الموجودة بالتحدث عن وصف فيها ؟ انه لا يستطيع توجيه اي هجاء او اضافة اي هجاء الى تاريخ الادب والشعر والكلمة عند العرب الا بقدر ما يستطيع هجاء هذا الوجه او هذا الانسان الذي لم تخلق فيه عينان بهجاء العيون او بالتحدث عن دمامة العيون ..

ومع هذا فانه ليمكن ان يقال : ان المتنبي بتواضع وتنازل كرامته عن جميع حقوقها المعلمة او المفترضة او المحولة الى مزاعم شعرية ضاحجة ، قد استطاع ان ينحول الى هجاء للتاريخ الذي لا يستطيع هجاؤه باي هجاء ، ولا باتهامه باي عيب او ذنب او عار لاكتمال كل معاني وصيغ الهجاء والذنوب والعيوب والعار فيه . مظليعة تشوهات وعيوب ذلك الذي استطاع ان يضيف الى عيوب وتشوهات التاريخ العربي اي قدر من العيوب او التشوهات !!

ان تاريخا يصبح المتنبي احد امجاده الادبية والشعرية والفنية والحضارية والاخلاقية ايضا لن يكون الا تاريخا عربيا اصيلا بكل تفاسيره . بل ان تاريخا يستطيع ان يبتلع كل هذا الهوان والتزييف الذي صاغته وهبطت اليه حياة وشعر المتنبي لن يقبل التاريخ ان يروييه او يعترف به الا موضوعا في حسابات العرب وحدهم ..

انه تاريخ لن يقبل التاريخ ان يضعه في حساباته الجيدة او الرديئة اي لن يقبل التاريخ غير العربي ماذا لو ان كاتبنا أو شاعرا أو اديبا بل أو تاجرا متهالكا مهينا قد تنقل بمذائحه على جميع الامراء والسلاطين والاقوياء والاغنياء للصوص الاغنياء الاذلاء ، وتنقل بهجائه أيضا ، بالاسلوب والتهالك والافتضاح والمبالغات والحوافز والنيات التي فعل بها المتنبي كل حياته او التي تنقل بها المتنبي ؟

نعم ، ماذا لو ان احدا ، اي احد فعل مثل هذا في هذا العصر ؟

ماذا لو ان مثل هذا كتب وقرئ ، وعرض بأية لغة غير العربية ؟

هل يمكن ان يوجد احد ، اي احد يستطيع ان يفعله او يجرؤ على فعله مهما كانت محاسباته لكرامته ؟ ولكن يجب ان يعلم اني هنا اعني « احدا » غير عربي .
اما العربي فله مقاييس ومحاسبات اخرى ..

ولو وجد من يفعل هذا فبماذا يمكن ان يفسره مجتمعه او يحاسبه ويعاقبه ويراه ويقراه ؟ وهل يمكن ان يغفر له مجتمعه أو يتقبل معاشته أو محاسبته به وحسابه عليه مهما كان تسامح وتواضع مجتمعه في اشتراطه على كرامته وفي اشتراطه لكرامته ؟ اذن كيف يستطيع اي مجتمع ان يقرأ اليوم حياة وشعر المتنبي دون ان يتفجر غضبا واشمئززا ورفضاً لانتمائه اليه ؟ هل يستطيع اي مجتمع غير العربي ان يقرأه ؟

انها لقسوة لا نموذج لها ان نحدق في التاريخ الذي صاغ المتنبي ، والذي بصق عليه المتنبي كل مستوياته وتعبيراته ، والذي استفرغ عليه قصائده بكل هوانها وفحشها وقبحها ، او ان نفسر أو نحاسب او نقرأ هذا التاريخ .. انها لبلادة عقلية ونفسية واخلاقية ان نستطيع ذلك ..

وانه ايضا لشيء فاجع ومذل لكل معاني الكبرياء في الانسان ان يوجد حتى اليوم بل ان يوجد حتى في هذا العصر المذل بكبريائه وشموخه لهامات النجوم من لا يزلون يرتلون بكل نزع النشوة والمباهاة مدائح واهاجي ومنابحات المتنبي - يرتلون بها بأسلوب ومشاعر من يعضفون كل ما في الكون والاشياء من مجد ، ومن يمتصون كل ما في الشمس والاقمار من ضخامة واشراق وشموخ ، ومن ينهبون من التاريخ ومن الانسان كل ما كان لهما وفيهما وكل ما في احتمالاتهما من اباة ونظافة وتفوق وصدق وعصيان هامات ..

كل عار وهوان كل الاشياء لقوم لا يزالون حتى اليوم ، حتى في هذا العصر
عصر المواجهة العربية الاسرائيلية يقرؤون وينشدون اشعار المتنبي بكل الاصوات بكل
الخيلاء... .

لو ان اي انسان متحضر الحياة والفكر والاخلاق والثقافة ، لا يعرف شيئا عن
العرب لا بالقراءة ولا بالمواجهة والمعيشة ، لا يعرف عنهم شيئا لا تاريخا ولا حاضرا ،
وفجأة قرأ اشعار المتنبي ، مدائح واهاجي ومفاخرات وملاعنات ووقاحات ، وعلم
انه اي المتنبي كان عربيا بل كان مجدا عربيا ضخما ، وكان يعيش في التاريخ العربي
وفي المجتمعات العربية ، وكان يستفرغ عليها وفيها ومنها وعننا كل احواله هذه ،
وعلم ايضا انهم لم يحاولوا ان يرفضوه او يعالجوه او يقتلوه او يقتلوا انفسهم فرارا
من العار وتخلصا من الغثيان والاشمئزاز ، فاية نماذج حينئذ يمكن ان يتصورها
ذلك الانسان لتكون في تقديره وتصوره نماذج صحيحة للعرب ؟ ارثي بخيالي
لتصورات ذلك الانسان الذي سوف يذهب حينئذ يصوغ في ذهنه التخيل المفجوع
صورا ونماذج بشرية لقوم المتنبي ..

اجل ، لقد كان المتنبي مأساة تحولت الى فحش أو فحشا يفسر تفسيراً مأساوياً .
لقد كان عاهة فادحة تحولت الى غثيان تاريخي ..

كان الما حوله مقاسيه الى ذنوب ووقاحات ..
لم يكن المتنبي يحمل او يعيش أية علامة انسانية . بل لم يكن يتظاهر بمثل
هذه العلامة أو يظن ان عليه ان يحملها او يعيشها أو حتى يتظاهر بها أو يتالم لانه
لا يحملها ولا يعيشها ولا يتظاهر بها . لقد كانت احساسيه واشواقه ومطامحه معزولة
عن الانسان ، عن الامه وهمومه واحتياجاته ومآسيه . لم يكن يحمل او يعيش او
يقاسي اية رؤى أو احساس انسانية من اي نوع ..

لم يكن يتالم أو يرثي أو يحزن أو يبكي أو يغضب لاي شيء ردي، أو ضار أو
مهين أو مخيف أو مشوه يصيب الانسان ، يصيب اي انسان .
لم تكن له عيون أو آلام أو اشواق أو تطلعات أو اشتراطات انسانية ..

لم تعرف عيوبه الدموع الانسانية ، ولا قلبه الاحزان الانسانية ، ولا طموحه
ولا تمنياته ولا اشواقه الاماني الانسانية ، ولا ضميره او تفكيره او اخلاقه الغضب
او الرفض او الاشمئزاز الانساني . لم تعرف او تقاسي آهاته اية آهة انسانية ..
لم يقرأ او يفسر يوما ما عينا باكية او قلبا حزينا او ضميرا مفجوعا نازفا او كرامة
مهانة معندي عليها او وجها متضرعا مذعورا مقهورا .. انه لا يعرف القراءة الانسانية
.. بل لقد كان يشمت ويستمتع ويتغذى ويهزأ بالام وعاهات وهموم وهزائم
البشر .. كان يتحدث عن ذلك غريقا في النشوة والاستهزاء والكبرياء ..

لم يكن يعيش داخل اي انسان ولا مع اي انسان أو يعيش فيه اي انسان ..
كان ضميره وعيناه يعيشان اقسى اساليب الوقاحة والابتهاج وهو يتحدث

عن ألوان العذاب والمآسي التي يقاسيها ويصرخ من فداحتها المظلومون والمقهورون والمصابون والعاجزون والمشوهون وكل اصناف الضعفاء ..
 كان يجد اضخم واجمل انتصاراته وحظوظه ان يتعذب الناس ويهونوا ويظلموا وان يتحدث عن عذابهم وهوانهم ومظالمهم بشماتة وبهجة . كان يجد في عذابهم وهوانهم وهزائمهم مجده وسعادته وانتصاراته ..
 كان يحرض صانعي وموقعي العذاب والهوان بالانسان ان يزيدوا من عذابهم وهوانهم ..

انه لسبب جدا ان يفسر بأي معنى من معاني الانسان . وانه لاحتمال بعيد ان يكون قد قاسي من اية عاطفة انسانية او سعد بها ..
 انه محرض للعذاب والهوان على الانسان ولو بأمانيه واشواقه وترحيبيه واستمتاعه . انه يشتم ويحتقر الطغاة لانهم رحما في رؤيته لهم ، ولم يشتمهم او يحتقرهم لانهم طغاة وقتلة ولصوص وانذال واعداء للانسان . انه لم يغضب قط من اجل الانسان ..

ان معانيه وتفاسيره اسلحة مشحودة مسددة على ضعف الانسان وعلى آلامه وجراحه واحزانه وعاهاته . انه ليكاد يرشو الالام والطغاة والاقدار الشريرة ويتملقها لكي تزيد من بطشها بالبشر ، وانه ليلعنها ويهجوها اذا هي لم تفعل ذلك ..
 انه مهما أن أو بكى أو تألم فانه لن يئن أو يبكي أو يتألم بقلب أو ضمير أو عيون انسان بل باعضاء واحاسيس وشهوات ومخاوف وحش أو برغوث . انه لا يتألم أو يحزن الا ما أو احزانا بل احزانا والاما ذاتية كما يصنع الذئب والغراب . انه لم ير أو يقرأ أو يفهم أو يحترم اية دمة أو انة من اي قلب أو عين غير قلبه وعينه ..

ان قارنه بمحاكمة ومحاسبة لا بد ان ينفج ويفجع وتتعاظم فجيعة كلما ازداد ابحارا في أعماق نفسه حتى ليتحول الى راث مشفق على الوحش الذي يعيش ويعوي في داخله ، او على الكائن او الجسد او الانسان الذي يعيش ويعوي فيه مثل هذا الوحش . ان قارنه بمثل هذه المحاكمة والمحاسبة لا بد ان يجد في داخله غابة لا تشبهها اية غابة اخرى في قبح ووحشية وحوشها ..

نعم .. الذين يبحثون ويتحدثون عن الشاعر في التنبي ، ماذا يجدون ؟ حتما هم لن يجدوا فيه الا فحشا ومآسي وفصائح تاريخية وعربية حينما يبحثون أو يفكرون في تفاسيره الاخلاقية او النفسية او للانسانية . انهم لن يجدوا مجدا شعريا الا اذا كان الشعر يعني الخروج على الذكاء والعقل والمنطق والصدق والرؤية والعواطف الانسانية ..

انه لو حوكم على مدائحه واهاجيه وعلى تمجيده لنفسه وعلى حديثه عنها ، او لو فسر بذلك لما امكن ان يحكم له باي قدر من الذكاء أو العكمة أو الاتزان أو الوقار ، بل لكان من الصعب ان يوجد فيه اي قدر من العقل او الرؤية لاي شيء ..

وحتما انه لم يكن يرى اي شيء اية رؤية . لقد كان مغلقا بكل تفاسيره دون كل شيء . لقد كان المفتوح فيه بلا اي اغلاق او حراسة لسانه فقط .
ان مدائح المتنبي واهاجيه ومفاخراته واقواله عن نفسه ان لم تكن جنونا وتتحول الى اقسى حكم بالجنون على قائلها فلن يستطيع اي جنون ان يصبح جنونا او يستطيع اي مجنون ان يصبح مجنونا ؟ ان جميع المجانين لن يجدوا حينئذ من يشهد لو احد منهم بانه مجنون .

نعم ، انه اذا لم تكن اهاجي ومدائح ومفاخرات المتنبي كل مستويات ومعاني الجنون فان كلمة جنون ومجنون في جميع اللغات وفي جميع استعمالاتها هي كلمة بلا موضوع وبلا مضية . . ان اي كائن لن يستطيع حينئذ ان يشير الى شيء او للي احد ليقول انه جنون او انه مجنون . ان جميع اطباء الامراض العقلية لن يكون لهم حينئذ اي عمل في هذا العالم . .

ان جميع المجددين للمتنبي والقارئ له لا يفترضون ولم يفترضوا قط انه مطالب بان يكون متزنا او متوقرا او حكيما او صادقا او مهذبا او اخلاقا او ضميرا او انسانا بل او عاقلا او ذكيا . انهم لم يبحثوا عن اي شيء من هذا فيه ، ولم يعرفوا ان عليهم ان يبحثوا عنه او ان يحاكموه ويحاسبوه عليه وبه . .

لقد مجدوه بعد ان اشترطوا بالا يكون له اي مجد ، وبعد ان اشترطوا بان يكون التمجيد مفرغا من كل مجد بل ومراد به كل التفاسير المناقضة لكل تفاسير المجد . . أليس الذين اعطاهم التاريخ ولا يزال يعطيهم كل المجد وهم نقيضه اكثر وأشهر من الذين اعطاهم او يحاول ان يعطيهم شيئا منه وهم يستحقونه ؟ أليس غباء التاريخ وكذبه يساويان غباء وكذب كل الناس ؟

انهم فقط يريدونه شاعرا ويفرؤونه ويفهمونه شاعرا ويستبد بهم شاعرا . أليس حسبانه شاعرا او الاقتناع به شاعرا مجدا يعني عن كل مجد او مجدا يستر ويفغر كل ذنب وقبح وتشوه وضعف ؟

ولكن من هو الشاعر او ما هو الشاعر اذا لم يكن حكمة ووقارا واتزاناً وذكاء وعقلا وصدقا ومنطقا وحبا واشفاقا وضميرا ورؤية وموتما ونضالا وتقبلا ورفضاً واعجاباً واشمئزازاً ، او اذا لم يشترط او يفترض كل هذا او اي شيء من هذا فيه ؟ ولماذا يراد ان يوجد الشاعر او ان يكون المرء شاعرا اذا لم يكن الشاعر هو كل هذا او شيئا من هذا ؟ اذا لم يكن الشاعر حبا وجمالا وصدقا وبسالة فلماذا يراد ؟

هل الشاعر اذن ، او هل اعظم الشعراء اذن هو الذي يعوي او يصهل او يهدر او ينعق او ينعب او يطن او يزار او يشتم او يهدد او يدعي او يكذب اكثر وافحش واعلى صوتا بلا اية قيمة انسانية او حضارية ؟

هل هو الذي يتخطى بعيدا ، بعيدا كل حدود ونماذج الحياء والوقار والالتزان والحكمة والعقل والذكاء والكرامة ليكون كل الافتضاح والعار ؟

هل هو الذي يقول للابكم : انت واضع كل اللغات ، وللامي : انت معلم التاريخ القراءة والكتابة ؟

هل هو الذي يقول بكل الجراة والوقاحة عن جهام سحابة لا تحمل اية قطرة مطر : انها هي كل البحار والانهار والامطار ، وعن اية صحراء لم تلد او ترب اية نبتة او حياة : انها هي كل المروج والزرور والحياة ، وعن اصغر وافقر قرية تعيش في ضمير البداوة ، كل قصورها وحصونها وبيوتها الخيام والحجارة والطين والتبن اليابس العابس : انها هي كل المدن التي كانت والتي سوف تكون ، وعن اصغر شيخ اصغر قبيلة : انه هو كل القياصرة والاكاسرة والاباطرة والملوك وعن اي امير او وزير او خفير لا يقرأ ولا يكتب : انه هو كل العباقرة والانبياء والحكماء والعلماء وصانعي الحضارات والعلوم ؟ هل الشاعر هو الذي يقول اكبر الكلمات ليعبر عن اصغر واكذب واقتبح وابلد المعاني او ليكون استنقراغا بذينا بلا أي معنى ؟ هل الشاعر هو الذي يتلقى الوحي بلا اله او ملاك أو رؤية أو الهام وينشده بلا فهم او ايمان أو صدق أو حب أو تهذيب أو تقوى ؟

نعم ، اذا كان من يقول ويصنع كل هذا هو الشاعر او هو اعظم الشعراء فلن يكون خلاف على ان المتنبي شاعر بلا قيصر كل الشعر والشعراء بل نبينهم ٠٠ اذا كان اعظم الانبياء هو ابعدهم عن معاني النبوة وعن معجزاتها وشروطها فالمتنبي هو اعظم الشعراء بلا خلاف ٠٠

هل وضعت حدود او تعريفات جزئية او عالية تستطيع ان تكون مقنعة او قريبة من الاقتناع بجمرفة الشعر والشاعر ؟ هل وضعت حدود او قيود ليعرف بها النبي من الدجال ؟ هل استطاع البشر كلهم في كل تاريخهم ان يضعوا أو يعرفوا هذه الحدود والقيود ؟

انها لصعبة معرفة ذلك ، واصعب من معرفته وضع حدود وتعريفات له تستطيع ان تكون محددة او مقنعة او قريبة من التحديد والاقتناع ٠٠ اذن هل توجد غفلة مثل غفلة من يحسبون أو يزعمون انهم قد عرفوا النبي أو الاله نبيا أو الها باوصافه ومزاياه وعلاماته وشروطه ؟

ان الناس يؤمنون بالشعراء والادباء والكتاب والفنانين ، ويصدقون ويقتنعون انهم كما آمنوا بهم ، بالاسلوب والمنطق اللذين يجعلانهم يؤمنون باربابهم وانبيائهم واديانهم واطنائهم وتاريخهم ، اي بالاملاء والتلقين والتكرار وبطرحهم لهم في الاسواق ، وبالارهاب العقلي والاخلاقي والنفسي بهم ، اي بارهاب عقل واخلاق وضمير من لم يؤمنوا بهم ، أو من لم يسارعوا الى الايمان بهم ، أو من لم يكن ايمانهم بهم كما ينبغي ، لكي يؤمنوا بهم ، او لكي يسارعوا الى الايمان بهم ، او لكي يكون ايمانهم بهم كما ينبغي .

هل توجد سوق او مجتمع لا يصنع الايمان بمطروحاته او بمعروضاته من الالهة والانبياء والشعراء والفنانين والكتاب والادباء ومن العقائد والمذاهب والشعارات

والتقاليد ، بالارهاب العقلي والنفسي والاخلاقي ؟ ان الايمان باي اله أو مذهب أو نبي أو زعيم ليس الا خضوعا لاقسى واشمل اساليب الارهاب المتبادل الامارس بلا رؤية • ان المجتمعات تصنع هذا الارهاب وتمارسه بكل العنف دون ان تعلم او تفوي او تدبر • ان جميع المجتمعات تمارسه بعضها ضد بعض بلا نية أو معرفة احيانا • أليست عيون الآخرين ونظراتهم ومشاعرهم تصنع هذا الارهاب دون أن تقصد أو تعلم أو تريد ودون ان تستطيع الا تصنعه ؟ أليس محتوما مثلا ان يخاف عقلك وضميرك واخلاقك من الا تؤمن بعقريية أو بشاعرية شاعر وجدت انسوق والمجتمع يؤمنان بشاعريته وعبقريته كما ترهب ان تتعري فيهما أو ان يعداك أو يرياك جبانا أو نذالا أو بليدا أو خائنا ؟ هل يوجد عقل أو ضمير لا ترهبه ولو احيانا مسلمات وشعارات ومواقف السوق مهما كانت بلادتها وحمافتها ؟

ومع هذا فقد يكون من غير المستطاع بل ومن غير اللائق ، الشك في ان للمتنبي مقاطع قد تعد محلقة مقتحمة رائعة في رؤيتها وقوتها واثارتها وفي استبدادها الطاغى بقارئها وسامعها ومفسرها ومختبرها وبمغنيها ومرتلها وبالتمثل بها حين حزنه أو حين سروره أو حين اعجابه أو حين ضياعه أو في مواجهة الامه ومآسيه وفواجهه •• ألسنا جميعا قد نجد في شعر المتنبي ما نغني أو نحبي أو نواسي أو نعزي أو نفسر أو ما ندق به الامنا أو هزائمنا أو احزاننا أو اية مواجهة من مواجهاتنا ؟ ألسنا احيانا وكالحنم نجد المتنبي ينشدنا حين احزاننا وغضبنا ومسرانا وكأنه يواسينا ويراقص فرحنا ، كأنه يخاطب كل شيء فينا ؟

ولكنها مقاطع قليلة في ديوانه ، تقاسي الغربة والشذوذ ، بل تقاسي الطرد والاضطهاد والغنيان والقبح والتقبيح والتعذيب والاذلال وسط موج متلاطم من السفه والقبح والسخف والزئير البذيء ، البليد العقيم المفصوح الفصاح •• أليست المعاني الجيدة النادرة وسط المعاني الشاملة الرديئة لا بد ان تقاسي كل مشاعر الغربة والهزاء والضياع والاضطهاد والطرء ان تقاسي كل ما يقاسيه العقل والوقار والتعذيب والكرامة والاستحياء والنظافة والاستقامة والصدق بين اكوان من النقيض ؟

انها مقاطع لن تجد بينها وبين ما حولها على صفحات الديوان اية علاقة من اي نوع لأ عقلية ولا اخلاقية ولا نفسية ولا تاريخية ولا لغوية بل ولا احتمال علاقة في الابوة أو النسب ، بل ولا اية صداقة أو تعارف أو تفاهم •• ان هذه المقاطع في الديوان كالمصلوب فوق صلبانه وبين صلبانه ، أو كالعين الجديلة في الوجه المشوه •

ولكن الا يحتمل ان هذه المقاطع أو الرؤية لها ليست الا خدعا أو انخداعا ؟ ألا يحتمل ان تفسير رائتها ليس الا كتفسير من قاسى طويلا ودائما من رؤية ومواجهة ومعاشية الدمامات والنذالات والقبايح والهموم والهزائم ، فراح يتخيل أو يبدوله - فرارا من ديمومة هذه الرؤية والمواجهة والمعاشية الاليمية - انه يرى ويواجه

ويعايش ويجد نقيض هذه الديمومة اي يرى ويواجه ويعايش ويجسد جمالا وشهامة ومسررات وانتصارات واشياء اخرى جيدة مناقضة ؟ انه فرار من الرؤية والمواجهة الحقيقية المؤلمة القبيحة الى التخيل المريح الجميل . انه قد يكون كذلك . . . أليس التعب من السير والضياح في الصحراء الكئيبة لا بد ان يجد في النوم فوق الصخور جمالا وسعادة وراحة ؟ .

ان الانسان محتاج دائما ا وأحيانا الى ان يجمال نفسه ويهون عليها ويهبها شيئا من الراحة والرضا ، وحينئذ قد يرى ويجد بل ويواجه جمالا وذكاء وعظمة وقوة ، اي يتخيل انه يرى ويجد ويواجه ذلك دون ان يكون شيء مما يتخيل . اننا قد نرى اقتبح وابلد الاشياء هي اجمل واذكى الاشياء أو ان فيها جمالا وذكاء لكي نستريح او نسعد او نرضى . . .

انه قد يتحول الى تعذيب وتحقير وتصغير واذلال وتثبيط لك الا ترى او تعايش الا الدمامات والحقارات ، والا ما يصنع لك الاحزان والتشاؤم ، وحينئذ قد تتحول بعض هذه الدمامات والحقارات وبعض هذا الذي يصنع لك الاحزان والتشاؤم ، في رؤيتك وظنك ، الى جمال وعظمة والى صانع واهب للمسررات والتفاؤل . انك قد تفترض المجد الذي لا تجده او تحتلم به او تدعيه لانك لا تجده .

وايضا الا يحتمل ان تكون هذه المقاطع المعدودة قفزات شعرية ليست الا قفزات الى جذع الشجرة او الى ظهر الجمل وليست قفزا الى القمر . لعل السبب ان المجتمع الذي عدت فيه هذه المقاطع قفزا شعريا يرى ان القفز الى جذع الشجرة والى ظهر الجمل هو كل القفز واعلى القفز ليست التفاهة في المجتمع التافه عظمة ؟ ليست الفلملة في مجتمع الذر ضخامة ؟

لعل اكثر صيغ الجمال هي في عين الرائي وفي مجاعاته وحساباته لا في ذات المرئي . . .

آه . كم في هذا من الفظاعة ومن تشوه وتهدم الشخصية ؟

انظروا . . . انه اي المتنبئ ليمدح حتى ليبدو من اصدق الصدق ان يقال : انه لا يملك اي قدر من الحياء أو الذكاء أو الكبرياء أو الرجولة ، وانه ليفخر حتى ليبدو من اصدق للصدق ان يقال : انه لا يملك اي قدر من العقل أو الاتزان أو الوقار أو الرؤية، وانه ليهبو حتى ليبدو من اصدق الصدق ان يقال : انه ليملك ويعيش ويختزن في ذاته كل ما عند البشر والحشرات وكل ما لا يمكن ان يكون عند البشر أو عند الحشرات من وقاحة ونذالة وفحش وعفن وقسوة وعدوان . . .

وهل المتنبئ الا مدح او هجاء او افتخار ؟ وهل مدحه وفخره وهجاؤه الا هجاء لكل اساليب المدح والمفاخرة والهجاء ؟ انظروا . . . انه ليصغر ويتخضع ويهون وينافق حتى ليفقد كل حجم ، وانه ليتكبر ويتناول ويدعي حتى ليبدو كان الكون كله لا يستطيع ان يتسع لحجمه ، ان يكون وعاء لحجمه . انه متخضعا متصاعرا لترق له النمال ، وانه متكبرا متناولاً لتفخر به وتهنئه كل الوقاحات والغباء . . .

انظروا ٠٠ انه ليمدح نفسه حتى لتذعر وتمرض الالهة خوفا على مجدها من مجده،
وانه ليمدح حشرات البشر حتى لتنتاري حشرات الارض استحياء ، طانه انه
يعنيها بمدائحها ، وانه ليهجو حتى لتحسب جميع الكائنات الحاملة والباصقية
للعفونات انه قد سرق منها وبصق كل عفوناتها ! ٠٠ انظروا ٠ هل يمكن ان تتلقى
حدود ذاته او ان تركب ذاته بعضها على بعض لكي يستطاع فهمها او نطاق رؤيتها ؟
انه لمن الصعب جدا قراءة ذهن المتنبى او تصوراته او حساباته حين يقبول
مدائحها واهاجيه ومفاخراته اي ان كان له ذهن وحسابات وتصورات انها لمخاطرة
ان يفترض المتنبى محاسبا او محاكما لما يقول محاسبة او محاكمة فكرية او نفسية او
اخلاقية او انسانية او حتى تصويرية او لغوية ٠

هل كان يقولها للناس ، يريد ان يسمعوها ويقرؤها ؟ ألم يكن يخشى
ان يقرأوها ويسمعوها ويفهموها ويحاسبوها ؟ ونحن هنا قد اخترنا افتراضه
محاكما محاسبا لما يقول ٠ وقد نحتاج الى اعتذار عن هذا الافتراض ! اذن كيف يمكن
ان تكون حساباته وتصوراتها اذا قرأوها وسمعوها ، او اذا كان قد تصور انهم قد
يقرأونها ويسمعونها او انهم لا بد ان يفعلوا ذلك ؟

هل يظن او يعتقد انهم قد يطربون او يعجبون او يرحبون او يصدقون او
يحترمونها او يحترمونها قائلها ؟

ان كان يظن او يعتقد هذا فهل يمكن التصور بانه يملك اي مستوى من العقل
او الذكاء او الرؤية او القراءة للاشياء ؟

هل يمكن ان يوجد من يهبط ذكاؤه وعقله ورؤيته للاشياء الى هذا المستوى
حتى ولو كان عربيا ؟

اذن هل كان يقول مدائحها واهاجيه ومفاخراته هذه بحثا عن احتقار الناس له
وعن اثاره اشمئزازهم وغثيانهم وانفجاعهم به ومنه ؟

هل كان يريد تعذيبهم باصابتهم باقسي مشاعر الاحتقار والاستنكار والغضب
حتى ولو كان احتقارهم واستنكارهم وغضبهم هذا مصوبا عليه هو ؟ هل كان يريد
ان يبصق عليهم وان يتعري ويتشوه في كل رؤاهم بهذا الاسلوب سخريه واستهزاء
بهم ، بذكائهم وبوقارهم وكبريائهم وبكل معانيهم ، ولم يكن يريد ان ينال اعجابهم
او رضاهم او حبههم او ثناءهم ؟ هل كان يريد تحقير وفضح وتعذيب كل الناس وكل
الاشياء بتحقيره وفضحه وتعذيبه لنفسه ؟

هل كان يريد ان يعلن عن مستوياتهم ، ان يحقر ويصغر مستوياتهم ، اي ان
يقول : انتم لا تساوون اكثر او اعظم من هذا ، اي لا تستحقون ان تسموا الا هذا
ولا ان تخاطبوا الا بهذا ؟

الليس هذا اعلى فنون التحقير والتصغير ان كان يريد هنا ان يصغر ويحقر ؟
هل كان يريد ان يقول : اني سوف استفرغ على عقول واخلاق واذان وكرامسة
قومي العرب - استفرغ عليها كل هذا القبح والجنون والنزق ، فهل يفضبون او

يرتجفون او يفهمون او يرفضون ؟ اني اتحداهم ، اتحداهم ليفعلوا شيئا من ذلك . هل كان يريد التذليل على ان قومه العرب لا يغضبون ولا يرفضون ولا يشتمون مهما تجمعت عليهم اسباب الغضب والرفض والاشتمال ؟ هل كان يتحدى ؟ ان كان يقصد هذا التحدي فمن الممكن ان يقال : لقد انتصر في تحديه انتصارا رائعا كاملا . . . ولكن ان كان يريد ان يتحدى شهامة وكرامة وذكاء ووقار قومه العرب بهذا الاسلوب لكي يطلق منهم وفيهم رفضا او غضبا او ذكاء او موقفا او عقابا او ردا ملائما ، وكان يظن انه قد يفعل بهم ولهم شيئا من ذلك ، فقد اخطأ وهزم وعجز . . . الا يحتمل ان المتنبي قد اراد ان يفضح قومه العرب وان يثير اشتمالهم بهذا الاسلوب الوقح الرديء جدا لكي يخلق فيهم شيئا كان يريده لهم دون ان يجده فيهم ؟ هل كان محرضا او محقرا ؟ او هل يمكن ان يكون التفسير ان المتنبي لم يكن يخاطب الناس او يخاطب قومه العرب بمدائحهم ومفاخراتهم واهاجيه ، وانما كان يخاطب اشباحا لا يستطاع فهم ذكائهم او اخلاقهم او استجاباتهم او حياتهم وكيونتهم بمنطق الانسان او بذكائه او اخلاقه او استجاباته وتصوراته ونامذجه ، لهذا خاطبها باساليب لا يمكن ان يخاطب بمثلها البشر ؟ هل يمكن ان يكون هذا هو التفسير للمتنبي حينما قال اهاجيه ومدائحهم ومفاخراتهم ؟ اليس جميع الناس يتخيلون ولو احيانا حين يتحدثون انهم يخاطبون اشباحا غير معقولة او معروفة ، او يبدون كمن يتخيلون ويفعلون ذلك ؟

او لعل المتنبي كان يخاطب نفسه فقط ، ولم يكن حين يمدح او يهجو او يفخر ويذم يخاطب اي كائنات غير نفسه ، لا الناس ولا اشباحا يراها او يتصورها . لعله لم يكن يرى او يواجه او يحس او يعرف او يتصور او يخاف او يحترم او يراعي او ينافق او يغازل سوى نفسه وهو يقول جنونه وحماقاته . . . لعل نفسه كانت تتقبل بل كانت ترضى وتعجب وتطرب ان تخاطب بمدائحهم واهاجيه ومفاخراتهم . لعلها اي نفسه كانت في تكوينها خارقة وعجيبة حتى ليرضيها ويطربها مثل هذا الجنون الذي لا مثيل له في اي جنون !! اليس جميع الناس انما يخاطبون انفسهم حين يخاطبون الاخرين ؟ أليست مخاطبة الاخرين احد اساليب مخاطبة النفس ؟

او هل يمكن ان يكون التفسير : ان المتنبي كان يستترغ نفسه استفراغا لا يقصد ان يخاطب به احدا مثل ما يفعل جميع المستترغين لخراثن ابدانهم ؟ هل المستترغون لابدانهم ولما فيها من عفونات واعباء كريمة يقصدون ان يخاطبوا باستفراغهم هذا احدا ؟ اليس مثل هذا ولو احيانا استفراغ النفس ؟

ولكن اذن لماذا جاء استفراغه بهذا الاسلوب دون جميع الاساليب الاخرى ؟ لماذا جاء اي استفراغه بكل هذا القبح الذي لا يستطيع اي تدبير او تخاطب ان يصنع قبحا مثله ؟ أليست الاساليب الاستفراغية مختلفة المستويات والصيغ ، بل مختلفة

الذكاء والوقار والكرامة ؟ أليست توجد اساليب استقراغية مهذبة ومتحضرة وذكوية ؟ بل أليست توجد اساليب استقراغية ملتزمة باعلى مستويات الاخلاقية ؟ كيف يستطيع اي مستفرغ استقراغ مثل هذا :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من اعدائك القمران
اردلي جميلا جدت او لم تجد به فانك ما احببت في اتاني
لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقه شيء عن الدوران

أو مثل هذا :

اي محمل ارتقى اي عظيم اتقى
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفريقي

نعم ، كيف تستطاع قراءة أو تفسير ذهن المتنبي أو حساباته أو تصوراتنه حينما يجرؤ على أن يقول مثل هذا الجنون الذي يعد ما سواه في ديوانه شذوذا ؟ اذن هل المتنبي شاعر ؟ ومهما كانت الصعوبة أو الاستحالة في تعريف الشاعر والشعر فهل يمكن ان يعد الكلام الذي ليس جمالا ولا حبا ولا صدقا ولا حقا ولا رؤية ولا احساسا ولا ذكاء ولا عزاء ولا تعبيراً عن واقع أو مستقبل أو أمل أو عن اية عاطفة ، بل وليس غضبا على اي قبح أو سخر أو لا غير اخلاقية أو عقلية أو انسانية - نعم ، هل يمكن ان يعد مثل هذا الكلام شعرا ؟ نعم ، ان المتنبي مادحا وهاجيا ومفاخرا لمستحيل أو صعب تفسيره أو الاقتناع بانه شيء يمكن تفسيره .

اذن لماذا نصبت السوق والتاريخ العربيان المتنبي سلطانا على جميع سلاطين الشعر العربي ونبيا على جميع انبيائه ، ولا يزالان ينصبانه كذلك ؟ والعرب مفتنون دائما بان ينصبوا واحدا على الجميع . . نبيا أو الها أو خليفة أو شاعرا على جميع آحاد نوعه . .

لقد نصباه فوق مجده هذا لاسباب ليس منها حتما استحقاقه لذلك . . ليس لانهما عرفا استحقاقه ذلك ثم التزما في سلوكهما بمعرفتتهما هذه . . هل السوق والتاريخ العربيان يستطيعان ان يعرفا ، ولو عرفا فهل يستطيعان ان يلتزما ؟ من يستطيع ان يتهمهما بهذا المجد الاليم ؟

لقد كان من هذه الاسباب التي نصبت المتنبي فوق هذا المجد انه اي المتنبي كان هدارا وصهالا على أعلى مستويات الهدير والصهيل ، وبكل أساليب الهدير والصهيل ، وبكل اخلاقهما ولغاتهما وتفاسيرهما . ان هديره وصهيله لو تحولا الى كينونة لكانا اكبر من كل الكون . ان كل هدير وصهيل الطبيعة والاشياء ليتحولان الى صمت وهمس لو حوسبا بصهيل وهدير وزئير المتنبي .

لقد كان يعيش في هديره وصهيله ويتفجر من هديره وصهيله كل هدير وصهيل كل انبياء وزعماء وشعراء وسلاطين العرب الهدارين الصهالين بكل ما في اخلاقهم

وعقولهم واعصابهم ولغاتهم وتعاليمهم ونبواتهم من وقاحات وبذات وسباب ونزق وكبرياء وادعاء وجهالة وبداعة وقسوة وتقلب . لقد كان وعاء جيدا لكل انبياء وزعماء وشعراء وسلاطين العروبة في كل اجيالها التاريخية والمكانية . . . لقد كان صوتا احمق تنطلق منه وتسكن فيه كل الاصوات الحمقى في كل ماضي العروبة وحاضرها ومستقبلها . . .

كان المتنبي صاهلا وهادرا وزائرا مفاخرا يرتفع بالسوق العربية وبقارئه العربي الى كل ما فوق آفاق الفراغ ، الى ما فوق كل الحدود والمقاييس والنماذج والاخلاق والذكاء والحياء والعقل والوقار والتواضع والاحتمالات المعقولة والمحترمة والممكنة . . . كان يرتفع بقارئه العربي من فوق تواضع العقل والتهذيب ليحلق به فوق كبرياء الجنون والفحش . . .

كانت السوق العربية تقرأ المتنبي أو تسمع من يقرؤه فيفقدوها سهيله كل اتزانها وقدرتها على الرؤية والفهم ، وترى حينئذ انها فوق كل شيء وكل احد ، واكبر من كل شيء وكل احد . انها حينئذ لا ترى او تحس او تعاني شيئا من آلامها أو هوانها أو عجزها ، أو من هزائمها وتفاهاتها وذنوبها وعارها . . . لقد تخطت كل ذلك وتفوقت عليه وتداولت منه وهزمته . لقد نسيت . . . لقد سحبتها الى عالم من الجنون الفريد الذي تفقد فيه كل اخلاق الرؤية والعقل والاتزان والصدق والقراءة والمحاسبة لاي شيء . . . لقد اصبحت لا ترى ان لاي شيء قانونا او حدودا أو شروطا أو ظروفًا أو منطلقًا . . . لقد اصبحت قادرة على التحليق والطيران فوق كل الافاق بلا اقدم أو اجنحة أو محركات وقاذفات كونية . . .

لقد هزما سهيله اي سهيل المتنبي حتى تحول الى أقوى وأوفى تعويض لها عن كل رؤية وذكاء ومجد وكبرياء وعن كل واقع جيد وعزيز . لقد تحول سهيله الى أوفى كفارة عن كل بلادة وهوان وعجز ، عن كل واقع ردى، حزين ذليل .

أليس لكبرياء الكلمة المجنونة في اذن ومشاعر وأريحية الانسان العربي كل المجد والقوة والانتصار والعزاء ؟

هل يعرف الانسان العربي شيئا يساوي كبرياء الكلمة المجنونة المتكبرة ؟

كم وهبت الانسان العربي من المجد والقوة والانتصارات والنشوة ايتها الكلمة المتكبرة ؟ كم وهبت تاريخه وانبياءه وخلفاءه وشعراءه وسلاطينه وجيوشه من الفرور والرضا عن النفس ومن البديل والتعويض عن كل عجز وهوان ؟ هل يعنيه اي شيء عن مثل هذه الكلمة ؟ هل يقبل أو يعرف أو يتصور بديلا عنها ؟ هل يقبل الانسان العربي ان يشتري وقار الكلمة وتهذيبها بأي ثمن يدفع له لا يؤخذ منه ؟

هل يهز الانسان العربي ، اي انسان عربي شيء، مثلما تهزه الكلمة المجنونة المتكبرة النزقة المغرورة المتفجرة بلا اي قدر من الوقار أو الذكاء أو الحياء أو التواضع

أو الرؤية ؟ هل يهزه واقع مهما كان عظيما وجميلا مثلما تهزه الكلمة الملوثة بالكبر والصلف البذيء البليد ؟

هل يقبل ان يتنازل عنها أو عن اي شيء من كبرياتها أو جنونها ونزقها وغرورها وافتضاحها وبذاتها بأي بديل أو تعويض ؟ هل يجد الانسان العربي مجدا أو نشوة في اي شيء مثلما يجد في الكلمة المصابة بكل معاني وتقاسير الجنون والكبرياء الوقحة المتوقعة ؟

والمتنبى كان يهب السوق العربية والاذن العربية هذه الكلمة بأوفى أوصافها هذه . لهذا أجلسه فوق مجده هذا . لقد جاء المتنبى ليكون صوته متخطيا لكل الحدود المقبولة والمعقولة والمسموح بها لكي يكون على مقاس الاذن العربية . وقد يكون الاسلوب الذي طرح ولا يزال يطرح به المتنبى في الاسواق العربية هو احد اسباب مجده ورنينه في الاذن والتاريخ العربيين . . .

والاسلوب الذي يطرح به الشيء في السوق قد يكون اقوى وأدوم تأثيرا واقناعا من أوصاف الشيء المطروح . . . وقد ظل المتنبى يطرح على الاذن العربية وفي السوق العربية بكل العنف والقسوة والانفعال والغضب والانفجاع والبغضاء ، وبكل الارهاب والارهاق ، وبكل الحقد والبذأة والتحقير والعدوانية والسباب . كان يطرح بنيات القتال لكل شيء والانتصار عليه .

كان يطرح بهذه التقاسير والنيات وتحت ظروفها ومقاساتها وفي مواجهتها ، ومرادا لها أن تكون وتقع ، ومرادا ايضا التخلص أو التخفيف منها . . .

كان يطرحه من يقاسون كل ذلك ومن يريدون ان يوقعوا بالآخرين كل ذلك ، على من يقاسون ويواجهون كل ذلك ويتلاءمون معه ويعيشونه ويحسونه ، ويريدون توقيعه بكل الآخرين ، ويستمتعون بتوقيعه وبتصور توقيعه ووقوعه . . . لم يكن يطرح كما تطرح الأشياء المعقولة والمحسوبة تحت حوافز أو ظروف معقولة ومحسوبة .

كان يطرحه اي يطرح المتنبى المتألمون المبعوضون الحاقدون الشامتون الشامتون المفجوعون الضاجون ، أو الذين هم في ظروف هؤلاء وفي نياتهم ، أو الذين يملكون مواهب هؤلاء يطرحونه على امثالهم في الواقع والمقاساة ، أو في الظروف ، أو في النيات ، أو في المواهب . ان المستريح والمهذب والمسالم والسعيد والمشفق والمحب لن يجد رغبة أو لذة أو نشوة في ان يطرحه ولا في أن يطرح عليه . ان المتزن المهذب لن يستطيع ان يقرأه أو يستقبله . لقد كان يطرح في السوق كسلاح وتقجير وغضب وانتقام وكهجا وسباب وتوعد وتحقير ، بتوتر وارتجاج وصخب ، ولم يكن ينشد أو يغني أو يقرأ في السوق انشادا وغناء وقراءة فقط ، بوقار وابتسام وتهذيب ومحبة ونشوة وتوازن . . . ان من يقول قال المتنبى انما ينوي ان يسب ويحقر ويتهم ويقسو ويعاقب ويكذب ويدعي ويبالغ ويهجو بلا رحمة أو وقار أو تهذيب .

اجل . . . والاسلوب الذي يطرح به الشيء لا بد أن يهبه اكثر مما يستحق أو أن

يسلبه أشياء مما يستحق . ان اي شيء لا يمكن ان يشتري أو يثمن أو تفسر قيمته مفصولا عن الزمان والمكان اللذين طرح و عرض وعاش فيهما أو عن الاسلوب الذي طرح و عرض وعاش به . .

لماذا ابتكرت الطبول واناشيد المواكب وجميع الآلات والاجهزة الصوتية ؟ ولماذا احتاجت اليها وشرعتها جميع الالهة والنبوات والزعامات والمذاهب والاديان والجيوش؟ هل استغنى اي اله او نبي أو زعيم أو مذهب أو جيش عن بلاغة الطبول وعن منطقتها ؟ . .

اي اله او نبي أو زعيم أو شاعر عرض في اية سوق هل يمكن ان يكون قد نال من الانتصارات والمجد والشهرة والاتباع ، أو من الهزائم والهوان والخمول والرفض بقدر استحقاقه أو بقدر ما يساوي أو ما يجب أن يكون وينال ، مفصولا عن اخلاق ومواهب واستعداد السوق والزمان اللذين عرض فيهما أو عن الاساليب التي عرضته والتي عرض بها ؟ هل قرئت أو عرفت وفهمت مزايا اي كائن عرض في السوق مفصولا عن اخلاق وصفات الطبول والآلات الصوتية التي تدق حوله ؟

هل حدث أو هل يمكن أن يحدث هذا لاي اله أو نبي أو زعيم أو شاعر أو فنان في اي عصر أو مكان ، تحت اية حضارة أو اية بدواة . ان اي اله أو نبي أو زعيم أو معلم أو شاعر قد يسقط وقد يصعد لاختلاف زمانه ومكانه والاسلوب الذي طرح به . ولكن لماذا طرح المتنبي في السوق العربية بالاساليب التي وهبته كل هذا المجد والشهرة والدوي ؟ لماذا لم يطرح بالاساليب الاخرى المناقضة ؟ لماذا تستقبل النجوم بعض من يجيئون ويصعدون ، وتستقبل الرجوم اخرين يجيئون ثم لا يصعدون ؟

ان هذا السؤال وكذا الجواب عنه قضية اخرى . أو يراد هنا ان تفترض قضية اخرى . .

اجل ، ليست الرذائل التي حسبت على المتنبي يجب أن تحسب هي المزايا التي صنعت مجده في السوق والتاريخ العربيين ؟ أليست رذائل وذنوب وبلادة ودمامة الشيء ، أو الانسان أو الكائن هي مزاياه وتقواه وذكاءه وجماله أو هي التي حسبت أو فسرت أو زعمت كذلك ، في حسابات اخرى أو في منطقت اخرى أو في رؤية قوم أو مجتمع ما ؟ أليست العيون مختلفة الرؤية مهما اتفق وتوحد الرئى ؟ أليست العيون مختلفة في تفسيرها للأشياء مهما اتفقت في رؤيتها لها ؟ أليس التفسير متعدد والنص واحد ؟

لقد كانت رذائل المتنبي التي حسبت عليه : انه يدعى ويفخر وبيارز ويمتدح ويهجو ويشتم ويتناول ويبغض ويحتقر ويعادي ويهدد ويعير ويقسو ويهدر ويصهل ويعوي بلا اي قدر من الذكاء أو الصدق أو الحياء أو الرحمة أو الحب أو الاشفاق أو الاعتدال أو العدل ، وبلا اي قدر من الحكمة أو العقل أو الحاسبة أو المحاكمة أو الرؤية أو القراءة بالمنطق أو الاخلاق أو القانونية ، لاي شيء ، أليست رذائل المتنبي هي

خروجه الشامل على جميع مزايا الانسان الفكرية والنفسية والاخلاقية واللغوية خروجاً حاداً متحدياً ؟

ولكن أليست هذه الرذائل هي كل المزايا أو اعظم المزايا في السوق وفي التاريخ العربيين ، أو هي التي لا مزايا بدونها فيهما ؟

هل يمكن ان تقبل أو هل قبلت السوق العربية أو التاريخ العربي اية مزية حقيقية الا اذا ادخلت عليهما وفيهما مدسوسة بين هذه الرذائل ، متسللة معها ، مقودة بها ، ومظنونة منها ؟ هل قبلت الاخلاق العربية اية مزية حقيقية أو حضارية الا مغشوشة بها ؟

هل يمكن أن تقبل أو هل قبلت السوق والتاريخ العربيان اية مزية حقيقية يحملها أو يحياها أو يؤمن بها أو يدبرها ويريدها اي نبي أو زعيم أو معلم أو مفكر أو شاعر أو مذهب أو دين أو نظام أو حضارة أو مجتمع الا مخدوعين منخدعين بها اي بالمزية الحقيقية ، حاسبين انها احدى مزاياهما اي احدى رذائلهما أو الا مدسوسة في رذائلهما ، مغطاة بها ، مقروءة بلغتها ، موضوعة تحت شعاراتها ، لابسة جميع ثيابها البدوية ؟ هل استطاعت اية صيغة حضارية أو انسانية أو فكرية ان تقبل في العالم العربي مواطنة أو مقيمة أو لاجئة أو حتى سائحة الا تحت اكثف الملابس البدوية التاريخية ؟

هل يمكن ان يقبل العرب أو هل قبلوا اية مزية من مزايا الحضارة أو العلم أو الافكار أو الاخلاق أو الحياة أو الابتكارات الجديدة الا موضوعة ومغطاة - باسلوب الخداع والانخداع والتسلل والدس والغش - في مواكب وحشود صارخة من رذائلهم التاريخية البدوية ؟

هل قبلوا اي شيء غير بدوي الا بعد أن يحولوه الى بدوي ويزعموه ويعلمونه بدويًا ؟

هل يمكن مثلا ان يتقبلوا حرية التفكير أو الاعتقاد أو التعبير أو اي شيء من مزايا المتحضرين الا باسلوب الانخداع والتسلل والتحريف والتشويه الى ان تبدو بل الى ان تصبح نقیضاً وهجاءً لنفسها ، اي الى ان تصبح رذيلة عربية لا مزية انسانية أو حضارية ؟ هل حولت المزايا الحضارية والانسانية الى تشوهات ورذائل مثلما فعل بها ذلك حينما حولها العرب الى صيغ وشعارات يدعونها ويمثلونها ؟

هل أمكن ان يقبلوا اي شيء من الحضارة الا بعد أن زعموه في قرآنهم وتاريخهم ، والا بعد أن وجدوه في قرآنهم وتاريخهم وتراثهم ، والا بعد أن حولوه الى اخلاق وذكاء قرآنهم وتاريخهم وتراثهم ونبواتهم ، والا بعد أن أذن لهم قرآنهم وتاريخهم وتراثهم ، والا بعد أن أعلن العالم المتحضر انه لم يأخذ أو يتعلم شيئاً من حضاراته الا من قرآن العروبة وتاريخها وتراثها ونبواتها ؟ انه لا يكفي لن يأخذ العالم المتحضر جميع مزاياه عن العروبة بصمت بل لا بد من اعلان ذلك . .

هل أمكن ان يتقبل العرب شيئاً من عطايا العالم المتحضر الا بعد ان اعترف العالم المتحضر بكل اساليب الاعتراف المتخضع الشاكر انه ليس الا سارقاً ، سارقاً كل ما عنده من تراث وعبقرية ونبوات العروبة ، وانه حينما يعطي العرب شيئاً من حضارته لا يعطيهم وانما يرد اليهم بعض ما سرق منهم ؟ ان العرب دائماً معطون ولا يمكن ان يصبحوا آخذين ، وان كل من سواهم آخذون ولا يستطيعون ان يصبحوا معطين . انه قدر الـه وتاريخ وعبقرية .

ثم هل قبلوا اي العرب هذا الشيء القليل الذي رده اليهم العالم المتحضر مما كان قد سرقه منهم ، الا مدسوساً وملفوفاً بكل ملابس وعباءات البداوة العربية ؟ حتى الصعود الى القمر ، لم يصدق أو يتقبل العرب جوازه أو امكانه الا بعد أن قرأوه في قرآنهم وتراثهم . . .

وان كانوا قد قبلوا أو فرض عليهم أن يقبلوا اي شيء لم يجوه في قرآنهم وتراثهم وتاريخهم ونبواتهم ، ولم يعترف لهم العالم انه قد سرقه من مقابر اربابهم وانبيائهم وآبائهم ، فهل قبلوه الا بعد أن صيغ ووضع في اسلوب وموهبة قرآنهم وتراثهم وتاريخهم ونبواتهم ، والا مكفنا بجميع اكفان بداواتهم وبجميع عبااءات تاريخهم ؟ هل قبلوا أية فضيلة حضارية أو انسانية الا محولة الى رذيلة بدوية ، الا مشوهة بكل عاهات البداوة ؟

ان البشر ليختلفون في فهمهم وتفسيرهم وتصورهم للفضيلة والرذيلة وللخير والشر وللجمال والدمامة ، وللذكاء والغباء ، وللنبيل والنذالة ، وفي اعجابهم بهذا واراداتهم له ، وفي اسمئزازهم من نقيضه وكرهاتهم له ، اكثر مما يختلفون ، أو مثلما يختلفون في قوتهم وضعفهم ، وفي تقدمهم وتخلفهم ، وفي ابداعهم للحضارة أو للبداوة ، وفي امتلاكهم لكل موهبة أو في عجزهم عن اية موهبة . انهم ليختلفون في هذا لانهم يختلفون في هذا . . .

انهم يمثل هذا الاختلاف والتفاوت يختلفون ويتفاوتون في فهمهم لكون الشاعر شاعراً ولقيمتة ومكانته الشعرية ، وفي فهمهم لشعره ، وقدرتهم على الاعجاب به ، وقدره اعجابهم على ان يكون اي اعجابهم ذكياً وسويًا وقويًا أو نقيض ذلك . ما أصعب أن يكون الاعجاب ذكياً وسويًا وان يكون كما يجب ان يكون مكاناً وقدرًا وصيغة .

ان الناس في فهمهم وتفسيرهم وتصورهم للخير والشر والجمال والقبح والفضائل والرذائل وللشعر والفنون والافكار والقيم الادبية والانسانية والجمالية ، وفي اعجابهم بها واراداتهم لها ودفاعهم عنها ووقوفهم معها – وانا هنا افترض انهم قد يفهمون أو يفسرون أو يتصورون شيئاً من ذلك وليسوا فقط يعتقدونه أو يقولونه أو يقرأونه أو يفعلونه .

– نعم ، ان الناس في جميع ذلك ليسوا منفصلين ولا يستطيعون أن يكونوا منفصلين عن مستوياتهم الحضارية والانسانية والتاريخية ، ولا عن مواهبهم الذاتية

العقلية والاخلاقية والنفسية . ان احكام الناس على الاشياء وتفاسيرهم لها وفهمهم ورؤيتهم لها محكوم بها عليهم اكثر من كونهم حاكمين عليها أو حاكمين بها على الاشياء أو مریدين واضعين لها . ان الرائي للشيء محكوم عليه أن يرى وعلى رؤيته بحكمها .

اذن اليس اعجاب قوم ما بشاعر أو بزعيم أو بمعلم أو باله أو نبي أو بدين أو بمذهب أو بشيء ما انما يعني ان ذلك الذي وهب الاعجاب به يستحق نقیض الاعجاب أو لا يستحق لا الاعجاب ولا نقیضه أو انه قد يستحق الاعجاب وقد يستحق النقیض دون أن يكون لاعجاب هؤلاء القوم اية دلالة لا جيدة ولا رديئة ، لا مثبتة ولا نافية ؟ اليس اعجاب اي قوم باي شيء انما يعني حيادهم من حيث الاعجاب ونقيضه اي في دلالاته التفسيرية والمنطقية والواقعية ؟

ولكن اليس تفسير اعجاب مثل هؤلاء القوم بالتفسير الاول ، اي انه اعجاب يعني النقیض ، هو التفسير الذي يجب ان يكون مقرا ؟ أجل ، انها لمحابة لما يعجب به مثل هؤلاء القوم ان يقال ان اعجابهم لا يعني المدح ولا الذم . نعم ، انها لمحابة اذ المفروض ان يكون اعجابهم هجاء للشيء الذي نال الاعجاب وليس حيادا منه . . اليس محتوما ان ذوي المستويات الفكرية والنفسية والاخلاقية والتاريخية والحضارية الرديئة لا بد أن يعجبوا بما يلائم ويرضى ويشبه مستوياتهم هذه اي من نفس النوع ، وأن يرفضوا ويرهبوا ويكرهوا بل ويقاوموا ما يخالف أو يناقض أو يعادي مستوياتهم أو ما يتفوق عليها ؟ اليس محتوما ان يتحول ذلك الى تحد وارهاب واذلال وتحقير لهم ومستوياتهم ولكل معاني الطموح والكبرياء فيهم ؟ وهل يحتمل حينئذ أن يعجبوا به ، أو أن يعلنوا اعجابهم به لو أعجبوا ؟ اليس ذو المستوى الرديء يريد الاعجاب بالشيء الرديء ويستطيعه ويسعد باعلانه ؟

اذن اليس اعجاب السوق والتاريخ العربيين بالمتنبي اسلوبا من اساليب الهجاء له ؟ لقد أعجبا به لانهما وجداه تعبيرا حادا عن مستوياتهما وشهواتهما ، ولانهما قرآه وفسراه ورأياه واحباه بموهبة النقد والرؤية والقراءة والتفسير فيهما بموهبة الحب في قلبيهما . اليس هذا اقصى معاني الهجاء ؟ اليس بعض الحب وحب بعض المحبين هجاء أو اتهاما للمحبوب ؟

ويقدر ما كان اعجاب السوق والتاريخ العربيين بالمتنبي هجاء له فان الاعجاب به اي بالمتنبي لا بد أن يصبح هجاء للمعجب به . وظاهر أن هذا الحكم لن يكون صحيحا أو محتتمل الصحة الا اذا كان المعجبون بالشيء لا بد أن يروه ويقراوه ويعرفوا مزاياه ودرائله وانهم لن يهبوه اعجابهم الا برؤيتهم وقراءتهم ومعرفتهم . ولبت ذلك كذلك . انه اذن لهجو بالمعجبين به ، وهاج لهم ! . . انه لهجاء للمعجبين به ولمدوحيه اكثر من كونه هجاء لمن هجاهم لانهم رفضوه أو ناقضوه او لانهم لم يعجبوه . .

اذن ايها التاريخ العربي ، ايتها السوق العربية ، كونا رحيمين بكرامتكما وبكرامة

هذا الشاعر المحظوظ البائس . . . تراجعنا عن الاعجاب به ، توبا من قسوة هذا الاعجاب الذي يتحول الى اقسى هجاء له وهجاء لكما . . . انسياء فان لم تنسياء فانكراه احتراماً لنكائكما ولكرامتكما واخلافتكما واشفاقنا عليه ايضاً . . . اذن ايتها الموهبة العربية كوني رحيمة وشهمة ولا تعجبي بشيء جيد لثلاثا تحقريه باعجابك به دون ان يستحق .

* *

ولكن هل المتنبي وحده في السوق العربية وفي التاريخ العربي بلا شبيه بل بلا مثيل بل بلا امثال كثيرين يزامونه بمزاياهم المضادة للمزايا ؟ هل يمكن ان يكون اي شيء رديء بلا امثال كثيرين في السوق والتاريخ العربيين ؟ هل المتنبي مرض شاذ أو غريب مجهول يصيب الجسم العربي لاول مرة واخر مرة ؟ هل يمكن ان ينتفرد اي مرض أو عاهة في الجسم العربي ؟ هل هو المرض الاول والاخير في نوعه أو عنفه وقبحه ؟ هل يمكن ان يوجد أول منتفرد من اي شيء أو في اي شيء أو لاي شيء بلا قبل أو مثيل ؟

هل وجد أو يوجد نوع من الامراض أو التشوهات يظهر ويصيب مرة واحدة ثم يتوقف ويختفي بلا قبل وبلا بعد ؟ هل وجد أو يوجد مرض أو تشوه نبيل وحيني يظهر مرة واحدة ثم يختفي أو يموت حياً أو نبلاً ؟

هل توجد أو وجدت أو يمكن أن توجد بيئة نباتية أو حيوانية تنبت أو تلد نبتة أو شجرة واحدة أو حيواناً واحداً من كل النوع بلا تعدد . . . واحداً أو واحدة فقط من النوع كله ، نوع النبات أو الشجر أو الحيوان بلا تكرار ولا مرة واحدة اي ولا مرة واحدة اخرى ؟

كلا المتنبي لم يكن وحده . . . انه لم يجيء من فراغ ولا الى فراغ ، ولم يهجم على مكان لا يلائمه أو يرفضه أو لا يعرفه أو لا يشبهه ، ولم ينبت في ارض لا تنبته ولا تزرعه ولا تحيل به أو تحتضنه وترضعه وتحنو عليه . . . انه لم يلد نفسه أو يصنع نفسه من مادة غير موجودة أو نقيضاً للمادة التي صنع نفسه منها . ان الارض لا تنبت بلا بذور ، وانها لا تنبت البذور التي لا تنبت فيها . وان النبتة ، اية نبتة لا تنبت من غير بذرتها ، أو لا تلدّها بذرتها . ان الشيء لا يوجد الا بقانون والقانون لا يصنع مرة واحدة فقط . . . انه لا بد ان يعني التعدد والتكرار . اذن فوجود الشيء حتى وجود الاله لا بد ان يعني تعدده . . .

ان الطبيعة لا تستطيع ان تكون بلا نوالد وتكاثر وتشابه وتعدّد لتتوحد في شيء واحد بلا شبيه أو مثيل . انها لا تستطيع ان تصوغ نفسها في صيغة قبيحة واحدة . ان العامة أو الدمامة أو البلادة أو الحماقة لا تستطيع ان تكون فريدة في اي

ان اية رداءة أو تفاهة أو صيغة جنون لا تستطيع أن تتوحد في بيتها أو عصرها .
ان الطبيعة لا تعطي عطاياها أو تصنع شرورها وآلامها واخطاها بالوحدانية . .
انها لا تستطيع ان تلد شيئا واحدا معيناً مرة واحدة ثم تتوقف عن الولادة ،
عن ولادة مثيله . .

انك حينما ترى نوعاً من الدمامات أو العاهات أو الامراض أو الحماقات أو الجنون
أو التفاهات أو من الغباء أو الطغيان أو السفه فلن تستطيع ان تفكر أو تفترض أن هذا
الذي رأيت في ذات واحدة أو حالة واحدة أو منظر واحد هو كل ما حدث وكل ما سوف
يحدث ، تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً ، في المجتمع الذي رأيت فيه أو في جميع
المجتمعات . انك لو كنت مصاباً بعاهة نفسية أو بدنية لما استطعت أن تقنع ان
احدا غيرك قبلك أو بعدك لم يصاب ولن يصاب بهذه العاهة .

لكن لعل القبح والفحش قد تجمعا أو نألقا أو صرخا فيه بأساليب اكثر واقوى اثاراً
واغراء وفتونا . . أو لعلهما اي القبح والفحش فيه قد بدا أو حسبا أو ابصرا أو فسرا
كذلك تحت ظروف واسباب قد وجدت وتجمعت في وقت ملائم ليحدث هذا الذي حدث .
ان كل من تشابهوا أو تماثلوا في جمالهم أو دمامتهم ، في نكائهم أو غبائهم ،
في نظافتهم أو تلوثهم ، لن يروا أو يفسروا رؤية وتفسيرا متساويين . . ان العيون
والعقول التي تراهم أو تقرؤهم لن تقرأهم أو تراهم مستوى واحداً . . ان تساوي
الاشياء والوجوه في ذواتها لا يعني تساويها في رؤية أو تفسير من يرونها ويفسرونها
ويمارسونها . .

لقد آمن الناس في كل العصور والمجتمعات بما يسمونه الحظوظ أو الغيب أو القدر
المدير القاصد المقصود . وكانوا في ايمانهم هذا عاجزين عن التحديد وعن التفسير
لما يؤمنون به بل لم يكونوا يريدون أو يستطيعون التفكير في هذا التحديد والتفسير .
لقد آمنوا ولا يزالون يؤمنون هذا الايمان لانه كان من الاستحالة الدائمة أو
الصعوبة الدائمة أن يروا أو يعرفوا جميع الاسباب التي تحدث بها الاشياء والاحداث
بالاساليب التي بها تحدث ، وفي الاوقات والظروف والازمان التي فيها تحدث .
انه مهما كان ايماننا بالالهة أو بالطبيعة أو بالقانونية المحتمومة فلن نستطيع ان
نعقل أو نرضي دائما حدوث الاشياء كما تحدث . .

لقد كانت الاشياء والاحداث تحدث وكأنها خروج على حد منطلق وحساب وعدل
وتوقع . كانت تبدو كذلك لغموض وتعدد ووقاحة وبلادة وقسوة ونذالة اسبابها . .
اذن لا بد من تفسيرها بالحظوظ والغيب وبالاقدار القادرة . . ان الايمان بالالهة
والاديان وبكل الاساطير لم يكن الا تفسيراً للاشياء بالحظوظ والغيب والاقدار
الفاعلة بلا قانون . .

والتفسير بالحظوظ أو الاقدار والغيب أو بالالهة ليس الا نفياً للاسباب . .
ونفي الاسباب اسلوب من اساليب البحث عن الراحة ، ومن اساليب الاعتذار عن

العجز ، ومن اساليب الاقتناع للنفس ، مجاملة لها وتخفيفا عنها ، بأنها لم تعجز او تجهل أو تكسل ، ولكنها لم تجد . انها لا توجد تفاسير أو اسباب لما يحدث لكي نصبح مطالبين بمعرفتها أو متهمين بالعجز عن معرفتها أو بالكسل عن المحاولة لمعرفتها . . .

هكذا يذهب يظن ويقول المؤمنون بالحظوظ والغيب والالهة وبالاقدار المنطلقة من الظلام والضاربة في الظلام والعائشة المختبئة في الظلام . . .
اذن قد يكون من الممكن الزعم ان قبح وفحش التنبي لم يكونا اعظم كثيرا من كل قبح وفحش ولكن اسبابا وظروفا من الاسباب والظروف الغامضة التي تحتاج الى ان تفسر بالحظوظ والغيب والقدر هي التي وهبت فحشه وقبحه هذا التفوق والبريق اللذين جملا السوق والتاريخ العربيين يصابان بكل هذا الجنون اعجابا وافتقانا به ، لاقتناعهما بانه لا قبح ولا فحش يساوي أو ينافس أو يقارب قبحه وفحشه .

لعل ما يسمى بالحظوظ والاقدار الجاهلة هي التي وهبت فحش التنبي وقبحه كل هذا المجد والسلطان في السوق والتاريخ العربيين ، لحسابانها اي فحشه وقبحه كل القبح والفحش اللذين يستحقان كل المجد والسلطان ، اللذين يستحقان كل مجد وسلطان كل القبح والفحش . اجل ، لقد كان تمجيد التنبي في نيات ممجديه تمجيذا لاعلى صيغ القبح والفحش . فكيف رأوه يملك اعلى واقوى هذه الصيغ ؟

حتما . . . العرب لم يلتفتوا الى التنبي ولم يشهروا به كل هذا الالتفات والتشهير الا لانهم وجدوا أو رأوا فحشه وقبحه الضاجين بكل الجنون والنزق والبذاءات والغرور والسباب والتناول هما اعظم من كل قبح وفحش ، فهل هما حقا اعظم من هما كل القبح والفحش اللذين يستحقان كل المجد والسلطان ، اللذين يستحقان كل مجد ان يكونا كما رأوهما اي بكل هذا التفوق الذي لا يداني او ينافس ، بكل هذا التفوق الذي يخفي ويتردد ويهزم كل منافسة أو حتى مشاركة أو مشابهة ؟

اجل ، انك لو استطعت ان تجعل السوق العربية تراك نبي القبح والفحش لكان محتوما ان تراك نبي العبقرية والمجد القاهر الساحر .

نعم ، قد يكون الجواب : ان فحش التنبي وقبحه قد لفتنا من الاستقبال والحفاوة ما لم يلق اي قبح ولا اي فحش اخر لانهما قد وجدنا أو ظنا أو كانا في حسابات السوق والتاريخ العربيين هما اعظم واشمل واجهر انواع ومستويات القبح والفحش . . .

اجل ، قد يكون هذا التفوق في الاستقبال والحفاوة استحقاقا ، وقد يكون غلطة وسفها في تقسيم التاريخ لعطاياهم ولامجادهم وضرباته . هل توجد سذاجة أو سخافة أو بدوأة فكرية أو تحقير للانسان يساوي قول هذا الشاعر المحتكر لاضخم الحظوظ في الاسواق العربية :

وانما الناس بالموك ولا يفلح عرب ملوكهم عجم

ومع هذه القسوة أو مع هذه التفاسير التي تبدو كأشده اساليب القسوة في رؤية

المتنبي وفي الحكم عليه ، فهل هو اي المتنبي يستحق العقاب أو التأنيب أو المحاكمة التي يقصد بها أو منها المعاقبة ؟ هل هو مذنب خاطيء جان أم هو مصاب مجنى عليه؟ هل هو قد أراد ودبر وصنع فحشه وقبحه أم هو قد أصيب بهما ؟ هل زرع فحشه وقبحه في نفسه ام نبتنا فيه كما نبت فيه لسانه وأظفاره ؟

أليس الانسان يصاب بأفاته النفسية والعقلية كما يصاب بأفاته البدنية ؟
أليس الانسان يصاب بضعف العقل أو الارادة أو الهممة أو الشهامة أو الضمير أو الايمان كما يصاب بضعف الحواس والعضلات ؟

هل يمكن أو يجوز أن يتهم أو يعاقب أو يحاسب أو حتى يلام الانسان على تشوهات وعفوناته النفسية والفكرية أو يسأل عن ذلك الا مثلما يمكن أو يجوز ان يتهم أو يعاقب أو يحاسب أو يلام أو يسأل لانه قد اصيب بالمرض أو بالوهن أو بالشيخوخة أو بقصر القامة أو بسواد اللون أو بالموت أو بنمو الخراج في جسمه أو بتكون فضلات الطعام والشراب العفنة في احشائه ، أو بكونه يجوع ويمرض ويخاف ويحزن ويحب ويكره بلا تدبير أو ارادة ؟

هل الكائن حر في ألا يكون نماذج نفسه وفكره وعقله الا بقدر حريته في الا يكون نماذج جسمه ؟ هل يعد مذنبا في هذا الا بقدر ما يعد مذنبا في ذلك ؟ هل الذي يصيبه العمى في عقله ملوم أو مستحق للاملام اكثر من الذي يصيبه العمى في عينيه ؟ من الذي صنع المتنبي ؟ هل المتنبي هو الذي صنع المتنبي ؟ أليس المسؤول عن فحش وقبح المتنبي هو الذي صنعه ؟ فمن صنعه ؟

ولو كان هو الذي صنع نفسه لكان السؤال : ومن الذي صنع فيه ارادته وقدرته على ان يصنع نفسه كما صنعها ؟

من الذي يصنع النبتة الضعيفة المشوهة ويجعلها ضعيفة مشوهة ؟ هل هي التي تصنع نفسها كذلك ، أم تربتها وبذرتها وتاريخها ومناخها ؟ أم الذي يصنعها كذلك هو الاله الذي يتحدث عنه المؤمنون ويمجدونه لانه يصنعها كذلك ؟

ومن الذي يجعل الوجه المشوه الدميم مشوها ودميما ؟ هل هو الذي يجعل نفسه كذلك ام الذي يجعله كذلك هو الجسم الذي نبت فيه ، وهو ايضا قوانين الوراثة والظروف الاخرى الكثيرة ؟ أيهما المشوه للاخر الجاني عليه : الوجه المشوه ام الجسم الذي زرع الوجه وسقاه وحمله وكيفه واعطاه بل وانبت فيه كل خصائصه الوراثةية والبيئية ؟ هل الوجه هو الذي يصنع الوجه ام الجسم هو الذي يصنع ؟ هل يمكن أن يكون الوجه شيئا غير ما يمليه ويفرضه عليه الجسم الحامل له ؟

من الذي امراض وآلم الاخر : العضو المريض أم الجسد الذي تخلق فيه العضو المريض ؟ ومن الذي خلق ضعف العضو الضعيف : هل هو العضو نفسه ام جسده ؟ هل يمكن ان يكون العضو المريض الضعيف قد اقتترف ضعفا أو مرضا لم ينقله اليه أو لم يصبه به الجسم أو لم يعرضه له ويلق به فيه ويعرضه عليه ؟

ومن الذي يصنع الجسد أو المولود ضعيفا أو مشوها أو بليدا ؟ هل هو الذي يصنع نفسه كذلك أم الذي يصنعه كذلك هي خصائص وطاقت و اخلاق وعقول وتاريخ وتوريثات ابائه ومجتمعه وجميع الظروف الاخرى التي لم يصنعها أو يردّها أو يدبرها هو ، بل التي لم يشارك هو في صنعها أو ارادتها أو تدبيرها ، بل التي لم يكن معاصرا لكيثوننتها ؟ ومن الذي يصنع القلب حزينا أو مريضا ، أو من الذي يصنع احزانه و اخلاقه واستجاباته وغواياته : هل الذي يصنع ذلك القلب ام الجسد بكل تقاسيره ؟

ومن الذي يصنع انياب واطفار الوحش : هل هي الاظفار والانياب التي تصنع نفسها ام الذي يصنعها جسد الوحش وخصائصه وتاريخه وحياته ؟

ومن الذي يصنع جسد الوحش ؟ هل جسده هو الذي يصنع جسده ام آباء جسده ؟ ومن الذين يصنعون آباء جسده ؟ ايها هو المذنب الاول أو الوحيد : النهر أم البحر أم السحاب أم الفيضان المغرق المدمر ؟ ايها هو المذنب البادي بالمذنب وايها اكبر ذنبا ان وجد ذنب ؟

اذن من الذي صنع التنبي باظفاره وانيابه الاخلاقية والنفسية وبعاهاته وتشوهاتة وبكل امراضه ومعاني ضعفه وقبحه وفحشه ؟

ألم يجيء اي التنبي الى نفسه والى قومه ومنها ومنهم كما يجيء الوجه المشوه والدميم والعضو المريض الضعيف الى جسده ومن جسده ، وكما يجيء الجسد والمولود الضعيف والمريض الى كينونات ومستويات آباءه ، وكما يجيء من هذه الكينونات والمستويات، والى تاريخها ومن تاريخها، وكما تجيء النبتة الضعيفة القبيحة المتوحشة المؤذية الى تربتها وبذرتها وبيئتها ومنها ، أو كما تجيء اظفار وانياب وامعاء ومجاغات وشهوات الوحش الى الوحش ومنه ؟ لقد جاء التنبي الى قومه العرب ومنهم كما جاء كل هذا الى هذا ومنه ، كما جاء التشوه الى الجسم ومن الجسم ..

اذن من الخالق الجاني المسؤول هنا ؟ ومن المخلوق المجنى عليه المستحق للرحمة والاشفاق ؟

أليست محاكمة ومعاقبة وتانيب التنبي على قبحه وفحشه يساوي معاقبة ومحاكمة وتانيب الوجه المشوه الدميم ، أو العضو المريض الضعيف ، أو المولود الضعيف المريض ، أو النبتة الضعيفة الرئيثة الضارة المتوحشة ، أو الانياب والاطفار والامعاء الجائئة المفترسة ، أو القلوب الضعيفة المريضة أو المصابة بالاحزان والغوايات والخفقان ؟! أليست مثل محاكمة ومعاقبة الجسم لوجهه أو الجلد للونه أو الوالد الاسود لابنه لانه جاء اسود مثله ..

لم يكن التنبي الا تجمعا فادحا كئيبا أليما من خصائص واطاقت وضمانر وعقول آباءه وتاريخه وظروفه وبيئته ، ومن احياءات وتحريضات ذلك عليه وفيه وفي كل ما حوله وعلى كل ما حوله ومن حوله .

لقد تخلق كما يتخلق التثسوه والدمامة والخراج والمرض والالام والاحزان والالماسة والبلادة في الجسم والقلب والعقل والضمير ، وكما يتخلق القحط في الصحراء ، وتتخلق الصحراء في الارض ، وتتخلق الارض في الطبيعة ومن الطبيعة ، وكما يتخلق الوحش في احشاء الوحش ، وكما يتخلق الزلزال والبركان في موقعهما ، وكما تتخلق التقاهة في التافه . ان العدل والمنطق ان تكون الطبيعة كلها مذبذبة او لا شيء منها مذبذب .

ان المتنبي لم يكن الا ولادة طبيعية ، لثقته وحبل به وولده وحضنه وارضعه وغذاه ورباه وعلمه آباؤه الشرعيون باسلوب طبيعي محتوم ومعلوم . لقد صنع المتنبي آباؤه بالاسلوب والقانون اللذين بهما تصنع الاجسام وجوهها الدميمة وبالاسلوب والقانون اللذين بهما تصنع الوجوه الدميمة دماماتها . . انه لم يكن ولم يتجاوز غير ما وجد واعطى ووضع فيه او غير ما استطاع وعلم وعرف وحرص عليه بل وجزى عليه . .

انه لو وجد او اعطى او وضع فيه ما هو افضل وانبل ، او لو استطاع وعرف وقبل منه ما هو افضل وانبل لفعل هذا الافضل الانبل . . ان حب النذالة والوقاحة ليس حبا بلا تفسير ، كما ان حب المجد والتعذيب ليس بلا تفسير . .

انه لو ورث من آبائه وتاريخه ومجتمعه وجها وسيما نظيفا واعجب من حوله بوجهه الوسيم النظيف لما استبدل به وجها دميما ملوثا وقحا . . انه لم يكن عاشقا للقبح ولكنه كان مصابا به . انه لم يخطط او يصنع وجهه الا بقدر ما خطط وصاغ بدنه . . ان المتنبي لم يكن عفنا ولدته نظافة ، ولا قبحا ولدته قسامة ، ولا تقاهة ولدته عبقرية ، ولا نذالة ولدته كرامة ، ولا بغضاء ولدته محبة . . انه لم يكن ظلما ولدته شمس ، ولا وقاحة ولدها تعذيب ، ولا هوانا ولدته كبرياء . .

انه لم يكن الا عربيا ولدته مواهب وتاريخ وحضارة واخلاق ونبوات ومجتمعات عربية . .

انه مولود كما استطاع ان يولد لا كما اراد أن يولد ، وان والديه ولحوه بالاسلوب والمنطق اللذين بهما ولحوا عاهاتهم ودماماتهم واحزانهم . . لقد كان المتنبي عربيا جدا . .

انه لو كان ممكنا الاختلاف على كل شيء في المتنبي لما كان ممكنا الاختلاف على انه كان عربيا جدا . . .

لعل اعظم مزايا المتنبي أو نقائصه انه كان عربيا جدا . . كان عربيا جدا بكل صيغه وتفسيره ولغاته ونماذجه وعلاقاته مع كل شيء وفي كل رؤاه . .

لعل فنوب ونقائص الآخرين الذين لم يعطوا من المجد والسلطان والشهرة مثل الذي اعطي ، هي انهم لم يكونوا عربا جدا .
وانت كم تستحق التهنئة لانه من الصعب جدا أن تستطيع أو تقبل أن تكون عربيا جدا . . .

لقد ورث المتنبي مزايا العروبة وخصائصها بشمول واحتشاد ، ثم عبر عنها بقسوة وقوة وصدق ودوي واصرار وكبرياء ، باساليب لعل الآخرين أو لعل الكثيرين قد عجزوا عنها . . . صعب جدا أو رهيب جدا ان ترث ذات واحدة جميع مزايا العروبة وخصائصها ثم تعبر عنها بالقوة والدوي المطلوبين أو الملائمين . . .
انه لشيء رائع في طرافته واتارته ، في جماله أو دمامته ، ان ترى عربيا قويا جدا في كينونته العربية وفي تعبيره عنها ، خالصا نقيا فيها جدا دون اية تأثيرات اخرى غير عربية . . .

لقد كانت حظوظك جيدة جدا أو رديئة جدا ، لانه كان من الصعب جدا ان تجد أو ترى هذا النموذج من الانسان العربي ، اي القوي جدا في كينونته العربية والقوي جدا في تعبيره عنها والخالص النقي جدا فيها اي في كينونته العربية ، دون اية تأثيرات خارجية واجنبية من اي نوع ، حضارية أو عقلية أو اخلاقية أو نفسية أو حتى لغوية . ولكن لا بد من الاقتناع بان هذه التأثيرات التي يصاب بها الانسان العربي لن تتجاوز الاسلوب أو الصيغة أو الشعار أو اللغة .

ان كل أو أكثر النماذج العربية التي تراها وتواجهها وتعاملها هم اما غير اقوياء جدا في كينوناتهم العربية وفي تعبيرهم عنها ، واما مصوغون باساليب مختلفة بتأثيرات كثيرة خارجية غير عربية ، اي انهم لا يرون أو يعرضون انفسهم أو يتعاملون معها بصيغهم العربية وحدها ، بل مستورة ومجملة بصيغ اخرى كثيرة مجاملة لهم .

لهذا لم تكن حظوظك جيدة جدا أو رديئة جدا لانه كان من النادر أو الصعب الدائم ان ترى أو تجد أو تعامل هذا الانسان العربي جدا في كينونته العربية وفي قوة تعبيره عنها وفي نقاء كينونته العربية . . .

ولعلك لم ترقط عربيا بهذه الشروط ، ولعل هذا من الخير لك وللانسان العربي كذلك . . .

نعم ، لعل اعظم مزايا المتنبي أو اعظم نقائصه ، انه كان عربيا جدا . . .
كيف استطاع أو امكن ان يكون عربيا جدا اي عربيا فقط ؟ نعم ، لقد كان كذلك .
اذن لقد كان شيئا رهيبا في تفاسيره .

ولعل هذا هو التفسير لسultanه المتفوق في السوق والتاريخ العربيين .
لقد وجد ولا يزال يجد كل عربي فيه احد نماذجه الفكرية أو النفسية أو الاخلاقية أو الانسانية أو اللغوية أو كل نماذجه . . .

وتفسير المتنبي بأنه كان عربيا جدا ، اي انه كان قويا في كينونته العربية ، لا يعنى به انه كان قويا في ولائه للعروبة أو في دفاعه عنها أو في مقاساته في سبيلها ، وانما يعنى به انه كان صيغة عربية حادة ، اي انه كان نموذجا حادا ومتكاملا للعربي الهدار بلا اي قيد أو شرط من قيود أو شروط الصدق أو الذكاء أو الوقار أو التهذيب أو العدل أو الاستحياء أو الرؤية أو المحاكمة أو المحاسبة للنفس ، أو من التواضع أو الحب أو المقاساة الفكرية أو الاخلاقية أو النفسية أو الانسانية أو حتى اللغوية . نموذج الانسان العربي الا يقاسي اية مقاساة عقلية أو اخلاقية أو فنية أو نفسية في تعامله من نفسه ومع اي شيء . وهكذا كان المتنبي . .

نعم لقد كان النموذج الاعلى والاصيل النقي الدائم للانسان العربي ، الذي لا يأبى ان يكونه أو أن يوصف أو يتهم به بل الذي يسعده ويملؤه غرورا أن يكونه وأن يتهم ويوصف به - لقد كان هذا النموذج هو ان يكون اقوى واشمل واضع نماذج الهدير والصهيل بلا اي قيد أو شرط من القيود أو الشروط العقلية أو الاخلاقية أو النفسية أو اللغوية أو الحضارية - من القيود أو الشروط التي لا ينبغي أو لا يمكن أن يوجد شيء بدونها كلها أو بدون كثير منها . لقد كان نموذج الانسان العربي الا يرى اية رؤية لا فكرية ولا اخلاقية ولا بصرية ولا نفسية ولا فنية ، الشيء الذي يريد ان يصفه ويفهمه ويراه .

ولقد كان المتنبي هو هذا النموذج ، أو كان هو اقرب أو من اقرب الصيغ الى هذا النموذج . لهذا استحق بعدل ومنطق كل امجاده وحظوظه هذه . . لقد كان اي المتنبي انسانا بلا اية شروط انسانية لا على رؤيته ولا على عقله وفهمه ولا على ضميره أو لسانه أو عواطفه أو تصوراته بل كان ضد هذه الشروط . لهذا كان عربيا جدا . .

لقد كانت مجازة المتنبي في الاسواق العربية مجازة عربية المنطق والاخلاق والذكاء والتاريخ والقيمة والمستوى والتوقع والسخاء . .

لقد كانت مجازة المتنبي في السوق والتاريخ العربيين مجازة فيها كل خصائص المجازة العربية الاصلية .

انه لخروج على جميع التفاسير والتوقعات الا يكون اي المتنبي في السوق والتاريخ العربيين كما كان . لقد كان احتفال السوق والتاريخ العربيين بالمتنبي احتفالا بأقوى واصدق نماذجها الفكرية والاخلاقية والعاطفية واللغوية الاصلية الدائمة .

انه لو اريد ان يفسر جميع آلهة العرب وجميع انبيائهم وخلفائهم وسلطينهم ومعلميهم ومفكريهم وخطبائهم بشاعر واحد او بانسان واحد ، أو أن يبحث لهم عن نموذج هو اقرب النماذج اليهم ، لما كان هذا الشاعر او الانسان او النموذج غير المتنبي . ان في ذات المتنبي كل تفاسير هؤلاء وكل نماذجهم ، بكل تعبيراتها . . انه ليس من هؤلاء ، واحد لا يعيش فيه كل المتنبي ولو بأمانيه واغانيه . .

وانه لو أراد جميع هؤلاء الالهة والانبياء والخلفاء والزعماء والخطباء والمعلمين والمفكرين العرب ان يختاروا لهم نموذجا ليكونه أو ليقلدوه أو ليكون واضح وصانع ومخرج الدعاية والاعلان عنهم ولهم ولجميع قضاياهم وعن جميع قضاياهم ، وليكون مستشارهم ولسانهم وجليستهم ، ولكي يكون المثال الكامل الدائم لاخلاقهم ولذكائهم وصحتهم وحبهم ووقارهم ووفائهم والالتزامهم الفكري والمذهبي والديني والاخلاقي والتاريخي ، لما اختار احد منهم أحدا غير المتنبي . .

انها موجودة في ذات المتنبي كل تفاسير ونماذج ومواهب ونيات ولغات واخلاق ونبوات كل انبياء وخلفاء وسلطين وشعراء العرب ، بكل الشمول والضجيج والقوة . . ان كل هؤلاء لا بد ان يجذوا كل ذواتهم بكل السهولة في ذات المتنبي ، في ديوانه ، مهما كانت اميتهم العقلية والنفسية والاخلاقية والبصرية والاستنتاجية . ان اي نبي عربي لا بد أن يجد قرآنه بعض شعر المتنبي . .

ولو انهم اي هؤلاء الالهة والانبياء والزعماء والخطباء والمعلمين والمفكرين العرب انسوا بوسيلة ما انهم عرب ثم عرض عليهم جميع شعراء العالم وهم ينشدون شعرهم بلغة واحدة أو بلغات كثيرة يتقنونها ثم قبل لهم : من تختارونه شاعركم ، أو من ترونه جديرا بأن تنتموا اليه نسبا ونموذجا ، أو من تودونه مثلا لكم لو أردتم أن تصبوا شعراء ، أو من ترونه اقرب اليكم واشبه بكم اخلاقا وتفكيريا وضميرا ونفسا وطموحا وصهيلا وغورا .

- نعم ، لو ان هؤلاء وضعوا امام هذا الخيار لكان المحتوم او المتوقع جدا ألا يختلوا او يترددوا او يقاسوا لكي يقولوا : انه هذا ، مشيرين بكل أهوائهم وتمنياتهم ومواهبهم الى المتنبي ، أي بعد وضعهم في الحالة المفترضة . وانهم لن يتهموا بأنهم أخطأوا أو زيفوا أو كذبوا حينما يفعلون ذلك .

ولكن لا بد هنا من اشتراط محتوم افتراضه ، هو ان تكون صيغ هؤلاء الآلهة والانبياء والزعماء والخطباء والمعلمين والمفكرين العرب صيغا عربية خالصة بكل تفاسيرها ونماذجها التاريخية الثابتة الاصلية ، وليست صيغا قد أصابها التغيير الشديد الطويل المستمر تحت التأثيرات الخارجية القوية التي تشبه الغزو الشامل حتى بدت ولو في الصورة واللغة كأنها صيغ أو نماذج أو مستويات غير عربية وانها لحظوظ جيدة جدا أو رديئة جدا انه من الصعب جدا أن يوجد عربي لم يصبه هذا التغيير بأسلوب ما أو بقدر ما .

وانهم اذا كان هذا التغيير قد أصاب نماذجهم العربية فمن المحتمل ان يختار بعضهم شعراء غير المتنبي حتى ولو بنية الاستحيا أو التأدب أو الدعاية أو التواضع أو الانخداع عن النموذج المطلوب وعن الشبيه . ان الانسان العربي اذا تغير نمودجه الموروث فلا بد أن يخجل من الاعجاب بالمتنبي بقدر ما يخجل من الاعجاب بانبيائه وخلفائه وسلطينه الذين كانوا يعلمون اباءه الجوع والموت والهوان والايامن والصلاة .

ان بعضهم قد يرى حينئذ انه لو اختار المتنبي نموذجه لكان ذلك في حسابات الآخرين مبالغة في الكبرياء وفي ادعاء المجد الصعب جدا . . . انه قد يرى ان اختياره للمتنبي نموذجا له ترف في الطموح لا يمكن قبوله أو غفرانه . . . وهو لا يريد أن يتهم هذا الاتهام . انه لهذا وبهذا قد يتنازل عن نموذجه ، ولو ادعاء ودعاية وقولا فقط لكي يرى مبالغا في التواضع والتهديب . . ان الانسان العربي حينما يتغير تحت التأثيرات الخارجية فقد يهاب الانتماء الى المتنبي ويهاب ادعاء امتلاكه اما خوفا من الكبرياء ومن المبالغة في الادعاء ، واما خوفا من العار . . .

انكن قارئين للمتنبي ومستذكرين لاشعاره ومطلين على كهوف روحه ، ثم لنستمع الى اي زعيم أو حاكم أو حتى الى اي قائد عسكري عربي ، يخطب مفاخرا أو مهديا أو شامتا أو مدعيا متكبيرا أو هاجيا محقرا متهما أو كاذبا متوقفا هادرا صاهلا محاربا منازل هازما كل الاعداء والاصدقاء ، كل المحاربين والمسالمين ، مالكا لكل امجاد كل القصور والقبور ، باصقا على كل الشموس والنجوم ، ممطرا كل البحار والانهار ، فاعلا كل ذلك هو وآبؤه وشيوخ قبيلته ، زاعما ومعلنا كل ذلك بكل افواه الدنيا ومن فوق كل منابرها اي بانه هو وشيوخ قبيلته هم ممطرو كل الأنهار والبحار والسحاب . .

ثم لنستمع الى اي كتاب مقدس عربي او الى اي نبي عربي أو سلطان أو خليفة عربي ، أو لنقرأه ، متحدثا الينا والى كل احد وكل شيء ، بكل ما في السماء وسكان السماء من كبرياء وبدواة وجاهلية وادعاء واتساع واستعلاء ، ومن تحليق وهبوط ، في كل حضيض ، وفي كل وهم ، متفلتا من كل منطق وذكاء واتزان وصدق وتهذيب وحياء وجمال وفن وموهبة شعرية أو اخلاقية أو انسانية أو حتى روحية . . .

نعم ، لنكن قارئين للمتنبي ولاشعاره واخلاقه ولكل تفاسيره ، ثم لنسمع ونقرأ اي زعيم أو حاكم أو عسكري او اله أو نبي أو خليفة أو سلطان عربي ، أو اي كتاب مقدس عربي ، ثم لننظر هل نستطيع الا أن نقول ان جميع هؤلاء انما يقرؤون علينا ديوان المتنبي ، أو انما هم جميعا نسخ أو طبعات اخرى من المتنبي ، أو انها روح المتنبي وموهبته قد تناسختا فيهم جميعا !! انه اذا وجد اختلاف أو تباين بينه وبينهم فليس الا في القدرة على التعبير وفي اساليب التعبير . . .

ولو أن احدى السحب أو الشهب أو الاعاصير ألقت بالمتنبي بيننا اليوم ليستمع الى جميع اجهزة الكلمة العربية وليقرأ كل ما نحفظه ونرويه ونطبعه وننشره من تراث انبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا وجميع حكمائنا ، بكل هذه الضخامة والوقاحة والنزق بل والجنون في الدعاوي والغرور والطيش والبدواة والسذاجة والافتخار والهجاء والاتهام والتهديد والبغضاء والقسوة ، لما اعتقد انه يسمع أو يقرأ غير اشعاره تنشد بأساليب قد تكون أعلى ضجيجا . . .

انه حينئذ لن يجد نفسه غريبا ، أو أنه يواجه أو يجد شيئا جديدا . . شيئا لم تعشه نفسه أو اخلاقه أو تفكيره أو أمانيه أو مواهبه ، أو لم تقله كلماته . انه لا بد

أن يصرخ حينئذ : كل هؤلاء تلاميذي ، رواتي ، منشدو شعري ، سارقوه • انهم
لصوص ، لصوص ••

انه حينئذ لا بد أن يذهب ينشد :

وتركك في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء انمله العشر
ليطمئن الى انه لم يكن نبيا مجنونا لمؤمنين عقلاء ، الى انه لم يكن الا همسا في
مواكب صارخين والا ريجا متوقرة في بيئة اعاصير مجنونة اي في زئيرها لا تأثيرها •
انه حينئذ لن يقاسي لكي يفهم أو يقبل أو يرضى ما يسمع وما يقرأ ، كما لن
يقاسي من الخجل أو الاشمزاز أو الانفجاع حين يقرأ ويسمع كل ما يقوله ويكتبه كل
حاضر العرب ، وكل ما قاله وكتبه كل تاريخهم • انه لا بد أن يذهب حينئذ يتلو :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
وهذا الخلع للمتنبي عن العرش ، أو هذا الهبوط بعرشه ، أو هذه الرؤية أو التفسير
له ، لا ينبغي أن يروع أو يصدم احدا ••

ان هذه الرؤية للمتنبي لا يعنى بها انه كان مجدا أو جمالا تاريخيا عربيا أو
انسانيا يجب ان نزهى به ولكن يجب ايضا ان نتخطاه •

بل يعنى بهذه الرؤية انه كان عارا أو ضعفا أو ذنبا تاريخيا عربيا ، لا يجب فقط
ان نتخطاه ، بل ويجب ان نخجل ونتوب منه •• ان من لا يخجلون من ان يكون المتنبي
تاريخا في تاريخهم لن يستطيعوا أن يصبحوا مجدا لاي تاريخ •

لقد كان اي المتنبي واحدة من عاهاتنا ونقائصنا وسفاهاتنا التي لم تكن تشوه
تاريخنا أو تعيش فيه فقط ، بل التي كانت هي كل تاريخنا ، بل التي كانت هي كل
امجاد تاريخنا •• كان ذنبا بين ذنوب لا ذنبا بين صالحات ، وكان ذنبا مطلقا لا ذنبا
موقتا • كان ذنبا في حسابات كل التاريخ لا في حسابات بعض التاريخ وبعض
الازمان ••

هل يمكن ان يحسب المتنبي مجدا أو جمالا تاريخيا اكثر مما يمكن ان يحسب
هذا المجد أو الجمال أولئك الانبياء والخلفاء والسلاطين والشيوخ الذين كانوا يغفون
تاريخنا ويحكمونه ، ويعلمونه البداوة والتخلف والغباء والجهل والذلة والمسكنة
والخوف والطاعة والموت فداء لحماقاتهم وغزواتهم وعداواتهم ، كما كانوا يعلمونه
الصلاة والايمان بما لا يفهمون أو يعقلون أو يحترمون أو يحبون ، وايضا يعلمونه
الاقتناع بمزايا وجود الجحيم وبمجده اي بمجد الجحيم وبمزايا التهديد به اي بالجحيم
والتخليد فيه ، والاقتناع ايضا بوجود الجنة المدخرة في السماء ، وبمزية الحرمان
منها ، بل يعلمونه كيف يكون معلنا عن احوال الجحيم مع التمجيد له ولاهواله
وللتهديد به وبها وللتخليد فيه ، وكيف يكون معلنا عن لذات الجنة مع التمجيد
للحرمان منها والثناء على هذا الحرمان وما فيه من معاني الرحمة والحب والسخاء
والعدل ، ويرهبونه اي يرهبون التاريخ ويمنعونه ان يكون ذكيا أو قويا أو شجاعا
أو صادقا أو كريما أو سلاما أو حبا أو نظيفا أو مبصرا أو قارئا أو كاتباً أو مفكرا •

اننا كما يجب ان نتلفت الى انبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا هؤلاء باستحياء وذعر وأسى وانخفاض هامات ولصوق بالارض كذلك يجب ان نتلفت الى المنتبى . ان اعظم انبياء وقادة وقديسي اي قوم لن يكونوا اكبر او اعقل او انظف أو اتقى من اعظم شعرائهم . ان القوم الذين يصغر اكبر شعرائهم في كل معانيهم لن يكبر اكبر انبيائهم أو خلفائهم أو سلاطينهم أو قادتهم أو قديسيهم في اي معنى من معانيهم . ان الانتماء الى السماء أو الى الاله لن يتحول الى تقوى أو الى موهبة في المنتمى . . .

انه لا ينبغي كما لا يستطاع تفسير المنتبى بأنه كان في عصر من العصور أو لعصر من العصور مجدا أو جمالا أو فنا ، لهذا يطلب أو يجب ان يوضع في متحف كوني لكي يأتي اليه الزوار ليقفوا أمامه متذكرين منشدين خاشعين معجبين مصلين مستلهمين مأخوذين بالامجاد الكونية التي قد ماتت والتي قد خلدتها الموت بقدر ما خلدت هي الموت . . . بالامجاد التي لا تموت لانها لم توجد . . . أليس اخلد الامجاد هي الامجاد التي لم توجد ولو أحيانا ؟ أليس اكثر الامجاد هي امجاد لم توجد ؟

ولكن الذي ينبغي بل الذي يجب ان يفسر المنتبى بأنه كان قبحا ونزقا وعدوانا على جميع القيم الفنية والحضارية والانسانية في حساب وحكم ونماذج جميع العصور ، لهذا فالمطلوب بل الواجب أن يوضع في كهف متوحش دميم بعيد عن المدن وعن الجمال وعن المعابد والمعاهد الفنية وأن يكتب على مدخله اي على مخد الكهف : ادخلوا هنا ثم قفوا وتساءلوا بكل الذعر والاسى والانفجاع : كيف وجد مثل هذا ، في اي عصر او مجتمع وجد ، واية موهبة انسانية قد استطاعت ان تحبل به وان تلده وان يعيش في حجرها أو قلبها أو ضميرها أو عينها . ادخلوا هنا مروعين باستذكار وتصور ما يختزن في احشاء القبابر من عاهات وذنوب وعار واكاذيب . هل يوجد مختزن للقبح مثل احشاء القبابر ؟

ارثوا بصدق واشفاق للعصر أو للتاريخ أو للمجتمع أو للانسان الذي حبلت مواهبه الفكرية والاخلاقية والنفسية والحضارية بالمنتبى ثم ولدته ثم ارضعته وربته وعاش في احضانها بل عاش فوق منايرها وعروشها وهاماتها وفوق ألسنتها وضمائرها وحيائها وكبرياتها ، يغني كل فحشه وعريه وعاره ، مستمعة اليه ، هاتفة له ، مجنونة من الاعجاب والغرور به ، غير مصدقة انه ينتمي اليها وحدها بكل مجده وعبقرياته ، عاجزة عن التصديق بأن كل مجده بعض مجدها ، عاجزة عن هذا التصديق خوفا من ان تصاب بجنون الكبرياء أو بجنون التفرد بامتلاك المجد . . .

ولكن هل تستطيعون ان تجدوا قلوبا أو ضمائر أو افكارا أو اخلاقا أو احزانا تكفي لكي تحولوها الى رثاء لقوم لا يزالون يصبون المنتبى قيصرا مطلقا فوق كل امجادهم الادبية والفنية ، بل وامجادهم العقلية والاخلاقية والبطولية والحضارية ؟ هل يستطيع اي شيء ان يتحول الى رثاء لقوم يذكرون التاريخ بالمنتبى حينما يطالبونه بأن يحصي لهم امجادهم ؟

ان المتنبي لم يكن مزية قد تخطاها الزمن أو في مقاييس زمن من الازمان ، بل لقد كان رذيلة يرفضها كل زمن ، وفي مقاييس ونماذج كل زمن . لقد كان المتنبي والمعجبون به الوالدون له المستمعون اليه من قومه ، قبحا وفحشا في حساب وتفاسير كل العصور والمجتمعات ..

انه لم يكن جمالا وعبقرية في اجساد وعقول ابائنا ثم اصبح دمامة وتفاهة في اجسادنا وعقولنا . بل لقد كان دمامة وجهالة وتفاهة في اجساد وعقول ابائنا مثل ما هو في اجسادنا ، وعقولنا ولكنه لم يكن في اجساد وعقول ابائنا دمامة وجهالة وتفاهة تعيش في جمال وعبقرية ، بل كان شيئا يعيش في نفسه ، في نموذجه الذي تلقح وحبل به وولده وغرس فيه تفاهته ودمامته ثم ذهب يعلمه الجراة على ممارسة ما غرس فيه بل يجزيه على هذه الجراة والممارسة ..

نعم ، ان المتنبي كان كالمرض والجهالة اي انه لم يكن نافعا في اي عصر من العصور بل كان ضارا ومشوها في جميع العصور ولجميع العصور اي لو جاء في جميع العصور ولكنه لم يكن مرضا وجهالة يعيشان في صحة ومعرفة . لم يكن بدواة وجنونا بين عقلاء ومتحضرين ..

وانها لعبقرية في الفحط والعقم والضالة ان تكون الاشعار الموجودة في ديوان المتنبي هي كل ما قاله وحسبه شعرا في كل حياته مع ان كل عمله في الحياة ان يقول ، مادحا وهاجيا ومفاخرا وكاذبا بلا اي قيد او شرط من قيود او شروط الذكاء او الشرف او الكرامة او الوقار أو الكبرياء أو الصدق ، ومع ان كل ما حوله كان يحل له بل يحرضه على ان يقول كل ما يريد ويستطيع قوله ، دون ان يشترط او يضرب عليه اي قيد او شرط من القيود والشروط المطلوبة أو المعلمة ، بل يرفع عنه كل قيد وشرط ، ومع ان كل مواهبه قد تجمعت في موهبة واحدة ، يجد فيها اي في هذه الموهبة الواحدة كل الشهوة والنشوة والمجد ، وهذه الموهبة الواحدة هي ان يمارس كل الافتضاح ، كل مستوياته ونماذجه ولغاته ، مادحا بكل الكذب والنفاق والصفار ، وهاجيا بكل الفحش والزور والفجور ، ومفاخرا بنفسه باساليب هي اكبر من كل الجنون والسفاهات والبذاءات ، وكاذبا بلغة وصيغ وحوافز تستطيع ان تسلب من كل الكذب كل اغرائه واغوائه وحوافزه ومجده ، وتستطيع ان تجعل أول من فكروا في الكذب وتعاملوا به يشكون في ان تكون له اية قيمة أو اقتناع أو تأثير أو اية وظيفة أو فائدة من اي نوع وبأي تفسير لو انهم استمعوا اليه اي الى كذبه قبل ان يفكروا في ان يكذبوا وقبل ان يكذبوا . أليس بعض الكذب قادرا لضخامة وقاحته وبلادته ان يسحب من الكذب كل امجاده التاريخية وان يذل هذه الامجاد ويفسد عليها اعجابها بنفسها وان يجعله اي يجعل الكذب يشك في قدرته على ان يخدع او ينفذ او يقنع ؟ أليس كذب المتنبي هو قمة هذا الكذب ؟

انه لم يكن يترك القول حياء أو ذكاء أو تكرما أو تعففا أو اشفاقا أو صدقا أو

نقدا للذات . اي انه لم يكن يترك القول رفضا للوقاحة أو الهوان أو الذذالة أو الكذب أو للدعاء أو للافتضاح من اي نوع وبأي اسلوب ، أو عجزا عن ذلك أو بحثا للشروط له وعليه ، أو خوفا من العقاب عليه أو من ألا يكون مقبولاً أو مغفوراً أو من أن يشتمز منه النقاد أو يفضحوه أو يهزموه ويسقطوه في سوق العملات الفنية والادبية والفكرية والاخلاقية أو حتى اللغوية . . انه لم يكن يرى للملابسه أو لاي ملابس قيمة أو نفعاً رفضاً أو كرهاً للتعري أو للاعلان عن التشوهات .

انه لم يكن يترك القول ناقدا لنفسه أو خائفاً من نقد النقاد - خائفاً من ألا يكون جميلاً أو كريماً أو من ألا يرى جميلاً أو كريماً . . انه لم يكن يترك القول أو يهابه لانه كان يحدق في عيون الناس أو عيون التاريخ أو عيون ضميره أو عيون مرآته . انه لم يعرف انه قد يصبح رائياً أو مرثياً . وانه لم يجرب ذلك أو يرده أو يطلبه أو يفكر فيه . . .

ان الطبيعة لا تستطيع ان تجد في جميع نماذج قحطها نموجاً يستطيع ان يتفوق على قحط التنبي الذي لم يستطع ان يهب في كل حياته غير ما في ديوانه من مدائح واهاج ومفاخرات بالنفس مع ان هذه الاهاجي والمدائح والمفاخرات تمتلك كل اشواقه ونشواته وغلطسته الروحية وكل طموحه الى الانتصار والمجد والدوي والتفوق والى اذلال الاخرين وتعذيبهم بامجاده ودويه وانتصاراته . . . الذي لم يستطع ان يهب غير بعض الكلمات المتناثرة الصغيرة القريبة التي لا تتخطى في اعلى مستوياتها طور التهجي الفكري - تلك الكلمات التي حسبها هو او حسبت له صعوداً تصعب ملاحظته ولو بالخيال في سموات التفكير والفلسفات الكونية الخالدة . انها كلمات صغيرة زعمت حكماً أو فلسفة أو تفكيراً مخترقاً لكل الاماق والحدود والزمان والمكان مع انها لا تستطيع ان ترتفع به عن أمية التفكير . .

ان هذه الكلمات القليلة الصغيرة التي تناثرت في الديوان والتي حسبت افكاراً أو فلسفة أو حكماً تخترق سدود الكون وحدوده وتهتك اسرار ضميره ، وتقرأ وتفسر كل قوانينه واخلاقه في كل صيغ تعامله مع اربابه وتعامل اربابه معه وبه لن تكون ، مزعومة تفكيراً أو فلسفة أو رؤى بعيدة صادقة افضل من التنجيم ، مزعوماً علوماً فلكية ، أو من التعاويذ والرقي ، مزعومة علوماً وكشوفاً طبيعية ، أو من تفاسير رجال الدين للكون ، مزعومة ذكاء ومنطق واخلاق اله ، أو من الخباب ، مفسراً بأنه رحمة وحب وفض وعبقرية وشاعرية وهدية اذكي واقوى واتقى الالهة ، أو من النبوات والكتب المقدسة ، مزعومة نهاية اشواط التفكير الانساني والمعرفة الانسانية والفائدة لهما في كل اطوار واسفار التاريخ ، أو من خطب واحاديث ساسة وزعماء وقادة العرب ، مزعومة افكاراً أو رؤى أو مواقف أو تفاسير سياسية أو انسانية أو أي شيء يحمل اي معنى جيد أو يستحق اي احترام أو اهتمام أو مراجعة أو حتى قراءة . . .

ان التفكير لن يقبل انتماء التنبي اليه الا بقدر ما يقبل اي قاموس سياسي ان

يضع في احد سطوره اسم ايزعيم أو قائد أو حاكم عربي مهما كان تواضع هذا القاموس .
كانت بعض هذه الكلمات القافزة في الديوان بين هدير الهجاء والمديح والفخر ،
التي عدت تفكيراً أو فلسفة أو حكماً تفضح وتعري صمت واحتجاب الأشياء ، وتلقي
عن الحقيقة بكل الحجب والاعطية والاوهام الموضوعة فوقها لكي لا تستطاع رؤيتها
ولا تخيلها - كذا زعم لها .

- نعم ، كانت بعض هذه الكلمات مأخوذة من افواه السوق ومن تجاربها الناقصة
المتسرعة ، صيغت بلفة ضاجة مملوءة كبراً وادعاءً . ان شعراءنا العظام لم يكونوا
الذكي أو اعظم تفكيراً من السوق ولكنهم كانوا اصنع للكلام من السوق .
ليس قحط المتنبي هذا تعبيراً عنيفاً عن قحط الطبيعة التي انبتته وسقته وكونته
ونقلت اليه قحطها أو خصبها ثم بهرت وجنت بضخامته وخصوبته ، بل ثم انتظرت
وتوقعت ان يجن أو يموت كل العالم حسداً وغيره من خصوبته وضخامته وعجزاً عن
مخافسته أو عن منافسة الطبيعة التي خلقتة والقت فيه خصوبتها ؟ لقد كان قحط
المتنبي قحط تاريخ أو شعب أو ارض لا قحط فرد .

**

اني هنا لاقي مقاساتين : مقاساة لهذه القسوة في رؤية المتنبي وتفسيره .
ومقاساة اخرى لصدق هذه القسوة في رؤيته وتفسيره .
ان ابداء الرأي الصادق الشامل الصحيح الاليم في انسان ما لاكثر ايجاعاً
وأيداءً له من التحديق الوقح البذيء الشامت في عاهة جسدية مهينة رهيبة فيه .
ان الرؤية القاتلة لمجد قد فرغ من بنائه وعد مجداً كونياً لاقتل من اية رصاصة قاتلة .
ولكن لا بد ان يخنف من المقاساتين العلم باستحالة أن يقرأ اي المتنبي أو يسمع
أو يعلم هذا الرأي فيه . اجل ، استرح يا ضميري المعذب الصانع للعذاب . استرح
فأن المتنبي القليل لن يسمع أو يقرأ أو يعلم هذا الرأي فيه ، لن يشعر بأية رصاصة
من هذه الرصاصات .

انه لو كان يوجد احتمال بان احداً ما قد يوصل اليه هذا الرأي فيه لهبت
ولتخبت ان اتول فيه ما قلت . جميل هو ألا تكون هنالك اية مواصلات بين الموتى
والاحياء ، بين الموتى وبين بيوتهم واهليهم والعالم الذي تركوه أو تركهم .
ان الموتى لا يشعرون أو يتعذبون أو يعبرون بعارهم أو بذنوبهم أو بتفاهاتهم .
لن الموتى اذن لمحظوظون ، وان للموت اذن لمجداً ومزية وتقوى وكرامة ، ان له
لضميراً . ان من اعظم عطايا الموت انه يمنع من التحديق في الذات وفي النيات وفي
الراة وفي ما فات وما هو آت ، وفي عيون وضمائر وآراء ووقاحات المحققين .
ان التحديق في الميت لن يجرح أو يخجل أو يذل أو يعذب اية عاهة أو مضيحة من
عاهاته أو فضائحه . اذن كم هو منتصر اي الميت على العيون والمقول والضمائر

والاذان المحذقة في سوءاته القارئة لها بكل القسوة والمحاسبة والشماتة والاستمتاع
الخبيث . .

انه لا حدود ولا نفاذ لصبر الميت ولتحمله وغفرانه وتقبله ، كما لا حدود لشجاعته
واغضائه ونبله ، ولتنازله عن الكرامة والحياء والكبرياء ! ان الميت لا يرى عاره لو
هوانه أو قبحه ولا يحياه أو يجوع اليه أو يفاخر به . اذن هل يوجد كالموتى
نبلا وجمالا وكرامة وطهرا ؟

اذن كم هو شههم ونظيف وحيي هو الموت لانه هو وحده الذي يحمي من فعل
التفاهات والوقاحات والحقارات والفضائح والصغائر ، ويحمي من رؤيتها وقراءتها
ومن الاستماع اليها والاعجاب بها ومن الاشمئزاز والاستحياء منها ومن للتعبير والاثام
بها . هل يستطيع اي حي ان يحمي من فعل ذلك ومن رؤيته وقراءته والاستماع اليه
ومن التعبير والاثام به ومن عذاب الاشمئزاز منه ؟

هل يوجد غافر وسائر لذنوب الاحياء ولعارهم ودماماتهم غير موتهم أو مثل
موتهم ؟ هل يوجد عاصم من رؤية الفبح ومن الاستماع اليه والاستمرار فيه ومن
العشق والتمجيد والتهافت له ومن الاتهام والتعبير به والاضطرار اليه ، سوى الموت ؟
لعل الطبيعة لم تجد شيئا غير الموت تعتذر به عن قبحها وسخفها ومخسها وبلادتها
وعن فرضها على كل حي ان يفعل الحقارة والنذالة والمهانة ، وان يواجهها ويراهما ،
ويقرأها ، ويستمتع اليها ، وان يخبر بها ولو احيانا . . .

لعل الطبيعة لم تفرض الموت على الانسان الا تكفيرا وتعويضا عن تشويهها
وتلويثها وتحقيرها وفضحها وتذويبها له . لعلها ابتكرت الموت عجزا عن ان تستمر
تري الكائن يستمر يفعل ويقاسي نذالاته وفضائحه والامه ما دام حيا بلا خلاص أو
توبة .

ولعل الالهة حينما فكرت ان تخلق الاحياء وحينما خلقتهم لم يكن في حسابها
ولا منطقتها ان تخلق الموت ، ولكنها قد تورطت . لقد رأت ان الاحياء ، بعد ان تورطت
بخلقهم ، لا بد ان يقاسوا كل النذالات والبذات والحقارات والبلادات والاكافيب
والفضائح والدنايا ، فاعلين ومواجهين ومبصرين وقارئين لها ومستمعين اليها بل
وعاشقين هاتفين لها وبها بل ومعجبين أو متظاهرين بالاعجاب بها بل وجازين مثنيين
عليها ولو احيانا . . . ولعلها حينئذ عجزت عن ان تغفر لنفسها كل هذه القسوة . .

وحينئذ ذهبت اي الالهة تفكر كيف تتداوى من ورطتها او كيف تعتذر عنها او
كيف تستر عارها ونزقها وورطتها ، وكيف تتوب اي الالهة الى عيونها وتخفف عن
عيونها ، وعن ضمائرهما والى ضمائرهما ، من قبح وفسوة ما تولجه وترى وتعرف ،
من قسوة وقبح ما فعلت دون ان تدري او تنوي .

لقد ارادت ان تعتذر الى الاحياء مما اوقعته بهم . وهل يوجد من يجب عليه
الاعتذار مثل الالهة ؟

وهنا لم تجد ما تواجه به ورطتها هذه الا ان تخلق الموت قاصدة التكفير والعلاج
 .. اذن لقد كان الموت أو خلق الموت هو أسلوب تداوى الالهة من الامها واخطائها ..
 هو اسلوبها الذي لم تجد سواء للاعتذار الى الاحياء والى عيونها وضمائرها . نعم ،
 لعل ذلك كذلك . لعل الموت أو التمويت هو الدواء الذي لم تجد أو تعرف الالهة دواء
 سواء ليكون اسلوب توبتها . لعله اسلوب توبتها الى نفسها والى مخلوقاتا اي الى
 ضحاياها .. ومحتوم ان تجيء اساليب الالهة في تعبيرها عن توبتها واعتذارها
 خارجة على كل منطق وبراعة ..

ماذا لو ان المتنبى لم يميت ، أو لو انه عاد فرأى أو قرأ أو عرف هذا الرأي فيه
 واقتنع به ، لانه قد وهب فهما وعقلا ومنطقا وذكاء جديدا ، ولانه قد تجاوز غروره الامي
 البائس وبدواته العقلية والنفسية والاخلاقية واللغوية ، ولانه قد اصبح في عصر
 حضاري اخر بعيد جدا عن عصره ، يفسر الشعر والشعراء والهجا، والمديح والفخر ويفسر
 كل شيء تفاسير اخرى بعيدة جدا عن تفاسيره هو وعن تفاسير عصره ؟ ماذا لو انه
 رأى أو قرأ أو عرف نفسه رؤية أو قراءة أو معرفة جديدة بعد ان اصبح عاجزا عن
 البدء بنفسه ويصنعها من جديد ؟

اليس محتوما حينئذ ان يتعذب اقصى واقصى عذاب وان يبحث عن الهرب والاختفاء
 باية وسيلة واسلوب والى اي مكان ؟ اليس محتوما ان ينكر نفسه ، أن ينكر انه هو
 الذي كان بل ان ينكر انه قد كان يوما ما هنا أو انه يعرف رجلا كان يسمى المتنبى ؟
 وماذا لو انه لم يميت وظل الى اليوم أو أبدا يقول مثل الذي كان يقول ومثل
 الذي قاله من المذائح والاهاجي والمفاخرات والاكاذيب والاشياء الاخرى بكل مواهبه
 في الفحش والسفه والتخطي لكل قيود الوقار والحياء والنطق والاخلاق والاحترام
 للنفس ؟ وماذا لو ان انبياء العرب وصالحهم وسلطينهم وخلفاءهم الراشدين ظلوا
 حتى اليوم بلا موت يقولون ويعلمون ويخطبون مثلما كانوا يفعلون ؟
 ان مجرد التصور لهذا ليخلق الفزع والفجعة . ماذا لو أن خلفاء العرب وانبياءهم
 وسلطينهم عادوا اليوم بعد أن وهبوا رؤية ومنطقا جديدين ثم ذهبوا يحاسبون ما
 كانوا في عصرهم بما يرونه في هذا العصر ؟

اليس اقصى اساليب التعذيب والتحقير والايذاء والفضح أن يكون كثير ممن
 ماتوا قد وهبوا الخلود لكي يستمروا يفعلون حماقاتهم وفضائحهم وبذاءاتهم وبلاداتهم
 ومهاناتهم وشرورهم ونقائصهم ولكي يستمروا يقاسون من مواجهتها ومن معرفة
 تفاسيرها ودلالاتها ومن رأي الناس فيها واحتقارهم ورفضهم العارف الذكي لها ،
 لان الثقافات والتفاسير والافكار والعصور والحضارات قد تغيرت كثيرا ؟ اليس أكثر
 واقسى من كل وحشية في الازلال والتحقير والتعذيب ان يكون جميع معلمي العروبة
 العظام قد حكم عليهم بالخلود لكي يظلوا في هذه العصور وفي كل العصور يعيشون
 كل مستوياتهم ونماذجهم العقلية والنفسية والاخلاقية والثقافية والحضارية واللغوية

التي كانوا يعيشونها اي مع الافتراض انهم لن يتخطوا نماذجهم ومستوياتهم تلك ؟
نعم ، شكرا لك ايها الموت ..

وايضا ، أليس شيئا رهيبا في تعذيبه ووقاحته ان يعاد كثيرون ممن ماتوا لكي يروا ويعرفوا كيف كانوا وكيف اصبحوا ، لكي يقرأوا ويفسروا ويفهموا ويبصروا وجوههم وتعبيراتهم وعقولهم واخلاقهم وشهواتهم واقوالهم التي كانت ؟ انهم حينئذ لا بد أن يرفضوا ان تكون لهم عيون أو اذان أو عقول لثلا يروا أو يسمعوا أو يفهموا أو يعرفوا انفسهم ..

أليس اقسى اساليب الوحشية في التعذيب والاذلال والتحقير والتهوين والاستهزاء أن يعاد الانبياء والقديسون الى الحياة لكي يروا ويعرفوا ويسمعوا ويقرأوا انفسهم من جديد اي في عصر جديد أي في هذا العصر مثلا ؟ هل يوجد تحقير أو ترويع أو اذلال مثل أن يواجه النبي أو القديس نفسه في عصر غير عصره ؟

اذن لقد كانت الالهة معذورة في حكمها بالموت على من تورطت في خلقهم ، وفي التزامها بالآلة تعيد الى الحياة احدا منهم . حتى الاعادة الى الحياة في الفردوس الموعود بها لا بد ان تكون اقسى اساليب التعذيب والتحقير والترويع للمعاد ...

ولكن الالهة نفسها كم هي بائسة وشقية الحظوظ ، لانها قد حكم عليها بان تستمر تواجه وترى وتقرأ ما فعلت من اخطاء وذنوب ودمامات وعاهات وتشوه وسفه وعبث دون ان تستطيع المرافقة أو الهرب أو الاستتار ، لانها لا تستطيع ان تموت . لقد داوت مخلوقاتنا واعتذرت وتابت اليهم وحفقت عنهم بالموت ، ولكنها هي لم تستطيع ان تداوي نفسها أو تعتذر وتتوب الى نفسها أو تخفف عنها بهذه الوسيلة . كما لم تجد من يفعل لها أو بها ذلك . هل يوجد مثل الالهة ضياعا وتفردا في مواجهتها لالامها واخطائها ومشاكلها وورطاتها واحتياجاتها بلا مساعد حتى ولو بارائه أو احزانه ؟

ولكن قد يكون مخففا عن الالهة الام ورطتها الخالدة انها لا تصاب باي نوع ولا باي مستوى من التغيير الذاتي أو النفسي أو الفكري أو الفني أو الاخلاقي أو الحضاري ، أو من التغيير في الطموح أو التمني أو الرؤية أو القدرة . والذين لا يتجاوزون أطوارهم القديمة أو الاولى أو الذين هم طور واحد دائم هل يمكن ان يخجلوا أو يقاسوا من عارهم أو هوانهم أو جهلهم أو تخلفهم أو يروه أو ينكروه ؟

انها اي الالهة لن تتحول اذن الى ناقدة لنفسها ولوهبتها ، ولن يتصاعد اذن اشمئزها أو استقباحها أو رفضها لما ارادت وديرت وصنعت واصبحت تواجه وتعايش . ان اشتراطها على نفسها ومطالبتها لها لن يتصاعدا او يتغيرا . اذن لن تصبح ترى قبيحا أو سخيفا أو بليدا أو حقيرا شيئا كانت تراه جميلا أو عظيما أو ذكيا أو عبقريا . والذين لا يرون الاشياء رؤى متطورة بل ومتناقضة هل يمكن ان يصبحوا ناقدين لانفسهم أو مشمئزين من عارها ؟

اما البشر فانهم محكوم عليهم بالتغير والتطور والتخطي لانفسهم ولكينوناتهم الذاتية والحضارية والاجتماعية . انهم محكوم عليهم بأن يصبحوا ناقدين ورافضين بل وهاجين لانفسهم ولكل ما كانوا وفعلوه وارادوه باستمرار متصاعد . ولكن هل كل البشر محكوم عليهم بهذا التغير وبهذه الرؤية المتغيرة في محاكمة ومحاسبة النفس والاشياء ، حتى العرب ، حتى انبياء العرب وخلفاؤهم وحكماؤهم وشعراؤهم محكوم عليهم بذلك ؟ اليس التغير نقدا للذات ؟

ان هذا يعني حتما ان بعض الذات أو بعض وجودها أو بعض تاريخها لا بد أن يصبح هجاء وتعذيبا وتحقيرا وسبابا للذات . ان الذين يتغيرون بقوة لا بد أن يقاوموا ويكرهوا ويرفضوا انفسهم ويبصروا عارها ويتعذبوا به اكثر مما يفعلون ذلك باي شيء اخر . . .

اذن فمعايشة الذات ومواجهتها ورؤيتها وتصورها دائما في كل كينوناتها واطوارها وتاريخها ، بكل نقائصها وذنوبها وتفاهاتها وجهلها وسخفها وضآلتها ، ورطة أو قسوة لا بد من الانقاذ والهرب منها حتى ولو بالموت . ما اقسى وأوقع معايشة الذات ومواجهتها ورؤيتها ومحاسبتها ومساءلتها وتفسيرها لو وجد أو حين يوجد من يفعلون بها ذلك ؟

هكذا رأت الالهة ، وهكذا فعلت بجميع الاحياء الذين وهبتهم الحياة باسلوب اللورطة أو الغلطة أو الصدفة . . . انه لا يوجد اي احتمال بجودة حظوظ الالهة لانها خلقت الاحياء أو خلقت اي شيء . انها لا تستحق التهنئة باي شيء فعلته . . . ان رؤية المتنبي وابداء الرأي فيه قد هديا إلى هذه التفاسير اي الى ان الالهة قد اضطرت الى ابتكار الموت عجزا وفرارا من الحكم على اي كائن بالخلود في الامه وتفاهاته وفضائحه بلا نهاية .

فهل جاءت هذه الهداية ضالة ؟

تهنئتي الصادقة الحارة المخلصة المكررة لك - للمتنبي - لانك لن تستطيع ان تعود الينا لكي ترى كيف اصبح مجدك الضخم عارا ضخما ، ليس لان رأيا صحيحا عادلا قاسيا قد قبل فيك وفي مجدك الزعوم بل لان عصرا اخر قد جاء ليحكم بهذا الرأي وبهذه الرؤية لمجدك وعلى مجدك ، وجاء اي العصر الاخر ليصنع هذا الرأي وهذه الرؤية لمجدك وعليه . وهل علم الانسان العربي ان هذا العصر قد جاء ثم استجاب لمجيئه ؟ اذن لماذا لم ير المتنبي أو اي شيء رؤية عصرية ؟

مؤلف الكتاب .. من يؤلف

ومهما قلت في المتنبي وعنه فاني اظل اشعر وارى انه يمكن ان يقال بل وينبغي ان يقال المزيد ، المزيد ، لاننا مهما تحدثنا عن عالم المأساة والقبح والافتضاح والضياع أو وصفنا ذلك أو نميناه أو حققنا فيه فأننا لن نجد اننا قد بلغنا نهاية الشوط أو قاربناه .

لقد كان المتنبي تجمعا مأساويا رهيبا . كان قبحا بقدر ما كان عذابا وضياعا . . . كان يستحق الاسفاق والرتاء بقدر ما كان يصنع الغضب والاشمئزاز . كان يقاسي جدا ويتوقح ويهوى ويرذل كذلك وكأنه ينتقم من مقاساته . . . كأنه انما كان يريد بذلك ان يستفرغ عذابه على عالمه بنية الانتقام والتخفيف عن الذات .

كان مشحونا بالعذاب وبالقدرة والجرأة على ان يكون نذلا ومفتضحا بلا حدود أو قيود أو شروط ، كأنما هذا جزء هذا بقدر ما كان هذا سبب هذا . كأنه كان يتصرف بلا غفران ولكن ايضا بلا عدوان . انه مهما اعتدى فلن يكون الا مجازيا . انه لن الظلم والنزق ان يستقبح أو يستنكر أو يحاكم أو يحاسب اخلاقيا أو نفسيا أو انسانيا أو فكريا ما لم يكن ذلك بكل الفهم والرؤية للامه التي صيبتها عليه ظروفه الاجتماعية والقومية والتاريخية والحضارية وخصائصه الذاتية الفادحة في طموحها وبأسائها وبكل نقائصها الاخرى . . . انه لم يكن يستطيع ان يكون اكبر أو اقوى أو انبل أو اتقى من جميع مواهب و اخلاق قومه التاريخية والعرقية . . .

وايضا ما لم تكن هذه الرؤية والفهم محكومين بكل العطف على هذه الالام التي صاغت لنا المتنبي متعاونة مع استعداده الموهوب للهبوط الى كل القاع في تحقيره وتشويهه وابتذاله لذاته وحياته بل ولكل من يقول فيهم مدائح بأسلوب التمجيد والتخليد وادعاء ذلك . لقد كان المتنبي عقابا ومأساة لنفسه ولمجتمعه وفيهما بقدر ما كان مجتمعه ونفسه عقابا ومأساة له وفيه . كان كتابا او قصة أليمة وورديئة ولكن هل الكتاب او القصة تؤلف نفسها ؟ ومؤلف القصة او الكتاب من مؤلفه ؟

لم يكن المتنبي يحترم شيئا او يتعصب له . حتى قومه لم يكن يحمل او يعيش اي قدر من الاحترام او التعصب لهم . بل ولم يكن حتى يتظاهر بذلك . حتى النفاق والتظاهر لم يكن المتنبي يستطيعهما او يريد هما اذا كانا يطالبانه بان يبدو نبيلاً او كريماً او مهذباً او وقوراً او قومياً . . .

ان العربي مشهور بالتعصب والتمجد بقومه وبالمباهاة بهم امام الاجناس الاخرى المنافسة وغير المنافسة . انه يفعل ذلك ولو تظاهرا او ادعاء ، ولو بلا صدق او عمق او فهم او تنفيذ ، او حذرا من المناقضة السلوكية بل وضد كل الصدق والعمق والفهم والتنفيذ والحذر من المناقضة السلوكية لما يدعي . . .

ولكن المتنبي خرج على هذا الخلق العربي او على هذه العنجهية العربية . . . لقد كانت عنجهيات المتنبي ذاتية شخصية لا قومية ولا وطنية . كان غروره بفرد هو ذاته لا بشعب . كان يزعم انه هو مجد قومه دون أن يكونوا مجدا له وقد يشذ نادرا عن ذلك . لقد كان يتراكم الى كل الابواب غير العربية بل الهازمة المذلة المعتصبة الغازية لقومه العرب لا ليركع عليها وامامها منشدا مدائح الذليل الفضاحة في كذبها وهوانها وبلادة وفحش تفاسيرها فقط بل ولكي يهزا بقومه ويحقرهم مؤملا ان يهبه ذلك المزيد من عطايا ورضا واعجاب اصحاب تلك الابواب . . .

ذهب الى كافور مفارقا سيف الدولة امير حلب العربي فقال :

عند الهمام ابى المسك الذي غرقت

في جوده مضر الحمراء واليمن

وقال في كافور ايضا محقرا لقومه العرب :

واي قبيل يستحقك قدره

معد بن عدنان فداك ويمعرب

❖

ولو لم تكن في مصر ما سرت نحوها

بقلب المشوق المستهام التيمم

ولا نجحت خيلي كلاب قبائل

كان بها في الليل حملات ديلم

وكافور هذا هو الذي قال فيه :

من اية الطرق ياتي مثلك الكرم

اين الحاجم يا كافور والجم

❖

لا تشتمر العبد الا والعصا معه

ان العبيد لانجاس مناكيد

وحينما ذهب الى ابن العميد مادحا مستجديا تعاطمت وقاحت في تعبيره لقومه . . .

لقد كان وهو متوجه اليه يغوص في مشاعر الهوان والرهبه . . . انه شاعر عربي ذاهب

الى باب وزير غير عربي ليصلي ويتضرع ويسأل ويهون • كيف جرؤ على ذلك ؟
وكيف اقمعه طموحه بان الباب قد يفتح له او يؤذن له بقرعه ؟ اليس هذا في حسابه
يساوي ان يخطو فوق الكون كله ؟ اذن هل كان ذلك مغامرة طموح ام وقاحة سلوك ؟
تركزت - يعني ناقته - دخان الرمث في اوطانها

طلبا لقوم يوقدون العنبـرا
من يبلغ الاعراب اني بعدها
جالست رسطاليس والاسكنـدرا
ومللت نحر عشارها فاضافني
من ينحر البدر النضار لمن قري

مسكينة هي خفقات قلبه ونظرات عينيه محاصرا بين عقل ارسطو ومجد اسكندر
الرهيب ..

وحينما انشد ابن العميد قصيدته التي فيها هذا الهجاء البذيء في هوانه وفي
اهانته لقومه استنصر اي ابن العميد كرامة المتنبي وتجاسر على التهوين من شعره
وشاعريته وهاجم القصيد بفسوة المسيطر المستنصر • فلم يقاوم حتى ولا بتلجج
صوت وقاحته • • لقد غابت وذابت كل كبريائه الشرسة التي قد يجدها بعض الناس
في اشعاره الصاهلة • نعم ، كانت كبرياء المتنبي كبرياء لغوية لا نفسية او اخلاقية
او عقلية او سلوكية • والتراجع عن الكبرياء اللغوية الى خضوع حتى لغوي ليس
شيئا صعبا • والكبرياء اللغوية هي كل كبرياء اغلب الناس واكثرهم هوانا •
لقد انشده قصيدة اخرى يعتذر فيها اعتذارا حوله الى تحقير وتصغير لقومه -
اي انشد ابن العميد :

انني اصيـد البـزة
ولكن اجل النجوم لا اصطاده
ما تعودت ان ارى كابـي
الفضل وهذا الذي اتاه اعتياده
ان في الموج للغريق لعـذرا
واضحـا ان يفوته تعـداده

بائس هو ذلك الغريق الذي حكم عليه بان يعدد الامواج • ولماذا قذف من لا
يستطيع السباحة بنفسه الى الامواج ؟

يريد ان يقول انه كان يمدح العرب وينشدهم اشعاره فكانوا يعجبون بل كانوا
يسقطون ويتعمرون اعجابا وانبهارا وانقهارا لانهم كانوا صفارا في مواهبهم الفنية
والنقدية والجمالية والحضارية • اما انت وانت غير عربي او لانك غير عربي فلا لوم
على اذا غرقت في بحارك وعجزت عن اصطيد اعجابك كما لا لوم على اعظم الصقور
اذا عجز عن صيد النجوم او على الغريق اذا لم يستطع ان يعدد امواج المحيط الذي

غرق فيه • مسكين هذا الغريق .. مسكين !! ماذا كانت مشاعر هذا الموج حينما
سمع هذا الغريق المسكين يعتذر عن عجزه ان يعد الموج الذي غرق فيه ؟ نعم ، ما
كانت مشاعر هذا الموج المغرق للحياء والكرامة والشاعرية ؟
وقدم قائد غير عربي الى الكوفة ليقا تل ثوارا عربا فقال المتنبي يمدح هذا القائد
غير العربي مسنها العرب وساخرها منهم ومن رعيهم للابل والاغنام ومن تاملهم
ومحاولتهم بان تكون لهم دولة عربية :

ولو كنت ادري انها سبب له
لزاد سروري بالزيادة في القتل
فلا عمدت ارض العراقيين فنتنة
دعتك اليها كاشف الضرر والمحل
ارادت كلاب ان تفسوز بدولة
لمن تركت رعي الشويهات والابل

ان المتنبي ليستطيع بهذا ان يصبح بطلا عربيا لا ينافس في هبوط كرامته
القومية واعلانه عن هذا الهبوط .

يقول لو عرفت ان هذه الفتنة او الثورة هي التي جعلت هذا القائد الذي ليس
عربيا يقدم الى العراق او الى الكوفة لسررت جدا بكثرة القتل والقتلى لكي يقدم كثيرا
ولكي يبقى ايضا كثيرا • ثم يتمنى ويدعو ان تكثر الفتن والحروب والماسي في
العراقيين لهذا السبب • ثم يهزا بالعرب الذين ثاروا مؤملين ان تقوم لهم دولة
زاعما انهم لا يصلحون الارعا للابل والاغنام .. هوان ونذالة تعجز ارحص وانذل
المواهب والاخلاق عن ان تحبل باصغر منهما او عن ان تهبط الى حضيض هو اكثر
هبوطا من حضيضهما • والذي لا يستطاع فهمه ان يقرأ اي عربي متعصب لعروبتة
اشعار المتنبي هذه ثم يظل فيه اي قدر من الحب والاحترام له ..

وكما سبق فالمتنبي متهم اتهاما بكبرياء النفس او الاخلاق او المواقف او بكبرياء
الشعر او الشاعرية • ولعل اتهام المتنبي بالكبرياء تعبيرا عن فقدان هذه الكبرياء
النفسية والاخلاقية والعقلية وعن اللهفة الى رؤية من يعيشونها ولو على ادنى
مستوياتها ...

وكيف يتهم باي لون او قدر من الكبرياء من يقول لكافور :

ابا المسك هل في الكاس فضل اناله
فانني اغني منذ حين وتشرب

وقد يفسر قوله هذا بانه يطلب ان يجعله ملكا او واليا ، ان يهبه قطعة
او لقمة او جرعة او فضلة من عرشه او تاجه او من غطاء عرشه او تاجه • وبهذا
التفسير يصبح من العسير جدا تصور سخر المتنبي وسماجته بل وبلادته • انه
يريد بكل التصرع والتواضع والمسكنة ان يلحق بقايا الكاس •

اذن كل المجد للكبرياء العربية المتجمعة في ذات وموهبة ولسان واخلق هذا
الشاعر العربي الفادح التفاسير . . .

وكيفه يتهم بالكبرياء من يقول عن كافور ايضا :

انا؟ اليوم من غلمانه في عشيرة

لنا والدم منه . . يفديه ولده

نعم ، لقد اصبح احد غلمان كافور العبد الخصي كما يعيره المتنبي بذلك واصبح
هؤلاء الغلمان هم عشيرته وتبيلته التي يباهي بها . اذن لتركع كل كبرياء لكبرياء
المتنبي . . بل لتتعلم كل كبرياء كبرياءها من كبرياء هذا الشاعر العربي جدا في
كبريائه وفي كل تفاسيره . . .

ويقول عن ممدوح اخر غير عربي :

والناس انزل في زمانك منزلا . . .

من ان تعايشهم وقدرك ارفع

انه لم يجد ما يمدح به ممدوحه هذا افضل او اقوى في حسابه من ان يهجو
ويحقر الناس بهذا الاسلوب المشحون بالوقاحة والبذاءة والغباء والعدوانية والتخطي
لكل حدود وصيغ التهذيب .

والمتنبي بدوي الرؤية والتفكير والطموح ، جاهلي الموهبة . . .

يقول عن نموذج الجمالسي :

من الجأذر في زي الاعاريب

حمر الحلى والمطايا والجلابيب

ما اوجه الحضر المستحسنات به

كأوجه البدويات الرعايب

امين المييز من الأرام ناظرة

وغير ناظرة في الحسن والطيب

حسن الحضارة مجلوب بنتريية

وفي البداة حسن غير مجلوب

ولاخرجن من الحمام مائلة

اوراكهن صقيلات العرايب

امدي ظباء فلاة ما عرفن بها

مضخ الكلام ولا صبغ الحواجيب

قف ، قف ايها الهمجي الرؤية والحس والنطق والموهبة والتصور والتمنسي

والفن والحياة . . .

انه يستتبع كل اعمال الحضارة والتمددين . يرفض الاغتسال ووجود الحمام وان
يكون الجسم نظيفا وصقليا وطريا بضا منعما او ان توضع عليه اية زينة . بل يريد
ان توضع عليه وتعيش فيه كل ادران البداة وعبوسها وقحطها وجفافها . انه لنموذج

للجمال مخجل ومهين وهاج لكل طموح حضاري وفني وجمالي في اي مجتمع انساني ..
 انه لا يدري انه لا جمال بلا حياة جميلة ونظيفة وصحيحة وسعيدة مشحونة
 بكل اسباب التجميل والتطرية والصقل والتهديب والصحة . كيف لا يدري ان بدوأة
 المكان والحياة تصنع بدوأة الجسم والحب والشعور والتعبير ؟ وهل الجمال الا جسم
 وشعور وتعبير وحب ؟ وهل شيء من هذا الا مستوى حياة وحضارة ؟ اليس قول
 المتنبي هذا يعني ان العربي بدوي في طموحه وفي نماذجه الفكرية والنفسية والفنية
 وليس في واقعه فقط ؟ انه اذن وكما قبيل والد الصحراء وليس ابنها فقط .. ان هذا
 يساوي ان يقال ان جمال وقوة وصدق واستقامة العقل والذكاء والحياة والحضارة
 والضمير والفهم في ان يكون الانسان جاهلا اميا بدويا لا يدخل مدرسة او معهدا
 او جامعة او معملا او مختبرا او مصنعا او يقرأ او يسمع او يحمل أو يرى كتابا او
 حرفا او عالما أو مثقفا أو مفكرا أو يدخل مدينة فيها شيء من ذلك او تؤمن بشيء منه .
 والحلى والجلابيب واللوانها الحمراء ، أليست من عمل واستعمالات الحضارة لا البدوأة
 كالحمامات وصقل العراقيب وصبغ الحواجيب ومضغ الكلام ؟

ويقول معبرا عن جاهلية موهبته :

حتى رجعت واقلاممي قوائيل لي :
 المجد للسيف ... ليس المجد للقلم

**

فلا تحسبن المجد زقا وقينة
 فما المجد الا الفتك والطعنة البكر
 وتضريب اعناق الملوك وان ترى
 لك الهبوات السود والعسكر المجر
 وتركك في الدنيا دويبا كأنما
 تداول سمع المرء انمله العشر

السيف مواجه للسيف الاخر المناقض او العادي ، والجندي مواجه للجندي
 الخصم او العدو او المؤمن ايمانا مناقضا او مخالفا ، والقتل او القتال مقاوما للقتل
 او للقتال او مبتعثا له ...

نعم ، هذا وهذا وهذا محاسبا ومحاكما ومفسرا بعضه ببعض ، اي محكوما عليه
 قضية واحدة او شيئا واحدا ، لم يهب الحياة أو الانسان اي مجد او نفع او شيء
 طيب . انه في كل تاريخه وتحت جميع ظروفه واسبابه لم يهب او يصنع او يدبر
 الا الخراب والموت والتشويه والالام والاحزان والاحقاد ، ولن ينتظر ان يفعل غير
 ذلك ، بل لن يستطيع ان يفعل اي شيء غيره ..

ان البشرية في كل تاريخها لم تصب بخسران لا ربح فيه يساوي الخسران
 الذي اصابتها به السيوف متخاصمة متعادية ..

ان انبل واتقى واذكى سيف او جندي او قتل او قتال لن يكون الا مدايا
او حاميا من سيف او جندي او قتل او قتال اخر . وان المداوي والحامي والمداوي
والحمي منه لم يهبا او يصنعا اي شيء مفيد للحياة او للبشر او للعدل او للتقدم
او الحضارة او للاديان او المذاهب . . ان السيف في كل تاريخه لم يكن ولن يكون
الا ضاربا للانسان وللحياة اما بادئا او رادا على سيف اخر قد ضرب بادئا . ان
جميع الارباب والانبياء والقادة والشعراء والعلمين الذين انزلوا السور والاناجيل
والتعاليم والاشعار في امتداح السيف كانوا يجهلون ما يصعب جهله .

ان اي سيف محارب لن يكون الا عدوانا او دفعا لعدوان يفعله سيف محارب
اخر . والعدوان ودفح العدوان محاكمين ومحاسبين ومفسرين معا هل يمكن ان يكون
فيهما اي خير او ربح لاية قيمة من قيم الحياة او الانسان ؟ انه ليس الانسان هو
الذي اخترع السيف او فكر في اختراعه او احتاج اليه ولكن الذي فعل ذلك هي
أحقاد وخصومات وحمقات الفادة والزعماء والانبياء واللصوص المقسمين للبشر . .
ان البشرية لو لم تتبكر في كل عصورها أي سيف او سلاح أو جيش أو حرب
لقتدأوى من الشيء بنفسه لما خسرت شيئا بل لربحت شيئا يتخطى كل ما يمكن ان
تؤدي اليه نتائج اية عملية حسابية .

ولو ان اي قائد او جيش او شعب حمل كل السيوف وحارب كل الحروب وانتصر
فيها كلها واخذل او قطع كل الرقاب وفتح كل البلاد ، بادئا وغير باديء ، لما كان بذلك
صانعا أو كاسبا أي مجد ما لم يصنعه بوسيلة اخرى ، بوسيلة يصنعها القلم باحد
معانيه واساليبه الا بقدر ما يمكن ان تصنع ذلك انياب واطفار الوحش . . هل
يستطيع احد ان يجهل شيئا من ذلك ؟ نعم ان المتنبي يجهل كل ذلك وايضا
يجهله كل الالهة والانبياء والشعراء والحكماء الذين صنعوا الايات والمعلقات
هروية عن السموات في تمجيد السيوف . ان جاهلية موهبة المتنبي ليست وحدها
وليست اعظم الجاهليات . نعم ، انه لعزاء له ان يوجد له اشباه !!!

ان القلم هو رمز العلم والتعلم . والعلم هو وحده الذي يصنع التقدم والحضارة
والقوة . وهل يمكن ان يكون مجد بلا تقدم وقوة وحضارة ؟ اذن هل يمكن ان يكون
مجد بلا قلم ؟ اذن فالقلم هو كل المجد . بل فالقلم هو الذي يصنع السيف اي يصنع
السلاح والقوة ويتقن استعمالهما .

اذن لا مجد للسيف . . اذن كل المجد للقلم . .

ان المتنبي يجهل هذا . . اذن كم يستحق الرثاء !! . اذن فالذين يرون في المتنبي
عبقرية عربية كم يستحقون الاشفاق او كم يستحق الاشفاق الذي عد المتنبي احدى
عبقرياتهم وامجادهم !

المجد عند المتنبي هو الطعن والفتك وتضريب الاعناق . . وهو كذلك الجيوش
المغطية للشمس السادة المغلقة للافاق بكثافة اعدادها وبالغبار والاعاصير تثيرها
وبالصجيج تطلته . وهذا الطعن والفتك وتضريب الاعناق ليس في حساب المتنبي

من اجل فكرة او قضية او دين او مذهب او وطنية او حرية بل من اجل نفسه . .
 وهو ايضا اي المجد ان تحول الدنيا كلها الى دوي تعاقب به كل الاذان وتهجر
 به حكمة واخلاق وذكاء الالهة التي دبرت وركبت في الانسان او في اي كائن اخر اذنيهم
 سامعتين . . كانك مجد العبور او كانك اي بتحويلك الدنيا كلها الى دوي - كانك
 الاجهزة والاصوات العربية المتحدثة عن معجزة العبور وعن امجاده . . او كانك اصوات
 القيادات والزعامات والنبوات العربية المتزاحمة المتساقطة في هذه الايام على كل مجتمع
 ومؤتمر وناد دولي واقليمي ، متحدثة عما في العبور من امجاد الاله وقوته وذكائه
 وبراعة دهائه وتخطيطه ومن حبه ومحاباته للبدواة والصحراء العربية ، وعما في
 موجاهات العروبة المتعاقبة لعدوهم الصغير الضئيل المجاور ، من معجزات وامجاد
 تحولت الى اذلال وتصغير وتحذ لكل العالم والتاريخ ولكل ما فيهما من امجاد
 ومعجزات . . وطالبة ايضا اي اصوات الزعامات والقيادات والنبوات العربية الرحمة
 والنجدة والحماية والانقاذ من خطر وعدوان هذا العدو الصغير الضئيل المجاور الذي
 كسب وصنع وتخلق مجد العبور ومعجزاته من الهجوم والانتصار عليه ، ومن الزحف
 والعبور اليه . . هذا العدو الذي وهب العرب مجد عبورهم بعبوره الدائم فوق ذكائهم
 وكرامتهم وكبرياتهم ورؤيتهم لانفسهم وللآشياء . . كل التهينة بافضل الحظوظ
 لعدو نحن كل اعدائه . هل يوجد عدو افضل وانفع منا لاعدائه ؟

لقد كان المتنبي في تفسيره للمجد وفي رؤيته له وفي نماجه ورؤاه كلها ابا ونبيا
 عربيا جيدا وشاملا قد ورث بكل الصدق والامانة والالتزام لكل احفاده وابناؤه العرب
 المتعاقبين جميع خصائصه ومواهبه الحزينة . . وقد جاء احفاده وابناؤه في كل
 اجيالهم ورثة اوفياء اتقياء في وراثتهم وتمثيلهم لكل ما صب في اصلابهم ودمائهم
 العرقية والتاريخية والنفسية والفكرية والاخلاقية والصوتية من معانيه ولا سيما
 احفاده واجياله الذين اصبحوا هم جيل المواجهة لهذا العدو الصغير النحيل الفقير
 المجاور ، جيل العبور . . العبور الذي تحول الى مجد ، او الذي زعم مجدا لن يستطيع
 كل طب العالم وسحره ورقاه ومعارفه وحضارته وامجاده واخلاقه ان تشفى من
 التحدث عنه والاعجاب به ومن التستر به على كل النقائص والعيوب والذنوب
 والهزائم والعاثات ومن تحويله الى غفران لكل شيء ، والى الها ، عن كل شيء ، وتعويض
 عن كل شيء ، وفقء للعيون عن رؤية أي شيء . . حتما لا بد ان يصبح احتياج العرب الى
 الداواة والشفاء من مجد العبور ومن اناشيده وتفاسيره ، ومن المباهة والتخويف به
 ومن التلهي والتعويض والاستتغال به عن كل مجد وعمل عظيم وعن كل حماس
 لاي شيء اخر - نعم ، لا بد ان يصبح ذلك قضية دولية عسية . . لقد جاءت
 ابوة ونبوة المتنبي للعرب ، لكل العرب ابوة ونبوة لن تخفيا او تنكرا او تعابا .
 وجاءت بنوة وتبعية العرب ، كل العرب للمتنبي بنوة وتبعية لن تخفيا او تنكرا
 أو تعابا او تنهما باي تقصير او اهمال او عجز عن الالتزام . . حتما قد سمعتم ولا
 تزالون تسمعون ما تقوله كل الافواه والاقلام والاجهزة العربية عن مجد العبور وحرب

اكتوبر . انن لقد عرفتم صدق وشمول ابوة ونبوة المنتنبي لكل العرب في كل تاريخهم . فمن الذي يستحق التهنئة بالآخر : الاب النبي ام الابن التابع الوارت ام كلاهما يستحق التهنئة بدرجة واحدة من الحرارة والفرح والصدق ؟ آه لو يمكن ابلاغ المنتنبي في عالمه الذي لا يستطيع التخاطب معه رسوخ وخلود وشمول ابوته ونبوته لكل العرب في كل تاريخهم .

يقول هذا الاب والنبي للعروبة في كل اجيالها متحدثا عن الروم وعن حروبهم مع العرب وعن فتياتهم اي فتيات الروم :

ونحن في جذل والروم في وجل
والبر في شغل والبحر في خجل
وكلما حلمت عذراء عندهم
فانما حلمت بالسبي والابل

كان بعض الصوفية يقولون في دعائهم « اللهم افضحنا ولا تسترنا » ويظهر انه لم يقبل من دعاء العرب الا هذا .

اي ان جميع احلام جميع نساء الروم انما هي اخلام بان الجيوش العربية القاهرة الصانعة لمجد العبور لا بد ان تسببها وان تنقلها على ابلها وجمالها الى خيام الجنود العرب لتكون اماء ومحظيات ومباحات جنسيا لهم . . ارتجفي حُجلا واشمئززا يا مسامع الكون . . اليس هذا العواء هو نفس العواء الذي يطلقه جيل العبور تباهيا وتهديدا بمجد عبورهم في هذه الاوقات ؟

اجل . . لكي نعرف اصالة بنوة وتبعية العرب لابيهم ونبيهم هذا فلنقرأ ونسمع ما تكتبه وتقول وتذيعه جميع الاجهزة العربية في هذه الاوقات عما فعلته واوقعته وعما سوف تفعله وتوقعه بهذا العدو الضئيل الصغير المجاور المسكين الذي يعاديه ويرفضه ويهجره ويحاصره ويقاطعه ويسبه ويهدده كل العالم لانه اي كل العالم يهب كل حبه واعجابه وايمانه وولائه واخلاصه وصدقه وتصديقه لاخلاق العروبة ولجدها وتقواها وذكائها وشهامتها وحضارتها وصدقها وحقا ولاعائها كل القيم لكل العالم ولكل التاريخ في كل العصور . .

ما اوفى واتقى الخصائص والمواهب العربية التاريخية والعرقية في التزامها بالانتقال من الاء والانبياء الى الابناء والاتباع ، ومن الابناء والاتباع الى الاحفاد واتباع الاتباع ، مختزقة متخطية جميع الحراسات التي تقيمها اقوى الحضارات لتمنع بدوات التاريخ من ان تعبر فوقها او تتسلل في احشائها وثمراتها لتعيش او لتصل الى اي مكان من عالمها وعصرها . .

ان معجزات العرب لكثيرة . ولكن اعظم واشهر هذه المعجزات هي استمرار انتقال انبيائهم وابائهم الى كل ابنائهم واتباعهم بلا اي تبديل او تغيير في كل اجيالهم . .

نعم ، ان قدرة المواهب التاريخية العربية على عصيان الحضارة وعلى اختراق حراساتها اعظم من قدرة الحضارة على اختراق هذه المواهب العربية التاريخية وعلى منعها من العدوان على عصرها وعلمها ومن تشويهها اي تشويه الحضارة بمعاصرتها ومعايشتها وبالتكلم بشعاراتها ولغاتها وبادعائها بل وبالتطاول عليها بكل تقاسير واساليب الكبرياء البدوية . هل توجد قدرة على عصيان الحضارة وعصيان جميع املاءاتها واغراءاتها مثل هذه القدرة التي جعلت روح المتنبي البدوية تنتقل فسي جميع الاجيال العربية حتى تصل الى جيل العبور لتعبر عن نفسها بكل هذه القوة حتى لكانها لم تقاس اية مقاساة من الارتحال والزحام والافتحام الطويل ، الطويل ومن عنف عصيانها لكل ضغوط واوامر جميع الحضارات ، مصره على الاستمساك بكل مواهبها البدوية ؟

ان المتنبي ليبدو ولو احيانا اضحوكة اليمة وسخفا يعجز كل سخف عن تحمله . . . هل يستطيع اي سخف ان يتحمل او يغفر هذا السخف الذي يجعل المتنبي يؤمل ويطلب - باستجداء عجيب ان يتصدق عليه كافور او ابن العميد فيجعل منه ملكا او قيصرا او اميرا او واليا او قائدا يملك البلاد والشعوب والجيوش والضياح ؟ انه يؤمل ويرجو ويسأل ان ينصب فوق العرش هبة وصدقة او بئمن هو قصيدة او عدة قصائد او ابيات من الشعر المثير في كذبه وهوانه ووقاحته لسخرية الحشرات لو استمعت اليه وفهمت تفاسيره وجوافزه ونياته . . . شاعر يسأل ويرجو ممدوحيه الذين سرقوا السلطان ان يجعلوه سلطانا اما بالتنازل او بالاققسام . استروا ايها العرب امجاد تاريخكم او انكروها . نعم ، انكروها . . . يقول في اولى قصائده لكافور :

وليس كثير ان يـزورك راجـل
فيرجع ملكا للمراقين واليـا
اذا كسب الناس المعالي بالنـدى
فانك تعطي في نـدك المعالي
وقد تهب الجيش الذي جاء غازيا
لسائلك الفرد الذي جاء عافيا

ويقول له في قصيدة اخرى :

ابا المسك هل فسي الكاس فضل اناله
فاني اغني منذ حين وتشرب
فان لم تنط بي ضيعة او ولاية
فجودك يكسوني وفضلك ارحب

وفي قصيدة ثالثة يقول بعد ان شك في ان يصبح صاحب عرش بالسؤال والهبة جزاء على مديح لن تقبله الحشرات ثمنا لاي شيء من اخلاقها او عطائها او نظافتها او من كبريائها بل او من اعجابها :

أقمت بارض مصر فلا وراثي
تخب بي الزكاب ولا امامي
ويقول منشدا ابن العميد :

ان لم تغثنى خيله ورجاله
فمتى اقود السى الاعادي عسكرا

انها لقمة السذاجة او البلاهة او السفاهة ان ينتقل من كونه مستغنيا مغائا الى كونه صاحب جيوش يقودها الى الاعداء . ان المسافة الواسعة بلا حدود بين كون المرء العادي طالبا الاغاثة ومغائا وبين كونه صاحب جيوش يغزو ويفتح بها الديار والشعوب ويقهر بها الاعداء . . .

كيف عجزت عين المتنبى وخياله وفكره عن رؤية وتصوير هذه المسافة ؟ هل كان المتنبى بلا اية اعضاء او حواس او اجهزة انسانية رائية او مفكرة او شاعرة او مقصورة او محاسبة محاكمة ؟ هل كان فقط عضوا واحدا ، عضوا ناطقا مصوتا ؟ ان هذا يساوي ان يقول اي انسان عادي او أي شاعر او كاتب مداح من هؤلاء المداحين المعاصرين : ان لم انقذ من هذا المرض او الازمة او الورطة او المشكلية او التهمة او المطاردة او البطالة او السجن ، أو أن لم اعط كذا دولارا أو ديناراً ، أو ان لم اعط طعامي وملابسي ومسكني فلن اصبحت ملكا او امبراطورا أو قائدا أو زعيما او حاكما او نبيا ، أو متى أصبح كذلك حينئذ ، أو كيف اصبح . . .

شيء اكثر من مذهل في بلاهته وفي قبح صياغته العقلية والنفسية واللغوية والشعرية . . . هل هم كثيرون اولئك الذين يرون اية مسافة عقلية او زمانية او مكانية او تاريخية او واقعية بين الاشياء وأن كل المسافات تساوي ارادتهم لا رؤيتهم ؟

اما اعطاء الجيش الذي جاء غازيا اى بعد استسلامه للسائل الذي جاء عافيا او حافيا اي طالبا العطاء او الرغد فهذا لا بد ان يصبح هجاء لكل جنون لو حسب وزعم جنونا ان جميع الجانين قد يرفضون حينئذ ان يصبحوا أو يعدوا أو يظلوا مجانين اي مخافة ان يحسب جنونهم من نوع هذا الجنون . انه لو كان هذا شعرا لما كان هناك ذم مثل ان يقال لاي انسان : هذا شاعر ، ولو كان امتداحا لما كان هناك احتقار او هجاء يساوي ان يقال : هذا مداح او مديح او هذا ممدوح . اي مجتمع هذا المجتمع الذي يقال فيه وله مثل هذا ؟ لم يوجد في كل التاريخ الانساني احد يتمنى او يتوقع ، او تمنى او توقع او تقبل او عقل او تصور وجود مثل هذا الانسان الذي يهب الجيش الغازي المقهور لانسان او لشاعر سخيف كذاب جساء مستوهيا . انه لشيء لم يفعله احد ولم يتمن او يتوقع احد ان يفعله احد في اية نوبة من نوبات التاريخ البائس .

أما تصور هذا أو احتسابه مديحا وشعرا فانه يعني انه لا يوجد حد ادنى

لهبوط جميع مستويات الانسان العربي تحت مستويات وصيغ الجنون والافتضاح كلها ...

نعم ، انه لا يوجد حد ادنى لهبوط الانسان العربي تحت جميع المهابط العقلية والنفسية والاخلاقية ، المتصورة والمتوقعة ، تحت انعس الظروف والاحتمالات . . .
شاعر يعده العرب سلطان ونبي مجدهم الشعري والفني والعقلي في كل اجيال تاريخهم ، يمدح اميرا بانه يهب جيوش الاعداء المستسلمة له بعد هزيمتها لفرد جاء اليه طالبا منه العطاء !!

قبيح هذا المادح وهذا المدوح وهذا المديح . . . قبيح ، قبيح ، وقبيحة هي السوق التي يعرض فيها مثل هذا . . .

هل يمكن ان يفسر العرب تفسيريا يحقرهم ويسخر منهم مثل ان يوجد فيهم او ينسب اليهم مثل هذا الشاعر الذي يمدح بمثل هذا ، مزعوما اي هذا الشاعر قمة مواهبهم الشعرية والفنية والفكرية ؟

ان تاريخا أو مجتمعا يوجد او يولد فيه من يقول هذا . او من يقال فيه هذا او من يقرأ او يسمع هذا بتمجيد او رضا لهو تاريخ أو مجتمع لن تستطيع النجوم ان تكرر النظر اليه .

**

ما هي الموهبة الفنية او الشعرية او الفكرية ، وما هي قمة البلاغة والابداع ؟ وايضا ما هي النبوة ودلالاتها ومعجزاتها وصدقها وانتصارها وقوتها ؟ وما هي التقوى والقداسة والعظمة ؟ وما هي الوطنية والقومية والشجاعة والصدق والفداء والاخلاص ؟

كل الناس يتحدثون عن ذلك ويدعون ويصفون به ويمجدونه ويحسبون انهم يعرفونه . فما هو ؟

قليلون جدا هم الذين لا يدعون ويعتقدون انهم يعرفون ما يقولون وما يتحدثون عنه ويؤمنون به وما يفعلونه . ولكن كم هم الذين يعرفون ؟

المتنبى يرى ان ذلك اي تكامل الموهبة الفنية والشعرية والبلاغية بل والفكرية والبطولية القتالية في عنف المناقضة للصدق والذكاء والوقار ، اي يراه في الافتضاح جدا في مخالفة الواقع والحقيقة والمعقول والتهديب وفي الخروج على كل ذلك ، باقسي وواقع واغبي اساليب الخروج . انه لا يعني بشيء من ذلك غير هذه المناقضة بكل العنف والافتضاح .

والمتنبى هو النموذج الشامل الحاد لقومه العرب بل النموذج الدائم لهم ، كما تكرر ذلك كثيرا . ولا بد من الاعتذار عن التكرار . والتكرار لا يستطاع الامتناع او الاستغناء عنه الا بقدر ما يستطاع ذلك عن تكرار الرؤية او الحاجة او الموقف او التصور او الرفض أو الغضب او الانشاد للاغنية الواحدة او الاشمئزاز من المنظر او الشيء الواحد القبيح . . .

اذن فالمتنبى ، وكذا كل انسان عربي في نمونجه الاصيل الحقيقي يرى ان للشاعر او النبي او القديس او التقى او الوطني او القومي او الزعيم او القائد العظيم العبقرى هو الذي يناقض بكل الفحش ، الواقع والحقيقة والتهديب والتسامح والتواضع والعدل والاتزان ، بالرؤية والتعبير والادعاء والشعور والمباهاة والتحدى والتعصب والغرور والوقاحة والتناول والنفذالة . ان العنف والافتضاح في هذه المناقضة هو كل الشروط الفنية والفكرية والاخلاقية والدينية والاعجازية لكي يكون الانسان المعروض في السوق العربية نبيا او شاعرا او مفكرا او قديسا او زعيما عربيا عظيما ، عظيما ..

لهذا فالنبي العربي يكون نبيا صادقا عظيما منتصرا بقدر ما يناقض هذه المناقضة بكل هذه الاساليب البذيئة ، وكذلك يكون الكتاب المقدس العربي ويكون الدين والمؤمن والحاكم والزعيم والقائد والشاعر والمفكر والكاتب العربي ، اي بقدر ما يكون عنيفا ومفضوحا في هذه المناقضة بكل اساليبها هذه يكون جامعا لكل الشروط المطلوبة والثالية في منطوق السوق العربية ومنطق من يحكمون ويقودون ويعلمون السوق العربية ..

نعم ، ان هذه المناقضة بكل اساليبها هذه هي كل معجزات ونبوات وعبقریات ومواهب وعظمة وقيمة وقوة وشاعرية جميع الانبياء والزعماء والقادة والحكام والشعراء والكتابات العرب وجميع الاديان والكتب المقدسة العربية ، وكل شروطهم وشروطها . اطرح نفسك في السوق العربية بصيغة نبي او شاعر او مفكر او قديس او زعيم بلا اي قدر من الاتزان او الرؤية او الحياء تكن ذلك بكل مجده وشروطه .

انه لا فرق بين اي نبي عربي واي شاعر عربي في ان هذه هي كل معجزته وعبقريته وصدقه وتقوفه .. اي ان يكون مناقضا بكل العنف والضجيج لكل الصدق والاتزان والوقار والذكاء والمنطق والرؤية والتهديب .

هذه حقيقة كبيرة وأليمة جدا ، صعب ألا تراها كل عين لم تصب بالعمى للشامل . ولكن احدا من النقاد العرب لم يرها او راوها رؤية عربية لا حضارية . والفرق بين الرؤية العربية والرؤية الحضارية ليس اقل من الفرق بين رؤية النبوة العربية ورؤية الاجهزة العلمية او ليس اقل من الفرق بين العمامة العربية او الجبة العربية وبين المركبة الكونية في علمانيتهما ومزايهما الحضارية والانسانية .

ان النقاد العرب مصابون بكل انواع العمى الكامل .. ان عيونهم ليست عيوننا بل جثث ومقابر عيون . ان الناس لا يرون بعيونهم ولكن بالانسان الذي يسكن داخل عيونهم او تسكنه عيونهم .

الناس ، اي في مستواهم الجيد يرون بعيونهم وعقولهم واخلاقهم ومشاعرهم وباستراتيجياتهم ومطامحهم . والنقاد العرب فاقدون للرؤية بكل ذلك . انهم لا يرون الا بأذانهم وانفاهم وتاريخهم ورواياتهم وتعاليمهم وبقادهم المتتابعة على الخطوة

الاولى الواحدة . انهم مختصرون جدا ، لا يقالفون من آفاق واعماق وابعاد متفاوتة كما يتألف الآخرون . انهم امتداد فقط ، امتداد مكاني لا حضاري ولا انساني بل ولا امتداد زمني . هم فقط خطوات مكانية بعضها وراء بعض وليسوا خطوات بعضها فوق بعض او اوسع من بعض او مناقضا لبعض . .

**

نعم ، ان التهويل والمبالغة بلافن او ذكاء او وقار او شيء من الموهبة او الاستتار هما كل القضية بل هما كل الفن والذكاء والقوة والموهبة في اخلاق وتفاسير وحسابات السوق والتاريخ العربيين . . التهويل والمبالغة في المدح والهجاء والقبول والرفض وفي الاقتناع والافتناع المضاد ، وفي الحب والبغض والاعجاب والانكار والتصديق والتكذيب ، وفي تمجيد النفس وتمجيد كل اشياؤها من الهة وانبياء واءاء وتاريخ واديان وعبقريات وانتصارات وبطولات . . وفي تحقير الآخرين والاعداء وتحقير كل ما عندهم ولهم وما كان لهم وعندهم وكل ما يدعون ويحترمون ويتبعون وكل ما يسيء به يؤمنون . . كل ماضيهم ومستقبلهم . . بكل النزق والتعصب والعجز عن الرؤية والحاسبة ، بل بكل الرفض للرؤية والحاسبة . نعم ، كأنهم يجدون في التهويل والمبالغة تعويضا عن عجزهم في كل ما يطلب وينتظر منهم فيه القوة . .

فاللوهية والدين والنبوة والشاعرية والموهبة الفنية والفكرية والوطنية والقومية وكل اساليب القوة والتفوق والمجد والنضال - كل ذلك عند الانسان العربي ليس شيئا غير هذه المبالغة وهذا التهويل ، في كل هذه المجالات والتعبيرات والموضوعات والصيغ . . بكل الخروج على كل شروط وحدود وتفاسير الفن والذكاء والوقار والاستتار والحياء والعدل والصدق والرؤية والحاسبة للنفس او لاي شيء اخر . . هل من القوانين المحتومة في منطق الاشياء ان الانسان بقدر ما يكون عاجزا في موهبته وقدرته يكون مهولا في لغته وبلاغته ومخاطبته ؟

نعم ، هل يمكن ان توجد او ان يتصور اي انسان عربي اية الوهية او نبوة او دين او زعامة او وطنية او قومية او شاعرية او اية موهبة فنية بدون هذه المبالغة وهذا التهويل بكل اوصافهما هذه التي ذكر بعضها في السطور السابقة ؟ ان موهبة التهويل والمبالغة قد حولت العرب الى سخرية والى استهزاء بكل ما يقولون والى نفى له . . أليس محتوما ان تتحول احاديثهم عن مجد « العصور » الى تحقير او تكذيب لكل ما يزعموه من امجاد لهم ماضية ، وان تتحول احاديثهم عن عبقریات زعاماتهم وقياداتهم الحاضرة الى تشكيك في عبقریات نبواتهم السابقة بل الى استهزاء بمعجزات تلك النبوات ؟

**

لقد وصف المتنبي ضموره البدني . والتنبي كما تكرر كثيرا هو النموذج الحاد المدوي الشامل الدائم للانسان العربي في كل تاريخه ، من عصر اصحاب الملقات الى عصر جيل العصور وعصر التحديثين عن امجاد هذا « العصور » من قادة ومفكرين

وشعراء وفنانين وطبالين من كل الانواع والاحجام .. الى عصر التمجيد لانتصارات الجيوش التي عبرت لكي تكون احتياجها الى ان تنفذ مشكلة ونضالا دوليين .. ليكون انقاذها من عبورها هو امجد انتصاراتها ... يقول هذا الصوت العربي الاصيل في قبحة ووقاحة تفاسيره :

كفى بجسمي نحولا انني رجل
لولا مخاطبتي ايياك لم ترني

—*—

ولو قلم القيت في شق رأسه
من السقم ما غيرت من خط كاتب

مذهل في سذاجته البلاغية والفنية . محزن في قيمة ومستوى بلاغة مبالغته .. اليس هذا اكثر سذاجة فنية وشاعرية ووصفية من ان يقول قائل يصف نحوله : انني لو لبست جميع اجساد وثياب ابائي في كل اجيالهم ، ثم ولدت وعشت ومت بكل الامي وصراخي وعاهاتي وذنوبي وتلوثاتي واحزاني في ضمير وامعاء وحلقوم واقدام وعيني واذني نملة لما رأنتني او سمعنتني او وجدنتني او لعنتني او شعرت او تالمت بي ، ولما حاكمتني او طالبت باخراحي ، لدى اية هيئة قضائية محلية او دولية او نملية او عربية ، لان نحالتي تجعلني غير موجود . تجعل النملة غير عالمة بوجودي فيها ؟ . اي جمال او فن في ان تقول ان ذاتي لو ضوعفت الاف المرات ثم دست في قلب ذرة او نملة لما احست او علمت بي نبضاته لنحولي ؟ او ان يقول قائل اخر : اني ضئيل البدن حتى اني لا اخشى او استحيي من ان اتعري في عيني الاله او ان اغوص فيهما اي في عيني الاله بكل انامي وتشوهاتني الاخلاقية لاني مطمئن الى انه لن يستطيع رؤيتي لنحافتي ؟ اني معجز لعيني الاله الوحنتين في حديثهما وفضولهما عن ان ترياني ..

ان الكون كله لو تحول الى طاقة ابصار في عيني الاله لما استطاع ان يراني حتى ولو وضعت تحت كل ما في الكون من اضواء ومجاهر مكبرة .. او ان يقول اخر : ان ملائكة الاحصاء والتسجيل على البشر لن تستطيع ان تحصى على اي شيء لانني لدقتني لا بد ان اخفي على تحديق عيونها وضميرها ووحشيتها وعلى رغبتها الرهيبة في الافتراس ؟

اليس امثال هذه الاقوال المبالغة البليغة في سذاجتها اقرب الى الجمال الفني والشعري والفكري بل والبلاغي مما قاله المتنبي واصفا نحافته ؟ بل هل تقبل الموازنة بين هذا وهذا ؟

هل في اي شيء من هذا اي قدر من الجمال الفني او الشعري او الفكري او حتى البلاغي ؟ هل في شيء من ذلك اي تعقيد فني ؟ هل يكون جمال فني بدون تعقيد فني ؟ هل الجمال في كل نماذج الا تعقيد ، تعقيد ذاتي او فني ؟

أليس هذا فقط اسلوبا ساذجا من التهويل والمبالغة اللفظية ؟ هل فيه غير المبالغة اللفظية أو الصوتية حتى ولو ايقدر من المبالغة النفسية أو العاطفية أو الانفعالية ؟ حتى المبالغة الشعورية أو الخيالية لا يستطيع مثل هذا الاسلوب ان يصل اليها . انه لن يحرك او يغير الشعور او الخيال . واقل ما لا بد ان يهبه الفن او الشعر ان يصنع هذا التحريك والتغيير للشعور والخيال والكلام الذي لا يفعل ذلك لا يجوز ان يحسب فنا او شعرا بل او كلاما ، وانما هو سعال او تتأؤب او صفير او قرع بالاذفار على الاسنان ، او محادثة ومشاتمة بالايدي للرياح . أليس كثير من الكلام تخاطبا فقط مع الالفاظ دون ان يكون فيه اي تخاطب مع الفكر أو القلب أو الضمير أو الارادة أو التصور أو النية ومع من يكون عنه أو فيه أو معه الكلام ؟ . . . انه ليس فنا او شعرا او حتى كلاما : اي كلام لا يصنع اية احياءات او تصورات او انفعالات او صور جديدة ، نفسية او خيالية او فكرية . اليس تصويت اي طائر او حيوان قد يصنع من التصورات والاحياءات النفسية أو الفكرية أو الشعرية أو الجمالية اكثر مما يستطيع ان يصنع شيئا من ذلك اكثر الكلام او الشعر العربي ؟ هل يمكن ان يصنع شيئا من ذلك قولك : انا نحيل حتى أنك لن تراني لو لم اكلمك ، او حتى ان القلم لن يقاسي لو القيت في شقه او في سنه او في حرفه ؟ ان اكثر ما يحسب اعجازا شعريا او فنيا او تعليميا او فكريا او دينيا او سماويا لا يساوي في تفاسيره الشعرية أو الفنية أو الفكرية أو الدينية أو الاخلاقية أو الانسانية للسعال او الصفير أو التتاؤب أو قرع الاسنان بالاذفار أو مشاتمة ومحادثة الرياح بالايدي .

**

أما نماجه في الموضوعات الاخرى فالويل لقارئها وسامعها وكاتبها من الغثيان الفني والروحي والفكري والاخلاقي بل ومن الغثيان القومي والتاريخي ، اي من الغثيان الذي لا بد ان يصيب قارئها وسامعها وكاتبها خجلا من اجل قومه وتاريخه ، ورثاء لهما ، لانهما اي قومه وتاريخه يلدان ويعايشان من يفرز مثل هذا الهراء بل الوباء . يقول مادحا :

لو استطعت ركببت الناس كلهمو

الى سعيد بن عبد الله بعراننا

-*-

خير اعضائنا الرؤوس ولكن

فضلتها بقصدك الاقدام

هابيك الليل والنهار فلو

تنهاهما لم تجز بك الايام

-*-

فخذ ماء رجليه وانضحها

في المدن تآمن بوائق الزلزال

فبقيات طينه لاقت الماء
فصارت عذوبة في الزلال

—*—

لو حل خاطره في مقعد لشي
او جاهل لصحا او اخرس نطقا

—*—

ولو يمتهم في الحشر تجردو
لاعطوك الذي صلوا وصاموا

—*—

اخذت مواهبك الاسواق من صنع
اغني نذاك عن الاعمال والمهن
موتي ايتها الاذان والعيون لثلا تسمعي او تقرئي ما يقوله فارس الصهيل
العربي ..

انه يقول انك بهباتك قد اغنيت كل الناس فاستغنوا عن كل عمل ومهنة
وصنعة ، فلم يبق في الاسواق صانع او عامل واحد .. ومن اين يهب اذا لم يوجد
من يعملون وينتجون ليسرقهم ، ليهب مما يسرق ؟ اين عقل المتنبى ؟
لقد كان من الصعب جدا ، للتصور ان اي انسان يستطيع ان يهبط الى مثل هذا
السخر في التفكير او الخيال او حتى في القول ولو سخرية .. اي قوم هم القوم
الذين يوجد فيهم من يجرؤ على ان يقول مثل هذا او يستطيع قوله ؟
ويقول :

لو كان علمك بالاله مقسما
في الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهمو ما
انزل الفرقان والتوراة والانجيل
لو كان ما تعطيهمو من قبل ان
تعطيهمو لم يعرفوا التاميل

انه لحق من حقوق الخرس والصمم ان يقولوا ويصدقوا : انه لافضل لاي مجتمع
ان يكون كل من نيه اخرس اصم ان كان محتملا ان يتخلق فيه من يستطيع ان يقول
مثل هذا او من يستطيع ان يسمعه او يستمع اليه ، او لثلا يتخلق فيه من يقولونه
او يسمعونه او يقرؤونه ..

بل ان هذه الاقوال وامثالها كثير قد تحول الخرس والصمم الشاملين العالميين
الى مزيتين لا الى عاهتين او نكبتين ، تحولهما الى تمجيد وحماية لذكاء الانسان
ولكرامته وحيائه لا الى تحقير او تصغير او تعذيب او حرمان له او الى اعتداء عليه

او الى تشويه لكينونته . . ان هذه الاقوال قد تتحول الى هجاء لذكاء الاله ولرحمته او لشهامته لانه قد خلق الاذان والافواه التي تقول وتسمع مثل هذا .
 اذن اليس مجدا للعرب ان تحولت مواهبهم الشعرية والفنية والانسانية والاخلاقية الى ثناء على الخرس والصمم والى تمجيد لهما ، وان تحولت ايضا الى نقد لمواهب الاله واخلاقه ؟ اليس نقد الاله وتصغيره بالسلوك تفوقا عليه ؟
 اذن اليست معالجة اي انسان عربي مصاب بالخرس او بالصمم عدوانا عليه وتشويها له ، وعدوانا على القيم الفكرية والثقافية والاخلاقية والحضارية وتشويها لها ؟ اليس كل طبيب يداوي الخرس والصمم ويشفي منهما في العالم العربي اي لو وجد مثل هذا الطبيب الشافي لا بد ان يكون صانعا للضرر والفضح والتشويه والتعذيب ؟

اليس انفع وانبل واتقى خرس هو خرس الهة العروبة وانبيائها وقادتها وزعمائها وشعرائها ومفكريها وفنانيها ؟ أليس من اعظم الابتكارات ان يستطيع ابتكار عقار او عاهة تصيهم بالخرس الدائم الكامل ؟
 اليس خرس هؤلاء هو اعظم مزاياهم بل كل مزاياهم ؟

اذن هل يستطيع العلم ان يصنع للعرب هذه المزايا التي هي كل مزاياهم لكي يصبحوا اصحاب مزايا جيدة ؟ هل يستطيع اي اصحاب مزايا ان ينافسوا بكل مزاياهم مزية الخرس التي يصاب بها اي اله او نبي او شاعر او مفكر او كاتب او قائد او زعيم عربي ، اي لو اصاب بها ؟ اذن اليس عملا وطنيا واخلاقيا وانسانيا بل وتمجيذا للعروبة ان يحمي كل العرب ممن يداورون الخرس والصمم وان يعتقل جميع اطباء الخرس والصمم ان لم يكفوا عن عملهم ؟ اليس هذا اقل ما يقنع به الاستماع الى مدائح المتنبى الذي هو النموذج الدائم الشامل الحاد للموهبة العربية بكل موضوعاتها وتعبيراتها ؟

اليس الاستماع الى هذه المدائح يتحول الى غفران لتكرار الثناء على الخرس الذي يصاب به الانسان العربي ولا سيما الانسان العربي المنصب نفسه نبيا او شاعرا او مفكرا او كاتبيا او قائدا او زعيما ؟ لقد كررت الثناء على الخرس والصمم يصيبان الانسان العربي او يصيبان الوهياته ونبواته وقياداته وعبقرياته اي ما يعده ويحسبه عبقرياته . .

واني لاجروا على ان اغفر لنفسي هذا التكرار بل لن استطيع ان اغفر لها لو لم تفعله .

وهل يستطيع الا يكرر بل الا يرتل كل اوقاته ، كل الثناء على كل انواع الخرس والصمم ، من يقرأ او يسمع او يتذكر ، بتحفظ ورؤية ومحاسبة ومساءلة ، شيئا من التراث العربي الخالد ، او شيئا مما تقوله او تذيعه او تكتبه المواهب العربية المعاصرة ؟ هل يمكن ان يكون انسانا حيا من يقرأ او يسمع او يتذكر شيئا من ذلك ثم لا يظل كل اوقاته يرتل هذا الثناء على الخرس والصمم ؟ ان اي عربي يقرأ او

يسمع او يحفظ شيئاً من امجاده الثقافية والفنية والعقلية ثم لا يظل كل اوقاته يثني على الخرس والصمم يصيبان كل الوهيات ونوبات وقيادات وعبقريات العروبة القديمة والمعاصرة فلا بد ان يتهم بزكائه ورؤيته وعقله او بانسانيته او بقوميته ووطنيته ، او فلن يكون معافى او سويا او جيداً في كل ذلك . انه لا بد ان يكون انساناً قد ماتت فيه كل تفاسير الانسان وتعبيراته .

انه حينئذ لن يكون الا ثياب انسان او جثة انسان او اعضاء انسان . انه مهما كان نص او حروف او لغة انسان فلن يكون تفسير انسان . ليس اكثر البشر هم نصوص وحروف ولغات بشر دون ان يكون فيهم اي شيء من تفاسير البشر ؟

**

ولكن كيف يرى اي المتنبئ نفسه او كيف يتحدث عنها ؟
انها لمغامرة غير سعيدة ان تحدد في رؤيته لنفسه او في نفسه التي تحدثت عن نفسه او حين تحدثه عنها .

قبل ان تسمع او تقرأ شيئاً من ذلك يجب ان تعلم او تهب عينيك واذنيك وفكأك ووقارك وحياءك ورتائك شيئاً من الصبر والتحمل ومن موهبة الاعتذار والغفران والقدرة على مواجهة الانفجاع والارتجاج . . . حاول قبل ذلك ان تكون قدركت بلا حدود على استقبال اردأ او افحش الحماقات والنذالات والامتضاح . .

ضاق ذرعاً بان اضيق به ذرعاً
زمناني واستكرمتني الكرام
واقفا تحت اخمصي قدر نفسي
واقفا تحت اخمصي الانعام
اقراراً لذ فوق شرار
. . . وراما ابغي وظلمي يرام
دون ان يشرق الحجاز ونجد
والعراقان بالقننا والشام
-*-

مانال اهل الجاهلية كلهم
شعري . ولا سمعت بسحري بابل
-*-

ابدو فيسجد من بالسوء يذكرني
فلا اعاتبه صفحا واهوانا
-*-

تغرب لا مستظما غير نفسه
ولا قابلا الا لخالقه حكما

ولا نسالكا الا فؤاد عجاجية
 ولا واجدا الا لمكرمة طعمسا
 يقولون لي ما انت في كل بلدة
 وما تبتغي ٠٠ ما ابتغي جل ان يسمى
 كأن بنبيهم عالمون باننبي
 جلوب اليهم من معانده اليتما
 واني لمن قوم كان نفوسهم
 بها انف ان تسكن اللحم والعظما
 -*-

ودهر ناسه ناس صغسار
 وان كانت لهم جثث ضخام
 وما انا منهمو بالعيش فيهم
 ولكن معدن الذهب الرغام
 -*-

وما الدهر الا من رواة قصائدي
 اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
 ودع كل قول غير قولي فانني
 انا الطائر الحكي والآخر الصدى
 -*-

انا في امة تداركها الله
 غريب كصالح في تمود
 -*-

اي محمل ارتقي اي عظيم اتقي
 وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
 محتقر في همتي كشعرة في مفرقي
 للجماعات الصوفية في الاسلام بل وفي اديان اخرى تاريخ طويل وشهير ولكنه
 لم يكن مجيدا او جميلا او حتى تقيا ٠٠

لا يتفوق المتصوفة على غيرهم اي نوع من انواع التفوق ٠٠ حتى التفوق الديني
 أو الروحي أو الاخلاقي أو الانساني لم يكونوا يتفوقونه ٠ انهم لم يكونوا اكثر خوفا من
 الله أو حبا أو طاعة أو احتراما له أو رؤية لجماله أو احساسا بجماله أو اقتناعا
 بوجوده أو بفائدة وجوده ، بفائدة وجوده له هو أو لاحد سواه ، بل أو استحياء
 لضعفه أو تعذبا لعذابه انهم لم يكونوا يعرفون اكثر من غيرهم ان لوجود الاله اي
 نفع أو خير له أو لاي كائن اخر ٠٠

لقد كانت كل مزاياهم أو رذائلهم اختراقهم بكل الجراءة لكل اسوار وحدود
 وقيود وشروط المعقول والواقع والممكن والمقبول والصدق والذكاء والرؤية للنفس

وللاشياء .. اختراق كل ذلك ومناقضته بالزعم والادعاء بل وبالتعاليم . انهم يستطيعون قولاً ان يكونوا اي شيء وكل شيء دون ان يكونوا مخطئين او كاذبين او مجانين ان جنونهم هو كل مجدهم وتقواهم وعقلهم .

انهم يعايشون الله ويساكنونه ويعلمونه وينصحونه بل ويأمرونه ويريدون له ويشيرون عليه ، ويحكمون الكون ويصوغونه ، ويفرقون البحار والمدن ، ويصنعون الزلازل والبراكين والقحط والخصب والاعاصير ، ويوقعون بالشمس والقمر الخسوف والكسوف ، ويحيون الموتى ويشفون المرضى ويزيلون العاهات والتشوهات بلمس ايديهم ووضعها عليها وبقراءة الايات والدعوات والرقى وبكتابة التمام ..

انهم لينصرون الجيوش التي يريدون نصرها بل يصنعونها ويحضرونها ويسلحونها من خفقات تقواهم وهمهمات صلواتهم وهمسات ضمائرهم .. وانهم ليقهرون الجيوش وكل الاعداء الذين يريدون قهرهم دون ان يصنعوا او يحملوا او يلمسوا او يروا سيفاً .. ان كل قوانين الكون وعضلاته ، وكل رضا الالهة وغضبها وحبها وبغضائها ، وكل الملائكة والابالسة - ان كل هؤلاء وهذه بعض جنودهم وقواتهم .. وانهم لييصقون فتخلق من بصقاتهم الشموس والنجوم وتقتاطر منها البحار والانهار لتكون بحارا وانهارا ..

انهم ليفعلون ويدعون ويعلمون كل ذلك بالارادة والكلمة والامر وبالرؤيا الغامية . انهم ليخطون جراح النجوم ويجرحون ويخترقون اجساد السحاب لتنزل امطارها ، باظافهم التي لا تتنظف مهما توضأت وصلت ..

ان كل الاحداث والاشياء والواقع والحقائق لا تساوي او تعني الا ارادتهم ورؤيتهم لها وحديثهم واعلانهم عنها ومواقفهم منها . انهم مبالغ في الخروج على منطق واخلاق الطبيعة والحياة والناس اي بادعائهم وافتضاحهم لا بقدرتهم او نياتهم او خيالهم او تمنياتهم . ان كل مزيتهم وعبقريتهم ان يخرجوا بعيدا ، بعيدا من انفسهم ومن الواقع والمعقول والمقبول والممكن ثم يقولوا ويدعوا بقدر ما يتسع للفراغ والظلام والضلال الذي لا يعيش فيه شيء من الواقع او الممكن او المعقول او المقبول او الحق او الصدق او الجمال او الذكاء او من حياتهم او قدرتهم او ارادتهم او حتى من حماسهم واهتمامهم واشواقهم ..

وكم يتسع هذا الفراغ والظلام والضلال ؟ نعم ، كم يتسع الفضاء لمن يريد بلا اي قيد ان يكون مجنوناً وسخيفاً ومفضوحاً دون ان يموت الكون او ينتحر لشمئزازاً منه او رثاء له ؟

اذن ليست جميع النماذج العربية هي نماذج صوفية بهذه التفاسير الصادقة للصوفية ؟ انها لا توجد في نماذج العرب نماذج انسانية او حضارية او فنية او شعرية او فكرية او ثقافية او قيادية او عسكرية حربية . ان جميع نماذجهم نماذج صوفية ..

ان المتنبي شاعر صوفي وليس شاعرا شاعرا أو شاعرا فنانا . اي ان شاعريته لا تساوي الا ما تساويه صوفية المتصوف كما فسرت في الكلمات السابقة . وكذلك جميع الشعراء العرب ، هم شعراء صوفية لا شعراء شعراء ولا شعراء فنانون . . . اي انهم صيغ ولغات شعرية وصوفية بلا شاعرية وبلا صوفية اي بلا تقوى او فن . . .

وكذلك ايضا جميع الهة العرب وانبيائهم وزعمائهم وقادتهم ومفكريهم وفنانيهم ، اي هم الهة وانبياء وزعماء وقلاة وفنانون ومفكرون بالتفاسير التي فسر بها الصوفية لا بالتفاسير التي يفسر بها الالهة والانبياء والزعماء والقادة والفنانون والمفكرون . . .

اي انهم الهة وانبياء وزعماء وقادة وفنانون ومفكرون صادقون وجيـدون ومعجزون ، في رؤيتهم لانفسهم ورؤية مجتمعاتهم وقومهم لهم ، بقدر ما يجيئون مناقضين بكل العنف والفحش والافتضاح للمعقول والقبول والحياء والذكاء والصدق والتهديب واللواتع والممكن والجمال والمنطق بكل اساليبهما وصيغهما وشروطهما ، اي بقدر ما يكونون خارجين على كل تفاسير الالهة والانبياء والزعماء والقادة والفنانين والمفكرين التي يحاكمهم ويفسرهم ويراهم بها ويشترطها فيهم جميع المتحضرين . ان العربي لكي يكون الشيء المزعوم او المدعى او المطلوب ليجب عليه ان تكون جميع صفاته نقیض صفات ذلك الشيء . .

لنقرأ كل ما قاله في كل التاريخ وكل ما يقوله اليوم جميع الارباب والانبياء والزعماء والقادة والشعراء والمفكرين والفنانين العرب . . . اننا حينئذ لا بد ان نجدهم جميعا صوفية اي دراويش ، جاءوا بصيغ أو أسماء أو أزياء أو لغات أو دعاوى أو فوق منابر أو عروش أرباب وانبياء وشعراء وزعماء وقادة وفنانين ومفكرين . . . اي لا بد أن نجدهم جميعا ليسوا الا تهويما ، صعودا وهبوطا ، في المحالات والسخافات والبلادات دون اي التزام أو احترام أو رؤية للمنطق أو الصدق أو الواقع أو الممكن أو المستطاع أو الحياء أو الوقار أو الجمال أو الحب أو الشهامة . . . لا بد ان نجدهم في كل تفاسيرهم نقیض الاسماء والثياب والعروش والمنابر والمناصب التي يسمون بها او يلبسونها او يتوجونها او يصعدون فوقها . .

ان صراخ جميع الاجهزة العربية في هذه الاوقات عن مجد « العبور » وعن امجاد حرب اكتوبر او حرب رمضان لهو قمة الصوفية اي الدروشة الاخلاقية والعقلية والانسانية والتعبيرية اي قمة التعامل مع المحال ، اي قمة المناقضة للانسان المتحضر الذكي الصادق العاقل المسؤول المسائل المحاسب الرائي الفاري لنفسه او لاي شيء يعمل او يتعامل به او يخاطبه او يتخاطب به او يريده او يرفضه او يريد ان يفسر به او يعرف عنه او يحكم به عليه . . . ان احاديث جميع الاصوات العربية عن امجاد حرب اكتوبر بين العرب واسرائيل لهي قمة الدروشة التي ترى انها لن تكون مسموعة أو مصدقة أو محترمة أو قوية أو مقنعة أو متبعة أو مؤثرة أو قائدة الا بقدر ما تكون

خارجة على كل الصدق والذكاء والوقار والرؤية والاحترام للنفس والمحاسبة لها . والا بقدر ما تكون صادمة فاجعة لكل العيون التي ترى والاذان التي تسمع والعقول التي تفكر . اذن فالعرب في كل تاريخهم وفي كل حاضرهم ليسوا ولا سيما من هم في اماكن القمم منهم الا صوفية اي الا دراويش ، لا يحاسبون او يفسرون او يفهمون بما يقولون ، ولا يصنعون لاحد التساؤل او الاستغراب او الاندهاش او الحيرة مهما قالوا ، ولا يعذبون من يقرؤهم أو يسمعهم أو يحاورهم أو يعاملهم بالمقاساة لكي يفهمهم أو يعقلهم أو يتقبلهم أو يفسرهم . انهم لنافعون ومريحون جدا اولئك الذين لا يحجون احدا الى أن يقرأهم ليفهمهم أو يفسرهم أو يحاسبهم . . . اولئك المغفور لهم والنسيون لانهم لا يعنون شيئا مهما اعلنوا وقالوا وهددوا . . .

ان المتنبى اذن ليس الا صوفيا أي الا درويشا جاء بصيغة شاعر أو زعم شاعرا ، لا يجوز ان يقرأ ليفهم أو يفسر أو يصدق وانما يقرأ كدرويش يجب ان يعالج من دروشته المجتمع الذي ولده وصاغه والذي لا يزال يؤمن به ويهتف له . . . ان كل ما قاله العرب وكل ما يقولونه اليوم وكل ما سوف يقولونه في مواجهاتهم لاسرائيل لهو اعظم حشد وثورة من حشود وثورات الدروشة في كل التاريخ الانساني . ان مواجهة العرب لاسرائيل قد تحولت الى ثورة دروشة لن تنافسها اية دروشة ثورية في أي عصر او مجتمع . . .

انها دروشة شاملة ، دروشة عقول واخلاق ونفوس ورؤى وتصورات وتعبير ومنطق وفنون وشعر ، ودروشة حروب وعداوات وصدقات ومحالفات وعلاقات وحب وبغض وهجاء وامتداح . . . انها دروشة حولت الطبيعة الى دروشة ، حولت اللفظ العربي الى درويش . ان دروشة العرب حولت الطبيعة الى درويش . . . ان اعظم قائد او زعيم او محارب او مفكر او سياسي عربي ليس الا اعظم درويش ، في كل تفاسيره . ان كل عربي مسؤول او متصدر او متوج او مقروء أو مسموع او صارخ او معلم ليس الا درويشا ولكن الاسماء والازيا تختلف . . .

ان كل ما يفعله ويتعامل به العرب يتحول في ايديهم وعقولهم وتصوراتهم وقدراتهم ومواقفهم منه وفي بلادهم وعلى السننهم وفي تفاسيرهم له - يتحول الى فنون غير جميلة او ذكية او مهذبة او مسلية من الدروشة . ان الدروشة في الانسان العربي ليست فنا او حرفة او مهنة يتعلمها او مسلاة يتلها بها ويطرب لها ولكنها هي ذاته اي موهبته اي طبيعته اي كينونته وقدرته . . .

كل ما يدعى بالمؤسسات او المجالس الديمقراطية او النيابية او الشعبية ، واساليب تأليفها واختيار اعضائها وممارساتها والتعامل بها . . .
 . . . الصحافة والاداعة بكل مستوياتها وموضوعاتها ومعاركها . . .

. . . الدعاية والاعلام والتعاليم والوعظ . . . التفكير والحوار والشعر والكتاب والمقالة والمسرح والسينما والقصة والرواية . . .
 المذاهب والنظم ، رأسمالية واشتراكية وشيوعية واهلامية . . .

- .. القومية والوطنية والعرقية والتاريخية ..
- .. الحكام رؤساء وملوكا وأئمة وشيوخا ..
- .. وايضا الارباب والانبيااء والخلفاء وامجادهم وعروشهم ورواياتهم والروايات عنهم ..

- .. الصداقات والعداوات والمعاهدات والخلافات والمؤامرات والمؤتمرات بل
- .. والمصافحات والمعانقات والمبارزات والمشاتمات والتحديات والمقاطعات ..
- .. التدوين والايمان والاقتناع والعقائد والصلوات والدفاع عن الاديان ومحاولات الاقتناع بها واثبات مزاياها وصدقها وسماويتها .

نعم ، كل ذلك ألم يتحول الى اردأ فنون الدروشة ، في عقل وتصور وتعبير وسلوك الانسان العربي في كل ممارساته ونياته ، في كل اقطاره وتاريخه وتحت كل ظروفه وشعاراته ؟

بل ألم يتحول التعليم بكل مراحلها ، الجامعي والعام ، وكل المؤسسات والتخصصات العلمية الى شيء من الدروشة او شيء ليس بعيدا كثيرا عن اساليب الدروشة وتفاسيرها ، في ممارسات العالم العربي ؟ وهل يوجد نموذج للدروشة مثل المتعلم او العالم او التعليم العربي ؟ حتى الحرب والسلام والاسلحة بكل انواعها ، ألم يحولها الانسان العربي بكل تعامله وعلاقاته بها وادائه لها الى اساليب حزينة واليمة وفادحة وفاضحة من الدروشة البليدة القتالة ؟

ألم يحول احدث الاسلحة والاجهزة العلمية الى دروشة تلبس العمائم والعباءات وتداوي بالرقمي والتمايم وتكتب الازكار وتتلوها لتقتل وتهزم الشيطان ؟ وهل تحول الى افجع وافدح اساليب الدروشة شيء مثلما تحولت الحرب والسلام والاسلحة العلمية الحضارية بل والبدوية حينما تعامل بها الانسان العربي وحينما وضعها في يده وعقله وقوته وشجاعته ، بل وفي لفته وخطاباته وعلاقاته وحساباته؟ ما اقدر الدروشة العربية على صياغة الاشياء؟ هل يستطيع غير الانسان العربي ان يحول احدث الاسلحة العلمية الى دروشة ؟ هل مثلت كسل ادوار اردا الدراويش مثلما مثلتها الجيوش العربية حينما حاربت احدث واقوى حروبها بل حينما حاربت كل حروبها باذكي واعلم وحدث الاسلحة ؟ عليك اللعنة يا اسرائيل او لك كل الشكر . هل كشف غيرك بكل هذا الفضح عن موهبة العرب في قدرتهم على تحويل اعلم وحدث واذكي الاسلحة الى دروشة ؟ نعم ، كل هذا وكل شيء غيره من شؤون الحياة هل يمكن ان يحاسب اية محاسبة علمية او حضارية او عقلية او اخلاقية او جدية او ان يفسر باي شيء من ذلك او ان يخضع له او يطالب به او ينتظر منه ، اي حينما يفعله او يتعامل به الانسان العربي بفكره او اخلاقه او تصوره او لسانه او بيديه او عضلاته او باية موهبة من مواهبه الفنية او النفسية

او التعبيرية ، الا بقدر ما يمكن ان تحاسب وتفسر وتخضع وتطالب بكل ذلك او باي شيء منه ابعد شطحات الدراويش تهويما في المحالات والسخافات والمناقضة لكل ما يمكن ويستطاع ويعقل ويطلب ويرضي ويتوقع ؟

ان اي شيء تشترط فيه وله وفي التعامل به اقسى الشروط وكل الشروط ليصبح معنى من كل شرط ومن اي شرط اذا تعامل به الانسان العربي ..

وعنف احساسى بهذه القضية يضطرني الى التكرار ، الى ان اقول مكررا : اني اريد بالدرويش هنا هو كل من يقول كل ما يريد قوله وكل ما يستطيع قوله ، عن نفسه او عن غيره ، عن اعدائه او عن ابائه او اربابه وانبيائه وخلفائه وتاريخه وامجاده واديانه - عن اي شيء معلوم او غير معلوم بل وعمما ليس شيئا ، مادحا او ماجيا ، مؤمنا ومتقبلا ومعظما او كافرا او رافضا او محقرا او شائما ، واعدا او موعدا ، دون ان يكون مسؤولا او محاسبا او مطالبا او معاتبا او مفسرا او مستنكرا او مصدقا او مكذبا ، بل دون ان يكون مقروءا او مسموعا ، ودون ان يفعل هو بنفسه شيئا من ذلك او يطالبها بشيء منه او يقرأها او يفسرها او يسمعها او يستمع اليها او يحقق فيها ليغير او يصحح او يستر شيئا فيها او منها ، لانه لن يحسب قائلا او مريدا شيئا مهما قال ..

ان الدرويش ليس لغة تقرا او تفسر باي منطلق او مذهب او دين او واقع او اخلاق .

نعم ، بهذا ليس جميع الهة وانبياء وخلفاء وسلاطين العرب وجميع شعرائهم ومفكرتهم وفنانتهم وعسكريتهم ومعلمتهم وناطقيتهم بل وجماهيرهم .. - نعم ، اليسوا اصدق واشمل وأردأ النماذج لاردا الدراويش ؟ نعم ، نعم ، اليس

عسكريهم ومحاربهم ومخطوهم هم اردأ نماذج الدراويش ؟ هل استطاع او يستطيع شيء ان يفسر معاني الدروشة وعمقها وشمولها واصالتها في الانسان العربي مثلما استطاعت ان تفعل ذلك احاديثه عن امجاد « عبوره ، وعن انتصاراته على اسرائيل وتهديداته لها وعن جميع مواجهاته لها ومواقفه منها وتباهيه عليها ، واساليبها في الحشد ضدها ، وتعامله بالسلاح الذي حمله لقتلها ، وفهمه وتفاسيره لهذا السلاح وقراءاته له ، واحاديثه عنه تهويلا او تصغيرا ، اعجابا او احتقارا ، تقوقا عليه او خوفا منه ؟ في ايهما كان الانسان العربي اكثر وادأ دروشة : في تفاسيره للاله والاديان ام في تفاسيره للسلاح الذي حمله ليقاتل به دون ان يعرف او يستطيع ؟ هل يمكن ان يعد قتال العرب لاسرائيل قتال من عرف او استطاع ؟

اذن ليست كل دروشة العرب تعيش في المتنبي ، وكل دروشة المتنبي تعيش في كل العرب ؟ ألم ينقل المتنبي كل دروشته الى كل العقول والعيون والاخلاق والعضلات والاصوات والاسلحة التي واجه العرب بها اسرائيل ، والتي صنعت مجد العبور ورأته وقراءته وفسرته وحاسبته وتحديثت عنه ؟

هل يمكن ان يكون المتنبي او ان يحسب اكثر دروشة اي خروجا على الواقع والمنطق والذكاء والصدق والوقار والانتزان والتهذيب والحياء ، وعلى كل التفسير الانسانية والحضارية والاخلاقية والنفسية والفكرية من اي نبي او خليفة او زعيم او قائد عسكري أو مفكر عربي في اي عصر من العصور - او ان يكون او يحسب اي عربي من هؤلاء اكثر خروجا من المتنبي على كل ذلك او على اي شيء منه ؟ اليس كل الفرق بين المتنبي وبين اي نبي او خليفة او قائد عربي هو فرق لغة أو مكان او دعوى او عمامة وليس فرق ثقافة او اخلاق او ذكاء أو رؤية ؟

مشكور انت يا جيل « العبور » أو مذموم ، يا جيل المواجهة العربية الاسرائيلية . انت مشكور او قد ترى مذموما لانك قد اثبتت ان المتنبي هو كل العرب وان كل العرب هم المتنبي . لقد دلت على ان المتنبي ليس اصغر من كل الامة العربية وان كل الامة العربية ليست اكبر من المتنبي .

نعم ، ماذا ترى نفسك يا جيل « العبور » ؟ هل ترى انك بذلك قد نفعت أو أنك قد ضررت واسأت واهنت وفضحت ؟

هل تستطيع ان تحاسب نفسك ؟

آه يا جيل العبور . هل انت عابر ام معبور بك ؟ هل انت عبور ام تعبير ام تعبير عن عجز وجهل وخداع وأكاذيب حكامك وقادتك وانبيائك وشعرائك ؟ الست تفهم هذا يا جيل العبور ؟ هل اربابك حينما يزعمون لك الامجاد يقصدون تمجيدك واحترامك ام المزيد من استعبادك ؟ الست تفهم هذا ؟

ان الحديث عن المتنبي ليس اذن حديثا عن فرد قد جاء في فترة من التاريخ او تكرر ويتكرر في جميع فترات التاريخ ، مفسرا فردا واحدا . ولكن الحديث عنه حديث عن مجتمع لم يكن يعيش في مرحلة من التاريخ محسوبة طويلة او قصيرة ، بل عن مجتمع يعيش كل مراحل التاريخ او هو كل التاريخ ، اي كل تاريخه هو متكررا في صيغة واحدة منه . عن مجتمع لا يعيش التاريخ ولا يعيشه التاريخ ولكن يرويه التاريخ دون ان يروي عنه .

ان الحديث عن المتنبي هو حديث عن كل التاريخ العربي او عن الانسان العربي في كل تاريخه بكل نماجه . انه حديث عن النموذج الكامل الدائم لشعب كامل او لتاريخ كامل اي لشعب او لتاريخ لا يتخطى نفسه ، لا يتعاقب او يتفاوت فسي كينوناته او نماجه او في اتساع او مواقع خطواته . انه المجتمع الذي يظل فيه الفجر هو الظهيرة ، هو العشي ، هو الغروب ، هو الليل . وانه المولود او الكائن الذي يظل هو الطفل والغلام والشباب والرجل والكهل والشيخ والهرم . انه البداية التي تصبح هي كل النهاية ، او النهاية التي تجيء اقل من كل بداية . انه الفرد الواحد الذي يظل يلد ذاته حتى يصبح كل قومه في كل عصورهم كل الاباء والابناء حتى يصبح كل الانبياء والزعماء والقادة والاتباع والمؤمنين .

انه الفرد او النموذج الذي يعيش فيه كل تاريخ شعبه ، ويعيش في كل تاريخ شعبه ٠٠٠ يعيش في كل مواهب شعبه في كل تاريخه ، بكل آحاده وجماعاته ومستوياته ، وتعيش في مواهبه كل مواهب شعبه ، في كل تاريخه ، بكل آحاده وجماعاته ومستوياته ، اي ولو في النية والطموح والتضمني والادعاء والمباهاة . انه الابن الفرد الذي ظل ينتقل في ابناءه حتى انتقل الى جيل « العبور » منشدا كل قصائده عن امجاد « عبوره » ٠٠

لقد جاء المتنبي اي في صيغته الذاتية الواحدة ذات الاسم الواحد ، في فترة من التاريخ الزمني ، فتحول اي في مجتمعه الى عبقرية او اعجاز او اعجاب او تقبل وترحيب او الى غيرة وكرامية تحت حوافز الحسد والعجز . عن المنافسة ، ثم ظل كذلك حتى اليوم ، عاجزة كل العيون عن التحديق فيه وعن استيعابه وقراءته وتفسيره ، اما رهبة واستعظاما واما حسدا وعجزا عن مباراته ويأسا من القدرة على هذه المباراة ٠٠ ان الذين لعنوه او رفضوه لم يلعنوه او يرفضوه للاسباب الموجبة فلك بل لاسباب توجب احترامه تصورها فيه ٠٠ ما التفسير لهذه الرؤية الواحدة الدائمة للمتنبي ؟ لماذا ظل العرب يرونه هذه الرؤية الواحدة الدائمة من يوم ان جاء اليهم بصيغته الفردية حتى اليوم اي حتى عصر جيل « العبور » - حتى عصر « العبور » الذي اصبح عصر لكل عصر ، وتاجا لكل عصر ، وقيصرا على كل عصر ، ومحاسبا محاكما مفسرا مقياسا لكل عصر ، بل الذي اصبح اذلالا وهجاء وسبابا وهزيمة واخجالا وفضيحة كل عصر ٠٠ بل الذي تحول الى تعذيب لكل شعوب العالم ، خائفا كل شعب من ان يصبح له عصر مثله اي مثل عصر العبور ، او مجد مثل مجده ، او قادة وابطال مثل قاداته وابطاله ، او ان يرى نفسه ويتحدث عنها بالاساليب التي رأى بها جيل « العبور » نفسه وتحدث بها عنها والتي لا يزال وسوف طويلا يرى بها نفسه ويتحدث بها عنها ٠٠ خائفا كل شعب ان يكون له « عبور » ، كهذا « العبور » ، بكل نهاياته ونتائجه وتفاسيره بل وبكل بداياته وتخطيطاته ونياته ؟

اي تعذيب رهيب لاي شعب يصيبه الشك في انه قد يذهب يتحدث عن اي مجد من امجاده او عن اي عار او هزيمة من الوان عاره وهزائمه ، او ان يرى مجده او عاره هذا بالاسلوب الذي رأى ويرى به ابطال وقادة « العبور » عبورهم وتحدثوا ويتحدثون بمثله عن عبورهم ؟

انه ليس خوفا او حذرا مسرفا او مريضا ان يذهب قوم يتمنون انهم خرس او يتمنون ان يصابوا بالخرس لانهم سمعوا العرب يتحدثون عن مجد « عبورهم » بالاساليب التي بها يتحدثون . ولكن هذا يعني الافتراض ان من يسمعون العرب يتحدثون عن مجد عبورهم هذا او عن اي شيء اخر قد يحسبونهم اي يحسبون العرب ناسا من الناس يتحدثون عن اي شيء .

اذن ليس واجبا اخلاقيا وانسانيا على العرب ان يكفوا عن تحدثهم هذا او ان

يقللوا منه او يخفوه لثلا يوجد من يذهبون يصيبون انفسهم بعاهة الخرس خوفا من ان يتحدثوا مثل تحدث العرب عن مجد عبورهم ، او من يذهبون يصيبون انفسهم بعاهة الصمم رفضا لسماع العرب يتحدثون عن مجدهم هذا باسلوبهم هذا؟؟ ولكن هل يحتمل ان يخاف قوم ان يتحدثوا عن اي شيء عظيم مثلما يتحدث العرب عن كل تفاهاتهم وهزائمهم زاعمين انها انتصارات وعبقريات مذلة ومعجزة لكل البشر ؟

نعم ، ان احد التفاسير لهذه الرؤية العربية الواحدة الدائمة للمتنبى هو ان العرب ظلوا في كل اجيالهم درجة تاريخية واحدة او صيغة واحدة ثابتة مرت وظلت تمر فوق التاريخ او تحته او متسللة في شقوقه دون ان يستطيع تغييرها او تصحيح اي شيء فيها ، بل دون ان يشعر اي التاريخ او يعلم بوجودها او بمرورها فوقه او تحته او في شقوقه - او انهم اي العرب جاءوا مجتمعين في فرد واحد لا يستطيع ان يتغير ، ان يكبر او يصغر ، لا يستطيع ان يتخطى ولادته . . وهذا الفرد الواحد العجيب ظل ينقل خصائصه الى كل احادهم وجماعاتهم في كل عصورهم ، وظلوا هم يتلقون خصائص هذا الفرد ويعيشونها ويتدارسونها ويتواصلون بها ويحفظونها ويقرؤونها ويفسرونها ، ويرونها كل المجد والقوة والتفوق وكل التاريخ والبدائية والنهاية والمسيرة والطموح . ظلوا يتلقون خصائص هذا الفرد ويجمعونها ويشحذونها حتى تفجرت في جيل «العبور» ، جيل المواجهة العربية الاسرائيلية بكل هذا القبح . . لهذا لم يكن ممكنا ان تختلف رؤيتهم للمتنبى او يتخطوه بالموهبة او بالطموح او القدرة او المثل او المنطق او التفسير او التعبير او باي مستوى انساني او حضاري . انهم لم يكونوا قادرين ولا مريدين ان يخرجوه من اعماقهم ، ولم يكن هو قادرا او مريدا ان يخرج من اعماقهم . انه اي المتنبى لو خرج من نفوسهم ومواهبهم لما وجد مكانا اخر يؤويه او ياوي اليه او يتقبله . .

لقد ظل محتلا لكل صيغهم النفسية والعقلية والاخلاقية والتعبيرية بكل القسوة والشمول . . لكل صيغهم التي صاغوه هم بها او التي صاغهم وصاغه بها كائن لم يستطيعوا حتى اليوم ان يعرفوه او يعرفوا مكانه لكي يحاكموه او يحاسبوه او يسائلوه او يشكروه او ليضعوا فيه مواهب واخلاتا افضل مما اراد لهم ووضع فيهم . . نعم ، ان المتنبى لم يكن يستطيع ان يجد سكنا يقبله غير الاخلاق والمواهب العربية وان الاخلاق والمواهب العربية لن تجد من يتقبل السكن فيها غير المتنبى ونماذجها .

اجل ، لقد كان اي المتنبى المحتل لكل الصيغ العربية هو الذي وضع ونفذ ولا يزال يفعل جميع الخطط والمواجهات والهجمات التي اوقعها قادة العرب وزعمائهم ومفكروهم وعسكريهم ومقاتلوهم باسرائيل والتي لا يزالون وسوف يستمرون بوقعونها بها وهو الذي ذهب يتحدث عن ذلك بكل صوته .

لقد كانت الخطط والعضلات هي خططه وعضلاته كما كان التصويت عنها هو تصويته .
الم يكن المتنبى هو الذي قال كل كلمة قالتها . او اذاعتها او كتبتها جميع

الإذاعات والصحافة وجميع أجهزة الاعلام العربية وهي تتحدث عن حرب أكتوبر وعن مجد العبور وعن قهر اسرائيل بل عن قهر كل الكون ، وعن الانتصارات العربية التي حولت كل انتصارات كل العالم في كل التاريخ الى هزائم وهوان وعار ..
الى امجاد براغيث ؟

بل هل تستطيع كل امجاد العالم ان ترتفع الى مستوى امجاد البراغيث
محاسبة بامجاد « العبور » العربي ؟

الم يكن جميع المتحدثين والمذيعين والكتاب العرب ، من عسكريين وقادة ومفكرين وشعراء وجنود ، الذين تحدثوا او اذاعوا او كتبوا او اعلنوا عن هذه الانتصارات الكونية العربية التي تحولت الى اذلال لمجد الشمس ، بل الى تعويض لعينيتها واعتذار الى ضميرها واخلاقتها والى احزان قلبها عما رأت وقاست طويلا ، طويلا من عاهات وتشوهات وذنوب وصفاثر وهزائم الالهة والناس والاشياء .

نعم ، الم يكن جميع هؤلاء المتحدثين والمذيعين والغلبنين انما كانوا يقرؤون ويفسرون اشعار المتنبي التي قالها عن حروبه هو وسيف الدولة مع دولة الروم والتي قالها في غير ذلك ؟ لقد كان المتنبي هو الذي قال كل ما قالته الاذاعات والصحافة العربية والمتحدثون العسكريون بكل موهبته في فقدته للحياة والرؤية والصدق والنطق والتعذيب .

الم يكونوا ينشدون قوله :

سيعلم الخلق ممن ضم مجلسنا
بلنبي خير ممن تسعى به قدم
الخيال والليل والبيداء تعرفني
والطعن والضرب والقرطاس والقلم
وجامل مده في جهله ضحكي
حتى اتته يد فراسة وفم
اذا رايت نيوب الليث بارزة
فلا تظن ان الليث يبتسم

هل تستطيع ان تسمع او تقرا بل او تذكر في هذه الاوقات الكونية غير المتنبي متحدثا عن معجزات حرب أكتوبر وعن امجاد « العبور » ؟ لقد كان جميع المتحدثين عن امجاد العبور من حكام وقادة وزعماء وعسكريين وكتاب وشعراء يتوالدون من
هجرة المتنبي ...

كانت كل مواجهاتنا بكل اساليبها لاسرائيل تحديلا لا يستطاع الاعتراض عليه على ان المتنبي مغروس بكل مواهبه وتفاسيره في كل مواهبنا وتفاسيرنا ، وعلى ان مواهبنا التي ولدتها وعلمتها وصاغتة وحرصته واستقبلته هي نفس مواهبنا الاخلاقية والفكرية والمضلية والنفسية والدعائية التي واجهنا بها اسرائيل وعصر اسرائيل ، وعلى ان التاريخ الذي عاش بين عصر المتنبي وعصرنا ، بين عصر

جيل سيف الدولة وشاعره المتنبي وعصر جيل العصور ، لم يمر بنا ، لقد مر اي هذا التاريخ بعيدا عنا او مر فوقنا ونحن نيام ، لهذا لم نغير . ان مرور التاريخ لا بد ان يصنع تغيرا . ان الذين لا يصيبهم التغيير فلا بد ان التاريخ لم يمر ولا يمر بهم اما لانه يمر بعيدا عنهم او فوقهم او تحتهم او لانهم لا يفسرون بالتاريخ ولا يتعاملون به .

اننا لو كنا قد تخطينا عصر المتنبي اي لو كانت مواهبنا قد تفوقت وتخطت مواهب المتنبي لما واجهنا اسرائيل كما واجهناها ، واننا لو واجهناها او حينمسا نواجهها مواجهة اقوى واذكى لكان التفسير اننا قد تخطينا المتنبي وعصره . اننا لا نستطيع ان نجمع في انفسنا بين المتنبي وعصره وبين القدرة على ان نواجه مواجهة ذكية او قوية او حضارية او مهذبة .

اننا ما دهننا نجد ونسمع قوما معجيين بالمتنبي او يتحدثون مثلما كان يتحدث او ينشدون اشعاره وأخلاقه ومواهبه ومدائحه واهاجيه ومفاخراته وادعاءاته وان كان ذلك بلغة اخرى فلن نتوقع منهم اي من قوما ان يواجهوا اسرائيل او غيرها الا كما واجهوها . السنن اليوم ودائما نتحدث مثلما كان المتنبي يتحدث وان كان ذلك باساليب تعبيرية ولغوية اخرى ؟

ليس جميع المتحدثين العسكريين العرب انما يتحدثون مثل المتنبي ولكن الفرق فرق لغة ؟

ان المتنبي ليس فاعلا او هازما لنا ولكنه دليل علينا وعلى استحقاقنا للهازم ، وان خروجه منا ومن اعابنا واخلاقنا ومستوياتنا ليس هو الذي يشفيها من ضعفنا وهمجيتنا وغوغائيتنا ولكن خروجه هذا لو خرج او اذا خرج دليل على شفائنا من ذلك . وهل يمكن ان يأتي وقت يستطيع فيه المتنبي ويريد ان يخرج من مواهبنا ، ولو استطاع ذلك وارادة فهل نأذن له بان يفعل ؟

حتما ، ان مفكري اسرائيل وغيرها من خصوم العرب لا بد ان يسعدوا ويذهب أو يهون عنهم الخوف والقلق والشعور بالخطر كلما وجدوا العرب يعيشون في عصر المتنبي ويقرؤونه باعجاب ومباهاة وبتراقص وتواجد قومي ووطني . بتواجد وتراقص كتواجد وتراقص الصوفية . بغيوبة عن الرؤية والذكاء والصدق والوقار كغيوبة للصوفية . وهل العرب في غيوبة عن ذلك ام هم فاقدون له ؟ هل مواهبهم نائمة وغائبة ام مفقودة ؟

ولن يقاسي هؤلاء المفكرون الاعداء أو الشامتون او المتفرجون اية مقاساة لكن يجدوا المتنبي عارضا نفسه مغنيا منشدا لها من افواه وعقول وعضلات وسفاهة جميع قادتنا السياسيين والعسكريين وجميع مفكرينا وشعرائنا وفنانينا وجماعيرنا . انهم سيقروونه ويسمعونه ويجدون كل تقاسيره في كل الاصول والاقلام والاخلاق العربية المعاصرة مهما اختلفت الكلمات . ومع هذا فان المتنبي لم يكن اقسى او اطول خلودا في اعماقنا وتشويها لها وعدوانا عليها من اندادها

ومفاسيه او مساعديه في اسواق تاريخنا ، اي من اربابنا وانبيائنا وخلفائنا
وسلاطيننا وائمةنا وشيوخنا العتاة في رسوخهم وطفيانهم ٠٠ اجل ، وهل كان
المتنبي الا نبيا او خليفة او سلطانا او قائدا عسكريا او دينيا او شيئا عربيا قد
جاء في عبادة شاعر ؟

اليس جميع هؤلاء قد ظلوا محتلين لعقولنا واخلاقنا وطموحنا وتصوراتنا
ولغائنا بل وحتى لستائمنا وسفاهاتنا وبغضائنا في كل تاريخنا كما فعل المتنبي
بكل مسوته واسلوبه ؟ بل اليس المتنبي مظلوما حينما يحاسب استعباده وتشويهه
لنا باستعباد هؤلاء وتشويههم ؟

ثم اليس التفسير لبقاء المتنبي كل هذا الزمان تشويها ونموجا لجميع
نماذج الانسان ومعانيه فينا هي نفس التفسير وكل التفسير لبقاء هؤلاء كذلك ؟
لقد كان المتنبي محاسبا او منافسا باربابنا وانبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا وشيوخنا
نموجا قويا في بذاته وفحشه وهمجيته ولكنه لم يكن فريدا بل لعله لم يكن الاقوى
٠٠ لو وجدت فروق بين ديوان المتنبي وكتاب مقدس عربي او اقوال نبوة عربية
فلمصلحة من يمكن ان تكون هذه الفروق ؟

ماذا لو ان قصائد المتنبي المادحة الهاجية الفاخرة المبارزة المتعددة نقلت الى
لغة شعب يقرأ ويفسر ويشترط ويرى ويحاسب اللغات ، وقيل له : ان هذا شعر
قد قيل في عصر من العصور ، وخطب به مجتمع من المجتمعات ، خطب به ملوك
وقادة وزعماء وشعراء ومفكر ذلك المجتمع ومدحوا به وتقرب به اليهم لينال
رضاهم واعجابهم ونوالهم ، فتقبلوا واعجبوا وفرحوا ورقصوا وغنوا وهبوا ، اعجابا
وطربا واقتناعا بامتلاك واحتكار كل مجد التاريخ لانهم به قد مدحوا وخطبوا
وانشدوا ولانه قد قيل في عصرهم وشعبهم ، ولانه موهبة وعبقريّة شعب هم
يحكمونه ويسودونه ويستعبدونه ويعايشونه ويعاصرونه ويرهبونه ويجيعونه ؟

وقيل لهم ايضا : ان قائل هذا الشعر والقوم الذين خطبوا ومدحوا وجنوا به
اعجابا وطربا وكبرا وايمانا واستمعوا اليه وقرأوه وانشدوه وحفظوه وفسروه
وحسبوه معجزة المعجزات الشعرية والفنية والفكرية والفروسية والاخلاقية التي
يخلون بها كل عبقرات كل الشعوب في كل التاريخ ويستغنون بها عن كل امجاد
كل الحضارات بل ويهاجونها به ، اجل ، وحسبوه مجدا وحضارة يستغنون بهما عن
كل مجد وحضارة بل ويلعنون ويفاخرون بهما كل مجد وحضارة ، والعرب يفعلون
ذلك بشعر المتنبي .

نعم ، وقيل لهم ايضا : ان قائل هذا الشعر وقومه لا يزالون موجودين في هذا
العصر بكل عباةاتهم وعائمتهم وخيامهم ونماذجهم ، ولا يزالون ينشدونه اي هذا
للشعر بنصوحه او بمعانيه او بنصوصه ومعانيه ، ولا يزالون يقرؤون ويفسرون
ويخطبون وينافسون ويقاومون ويواجهون به عصرهم هذا - بل ويحولون كل
قوة نفظهم الدولية والحضارية الى مزيد من الصراخ والافتضاح في صراخه

وافنصاحه ، ويصنعون منه وبه مجدا كونيا يدعونه مجد « العبور » ، مجدا « عبوريا » ، سيظل كل التاريخ في كل تاريخه بقروء على نفسه ولنفسه لكي يجد فيه كل الغفران لكل هزائمه وهوانه وذنوبه وعاهاته ونذالاته والامه واحزانه بل ولكي ينسبه كل مجد من امجاده الماضية ويستغني به عن كل مجد من امجاده الاتية بل وعن ان يصنع اي مجد في عصوره القادمة ؟ نعم ، هل يستطيع اي مجد ان يجيء بعد مجد « العبور » ؟ ألا يمنعه الحياء والرهبية من المجيء ؟ الا يحتفل إن يصدق التاريخ مجد « العبور » ، في حديثه عن نفسه فيهاب ان يصنع اي مجد اخر ؟

اجل ، ماذا لو نقلت اشعار المتنبي الى لغة قوم يقرؤون ويفسرون ويحاسبون ما يقرؤون ويفسرون ، ويرون ان اللغات والكلمات والاشعار مسؤولة ومحاسبة ، وانها لا بد ان تكون تعبيراً عن مستويات اخلاقية وفكرية ونفسية وحضارية ، تعبيراً عن ذلك ولو بالناقضة ، ثم قيل لهؤلاء القوم الذين نقل الى لغتهم : ان هذه الاشعار كانت كل العبقرية والاعجاز الفني والعقلي والاخلاقي لقوم كانوا يلبسون جلود واجساد وثياب البشر ، ويتصافحون ويتعاقفون ويتعاملون باساليب تجعلهم يبدون وكأنهم بشر - كانت اي هذه الاشعار كل عبقرية واعجاز القائلين والقارئین والسامعين والمخاطبين والمادحين والمدحوحين من هؤلاء القوم ، وقيل ايضا لهؤلاء القوم الذين نقل الى لغتهم : ان هؤلاء الناس الذين كانت هذه الاشعار هي كل عبقريتهم ومعجزاتهم الشعرية والفنية والعقلية والاخلاقية والحضارية لا يزالون موجودين حتى اليوم ، يملؤون الدنيا ضجيجا ومباهاة ويبصقون على نكاه ووقار ومسامح كل من فيها باحاديثهم عن امجاد « عبورهم » ، ثم قيل لهم كذلك : ان شيئا ما لم يستطع ان يعبر عن هذه الاشعار بكل القوة والاصالة والنزق مثلما عبّر عنها مجد « العبور » ، والمتحدثون عنه ؟

ماذا يمكن حينئذ ان يفهم او يتصور او يقول اصحاب هذه اللغة ؟ كم يمكن ان يكون حينئذ مقدار انفجاعهم وذهولهم وعجزهم عن الفهم والتفسير والتصديق ؟ ولكن اليس هذا يحدث دائما اي نقل شعر المتنبي الى اللغات الاخرى لان تحدث الزعماء والحكام العرب الى الاخرين لا يعني الا نقل اشعار المتنبي الى لغات هؤلاء الاخرين ؟

ثم اليس محتوما حينئذ ان يفتنوا بانهم توجد كائنات خارجة وبعيدة جدا عن جميع نماذج الكائنات المعقولة والمفهومة والمعروفة والمتصورة والمتوقعة والتي يمكن ان تصبح معقولة او مفهومة او متصورة او متوقعة ، ومحتوما ايضا ان يجذوا ان جميع معارفهم ودراساتهم ومقرراتهم ورؤاهم وتجاربهم قد وقعت في افسى الورطاة لان نماذج هؤلاء الناس الذين قرأوا اشعارهم لا بد ان تتحول الى ابطال لكل ما عرفوا ودرسوا وراوا وجربوا وتصوروا وفهموا واقتنوا واعتقدوا اي الى ابطالهم لكل حقيقة ؟

كل اعتذاري وأساى لذكراك يا ابا الطيب . . لذكراك التي كان من الافضل ان تكون تمجيذا واعجابا وقراءة واستنكارا لكل ألوان العظمة والجمال والنظافة واللبسالة النفسية والعقلية والاخلاقية والفنية . . ان تكون اي ذكراك صلاة وترتيلا لمجد التاريخ ، تاريخ الانسان وتاريخ قوهك ، قومك الجياع الى مجد التاريخ والى مجد الحياة وان كانوا لا يقاسون او يشكون من جوعهم هذا بل ولا يدرون به . وهل يوجد جوع ينافس جوع قومك من مجد الحياة ومجد التاريخ ، او صبر ينافس صبرهم على هذا الجوع ؟

نعم . . قومك الذين كان كل مجدهم مثل مجدك ، مجد لسان فاقد لكل امجاد اللسان العقلية والنفسية والاخلاقية والفنية والجمالية والحضارية . مجد لسان ليس فيه من مواهب اللسان غير الافتضاح بلا اي در من الاستتار او الوقار أو الصدق . . اجل ، كل اعتذاري واساى لذكراك يا ابا الطيب . . بالتركرار الاليم المشحون بكل مشاعر الانفجاع الصادق الحاد اتقدم باعتذاري الى ذكراك . . الا تستطيع ان تكون نبيلاً ولو مرة واحدة فنتقبل اعتذاري الى ذكراك ؟

كان الافضل ان تصنع لنا ذكرانا الفرح لا الاسى . انن اليس الواجب ان تتقدم انت الينا بالاعتذار ؟ اليس الذي يصنع لنا الاسى مكان الفرح معتديا علينا ؟ لقد كان النسيانك ولو تمعدا نوعا من الاحترام والتكريم لك ومن الاعتذار والدفاع عنك . ان نسيانك اسلوب من اساليب الاشفاق عليك والثناء لك والستر على عاهاتك . لقد كان تمعد نسيانك نوعا جيدا من التقوى الانسانية . انه ستر عليك وزجر للعيون عن التحديق في ذات لا يستطيع الناظر لها ان يرى غير العاهات والتشموهات والعمامات والذنوب والاحوال معروضة بكل اساليب الوقاحة والافتضاح .

ولكن . . لقد كنت انت المذنب في العجز عن نسيانك . ان جميع الاصوات والاقلام العربية المنطلقة في كل الاوقات على كل القضايا وعلى كل ما ليس قضايا لتطرحك على كل الاذان والضمائر والعقول والاخلاق طرحا يجعل القدرة على نسيانك شيئا مستحيلا مهينا .

انك متدقق صارخ من كل الحناجر والاقلام والمنابر العربية في كل الاوقات والمواقف لانك موجود بكل اخلاقك وذكائك ومواهبك في كل الاخلاق والعقول والمواهب العربية . انك محتل لها . . ان احتلاك للذات العربية احتلال لا نموذج له في قوته وشموله وديمومته .

ولم تتأكد كينونتك المطلقة المستبدة الراسخة المعبرة بكل الجبروت عن انتصارها وشمولها في كل المواهب والاخلاق والشاعر العربية مثلما تاكدت في عصر المواجهة العربية الاسرائيلية ، مثلما تاكدت في مواهب وادعاءات ومفاخرات وصراخ جيل « العبور » .

ان اي شيء لم يكنك او يعلن عنك مثلما كانك واعلن عنك جيل العبور ، جيل حرب اكتوبر .

ان الناطقين العرب لا يذكرون بك تذكيرا فقط لقوة التشابه ولكنك بالالزام وبلا تدبير او مقاساة تتعجر وتقفز من اخلاقهم ومشاعرهم ومواهبهم واصواتهم . لقد تفجرت وانطلقت منهم بالاسلوب والنطق اللذين بهما تخلقت وتنقلت فيهم . . .
 انهم لا يذكرون بك فقط ولكنهم يقاسون من الحبل بك ، من ولادتهم لك ، من ولادتك لهم ، من استفراغ لكل مواهبهم ، من استفراغ معانيك لكل معانيهم ، من استفراغك على كل نبواتهم وقياداتهم واديانهم وتعاليمهم وصلواتهم ، من وضع جميع جنثهم في اكفانك ، في تابوتك ، في عباءتك ، من حبس جميع غربانهم ، في حجرة غرابك من تحول كل فنون غرابك البنى لمنون لكل غربانهم لكل انبيائهم وقادتهم وزعمائهم وعسكرييهم وثوارهم وجماهيرهم . . من ارتفاع صوتك وحده في اصوات صلواتهم وقراءاتهم واناشيدهم . . من قراءة وسماع كل مدائحك واهاجيك ومفاخراتك وتهاويلك المذهلة في سخفها بقراءة وسماع قرآن واقوال اربابهم وانبيائهم .

**

يا لها من قضية : ان الابناء يحبلون بالاباء ويلدونهم كما حبل جيل « العبور » ، جيل المواجهة لاسرائيل بالمتنبي وجيله ، وكما ولداهم . . وان الاباء ليحبلون بالاجداد ويلدونهم كما حبل المتنبي وجيله باجيال الخلفاء والسلطين والائمة وشعراء الملققات جيل واجيال ابي هريرة البخاري وكما ولدوها . . وان الاجداد ليحبلون بذواتهم ويوظلون يلدونها دون ان يحبلوا باية ذوات اخرى او يلدوها اي دون ان يحبلوا بابناء هم غيرهم ، اصغر او اكبر ، هم صيغة او كينونة اخرى ، او ان يلدوهم ، كما حبلت اجيال الخلفاء والسلطين والائمة وشعراء الملققات واجيال البخاري وابي هريرة بذواتها ثم ظلت تلدها دون ان تحبل باي شيء اخر او تلد هذا الشيء الاخر . نعم ، العربي يلد اياه ، وابوه يلد جده ، وجده يلد نفسه ، يلد ولادته . انها المعجزة العربية .

يا لها من قضية اشهر ابطالها او اعظمهم او كل ابطالها : الانسان العربي . . انه لا يوجد شعب له من البطولات مثل ما للشعب العربي . ولكن لماذا جميع البطولات العربية هي بطولات تفاسيرها نقيض تفاسير جميع البطولات ؟ حتى رفض النقد للذات او رؤيتها او محاسبتها هو بطولة عربية لا تنافس . .

العرب حتى المصابون بالعقم الدائم يلدون اباؤهم واجدادهم ، واجدادهم يلدون انفسهم ، يلدون ولاداتهم او يلدون كينونتهم الاولى او يلدون اخلاق ومواهب اربابهم الاوائل ، الازليين الابديين الذين لا يتعاملون بالتاريخ او الاحداث ولا تتعامل بهم الاحداث والتاريخ ، لهذا لا يتغيرون . انت لا تستطيع ان تكون عربيا الا بقدر ما تلد اباؤك واجدادك ومواهب واخلاق اربابك اي الا بقدر ما تلد ولادتك الاولى . . ان الالهة هم اكثر الكائنات تغيرا لانهم هم اكثر الكائنات تولدا تصاعديا او انتقاليا او استبداليا او تحوليا . والتوالد اذا لم يكن بهذه التفاسير فليس تولدا

ولكنه عد مكرر للشيء الواحد ، او هو تفسير للكلمة الواحدة ذات المعنى الواحد بعيد التفسير او بعيد اللغات او كتابتها او نطقها بعيد الخطوط او الحروف او اللهجات ، او هو تفسير للشيء الواحد او للمعنى الواحد بعيد التفسير . . او هو اي هذا التوالد يشبه وضع كتاب خرافي لا حد لعدد صفحاته ، مؤلفة كلها من كلمة واحدة لا يعني بها الاتفسيرا واحدا ولا تعنى هي الا تفسيرا واحدا . هل يوجد اسخف من هذا الكتاب الا التوالد الذي لا يعني الا تكرار الاباء ؟

ان التوالد ان لم يكن تخطيا وتفوقا يصنعه الابناء ضد الاباء وفوقهم فليس توالد بشر او الهة او مجتمعات ولكنه توالد حشرات او نباتات او حيوانات او جماد . آلهة العرب هم وحدهم الذين لا يتغيرون لانهم لا يتوالدون . وان العرب ليفخرون بالهتهم لانهم لا يتوالدون ولا يتغيرون . وهل يريدون او يستطيعون ان يفعلوا او يريدوا ما لا تستطيع او تريد الهتهم ان تكون ؟ اذن هل يمكن ان يتغير او يتوالد العرب . او ان يريدوا ذلك ، اعني التوالد الانساني الذي يعني تخطي الاباء والتفوق عليهم ، او حتى تمنى او ادعاء هذا التخطي والتفوق ؟ هل حدثت ولادة عربية واحدة في كل التاريخ مفسرة بهذا التفسير للتوالد ؟

نعم ، العرب حتى المصابون بالعمم التام يلدون اباءهم واجدادهم ، واجدادهم حتى المصابون منهم بكل العمم يلدون فواتهم اي يلدون ولاداتهم . العرب مهما كانوا اكثر الناس او من اكثرهم توالدا فانهم جميعا في كل تاريخهم الذي كانا كانوا مصابين بالعمم التام . ان احدا منهم لم يلد احدا ولم يرد ان يلد . . اما تاريخهم الاتي فكم نتمنى ان يصاب بالتوالد ولو تعويضا عن العمم السابق . . ان اشهر واكبر لفياء وخلفاء وشعراء وقادة العرب لم يستطع او يمكن ان يلد او يولد واحد منهم غير ولادة واحدة هي الولادة الاولى للانسان العربي الاول . .

اما الآخرون غير العرب او الآخرون المتفوقون فالاجداد يلدون الاباء ، والاباء يلدون الابناء ، والابناء يلدون الاحفاد . وهكذا يستمرون يتصاعدون في سماء مفتوحة لا نهائية ، متصاعدة بالتخطي والتفوق اي بالتوالد الانساني الحضاري . ان توالدهم يعني في النية والكينونة توالد نماذج جديدة في الفكر والرؤية والقدرة والتقبل والشوق والتمني والاحتجاج والرفض وفي الصيغة والمكان ايضا .

فاي الفريقيين اكثر اعجازا واعظم معجزة : العرب الذين يلدون اباءهم واجدادهم ويلدون ولاداتهم ، ام هؤلاء الآخرون الذين يلد اجدادهم اباءهم ، ويولد ابائهم ابناءهم ، ويولد ابناؤهم احفادهم . . الذين يتحول التوالد فيهم دائما الى تخط وتفوق وصياغات جديدة للتاريخ والحياة ولكل شيء ، والى استصغار وتصغير ولكن بلا تحقير لكل ما رآته واحترمه وعرفته ورضيته وابتدعته عيون وعقول وعضلات واشواق واخلاق وطموح كل الاباء والاجداد . .

ايهم اكثر اعجازا واعظم معجزة : الذين يتوالدون الى الورا ام الذين يتوالدون الى الامام ؟ . . الذين يتوالدون تصاعدا وتقدما ام الذين يتوالدون تراكما وتكاثرا مكررا؟

اسفي على الذين لا يتوالدون الا الى الورا بل ويفخرون بذلك بل ويعاقبون ويلعنون من يريدون التوالد الى الامام ٠٠٠

نعم ، ان اي توالد ان لم يكن تجاوزا وسبقا لما كان ، للاباء وللتاريخ ، وان لم يقصد به ذلك ويخطط لذلك فلن يكون اي التوالد الا تلوينا وتعديبا وتضخيما للمشاكل والهجوم والالام والقبح ، والا عبثا سخيفا بليدا دميما ليس فيه اي شيء من الفن او الشعر او الحب أو الجمال أو الذكاء أو الروعة أو التهذيب أو الفداء أو العطاء ، ولن يكون له اي تفسير أو تسويغ في منطق اي شيء ٠٠ لن يكون فيه اي اسماء أو سرور لعيون أو ضمائر أو قلوب النجوم أو الشمس أو الالهة أو اي ترحيب أو عزاء لتحديقها فينا ٠٠

التوالد يجب ان يكون رفضا للبقاء في ذوات الاباء بل وعجزا عن هذا البقاء . يجب أن يكون التوالد ارتحالا مستمرا الى آفاق كينونات جديدة والا فلماذا العناء والعبث ؟ ان الانفصال الذاتي أو الزماني أو المكاني عن الابوين يجب ان يكون انفصال تجاوز وقدره وطور وطموح والا فلماذا ؟ ان الالهة لو كانت تتوالد لكان مرفوضا وقبيحا ان تفعل ذلك ان لم يكن توالدها تجديدا وتطويرا في النوع .

المفروض ان تكون ولادة الانسان ولادة نوع اي ان تكون تجديدا مهما كانت كل الولادات الاخرى ولادات مقدار اي كثرة اي تزاحم وملء للمكان وللغرفة الواحدة : انه لن يكون شهامة أو نبلا أو جمالا أو ربعا لاي شيء اي وليد جديد يجيء ، ويظل يجيء ، ليكون فقط تكرارا وتراكما وملأ للغرفة الواحدة . قبيحة هي الولادة التي لا تعني الا التزاحم الاليم على المائدة أو الغرفة الواحدة او لتكرار الصورة الواحدة .

٠٠ هي قبيحة وحزينة وسخيفة رؤية الوليد محمولا على الذراع أو على الكتفين أو على اي مكان من الجسم ، او مختبئا في كيسه الدافيء المختنق المتشوه باختبائه فيه ، ما لم تكن تعني رؤية او انتظار ميلاد تاريخ جديد متخطيا لكل مستويات ورؤى وتفاسير وكينونات التاريخ القديم ورافضا مستصغرا لها ، وما لم تكن اي رؤية الوليد تعني كل معاني الخروج على رؤية جيل « العبور » وجيل المواجهة لاسرائيل محمولا على ذراعي المتنبي او على كتفيه او مختبئا في عفونات اخلاقه ومواهبه ، فسي عفونات مدائح واهاجيه ومصاهلته البذيئة العاجزة الحمقاء ، الى ان تجرى عليه وله اسرائيل الفضاحة عملية « التوليد » في اوقاته واساليبه وظروفه القبيحة الرهيبة في قبحها وفضحها ، لينطلق صارخا بكل عواء ووقاحة وسخافة والده المتنبي ، متحدئا عن امجاد عبوره ٠٠

قبيح ان ترى وليدا لن تعني ولادته ولن يراد او ينتظر منها. الا ولادة كل انبيائه وخلفائه وسلاطينه وشعرائه واثمته وابائه المخزونة جنتهم في مقابر التاريخ الملوثة بالعفن والدماغات والفحش ، بالتفسير الذي جاءت به ولادة المتنبي لا تعني الا ولادة كل معاني كل من سبقوه من قومه ، وبالتفسير الذي جاءت به ولادة اي قائد او اي فرد من جيل « العبور » وجيل المواجهة لاسرائيل لا تعني الا ولادة كل معاني

المتنبى ومعاني جيله . . ليست ولادة اي ولنزيد: عربي جديد انما تعني ولادة كل من سبقوه من انبياء وخلفاء وسلاطين وائمة وشعراء وشيوخ وجماهير في كل التاريخ العربي اي في المستوى الحضاري والانساني والاخلاقي مهما اختلفت الظروف والتعبيرات والاماكن والمزاعم والتكاليف ؟ اليس احتمالا ما ان كائنا ما غامض الشخصية والاخلاق والمهبة والوظيفة ، يعيش داخل هذا الكون او فوقه او بعيدا عنه ، هو الذي دبر فكرة التوالد الانساني او التوالد كله لكي يكون اي التوالد ، اي في حسابه وتدبيره هو وسيلة التطور والتجاوز الاسرع الاشمل الى الاقوى والاذكى ، وكأنه لم يجد وسيلة غير هذه الوسيلة او مثلها لتحقيق هذا التطور ، وكان لاسباب غامضة ايضا يريد حدوث هذا التطور ، ولكنه بعد ان ابتكر التوالد لهذا الغرض وبهذه النية عجز عن تحقيق غرضه هذا او تراجع عنه لاسباب غامضة ايضا - تراجع عن تحقيق غرضه هذا وعن المضي فيه ولو في تعامله مع الانسان العربي ، وعجز عن تحقيق غرضه هذا على المستوى وبالسرعة والشمول الذي كان يريده ويتوقعه في تعامله مع جميع البشر . . ثم استمر الشيء اي التوالد يحدث بدون فكرته او هدفه ، اذ قد كسل او لم يبال اي هذا الكائن الغامض ان يتراجع عن مشروعه تراجعاً كاملاً ؟ نعم ، اليس هذا احتمالا ؟ اليس في افتراض هذا الاحتمال شيء من الجاملة لهذا الكون او لمن فوقه ان كان فوقه احد أو ان كان له فوق ؟

وان لم يكن هذا الاحتمال هو التفسير المحتوم لعملية التوالد الرهيبة فاي تفسير او تسويغ يمكن تقبله او افتراضه في أية حسابات عقلية أو أخلاقية أو في أية حسابات اخرى مدبرة ومخططة ، اي اذا كان من المحتمل او المحتوم او المعقول او المفترض ان هذا الكون أو اي شيء فيه محكوم او محسوب بأي اسلوب أو مصدر أو مستوى من العقل أو الاخلاق أو التدبير والتخطيط ؟ أليس شيئاً قبيحاً ورهيماً جداً الا يكون هذا الكون محكوماً بأي قدر من العقل والاخلاق أو التدبير أو المنطق ؟ ولكن هل يوجد خروج على العقل والمنطق والاخلاق والتدبير والتخطيط ، وعجز عن تصور ذلك وعن فهمه والالتزام به وعن فهم وتصور شروطه اي شروط العقل والمنطق والاخلاق والتدبير والتخطيط .

اجل ، هل يوجد خروج على كل ذلك وعجز عن فهمه وتصوره وعن الالتزام به مثل الافتراض بان شيئاً ما في هذا الكون محكوم او محسوب بأي قدر من المنطق أو العقل أو الاخلاق أو التدبير أو التخطيط ؟ بل هل يوجد هجاء للانسان مثل ان وجد فيه من يفترضون هذا الافتراض ويحولونه الى نبوات وكتب مقدسة يفرض بالسيف الايمان بها ؟

انه لا يوجد منطق خارج على كل تفاسير المنطق وحساباته وافتراضاته ، بل ومحقق مهين للمنطق بكل تفاسيره وحساباته وافتراضاته مثل المنطق الذي يفترض اي شيء في هذا الكون منطقياً ، او متعاملاً او متقافماً او متحاوراً مع اية صيغة من

صيح المنطق . انه لو وجد منطق يشترط المنطق في الاشياء لتعامله معها لما استطاع ان يتعامل مع اي شيء او ان يراه او يعايشه او يعاصره .
هل اهان الانسان منطقته في اية قضية او موقع مثلما اهانته حينما زعمنا
او اقتنعنا ان هذا الكون منطق او انه اخراج او ولادة او رؤية او شهوة منطق بل
او حتى غلطة او ضربة او بصقة منطق ، او حتى عبث او مزاح منطق مصاب بكسوف
شهوة العبث والمزاح المصاب بكل قوة العشق لاسخف انواع ومستويات السخف ؟ هل
اهان الانسان منطقته مثلما اهانته حينما اعلن هذا الكون هو سلالة اعظم منطق لاعظم
الله ؟

ان حكم الانسان بان الكون منطقي او محسوب محكوم بالعقل ليس حكما ولكنه
اعلان عاجز عن ان يعرف ما هو المنطق وعن ان يجد شيئا يكون او يعمل او يتحرك
بالمعنى ، ليتعلم منه المنطق ، وليعرف به الفرق بين المنطقي والمنطق وبين ما ليس
منطقيا ولا منطقيا . . .

انك حينما تقول مثلا : ان تخلق الشمس او ضخامتها او استمرارها في دوراتها
الضالة العابثة العمياء وفي توزيعها لجحيمها وزمهريرها هو شيء منطقي او منطقي
او اروع واكفى واتقى منطق فلست بقولك هذا تحكم ولكنك تعلن عن انك لم تجد
او تعرف او تر او تجرب او تعش شيئا تستطيع ان تعرف منه ما المنطق او يستطيع
ان يفسر لك متى يكون الشيء منطقيا ومتى يكون غير منطقي ، وما الفرق بين
هذا وهذا ، وتعلن عن انك لم تحاور وتساؤل او تحاسب منطقك لتعرف ما هو المنطق
معرفة مفسرة ومحسوبة بالمنطق ، وانك ايضا لم تجد من يعلمك او يفسر ويحدد
لك المنطق باساليب وحسابات واخلاق منطقية . . آه . . وا اسفاه على اخلاق
وعقول وحياة وكرامة قوم لا يزالون ينصبون انفسهم معلمين لما في هذا الكون من
منطق ، كاشفين عن وجوههم واسمائهم بحوافز الاعلان والكبرياء والجرأة . .

ان البشر اي المتحضرين المنطقيين منهم جدا يرون ان المنطق الانساني هو
التفاهم والتوافق والتعايش والتعامل مع الكون او مع الطبيعة وبها واتقاء التصادم
بها والتناقض معها باسلوب ضار او مدمر او قاتل ، ويرون انه اي المنطق الانساني
محسوب ومحكوم بذلك ، او هو اي المنطق الانساني محاولة هذا التفاهم والتوافق
والتعايش والتعامل مع الطبيعة والاشياء مع محاولة اتقاء التصادم بها . فالمنطق
اذن هو التكيف المريح مع الوجود .

ولكن منطق الكون او الطبيعة بماذا فهموه او فسروه او حسبوه او حسبسوه
او ضبطوه او وجدوه ؟ وهل افترضوا ان من الممكن ان يكون للطبيعة او الكون
منطق او طالبوا او رغبوا بان يكون لهما منطق ؟

انها قضية تركت دون محاكمة او تفسير او دراسة بل دون تساؤل او حتى
اهتمام او شعور بالحاجة الى التفكير فيها . . ان التفسير لمنطق الانسان لا يعني
التفسير لمنطق الطبيعة او ان لها منطقا . .

لقد اصبح المنطق في الغالب موضوعا لغويا لا منطقياً او عقلياً . . . انهم يقولون : هذا منطقي او منطقي كما ينطقون الكلمات اللغوية وكما يضعون الاسماء والاصناف وينطقونها . . . كما يقولون : هذا ناصر او منصور وهذا جمل او فرس ، وهذا جميل او ذكي او شهيم او محب او محبوب او شجاع . . .

انهم يطلقون هذا الاسم او الوصف على هذا الانسان او الحيوان او الشيء كما يطلقون المنطق او المنطقية على اي وجود أو سلوك كوني أو طبيعي . . . انهم يفعلون كل ذلك بموهبة لغوية لا بموهبة منطقيية او عقلية او تفسيرية . ان موهبة الانسان اللغوية قد تحولت الى مواهب اخرى كاذبة . . . اليس محتوما ان تكون اوامام الانسان اقل عددا ومجدا وجبروتا لو كان بلا لغات ؟

ان اكثر الناس واحيانا كل الناس يتعلمون منطقتهم من لغاتهم لا من منطقتهم ولا من رؤاهم او محاسباتهم . وكذلك من لغاتهم يتعلمون اخلاقهم واديانهم وامجادهم واوصاف اربابهم وانبيائهم وابائهم بل ويتعلمون حبهم وبغضهم وقراءة وتفسير مشاعرهم واهوائهم اي من لغاتهم . ان اللغات هي المفسر والموجه والمطلق المسدد للمشاعر والاهواء . . . انها هي الواضحة لها طريقها والمعرفة لها باصدقائها واعداؤها اي للاهواء والمشاعر . . . انها اي اللغات هي اقوى واكذب واغبي معلم للانسان . . . انها تعلم الخروج على الذكاء والمنطق والحب والصدق . . .

ان الانسان لم يضع او يعرف لغته بالمنطق ولكنه عرف ووضع منطقه باللغة ، وانه لم يصبح لغويا لانه منطقي او لانه عارف بالمنطق او ملتزم محترم له ، لكنه اصبح منطقياً اي زاعما ومقتنعا بانه منطقي وبان الكون والطبيعة وكل الانبياء منطقيية ، وبانه يحترم ويلتزم ويعرف المنطق ، لانه لغوي . . . ان الكائن اللغوي لا بد ان يتحدث عن الاشياء وان يحاول تفسيرها والحكم عليها بل ورؤيتها بالكلمات كما لا بد ان يملي حديثه عنها وتفسيره ورؤيته لها وحكمه عليها . . . ان لا بد ان تصنع اللغة المنطق .

اجل ، ان الانسان لم يضع او يعرف منطقه بالمنطق بل باللغة اي لانه كائن لغوي . . . كذلك لم يقتنع او يعلن ان في الطبيعة او في الاشياء او فوقها منطقياً بالمنطق ولكن باللغة اي بالتعاليم اي بكونه كائنا يضع التعاليم ويتعلمها ويعلمها ويكتبها ويحفظها ويرويها ويفرضها ويصدقها باسلوب لغوي وموهبة لغوية لا باسلوب عقلي ولا بموهبة عقلية . . . لقد تعلم واقتنع بان الطبيعة وكل الاشياء مديرة وموضوعة ومحكومة بالمنطق بالاسلوب اللغوي الذي به تعلم الصلاة وعددها وهيئها لقد تعلم ذلك بالاسلوب اللغوي الذي تعلم به كيف يقضي الاله اوقاته فوق سمواته مع وحدته القاتلة . . .

انه يعلم التعاليم وينقلها كما يعلم اللغة فيتعلمها ، اي انه بالاصوات يعرف المنطق ويفتتح به ويعلن عنه اي بالفم والاذنين . . . بل انه بالاصوات اي بالفم

والاذنين يرى المنطق .. لقد رأى الانسان منطقته ومعتقداته ومرثياته بأذنيه وفمه اكثر مما رآها بعقله او عينيه ..

ان البشر لو كانوا بلا لغات او بلا تعاليم تصوغها اللغات وكانوا بكل طاقتهم ومواهبهم العقلية لما امكن ان يؤمنوا بان هذا الكون صيغة منطقية .. انه لمحتسوم حينئذ ان يؤمنوا بان اسفه واجهل واظلم حكامهم وقادتهم هو اكثر منطقية من أي شيء في هذا الكون .. انهم لو كانوا بلا لغة لما رأوا الله مطلا بكل مجده وحبه ورحمته وجماله ونكائه من فوق ودخل كل الدمامات والبلادات والالام والعبث الرهيب الكئيب . ان الله بكل اوصافه وتاريخه ليس الا صياغات لغوية قالها الفم للاذن وكانت الاذن كل الحقيقة ..

ان المنطق في كل العصور والمجتمعات والحالات ليس شيئا غير ما حسبه وزعمه الانسان منطقا . ان للاشياء المرئية او المسموعة او الملموسة ، او التي يمكن ان تكون مرئية او مسموعة أو ملموسة ، وجودا ذاتيا . اما المنطق فليس له في جميع صورته وموضوعاته الا وجود مزعوم او محسوب ، اي انه ليس له وجود ذاتي ، وكل وجوده هو زعمه وحسابه موجودا ..

مثلا ، الذباب موجود وجودا ذاتيا ، وكل المتعاملين معه يعلمون وجوده الذاتي مهما كان نكاؤهم ولكن كم هم الذين يستطيعون ان يعتقدوا ان في وجوده أو اخلاقه أو في تعامله بالناس والحياة اي منطق الا زعما وحسابنا ؟
وكل اسباب زعم المنطق وحسابه موجودا لا تتعدى حالة التلاؤم وارادته وتطبيقه ، كما لا تتعدى فهم الشيء وتفسيره وارادته ومعايشته والتعامل معه وبه كما هو بكل خصائصه واخلاقه ، بل وبكل خروجه على كل مستويات واساليب ونماذج كل منطق وكل اخلاق مزعومة هي كل الاخلاق الجيدة والمطلوبة . حتى العواطف والاحاسيس والتخيل والتمني هي اشياء ولكن المنطق لن يكون شيئا الا زعما وحسابنا ..

اذن فاصدق واشمل تعريف للمنطق انه هو التعامل القوي الذكي القادر المتحرك الانتهازى النفسى الانانى الوقح البذي مع ما ليس منطقا .. هو أن ترييد وتعشق وتقبل وتهم وتفتنع وتعايش وتتلاءم وتفسر بحاجتك وخوفك وضرورتك لا بعقلك اي لا بمنطقك المستقل في كينونته .. لهذا فان الناس يستطيعون ان يحيوا ويتعاملوا ويكونوا جميع كينوناتهم المتبدلة المتطورة دون اي منطق اي دون ان يزعموا او يحسبوا منطقا ما يزعمونه ويحسبونه منطقا ، اي بالقوة التي بها يستطيعون ان يعيشوا ويتعايشوا ويتطوروا حتى ولو انهم غيروا جميع اسماء الناس والاشياء وكل الكائنات باسماء اخرى او مضادة . كما استطاعت جميع الكائنات غير الانسان ان تحيا وتتعامل وتعمل بدون منطق اي بدون ان تحسب او تزعم سلوكها والاستجابة لحاجتها ومحاولتها التلاؤم مع غيرها ومع احتياجاتها منطقا . اذن فالانسان اكثر

خروجاً على المنطق من جميع الكائنات الأخرى لأنه يسمى ويحسب التعامل والتلاؤم مع ما ليس منطقاً والخضوع له منطقاً .

ولكن الإنسان وكذا ما سواه من الكائنات لا يستطيع الحياة أو العمل بلا أشياء بل أو بلا عواطف واحاسيس وتخيل وتمن . . .
نعم ، ان المنطق ليس الالفة أو تسمية مثل ان يسمى الجبان أو المهزوم أو الذليل جدا بشجاع أو منصور أو عزيز . . .

ان جميع اجهزة الوزن والقياس والرؤية والتحليل لن تستطيع مجتمعة ان تجد في هذا الكون او في اي شيء منه اي قدر أو نوع من المنطق . . .

يقتلون الذباب ويصلون نخالقه

كان قد مر بنا سؤال يقول : هل علم الانسان العربي ان هذا العصر قد جاء ثم استجاب لمجيئه اي ثم اصبح معاصرا له ولم يظل تاريخا فقط متجمدا تجمدا ابديا في صيغة واحدة . وقد جاء الرد على هذا السؤال : ان لماذا لم ير المتنبى او اي شيء رؤية معاصرة متغيرة . . .

وقد قيل ايضا اي في ما سبق : ان الانسان العربي لا يعاد بعد موته اشفاقا عليه من عذاب العودة و عارها لانه لو عاد لراى نفسه رؤية جديدة ، وحينئذ لن يكون هناك مثيل لعذابه ولاشتمزازه من مواهبه ومستوياته وكيوناته السابقة الصغيرة الرديئة البذيئة . لو ان اعظم عربي قد كان رأى نفسه رؤية معاصرة لكان من المتوقع ان يموت رفضا لرؤيته لنفسه . . .

زهيب هو ان تركب في الانسان العربي القديم عيون معاصرة فسي رؤيتها ومحاسبتها وتفسيرها كما ترى . . .

ولكن الانسان العربي كلاله العربية لا يتغير . ولعل ديمومته الابدية في ذاته بصيغة تاريخية بدوية واحدة هي التي علمت الالهة العربية كينونتها الواحدة الدائمة . اليس محتوما ان الالهة لم تتعلم اية كينونة من كينوناتها الا من الانسان ؟ اليس الانسان هو دائما معلم الالهة اخلاقها وذكاءها ومواهبها وقيمها بل وعواطفها ؟ وهل يمكن ان يكون هذا الانسان غير الانسان العربي ؟

هل عشقت ذات الاله شيئا لتختار المجيء على نموجه في كل نماذجها غير ذات الانسان العربي ؟ هل يقاسي الاله غير العشق للانسان العربي ؟

واذن لا خوف على الانسان العربي من ان يخلد في الحياة او من ان يرجع اليها اي الى ما كان لان ذلك لن يصنع له شيئا من العذاب او مقاساة العار او احتقار الذات او من سبابها والاشتمزاز منها ومن كينوناتها السابقة الصغيرة الرديئة البدوية لانه اي الانسان العربي لن يصبح ناقدا او محاكما او متجاوزا لذاته السابقة في اية كينونة من كينوناتها السابقة الصغيرة ، ولن يصبح كذلك راثيا لها رؤية جديدة

او مشترطا عليها أو لها او فيها اية شروط اخرى اكثر ذكاء او كرامة أو قوة او جمالا أو مجدا أو سعادة او حرية أو حضارة أو حتى حياء وصدقا وتهذيبا وحبا . لان الذين لا يتغيرون في رؤاهم وطاقاتهم وفي طموحهم ونماذجهم الانسانية والحضارية لن يصبجوا ناقدين لانفسهم او مشترطين عليها او لها او فيها ولا منكرين لاي شيء من عارها أو هوانها أو قبحها . . .

اذن لماذا حكمت الالهة عليه اي على الانسان العربي بالموت بالا يعود الى الحياة كره اخرى ؟

أليس قد قيل في السطور السابقة تفسيراً لسلوك الالهة هذا : انها قضت بالموت على كل من خلقت وبألا عودة لمن ماتوا رحمة بهم واعتذارا وتوبة اليهم ، وحماية لهم من أن يظلوا أبدا يواجهون كينوناتهم التافهة الغيبية الصغيرة الفاضحة ، ويحيونها ويكررونها ويحاكمون ويعيرون ويسبون انفسهم بها ، ويعرفون كيف كانوا صغارا واطفالا وانذالا بل وعارا ، وهذا لا بد ان يصنع لهم كل العذاب واقساه وادومه ، بكل اساليبه وتفاسيره النفسية والفكرية والاخلاقية والتصورية؟ ولكن الانسان العربي مهما عاش وخلد او عاد الى الحياة لن يواجه او يقاسي أو يعرف او ينكر شيئا من ذلك لانه لا يصاب بالتغير . . .

وقد يقال جوابا عن هذا السؤال الصعب : لعل الالهة لم تعرف ان الانسان العربي لا يتغير ، وانه لهذا لن يصبح ناقد او رافضا لنفسه او مريدا للتجاوز لها ، واذن لن يتعذب او يقاسي من مواجهتها الدائمة في كل تاريخها . . .

حتى الالهة قد تعجز عن تصور الديمومة التاريخية او النموذجية في الانسان العربي . . . انها ديمومة معجزة لخيال الالهة . . .

ولعل الالهة لم تعرف ذلك عن الانسان العربي لانها لم تنظر اليه او تفكر فيه ، لان كل افكارها ونظراتها واهتماماتها بل وهومها مملوكة للانسان الاخر . . . للانسان الاخر الخيف الذي صعد اليها في مخابثها ومضاجعها مسترخية متبلدة تقرا على نفسها روايات مجدها وانتصاراتها القديمة في صحراء الكينونة والتاريخ . . . صعد اليها مختبئة خوفا وحياء وراء السحاب والنجوم والقمر . . . صعد اليها لا ليتعلم منها كيف يؤمن بها ويصلي لها ويتلقى منها الاوامر لاذلال اهل الارض بل ليعلمها كيف تخجل من نفسها وتتنازل عن مجدها . . .

لا ، ان هذا الانسان الاخر مهذب حتى مع الالهة لهذا اقنعها بالتنازل عن الوهيتها لكي تكون اكثر مجدا وكرامة وشهامة وراحة وسرورا . . .

ان هذا الانسان الاخر لم يبق لها شيئا من نظراتها أو تفكيرها أو اهتمامها ، لتعامل به الانسان العربي لكي تعرف انه مثلها لا يتغير . ان مطالبة الالهة بان تفكر في الانسان العربي وبان تنظر اليه وتهتم به عدوان بذيء على فكرها وعيونها واهتماماتها وكرامتها . . . !

وقد يقال ايضا تفسيراً لذلك : لعل الالهة حينما حكمت بالموت على الانسان الاخر للاسباب المذكورة لم ترد ان تفرق بينه وبين الانسان العربي في الحكم عليه بالموت ، مع ان الانسان العربي لا يملك الاسباب التي تجعل الحكم عليه بالموت توبة واعتذاراً اليه وحماية له من مقاساة كل انواع العذاب والعار والاحتقار للنفس . .

لعلها اي الالهة قد رأت ان التفرقة بين الانسان العربي والانسان الاخر في قضية الموت قسوة او اهانة لا يتحملها ضميرها . ان تخصيصك بالخلود في ذاتك وحياتك لهو اشد اساليب التعذيب والتحقير والنشويه والفضح لك والاستهزاء بك . ان اعدتك الى الحياة لترى كيف كنت نبيا او زعيما او سلطانا بجويا دجالا كذابا جاهلا لاقسى عقاب لك . .

وقد يقال ايضا جوابا عن هذا السؤال الصعب جوابه : لعل الالهة قد فكرت بذكاء وشهامة وخوفا على الحضارة وعلى مستقبل الانسان ، فرأت انها لو خلدت الانسان العربي حيث لا تفسير لموته وقضت بالموت على الانسان الاخر لكانت العاقبة رهيبة جدا ومحطمة مشوهة للحضارة وللتقدم الانساني الشامل ، لان تكاثر الانسان العربي لا بد ان يفرق حينئذ الانسان الاخر ويسحب منه او يضعف تأثيره الحضاري المتفرد بصياغة التاريخ والحياة صياغتهما الجيدة المنقوقة المعوضة عليها اي على الالهة عجزها وتبليدها وبدواتها الدائمة . . ليس مستقبل الانسان يواجه باحتمال حزين ، هو تكاثر المتخلفين الى ان يغرق في تكاثرهم المتفوقون ؟ آه . ما اخطر احتمال تكاثر المتخلفين . ان نفس المتفوقين يصنعون لانفسهم هذا الخطر . .

ولكن هل الالهة تنقل بعدل او بنظام او بمنطق ، او هل هي تعرف ما العدل او النظام او المنطق لكي تسأل عن ذلك او تحاسب عليه أو تطالب به أو يبحث لها ولما تصنعه أو تريده عن تفاسير ؟ بأي مقياس تعرف الالهة ما يجب أن تفعل ؟ هل يمكن ان يكون خالق هذا الكون وحاكمه ومعايشه يعرف أو يلتزم شيئا من العدل أو النظام أو المنطق ؟ ان فعلها وتركها الفعل كيف كانا هما كل منطقها وتفاسيرها ، كما ان سقوط الحجر ، قوته وضعفه ، جماله ودمايته ، نفعه وضرره ، هو كل منطقته وتفاسيره ، وكل اخلاقه وذكائه ونظامه ، بل وكل ايمانه وتدينه . . ليس تفسير اخلاق الحجر ومنطقه هو اصدق وأشمل تفسير لاخلاق الالهة ولنطقها ؟

اذن يجب ألا نقاسي لكي نبحث عن منطق أو عن تفسير لما فعلت الالهة في هذه القضية أو في اية قضية اخرى . هل يوجد خادعون كاذبون أو مخدوعون مكذوب عليهم وبهم مثل الذين يذهبون يبحثون للالهة ولما تفعل عن تفاسير أو منطق ؟ انهم لبائسون وهازلون ومستحقون لكل الرثاء ، أولئك الذين يحاولون أن يصنعوا أو يجدوا تفاسير أو منطقاً أو تدبيراً أو تخطيطاً للالهة أو لاي شيء من كينوناتها أو من افعالها الجيدة الذكية أو الرديئة البليدة اي المعدودة هذا أو هذا . . كيف حدث ان احدا من الازكياء ، أو العقلاء حاول ذلك أو فكر فيه ؟ كيف هبط كل هذا الهبوط ؟

ان الذين يبحثون عن تفسير أو منطق لذوات الالهة أو لضرباتها ليسوا اذكى أو أتقى أو أفضل من الذين يبحثون عن تفسير أو منطق أو نظام أو عن تدبير أو تخطيط أو اخلاق للذباب في ذات الذباب حينما يقع على هذا الوجه دون الوجوه الأخرى ، وفي هذا المكان دون الاماكن الأخرى ، وحينما ينقل هذه الجرثومة المرضية دون الجراثيم الأخرى ، وحينما يجيء بهذه الصيغة والكينونة وبهذه الاخلاق والمواهب والصفات دون الصيغ والكينونات والاخلاق والمواهب والصفات الأخرى كيف يكون للاله منطق حين يقتل هذا أو يشوهه دون هذا أكثر أو اذكى من منطق الذباب حين يقع على هذا الوجه دون هذا ؟

هل يمكن ان تكون الالهة أكثر اخلاقية أو منطقية أو تدبيراً وتخطيطاً لما تفعل وتريد ، من الذباب ؟ هل يمكن ان يفسر العقل الالهة بالمنطق والاخلاق ثم يعجز عن تفسير الذباب ؟

ان الذين يبحثون عن تفاسير عقلية أو منطقية أو اخلاقية أو تدبيرية أو تخطيطية أو انسانية لما تفعله وتكونه الالهة هم أردأ وأكثر بحثاً عن الهزل والبلادة والعبث من الذين يبحثون عن مثل هذه التفاسير في العاهة الوقحة تصيب الوجه الجميل الحبي أو في المرض الوبيل يصيب الجسم البريء النشيط العامل ، أو في اعطاء الام المتلهفة المتضرعة التي طال جدا انتظارها ابنها الوحيد اليوم لاخذها منها غداً أو لاصابته بالعاهة الرهيبة المقعدة ، أو في الزلزال أو البركان أو الطوفان أو الاعصار المدمر للمدينة الامنة الراقدة بعد أن وهبت كل صلواتها وتضرعاتها ومبايعاتها لكل الهتها ، وبعد أن تملقتها بكل دموعها ونظراتها واهاتها وقراءتها لكل كتبها المقدسة بكل اصواتها وارتجافاتها ، وبعد أن هتفت بكل الصدق والذعر والانكسار والاطمئنان : الامان ، الامان ايتها الالهة الطيبة الكريمة الوفية ...

الامان ، الامان ايتها الالهة المجملة المجاملة لنفسها بخلق العاهات والدماجات والابوثة والمجاعات المحرقة المغرقة للمروج الرافعة هاماتها وقاماتها الى الشمس والنجوم مقبلة مصافحة محببة شاكرة معترفة بالجميل ، طالبة الحماية والرعاية والاتفات والامان والمزيد من العطاء والبهاء • قبيحة ووقحة هي الشمس حينما تأذن لاي حدث طبيعي ان يقتل شجرة زرعها ونمتها ثم ارتفعت اليها تبتمس لها وتحببها وتحتمي بها ...

انه لو أمكن تفسير كل شيء حتى الوباء والجنون والقتل والموت والغدر والخيانة والسرقه والنذالة والجبن والفجور والعدوان والطفيان والهوان ، بل وحتى الزعامات والقيادات والنبوات والعداوات والخصومات العربية - حتى لو أمكن تفسير اخلاق وتحركات ورؤى وعقول زعماء وانبياء وحكماء العرب •

- نعم ، انه لو أمكن تفسير كل ذلك تفاسير منطقية واخلاقية ودينية ومذهبية وحضارية وانسانية لبقى شيء واحد لا يمكن تفسيره بشيء ولا بواحد من هذه

التفاسير ، هذا الشيء الواحد هو الاله ٠٠ اجل ، ان الاله هو الذي لا يمكن تفسيره ولا تسويغه مهما امكن تفسير وتسويغ كل شيء ، حتى ولو أمكن تفسير وتسويغ القيادات العربية .

وهؤلاء الذين يصرون على ان يفسروا الله بالمنطق والاخلاق والتدبير وبالخير والعدل والجمال والمحبة ، ما رأيهم لو أن مجتمعا من المجتمعات قد قرر أن تدرس وتفسر جميع الحشرات الناقلة للأمراض والعفونات ، وجميع الجراثيم المرضية في جميع المدارس والمعاهد والمعابد كما يفسر الاله اي بالمنطق والاخلاق والعدل والجمال والمحبة وبالتدبير الخير ، اي بأنها ليست الا بحثا عن ذلك واردة وتحقيقا له وتعبيرا عنه ؟ ولكن أليس كل المؤمنين بالالهة أو بالاله الواحد يدرسون ويفسرون جميع الحشرات والجراثيم في جميع المعابد والمعاهد هذا التفسير أي كما يفسرون الاله ؟ أليس الذين يفسرون الله هذه التفاسير ويرونه هذه الرؤية انما يفسرون هذه الحشرات والجراثيم المرضية هذه التفاسير ، ويرونها هذه الرؤية ؟ أليست تفاسير الفنان والحكيم والمبدع هي تفاسير لفنه وحكمته وابداعه ؟ أليست هذه الحشرات والجراثيم هي تفاسير الله ومنطقه وجماله ومحبته وعدله وتدبيره الخير وإخلاقه ؟ أليست هي ادواته ورسائله ووسائله ؟ أليست هي انبياءه وخبرائه وعلماءه وفنانيه وعماله المهرة الكونيين ؟

أليست هذه الحشرات والجراثيم وكل هذه الالام والافات هي شفاء الاله التي يقبل بها ، ويديه اللتين يصافح بهما ، وقلبه الذي يحب ويعشق به ، وعطاياه التي يهبها ، وعقاقيره التي يداوي بها ، اطباءه الذين يصنع بهم الشفاء والقوة والجمال والسعادة ، ولغاته التي يتحدث ويعلن بها ؟ أليست هي ضميره قد تخلق وتصور وجاء بهذه الصور وفي ذوات هذه الكائنات المحسوبة والمسماة حشرات وجراثيم ؟ هل يحتمل انها قد تخلقت أو جاءت بالكره منه وبالخروج عليه ؟ اذن هل يحتمل انها ليست احدى هداياه الجيدة ؟

كيف ، لا يعرف هؤلاء الذين يعلمون الله ويعلمون عنه بكل صلف ونزق ووقاحة الايمان ، مفسرين له بأنه محبة وخير وعدل وجمال ونظام ومنطق ورحمة واخلاق ، بل بأن كل ما يفعله ويريد به ويدبره ويوقعه ويوقع به هو كل ذلك .

- اجل ، كيف لا يعرف هؤلاء ان تفاسيرهم هذه للاله هي التفاسير التي يجب ان يفسروا بها الوبئة والحشرات والامراض والعاهات والتشوهات والموت والشيخوخة والجنون والطغيان والظلم والفساد والعبث والقحط والصحراء والزلازل والبراكين وجميع الالام والمآسي الطبيعية ؟ هل يمكن ان يكون ضمير الاله أو قلبه أو عقله أذكى أو أنقى أو أرحم من هذه الافات ؟ اذن لماذا لم يفعل دائما هذا الاذكى والاتقى والارحم؟ وكيف لا يعرفون انها اذا فسرت هذه التفاسير أصبحت مقاومتها ، بل اصبح رفضها أو كرهها أو نقدها فسوقا وزندقة وثورة على الاله وعلى منطقته وتدبيره

وتخطيطه وعلى حبه وجماله ورحمته ، بل واصبح الترحيب والفرح بها والاستزادة منها والالاحاح عليها بالمحيء والتعاطف والتكاثف وتقوى وتدينا ومحبة للاله بل وتقبيلا ليديه ولجبيته وضميره ؟ انه لا بد من احد تفسيرين : اما ان يكون الله رديئا وشريرا أو لن يكون اي شيء رديئا أو شريرا . . .

ان الذين يجدون تفاسير جيدة في هذا الكون للاله هم كالطيور الجوارح وكالضباع والذئب والهرر والحشرات حينما تجد تفاسير جيدة في القتل والموتى والقانورات وفي الخراب والدمار والظلام ، اي حينما تذهب تقسر ذلك وتفسر ما فيه من منطق وتدبير خير رحيم ، زاعمة ومقتنعة ان كل ذلك اي القتل والموت والخراب والدمار والظلام والعفن انما وجد ودبر وجوده لكي تتغذى وتحيا وتسعد وتفرح به اي الضباع والذئب والهرر والحشرات والجوارح .

ان منطق المؤمن الواحد في آلام وحماقات الكون والحياة كل الرحمة والذكاء والتدبير لن يكون أذكى أو أتقى من منطق الحشرات والسباع لو أنها ذهبت تفسر الكون والحياة .

وانهم ايضا اي هؤلاء الذين يجدون تفاسير جيدة للاله في الكون هم كالأطباء وكحفاري القبور ودافني الموتى وحاملهم الى المقابر حينما يجدون تفاسير جيدة في الموت والامراض ، اي حينما يذهبون يفسرون ما في ذلك من منطق وتدبير خير رحيم نبيل شهم ذكي اخلاقي جدا ، زاعمين ومقتنعين ان الموت والامراض انما خططت ودبرت واريدت وفعلت لكي يكسبوا ويعملوا ويسعدوا ويفرحوا وتصبح لهم قيم وتفاسير ومعان ولكي يظفروا باهتمامات كبيرة في المجتمعات

مجدك ايها الاله عظيم . وحبك ورحمتك وذاؤك وتدبيرك اعظم . ألسنت قد خلقت ودبرت الامراض والموت والقانورات والظلام والدمار والخراب لكي يسعد ويتغذى ويحيا بها ويكسب منها الاطباء وحفارو القبور ودافنو الموتى والسباع والحشرات ؟ . . .

أليس محتوما ان يجد الاطباء وحفارو القبور ومكثفو الموتى والقتلى وان تجد الضباع والسباع والذئب والهرر والحشرات والطيور الجوارح من التفاسير الجيدة في الالام والمآسي والاحوال والعاهات والاختفاء التي يعملون فيها ويتعاملون معها والتي تتغذى بها وتحيا عليها وتعيش فيها اكثر مما يجد المعلمون عن الاله والمعلمون له وبه من التفاسير الجيدة له في هذا الكون ؟ ان الطبيب قد يجد من التفاسير الرحيمة في العاهة تشوه الوجه الجميل اكثر مما يجد المعلم من التفاسير الرحيمة للاله حينما يخلق الوجه الجميل بين الوجوه الدميمة . . .

أليس ممكنا ان يفهموا ذلك ؟ هل يمكن ان يعد جهل ذلك جهلا ؟ هل يمكن ان يرتفع الى مرتبة الجهل ؟ أليس دون ذلك جدا ؟ أليس وصف انسان أو موقف بالجهل يعد احيانا اسلوبا من أساليب التمجيد والثناء المبالغ فيه جدا ؟

أسفي على المنطق الذي يستفقر الذباب ويحتقره ويخافه ويطالب بقتله ويطارده من فوق أنفه وطعامه بل ولا يرى فيه كل الجمال والعبقرية والنظافة والمحبة والشموخ الذاتي والمنطقي ، ثم يجد في الاله كل الكمال الاخلاقي والفكري والفني والنفسي ، مع انه خالقه بل لانه خالقه .. أسفي على من يرى قبح الذباب ووقاحته ولا يرى قبح ووقاحة مريده ومصممه وخالقه ..

أسفي على المنطق الذي يرى في هذا الكون اي عيب أو نقص أو قبح ثم لا يرى في خالقه اي عيب أو نقص أو قبح ! .. !

أسفي على من يلعن المرأة لقبح ما يرى فيها ثم يصلي لجمال الوجه الذي يراه فيها .. !

أسفي على من يعيب ويحتقر ويلعن ويعاقب الوجه المشوه ثم يصلي لمشوهه اعجابا وايمانا وشكرا . أسفي على من يستنكر أو يستقبح أو يقاوم أو يكره أو يستنقذ اي شيء في نفسه أو في هذا الكون ثم يصلي لخالق ومدبر ومريد كل شيء . أسفي على من يغفر للصانع كل الاخطاء والعيوب والدمامات التي وضعها في صنعته ثم يعاقب الصنعة على الاخطاء والعيوب والدمامات التي وضعت فيها .. لسفي على من يرى الصانع كاملا في جميع تفاسيره ثم لا يجد أو يشكو أي عيب أو خطأ أو قبح أو عامة أو ندالة أو جنون الا في ما صنعه هذا الصانع الكامل ..

ان الاله لن يكون اعظم أو اتقى أو اذكى من الذباب أو من اية حشرة الا بقدر ما يمكن أن يكون المفكر اعظم أو اذكى أو اتقى تفكيرا من افكاره ، أو الا بقدر ما يمكن ان يكون الفنان اعظم أو اتقى أو اذكى فنيا من فنه ، أو الا بقدر ما يمكن ان يكون القلب انبل حبا من حبه ، أو الا بقدر ما يمكن ان تكون اليد اقوى ضربات من عضلاتها ، أو الا بقدر ما يمكن ان تكون عضلات اليد اقوى من اليد .. الا بقدر ما يمكن ان تكون الكف اتقى من العصي التي تضرب بها ..

كم اتمنى ان يعي الكلمات الاتية المعلمون للايمان بالاله وبكماله وتفاسيره ، وان يعيها ايضا المؤمنون بهذا الاله ...

نعم ، مهندس كامل كمالا مطلقا أزليا ابديا ذاتيا اي لا تعليميا ، اي كامل كمالا اضطراريا لا خيار فيه ، يصمم وينشى، عملا كبيرا جدا ، ليكون قضية كونية كبرى .. نريد افتراض هذا العمل في حجم هذا الكون وفي حجم وتعدد وظائفه وصوره ومشاهده ، أو في حجم الشمس أو حتى في حجم الارض ، بكل من فيها وما فيها من كائنات واحياء وبشر واشياء اخرى ، من ذباب وغيره ، ومن اوبئة وامراض وعاهات وغيرها .. ولكن لا بد من الاعتذار الى موهبة وإخلاق اي مهندس يفترض مخططا ومخرجا لاية وحدة من وحدات هذا الكون ..

نعم ، هل يحتمل ان يجي، في مثل هذا العمل الذي صممه واقامه مثل هذا المهندس ما يمكن ان يعاب ، أو ما يصح أو يجوز تغييره أو تبديله أو تصحيحه أو

اقتراح أو تمنى أي تعديل أو تغيير فيه أو عليه أي في حساب من يؤمن بكمال هذا المهندس ، بكماله المطلق الذاتي الاضطراري الذي لا يستطاع التخلص منه ، بكماله الابدئي الشامل ؟ .. أليس مفروضاً الاقتناع بأن هذا العمل كامل كما لا مطلقاً مؤبداً ؟ والعمل الكامل كما لا ابدياً مطلقاً ، هل يجوز تغييره أو هدمه أو نقده أو تصور أي عيب فيه ؟ .. أليس محتوماً حينئذ ألا يكون لجميع المتعاملين مع هذا العمل الهندسي والمشاهدين له الا موقفان : اما الاعجاب والايمان به ورفض أي تدخل فيه بأي نوع من أنواع التدخل حتى ولا بعلاج المرض أو مقاومة الوباء أو طرد الذباب من مستقره فوق العين أو الانف أو الطعام ؟ بل لا بد حينئذ من رؤية الذباب ورؤية جميع اعماله ومواقفه صيغاً جمالية ومنطقية واخلاقية وفنية ، لا كمال ولا نكآء ولا تقوى بل أو نفع للعمل الهندسي بدونها أي بدون الذباب وبدون وقوفه فوق الانف والعين والطعام وبدون ان يكون موصلاً للأمراض وللقائورات وناشراً ناقلاً لها .. بل لا بد من الاقتناع بأن شتم الذباب أو قتله أو طرده ليس الا عدواناً على العمل الهندسي كله ورفضاً له ..

أما الموقف الآخر للمتعاملين والمشاهدين لهذا العمل الهندسي الكبير فهو ان يروا قبحا أو خطأ أو أي عيب أو نقص فيه ، ويروا انه لا بد من رفض واستنكار ومقاومة وتغيير وتصحيح ما فيه من عيوب وذنوب ونقائص ودمامات وتشوهات ومن بدآء طبيعية ومن أمراض وحشرات وذباب وآلام ومآس .. وهؤلاء الذين يقفون هذا الموقف من هذا العمل لا بد ان يعدوا منكرين لكمال هذا المهندس كافرين به متهمين له افضح التهم واشملها ..

ان المهندس نفسه لا بد ان يراهم كذلك وان يحسبهم خارجين عليه وعلى كماله الفني .. اما الجمع بين الايمان بكمال هذا المهندس والاحترام له وبين رؤية أي عيب أو نقص أو خطأ في عمله يحتاج الى تغيير أو تصحيح أو يجوز تغييره أو تصحيحه فهذا هو الحال أو السخف أو الكذب أو الغباء الذي لم يجرؤ على مثله أو على الاقتناع بمثله الا هؤلاء الذين يؤمنون بالاله الكامل ثم لا يرون الذباب أو آية حشرة أو آفة أخرى صيغةً علياً من صيغ الجمال والكمال الفكري والهندسي والفني والاخلاقي والكوني التي يجب ان تدرس وتعلم وتفسر في جميع المعاهد والمعابد ، ثم لا يرون انه يجب أن تفتح له أي للذباب ولاخوانه وانداده ، وان تفرش جميع الاسباب والوجوه والموائد ، لكي يدخل منها أي من الابواب والنوافذ ، ولكي يستقر بترحيب وتمجيد وشكر فوقها أي فوق الوجوه والعيون والانوف والموائد ... كيف امكن الجمع بين الاعجاب حتى العبادة والاستنذار حتى القتل والغثيان ؟

لوحة أخرجها فنان .. هل يمكن ان تستقبح أو تنقد أو تغير أو تتمنى تغيير أي شيء فيها ثم تظل مؤمناً بكمال هذا الفنان ؟ هل يمكن ان تركع للفنان اعجاباً بعبريته الفنية ثم تحرق أو ترفض لوحاته استقباحاً واحتقاراً وتنقيصاً لها ؟

هل يمكن ان يكون الفنان كاملا ثم تكون اعماله غير كاملة ؟ هل يمكن ان يكون العمل كاملا ثم يجوز نقده أو رفضه أو محاولة تغييره أو مقاومته أو تمنى ذلك اي مقاومته أو تغييره ؟

اذن هل يمكن ان يكون الاله كاملا ثم يكون الكون غير كامل ، أو هل يمكن ان يكون الكون كاملا ثم يجوز ذم أو تقبيح أو كره أو رفض أو تغيير أو مقاومة اي شيء فيه ؟ أو هل يمكن ان يكون الكون غير كامل ثم يكون الاله كاملا ؟ هل يمكن ان يريد النظيف المهذب ان يكون ثوبه أو وجهه قذرا ؟ أو هل يريد التقى ان يكون عمله فاجرا ؟ اذن هل يمكن ان يكون الاله كاملا ثم يجد الانسان شيئا يبده أو يفعله أو يغيره أو يصححه أو يقاومه أو ينكره أو يخافه أو يكرهه أو يؤدي ضميره أو رؤيته أو تفكيره أو طموحه ؟ هل يمكن ان يكون الاله كما يقول عنه المؤمنون ثم يجوز لهم ان يبكوا أو يحزنوا أو يشتمزوا من رؤية أو من حدوث أو من مقاساة شيء ما ؟

نعم ، ليت المعلمين للايمان بالاله وليت المؤمنين به يعون ذلك ..

ليتهم يعون هذا الذي وعيه لا يحتاج الى وعي .. هذا الذي لا يعد واعيه واعيا الا اذا لم يكن يعنى بالوعي الا اقل مستويات الرؤية للشيء الذي لا بد ان يراه حتى العاجزون عن كل رؤية ، والرافضون لكل رؤية والخائفون من كل رؤية . هل الايمان بالاله يفسد الرؤية والتفكير ، ام للرؤية والتفكير الفاسدان يتحولان الى ايمان بالاله ؟ هل يمكن الجمع بين الرؤية والتفكير الصحيحين والايمان بالاله ؟ هل حدث هذا ؟

نعم ، كيف يخلق الله الذباب ليكون جمالا وذكاء في فنه ومجدا لمجده ، ثم يجوز قتله أو هشه أو استقذاره ، ثم لا يجب ان يرى المؤمنون بالاله انه اي الذباب يجب ان يحل اعظم واكرم وانظف واجمل ضيف على موادهم ووجوههم وعيونهم وفي بيوتهم وقلوبهم ؟ .. كيف يخلقه ان لم يكن جمالا ولا ذكاء لجماله وذكائه ولا مجدا لمجده ؟ هل خلقه ليغيظ أو يغضب أو يهين مجده وفنه وجماله وذكاءه ؟ كيف يخلقه ان كان اي الذباب دمامة أو غباء أو هوانا أو تشويها في فنه وفي مجده ؟ ان كان قد خلقه اعجابا به ورؤية لجماله ، ليكون جمالا في وجهه وتاجا فوق راسه واعلانا عن عبقريته فكيف يجوز قتله أو طرده والا فلماذا خلقه ؟

كيف يمكن انقاذ شرف الاله أو انقاذ ذكاء المؤمن بالاله من مشكلة الذباب واخوان الذباب وانداده ؟ ان الذباب هو احدى المشاكل التي تجعل العلاقات بين الاله والانسان مستحيلة .. انه لا شيء غير هذا : أما ان الذباب جمال وذكاء ومجد ، او ان هذا الكون لم يصممه ويرده ويخرجه الهه جيد او قوي في اي معنى من معانيه .. انه لا بد من هذا : أما تمجيد الذباب واما اسقاط الاله ..

كيف لا يعي المؤمنون بالاله والمعلمون للايمان به هذا التساؤل وجوابه ؟ هل وعي هذا يحتاج الى وعي أو يحسب وعيا ؟ وهل الوعي له يعد واعيا ؟ الذباب يستطيع

اسقاط الاله !! هل يمكن فهم هذا أو قبوله أو تصديقه ؟ هل يمكن الا فهم هذا وقبوله وتصديقه ؟ مجد عظيم هو مجد كائن يسقطه الذباب ! . وهل يسقط الذباب مجدا مثلما يسقط مجد الاله ؟

وهذه المحاسبة لهذه القضية بكل هذا الاصرار والعنف في الاحصاء ليس سببها الخوف من العواقب الرديئة أو المدمرة أو المضعفة التي لا بد أن يوقع فيها أو التي قد يوقع فيها الاقتناع بالمعتقدات أو بالالهة غير الذكية أو المعقولة أو المتحضرة أو القوية - اي التي يقال ويعتقد ان مثل هذا الاقتناع بمثل هذه المعتقدات والالهة لا بد أن يوقع فيها ..

ان هذا الخوف ليس هو السبب، بل ان هذا الخوف ليس محسوبا أو واردا . . . كن موهوبا اية موهبة من اي نوع ثم آمن بكل ما في التاريخ من خرافات فان موهبتك حينئذ لن تموت أو تضعف أو تهرب . ان الايمان بالمعتقدات والالهة مهما كانت جيدة أو رديئة ، ذكية أو غيبية لا تصوغ حياة الانسان ، لا تصوغ قوته ولا ضعفه ، لا ذكاه ولا غياه ، لا نشاطه ولا حماسه ، لا خموله ولا استرخاءه . كما انه اي ايمانه بالعقائد والالهة لا يصنع جمال وجهه ولا دمامة وجهه ولا طول قامته ولا قصرها . ان عقائد الانسان وآلهته مفصولة عن كينوناته وعن اهوائه اي لا تصوغها ولا تقودها .

ولكن سبب هذه المحاسبة لهذه القضية بهذا الاسلوب هو الغضب لكرامة الفكر الانساني والرغبة في أن يكون اي فكر الانسان ومنطقه وعقله سويا وجميلا ايبا ومعافى من العاهات والتشوهات والهوان والسقوط ، ومحميا من ان يكون مستقرا لكل الاحوال والمحالات والسخافات ، دون ان يرفض شيئا أو يقاوم أو يكره أو يعرف أو ينقد شيئا مما يلقي ويستفزع فيه ، ودون ان يسأل أو يحاسب أو يعاقب المستفزعين فيه ، بل دون أن يقرأهم أو يفسرهم أو يعرف شيئا عنهم أو من هم ، أو من اين جاءوا ، أو متى جاءوا ، أو لماذا جاءوا ، أو من جاء بهم ، أو ماذا يريدون منه أو يريد منهم ، أو ماذا يساؤون أو يعنون ، بل أو هل جاءوا حقا ، وكيف اقتنع انهم قد جاءوا . وهل يوجد مستفزعون من اي نوع في كثرة ووقاحة وفذارة المستفزعين على عقول الناس والمستفزعين لعقائد الناس ولاهتهم ؟

أليس شيئا رهيبا في قبحه وفحشه ان يحاول الانسان ان يجعل لوجهه ولجلده ولثوبه كرامة ، أن يحاول حمايته اي حماية وجهه وجلده وثوبه بأن يضع عليه حراسة ، وان يشترط له وعليه قدرا من النظافة والكرامة والاباء والغضب والرفض والجمال ، وبألا يجعله مباحا ومستقبلا لكل من يريدون أن يستفزعوا ويبيصقوا عليه كل احوالهم وقذاراتهم وعاهاتهم وقبحهم وسخفهم - ثم يترك عقله وتفكيره واقتناعه وايمانه بلا اية حماية أو حراسة أو كرامة ، بلا اي قدر من الاشتراط له أو عليه ، اي بلا اي قدر من النظافة أو الجمال أو الرفض أو الغضب أو الذكاء ؟ هل يوجد مباح لكل الفسوق بكل شرفه مثل مكان الايمان في الانسان ؟

ليس كل الناس يضعون حراسات متفاوتة القوة والاسلوب على وجوههم وجلودهم وثيابهم لحمايتها من اي استفراغ عليها أو تلويت لها ؟ ولكن كم هم الذين يضعون مثل هذه الحراسات أو يفكرون فيها لحماية عقولهم أو عقائدهم أو ضمائرهم ؟ ليس شيئاً كريهاً جداً في جميع التفاسير أن يرفض انسان ما بأن يستفرغ التاريخ على وجهه أو جسده أو ثيابه أو على بيته أو على مدينته اي شيء مما كان فيه اي في التاريخ من قذارات وأحوال وعاهات وتشوهات وضعف ، ثم يتقبل بل ثم يتقبل اكثر الناس أو كل الناس بالسلوب التوزيع أن يستفرغ اي التاريخ في عقله ومنطقه وإيمانه ، بل في عقولهم ومنطقهم وإيمانهم كل ما كان فيه اي في التاريخ من عبادات وآلهة وأنبياء ، ومن تشوهات ودمامات وأحوال وعداوات وبلادات اعتقادية وتعليمية ونفسية ؟ أليس التاريخ عملية استفراغ عالية دائمة ، يستفرغ الالهة والانبياء والمعلمين والاديان والمذاهب والاحقاد والعداوات على كل العقول والضمائر والاخلاق والمجتمعات بكل الديمومة والشمول ؟

ليس شيئاً كريهاً جداً في جميع تفاسيره ان يشترط الانسان لوجهه ولثيابه ولبيته ومدينته شيئاً من النظافة والجمال والكرامة والحماية أو كل النظافة والجمال والحماية والكرامة ولو بالمحاولة والرغبة ، ثم لا يشترط شيئاً من ذلك لعقله أو لفكره أو لإيمانه حتى ولا بالرغبة أو التمني ؟ أليس الفكر ينتشوه بالتفاهات الاعتقادية والتعليمية اكثر واقسى مما ينتشوه الوجه أو الثياب أو البيت بالقاذورات والاحوال ؟؟ أليست أحوال الفكر هي ابشع واكثر وابلد وأردأ الاحوال ؟

ان جميع الناس ليرقصون ، وان كان ذلك بدرجات متفاوتة جداً ان تهان وتلوث وتبتذل وتستباح وتحقر وجوههم وثيابهم وبيوتهم وابدانهم حتى ولو لم يكن الثمن الا تحقيق الحمال والنظافة والكرامة والسمة والمستوى الجيدين . اذن أليس يجب عليهم اكثر أن يرفضوا تلويت وتشويه واهانة وابتذال واستباحة وتحقير افكارهم بالالهة والمعتقدات البليدة السخيفة المتناقضة المستحيلة حتى ولو لم يكن الثمن الا ان تجيء وتبدو ذكية ومنطقية وسوية ونظيفة ومعقولة وذات شروط على نفسها ولنفسها وذات أبواب وحدود لحراسة كرامتها وشرفها وسمعتها من الاستباحة والابتذال والاهانة والتحقير وكل اساليب وانواع الاستفراغ عليها ؟

ان الناس لا يتسامحون ولا يتنازلون عن شيء أو عن كرامة اي شيء مثلما يفعلون في تسامحهم وتنازلهم عن كرامة إيمانهم واقتناعاتهم وتمكيرهم حين يؤمنون ويعلمون ويتلقون عن التاريخ وعن المناير والمحارب كل ما تستفرغ ويستفرغ فيهم وعليهم وكل ما كان يستفرغ على اباؤهم وفي عقول اباؤهم . . انه لا شيء يستحق اقوى الحراسات ولكنه بلا اية حراسات مثل عقل الانسان . .

اذن اليس شيئاً جيداً تعليمهم شيئاً أو مقادير من هذه الكرامة المفقودة والمتنازل عنها بلا اية شهامة أو ندم أو غضب أو أسى أو تراجع ؟

ان كل الناس ليقفون بوجوههم بكل الحماس والرهبة امام المرأة لكي تكون ولكي يجدوها ويجعلوها ولو بالمحاولة والتمني نظيفة وجميلة وسوية ومتجددة . ولكن كم هم الذين يقفون بافكارهم وايمانهم ومعتقداتهم وآلهتهم امام اية امرأة مثل هذه الوقفة لكي تكون ولكي يجدوها ويجعلوها ذكية ومنطقية ومعقولة ومحمية محروسة من السخافات والبلاهات والاكاذيب اللقنة المستفرغة عليها استفراغا اي على افكارهم وايمانهم ومعتقداتهم وآلهتهم ؟

ان لكل الوجوه مرايا يومية اي تنظر اليها وفيها كل يوم بل كل وقت . فكم هي العقائد والافكار التي لها اية مرايا ولو ذهنية اي تنظر اليها او فيها ولو مرة واحدة كل الدهر ؟ ولكن لو كان للعقائد والافكار والتعاليم مرايا ذكية وصادقة وحساسة فمآذا يمكن ان ترى ، وماذا يمكن ان تبقى او ترضى ؟

ان كل الوجوه والطلعات والملابس تحاسب وتحاكم بكل القسوة واللفه والاهتمام امام جميع المرايا . . . ولكن كم هي الافكار والاعتقادات والافتناعات والالهة التي تحاكم او تحاسب اقل وأرفق محاكمة او أو محاسبة امام اية امرأة ؟
 آه . مسكين اي اله يوضع امام اية امرأة . ان كل جمال كل الالهة في الا توضع امام اية امرأة . . .

وان كل الابدان بكل اعضائها وخفاياها وكل الملابس والادوات والبيوت لتعالج ، وان كان ذلك على مستويات وباساليب مختلفة ومتفاوتة ، بكل النظفات والمطهرات والمجملات والمعقمت ولو أحيانا بل وبكل الحراسات أو ببعض الحراسات اي لسوا أحيانا قليلة أو كثيرة . وحتى المتخلفون جدا . انهم لا بد ان يفعلوا شيئا لتنظيف وتجميل وتطهير وحماية ابدانهم وملابسهم وبيوتهم وادواتهم . . .

ولكن اين هي أو كم هي العقائد والافكار والايان والالهة التي تعالج أو تطهر أو تنظف أو تعقم أو تجمل أو تحرس وتحمي باي اسلوب ذاتي فردي عقلي اخلاقي انساني متحرك متجدد ذكي قوي ، أو حتى باسلوب جماعي لكي تطرح عنها كل استفراغات التاريخ واستفراغات المستفرغين المتلاحقين في مجيئهم واستفراغاتهم . ولكي لا تظل دائما مكانا متقبلا لكل عمليات واساليب وانواع الاستفراغ ؟ . وحتى المتحضرون والمتفوقون المتقدمون جدا ، لا يهبون ايمانهم أو عقائدهم أو افكارهم وتعاليمهم وآلهتهم شيئا من الاهتمام الذي يهبونه لابدانهم وملابسهم وبيوتهم لتكون نظيفة وجميلة . . . انه لا شيء يحتاج الى ان يوهب أو يعلم أو يصنع له شيء من الكرامة أو العقل والمنطق والذكاء ومن الرفض والاباء والغضب والجمال والاشتراط للنفس وعليها ومن الحراسة الذاتية والرؤية الحادة الناقدة المسائلة .

– نعم ، انه لا شيء يحتاج الى كل ذلك ويفقد كل ذلك مثل ايمان الانسان وعقائده واقتناعاته وافكاره التعليمية والتاريخية ، الذهبية والدينية . انه لا شيء هباح لكل اللصوص والغزاة والباصقين ولكل الحشرات في كل الماضي والحاضر

والمستقبل مثل مكان الاعتقاد والايمان والتعاليم والالهة في ذات الانسان . ايها الباصقون السنقرغون للالهة والاديان والمذاهب والاكاذيب والاحقاد والعداوات على كل العقول والضمانر والقلوب والاخلاق والمحاريب والمنابر والمعابد ، هل يوجد مجد أو سلطان أو خلود أو حرية مثل مجدكم أو سلطانكم أو حريتكم أو خلودكم ؟ ان استفراغكم هو كل معجزاتكم . .

انظر . . انك لتقف طويلا بكل الرهبة أمام كل مرآة تجدها خوفا من ان يكون في ثوبك أو وجهك أو نظراتك أو ملامحك اي قبح أو دنس أو تناقض أو بذاءة أو اي شيء يكره أو يحتقر أو يشتم أو لا يعقل أو يحمد أو يحب أو يعجب . . ألسنت تقف امام كل مرآة واية مرآة مثل أردأ مجنون لكي ترى وتحاسب وجهك ؟ ولكن انظر وفكر هل تقف امام اية مرآة خوفا من ان يكون كل ذلك في ايمانك وعقائدك وتعاليمك وافكارك ، بل مع تجمع كل ذلك في ايمانك وعقائدك وتعاليمك وافكارك ؟ هل يوجد وجه لا يقف امام اية مرآة ولا يملك اية مرآة مثل وجه ايمانك ومعتقداتك والهتك وانبيائك ؟ ألسنت كذلك ؟ ثم اليس كل الاخرين أو أكثرهم كذلك ؟ اليس كل الناس يقرأون ويفسرون وجوههم حتى الاميون جدا ولكن كم هم الذين يقرأون أو يفسرون ايمانهم أو اقتناعهم أو تعاليمهم أو عقولهم ؟

اذن كم يجب الرثاء للانسان الذي لا يشترط لايمانه أو لافكاره أو لعقائده أو لتعاليمه أو لاهته وانبيائه شيئا مما يشترطه لاثوابه أو لادواته المنزلية أو النظارات التي يضعها على عينيه ، ولا يخاف على تلك شيئا مما يخافه على هذه . . ؟ كم يجب الرثاء للانسان الذي لا يهش اية ذبابة أو حشرة تسكن في عقله وتستفرغ على ذكائه ؟

كيف لا يفهم أو يشعر العالم اي دوليا ان عليه اي دوليا ايضا - كيف لا يفهم أو يشعر بكل مؤسساته ومنظماته بان عليه اي جماعيا ان يفعل شيئا لكي يضع ولو حدا ادنى من شروط الكرامة والذكاء والجمال والعقلانية والاخلاقية لايمان الانسان ولعقائده وتعاليمه وافكاره وآلهته ؟ كيف لا يرى اي العالم كم يهون ويهبط ذكاء الانسان وكرامته حين يؤمن ويفسر آلهته ومعتقداته ؟

كيف لا يحاول اي العالم باسلوب دولي جماعي ان يضع حدا ادنى أو أعلى لقبح وسخف وتناقض وبلادة عقائد وايمان وتعاليم وآلهة الانسان كما يحاول أو كما يدعي انه يحاول لكي يضع حدا ادنى لقبح حياته بكل ما فيها من الام وامراض وأوبئة وهوان واستعباد واستغلال وتشويه واكاذيب ؟ ان كل العالم يتحدث عن تجميل وتنظيف المدن وحماية البيئة . فهل تحدث عن تجميل وتنظيف العقول والعقائد والنفوس من استفراغات التاريخ عليها ؟

كيف يحاول دوليا وجماعيا ان يقاوم الاوبئة القادمة من التاريخ ولا يحاول اي

دوليا وجماعيا ان يقاوم العقائد والتعاليم والالهة الغيبية الكاذبة المكتوبة المشوهة المتشوهة التي لا يمكن ان تكون معقولة أو مفهومة ، القادمة ايضا من التاريخ ، والتي تعلم وتصنع وتؤكد الاحتقاد والعداوات والبغضاء والتعصب الاليم البليد الموروث ؟

كيف يصمت اي العالم لقوم يعتقدون ويعلمون ويعلمون ويتعلمون ان الذباب وجميع الحشرات وجميع الاربطة والعاهات والتشوهات وجميع الالام انما اريدت ودبرت وخلقت بحثا عن الجمال والنظام والذكاء والمنطقية في الاشياء ، وحبيا للانسان، واحتراما له ، واشفاقا عليه ، واحسانا اليه ؟ كيف يصمت لقوم وعلى قوم يقولون ويؤمنون ان الاله قد اراد ودبر وخلق كل هذه الاشياء لانه جميل وكريم ونظيف وموي وكامل ، ولانه ايضا يريد ان ينظر الى المرأة راقصا مغنيا لنفسه راضيا عنها معجبا بها ، مقبلا لها لانه قد اصبح نظيفا محبا للنظافة حتى ليخلق الحشرات ، وجميلا محبا للجمال حتى ليخلق الدمامات والتشوهات ، ورحيما محبا للرحمة حتى ليخلق كل الالام والامراض ، وعادلا محبا للعدل حتى ليخلق الفروق ويصيب الابرياء . انه لا مثيل لعدله ولا مثيل لحبه للعدل لهذا يخلق اعلى نماذج الذكاء والجمال ليذل ويتحدى ويحقر بها ادنى نماذج الدمامة والغباء . كيف يصبر العالم على قوم يقولون بكل أصواتهم : ان الاله قد ارسل اليهم انبياء ليقولوا لهم ان الاله قد قال لهم : انه لم يخلق الذباب والدمامات والالام الا لانه جميل ونظيف ورحيم وشهم وفنان وعبقري الرؤية ؟

كيف يسكت اي العالم عن ان يصنع باسلوب دولي شيئا لتصحيح وتقويم وشفاء وتطهير ايمان وعقائد وتفكير هؤلاء القوم ولايجاد اي قدر من الكرامة والاستقامة لعقولهم ؟ كيف لا يفضب لما يلقى عقل الانسان من اذلال وتحقير وتشويه ، لما يلقى فيه من اكاذيب وبلادات وتفاهات ، مما يستفزع فيه ؟

كيف لا يحاول باسلوب عالمي ان يقنع هؤلاء القوم انه لن يوجد تحقير واهانة لذكاء الانسان ولكرامة وشرف عقله مثل الجمع بين الايمان بان فوق هذا الكون الهما حكيميا رحيميا كاملا ، والايمان بانه يجوز مقاومة أو رفض أو نقد أو تغيير اي شيء فيه من حشرات واربطة وامراض وصحاري وقط وفقر وطفيان وبدعوة طبيعية ؟ اليس الايمان بوجود اله خالق حكيم رحيم كامل لا بد ان يعني الايمان بان جميع صياغات هذا الكون كاملة بكل معاني الكمال وتفاسيره كاملا مطلقا اي ازلا وابدًا ؟ وهذا الايمان بهذا الكمال للكون يعني حتما الايمان بان وجود الحشرات والامراض والاربطة وجميع التشوهات والعاهات والافات وجميع ما يصنع الغضب والغيظ والاشمئزاز والاحتقار والعباد ليس الا كاملا مديرا ومقصودا ومرادا وجوده وبقاؤه والترحيب والاعجاب به . انه يعني الايمان بان الذباب فوق الطعام ليس الا تحية واستقبالا يحيي ويستقبل بهما الاله الآكلين .

هذا الايمان يعني حتما الايمان بان لا مقاومة ولا كراهة ولا استقذار او تغيير أو تعديل لاي شيء فيه أي في الكون . أي يعني الايمان بأنه لن يوجد ما يجوز أن يعمل أو يكرمه أو يرفضه أو يغيره أو حتى يتمناه الانسان ، لان كل عمل الانسان لا يجوز أن يكون الا مقاومة للنقص والخطأ والسفه والجهل والتخلف ، أي لا يكون الا مقاومة للاردا الاغبي ليكون الافضل الاذكى . نعم ، انه لو كان هذا الكون تدبير وتخطيط واخراج كائن كامل لكانت كل اعمال الانسان فيه أي في الكون أو معه أو ضده زندقة وتشويها وفسادا وعدوانا . لان كل عمل بل أو تفكير ضد ما صنع ودبر وخطط كاملا لن يكون الا زندقة وفسادا وعدوانا على الجمال والكمال وعلى المدير المرید المخطط الصانع الكامل . اذن هل يمكن أن يوجد أو يتصور عدو للاله خارج عليه مناقض له مخرب لابداعه ونظامه مثل من يعمل أو يغير أو يبدع شيئا في هذا الكون أو يتمنى له ويحب ذلك أو يفكر فيه ؟

ان كل عمل أو تفكير أو تخطيط لن يكون مشروعا أو مطلوبا أو جيدا الا اذا كان بحثا عن الاذكى أو الاقوى أو الافضل أو الاكمل ، أو تحقيقا لذلك .
كيف يقاوم العالم كل تلويث للماء والطعام ثم يغفر بل يتقبل كل تلويث للعقول والتفكير والايمان ؟

تقول المنابر والمحاريب التي قد تحسب وتحسب نفسها قمة الذكاء والعبقرية والمنطقية ، مدافعة عن مزايا الذباب والحشرات والابوة ، وعن مزايا كل ما في الطبيعة والاشياء من سفه وعبث ونقائص وآلام واخطاء وتخلف وجنون .

تقول : ان جميع هذه الافات والشورر انما وجبت بتدبير حكيم ورحيم جدا لكي يقاومها الانسان ، لكي يتعلم ويعرف ويشند ويسعد ويرضى عن نفسه وعن هواه بمقاومتها وبانتصاره عليها وبأمله الدائم في الانتصار عليها . ان هذه المنابر والمحاريب تقول اشياء وتفاسير كثيرة دفاعا عن مزايا ومنطقية ونبل كل ما يحدث في هذا الكون من آلام وجنون وقبح وعفونات وعدوان وعبث .

ان مما تقول : لقد وجدت هذه الشورر والافات لكي يجد الانسان ما يفعله ويهتم به وما يصنع له وفيه الحماس والتوقد والتفكير . . ليخرج من قبح وعذاب وكآبة الكسل والاسترخاء والتبلد ، ومن مشاعر من لا وظيفة ولا قيمة ولا رسالة ولا عمل له . وهل يوجد أقبح أو أكثر اذلالا واهانة وتحقيرا لاي انسان مثل ان يصاب بهذه المشاعر ؟ هل يمكن ان يسعد الانسان بشيء حتى ولو اخذ كل شيء ما لم يكن مجندا في عمل حتى ولو بان يقطع كل يوم يده أو رجله لكي يستمر يحاول اعادتها ؟

ولكن ماذا يساوي هذا الدفاع في ذكائه وحكمته ورحمته ؟

ليس هذا الدفاع عن الاله لونا من ألوان الغباء الذي يصعب ان يكون له شبيه في كل ألوان الغباء ؟

أليس يساوي ، اي حينما يبالح جدا في تقديره وتفسيره ، ان يكون لانسان مئة ابن ، فيحدث في كل واحد منهم عاهة وبيلة أو مرضا وببلا أو عبيدا من العاهات والامراض . فاذا قيل له : لماذا ايها المجنون تفعل ذلك بأبنائك الابرياء . . . قال افعل ذلك بهم لكي يتعلموا جميعا الطب ومقاومة جميع العاهات والامراض لانهم ، بما صنعته بهم قد يجدون انهم مطالبون بان يداوي بعضهم بعضا ولو نخوة ورحمة ، ليسوا بهذا لا بد ان يجدوا ما يعملونه ويهتمون به وما يصنع لهم وفيهم النشاط والحماس والتفكير والتدبير ، وما يخرج بهم من كآبة الكسل والاسترخاء والكيفونة بلا وظيفة ؟؟

أليس يساوي ان يحدث في نفسه هو عبيدا من العاهات والتشوهات والامراض لكي يتعلم ابناؤه المئة أو بعضهم كل انواع الطب ليعالجوه مما اصاب به نفسه ؟ بل أليس يساوي ان يشوه او يمرض الاله نفسه لكي يتعلم التداوي من ذلك ولكي يشغل ويتلهم به ، أو لكي يستمتع اي الاله بلذة ومجد الشفاء مما اصابه والانتصار عليه وايضا لكي يهرب من الخمول والكسل ؟ أليس يساوي ان تحدث في نفسك أو في ابنك عاهة أو مرضا على أمل ان يتعلم ابناء جيرانك الطب . . . أو ان تهدم بيتك أو تحطم وتخرب كل ما فيه من أدوات واجهزة لكي تتعلم انت أو زوجتك أو ابناؤك أو اقاربك أو جيرانك بناء ذلك واصلاحه ؟ . ثم تقول انت أو من يفعل شيئا من ذلك دفاعا عن النفس : انني افعل مثلما يفعل الاله بالمناطق والرحمة والنفاسير التي بها يفعل اي الاله حينما يصنع الالام . . .

نعم ، أليس هذا المنطق أو السلوك يساوي ان تذهب اجهزة دولة ما تعتمد ان تحدث في المجتمع أو الوطن الذي تحكمه كل الامراض والعاهات والتشوهات والالام المعروفة وغير المعروفة ، وان تصيبه ايضا اي تصيب المجتمع بكل انواع الخراب والقحط والبؤس والتخلف والهزائم والعذاب والبلادة والجهل والعتة والجنون ، لكي يتعلم افراده اي افراد المجتمع كل انواع الطب والحكمة والعلوم والانكار والمقاومة لكل ذلك والقدرة على هذه المقاومة ، ولكي يصابوا بالنشاط والحماس والتوقد والذكاء والاعجاب بالنفس وبالموهبة ، ولكي يسعدوا بالانتصارات على ما يواجهون ويقاومون ويقاسون ، ولكي يعيشوا دائما في تأميل الانتصارات . . . لكي يتعلموا كل فنون الشجاعة والانتصار على كل خطر ومشكلة وعذاب ؟؟

منطق مخيف في ذكائه وفي تقوى اخلاقه : تصيب محمدا بالعمى أو بالسلس أو بالسرطان أو بآية فظيعة أخرى أو تلقى به في اعماق بئرة قاتلة على أمل ان يتعلم محمود الطب ويصبح طبيبا ، وعلى أمل ان ينقذه من الاعماق المميتة لكي يتعلم الانقاذ والقدرة والجرأة عليه ولكي يتعلم النخوة والشهامة ويسعد بمقاساتهما وبمخاطرتة بحياته استمساكا سعيدا بهما . . .

انه لا تسمى اهانة لذكاء الانسان ولكرامة عقله ولكل ما اعطى من حضارات ان يذكر هذا الدفاع ولو لنقده ورفضه واستقباحه . . . ان مجرد التحدث عنه او تصوره او روايته عن قوم لنوع رهيب من العار . . . ولكن ليس هذا النوع الرهيب من العار يعرض ويفسر وينادي به كاعظم مجد لاعظم نبوة ونبي ؟

ان معنى هذا الدفاع او التفسير لهذه الافات والشورور : ان تصاب تعددا اعداد تهاب الارقام الفلكية منافستها او احصاءها من الكائنات البريئة ، من البشر وغيرهم في كل التاريخ ، بكل الامراض والمعاهات والمجاعات والالام والجنون والعتة ، وبكل انواع التشوه والعذاب والقبح والاذلال والطغيان والخوف والحقارات والويلات والنقائص الرهيبة ، الرهيبة ، على امل ان يعرف افراد قليلون بعد دهور ودهور اسباب ذلك والتخفيف من اهواله . . . على امل ان يجيء بعد احقاب واحقاب من يظنون يقاسون احقابا واحقابا لكي يعرفوا بعض اسباب بعض ذلك ، لكي يستطيعوا بعد احقاب واحقاب علاج بعض ذلك !!

لا تسمعي ايتها الحشرات هذا المنطق الانساني . . . اتضرع اليك ايتها الحشرات . لا تسمعي هذا التفكير او هذا الذكاء الانساني . لثلا ترفضي معاشة البشر او النظر اليهم احتقارا لهم ، ورهبة من ضخامة عارهم . . . لثلا تحتقري كل انجازاتهم الحضارية ، لثلا تحتقري اقدامهم السائرة فوق القمر او تحتقري القمر لان اقدامهم مشته فوقه !!

اجل ، ايتها الحشرات . نرجوك ، احترمي اذنيك وذكاءك . ولا تقترئي او تسمعي الانسان حين يدافع عن ايمانه وتعاليمه وعن جمال وذكاء وشهامة اربابه . . . واذا كان الاله لا يستطيع ان يرى نفسه ذكيا او حكيما او رحيما او عبقريا او قويا او شهما او فناانا او منتصرا الا بان تكون هذه الشورور والافات موجودة بالضخامة والانتساع والتنوع الذي به وجدت فماذا يقول او يرى او يصنع اذا استطاع التقدم الانساني القضاء عليها او على كثير منها او تقليلها جدا ؟ اليس محتوما ان يرى اي الاله انه حينئذ قد وقع في ورطة ، وان عليه ان يحاول الخروج منها ؟

ليس معنى هذا ان يعيدها الى مجدها وان يقاوم ويمنع زوالها وهزيمتها ، بل ان يقاوم ويمنع ان تصاب اي الشورور والافات والتخلف الطبيعي باي ضعف او عجز او خطر او باحتمال هزيمة لكي يحافظ على المنطق والفرض اللذين بهما وجدت ومن اجلهما اوجدها اي الاله ؟ اليس محتوما حينئذ ان يناضل اي الاله لكي يحمي كرامة وحقوق منطقته الذي يخطط ويدير ويصوغ به الشورور والالام من عدوان التقدم الانساني عليه ؟

اذن والجنة السماوية التي وعد بها المؤمنون واعدت لهم . . . اليس محتوما ان توجد فيها هذه الشورور والافات والالام وجميع هذه المعاهات والنقائص والامراض والتشوهات بمستويات وانواع واعداد اكثر واقسى جدا بالمنطق والاسباب والتفاسير

التي بها وجدت هنا ، اي لكي يتعلم الناس هناك اي في الجنة مقاومتها والتفكير ضدها والانتصار عليها ، انقاذا لهم من الكسل والخمول والضياع والفراغ والتفاهة ، اي لكي يجودوا ما يعملونه وما يهتمون به وما يثير فيهم الحماس والنشوة والتوجه . . اي مثلما قيل في تفسير وتساويج وجودها اي الشرور والافات والالام هنا ؟ واذا كان اي الاله قد يصنع شيئا في الجنة ينقذ من الفراغ والكسل والخمول وهو افضل من الشرور والالام فلماذا لم يصنع هذا الشيء هنا ؟

ان الاله كما كان حكيما رحيفا شهما عبقريا حينما اوجدها اي الشرور والافات والالام والمعاهات في الحياة الدنيا فانه لا بد ان يوجددها في الجنة ، هناك ، في السماء ، بأعداد وانواع واساليب اكثر وانجح لكي يكون حكيما ورحيما وشهما وعبقريا اكثر واقوى . . اليس مفروضا ومطلوبا ان يكون الاله شهما ورحيما وذكيا هنا وهناك وفي كل مكان ؟ اليس سكان الجنة أولى باهتمامه من سكان الدنيا ؟ . .

كيف يصاب الكائن بالمرض لكي يتعلم النداي منه ؟ هل يوجد جنون مثل هذا الجنون ؟ اليس المطلوب ان يكون معافى لا مرض فيه ؟ افن فالنطق ألا يمرض والا يحتاج الى مقاومة المرض اذا كان ذلك مستطاعا . كيف يشوه الاله وجهه ويديه وعينيه لكي يذهب يتداوى من هذا التشويه الذي لن يشفى منه ؟

ليس ذلك كذلك ايها المعلمون لجنون لا مثيل له في كل انواع الجنون ؟ اليس جنون العقلاء والعلمين لاخلق الالهة ولذكائها ولزايها الاديان والايمان هو اكثر وافضل انواع الجنون جنونا ؟

انت تذهب تهدم البناء لكي تبنيه ، لكي تصبح بناء . . هل يوجد جنون مثل جنونك ؟ ان الناس يضطرون الى ان يببنوا ، فيبنون ويصبحون بنائين . . ان الناس يتداون اذا مرضوا أو يجب عليهم ان يتداواوا . ولكن هل يوجد من يوقعون الامراض بانفسهم لكي يذهبوا يتداوون ؟ هل يوجد من يريدون او يستطيعون ان يهبطوا الى ذكاء الاله الذي يزعمه له المؤمنون بل والنبيون ؟

لو ان الناس خلقوا غير محتاجين الى اي بناء ، او لو انهم كانوا يجدون كل ما يحتاجون اليه من البناء مبنيا بأجل واعظم واقوى وانكى الاساليب والصيغ الفنية لكان هذا هو الافضل ، ولكانت محاولاتهم ان يتعلموا البناء وان يكونوا بنائين ، لو حاولوا ذلك ، لا نموذج لها في فنون الجنون . ان الناس يببنون مثلما يتداوون ، يفعلون هذا وهذا بالضرورة والاحتياج . وهم لا يدبرون احتياجهم ولكن يقعون فيه . هل يمكن ان تقتل الانسان الحي لكي يحتاج الى الدفن والتكفين ، لكي تحتاج الى ان تكون لحادا حفارا للقبور ، لكي تجد ما عمله وتفكر فيه وتهتم به ، لكي يهبك ذلك الحماس والنشاط والنشوة والرضا عن النفس . . لكي تشعر بان الكون محتاج اليك وبان لك فيه وظيفة هي حفر القبور ودفن الموتى . . ؟

الا ترى ان كل جنون يخجل من جنون جنونك ، من غباء غبائك ، اي لو انك ذهبت تفعل ذلك ؟ الا ترى ان كل جنون هو دون الجنون الذي تمجد وتصف به الهك ؟ هل استطعت الان ان تعرف كيف يحقر المؤمنون الاله الذي يؤمنون به وكيف يهبطون بذكائه تحت كل ذكاء ، وكيف يجعلون جنونه متفوقا على كل جنون ، بل كيف يجعلون جميع المجانين عاجزين عن ان يعرفوا أو يفعلوا أو يستطيعوا اي شيء أو اي اسلوب من جنونه ، من جنونه الذي هو كل عقله وعبقريته ؟

ان احدا ما لا يقبل مهما هان شأنه ان يكون ذكاؤه أو تدبيره أو اخلاقه في مستوى الذكاء أو التدبير أو الاخلاق التي يراها المؤمنون أعلى وأسمى ما يصفون به الاله . . ان احدا لا يستطيع أو يريد أو يعرف أو يجرؤ أن يحقر أحدا تحقيرا يشبه تحقير المؤمنين للاله البائس الصامت . .

كيف لا يعلم الذين يؤمنون بجمال الاله وبذكائه ورحمته وحبه وبكل الكمال له ، ويتحدثون عن ذلك ، ويعلمونه بلا استتار أو تحرج انهم انما يؤمنون بجمال الطبيعة وذكائها ورحمتها وحبها وكمالها ، اي بجمال وذكاء وحب ورحمة وكمال كل ما فيها من فباب وحشرات واوبئة وامراض وتشوه وقبح وعبث وقسوة وتناقض وسفه وفوضى وموت وشيخوخة وبداءة وقحط وتخلف وضياح وعشوائية تعاقب وتلعن كل الرؤية والتفكير والتجربة وكل حسابات وشروط ونماذج الجمال والذكاء والعقل والنبيل والشهامة والكرامة والحب والرحمة ؟ كيف لا يعرفون انهم حينما يقولون : انت جميل أو نظيف أو رحيم ايها الاله انما يقولون للذباب واللوايا والمرض والعاهة انت كل الجمال والنظافة والحب والرحمة ؟

كيف امكن ان يهبط ذكاء الانسان كل هذا الهبوط ؟ وكيف استطاع ان يتعلم وان يبتلع كل هذه البلادة والغفلة ؟ ما اقدر غباء الانسان وغفلته على الاتساع والشمول . . ما اقدرهما على ان يكونا كل ما يرى ويسمع ويعتقد ويريد ويفهم ويجد ويفعل ويتوقع ويتمنى .

اي عبقريتي الانسان اعظم واشمل : عبقرية ذكائه ام عبقرية غبائه ؟ الى ايهما يجب ان يكون انتماؤه اذا كان انتماؤه عادلا وصادقا ومحسوبا بلا انخداع أو خداع : الى الذكاء ام الى الغباء ؟ متى يكون الانسان اكثر صدقا وتعبيرا عن نفسه : حينما يقول : انا اذكي الكائنات ام حينما يقول : انا اغباها ؟

هل الاصق ان يقال : ان الانسان عبقري الذكاء ام ان يقال : انه عبقري الغباء ؟ لو ان ذكاء الانسان وغباؤه تحولا الى لونين متضادين متناقضين فباي اللونين يمكن حينئذ ان يرى او ان يحسب لونه ؟

اليس من الافضل والاستر للانسان ان يكون بلا ذكاء أو غباء وغير محاكم أو مفسر بذكاء أو غباء ؟ اليس ذلك خيرا له من ان يكون له كل هذا الذكاء وكل هذا الغباء ؟ ايهما اكثر عدوانا على الاخر : ذكاء الانسان على غباؤه أم غباؤه على ذكائه ؟

ولو انهما اي ذكاء الانسان وغبائه قد تحولا الى مذاقين من المذاقات المختلفة المتحددة في حسابات وفي افواه المتذوقين ، اليس محتوما حينئذ ان يكون المذاق الذي تحول اليه غباؤه هو مذاقه الذي لا بد ان يعرف وان يوصف به وان يختفي المذاق الذي تحول اليه ذكاؤه والا يعرف او يوصف به ؟ ولكن العقدة ان الالوان والمذاقات متداخلة ومضللة ، وغير متحددة ، وكذا الذكاء والغباء والخير والشر والجمال والدمامة والنضيلة والرنيطة ، وكذا كل شيء .

وهل الذكاء في جميع صيغه ومستوياته واخلاقه وعطاياه الا عمليات توسيع وتعميق وتاجيج وتحريض وتنفيذ للغباء ؟ هل يستطيع اي ذكاء ان يجد اي شيء يعمله غير هذا اي غير عمل الغباء والعمل له والتعامل معه وبه ؟

الليست جميع مزايا الذكاء وعبقرياته ووظائفه ان يقود الغباء وينفذه ويعلن عنه ويحول الى قوة وسلوك والى آلهة واديان ومذاهب ونظم ، والى تفاسير وجمال وامجاد لهذه الالهة والاديان والمذاهب والنظم وللطفاة والدجالين وللصوص الذين يكذبون ويتكلمون ويحكمون ويفجرون ويجيئون ليفعلوا جميع القبائح والدمامات والوقاحات والبلادات والطفيان باسمها ؟ هل يمكن ان يوجد او هل وجد ذكاء لا يعمل الا ما هو ذكاء ولا يطيع او يعيش او يدبر او يختار الا ما هو ذكاء او لا ينطلق الا عما هو ذكاء والا الى ما هو ذكاء ؟

الليست كل اعمال كل الذكاء في كل تاريخه وجنسياته ان يصنع المجد والسلطان والكبرياء والكينونات القوية للغباء والعبث ، وان يرسل لهما الانبياء والدعاة والحماة وان ينزل لهما وباسمهما الكتب المقدسة الخالدة وان يشيد لهما المعابد والمنابر والمحاريب ، وان يعد لهما الجيوش الغازية الحامية الباهظة ؟

الليست اعظم وانكى جيش ومذهب انما يحاربان تحت حوافز ولتحقيق اهداف خارجة على كل تفاسير الذكاء ؟؟

اجل ، هل يستطيع اي ذكاء ان يعمل غير الغباء والعبث ، او ان يتعامل او يتحاور مع غيرهما او ان يعمل لغيرهما او مطيعا لغيرهما او واجدا لغيرهما ، بل او مريدا لغيرهما ؟

هل يستطيع اي ذكاء ان يترفع عن ان يكون كل عمله ان يطيع ويخدم الغباء والعبث والتقامات ؟

الليست لشد الناس ذكاء هو اكثر الناس ابتكارا وابداعا للغباء والعبث ، وتمكينهم ونصرة لهما ، واعلانا عنهم ، وتجيلا لهما لانه اي اشد الناس ذكاء لا بد ان يكون اكثر الناس تعامل مع النفس والحياة والاشياء وعملها وفيها وتعاملا معها وبها ؟

الليست الاله الكبير والشمس الكبيرة اكثر ممارسة وخلقاً للعبث والغباء من الاله الصغير ومن الشمس الصغيرة ؟

ها انت اذكى الناس ، اي لتفترض نفسك كذلك . اذن حاول ان تجد شيئا غير الغباء والعبث لتدععه أو لتعمله أو لتفكر فيه أو لتحبه أو لتهتم به أو لتجوع اليه أو لتراه كل المجد والذكاء والعظمة ، أو لترى انك مطالب بعمله وانك موجد كل التمجيد اذا عملته ؟ هل يستطيع اذكى الناس ان يتفوق على اغبي الناس في انكليهما لن يجد ما يعمل أو يحياه أو يفكر فيه غير العبث والغباء ؟

ها انت اذكى الناس . مفترضا . اذن جرب ان تتحدى نكاه لكى يجد اي شيء يستطيع ان يعمل أو يفكر فيه ، غير العبث والغباء والتفاهة ايضا . . . اليس كل الفرق بين اذكى الناس واغباهم هو كل الفرق بين قدرتهما واسلوبهما في التعامل مع الغباء ؟

ها انت في نكاه وقدرة وجد الاله الذي يتصوره ويؤمن به المؤمنون . . . اي لنفترضك كذلك . اذن هل تستطيع ان تفعل غير ان تخلق وتوجد ثم تقتل وتفني ان تبني وتهدم . . . ان تصنع هذا الكون أو اي شيء اخر بكل ما فيه من بشر وحشرات وشموس وكائنات اخرى ، وان تصيب هؤلاء البشر والحشرات والشموس والكائنات الاخرى بالموت والتشوه والمجاعات والذات والمسرات والالام والمخاوف وبالتغير والتناقض والتخاصم وبالعبث والبلادات والمهوم وبالجمال والدمامة ، وبالحب والبغض ، وبالمرض والتداوي والشفاء ، ثم بالمرض ، وبكل شيء ونقيضه . . . بالطلوع ثم الغروب ثم بالطلوع فالغروب . . . بالفيضان ثم الجفاف ثم بالفيضان ثم الجفاف . . . بالامان ، ثم بالخوف والجوع ؟ هل يوجد عبث وغباء غير هذا او مثل هذا ، أو هل يجد العبث والغباء لهما مجدا مثل هذا المجد ، اي مثل هذا المجد المحسوب للاله وحده ؟

نعم ، ها انت في نكاه وقدرة وجد الاله الذي يؤمن به المؤمنون والذي يتصورون . اذن هل يوجد مثلك صناعا للعبث والغباء ، عاثسا في العبث والغباء ، عاجزا عن ان يجد ما يريده أو يعمله غير العبث والغباء ، بل عن ان يرى أو يواجه غير العبث والغباء ؟ هل يستطيع اي اله ان يريد أو يفعل أو يجد غير العبث والغباء ؟ هل يستطيع ان يخطو الا حوضا فوق العبث والغباء ؟

هل يمكن ان تكون موجودا أو موجدا أو مريدا أو محبا ثم تكون موجدا أو مريدا أو محبا لغير العبث والغباء أو موجودا في غيرهما أو عاثسا غيرهما ؟
ها انت موجود . . . اذن لن يكون شيء من معاني وجودك أو احتياجات وجودك الا حوضا في الغباء والعبث وانطلاقا منهما وجوعا اليهما . . .

هل يستطيع اي وجود أو ايجاد ان يكون غير عبث وغباء أو غير خضوع أو عشق للعبث والغباء ، أو غير مجاعة اليهما ، أو غير استمرار فيهما ، أو غير بنوة لهما وتسلسل عنهما وفيهما ؟ اليس اعظم الجد والذكاء انما تناسلا وتخلقا عن أردا معاني الغباء ثم ينتهيان الى هذا الاردا من معاني الغباء وتقاسيره ؟

هل يستطيع محبر وموجد هذا الكون أو محبر وموجد أي شيء أن يكون مدبرا أو موحدا غير العبث والغباء مهما أراد أن يكون غير ذلك ؟

هل يمكن أن يوجد جد لم يلهه اقصى العبث أو لا ينتهي الى اقصى معاني العبث؟
هل يستطيع ان يكون خالق الجوع أو الجائع والطعام ، وصانع المرض والشفاء والتداوي منه ، وخالق النبتة الظمأى في الصحراء ثم مرسل الغمامة المطرة اليها ، وخالق القلب الحزين ثم وضح السرور فيه .

— نعم ، هل يستطيع فاعل ذلك ان يكون فاعلا غير العبث والغباء ؟

هل يستطيع اي موجد أو موجود ان يكون في اية صيغة من صيغة افضل من ذلك ، اي افضل من ان يفعل الشيء ونقيضه ويعيش الشيء ونقيضه ، وان يصاب بالشيء ونقيضه ، وان يفعل ويريد ويحب ويكره ويخاف ويتالم ويحزن ويجوع ويشتهي ويكون بلا منطلق أو حساب أو تخطيط أو نموذج أو مصلحة لاحد أو شيء ، وان يجيء مبتدئا بلا ارادة أو معرفة سابقة ارادته وحسبته ودبرته ، وان يتداول اليوم أو يحاول للتداوي اليوم من الجوع والمرض والالم والعجز والهوان والموت لكي يجوع ويمرض ويتالم ويعجز ويهون ويموت غدا لان الذي يتداوى اليوم من المرض أو الجوع أو الهوان أو الموت انما يفعل ذلك لكي يصاب غدا بما يتداوى منه حتما ، وان يحب حياته ووجوده ونفسه وان يستمسك بذلك ويدافع عنه ويرفض فراقه ، اي فراق حياته ونفسه ووجوده — ان يفعل ذلك لانه موجود وحي ومحكوم بنفسه لا لانه يعرف قيمة ذلك ولا لانه يرغب منه او يسعد به او يهبه المجد أو الخلود ؟؟ ان كل شيء لا بد ان يفعل ويعني ويساوي نقيضه وان ينتهي الى هذا النقيض وان ينطلق عنه وان يفسر به .

اذن ليس العبث والغباء هما كل وجود وكل موجود ، هما كل الذكاء والجد والمجد ايولو في التفسير لا في الصيغة ولا في الرؤية، ولو في الصيغة والرؤية الاخيرة لا الاولى، اي ولو في كلييات كل وجود وموجود لا في جزئياتهما؟ ان بدايات ونهايات كل الاشياء لن تكون ذكاء أو تخطيطا أو احتياجا أو منطقا أو استجابة لذلك أو بحثا عنه . . .

اللغة بلا موهبة .. أقبح أجهزة الاستفراغ

جميع الآلات ، العاملة ، المحركة والمصوتة والمضيئة والمذفئة والحاسبة والمفكرة محتاجة الى أجهزة ضبط ذاتية او خارجية ، موضوعة او طبيعية والا اصبحت شيئا مخربا وبائسا وعقيما . وليس في هذا الوجود الطبيعي شيء ليس مضبوطا ولو بعض الضبط ببعض هذه الاجهزة الذاتية او الخارجية ، الوضعية او الطبيعية . ان اكثر الاشياء انطلاقا مجنوننا لا بد ان يكون محكوما بنوع ما من انواع الضبط الذاتي او الالسي الكونسي ..

ماذا يحدث لو ان اي شيء في هذا الوجود ، لو ان هذا النهر أو الاعصار أو الصوت أو المرض أو هذا الحزن أو الضعف أو الخوف أو الحب أو البغض لم يكن محكوما بأي جهاز من اجهزة الضبط العديدة المختلفة الذاتية والخارجية ، الموضوعة او الطبيعية ؟ ماذا يمكن أن تتصور أو يحدث لو ان خوفك أو بغضك أو حبك أو حزنك لم يكن مضبوطا محكوما بأي جهاز ضبط ؟

ان هذا الكون قد جاء وبقي كما نراه ونعرفه لان جميع وحداته مضبوطة بهذه الاجهزة التي لم تكن منطقية ولا فنية ولا علمية ولا اخلاقية ولا تدبيرية بل عشوائية لم تكن نتائجها مطلوبة ولا محسوبة ولا جيدة او نافعة او معلومة قبل كينونتها او مرادة لاحد او لشيء .
انها نتائج لم تكن استجابة لاية حسابات او احتياجات . انها نتائج لم يدبرها او ينتظرها احد ..

والانسان مركب من عديد الآلات والاجهزة العاملة المتحركة والمحركة والمصوتة والمريدة والمنفصلة .. المحبة المبغضة القابلة للرافضة الخائفة الحاقدة والمفكرة ايضا اي ولو بالافتراض . ان البشر لا يعرفون كائنا مركبا بالاسلوب الذي ركب به الانسان من هذه الاجهزة والآلات في عددها وحدتها واحتمالات نتائجها ..
وجميع هذه الآلات او الاجهزة أو الطاقات الانسانية تمر كلها من جهاز واحد ، وتتعامل مع هذا الجهاز الواحد وتتزاحم عليه ويعبر عنها جميعا وتحتاج كلها اليه

وتعلن عن نفسها به ، وتتخاطب مع نفسها ومع كل شيء بلغته ، وتتداوى من امتلائها المتزاحم المختنق باستقراغها لذاتها في انابيبه .

هذا الجهاز الواحد هو صوت الانسان او لسانه . انه طريق الانسان الى الاخرين وإلى التاريخ وإلى الحياة ، وطريق جميع طاقاته وتفاسيره الى نفسها وإلى مجالاتها وأهدافها ، وايضا الى التاريخ وإلى الحياة . ان جميع مواهب الانسان وقدراته واحتمالاته واشواقه تظل مجهولة وسجينة ما لم تمر من هذا الطريق . . .

ان كل الانسان يمر من صوته او من لسانه . انه لا شيء فيه يستطيع ان يستغني عن صوته ، ان يمارس نفسه او يحيياها بعيدا عن صوته . . .

ان لسان الانسان هو الانبوب الذي يصب فيه كل تفكيره وطموحه وكل نكاته وغبائه وصدقته وكذبه واوحاله ونظافته .

اذن كم هي اجهزة الضبط التي يحتاج اليه صوت الانسان ، وكم تحتاج هذه الاجهزة الى الدقة والقوة والاتقان ، وكم هي الحراسات التي يجب ان تضرب عليه اي على صوته ، وكم هي الشروط التي يجب ان تفرض على هذه الحراسات ، وكم هي الاحتمالات الشريرة الخطيرة التي يحتمل ان يصاب بها بل التي لا بد ان يصاب بها؟ جهاز يمر منه ويتعامل به ويحياه ويصاغ ويقرأ ويعرف به كل الانسان ، كل اخلاقه وافكاره وثقافته ونياته وانفعالاته وحضاراته وجميع مستوياته - نعم ، جهاز هو كل هذا بل كل هذا بعضه وبعض تفاسيره ودلالاته . اذن كم يحتاج الى الضبط وإلى انواع الحراسات الجيدة القاسية ؟

اذن هل يوجد طريق مباح ومعروض لمرور كل الدمامات والبذاءات والقبائسح والفضائح منه مثل لسان الانسان ؟

نعم ، ان كل افكار الانسان وكذا تعاليمه وثقافته وامانيه وطموحه ورغباته وارادته وخططه وجميع احتياجاته وانفعالاته بل وجميع اقتناعاته وعقائده ورؤاه وخيالاته وهمومه ومسراته ونياته ، تحتاج الى كل اساليب الضبط وإلى كل انواع الحراسات لكي يكون صوته اي لسانه مضبوطا ومحروسا ، لان كل ذلك يمر من لسانه ويتعامل به ويعبر عن نفسه ويقرأ جميع معانيه به وعليه وفيه .

اذن كم هي صعوبة حراسة لسان الانسان وصعوبة الاساليب التي لا بد منها لكي يكون مضبوطا ؟

هل يمكن ان يكون تفكير الانسان او طموحه او تمنيه او حبه او بغضه مثلا غير مضبوط او محروس ، ثم يكون جهازه الصوتي مضبوطا او محروسا ؟
رديئة جدا هي حظوظ لسان الانسان لان ضبطه يحتاج الى ضبط اشياء اخرى كثيرة . . .

ان ضبط التفكير او الطموح او الارادة لا بد ان يتحول الى ضبط للسان او فسي اللسان، كما ان اي اختلال أو قبح في ذلك لا بد أن يتحول الى اختلال وقبح في اللسان .

ولكن هل يمكن ان يضبط التفكير او اي معنى او تفسير من معاني الانسان وتفسيره بمحاولة ضبط لسانه ، او هل يمكن ضبط لسانه قبل او بدون ضبط تفكيره وضبط كل معانيه وتفسيره ؟ كل رثائي لك يا لسان الانسان . كل اسفي عليك ايها اللسان الانساني لان ذكائك واستقامتك مشروطان بذكاء واستقامة غيرك . . .
اذن متى يصبح جهاز الانسان الصوتي او متى يصبح لسانه جهازا ذكيا او عاقلا او نافعا ؟ بل متى اذن يصبح جهازا غير فضاخ مخرب محقر مفسد مهين مسيء جالب لكل معاني الاستهزاء والسخرية والعار ؟ قاسية وكثيرة هي الحراسات المطلوبة على اللسان . ان الشروط صعبة لكي يستطيع ان يصبح جيدا ومحترما وغير فضاخ ولا وقاح . . .

واذن ما اردا الاجهزة واكثرها قبحا وتشويها وتعييرا وسبابا وبلادة وتحريضا للغيثان والاشمئزاز ؟ ما هو الجهاز الذي تنصب فيه جميع وقاحات وقبائح وبلادات وعار وفنوب جميع الاجهزة الاخرى ؟ ان هذا الجهاز هو اللسان الذي لم تضرب عليه كل انواع الحراسات ولم يحكم بكل اساليب الضبط - اي اللسان الذي لم تضرب على ذاته او على انسانه كل انواع الحراسات القاسية الذكية ، ولم تحكم اي ذاته او انسانه باقسى واذكى واشمل اساليب الضبط . . . ان اللسان هو العضو الذي يتطهر بتطهر غيره ويتلوث بثلوث غيره . انه الضمير الذي يصنع غيره تقواه وفسوقه، مجده وعاره . . .

واذن ما اردا او اقبح صيغ الكينونة او صيغ الانسان وما اكثرها عاراً وافتضاحا ودمامة وحقارة وبلادة وتشويها ؟ وما اقدر هذه الصيغ او الكائنات على الاعلان الشامل عما تختزن من قبح وفجش وفضائح وبلادات ونذالات ؟

ان هذه هي صيغة الانسان او ذات الانسان التي تملك لسانا لم تضرب وتفرض عليه كل هذه الحراسات وكل اساليب الضبط هذه . ان اللسان هو جهاز التفجير لعار وقبح وعفن مثل هذه الذات او الصيغة الانسانية . انه لاجمل واستر مثل هذه الذات او الصيغة الانسانية ان تكون بلا لسان .

انسان وهب لسانا عاشقا للكلام اي للتصويت ، قادرا جريئا عليه ، محتاجا اليه ، ماثونا له ، لانه حاكم او زعيم او قوي او نبي او معلم او موظف في اجهزة الكلمة اي التصويت - ماثونا له ان يتكلم اي يصوت بلا اي قيد او تخرج او استنكار او مذمة كيف شاء واستطاع ، بل ويهتف ويغنى له اذا فعل ذلك وكلما فعل ذلك ، بل مفروض عليه ان يتكلم .

نعم ، انسان وهب مثل هذا اللسان تحت هذه الظروف والاعراض والتحريضات ، دون اية حراسة او ضبط من الذكاء او العقل او الحكمة او اللوقار او الاخلاق او الصدق او الحياء او الاحترام لاي شيء ، هل يمكن ان يوجد او يتصور مثله نذالة وقبحا وفسادا وتشويها للعلاقات والمجتمعات والقضايا والحب والصدقة

وللمنابر والمحاريب ولجميع الاشياء التي يقع التعامل ويراد التعامل عليها وبها بين البشر ؟

وهل وجد أو يمكن ان يوجد مثل هذا الانسان موهوبا كل هذه الظروف ؟
- نعم ، انه موجود كلما وجدت الزعامات والنبوات والقيادات والمجتمعات العربية . ان كل زعيم وقائد ومعلم ونبي عربي هو الصيغة الجيدة لمثل هذا الانسان تحت جميع ظروفه الملائمة

اذن محتوم ان تكون اردأ وأقبح صيغة لارداً وقبح كائن هي ذات الحاكم والزعيم والنبي والمعلم والكاتب والواعظ العربي ، ثم ذات الانسان العربي العادي ، اي اذا كان مصابا بشهوة الكلام اي التصويت وبشهوة عرض الذات والاعلان عنها بالكلام الذي هو تصويت ، وكان ايضا موهوبا الجراة والقدرة على ذلك . . . وهل وجد أو يوجد عربي واحد بدرجة نبي أو زعيم أو حاكم أو قائد أو كاتب ليس مصابا بذلك وموهوبا كل ذلك ؟

ان هذا الحاكم أو الزعيم أو النبي أو المعلم أو الكاتب أو الواعظ العربي سيكون حتماً بلا ضوابط أو حراسة من الذكاء أو الحكمة أو العقل أو الوقار أو الاخلاق أو الرصانة أو الحصافة لتصون وتصوغ لسانه أو لتعتقله ، أو لتجعله شيئاً مقبولاً أو معقولاً أو محسوباً أو محتتملاً . ان العربي لم يجرب ولا يعرف أو يتصور الحراسات أو الضوابط العقلية أو الاخلاقية أو الانسانية أو النفسية على لسانه . ان لسانه يرفض ان يكون محاسباً أو محكوماً بغير لسانه .

اذن اي جهاز قبح وبذاءة وفساد وفضح سيكون ؟
انه حينئذ لا بد ان يبصق على ذاته وعلى مجتمعه وعلى كل شيء وكل قضية وكل وجه واذن وفكر ومنبر ، وعلى كل خصم وصاديق ، وعلى كل موافق ومخالف ، بكل انواع واساليب البصاق والقيء والقبح والنذالة والفجور والاكاذيب والغباوات والسباب . . . ان كل عنف الطبيعية والاشياء حينئذ لن يكون نداً للعنف الذي لا بد ان يستفرغه على كل شيء وكل احد . . .

فطبع حينئذ بلا حدود أو نموذج هو هذا الحاكم أو الزعيم أو النبي أو الكاتب أو المعلم أو الواعظ العربي حينما يكون ثورياً أو مذهبياً أو تجديدياً ، اي حينما يكون قد وصل الى العرش أو الى المنبر أو الى النبوة أو القيادة أو الزعامة باسم الثورة أو المذهب أو التجديد بالغزو المسلح المتآمر القافز . . . ان العربي الذي يصعد الى الحكم أو الى الزعامة أو القيادة أو القوة أو المجد باسم الثورية أو المذهبية أو التجديد لا بد ان يكون أفضل النماذج لفضح الكلمة . . .

لنقرأ هذه الصورة أو الصيغة أو النموذج . . .

زعيم أو حاكم أو نبي أو قائد عربي قفز على العرش باسم الثورية أو المذهبية أو النبوة أو التجديد ، مصاب بشهوة الكلام وبشهوة عرض الذات والاعلان عنها وبشهوة

التحدي والمثابمة والمبارزة وبالقدرة والجرأة على ذلك .. وهو حتما بلا اية حراسة عقلية أو اخلاقية أو نفسية من ذاته على ذاته ، على لسانه ، ولا من مجتمعه أو من تاريخه على ذاته أو على لسانه . بل وهو حتما مهتوف له بمجد مدعو له بالزيد كلما كذب وسفه وتوقح وشتم الشمس والنجوم والسحاب . مثل هذا الزعيم أو النبي أو الحاكم أو القائد العربي كيف يطاق أو يستطاع تصور ما لا بد أن يستفرغه لسانه من البذاءات والقبح والسخف والغباء والنذالة والعدوان على كل جمال وذكاء ومجد وكرامة ومحبة وتهذيب ؟

ان مثل هذا القائد أو الزعيم أو الحاكم أو النبي العربي لا بد أن يتحول الى ايداء وتلويت وتجريح لوقار ونظافة وكرامة وحياء وتقوى أردا الحشرات .. هل يمكن ان يوجد اي نموذج أو صيغة من صيغ ونماذج الحشرات العفنة السامة القبيحة البذيئة الوحقة يشبه هذا النموذج أو هذه الصيغة من النبوات أو الزعامات أو القيادات التي وهبت السنة لا قيود ولا حراسات عليها من الذكاء أو الحياء أو اللوقار أو العجز أو الرهبة أو من فقدان شهية الفضح والعرض للذات ؟

اذن هل يمكن ان يوجد مستفرغ على اخلاق وضمائر ووجوه الشمس والنجوم والسحاب والانهار والحقول والحضارات والعبقريات والذكاء مثل الانسان العربي الذي يجيء بدرجة حاكم أو زعيم أو قائد أو نبي أو معلم أو كاتب أو مفكر أو شاعر أو واعظ ، اي اذا كان مصابا بشهوة الكلام وبشهوة العرض للذات والاعلان عنها ، وكان ايضا قادرا على الكلام موهوبا بالجرأة عليه ، ولا سيما اذا كان ثوريا أو مذهبيا أو تجديديا ؟ انه لا بد ان يهتف له وان يغنى لجمده وبطلته وعبقريته العلمية والعقلية والحضارية كلما قبح وافتضح وفدح استفرغاه ، وانه ايضا لا بد أن يكون بلا حراسة أو ضوابط عقلية أو اخلاقية أو نفسية أو انسانية أو تاريخية أو تقليدية أو ميراثية . انه الصيغة الجيدة الصعبة الجامعة لكل شروط أعلى مستويات ونماذج القبح والوقاحة والافتضاح ..

اذن هل يمكن تصور صيغة كائن تساوي في تجمع كل الرداءة والقبح والبذاءة فيها صيغة الانسان العربي الذي يجيء بدرجة نبي أو حاكم أو زعيم أو قائد أو معلم أو مفكر أو شاعر أو واعظ أو كاتب ، اي حينما يجيء ثوريا أو مذهبيا أو تجديديا ، وحينما يكون قادرا على ان يقول ما يستطيع قوله وما يريد ويشتهي قوله وما يسعد ويشعر بالكبرياء والمجد بقوله وما يهيبه كل المار والافتضاح قوله ؟ قبيح هو القول الذي يجد فيه الانسان العربي كل مجده وذكائه ونشوته وقوته ..

اذن اهربي ، بل انتحري اينها الشمس والنجوم والزهور والاشياء الجميلة المصابة بالاستحياء والوقار والتهذيب ، أعني ان كنت لم تستعربي وتفقدتي معانيك بمعايشتك للانسان العربي . اليس الانسان العربي يعرب ما يعايشه حتى الحضارات يعربها اي يفسدها ؟

اذن اهربي او انتحري لثلا تواجهي او تري او تسمعي مثل هذا الانسان العربي
 ٠٠ مثل هذا المستفرغ الذي لا مثيل له في قبح ووقاحة استفراغه ٠٠ وقحة وبذيئة
 وبليدة انت ايتها الشمس والنجوم وكل الاشياء الجميلة ان كنت قد سمعت الانسان
 العربي يقول كل ما قد قاله دون ان تنتحري او تهربي او تمرضي او تصابي بالصمم
 الدائم ان كنت لم تستعربي .

ولكن اليس لهذا الانسان العربي مزايا ؟ اليس من هذه المزايا انه مهما صنع
 الاشمنزاز والغثيان لكل الضمائر والعقول والاخلاق المتحضرة بكل ما يقوله ويدعيه
 ويطلب به فانه لا يستطيع ان يقتل او يجرح او يصيب او يخيف احدا ؟ انه شيء
 فاضح ولكنه ليس شيئا قاتلا او هازما او قادرا . اليست هذه مزية ؟

اليست ذات مزية اية حشرة يؤذي منظرها او صوتها او سلوكها اذا لم تكن قاتلة
 او جارحة او ممرضة او صانعة لاي ضرر بالحياة او باي شيء حولها ؟

انه اي الانسان العربي مهما بصق على كل الوجوه والاذان والمنابر والاخلاق
 والافكار المستمعة اليه فانه لن يستطيع ان يخذعها او يقنعها او يفسدها او يضعفها او
 يعجبها او يقتلها ، او ان يهدم بناء او واقعا جيدا ، او ان يمنع مستقبلا آتيا عظيما
 من المجيء ، او ان يسلب الازكياء والمهذبين والمتوقرين والمتطهرين والمتحضرين
 اشتهاهم لذكائهم او لتهديبهم او لوقارهم او لطهارتهم او لحضارتهم مهما فرض
 عليهم الاستماع اليه ، او ان يمنع الشمس او الانهار او الامطار او الفصول من القدوم
 والطلوع والنزول في اوقاتها ، بكل قوتها وجمالها . انه مهما بصق على الشمس فان
 شيئا من بصاقه لن يضل اليها ومهما القى بكل الحجارة في وجهها فلن يتحول الى
 جراح في وجهها ٠٠

اليس عجزه هذا مزية بل مزايا ؟ اليس كون الكلب نابحا وعاجزا عن الافتراس
 وعن ان يعض مزية لمن يسمعون نباحه ومزية فيه اي في الكلب النابح ؟

اليس نوعا من المزايا ومن الحظوظ الجيدة لك ولعينيك واذنك ان يطن الذباب
 بكل قبحه في اذنك وحولها ولكن دون ان يفسدها او يعجبها او يصمها او
 يخترقها ، ودون ان يقذف فيها داءه ، وان تتعري وتتبختر كل الحشرات ووقع
 الحشرات بكل وقاحاتها ودماستها في عينيك ولكن دون ان تسلبها الرؤية او جمال
 الرؤية او الرغبة في الرؤية ، ودون ان تستفرغ فيها شيئا من احوالها وحوالها ؟
 اليس شيئا من المزية والحماية لك ان تعيش كل الاحوال حولك دون ان تستطيع القفز
 عليك لتتحول الى احوال في جسدك او ثيابك ؟

وايضا اليس من مزايا هذا الانسان العربي انه يتحول الى شماتة ونشوة
 سعيدة ؟ ليس لاعدائه او حساده او منافسيه ٠٠ انه ليس ممكنا ان يكون له اعداء او
 حساد او منافسون ٠٠ انه لا يحسد او ينافس او يعادي الا الاقوياء جدا المتفوقون
 الخيفون بمواهبهم او بقوتهم او بأي معنى قوي من معانيهم الحضارية او

الاخلاقية أو الانسانية أو العقلية أو الفنية أو النفسية أو حتى الجمالية الجسدية .
ان العربي هو الكائن الحاسد ابدا ، الذي لا يتحول ولم يتحول قط الى محسود . انه
المعتدي الذي لا يجازي ..

هل يوجد في الانسان العربي شيء يخشى ان يحوله الى محسود او منافس او
معادي ؟ ان العربي قد يكون مرحوما أو محزنا أو فاجعا أو مسخورا منه ولكنه لن يكون
محسودا أو منافسا أو معادي . حتى نطفه لن يستطيع ان يجعله شيئا من ذلك .
ان النفظ وهو كل حظوظ الانسان العربي من مجد الحياة والتاريخ والحضارة لن
يحوله الى محسود أو منافس أو معادي بل لقد حوله الى صانع للثناء والاشفاق
والاسى والى مخدوع مضحوك عليه مضحوك منه مطموع فيه ، مكذوب عليه ، مكذوب
له ، مستهزا به ، مفسد للاخلاق ، معلم للنفاق والذالة وللصلاة في معابد الحشرات
والهتاف لاناشيدها . ان الشيء الرديء والضعيف والمهزوم لن يكون محسودا أو منافسا
أو معادي مهما ملك أو اعطى ومهما نوفق وكذب له او عليه ..

نعم ، ان النفظ العربي قد أفسد وأذل اخلاق وضمائر أقوى واكبر الناس اي اخلاق
وضمائر قادة وزعماء الدول المتحضرة الكبرى والصغرى لانه اضطرهم الى ان ينافقوه
ويتملقوه والى ان يصغروا في ذكائهم وكرامتهم لكي يفهموه ويرضوه ويتلاءموا معه ..
نعم ، ان الاشياء تطلب وتشتهي ويطمع فيها ويقع عليها التحاسد والتنافس
والتعادي ولكنها لا تحسد ولا تنافس ولا تعادي . ان اي شيء مهما كانت قيمته لن
يكون محسودا أو منافسا أو معادي مهما كان عنف التحاسد والتنافس والتعادي عليه .

هل يمكن ان تحسد أو تعادي أو تنافس السلع أو الاطعمة أو الخيول والنياق
الجيدة الجميلة او الاموال بكل عملاتها وجنسياتها المختلفة ؟ ولكنها بكل الهوان
والضعف والتهافت والاستعباد والسقوط تتراد وتطلب وتشتهي ويطمع فيها وتسجد
لها بكل المسكنة والتصاغر كل الهامات والقامات بل وكل الرايات ، ويتحاسد ويتعادي
ويتنافس عليها بكل النزق والجوع والافتضاح والوحشية النفسية والاخلاقية كل
الناس ، حتى الذين صنعوا للتاريخ كل ازيائه وامجاده وعلومه كل لغاته ولهجاته ،
وحتى الذين لا يخطو التاريخ اية خطوة من خطواته الا بحثا عن خطواتهم ، وحتى الذين
علموا الاله كيف يتحدث عن نفسه ويدعى لنفسه ويرى نفسه ويعجب بنفسه ، بل
علموه اي علموا الاله كيف يقتنع بنفسه ، كيف يقتنع بانه موجود حقا ، وعلومه ان
يجرؤ على الاعلان عن نفسه وعن وجوده ..

كيف استطاع الاله ان يقتنع بانه موجود او بأن وجوده شيء طيب يستحق
التباهي به والاعلان عنه ؟ أليس الذين علموه الاقتناع بذلك هم اعظم المعلمين تعليما؟
نعم ، اليس كل المتعاملين مع العرب أو فيهم قد فهمهم وفسروهم بانهم اشياء ثم
تعاملوا معهم وفيهم بهذا الفهم والتفسير ؟

اذن فالعرب لا يمكن ان يحسدوا او يعادوا او ينافسوا ، ولكن لزاياهم النفطية الاسطورية لا بد أن يقع عليهم ومن اجل الظفر بهم اي بنفطهم التعادي والتحاسد والتنافس كما يقع ذلك على الاشياء المشتهاة . . آه ايتها الموهبة العربية ، هل تستطيعين ان تصعدي الى ان تكوني محسودة أو منافسة أو معاداة ؟

نعم ، أليس الانسان العربي الذي هو بدرجة نبي أو زعيم أو قائد أو حاكم أو كاتب أو معلم أو واعظ لا بد أن يتحول بكل ما يقوله ويعلمه ويدعيه ويطلب به ويراه ويعبر عنه الى شماتة والى نشوة سعيدة ، ليس لاعدائه أو لحساده أو لمنافسيه لانه لا يملك احدا من هؤلاء . آه ايها الانسان العربي . . . ليتني اجد من يحسدك أو ينافسك أو يعاديك أو يخافك لانه يراك قويا أو عبقريا أو عظيما أو جريئا .

ولكنه يتحول الى هذه الشماتة والنشوة السعيدة لقوم يملكون كل مواهب الاستمتاع النفسي والفكري والاخلاقي والفني بل و احيانا الاستمتاع المذهبي أو القومي أو الوطني أو الديني أو العرقي ، بعار الاخرين وتفاهاتهم وبلادتهم وافتصاحهم وبكل معانيهم الصغيرة المحترقة المحقرة . . اذن فالانسان العربي الذي هو بدرجة نبي أو قائد أو كاتب أو مبدع يعلم الاخرين هذه الوقاحة اي الشماتة والفرح الخبيث .

كثيرون هم اولئك الذين يسعدون وبيتهجون ويشعرون بالمد والفرح والقوة والتفوق حينما يرون او يسمعون او يقرؤون كل ألوان الدمامات والتفاهات والغباء والضالة والوقاحة والنذالة ، تعيشها وتتحدى وتتعامل وتقاتل وتباهي بها وتستفرغها عقول و اخلاق ومواهب والسنة اناس محسوبين وموضوعين ومنصبين انبياء وزعماء وقادة وحكاما وحكماء ومعلمين وكتابا وفنانين ، اي ممن يتكلمون اللغة العربية بكل اساليبيها البلاغية الاصلية العربية المثيرة لكل نشوات الشماتة في مشاعر وحركات المقترجين .

الست انسانا ناعما وسارا وجيدا حينما تصبح شخصية تتجمع فيها كل معاني وتعبيرات الهزال والهزل ؟ الست قد تصنع السرور والرقص الروحي لكثير من الناس لانك مضحك ومثير للاسفاق ببلادتك أو تفاهتك أو ضاللتك أو بسخفك وفحشك اكثر واعمق من ان تفعل لهم ذلك ، أو دون أن تفعل لهم ذلك بعبقريتك أو بعظمتك أو بقوتك أو بذكائك أو بمجدك ، اي لو كنت كذلك أو شيئا من ذلك ؟ ان ضعفك المضحك قد يصنع النشوة لنظارتك . ولكن هل تصنع لهم شيئا من ذلك قوتك الخيفة ؟

اليس تمثيل ادوار الشخصيات البلهاء الغبية السفهية الضئيلة الفضاحة احد الفنون الانسانية العالمية التي يتخلى امامها اكثر الناس وقارا ورضانة وصمنا عن وقارهم ورضانتهم وصمتهم ليتفجروا بالابتهاج الصارخ المنتزى المتعري ؟ هل يوجد من لا يسعدون أو من لا ترقص عضلاتهم ابتهاجا بمشاهدة أدوار هذه الشخصيات مبالغا في تمثيل ضعفها وتفاقتها ؟

لماذا ذلك ؟ اليس لان مشاهدة النقص أو العجز أو الضعف أو السخف الانساني الرهيب تصنع الوانا كثيرة ومثيرة من البهجة والاستمتاع المتعدد المعاني والتفاسير

والاساليب ؟ وانبياء العرب وقادتهم وزعمائهم وكل متكلميهم يقدمون هذه الشخصيات طبيعيين لا ممثلين . اذن ما اسعد نظارتهم !!

اذن هل يمكن ان يوجد من يستطيع ان يصنع هذه البهجة وهذا الاستمتاع النفسوان للباحثين عن ذلك مثل الانسان العربي الذي قد اصبح نبيا او حاكما او زعيما او قائدا او معلما او مفكرا او كاتبا او شاعرا او واعظا ، كلما قال او ادعى او خاطب او خطب او جادل او خاصم او علم او اعلن او اعتقد او اقتنع او آمن او فهم او فكر او نوى بصوت مسموع او مقروء ، ولا سيما اذا كان ثوريا او مذهبيا او تجديديا او اصلاحيا ، ولا سيما ايضا اذا كان مصابا بشهوة العرض للذات والاعلان عنها ، ومصابا بشهوة الكلام اي بشهوة التصويت وبالجرأة والقدرة عليه . وهل وجد او هل يمكن ان يوجد اي نبي او زعيم او قائد او ثائر او مفكر او شاعر عربي ليس مصابا بهذا وهذا اذن فهذا الانسان العربي المضحك المحزن المسخور منه ومن جميع مواهبه المتحولة الى اصوات فوق السحاب يصنع كل ألوان السرور والبهجة لجميع النظارة والمشاهدين . . . ولكن ليس محتوما ان يصنع الاسي العميق للرحماء المشفقين الراثين لضعف وسخف الاخرين ؟ ومع هذا الاستثناء فان الانسان العربي فنان عظيم في صنعه للسرور والبهجة بهذا الاسلوب العربي المتفرد . . . انه يصنع السرور والبهجة لنظارته بفنه الطبيعي الاصيل لا الممثل . . ان ضعف العربي الذي يتحول الى فن ضعف طبيعي واصيل لا تمثيل . اذن ليس فنه فنا متفوقا ؟

واذن ليس لهذا الانسان العربي مزايا ؟ أليس من اعظم مزايا الانسان العربي انه قد اثبت ان الحضارة قد تتنازل عن شجاعتها وكرامتها وكبريائها وعن صحتها وحياتها ونكائها وتحضرها بلا ضوابط او حواجز ، حينما هددها بالنفط سلاحا - حينما هدد أن يضرب بالسلاح الذي لم يبتكره او يصنعه او يعرفه او يعرف مكانه او وجوده او نفعه او استعماله او من اين جاء او لماذا جاء . . .

نعم ، ان أردا صيغة لاردا كائن هو الجهاز الذي لا يوجد جهاز اخر يساويه او يشبهه في استقراغه لكل انواع الفحش والقبح والسباب والغباء والنذالات والاكافيب والفضائح بكل احجامها والوانها واصواتها ، بلا اي غضب او احتجاج او رفض او حتى مشورة او نصيحة او محاورة او استحياء او قيمة او هداية من الذكاء او المنطق او العقل او التهذيب او من القيم الحضارية او التاريخية او الانسانية او من اي نوع . . انها الصيغة التي يعجز أفرس خيال عن تصور أردا منها .

وهل يمكن ان توجد هذه الصيغة التي هي أردا صيغة لاردا كائن بكل قدراتها الاستقراغية هذه الا في ذات الانسان العربي الذي يجيء في مستوى او منصب الاقوى والاكبر والاعظم والانتقى والافصح والاكثر ثورية او مذهبية او تدينا او تجديدا او اصلاحا ، والاجرا الابسل بسالة ولسانا واعلانا عن الذات ؟ هل يمكن ان يوجد مثل هذا الانسان العربي قدرة على استقراغ كل العفونات وأردا العفونات . . . ؟

ان اي لسان طويل جريء قوي جهير يركب في اي انسان عربي كبير المكانة أو المنصب أو الشهرة أو التفسير أو الجراءة فلن يكون اي هذا اللسان الموصوف الا اقبح واضخم جهاز استفراغ لاقبح واضخم الوان الفضح والقبح . ان اي قوم لن يستطيعوا ان ينافسوا العرب في امتلاكهم لاضخم جهاز لاستفراغ كل الفضح والقبح .

ان اي عربي يولد وفي فمه لسان فلن يكون الا حبلا يهدد بكل احتمالات بل بكل ولادات الفضح والقبح بكل تفاسيرهما وجنسياتهما ولغاتهما . لان اي لسان يولد في أي فم عربي لا بد أن يولد معه احتمال بأن يكون الفم الذي ولد فيه اللسان ليس الا فم نبي أو زعيم أو قائد أو حاكم أو مفكر أو شاعر أو واعظ عربي يدعي الثورية أو المذهبية أو الاصلاحية الدينية أو الاخلاقية أو التاريخية ، ويستطيع حينئذ أن يقرأ ويفسر وينشر عاره وقبحه على كل الشمس والنجوم، ومن فوق كل الشمس والنجوم، وان يهدد بهما كل الشمس والنجوم . أليس مثل هذا اللسان هو النموذج المثالي لاحتمال ان يكون افضل جهاز لاستفراغ كل القبح والفضح وأردأ أنواع القبح والفضح .

ان اعقل وانكى واحكم النبوات والقيادات والزعامات والدعايات والثقافات والمواهب العربية ، أو اقلها قبحا وفضحا وعارا وبلادة ونزقا ، هي التي تجيء أو تولد وفي نطقها آفة دائمة تفرض عليها الصمت والعلي والوقار . . . هل توجد فضيلة تساوي ان يصاب بالخرس الدائم جميع الحكام والزعماء والانبياء والثوار والكتاب العرب ؟

ان اي لسان يولد في فم اي نبي أو زعيم أو قائد أو معلم أو مفكر أو شاعر لا بد ان تولد معه احتمالات العبقورية والعقل والذكاء والحكمة والوقار والتعذيب الا اللسان الذي يولد في فم الانسان العربي أو في فم من هو في مستوى الانسان العربي ، فانه يولد بدون اي شيء من هذه الاحتمالات . . . ان الطبيعة لا تشترط لولادة اي لسان عربي اية ولادات أو شروط اخرى مصاحبة أو سابقة جيدة .

اذن فان اي لسان يولد في اي فم عربي فلن ينتظر له ومنه سوى احتمالين : أن يكون مصابا بالصمت والعجز ، أو أن يكون فضحا وقبحا وجنونا ليس فيه شيء من جمال أو براءة الجنون المعقول . . لهذا فانه لا امل في ستر أو في استتار اي لسان عربي الا في ان يكون مصابا بالصمت وبالعلي المانع له من ان يتحرك أو يخرج من مكانه .

وحتما لن توجد ولادة اقبح واطخر من ولادة لسان طويل جهير جريء قوي دون ان تولد معه احتمالات نكأ أو عقل أو حكمة أو تعذيب أو وقار . ان مثل هذا اللسان لن يكون حينئذ الا تفجرا مستمرا بكل القبح والفضح والبلادة والنذالة والفحش وبكل انواع واساليب السوء بلا اي قيد أو ضبط . .

اذن لن توجد ولادة اقبح أو اخطر من ولادة نبي أو زعيم أو قائد أو معلم أو مفكر أو شاعر عربي يولد في فمه لسان لم يصب بالصمت والعجز الشامل الدائم ، لانه لا

بديل اخر عن الصمت والعجز .. ان كل التاريخ يقول انه لا بديل للسان العربي عن الصمت والعجز .. لا بديل الا الفضح والقبح ..
اذن ايتها الافواه العربية ، كوني حية أو تقية وأصيبي كل لسان يولد فيك بالافة الجيدة ، بالعجز والصمت والعي الشامل الدائم ..

انك ايتها الافواه العربية لن تستطيعي ان تفعلي افضل أو اعظم من ذلك . اذن افعليه . افعلي مزيتها التي لا تستطيعين غيرها وهي ان تصيبي كل لسان يولد فيك بالعجز ، بالعي الشامل الدائم . ايتها الافواه العربية !
آه . ليت الانسان الاخر يتقدم علما واخلاقا وشهامة الى ان يصبح قادرا وجريئا على ان يعقم كل انسان لا تولد فيه احتمالات الذكاء والعقل والحكمة والحياء والتهديب والصدق ، يعقمه تعقيما يحميه من ان يتخلق فيه اللسان .. ليت الانسان المتحضر يعقم انبياء العرب وزعماءهم وقادتهم ضد ان تولد فيهم السنة متحركة ..

لم تكن الطبيعة ذكية أو حية أو مهذبة أو رحيمة أو فنانة ، وكذلك لم تكن ذات الانسان ولا حضارته أو اخلاقه أو موهبته وحياته شيئا من ذلك حينما علمته اللغة قبل ان تعلمه العقل والذكاء والمنطق والحياء والتهديب والصدق ، أو دون ان تعلمه ذلك . انه لا فتضاح شامل ان يكون لكائن ما لغة منطوقة ومسموعة ومكتوبة ومقروءة دون ان يكون محكوما باقسى واذكى الضوابط الحضارية والانسانية .

هل قصدت الطبيعة أو قصدت ذات الانسان وموهبته بذلك ان تفضحه وتشوهه ، ام هي قد عجزت وجهلت ان تكون ما ينبغي اي ان تكون الاذكي الافضل الانفع ؟ بأي منطق أو موهبة تصوغ وتخرج ذات الانسان ذاته ؟ وهل تخرجها أو تصوغها بأي شيء أو بأي قدر من المنطق أو من الموهبة ؟

اليس شيئا جيدا لو ان جميع من لا تعيش في ذواتهم احتمالات الذكاء والعقل والمنطق والوقار والتهديب يمنعون بوسيلة ما من ان يتكلموا أو يتعلموا اية لغة ؟ الا يحتمل ان يحدث هذا في يوم ما ؟ أليس شيئا رائعا ان تستحدث في افواه هؤلاء عامة جيدة تمنعهم من ان ينطقوا ؟

انسان يتكلم لغة دون اي شرط أو قدر أو ضابط من العقل أو الذكاء أو الحكمة أو الوقار أو التهديب أو الصدق . انه لاعظم جهاز لاستفراغ العار والقبح ..
هل يوجد ما يساوي هذا الانسان في قبحة الا اله يملك كل عضلات وشهوات وكبرياء وطموح وانانية اكبر واقتوى الالهة دون ان يملك اي قدر من الحب أو الرحمة أو الشهامه أو الفهم أو الموهبة الفنية أو الفكرية أو الاخلاقية أو النفسية ؟ وهل وجد أو يمكن أن يوجد مثل هذا الاله ؟ يقول المؤمنون انه قد وجد ، وانه لا يزال موجودا وانه لا بد أن يظل موجودا ..

ولكن هذا الانسان هو حتما اكثر قبحا من الطبيعة التي وهبت كل هذه العنثية والعشوائية والقوة والضخامة والانتساع والقسوة والوقاحة والنزق والفحش دون أن

وهب شيئاً آخر غير ذلك • وهل يوجد اقبح أو أوقح من الطبيعة ؟ نعم ، اللسان المركب في الزعيم أو القائد أو النبي أو المفكر أو الشاعر العربي ؟
 لعل الطبيعة يعد أن خلقت الإنسان أو بعد أن ولدته في تعبير آخر رأته في نموذجها الأعلى متفوقاً عليها متحكماً فيها قاهرها لها ، فأصابته الغيرة ، فأرادت ودبرت الانتقام ، فصاغت للانتقامها من مخلوقها أو من وليدها المتفوق عليها ، أساليب كثيرة متفاوتة العنف والبذاءة والوحشية • وكان من هذه الأساليب الانتقامية أن خلقت الأنبياء والزعماء والقادة والحكام والمعلمين والمفكرين والشعراء والكتاب العرب ، أي أن خلقت اللسان الطويلة الحريئة القبيحة البذيئة المصابة بكل وقاحة الشيق المنبري والغدواني ، دون أن تحرسها أو تضبطها بأي قدر من الذكاء أو العقل أو الحكمة أو الصدق أو الشهامة أو المحبة أو الحياء أو من تفاسير الإنسان المتحضر - أي أن خلقت أردا صيغة لردا كائن •• نعم ، لقد كان خلق هذا الإنسان العربي انتقاماً قوياً من مجد الإنسان ، ولكنه انتقام بليد بذيء متوحش ••

اذن لقد خلقت أو ولدت الطبيعة موهبة الإنسان العربي الاستفراغية انتقاماً من حسدها لموهبة الإنسان الآخر الحضارية والإنسانية • أي خلقت الإنسان العربي المستفرغ بلسانه لتداوي حسدها للإنسان الآخر المفكر المبدع المتحضر المتفوق عليها الحاكم المسخر لها •• ولكن هل تداوت الطبيعة بتداويها هذا أم مرضت ؟ هل شفاها خلقتها للإنسان العربي المستفرغ عليها ؟

أو لعل الطبيعة أرادت أن تصنع لنفسها من الإنسان ألعاباً منناقضة ومتفاوتة المستوى والقيمة جداً ، أو أن تخلق من نفسها لنفسها ، لتعبث وتلهو ، صيغاً متباعدة جداً في حدما الأعلى عن حدما الأدنى ، فذهبت تخلق الإنسان المتفوق عليها والذي هو اسمى ما تستطيع وتجد وتعرف وهو حدما الأعلى • وفي حدما الأدنى ذهبت تخلق الزعامات والنبوات والقيادات وكل جماعات الفكر والشعر والقلم العربية التي كل عطايها كل الأعمال الاستفراغية التي تستفرغها والشعراء وانزلت عليه كتبه المقدسة وزرعت في فمه هذه اللسان الطويلة بلا حدود والمحدودة بلا ضوابط أو حواجز • ولكن ليس قد ذكر أن الاستفراغ بالتصويت ضرورة يجب السماح بها ولها ؟

لغة بلا مجد أو شرف^٧

اللغة ، كل لغة هي وعاء أو أداة تعبير يعيثن فيها الشيء ونقيضه ، ويعبر بها عن الشيء ونقيضه ، وهي ليست الشيء ولا نقيضه . انها فقط حروف واسماء وافعال ، لا ترفض أو تغضب أن تعبر عن هذا أو هذا أو أن يعيثن فيها هذا أو هذا . انها لا ترفض ولا تغضب أن تكون تعبيراً عن المجد والكرامة وعن الذكاء والعبقرية والنظافة والصدق والقوة أو عن النقيض أو أن يتكلمها اصحاب هذه المواهب الجيدة أو الآخرون المناقضون .

بل انها لا تختار لنفسها ولا تستطيع أن تختار ولا تعرف كيف تختار . . .

ان اللغة لا تدم ولا تمتدح او يجب ألا تدم وألا تمدح . ولكن الذم والامتداح لا يكونان الا لما يوضع فيها أو لمن يتكلمونها ويتعاملون بها . . . ان اللغة هي الصورة المعنوية لشخصية الانسان الادبية . والصورة ليست مسؤولة عن نفسها .

حتما لا بد ان تكون هناك فروق بين اللغات ، فروق كثيرة فنية وجمالية وغنائية . . . فروق في التحديد والضبط والوضوح واليسر والشمول والسهولة وفي التحضر والبداءة بل وفي المنطقية أو الفكرية او القانونية . . .

ان المتفاوتين في مستوياتهم الاخلاقية والفكرية والنفسية والحضارية لا بد ان تكون هناك فروق مساوية او ينبغي ان تكون مساوية بين لغاتهم . . . هذه الفروق الكثيرة بل والضخمة لا يجوز الاختلاف عليها . . .

انه كما تختلف وتتفاوت جودة وجمالا واتقاناً ورداءة ودمامة وفوضى ملابس الناس وبيوتهم ومدنهم وادوات منازلهم كذلك تختلف لغاتهم . ان اللغات ليست الا انواعاً من الملابس والبيوت والحدن والادوات . لهذا فكم تتفاوت فنيا وجماليا !!

كل هذا صحيح ولكن ليست هذه هي القضية هنا . . .

ان الناس يعيشون في اللغة التي يتكلمونها حتى ولو لم تكن لغتهم القومية أو لغة ميلادهم ، تعيثن فيها مواهبهم وأخلاقهم وقوتهم وضعفهم وبدواتهم وحضارتهم

وجميع مستوياتهم • كما تعيش لغاتهم فيهم • نعم ، تعيش فيهم ويعيشون فيها ولكن قد يكون ذلك بعلاقات ادق واكثر عمقا ودلالة وتأثرا وتأثيرا مما يعيشون في بيوتهم وازيائهم ومدنهم ، ومما تعيش فيهم •

ان اللغات اماكن أو معارض أو حقول للبشر يضعون او يجمعون أو يعرضون أو يزرعون فيها كل مزاياهم وريائهم وكل احتمالاتهم الجيدة المتفوقة والرديئة المتخلفة • ان تاريخ اي قوم لن يكون اكبر أو اصغر من لغاتهم أو مما في لغاتهم أو من تفاسير لغاتهم في كل تاريخها وفي كل دلالاتها واستعمالاتها ••

اذن اللغة ، اية لغة ليست شيئا اكثر أو اقل ، افضل أو اردأ ، اذكى أو اغبى ممن يتكلمونها • انها هي هم جاءوا حروفا منطوقة ومسموعة ومكتوبة ومقروءة •• ان البشر في كل تاريخهم ليسوا الا لغاتهم جاءوا وقرئوا باسلوب اكثر وضوحا وتحديدا وتعريفا بالذات •

حتى حينما يكذبون او يزيفون او يخدعون أو يبالغون لن تكون اي اللغة باسلوب من يتكلم ويفكر ويعلم ويهدي ويصنع الحضارات والمذاهب والاديان والقيم الانسانية، وباسلوب من يمجده نفسه ويذل ويهزم ويقتل الاعداء والابالسة والشورر ، وايضا باسلوب من يصلي للالهة ويشيد لها المجد والذكاء ويضع لها اجمل واذكى التفاسير والصيغ • بائسة هي الالهة • ان كل من يصلون لها ويصنعون لها المجد والمسرات والتفاسير ليسوا الا مستفرغين لتفاهاتهم ولغبائهم والامهم عليها •

لعل الطبيعة كانت تبحث عن اقوى او اقصى اساليب العبث والنزق والتناقض والاستهزاء بنفسها وبكل شيء حينما خلقت او ولدت الانسان في نموجه او في حده الاعلى ثم خلقت أو ولدت أو استفرغت الانسان العربي الذي هو في رتبة نبي أو زعيم او قائد أو معلم او مفكر أو شاعر أو كاتب أو واعظ ، والذي هو ايضا ثوري او مذهبي أو تجديدي أو اصلاحي باسم الدين او الاخلاق أو التاريخ ، والذي هو ايضا مصاب بالشبق المنبري الصوتي الاستعراضي الاعلاني ، وبالجرأة والقدرة على ممارسة هذا الشبق بكل الكبرياء والفروسية ، اي الذي هو في رتبة المستفرغ لكل اساليب وانواع البذاءات والبلادات والوقاحات زاعما انه يصوغ الكون بذلك •

لعل الطبيعة لم تسفه وتسخف مثل سفنها وسخفها هذا • ولعل اقبح ما في هذه القضية ان الطبيعة التي هي كل السخف والسفه والجنون والظلم هي ايضا كل العقل والحكمة والوقار والعدل والرصانة • انها هي كل الجمال والحب بقدر ما هي كل الدمامة والبيضاء •

كيف يمكن ان تكون مشاعر الطبيعة، لو كانت لها مشاعر ، حينما تضع احسدى عينها على هذا الانسان العربي وتضع عينها الاخرى على الانسان الاخر النقيض ؟ حينما تضع عينها على هذا الانسان العربي المستفرغ لاحقاده وبذاءاته باسلوب من يصنع للشمس كل امجادها ؟

هل يمكن ان نتصور ان والدا ما مهما كان سخفه وسفهه وفحشه يجروا على ان يصوغ ، قادرا متعمدا ومدبرا ، احد ولديه مالكا كل قمم ومعاني العبقرية والجمال والقوة والروعة ، والآخر مالكا كل حضيض ومعاني التفاهة والبلادة والدمامة والعجز والافتضاح والضالة بكل تفاسيرها ونماذجها ؟

كيف امكن ان يوجد من يجدون في الطبيعة منطلق او ضمير او فن اله تركع له العقول والجباه حبا واعجابا ؟

ماذا لو ان الطبيعة اصبحت يوما ما متوقرة ومحترمة محاسبة لنفسها ولما تفعله ثم حدثت في ولديها فرأت كيف صاغت احدهما وهو هذا الانسان العربي المزعوم والمنصب نبيا او قائدا أو زعيما أو مفكرا أو شاعرا أو اي حامل قلم ، ورأت كيف صاغت الاخر وهو ذلك الانسان الاخر المناقض الذي اصابها تفوقه عليها بداء الغيرة ؟ كيف صاغت ابنها العربي ليكون جهاز استقراغها وصاغت ابنها الاخر ليكون منطلق وطاقة ابداعها ؟

الا يجب حينئذ ان يقتلها اشمئزازها من سخفها وسفهها ، ومحاسبة ضميرها ونكائها لها ، وادمانها التحديق في عارها وذنوبها ؟ ماذا لو ان الاله رأى نفسه رؤية جديدة محاسبة محاكمة أو لو ان المؤمنين به رأوه مثل هذه الرؤية ؟

لقد كان من الممكن أو المفروض ان يكون ضعف الانسان العربي وقبحه صامتين أو هامسين ولكن الطبيعة لم ترد له ذلك . لهذا خلقت فيه الانبياء والزعماء والشوار والكتاب الا عرضا وتفسيرا صادقا لهم وحكما عليهم ، ولن يكونوا اصغر او اكبر منها . ان الكذب مهما كانت حوافره وصيغه لن يكون الا تفسيرا صادقا لاعماق الكاذب وقراءة لمواهبه ومستوياته . . .

ان اسلوب الانسان في الكذب أو في الخداع والمبالغة لن يكون الا تعبيراً عنه ، عن ذكائه وغبائه وعن قوته وضعفه وعن مستويات ضميره واخلاقه وتجاربه ونياته وثقافته وظروفه المختلفة . ان اسلوب الانسان في كذبه لن يكون اصغر منه أو غيره كما ان اسلوبه في الصدق لن يكون اكبر منه أو غيره . . .

ان اي انسان لن يكذب أو يخضع أو يزور أو يببالغ بذكاء أو اخلاق أو ضمائر الاخرين أو بقوتهم وضعفهم أو باي شيء من مستوياتهم أو معانيهم ، ولكنه يفعل ذلك بمعانيه ومستوياته هو . ان كل انسان لا بد أن يكذب اذا كذب بلغته هو لا بلغة الاخرين مهما تعلم لغته من الاخرين وتكلم لغة الاخرين . . .

اذن فكذب الانسان وتهاويله واوهامه تعبير عنه بقدر ما صدقه وانزانه وحقائقه ووقاره تعبير عنه . . . بقدر ما ارتجاف عضلاته تعبير عن عضلاته وعنه هو لا عن عضلات الاخرين ولا عن الاخرين . . .

انه يصدق بموهبته ونيته بقدر ما يكذب بنفس هذه الموهبة وهذه النية . ان الناس ليتفاوتون في اساليبهم اذا كذبوا بقدر ما يتفاوتون في ذكائهم وثقافتهم واخلاقتهم وتحضرهم وفي مواهبهم وخصائصهم الاخرى .

ان الانسان ليقرا ويفهم بكذبه بقدر ما يقرأ ويفهم بصدقه ولكن القارئ الفاهم له أو المحاولين ذلك قد يختلفون أو لا بد أن يختلفوا في قراءتهم وفهمهم له . بل ان كذب الانسان قد يكون دالا عليه ومفسرا له اكثر من صدقه لان الكذب قد يكون مدبرا ومخطا اكثر من الصدق الذي يكون استجابة بدهية احيانا . اذن فلغة الانسان تفسره بكل الصدق مهما كانت كاذبة النية والدلالة اللفظية . .

نعم ، اللغات ليست شيئا غير من يتكلمونها قد جاءوا أصواتا منطوقة ومسموعة ومكتوبة ومقروءة . ان اية لغة لن تكون اكبر أو اذكى أو اعظم من متكلميها ومن اهلها وان اهلها ومتكلميها لن يكونوا اكبر أو اذكى أو اعظم منها . ولكن قد يتكلم الصغير لغة كبيرة والعكس يحدث .

اذن لا بد ان تختلف وتتفاوت جدا حظوظ اللغات . ان تكون لغات ذات مجد وكرامة عظيمين جدا أو متواضعين ، وان تكون لغات اخرى بلا اي مجد أو كرامة ، بالمستوى أو بالواقع الذي يكون به قوم ذوي مجد وكرامة ، وقوم بلا اي مجد أو كرامة ، أو ذوي مجد وكرامة صغيرين ناحلين جدا حتى ليصعب الاعتراف بهما أو رؤيتهما أو التحدث عنهما أو حتى الاشارة اليهما . ان الامجاد والكرامات لتصاب بالنحول والضالة اكثر مما تصاب الابدان ولكن الناس لا يسكون ولا يئنون من نحول وضالة كراماتهم وامجادهم مثلا يفعلون من اجل ابدانهم . .

اذن لا بد من الاشفاق على كثير من اللغات ومن الرثاء لها لان اهلها أو متكلميها لا بد ان يهينوها ويذلوها وان يجعلوها بلا أي تاريخ من المجد أو الكرامة أو الشرف أو الذكاء أو التهذيب أو الحكمة أو العقل أو الوقار ، لانهم لا يملكون شيئا من ذلك . بل انهم بمستوياتهم الحزينة البائسة لا بد ان يحولوا الى فضح شامل لها اي للغاتهم أو للغات التي يتكلمونها ، ولا بد ان يحولوها الى نقيض وقح دميم لهذه المزايا أو للغات التي تملك هذه المزايا . .

وهنا لا بد ان نركع ونخشع ونصمت صمنا رهيبا مرتجفا . لا بد ان نقاسي هنا احتراما تقاساة اللغة العربية . . آه . ارتجفي ايتها النجوم احتراما ومجاملة للمقاساة التي لا بد أن تقاسيها اللغة العربية هنا . نعم ، ليحزن ويبك هنا كل ضمير واحساس كريم وليكن حزنه وبكاؤه بعض ما يجب على اللغة العربية من حزن وبكاء . انها حينما تسمع هذا التقسيم للغات ولحظوظها الجيدة والرديئة ، وحينما تفكر في هذا التقسيم وفي دلالاته وعواقبه المخيفة الاحتمالات والتفاسير ، لا بد ان تقاسي اي اللغة العربية كل المقاساة خوفا من المكان الذي قد يضعها أو لا بد ان يضعها فيه

هذا التقسيم . ان الحديث عن حظوظ اللغات من المجد والكرامة وعن تفاوت هذه الحظوظ لا بد ان يصنع للغة العربية كل الكآبة والقنوط . .

اذن اصدق اعتذارنا اليك ، كل اعتذارنا اليك ايتها اللغة العربية المسكينة . لك منا كل الرثاء والعزاء والمجاملة . ان حديثنا عن تفاوت حظوظ اللغات لا بد ان يصنع لك اقصى الاحزان واقسى احاسيس المآلة . لهذا لا بد من ان نعتذر اليك بكل الصديق والخشوع .

اننا لم نرد او نشته ان نوذيك او نقسو عليك . لقد آذاك وقسا عليك من استقرغوا عليك وفيك كل ضعفهم وصغارهم وصغائرهم وتشوهاتهم الشاملة .

انك لست صانعة تشوهاتك وذنوبك . انها ذنوب وتشوهات مسقطه مستفرغة عليك . . انهم اهلك ومتكلموك . انهم زعماؤك وقادتك وانبيائك ومعلموك ومفكروك وشعراؤك وكتابك الناطقون بك هم الذين استقرغوا عليك كل عارك وجعلوا الصهيل الذق المغرور الكاذب العاجز المتوقح البليد الشاتم المخاصم كل مجدك وكرامتك وكل تاريخك العظيم الخالد . .

لقد وهبوك كل مجد الصهيل والغرور والادعاء والتناول والكذب ان كان هذا أو شيء منه مجدا . . هل يرضيك او يسرك او يمجدك ان يكون هذا هو كل مجدك ؟

ان مجد اية لغة بل ومجد أي شيء لن يكون الا مجدا علميا أو فكريا أو عقليا منطقيا أو مجدا اخلاقيا نفسيا انسانيا تهذيبيا أو فنيا شعريا أو غيرة ، اي بأن تكون اي اللغة قد صبت وتجمعت وتوالدت فيها ثم فاضت وتدفقت منها على الاخرين وعلى ما حولها مواهب وطاقات علمية وعقلية ومنطقية ، وايضا اخلاقية ونفسية وتهذيبية وانسانية ، وايضا مواهب وطاقات فنية وشعرية وغيرها ، لتحفر نفسها في جسد التاريخ وعينييه وضميره واخلاقه وذاكرته ، لتكون فيه خلودا وقوة ومجدا وجمالا . ان مجد اية لغة لن يكون الا نكاء أو حبا أو صدقا أو جمالا نفسيا أو فكريا أو فنيا أو اخلاقيا أو ابداعا وقوة تصوغ الحياة والتاريخ وتقروهما وتفسرهما . .

اذن رفقا باللغة العربية . لا تقرووها لتجدوا فيها شيئا من ذلك أو لتطالبوها بشيء منه . لا تفعلوا ذلك لثلا تقتلوا أو تعذبوا احراجا وتعجزا .

لا تطالبوا اللغة العربية بشيء من ذلك لثلا تعدوا اقصى القساة أو اعذب العابثين . ان اصحاء اللغة العربية هم الذين يغفرون لها وليسوا الذين يطالبونها بالمجد أو يبحثون فيها عن المجد أو يدعون لها اي مجد أو يتحدثون امامها عن اي مجد . .

من هم العلماء والمفكرون العرب الذين صنعوا للغة العربية مجدا علميا أو فكريا ، ومتى وجدوا واين وجدوا أي أو مجدا عقليا أو منطقيا ؟ نزق مثير أو غفلة مثيرة أن نتساءل : اين هم أو من هم الذين صنعوا للغة العربية مجدها المنطقي أو العقلي أو الفكري أو العلمي . انه تساؤل محزن في سذاجته . .

هل يستطيع التاريخ في اي طور من اطواره ان يستعمل هذا التعبير ، اي ان يقول : « هذا علم عربي أو تفكير عربي » ؟ هل جرؤ التاريخ على ان يَطلق بهذا مهما تسامح في استعمالاته اللغوية ؟ أما العقل والمنطق العربيان فينبغي الا يتحدث عنهما أو يفسرهما الا مواقف وتحركات وخطب زعماء وقادة وحكام ومعلمي العروبة • بل هل جاءت في اللغة العربية كلمات : « علم أو علماء أو فكر أو مفكرون » مرادا بها معانيها عند المتحضرين الذين ولدوا العلماء والمفكرين أو الذين ولدهم العلماء والمفكرون ؟ هل استعملت اللغة العربية في اي عصر من عصورها كلمة « تفكير » أو « مفكر » الا تعريبا وتقليدا بلا وعي أو ذكاء أو قصد صادق وبلا احترام أو التزام لعملية التعريب والتقليد ؟

أما استعمالات اللغة العربية لكلمة عقل ومنطق فلا بد أن تهتف : لكما كل المجد ايها العار والتفاهة • ان اية لغة تنطق بكلمة « التفكير أو المنطق العربي » لا بد أن تكون ساخرة أو منافقة أو رائثة أو بائسة ••

أما كلمتا « علم وعلماء » فلم يكن يعنى بهما في كل التاريخ العربي القريب والبعيد الا العلم بالاله وبصفاته وابعاده للجنة والنار وبتقسيمه للناس ليكون اقلهم جدا من اهل الجنة ، وليكون اكثرهم بل ليكونوا كلهم الا اقلهم جدا من اهل النار •• والا العلم بأنه اي الاله مخادع وماكر بل بأنه اخذع وامكر الخادعين الماكرين ، وبأنه خالق وقاتل ، وبأنه يعطي ويمنع ويضرب ويصافح ويحب ويبغض ويبكي ويضحك بلا حساب ، وبأنه اناني اكثر من كل الاطفال والنساء ومن كل الطفافة المصابين باقبح اساليب الانانية ، وبأنه فعال لما يريد لا لما ينبغي او يطلب أو يعقل أو يجمل أو ينفذ ، أي بأنه يفعل بالمشيئة والقدرة والشهوة لا بالمنطق أو العدل أو التخطيط أو التفكير ، وبأنه يفرق بكل القسوة والشمول والنزق بين الناس والكائنات والاشياء بلا هدف أو حكمة أو منطق مفهوم أو غير مفهوم ، بل لانه يريد بهذا التفريق المهين الوقح المتوحش ان يرضى عن نفسه وعن فنه الهمجي وقدرته الحمقاء •• انه يمتدح نفسه بكونه يعطي هذا بكلتا يديه ويضرب بكلتا يديه • ان العلم بهذا علم عربي ••

والا العلم بأنه لا علم الا علمه هو اي علم الاله والا العلم به وبأخلاقه وشهوته ونزواته هذه ، او بأنه لا علم الا علم انبيائه وعلم كتبه المقدسة وعلم اهله وعباده المؤمنين الصادقين المخلصين المصطفين اي العرب والمسلمين وحدهم دون كل العالمين •• اجل ، ان من اعظم علوم العرب واستعمالهم لكلمة علم : ان يعلموا انه لا علم الا علمهم لكونهم عربا وكونهم مسلمين ••

كذلك لم يكن يعنى بهما اي بكلمتي علم وعلماء في كل التاريخ العربي القريب والبعيد الا العلم بالدين والحديث والتفسير وبالتاريخ العربي واللغة العربية وبقواعدها وبعلم الكلام وبالتدليل على وجود الاله وعلى عدد صفاته وعلى انه هو وحده الموحد

والوجود والحق والصدق والفعل والفاعل ، وعلى انه لا اهتمامات له اي لئله أو هموم أو مسرات أو فعل أو تفكير أو رغبة أو أمنية أو حتى وظيفة غير أن يتخاطب مع العرب والمسلمين ، وان ينظر اليهم وينتظر منهم وينتظرهم ، وان يفكر فيهم ويرحب بهم ويبتسم لهم ، وان يؤلف لهم اجمل وارضخم الوعود والهدايا ، وينشد لهم وفيهم ومن اجلهم أروع وأعذب الاناشيد ، وان يحميهم بحراسة مشددة من كل الاعداء والابالسة والاطار ، وان يقرأ عليهم ولهم كل مسراته واحزانه واوصافه . وهل لئله مجد أو سرور أو عمل غير أن يقرأ اوصافه على العرب وان يفسر نفسه لهم ؟

والا العلم بغزواتهم اي غزوات العرب والمسلمين وبفتوحاتهم وبقهرهم لكل العالم وباستيلائهم على كل بلاد الناس وعلى كل بيوتهم واموالهم ورقابهم وكراماتهم وحياتهم وباسترقاقهم لكل اطفالهم ونسائهم ورجالهم وبهدمهم والغائهم لكل اديانهم وتاريخهم ولكل آدابهم ومعارفهم وحضاراتهم وقيمهم وامجادهم ، وبأنهم اي العرب والمسلمين لا بد أن يظلوا هم قادة وحكام ومعلمي وانبياء كل العالم والكون ما بقيت ومضة واحدة في جسد هذه الشمس أو خفقة واحدة في طاقة وهمة اي اعصار في هذا الوجود ، بل ما بقيت في عيني الاله قدرة على أن تريا ، أو في قلبه قدرة على أن يحب ويكره ، أو في اخلاقه قدرة على أن تختار وترفض ، أو في عقله قدرة على أن يفهم ويميز ، أو في ضميره أشواق الى أن يحابي ويعشق . نعم ، وهل قبل الله ان يكون موجودا أو الها الا لكي يجعل العرب هم سادة وقادة وانبياء وعلماء وحكماء كل العالم في كل الازل والابد ؟

أما كلمتا علم وعلما في هذا العصر فان العرب لا يعنون بهما الا قراءة وتفسير أو تمنى ما قاله وفعله الاخرون والا الحديث عنه أو التناول عليه والامساده باستيراد أو استعارة أو استيهاب بعض عطايا ومنجزاته مشوهة مهانة محقرة معتدى عليها ، والا الزعم بانها اي علم الاخرين ليس الا مسروقا من قبور وقصور ومعابد العرب والمسلمين ومن نبواتهم وكتبهم المقدسة بل ومن وحي شعرائهم والهام متصوفتهم . . انك لعالم في فهم العرب للعلم وفي تفسيرهم له اذا علمت انه لا علم الا ما اخذ من قبور وقصور ومعابد العرب .

وايضا فان العرب لا يعنون بكلمتي علم وعلما في العصر الحديث الا العجز عن قراءة وفهم ما علمه وقاله وفعله اولئك الاخرون . نعم ، حتى قراءة علم الاخرين اعظم علماء العرب عاجزون عنها . .

أما القدرة على قراءة وتفسير علم اولئك الاخرين فهذا مستوى علمي اذا استطاع العرب ادعاءه فلا بد ان يجعلهم يجروون على الادعاء بانهم هم الذين علموا الشمس كينوناتها . . اجل ، وهل جاءت الشمس وجاءت كما جاءت الا لكي يروها ويروا بها ويحيوها ويحيوا بها ؟ . . .

ان علماء العرب قد يعنون بالعلم في احاديثهم عنه في هذا العصر العجز عن قراءته والخوف من قراءته لانه كائن غريب عنهم ومخالف لهم ومتفوق عليهم مرهق لهم في جميع مزاياه وشروطه ومستوياته . قد يكون اكتشافهم لردائل العلم ولاخطاره على الدين والاخلاق بل وعلى العقل والصحة والذكاء هو اعلى مستويات العلم عند علماء العرب . .

قد تكون اعظم قفزات علماء العرب العلمية ان يفسقوا العلم ويخونوه ويكفروه ويتهموه بالخروج على تقوى و اخلاق العروبة الاصيلة والاسلام . وهذا الاتهام قد تراه موهبتهم العلمية انفسى اساليب الهجاء . اليس العلم بذنوب العلم هو كل العلم واعلى مستويات العلم عند العرب ؟ هل اخرجت اقلامهم من الكتب مثل الكتب التي تحذر من ذنوب واضرار العلم اي العلم المادي كما يسمونه تحقيرا له ؟

اما المجد الاخلاقي او النفسي او التهذيبي او الانساني او الشعري او الفني بكل معانيه او ببعض معانيه فمن هم هؤلاء الذين يمكن الادعاء بانهم قد وهبوا اللغة العربية او وهبوا شيئا منه ؟ هل وجد هؤلاء ، واين وجدوا ، ومتى وجدوا ؟ ما اوصافهم واسماؤهم وازياؤهم ؟ الى اي قطعان المجتمع ينتمي هؤلاء ؟

هل هم الانبياء ام الزعماء ام القادة ام الحكام ام الكتاب ام المفكرون ام الوعاظ ؟ هل هم خاصة العرب ام عامتهم او خاصتهم وعامتهم ؟

اي هؤلاء يمكن الزعم بانهم قد وهبوا اللغة العربية اي مجد اخلاقي او نفسي او تهذيبي او انساني او فني او شعري ؟

بل اي هؤلاء لا يستطيع اتهامه بل الشهادة له بل الثناء عليه بالزعم له بان جميع ما كان يفعله ويستطيعه ويبرده ويتمناه ان يستفرغ على اللغة العربية كل الوان اللقيح والقبح والعار والسفه والنذالة النفسية والاخلاقية واللغوية ؟ ألم يكن هذا الاستفراغ هو كل مجد وعطايا وبطولات ومواهب وتقوى جميع الانبياء والزعماء والقادة والشعراء والمفكرين والمعلمين العرب في جميع العصور ؟

ان اي قوم لم يستفرغوا على لغتهم مثلما استفرغ هؤلاء على لغتهم العربية او اقبح مما استفرغوا عليها .

ان اية لغة لم يبصق عليها وفيها وبها اردا الاخلاق والنيات والاداب والافنون والتفوس والكلمات الفاحشة العفنة مثلما بصق على اللغة العربية وبصق فيها وبصق بها - مثلما بصقت عليها وفيها وبها كل ذلك كتب العرب المقدسة ونبواتهم واكبر معلميهم وزعمائهم وقاداتهم ومفكريهم وشعرائهم وكتابهم حتى كتب العرب المقدسة ، لقد جاءت لتبصق على الاخلاق والتهذيب والحب والذكاء والحضارة بحجة التعليم للاخلاق والتهذيب والحب والذكاء والحضارة . وهل جاء اي اله او نبي عربي الا ليعلم كل الذنوب الفكرية والنفسية والاخلاقية واللغوية باسم التعليم لنقيض هذه الذنوب ؟

ان هؤلاء هم المتقيثون العظام على اللغة العربية كل أحوالها الاخلاقية والنفسية والفكرية والفنية والشعرية والدينية والمذهبية والتعليمية . اي ان هؤلاء هم الذين تقيثوا على اللغة العربية كل هذه العفونات المزعومة اخلاقا ومثونا وافكارا ودينا وعقائد وتعاليم وشعرا ونقوى ونجوات ووحيا ومحبة انسانية وهداية الى السماء ودلالة عليها اي على السماء وعلى اخلاقها ومجدها ، او تقيثوا باسم ذلك وبزعم الانتصار والغضب والحب له ..

بائسة انت ايتها اللغة العربية .. هل يستطيع كل ما في هذا الكون من بحار وانهار وسحاب ودموع وصلوات ان يغسل عنك بعض هذا العار المتراكم ؟ هل يستطيع كل مجد الحضارة ان يستر شيئا من عارك لو تحول الى غطاء لعارك ؟ او ان يصوغ لك اي مجد بعد تراكم عارك هذا لو تحول اي كل مجد الحضارة الى محاب راث لفقدك كل مجد ؟

هل يستطيع اي شيء بعد هذا التاريخ الطويل المهيمن الاليم ان يهيك شيئا من المجد أو الكرامة أو الجمال أو النظافة ؟ هل تستطيع كل اساليب وعمليات التجميل والتنظيف ان تهيك شيئا من الجمال أو النظافة أو ان تستر شيئا من القبح أو التلويث المتراكم على وجهك ؟

هل تستطيع اية قوة أو معجزة خارقة ان تسحب منك ايتها اللغة العربية البائسة كل ما تقاياته عليك كتبك المقدسة ونبواتها ، وما تقاياه عليك كل قادتك وزعمائك وثوارك ومفكرين ومعلمين وفنانين وشعرائك وجميع اصناف كتابك ؟ هل تستطيع جميع المطهرات والمنظفات العلمية التي ابتكرتها جميع العصور الحضارية ان تشفيك او تطهرك من العفونات التي لطحك بها عباقرتك العظام ؟

اذن يا لغتنا الحزينة المسكينة ، هل كان لك اي مجد أو كرامة في اي عصر من عصورك ؟ اقرئي وراجعي كل تاريخك في جميع عصورك ، كل تاريخك الذي صنعه لك جميع عباقرتك العظام ، وانظري هل تجددين فيه اية علامة من علامات المجد أو الكرامة ؟

اي نبي من انبيائك ، أو قائد أو زعيم أو مفكر أو شاعر أو كاتب من قادتك وزعمائك ومفكرين وشعرائك وكتابتك قد وهبك اي قدر او شيء من ذلك باي اسلوب من الاساليب ؟

نعم ، راجعي وحاسبي كل مخدراتك وموروثاتك ومساراتك يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة ؟ فكري .. اي واحد من هؤلاء لم يصبح لك وفيك وبك عليك عارا وتشوها وسبابا ونذالة وغباء وفتينا نفسيا وفكريا واخلاقيا بل ولغويا صوتيا ؟ ان اردا ما في قضيتك ايتها اللغة العربية ان اعظم واقوى عباقرتك هو اكثر من يلوثك ويعتدى عليك .. !!

آه يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة ، هل وجد مكان أو هل يمكن تصور مكان قد تجمع فيه من العفن مثل الذي تجمع فيك ؟
 بل هل يمكن تصور اي عفن لم ينصب ويتجمع فيك ؟ اذن لتوهبي او تعاري كل ما في الناس والكون والكائنات من احزان ودموع لتدرفيها على شرفك ومجدك المفقودين .

يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة ، هل يستطيع التاريخ ان يتصور او يتذكر او يبتكر مستفرغا للعفونات والقبح يتفوق عليك أو يساويك ؟
 هل يمكن تصور عفن في ضخامة ووقاحة العفن الذي يتجمع في مكان يستفرغ فيه كل انبياء العروبة وكل قادتها وزعمائها ومعلميها ومفكريها وشعرائها وفنانيها وكتابها ووعاظها وعبادها في جميع عصورها وعصورهم ؟ هل تستطيع الطبيعة كل الطبيعة ان تستفرغ كل ما يستطيع هؤلاء ان يستفرغوه من العار والذلات ؟
 آه اذن يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة !!

يقول فارس الصهيل العربي .. المتنبجي كاشفا عن هذه الموهبة الاستفراغية العربية:
 لقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلًا فقل
 ان المطلوب ان يوجد اللسان القادر على الاستفراغ . أما نوع الاستفراغ واسلوبه فليس قضية !! هكذا يقول شاعر العرب وفاضلهم الاكبر المتنبجي . ومكان القول هو الموهبة العربية المتسعة لكل الاستفراغ عليها ومنها .

هل اللغة منطق

سأعني بما سوف اكتبه في الصفحات التالية اللغة العربية وحدها . . . ولست أريد ان انفي او اثبت هنا شيئاً عن اللغات الأخرى مما نفيت عن اللغة العربية أو اثبتت لها . اني محروم من كل العلاقات باللغات الأخرى . وانا لا لجيد القتال أو الخصومة ولا اقسو فيهما الا حينما اقاتل وأخاصم نفسي . .

هل وضعت اللغة العربية أو وضعت قواعدها واستعمالاتها بمنطق أو بحساب ؟ اي هل جاءت بأسلوب أو بصيغة لا يمكن ان تجيء بغيره أو بغيرها ، أو لو جاءت بغيرهما اي بغير الصيغة والأسلوب اللذين جاءت بهما لكانت خارجة على المنطق وعلى الحساب المقدر المحدد بنظام ، أو لكانت متحدية ومفارقة للذكاء والجمال والشاعرية أو لاي شيء من الاحتياجات والخصائص الفنية ، أو لرفض الاله التحدث بها ؟ هل جاءت اللغة اي العربية كما جاءت لانه لا يمكن بل ولا يقبل او يغفر ان تجيء بأسلوب آخر ؟

يقول اقوام لهذا التساؤل : نعم ، ويذهبون ببالفنون جدا في ايمانهم هذا . انهم يرونها اي يرون اللغة العربية لغة فنانة وشاعرة ومنطقية في جميع تركيباتها وقواعدها وحركاتها . انهم يجدونها كل الجمال الممكن والمستطاع والمطلوب والمعروف والمراد . انهم يجدون فيها كل الكمال الذي يجدونه في اخلاق الاله ومنطقه حينما يصنع العامة الرهيبة في الوجه الجميل البريء !!

انهم يرون انها قد جاءت في احسن واذكى تقويم كما خلق الانسان كذلك اي في احسن تقويم كما يقول المؤمنون وكتابهم المقدس اي ان خيال الاله لا يستطيع ان يتصور للانسان صيغة افضل . .

لقد جاءت اي في زعمهم بالمنطق وبالتركيب اللذين لو جاءت بغيرهما لكانت خروجاً على كل منطق وتركيب صحيح ، كما جاء اي في زعمهم ايضاً الكون والانسان وكل شيء . انها لو جاءت غير ما جاءت لما نزلت النبوات والكتب المقدسة العربية بها . . ان الاله اي العربي لا بد ان يرفض حينئذ التكلم بها . هل يتكلم الاله

العربي بلغة ليست مطلقة الكمال ؟

لقد جاء الكون والانسان وكل شيء بكل الشروط المنطقية والاخلاقية والفنية ، بل بكل طاقة وحسابات النطق والخلق والفنون . وهكذا جاءت اللغة العربية لقد وضع الله في اللغة العربية كل الشروط الجمالية والفنية والمنطقية التي يعرفها ويستطيعها ويحبها . . .

لقد جاءت اي اللغة العربية اي في زعمهم كما يجيء اي جهاز او بناء او عمل يتصوره ويريده ويخططه ويخرجه منصور مريد مخطط مخرج كامل في تصوراته وارادته وتخطيطه واخراجه وتفكيره واخلاقه وفي جميع معانيه وقدراته . انهم لا يستطيعون ان يتصوروا انه قد يوجد اي جمال او كمال او منطلق او اية صيغة شاعرية او فنية خارج اللغة العربية . . .

ولكن كيف ذلك ؟ الا تفسرون ؟

نعم . . . مثلا ، الجمل سمي جملا والحمار حمارا والذباب ذبابا والصرصار صرصارا والانسان انسانا والرجل رجلا والمرأة مرأة والسماء سماء والارض ارضا والاله الها والشيطان شيطانا والملك ملاكا والايمان ايمانا والكفر كفرا ، وهكذا كل أسماء الاجناس والاشياء . ليست أسماء هذه المسميات موضوعة ومقروءة في تكوينها مثل احجامها وطعومها والوانها ؟

هل يمكن ان تتبادل هذه المسميات الاسماء ، اي ان يسمى الجمل حمارا والحمار جملا ، ويسمى الاله شيطانا والشيطان الها او ملاكا وتسمى السماء ارضا والارض سماء والرجل امرأة والمرأة رجلا ، وهكذا ؟ ليست استحالة تبادل هذه الاسماء مثل استحالة تبادل صفات واخلاق وخصائص وتفاسير هذه المسميات ؟

ليست الاخلاقية والعقلانية والمنطقية والشاعرية والفنية والغنائية بل والتقوى الدينية والمذهبية ترفض بل وتمنع هذا التبادل كما ترفض وتمنع ان يخلق او يجيء اي شيء من هذه المسميات بغير الصيغة التي خلق او جاء بها ، لا اكبر ولا اصغر ، لا اجمل ولا اقبح ، او ان يجيء الاله اكثر رحمة او شهامة او منطقا او تواضعا او حبا او عدلا او شاعرية او رثاء للمحزونين والمعذبين والمقهورين ، او استماعا الى الباكين والمتأوهين والآنين ، او استجابة للداعين المتلهفين المستغيثين ، او تقبلا ممن يصلون ويتضرعون ويؤملون ، اكثر مما جاء - او ان تجيء الصلوات او اية عبادة من العبادات بغير الصيغة او الاعداد التي جاءت بها او في غير الاوقات والاماكن التي تؤدي فيها ؟ نعم ، هل يستطيع الاله ان يكون خيرا مما كان ؟

ان كان يستطيع فلماذا لم يكن ؟ وان لم يكن يستطيع فوا أسفاه عليه !

ليست عوامل النصب والجزم والجر والرفع وعلاماتها قد جاءت بكل المنطق والذكاء والشاعرية والفنية والحتمية والجمال بحيث يستحيل ان تجيء غير ما جاءت او تكون اكثر جمالا او ذكاء او شاعرية او منطقية او فنية لو انها جاءت غير ما جاءت ، بل او ان يكون فيها اي ذكاء او جمال او منطلق او فن او شعر لو انها جاءت

غير ما جاءت ؟ أليس مجيء الاله اكثر رحمة او حبا او عدلا او رؤوية او ذكاء أو حياء أو تهذيبا يساوي في خروجه على كل النماذج الجمالية والمنطقية والاخلاقية ان تجيء هذه العوامل غير ما جاءت ؟

« ان » واخواتها تنصب الاسم وترفع الخبر ، و « كان » واخواتها تفعل العكس ، فهل يمكن ان تتبادلا العمل ؟ هل يستطاع ذلك ، او هل يمكن ان تاذن به فنون او شروط الجمال او الذكاء والمنطق او الشعر او اي فن من الفنون ؟ ليست كل منهما صارت تعمل بالهام الجمال والفن والشعر والمنطق والذكاء والواجب والمحتم لا بالصدفة او القدر او الفوضى ؟

او هل يمكن او يقبل ان تجيء عوامل الجزم او الرفع او النصب او الجر ، او ان تجيء المجزومات او المرفوعات او المنصوبات او المجرورات غير ما جاءت ؟ ما الذي جعل ذلك يجيء كما جاء لو كان يمكن او ينبغي ان يجيء غير ما جاء ؟ أليس مجيء اي شيء من ذلك غير ما جاء يساوي امكانا ومنطقا واخلاقا وفتنا وجمالا وحضارة وتقوفا ان يجيء الاله او الكون او الانسان او اي شيء بصيغته او ذكائه او اخلاقه او جماله او بأي معنى من معانيه غير ما جاء ؟ كيف وجب الزعم بان صيغة ذات الاله أو الكون أو الانسان أو اي شيء قد جاءت كملا مطلقا وابديا ثم لا يجب ان يزعم مثل هذا الزعم عن جميع صيغ وعوامل واسماء اللغة العربية ؟ أليس مجيء اي شيء من ذلك غير ما جاء او نقيض ما جاء ، اي لو حدث ذلك يساوي ان يجيء ذكاء الانسان العربي او تاريخه أو حضارته أو زيه او منازل وبيوته وخيامه او رماحه وسيوفه او اية موهبة من مواهبه العقلية او النفسية او الاخلاقية او الحضارية او القتالية ، بصيغة او باسلوب اخر ، اقوى او اذكى ؟ ليست قوانين الامكان وشروط العبقرية والحضارة والتفوق والابداع واختيار الافضل والاقصى دائما تمنع وترفض ان يجيء اي شيء من ذلك في الانسان العربي ومنه وله غير ما جاء ؟ اليس الانسان العربي قد جاء بكل احتمالات القدرة والذكاء والجمال والعبقرية التي يستطيع ان يجيء بها ؟

انه لا يمكن ان تجيء اجمل او اذكى او أعظم مما جاءت الا اذا كان ممكنا ان يجيء الذباب او الصرصار او البرغوث غير ما جاء ، او ان يجيء اذكى او اعظم أو اكبر او انظف او اقوى أو أكثر شموخا وكبرياء وكرامة وشهامة مما جاء . هل يمكن الزعم بان صيغة الذباب اكثر جمالا او ذكاء او شاعرية من صيغة اللغة العربية ؟ وهل يمكن الا تكون صيغة الذباب هي كل الجمال والذكاء والفن وقد صاغها منطق الاله و اخلاقه ؟

هكذا يرى ويقول كهان اللغة العربية ، المنصبون لانفسهم قياصرة على السوق باسمها اي باسم اللغة العربية وباسم الاكتشاف والرؤية والتنميجد لمجدها . . انهم يرونها أو هكذا يزعمون ، كملا وجمالا مطلقين . انهم يرونها او يزعمونها كل الممكن والمستطاع . انهم يرون فيها من الاعجاز والكمال المطلقين في جميع معانسي

وتفاسير الاعجاز والكمال بل والامكان والمستطاع مثلما يرون في القرآن . .

ايهما المعلم للاخر : القرآن ام اللغة العربية ؟ ليست للغة العربية هي التي علمت القرآن كل فنونه وعبقرياته ؟ هل كان للقرآن معلم غير اللغة العربية ؟ أليس الله قد صاغ كل فنونه البلاغية والجمالية في قرآنه اخذا عن اللغة العربية واحتذاء بها ؟ ليسوا يرون ويقولون او يقولون فقط : ان كل آية وصياغة ولفظة ومدة ووقفة في القرآن هي كل الاعجاز والكمال بل وكل الممكن والمستطاع ، وان اي تغيير لاي شيء من ذلك اي في القرآن لن يكون الا خروجا على كل الاعجاز والجمال والمنطق والممكن والمستطاع ؟ حتى الاله الذي هو قائله ومنزله لا يستطيع ان يبذل اي شيء فيه اي في القرآن لانه قد قاله وانزله بعد ان وضع فيه كل الاعجاز والجمال والمنطق والشاعرية والفنية بل وكل الممكن والمستطاع ، بعد ان وضع فيه كل معانيه ومزاياه . اليبس محتوما ان الله قد وضع في القرآن كل معانيه ومزاياه ؟

وهل يستطيع او يريد الاله ان يخرج على اي شيء من المنطق او الجمال او الاعجاز او الشاعرية والفنية او على كل الممكن والمستطاع ، او ان يفعل ذلك ؟ . . ولا بد من التذكر هنا ان عبقرية القرآن ليست الا اخذا عن عبقرية اللغة العربية وتقليدا لها .

نعم ، ليس الله كمالا مطلقا ؟ وهل يستطيع او يريد الكامل كمالا مطلقا ان يفعل غير الكمال المطلق ؟ وقد فعل الله القرآن . اذن لا بد ان يكون اي القرآن كمالا مطلقا . اذن فان اي تغيير ولو خطأ في اي حرف من حروف القرآن فليس الا عدوانا على ذات الاله وفسادا لها .

اذن فالله لا يريد ولا يستطيع ان يغير اية آية او لفظة او صياغة في القرآن لانه لو فعل ذلك لكان خارجا على الجمال والكمال المطلقين ، بل لكان مشوها لذاته معتديا على كمالها بل منكرا لكمالها وجمالها ، بل لكان فاعلا المستحيل وغير الممكن - لكان فاعلا القبح والسفه والبلادة والرداءة . ان تغيير اية لفظة او حرف في القرآن ليساوي في خروجه على منطق الاله وكماله وتدبيره سحب الشمس من قيادة الكون الذي نوجد ونعيش فيه . .

ان كهان اللغة العربية هؤلاء ، المنصبين انفسهم قياصرة فوق غفلة وسذاجة الانسان العربي بحجة التمجيد لها اي اللغة العربية وبحجة الاكتشاف والرؤية لاعجازها ولعبقرياتها ليرونها ويفسرونها بالمنطق والافتتاع والاسلوب الذي يرى ويفسر به الرعاظ ومعلمو الايمان ، الاعجاز الجمالي والمنطقي والفني والاخلاقي والانساني والالهي في الصيغة العبقرية التي خلق بها الذباب والبرغوث والصرصار ، والتي استفرغ الله فيها اي في صيغة الذباب والبرغوث والصرصار كل ذكائه وحبه ورحمته ونظافته وجماله وكل فنونه النفسية والفكرية والاخلاقية والشاعرية . . هل يستطيع ان ينكر اي مؤمن ان الله قد استفرغ في ذات الذباب كل مواهبه الفنية والنفسية والفكرية والاخلاقية ؟ وهل يظل مؤمنا من ينكر ذلك ؟

اجل ، لقد جاءت اللغة العربية بكل الجمال والتدبير والتخطيط والمنطق والذكاء والاعجاز والعبقريّة التي جاء بها وجه الانسان العربي والتي جاءت بها صحراؤه وجباله ووديانه وجماله واغنامه وحدأؤه ، بل والتي جاءت بها عبقریات ومواهب شيوخه وانبيائه وعلماؤه وخطبائه .

هل يمكن الزعم او الاقتناع بان في اللغة العربية من المواهب او الفنون الجمالية او المنطقية او التخطيطية او الاعجازية أكثر مما في زعماء او انبياء او خلفاء او خطباء العرب أو في صحرائها واغنامها وحدائها من ذلك ؟؟

انه لا يمكن الزعم بان اللغة العربية جمال او ذكاء او منطق او تدبير او تخطيط او كمال ، او انها شاعرة او فنانة او ان فيها شيئا من ذلك الا اذا كان ممكنا الزعم بان شيئا من ذلك كذلك او في ذلك او في هذه أو في احد من هؤلاء . . ان النبوات والزعامات والخلافات والصحارى والجبال العربية هي التي وهبت اللغة العربية كل فنونها واخلاقها وذكائها وجمالها فكيف يمكن ان تكون اي اللغة العربية اعظم مسن واهيها ؟

لقد جاءت اللغة العربية منطقية كمنطقية الصحراء التي تخلقت فوقها ، او التي عاشت وتعيش فوقها . . كم كانت عينا الاله فنانيتين في رؤية الجمال وفي تصويره حينما ابتكرتا جمال صحراء العرب ؟ وكم كانتا سعيدتين بالتحديق في جمالها ؟ هل يستطيع اي زاعم مغامر مخاطر في مزاعمه ان يزعم ان في اللغة العربية من الموهبة الجمالية او المنطقية او الفنية او الغنائية او الحتمية او الاخلاقية اكثر مما في العبادة العربية ؟ اليست العبادة العربية فنا عربيا وكذا اللغة العربية ؟ فهل يمكن ان يكون العرب قد وضعوا فنهم في اللغة وحرموا منه العبادة ؟

انه لو سئلت « ان » واخواتها : لماذا جاءت تنصب الاسم وترفع الخبر ولم تجيء العكس او ترفع الاسم والخبر او تنصبهما او تجزمهما او تجرهما او لا تفعل شيئا لما وجدت جوابا افضل من جواب « كان » واخواتها لو انها سئلت : لماذا جاءت ترفع الاسم وتنصب الخبر ولم تجيء شيئا اخر ، أو من جواب الصحراء العربية او من جواب العبادة العربية لو انها سئلت : لماذا لم تجيء شيئا اذكى او افضل او اكثر تحضرا ومنطقا ، او من جواب الاله لو انه سئل : لماذا جاء يصيب بالنشوة والعمائم وبالامراض والشيوخوخة والموت والهوان والغباء - لماذا لم يجيء أكثر حياء ووقارا وذكاء وحباً ورحمة ومروءة ونخوة وعدلا وانسانية وايتاراً - لماذا لم يجيء محاسبا محاكما معاتبا لنفسه ، مقتصا منها ، محققا في ذنوبها واخطائها ونزواتها ومطامحها اقوى واقسى واذكى مما جاء . . !!

وهل يمكن ان يوجد جواب يساوي ضعف جواب الاله وعجزه لو انه سئل سؤال محاسبة ومحاكمة : لماذا جئت ايها الاله كما جئت في كينونتك وفي كائناتك ؟ بل انه لن يجد جوابا . . الا يحتمل ان يكون الاله قد سال نفسه هذا السؤال ؟ هل يوجد مثله خمولا وغفلة ان لم يكن قد ساله ؟

اللغة لم توضع وانما جاءت بلا اي منطق او تخطيط كما جاءت وتجيء الطبيعة ، كما جاءت الجبال والسهول والصحاري والبحار والصحور ، وكما جاءت وتجيء ذات الانسان واحزانه ومسراته واحقاده واهواؤه وشهواته واساليب تلاقحه وتناسله ، وكما جاءت وتجيء اصوات وتغريدات واغاني ونقيق الحيوانات والطيور والحشرات ..

لن يكون محتملا ان تكون اللغة قد وضعت بتدبير أو تفكير الا بقدر ما هو محتمل ان خفقات القلب وارتجاج العضلات وتقاطر العبرات وتبدلات اللون والوجه حبا أو بغضا أو خوفا أو فرحا أو اعجابا أو اشمئزا أو رضا أو غضبا أو صحة أو تعباً ومرضا قد وضعت بتدبير أو تفكير .. ولكن هل جاءت اي اللغة حينما جاءت بقواعد وعوامل متحددة موقعة اي بالاستعمال لا بالتخطيط ولا بالمنطق ، اذ هي بلا تخطيط ولا منطق كما سبق ، يلتزم بها اي بالقواعد والعوامل الضابطة لحركات الكلمات الاخيرة متكلموها ، يلتزمون بها استعمالا ونطقا لا قصدا ولا فهما ؟ هل جاءت منطوقة بالاسلوب والضبط الذي تطالب به وتعلمه القواعد قبل ان توضع وتعلم القواعد ؟

اي هل كان النطق بها متحددا ومتوحدا في استعمالات الذين يتكلمونها والذين جاءت اليهم مجيئا او تفجرت فيهم تفجرا دون ان يضعوها بالتدبير او التخطيط او النطق او القصد والفهم والارادة الواعية ؟

اي هل كان جميع اولئك الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية يلتزمون استعمالا ونطقا بما عرف بعد ذلك بعوامل الرفع والنصب والجزم والجر وبكل القواعد والاستعمالات الاخرى التي حولت قوانين وضوابط صارمة محتومة مدروسة ملفنة ، ام كانوا يطلقون الكلمات جزافا بالاسلوب الذي به يعملون ويتحركون ويصوتون ويحبون ويبغضون ويحقدون ويشتمون ويتهمون ويصدقون ويكذبون ، وبالاسلوب الذي به يتناسلون ويؤمنون ويصلون ويدعون الاله ويرشونه ويؤملونه ويتصورونه ويخافونه ويفهمونه ، وبالاسلوب الذي يفكرون ويفهمون ويفرؤون ويفسرون ويرون ويسمعون به الاحداث والاشياء والكون ؟ هل كان في فم الانسان العربي جهاز آلي ذاتي يضبط حركات اخر الكلمات المتبدلة ضبطا آليا ذاتيا وان هذا الجهاز يتخلق في فمه دون ان يعلم او يدبر او يريد مثلما تتخلق فيه اعضاؤه والامه وتفاهاته ومجاعاته ؟

ان اجوبة كهان اللغة على هذه التساؤلات معروفة وموحدة محددة ، ولا يمكن ان تختلف الا بقدر ما يمكن ان تختلف اجوبة انبياء العرب وفقهاء دينهم على هذا التساؤل : هل اخلاق الاله وتدبيراته وافكاره وانفعالاته هي افضل ما يستطيع او يراد ويطلب ويتصور من الاخلاق والتدبيرات والافكار والانفعالات ، او هل في خلق الحشرات والمهام والتشوهات والأمراض مجد او مسرة او نكاه او عزاء للاله او للانسان او لاي كائن اخر ، او جمال لاي عقل او عين محدقة تبحث عن الجمال

والفن والشعر في الصيغة او في الفكرة او القدرة او الشهوة او الحاجة او الحافز او في المعنى او التفسير . . . ان اجوبة هؤلاء الكهان على هذا التساؤل لن تختلف الا اذا كان ممكنا ان تختلف اجوبة انبياء وخلفاء وسلاطين ومعلمي العرب لو سئلوا : هل ربح او مجد او سرور او راحة لئله ان يوجد وان يوجد كما وجد او ان يوجد الكون والانسان وان يوجد كما اوجدهما ، او ان تكون له عينان يرى بهما التشوهات والمعاهات والدمامات التي ارادتها ودبرتها واخرجتها مواهبه .

ولا بد ان رأيا اخر يرى من الصعب جدا او من غير المستطاع ان يكون اولئك الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية بلا تعليم او تدبير او تفكير كانوا يلتزمون في نطقهم بتلك القواعد والعوامل اي عوامل الرفع والنصب والجر والجزم سليقة او تقليدا متتابعا . . . اي ان يكونوا بالسليقة او التتابع او الالهام او الموهبة او باي سبب او تفسير اخر غير التعليم والتفكير والتدبير ، يستطيعون جميعا ان يلتزموا نطقا بضبط حركات اخر الكلمات اي رفعا ونصبا وجزما وجرما مع تعدد وتداخل وتشابه العوامل المختلفة الرافعة والناصبة والجازمة والجارية ، او يستطيعون جميعا الالتزام اي نطقا بكل ما تقوله القواعد الصعبة الكثيرة المعلمة ، النحوية والصرفية . . . هل يمكن ان تكون هذه القضية موضوعا من موضوعات العبقرية ؟ اي هل يمكن ان يتفوق فيها العبقري على من سواه ؟

هل يستطيع اي انسان او مجتمع بالتقليد او التتابع او الالهام او الموهبة او السليقة ان يلتزم اي استعمالا بكل ما تقوله القواعد التي وضعها وحددها وفسرها وضبطها علماء النحو والصرف بدون ان يعلمها او يفهمها او يفكر فيها او يعانيتها او يحصيتها احصاء تعليميا ؟

هل هذا شيء يستطاع بالذكاء او بالحماس او بالرغبة مهما كان مستواها وقوتها ؟

وماذا يمكن ان تقول التجربة في هذه القضية لو جربت ؟

ما الذي يمكن ان يحدث لو ان انسانا وضع من يوم ولادته بين قوم يتكلمون اللغة العربية ملتزمين في نطقهم بجميع قواعدها وبجميع عوامل حركاتها التي تعلموها بالقياساة والتدبير والتفكير ؟

هل يمكن ان يستطيع هذا الانسان الالتزام في نطقه بهذه القواعد والعوامل لانه سمع وقلد واتبع دون ان يتعلم هذه القواعد والعوامل ويحفظها ويقاسي في احصائها وحفظها وفهمها وفي الالتزام بها ؟ هل تستطيع ان توزع اسماء على مسمياتها لانك فقط سمعت اسماء معينة لمسميات معينة بلا تحديد ؟

اذن لعل الصواب ان اولئك العرب الاوائل لم يكونوا اي في استعمالاتهم يضبطون او يستطيعون ان يصبطوا حركات الكلمات كما تقول وتطالب لقواعد والعوامل التي وضعت بعد ذلك التاريخ . لعلمهم قد اتهموا بذلك اتهاما فصدق هذا الاتهام دون اية محاسبة او مراجعة او مساءلة . . .

لعلها كانت فوضى كما كان كل شيء فوضى . كيف يمكن الزعم بان النطق بالكلمات وضبط حركاتها هو وحده الذي كان مضبوطا ومنظما وموحدا محددًا في مجتمع كان كل ما فيه رؤية بلا عيون ، وعيونا بلا رؤية ، ونتاج ومسلّمات بلا مقدمات او محاسبة ، وطبولا بلا موسيقى أو أوزان ، وقوافي وأوزان بلا شعر أو شعراء ، وإيماننا بلا اقتناع أو حوار ، وصحارى بلا حدود أو علامات أو طرق أو ترويض ؟ لنقرأ هذا . ان الحرف الاول والثاني من كلمة رجل او جمل أو حجر يستطاع

بلا صعوبة ضبطهما وحفظهما بالاستماع والتعويد المتكرر . ولكن الحروف الاخيرة من هذه الكلمات متغيرة لتغير العوامل المتحركة فيها . اذن لا يستطاع حفظها حفظا ولا ضبطها بالاستماع والتكرار لانها متحركة حركة سريعة ودائمة ، لهذا هي محتاجة الى التعليم والتفكير والفهم والمقاساة . انه ليتمكن حفظ الحروف الثابتة وضبط النطق بها بالتعويد والتكرار . ولكن الصعوبة او الاستحالة في ضبط وحفظ الحروف المتحركة المتغيرة بلا تعليم ومعاناة .

اذن كيف يستطاع بالسليقة او السماع او الموهبة او التعويد او التكرار او باي تفسير اخر ضبط حركات الحروف الاخيرة المتبدلة المتحركة لتبدل وتحرك العوامل المختلفة عليها ؟ ان مثل هذا الضبط ليس وظيفة سليقة او سماع أو موهبة او تعويد او تكرار او ارادة أو حماس ولن يكون هذه الوظيفة . . . نعم ، ثم جاء صانعو القيود والاكفان ووضعوا للغة قواعدا وعوامل حركاتها المختلفة وعددها وزعموها قد انزلت معها .

انهم انبياء اللغة وسلاطينها الذين صنعوا لها قيودها واكفانها . ولا شيء بلا انبياء او سلاطين حتى ولا اللغات ، ولا انبياء او سلاطين الا ولا بد ان يصنعوا القيود والاكفان حتى ولا انبياء اللغات وسلاطينها . . . وهل يوجد من لا يريدون ان يكونوا صناع قيود واكفان . . . ان يكونوا سلاطين وانبياء ؟ ان صناعة القيود والاكفان مجد وشهوة . انها اي صناعة القيود والاكفان هي كل شهوة الانبياء والسلاطين وكل مجدهم . وان شهوة ومجد صانعي القيود والاكفان في صناعتهم هذه لا في موضوع القضية التي صنعوا باسمها القيود والاكفان . . . ان اي نبي او سلطان او عارض لنفسه في السوق او فوق ماذن المعابد لن يجد لوجوده تفسيراً أو معنى او تاريخاً ولا لمجده مجدا ما لم يكن صانع قيود واكفان ، وما لم تتحول قيوده واكفانه الى تاريخ يعلم ويهاب ويمجد ويطاع . . . ليست اكثر الامجاد التاريخية واقواها هي امجاد قيود واكفان ، واقوى التعاليم هي التي تعلم هذه الامجاد ؟

وقد زعم هؤلاء الانبياء والسلاطين ان جميع من نطقوا اللغة العربية في تلك العصور التي كانت قبلهم كانوا بسليقتهم وموهبتهم وبولادتهم محافظين على الالتزام بهذه القواعد والعوامل المختلفة المتبدلة بلا اي اختراق أو خروج ، وانهم هم لم يكونوا لذلك الا معددين ومحددين ومفسرين ومعلمين لاشياء كانت موجودة . . .

انهم لم يكونوا الا كتاب وحفاظ وحي وناقلي ومعلمي نبوات . انهم انبياء بالتعليم والتفسير والرواية .

انهم لم يكونوا الا انبياء وسلاطين يحفظون ويقرؤون وينقلون وحيًا ويحولونه الى شرائع وتعاليم وكتب مقدسة تعلم وتفسر ويلزمون بها ويعلنون زُندقة وخيانة كل من لم يلتزموا بهذا الوحي في اقتناعهم وسلوكهم واستعمالاتهم . نعم ، ان انبياء وسلاطين اللغة العربية ليحكمون بالزُندقة والخيانة على من لا يلتزمون بتعاليمهم فيها كما يحكم مفسرو الذين على من لا يؤمنون بتفاسيرهم له . . .

ان هؤلاء المعلمين المفسرين المعددين لقبود اللغة ولاكفانها او الصانعين لقبودها واكفانها لم يتذكروا باهتمام او بتصادم هذا السؤال :

اذا كان من المستطاع الالتزام بقواعد اللغة التي فسرتم وعددتم او التي زعمتم ووضعتم - اذا كان من المستطاع الالتزام بها بالمحاكاة والسماع والولادة فكيف اذن لم يستمر هذا الالتزام ، وكيف احتاج الى ان يصبح تعليماً ومعاناة صعبة ، والى ان يصبح له اي لهذا الالتزام بهذه القواعد كل هؤلاء الانبياء والسلاطين والكهان والعلمين، ومع هذا يظل اي هذا الالتزام شيئاً صعباً ومعجزاً . بل لقد كان هذا الالتزام محتوماً بالطبيعة وبالقدر ثم صار العجز عنه محتوماً بالطبيعة والقدر اي في رأي هؤلاء . فكيف حدث هذا ؟

هل فقد الانسان العربي موهبة المحاكاة والتقليد والسماع ؟ هل فقدت اذنه ان تسمع ولسانه ان يقلد ويحكي ؟ هل يحدث ان تفقد الاذان والالسنه وظائفها واخلاقتها في مجتمع باسره ؟ لقد ماتت فيه اي في الانسان العربي عبقرية التفكير والابداع والابتكار والحضارة التي كان هو والدها وواهبها الاول او نسيها او سحبت واغتصبت منه كما اغتصبت منه يوماً ما حرية بلاده ، فهل ماتت فيه ايضاً او نسيت او سحبت او اغتصبت منه موهبة السماع والمحاكاة ؟

ومهما ماتت او فقدت جميع المواهب فهل يمكن ان تموت او تفقد موهبة السماع والمحاكاة ؟

نعم ان هؤلاء لم يتذكروا هذا التساؤل باهتمام او بتصادم ووعي ، لهذا زعموا ان الانسان العربي كان ، في ذلك التاريخ او في تاريخ ما ، يعرف قواعد اللغة وعوامل الاعراب المختلفة فيها ويلتزمها نطقاً بالسماع والمحاكاة ، ثم فقد القدرة على هذه المعرفة وعلى هذا الالتزام نطقاً . هل اصيبت اذناه وفمه بعامة ما قتلت فيهما وظيفتهما ام كانت فيهما موهبة فسحبت منهما او ابطلت قدرتها على العمل ؟ كيف لم يحاور زعمهم هذا ، هذا التساؤل :

اذا كان في الانسان العربي القدرة الموروثة على ان يعرب لفته وعلى ان يعرف ويلتزم قواعد وعوامل الاعراب والحركة فيها بالسماع بل وبالفتوة فكيف فقد هذه القدرة والفتوة المولودة . . . وهل القدرات او المواهب الموروثة او المولودة كما يورث ويولد اللون والاعضاء والتكوين الذاتي - نعم ، هل هذه القدرات او المواهب تفقد من

المجتمعات أو من السلالات فقدنا شاملا ويتساوى الفاقدون لها في فقدهم لها . هل يفقد الإنسان حاسة اللمس أو الشم أو السماع بالنسيان أو الإهمال أو بالخطيئة ؟ هل يمكن أن يفقد جميع أفراد مجتمع من المجتمعات قدرتهم على أن يتعلموا القراءة والكتابة ، أو قدرتهم على أن يبكوا ويضحكوا أو يسرروا ويحزنوا ، أو قدرتهم على أن يسقطوا ويهونوا أو على أن يكذبوا وينافقوا أو على أن يصدقوا الأكاذيب ويحترموا الأوغاد ؟ .

أما إذا لم يكن الإنسان العربي يملك هذه القدرة أو الموهبة الإعرابية أو السماعية الفطرية ، هذه القدرة أو الموهبة في أذنيه وفطرته فكيف أذن كان في ذلك التاريخ يعرف ويلتزم في نطقه كل قواعد الإعراب وعوامل الحركة المتبجلة أي قبل أن يضعوا هم قواعدهم المعقدة الصعبة بكل هذا التعديد والتحديد والتقيد والمقاساة . . . ؟ قوم كانوا يرون ويسمعون وهم بلا أذان وعيون ثم أصبحوا لا يرون ولا يسمعون إلا إذا ركبت لهم أذان وعيون !! . . . هل يحدث هذا ؟

ليس هذا الزعم يساوي أو يشبه الزعم أن العرب أو أن أي اقوام آخرين كانوا في تاريخ ما يولدون يعرفون القراءة والكتابة أي بلا تعليم وقبل أي تعليم ، ثم أصبحوا يولدون ولا أحد منهم يستطيع أن يعرف القراءة أو الكتابة إلا بالتعليم ؟ قوم كانوا يصنعون العبقريات والحضارات ويبتكرون كل المعارف وهم أعراب أميون ثم أصبحوا لا يصنعون شيئا من ذلك مهما تعلموا وواجهوا من يصنعون كل ذلك . هل تصدقون هذا ؟

هل يمكن أن يصدق الزعم أن معرفة قواعد الإعراب المعقدة الصعبة جدا بالسمع أو المحاكاة أو الوراثة أو بالسليقة أسهل من معرفة القراءة والكتابة بالمولد أو بالوهبة أو بالقدر ؟ ليست معرفة القراءة والكتابة برؤية من يكتبون ويقرؤون أسهل من معرفة أعراب الكلمات المتغيرة والالتزام بهذه المعرفة بالسمع والمحاكاة ؟ أو هل يصدق الزعم بأن سحب هذه المعرفة التي كانت في كل أفراد الأجيال السابقة من كل أفراد الأجيال اللاحقة أسهل من سحب المعرفة الأخرى التي كانت أيضا في جميع أفراد الأجيال السابقة من جميع أفراد الأجيال اللاحقة ؟ أليس سحب البلاغات والبلادات التي كانت في السابقين من اللاحقين أسهل من سحب هذه المعرفة ؟ أذن كيف بقيت البلاغات والبلادات ؟

كيف يستطيع أي زاعم أن يزعم أن العرب كانوا جميعا في وقت من تاريخهم يعرفون نطقا واستعمالا كل قواعد الإعراب بلا أي تعليم بل بالسمع والفطرة ، ثم أصبحوا جميعا لا يعرفون شيئا من ذلك إلا بالتعليم والمقاساة الصعبة جدا ، بل قد يعجزون عن معرفة ذلك حتى بالتعليم والمقاساة ؟

هل الموهبة أو السليقة التي تولد ولادة يمكن أن تسحب أو تفقد أو تنسى في الأجيال القادمة ؟

نعم ، لعلها لم تكن قد وجدت في ذلك التاريخ لغة عربية متكاملة او لغة يمكن ان تحسب او تزعم او تعد لغة حين تعدد او تحصى اللغات ، وانما كان يوجد ما يمكن ان يسمى او يظن مشروع لغة او قصاصات او ملامح او علامات لغة او اعراض لغة او حاجة الى لغة . . . ليس من المستطاع جدا ان يعيش قوم من الاقوام بمشروع لغة او بقصاصات لغة لم تصبح لغة ؟

وقد يؤيد هذا الرأي او الاحتمال او يأذن بابدائه او يحرض على ابدائه انه لم تكن توجد اي في ذلك التاريخ اية علامة من علامات اللغات ، من العلامات التي يجب ان توجد في كل لغة متكاملة ، بل التي لا بد ان توجد . . .

انها لم تكن توجد اي في ذلك التاريخ كتب ولا افكار او مذاهب او نظريات او دراسات او فنون او قوانين او اية معرفة من المعارف الانسانية الجيدة ، موضوعة في اللغة العربية او منقولة اليها . لقد كانت لغة اي افتراضا بلا اي تعبير او خلق من تعبيرات اللغات او من اخلاقها . ليست للغة اخلاق وشروط ؟

هل يمكن ان توجد لغة جيدة او متكاملة دون ان يوجد معها او فيها شيء من ذلك او كل ذلك ، شيء من تعبيراتها او معانيها او اخلاقها ؟

لغة بلا تفاسير او مجد او تاريخ لغة او كينونة لغة . . . هل يمكن هذا ؟ وهل يمكن ان يكون لاي قوم لغة دون ان يتخاطبوا معها وبها وان تتخاطب معهم وبهم ان كانت هذه اللغة تعني حقا اللغة ؟

وهل اللغة الاتخاطب قوم اي الا كينونة وتاريخ قوم متحولين الى تعابير عديدة التفاسير ؟

هل يمكن ان يكون هذا التخاطب بين اية لغة واهلها دون ان يتحول هذا التخاطب الى كتب ونظريات ومذاهب والى فنون وقوانين ومعارف على مستوى من المستويات الجيدة او الرديئة ، اي مكتوبة ؟ ليست اللغة ، كل لغة تحويلا للنفس وللذات ولواجهاتها الى صيغ فكرية او فنية او اخلاقية او عاطفية ؟

نعم ، لعل لم تكن توجد في ذلك التاريخ لغة عربية صحيحة لان اية علامة من علامات اية لغة صحيحة لم تكن موجودة في اللغة العربية باي اسلوب ، ولكن جاء هؤلاء الواضعون الواضعون فوضعوا اللغة العربية اي فصاغوها واخرجوها وضخموها وحولوها الى قواعد وحدود ، وشيدوها بالعوامل والضوابط والعلامات ، وزعموها موضوعة ومحكومة ومفسرة باذكي واقسى القوانين المحسوبة باذكي واقرى للعقول . . . الا يمكن أن يزعم لقوم صياغة لغة كما تزعم لهم المعتقدات والانتصارات والمزايا والامجاد التاريخية التي لم تكن الا وضعا وتأليفا وادعاء ؟

نعم ، لعل هؤلاء هم الذين وهبوا اللغة العربية كل ذلك ، كما انهم هم الذين وهبوا وهبوا اهلها كل هذا التراث الواسع الثقيل المخشور به من الفلسفات والدراسات والنظريات والمذاهب والعقائد والتعاليم والمحاورات والمناطحات المحولة الى اكبر الكتب واكثرها صفحات ، واقسامها عدوانا على أسواق الورق وعلى المواد

الاولية التي يصنع منها الورق . مسكين ورق الكتابة . لعله لا شيء مثله يعتدى على كرامته وعلى ذكائه وحيائه وصدقه وهيئته . . . يعتدى عليه الكتاب العربي .

لعل العربي كان في ذلك التاريخ ينطق بالكلمة دون أن يبالي بان تكون مرفوعة أو منصوبة أو مجزومة أو مجرورة بل دون أن يعرف ذلك أو يفكر فيه أو يعرف الفرق بين هذا أو هذا ، أو أن هذا الفرق لو وجد يعني شيئاً ، أو أن هذا شيء ، يجب أن يكون أو أن يعطي اي اهتمام . كيف ، هل يحتمل ان العربي في ذلك التاريخ كان يهتم أو يبالي بحركة اخر الكلمات ؟ هل كان مشحوناً أو مصاباً بالاهتمامات على هذا المستوى ؟ اجل ، لعله كان ينطق بالكلمات مثلما كان يحيا ويموت ويمرض ويحس ويكره ويصادق ويبغض ويؤمن ويصلي ، ومثلما كان يدعو الهه ويتصوره ويرجوه وينتظر منه ويصفه ، ومثلما كان يفضل قبيلته على جميع القبائل الاخرى وعلى جميع الناس ، ويراهم هي كل المجد والبطولة والسخاء والانتصار والعبقرية بل كل التاريخ ، اي دون ان يعرف او يحاول او يبالي ان يعرف لماذا يفعل ويقول ويعتقد ويتصور ويريد ذلك كذلك ، بل دون ان يعرف ان عليه ان يعرف ، او ان هناك صيفا ومستويات قد تكون اذكي وافضل واقوى من صيفه ومستوياته ، او ان هناك اقواما اخرين قد يكون لديهم اعظم مما لديه ، وان عليه ان يقرأهم أو يسمعهم أو يحدق فيهم أو يحاورهم او يصلي في محاربتهم ليرى هل يمكن ان يتعلم منهم او يأخذ عنهم أو ان ينافس او يزاحم او يكائر مزاياهم . هل يحتمل ان يكون اهتمامه بحركات الكلمات اكثر من اهتمامه بفكره او بعقله او بايمانه او باخلاقه او بالهه او بكل أساليب حياته ؟

لعله اي الانسان العربي كان كذلك حتى جاء هؤلاء الموضوعون الموضوعون فزعموا عليه وله مزاعمهم وحكموا عليه باحكامهم وحلوه الى رعية لهم ، يعلمونه ويلزمونه ويأمرونه وينهونه ويصنعون له قيوده . لعل الانسان العربي في ذلك التاريخ قد وهب كل مجد لغته وثقافته بالاسلوب الذي وهب به في هذا العصر كل مجد نفضه . . . انها لمغامرة او مجازفة او سفاهة في الرأي او كل ذلك ان يزعم اي زاعم ان الانسان العربي في ذلك التاريخ قد وضع لغته في صيغتها النهائية ، وقيدتها بكل قواعدها ، وضبطها بكل عواملها وحركاتها واخرجها اخرجاً كاملاً لا يحتاج الى اي عمل أو تدخل بل ولا الى أية مراجعة أو محاورة أو محاسبة أو الى تمن عليه او له ، سوى أن تحشد له أضخم العبقريات لكي تفهمه وتفسره وتتحدث بانبهار وانقهار ورهبانية عن فنون جماله واعجازه .

بل ونتحدث عن انها اي اللغة العربية قد أصبحت لما فيها من فنون العبقريات هي معجزة العرب الاولى والاخيرة والدائمة التي تحدوا وفاخروا وقاتلوا بها كل من في الكون من بشر وجان وعوالم اخرى ، اي حينما تحولت اي اللغة العربية الى كتاب مقدس هو القرآن ، بل أصبحت حينما تحولت الى هذا الكتاب المقدس أو حينما وضعت فيه أو وضع بها ، أصبحت معجزة الاله التي ذهب بكل الكبرياء وبكل النزق

والفرح يتحدى بها كل أحد وكل شيء ، واثقا بفرور كبير أو بتواضع مفرور ان احدا
 لن يتحدى تحديه . نعم ، حتى الاله يتحدى ببلاغته وعبقريته وبذكائه . . هل يوجد
 ما يصنع الخجل والاشمئزاز مثل ان يتحدى الاله ؟

اجل ، ان القرآن قد اصبحت معجزا لكل من في الكون ومتحديا له لانه قد تحدث
 وصاغ نفسه باللغة العربية لا لانه معجز بمزاياه الذاتية أو التفسيرية او-التعليمية .
 ان هذه المزايا صغيرة وبسيطة ، بل انها ليست مزايا . ولكن ميزته الكبرى
 التي تحولت الى اعجاز كوني ابدى هي انه قد وضع في اللغة العربية .

هل اختار الله العرب ليبعث اليهم ومنهم اعظم وخاتم انبيائه الا اعجابا بلغتهم
 والا لانه يريد ان يمجد نفسه ويرضى عنها لانه قد تكلم بلغتهم ؟ ان اللغة العربية هي
 التي وهبت القرآن اعجازه ومجده وليس هو الواهب لها ، وان الاله لم يصبح ولم يعد
 معجزا ببلاغته الا حينما تكلم باللغة العربية . .

لقد تكلم الله بلغات اخرى وصاغ تعاليمه وشرائعه وتهديداته ووحيه بتلك
 اللغات الاخرى . . فهل اصبحت كتبه المقدسة المنزلة بتلك اللغات التي لم تكن اللغة
 العربية معجزة ؟ هل عدناها معجزة ؟

بل هل يمكن ان يعد الله بليغا حينما تكلم بأية لغة لم تكن هي اللغة العربية ؟
 اذن فروؤيتنا القرآن معجزا كانت لانه جاء باللغة العربية لا لانه كلام اله .
 صعب جدا ان تعد معاني القرآن وتعاليمه معجزة او حتى عظيمة . انها مجموعة من
 الاسواق الامية في حضاراتها واخلاقها . اذن اعجاز القرآن في لغته لا في تعاليمه
 او معانيه .

نعم ليست مغامرة وسفاهة في الرأي كبرى ، الزعم ان الانسان العربي قد
 صاغ لغته في تاريخه ذلك صياغة متكاملة او جيدة او مقبولة او سوية او ليست مثيرة
 بضعفها وفوضاها للاسى ، وهو يعيش تلك الكينونة او الحياة التي لو وصفت بكلمة
 تخلف او بدوارة او جهالة او ضعف لكان وصفها بذلك اسلوبا من اساليب المبالغة
 في اللثناء عليها . ان كثيرا من الاشياء لتجىء تافهة وضعيفة حتى ليتحول الوصف
 لها ولو بالذم الى تمجيد لها . انها لتصبح اقل من جميع اوصاف الذم التي ابتكرتها
 جميع اللغات . .

ان اللغة ، اية لغة ليست الا مستوى حياة او مجتمع . انها مستوى فكري
 واخلاقي وفني وحضاري . ان اية لغة لن تكون اذكي او اجمل او اكثر تنظيما
 حضارة او شاعرية من ملابس او بيوت او اسلحة او ملاعق او مواثد مخترعها . .
 كيف يصنع لغة كاملة او جيدة او ذكية او محددة او منظمة من لا يعيش او
 يعرف اي مستوى جيد او ذكي او منظم او متحدد في تفكيره او اخلاقه او عقائده
 او مشاعره او علاقاته او في اثاث منزله ؟

ليست اللغة هي الانسان في اذكي واعلى مستوياته او في اشملى واعنف
 مستوياته ؟ هل يمكن ان تكون لغة غير الشاعر او الذكي او المنطقي او المحدد او

المنظم المنضب لفة شاعرة أو ذكية أو منطقية أو محددة أو منظمة منضبطة ؟

هل يمكن ان تجيء اللغة اعظم أو اكبر أو اذكى من اصحابها ومكلميهما ، اعظم أو اكبر أو اذكى من جميع مستوياتهم في كل الوان حياتهم ؟

هل يحتمل ان تجيء لغة غير العقلاء الكبار المتحضرين لغة عاقلة أو كبيرة أو متحضرة ؟

كيف يستطيع ان يصنع لغة فنانة أو مضبوطة أو محددة أو متعددة القواعد والحركات والعوامل المتبدلة المتحركة من لا يستطيع ان يصنع ملابس كذلك ، بل من لا يستطيع ان يرى قبح وفوضى وتشوهات ملابسها ليشترط عليها اي شرط ، بل ليرضى لها او فيها اي جمال او فن او نظام او آية صيغة اخرى ، انفع او اجمل او اذكى ، بل اقل هجاء وتشويها وتعويقا وتقويدا للابسيها ؟ ان اكثر المجتمعات ضبطا ودقة وتنظيما وحركة ومحاسبة ورؤية في كل شيء ولكل شيء لا بد ان تعجز . بلا تعليم ومقاساة اي بالسليقة والمحاكاة عن ضبط حركات الكلمات المتبدلة تحت العوامل المتبدلة العديدة . فكيف اذن يستطيع ذلك بكل الضبط والدقة قوم كل شيء فيهم صحراء ترفض الضبط والتحديد والتنظيم والترويض وتعجز عنه ؟ ان الحركة السريعة المتبدلة الحذرة المحسوبة ، استجابة للعوامل المختلفة الموجبة المتناقضة هي موهبة ليست من مواهب الانسان العربي . .

الانسان العربي كائن دائم . انه محكوم بالديمومة ، ديمومة الفكر والرؤية والحركة والمكان والكيوننة والموهبة ان من اعظم واشهر مواهب الانسان العربي البطء في كل شيء حتى في التحدث الذي هو مجمع مواهبه . انه يتحدث ببطء يتحدى بطء حركته الى الامام والتغيير أو الى فوق ، وايضا العجز عن الاحساس بالعوامل والاسباب التي تطالب بالتغيير وتوجيه والتي تصنع الرؤى والافكار والتحركات المختلفة أو المتصادمة أو المتصارعة المتحاوره . ان الحركة السريعة المتبدلة بالفكر أو بالرؤية أو بالاحساس ، أو بالافتناع أو بالكيوننة موهبة يصعب اتهام الانسان العربي بها . .

انه يملك موهبة الثبات والديمومة اي ثبات وديمومة الرؤية والفكرة والافتناع والحركة بل والانفعال . حتى انفعالاته انها لا تختلف في تفاسيرها أو حركاتها واتجاهاتها او في حوافزها مهما جاءت متقلبة حادة ضاحجة في تقلبها . وحتى تحركاته القريبة المدى والمتحددة الصيغة والتفسير ، انها ليست الا اسلوبا من اساليب الثبات والديمومة والا بحثا عنهما . .

انه يظل يعتقد الشيء ويراه ويفعله وينصوره ويفسره ويعامله ويتعامل به ويحياه ويحبه او يكرهه ويمدحه او يذمه ويراه جمالا او دمامة ، حقا او باطلا ، خيرا او شرا ، مجدا او نذالة ، شجاعة او جبنا .

نعم، انه يظل كذلك مهما كانت الاسباب او العوامل الموجبة للتراجع او التغيير او التبديل او الرفض أو لتخطيم كل شيء، والكفر بكل شيء، لكي يكون البدء من جديد .

انه يظل ابدأ يرى قبيلته ويرى امجادها وجدارتها بقيادة العالم وهدايته رؤية واحدة دائمة ، ويظل يصلي لالهه ويؤمن به ويتصوره ويفسره وينتظر منه ويخاطبه ويراه بصيغة واحدة لا تصاب بالتغيير ولا بالشك ولا بالاحتجاج او الغضب أو التساؤل او الاشمئزاز او الثورة مهما بدأ وجه الاله مشوها كريبها عدوانيا من جميع مراهب البديوية العابسة . .

كما بظل كذلك يصنع ويتقبل ويرضى ويرى ويمجد عبقرية وشاعرية واعجازية ملابسه وبيوته وخيامه وصحرائه واسلخته وحروبه وابله واغنامه ، وعبقرية وشاعرية واعجازية اساليبه في تعامله بها وركوبه فوقها وحدائه وتربيته ورعيه واختياره لها ورؤيته ومعرفته بمزاياها وتفوقها السلالي والاخلاقي والتاريخي بل والديني والعربي . . بل كما يرى ويعتقد الوهية وابدية كل ذلك . انه يظل ابدأ يؤمن بأبدية والوهية جميع اساليبه في الحياة حتى صناعته ملابسه واسلوبه في لبسها يراها من تدبير الاله .

ولانه اي الانسان العربي محكوم بموهبة الثبات والديمومة فان احاده لا يختلفون أو يتفاوتون في رؤاهم أو افكارهم أو معتقداتهم أو تصوراتهم أو في احكامهم أو كينوناتهم أو خطواتهم القافزة الى القمر ، او في تحدياتهم الى ضمير الاله او الى يديه او الى وجهه مطلا من الالام والتشوهات والدمامات والتفاهات والتحركات العابسة الحمقاء ، مبتسما راقصا هاتفا مغازلا لنفسه محببا قارئاً مفسداً لمجده ناظراً في كل المراهب الى وجهه مياها بتدبيره لكل الحماقات وخلقه لها، مطالباً باجر مومجاراته على ذلك بكل ما يستطاع وبكل ما لا يستطاع او يعقل او يقبل من الايمان والشكر والتعبد والخضوع والهوان له والتنازل عن كل الذكاء والمنطق والكرامة والشجاعة بل والانسانية وهل يوجد اجر يساوي في فحشه وقسوته وشذوذ تفاسيره ، الاجر الذي يطالب به الاله لنفسه ؟ . . انها لا توجد ديمومة بليدة وسخيفة مثل ديمومة الاعجاب برؤية الاله مريدا ومدبرا وفاعلا لكل هذه الافات والعاهات والالام والعبث ومتحدثا عن رحمته وجماله لانه فاعل كل ذلك .

والتنقل السريع بين حركات الكلمة رفعا ونصبا وجزما وجرا وغير ذلك من التحركات تحت العوامل المختلفة ، ليس اي هذا التنقل خروجاً على موهبة الثبات والديمومة في الانسان العربي ؟

وهل يهجي الانسان العربي في كل حساباته الدينية والمذهبية والاخلاقية والنفسية والعرقية مثل ان يتهم بانه ليس مصابا بالثبات والديمومة على نماذجهم ورؤاهم كلها الازلية الابدية القبلية التاريخية ؟

الانسان العربي يلتزم بالثبات والديمومة في الاشياء التي لا يقبل او يغفر او يحتمل الثبات والديمومة فيها ، بل ويتعبان ويؤذيان ويؤخران ، فكيف لا يلتزم بهما اي بالثبات والديمومة في حركات الكلمات وهو التزام لا يصنع اي ضرر او تخلف او فساد او خروج على اية قيمة او معنى جيد او جميل ، او يجعل الابل ترفض البقاء او السير او الرؤية او التناسل في الصحراء لتهاجر منها ، رفضا لتخطها وبؤسها وكآبتها وبدآوتها ، وبحثا عن مالكين وراكبين ومجاورين لها ، وحادين بها افضل او اقوى أو اغنى من الانسان العربي ، أو يجعل النساء يرفضن أن يكن امهات لابناء لن يكونوا الا احادا في قبائل كل مجدها ان تفاخر بانسابها وجهالاتها وباستكبارها على ان تتعلم الصناعة او الحضارة بل أو القراءة والكتابة ، أو ان تروج المتحضرين أو أن تتزوج منهم ، ان تكون اباء او ابناء لهم ؟

هل تصدق ان اي عربي بدوي في صحرائه يرفض ان يصاهر آخذا او معطيا اعظم عبقرى او اكبر عظيم غير عربي ؟

اذا كان الانسان العربي يثبت بديمومة متدينة بتعصب في كل اجياله المتعاقبة على اسلوب واحد في صنعه لعباءته ولقوته وفي اسلوب تعامله بهما ، مع ضخامة وقوة الاسباب والضرورات الموجبة للتغيير بل للرفض والتدمير فكيف لا ينتظر منه بحتمية هذا الثبات الموحد بلا اي تغيير او تحرك او تبديل في نطقه باخر الكلمات على حركة واحدة وصيغة واحدة دائمة أو بتحركات عشوائية غير محسوبة او مقصودة ، او بتحركات لا يعني بها الحركة المنطقية او القانونية او الالتزامية ، بل الحركة الفوضوية المصابة بالذهول والغفلة وبالعجز المنطقي والاخلاقي والماعطي والحضاري بل وبالعجز العضلي واللغوي والبلاغي ؟

ان نقل الانسان العربي لصحرائه الى صيغ حضارية متعددة متعاقبة وتغييره لجميع اساليبه وتقاليدته الفكرية والاعتقادية والاخلاقية والنفسية والفنية قد يكون اسهل عليه واقرب الى فكره وتقواه وموهبته من ان يظل ينتقل بين حركات الكلمات ، بين الرفع والنصب والجر والجزم ، خاضعا لمنطق وحساب محدد محتوم ملزم . ان التحرك أو التنقل المتناقض خضوعا لمنطق وحساب محدد ملزم لهو شيء فوق طاقة قوم يلتزمون بكل هذه الديمومة ان يصنعوا ويقدموا ويشربوا قهوتهم بهذا الاسلوب الثابت الخارج على كل الاشتراطات الصحية والحضارية والجمالية والفنية بل والدعائية ..

ان العربي لا يتخلى عن ديمومته على الصيغة الواحدة الدائمة ولكنه قد يطرد منها طردا . نعم ، انه مطرود دائما من صيغه ، من صيغ ابائه وصحرائه وصيغ اربابه وانبيائه . واذا طرد منها اسلوبه أو مظهره أو لغته أو زيه لا منطقه أو معناه أو تفسيره أو ارادته أو موهبته . وكل مزاياه في كل تاريخه ليست غير اساليب هذا الطرد له ..

انه لا يستطيع طرد الانسان العربي من فكره او منطقته او موهبتة مهما طرد من ثيابه او لغته او بلاده .

ان مفارقتة لصيغته الواحدة الدائمة تعني في حسابه واقتناعه التخلي عن وجوده او ذاته او مجده وعظمته وتاريخه بل عن اباؤه ووفائه وحبه لهم ومباهاته بهم . ان تغير الانسان العربي هو تغير وجه ولغة ومكان وليس تغير اتجاه او فكر او اخلاق او كينونة . انه ثابت في ذوات اباؤه ثبوت اباؤه في ذوات اباؤهم . . . وهل يعرف الانسان العربي مجدا يساوي مجده بثباته في ذوات اباؤه الثابتين في اباؤهم ؟

انه يدعو الثبات على الصيغة الواحدة واسترجاع ما فقد او ما نحل او بهت منها ، اصالة . انه لا يرى مجدا او موهبة او استقامة قومية او وطنية او حضارية مثل ان يكون اصيلا في جميع تفاسيره . . .

انه يريد ان يكون اصيلا لي ان يكون ذاته الدائمة الواحدة . . . ان يكون جيلا وطورا واحدا لا اطوارا ولا اجيالا . ان تكون ديمومة صيغته مثل ديمومة صيغة الاله . ليس الاله صيغة واحدة ابديية ؟ ليست هذه الصيغة الواحدة الدائمة الثابتة لاله مجدا وجمالا له وفيه ؟ ليس التشبه بالاله اصالة عربية ؟

انه يعني في تفاسيره الا يفارق صيغة وكينوناته القديمة . يعني ان يكون الجد هو الاب والابن والحفيد جاءوا باسما متعددة بل جاءوا باسم واحد مكرر . . . حتى العلم والفكر والمعارف والفنون والتقدم والحضارة والاكتشافات يجب ان تكون اصالة ، اي يجب ان تكون هي ما كان او اخذا عنه او تفسيرا او تقليدا له او رجوعا اليه او صلاة في معابده وتلاوة لكتبه المقدسة او ادعاء له او تمجيدها لذكراه ولتاريخه الذي قد كان . . . انه يعني ان يكون في ثباته في ذاته وتاريخه وجميع تفاسيره مثل الاله والطبيعة في ثباتهما الابدي في جميع مستوياتهما وجميع تفاسيرهما الفكرية والنفسية والاخلاقية . ان الاصالة بهذه التفاسير التي يريدها المتحدثون عنها ليست شيئا جيدا ولا حضاريا . وان المتحدث عنها ليس تحدثا عن قيمة انسانية من اي نوع .

ان المبدعين والمتجددين والمتحطين للتاريخ لا يتحدثون عن هذه الاصالة . . . انهم يرفضونها . انها في تصورهم لا تعني الا البقاء الدائم في كهوف التاريخ . ان المتحدث عنها كالتحدث عن عقائد وافكار وتقاليد الاءاء وعن الهتهم ومعارفهم واخلاقهم وبيوتهم ومواصلاتهم وملابسهم واسلحتهم ، وعن اساليب حياتهم ، للاستمسك بها او لتقليدها او لاستهلاكها والتعلم منها او للوقوف عندها او للدفاع عن جميع تفاسيرها وحوافزها او للاعجاب بها . ان اصلتك في افكارك او عقائدك واخلاقك وتقاليدك او في استمسالكك بالهتك وانبيائك لن تكون مقبولة الا اذا كانت اصلتك في صنع بيتك او ملابسك مطلوبة او مقبولة .

ان الانسان المتحضر اي التغير التخطي المبدع التطلع دائما لن يكون اصيلا

ولن يقبل او يريد ان يكون اصيلا ، بل لن يستطيع ذلك او يعجب به او يدعو اليه . لانه لا بد ان يكون دائما متاثرا وآخذا عن الاخرين ومتجاوزا ما كان ورافضا له وراثيا لعيوبه او لعجزه وتخلفه ، وغير متقبل لاستعادته او لتقليده او للحنين اليه ؟ انه دائما خارج على الامس وعلى الذات وعلى الكينونة التي كانت في الامس ، ومتكبر على ذلك ، متفوق عليه ولو بافكاره واماله وطموحه . انه لابد ان يكون متطلما دائما الى كل الجهات والافاق ، وان تكون رؤاه وتطلعاته دائما اكبر واوسع وابعد من ذاته ومن ابائه وتاريخه ومن كل ما كان ومن كل ما يرى . . .

ان الانسان المتخلف العاجز البدوي اكثر اصالة واستمساكا بالاصالة واعجابا بها وادعاء لها ، من الانسان الاخر ، لانه اعجز عن مغادرة ذاته ومغادرة امسه وتاريخه ومغادرة ابائه ، واعجز عن ارادة هذه المغادرة وعن الاعجاب بها وعن فهمها وتحمل التزاماتها العقلية او النفسية او الاخلاقية او التطبيقية . . . ان الحضارة والتقدم والحياة القوية المبدعة هي مغادرة دائمة وطموح الى هذه المغادرة . وهذه المغادرة خروج على الاصالة في تفاسيرها هذه .

انه لا يتفوق على الانسان المتخلف البدوي في اصالته الا الحشرة والحيوان . . . لنهما اي الحيوان والحشرة هما اكثر الاصلاء اصالة ، لانهما لا يستطيعان ان يتخطيا ذاتيهما او امسهما او تاريخهما او اباءهما او يستنكرا ذلك أو يرفضاه أو يحتقراه بتفكيرهما او اخلاقهما او بطموحهما وتحديقهما واشواقهما . كما لا يستطيعان ان يتأثرا بغيرهما او يأخذا عنه . انهما اصالة دائمة شاملة . . . انهما اذا خرجا او لو خرجا على اصالتهما لكان ذلك بلا تدبير منهما ودون ان يريدوا او يعرفا . . .

ان الانسان المتخلف والانسان المنتمي انتماء قبليا قد يكونان صادقين جدا حينما يقولان : نحن اصيلا . . . ولا بد ان يكونا كاذبين لو قالا : نحن غير اصيلا . ولن يتفوق عليهما في الصدق غير الحشرة والحيوان لو قالا : نحن اصيلا وفي الكذب لو قالا : نحن غير اصيلا . . .

ان المتأثر الاخذ دائما عما حوله وعن الاخرين ، المتطور المتجاوز دائما لن يكون اصيلا ، وان المستقر الثابت دائما في ذاته وفي تاريخه العاجز عن التأثر والتخطي لن يكون الا اصيلا . . .

اي لن يكون الا متخلفا ضعيفا مغلقا غير معط للحياة او للحضارة او للتاريخ . . . اذن كم هو شيء جيد الا يوجد او يبقى انسان واحد أو مجتمع واحد يقول : انه اصيل ، ولر قال ذلك لما كان صادقا . . .

اتمنى أن يفهم ذلك كل هؤلاء الذين يتحدثون دائما عن الاصالة أو عن اصالتهم ، وكل اولئك الذين كانوا يتحدثون عن ذلك وهم يظنون انهم يتحدثون هذا انما يخطفون من الشمس كبرياءها وضخامتها واشراقتها ونظافتها وصعود مكانها وتوابعها . اتمنى ان يعرف ذلك كل من يتحدثون عن الاصالة وهم يحسبون انهم يتحدثون هذا يطهرون وجودهم من كل عار وهوان وبلادة ونذالة نعم ان الذي يقول انه اصيل ويكون صادقا لن يكون بذلك اعظم تباهايا او اصدق من الغياب او الصرصار لو ادعى لنفسه هذه

الدعوى او هذا المجد .. اليس الذي يكون اصيلا دون أن يفخر باصالته اقل سوءا من الاصيل الفاخر باصالته ؟ اذن اليس الذباب اقل سوءا ؟
ان العظمة او المجد ليس في أن يكون الكائن اصيلا ولكن في ان يكون عظيما .
وهل تكون العظمة الا اخلاقا وابتداعا ؟ انها ليست اتباعا او اخذا او تلقينا او توريثا
او تعليما او تناسلا او وقوفا في طابور المصلين للاله المذكور الموصوف بوحشية
في الروايات القديمة ..

ان الذباب وكذا الصرصار اصيل ولكن ماذا تساوي اصالته ؟
ليته اي الذباب او الصرصار يصبح غير اصيل اي يخرج على ذاته وعلى آبائه
وتاريخه وبأخذ عن كائنات اخرى افضل واعظم منه او يهجن ويلقح بها ذاتيا وعرقيا
أو عقليا او اخلاقيا او نفسيا او حضاريا . ليت جميع الضعفاء والتافهين والمتخلفين
الاصلاء في ذلك يخرجون على اصالتهم ليكونوا نسخا ونقلا عن اولئك الاخرين الاقوياء
المتقدمين المبدعين حتى ولو كانوا غير اصلاء .

اليس هذا شيئا جيدا ومطلوبا جدا لو حدث ؟
اليس هذا هو الذي يحدث دائما ولو في الزي او اللغة او الشعار او فسي
الجلوس داخل الغرفة الواحدة ؟

اجل ، حينما يقول البدوي المتخلف انه اصيل فهل يعني هذا افضل مما يعنيه
الاله المحنط في بداوته وفي صحراء كينونته لو قال انه اصيل ؟ وهل يسر اي انسان
ان يكون في اصالته اي في عجزه عن تخطي كينونته الواحدة الثابتة كالاله المحنط في
عباءته التاريخية ؟

كم هو رائع ومطلوب ان تخرج الطبيعة والاله على اصالتهما ليكونا شيئا
افضل واذكى واكثر تحضرا واقل بدوأة وهمجية وتخلفا وثباتا في الذات وفي التاريخ
وفي الامس القريب والبعيد ؟ ليتهما يفعلان ذلك ثم يعلمان الانسان العربي
الخروج على اصالته مثلما خرجا على اصالتهما ..

ان اصالة الاله والطبيعة هما اكثر الاصلات قبحا وتخلفا وتعذيبا ولؤما وتعويقا
عن المجد والعظمة .. ايهما يختار العربي : ان يفارق العرب اصالتهم ليكونوا شيئا
اعظم ام ان يفارق الاله والطبيعة اصالتهما ليكونا هذا الشيء الاعظم اي لو كان له ان
يختار؟ الاله اصيل، اصيل ودائما اصيل، اي دائما يتعلم ويتلقى من ذاته الدائمة الموهبة
والمستوى بلا تمرد أو تخط لذاته الاصيلية . لهذا كم هو قبيح ومتخلف وبدوي
الكينونة ؟

ولو أن هؤلاء الطغاة الجبارين في مواهبهم وابداعاتهم الحضارية استنطاعوا
ان يقتلوا او يهزموا في الاله وفي الطبيعة اصالتهما او يعلموما الخروج عليها
والعصيان والتجاوز لها لكان ذلك هو انبل وانفع ما اعطى هؤلاء الذين اعطوا كل شيء
حضاري ..

اليس قتل او هزيمة اصالة الاله والطبيعة لا بد ان تعني او قد تعني قتل او هزيمة اصالة الانسان العربي ؟

فهل يؤمل ان يفعلوا ذلك في يوم آت ؟
وبعد . . ان كثيرا من الناس او اكثرهم يتحدثون عن الاصالة دون ان يفكروا في معناها او يتصوروا معناها اي تصور او يروا ان عليهم ان يفعلوا شيئا من ذلك .

**

ولكن قد تفسر الاصالة بتفاسير مناقضة لتفاسيرها في لغة الانسان العربي وفي نياته . نعم ، انه يجب اخلاقيا وحضاريا وعلميا ان تفسر جميع الاشياء بغير تفاسير الانسان العربي لها .

ان الاصالة قد تفسر بل لا بد ان تفسر بانها هي الا يرى او يسمع او يعتقد او يقبل او يرفض او يحب او يبغض او يوافق او يخالف او يعجب او يشمئز أو يحارب أو يسالم من ندعوه اصيلا الا بعينيه واذنيه وبفكره واقتناعه وقلبه وضميره واخلاقه ومصالحه ويديه ووجهه هو ، لا بأي املاء أو تقليد أو اتباع لاي قطيع أو لاي اله أو نبي أو معلم أو زعيم أو مذهب أو دين أو لاي طغيان أو جنون يفرضه تاريخ أو ارباب أو معبد أو سوق أو توريث أو عجز أو تكرار أو استمرار في المسيرة التي يسيرها او يكره على المسير فيها اللقطيع الطويل الممتد من الصحراء الممتدة من بدوابة والتاريخ . .

وإذا فسرت الاصالة بذلك فهل يمكن ان يوجد اصلاء ؟ وان وجدوا فكم يمكن ان يكون عددهم ؟

ان الاصالة في تفاسيرها الحضارية هي ان تكون عقلك وقلبك وضميرك ورؤيتك وعضلاتك واشواتك انت لا عقل ولا قلب ولا ضمير ولا رؤية ولا عضلات ولا اشواق اربابك او انبيائك او ابائك او تعاليمك او محاربك او اشعارك المروية أو المعلقة على جدران كعبتك ، او كتبك المقدسة المغنية لك كل اغاني البلادة والبدوابة والاستسلام ، المعلقة لعينيك وعقلك وضميرك عن كل رؤية وتفكير وفهم واحتجاج واصالة اسانية . .

انها اي الاصالة هي الابداع والتفوق والتخطي الدائم الذكي الشجاع الحر الى الافضل الاذكي الاقوى الابسل . انها هي الجودة في كل شيء . .
انها الجودة والنبوغ في التفكير والرؤية والحب والارادة وفي القبول والرفض والاعجاب والاشمئزاز .

انها هي ان تكون دائما رائيا محققا قارنا محاسبا محاكما ناقدا فاهما لكل ما تفعله او تعتقده او تصدقه أو تجمده أو تخصمه أو تقاقله .
انها اي الاصالة في معناها الحضاري هي ألا تضع خطواتك على أية خطوات اخرى حتى ولا على خطوات الهك أو نبيك الا بعد ان تقرأ وتعرف كل لغات وتفاسير ونهايات واتجاهات خطواته اي خطوات الهك أو نبيك . انه يجب ان يكون لخطوات

قدميك وقبضات وضربات يديك من الذكاء والمنطق والافتناع والاصالة اكثر واقوى مما يجب ان يكون من ذلك لعقلك . أليس ذكاء ومنطق وافتناع عقلك مطلوبا من أجل خطوات قدميك ومن أجل قبضات وضربات يديك ؟ ايهما يصوغ الآخر : الايدي والارجل تصوغ منطق واخلاق العقول ام العقول هي التي تصوغ منطق واخلاق الايدي والارجل ؟

انها اي الاصالة هي الا تنشد مع الهك او نبيك او زعيمك او قائدك اناشيده السعيدة او الحزينة ، او تقرأ معه او وراءه تعاليمه وكتبه المنزلة الا بعد ان تحاسبها وتفهمها وتقتنع بما فيها من فن وجمال وذكاء وصدق وحقيقة . . كم سيصبح الهك او نبيك او زعيمك مجهولا مخذولا بليدا ضالا مهرجا لو أنك اصبحت اصيلا بهذا التفسير للاصالة ؟

انها هي الا تصلي وراء امامك حتى تعلم ان ضميره وعقله واخلاقه قد تروضات اكثر واشمل مما تروضات اعضاؤه ، اي لو كنت مصليا وكان لك امام تصلي وراءه واله تصلي له ، هي الا تقرأ او تفسر او تعرف الهك يكتابك المقدس بل برويتك له عاريا من جميع ملايسه وزيناته وحيدا من كل سدنته وحراسه وكهانه . . هي ان تقرأ وتفسر كتابك المقدس بصوتك وفكرك وافتناعك ورويتك لا بما يقوله سدنة وحراس الهك .

انها هي ان تعلم التاريخ وتداويه وتصححه لا ان تتعلم منه او تتداوى به او تصحح اخطاءك باخطائه بل ولا بصوابه . .

ان الذين يتعلمون الصواب من التاريخ هم اكثر وافدح خطأ من الذين يتعلمون الخطأ من انفسهم وحياتهم وتجاربهم ومقاساتهم وافتحامهم . . ان الخطأ الذي تخطئه وتفعله بعقلك لاعظم مجدا وتكويننا وتعلينا لك من الصواب الذي تفهمه وتراه وتفعله بغير عقلك ، بعقل الهك او نبيك . . انها هي ان تصبح مجدا لابائك واربابك وانبيائك وزعمائك لا ان يصبحوا او يظفوا مجدا لك ، وان يروا ويفسروا ويحاسبوا ويوزنوا بعيونك وعقلك واخلاقك وموازينك انت ، لا ان يكون العكس . . ان تكون انت الرائي المفسر لهم لا المرئي المفسر . . ان ترى انت طريقك ووجهك ، جمالك وضخامتك او دمامتك وضآلتك بعيونك وشروطك لا بعيونهم او شروطهم . .

ان تتحول الى تفسير لذاهبهم وعقائدهم وضمائرهم واخلاقهم وكتبهم المقدسة بكل سلطانك وجراتك لا ان يتحولوا الى تفسير او قيد لاي شيء من حياتك او ظروفك او رؤاك او خطواتك . . ان تكون انت نبي واله كل الهتك وانبيائك ، ونصوص وتفسير كل كتبك المقدسة ونبواتك ، وان تكون ارضك هي معلمة سمواتك . .

هي ان تقود قادتك والهتك وانبياءك وان تعلمهم وتامرهم وتصوغهم وتفكر لهم ، لا ان يفعلوا هم لك أو بك شيئا من ذلك . . هي ان تكون لهم وفيهم عيوننا جديدة لا ان يفقوا فيك عيونك . .

هي الا يكون لك كتاب مقدس لم تكتبه انت ، ولا نبي لم تعلمه وترسله انت ،

ولا كعبة أو مصلي لم تبناها أو تبناه أنت ، ولا اله لم تره وتختره وتصوره وتفسره وتعلمه وتأمره وتعاينه وتجزه وتهده أنت . . ان تكون انت ابا لابائك لا ابنا أو تابعا لهم ، ومعلما لامسك وتاريخك لا متعلما منهما ، مفسرا لهما لا مفسرا بهما . . انها هي ان تكون انت لا الهك أو نبيك أو اباك أو تاريخك أو مجتمعك أو الكتاب الذي تقرؤه أو الرأي الذي تسمعه . .

انها اذن في جميع تفاسيرها ولغاتنا الحضارية نقيض لها اي للاتصال في جميع تفاسيرها ولغاتنا العربية .

ان كل ما ذكر هنا هو بعض تفاسير الاصاله او بعض التفاسير المطلوبة او المفترضة التي تفسرها بها الحضارة وتطالب بها لها وتفترضها فيها أو التي ينبغي ان تكون . .

اذن فالعربي غير اصيل في جميع التفاسير الحضارية مهما كانت اصالته في جميع التفاسير العربية . ليست كل التفاسير العربية لكل القضايا الكونية والانسانية نقيضا لكل التفاسير الحضارية بالمستوى الذي به كل القيم والمطامح والطاقات والانجازات والحوافز الحضارية نقيض لكل ما عند العرب من ذلك ؟

ان الانسان العربي خارج على جميع دلالات الاصاله ومستوياتها بقدر خروج الاله والطبيعة والبرغوث على ذلك اي بهذا التفسير للاتصال . .

نعم ، ان الاصاله هي التفوق الدائم على الذات والتاريخ والتجاوز الدائم والسريع الشامل لهما وارادة ذلك . لهذا فالانسان قد يكون اصيلا . اما الاله فلن يكون اصيلا ، كذا الطبيعة والبرغوث لن يكونا اصيلا . لهذا ايضا فان الانسان العربي لا يمكن تفسيره باي معنى من معاني الاصاله . انه ليس الاصله او حجرا او حرفا اثريا في معبد ، او ضخامة او كثافة في حجم قطع او زيادة في عدد القطيع . انه اي الانسان العربي ليس الا تراكم حجم وليس تنوع عبقريه او اصاله . . ان اقبح تراكم هو تراكم حجم الانسان الذي لا يتحول الى تراكم وتنوع عبقريات وابداع وقفزات . نعم ، قبيح هو تراكم حجم الانسان العربي .

اجل ، انها اي الاصاله كلمة تكتب وتنتطق وتقرأ . وقد تفسر تفاسير جيدة . . وحينئذ يكون المطلوب والعظيم ان نكون خارجين على كل اصاله . .

ان القضية اذن ليست هي التفسير لهذه الكلمة او الانتماء اليها . بل القضية هي ما الذي نريد ان نكونه ونستطيع ان نكونه ونصمم على ان نكونه . ولكن هل نكون غير ما نريد وغير ما نمتدح ؟ نعم ، نكون ما نستطيع وما نحتاج اليه مهما كانت ارادتنا ومدبحنا . . .

ولكن اذا كان كهان اللغة العربية هم الذين وضعوا قواعدنا ، بادئين لا ناقلين فكيف امكن ان يتفقوا عليها ؟ بل قد يقال : كيف امكن ان يتفقوا عليها حتى ولو كانوا ناقلين لها نقلا ؟ انهم لم يستطيعوا ان يتفقوا في حكمهم على لون ثيابهم ووجوههم

أو على لون ثياب ووجوه آلهتهم وانبيائهم مع قراءتهم وتفاسيرهم ومواجهتهم ورؤيتهم الدائمة لها . اذن كيف اتفقوا في رؤيتهم لهذه القضية ؟

اعترف اني عاجز عن فهم ذلك . ولكن أليست الجماعات أو البشر جميعا قد يتفقون حيث يتوقع المنطق الا يتفقوا اكثر من اتفاقهم حيث يتوقع وبطالب المنطق ان يتفقوا ؟ فكيف اذا كانت القضية لاهوتية وهي هنا لاهوتية ؟

قد يكون الاتفاق في هذه القضية احدى الغلطات العجيبة الشاذة جدا . انها احيانا لتقع غلطات كبرى متفق عليها تعجز كل العقول ان تفهم كيف امكن الاتفاق عليها بل تعجز كل العقول ان تدبر الاتفاق عليها وتعجز عن الانتصار في تدبيرها ذلك لو دبرته ، بل تعجز اغلب الحقائق الكبرى عن ان تتال هذا الاتفاق عليها الذي نالته هذه الغلطات الكبرى . . أليست الاخطاء الكبرى هي دائما افضل وادوم حظا في التاريخ والحياة من الحقائق الكبرى ؟

انه لا بد من الاعتراف بان ما هنا سؤال اجادا ، يتحدى بل يهدد هذا الافتراض اي افتراض ان العرب لم يكونوا يعرفون او يلتزمون قواعد الاعراب وحركاته المتبدلة ، بالسليقة اي بدون تعليم فيه كل المعاناة التي لا ثمن لها . هذا السؤال هو :

اذن كيف جاءت حركات الاعراب في قوافي الشعر الجاهلي مضبوطة ومحكومة بالعوامل التي وضعها وقررها كهان النحو وسلاطينه . فاذا كانت القافية مرفوعة وجدت حتما عوامل الرفع في كل وحدات القافية ، وكذا اذا كانت منصوبة أو مجرورة او ساكنة كان محتوما ان توجد العوامل الملائمة بلا اخلال أو شذوذ . .

وايضا ، أليس مجيء هذه الاشعار مضبوطة بأوزان بحورها يعني حتما ان قائلها الذين لم يتعلموا قواعد الاعراب المتحرك التي وضعها أو احصاها وعددها سيبويه وجنوده ، كانوا يعرفونها ويلتزمون بها بالسليقة أو الطبيعة أو الولادة أو بالهام البداوة والصحراء ، أو بعبقرية في الاذن والفم والحس لم يعرف البشر الذين عرفوا وابدعوا كل انواع العبقریات لها مثيلا ؟ نعم ، ليست الاذن والفم العربيان عبقریین ؟ أليست كل حظوظ وحقوق الانسان العربي في العبقرية قد تجمعت في فمه واذنيه ؟

ان اية قصيدة لن تكون صحيحة الوزن العروضي ما لم تلتزم فيها عوامل الاعراب التي تتدخل في طول الكلمة وقصرها وفي عدد حروفها اي حروفها المنطوقة . . فالوزن العروضي محكوم بحجم الكلمة ، وحجم الكلمة محكوم بالالتزام قواعد الاعراب . .

نعم ، انه لا بد من الاعتراف بصحة وقوة هذين التساؤلین او هذين النقيدين او الاعتراضين المسددين الى هذا الرأي الذاهب الى ان العرب لم يكونوا يعرفون أو يلتزمون اعراب الكلمات المتحركة تحت العوامل المتعددة المتبدلة بدون تعليم . بل ان هذا الرأي قد يتحول الى مفاجأة فاجعة أو مذهلة أو غير محتملة الصق أو التصديق لمن يسمعه أو يقرؤه . .

وإذا لم يكن بد من محاولة الجواب فقد يقال من كثير يمكن ان يقال :

ان العرب حتما لم يكونوا يعرفون أو يلتزمون أو يستطيعون ذلك بالسليقة أو الطبيعة أو الموهبة مهما كان تفوقها ، بل ان ذلك لا يستطيع ان يكون حتى ولا احتمالا في طاقتهم . وانتظار ما لا يستطيع ان يكون تمجيذا لمن ينتظر منه ذلك ولن يكون ثناء على نكاه أو اخلاق من ينتظره .

اذن فان عجزهم هذا لن يتحول الى عيب من عيوبهم مهما اريد التضخيم في اعداد واتساع عيوبهم ، أو مهما كانت الرغبة في تكاثر عيوبهم . . ان مثل هذا العجز لن يحسب عيبا في المتفوقين فكيف يحسب عيبا في من لا يفعلون ولا يريدون ولا يستطيعون الا ما هو عيب وعجز ونقص في جميع الحسابات والمقاييس والاشتراطات والحدود والاماني بل وفي حكم كل المذاهب والاديان والنظريات ؟ كيف يحسب عيبا في قوم كل مزاياهم ان يتحدثوا عن مزاياهم وعن هوان كل العالمين امام كل مزية من مزاياهم التي هي رواية وحديث فقط ؟

انه لا بد ان يغفر للعرب ، اشفاقا أو رثاء ، أو استهزاء أو تهوينا أو شماتة ، أو عدلا ، أو بنية السباب والهجاء ، ما لا يمكن ان يغفر لغيرهم . ان كل العالم قد روض عقله وضميره وكل حساباته على ان يغفر للعرب ما لا يمكن ان يغفر لاحد غيرهم اذن كيف لا يغفر لهم ما لا بد ان يغفر لكل احد ، ما لا بد ان يغفر لاعظم المتفوقين تفوقا ؟ نعم ، ان العرب قد اراحوا العالم من ان يقاسي أو يشغل بمحاكماتهم ومحاسباتهم وبالتفسير لهم . . ان لهم اذن فضلا على العالم . اليس من لا يضطرك الى معاتبته ومعاقبته والغضب عليه مفضلا عليك ؟

ان العرب لا يحاسبون أو يؤاخذون حيث أو حين يحاسب ويؤاخذ كل الناس ، فكيف يحاسبون أو يؤاخذون حيث أو حين لا يحاسب أو يؤاخذ احد من الناس ، أو في شيء لن يحاسب أو يؤاخذ به أو عليه اي انسان ؟ انه ليغفر للعرب ما لا يغفر لاحد فكيف لا يغفر لهم ما يغفر لكل احد ؟ اجل ان للعرب لمزية عالمية عظيمة ، هي انهم يعفون كل العالم من مقاسات النقد والقراءة والرؤية لهم والاشتراط عليهم وفيهم . اليس العالم كله لم يزل يغفر للقيادات والزعامات والنبوات والعبقريات ولجميع المواهب العربية المختلفة . . العقلية والاخلاقية والفنية والحضارية والانسانية والدينية بل واللغوية ما لا يستطيع ان يغفر مثله أو أقل منه البراغيث والتمال ؟ اليس العالم كله يغفر لاعظم واتقى النبوات والقيادات والعبقريات العربية ما لا يستطيع ان يغفر شيئا منه لاصغر واجهل وافسق صغاره وجهاله وفساقه هو ؟ ألم يكن العالم كله في كل تاريخه ومستوياته وحساباته ومواقفه ونياته يقرأ ويرى ويفسر ويحاسب ويعاقب عيوب وآثام وبذاءات وتلوثات البراغيث والصراصير وجميع الحشرات دون ان يفعل اي شيء من ذلك بعيوب وآثام وبذاءات وتلوثات الزعامات والقيادات والنبوات والمواهب العربية التي لم تنزل تستفرغ عليه وعلى نفسها وعلى التاريخ ما لا يستطيع كل تلك الحشرات ان تستفرغ مثله أو شيئا منه ؟

هل تستطيع او استطاعت جميع الحشرات في كل تاريخها ان تستفرغ القبح الذي يستفرغه زعيم او نبي او معلم او شاعر عربي واحد دون ان يصنع غثيان او غضب احد ؟ حتى الغثيان يرفض العالم ان يصاب به مهما واجه من قبح ووقاحة الزعامات والقيادات العربية .

انه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد مغفور لهم وهم يستحقون كل ألوان العقاب وأقساه مثل العرب أو غير العرب ، كما لن يوجد غفران هو أقسى من كل عقاب كالغفران الذي يهبه كل العالم بكل السخاء للزعامات والقيادات والنبوت ولكل الخصائص والمواهب والبدوات العربية المستفرغة على كل قضية وموقف وموهبة وحضارة ومشكلة وعلى كل احد وكل شيء ، كل السخف والقبح والبلادة والنذالة والعدوان والجهل والضجيج المشحون بكل لغات الضعف البذيء المتقبح المتجبر بكل تعبيرات الغرور الهمجي البدوي ، كل الاوقات ، بكل الاساليب والاعلان والدوي . . . لتمت كل الاذان والعيون . نعم ، لتمت كل الاذان والعيون لثلاث تسمع أو تقرا العرب وهم يستفرون على كل القضايا بأسلوب للتحليل والعلاج لها . . .

صعب ان ننظر كيف يستفرغ العرب على كل شيء جميل وقوي وذكي ونافع وانساني وحضاري كل اساليب الاستفراغ واللوانه ، ثم صعب ان نرى كيف يغفر لهم كل العالم كل استفراغهم هذا . . . هل يستفرغ شيء على شيء استفراغا يشبه في قبحه استفراغ عباقرة العرب على القضايا الدولية حين يذهبون يحلونها ويفسرونها ويملقون عليها ؟

انه لمؤلم ومهين جدا ان نحاول تفسير اسباب هذا الغفران . . . كيف لا يغضب العرب من غفران العالم الشامل الدائم لهم ؟ كيف لا يدركون ما في هذا الغفران من تهوين وتحقير وتصغير لهم ؟

ان انسانا ما لن يهان او يحقر أو يستهزا به مثل ان يكون عاجزا عن ان يصنع الاشتمزاز أو الاستنكاح أو الانفجاع أو الغضب أو ارادة العقاب في احد مهما ضعف وقته وتوقع وتلوث وجاهل وصغر وتعري عن اقباح التشوهات والعاثات والاحوال ، او مثل ان يغفر له بالاساليب والتفاسير التي غفر بها كل العالم للقادة والزعماء والانبياء والشعراء والمفكرين والكتّاب والعلماء العرب ، حاضرا وتاريخا بل ومستقبلا . هل يوجد تحقير شامل مثل الغفران الشامل اي بلا اشتمزاز أو استنكار أو غضب أو نقد أو رفض أو حتى استفراغ ؟

واشوقاه الى اليوم الذي يصبح فيه العرب اهلا لان يعاملهم العالم او الاخرون بلا اشتمزاز والاستنكار والاستنكاح والنقد والرفض وبالحاسبة والمحكمة القاسية اللفظة الموجعة بقدر ما يستحقون ! . . .

واشوقاه الى العصر الذي يصبح فيه العالم قارنا ومفسرا للعرب محققا فيهم بكل قسوة وشروط المنطق والاخلاق والحضارة والنماذج والمستويات الانسانية الصعبة ، لا

ان يظل غافرا لهم كل شيء غير مشترط فيهم او لهم اي شرط ، او مفترض فيهم اي معنى جيد او ذكي او قوي او كريم ، يبراع او يدهش اذا افترقه فيهم . هل يعتدي على شيء مثل الاعتداء على العيون والاذان والعقول التي يحكم عليها بان تقرأ او تسمع او تحاسب اي نبي او عبقرى عربي ينقد او يفهم او يعرض او يفسر اي موضوع من موضوعات السياسة او الفكر او الدين او الاخلاق او الحياة او الكون ؟ ثم هل يوجد مغفور له مثل هذا النبي او العبقرى العربي ؟

اذن واشوقاه الى العصر الذي تتهاوى فيه كل السياط الفكرية والاخلاقية والحضارية والانسانية على الانسان العربي ، تحاكم وتحاسب وتؤيب وتعاقب فكره وضميره واخلاقه وتاريخه وجميع مستوياته على كل ذكاء وجمال وانتصار وابداع وتفوق يفعله ويملكه لانه لم يجيء افضل واقوى مما جاء ، ولانه يجب ان يجيء ومطالب بان يجيء افضل واقوى مما جاء ، لانه يفترض فيه ويتوقع منه ان يكون دائما اكبر واعظم مما يحدث ومما يفعل ، اي يفترض توقعه اكبر من واقعه مهما كان واقعه . . .

هل يأتي هذا العصر ، ومتى ؟ وهل توجد وسائل تجعله يأتي ويأتي سريعا ؟ وهل تعرف هذه الوسائل ان كانت موجودة او سوف توجد ؟ وهل من يعرفونها ان كانوا موجودين او سيوجدون ، يفعلونها ويحشدونها اي هذه الوسائل ؟ متى يأتي اليوم الذي لا يقسو فيه العالم على شيء مثلما يقسو على الانسان العربي حين ينقده ويقروؤه ويفسره ويحاسبه ويحدق فيه ويشترط عليه ويطالبه وينتظر منه ويعدد عطاياه الحضارية ؟

وافجيتهاه . . . وافجيتهاه اذا كان من اعظم امانينا القومية ان يصبح قومنا اهلا لان يقرأوا ويفسروا ويحاسبوا ويستنكروا ويستتبحوا وينقدوا ويرفضوا ويعابوا ويعاف عارهم . . . !

نعم ، يا قومنا اننا نتمنى لكم ذلك فهل تبلفون ما نتمناه ؟ هل تبلفون المستوى الذي يجعل عاركم وضعفكم وغباءكم مقروءا او مرثيا او مصروخا مشكوا منه ؟ اريدكم يا قومنا ان تبلفوا هذا الذي اتمناه لكم بكل اللهفة وقسوة الانتظار . ولعله لا احد يخيب ويهزم ويخطيء ويتعذب بانظاره وامانيه مثل من يذهب باصرار ينتظر من العرب ويتمنى لهم شيئا جيدا ، قويا او ذكيا . . .

انى اريد ان ارى الانسان العربي تعاب عليه وفيه اضخم المزايا لاني اريده دائما مفترضا اكبر واعظم مهما كبر وعظم ، ولا اريد ان اراه تغفر له وفيه دائما اصغر الرذائل واكبرها لاني لا اريده ان يفترض دائما اصغر واقل مهما صغر وقل . انسي اريده ان يحاكم دائما بقسوة لاني اريده ان يفترض ويفسر ويقرأ دائما بتهاول . . . ان العالم حتى اليوم لا يرى العرب او يستمع اليهم او يقروهم او يفسرهم او يحاكمهم او يحاسبهم او يغضب عليهم او يشتمهم منهم او ينكرهم او ينقدهم بشيء

من رؤيته أو استماعه أو منطقته أو ضميره أو أخلاقه أو نماذجه أو مقاييسه أو حضارته . انهم خارج جميع حساباته ومقاييسه الفنية والمنطقية والحضارية والانسانية . انه لا يراه اية رؤية يرى بها نفسه . .

اذن هل يوجد هبوط يساوي هذا الهبوط الذي هبطه العالم بالعرب حاضرا وتاريخا ومستقبلا ايضا اي في ما يبدو ؟ والقيادات والزعامات والعقول العربية بل والجماهير العربية تعتقد ان العالم يمجدها ويبايعها ويؤمن بتفوق العرب على العالمين حينما يغفل لهم ، لا يحاسبهم أو يراهم مهما صغروا وتغروا واثاروا غضب الحشرات واشتمزأها وافسدوا عليها حياءها ووقارها وناقسوها في ضآلتها وقمءاتها وطهارتها وشموخ مجدها . . والان ، لقد بقي الجواب عن التساؤلين السالفين الحادين .

انه مهما كانت قوة وصحة هذين السؤالين ، ومهما كان العجز عن تفسيرهما محتوما او حتى مطلقا وابديا ، فانهما لن يستطيعا ان ينقضا او يضعفا هذه الحقيقة . ان الحقيقة ليست حقيقة لانها لا تصطم بتساؤلات او باعتراضات حادة وقوية ومعجزة ، لن يريد ويحاول الجواب عنها أو التفسير لها . بل أن اكبر الحقائق واقواها هي اكثرها تصادما بما يبدو ويظن انه يناقضها ويبطلها . هل وجدت حقيقة واحدة لا اعترض عليها ؟ لعل الحقيقة لا تكون حقيقة الا بقدر ما تتحداها وتهاجمها بل وتحاصرهما اشرس واقوى التساؤلات التي لا يعرف الجواب عنها . . ليست احتمالات تصادم الذوات والاشياء بغيرها وتناقضها مع غيرها تكون وتتوقع بقدر ما تكون اي الذوات والاشياء كبيرة وقوية وثابتة وظاهرة ؟ ليس الذي لا يواجه المناقضات والتحديات الصعبة هو اما غير الموجود أو غير القوي أو العظيم ؟ ليس الشيء يناقض ويعترض عليه ويشك فيه بقدر ما يكون كبيرا قويا واضحا مرئيا ؟

ان الاله ان كان او اذا كان او لو كان موجودا لكانت الاسئلة او الاعتراضات على وجوده اقوى واكثر تعجيزا من كل الاسئلة والاعتراضات التي قد توجه الى وجود اي كائن اخر . . ان الاعتراضات والاسئلة والشكوك حينئذ على أخلاقه ومنطقه وشهامته بل وعلى ذكائه ووقاره وعقله وصرانته لن يوجه مثلها الى اي شيء في قوتها وحسمها وتعجيزها .

ان المؤمنين جدا بالاله والانبياء ومعجزاتهم وبوجودهم وبالملأكة وبالبعث والحساب والعقاب والثواب - نعم ، ان المؤمنين بذلك اقوى ايمان ليجدون ان الاسئلة والاعتراضات التي تناقض وتتحدى ايمانهم اشرس واكثر واطغر من كل الاسئلة والاعتراضات التي قد تتحدى ايمانهم بأي شيء . . انه لا احد يستحق الرحمة والاشفاق مثل المؤمن بالاله والاديان لقسوة وقوة وكثرة ما يناقض ايمانه من التحديات والتساؤلات التي لا يستطيع الجواب عن واحد منها .

ان اقوى واشهر عقائد البشر وافتناعاتهم هي عقائدهم وافتناعاتهم التي تواجه من المناقضات والتعقيدات والازمات والاعتراضات افساسها واعتاها واكثرها تعجيزا لن

يحاول ان يفسرها او ان يعرف جوابا عنها مريحا أو مقنعا أو حاسما أو حتى متفوقا .
ان مانراه ونسمعه ونحياه ونعاشره ليواجه من اسباب واساليب وقوة النقد والرفض
والشك اكثر مما يواجه من ذلك ما نتخيله او نتمناه او ننتظره .

ولعل اصغر واضعف المعتقدات والافتناعات في كل التاريخ الانساني هي اقلها
وقوعا تحت الهجمات والضربات والناطحات الباطشة المفسدة لراحة ولذة وقوة
الاستيقان . ولكن هل في اليقين لذة أو قوة او اي تفسير جيد أو جميل أو نافع أو
مريح ؟ أليس اليقين تبليدا وخمولا وضعفا وتناؤبا عقليا ؟ أجل ، انها لكثيرة هي
الاسئلة التي لا نعرف اجوبتها مع وجود الاجوبة عنها . ان العجز عن الجواب لا يعني
انه لا جواب . انه مهما كان الانسان مغرورا أو مهما طلب منه أو وجب عليه ان يكون
مغرورا ، فانه لن يستطيع ان يعتقد أو لن ينبغي له ان يعتقد بانه اذا لم يجد
جوابا فلا جواب . ولهذا فان جميع الاجوبة التي عرفت عن اصخم وأشهر واقسى
التساؤلات لم تعرف مرة واحدة أو في مرحلة تاريخية قصيرة ، كما لم تعرف بسهولة .
وان الاجوبة التي سوف تعرف لن تعرف في محاولة واحدة ولا في زمن قصير . . حتى
اصدق واوضح واكبر الاجوبة ، انها لا تعرف ولا تأتي الا بكل البطء والمقاساة .

ان الحقائق والاجوبة لا تعرف ابدا الا متعاقبة وباسلوب بطيء وعصي وكسول
جدا . وقد يكون من التمجيد للحقائق وللاجوبة عن الاسئلة المناقضة لها ومن اساليب
وضع الاغراء فيها واعطاها قوة السلطان ان تكون متعاقبة وبطيئة . نعم ، لعل
الحقائق لا تكون بهيجة أو مفرحة أو ذات مجد الا بقدر ما تواجه من المساءلات
والمناقضات الحادة القوية العصية . ولعل الاجوبة عن هذه المساءلات والمناقضات لا
تكون كذلك الا حينما يكون مجيئها بمقاساة وعصيان وتباطؤ .

ولعل البشر لا يسعدون او يعجبون بحقائقهم أو يطربون ويتحمسون لها الا بقدر
ما ترهقهم وتعاقبهم باسلوب مجيئها وانكشافها وبقدر ما يقاسون ويتعذبون من
محاولات صد الهجمات القوية الذكية عليها ومنها محاولة الاجوبة عن الاسئلة
العصية . . وقد يسعدون ويفرحون ويرضون احيانا اكثر عن انفسهم وعن حقائقهم
اذا عجزوا عن صد هذه الهجمات ، مؤملين ان يصدوها في نضالهم الاتي . .

اجل ، هل يمكن ان يجد البشر في اية حقيقة من حقائقهم اغراء أو جمالا أو قوة لو لم
تكن مهددة بالهجوم العنيف المخيف ، ولو لم يكونوا خائفين ومشفقين على اقتناعهم
بها وعاجزين ولو احيانا عن صد الهجوم عليها لكي يستمروا يحاولون صد الهجوم
ويستمروا يعتقدون ويعلمون انهم مناضلون دائمون ؟

هل مجد الايمان أو نشوته أو الحماس له في قيمة أو قوة ما نؤمن به ام في قوة
وشراسة المناقضة له والخوف عليه ؟ هل قيمة اي اله أو مذهب تساوي قوة
الاقتناع به وتساوي مزاياه الذاتية ام تساوي قوة المناقضة له والتشكيل فيه
والخوف عليه والدفاع عنه ؟

ليس محتوما ان يفقد البشر النشوة والحماس والتوهج والنشاط الفكري والنفسي لو ان ايمانهم بحقائقهم فقد كل تهديد وتحد ومقاومة مضادة ؟ نعم ، كم من النشوة والحماس والروعة في ان تكون لك اعتقادات تهاجمها باقوى الاسئلة التي لا تجد اجوبتها ؟ اذن ليس محتوما او محتلا جدا ان يدبر الناس لايمانهم المناقضات والمقاومات لو انهم لم يجدوا ما يناقضه اي يناقض ايمانهم ويتحداه ولو بالاسئلة التي يصعب أو يرهق أو يعجز الجواب عنها ؟ ان البحث عن الاجوبة وصناعة الاجوبة التي تكون مرهقة أو غير مستطاعة أو مقنعة غرض وفن من اغراض وفنون الحياة الانسانية الباحثة عن القلق . . . ان البشر قد يتعمدون أو يتمنون ولو احيانا القاء شيء من الغموض على حقائقهم و اخفاء جوانب منها ووضعها او عرضها في موقف المهدد بالخطر والهزيمة وبال هجوم المعادي القوي ، لكي ينهضوا ويجندوا انفسهم ، عضلات وتفكيراً ومشاعر وصيحات وتحذيرا ، دفاعا عنها وخوفا عليها ، لكي يهبوا انفسهم للنشوة والحماس و اوصاف الابطال المناضلين المهديين بوحوش الاعداء . ان الشعور بالخطر وبالمناقضة والتحدي ومحاولة المقاومة لذلك احتياج نفسي وفكري ومذهبي واخلاقي للانسان . ان فيه لتسويغا لحماقاته وتقاهاته ولرضاه عن نفسه . .

ان التساؤلات المناقضة والمعجزة احيانا ، ومحاولة الاجوبة عنها ، والوقوف موقف المدافع المهدد بالهجوم عليه وبالهزيمة أو الابداء له شهوة ونشوة ورغبة من نشوات وشهوات ورغبات الحياة والبشر . ان الحياة لتحتال ، أو لتفعل وتكون وكأنها تحتال ، لتجعل ذلك كذلك دائما في كل القضايا والمواقف . . ان فيه لفرارا من الخمول والاسترخاء ، واقتناعا للذات بان لها رسالة امام نفسها وامام كل شيء . ان القلق والنبض هما مجد الحياة وقيمتها وفرحها وجمالها . ولهذا فان من طبيعة أو من قوانين الاشياء ان الشيء مهما كان واضحا ومرئيا بكل العيون والعقول والحسابات والمحاورات لا بد أن تكون فيه جوانب خفية وتقاسير غير مفهومة وان تهاجمه تساؤلات قوية لا جواب عنها أو تبدو وكأنها لا جواب عنها . ان شيئا ما لن يكون بلا اعتراض أو تساؤل أو عقدة . ولو وجد مثل هذا لما كان له نبض أو جمال أو اغراء أو قوة . . اذن فان جميع المناقضات والمساءلات مهما كانت شرستها وقوتها لن تستطيع نقض أو اضعاف هذه القضية اي قضية ان العرب بدون تعليم لن يستطيعوا ان يعرفوا أو يلتزموا حركات الاعراب المتبدلة تحت العوامل الكثيرة المتبدلة ، وانهم لم يكونوا في اية فترة من تاريخهم يعرفون ذلك أو يلتزمون به أو يستطيعون معرفته أو التزامه . بل ان هذه المناقضات والمساءلات لا بد أن تتحول الى مزيد من الاقتناع بهذه القضية ومن الحماس لها والاغراء بها ومن اعطائها النبض والمجد والقدرة على الانتصار . . انها تحولها الى حياة وتوقد نفسي وفكري لثلاث تظل موتا وركودا وتبلدا . ليس اقوى آلهتك حياة ونبضا في نفسك هو الاله المهدد بالموت او بالهزيمة المذلة تحت الضربات والهجمات القوية المضادة التي تخشى الا تستطيع صدها ؟

اذن فليزداد كل انسان اقتناعا وفرحا وسعادة ومجدا واستمساكا ببعيدينه أو حقيقته أو بالهه أو مذهبه بقدر ما يواجه من المناقضات والمسائل الذكية القوية المتحدية التي تحكم عليه دائما بان يعبى ويوجد كل نفسه ، كل اوقاته ، مدافعا صاددا للهجمات أو محاولا صدها ، وصانعا الاجوبة التي قد تكون عصية جدا أو غير حاسمة أو مريحة . كم هي سعادة ونشوة وفن صناعة الاجوبة الصعبة وغير المقنعة أو الحاسمة ..

انه لا وسيلة غير هذه الوسيلة لكي تكون الحياة والاشياء والمعتقدات والحقائق والادهام ايضا حية نابضة مجددة ملهمة متجاوزة لمناخ وظروف الاسترخاء والخمود والتبذل .. كم انت شاعري الحياة والكينونة بقدر ما يحترق ويتنزي فمرك وخيالك وتاريخك وتعاليمك تحت هجمات الاسئلة الذكية القوية التي لا تستطيع صدها أو اقناعها أو اسكاتها .. التي لا تستطيع رفضها أو اغفالها أو الهاءها أو العجز عن سماع صوتها أو الابتعاد عن مرمى طقاتها ..

ان الحياة بلا مناقضة قوية متحدية كالوجود بلا حياة ، وكالحياة بلا قلب ، بلا حب ، وكالخب بلا محبوب أو بلا مكان وظروف وتحريض والهام للحب . ان الحياة بلا سؤال ممجز وجواب عاجز تمويت بل واذلال وتحقير للفكر والرؤية والحماس بل وللقلب والايمان والافتناع ..

ان اعجز العقائد والحقائق عن التحريك والتحريض والالهام بل وعن الاقتناع هي التي لا تواجه التحديات المناقضة القوية .. هي التي لا تهجم وتدافع ، لا تخيف وتخاف بكل التوقد والتوجس والحركة والسرعة والرؤية ..

ان هذه الحقائق والعقائد هي اكثر الحقائق والعقائد موتا وخمولا وعجزا واقدرها على ايقاع الموت والخمول والعجز والبلادة والكآبة بأصحابها . كم هي مينة ذليلة عاجزة مهجورة منسية تلك الالهة والمعتقدات والنظريات التي لا تهب عليها دائما اقوى الاعاصير لتظل دائما خائفة مدافعة محاكمة محاسبة لنفسها ومنطقها وقوتها لتظل دائما متحركة مغيرة لمواقفها واساليبها وخطوط دفاعها ؟

ان اي وثن يصنع للمؤمنين به الحماس والنشوة والحركة والتسعر الفكري والعاطفي والاخلاقي لهو انفع لكل معاني الحياة من اي الهه تغطي وتذل قدماء الغليظتان كل ارجاء السموات ويزاحم عرشه الذي يجلس عليه بنتاؤب واسترخاء وتبذل كل اطراف الكون اي ان كان مثل هذا الاله الفادح سيتحول الى خمود وبرود فكر واحساس ورؤية وحركة واحتجاج وغضب وكينونة . اجل ، ان اي الهه أو مذهب أو نبي أو قائد أو زعيم لا يساوي نفسه بل يساوي المؤمنين به وما يطلق فيهم من نخوة وحماس وجنون متوقد مناضل . اني لا امل ولا استحيي من تكرار رأيي هذا ..

نعم ، ان ضبط حركات الكلمات المتغيرة تحت العوامل العديدة المتناقضة شيء لا يستطاع بالغريزة أو السليقة أو السماع أو المحاكاة أو الاصالة أو بالتدين أو الحب أو النظافة أو الشجاعة أو العبقرية أو القومية أو الوطنية أو الانسانية أو باخلاق العروبة وخصائصها ومزاياها العريقة . . نعم ، ان مزايا العروبة ساحرة . ولكنها لن تكون ساحرة في هذه القضية . ان الساحر قد يصبح مسحورا احيانا . انه لرأي يجب ان يصنع الاسى والكآبة اعني الرأي الذي يزعم ان كل نساء واطفال وجهال وتجار ورعاة وجماعير الجاهلية كانوا بالسليقة المولودة يتنقلون بكل الالتزام مع حركات وتبدلات الكلمات المتحركة المتبدلة تحت عديد العوامل المتحركة المتبدلة الا يحتمل ان جمال وخبول العرب كانت في ذلك التاريخ العبقري تلتزم ايضا بقواعد الاعراب . . . ؟

اذن فان اي تشكيك أو تساؤل مهما بدت صحته أو قوته لن يستطيع أن يكون نقضا أو اضعافا لهذه الحقيقة . . انها لحقيقة يعلنها ويؤكدها ويوقع عليها ويجربها كل التاريخ بكل تجاربه ومراحله واختباراته وبكل نصوصه وقراءاته وتفسيره . .

اجل ، ان الانسان بكل حياته وكيوناته ومواجهاته وحقائقه ليس الا حشودا هائلة متراكمة متعاقبة من الاسئلة الحادة الدائمة المقلقة التي لا جواب عن واحد منها . نعم ، ان الانسان بل وكل شيء ليس الا أسئلة متراكمة مهما صممت هذه الاسئلة وكل الاسئلة . . انه لو كانت قوة الاسئلة المناقضة التي لا يستطاع الجواب عنها تنفي كينونة الشيء أو حقيقته أو وجوده لما وجد شيء يجب الاقتناع بانه غير شيء وغير موجود وغير حقيقة مثل الانسان . .

اذن فهذه الاسئلة وكل الاسئلة الاخرى المناقضة لهذا الرأي الذاهب الى ان العرب لم يكونوا ، بدون تعليم ، يعرفون أو يستطيعون الالتزام بقواعد الاعراب المتبدل خضوعا للعوامل المتبدلة ، هي اسئلة موجهة الى الانسان والحياة والى اي شيء ، أو موجهة الى الانسان لكونه حياة وشيئا اي لكونه وجودا ، وليست موجهة الى هذا الرأي لانه ضعيف أو خطأ ، أو هي موجهة الى هذا الرأي لكونه رأيا وشيئا اي لكونه انسانا وحياة لا لكونه ضعيفا أو خطأ . . ان كثرة الاسئلة وقوتها لا تعنيان ضعف الشيء المهاجمة له هذه الاسئلة أو كونه خطأ بل قد تعنيان العكس أو يجب ان تعنيان العكس . . ان الاسئلة التي يمكن ان توجه الى الانسان لكونه وجودا وحياة وكيونته أو لحسابانه منطقيا وشيئا جيدا أو نافعا أو معقولا أو مفيدا هي اعظم واكثر من كل الاسئلة التي يمكن ان توجه الى اي رأي من ارائه مهما كان ضعفه . . بل ان جميع الاعتراضات والاسئلة المناقضة الموجهة الى ارائه هي موجهة اليه هو لا الى ارائه .

كذلك ، فان جميع الاسئلة والاعتراضات وكذا الاجوبة ليست موجودة في نفس الاشياء بل في نفس الانسان . ان ذكاء اي شيء وغباؤه وكذلك جماله ودماسته ليست في منطلق أو تركيب الشيء بل في حياة الانسان . ان الاسئلة والمناقضات التي يمكن توجيهها الى افتراض ان العرب كانوا بلا تعليم يعرفون ويلتزمون قواعد الاعراب

بالطبيعة أو الارث والتورث أو الحس أو بعبقورية الاذن والفم العربيين أو بموهبة الصدق والالتزام والتقليد والوفاء واتباع الاباء في الانسان العربي ، لا بد ان تكون اكثر واكثى واقوى من الاسئلة والمناقضات التي يمكن ان توجه الى الافتراض المناقض القائل بأن العرب لم يكونوا يعرفون أو يستطيعون ذلك بغير التعليم والتحفيز المحكومين بكل ألوان المقاساة ، بالاسلوب الذي به يعلمون ويحفظون اسماء وأوصاف واخلاق وتواريخ وحروب وهموم وآلام آباؤهم وانبيائهم وابطالهم وآلهتهم المرويين في الكتب والروايات والاساطير . . . الذين لا تستطيع العقول أو الاخلاق ان ترويهم أو تحفظهم أو تفهمهم أو تفسرهم بل أو ان تقرأهم لشمول شخوذهم وتحديدهم ومصادمتهم لجميع النماذج والمقاييس والشروط العقلية والاخلاقية والنفسية ولشمول خروجهم عليها . نعم ، هل يوجد شيء يستحق كل الرثاء مثل العقول أو الاخلاق التي يحكم عليها بأن تقرأ وتحفظ وتتعلم أوصاف واخلاق وتاريخ آلهة وانبياء وابطال وعباقرة العرب ؟

ان العربي لن يستطيع ، بالسماع أو التقليد أو السليقة أو الموهبة ان يعرف أو يلتزم اعراب الكلمات المتغيرة الا بقدر ما يستطيع ان يعرف بقوة ايمانه أو نكائه أو تدنيه لون أو طول أو اتساع العرش الذي يجلس عليه الهه ، أو من اية مادة صنع أو متى صنع أو من صنعه ، أو متى يبلى ويتحطم من طول جلوس الاله عليه ، وهل ينهض اي الاله من فوقه ، وفي اية فترة من فترات النهار أو الليل ينهض ، وكم مرة ينهض ، واذا نهض اين يذهب أو يجلس ، وهل ينهض للراحة ام لسبب اخر ، لراحته هو ام لراحة العرش ، وهل يجلس على العرش احد سواء حين ينهض عنه ، ومن هذا الاحد الذي يجلس عليه ، واذا جلس عليه هل يكون ملزما بأن يؤدي كل اعمال الاله . . . واذا لم يكن ينهض في اية لحظة من فوق عرشه فهل يطبق ذلك أو يريحه أو يسعده . . . هل يمكن تصور عذاب أو خمول أو عجز أو قبح مثل تصور الاله محكوما عليه بالجلوس الابدى فوق عرشه لا ينهض من فوقه ابدا ، سواء أكان جلوسه عليه جلوسا جسديا ماديا أم جلوسا ادبيا وظيفيا ؟ قبيح وبذئ منق من تصوروا الله فوق عرشه بلا خلاص أو مفارقة . . . نعم ، هل التزامه الدائم الابدى بالجلوس فوق العرش ، ان كان محكوما عليه بهذا الالتزام ، التزام وظيفي أم اخلاقي أم نفسي أم فني ام هو اسلوب من اساليب الالف والعادة ، ام هو بسبب الكسل أو العجز أو الشيوخوخة أو رهبة المفارقة ، ام هو الخوف من احتمالات ان يكون هناك ممن حوله وفي مملكته ، منافسون متآمرون مغامرون طامحون يحسبون ويحسبون انفسهم ثوارا، يبنون ان يسلبوه عرشه، ويدبرون ويخططون لذلك وينتظرون الظروف الملائمة للهجوم والتنفيذ ، مثل الذي يحدث اليوم وداثما فوق هذه الارض ولا سيما في العالم العربي وفي كل العالم المشابه للعالم العربي ، من توالي القفزات والمؤامرات على العروش لاسقاطها وسلبها . . . فهو اذن اي الاله يظل دائما جالسا فوق عرشه بل مصلوبا

فوق عرشه ، يقاسي من الخوف والعذاب ، توقعا للمؤامرات واحتمالات الاسقاط اكثر واقسى مما قاسى ويقاسي جميع الجالسين على العروش وعلى الحكم ولو الحكم الثوري المفتصب ، من ذلك اي من الخوف والعذاب ٠٠ اليس محتوما او محتملا ان توالي التآمر على الحكم في العالم العربي لا بد أن يصيب الاله بالخوف الرهيب على عرشه ، توجسا ان يكون في من حوله من الاعوان متآمرون سارقون للحكم ؟ هل فكر المسارقون للحكم ان الاله قد يتعذب خيفة ان تسرق منه الالوهية بهذا الاسلوب الثوري المتآمر تحت اي شعار ؟

نعم ، ان الانسان العربي لن يستطيع بدون تعليم وتحفيظ ومقاساة ان يعرف ويلتزم بقواعد الاعراب الموضوعه الا بقدر ما يستطيع ان يعرف بقوة ايمانه او تقواه أو ذكائه ، اي بلا انبياء وشيوخ يعلمونه ويلتقونهم - ان يعرف نوع ملابس الهه أو نوع متعه وشهوته ولذاته ومسرته وتخيلاته وتمنياته وطموحه واحلامه وحبه ، ونوع الرياضة والمهارة والمسلاة التي يمارسها ويسعد بها ويتقنها ، ونوع الجلساء والاصدقاء والمستشارين الذين يرضاهم ويختارهم ويحبهم ويتعامل بهم ومعهم ويعتد عليهم بثقة وشعور بالامن والمجد والمباهاة ٠٠ او ان يعرف بدون تلقين انبيائه وشيوخه ان الاله يجد سعادته ومجده وحكمته وعبقريته في ان يمرض ويشوه ويقتل ويذل ؟ اجل ، هل يمكن افتراض الاله بدون كل هذا ، وهل يمكن افتراضه وله كل هذا ، او يمكن تصور هذا الذي لا يمكن افتراضه اي الاله بدونه ؟

هل يمكن تصور اية صيغة للاله أو تصوره بلا اية صيغة ؟

هل يمكن ان يتقبل اية صيغة أو أن تتقبله اية صيغة ؟

هل تستطيع اية عين ان تراه او يستطيع ان يثبت امام اية عين تريد ان تراه ؟ كيف استطاع اي خيال او فكر أو ضمير أو ايمان ان يجد له اي للاله اية صيغة أو أن يجده او يتقبله في اية صيغة أو ان يختزنه في داخله اي عقل متصورا له في اية صورة أو نموذج أو تفسير ولو لحظة واحدة من الزمان ٠٠؟

هل يمكن ان يكون أو ان يقبل بلا اية تفاسير ، أو ان تقبل اية تفاسير توضع له ، او ان توضع له أو فيه اية تفاسير ؟ هل يمكن ان يكون هناك منطق مصابا بالتشويه والقبح مثل المنطق الذي يضع أو يقبل للاله تفسيرا أو صيغة تستطيع العين أو الاذن أو الضمير أو الايمان أو التقوى أو الاخلاق ان تراهما أو تقرأهما أو تسمعهما أو تحبهما أو تسعد بهما أو تفتنن بهما ؟

هل يمكن افتراضه مسرورا سعيدا مستمتعا متفائلا فنانا ذكيا قادرا مريدا محبا جميلا مغنيا ، او افتراضه نقيض ذلك ؟ هل يمكن افتراضه اي شيء أو نقيضه ؟ هل يقبل اي افتراض ان يكون افتراضه ؟ هل يوجد له اي افتراض بين جميع الافتراضات؟ هل يمكن ان يقبل أو يفهم أو يغفر له لو وضع تحت اية محاكمة أو محاسبة أو

مقاييس أو تفاسير أو توقعات ، أو ان يقبل أو يتصور طليقا من كل ذلك ومن كل شيء ؟ كيف امكن الاعتقاد ان اعفاءه اي الاله من كل محاسبة ومحكمة والتزام واشتراط عليه وله وفيه هو اقوى وانتقى اساليب التكريم والتعظيم له ؟

اذن هل يمكن ان يتحول اي الاله الى تفاهم أو تلاؤم أو صداقة أو محبة مع اي عقل يفكر ويفسر ، أو اخلاق تعشق وتشترب ، أو عيون ترى وتقرأ ، أو ضمائر تتقبل وترفض ، تبتهج وتحزن ؟ اذن كيف امكن ان تتوقف كل العيون والعقول والضمائر والاخلاق عن الرؤية والقراءة والتفسير والفهم والاشتراط وعن التقبل والرفض لكي تراه وتقرأه وتفسره وتفهمه وتجده كل الجمال والذكاء والشروط المطلوبة العظيمة . نعم ، هل رأى الله كل الجمال والذكاء الا العين التي لم تره والعقل الذي لم يقرأه . . . والضمير الذي لم يشترط عليه اي شرط ؟

هل حقر أو اهين أو عذب شيء مثل عقل الانسان وضميره وقلبه ورؤيته واخلاقه حينما فرض أو حكم عليه أو حاول ان يجد ويرى ويفسر ويفهم ويعقل ويتقبل الاله بكل رؤاه وتفكيره وطموحه ونماذجه وامانيه ومواجهاته واخلاقه ، وبكل ايمانه وصلواته وحبه وشكره وثنائه ؟ ولكن هل طلب بل أو قيل من اي انسان ان يرى الاله أو يفهمه أو يعقله أو يفسره أو يجده أو يتقبله أو يتصوره الا بأذنيه من افواه انبيائه وكهانه ؟ اليست اذنا المؤمن كل علاقاته بالاله ؟

نعم ، هل يمكن ان يفهم أو يقبل أو يغفر أو يتصور مثل هذا الاله بلا تعليم وتحفيظ واكرام الا اذا كان ممكنا معرفة قواعد الاعراب والالتزام بها بلا تحفيظ وتعليم ومكابدة غير جميلة أو سعيدة أو مشتهاة أو حتى ناعمة لاي شيء أو لاي كائن ؟

نعم ، اليس القول بان كل عرب الجاهلية كانوا بلا تعليم يلتزمون قواعد الاعراب يساوي القول بان كل افراس العرب واغنامهم وانعامهم في الجاهلية كانت بحسبها الفني تنشد قصائد المعلقة الخالدة بكل أوزانها العروضية وقوافيها الموحدة دون ان تخطئ، افواها ناطقة أو أذناها سامعة ؟

غَيَّرُوا الْقَادَةَ وَلَكِنْ لَا تَنْتَظِرُوا أُخْبَارًا جَدِيدَةً

••• غيروا القادة ولكن لا تقراوا النجوم او تستمعوا الى مفسري النجوم تفسيريا دينيا او عربيا • غيروهم ولكن لا تنتظروا انسانا جديدا او قرآنا جديدا •• لا تنتظروا ان يلد الانسان غير انسان او يلد غير الانسان انسانا او تلد الشمعة شمسا ، او يلد الانسان المصوت انسانا متكلم اي مفكرا •• ولكن لا تنتظروا ان يجيء السحاب الى غير ارضه ، او يتكون في غير طقسه ، او تفيض الانهار التي لا تسقيها الامطار •• غيروا القادة ولكن لا تنتظروا ان تلد النمل افيالا او الفئران ليوثا ، أو الغربان صقورا أو بلابل ، او يصنع النباح او الزئير مجدا او انتصارا او غناء ، او الوعظ جمالا او نكاه او تقوى او محبة ، او تصنع رعود الصحراء انهارا ، او تحول المرأة الزورة الوجه الدميم جميلا •• ولكن لا تنتظروا ان يلد الكائن او الكون غير من حبل به ، او تنبت الارض غير بذورها ، او تمطر السماء غير سحابها ، او تحبل بغير نجومها ، او تولد النجوم في غير سمائها ، أو تلدها غير سمائها او تمطر السحابة غير مائها ، او يتخلق النبي في غير شعبه او يلد غير شعبه او ينكلم بغير لغة شعبه ، أو يبعث الى غير شعبه او يجيء اكبر من شعبه ، او يوحي اليه غير ملاكه او ينزل عليه غير كتابه ، أو يفسر كتابه بغير لغة ومنطق وضعف شعبه ، او يجيء الدجال الى من لا يتضرعون اليه ليحيى او الى من لا تعيش كل اخلاقه في اخلاقهم ••

••• غيروا القادة ولكن لا تؤملوا ان يتحول النفط العربي الى مجد عربي او أن تلد الكعبة انسانا يستطيع ان يسير فوق القمر بقدميه غير المستوردتين ، او أن تتخلق في اي نبي او قائد او مفكر عربي مواهب غير عربية اي غير صوتية او أن يتحول العربي الى ناثر حضاري •• ان يصبح الثوري العربي ثوريا حضاريا •• ، الى زمن قريب كانت تصدر في العالم العربي مجلة شهيرة ومحترمة وحادة في عروبتها •• وكان صاحبها يعد من المعلمين والرواد الاوائل ••

كان لهذه المجلة شعار مكتوب على غلافها • مكتوب بثقة واعجاب بل بفرح ، بفرح من يكتشف اكتشافا عبقريا لن تستطيع كل الاكتشافات العبقرية منافسته •

كان يبدو لكاتب هذا الشعر وقائله انه به يفسر كل اخلاق التاريخ ومنطقه وقوانينه ومسيرته الدائمة في تيهه الطويل العقيم . .

يقول الشعر الكبير في حساب قائله ، بل وفي حساب قارئه :

« المسلمون الى خير ولكن الضعف في القيادة » . .

كانت هذه الكلمة في فم قائلها واذن سامعها تساوي كل ما في الكون والحياة من تفاسير . انها اقتحام لكل قوانين الطبيعة .

يا لها من كلمة سهلة وبسيطة . كان قائلها يظن ان الواقع سهل وبسيط مثل سهولتها وبساطتها . وكثير من الناس يحسبون ان الحقائق سهلة مثل سهولة الكلمات التي تقال لتعبر عنها اي عن الحقائق ، او هكذا يبدو انهم يحسبون ذلك كذلك . ولعل كثيرا من الناس يظنون ان الحقائق الصعبة والمعقدة تصبح سهلة وبسيطة اذا عبروا عنها تعبيراً سهلاً بسيطاً . .

يقول الصهال الاكبر الذي يظن ويظن له انه يحفر حكمه وكلماته في اقدم التاريخ ، ويكتبها على جبهة الطبيعة ، ويفسر بها جميع قوانين الحدوث والكينونة ، جميع قوانين البدء والانتهاء - أي يقول المتنبي

وانما الناس بالملوك ولا . .

يفلح عرب ملوكهم عجم

انه يرى ان الملوك اي جميع انواع الحكام والمتسلطين هم الذين يصوغون الناس ويهدونهم مزاياهم ووزائلهم ، يجعلونهم اذكيا واقوياء ومبدعين واعزة منتصرين ، او يجعلونهم نقيض ذلك . .

يجعلونهم عربا كل عبقريتهم ان يصوتوا او متحضرين مبدعين يفكرون ويتكلمون

بصمت . . .

ان الفرق بين اعظم المجتمعات وارديتها ، بين اعظمها تقدما واكثرها تخلفا هو فرق بين ملوك اي بين سلاطين وخلفاء وقياصرة ورؤساء وثوار وقادة ، وليس فرقا بين بشر او مواهب وطاقات . .

اذن فالشعب العظيم جدا هو شعب ركب فيه او اسقط عليه من فوق النجوم ملوك وقادة وحكام من نوع ما . اما الشعب العاجز المتخلف الفاسد جدا فليس الا شعبا قد ركب فيه او اسقط عليه قادة وحكام وملوك من نوع اخر . اذن فنقل احد الشعبيين الى الشعب الاخر انما يكون بنقل النوع الاخر من الحكام والقادة والملوك اليه . اذن فالشعوب لا تقرا ولا تفسر لتفهم نقائصها واسباب عجزها وهوانها وانما يقرأ ويفسر حكامها .

ويروون عن الامام احمد بن حنبل ، وهم يريدون تمجيد ذكائه وعبقرية رؤيته

وفروسية عقله انه قال :

« لو كانت لي دعوة مستجابة لدعوتها للسلطان لان صلاحه صلاح للامة وفساده فساد لها ، . . ولكن اذا كانت له مثل هذه الدعوة فلماذا لا يدعوها لكل ما في هذا الكون من الام وهموم وذنوب وعاهات ومخاوف ومظالم وحماقات لتزول ؟
 ليتعجب من هذا المنطق حتى من لا يملكون موهبة التعجب . . ليحزن حتى من لا يملكون اي قدر من فضيلة الحزن وموهبة الحزن على قوم هذه قمة منطق وعبقرية احد ائمتهم وعباقرتهم الكبار العظام . انه يهب دعوته التي يعلم انها لا بد ان تستجاب للسلطان لكي يصلح ولكي يتحول صلاحه الى صلاح للناس ، يقينا او ظنا او املا . . سذاجة عقلية ونفسية لم يقرأ التاريخ ولن يقرأ لها مثيلا الا في عبارة العروبة واثمتها . .

اليس عبثا وغباء وسخفا لا مثيل له ان تحضر الطبيب او أن تصنعه لكي يشفي المريض او يحاول شفاؤه ، اذا كنت تستطيع شفاء المريض دون احضار الطبيب ودون خلقه ، اذا كنت تستطيع شفاء المريض بل شفاء كل مريض وازالة كل مرض بكلمة واحدة تتوجه بها الى احد النجوم التي لا تراها ولا تراك ؟

اليس هذا يساوي في ذكائه وعبقريته التنفيذية ان نذهب تعلم انسانا القراءة او الكتابة او الرسم او الصلاة أو اية صنعة او موهبة او ان تخلق هذا الانسان ، لكي يحاول بعد أن تعلمه ذلك او بعد أن تخلقته ، ان يعلمك او يعلم ابنك هذا الذي علمته ، او لانك تؤمل ان يفعل ذلك بعد ان تعلمه او بعد أن تخلقته ، دون ان تفطن الى ان السلوك الذي لا يحتاج الى اية معاناة في الذكاء هو أن تعلم حينئذ نفسك او ابنك ما تريد تعلمه وتعليمه بدون هذا الوسيط ؟ اليس هذا يساوي ان تصنع لك رجلا صناعية مؤملا ان تسير عليها وانت تستطيع ان تستعيد رجلك الطبيعية بكلمة تقولها . . اليس هذا الاسلوب يساوي في خروجه على جميع بدهيات الذكاء والمنطق اسلوب الاله حينما يذهب يقاسي ويقاسي لكي يرسل الانبياء وينزل الكتب والتعاليم ويصوغ تهاويل الترغيب والترهيب ، مؤملا ان يجعل الانسان بذلك يخافه ويحبه ويعرفه فيطيعه ويعبده ويذل ويصلي له ، متعذبا بلهفات الانتظار والتأميل ، وبمشاعر الخيبة والانهزام ، - وهل وجد أو يوجد معذب بلهفات الانتظار والتأميل وبمشاعر الخيبة والانهزام مثل الاله - نعم ، مع الافتراض انه اي الاله يستطيع بدون هذه الوسائط والوسائل المحتومة هزيمتها ، أن يجعل الانسان وان يصوغه كما يريد ويريد منه ؟ الاله يشقى بصنع اجهزته التعليمية مؤملا هداية الانسان وهو يستطيع هدايته بدون ذلك يقينا لا تأميلا . .

اليس محتما بل وواجبا ان تحزن لذكاء الاله في هذه القضية بل وفي كل قضية؟ وهل يوجد ذكاء يستحق من الرثاء كالرثاء الذي يستحقه ذكاء الاله ؟ بل هل يوجد ذكاء او سلوك يستحق من الغضب كالغضب الذي يستحقه ذكاء الاله وسلوكه ؟
 اذا كان الامام ابن حنبل يملك دعوة واحدة مستجابة ويعلم انها مستجابة ، وهو

يريد ان يهبها لاصلاح الناس فلماذا لا يدعوا لهم مباشرة ليعيشوا كل الهداية والصلاح اللذين يريدتهما لهم ، لا ان يذهب يدعوا للسلطان لكي يهتدي ويصلح ، ولكي يتحول اهتداؤه وصلاحه الى أمل في هداية الناس وصلاحهم ؟ انه لمنطوق وسلوك لن تخطيء فيه او تضل عنه الحشرات الصغيرة ، فكيف يخطيء ويضل عنه الامام ابن حنبل وكل من ظلوا يروون عنه ذلك باعجاب وانبهار من حكمته وعبقريته؟ هل المعلمون والائمة الكبار هم اضعف منطقا وسلوكا وعبقرية من الحشرات والديدان الصغيرة ولو احيانا ؟

انه لا يد من الاعتذار عن هذه المحاوره التي مهما كانت قيمتها وصدقها فانها ليست هي القضية . ان القضية هنا هي اعتقاد الامام ابن حنبل والرواه عنه بل والجميع بان الحاكم هو الذي يجعل الناس عظماء واثقياء او تافهين وفسادين . . .
اذن وضع هذه المحاورات والحاسبات هنا وضع لها في غير مكانها . ولكنها لن تكون ظالمة او مظلومة ولا لائمة او ملومة في وضعها هذا . . .
ويوجد حديث نبوي مشهور لا يرتاب المحثوثون ولا المؤمنون في كون النبي قد قاله .

يقول هذا الحديث الكبير المعني فيما يعتقدون ويقررون :
« الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله . . . الا وهي القلب ، . . . »

يرى الذين يريدون ان يببوا ويفهموا محلقتين في فهم اسرار الدين والحياة والتاريخ والبشر ، وفي فهم الاعماق البعيدة لكلمات النبوة : ان المراد بالقلب هنا الذي اذا صلح صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله هو الحاكم اي الملك او الرئيس او الخليفة او الامام او القيصر الثائر . كما أن المراد بالجسد هنا المجتمع او الشعب او الامة او الناس . ولكن ايهما يصنع الاخر ويهبه ويعلمه ويصلحه ويقوده : القلب ام الجسد ان كان احدهما فاعلا والاخر مفعولا او مفعولا له او به او من اجله ؟ هل القلب فاعل او قائد للجسد اكثر من العكس ؟

ان من القضايا المتقررة التي لا تجوز الاساءة اليها بمحاولة المزيد من الاقتناع بها أو التاكيد لها لدى جميع كتاب العرب ومفكرهم ومؤرخهم ونقادهم وعلمائهم ان المجتمع المتخلف الفاسد العاجز المهزوم البليد انما يعني حاكما فاسدا او بليدا او شريرا او رجعيا او عميلا للاعداء ، وان المجتمع المناقض لهذا المجتمع انما يعني حاكما مناقضا في مزاياه لهذا الحاكم . ان الحاكم هو كل الداء وكل الشفاء . كل الامل والياس . . . انه لا يوجد سبب او تفسير للهزائم او الانتصارات ، للقوة أو الضعف ، للمظلمة أو النفاهة ، للتقوى او الفجور في اي مجتمع، غير الحكام والقادة .
انها لقضية يصعب التشكيك فيها أو محاولة المراجعة لفهمها وتفسيرها أو اختراق حواجز الاقتناع بها . . . لقد استراح المفسرون والمفكرون والمعلمون العرب الى

ذلك - استراحوا من مقاساة ورهبة التفكير والفهم والرؤية ومحكمة النفس وتجديدها والتحديق فيها .

اذن فتخلف العرب وعجزهم وهزائمهم وبلاداتهم واحقادهم وتباغضهم وجميع قبائحهم ووقاحتهم النفسية والاخلاقية والعقلية واللغوية لا يمكن تفسيرها الا بالحاكم الذي يحكمهم . كما ان شفاءهم من كل ذلك لا يكون ايضا الا بالحاكم اي بتجديده وتغييره او بنصحه وتوبته واستقامته واصلاح سريرته . ان الفرق بين الشعوب العربية وبين اقوى وارقى واتقى الشعوب لا يساوي اكثر من الفرق بين الحكام والقادة والزعماء هنا وهنا . . .

وحتما هم لا يفهمون ولا يفكرون او يتساءلون : لماذا دائما يجيء حكامهم وقادتهم ضعافا او اشرارا او اندالا او جهالا او اغبياء او طغاة او بلها أو بداءة النفوس والعقول والاخلاق واللغات ، او لماذا يجيئون كل ذلك - كما لا يفهمون او يفكرون او يتساءلون : من الذي او ما الذي يصوغ ويهب مزايا الحكام ووراثتهم او من اين تجيء اليهم مزاياهم ووراثتهم ، او لماذا يجيئون هنا بكل هذه الرذائل وهناك بكل هذه المزايا ، ومن يقسم عليهم حظوظهم من هذه وهذه ، لماذا هم دائما هناك جيدون ، وهنا هم دائما رديئون . انهم معصومون هنا ودائما من اخلاق ونيات ولغات وخواطر المسألة والمحاسبة والرؤية المحدقة . . .

لقد كانوا يؤمنون بهذه القضية بالاسلوب أو المنطق الذي به يؤمنون بان للاله عينين يرى بهما كل شيء ، كل الرؤية ، كل الوقت ، دون ان يفهموا او يفكروا أو يسألوا : هل هذا محتمل، هل محتمل ان يكون الاله يرى ، وهل من لذته او سعادته أو راحته او مجده او شهامته او عبقريته ان يرى كل هذا . . . وهل يطبق ان يرى كل هذا دون ان تقتله رؤيته لعاره ولقسوته ولخروجه على جميع نماذج ومستويات الجمال والاحساس الفني والذكاء والرحمة والعدل . . . دون أن يموت خجلا واشمئززا وكرها ورفضاً واستقباحاً لوجوده ولقدرته وموهبته ولاشواقه وصيغته النفسية والاخلاقية والعقلية . رهيبه تبيحة هي كل صيغته ، اي صيغ الاله . كيف يطبق رؤيتها ؟

نعم ، دون أن يفهموا او يفكروا او يسألوا : من الذي ركب فيه عينيه ، ولماذا ركبتا اي عينا الاله بكل هذه القسوة والقبح والوقاحة والبلادة والفضول والموت والعجز عن الاستجابة وعن الحب والشهامة والانفجاع والارتياح والاستحياء . هل يمكن تصور بلادة تساوي بلادة عيني الاله اللتين تريان كل هذا دون ان تعميا ؟

ان الايمان بان الاله يرى لهو ايمان لن يتفوق عليه اي ايمان اخر في نذالته ووحشيته وبلادته . انه لايمان اكثر بلادة وسخفا من الايمان بان الحكام والقادة والزعماء والانبياء والمعلمين هم الذين يهبون الناس عبقرياتهم وتفاهاتهم ، جمال

وجوههم ودماماتها ، قوة عضلاتهم وضعفها ، صفاء ضمايرهم وتلوثها ٠٠ ان الانسان لم يهيج شيئا مثلما هجا الاله حينما اعلن وآمن ان له اي للاله عينين مبصرتين ٠٠ نعم ، انه اي الاله ينظر في هذه اللحظة وفي كل لحظة بكل رؤيته ، بكل اتساع عينيه ان هذا الحيوان او الطفل او الشيخ الذي تجمعت عليه كل الالام والمعاهات والجراح والضربات يتلوى ويتمزق ، مستقينا صارخا متطلعا الى السماء والى كل الجهات ، منتظرا الينجدة مطالبا بها بلا سميع او مجيب ، دون ان يكره اي الاله نفسه او يلعنها او يخجل منها او يصلبها او يفتق عينيه ، بل دون ان يبكي او يحزن او يهرب او يكف عن الرؤية ، بل دون ان ينزل عن عرشه ويحوه الى حريق ليحرق بناره بلادة وفضافة ونذالة عينيه ٠ انه لن يمكن تصور اي احترام او رحمة للاله مثل قتل عينيه او محاولة قتلها او تمنى قتلها ٠

انك تؤمن بذلك ٠٠ اذن هل يوجد اوقح او اقبح منك ايمانا ؟

اي انك تؤمن بان للاله عينين تريان كل هذه الاحزان والالام والتشوهات دون ان يقتل او يكره عينيه ٠٠ ان ايمانك اذن للعنا وتحقيرا لمن تؤمن به ٠ الاله يرى كل هذا بصمت او بنشوة ٠ هل يوجد اوقح من عينيه ؟ من الذي ابتكر الايمان وعلمه الانسان ؟ من الذي اراد تشويه الانسان بكل هذه القسوة ؟ هل شوه الانسان شيء مثلما شوهه ايمانه ؟ وهل شوه الانسان شيئا مثل تشويهه لمن يؤمن بهم او لما يؤمن به ؟

ليس الايمان اقسى اساليب التشويه للمؤمن ولايمانه ولوضوع ايمانه ؟

هل صغر الانسان في شيء مثلما صغر في ايمانه او هل صغر شيئا مثل تصغيره

لمن آمن به او بهم او بها ؟

انه كثيرا ما كان يحاصرهم ويخيفهم ويحرجهم باسئلته ومحاوراته المقلقة التي لا تجد جوابا ، والتي مهما ذكروا من اجوبة عنها وامتحوا اجوبتهم عنها واعلنوا اقتناعهم بها فانهم يعرفون من داخلهم انهم لم يجدوا او يذكروا جوابا يقنعهم او يقنع احدا ، وانهم لن يستطيعوا ان يجدوا او يذكروا هذا الجواب ٠٠

كان يقول لهم بكل قسوة الصدق وايلامه وبكل اغرائه ، وهل يغري الصدق احدا ، حتى الذين قد يصدقون هل يصدقون اغراء ؟ نعم ، كان يقول لهم :

« لو ان جميع زعماء وقادة ومصممي ذلك البلد - ويذكر بلدا معيننا - قد اختفوا بضربة واحدة مفاجئة ، بان قتلوا او ماتوا او هربوا او اسرهم احد حكام العرب الثوار ، وفي كل لحظة قد يحدث هذا التفسير الاخير ، اي ان ياسرهم احد حكام العرب الثوار ، وعلى الجميع ان يتوقعوا حدوث ذلك في كل وقت - نعم ، لو ان جميع هؤلاء اختفوا بهذا الاسلوب الشامل المفاجيء لكان محتوما ان يصعد مكانهم فورا زعماء وقادة ومصممون اخرون ليقودوا ذلك البلد بنفس الذكاء والصدق والبراعة والاخلاص والعبقرية ، او بمواهب وطاقات اعظم ، بصمت واتزان وتواضع ٠

« ٠٠ وايضا لو ان جميع زعماء وقادة وحكام العرب في جميع بلدانهم الثورية والرجعية ، الملكية والجمهورية ، الاشتراكية الشرقية والرأسمالية الغربية ، قد اختلفوا بنفس الاسلوب الشامل المفاجي ، لكان محتوما ايضا أن يقفز الى مكانهم فوراً زعماء وحكام وقادة اخرون لا يقلون عن ذهبوا عجزا وكذبا وصراخا ووقاحة وبلادة وانهازا وغرورا وبدائة نفسية وفكرية واخلاقية ولغوياً واستعراضية اعلانية صوتية ٠٠ »

نعم ، انه كثيرا ما كان يهوى على خمودهم وعقولهم واقتناعاتهم البليدة الخامدة ، وعلى آذانهم وكبيرائهم المورثة والمعلمة يدقها ويدقها بهذه الافتراضات والنصوات الرهيبة في قوتها وصدقها وفي تجريحها وتعجيزها ٠٠ ولكن هل كان القوم الذين كان يحاور ويسائل يستقبلون اية محاوره أو مساءلة ذكية وقوية ؟ اليسوا خمودا وموتا ؟

وكان احيانا يقسو جدا في صدقه وصراحته غير المعروفة او المغفورة فسي المجتمعات التي يعيش فيها ٠ اي انه كان في مقارناته حينما يقسو جدا يذكر لهم بلدا عدوا جدا ، لا يتحدث جميع العرب بكل السننهم واصواتهم ومذاهبهم ، من فوق جميع منابرهم ، ومن فوق جميع منابر كل العالم عن شيء ، مثلما يتحدثون عن خوفهم منه وعن ضخامة وشمول خطره عليهم ٠٠

نعم ، انهم يتحدثون عن هذا العدو تحدثا لا تتحدثه النعامه عن الصقر او الذئب او عن الصياد ٠٠

كان يقول لهم وكأنه يريد ان يفجر فيهم كل تعبيرات الغضب والغيرة والحماس: لماذا يتعاقب زعماء وقادة هذا البلد العدو على قيادة بلدهم اي البلد الذي نهبوه ، وعلى صياغته بمستويات تتعاضد في قوتها وذكاؤها ودعائها ، حتى لكان في احشاء هذا الكون الها قد تعهد بوفاء لهم بان ينقل الى كل زعيمهم أو قائد لاحق منهم كل المواهب المتفوقة التي كانت في الزعيم أو القائد السابق ، مضيفا اليها كل المواهب الجديدة المتخلقة أو المولودة في القائد أو في الزعيم اللاحق ٠ لقد كان كل زعيم وقائد من هؤلاء الاعداء يجيء ، وكان فيه قدرة خارقة لتمتص كل مواهب ومزايا كل من قبله لتتجمع فيه مع مزاياه ومواهبه الجديدة المتفوقة ٠

ثم يقول اما الزعماء والقادة العرب فانهم يظنون يتعاقبون على شعوبهم بمستوى شامل دائم فاجع من الضعف حتى لكان الطبيعة قد حشدت كل نذاليتها وقبحها لكي تجعل ضعفهم ضعفا لا يستطاع ايتكار او تخيل ضعف اردأ منه ٠ انظروا بكل رؤيتكم ٠ هل جاء قائد عربي واحد لم تتجمع فيه اردأ المستويات لكل انواع الضعف ؟ هل جاء قائد او نبي عربي واحد لم يستوهب او يسرق من كل الضعف كل معانيه وتقاسيره ؟

انه لتصور او افتراض مخيف صادم بل مهين مذل . ولكن هل هو تصور او افتراض ؟ اليس واقعا مشهودا بالديمومة يعاقب ويفجع كل رؤية وتفكير ومساءلة ومحاسبة ؟ اليس تعاقب قادة العرب يؤكد اقصى تأكيد هذا الواقع الذي طرح بأسلوب الافتراض ، كما يؤكد بكل هذه القسوة تعاقب قادة هذا البلد العدو ؟ ان كل قائد عربي يجيء وكان جهازا خارقا قد ركب فيه لينقل اليه كل الضعف الذي كان في كل القادة العرب قبله . كيف استطاعت الطبيعة أن تجعل كل قائد ونبي عربي ناقلا كل ضعف كل من كانوا قبله إلى ضعفه ؟

وكيف يمكن او يجب ان نفهم وتفسر هذه القضية ؟

ولكن كيف حدث ان تحتاج هذه القضية الى تفسير ، او ان يقع خطأ في

تفسيرها ؟

ان الشعوب أو المجتمعات لا تساوي قاداتها أو زعمائها أو انبياءها ، ولكن قاداتها وزعماءها وانبياءها يساؤونها ، وانها لا تفسر بهم ولكنهم هم الذين يفسرون بها . انها اي الشعوب والمجتمعات هي التي تلد قاداتها وزعماءها وانبياءها ، وتلد خصائصهم المتفاوتة والمتناقضة القيمة . انها هي ارضهم وبذورهم ومناخهم وسحابهم وانهارهم وينابيعهم ، وليس العكس . انهم لا يكونون ولا يهبون الا ما تهب لهم وتزرع فيهم .

انها بمواهبها وخصائصها العرقية والذاتية والبشرية الانسانية هي التي تتركب وتزرع فيهم وتنقل اليهم وتورث لهم بل وتفرض عليهم جميع عضلاتهم العقلية والمنطقية والنفسية والاخلاقية والحضارية مثلما تصنع لهم عضلاتهم الجسدية ومثلما تفرض عليهم لونها ونماذجهم البدنية الاخرى . انها تصنع لهم قوتهم وضعفهم بالمنطق والالزام اللذين بهما تصنع لون جلودهم وعيونهم . . .

ان هذه العضلات والنماذج المختلفة لا تنقل اليهم من خارج شعوبهم ومجتمعاتهم التي ولدتهم وصاغتهم ، او تلقى عليهم من فوق النجوم ، كما انها لا تنبت فيهم بيتا شيطانيا أو طفيليا معزولا او مستقلا عنها . . .

ان العضلات العقلية والاخلاقية والنفسية والحضارية تنقل وتورث وتزرع وتركب كالعضلات البدنية . . .

ان هؤلاء الزعماء والقادة والانبياء اذا جاءوا ضعفاء أو اغبياء أو انذالا أو مهزومين أو معتوهين أو خامدين أو فاسدين أو لصوصا وكذبة فالنذب والمسؤول والفاعمل لذلك هي شعوبهم ومجتمعاتهم التي زرعت وانبتت فيهم جميع صياغاتهم ، كما ان المسؤول عن الطفل الذي يولد مشوها أو ضعيفا أو مريضا هي الاعضاء والذوات والظروف المناخية والقوانين الوراثية التي تخلق فيها وتلقى منها كل خصائصها واملاءتها وشروطها الرديئة دون أن يكون له أي اختيار أو علم أو تدخل أو قدرة على

الرفض أو المقاومة • لقد تلقى القادة والزعماء والحكام مواهبهم الجيدة أو الرديئة كما يتلقى الوجه جماله ودمامته ••

اذن فهؤلاء القادة والزعماء والانبياء التافهون العاجزون الاغبياء مظلومون ومعتدى عليهم مهما بدوا او حسبوا او كانوا ظالمين ومعتدين جدا بالمنطق الذي به هذا الطفل الذي ولد مشوها او ضعيفا او ابله معتدى عليه ومظلوما • ان لوم الوليد المشوه او الدميم او المريض دون لوم الاعضاء التي ولدته ليس اكثر غباء او ظلما من لوم القائد البليد او الضعيف او الاحمق او الفاسد دون لوم المجتمع الذي افرزه ••

كانوا دائما يتحدثون عن الاثمة وعن انهم هم الذين صنعوا وثبتوا الام اليمن وتخلفه وضعفه الرهيب • وكانوا يجدون في هذا التحدث وهذا الاقتناع الذي لا يخاطبه او يحاوره اي شك او مراجعة تفسيرها سهلا وغرانا لعجز وذنوب كل من عدا الاثمة الحاكمين • كان ذلك نوعا من الغفران للصحراء المصابة بالقطح للالقاء بالذنب كله على النبتة التي ولدتها الصحراء ضعيفة ذابلة •

اما هو فكان يقول لهم وكانه يهزل بينما كان جادا كل الجد : اليس الشعب اليمني هو الذي صنع الام وتخلف وضعف وجاهلية وفساد اثمته ؟ اليس هو الذي ولد لهم وصاغهم ورباهم ضعفاء وجاهلين ومتخلفين وفسادين وطغاة ، او هو الذي لم يلزمهم او يعلمهم او يوح اليهم او يفرض عليهم ان يكونوا شيئا افضل واقوى من ذلك ؟

ليس الشعب هو المولد والمناخ والتربية والوحي والنموذج والسماع والقراءة والرؤية الاولى والدائمة التي تلقاها الاثمة ؟ اليس المعلم الاول والدائم ؟ كيف تتهم النبتة بضعفها او برداءة نوعها ولا تتهم ارضها او بذرتها او مولدها او مناخها او ظروفها بكل ذلك ؟ ايها اكثر ظلما وغفلة : اتهم هذه النبتة بما فعلت بها ارضها وظروفها ام اتهم ائمة اليمن بما فعل بهم شعبيهم ؟ كيف يتهم الوجه الدميم بانه هو الذي صنع دمامته وتشوهاتة ؟ اليس الذي وهبه دمامته هو جسده المحكوم بظروفه وباحتمالاته وطاقاته وبكل خصائصه العرقية والوراثية ؟

اليست مسؤولية ائمة اليمن في شعبيهم وعنه تساوى مسؤولية الوجه الدميم عن جسده وفيه ؟

ان ائمة اليمن لو ولد لهم ورباهم شعب قوي متحضر لجاوا كذلك حتما ، ولكان ذلك خيرا لهم واعظم مجدا • ان فساد الاثمة وعجزهم ليسا ربحا ولا مجدا لهم بسل لقد كانا عدوانا عليهم وظلما لهم واخذا من سعادتهم ••

ان كل ذنوب ائمة اليمن ونقائصهم لا يمكن تفسيرها الا بان الشعب الذي ولد لهم ورباهم واوحى اليهم لم يكن شعبا اخر ، اعظم واقوى • اذن لقد كانت حظوظهم واقدارهم رديئة جدا • انهم ليستحقون الرثاء والمجاملة لا الغضب ولا الاتهام او

العتاب .. ارثوا لائمة اليمن لانهم لم يكونوا من شعبيلاهم ويصوغهم ولادة وصياغة اعظم ..

انه مهما كان المفروض او المعتقد او الواجب المطالب به ان يكون القائد وكل من في معناه بستانيا او زارعا يصنع البستان والحقل ويهبهما النماء والجمال والبذور الصحيحة القوية ، ويجميها من الافات والامراض ، ويختار لهما اجمل الزايا وافضل الثمار ، فانه اي القائد ليس الا نبتة او شجرة في الحقل او البستان يتلقى منهما اي من الحقل والبستان كل معانيه واخلقه ومذاقاته وكل جودته وردائه ، قوته وضعفه .. ليكن القائد في المجتمع بمكانة الوجه والعضل والراس فمن الذي يصنع ويصوغ الراس والوجه والعضل ؟ وهل يستطيع ان يكون غير ما وضع ويضع فيه الجسم ؟

نعم ، ان القائد مهما كان بستانيا وزارعا فانه لن يكون كذلك او لن يؤدي عمله الا بما وضع فيه الحقل والبستان من جودة ورداءة ومن قوة وضعف . ان البستاني انن هنا هو البستان وان الزارع هو الحقل . انن فعيوب البستاني والزارع لن تكون الا عيوب البستان والحقل . ان العلاقة بين هذا وهذا كالعلاقة بين الجسم والعضل ..

ان شجرة او نبتة من البستان او الحقل قد وضعت في مكان البستاني او الزارع او زعمت كذلك ...

ان القادة والشعوب ليسوا نوعين من الناس ، يحاسبان او يفسران او يكونان مفصولا احدهما عن الاخر بمزاياه او برذائله ، ولكنهما نوع واحد من البشر ، تنتقل العصي والظهور بين احاده او بين جماعته ، او يتبادل احاده وجماعته الظهور والعصي . لهذا فلن تكون خصائص وتفاسير حاملي العصي غير خصائص وتفاسير حاملي الظهور او اصحاب الظهور ..

ان حامل العصاة والضارب بها لم يتعلم اخلاقه وتفكيره وضميره وجراته ويوهب عضلاته بل وعصاه ومواهب عصاه الا من حامل الظهر المضروب .. انه لن يكون احد الفريقين افضل او اردأ اي في الافتراض الدائم او في المحاسبة الدائمة الشاملة . اي اذا حوسبا كفريقين لا كافراد في فريقين .. هل تستطيع اية عصا ان تتعلم او توهب اخلاقها او قوتها او جراتها او ذكاءها او تدينها الا من الظهر ؟

ان نسبة العجز او الرداءة او الغباء او الوقاحة او الموهبة الصوتية في احد الفريقين اي حاملي الظهور وحاملي العصي لا بد ان تكون هي نفس النسبة فسي الفريق الاخر .. اي محسوبة الفروق بين اعداد الفريقين ..

ولو اختلفت هذه النسبة لكان اختلالها يعني اختلافا وتفاوتا بين الاحاد بدا وكأنه تفاوت او اختلاف في توزع الزايا بينهما اي بين فريق حاملي العصي والتيجان وفريق حاملي الظهور ولابسي القيود .. ولان ذلك كذلك فان البشر دائما وفي كل التاريخ

يتبادلون العصي والتيجان والظهور والقيود ، يتبادلون الاماكن والايدي . وانهم حتى اليوم لم يستطيعوا ان يكونوا الا حاملي تيجان وسيوف وعصي ضاربة ، والا لابسى قيود وحاملي ظهور مضروبة . .

والحاملون اللابسون لهذه ليسوا في تفاسيرهم او مواهبهم او ولادتهم غير حاملي هذه ، ليسوا اعظم او اقوى أو أردأ أو اضعف منهم اي في خصائصهم وطاقتهم الذاتية المولودة والموروثة والممكنة . . انهم لا يقسمون الى هؤلاء او الى هؤلاء محاسبين بفضائلهم او برذائلهم . .

وهؤلاء الذين يزعمون او يعتقدون ان القادة والحكام هم الذين يقدمون الشعوب ويصلحونها ، وهم الذين يؤخرونها ويفسدونها يريدون ان يجعلوا الشعوب العربية غير مسؤولة عن عجزها وتخلفها وفسادها بل وغير قادرة على أن تفارق ذلك حتى تتفضل الالهة الغافلة المسترخية فوق عروشها المتشوهة البالية من التقادم والاهمال ، او حتى تتفضل الاقدار والحظوظ الضاربة المعادية او الواهبة المصادمة بلا منطوق او عدل او استحقاق - نعم ، حتى تتفضل هذه او هذه فتخلق لهم من الغيب ، او من الفناء والهباء ، او من اجنحة الملائكة وصلواتها ، او من تراب النجوم ، او من اشعة الشمس الضائعة الضالة في الفضاء ، قادة وحكاما وانبياء يزرعون في عقولها واخلاقتها وضماثرها وقلوبها واحاسيسها وعضلاتها العبقرية والتقوى والقوة والحماس والحب والصدق والوقار والذكاء ، والنظافة والكره والرفض للهدير والصهيل والنعيب وللبذاءات والوقاحات والدعاوى المغرورة المتحولة الى بديل عن كل موهبة وعن كل معنى جيد مهذب . .

نعم ، ان هؤلاء يريدون بزعمهم واعتقادهم هذا اثبات براءة الشعوب العربية من ذنوبها وتخلفها وعجزها ، او لا بد أن يعني هذا . . ولعلمهم لم يريدوا تبرئة الشعوب العربية من ذلك الا لكي يبرئوا انفسهم . لعلها انانية لا شهامة . . محظوظة جدا بان كل المتحدثين والمفسرين منها يدافعون عنها حتى طغاتها وجلادوها يفعلون لها ذلك . انه ليس هذا فقط . بل أن هؤلاء ليرون ويقولون او يقولون فقط : ان في داخل ذات الانسان العربي لشحنات هائلة ، بل شحنات لا مثيل لها في ما حدث ، ولا في ما يتوقع ان يحدث ، ولا في ما يمكن ان يصعد اليه أي تصور . انها شحنات من كل أنواع العبقرية بكل انواعها وموضوعاتها وتفاسيرها . انها شحنات تستطيع ان تتحول الى قفزات حضارية وانسانية لا تجرؤ الشمس ان تحرق فيها رهبة واستحياء وتواضعا وتادبا . ولكنها معتقلة داخل ذات الانسان العربي ، لا يمنحها من الانطلاق والتفجر والتعبير الا القادة والحكام الفاسدون الضالون الجبناء العمسلاء الجهال الاندال . ولكن هل منعوا من الانطلاق لانهم لم يقودوها ويأمروها ام لانهم اخافوها ام لانها استحييت واشمازت ان تعمل بقيادتهم وفي عهدهم ؟ انهم ليقولون : ان العرب عمالقة وعابرة وملائكة يحكمهم حكام وقادة وزعماء من

الاقزام الابالسة التافهين . . . انهم اكثر من مائة مليون ملاك عملاق عبقري يحكمهم ويستعبدهم ويفسدهم عشرات فقط من الابالسة الصغار الفاسدين الاغبياء . . . ! لقد سمعتمهم كثيرا يقولون ذلك وحاورتهم في قولهم هذا . وقد شعروا بالاشفاق علي وبالرثاء لي لانني لم استطع الاقتناع بهذا الذي يقولون ويعتقدون . . . ان اقوى ما في تفاسير الانسان العربي للاحداث وللاشياء قوة ايمانه بها اي بتفاسيره . بل ان تفاسيره لا تساوي سوى اعجابه بها وعجزه عن محاسبتها . ان اردا ما في تفاسيرها العربي لاي شيء انه لا يستطيع تخطيها اي تفاسيره مهما تخطاها كل شيء حتى ولو تخطاها هو بكل تفاسيره . . .

ان هذا التفسير للانسان العربي لهو نوع من الهجاء اللفظ الذي اريد به الامتداح والدفاع ، والذي حسب امتداحا ودفاعا . . . ليست جميع مدائح العرب لانفسهم او لغيرهم وكذا جميع اساليبهم الدفاعية لن تكون في جميع تفاسيرها الا هجاء وهجوما فيهما كل معاني الفظاظة والفحش والقبح والغباء ؟

ان هؤلاء المدافعين والمفسرين لم يفظنوا الى انهم لم يحلوا المشكلة او يفسروها بل لقد عقدوها او فعلوا فعل من يريدون تعقيدها ، دون ان يعرفوا او يقصدوا ، وانهم ايضا بذلك لم يتحولوا الى مادحين او مدافعين عن انفسهم او عن مجتمعاتهم بل لقد اصبحوا بذلك هم انفسهم واغبي الهاجين الذاميين المهاجمين بوقاحة . . . كيف لم يقرأوا او يسمعوا او يروا او يسالوا هذه الاسئلة التي لا بد ان تطاردتهم وتحاصرهم . ان اي عقل مهما كان حجمه وبلادته واميته وعماه وخموله لن يستطيع الا يصطدم بهذه الاسئلة ، ولن يستطيع ان يعجز عن قراءتها او رؤيتها او الاحساس بمواجهتها مهما اراد هذا العجز ودبر له . . .

ما اقدر الانسان العربي على العجز عن الرؤية والقراءة والمساءلة والتصادم وعن الاحساس بالتناقض حتى ولو كان المناقض او النقيض هو الكون كله متحولا الى عامات وتشوهات وخطايا وذنوب وقبائح لتتجمع وتتفجر كلها في عقله وضميره وعينيه وفوق اخلاقه بل وفوق اربابه وانبيائه واديانه وداخل معابده وهيكله . ان الانسان العربي لم يوهب شيئا بكل السخاء مثلما وهب العجز عن الرؤية والقراءة والمساءلة والاحساس بالمناقضة .

ولعل هذا العجز هو احدى عبقريات الانسان العربي الاصيل التي لا يستطيع شيء ان يهدمها أو يهزمها أو ينافسها ، بل التي لا يستطيع احد ان يفهمها أو يففرها . بل لعل جميع عبقريات العرب عبقريات لا يستطيع هدمها أو هزيمتها كما لا يستطيع فهمها أو غفرانها أو منافستها ، بل انه لا احد يريد منافستها . . .

أليس محتوما ان تقول لهم هذه الاسئلة بكل الصراخ وبكل الهمس ايضا ، بكل الغضب والانزعاج - ان تقول لهم :

اذا كان القادة والحكام هم الذين يهبون الشعوب عبقرياتها وحضاراتها وتقواها

فلماذا لم يهب حكام وقادة العرب ذلك بل ولا شيئا منه لشعوبهم ؟ لماذا لم يفعمل ذلك قط حاكم او قائد عربي واحد لا من الثوار التقدميين الاشتراكيين ، ولا من الاخرين المناقضين ، لا من الذين يقولون : قال الله ، قال محمد ، قال القرآن او الانجيل ، ولا من الذين يقولون قالت المذاهب والنظم والنظريات المعاصرة ؟ لماذا لم يفعمل ذلك نبي او خليفة عربي واحد ؟

هل يمكن تفسير هذا بانهم عاجزون جميعا اي حكام العرب وقادتهم وانبيائهم وانهم مستمرين في هذا العجز ومتساوون في مستويات ونماذج عجزهم مهما تفاوتوا في مزاعمهم وفي ارتفاع اصواتهم ، او تفسيره بانهم جميعا متآمرون على شعوبهم ومدبرون مخططون لابقائها في تخلفها وعجزها وهوانها ؟ هل يوجد تفسير لهذه الظاهرة غير هذين التفسيرين ؟

ولكن لماذا خص جميع قادة العرب وحكامهم وانبيائهم مهما تكرروا وتعاقبوا بهذا العجز او بهذا التآمر والغدر دون جميع قادة وحكام وانبياء الشعوب الاخرى العظيمة ؟ من دبر هذا واراده ولماذا ، وهل جاء بتدبير ؟ وهل جاء جميعا اي حكام العرب وقادتهم وانبيائهم بهذا العجز او بهذا الغدر لانهم اصبحوا يحكمون ويقودون العرب ام لانهم جاءوا ولادة ووراثة وصياغة العرب ، اي لانهم جاءوا مستويات وطاقت عربية ؟

هل العرب علموا قادتهم وحكامهم هذا العجز والفساد ام ورثوهم اياها توريثا ؟ ام هل يمكن تفسير هذه الظاهرة البائسة بعجز الشعوب العربية عن التكافؤ مع قاداتها وحكامها وانبيائها ، لهذا عصتهم او عجزت عن فهمهم او استصعبت تكاليف طاعتها واتباعها لهم ، اي انهم جاءوا بعبقريتهم وتقواهم وبتعاليمهم وطموحهم وخططهم اكبر من الانسان العربي ، اكبر من عقله وقدرته ، وعضلاته وشجاعته ؟

وهذا التفسير نقبيض للتفسير السابق القائل : ان العرب عمالقة اتقياء يحكمهم ويقودهم اقزام اشرار . . . القائل بان العرب هم دائما شمسوس يطفئها او يخفيها الظلام ، وانبياء يخدعهم ويهزمهم ويحكمهم الدجالون ، فيطيعون ويتبعون . وهذا التفسير النقبيض يوجد من يقولون به ومن يرونه . . . اجل ، فمفسرو العرب يقولون احيانا ان الانسان العربي اكبر واعظم من قادته وحكامه و احيانا يقولون العكس .

وانهم لكثيرون اولئك الذين يقولون ويرون ان انبياء العرب وخلفاءهم واثمتهم وكثيرا من قادتهم هم بتعاليمهم وذكائهم و اخلاقهم وتقواهم وبكل تفاسيرهم اكبر من الانسان العربي ، هم عمالقة وعباقرة وملائكة جاءوا ليقودوا ويعلموا قزما تافها فاسدا شريرا هو الانسان العربي . انهم ليوث وافيال جاءوا الى نمال وارانب ليصنعوا منها ليوثا وافيالا . انهم اروع نشيد يغني لاذان صماء . . .

بل ان جميع معلمي العرب ودعاتهم ووعاظهم ومصوتيهم ليرون ويتحدثون بكل الغرور والاعجاب والمباهاة بل بكل مشاعر واخلق التقوى الدينية والتاريخية والوطنية بان الانسان العربي بجميع تفاسيره واحتمالاته اصغر جدا من انبيائه وخلفائه وسلطينه وقادته الاوائل واصغر من كل ما جاءوا به من تعاليم وشرائع واخلق وكتب مقدسة ومن نبوات .. ان العربي ليحاول ان يمجد الهته وانبياءه وخلفاءه وقادته بتحقيره لنفسه . انها موهبة عربية عريقة ..

منذ سنوات قليلة كان يوجد هنا زعيم عربي مثير ثم ذهب باسلوب مأساوي له وللشعب الذي كان يحكمه ويصنع مآسيه بل للعرب في كل عصورهم .. ذهب مخلفا وراءه هزيمة سوف تظل عارا وتشويها لكل التاريخ بكل تفاسيرها ..

وقد قيل وحتى اليوم يقال : ان حجم هذا الزعيم كان اكبر جدا من حجم قومه ، وكانت عقريانه ورؤاه اكبر واوسع كثيرا من كل ما قد يستطيعون ان يفعلوا او يفهموا او يريدوا او يتقبلوا او يتحملوا . لهذا قادهم الى الهزائم والمآسي والعار على مستوى لا نموذج له في مأساويته لانه كان اضخم عملاق يقف ويتحرك وبقاتل فوق اصغر واضال قزم . لقد عجز القزم عن حمل العملاق الذي هو اكبر واثقل وزنا من جميع العمالقة . فكان محتوما ان يسقط القزم اعياء ورهبة ورعبا ليمتزق هو ولينتهي العملاق بالاسلوب المأساوي الملائم الذي انتهى به . لقد انهار الحامل فانهار فوقه المحمول ..

لقد قتل اضال قزم اضخم عملاق لانه عجز عن حمله ، انه اقبح قتل واعجبه .. ان اقواما ليقولون ذلك بانبهار وغيبوبة من الفرح والافتناع ومن ضخامة الاكتشاف الذي توصلوا اليه ، ومن اعجابهم بانفسهم وبذكائهم لانهم استطاعوا ان يدركوا ذلك ويعلموه ..

لقد صرع الشعب القزم قائده العملاق لانه عجز عن حمله وفهمه واستيعابه وعن السير وراءه او معه وعن الايمان به . لقد القى الجسد برأسه لانه لا يستطيعه او يفهمه .

وقد سمعت ذات مرة ، منذ وقت قريب طبيبا عربيا يقول في اجتماع حافل : لقد ذهب هذا الزعيم بالاسلوب الحزين الذي به ذهب لانه كان عظيما جدا وكان شعبه العربي كله حقيرا جدا . وكان يكرر كلمة « كله » . ثم يشير بيده الى نفسه ويقول : انا احد العرب الحقراء الذين لم يكونوا يستحقون ان يكون هذا الزعيم زعيمهم . لقد كانت اهانة فادحة لهذا القائد ان نكون نحن العرب الحقراء قومه ورعاياه .. لقد كان هذا هو كل ذنبه وعذابه ..

كان هذا الطبيب العربي يقول ذلك بكل صوته وهو يرتجف ويتراقص من الاعجاب والابتهاج بما يقول . ولم يوجد في الحاضرين من استنكر ما سمع . لقد كان يقول ذلك بمشاعر وملامح متفجرة بالفرح والرضا ، كأنها مشاعر وملامح من استطاع ان يشفي الاله والطبيعة من ذكائهما واخلقتهما وعبثهما وضياعهما .

وحتمًا هذا يعني أن مجيء مثل هذا الزعيم العظيم إلى قومه العرب لتتخاطب وتتعامل بعقريته مع ضآلتهم ليس إلا خسرانا فادحا . .

ان معنى هذا انه قد جاء ليصنع لهم الهزائم والتمزق والفضائح لانه كان كبيرا جدا ولانهم هم كانوا صغارا جدا . ان مجيء مثل هذا الزعيم إلى أي مجتمع عربي ليس خسرانا وعذابا وهزيمة له وحده بل وللمجتمع العربي الذي جاء إليه ليقوده . . ان مجيئه هذا يساوي وضع حمل نفيس وغال وثقيل جدا لا تستطيع جميع الظهور حمله ، فوق ظهر ضعيف عاجز جدا معلق في الفضاء اي لا يحمله شيء ولا يقف فوق شيء يحمله من السقوط والتمزق هو والحمل النفيس الغالي الذي فوقه . ان معناه ان تخلق اية قيادة عربية متفوقة وموهوبة او حتى جيدة في العالم العربي ليس الا اسلوبا رديئا مهينا من اساليب الانتحار الرديء المهين .

اذن اية لعنة تساوي مجيء زعامة او قيادة عربية عظيمة او عبقرية إلى الامة العربية ؟ ان ذلك يعني حتما سقوط القائد والشعب سقوطا فاجعا . . اذن فلنحزن ونخف كلما بدا لنا أن قيادة عربية جيدة قد ولدت او انها قد تولد !!

ويعني ايضا هذا ان مجيء انبياء العرب وخلفائهم وسلاطينهم وائمةمهم بما يحملون من شرائع واديان وكتب مقدسة ونبوات ومن طهارة وصفاء وصدق وجمال وذكاء ، لن يكون أي مجيء هؤلاء إلى قومهم العرب الا تكاليف عمل شاق واسع ضخم جيد جدا بلا أي ثمن او اجر او جزاء او نتيجة . . اذن ايتها الاقدار الصالحة الرحيمة لا تقاسي لكي تخلقي للعرب انبياءهم وخلفاءهم وقادتهم المتفوقين الاتقياء العباقرة . ان مقاساتك ايتها الاقدار لن تهب او تغير شيئا .

انهم بكل ما يحملون ويعلمون يجيئون اكبر واغوى من الانسان العربي ، اذن لن يفهمهم او يطبقهم او تطيعهم او يتأثر بهم . اذن لماذا تقاسين لكي تخلتيهم ؟ انهم يجيئون لينعذبوا ثم يذهبون بلا نفع أو مجد أو عزاء أو جزاء - ان احدا لن يستقبلهم او يعرفهم .

هل هناك أي احتمال يهدد بان يكون الانسان العربي اصغر أو اضعف أو ابلد أو افسد واعصى لو لم يجيء إليه انبياءه وخلفاؤه وسلاطينه وائمةمته وقادته ونبواته واديانه وكتبه المنزلة ؟ اذن لماذا جاءت وجاءوا ؟

هل يحتمل ان أي عربي قد ازداد ذكاؤه او جماله او تقوى وصفاء قلبه وضميره وسلوكه او رؤيته وحبه للجمال والذكاء والحق والخير والصدق او شجاعته او قوة عضلاته لانه حفظ القرآن وأقوال النبي وحكايات الخلفاء ؟ هل يكبر او يزداد حجم او جمال او شجاعة الفئران والجمال والقرود لو اصبح لها انبياء وقادة ومعلمون ووعاظ من الاسود والافئال والصقور والغزلان ؟

اذا كان الانسان لا يستطيع ان يكون الا على مقاس نفسه فلماذا يجيء إليه ارباب او انبياء او قادة اكبر واعظم من مقاساته ؟ اليس هذا يساوي ان يوضع فسوق

الشيء ما لا يستطيع حمله او في داخله ما لا يتسع له - ان يكون الجنين اكبر من البطن ؟

هل يمكن ان تكون عضلات الانسان اقوى من عضلاته ، او يكون عقله اذكى من عقله ، او يكون ضميره او مشاعره اتقى من ضميره ومشاعره ، او يكون ابصاره اقوى من عينيه ، بمجيء الارباب والانبياء والقادة اليه ، يحملون بايديهم وافواههم وتعاليمهم وفي الواهم وكتبهم المقدسة وفي مذاهبهم الشتائم والاتهامات والمديح والهجاء والوعد والوعيد بالجنة والجحيم وبكل ما فيهما من زبانية وملائكة وغلما ن وحوريات ، او بان تكون لاربابه او لانبيائه او لقادته وخلفائه عضلات او عقول او ضمائر او مشاعر او خدع ومكايد قوية او ذكية او زوجات جيدات الاغراء ؟ وهنا لا بد ان يقفز هذا التساؤل حتى الى عقول وافواه واخلاق من لم تجرب عقولهم وافواههم واخلاقهم المسألة قط :

لماذا جاء الانسان العربي ، وكأنه يخص بذلك تخصيصا عاجزا عن التكافؤ مع اربابه وانبيائه وخلفائه وقادته واثمته ومع اديانه ومذاهبه وكتبه المقدسة ، عاجزا عن طاعتهم وطاعتها الى المدى الذي جعل مجيئهم ومجيئها بلا اي معنى جيد ؟ او لماذا جاءوا وجاءت هذه وهؤلاء اكبر منه اي من الانسان العربي حتى بدت وبدوا وكأنها وكانهم ليسوا وليست مخاطبة له ، بل حتى كأنما جاءت وجاءوا لتعجيزه واذلاله وارهابه وافساده وتعليمه العصيان وتهوينه عليه بل وتعويدته عليه وافهامه الدائم ان هذا هو الممكن فقط والمحتموم دائما ؟ نعم ، ان الانسان العربي لو حوكم باقوال اربابه وانبيائه وخلفائه وقادته لبدأ الموقف وكانهم انما جاءوا اليه لكي يفسدوه ويعلموه العصيان لهم والخروج عليهم والتعجيز له .

وهل كان اربابه وانبيائه وخلفاؤه وقادته يعرفون ذلك ، اي يعرفون انهم اكبر منه ، وانه لذلك لن يستفيد من مجيئهم شيئا ، بل لا بد ان يخسر بمجيئهم كثيرا من معاني وانواع الخسران ؟ اليس القائد او النبي الذي يجيء بما لن يفيد لانه لن يستطاع لا بد ان يكون اي ذلك القائد او النبي خسرانا وتشويها وعبثا في مجيئه ؟ ان كانوا لا يعرفون فهل يملكون اي قدر من الذكاء ، وان كانوا يعرفون فلماذا جاءوا اليه ولماذا خاطبوه ، ولماذا لم يهبطوا الى مستواه ؟ لماذا لم يتواضعوا ويصغروا ليكونوا نافعين وليكون لمجيئهم قيمة ، اية قيمة ؟ اليس الواجب على من يعرف كل اللغات الا يحدث احدا الا باللغة التي يعرفها او باللغة قد يستطيع ان يتعلمها او يفهمها ؟ اليس مجيء الاله او النبي أو القائد الى قوم لن يفهموه او يستطيعوه او يطيعوه هو اكثر سخفا وعبثا من مخاطبة قوم بلغة لن يفهموها ؟

ولماذا تجيء الشعوب الاخرى متكافئة مع الهتها وانبيائها ودعاتها وقادتها ، ويجيئون متكافئين معها ، فيكون التعامل والتخاطب بين الفريقين ذكيا ومريحا ومفيدا وفعالا ؟

ولماذا الانسان العربي وحده خص بهذا الانشقاق والتفاوت والتباعد وبالعجز عن التفاهم والتلاقي بين حقوله وسحابه ، بين نجومه وسمائه ، بين لسانه وعقله ، بين عضلاته وكبرياته ، بين نبواته وانبيائه ، بين صلواته ونياته ، بين رواياته وتاريخه ، بين رواياته عن تاريخه وروايات تاريخه عن تاريخه ورؤية تاريخه لتاريخه . . . لماذا يجيء الهة العرب وانبياءهم وخلفاؤهم وقادتهم واثمتهم دائما وجميعا عاجزين عن أن يكونوا مستطاعين أو مطاعين ، ويجيء الانسان العربي دائما عاجزا عن أن يكون مستطاعا او مطيعا ؟ لماذا فرض على العبقريّة العربية ان تكون دائما عصية معصية وعلى الجماهير العربية ان تكون دائما عاصية لا تستطيع ان تكون تقيّة او ذكيّة او قويّة ؟

لماذا تعاضم حجم اربابه بكل هذه القسوة والفظاظة والاسراف ، وتصاغر حجم انسانيه بكل هذه التفاهة والضآلة والشح ؟ لماذا هذا البعد المفسد المشوه المجنون بين رأس الانسان العربي وبين قدميه ويديه وسائر جسده !

من الذي اراد النموذجين أو الحجمين وخط لهما وأخرجهما بكل هذا التباعد ؟ لماذا لم يأخذ من هذا الحجم ليعطي الحجم الاخر لكي يكون التعامل والتلاقي بينهما مستطاعا ومفيدا ، ويجعل المسافة الفاصلة او الممتدة بينهما اقل بعدا لكي تكون الرؤية ممكنة ومنفذة وناقعة وكذا التخاطب بينهما ؟

هل يوجد اقبح او اسفه تكوينا من أن يكون الرأس اكبر واثقل من كل الجسد حتى يعجز الجسد عن حمله وتقبله والتفاهم والتعامل معه وحتى يسقط ويتمزق اعضاء وعجزا ؟ هل يمكن تصور ظلم وارهاق وتشويه للجسد وتحقير وتضييع للرأس مثل ان يكبر الرأس ليكون غير مفهوم او مقبول ويصغر الجسد ليكون غير قادر على أن يقبل او يستطيع ؟

ليس هذا التفسير للانسان العربي يعني هذا الجسد وهذا الرأس المخبولين في تكوينهما - اعني التفسير الذي يقول: ان انبياء العرب وقادتهم وخلفاءهم وسلطينهم واثمتهم قد تعاضموا وكبروا حتى اصبحوا عاجزين عن ان يستطاع التكافؤ معهم او فهمهم او طاعتهم واتباعهم او الصعود الى الفلك الذي يسيرون فيه ، والذي يقول ان الانسان العربي قد صغر وقفه حتى اصبح عاجزا عن أن يفهم او يطيع أو يتكافأ او يتطلع الى النجوم بقدميه او بجناحيه او بطموحه ؟ اي اله شرير مخبول صمم للعرب هذه الكينونة العقيمة المخبولة ؟ هل للعرب اله خاص بهم بكل هذا القبح والخبل والعداوة ؟ هل توجد كينونة مخبولة مثل أن يكبر ويعظم الرأس حتى يعجز الجسد عن حمله وفهمه ؟ وهل يوجد خالق او مخطط مخبول مثل من يصنع أو يخطط هذه الكينونة ؟

هل عرف اله غير اله العرب ، يخلق قادتهم كبارا لا يمكن الاخذ عنهم او الاتباع لهم او التوافق معهم لضخامتهم ، ويخلق انسانهم صغيرا لا يستطيع لضآلته ان

يتقبل او يريد او ينفذ او يفهم شيئا عظيما او كبيرا او ذكيا او نظيفا مما يقاسي قادته كل القاساة لكي يدعوه اليه ويعلموه اياه ويصوغوه به ؟ كل شيء عربي حتى الاله العربي لا بد ان يجيء خروجا على كل نماذج امثاله وتعجيزا لكل فهم ولكل مستوى اخلاقي ..

وحين نرجع الى التفسير الاخر النقيض الذاهب الى ان الانسان العربي يختزن في داخله شحنات هائلة من الطاقات والمواهب العبقرية التي لا نموذج لها في ما عرف البشر من مواهب وطاقات ، وان الذنب كله هو ذنب قادتهم وحكامهم الاشرار الصغار المرهبين المانعين لهذه الشحنات من التفجر والانطلاق والكينونة فلا بد ان نجده تفسيرا يستحق الرثاء والاشفاق لضعفه ولعجزه عن ان يكون شيئا يصنع اي قدر من الحماس او الاهتمام او يستحق الاختلاف عليه . انه من التفاسير التي لا تستطيع لضعفها ان يختلف عليها المختلفون ..

وهل في جميع التفاسير العربية لاي شيء تفسير واحد يستحق الاختلاف عليه او الحوار أو التفكير فيه ؟

هل يوجد ضعف يساوي ضعف القضية التي لا تستطيع لضعفها ان تختلف او تتحاور عليها او فيها او حولها الاراء ؟ أليس ضعف مثل هذه القضية يساوي ضعف الوجه الذي لا تستطيع كل العيون والقلوب ان تختلف في رؤيتها وتفسيرها لجمالها ولا في توقد اشواقها اليه ؟

ان افسى الدمامات هي الدمامة التي لا تختلف او تتفاوت الرؤية لها أو الحكم عليها أو الاحساس بها ..

نعم .. آباء وامهات اقوياء اذكيا اسوياء ابرار في كل تسلسلهم التاريخي ، ولكنهم لا يلدون ابدا الا ابناء مصابين بكل ألوان ومستويات البلادة والدمامة والضعف والفساد والفجور ..

واسود وفتاب وافيال وصقور وجياد وكائنات مفردة ولكنها لا تلد الا الارانب والنمال والغربان والضفادع وسائر انواع الحشرات والكائنات الناعقة الناعبة .. وارض خصبة جدا ، وبذور جيدة جدا ، وطقس كأنما وضع وضعا باذكي حساب واختيار ، وانهار وغمام كأنها هي الوالدة والواهة والفائدة والمقسمة لجميع الانهار والغمام لذكائها ونبل اخلاقها . ولكن الناتج لا يكون ابدا الا قحطا ومجاعات واشواكا وثمارا مرة رديئة قبيحة جدا ، كل مزاياها وفوائدها ان تعود الى البيئنة العبقرية التي ولدتها لتعاقبها وتدمرها وتشوهها ..

ومناجم مشحونة باعظم المعادن وبكل المعادن الغالية جدا ، لا يوجد في داخلها غير هذه المعادن الغالية الثمينة جدا .. ولكنها اي هذه المناجم لا تتفجر أو تنفث ابدا الا بالتراب والحجارة واللهب والحشرات المحملة بكل انواع الجراثيم والابوئة القتالة وبالاصوات القبيحة الوقحة المحدثه لكل معاني الغيظ والغضب والاشمئزاز ..

جهاز جيد وصحيح ومضبوط جدا ، ولكنه لا ينتج الا الاخطاء الرديئة الاليمة
جدا .

وقانون رياضي او علمي او فكري او اخلاقي او طبيعي صحيح جدا ولكنه لا ينتهي
ابدا الا الى نتائج خاطئة وعقيمة ومدمرة جدا . . .

وخزانة ملأى بالعملات الصحيحة القوية جدا ولكن لا يستخرج منها الا العملات
الزائفة المزورة . . .

وكتاب ذكي ومنطقي ومهذب وواضح جدا ، ولكنه لا بد ان يحول كل قارئ له
الى بليد وسفيه ووقح وفاجر خارج على القوانين والاداب والنظام والشهامة
والكرامة . . .

• وأجسام قوية سليمة ولكنها لا تنبت الا قلوبا واعضاء ضعيفة مريضة .

• وقلوب قوية سليمة ولكنها لا تنبض الا نبضات مختلة عليلة . . .

• وعيون قوية سليمة ولكنها لا ترى اي شيء الا رؤية خاطئة ضعيفة مشوهة . . .

وصانع بارع ذكي مخلص موهوب جميع المزايا العقلية والنفسية والاخلاقية
والفنية ولكن لا تصنع يداه الا اردأ واقبح وافسد الصناعات . وشاعر ورسام هما
اعلى القمم الشعرية والفنية ولكنهما لا يستطيعان ان يصنعا الا اشعارا ولوحات لا
يوجد من يقبل ان تكون من اعماله المبتذلة . . .

واله كامل في كل نماذجه وتفاسيره ، ولكنه لا يخلق الا النقص والقبح الكاملين
في كل نماذجهما وتفاسيرهما . . .

• وعقل لا حدود لعبقريته ولكنه لا يفرز الا افكارا ضالة مشوهة مخربة .

• ونبي توحى اليه كل آلهة وملائكة السماء ولكنه لا يعلم الا تعاليم تخجل منها
اردا واجهل الابلاسة . . .

ان كل هذه التصورات او الافتراضات او النماذج المستحيلة الكينونة او حتى
المستحيلة التصور او الافتراض هي بعض التفاسير او النماذج للرأي السابق في
تفسير الانسان العربي الفائل بانه يختزن في داخله شحنات حضارية وانسانية
واخلاقية ودينية هي اكبر من كل الكون والحياة ولكن قادته المخربين الضعاف
الاشرار هم الذين يقتلون فيه هذه الشحنات أو يفسدونها أو يرهبونها ويمنعونها من ان
تكون او لا يعملون لاطلاقها او لا يريدون او يعرفون ذلك . . .

والان لنحاول وننظر ، هل نستطيع تفسير ذلك ، او نجد من يستطيع تفسيره
او فهمه . . .

لماذا الانسان العربي جيد وجميع قادته وحكامه واقويائه وكبرائه رديئون
وعاجزون واغبياء اشرار ؟ اية قوة شيطانية عبقرية الخبت استطاعت ابتداء هذا
الذي لا يستطيع ابتداعه ؟

لماذا لا يحدث ولا مرة واحدة ان تجيء مزايا قاداته وحكامه من نوع مزاياه وفي قوتها ؟

أليس حكامه وقاداته هم منه ، تولد وتعيش وتتخلق وتتربى فيهم جميع الصفات والمواهب والاستعدادات التي تولد وتعيش وتتخلق وتتربى فيه هو ؟ اليس الاله او القانون او الصدفة او الطقس الذي خلقه هو الذي خلقهم ؟ وكيف عرف خالق قادة العرب انهم سوف يصبحون قادة لكي يخلق فيهم كل الوان النذالات والضعف ؟

هل التفسير لذلك ان الانسان العربي جيد وذكي وقوي صالح ورع القلب والضمير والسلوك بشرط الا يكون حاكما او قائدا اي بشرط ألا يكون قويا وقادرا على أن يكون نقيض ذلك، اي بشرط ان يكون عاجزا عن ان يكون رديئا وغيبيا وفاسدا، وبشرط الا يواجه او يطلب منه او يتحتم عليه ان يواجه اية مواجهات ومشاكل صعبة او خطيرة ، تحتاج مواجهتها الى الذكاء والقدرة والمقاساة والشجاعة والاستقامة ، فاذا فقدت هذه الشروط اصبح شيئا اخر مناقضا جدا ؟ هل المعنى ان الانسان العربي قد خلق ذكيا وقويا وعظيما الى أن يصبح في موقف يفرض عليه ويطلبه وينتظر منه فيه ان يكون كذلك فاذا اصبح في مثل هذا الموقف اصبح نقيض ما خلق ؟ نعم ، هل التفسير ان الانسان العربي جيد جدا ما لم يستطع ان يكون رديئا جدا او قبل أن يكون قادرا على أن يكون رديئا جدا ٠٠ وانه اي الانسان العربي ذكي وقوي جدا ما لم يوجد في موقف يحتاج الى الذكاء والقوة ، ما لم يصبح نبيا او ملكا او رئيسا او خليفة ؟

ان هذا التفسير لجودة الانسان العربي يساوي ان تقول : ان الحشرة نظيفة جدا بشرط الا تجد اية عفونة لتتسقط فيها وتتلاوت وتتغذى بها - او ان تقول : ان الطبيعة والاله بريئان من امراض وتشويه الاطفال والشيوخ والكائنات البريئة ومن قتلهم وقتلها بشرط الا يجدا اي الاله والطبيعة هذه الكائنات وهؤلاء الاطفال والشيوخ، او قبل ان يجداهم ، او بشرط الا يستطيعا اي الاله والطبيعة اصابتهم بذلك ، او بشرط الا يشتهيا ذلك - او أن تقول مادحا نفسك : اني عبقرى وشجاع جدا ولكن بشرط الا أجب عبقريتي وشجاعتى بشرط الا استطيع ان اكون تافها وبليدا وجبانا .

ولا بد ان يقفز هنا سؤال يقول : لماذا الانسان العربي وحده لا يكون جيدا الا بشرط الا يستطيع ان يكون رديئا - لا يكون ذكيا او قويا او شجاعا او عادلا او تقيا صادقا نظيفا الا بشرط الا يكون رئيسا او ملكا او خليفة او سلطانا او قائدا او معلما للديان او المذاهب ، فاذا اصبح ذلك اصبح محتوما ان يكون نقيض نفسه ٠٠ لماذا الانسان العربي وحده : لا بد ان يصغر بقدر ما يكبر ٠٠

اذن فان من الافضل بل من الواجب عربيا وعالميا وانسانيا ان يستورد حكام وقادة وزعماء من الخارج ليكونوا حكاما وقادة وزعماء للانسان العربي لثلا يكون

حكامه وقادته وزعمائه منه • ليس في هذا انقاذ لهم وله اي لقادة وحكام الانسان العربي وللانسان العربي كذلك ؟ بل ليس في ذلك اشفاق عليهم وعليه ؟ ولكن هل يفيد ذوي المستويات او المواهب البشرية الضعيفة ان يقودهم ويحكمهم رجال ذوو مستويات ومواهب بشرية عالية ؟ هل يفيد الانسان العربي ان كان متخلف المواهب ان يحكمه رؤساء او ملوك او خلفاء او انبياء مستوردون اصحاب مواهب متفوقة ؟

نعم ، لا بد ان يكون الجواب : ان ذلك يفيدهم وان كان لن يستطيع ان يحولهم الى ذوي مواهب ومستويات اعظم او اذكى من مستوياتهم ومواهبهم • ان المواهب لا تزرع في الذات الفاقدة لها او تستورد لها من الخارج حتى ولا من الهتها وانبيائها •

ولكن ذلك لا بد ان يفيدهم بالاسلوب او التفسير الذي يفيد القطيع او الحقل ان يشرف عليه ويرعاه اناس ذوو خبرة ومعرفة واهتمام واخلاص وقوة •• ان الكائنات ذوات المستويات الضعيفة لا بد ان تكون شيئاً افضل حينما تحكّمها وتنظّمها وتوجهها كائنات اخرى ذوات مزايا اقوى واذكى وافضل •• اجل •• كيف لم تفتن المنظمات الدولية ولا الدعاة والمفكرون الى ذلك اي ان الواجب ان يصدر لنا ولامثالنا رؤساء وملوك ليحكمونا كما يصدر لنا الطعام وغيره ؟

وكيف لم يطالبوا بان يعد رجال دوليون متفوقون لكي يعاروا ويصدروا باسلوب دولي شامل الى كثير من البلدان والشعوب ليكونوا لها ملوكا ورؤساء وقادة ؟ كيف لم يعلنوا ان احتياج المجتمعات العربية الى استيرادها لهؤلاء اعظم من احتياجها الى اي استيراد اخر ؟

هل هذه غفلة كثيفة ام تعمد مقصود مدبر ؟ هل يمكن ان تخفى هذه الحقيقة على افكار وخيال المتفوقين ؟ اذن هل تعمدوا حرمان المتخلفين من هذه المزية او الانقاذ ؟ ليس الخبراء والعلماء والمدرسون والاساتذة والراقبون يصدرون ويعارون ؟ بل ليست جميع المعارف والخبرات والفنون والعلوم والسلع والاسلحة تصدر ؟ ليس تصدير الرئيس او الملك او الوزير او القائد او الزعيم انفع من تصدير المدرس او الاستاذ او الخبير ؟ ليس تصدير الرأس انفع من تصدير اليد او الرجل ؟

انه لا عار ولا اهانة للكرامة او للكبرياء في ان يصدر او يعار الحكام والقادة والرؤساء والملوك اذا لم يكن عار ولا اهانة في تصدير او اعارة المدرسين والخبراء والاساتذة • اي عار في استعارة الرأس ولا عار في استعارة الشعر ؟ ولعل العالم قد تخطى طور الخوف من العار ومن الاهانة للكرامة وطور الرفض لهما او الاستحياء والحاذرة منهما وطور التخفي حين ممارستهما او تقبلهما بل حين التعالي بممارستهما •• بل ما العار وما الكرامة ؟ هل وضعت لهما حدود او تقاسير دولية او محلية لتستطاع معرفة الفرق بينهما ومعرفة الفاعل لهذا او لזה ؟

نعم ، لعل كل العالم قد تخطف الان هذا الطور او هذا التاريخ الجدي لشمسول وطول تعامله بالعار وبالاهانة للكرامة ، آخذاً لهما ومعطياً ، صانعا لهما ومصنوعين له وبه ، ومشاهدا لهما ، وعارفا مجربا وكيف يتحدث كل الناس كل الاوقات عن رفضهما وعن البراءة منهما بكل قدرتهم على التصويت والاعلان ، حين لا يعيشون أو يهرون سواهما ، او حين لا يحيون شيئاً من حياتهم او مجددهم وقوتهم او من مسراتهم وانتصاراتهم الا بهما ٠٠ اراهن بان جميع الحشرات في كل اجيالها لم تمارس من العار والهوان ومن النقص لزاعمها عن كرامتها وكبريائها مثلما مارس الانسان من ذلك في جيل واحد من اجياله ٠٠ بل اراهن ان بطلا او قائدا او نبيا واحدا من البشر قد فعل من العار ومن الخروج على الكرامة اكثر مما فعلت جميع الحشرات في كل تاريخها ٠٠٠

أم يعني بالتفسير السابق للانسان العربي انه كله ، بكل آحاده وجماعاته جيد ومتفوق جدا في كل تفاسيره ، ولكن افرادا قليلين منه جدا رديئين وعاجزين واغبياء وانذالا جدا ، يجيئون فيه واليه مخترفين لحدوده الحصينة المحروسة بالتقوى والعبقرية ، وينبتون بين ازهاره وفي حقوله ومروجه وبساتينه باسلوب او بقانون شاذ قبيح لا يمكن فهمه او تفسيره ، ليكونوا اشجارا وثمارا وبيلة عدوانية ، تشوه وتفسد وتدمر الازهار والحقول والروج والبساتين التي نبتت فيها - ويتخلقون اي هؤلاء الافراد في ضميره اي في ضمير الانسان العربي كما تتخلق العاهة الرهيبة في الوجه الخارق الجمال - وتحبل بهم وتلداهم تقواه وعبقريته كما تحبل الام السوية السليمة القوية العبقرية الجمال بالوليد المريض المشوه الفاجع الخفيف بتشوهه ، وكما تلده ؟ هل التفسير ان العرب بستان كوني لا يتخلق فيه الا الزهور والسرود والثمار الجيدة جدا ولكن بعض الشجيرات القبيحة الخبيثة تندس فيه احيانا ضد كل قانون لتكون كل وجهه ومرآه وصيغه ؟

ان هذا التفسير الذي قد يرضاه بل ويعجب به تفسيرا للانسان العربي كثير من المعلمين والمفسرين والمحسوبين اساتذة في العالم العربي ، لا بد ان تتهاوى عليه اقسى الاسئلة واقواها تعجيزا عن ان تواجهه باي جواب يستطيع ان يقف ليعلن عن نفسه او ليدافع عنها او ليلبس اي زي من ازياء الاجوبة او المحاورات .

انه تفسير قد تصلي له عقول ونبوات انبياء العرب واساتذتهم ، ولكن ٠٠ لماذا لا يصعد ابدا الى عرش القيادة والحكم والزعامة في العالم العربي الا هؤلاء الافراد العاجزون الفاسدون الجهلاء الصارخون المغرورون الطغاة اللصوص الصانعون للهزائم والعار والفضائح والمشاكل والعداوات ؟

ليس جميع قادة العرب وحكامهم وزعمائهم هم من هذا الطراز ؟
اي منطق او قانون او تدبير او جهاز احصاء لا يستطيع ان يخطيء ولا مرة واحدة ليضع عبقريا او ذكيا او مستقيما او مهذبيا او صادقا او متواضعا او ديمقراطيا او

صانعا للانتصار او المجد ولو واحدا مرة واحدة في مكان الحكم أو الزعامة أو القيادة أو النبوة في العالم العربي ، في اي قطر من اقطاره او جيل من اجياله ، تحت اي مذهب او نظام او شعار من مذاهبه ونظمه وشعاراته الثورية الاشتراكية أو الرجعية الراسمالية ، الجمهورية أو الملكية ؟ أليس جميع قادة العرب وحكامهم منفتحين ومتمائلين في مواهبهم وقدراتهم واخلاقهم ونياتهم مهما اختلفوا وتفاوتوا وتعادوا وتقاتلوا وتقاتلوا في شعاراتهم ، او انتماءاتهم او في اصواتهم ولغاتهم ، او في مذاهبهم واديانهم ، او في ثورياتهم ورجعياتهم ، او في ملكياتهم وجمهورياتهم ، او في راسمالياتهم واشتراكياتهم ؟ نعم ، اي قانون هذا الذي لا يخطئ ولا مرة ليضع للعرب قائدا واحدا ذكيا مفكرا مخططا متوقرا مبصرا ، لا هادرا ناعبا ناعقا صائحا بكل الفرور والوقاحة والعجز والامتنعاح ؟

هل تختلف او تتفاوت ذواتهم مهما اختلفت وتفاوتت ازياؤهم والوانهم ، او تختلف وتتفاوت عضلاتهم مهما اختلفت وتفاوتت ذواتهم ، او تختلف وتتفاوت ضرباتهم مهما اختلفت وتفاوتت عضلاتهم ، او تختلف وتتفاوت عقولهم او اخلاقهم مهما اختلفت وتفاوتت اصواتهم وانتماءاتهم وشعاراتهم ، او يختلف ويتفاوت حجم مزائهم وعارهم مهما اختلف وتفاوتت في تضائله حجم اعدائهم ؟ او هل تختلف او تتفاوت رؤاهم او ذكاؤهم او حماسهم مهما اختلفت وتفاوتت المشاهد والاحداث امامهم ؟

هل يختلفون او يتفاوتون في استبدادهم وكبريائهم مهما اختلفوا وتفاوتوا بين دساتيرهم وقرآنهم ؟ او هل يختلفون ويتفاوتون في احقادهم وبغضائهم مهما اختلفوا وتفاوتوا في حرارة او اصوات او اساليب قبالاتهم ومصانحاتهم ومعانقاتهم ؟ هل يستطيع اي شيء ان يصنع اي تفاوت بين حكام العرب وقادتهم في تعادي وتقاتل نياتهم ونظراتهم واخلاقهم ؟

هل العرب مخصوصون او مصابون بخصائص حرم او حمى منها او ارتفع فوقها كل البشر ؟ وهل من هذه الخصائص العربية ان فاسديهم واغبياءهم وضعفاءهم وطغاتهم واشرارهم هم الذين يريدون القفز الى مركز القيادة والسيادة والنبوة ابدًا ، وهم وحدهم الذين يدبرون لهذا القفز ويستطيعون الظفر به ، اما صالحوهم وعباقرتهم ، وهم الاكثرون بل وهم كل العرب مع استثناء هؤلاء الافراد الاقلين ، فانهم ابدًا لا يريدون ذلك اي الصعود الى مكان القيادة والسيادة ، فلا يجربون له ولا يستطيعونه ، لهذا فان احدا منهم لا يمكن أن يصبح قائدا او حاكما ، لا رئيسا ولا ملكا في العالم العربي ، لهذا فان أي صاحب عقل لا صاحب حنجره فقط لم يستطع في اي وقت أن يصبح ملكا أو رئيسا أو قائدا في العالم العربي ، لم يحدث هذا في التاريخ قط ولن يحدث في المستقبل القريب غالبا ؟

هل العرب مخصوصون ابدا بان تكون سماؤهم لديدانهم دون نسورهم ؟
وقد يقال ان هذا أي صعود الصالحين والعباقرة الى مركز السيادة والقيادة والنبوة قد حدث في الماضي ، قد حدث كثيرا ، بل لقد كان هو وحده الذي يحدث في ما كان . ليس التاريخ المروي يقول هذا، يقوله دون ان يهاب التكذيب او التسفيه، ان يكون مخطئا او كاذبا ؟؟

وهل توجد حقائق اصدق او اذكى مما يرويه التاريخ العربي ؟
ولكن لو كان هذا يحدث في الماضي ليس محتوما ان يحدث في الحاضر ولو قليلا ؟ بل ليس محتوما حينئذ ان يحدث في الحاضر كثيرا ، بل اكثر مما كان يحدث في الماضي ؟ ليس الحاضر هو كل الماضي بكل قوانينه وتقاسيره واخلاقه ولكن بصيغ اكثر قوة وتعبيرا وتراكما وبريقا ؟ ليس ما هو كائن هو ما كان باسلوب جديد ولكن بدون منطلق جديد ؟

هل يحدث ان تفقد الاشياء اخلاقها او خصائصها او قوانينها بلا قانون او منطق او تفسير ؟ وهل من قوانين الاشياء او منطقتها ان تفقد شيئا من خصائصها او اخلاقها أو توارثها لآخلاقها وخصائصها ؟ هل يستطيع اليوم الهرب من أمسه ؟
هل يحدث ان يكون شعب من الشعوب منذ الف عام او خمسمائة عام لا يحكمه او يقوده او يعلمه او يبعث اليه بالنبوات وبالكتب المنزلة الا اعظم العباقرة الاتقياء الاقوياء المنزهين عن كل نقص وفحش وسخف وطفيان - ولا يتقبل اي ذلك الشعب في ذلك التاريخ أو يريد أو يصنع أو يحيا ويمارس الا المجد والقوة والاستقامة والانتصار ثم يصبح اي ذلك الشعب شيئا مناقضا جدا لما كان ، اي لا يحكمه او يقوده او يصعد منابره معلما وهاديا الا أكذب وأسفه وأفسد وأضعف وأجهل القادة والحكام والمعلمين ، ولا يريد اي ذلك الشعب أو يتقبل أو يصنع أو يطيع ويتبع او يعتقد الا اردأ واغبى واتفه وأضعف وأسخف الاخلاق والافعال والعقائد والتعاليم والقادة والزعماء والانبياء ؟

هل يحدث ان تسرق النجوم او الالهة المتوحشة من الابناء كل مزايا الاءاء بهذا الاسلوب الهمجي ؟
هل يحدث ان تستطيع الطبيعة أو الاشياء ان تخرج على قوانينها واستمرارها حتى ولو ارادت ذلك ؟

اي هل يحدث ان تكون كل وجوه وعقول والوان شعب من الشعوب منذ الف أو مائة سنة هي اعلى مستويات الجمال والذكاء والبياض والاشراق ثم تصبح اليوم كل وجوه وعقول والوانه هي اعلى مستويات الدمامة والغباء والسواد ، ما لم تكن قد حدثت فاجعة لهذا الكون او لهذا الشعب ، فاجعة غير معهودة وغير محكومة بالقوانين الكونية المعروفة ولم يحدث نموذجا قط ، لكي تضع للطبيعة ولكل شيء ولقوانين الوراثة والاستمرار قوانين جديدة مناقضة مناقضة شاملة ؟ هل يستطيع الاءاء اي

لو ارادوا ان يمنموا انتقال خصائصهم الذاتية والتاريخية بل والعقلية والنفسية الى الابناء ؟

ان قوانين الحاضر او ان القوانين الحاضرة لن تكون معزولة عن قوانين الماضي او عن القوانين الماضية . وان القمر او اي كوكب او شيء اخر لن يكون معزولا بشكله او بمكانه او بحجمه او بأي خلق من اخلاقه عن الكون الذي تخلق منه وفيه وعن قوانينه ، وعمما طبع فيه من خصائص .

ان كل شيء لا بد ان يعمل بالخصائص والقوانين المنتقلة اليه من الوجود الذي انشطر عنه . ان اي شيء واي كائن لا يستطيع ان يبدأ اخلاقه او مواهبه او نموذج ذاته او اية كينونة من كينوناته بدءا . انه لا بد ان يتلقى كل بداياته من ابائه . . .
اننا لا بد ان نكون تفسيرا لابائنا وتعبيرا عنهم مهما تفوقنا عليهم وتخطيناهم ، ومهما اردنا ذلك ونادينا به ، بل ومهما شتمناهم واحتقرناهم واتهمناهم بكل معاني التخلف والعجز . . . اننا لن نكون شيئا عظيما قويا او رديئا ضعيفا الا نقلا عما وضع فينا اباؤنا من قوة وضعف ، والا تفسيرا له .

اننا لا نستطيع التفوق على ابائنا او التجاوز لهم او رؤيتهم رؤية مستصغرة او متهمة الا بالطاقات والمواهب والاحتمالات التي ولدوها ورسخوها في كينوناتنا المستقبلية . اننا لن نكون اذكى او اتقوى او اعلم منهم كما اننا لن نعصيهم او نرفضهم الا لانهم هكذا فرضوا علينا وهكذا جعلونا .

ان كينوناتنا ومواهبنا واخلاقنا الحاضرة لهما تفسير لابائنا وتعبير عنهم وشهادة لهم او عليهم اصدق واتقوى من جميع روايات التاريخ عنهم ومزاعمهم لهم او ضدهم . . . اننا نحن اصدق التفسير والشهادات لابائنا والتعبير عنهم حتى حينما نصبح خروجا عليهم وتخطيا لهم . . .

اننا نحن اصح واذكى الروايات والشهادات بل والمشاهدات بوجودنا الحاضر عن ابائنا الذين كانوا والذين كنا فيهم ومعهم منذ الاف السنين . اننا نحن دائما اصدق الروايات عن ابائنا ، بل اننا نحن وحدنا دائما الروايات الصادقة عنهم . ان كل رواية عنهم كاذبة ما لم تروها كينونتنا .

الليست اية حشرة وحيوان هما اصدق واذكى تفسير لابائهما الذين كانوا قبل الف عام من كل الكتب والروايات التي كتبت او رويت عن اولئك الابهاء ، او التي قد تكتب او تروى عنهم ؟

بل انهما اي اية حشرة واي حيوان هما دائما التفسير الصادق والذكي لابائهما . . .
الليست مواهب قادتنا وحكامنا وزعمائنا ومفكرينا ومعلمينا الذين واجهوا اسرائيل تفسر لنا مواهب قادتنا وحكامنا وزعمائنا ومفكرينا الذين كانوا في كل التاريخ الذي كان ، اصدق واتقوى مما يفسر لنا ذلك كل ما سفك او ذرف او كسب او ضيع واهين وحطم وشوه من حبر واقلام وصفحات ، تمجيديا وتالياها لهم وتهويلا

عنهم وخروجاً وصعوداً بهم فوق كل المعقول والمستطاع والممكن ؟ هل فسر لنا قادتنا الذين كانوا شيء ، مثلما فسرتهم إسرائيل لان شيئاً لم يفسر قادتنا الحاضرين مثلما فسرتهم إسرائيل ؟

وايضاً فان مواهب وطاقات و اخلاق ابائنا الذين كانوا هنا وكنا فيهم منذ مئات او الاف الاعوام هي تفسير وتحديد وتقويم لمواهبنا وطاقاتنا و اخلاقنا التي نحياها وتحيانا ونحيا بها وتحيا بنا اليوم وغداً وبعده . نعم ، ان كل كائن هو اخذ وانتقال عن قبله والتزام بهم ، كما انه عطاء لمن بعده وانتقال اليهم والزام لهم ، بلا تدبير او ارادة او قدرة على النفع او الامتناع . ولكن لا بد ان يكون ذلك باساليب تبدو غير متحددة مع انها متحددة . لهذا فان مواهبنا وطاقاتنا و اخلاقنا الكائنة والمشهورة والمقروءة اليوم باعجاب او باشمئزاز هي تفسير وتحديد وتقويم لمواهب وطاقات و اخلاق ابائنا الذين سوف يكونون هنا يوماً ما ، و اعلان عنها . ان ذلك لكذلك بقدر ما أن كينونة الكون اليوم هي تفسير وتحديد وصياغة لكينونته التي ستكون بعد ملايين الدهور . ان في داخل كينونة الشمس وصياغتها اليوم جميع كينوناتها وصيغها المستقبلية بدقة وتفصيل متناهية في ضبطها وفي حساباتها التي لا تخطئ . ان كل ما سوف يصيب الشمس في كل عمرها هو موجود ومحسوب فيها اليوم وقبل اليوم ومنذ وجدت وقبل ان توجد كما وجدت . . .

نعم، ان كل ذلك صحيح ومضبوط بقوانين الكينونة الدائمة والحتومة ولكن القضية هي انه من المستحيل او من الصعب جدا ان نعرف او نحسب او نقرأ او نستنتج ذلك لعجزنا لا لاختلال او اختلاف في القضية او في القوانين المتعاقبة بالحتم وبالضرورة الذاتية . لهذا فانه لم يكن في الكون قط ولن يكون فيه ابدا اية عملية خلق بل ان كل ما حدث وما سوف يحدث فيه عمليات اخراج فقط . انه لا بدء في شيء . .

ان في داخل قلب هذا الطفل الذي سوف يعيش مائة عام كل ما سوف يصاب به من امراض وافات والام ونبضات وهموم وفرح وخوف وامن وحب وبغض في كل المائة العام التي سوف يعيشها بكل الدقة والتفاصيل . . ان في جسمه الوليد كل ما سوف يصيبه من تشوهات وشيخوخة وموت ونوبات زكام محددة مقدما في اوقاتها المحتومة . . ولكن من يستطيع أن يعرف او يحسب او يستنتج او يقرأ ذلك ؟ ان القضية هي قضية العجز عن الرؤية وليست نقصا او تشوها او غموضا في المرئى . .

نعم ، ان في كل موجود أو كائن كل مستقبله وكينوناته بلا اي نقصان أو زيادة او مبالغة او تقصير . بلا اي كذب او هجاء او تمجيد .

بقدر ما ان في هذا الليل او هذا النهار كل الساعات والدقائق والثواني التي سوف يعيشها معنا وينفقها علينا ونحن نياماً ونتمنى ان نكون نياماً ، او ونحن ايقاظاً نتحرك

وفعمل ، نصدد فوق القمر ونهبط تحت حضيض جميع الاشياء لنذلل على أن صعودنا وهبوطنا كلاهما فرار من الذات ومن الصمت وليسا شوقا الى القمر أو الى الحضيض ولا بحثا عن الاله لمناقته ولا الى الحشرة لتعليمها التمرد على حضيضها - ولنذلل ايضا على أن المسافة بين سطح القمر وبين حضيض اكثر الاشياء هبوطا ليست اطول من المسافة التي تتفوق بها احدى قامتي انسانين على قامة الانسان الاخر ، أو التي تتفوق بها وثبة انسان على وثبة كائن اخر يدعى وبحسب انسانا ويبدو في تخطيط انسان ، أو التي يتفوق بها طموح قادر مبصر على خمول عاجز اعمى ..

انه لا شيء يبدا او يتغير او يخرج عن طريقه الازلي الابدى او عن صيغته الازلية الابدية مهما بدا ان كل ذلك هو الذي يحدث دائما ..

ان كل شيء قد كان في لحظة واحدة لا يمكن فهمها ثم لا شيء يكون غير عمليات الاخراج والتوزيع ..

انه لو وجد كائن مطلق وشامل في رؤيته وقراءته وحسابه وتفسيره للاشياء لاستطاع في مواجهته للكون الحاضر وفي تفكيره وتحديقه فيه ان يعرف بكل الدقة والتفاصيل كل ما سوف يكونه في كل مستقبلي ، بكل صيغته واحداثه وكائناته .. ان يراه ويقراه ويفسره ويكتبه ويخضعه لجميع العمليات الحسابية الصعبة والسهلة بلا خطأ ..

ان يعرف ما الذي سوف يكونه البشر والحيوانات والحشرات بعد ملايين الدهور ، وكم سوف يكون تعداد البشر وكل الكائنات ، وكيف سوف تكون كينوناتهم وحياتهم وصيغهم الذاتية ومستوياتهم الحضارية ، وفي اي عالم او كون سوف يكونون ويعيشون ويتعاملون ..

لاستطاع ان يعرف وكأنه يرى ذات هذا الانسان الواحد المعين المشار اليه ، الذي سوف يولد أو يتخلق بعد ملايين الاعوام ، وكم سوف يكون عدد اخوته واخواته واقاربه وما عمله ، واين سوف يكون ويعيش ، وكم سوف يصنع أو يبرز من الابناء والبنات ، وما مستوى ذكائه وجماله واخلاقه وتعليمه .. وان يعرف وكأنه يرى جميع الامراض والمعاهات والاحزان والمشاكل والخاوف التي لا بد ان تصيبه وتواجهه في اوقاتها واساليبها واحجامها التي لا بد ان تكونها وتكون فيها وتحي بها . وكم مرة سوف يعتقله حاكمه الثوري التقدمي الاشتراكي ، وما هي ألوان التعذيب والتهم التي لا بد ان يوقعها به وينتهم بها ..

وان يعرف عدد المرات التي سوف يذهبها الى عيادة الطبيب ، وما اسم الطبيب واين تقع عيادته وما شكلها ، وهل يستطيع شفاؤه ام يزيده داء مثلما يفعل اي زعيم او قائد او حاكم عربي حينما يواجه اية مشكلة كبيرة او حتى صغيرة ، فيحاول علاجها او مشاقتها او انكارها او الصمت عنها ، فيكون محتوما ان يزيدها تعقيدا وعصيانا وقبحا بكل

موافقه هذه منها • نعم ، ليست معالجة قادة العرب لاية مشكلة ان يشتموها لو ينكروها او يصمتوا عنها ، وهذا افضل وانكى ما يصنعون ؟

وان يعرف ايضا وكأنه يرى عدد المرات التي سوف يكذب ويغدر ويهون وينافق فيها •• وعدد المرات التي سوف يتنصّب ويغدر ويهون وينافق فيها •• وعدد المرات التي يلقي بها الفضلات وقلامات اظافره وبقايا طعامه في الطريق العام وعلى رؤوس وثياب السائرين كما يفعل الانسان العربي اليوم في كل المجتمعات العربية ، بل وكما يفعل ذلك اليوم ودائما كل العرب حتى اطبائهم وعلماؤهم وشعراؤهم وانبيائهم وفنانوهم ، يفعلونه بمشاعر من يؤمنون ويصلون ويمجدون الهتهم واديانهم واطنانهم وتاريخهم ، وبمشاعر من يزرعون ويصنعون الجمال والفنون والحضارات والطهارة في عيون وضماثر الشمس والنجوم والزهور ••

نعم ، ليس جميع اطباء والعلماء والشعراء والحكام والانبياء والفنانين العرب يلقون بكل الفضلات والقمامات والقلامات فوق طهارة ونظافة ومجد السحاب والانهار بنشوات واستعراضات دينية وفنية واخلاقية وجمالية وقومية وطنية ؟

بل يفعلون ذلك وكانهم من فرحهم ورضاهم عن انفسهم يهبون الشمس ضياءها، والنجوم اغضاءها وتهذيبها ، والزهور عطورها والوانها والانهار وفاءها حينما تجيء في اوانها ••

كانهم يهبون الرجال موهبة التلقيح والنساء موهبة الحبل والولادة والخصوبة الرهيبية •

بل وكانهم يعلمون الاله كيف يكون ارحم وانكى وانتقى واكثر شهامة وعدلا ونشاطا ، واصح منطقا وتحديرا ، وازكى ارادة وقصدا ، واقدر على الرؤية والحركة السريعة المنقذة العليمة ••

بل وكانهم يصبون صبا في ذات الاله كل المعاني العبقريّة القوية المطلوبة والمتنظرة منه والزعومة فيه وله والمفقودة في كل تصرفاته ونياته وضرباته فسي كل تاريخه المنظور والمسموع والمقروء والمعلوم والتصور والمستنتب والمجرب القاسي والمنتظر ابدا بل والمشكو المصروخ المهروب منه ابدا • اجل ، هل يوجد مصروخ مهروب مشكو منه ، ومع هذا مدعو مرجو مصلى له متقرب اليه موهوب كل الثناء والتمجيد مطلوب منه كل ما يراد ويشتهي ويؤمل - نعم ، هل يوجد كائن هو كل هذا غير الاله او مثل الاله ؟ وهل في اي شيء فعله ما ليس شكوى وصراخا وهربا من الاله •

ولاستطاع ايضا ان يعرف وكأنه يرى ان هذه النبتة او الشجرة التي سوف تنبت بعد ملايين السنين لا بد ان تنبت في المكان والزمان اللذين نبتت فيهما ، بنفس الشكل والظروف والقيمة ، وكيف سوف تروى ، بالسحاب ام بالانهار ام بالينابيع ام بالندى ، وان يعرف عدد القطرات التي سوف يصبها عليها السحاب ، وعدد المرات

التي تهددها بالموت والاقتراع الاعاصير والسموم ، وكم سوف تعيش ، ومتى تموت
وبأي اسلوب تموت ..

وان يعرف عدد العيون التي سوف تراها ، والايدي التي سوف تمسك بها ،
والارجل التي سوف تطأ عليها ، او ان شيئاً من ذلك لن يحدث لها .. بل وان يعرف
بكل اليقين ان الطبيعة الخاطئة ابدا سوف تعشق عباءات شيوخ الخليج عشقا لا بد
ان يتحول الى اقصى اذلال وعقاب لكرامة وقوة وحضارة كل العالم المصاب بالمجاعات
النفطية .

نعم ، ان ذلك الكائن المفترض المطلق الشامل في جميع معانيه وتفاسيره لا بد ان
يعرف مقدما كل ذلك من رؤيته وقراءته الحاضرة للكون الحاضر المشهود بالقدر الذي
يستطيع ان يعرف به العلماء اليوم ان الشمس او القمر سيصاب بالكسوف بعد كذا
يوم ، وكم من الوقت سيستمر هذا الكسوف ، وهل سيكون كلياً او جزئياً ، واين
ستكون منطقتة ..

وبالقدر الذي به يعرفون ان المطر سوف ينزل بعد كذا ساعة في مكان كذا ..
بل ان هذا الكائن لو وجد لا بد ان يعرف بكل اليقين كل ذلك اكثر مما يستطيع ان
يعرف العلماء حدوث الخسوف ونزول المطر بكل التفاصيل مقدما ..

ان اي شيء يحدث اليوم او في اي يوم آت أو بعد ملايين الاعوام الضوئية قد صمم
وتقرر حدوثه في اليوم الذي سوف يحدث فيه قبل ملايين السنين الضوئية ،
بل صمم وتقرر حدوثه منذ الازل ، ولكن بلا مصمم ولا مقرر . ان كل الاشياء تحدث
بلا مقرر او مصمم لان المصمم والمقرر حدثا بلا مقرر او مصمم . لان الخالق قد وجد بلا
خالق وانه ليتمكن ان يقال بهذا التفسير ان كل ما يحدث اليوم او في اي يوم
آت او بعد ملايين الدهور قد حدث منذ الازل اي قد حدث بلا بداية . . . انه لا يوجد
امس واليوم وغد بالنسبة لحدث الاشياء اي لتقرر وحتمية حدوثها . ان الشيء
اما حادث في كل لحظة او لن يحدث في اية لحظة اي بهذا التأويل انه اذن لا شيء
يحدث قبل شيء ، ان كل الاشياء تحدث او حادثة او موجودة بلا حدوث في وقت واحد
او مرة واحدة . ولكنها اي جميع الاشياء تخرج او ترى شيئاً بعد شيء ، وهذا معنى
حدوثها او وجودها شيئاً بعد شيء . . . ان كل ما سوف يوجد قد وجد منذ الازل ، وكل
ما لم يوجد من الازل لن يوجد في المستقبل . انه لا قبل ولا بعد بهذا التفسير .

ان اي مولود يولد في هذه اللحظة قد ولد او وجد بولادته ولحظة ولادته كل
كينوناته وصيغه وحادثه المقبلة بالحنم بلا وقيل وبعد . . ان صباه وشبابه وكهولته
وشيخوخته وموتها ومرضه وجميع موجهاته وممارساته ومقاسياتها ومسراته وكل شيء
سيلقاه او يحياه - ان كل ذلك قد ولد او وجد مرة واحدة بلا قبل او بعد ، ولكن الذي
يحدث ان شيئاً يخرج ويرى بعد شيء . . . والاسباب والظروف التي تجعل هذه الاشياء
في المولود تحدث باسلوب حدوثها وفي وقته ومكانه هي اسباب وظروف محتوم حدوثها

بالاسلوب الذي به تحدث بل وفي نفس الوقت • ويعني بحدوثها هنا خروجها ورؤيتها لا وجودها لانها موجودة منذ الازل اي في اللحظة التي وجد فيها اي شيء ، واول شيء ، ولكن بالتفسير السابق لمعنى الوجود •• ان هذا ليس اكتشافا لاعماق بعيدة بل هو رؤية لمنظر قريب جدا •

ان ما اقله في هذه اللحظة قد صمم وتقرر منذ الازل وبلا بداية ان اقله بنفس الاسلوب والعنف والحماس والافتناع والصيغة وفي نفس المكان والزمان • ولم يكن يحتمل الا اقله ، لم يكن يحتمل ان يحدث اي شيء يجعلني احجم عن قوله او اهاب او ارفض قوله او اعجز عن قوله •• ان كل ما يحدث لي او مني كان مستحيلا الا يحدث وان كل ما لا يحدث لي او مني كان مستحيلا ان يحدث او أن يحدث ما يجعله يحدث • ان ما اقله في هذه اللحظة قد قلته يوم ولادتي بل منذ الازل ، قبيل ان تظهر هذه الارض او هذه الشمس بصيغتها الحاضرة • ولكن بالتفسير السابق الذي تكرر الحديث عنه • لهذا فان كلمات قبل وبعد وحدث واحداث وخلق وامثالها في جميع اللغات لا يمكن ان تعني الا الاسلوب الظاهري او الصيغة المرئية • والبشر بهذه التعبيرات اما متساهلون ومضطرون الى هذا التساهل في تعاملهم وتخطيهم ، واما مخطئون خطأ عقليا أو اعتقاديا أي انهم يرون لانهم مخطئون ان هذه الكلمات تعني معانيها البعيدة والقريبة ، المرئية والمنطقية غير المرئية •

ان هذا ليس حديثا عن القدر الديني أو عن أي قدر بأي معنى صوفي أو روحي أو غيبي • بل أن الذي اعنيه هنا هو ضد هذا القدر بكل تفاسيره بل ضد كل قدر • انه لا يوجد قدر بأي معنى من معانيه السلفية ، ولكن ضرورات وطاقات وقوانين ذاتية محتومة ولكنها ليست محسوبة أو موضوعة بحساب •

ان العالم حينما تقول له اجهزته وحساباته ان الشمس ستصاب بالخسوف يوم كذا ، وان المطر سوف ينزل بعد كذا ساعة بغزارة كذا ، وان الرياح ستكون بسرعة كذا ، وان مزاج الطقس سيكون اليوم أو غدا كذا ، فيخبر عما قالت له اجهزته وحساباته ، لا يكون اي العالم متحدثا بذلك عن اي قدر ، ولن يجوز ان يوصف بانه قدرتي بأي تفسير من تفاسير القدرية • وان كان هذا قدرا او قدرية فانها قدر وقدرية ضد القدرية والقدر القديمين اللذين يعني بهما ان الاحداث والاشياء والاكوان تفرض عليها كينوناتها وقوانينها من خارجها •

ان الحديث هنا حديث عن قوانين الكينونة وعن تسلسلها وتوالدها المتعاقب المحتوم • والقدر ينافي بتفاسيره قوانين الكينونة الذاتية المحتومة بكل تفاسيرها • ان القدرية القديمة تعني المشيئة الخارجية ، تعني ان الاشياء لا تحدث بالحتم الذاتي •• تعني ان الاشياء احتمال لا حتم لان ارادة خارجية او أخرى تتدخل فيها لتجعلها هذا او هذا ••

انه لو لم تكن قوانين الكينونة المتسلسلة المتعاقبة بصيغة التوالد محتومة

لما امكن ان يحدث شيء . اي ان الكون بكل احداثه ووحداثه وصيغه وكينوناته وبكل اشياته لو لم يوجد كله مرة واحدة اي بالتفسير السابق لما امكن ان يحدث اي شيء . . . ان الكون بكل وحداته وصيغه واحداثه موجود وليس موجودا . اذن ما لم يصبح موجودا كيف يمكن ان يصبح موجودا ؟ انه لا يوجد من يصنع له او به اليجاد .

كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي كان يمكن الا يوجد ؟ اي كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي لم يوجد من الازل اي بلا بداية ، اي حينما وجد اول شيء ؟ اي كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي لم يوجد مع كل شيء مرة واحدة ؟ . . . كيف يمكن ان يكون هناك ايجاد اذا لم يكن هناك موجد ، اي اذا لم يكن هناك كائن اخر يريد اليجاد ويديره وينفذه ؟

لو كان يمكن الا توجد الشمس او القمر او الحشرات أو الحياة أو الحضارة الانسانية أو أي امة من الامم أو أي انسان معين فكيف يمكن أن يوجد ذلك ؟ بأي قانن أو قوة أو اله يمكن حينئذ ان يوجد ؟ ولماذا حينئذ تريد وتدير وتنفذ هذه القوة أو القانن أو الاله ايجاد الشمس او القمر او الانسان او أي شيء ؟

نعم ، ان اي شيء يوجد لم يكن ممكنا الا يوجد . انه لم يوجد تطوعا او حبا أو شوقا أو اختيارا أو منطقا أو تدبيرا أو تخطيطا أو شهامة أو مجاملة أو تدينا . بل لقد وجد لانه لا يستطيع الا يوجد . لقد وجد لانه كان موجودا . . . لو كان ممكنا الا يوجد الاله والا يوجد كما وجد والا يوجد الاشياء والعوامل كما أوجدها ، فكيف يمكن أن يوجد وأن يوجد كما وجد وأن يوجد الاكوان والاشياء كما أوجدها ؟

نعم ، لقد وجد الشيء الذي وجد لانه كان موجودا . كان موجودا من الازل ، اي بلا بداية أو ارادة أو تدبير أو تخطيط أو دعوة له أو تفكير فيه أو منه . اننا لا نريد ان نكون او نعمل او نتغير او نحيا اختيارا او تطوعا او تخطيطا بل لاننا كنا او جئنا مريدين منذ الازل قبل وجودنا بصيغتنا هذه .

ان موت الانسان أو موت الحياة لو لم يكن موجودا اي الموت من الازل اي بلا بداية لما امكن ان يوجد . من الذي يستطيع أو يريد حينئذ ان يوجد اي يوجد الموت لو لم يكن موجودا من الازل بلا بداية ؟ ان موت هذا الانسان لو لم يكن موجودا اي موته قبل ان يولد لما امكن ان يموت .

انه لو فقد الموت يوما ما في المستقبل لكان المعنى ان فقدته قد وجد منذ الازل ولكنه اي فقدته لم ير ويعرف الا في الوقت الذي ظهر فيه . اي أن ظهوره والعلم به هما اللذان حدثا لا وجوده . . .

ان كل شيء قد وجد بلا بداية ، بلا زمن ، والا فلن يوجد ابدا .
اجل ، ان الاحداث والكينونات والاشياء هي اسباب ونتائج ولكن مجموعة الاسباب والنتائج محتوم أن تحدث كما حدثت بكل اساليبها واورقاتها واماكنها وصيغها . ولو كان ممكنا الا تحدث وكما حدثت لما كان ممكنا ان تحدث وكما حدثت .

انه لو كان هناك خالق ومخلوق لكان محتوما ان يحدثا بالاسلوب الذي به يحدثان .
ان هذا الانسان المعين الذي يصاب هذا اليوم بكآبة او بفرح او بخوف او بايبة
حالة نفسية او جسمية اخرى لم يصب بذلك الا تحت اسباب وظروف ذاتية وخارجية
معينة لتكون الحالة او النتيجة كما كانت . ولكن لقد كان محتوما حدوث وتجمع
هذه الاسباب والظروف لتجيء النتيجة او الحالة التي جاءت كما جاءت بالحتم الذي
لا تدبير فيه ولا ارادة تصنعه او تفهمه او تعشفه او تستفيد منه . . .

اي ان الاسباب والنتائج محتوم ان تجيء ابدا كما جاءت وكما تجيء . . .

ان جميع الاسباب والنتائج موجودة منذ الازل اي بلا بداية اي بلا زمن . لهذا
فان الاسباب لم توجد قبل النتائج ولكنها ظهرت وتكلمت قبلها . نعم ، ان كل انسان
وكل شيء يولد أو يوجد مزروعا مخزونا في جسمه كل ما سوف يفعله ويصيبه بلا
أي تغيير أو تعديل أو زيادة أو نقصان .

ولماذا لا يحدث ولا مرة أن يصعد الى مركز القيادة والسلطان في العالم العربي
ولو واحد فقط من صالحى العرب وعباقرتهم ، وكل العرب صالحون وعباقرة مع
استثناءات قليلة جدا ؟ هل هم عاجزون عن هذا الصعود أم جاهلون باسبابه أم مجفلون
خائفون من تبعاته وتكاليفه واخطائه ومحاسباته ، بل ومن اغراءاته وغواياته ، ام
هم زاهدون فيه ؟

كيف لم يحدث ولا يحدث ولو خطأ او مجاملة من القدر أن يصعد الى قمة القيادة
والحكم ولو واحد فقط من عباقرة العرب وصالحهم ؟

هل هو فقد للطموح والهمة وللإحساس بالواجب ام هو تورع او زهد او خوفيهزم
ويذل ويقتل الطموح والهمة والاحساس والمهبة ؟

هل يوجد تفسير لهذا بأي منطق في قوانين الاشياء ؟

كيف أمكن أن يوجد من يقولون بهذا أو من يفتنون به ؟ أي كيف أمكن أن يوجد
من يعتقدون ان في العرب مزايا اعظم من مزايا من هم دائما حكامهم وقادتهم
وانبيأؤهم ؟

ألا يعلم ذوو المزايا ما الذي لا بد ان يحدث حتما اذا هم جميعا قد قرروا
والنزموا بكل الصرامة والديمومة بالا يكونوا حكاما او قادة او معلمين وانبياء ،
ثم لم يكتفوا بهذا فقط بل قرروا والنزموا جميعا بلا اية مخالفة ان يصبحوا رعايا
واتباعا طبيعين صالحين مثاليين في طاعتهم واستسلامهم للاقليين التافهين الاشرار
العاجزين المهزومين الطغاة الاغبياء الذين لا بد ان يكونوا هم وحدهم ودائما القادة
والحكام والمعلمين والدعاة الهداة - اي كما تفعل جميع الشعوب العربية في كل
تاريخها القديم والحديث في تعاملها مع حكامها وقادتها ولصوصها ودجالها الكبار
الصغار ؟

اذن ماذا تعني مزاياهم ، ولماذا وهبوا آية مزية حينئذ ؟ اليس اعطاء المزايا الذاتية اسلوبا عنيفا من التكليف والالزام والمسؤولية ؟ اذن اليس خيرا لهم واقل فحبا وعارا ان يكونوا بلا آية مزايا لان خضوع النذالة والضعف والبلادة والجبن والفجور للنذالة والضعف والبلادة والجبن والفجور اقل ذنبا وهوانا وتُسوها من خضوع الشهامة والقوة والعبقرية والبسالة والتقوى لذلك اليس اتباع الدجال للرجال وايمانه به اقل قبحا ونذالة من اتباع النبي للرجال ومن ايمانه به ؟ هل يمكن ان يكون تداوي الطبيب عند المعالج بالسحر وبالرقية والتميمة والتعوذة مثل تداوي الرجل البسيط الجاهل ؟

لماذا تظل دائما مزايا الانسان العربي هي أردأ واقبح واضعف مستويات وصيغ الرذائل ؟ بل لماذا تتحول مزاياهم الى هذه المستويات والصيغ التي هي دائما أردأ واقبح واضعف مستويات وصيغ الرذائل ؟

اي لماذا تظل - بل تتحول - دائما شهامتهم وشجاعتهم وذكاءهم وقوتهم وتقواهم ونظافتهم هي دائما أردأ انواع نقيضها ، لانها تظل بل تتحول دائما الى رعايا وخدم وعبيد وجنود جيدين وطيبين دائما لنقيضها ؟ لماذا تظل دائما القداسة والنبوة والعبقرية والبطولة العربية تابعة بمهانة للنذالة والوقاحة والشعوذة والتفاهة الملوثة الجبانة العربية ؟

ليس من اذكي وانقى انواع الدفاع عن العرب ان يقال ان حكامهم وزعماءهم وقادتهم ودعاتهم هم اعظم من فيهم بكل مقاييس ومعاني وانواع العظمة ، اعظم من جميع جماهيرهم ، والا كيف امكن ان ينتصر وينتفوق الأردأ الاغبي الاتفه الاضعف على الاعظم الاقوى الاذكي الاشجع ، وان يستسلم ويذل ويتعبد هذا لهذا بكل هذا الهوان والطاعة والجبن والانهيار والديمومة والتاريخية الشاملة ؟

ليس دفاعا مجيدا عن العرب ان يقال انه ليس في باطنهم انبياء ولا ملائكة لان كل من يجيئونهم بالوحي ليكونوا فيهم ولهم انبياءهم من الدجالين والابالسة ؟

اذن اليس تحقيرا حادا للعرب : الزعم بانهم جيديون او عظماء او عباقرة أو احرار او شجعان أو اقوياء واذكيا واتقياء وخالقو حضارات وحيات وقيم انسانية خالدة وقائدة ، ولكن قادتهم وحكامهم وانبياءهم ودعاتهم وخدمهم وجميعا هم الذين ليسوا كذلك ، بل هم وخدمهم ودائما النقيض لكل ذلك ؟ اليس هذا يساوي ان تقول عز انسان : انه ذكي وقوي وعبقري وشجاع ومهذب بلا حدود ولكنه لا يفعل او يفهم او يريد الا الغباء والجبن والنذالة والفحش ؟

انهما لسذاجة وغفلة تستحقان كل الرثاء ، اعني غفلة وسذاجة هؤلاء الذين يفسرون الانسان العربي تفاسير جيدة ومرضية بلا اي استثناء ثم يجنون كل التفاسير الرديئة والضعيفة في حكامه وقادته وزعمائه وفي جميع من قفزوا فوق سمواته ، بل ثم لا

يجدون شيئاً من هذه التفسيرات الضعيفة الا في هؤلاء . . . اذن مفسرو العرب هذه التفسيرات كيف لم يطالبوا بالا يكون للعرب حاكم واحد : ملك او رئيس او قائد من انفسهم بل بان يكون كل حكام العرب رؤساء وملوكا مستوردين دائما بالاسلوب الذي يستوردون به السلع المفقودة او الناقصة او الجيدة من الخارج ؟

كيف لم يفتنوا الى انهم بهذا التفسير لا يهبون العرب شيئاً من المجد او التمجيد بل يهبونو بهم بلا قرار ، بل بيتكرون او يتصورون لهم حضيضاً لا يمتلك اي كائن اخر حضيضاً يساويه او يشبهه ؟ ان الذين يفسرون العرب هذه التفسيرات هم كالذين يفسرون الاله ، انهم يذمون حيث يريدون المديح . . .

ان اصحاب هذه التفسيرات هم من الشعوب او من الجماهير العربية . فهل هم ، وهذه تفسيراتهم ومستويات تفكيرهم وذكائهم ورؤيتهم اعظم او اكثر موهبة عقلية او تصورية او نفسية او اخلاقية من قادة العرب وحكامهم وانبيائهم المتوجين ؟ هل رؤية الشعوب العربية هذه الرؤية لهذه القضية يمكن ان تجعلهم شيئاً افضل من حكامهم في اي شيء ؟ ان تفسير الانسان العربي لحكامه ولنفسه ومواقفه من حكامه ومن نفسه لا بد ان تجعله شيئاً لا يستطيع ان يكون اكبر او اعظم من حكامه او ان يزعم له ذلك . . . لنقرأ بعقولنا التي يجب ان تكون غير عربية ، او عربية قد تخطت العقول العربية ، او تعلمت التفكير والقراءة والرؤية بمستويات اكثر من عربية . وهل تستطيع العقول العربية ان تكون غير عربية او ان تتعلم التفكير او التفسير او القراءة او الرؤية بمستويات او باساليب غير عربية او افضل من عربية ؟

نعم ، لنقرأ بعقولنا الجديدة هذه القصة او هذا الواقع المشهود لو وجدت - اي لو وجدت عقولنا الجديدة غير العربية . . . لنقرأ هذا بعقولنا المفترضة . . .

جيش عربي كل آحاده او اغلبهم ، مع استثناءات قليلة جدا ، عابرة وابطال ومنزهون عن كل نذالة وضلالة وقبح وفحش وطغيان وفجور وتهريج وتدجيل ونباح فضاح . منزهون عن كل غوغائية وسوقية صراخية عربية . . .

هذا الجيش العربي يواجه في بلده فسادا وبؤسا وتخلفا وطغيانا واشياء كثيرة رهيبة لا يحتمل الصمت عنها . ويرى انه هو الحارس المؤكد لسلطان هذه الاتهام والشور ، فيغضب ويهتز ويقرر ان يصنع شيئاً . . .

انه القفز بالتدبير والتآمر الى عرش السلطان لكي يقفز بالبلاد فوق ائامه والامه ، ولكي يتحول من حام للاتهام والالام الى محطم لها منقذ منها . . .

انه الخروج على القانون لازالة الخارجين على الانسان . اليس الخروج على القانون حماية للانسان تمجيدا للقانون ؟ . . .

ولكن ما ابشع ما يحدث . ان الذين يقفزون الى العرش لينفذوا ويحرروا من الاتهام والالام وكل انواع الهوان هم الاقلون الاذلون الاشرار الاغبياء الكذبة المهرجون

الصائحون المرضى بالاعلان عن الذات وبعرضها ونشرها فوق كل الشرفات والحبال والاجراس العالمية ..

اما ذوو المزايا والمواهب القادرون على الانقاذ والمريدون له والمرجوون لفعله فانهم لا يدبرون ولا يتحركون وانما يظلون خمودا في تناؤبهم وغيوبتهم وهوانهم ، ينتظرون حتى يقفز اولئك الاشرار الجهلة التافهون لكي يتحولوا هم الى رعايا وهتافين وجنود لها . انهم يظلون خمودا يتحدثون عن المزايا والامجاد المفقودة المسحوقة وعن محبتهم لها وايمانهم بها دون ان يفعلوا شيئا لها كما يظلون يتحدثون عن الرذائل الموجودة المنتصرة مجددين لخدمتها وحمايتها وطاعتها بادب واخلاص وتقوى .

انهم ليسوا الاطباء بل ولا المرضون هم الذين يجيئون ليحموا ويعالجوا ، بل هم المرضى وحاملو جراثيم الامراض وصانعوها . انه ليس المبرص هو الذي يقود العميان والمبصرين بل الاعمي هو الذي يقود المبصرين والعميان !!

انها الاوبئة الرهيبة الشاملة التاريخية تجيء لكي تداوى من الامراض الخفيفة المتواضعة المعاشية لاصحابها برفق واستحياء وشهامة ..

انه السل او السرطان يجيء ليعالج من الشحوب او من الغثيان او من كسل الكبد او من فقر الدم والضعف العام .

ان الاطباء هنا لا يتخلون عن المجيء والتقدم للعلاج والانقاذ فقط بل انهم يتحولون الى جنود للاوبئة ولصانعي وناشري الامراض والى هتافين ودعاة لهم ومعلمين بمزاياهم ومزايهاها اي مزايا الاوبئة .. ان الطبيب هنا ليس غير طبيب فقط بل انه طبيب مضاد يخدم الامراض ويعلم مزايهاها .

انه ليس النبي او الملاك هو الذي يتلقى الوحي ويحفظه ويلتزمه وينهض به ويعلمه وينفذه ويعلنه ، ولكنه المهرج والدجال والشيطان . بل ان النبي والملاك يخدمان وينتظران باستسلام وهوان حتى يقفز المهرج والدجال والشيطان الى كرسى النبوة لكي يصبها اي النبي والملاك رعايا وجنودا لهم اي للدجال والمهرج والشيطان . ان النبي والملاك لا يصحان هنا بلا نبوة ولا ملائكية فقط بل انهما يتحولان الى حرب على النبوة والملائكية ، الى حرب على نفسيهما ..

وهكذا يستمر هذا الجيش العربي يكرر عملياته هذه بهذا الاسلوب ، بهذه المزامع ، بقيادة هؤلاء الاشرار الانذال الضعفاء المهرجين الصياحين . وهكذا تفعل جميع الجيوش العربية ، دون ان يقع خطأ واحد او صواب واحد اي بان يقفز الى مركز القيادة والسيادة بالتدبير والتآمر رجل واحد ولو مرة واحدة من ذوي المزايا القوية في اي جيش عربي ليحكم ويقود وينقذ ويعالج ليكون بديلا عن النقيض ، ليكون الطبيب بديلا عن الحجام او ضارب الرمل او قاريء الكف او كاتب التميمية او باصق الرقية ، وحاميا منه ، وايضا ليكون النبي والملاك بديلين عن الدجال والمهرج والشيطان ، وحاميين منهم ، وايضا ليكون العالم او الحكيم او الفيلسوف

بديلا عن العسكري ، وحاميا منه ، وايضا ليكون المنطق والذكاء والتفكير والصق
بديلا عن الصراخ والسباب والوعيد والادعاء والغرور ، وحاميا منه ، وايضا ليكون
الانسان المفكر المتحضر المتكلم بديلا عن الكائن او عن الانسان المصوت الهداد
الصهال . . .

ان هذا هو التفسير للقول بان الشعوب العربية جيدة وعظيمة ، وان اصحاب
الرداءة والتفاهة فيها قليلون جدا ، وان هؤلاء القليلين جدا هم الذين يصعدون دائما
فوقها ليكونوا القادة والسادة والحكام والانبياء والمداوين لها من كل الامها وفنوبها
وتشوهاتها .

بل ان هذا هو بعض التفسير لهذا القول .

لماذا قرر والتزم جميع ذوي المواهب والمزايا الحضارية والانسانية والفكرية
والاخلاقية في جميع الجيوش العربية ان يتخلوا عن القيادة والزعامة لكي يستولي
عليهما العاجزون المخربون المرضى بشهوة الماخصة والمشايمة والتحدّي العاجز
وبشهوة التمري داخل كل العيون ، والذين كل اهتماماتهم وعبقرياتهم وانجازاتهم
ان يصنعوا المشاكل أو ان يحرصوها ويثيروها ويلعنوها ويتحرسوا ويصطدموا
بها دون أن يفهموها او يعالجوها او يسالوها او ينتصروا عليها بل او يخدموها
بالمهادنة او بالصمت او بالتهذيب والتواضع؟ هل يوجد جبن او عجز او هزيمة او خطيئة
تساوي هذا القرار والالتزام ؟

وهذا التساؤل موجه الى الافتراض او الاقتناع بانه يوجد في احشاء الجيوش
العربية خير ممن بصفتهم ففقدوا فوقها ليقودوها الى الهزائم والفشائح والمشاكل
والعجز بكل اسلحة الضجيج والغرور والوقاحات والفشائح . . هل يمكن ، اي مع
هذا الانتراض او الاقتناع فهم هذا الذي يحدث دائما في الجيوش العربية بلا تغيير
أو تبديل ؟ هل يمكن حينئذ فهم الجيوش العربية او فهم الانسان العربي ؟ ولكن هل
يوجد من يطمع في فهم الانسان العربي او فهم الجيوش العربية اي اذا حوسبا او
فسرا بالانسان الاخر وبالجيوش الاخرى ؟

اما اذا فسرا وحوسبا اي الانسان العربي والجيوش العربية بنفسيهما
ومستوياتهما فهل يوجد من يعجز عن فهمهما ؟

أليس من الستر على الجيوش العربية ومن الانصاف والمحاباة لها ان يقال
ويعتقد بان الذين يقفزون فوقها دائما ليعرضوها هذا العرض العالمي الكوني الفضح
هم افضل واعظم من حبلت بهم وولدتهم مواهبها بل مواهب الانسان العربي ؟

أليس دفاعا عنك ان يقال ان الذي حكمك وقادك واذلك هو اذكى واقوى منك
مهما كان ضعفه وغباؤه ؟

هل يقبل عالم الحشرات او الحيوانات او اي عالم اخر ان يكون دائما كل من
يقودونه ويحكمونه ويذلونه ويقفزون فوقه ، وكل من يفكرون له ويعلمونه وينهونه

ويأمرونه ويصبحون ملائكته وانبياءه ، هم اضعف واعجز واجهل واكذب وافسد واغبي واطغى واوقح من فيه ؟ اذا كان الاضعف والاغبي والاتقه هو دائما الذي يضرب وينتصر ويفقد فما معنى الذكاء والقوة والعظمة اذن ، ولماذا ؟

ان الجيوش العربية لن تهجي باقسي من ان يقال انه يوجد فيها من هم اذكى او اشجع او اقوى او اعظم ممن يقفزون دائما فوقها . اي ان اقسى اساليب السب والهزاء للانسان العربي ان يزعم بان الذين يتآمرون من جيوشه بالسلاح لكسي يصبحوا هم حكامه وقادته وانبياءه هم ابدأ عبقریات جيوشه وعبقرياته ، او هم وخدمهم كل عبقریات جيوشه وكل عبقرياته الرديئة . .

ان الاعتقاد بان الذين يقفزون فوق الجيوش العربية هم اعظم من فيها لهو هجاء قاس لها ولكن القول او الاعتقاد بانهم ابدأ واطغى من فيها هو هجاء اقسى . .
سجل ايها التاريخ . ان كل احاد الجيوش العربية هم ملائكة وانبياء وعباقرة واطباء ، ولكنهم لاسباب لم يستطع فهمها وصعب ان يستطاع فهمها ، يذهبون بتدبير او بغفلة مذهلة يفرزون اعدادا قليلة جدا من الابالسة والدجالين والتافهين والمشعوذين ومن المعالجين بالسحر والتعاويذ والطلاسم وبالاسباب والصراخ والادعاء ، لكسي يكونوا دائما هم الحكام والقادة والمعلمين والداوين من كل الاثام والالام والتفاهات ومن كل نماذج الضعف والتخلف . لكي يكونوا الثوار الكونيين الشافين لك من كل تفاهاتك وتشوهاتك . .

سجل ايها التاريخ ذلك ولا تخف ان يقتلك الشعور بالعار او بالذنب او بالهوان . ارقص وغن ايها التاريخ لهذا الغباء والسخف . أليست اطول واشهر رقصاتك واغانيك هي رقصاتك واغانيك للسخف والغباوات ؟

سجل وقل ان اقواما يقولون ما معناه ذلك دون ان يستتروا او يرتجفوا خوفا ان تحقق فيهم العيون او العقول او التساؤلات والظنون المفجوعة بهم . ولكن هل بقي للعيون او العقول او موهبة التساؤل شيء من كرامتها او رؤيتها او غضبها لتهاج او يستنتر منها او لتفجع باي شيء ؟

جسدك ايها التاريخ مغطى بالذنوب والعايات والنفذالات والبلادات وبالعمار والقبح . . جسدك هو اكبر مزرعة كونية لانبات العار والدمامات والسخف والاكاذيب والتشوه بكل لغاته وتفاسيره وفنونه .

وهل يوجد مكان في الكون لانبات ذلك غير جسدك المصاب المهان ؟

جسدك ايها التاريخ فجيعة وعقاب للعيون والعقول والضمائر والانوف والايدي التي تراه او تقرؤه او تفهمه او تفسره او تحاسبه او تلمسه او تشمه . هل رأيت ايها التاريخ جسدك ولو مرة واحدة ؟

هل استطاعت عين ان تراه او جرؤت على رؤيته ؟ ان كل الناس يعيشونك ويستمتعون بك . ولكن هل استطاعت عيونهم او جرؤت على رؤية جسدك . ولكن

لا تخشى شيئا ايها التاريخ فلقد قنلت في كل العقول والعيون والضمائر والاخلاق كل قدرتها على الرؤية مهما حاولت ان ترى ..

ان القادة والحكام والانبياء من حيث الرؤية او الفكر او التفاسير العامة ليسوا شيئا غير شعوبهم وجماهيرهم . ليسوا افضل او اردأ منها اي من حيث الرؤية او الفكرة او التفاسير العامة او المطلقة . كذلك الشعوب او الجماهير ليست شيئا غير قادتها وحكامها وانبيائها ، ليست اعظم او اتفه منهم اي بالمعنى السابق . ان الحكام والقادة والانبياء هم شعوبهم ، وان شعوبهم هي هم والاختلاف ليس الا في الاماكن او الكراسي او الازياء .

لهذا فانه لا يحتمل او ينتظر ان يكون شعب او مجتمع عظيما عبقريا او تافها عاجزا بليدا ثم يكون جميع حكامه وقادته وانبيائه المتعاقبين عليه نقيضا له اي في عبقريته او في تفاهاته . كما انه لا يحتمل او ينتظر أن يكون جميع قادة وحكام وانبياء مجتمع او شعب في جميع اطوار تعاقبهم عليه عباقرة وابطالا او جبناء وانذالا ومغفلين ورعودا بلا اي سحاب بل بلا اي سماء ، ثم يكون شعوبهم او مجتمعهم كله او اكثره او كثير منه نقيضا لهم اي في مزاياهم وتفوقهم او في رذائلهم وتخلفهم .. ان هذا لا يمكن الا بقدر ما يمكن ان تقوى او تضعف حدة البصر بالانتقال من كرسي الى اخر .. انه لهذا لممكن جدا ان تعرف مواهب وقدرات واخلاق اي شعب او مجتمع بمعرفة مواهب واخلاق وقدرات حكامه وقادته وانبيائه . كما انه ممكن جدا معرفة كل ذلك عن حكامه وقادته وانبيائه المتعاقبين بمعرفة ذلك عنه اي عن اي شعب او مجتمع .

بل ان معرفة هؤلاء هي معرفة مساوية لهؤلاء ..

ان احد الفريقين لتفسير او منطلق للفريق الاخر لا يمكن ان يخطئ .. ان كلا الفريقين ليفسر الفريق الاخر اصحق مما يفسر اي تفسير نصه . ان اية تفاسير قد تكون غير نصوصها او خارجة عليها او غير معبرة عنها بصدق او بذكاء او بشمول او بنزاهة .. أما القادة والحكام والانبياء فانهم دائما تفاسير لشعوبهم ومجتمعاتهم لا تخطئ ولا تضل ولا تكذب ولا تخدع ولا تجيء اقل أو اضيق . كذلك المجتمعات والشعوب هي نفس هذه التفاسير لحكامها وقادتها وانبيائها بكل هذا الصدق والشمول والدقة والنزاهة ، بكل الجمال والقوة او بكل القبح والضعف . لهذا فان الحكم على اخلاق ومواهب وتاريخ شعب من الشعوب هو حكم بنفس القدر على اخلاق ومواهب وتاريخ انبيائه وقادته وحكامه مدحا وذما فالشعب الجبان او العاجز او الناقص أو الذليل أو التافه أو الغوغائي أو البليد المغرور لن يكون انبياؤه وقادته الا كذلك ..

ان احدهما ليرى الاخر ويفسره كما تصنع المرأة السوية بالوجه المنشور عليها . بل أن القضية ليست هي ان احد الفريقين يفسر الاخر ويعبر عنه بكل الصدق

والشمول ، بل ان احد الفريقين هو نفس الاخر وليس تفسيره .
حتى الالهة فانها لا تستطيع ان تكون اكبر او اعظم من عبيدها والمؤمنين بها ،
اي اكبر او اعظم من ذكائهم او منطقتهم او تصوراتهم او من طموحهم وامانيهم
ورؤاهم . ان المؤمنين بأي اله لن يكونوا في نماذجهم العقلية او النفسية او الاخلاقية
او الفنية اردأ او اصغر منه كما لن يكونوا اكبر او اعظم منه . . .

انها اذن لن تكون غيرهم او غير تفاسيرهم . انها في جميع تفاسيرها مساوية
لهم في جميع تفاسيرهم اي مساوية لجميع معانيهم المذكورة ، اي الالهة وعبيدها
والمؤمنون بها ، المصورون المتصورون لها . . . بل أن كل انسان هو الهه جاء في صيغ
تصورات وتضرعات ومخاطبات وتمنيات . ان اي اله هو تعبيرات من يزعمون
الايمان به عن مستوياتهم . . . انه ليمن جدا معرفة منطق وذكاء واخلاق وطموح
وموهبة ومستويات اي انسان الفكرية والنفسية والفنية من الصور والصيغ والنماذج
والتفاسير والاخلاق التي يتصورها ويضعها ويتفانها لآلهه ويحبها فيه ويمجده ويراه
بها . فالمؤمن لا ينحت صور الاله او اخلاقه من ذات الاله بل من ذاته هو ، ذاته المادية
والمعنوية . لهذا اوصفه دون أن يراه او يعرفه او يقرأه او يفسره او يجربه او يحاكمه
لانه كان يصف ذاته ونفسه هو لا ذات او نفس الهه . . .

اذن كيف يمكن ان يكون اكبر او اعظم منه ، أو أن يكون شيئاً غيره ؟ ان القائد
او الزعيم او الحاكم لن يكون غير شعبه ، اكبر أو أصغر ، اذكى او اغبى منه الا اذا
كان ممكنا ان يكون الاله اعظم أو اردأ من المؤمنين به .

هل يمكن أن تلد الذات او تحتوي ذاتا اكبر منها حجما ؟

ان القادة والزعماء والحكام والانبياء هم في ضمائر ومواهب شعوبهم وكذا الالهة
في ضمائر ومواهب المؤمنين بها ، كالأجنة في بطون امهاتهم . وهل يمكن أن تكون
الاجنة اكبر من بطونها ؟

**

ان اساليبنا في تقبل الاشياء ومواجهتها وفي التعامل بها ومعها والتحدث عنها
لن تكون شيئاً غيرنا ، اقوى واذكى او اضعف واغبى منا .
ان اساليبنا في التقبل والمواجهة والتعامل تعبير صادق وصحيح عن مواهبنا
وطاقتنا المختلفة . . .

انه ليس ممكنا ان نكون شجعانا واقياء واذكيا وملتزمين بالصدق والتقسوى
والتطهر الروحي والاخلاقي والتعبيري ثم نصب جنودا ورعايا متبعين منفذين باخلاص
لنقيض مزايانا لاننا نؤمر او نقاد او ندفع الى هذا النقيض فنطبع آمريتنا خوفا او
حبا او تاديا او خمولا او انخداعا . . .

ان هذا ليستحيل في جميع قوانين الكينونة اكثر مما يستحيل ان يكون الكوكب
الصغير جانبا ومركزا للكوكب الكبير ، او ان يطارد او يفترس او يخيف أو يهزم

او يذل العصفور أو الفأرة أو الارنب النسر أو السبع أو الجواد ، أو أن تحترق أو تنطفئ الشمس خجلا أو رهبة من ضوء الشمعة أو تموت اي الشمس خوفا منها اي من الشمعة وتكريما لها واطهاراً لنورها ومجدها ، او ان تحتجب اي الشمس بكل اضوائها وامجادها امام جبروت وكثافة ووقاحة اية ظلمة ، او أن يكون الشيطان هو دائماً السلطان الذي لا يؤمن به ولا يطيعه او يصلي له او يقاتل تحت رايته الا اخلاق وضمائر وقلوب الملائكة والانبياء .

ان قادة وحكام وانبياء بل ومفكري اي شعب او مجتمع ليسوا الا التعبير العنيف الصارخ الشامل المرئي المسموع المقروء عنه اي عن الشعب او المجتمع . انهم هم هذا الشعب او المجتمع في حالة اعلانية شاملة ، او هم شعبيهم او مجتمعهم معروضا متعريا بكل وسامته واستوائه وقوته او بكل دمامته وتشوهه وضعفه . انهم هم شعبيهم بكل قدرته على الصراخ والاعلان والاثارة والتاثير وعلى الظفر بالاعجاب او بالاحتقار ، بالخوف منه او بالثناء له . . .

ان حكام وقادة وانبياء اي شعب او مجتمع بل وشعراءه ومفكريه ليسوا الا جزء الشيء الذي يؤخذ منه ليوضع تحت اجهزة التحليل والاختبار ليكون هذا الجزء من الشيء هو كل الشيء من حيث الخصائص والنسب والنوع والنتائج المستخرجة ، بحيث ان اي جزء اخر من هذا الشيء لن يكون الا مساويا لهذا الجزء الموضوع تحت اجهزة التحليل والاختبار اي في الخصائص والنسب والنوع والنتائج المحصلة . حتى انه لمن العبث والسفه ومما لا يحدث ان تحلل او تفحص جميع اجزاء الشيء لكي يكون مستطاعا الحكم عليه تحليليا ، اي على جميع اجزائه . . . بقدر ما هو عبث وسخف ان نقرأ ونفسر ونعرف اخلاق ومواهب حكام وقادة وخلفاء وفقهاء وشعراء شعب من الشعوب ثم نحاول ان نقرأ ونفسر ونعرف اخلاق ومواهب انبياء ذلك الشعب . ان اية قطرات من دم الكائن الحي أو اية مقادير من افرازات احدى غدده لمساوية لجميع القطرات والمقادير الاخرى في جميع تفاسيرها الكيميائية والوظيفية والنوعية اي في حالة واحدة . . .

وحتما هذا الحكم على القادة والحكام والانبياء وعلى الشعوب والمجتمعات هو حكم على الفريقين او على من يبذون وكأنهم فريقان ، هو حكم على جمع وجمع لا على فرد وفرد او لا على افراد هذا الجمع وافراد الجمع الاخر . . . اي ان اي تفاوت يكون بين أي حاكم او قائد أو نبي وبين اي فرد من الشعب هو تفاوت بين فرد وفرد وليس تفاوتاً بين نوع ونوع او بين فريق وفريق او بين قائد وفرد .

انه كالتفاوت بين الافراد وكالتفاوت بين الحكام والقادة والانبياء . فالفرد والقائد يتفاوتان في مزاياهما ورتائلهما بالتفسير والمنطق اللذين يتفاوت بهما الفرد والفرد ويتفاوت بهما القائد والقائد . . . يتفاوتان لكونهما فردا وفردا لا لكونهما قائدا

وفردا • لهذا فان هذا التفاوت سيبقى لو اصبحا معا فردين او فائدين • ولكن لا بد من التفاوت في التعبير بين القائد والفرد • •
 انهما اي القائد والفرد قد يتفاوتان كما يتفاوت البعير والبعير والذئب والذئب والبرغوث والبرغوث لا كما يتفاوت الجواد والاتان او الصقر والغراب او الفارة والليث او الملاك والشيطان • • وحتما لا بد ان يكون التفاوت بين افراد الانسان اعظم من التفاوت بين افراد الكائنات الاخرى • انه تفاوت كالتفاوت بين الانسان ومن سواه • •

انه قد يحدث ان يكون بعض الحكام والقادة والانبياء هم اعظم في مواهبهم وطاقتهم الانسانية والبشرية من بعض افراد المجتمع او الشعب كما قد يحدث العكس او بالتفسير الذي يحدث به العكس • •

اي ليست اسباب ذلك فروقا بين الحكام والقادة وبين الشعوب لانهم قادة وحكام وشعوب بل لانهم افراد والافراد محتوم ان تكون ان تكون بينهم فروق • • انه لو كان يوجد تفاوت بين الفريقين محسوبين فريقين لكان هذا التفاوت حتما لمصلحة الحكام والقادة ، وتفاسير ذلك قد تكون واضحة مقنعة •

ان المجتمع حينما يذهب يتهم حكامه وقادته واقوياءه بالضعف والعجز او الفساد او التفاهة والبلادة او باية نقيصة من النقائص الراسخة الكبرى انما هو متهم بنفسه بكل ذلك وغالبا دون ان يدري • انه حينئذ يهجو نفسه مرتين وبذنبين : بكونه مثلهم ، وبخضوعه لهم وهم اشرار وتافهون كما يقول عنهم • •
 ان حاكمه او قائده كم يستورد نقائصه وذنوبه من اية طبيعة اجنبية اخرى ، ولا من اية جهة بعيدة مجهولة ، ولم تورثه اياها الابالسة او الحشرات والذئاب ، ولم تخصصه بها الالهة الضاربة المتحركة في الظلام ، وانما تعلمها وورثها وتذوقها وتدريب وتجرا عليها منه اي من مجتمعه • ان مجتمعه كان قبله • انه هو والسده وخالقه ومعلمه • لقد افرزه مجتمعه كما تفرز الغدة او العضو افرزاتهما السوية المريحة او المريضة المؤلمة • •

ان اي مجتمع يقول : حكامي وقادتي وزعمائي اغبياء وانذال ولصوص وخونة انما يعني ان يقول ، ولكن دون ان يدري او يريد في الغالب : انا مجتمع مؤلف من اغبياء وانذال ولصوص وخونة ، بل قد يعني دون ان يدري حتما ان يقول : لقد كان انبيائي وسلاطيني وخلفائي الذين جلدوا وخذعوا ابائي اشرارا واغبياء ولصوصا وانذالا ايضا - او انما يعني ان يقول : لقد خلقت وولدت وافرزت وصغت حكامي وقادتي وشعرائي وعلمائي اغبياء ولصوصا وانذالا وطغاة وخونة ، وعلمتهم ودربتهم وجرأتهم ان يكونوا كذلك ، واطعتهم وصليت وهتفت وخطبت لهم وبايعتهم حينما اصبحوا كذلك او لانهم اصبحوا كذلك ، وفسرت الكتب المقدسة والاديان والمذاهب والتعاليم والاخلاق تفاسير تسوغ وتبيح لهم ان يكونوا كذلك ، بل تفاسير تحرضهم

وتأمرهم ليكونوا كذلك ، ونهيتهم بطاعتي واستسلامي بل وبإيحائي وأخلاقي ومواهبي ونذالاتي عن ان يكونوا افضل من ذلك او غير ذلك ، وحرمت عيونهم وعقولهم وأخلاقهم وتصوراتهم كما حرمت عليها ان ترى او تتصور او تعرف او تجرب في أو في تاريخي شيئاً غير ذلك - انما يعني ان يقول : لقد كنت خالفاً ووالداً ومربياً ونبياً ومعلماً ومدرباً ومفسراً ومحرضاً وصائغاً وموحياً فلهما وهاتفا ومبايعاً ومصلياً ومغوبياً مغربياً لكل ما في حكامي وقادتي وانبيائي وشعرائي وعلمائي من ضعف وقبح وفحش وغباء وتفاهة وأشياء أخرى .

نعم ، ان ذلك هو الذي يعني قوله اي مجتمع او شعب يقول عن قاداته وحكامه وزعمائه وانبيائه مثل هذا القول والاتهام ، ولكن وفي الغالب دون أن يدري أو يريد . . . انك لو كنت مفكراً صادقاً ونافذ الروية لعرفت ان اتهام وهجاء قادتك وحكامك هو اتهام وهجاء لك اي بهذا التفسير . ولو عرف اي الشعب او المجتمع ذلك فهل يكف عن قوله او عن اتهامه هذا حياء او عدلا او تورعا او صدقا ؟ اليس مستحيلا ان تتهم عينيك او لغتك او تصرفك بالنزق او الفحش ثم لا تكون متهما لارادتك وشهوتك وضميرك وذكائك بشيء من ذلك ؟

انه لن يكون عدلا او صقفاً أو ذكاء ان يتهم اي مجتمع او شعب قاداته او حكامه او زعماءه او انبيائه اي اتهام مع الشعور والافتناع ببراءة النفس من الاتهام الموجه الا يقدر ما هو عدل وصدق وحياء وذكاء ان يتهم الاله الخالق عبيده الذين خلقهم وارادهم ودبرهم هو بأي ذنب او خطأ او عصيان او ضعف مع شعوره وافتناعه ببراءته هو مما اتهمهم به . هل يوجد اسذج أو اوقح أو أفتح أو اظلم من ان تتهم الالهة الخالقة مخلوقاتنا التي ارادتها ودبرتها وصاغتها وجعلتها عاجزة عن مقاومتها ؟

اجل ، انه لمقول ومقبول بل وواجب ان يوجه اقسى الاتهام الى نقائص وذنوب الحكام والقادة والزعماء والانبياء ، ولكن لن يكون مقبولا او مغفورا ان يكون موجهو هذا الاتهام هم خالقي ووالدي ومفرزي هؤلاء القادة والحكام والزعماء والانبياء ، وهم مدربيهم ومعلميهم ومحرضيهم على ذنوبهم، ونقائصهم ، وهم الهاتفين الصلين لهم اذا اقتترفوها واعلنوها ، وهم المفسرين للاديان والمذاهب والاخلاق والكتيب المقدسة لتكون تشريعا وتسويغا لها اي لذنوب ونقائص الحكام والقادة والانبياء والزعماء ، وهم الناهين لهم عن أن يتركوا ذنوبهم ونقائصهم بولائهم وطاعتهم لهم ، وباعجابهم بهم كلما حكموهم وقادوهم واذلوهم وافسدوهم بذنوبهم ونقائصهم . . . لن يكون مقبولا او مغفورا ان يكون متهم الانسان هو ضميره وعقله وارادته وأخلاقه وشهواته وعضلاته ، اي لن يكون مقبولا ولا مغفورا ان تكون موجهة هذا الاتهام الى الحكام والقادة والزعماء هي شعوبيهم وجماهيرهم ورعاياهم الا اذا كانت تعني ان تتهم نفسها باتهامها لحكامها ولقاداتها وزعمائها بالاسلوب الذي يتهم به العامل او الصانع او الشاعر او الفنان حين يتهم عمله او صناعته او شعره او فنه . بل المفروض ان تخلق

وتصوغ وتبدع الشعوب حكامها وقادتها لا ان تتهمهم او تنقدهم فقط . . أليس اقسى اساليب الاتهام للخالق ان تجد في مخلوقاته عيبا او ذنبا او دمامة او خطأ ، ثم تعلن ذلك ، وهل عرف المؤمنون هذه الحقيقة ؟

انه لن يكون مقبولاً او مغفوراً ان يتهم الاله الخالق مخلوقه الذي اراده وخططه ثم خلقه واخرجه ، ما لم يكن مريداً باتهامه لمخلوقه ان يتهم نفسه . هل تستطيع ان تفهم او تحترم الهك او ان تغفر له حين يتهمك أو يسبك او يتوعدك وهو مخطئك وصائنك ؟ هل غفرت له او فهمته او احترمته ؟

وايهما اكثر وقاحة وبلادة وسخفا : الالهة التي تتهم عبيدها وتبريء وتمتدح نفسها ام الشعوب التي تتهم حكامها وقادتها وزعماءها مبرئةً ممجدة لنفسها ؟ هل سخر أحد من ذكائه واخلاقه وحيائه مثلما سخر الاله من ذكائه وحيائه واخلاقه حينما عاب وهدد كائناً هو مديره ومريده وخالقه وصائغه ؟

كيف لم تعلم الالهة ان اتهامها لمن خلقت هو اتهام لها ، وكيف لم يعلم الناس ان اتهامهم لحكامهم وقادتهم هو اتهام لهم هم ؟ هل يمكن ان يجهل اي عامل ان تحقيق عمله ليس الا تحقيقاً له ؟ هل يمكن الافتراض او الاقتناع بان اقل عامل او اي عامل هو اكثر ذكاءً ووعياً من الالهة ومن كل الناس في هذه القضية ؟ نعم ، كيف لا تعلم اليد ان اتهامها لاصابعها بالعجز او الضعف او التشوه او بالعدوان او الخطأ هو اتهام لها وانها هي المعتدية على الاصابع اكثر من العكس ؟

بل اليس الحق ان للمخلوق ان ينقد ويحاكم ويحاسب خالقه على كل ذنوبه ونقائصه هو وعلى كل ذنوب ونقائص خالقه دون ان يكون للخالق ان ينقد أو يحاسب او يحاكم مخلوقه على اي شيء من ذلك ؟ اذن اليس الاله الخالق محتاجاً جداً الى أن يتعلم شيئاً من المنطق أو الذكاء أو الاخلاق ؟

اجل ، اي الفريقين اكثر ظلماً للفريق الاخر وعدواناً عليه : الشعوب التي تلد وتخلق حكامها وقادتها وانبياءها وتدريبهم وتعلمهم وتورثهم وتحرضهم وتوحي اليهم وتهيبهم عضلاتهم وذكاءهم واخلاقهم ومطامحهم ، حتى لتتهيبهم عيونهم واذانهم وضمايرهم ولغاتهم الى ان تصوغ منهم اردأ نماذج القبح والضعف والسخف والبذاءة والطغيان والجهل - تهيبهم اخلاق وشهوات وذكاء عيونهم واذانهم وضمايرهم ولغاتهم . - نعم ، هل الشعوب التي تفعل بقادتها وحكامها وانبيائها وتفعل لهم كل ذلك

هي اظلم لهم واكثر عدواناً عليهم ام هم اكثر عدواناً عليها وظلماً لها حينما يذهبون يعاقبونها ويشوهونها ويقهرونها ويفسدونها بما وضعت فيهم من قدرة وجسارة وخبرة على ان يفعلوا بها ذلك ؟ لقد جاء القادة والحكام والانبياء الى مجتمعاتهم هكذا : اجنة في احشائها ثم اطفالاً في حجورها ثم تلامذة في معابدها ونواديبها ومدارسها ثم سياتوا فوق ظهورها وكرامتها مسحوبة من عضلاتها وجلودها مفتولة بايديها .

ايهما اكثر عدواناً على الاخر وظلماً له : الجسم الذي نقل العاهة او المرض الى

العضو واعد له للاصابة بذلك ام العضو المشوه او المريض الذي ذهب يعاقب ويذل الجسم بما وضع فيه ؟ هل يمكن ان يمرض او يتشوه اي عضو الا بواسطة جسمه وباملائه واخلاته وتصرفاته ؟

ولكن من الباديء بالظلم والعدوان هنا ؟ ومن الذي وضع في الاخر ظلمه وعدوانه او حكم عليه بان يكون ظالما ومعتديا او في صورة الظالم المعتدي ؟ ان الظالم المعتدي ليس هو الذي يريد او يصوغ نفسه ظالما معتديا كما ان العضو او الجسم المشوه او المريض ليس هو المشوه الممرض لنفسه . ان الظلم والعدوان توريط واسقاط وتعذيب وليس حبا أو سعادة أو مجد أو مزية .

اذن ليست الشعوب والمجتمعات هي البادئة بالظلم لحكامها وقادتها وانبيائها وبالعدوان عليهم ، وهي ايضا التي وضعت فيهم ظلمهم وعدوانهم وحكمت عليهم بان يكونوا ظالمين معتدين او بان يبدوا ويروا ويفسروا كذلك ؟ بل ليست هي الواقعة الزراعة المنبتة فيهم كل عدوانهم وظلمهم ، اي ليست هي الممرضة لهم بالعدوان والظلم ؟ ليس هذا هو الحكم على الجسم حينما يحاسبه ويحاكمه عضوه المريض او المشوه او حينما يحاكم ويحاسب باسم عضوه هذا ؟ ليس العضو المريض او المشوه معتدى عليه وجسمه معتديا مهما كان اي جسمه معتدى عليه ؟

ولكن هل يوجد هنا ظالم معتد ومظلوم معتدى عليه ؟ اليس هذا هو هذا ؟ اذا وقعت الخطيئة او الوقاحة فمن المذنب المسؤول ؟ هل هو العين او الاذن التي رأت او سمعت ، ام الشهوة التي ارادت ، ام الارادة التي ضعفت واستجابت ، ام الضمير الذي هزم ، ام الفكر الذي دبر او عجز عن التدبير ، ام العضو او الجهاز الذي خطا أو ضرب او وقع او نفذ ؟

اذا العين أو الاذن رأت أو سمعت فاستجابت مستحسنة أو مستقبحة فهل هي فاعلة ام مفعول بها ام فاعلة مفعول بها ؟ هل هي رائية سامعة ام مسموع مرئي بها ؟ واذا القلب عشق فحفق وغوى وخطا وقاد الى العار أو الهزيمة او الى العذاب والخسران والاثم ، فهل يحسب ظالما للاعضاء التي فعل وأراد واستطاع واشتهى بها أو هل تحسب الاعضاء التي جهزت القلب وسلحته وحملته وخلقته وشحنته بكل طاقاته واخلاته ومجاعاته وقدراته ظالمة له ؟

ليست المحاسبة لهذه والحكم عليها هي نفس المحاسبة لهذا ونفس الحكم عليه ؟ ثم ليست وقاحة من الاعضاء ان تتهم القلب وتبريء نفسها ؟ ولكن هل يكون القلب وقحا لو انه اتهم الاعضاء بانها هي وحدها المسؤولة عنه والمتهمة بكل كينوناته وصياغاته وخفقاته ومساراته الجيدة والرديئة ، المريحة والمرهقة ، وبأنها هي القائدة الحاكمة الامرة له مهما حسبت القودة المحكومة المأمورة ؟ والناس دائما يعتدون ويظلمون لانهم دائما يتهمون قلوبهم وعقولهم بانها هي التي تتقوهم اي تقود اعضاءهم الى المخاطر والغوايات .

ان العضو ليس عضوا فقط ولكنه عضو وقلب ، وان القلب ليس قلبا فقط ولكنه قلب وعضو . . ولكن ايهما جعل الاخر اكثر : القلب في جعله الاعضاء قلوبا أم الاعضاء في جعلها القلوب اعضاء ؟ ايهما الفاعل للاخر أو الفاعل له اكثر ؟

كذلك فان الحاكم أو القائد ليس حاكما أو قائدا فقط ولكنه قائد أو حاكم وشعب ، وان الشعب ليس شعبا فقط ولكنه قائد أو حاكم وشعب مهما بدت أو قالت الصور أو اللغات أو التفاسير أو الاماكن بل أو المذاهب أو الاديان أو التعاليم أو القوانين غير ذلك . ان كل اخلاق القائد وتصرفاته وطاقاته ولغاته محكومة ومقودة ومصنوعة بالشعب الذي يعيش كل منهما داخل الاخر . وان كل معاني الشعب وتفاسيره حاكمة وقائدة وواهبه لكل معاني القائد وتفاسيره . .

ان اي قائد لن يقود شعبه أو يخاطبه او يتكلم عنه أو باسمه الا بما وضع فيه شعبه واملى عليه وعلمه .

نعم ، ان القادة والحكام والانبياء ليسوا سوى افراد من شعوبهم لم يختاروا لعظمتهم وشرفهم او لتفاهاتهم ونذالتهم ليكونوا حكاما وقادة وانبياء . انهم افراد وضعوا وضعا رهيبا كريها قاسيا مشوها لهم ، اي اذا كانوا قادة وحكاما وانبياء لمجتمع متخلف عاجز سفيه فاقد للمواهب الكبيرة الكريمة . .

لقد وضعوا بلا اختيار أو تدبير أو جدارة أو ارادة تكريم ليكونوا جهازا شاملا لعرض نقائص واثام مجتمعهم وللإعلان عنها وللتشهير والتذكير بها ، ولشائمة ومخاصمة ومبارزة وايداء كل الناس وكل الاشياء بها ، ولكي يكونوا صوتها اي صوت اثم ونقائص مجتمعهم ومنبرها وممرها ومنطقها وتفسيرها الدائم وتاريخها المكتوب المقروء المعروف المحفوظ في ضمائر الالهة وفي تذكراها وذكرياتها ، المنزل في كتبها المنزلة . . . لقد وضعوا بلا رحمة أو تمجيد لهم ليكونوا كل نماذج واصوات ومعارض عار وضعف وفساد مجتمعاتهم . .

اذن هل توجد كائنات معتدى عليها ومشوهة تستحق اقصى مشاعر الرثاء والعطف مثل القادة والحكام والانبياء للمجتمعات الفاسدة العاجزة المتخلفة اي مثل قادة العرب وحكامهم وانبيائهم ؟ هل توجد اجهزة تشويه وتشوه مثل هؤلاء ؟

واذن هل توجد اجهزة تبصق كل القبح والفحش والغباء والنذالة والسفاهة على كل الاشياء والوجوه وفي كل العيون والاذان والعقول والضمائر والاخلاق وعلى كل القيم الحضارية والانسانية ، ومجلة متوجة بكل ذلك .

- نعم ، هل توجد اجهزة تفعل كل ذلك ومجلة متوجة بكل ذلك مثل أو غير هؤلاء القادة والحكام والانبياء في مثل هذه المجتمعات العاجزة الفاسدة المتخلفة ، أو مثل قادة وحكام وانبياء العرب ، أو غير هؤلاء القادة والحكام والانبياء العرب ؟ هل تستطيع عبقرية كل الالهة ؟ عبقرية كل الالبسة والملائكة ان تصوغ كائنات تستطيع ان تستفرغ التشوهات او تصاب بالتشوهات التي يستفرغها ويصاب بها

من يحكم عليهم بان يصبحوا حكام وقادة وانبياء وشعراء وحكماء وعلماء وفقهاء
وعباقره العروبة ؟

اذن قد يكون حقا أن من يستطيعون ويتقبلون ان يكونوا حكاما وقادة وانبياء
للمجتمعات الفاسدة العاجزة المتخلفة او للمجتمعات العربية لا بد أن يكونوا
مخصوصين بقدرة اكبر على معايشة القبائح والفضائح وعلى عرضها والاعلان عنها
بكل موهبة التوافق والاستحقاق او لا بد من اشتراط هذه القدرة فيهم لكي يجيئوا
نماذج رائعة لانبياء وقادة وحكام هذه المجتمعات الفاسدة العاجزة المتخلفة ، أو للانبياء
والقادة والحكام العرب ..

حتى الرداءة والافتضاح محتاجان الى ظروفهما الجيدة لكي يجيئا جيدين ..
اذن كم تستحق من الرثاء والاشفاق أو من الغضب والاشمئزاز حينما تقبل او
تستطيع ان تكون حاكما أو قائدا او نبيا او شاعرا عربيا ، وحينما تكون جديرا
بقيادتك او نبوتك او شاعريتك او بحكمك في عالمك العربي لانك قد فعلت كل ما ينتظر
من كل قائد وحاكم ونبي وشاعر عربي ، وكل ما تعود العرب أن يفعل لهم وبهم
انبياءهم وحكامهم وقادتهم وشعراؤهم . وكم انت محتاج الى انواع العبقريات
المضادة لكي تستطيع ان تفعل ما يفعله حكام العرب وقادتهم وانبياءهم بشعوبهم
ولها .. وهل تستطيع منافسة حكام العرب وقادتهم فيما يفعلونه بشعوبهم من
فضح وعار واذلال ؟ هل تمكن منافسة حملة التيجان والاقلام والالواح والسياط العرب
على عالميتهم بل كونيتهم في الافتضاح والفضائح ؟

العرب ، ولعل جميع المجتمعات المتخلفة او الفاسدة ترى وتفعل مثل فعلهم ،
يذهبون دائما يؤملون امالا ضائعة ، كما يذهبون يعنقدون ويتحدثون
ويفسرون وقد يحاولون بلا ذكاء وبلا انتظار لاية نتيجة جيدة .. ان الذكاء أو المنطق
أو محاسبة النتائج أو انتظارها أو التحديق فيها ليس مشترطا في اي شيء أو لاي
شيء . انهم يرون ويعلنون ان كل دائهم في قادتهم وحكامهم ، وان كل شفائهم
المرتقب منهم ايضا . كل الشفاء وكل الداء فيهم ومنهم وبهم اي في القادة والحكام
وبهم ومنهم . انهم كل المجد والقوة وكل الضعف والندالة ..

اسلوب بسيط وساذج جدا في تفسير القضية ولكنه راسخ ومقنع اثناعا يرتفع
فوق جميع هواجس الشكوك والمحاسبات العقلية والمنطقية وهل يصاب الانسان
العربي بالشكوك والمحاسبات العقلية مهما اصاب بالعداوات والوقاحات النفسية ؟
انه تفسير للأسباب بالنتائج ، ومحاولة لتغيير الشيء او الحدث وانتظار لتغيير
الشيء أو الحدث ، أو لتغيير أو تغير نتائجها ، وانتظار لهذا التغيير والتغيير في الشيء
وفي نتائجها وللشيء ونتائجها بتغيير او بتغيير نتائجها ، لا بتغيير او تغيير اسبابه .
ان المطر يجيء شحيا لان الحقول يصيبها الجفاف ولا يصيبها الجفاف لان المطر يجيء

شحيحا ، وان الزلزال جاء عنيفا لان البيوت تهدمت وليس العكس .
 اجل ، هذه الارض لا تنبت الا نباتا ضعيفا او مشوها . وهذه الام لا تلد الا
 ابناء مشوهين وضعفاء . وهذا الجهاز لا يعطي الا نتائج وعمليات خاطئة وضارة .
 وهذا المجتمع او الشعب لا يلد أو لا يخلق الا قادة وحكاما وشعراء وانبياء ضعفاء
 وطفة وتافهين مغرورين نباحين بلا اظفار او انياب او عضلات .
 ولكن ما العلة هنا . . العلة هي هؤلاء الابناء المشوهون الضعفاء ، وهذا النبات
 الضعيف ، وهذه النتائج والعمليات الخاطئة الضارة ، وهؤلاء القادة والحكام والانبياء
 الذين يولحون ويخلقون بلا مزايا . .

وما العلاج . . العلاج هو أن يصبح الابناء اسوياء واقوياء ، وتصبح عمليات
 ونتائج الجهاز صحيحة ونافعة ، ويصبح النبات جيدا وبريئا من الضعف والتشوه ،
 ويصبح القادة والحكام والانبياء عظاما واتقياء . . العلاج ان يصبح المخلوق ذكيا
 وقويا وجيد التكوين والاخراج لكي يصبح خالقه كذلك .

اما الشعوب والجهاز والام والارض فليست علة ولا سببا ولا مسؤولة وليس فيها
 اي عيب او نقص ، وهي لا تحتاج الى علاج او تغيير الا بان يصبح نباتها وابناؤها
 وعملياتها ونتائجها جيدة وصحيحة بلا ضعف او تشويه . .

وكذلك ايضا يصبح قادتها وحكامها وانبيائها وشعراؤها وعلماؤها . .
 نعم ، ان الام والجهاز والارض ليست هي السبب ولكن السبب هو نتائجها .
 ان الابناء هم الذين يجيئون ضعفاء ومشوهين مع أن الام سوية وقوية جدا بلا عيب
 او خطأ . وان النبات هو الذي يجيء مشوها وضعيفا مع ان الارض والبذور جيدة جدا
 بلا عيب او نقص . وان عمليات الجهاز ونتائجها هي التي تجيء خاطئة وضارة مع ان
 الجهاز كامل تكوينا وتركيبا واستعمالا . بل ان المخلوق المشوه هو الذي جعل خالقه
 مشوها وجعله يخلقه مشوها . وان القصيدة او اللوحة الرديئة هي التي جعلت الشاعر
 او الرسام رديئا وجعلته لا يستطيع ان يصنعها الا رديئة . بل ان النبات والعمليات
 والنتائج والابناء هم الذين شوهوا الامهات والاجهزة والابناء ، وهم الذين جعلوها لا
 تنبت ولا تعمل ولا تلد الا تشويها وضعفا وخطأ وألما . ان تساقط الاشجار وتهدم
 المدينة هما اللذان جعلوا الاعصار عنيفا ، وليس عنف الاعصار هو الذي اسقط الاشجار
 وخرّب المدينة . .

ان الطفل الضعيف المشوه هو الذي يلد امه ضعيفة مشوهة وهو الذي يجعلها
 لا تلد الا ضعيفا أو مشوها . بل انه هو الذي يلد نفسه ضعيفا مشوها ، ثم يصير
 على أن يظل ضعيفا مشوها .

وهكذا ايضا تفسر العلاقة بين الارض ونباتها وبين الجهاز وعملياته . ان
 النتائج تحكم وتصوغ الاسباب ، وان الابناء هم واهبو الاباء الوانهم وصيغ ابدانهم
 وليس العكس . .

هكذا يرى ويقول ولكن بلا نطق هؤلاء المفسرون الذين يرون ويقولون ان كل داء العرب وضعفهم من قادتهم وحكامهم وفي قادتهم وحكامهم ، وان كل قوتهم وشفائهم المؤمنين والقادمين لن يجيئا او يخلقا الا هبات وتدبيراً وارادة وعبقرية وتوبة من حكامهم وقادتهم ٠٠ او الذين يرون ويقولون ان كل داء العرب وضعفهم من قادتهم وحكامهم، أما شفاؤهم وقوتهم فأصالة أو وراثة أو تاريخ أو عطاء والهام من السماء أو من الاقدار ٠ ولكن القادة والحكام هم الذين يسرقون او يرهبون او يطردون او يقتلون هذه القوة والاصالة والوراثة والتاريخ والعطاء والالهام في شعوبهم وعن شعوبهم ومن شعوبهم العربية ٠

وهؤلاء الذين يجعلون القادة والحكام هم صانعي الداء والضعف والفساد والتخلف فقط هم المتعلمون المعتدلون جدا ٠ وما اقلهم في مفسري ومفكري العرب ٠ اي ما اقل المفكرين والمفسرين العرب الذين يتصاعد بهم الاعتدال والتعقل الى أن يروا أن القادة هم الذين يهبون شعوبهم الضعف والردائل فقط ٠٠ اما القوة والمزايا فمن الشعوب لا من القادة ولا من غيرهم ٠٠ ان التفاسير المتقررة ترى ان الشعب العظيم ليس الا شعبا قد اهدت اليه القوى المجهولة من مكان مجهول الاسباب مجهولة بقيادة ركبوا فيه العظمة تركيبا ٠٠ ولكن لماذا يجيء دائما قادة وحكام المجتمعات الضعيفة المتخلفة او قادة وحكام العرب ، اشرارا واغبياء وفاسدين وسفهاء وضجاجين ضعفاء ؟ لماذا لا يجيئون شيئا افضل ، او لماذا يرفضون او لا يريدون او لا يحاولون ان يكونوا هذا الشيء الافضل ؟ هل كينونتهم هذه تفرض عليهم فرضا ام هم يختارونها اختيارا ؟ لماذا يختارون الابدأ والاضعف والاغبي ان كانوا يختارون ؟ ومن هم الذين يفرضون عليهم ضعفهم وبلادتهم ونزقهم وفحشهم ان كان ذلك يفرض فرضا ؟ ولماذا يختار لهم دائما هؤلاء الذين يرفضون عليهم ان يكونوا كذلك ؟ لماذا لا يختارون لهم ولو احيانا ، ولورثاء او حياء او عدلا ان يكونوا شيئا اذكى او اقوى او اتقى او اقل افتضاحا ؟ كيف لا يجد هؤلاء الذين يختارون لهم شيئا من الفرح او المجد او النخوة أو القوة في أن يجيئوا أي القادة والحكام والشعراء والمعلمون العرب شيئا اعظم أو اقل تفاعا ؟

ليس اختيار الاقوى والافضل مجدا وسعادة وقوة لمن يختار بقدر ما هو كذلك لمن يختار له ؟ ليس خلق العظمة اعظم مجدا للخالق من خلق التفاعا ؟

لماذا لا تخطيء الاقدار أو الحظوظ أو الالهة، أو لماذا لا تصاب بالشهامة أو الرحمة او الحياء او الرغبة في التغيير وفي الاعجاب بموهبة الذات او بنقواها ٠

– نعم ، لماذا لا تخطيء الاقدار او الحظوظ او الالهة او تصاب بشيء من هذه المعاني ولو مرة واحدة فتغير من صياغتها لنماذج هؤلاء القادة والحكام والانبيا أو لنماذج القادة والحكام والانبيا العرب ٠٠ لماذا لا تجد جمالا أو فنا أو واجبا أو عدلا في تجديد صياغتها لنماذجهم ٠٠؟

لماذا يجيء دائما حكام وقادة وانبياء المجتمعات القوية والمتقدمة شيئا افضل او يبذون هذا الشيء الافضل من قادة وحكام وانبياء المجتمعات الاخرى ؟ • لماذا يحدث هذا ويحدث دائما • ما التفسير لهذه الديمومة ؟•

اذا كانت مزايا ورذائل الحكام والانبياء والقادة مفصولة عن مزايا ورذائل المجتمعات والشعوب ، او اذا لم تكن مزايا ورذائل هؤلاء هي مزايا ورذائل هذه او هي التعبير والاعلان عنها فلماذا اذن يوجد دائما هذا التفاوت الهائل الشامل بين قيادة وحكام وانبياء المجتمعات المتقدمة القوية وقادة وحكام وانبياء المجتمعات المتخلفة الضعيفة في جميع صيغهم الاخلاقية والعقلية والنفسية والانسانية بل والصوتية ، او لماذا يبذون دائما محكومين بهذا التفاوت ؟ اية قوة مجهولة عجيبة توزع القادة والانبياء هذا التوزيع ؟ ما هذه الظاهرة التي لا يستطيع الصمت او الاغضاء عنها او الهرب من مواجهتها ؟

ان جميع هذه التساؤلات الحادة لا تتخاطب او تتصادم مع عقول أو رؤى او تصورات هؤلاء المفسرين العرب الذين يرون ويعلمون ويعلمون دائما ان الانسان العربي ليس الا قداسة وعبقرية وجبروتنا وحضارة ولكن لا يستطيع ان يحكمه او يقوده او يدبر ويريد له الا الغباء والكذب والضعف والتفاهة والفساد والصراخ المصاب بكل تفاسير الغرور والوقاحة والطغيان العاجز الفصاح ، بل ولا يريد أن يطيع او يتبع الا قادة وحكاما وانبياء لا يعرفون او يحيون او يستطيعون او يريدون الا هذه الرذائل • ولهذا فانه اي الانسان العربي يطيع ويتبع هؤلاء القادة والحكام والانبياء باسلوب لا يفعله اي مجتمع او شعب ولا يعامل به أي قادة او حكام او انبياء في اي زمان او مكان غير حكام العرب وقادتهم وانبيائهم ••

لهذا فان اي دارس لو انه درس وعرف بعمق قادة وحكام وانبياء مجتمع او شعب في فترة من تاريخه او في كل تاريخه لاستطاع ان يعرف بذلك كل مواهب واخلاق ومستويات ذلك المجتمع او الشعب ، وان يعرف ايضا قوته وضعفه وتقدمه وتخلفه في كل فترته التاريخية التي درس وعرف فيها حكامه وقادته وانبياءه •• ان يعرف كيف كان ذلك المجتمع يواجه مشاكله وهمومه واماله واحتياجاته ، وكيف كان يقرأها ويفسرها ويفهمها ويعبر عنها ويطلب بها ويراهها ••

كذلك لو أن دارسا درس شعبا او مجتمعا ، درسه في تاريخه او في مواجهته ومعاشيته له الى ان عرف كل تفاسيره ناطقة وصامتة لاستطاع بذلك ان يعرف كل تفاسير قادة وحكام وانبياء وشعراء ذلك المجتمع •• لكاد أن يسمع اصواتهم ويرى تعبيراتهم وهم فوق منابرهم ينعبون ويهبطون ويتفهون ويصغرون ••

لاستطاع ان يعرف ماذا كانوا يقولون ، وكيف كانوا يفكرون ويصرخون ويذمرون ويكذبون ويسفهون ويواجهون المواقف والمشاكل ويتعاملون معها وبها ، دون ان يقرأ او يسمع لاحد منهم كلمة او أن يعاشره او يعاصره او حتى يراه او يفكر

فيه . . . لاستطاع ان يعرف هل كانوا متكلمين مفكرين ام كانوا مصوتين فقط كالقادة والحكام والانبياء العرب .

انه لو عرضت جميع الشعوب والمجتمعات في مكان واحد ، معبرة عن مزاياها واذائلها ، عن قوتها وضعفها ، عن نماذجها ومستوياتها ومطامحها النفسية والانسانية والاخلاقية والفكرية والحضارية ، وعرض معها بنفس الاسلوب وفي نفس المكان والزمان جميع قادتها وحكامها وانبيائها ، معبرين عن كل معانيهم نفس التعبير ، معبرين باللغة والسلوك والتفكير والشعور والمواجهة والعضلات وبكل اساليب ووسائل التعبير ، ثم طلب من قوم بارعين في التفسير والتحليل والرؤية المبصرة ان يوزعوا كل مجتمع او شعب على قاداته وحكامه وانبيائه ، او ان يوزعوا جموع القادة والحكام والانبياء على شعوبهم ومجتمعاتهم ، محولين الى جماعات ، جماعات ، اي قادة وحكام وانبياء كل مجتمع او شعب ، لكان احتمالا بعيدا ان يخطئ هؤلاء المفسرون المحللون الموزعون في توزيعهم هذا . انهم لو اخطاوا في هذا التوزيع لما كان خطؤهم اقل من خطأ من فسر مرید ومدبر وصائغ هذا الكون بأي معنى من معاني الجمال او الحسب او الرحمة او العدل او الشهامة او الشعارية .

لو ان كائنا ما يعيش في كون بعيد عن كوننا هذا عايش وسمع وقرأ وفهم وجرب في كونه البعيد جميع حكام وقادة ومفكري ومعلمي العرب اليوم ثم هبط على الشعوب العربية المعاصرة فعاشها وقرأها ورآها وفسرها وفهمها فهل يمكن ان يخطئ في ان هؤلاء القادة والحكام والمفكرين المفسرين العرب هم قادة وحكام ومعلمو ومفسرو هذه الشعوب العربية التي هبط عليها ، او هل يمكن ان يقاسي لكي يفهم ذلك ؟

هل يمكن ان يخطئ في ذلك مهما استطاع النفط او غيره ان يبتكر من الازياء التنكيرية البارعة الشاملة في قدرتها على الخداع والتزييف ؟
ولو انه اخطأ في هذا الاستنتاج فهل يغفر له خطؤه ؟ انه لو غفرت كل البلادات والاختفاء لما غفرت بلادة وخطأ من جهل ان قادة العرب لن يكونوا الا قاداتهم ولن يفسروا الا بذلك .

بل لو ان هذا الكائن الجهول المفترض قرأ النبوات العربية وقرأ كتبها المقدسة وتعاليمها وشرائعها واخلاقها وكل اساليب حياتها . . . وقرأ ايضا كل خلفاء وسلاطين وشعراء وفقهاء العرب الذين كانوا ، ودرس كل ما قالوا وفعلوا ونووا وتصوروا وتمنوا واستطاعوا وفهموا ، وعرف كل ذلك بذكاء وشمول ، ثم قرأ الشعوب العربية المعاصرة وفهم كل تفاسيرها وابعادها واعماقها ، وسمعها مصوتة وهاتفة ومصلية ومؤمنة وشاتمة مخاصمة مفاخرة ، وسمعها ايضا صامتة وحاقدة وكارمة وفاعلة وعاجزة ، . . . سمعها لاعنة محقرة متهمه لكل العالم في كل العصور ، مادحة مجددة مزكية لكل غربانها وبومها القائدة لكل تاريخها ، فهل يمكن ان يجهل ان هؤلاء الانبياء والنبوات والخلفاء والسلطين والشعراء والفقهاء هم انبياء ونبوات وخلفاء وسلطين وشعراء

وفقهاء هذه الشعوب العربية المعاصرة والشعوب العربية التي كانت اي ان كان قد قرأها او عاصرها وعاشها وفهمها ؟ ان قراءة ومعاصرة ومعاشرة احد الفريقين هي قراءة ومعاصرة ومعاشرة للفريق الاخر . ان قراءة النبي قراءة لشعبه وكذا العكس . ان محمداً لن يكون الان نبوة عربية ولن يفسر الا بانه كذلك . وان العرب لن يلدوا او يهبوا نبوة الان نبوة محمد او الا مثل نبوة محمد ، وانهم لن يكونوا الا اتباع محمد وابناءه ورواته والمصلين وراءه . كما ان المتنبي لن يكون الا شاعرا عربيا ولن يفسر او يفهم الا بانه كذلك . وانه اي المتنبي لن يجد من يعجب به او يرويه ويغنيه الا ان يكون عربيا . وان العرب لن يلدوا او يهبوا الا شاعرا هو المتنبي أو الا من هو مثل المتنبي شعرا وعقلا واخلاقا وتصويتا . . .

ان محمداً والتنبي ، النبي والشاعر لو خلطا في كل انبياء وشعراء العالم لاستطاع ان يعرف انهما عربيان كل من عايش الشعوب العربية المعاصرة أو قرأ الشعوب العربية الخالية بذكاء وتحديق . ان الخطأ في ذلك لن يكون مغفورا اي لو وجد من يخطئ فيه . . .

انه لو عاش انسان غير عربي في العالم العربي او في التاريخ العربي قارئاً ومفسراً ومحللاً ثم سمع لها او نبيا او قائداً او حاكماً او شاعراً او مفكراً عربياً يخطب او يتحدث في مجتمع دولي او في مجلس خاص ، يفاخر او يهدد او يدعي او يشاتم او يصاهل او يروي مزايا ابائه ، ويفسر كيف ومتى علموا السحاب والانهار كيف تعرف طريقها وتتعلم الخطو والطيران على اقدامها واجنحتها وكيف تذرف دموعها في افواه الحقول والغابات الظماى ، وصاغوا للنجوم عروشها وخطوا لها مداراتها وافلاكها وركبوا فيها عيونها وعلموها مغازلاتها المتعالية ، ووضعوا الشمس والكواكب في اماكنها وصياغاتها ، ثم لم يستطع اي ذلك الانسان غير العربي ان يعرف ان هذا الذي يسمعه ليس الا عربياً جداً ، لكان هذا الانسان الذي ليس عربياً هاجياً لذكائه ولكل مواهبه في الرؤية والاستماع والمقارنة والاستنتاج والحدس - اي مهما كانت اللغة التي يتحدث بها هذا الانسان او الاله او النبي العربي ، ومهما كان الزي الذي فوقه والظروف المبهدة له عن ان يفهم بانه عربي . ان كل ما في الكون من سواثر واغطية وكذا كل ما في الحياة من حيل واساليب للاخفاء لا يستطيع ان يخفي عن الرؤية المحدقة ان الاله او النبي او القائد او المفكر العربي ، عربي . انه لا احد يعلن لكل من يسمع او يرى او يقرأ أو يفسر عن انه عربي مثل الاله والنبي والقائد والمفكر العربي .

اذن ايتها الشعوب المتخلفة المصابة بكل مواهب وفنون الفساد والضعف ، وايضا ايتها الشعوب العربية لا تلعني أو تتهمي ضعف وفساد قادتك وحكامك الا اذا كنت تريدين ان تلعني وتتهمي ضعفك وفسادك اللذين انتقلوا ووحيا الى قادتك وحكامك - اللذين اصبحا بالتوريث والايحاء ضعفاً وفساداً في قادتك وحكامك . الا

اذا كنت تريد ان تلغني وتتهمي احشاءك واثداءك واحضانك التي لا تلد او ترضع او تربي الا الضعفاء والمشوهين والا لكي تصنع وتحدث الضعف والتشويه بمن تخلق .. لا تقولي لولا ضعف وفساد قادتي وحكامي لما اصابني الضعف ولا الفساد .. بل قولي : لولا ضعفي وفسادي لما جاء قادتي وحكامي ضعفاء وفسادين ، لما وجدوا من يورثهم ويعلمهم ضعفهم وفسادهم ، ويوحى اليهم بضعفهم وفسادهم ، ويغريهم بضعفهم وفسادهم ، ويطيحهم ويهتف لهم كلما تصاعدوا وافتضحوا في فنون ضعفهم وفسادهم . قولي : لقد ولدوا فوق فراشي الذي تعلموا منه كل نماذجهم واخلاقهم وشهواتهم قبل ان يلقي بي انا على فراشهم الذي صنعته ووضعته انا لهم .. لا تقولي : ان قادتي وحكامي هم خالقي وانبيائي بل قولي : انا خالقة ونبيه استقمت وعظمت او لو جئت تقية وقوية وعظيمة لجاء قادتي وحكامي كذلك او لولدتهم وخلقتهم كذلك ، ولعلمتهم واوحيت اليهم والزمتمهم واغريتهم بان يكونوا كذلك .. لا تقولي : لقد اغتصبوا بكارتي النفسية والاخلاقية والعقلية والنضالية ، ولكن قولي : لقد ولدتهم وصغتهم وعلمتهم ليكونوا بلا اية بكاره وبلا احترام لاية بكاره من اي نوع وبأي تفسير ..

لا تقولي : ان قادتي وحكامي هم خالقي وانبيائي بل قولي : انا خالقة ونبيه قادتي وحكامي .. انا صاغتهم ومخرجتهم والموحية لهم . لقد خرجوا وتولدوا مني وعني ، ولم اخرج او اتولد منهم او عنهم . قولي لقد ولدتهم وصاغتهم احشائي واثدائي واحضاني واخلامي وتعاليمي وصلواتي وانشيدي واشعاري وايماني وهواني . اأست الكائنة اولا اي قبلهم ؟ األيس الخالق والوالد هما دائما الاولين ؟ األيس كل شعب أو مجتمع هو نيبا لنبيه ؟ األيس الشعب هو الملاك والوحي والكتاب والاله والرؤيا والضمير والعضلات والعرق والولادة واللغة لكل انبيائه ؟

اذن لا تتهمي او تلغني حكامك وقادتك المشوهين الغاوين المرضى ، بل اعتذري اليهم وارثي لهم كما ترثين وتحزنين لابنائك الذين تلدينهم مرضى ومشوهين أو عميانا صما .. لا تطلبي منهم ان يداووك من امراضك او الامك ، ولا تلومهم اذا عجزوا عن شفائك او اذا لم يحاولوا مداوتك .. بل انت المطلوبة دائما لمداواتهم وشفائهم والجانية للظالمه اذا لم تفعل ذلك ! ..

ان قادتك وحكامك وانبياءك ليسوا اطباءك ولا انبياءك ولكنهم مرضاك وضحاياك وتلاميذك واتباعك والمتلقون لوحيك المتعلمون له المتأدبون به . انهم اذا جاءوا اطباءك او انبياءك فانت المنزلة عليهم الوحي ومعلمتهم الطب .

ايتها الشعوب المتخلفة العاجزة الغاوية ، او ايتها الشعوب العربية .. اذا ما روعك قبح وجوه قادتك وحكامك وهزال عضلاتهم واعضائهم وعمى بصائرهم وابصارهم فانظري الى وجوهك في مرآتك ووقعي الكشف على عضلاتك واعضائك

وعلى بصرك وبصيرتك ، ثم اركمي بين ايديهم اي بين ايدي قادتك وحكامك ، مصلية معتذرة مستغفرة عما فعلته وواقعته بهم ، ملحة في توبتك واستغفارك لعلهم يقبلون ويغفرون او حتى يستمعون اليك . . انه لا احد يجب أن يعتذر ويتوب مثل الشعوب حينما تقاسي من فساد وظلم وطفغان وعجز وغباء حكامها وقادتها . .

لقد عجزت عن أن تلدي او تصوغي حكامك وقادتك اصحاء او اقوياء ، فلا تعجزى عن مجاملتهم وتعويضهم بالاعتذار والاستغفار والتوبة اي اليهم وبين ايديهم ، لعلهم يتقبلون اي حكامك وقادتك اعتذارك وتوبتك . لقد قسوت عليهم بولادتك وصياغتك لهم بهذا الضعف والفتيح فلا تقسي عليهم باتهامك لهم بما فعلت وواقعت بهم . .

لقد شوهدت الوجه فلا تعيريه بما وضعت فيه من تشوهات والام . هل توجد نذالة مثل نذالة من يفتق العين ثم يعيرها او يسبها لانها قبيحة او لانها لا ترى او لانها عاجزة عن أن تدل عن فقاها على طريقه ، او عن أن تقرأ اسمه مكتوبا بكل اللغات على جلود وثياب السحاب ، او عن ان ترى صورته وكل صور ابائه وانبيائه محفورة بايدي كل الالهة على جبهات وهامات جميع النجوم ، او عن ان تغني له مدائحه لابائه واوثانه ، او عن ان تتريه وترى له المراني التي لا يستطيع هو ان يراها ، او عن ان تحدثه عن جمال وجهه او عن ان تقترح وتخطط وتصنع له وجها جديدا اجمل جدا من وجهه القديم؟ ليس اي مجتمع يعير اي فرد من افراده باي عيب من عيوبه الجسدية او العقلية او الاخلاقية او النفسية انما هو مثل من يفتق العين ثم يذهب يعيرها ؟

هل يوجد اوقح من الارض التي تذهب تلعن نباتاتها لانها قد انبتتها ضعيفة ومشوهة وورديئة المذاق والمنظر والقيمة ، او من الشجرة التي تذهب تلعن ثمارها لانها جاءت اي ثمارها صغيرة او قليلة او رديئة المذاق والمنظر ، او اوقح من الاله الذي يخلق الشيطان ويخلق شيطانا ، ويعيره بان يظل شيطانا ، ويصنع له الظروف الملائمة لكي يظل شيطانا جيدا جدا ، ويمهله لكي يؤدي شروره بكل العبقرية والتفوق والانتصار ، ثم يذهب اي الاله يقاسي ويقاسي لكي ينزل الكتب المقدسة والاديان ويبعث الانبياء لكي تعلم ويعلموا ضد الشيطان ولكي تلعنه ويلعنوه ، ولكي تتحدث ويتحدثوا اي الكتب المقدسة والاديان والانبياء عن العذاب المعد للشيطان ؟ كيف وهل وجد مثل هذا الاله ؟ هل استطاع اي خيال او فكر ان يتصوره ؟ ان الوقح هنا هو الذي تصور الاله كذلك وعلم عنه وفسره بانه كذلك . . هو الذي آمن واعلن بانه يوجد اله هو كذلك . انه وقح الايمان والرؤية والتصور . . ان شيئا ما لم يشوه ذكاء الانسان مثلما شوهه ايمانه بمثل هذا الاله وانزله النبوات والكتب لتعلم الايمان به والحب له . . .

ان الناس لا ينقسمون الى خالقين وقادة اطباء ، والى مخلوقين ومقوديين ومرضى . ان الخالقين القادة الاطباء هم المخلوقون المقودون المرضى ، وان المخلوقين المقودين المرضى هم الخالقون المقادون الاطباء . ان الفرق بين الفريقين في المناصب

والاماكن والالاقاب لا في الذوات او المواهب او الصفات .
 انها اذن هي المشكلة او العقدة الفريدة الصعبة جدا ، لانها هي المشكلة او العقدة
 التي عليها ان تحل نفسها لانه لا يوجد اي حلال اخر لها . . .

انها اليد والسيف والرقة والقلم والورق والجبر والكتاب .
 انه المريض والطبيب والداء والدواء والجسم واجهزة الحليل والكشف . انه لا
 يوجد هنا طبيب ومريض وداء ودواء ويد وسيف ورقبة وجلاد وعبقري وتافه ونبي
 وتابع وملاك وشيطان بل هذا هو ذاتا وتقسيرا وولادة وكيونة . ولهذا فانه يحدث
 ويمكن دائما تبادل الاماكن والالاقاب والازياء دون أن تختلف الصورة او الرؤية او
 التفسير . . . دون ان تفجع او تغضب الشمس والنجوم او تهاب الرؤية لان شيئا منكرا
 جديدا قد وقع تكره التعامل معه . . .

اذن هل يكف الخالق حياء او تهذيبا او عدلا او توقرا عن سب واتهام وتوعد
 مخلوقيه مهما تشوهوا او اخطأوا او اذنبوا او عجزوا او ظلّموا ؟

بل الا يذهب حينئذ يستغفرهم ويتوب اليهم ويؤمل عفوهم عنه ، اي كلما
 تشوهوا أو اخطأوا أو اذنبوا أو ظلّموا أو عجزوا أو عصوه وابعضوه ؟

بل الا يذهب حينئذ يعاقب نفسه ويحاول اصلاحها وشفاءها من جميع نماذجها
 ومستوياتها العقلية والاخلاقية والنفسية والفنية ؟ انه لن يوجد اسفه من الصانع
 الذي يذهب يلعن ويعير ويعاقب صناعته لانها جاءت رديئة الا الاله الذي يذهب يلعن
 ويهدد ويعاقب مخلوقيه لانهم جاءوا عصاة او ضعفاء او اغبياء . . .

لعل العقل الانساني لم يتخيل او يصنع بلادة مثل بلادته حينما ذهب يعتقد
 ويعلم ويعلن ان من المنطق او العدل او مما يقبل او يغفر ان يعير او يسب او يعاقب
 الاله الخالق مخلوقيه على ذنوبهم او نقائصهم او عجزهم •• اليس المعقول جدا ان
 يذهبوا هم بدينونه ويعاقبونه لانه ارادهم وصاغهم مذنبين عاجزين ناقصين ؟ كذلك
 حينما اقتنع اي الانسان أو تصور ان ذنوب ونقائص وطغيان القادة والحكام ليست
 هي اولا وادما ذنوب ونقائص وتعليم وايحاء وتحريض وابداع وولادة شعوبهم
 ومجتمعاتهم - حينما عجز اي العقل الانساني عن أن يفهم أو يقتنع أو يتصور انهم
 اي القادة والحكام لم يكونوا قط ولن يكونوا ابدا مبتكرين لذنوبهم او لنقائصهم
 او لتفاهاتهم ، وانهم لن يكونوا الا مقلدين وتابعين ووارثين ومنفذين بل ومخلوقين
 مطبوعين مطيعين ، عاجزين عن أن يفهموا او يريدوا او يتقبلوا او يفعلوا او يكونوا
 اكبر او اعظم او اذكى - عاجزين عجزا ذاتيا وتعليميا وتاريخيا وايحاءيا . . . ان اي
 نبي او حاكم او قائد لن يكون الا مقدا لجماهيره وارثا لمواهبهم وعضلاتهم متعلما من
 وحيهم واخلاقهم منسوجا من خيوطهم وغزلهم مغزولا بمغازلهم مذبوغا بمدابغ
 جلودهم . . .

اكرر انه حق بل حتم على الشعوب ان تحاكم وتعاقب بل وتسقط حكامها وقادتها

وزعماءها اذا استحقوا ذلك وان تقسو جدا في الاحصاء عليهم وفي تعديد ذنوبهم واخطائهم . ولكن عليها أن تعلم انها بذلك انما تحاكم وتعاقب وتسقط نفسها وتقسو في الاحصاء عليها اي على نفسها وفي تعديد ذنوبها واخطائها . وانها لن تجد ذنبا او خطأ من ذنوبهم واخطائهم الا وهما احد ذنوبها واخطائها هي انتقلا اليهم بالتورث والتعليم والتحريض والايحاء . ان حكامها وقادتها وزعماءها ليسوا الا نسخا منها كتبتها بايديها وباقلامها وحبرها وعلى اوراقها وبلغتها وضمنتها كل معانيها وتفاسيرها ، وذهبت تقرؤها على العالم وعلى الاحداث باصواتها ومن فوق منابرها بكل اساليب التبعيد والايمان والافتناع والتمجيد والتدليل والفهم والتشهير .

انه لم يحدث في كل التاريخ ان قوما نسخوا وكتبوا وقرأوا قاداتهم وحكامهم وانبياءهم وخلفاءهم وسلاطينهم وصوتوا بهم من فوق كل المناير بكل اللغات والاساليب وشهروا بهم باسلوب التمجيد لهم والايمان والافتناع بهم والدفاع عنهم والتفسير لمزاياهم ، مثلما فعل العرب ومثلما يفعلون اليوم ومستقبلا . . .

ان على اي شعب او مجتمع قاسى طويلا طويلا من تعاقب القادة والزعماء والانبياء والحكام الاغبياء الطغاة العاجزين الاشرار على اذلاله وافساده وقيادته الى الهزائم والحماقات - نعم ، ان عليه ان يجرب هذا او ان يتعهد بهذا او الا يفعل الا هذا . . . ان عليه الا يلد الا ابناء اقوياء لتقياء عباقرة ، والا يطيع او يتقبل او يحترم الا الاقوياء الاتقياء العباقرة ، والا يصلي او يهتف الا لهؤلاء ، والا يؤمن الا بهؤلاء ، والا يقاتل او يعادي او يتحرب او ينفذ الا بقيادة هؤلاء ، والا يفعل او يحيا الا ما هو تقوى وقوة وعبقرية ، والا يفهم او يفسر او يبرى او يتكلم الا بعقول وتفاسير ولغات ورؤى واخلاق قوية تقية عبقرية . . .

نعم ، ان على اي مجتمع او شعب قاسى في كل تاريخه من تعاقب هؤلاء الحكام والقادة والزعماء والانبياء الاشرار التافهين عليه ان يجرب الالتزام بكل هذا . ان كل ما في هذا الكون وكل من فيه من الهة وسحرة وابالسة وملائكة وقوانين لا بد حينئذ ان يضمنوا له بكل ما فيهم من جبروت وصدق ووفاء بالا يتخلق فيه او منه او يصعد فوقه الا اتقى واقرى واذكى واعظم القادة والحكام والزعماء والانبياء . انه لضمان لا يستطيع اي شيء ان يخترقه حتى ولا كل من في هذا الكون من الهة وملائكة وابالسة وسحرة وقوى خفية عمياء . واني انا لاضمن ذلك مع هؤلاء الضامنين له . . .

ولن يكون هناك اي احتمال لان يوجد من يستطيع او يجرو ان يتحدى هذا الضمان الكوني . . .

اذن فلنجرّب ذلك جميع الشعوب العربية . ليست الشعوب العربية قادرة على ان تجرب هذه التجربة ؟ انها لو حاولت تجربتها لما وجد من يمنعا سوى موهبتها . . . نعم ، وان على الارض ان تكون جيدة التربة والبيئة والبذور والمناخ والرعاية

والحماية لها ، غزيرة المياه عذبتها • إنه حينئذ لا بد ان تضمن لها جميع الكتب المقدسة حتى كتب العرب المقدسة بأن تجيء زروعها وأشجارها وثمارها طيبة وجيدة ووافرة •• ان تجيء اعظم مما ازادت وتصورت وخططت لها الالهة ان تجيء •• نعم ، ولا بد ان اضمن انا مع ضمان جميع الكتب المقدسة ومع ضمان كتب العرب المقدسة لها ذلك • فهل من مجرب ؟ هل تجرب الشعوب العربية او الارض الصحراوية الاخلاق والضمير والمنطق والتاريخ والالهة هذا الضمان ؟ ان المشكلة ان التجربة ليست ارادة فقط بل وقدرة • ان من لا يقدر لا يجرب مهما اراد ولو جرب لما انتصر •• انه قد يكون بعض الحقيقة اتهام الشعوب العربية وكذا جميع الشعوب المتخلفة بانها عاجزة عن ان تلد الزعماء والقادة والحكام والمسلمين الانكبياء الاقوياء الاتقياء وعن ان تصوغهم وتعلمهم وتربيتهم وتلزمهم ليكونوا كذلك • قد يكون هذا العجز بعض الحقيقة لا كل الحقيقة •• اما كل الحقيقة فان الشعوب العربية وكذلك جميع الشعوب المتخلفة عاجزة عن أن تفعل ذلك حقا ولكنها ايضا لا تريد أن تفعله ولا تعرف كيف تفعله وتخاف او تهاب ان تفعله • اي لو علمت انها لا تفعله وانها مطالبة بان تفعله وانها تستطيع ان تفعله وتعرف لو أرادت ان تفعله ••

انه ليتمكن اتهام هذه الشعوب او اتهام الكثيرين من آحادها وجماعاتها انهم يرفضون ان يكون لهم قادة وزعماء وحكام وانبياء من هذا الطراز القوي الذكي الصادق النظيف الطموح المتفوق ، اي يرفضون لو كانوا في موقف الخيار بين ان يكون لهم ذلك والا يكون •• يرفضون لانهم ولا بد يعرفون او يشعرون ولو بالغريزة او التوجس والالهام الغامض ان هذا الطراز من القيادات لا بد ان يكلفهم ويلزمهم بتكاليف قاسية لا يريدون او لا يستطيعون دفع ثمنها ، وان يحرمهم من مكاسب وامتيازات شخصية وانانية يرفضون ان يحرموا منها • كما لا بد ان يحاسبهم على كل خطواتهم ونياتهم وتحدياتهم حسابا قاسيا وعادلا شاملا لا افلات منه ولا تمييز او محاباة فيه •• ولا يوجد مجتمع واحد يرضى أو يتقبل كل من فيه اختيارا مثل هذا الحساب • ان عظمة القيادة او النبوة او الزعامة وكذا صدقها وعدلها وذاكؤها وقوتها ونظافتها ليست دائما ربعا شخصا لكل جماعات المجتمع او لكل احاده • انه ليوجد دائما وفي كل المجتمعات من يرفضون ويقاومون القيادات والنبوات العظيمة كما يوجد دائما من لا يريدون ان يكونوا ابطلا ••

ان كثيرا من هذه الجماعات والاحاد ليقاومون مثل هذه القيادات والنبوات والزعامات او يكرهونها ويرفضونها اذا عجزوا عن مقاومتها كما يقاومون ويرفضون ويكرهون الموت والامراض والافلاس والعقاب الشديد بل اشد • لعله لا يوجد من يتقبلون القيادة او النبوة الكاملة في كل نماذجها اي لو وجدت قيادة او نبوة كاملة • اذن فالزعامات والقيادات والنبوات العربية وكذا جميع امثالها ليست فقط عاجزة عن ان تكون عادلة ونظيفة وصادقة وعظيمة ، ولكنها ايضا مكرهة ومحرضة على

الا تكون ذلك وخائفة ومستحجية من هذه الكينونة ، ومجاملة في الا تكونها ، وهاربة من الاحراج والايذاء والتعذيب لمن لا تريد تعذيبهم حينما ترفض ان تكونها اي ان تكون هذه الكينونة العادلة الصادقة النزيهة العظيمة . وهذه الكينونة لا بد ان تتحول الى تعذيب وايذاء لقوم ما . وهل يجزئ على اقتراف هذا التعذيب او الايذاء الا من وهبوا موهبة الاختراق لاجساد المتحلقين والتكذيب لامالهم وايمانهم ؟

لننظر الى جماعات المستشارين والمعاونين والمنتفعين والعاملين في اجهزة الكلمة من كتاب ومذيعين ومعلقين ودعائيين واعلانيين وغيرهم ممن لا يمكن تفسيرهم بغير التفاسير التي يفسر بها الشعراء القدماء العرب حول الخليفة او الامام او السلطان او النبي العربي القديم . وهل يستطيع خيالك أو ضميرك أن يتصور أو يفسر أولئك الشعراء القدماء على أبواب أولئك السلاطين والخلفاء والأنبياء الذين هم كل تاريخك ؟

نعم ، لننظر الى كل هؤلاء ، والى كل جماعات المتحلقين المباركين المصلين الداعين المهنتيين المفسرين المعجبين المصفقين المنشدين حول القائد او الزعيم او الحاكم الفاسد الرديء ، اللص المخرب الجاهل . نعم ، لكنك افسى القساة على عيوننا ورؤانا وتصوراتنا ولننظر الى كل هؤلاء . . .

لننظر الى جميع هؤلاء الذين شيّدوا ونظموا وضمنوا جميع مكاسبهم وامجادهم الشريرة المنهوبة لان القائد او الحاكم او الزعيم الذي تحلقوا حوله فاسد وظالم وكذاب وشرير ، ولانهم مطمئنون الى انه سوف يظل دائما كذلك . . ما اكبر واكثر آثام وجرائم التحلق حول القادة والزعماء والحكام وجميع اصناف الاقوياء . ما اقدر هذا التحلق على الاغراء والاعواء والافساد . هل فسق بالتاريخ او ضلله شيء او اهان شرفه وهمته مثل هذا التحلق ؟

لننظر الى قوة الضغوط التي لا بد ان يوجهها كل هؤلاء بكل العنف والاساليب الى مثل هذا الزعيم او القائد او الحاكم لئلا يمنع من أن يكون شيئاً افضل بل من أن يفكر في هذا الشيء الافضل . .

ليس مثل هذا القائد او الحاكم او الزعيم بل أو النبي يستحق كل الرثاء والاشفاق لو فكر في ان يخرج على كل هذه الجماعات المتحلقة حوله وان يهدم آمالها فيه وثقتها وايمانها به واطمئنانها الى انه سوف يظل كما تريد وكما تحتاح ارباحها وامتيازاتها المسروقة المغتصبة . .

اطمئنانها الى انه سوف يظل رديئاً وظالماً ولصاً ونذلاً ومحابياً دجالاً . هل يمكن ان يوجد حاكم او قائد او زعيم او نبي يستطيع ان يملك من الشجاعة او اللقوة او الوقاحة او القدرة او الجرأة على صدم وتكذيب الامال فيه ، وعلى معاقبة وتعذيب المؤمنيين فيه ، ما يجعله يقدم على أن يفعل أفضل مما جربت فيه هذه الجماعات وارات ورضيت وكسبت منه ، بل ما يجعله يقدم على أن ينوي ذلك او يفكر فيه او

يتحدث عنه ؟ هل يوجد مزجور ومدعو ومحرض لئلا يكون شيئا نظيفا أو كريما أو عظيما أو شجاعا بل أو مبصرا أو فاهما مثل القائد أو الحاكم أو الزعيم بل أو النبي أو الموهوب في المجتمع المتخلف ؟

ان الحاكم أو القائد أو الزعيم أو النبي اذن ليس مولودا مخلوقا فقط غير عظيم في المجتمع المتخلف بل انه لحروس من أن يكون عظيما ، بل انه لمهدد بالشنق أو الخلع لو اصبح عظيما بل لو أراد ذلك أو فكر فيه أو رآه شيئا أو أملا جيدا . انه لمهدد بكل ذلك في مثل مجتمعه هذا اكثر من تهديد نقيضه بشيء من ذلك في المجتمع المناقض ان لم يصبح عظيما في كل شيء ، أو لعل احتمال سقوط الحاكم أو القائد الرديء في المجتمع الرديء لو حاول ان يصبح جيدا يساوي احتمال سقوط الحاكم أو القائد الجيد في المجتمع الجيد لو استطاع ان يكون رديئا أو لو أراد ان يجرب ذلك . نعم ، لعل الحاكم والقائد والزعيم محكوم ومقود ومترعّم عليه اكثر من العكس . لعله موضوع في الاغلال أكثر واقسى من كل من وضعهم في اغلاله .

أليست الاغلال الموضوعّة عليه هي اكثر واقسى الاغلال وأعنفها اذلالا وارهابا وضبطا ؟ بل أليس جميع الذين يضعون غيرهم في الاغلال ويؤمنون بمجد الاغلال هم دائما في اغلال اقسى ؟

اننا احيانا قد نكف أو نعجز عن أن نكون صادقين أو عادلين أو اذكياء أو اقوياء أو منتصرين متطهرين لاننا محكومون بالحياء أو الوفاء أو التهذيب أو بالجمالة والحب أو بمشاعر التحرج والاشفاق والصدافة ، أو لاننا محاط بنا من كل جهاتنا بالمتحلقين الانذال الاشرار الغواة اللصوص الملاحين المرجفين الذين لا بد ان يتحولوا الى تحلق حول كل قائد وحاكم وزعيم ونبي في كل مجتمع فاسد متخلف ليكونوا له وفيه اقسى وارداً الاغلال والقيود . لهذا لن يوجد محكوم عليه بالفساد والتخلف والعجز والهوان والهزائم والنذالة والسخف والضلال والعار مثل الحاكم أو القائد أو النبي في المجتمع الفاسد العاجز المتخلف .

نعم ، اننا احيانا قد نكف عن أن نكون كل ذلك أو بعضه خضوعا لهذه التفاسير والمشاعر اكثر مما قد نحاول ان نكف عن النقيض خضوعا لهذه التفاسير والمشاعر ، وبحثا عنها ورغبة في أن نوصف ونعرف بها . لجل ، اننا قد نكف أو نعجز عن أن نكون ذلك خاضعين لهذه التفاسير اي اننا قد نستحي ونهاب أو نتحرج أو نشفق من ان نفعل العظمة والخير والعدل والصدق والذكاء اكثر مما نهاب أو نستحي أو نتحرج أو نشفق من أن نفعل اللقاهة والنذالة والشر والظلم والكذب والغباء والوقاحة وقد نبحت عن حب الناس ولوائهم وإخلاصهم واحترامهم وطاعتهم لنا بان نفعل النذالة اكثر مما نبحت عن ذلك منهم بان نفعل الشهامة . اننا قد نفعل النذالة لاننا نحب ان نعرف بالشهامة ، ونفعل اللقاهة والقبح لاننا مصابون بحب العظمة والتفوق .

اذن فالقادة والزعماء والحكام والانبياء قد يكرهون اكرأها على ان يكونوا انذالا

ولصوصا وطفاة وظلمة ، وعلى الا يكونوا شيئا اخر اي لو كانوا محتاجين الى مثل هذا الاكراه ، وكان في عزمهم او من سعادتهم وشهوتهم ان يكونوا غير ذلك . . . انهم اذن كالمرأة الشريفة العفيفة التي تهب نفسها حياء او رحمة او ادبا وتهذيبا او تحرجا أو سخاء . . . وهل وجد مثل هذه المرأة ؟ وكيف لم توجد ؟ اليست لو وجدت هي اعظم تقوى وعفافا وكبرياء ممن يهب جبهته وضميره وفكره وايمانه للالهة المتوحشة خوفا منها وطمعا في عطاياها ؟ بل اليست هذه المرأة انبل عفة وتقوى وقلبا وانظف جسدا من المرأة التي تهب جسدها للرجل النذل الوقح الكريه لانه يسمى ويحسب زوجا لها ؟ . . .

اذن فلتصل الالهة بل لتتصاغر وتتواضع تمجيذا لشهامة القادة والزعماء والحكام والمعلمين الاشرار الظلمة اللصوص ، وحياء من حيائهم وتهذيبهم ، واحتراما لعفتهم الاخلاقية والنفسية والفكرية التي يتنازلون عنها ويضحون بها استجابة لمثل المعاني والحوافز النبيلة التي تجعل المرأة الشريفة العفيفة تهب شرفها تحت املاء الحياء أو الرحمة أو الاشفاق أو التهذيب والتأدب أو الكرم أو التحرج ، وتحت عجزها الانساني عن أن ترفض او تصدم او تكذب امال الطامعين فيها ، في عطائها وكرمها مع جوعهم الصادق اليها . . . اي لو وجد مثل هذه المرأة التي تستطيع ان تفهم وتفعل مثل هذه الشهامة والضخامة الانسانية . . .

ولكن كلا . فان هؤلاء القادة والزعماء والحكام والانبيا اكثر واشمل شهامة وتهذيبا ورحمة وسخاء وحياء ومجاملة واستجابة للمؤمنين والمحتاجين الضارعين من هذه المرأة العجيبة المعجزة في عظمتها الانسانية والنفسية والاخلاقية . . . هذه المرأة التي لم توجد لان البشر لم يستطيعوا ان يبتكروا مثل هذه العظمة النفسية والاخلاقية التي تعنيها هذه المرأة التي لم توجد . . . أليس فقدا للعظمة الانسانية ان توجد المرأة التي تهب نفسها بيعة أو شهوة دائما دون أن توجد المرأة التي تهب نفسها كرما أو نبلا أو اشفاقا أو حياء أو عدلا أو صدقة أو مجاملة أو احتراما ؟

نعم ، انه لم يوجد ولن يوجد من يكرهم نبلم وحيأؤهم وتهذيبهم وكرمهم ووفأؤهم وحبهم واشفاقهم ومجالمتهم وتحرجهم على ألا يكونوا عظماء واتباء وعادلين وصادقين ومنطهرين مثل حكام العرب وقادتهم وزعمائهم وانبياؤهم . انهم العظمة التي تحولت الى تفاهة ، والقوة التي تحولت الى ضعف ، والحب والتهذيب اللذان تحولا الى ظلم ، والتقوى التي تحولت الى فجور .

انهم تحت حوافز انبل واعظم فدائية اخلاقية وانسانية اختاروا اي اضطروا الى ان يكونوا اندالا واشرارا وصغارا وطفاة ظالمين . ولكن لتركع كل شهامة وعظمة وعدل وخير وديمقراطية مبايعة ومصلية لنذالاتهم وشروبرهم وتقاهاتهم وطمعانهم . . . انهم الفجور الذي هو انتقى من كل تفاسير ونماذج التقوى . . . اجل ، ان هاهنا لورطة . ذلك أن مصالح ومشاعر الاخرين المتوقعة المنتظرة منا ،

المخاطبة لنا ، اللاجئة المتضرعة اليها ، المتحلقة حولنا محتوم ان تتحول الى قيود ثقيلة على ذكائنا وفروسيتنا لتقاومنا وترهبنا وتضعفنا لئلا نكون صادقين او عادلين او منزهين او اتقياء الضمائر او النيات او السلوك او صارمين شجعانا . . هل وجد او يمكن ان يوجد من يستطيع ان يكون كل ذكائه وفروسيته النفسية والعقلية والاخلاقية والتعبيرية دون اثقل القيود المضروبة عليه .

انه لا احد يقاسي من هذه الورطة الهازمة للتقوى والعظمة ، ويخضع لاملاءاتها بهوان وافتضاح وضالة ، مثل الهة العرب وانبيائهم وقادتهم وحكامهم . انهم يهونون ويفتضحون ويصفرون طاعة لاملاءات التقوى والشهامة والحب والرحمة والوفاء والتهنيد . .

ولكن . . اليس القادة والحكام والانبياء الذين يلزمون بتحمل كل هذه المقاساة الفادحة لمحاولة تفسير رداءتهم وضعفهم ، وللتدليل على تفرد رداءتهم وضعفهم باعلى مستويات المجد ، يستحقون التحية والاعجاب ؟ اليس للتحية والاعجاب اماكن واسباب غير اماكن واسباب التحية والاعجاب بل نقيضها ؟ لو وضعت شروط للتحية والاعجاب فمتى او فكم حينئذ يوجدان او فهل يوجدان ؟

اليست الرداءة والضعف المتفردان يستحقان تحيات واعجاب الاصدقاء والاعداء حتى ولو شماتة و استماتة او اندهاشا او انفجاعا او ذهولا أو رغبة في ان يهبوا رثاءهم واشفاقهم بسخاء أو احساسا انانيا بالتفوق البعيدالتفاسير والمقاييس ؟ اليس تفوق المتفوق يجب ان يتحول الى ثمن نفسي او اخلاقي او مادي يدفع للمتخلف؟ اليس تخلف المتخلف يستحق شكر المتفوق ؟

اذن اليس القادة والحكام والانبياء والالهة العرب يستحقون كل التحية وكل الاعجاب بهذا التفسير لاسباب التحية والاعجاب ؟ اليس يجب على كل قادة وكل العالم ان يهبوا كل حبههم واعجابهم لكل قادة العرب اي بهذا التفسير للحب والاعجاب؟ اليست التحية والاعجاب يعينيان ولو احيانا لقسى اساليب الهجاء او يحرضان عليه أو يذكران بان الموقف موقف هجاء ؟

اجل ، وهل تلقى او يمكن ان ينلقى اي قادة أو حكام أو انبياء في اي عصر أو مجتمع من التحيات والاعجاب شيئا مما تلقاه وسوف يظل يتلقاه قادة العرب وحكامهم وانبياءهم وجميع خلفائهم وسلاطينهم ؟ ألم يظلوا في كل التاريخ يتلقون كل ذلك بلا اية شروط من حيث الاستحقاق أو الصدق أو الوقار ، بل ضد كل الشروط وخروجها عليها واستهزاء بها ؟ ألم يتحول الاعجاب والايمان للذان وهبهما الانسان العربي ولا يزال يهبهما لقادته وحكامه وانبيائه وسلاطينه وخلفائه بل ولكل مهرجيه وطغاته الصغار الى اسقاط لكل احتمالات الذكاء أو المجد في اي اعجاب او ايمان ، او الى تشكيك في هذه الاحتمالات ، او الى هجاء لكل من يهبون اعجابهم او ايمانهم ، ولكل من يوهبون الاعجاب او الايمان ؟ اليس الاعجاب والايمان يتحولان احيانا الى رثاء لمن

وقع منهم الاعجاب والايمان ولن وقع عليهم الايمان والاعجاب .
هل يمكن ان تكون محترما لنفسك ثم تتقبل ان توهب شيئاً من الاعجاب أو من
الايمان بك لو انك وعيت وقرأت مقادير وبلادة الايمان والاعجاب للذين وهبهما ولا
يزال يهبهما الانسان العربي لقادته وحكامه وانبيائه وخلفائه وسلاطينه ولكل صغاره
القافزين فوق كرامة وكبرياء حقوله وصحرائه ، اي ان كنت قد حدثت ببسالة ومحاسبة
وبصيرة في الوقاحات النفسية والعقلية والاخلاقية والانسانية التي عاقب وشتوه
بها التاريخ والحياة هؤلاء القادة والحكام والانبياء والسلاطين والخلفاء العرب ، والتي
لا يزالون وسوف يظلون طويلا ، طويلا يعاقبون ويشوهون بها الحياة والتاريخ ؟ كيف
تستطيع ان تتقبل أو تغفر أي اعجاب أو مديح يوجه اليك بعدما سمعت المديح
والاعجاب الموجهين الى قادة وحكام وزعماء العرب الذين قادوا مواجهات العرب
لاسرائيل ؟

هل حقر الاعجاب شيء ، أو احد مثلما حقره العالم باعلانه الاعجاب بحكام وقادة
وزعماء وخلفاء وانبياء وشعراء وحكماء العرب الذين كانوا او الذين هم كائنون او الذين
سوف يكونون ؟

وهل يعتدي اي العالم على شيء ، او يحتقر شيئاً مثلما اعتدائه على هؤلاء الحكام
والقادة والزعماء والخلفاء والانبياء والشعراء والحكماء العرب ، ومثل احتقاره وتحقيره
لهم حينما يعلن اعجابه وايمانه بهم ؟

وهل حقر قوم انفسهم او قبلوا ان يحقرهم غيرهم مثلما فعل هؤلاء القادة العرب
حينما قبلوا بل فرحوا ان يعجب ويؤمن العالم بهم ويعلن عن ايمانه واعجابه بل ويحول
اي العالم ايمانه واعجابه بهم الى اناشيد وقصائد وبيانات وقرارات دولية ؟ هل
وجدت اساليب للتحقير تساوي في بذاءة وقسوة تحقيرها القرارات الدولية التي
تصدرها المنظمات الدولية تأييدا لضعف وعجز العرب ، مزعومة ايمانا واعجابا بالعرب
وبقضاياهم ؟

كيف لم يفهموا تفاسير هذا الاعجاب والايمان وتفسير الاعلان عن هذا الاعجاب
وهذا الايمان ؟ هل فهموا وقبلوا ؟ هل كان ذلك تعبيرا عن مستوى غباثهم ام عن
مستوى سخفهم ؟ ايهما اكثر اهانة لعبقرية العرب : ان يكون هذا مستوى ذكائهم أو
ان يكون مستوى كبريائهم وكرامتهم ورضانتهم ؟

هل يستطيع الاعمى المتعد ان يجهل التفسير البذيء المهين له لو ان احدا اعلن
اعجابه بجمال عينيه ورجليه وبقوة ورشاقة وسرعة الابصار والحركة في عينيه
ورجليه ؟ وهل يمكن ان يوجد هذا الوقح الذي قد يجروء على ان يعلن اعجابه بجمال وقوة
ورشاقة وسرعة عيني ورجلي الاعمى المتعد ؟

اذن هل يمكن ان يقبل الاعمى المتعد مثل هذا الاعجاب او أن يغفره كما قبل ويقبل

دائماً الزعماء والقادة والانبياء والشعراء والحكماء العرب العميان المقعدون الاعلان العالمي الدائم عن الاعجاب بجمال عيونهم وارجلهم وبقوتها الخارقة على الرؤية والقفز والطيران فوق كل الاكوان العليا وعلى الاختراق بالرؤية لكل العوالم البعيدة الخفية التي لا تستطيع العيون الاخرى ان تراها - كما قبلوا ويقبلون دائماً ذلك بكل الفرح والنشوة والمباهاة؟؟

اجل ، لقد وجد العرب ولا يزالون يجدون وسوف يظلون يجدون هؤلاء الوحيين العالميين الذين جرؤوا ويجرؤون دائماً على أن يعلنوا عن اعجابهم بجمال وعبقريّة عيون وارجل الزعامات والقيادات والنبوات العربية العمياء المقعدة ، بل ويحولوا هذا الاعجاب الى قرارات وصلوات دولية تخفق وتذعر وتحزن لها وبها ومنها قلوب وضمائر ووقار وكرامة واستحياء الحشرات بل وصدق وتقوى وشجاعة الحشرات ؟ هل اهان العالم نفسه مثلما فعل حينما حول اعجابه بجمال ورشاقة ارجل وعيون العرب العمياء المقعدة الى قرارات دولية معلنة ؟

ان جميع مواقف الاعجاب والامتداح والتأييد التي يقفها كل العالم ، كل الاوقات ، في كل القضايا وفي كل ما ليس قضايا - يقفها خاشعاً مؤدباً متصاغراً متضرعاً تحت اقدام الزعامات والقيادات العربية القائمة والهالكة الماضية ، ليست اي هذه المواقف الا اساليب وقحة من اساليب اعلان الاعجاب بجمال عيني الاعمى وبقوة الابصار فيهما ، وبجمال ورشاقة وقوة رجلي المقعد وبقدرتهما على الطيران وعلى الخطو والقفز والتحليق فوق النجوم .

اذن فالعرب قد استطاعوا بلا اية مزية أو قدرة بشرية من أي نوع ، ان يحملوا بل يكرهوا بقوى واعظم واكبر واعلم دول العالم على ان تفعل هذه الوثاقة التي لم يوجد ولعله لن يوجد من يجرؤ على فعلها ، اي على ان تصعد فوق اعلى المنابر وفوق كل المنابر لتتلو اوقح القصائد لتتشدد الاعمى المقعد ، لتقول له : ما اجمل واقوى وانفسد واوسع عينيك ورجليك ، لتصدر قرارات دولية اجماعية تعلن فيها وبها ان العيون والارجل العمياء المقعدة هي اجمل واقوى وافضل وأصل واسحر العيون والارجل .

اذن ايهم الذين يستحقون الرثاء أو الهجاء اكثر : العالم الذي يهوى به هو انه ونفاقه وملكه ومنتاجته الى أن يصدر القرارات اجماعية في امتداح جمال وقدره ورشاقته العيون العمياء والارجل المشلولة ، ام الزعامات والقيادات العربية التي يهوى بها غباؤها وصفاقتها الى أن تهب وتجزى وتجن سرورا وطربا وغرورا حين تمتدح عيونها العمياء واقدامها المشلولة ؟

لماذا لا نستورد حكمانا كما نستورد عقولنا

اذن يوجد في هذه القضية رأيان : رأي يقول : ان الشعوب العربية عظيمة وعبقرية وتسكن في داخلها كل المواهب واعظم المواهب، ولكن آفتها هم حكامها وقادتها وزعمائها الذين يجيئون دائما نقيضا لها وتضليلا واذلالا وقتلا وافسادا لمزاياها او تعويقا لها عن الكينونة والانطلاق والظهور والتعبير ..

اما الرأي الاخر فيرى ان ضعف حكامها وزعمائها وقادتها ليس الا تعبيرا صادقا اليما منطقيًا عن ضعفها ، وليس عدوانا عليها أو تزويرا أو تزييفا لها أو هزيمة أو سرقة أو تضليلا لعبقريتها أو سحبها لها من ذاتها . اذن فالرأيان متفقان على عجز الحكام والقادة والزعماء العرب عن ان يقودوا الى ما يطالبون به وينتظر منهم بأن يقودوا اليه ، ولكنهما اي الرأيين مختلفان في تفسير هذا العجز وتفسير اسبابه ، مع الاعتراف هنا بأن تسمية أو زعم الرأي الاول رأيا هو مبالغة في التسامح التعبيري وتخط لكل شروط وضوابط الدقة ..

اذن ما العلاج ، أو كيف يجب ان يكون التصرف اي بعد الاعلان ان هنا تسامحا أو تنازلا عن الالتزام بالدقة في الحكم والتعبير ؟

حكام وقادة العرب عاجزون دائما - عاجزون وحدهم او عاجزون وعاجزة معهم شعوبهم .. عاجزون لان شعوبهم عاجزة ولانها عاجزة خلقتهم عاجزين .. هذه هي القضية الواجبة هنا ..

انه مرض لا بد من مقاومته وعلاجه ، وحرب لا بد من خوضها بمقدرة وانتصار وارتحال في طريق طويل محشود مرصود بكل المخاطر والمعوقات والمضلات التي غاية لا بد من بلوغها ، وقضية عظمى لا بد من الفصل فيها .. ولكن جميع الاطباء والادلاء والقادة والقضاة الموجودين والمتعاقبين لا يصلحون لذلك ولا يستطيعونه بل هم نقيض شامل حاد لكل تفاسير الاطباء والقادة والقضاة والادلاء ..

التصرف المنطقي يرى حينئذ انه لا بد من احضار او ايجاد او استيراد او استعارة اطباء وادلاء وقضاة وقادة آخرين ، باية وسيلة ومن اي مكان ، قادرين على أن يعالجوا ويدلوا ويقودوا ويفصلوا ٠٠ قادرين على أن يكونوا اطباء وادلاء وقادة وقضاة بكل التفاسير والصيغ والشروط المطلوبة والمفترضة ، أي ان كان ذلك مستطاعا أو حتى محتملا ٠ ولن يكون مغفورا أو معقولا لرفض استيراد أو استعارة أو خلق هؤلاء الاطباء والادلاء والقادة والقضاة من أي مكان ان استطيع ذلك ليكونوا البديل ٠ لن يغفر أو يعقل هذا الرفض تحت اي سبب أو تفسير مذهبي أو ديني أو وطني أو قومي أو غير ذلك ، أو تحت أية حالة من حالات الغفلة أو الاهمال أو التباطؤ أو الكبرياء أو العجز ٠

وتحت الهام وتوجيه وحكم هذا المنطق قيل في سطور سابقة : لماذا لا نستورد أو نستعير نحن وأمثالنا جميع حكامنا ، رؤساء وملوكا وقادة ووزراء وكل من يفترض فيهم ويطلب منهم أن يكونوا الرؤوس والقلوب والضمان والاخلاق والمواهب والنبوات الموحية والؤمنة والقائدة والامرة والموجهة والمسؤولة والطاعة ٠٠

نعم ، السنة في عصر الاستعارة والاستيراد والاستبدال في كل شيء ولكل شيء ؟ بل السنة في عصر زرع الاعضاء واستبدالها بل في عصر تركيب الانسان اي تركيبه تركيبا معنويا ؟ ليس كل شيء في الانسان يركب أو يحاول ويراد تركيبه ويدعى الى تركيبه ؟ وهل يركب شيء مثلما يركب في الانسان رأسه واخلقه وضميره ؟ هل يوجد اليوم شعب أو مجتمع لا يستعير أو يستورد أو يشتري أو يستوهب الانسان بكل صيغه واساليبه وتفسيره ومستوياته ؟

الم يكن ذلك يحدث في كل التاريخ ؟ بل ألم يكن حدوثه في ارقى المجتمعات اكثر وأشمل حدوث ؟

اليس الذين يستوردون العلم أو المذهب أو الفكر أو الخبرة أو الفنون أو اية صيغة أو اسلوب من صيغ واساليب الحياة مهما كان اسلوب أو تفسير هذا الاستيراد انما هم قوم يستوردون الانسان ؟ وهل وجد أو يمكن أن يوجد من لا يستوردون كل ذلك أو بعض ذلك ، اي العلم والمذاهب والفكر والخبرة والفنون وغيرها ؟

اليس الذين يستوردون صيغة الحكم أو الحاكم ويستوردون اخلاقه وشروطه وقيوده واسلوب حريته وديمقراطيته ومسؤوليته والتزاماته وحدود سلطاته وجميع اساليبه أو بعض اساليبه تعامله وتخطابه مع شعبه وفي شعبه ، انما هم قوم يستوردون الحكم ، يستوردون الملك والرئيس والوزير ومن في هذا المستوى ؟ وهل تستورد المجتمعات شيئا مثلما تستورد رؤساءها وملوكها ووزراءها وانبياءها اي بهذا التفسير للاستيراد ؟

اليس استيراد علم الانسان أو فكره أو خبرته أو فنه أو اخلاقه أو اسلوبه استيرادا له ولكن بدون ثيابه وجسمه وبطاقة جنسيته وقوميته ؟

ليس هذا نوعا من محاولة استيراد الشيء أو الانسان مشروطا عليه ان يكون بدون زيه وبطاقته الشخصية أو الوطنية ، بل مشترطا عليه وفيه ان يكون بدون مواهبه الحضارية والانسانية والذاتية القوية بل مشترطا عليه وفيه ان تنتقل اليه خصائص و اخلاق مستورديه الضعيفة البدوية المتخلفة الوقحة ؟

هل من المنطق أو الذكاء أو الكرامة ان يقبل الاستماع الى الاغنية مغناة بغير صوت صاحبها وبغير حضوره ويرفض الاستماع اليها مغناة بصوت صاحبها أو بحضوره ، أو أن يقبل تفسير النظرية بغير عقل ولغة وحضور صاحبها ، ويرفض تفسيرها بل وترفض مفسرة بعقل ولغة وحضور صاحبها ، أو أن تقبل الخطة أو الخبرة أو الفكرة واضعا مطبقا لها غير صاحبها وغائبا صاحبها وترفض مطبقا واضعا لها صاحبها أو حاضرا ، أو أن يقبل الكتاب وتقبل قراءته والمحاورة لافكاره بشرط الا يقرأه أو يفسره مؤلفه وألا يكون أي مؤلفه حاضرا ، ويرفض أي كتاب وترفض قراءته ومحاورته ان كان مؤلفه حاضرا أو كان هو قارئه أو مفسره ؟ ليس هذا الرفض والقبول اي لو حدثا بهذا الاسلوب يساويان في السخف والبلادة ان يجوز أو يجب هذا ويستنكر ويرفض هذا ، أي أن يجوز أو يجب ان تستورد أو تستعار أو توهب أو تعلم أو تصدر اوصاف و اخلاق وافكار واساليب وتفاسير الحكم والحاكم اي رئيسا وملكا ووزيرا ونبيا وقائدا ، ويرفض الحكم والحاكم اي مستوردا أو معارا أو موهوبا أو مصدرا ، اي ان تقبل كل معانيه وصيغه ويقبل تطبيقاتها وتحكيمها بل فرضها فرضا، ثم يرفض شخصه أو ذاته ، مطبقة منفضة لمعانيها ؟ ليس هذا يساوي ان ينصب انسان ما ملكا أو رئيسا على بلد ما لانه وحده الاحق بذلك ثم يمنع من الحضور الى البلد الذي نصب عليه ليحكم بمواهبه المنقوطة لكي يتولى الحكم بديلا عنه من لا يملك شيئا من مواهبه تنفيذا لمواهبه أو باسم مواهبه أو ليطبق مواهبه من لا يستطيع أو يعرف كيف يطبقها ؟

ان استيراد وتصدير البشر واستعارتهم مبدا وسلوك قد فعله ولا يزال يفعلسه كل التاريخ وكل العالم دون ان يحس انه قد اعتدى على كرامته أو كبريائه أو ايمانه واعجابه بنفسه . بل لعل البشر في كل تاريخهم لم يصدروا أو يستوردوا شيئا مثلما صدروا واستوردوا الانسان ولعل هذا أجمل وأنبل واعظم ما فعلوا وما سوف يفعلون . ليس العلماء والخبراء وكل الوان المعلمين والمدرسين والموجهين والمستشارين والمنفذين كانوا ولا يزالون يستوردون ويصدرون ويعارون ويستعارون باتفاق وتعاقد دولي أو اقل من دولي اي ثنائي أو جماعي معين محدود ؟ ليس هؤلاء هم اغلى وانفع ما يمكن ان يصدر أو يستورد أو يعار أو يستعار أو حتى يستوهب أو ينيهب أو يسرق ؟

كيف يكون مقبولا معقولا ونافعا منفذا استيراد وتصدير هؤلاء الى المجتمعات المحتاجة اليهم ثم لا يكون مقبولا ولا معقولا ولا منفذا ولا مرغوبا فيه بل ولا مطروحا

للحوار والمساءلة استيراد وتصدير الحكام اي الملوك والرؤساء والوزراء والانبياء الى المجتمعات المحتاجة اليهم لان حكامها لا يستطيعون ولا يعرفون ولا يريدون ان يحكموها ويقودوها بذكاء أو قدرة أو صدق أو معرفة أو شجاعة الى اي مجد أو انتصار أو حرية أو حياة افضل أو أقوى أو أكثر عطاء أو ابداعا أو جمالا ؟

أو كيف يمكن ان تكون المجتمعات المتخلفة محتاجة الى العلماء والخبراء والمستشارين والمعلمين والمخططين والمدرسين القادمين اليها من وراء حدودها الذاتية والتاريخية ثم لا تكون محتاجة الى الملوك والرؤساء والوزراء والقادة والانبياء المتخلفين خارج احسانها القومية والوطنية والحضارية والانسانية من خارج مواهبها السماوية والارضية ؟ كيف لا تجد من نفسها من يخطط وينفذ لها مصنعا أو طريقا ثم تجد من نفسها من يخطط وينفذ لها حياة وتاريخا ومجدا وشعبا قويا متحضرا حرا ؟ كيف لا يستطيع خبراءها وعلماؤها ومخطوطها ومستشاروها ان يغنوها عن ان تستورد او تستعير الخبراء والعلماء والمخططين والمستشارين ثم يستطيع ملوكها ورؤساؤها وانبيائها وقادتها ان يغنوها عن ان تستورد او تستعير اي ملك او رئيس أو قائد او وزير أو نبي ليكون ملكها او رئيسها او قائدها او وزيرها او نبيها ولو وقتا محدد اى بأسلوب الاعارة او التاجير او الصدقة او باي اسلوب اخر ؟

كيف تستطيع ان تصنع السيوف والاجنحة وتعجز عن صناعة الريش والخناجر؟ هل يحتمل ان يوجد مجتمع يظل يلد ويصنع العبقريات في اعلى مستوياتها بينما يظل عاجزا عن ولادة او صناعة العبقريات في ادنى او اواسط مستوياتها ، ويظل ايضا يلد ويخلق الشمس بينما يظل عاجزا عن ولادة وخلق النجوم ، ويظل كذلك ينبت ويزرع الهامات والقامات الصادمة للقمر بينما يظل عاجزا عن انبسات وزراعة الهامات والقامات الملامسة للسحاب ؟

هل ولادة الانبياء والحبل بهم اعسر من الحبل بالالهة وولادتهم ؟

اي هل يحتمل ان يوجد اي مجتمع يعجز عن ان يتخلق فيه المهندسون والخبراء والمدرسون والمخططون والمعلمون والمستشارون في اعلى نماذجهم ثم يستطيع دائما ان يتخلق فيه ومنه الملوك والرؤساء والوزراء والانبياء والقادة والائمة والسلاطين والخلفاء والثوار في اعلى نماذجهم المطلوبة والمتصورة ؟ هل يمكن ان يعجز المجتمع الذي يلد الحاكم العظيم عن ان يلد الخبير العظيم أو أن يستطيع المجتمع الذي يعجز عن ولادة الخبير العظيم ان يلد الحاكم العظيم ؟

نعم ، اننا في عصر ، من ابعد آفاق طموحه الحضاري والعلمي والانساني ان يستطيع تركيب الذات الانسانية ، تركيب اعضائها ، نقل الاعضاء الى الفوات المحتاجة اليها ، نقل او صنع الاعضاء الاقوى والاذكى والاجمل والاصح لتكون البديل عن الاعضاء التي هي ليست كذلك .

ان البشر حين يستطيعون نقل او استعارة او تصدير الاعضاء من جسم الى جسم او من انسان الى اخر دون اية موانع عسية ، مهما كان انتماء الجسمين او الانسانيين القومي او الوطني او العرقي او المذهبي او الديني ، فلا بد ان يعد ذلك من اعظم القفزات والانجازات الحضارية والانسانية .

وهل يمكن ان يكون شيئاً جيداً او مقبولاً استعارة وتصدير الايدي والارجل والاصابع والاعضاء الاخرى الى غير ذواتها ثم يكون شيئاً رديئاً او مستنكراً او مرفوضاً استعارة وتصدير الرؤوس والعقول والوجوه والضمائر والعيون الرائية الموجهة المفسرة القائدة للخطوات المدبرة الامرة الناهية لها ، القارئة لها خطواتها واتجاهاتها ؟

هل يحتمل ان يوجد منطوق يرفض نقل الرأس العبقري ليكون بديلاً عن الرأس الابله او الغبي ؟

وهل استعارة واستيراد وتصدير الملوك والرؤساء والنوار والقادة والسوزراء المتفوقين الا أسلوب علمي حضاري انساني جيد جداً من اساليب نقل وتصدير واستيراد واستعارة الرؤوس والعقول والضمائر والوجوه والعيون والاخلاق المتفوقة؟ اليس استيراد هؤلاء هو استيرادا لهذه ولكن محمولة فوق ذواتها لا فوق ذوات اخرى هي اقل موهبة واكثر ضعفا ؟

ليس نقل الحاكم او القائد او الزعيم او النبي العظيم الى المجتمع المتخلف لونا عظيماً جداً من الوان نقل الحضارة والعلم والاخلاق الى المجتمعات الفاقدة لذلك والاحتاجة اليه ولكن باساليب اعظم وافضل واقدر على التنفيذ والاتقان وابعد عن احتمالات العجز والخطا والتزيف والتشويه والتوريث ؟

نعم . . الحاكم اي الملك والرئيس والقائد والزعيم والوزير ، ماذا يشترط ويفترض فيه او يطلب ويرجى منه وفيه ؟ ليس ان يكون المستوى او الحد الاعلى في الذكاء والعقل والفهم والخلق والشجاعة والاتزان والاخلاص والعدل والتواضع والحب وفي الرؤية والتحديد الى كل الافاق والاحداث والاشياء والاحتمالات ، مقروءة مفسرة محاسبة بكل الشمول والاحاطة والصدق والحماس الهادىء الراسخ العاقل الوقور ؟ ليس المفترض في الحاكم والمطلوب منه ان يكون ادق واذكى اجهزة الضبط والتوجيه والتوقيت والحساب للحركة ، للتقدم والتأخر ، للفعل والترك ، للقول وللصمت ، للقراءة الشاملة الدائمة لكل الاحتمالات . .

وحاكم المجتمع المتخلف هل يحتمل ان يستطيع الصعود الى هذا الى المستوى الاعلى من ذلك ؟ بل هل يحتمل ان يستطيع الاقتراب منه ؟

اذن هل يمكن ان يوجد اثم او تقصير او اهمال او عجز مثل الايستعير او يستورد اي مجتمع متخلف مثل المجتمع العربي له حاكماً يملك هذا المستوى او هذا الحد الاعلى من هذه الشروط والزايا او مثل الايصدر اليه الاخرون مثل هذا الحاكم

أو ألا يحاولوا ذلك وهم يملكونه بكل الوفرة والكثرة حتى التخمة ؟ لماذا لم يصدر هؤلاء مثل هذا الحاكم الى أي شعب عربي ؟ هل هم قساة متعمدون أم مهذبون أم أغبياء وعميان لا يرون ؟

انه لقبيح على كل المستويات وبكل التفاسير ان يصاب وطن بالقحط فيجوع اهله فيصرخوا طالبين الغوث فيستجاب لهم ، او أن يصاب وطن بالوباء فيطلب العون فيرسل اليه بالاطباء والخبراء ضد الوبئة وبكل وسائل الوقاية والعلاج ، بينما توجد مجتمعات وشعوب كثيرة ، بل بينما اكثر شعوب العالم مصابة اصابة دائمة بالقحط الرهيب من الحكام والزعماء والانبياء والقادة القادرين على الغوث والانقاذ والعلاج والوقاية والتطبيب ولو على اردأ وادنى المستويات - بل بينما أكثر شعوب العالم مصابة اصابة دائمة بحكام وزعماء وقادة وانبياء هم اساليب شاملة من اساليب اصابة هذه الشعوب التي هي اكثر شعوب العالم بالقحط والوبئة والمجاعات أو يبدون وكأنهم كذلك - دون أن ينطلق اي صوت من المصابين بهؤلاء الحكام والزعماء والانبياء والقادة ، طالبا الاغاثة او العلاج او المساعدة باي اسلوب ، ودون أن يفعل الآخرون القادرون الاغنياء المصابون بالخصب الدائم وبالوفرة من الاطباء والتطبيب والادوية أي شيء للانقاذ او الاسعاف او التخفيف . وهل يمكن تصور مجاعة او قحط مثل المجاعة والقحط من الحكام والزعماء والقادة ومثل المجاعة والقحط في مواهبهم ، او تصور وباء مثل الوباء الذي يصيب به الحكام والزعماء والقادة المناقضون لشروطهم الجيدة ؟

نعم ، هل القضية هنا قضية خبث وتآمر وتدبير مقصود ام قضية غفلة وغباء وكبرياء سخيفة ؟ هل هي مؤامرة او شبه مؤامرة مخططة ومتفق عليها ولو بالصمت والنية بين من يجب عليهم ان يطلبوا ومن يجب عليهم ان يعطوا ؟

هل رأى الحكام هنا ان الاستبدال بهم اهانة لهم او لشعوبهم مهما كان هذا الاستبدال نافعا وضروريا ، فاستجاب الآخرون هناك لهذه الرؤية او الرأي ؟ اذن كيف لم يروا ان استبدال حياة او حضارة او خبرة او تخطيط او نظام او شعار او مذهب او علم او خبراء وعلماء ومخططين ومدربين ومعلمين ومستشارين بمن وبما كان عندهم من ذلك ابلغ اهانة وتحقيرا لهم ولشعوبهم بل ولكل ابائهم وتاريخهم والهتهم التي كانت والتي هي كائنة ؟

كيف تكون اهانة لاي شعب ان يستبدل حكاما بحكامه اذا لم تكن اهانة ان يستبدل عقولا بكل عقوله وعقول انبيائه وابائه ؟

هل يمكن الاختلاف على ان الاقتناع او الاعلان بان هذا المشروع الزراعي أو الصناعي أو السكني أو التعليمي أو الطبي السهل البسيط الصغير جدا محتاج الى استيراد خبرة أو خبراء اجانب لتخطيطه وتنفيذه اقصى اهانة وتحقيرا للشعب الذي يقام فيه هذا المشروع ، لكل طبقاته وهيئاته واربابه وانبيائه وابائه وتاريخه من الاقتناع

او الاعلان بان هذا الشعب او اي شعب اخر محتاج الى استيراد حاكم او قائد او زعيم لكي يقوده أو يسيير معه أو يوجهه الى حياة افضل واذكى واقل سخفا وطفيانا وفقرا وضعفا وتخلفا وجهالة وافتضاحا وصراخا بليدا وغرورا ومخاصمة بلا هدف او خطة ومعاداة للاعداء ولغير الاعداء بلا بحث عن شيء كما يفعل حكام العرب ؟

هل كان محتوما بل او محتملا ان تقاسي الشعوب العربية او غيرها من الشعوب المتخلفة كل هذه الحماقات والهزائم والالام والفضائح والطفيان والاذلال والمخاصمات الاستعراضية الخطابية او كثيرا منها او ان تساق اليها تحت اعلى واغبي الاناشيد ضجيجا وغرورا لو انها كانت تعار ويصدر اليها حكامها ، رؤساؤها وملوكها ووزراؤها وانبيائها او ثوارها وقادتها من ذلك الطراز الاخر الموجود بكل الوفرة والكثرة عند الاخرين الذين يصدرون اليها كل شيء جيد وجديد من الحياة والمعارف والنظم والاساليب بل والاخلاق والعقول والتقوى بل ومن البشر ، حاملي المزايا الحضارية والانسانية الجيدة ؟ ..

بل ليس محتوما حينئذ أن تكون هذه القطعان الكبيرة المسحوقة اصح واخصب اجساما ومراعي وان تعيش أبعد عن الذناب واللصوص والابئة والضياع والجماعات وعن هذه المخاصمات والملاعنات والبارزات الرعناء التي يفرق فيها ويستهلك بها حكام الشعوب المتخلفة أو حكام العرب وحدهم كل وقار واتزان وحياء وهدوء شعوبهم ؟ ماذا يمكن او يجب ان يفترض الحكام ؟ هل يفترضون رؤية وعقلا وضميرا وحبنا وفداء وقدوة ونموذجا أم يفترضون أمرا ونهيا وقيادة واقداما ومغامرة أم يفترضون كل ذلك وأكثر منه ؟

ليس المفروض والمطلوب ان يكونوا النصوص والتفاسير الجيدة المتبدلة المواهب واحتياجات واحتمالات شعوبهم المتصاعدة والاعلان الذكي المهذب عنها ؟

اذن ليس المطلوب فيهم بل المشترط عليهم وفيهم ان يكونوا هم افضل واعظم النماذج الموجودة والمستطاعة دون اية شروط أو قيود على مكان أو انتماء ولادتهم أو بطاقات جنسياتهم ؟

ليس المطلوب ان يكون الدواء المعالج والواقعي هو اجود انواع الادوية المعروفة والموجودة والمقدور عليها دون محاسبة لمصدرها او للمصانع والعقول التي صنعتها ؟

هل وجد او قد يوجد من يرفضون الدواء الافضل او يترددون في التداوي به بسبب انتمائه او ابتكاره ، او من يرفضون التداوي لدى اقدر الاطباء على ان يشفى لهذا السبب اي سبب الانتماء الوطني او القومي او الديني ؟

أو هل يمكن ان يرفض هذا الدواء الافضل ان يكون مداويا أو واقيا أو أن يكون هو الافضل ، أو أن يرفض الجسم تقبله أو الاستجابة له بسبب هذا الانتماء ايضا ؟

وهل يمكن الانكار ان المطلوب فيهم اي في الحكام ان يكونوا دواء ما ، في احد التفاسير او في كل التفاسير ، لبعض الادواء او لكل الادواء لو استطاعوا - ان يكونوا اعظم الادوية ان كان ذلك ممكنا ؟

وانه لن توجد اية صعوبة او تعقيدات في هذه القضية اي في ان يستورد العرب وكل من في مستواهم المتخلف حكاهم ، ملوكا ورؤساء وقادة ووزراء ، مثل ان يقال ويعتقد ان الحاكم يجب ان يرضاه الشعب ويختاره ويعرفه ويؤمن به وان تكون بينه وبين شعبه او مجتمعه مشاعر الفة ومحبة وثقة وتعارف وتقارب وتعايش تاريخي ومصيري وروحي وقومي ووطني ، وان تكون هذه المشاعر متبادلة ، بين الحاكم والمحكوم ، والافلن تكون العلاقات مقبولة أو مريحة أو نابضة أو متقابلة أو متشاركة في اي شيء ، او محكومة باي قدر من الاخلاص والتلاؤم المحب الحاني المتعاطف .. وحتما هذه مزايا وعلاقات ومشاعر يفرض بل ويطلب ان تكون قائمة دائما بين الحكام وشعوبهم . وبدونها يصبح الحكم عدوانا وتآمرا واغتصابا وتربصا .

نعم ، ان مثل هذه الصعوبة او التعقيدات او الاعتراضات لن تكون هنا موجودة او واردة لان حكام العرب ملوكا ورؤساء وثورا وقادة ووزراء لا يقفزون الى اماكنهم تحت هذه الشروط والمشاعر ، بل انهم جميعا دائما يصعدون الى عروشهم نقيضا لجميع هذه المشاعر والشروط وخروجاً وقحا عليها ولا سيما ثوارهم وكل من يصعدون الى القمة بالتآمر المسلح الذي اصبح في هذه الاوقات سباقا رهيبا كثيبا في العالم العربي .. بل انه بحثا عن هذه الشروط والمشاعر يجب ان يستبدل بحكام العرب حكام مستوردون في كل الاوطان العربية ..

ومثل العرب في هذه القضية كل المجتمعات التي هي في مستواهم الحضاري والانساني اي في مستوى العرب . نعم ، انه ليجود للعرب امثال كثيرون . ولكن هل يوجد اقل منهم في اي شيء من معانيهم او صيغهم ؟ انهم اي العرب من الاردن او ليسوا الاردن ..

ليس محتملا جدا ان تكون هذه المشاعر المتبادلة وهذه الشروط المطلوبة موجودة حينما يكون حكام العرب مستوردين ومعارين اكثر من احتمالات وجودها حينما يظل حكاهم من انفسهم ، من ولادة تاريخهم ومواهبهم ، حينما يظل حكاهم هم حكاهم او من نوع حكاهم اللذين جربوهم وقاسوا منهم في كل تاريخهم اكثر مما قاسوا من قحط وقبح ووقاحة وبداعة تاريخهم واربابهم الصحراوية البدوية التي لا تتحضر او تنتهذب أو تفارق اميتها الابدية المهجبية ؟

بل انه لم يوجد ولن يوجد بين شيء وشيء ، او بين قوم وقوم فراق أو طلاق روحي او عقلي او اخلاقي او تاريخي او انساني او حتى قومي او وطني مثل الفراق او الطلاق الموقع المثبت دائما بين الشعوب العربية وحكامها في جميع هذه المعانسي

والتفاسير او في جميع هذه القيم المطلوبة او المفترضة هنا في هذه القضية او هذه العلاقة . ان الفراق او الطلاق بين حكام العرب وشعوبهم لهو فراق أو طلاق لا نموذج له في تسوته وشموله وثباته ومرارته وامتداد زمانه حتى لكأنه بلا بداية أو نهاية . . . أنه لو نصبت أقصى الوحوش أو الأبالسة حكاما ، أي ملوكا ورؤساء وثوارا وقادة ووزراء ، على الشعوب العربية لما جاءت مشاعر الخوف والبغضاء والحقد والتوجس والريبة وفقدان التوقعات المريحة او الجميلة او الصديقة بين الفريقين اردأ أو اقسى من المشاعر التي كانت والتي هي كائنة والتي سوف تكون بين العرب وحكامهم مهما كان لون او صيغة او مولد او شعارات حكاهم . ولكن لا بد من امتياز حكامهم الثوار بالمزيد من قسوة هذه المشاعر المتبادلة الكثيبة الرهيبة . . .

نعم ، هل وجدت مقاساة في اية علاقات مثل المقاساة التي تقاسيها العلاقات دائما بين الشعوب العربية وحكامها ولا سيما الثوار منهم ؟ انه لو كان ممكنا ان تحرق المشاعر المتعادية المتباغضة المرتابة الحاقدة اصحابها او اجسادها لكان محتوما أن تحرق الشعوب العربية وحكامها مشاعر الفريقين المتبادلة بينهما . . . ان تتحول اجساد الفريقين الى رماد . . . عجا ! . . ما اقدر اجساد حكام العرب واجساد شعوبهم على معايشة الاحقاد والبغضاء والعداوات والريب المتبادلة . . . كيف بقيت لهم اجساد لم تحترق ؟

اذن فان استيراد أو استعارة حكام اجانب للعرب وسيلة جيدة وانسانية ليجاد شيء او حالة من الحب والثقة والرضا والاطمئنان ومشاعر الامان والتوقعات الجميلة في نفوسهم اي في نفوس العرب المحكومين الذين لم تجرب نفوسهم هذه الحالة في اية فترة من تاريخهم الاليم الحزين . . .

كما ان ذلك اي استيراد او استعارة الحكام للعرب لا بد ان يكون فيه نوع من العلاج المخفف عن نفوسهم من قسوة الكره والخوف والغضب ومن شحنات الظنون والتجارب الاليمة القتالة . ما اجمل ان يجرب غرس اسباب الحب والثقة والتصديق والرضا والجمال والصفاء في نفوس وعقول وقلوب وضمائر وعيون واذان الشعوب العربية . ما احوجها الى ذلك .

اذن فاستعارة او استيراد الحكام للعرب ليس فقط رغبة في التقدم الى الاقوى والاذكى والاتقى والاعظم ، ووسيلة الى ذلك . بل انه ايضا علاج ووقاية للنفوس والعقول والضمائر من البغضاء والاحقاد والخاوف ومن التوقعات والظنون الاليمة اليائسة المتراكمة ، او تخفيف عنها اي عن النفوس من قسوة وضخامة ذلك . . .

وكم هو قبيح في هذه القضية ان الشعوب العربية التي تقاسي كل هذه البغضاء والاحقاد والخاوف والريب من حكامها ولهم وفيهم تبدو وكأنه لا حب ولا تقديس او تاليه او تصديق او اخلاص في هذا العالم مثل حباها وتقديسها وتاليها وتصديقها واخلاصها لحكامها هؤلاء . . .

ولكن في هذه القضية مشكلة صعبة الحل جدا . وقد يرى انها مستحيلة الحل .
ان استيراد او استعارة حكام للعرب لا بد ان تعني اسقاط حكامهم أو وقفهم
او تاجيلهم او سلب السلطان منهم ووضعهم في ايدي الحكام المستوردين . وكيف
يمكن تنفيذ هذا ؟

ان حكام العرب هنا هم الخالع الذي يطلب منه ان يكون مخلوعا ، والسوط الذي
يطلب منه ان يكون ظهرا ، والقائل الذي يطلب منه ان يكون مقتولا . . . انهم لا بد
ان يروا ان هذا هو التفسير لهذه القضية او هو ما يرجى ويطلب منهم فيها . فهل
تستطيع تقواهم أو شهاتهم ان تقنعهم او تلزمهم بان يستجيبوا لذلك او بان
يكونوا كذلك ؟

انهم حينئذ هم الذين عليهم ان يستوردوا او يستعيروا هؤلاء الحكام المصدرين
ليكونوا حكاما مكانهم ليصبحوا هم شعبا وعية . فهل يؤمل ان يفعلوا ذلك ؟
نعم ، هذه مشكلة معقدة وصعبة فيما يبدو ، ينبغي ان توجد لها حلول بأسلوب
دولي أو اقل من دولي او دولي وغير دولي . . .

وصعوبة القضية او الحاجة او الضرورة او الهدف الكبير لا يمكن ان تعني
التخلي عن المحاولة او المقاومة بل لا بد ان تعني التصاعد في قوة واصرار المحاولة
والمقاومة . وانه لفرض حضاري وانساني بل ووطني ومصلي ولو احيانا على العالم
كله ان يلتزم بهذه المحاولة والمقاومة مصمما على تخطي ومعالجة هذه المشكلة او
العقدة بكل وسائله واساليبه وقواه الحضارية والانسانية الضخمة المتنوعة القادرة
على الانتصارات المتجددة الدائمة .

والشيء قد يكون مرفوضا او مستكرها او مخزوبا من كل حسابات المحاولة
وتخطياتها لانه لم يؤلف ، كما قد يبدو صعبا او مستحيلا لذلك فاذا حدث او فعل اي
الشيء وتكرر فعله او حدوثه اصبح مالوفا ، وحينئذ لن يبدو صعبا او مستحيلا او
مرفوضا او مستكرها . . .

واستيراد الحكام وتصديرهم هما من الاشياء التي لم تؤلف بالمعنى الذي
يعنى بالحديث هنا ، لهذا فانهما يبديان مرفوضين وكريهين وصعبين او مستحيلين .
ولو ان هذا اي استيراد الحكام وتصديرهم حدث مكررا لاصبح مالوفا ولاصبح
حينئذ شيئا مقبولا ومعقولا بل شيئا مطلوبا وجيدا جدا .

ان رؤية الشيء عظيما وجميلا او قبيحا وتافها ، صوابا او خطأ قد تعني فقط
انه قد اصبح شيئا مالوفا ومتقورا ومفعولا ممدوحا او انه لم يصبح كذلك . . .
ان عظمة الشيء وتفاهته وكذا جماله ودمايته ليست في ذات الشيء او في
منطقه ولكنها في رؤيته وفي الاقتناع به كذلك . . . ان جمال الزهرة المتفوق على
جمال اية نبتة اخرى ليس في ذات الزهرة بل في عيني رائيها بل ليس في عينيه وانما
في تعاليمه وتلقينه وتعويدته واذنيه . . .

ان كل ما في الطبيعة من جمال لو تجمع كله في وجه او جسد او شيء واحد لما كان جميلا ولما احس نفسه جميلا ولما وجد اي منطق او قانون او جهاز او مقياس يثبت أو يعلن أو يعرف أنه جميل لو لم يوجد من يراه ويحسبه جميلا . . ان العيون والرؤى والاحلام والاحكام والمواقف المواجهة المعلمة المأمورة المنهية المتلائمة والمتنافرة هي التي تصوغ الشيء جميلا ومنطقيا او تصوغه نقيضا حادا للجمال والمنطق والكرامة والشرف والمجد والشجاعة ايضا . .

ان الرؤية تعليم كالايمان والافتناع والصلاة وحب الالهة . هل رات العيون جمال الاله ام علمت رؤيته ؟

ان اكثر اساليب الوصول الى الحكم في اكثر اوطان العالم ، في اكثر فترات التاريخ ليجب ان يراها اكثر العالم او كل العالم اكثر قبحا وسخفا واهانة للانسان وبعدا عن ان تكون معقولة او مقبولة او حادثة او مفعولة بل او مفترضة من استيراد وتصدير الحكام المتفوقين المختارين دوليا او اقل من دولي ليكونوا حكاما لبلدان في مستوى البلدان العربية يحكمها حكام في مستوى الحكام العرب الذين ظل كل التاريخ يكرهم صيغة او نمونجا او مستوى حضاريا وانسانيا وبدويا واحدا تحت اسماء وازياء وشعارات ودعاوى متعددة واهيانا مختلفة او متناقضة متعادية متلاعنة . . كيف تكون مقبولة او معقولة او مالوفة مفعولة هذه الاساليب التي يتوصلون بها الى الحكم في اكثر بلدان العالم ثم لا يكون استيراد الحكام مالوفا متقرا بل مفروضا محتوما يطالب به كل احد حتى ليطلب به الحكام المستبدل بهم المستورد البديل عنهم ؟ اليس هذا يساوي ان يظل مجتمع من المجتمعات يتداوى من كل الوبئة والامراض بالسحر والطلاسم والتعاويذ والرقي وزيارة قبور الانبياء والصالحين ويظل هذا التداوي معقولا ومقبولا ومجدا وطنيا قوميا لان هذا المجتمع يرفض ان يستورد او أن يصدر اليه اطباء موجودون عند الاخرين بلا حساب مستعدون وقادرون على انفاذه من كل اوبئته وامراضه . . او لان الذين يداونون بالرقي والتعاويذ والسحر والطلاسم او يستنفيدون من ذلك يرفضون تقوم الاطباء والتنازل لهم ؟

هل يمكن ان يكون تداوي الشعوب العربية وكل الشعوب الاخرى المماثلة بحكامها لينتقذوها ويشفوها من هزائمها وتخلفها وجهالاتها والامها أفضل أو أعقل أو أكثر اعطاء للامل وللشفاء من التداوي بالرقي والتماثل والتعاويذ والطواف حول قبور الانبياء والصالحين للحماية والعلاج من الامراض والوبئة والزلازل والبراكين ومن القحط والمجاعات وتوقف السحاب عن المجيء أو عن العطاء ؟

وهل استطاع اي حاكم عربي قديم او حديث ان يعالج من اية مشكلة او هزيمة او تخلف بغير الرقي والتماثل والتعاويذ ولكنها رقي وتماثل وتعاويذ اكثر ايذاء وتخريبا وافقارا وقتلا ؟

اليس رفض حكام العرب استيراد او تصدير حكام متفوقين ومختارين ليكونوا
باسلوب الاعارة او التاجير او الصدقة حكاما للشعوب العربية ، وتقبل هذا الرفض
منهم اي من حكام العرب ، اكثر قبحا وسفها وضررا من أن يرفض المداؤون
بالخرافات والاوهام التاريخية البدوية الجاهلية قنوم الاطباء أو استقدامهم ليداواوا
بالطب والعلم ثم يقبل منهم هذا الرفض ، يقبل منهم عالميا وعربيا محليا ؟ اليس
كلا الرفضين دفاعا عن الذات واستمساكا وقحا سخيها بها ؟

وهل يحتمل ان يجرؤ المداؤون بالتعاونيد والبصق والكلي وكتابة التمائيم
والادعية على أن يعلنوا رفضهم ومقاومتهم لمجيء او وجود الاطباء والعلماء لئلا يحلوا
مكانهم ، ولو جرؤوا على هذا الرفض وهذه المقاومة فهل يحتمل ان يقبل ذلك منهم ؟
لكن كيف جرؤ حكام العرب أو كيف يجرؤون على أن يرفضوا استيراد وتصدير
الحكام الى الشعوب العربية ، ولو جرؤوا او اذا جرؤوا على ذلك فكيف يقبل منهم ؟
هل الحكام العرب اعظم وقاحة وجهالة ونذالة من الدجالين الجهلاء ام اعظم
قوة ووقاحة وجهالة ونذالة وسخفا ايضا ؟

هل يحتمل ان يكون مشعورن العرب انفذ واصدق واذكى من حكام العرب رؤية
لا لا بد من رؤيته ؟

ان مداوي العرب بالتعاونيد وبالصلاة والبكاء فوق القبور قد خضعوا للغزو
الحضاري العلمي فتقبلوا أن يستورد أو يستعير أو يستجدي قومهم من يداؤون
بالطب والعلم فلماذا لا يخضع حكام العرب لما خضع له هؤلاء فيقبلوا ان يستورد
أو يستعير أو يستجدي قومهم حكاما يعالجون المشاكل
والنخلف والعجز والضياع الضال فسي تيه القحط الحضاري وفي
هوان الاغتراب بين المتفوقين الخلائق الاقوياء ، ذلك الاغتراب المهين الاليم الذي
ظل التاريخ العربي يقاسيه في كل مراحلها واطواره - يعالجون كل ذلك ويعالجون
منه بالعلم والصدق والذكاء والتواضع والصمت وبالجرأة المحسوبة بادق الحسابات
واسملها ، لا بالخداع والصهيل والغرور والبذاءة والسباب والوعيد والقفز فوق كل
حواجز وضوابط الذكاء والرؤية والمعرفة ، وبالمغامرات الحمقاء الخطابية المنبرية ،
اي بالمغامرات التي لا يراد منها أو بها الا ان تتحول الى اعلان ودوي يشتمان ويفجعان
مسامع كل الدنيا ، او التي لا يدفع اليها أو يوقع ويورط فيها الا خطاب أو بيان
أو تصريح مرعد موعد احمق ، يلقيه زعيم ممسوس ، بنية واسلوب استعراضيين
اعلانيين ، يلقيه في حالة هياج صوتي مفلت من كل قيود وشروط وحسابات واوامر
الذكاء والرؤية والوقار والتواضع والواقعية والمسؤولية .. يلقيه بالاسلوب الذي
يتخاطب به زعماء وانبياء وحكماء وحكام العرب في كل تاريخهم ومواقفهم مع كل
قضاياهم ومشاكلهم ومواجهاتهم ومع كل اصدقائهم واعدائهم ومع انفسهم ومع كل
احد وبلا اي احد ؟ ان جميع حكام وقادة وزعماء العرب مصابون بالخطابية التي لا بد

ان تتحول او غالبا ما تتحول الى مواقف وخطوات عمياء ضالة خاسرة مورطة فاضحة جالبة للعار والهوان والسخرية ..

نعم ، ليست كل او اغلب مغامرات ومناطحات وتحركات حكام العرب وقادتهم مواقف خطابية ، اريد بها الخطابة وحرصت عليها الخطابة وورطت فيها الخطابة وفسرت بالرغبة في الخطابة ؟ اليس كل تاريخهم انما كان تاريخا خطابيا ، تدفعهم اليه رغبتهم في المواقف الخطابية واندفاعهم مع مواقفهم الخطابية ؟

ليست الرغبة في اقتحام كل الاذان والقرع على كل الاذان هي اي هذه الرغبة القائدة والموجهة لكل قادة وحكام العرب ، هي كل اهتماماتهم واشواقهم وامجادهم وطموحهم والتفسير لنياتهم ، هي الموقعة لكل خطواتهم الى كل اخطائهم .. هي الصعود بالصوت والسقوط بالحركة استجابة للصوت وتحت املائه وتحريضه ؟

ليست هذه الرغبة تجعلهم يخطون ويتحركون بلا اية رؤية او حساب لكي يتحول خطوهم وتحركهم الى خطابة ، وتجعلهم ايضا يخطون ويخطبون دون ان يقصدوا غير ان يخطبوا ، وتحت ضجيج وسكر الخطابة يتحركون ويخطون دون ان يريدوا ذلك فيتيهون ويضلون ويفتضحون ويسقطون ؟

لو انه بوسيلة ما سحب من جميع حكام وزعماء وانبياء العرب ساعة ولادتهم او ساعة جلوسهم على العرش كل شهوتهم في ان يصبحوا خطبا تذاع وتسمع وتكتب وتقرأ وتروى وتفسر وتخيف ويصفق لها بل ويهدد بها فماذا كان يمكن ان يحدث او حدث ؟ اليس محتما او مفترضا ان يكونوا حينئذ قد اصيبوا جميعا بالصمت والوقار وبالرفض للاقتراب من اي منبر ؟ وهذا ليس محتما او مفترضا ان يعني وقايتهم من جميع المغامرات والمخاطرات والمبارزات والمصاهلات السفهية الكريهة القتالة المفسدة المضللة المستنفذة لكل الاحتمالات والطاقتات الجيدة ، والقائدة للتاريخ العربي في كل مسيرته الى كل هذه الاكوان من الهزائم والالام والتشوهات والايخطاء البليدة المدمرة ؟ فادحة وشاملة هي الالام والهزائم والفضائح والنكبات التي اوقعتها بنا الشهوة الخطابية التي لا بد ان تصاب بها كل قيادة وزعامة ونبوة عربية ..

اذن كيف لم توجد هذه الوسيلة التي تسحب منهم هذه الشهوة ؟ كيف لم يوجد من يسحبونها منهم ؟ ان كان يوجد فوق هذا الكون او في داخله الهة او قوى خيرة تريد الخير والوقار والستر فلماذا لم تسحب من القيادات العربية هذه الشهوة المخربة ؟

ولكن هل يقبلون ان يكونوا حكاما او زعماء او انبياء او قادة لو سحب ذلك منهم؟ هل قبلوا اورغبوا ان يكونوا حكاما وقادة وزعماء وانبياء الا تحت املاء هذه الشهوة؟ لو ان العالم كله كان عقولا وضمائر وقلوبا واخلاقا وعيوننا ولكن بلا اذان ومنابر فهل

يمكن حينئذ ان يرى حكام العرب وقادتهم ان للحكم مجدا او اغراء او ان لهم مجدا
او يمكن ان يكون لهم مجد ؟

ان اقدام واجنحة وهمم ونيات جميع الزعماء والقادة والحكام العرب لا تتعامل
او تتخاطب ولا تتريدان تتعامل او تتخاطب الا مع المنابر والاذان والانشيد .. انها لا
تتحرك الا سعيًا وشوقًا اليها وانطلاقًا منها . انها انطلق اليها وانطلق منها . انها
لأتريد أو تنوي الا أن تكون حديثًا وضجيجًا واثارة ورنينًا مزعجا صانعا للاهتمام ..
ان اشمل واجمل التفسير لكل قيادة وزعامة عربية هي احداث الرنين وارادته
وروايته وقراءته والتهويل والتخويف به ..

انهم اي الزعماء والقادة والحكام العرب لا يعرفون او يتصورون ان لاقدامهم
واجنحتهم او لوجودهم او لكونهم حكاما وزعماء وقادة او لقبولهم ذلك وسعادتهم
به - لا يعرفون او يتصورون ان لذلك اي تفسير او وظيفة او مجد او اغراء او ثمن
غير الزحف الى المنابر والاذان والانشيد والبحث عنها والانطلاق منها الى المخاطر
والاندفاعات الحمقاء التي لم يقدر اليها الا الضجيج الخطابي السابق الدائم والا
الرغبة في الضجيج المتواصل . ان الرغبة في الرنين والضجيج تطلق الشهوة
الخطابية ، وان اطلاق الشهوة الخطابية لا بد ان يقود الى المغامرات التي لا تخضع
لاي حساب او مسالة ..

ان المواقف الخطابية تتحول الى التزام بالاقدام على المغامرات المجنونة في سلوك
الزعامات والقيادات والنبوات العربية لكي يرضوا مواقفهم الخطابية ويتوافقوا معها
ويزيدها رنينًا ولو رنين العار والهزائم . اليس للعار والهزائم رنين قد يطرب ؟
لقد خطبوا وخطبوا وخطبوا بلا اية رؤية او ذكاء او حساب .. لانهم لا بد ان
يخطبوا ويتحولوا الى خطاب حتى ولو لم يخطبوا أو يستطيعوا ويعرفوا أن يخطبوا .. اذن لا بد ان
يقدموا ويقدموا ويقدموا ايضا بلا اي قدر من الرؤية او الذكاء او الحساب او الشعور
بالحاجة الى اي قدر من ذلك .. اذن قد يكون من اعظم المنافع لاستيراد حكام اجانب
متفوقين ومتحضرين ليكونوا حكاما للشعوب العربية ان ذلك سوف ينفذ من نتائج
ومخاطر هذه الشهوة او الموهبة او الافة الخطابية التي اصبح من المحتوم المتقرر ان
تصاب بها جميع الزعامات والقيادات والنبوات العربية . أليست كل عبقرية العرب
او اعظم وأشهر عبقرياتهم هي نبوة وعبقرية نبوة ، وهذه النبوة وعبقريتها هما كتاب
وعبقرية كتاب ، وهذا الكتاب وعبقريته هما عبقرية خطابية بلاغية صوتية لفظية
قرآنية ؟ اليس هذا هو كل او اعظم مجد العرب الحضاري والانساني والثقافي ؟ اليس
العرب يزعمون ذلك ويعلمونه بكل مشاعر الكبرياء وصهيلها ؟

نعم ، انه محتوم او لشيء طيب ان يبحث عن الحلول لهذه المشكلة او العقدة
اعني بها ان الحكام العرب لا بد ان يقاوموا مشروع او فكرة استيراد حكام لقومهم
من خارجهم ، مهما اتنعوا أي حكام العرب بان في استيراد هؤلاء الحكام كل المجد

والانقاذ والتطوير لشعوبهم وبلادهم ، بل وكل الراحة والحماية لهم هم والستير عليهم امام تحديق كل العيون والعقول والضمائر والاخلاق في عجزهم وافتصاحهم . .
وهنا ارى حلا . اني اراه بعيدا ومن بعيد ، ولكني اراه ويجب ان يراه كل من
يرون البعيد ومن بعيد . .

وليوضع تحت كل التفكير هذا الحل . انه حل يطرح لاول مرة لعله يقبل
وينقذ . .

ان العالم العربي اصبح مصابا بالثورات والانقلابات العسكرية . ولعل الظن
بانه قد يشفى من ذلك أو قد تنقل نوبات اصابته بهذا الداء اهانة لذكاء الظن
وتشكيك في قيمته النفسية والعقلية والتاريخية . انه لن يشفى من ذلك الا بقدر
ما يمكن ان تشفى اخلاقه من الضعف والغرور ، وقلبه من الحقد والبغضاء ، وضميره
من اللؤم والخسة ، وتفكيره من السذاجة والغفلة والبلادة ، ولسانه من السفه
والسباب والصهيل ، وتاريخه من القحط الانساني بكل تفاسير القحط وتعبيراته . .

اذن فليكن هدف هذه الانقلابات والثورات اسقاط الحكام العرب القائمين لكسي
يحل مكانهم حكام اخرون مستوردون مصدرود معدون مختارون لتفوقهم . .

مختارون بالمناطق الذي تختار به ادق واحداث الاجهزة الطبية لتشخيص الامراض
بجل تشخيصها بيد المشعوذ البدوي الأمي .

لقد كان الثوار والانقلابيون العرب من العساكر يفعلون انقلاباتهم وثوراتهم
ليكونوا هم الحكام بعد اسقاط من كانوا قبلهم ، زاعمين انهم قد جاءوا ليكونوا
منقذين كونيين من كل اخطاء وخطايا وطغيان وبلادات وعجز الطبيعة والتاريخ
والالهة . . منقذين من كل اخطاء وخطايا الحضارة والعلم ، ومن كل ضعف وهوان
وفساد الحرية والتواضع والتفكير والصدق والتهديب . .

لقد كانوا بذلك كالذين يعالجون من الزكام والبثور والعرج لكي يمرضوا بالسل
والسرطان والشلل المقعد . لقد كانوا اي الثوار العرب يجيئون ليعالجوا من العجز عن
رؤية النجوم نهارا لكي يمرضوا بالعجز عن رؤية النجوم ليلا وعن رؤية الشمس
ظهرا . .

نعم ، ليكن هدف الانقلابيين والثوار العرب ان يجعلوا كل الاتاق والابواب
والطرق مفتوحة لكي يستورد العرب أو يصدر اليهم الحكام والزعماء والقادة كما
يستوردون ويصدر اليهم كل الاشياء الجيدة ، لا ان يكون هدفهم سرقة الحكم
ليصبح الحكام الذين كانوا قبلهم انبياء وحكماء وفلاسفة وعباقره وصديقين وابطالا،
مناظرين ومحاورين ومحاسبين مقارنين مفسرين بهم اي بالثوار والانقلابيين
العرب العساكر . .

ان الثورات والانقلابات العربية تصبح حينئذ عملا صالحا اي اذا كان او لو كان هذا هو هدفها . لعل الثوار العرب لم يفتنوا الى هذا . اليست حظوظهم من الفطنة متواضعة ؟ لعلهم لو فطنوا اليه لفعلوه ولوجدوا فيه شيئا من الاعتذار عن عارهم . اليس هذا حلا محتملا ومطلوبا لهذه المشكلة او العقدة ؟

بل اليس هذا عملا وطنيا منقذا ورائعا يجب أن يقدمه الثوار العرب لشعوبهم ؟ ولا ينبغي ان يحسب ذلك اي استيراد الحكام ضربا من الخضوع لحكم الاجانب اي من الاحتلال او الاستعمار او الغزو الخارجي الا اذا كان ممكنا ان يحسب استيراد الخبراء والعلماء والمربين والعلميين والمستشارين والمخططين ، او استيراد العلم والحضارة والفنون والافكار والابتكارات خضوعا للحكم الاجنبي . . .

وهل الحضارة والتقدم بل والاستقلال والحرية الا اخذ واستيراد بكل اساليب وتفاسير ونيات الاخذ والاستيراد ؟

ان الحاكم المستورد لا يجيء غازيا قائدا لجيش غاز يريد أن يحتل ويستغل وانما يجيء مطلوبا مستقدا ليهب دون ان يأخذ وليحكم دون أن يملك ، بل ليكون استاذا ومعلما مربيا بصيغة حاكم أو باسم حاكم .

وانه ليتمكن ان يقال ان الشعوب المتخلفة لن تفعل او تستورد شيئا انبل أو اعظم من ان تستورد حكاما متحضرين متفوقين كما ان الشعوب العظيمة المتقدمة والمنظمات الدولية لن تفعل او تصدر شيئا افضل أو اعظم من أن تصدر مثل هؤلاء الحكام لمثل هذه الشعوب . . . ولعلها لا توجد سفاهة أو جهالة أو نذالة أو جفاء وتقصير مثل ان تترك الشعوب المتخلفة أو المصابة يحكمها حكامها الجهال الاغبياء العاجزون المغرورون المذلون الموقون بينما يمكن ان يصدر اليها حكام مناقضون في كل مزاياهم لحكامها المحليين .

ان يترك الاعمى يقود العميان بين حشود المهالك والمخاطر والمبصرون ينظرون ويضحكون ويسخرون . . .

**

انه لذهل حقا ان يصمت كل العالم عن هذه القضية ، كل منظماته السياسية والثقافية والانسانية وغيرها . . . ان ينسأها ويطردها من كل حساباته ، لا يفكر فيها او يتحدث عنها او يفعل لها او حتى يشعر بها او بانها موجودة ، بانها قضية يجب أن يكون لها حقوق القضايا الكبرى أو الصغرى . ان المنطق والاخلاق لا بد ان يفترضوا بل ويطالبوا ويفرضوا ان تكون هذه القضية هي اعظم او من اعظم القضايا العالمية التي يجب أن تستبد بكل اهتمامات وهموم جميع المنظمات الدولية المتعددة الحوافز والاهداف والاغراض والشعارات . . . اليس الفروض بل والمطلوب ان يكون الاهتمام بالشيء مقدرًا بقيمة الشيء وبناتجيه جيدة وورديئة ؟

كيف يطاق هذا المنظر او الصورة او الواقع الدائم المتكرر الواسع ؟ كيف يطاق الصمت عنه والتعامل معه والتحديق فيه ؟
 اليس الصمت الفكري والعاطفي والاخلاقي والنفسي هو ابلد وانذل انواع الصمت ؟

قطعان هائلة من البشر المسحوقين المهزومين المخدوعين الباحثين عن الحياة والنجاة وعن الطريق والنور ، الماضغين للامال والوعود ، والقارئین للنجوم على النجوم الامية البجوية العمياء الخرساء الصماء ، امية العقل والقلب والاخلاق والضمير .. امية الالهة والتدبير والمنطق والكينونة ..

ليست مسيرة النجوم الضالة في فراغها الرهيب اقسى اعلان عن امية الالهة وبدائها الابدية ؟

هذه القطعان الهائلة تملكها وتتحكم فيها وتسوقها وتشرع لها وتعلمها وتنعب وتنقع لها وبها افواج متعاقبة متشابهة من الذئباب والغربان والضفادع ومن العميان واللصوص والمرضى بالبلهامة والتفاهة والوقاحة وبشهوة الملاعة والمخاصمة والمبارزة الخطابية الاعلانية ، وبامية التاريخ والحياة والموت وامية الصيغة والتفسير والمكان والزمان ...

بامية الدين والمجد والاخلاق والحب والموهبة والنخوة والاصالة والالوهية ..
 هذه القطعان الهائلة ، قطعان الشعوب والمجتمعات المتخلفة كيف تركت في كل التاريخ لحكامها وقادتها وزعمائها وانبيائها وغربانها هؤلاء يؤكدون ويثبتون تخلفها وهوانها ويعلمون عنهما اي عن تخلفها وهوانها ويفضحونها ويزيدونها ويحاولون استنباطها ويستغلونها ويصعدون فوقها ويسعدون ويكبرون ويقوون ويؤمنون بهما اي بتخلفها وهوانها ، اي تخلف وهوان هذه القطعان .. ؟
 هل قاست او يمكن ان تقاسي اية قطعان مثلما قاست وتقاسي هذه القطعان البشرية بلا اية حراسة او رعاية ؟

كيف تركت دون ان تعار ويصدر اليها البديل عن هؤلاء ، بل دون أن يوجد من يتحدث عن هذا البديل أو يطالب به او يفكر فيه حتى يراه قضية من القضايا التي قد يحاسبها او يحاورها او يقرؤها الضمير او الاخلاق او الحضارة او العلم ؟
 انه لصمت عالمي مذل حقا . انه صمت الحضارة على كل ما يناقضها وبهينها ليست الحضارة رفضا ونفيا دائما وشاملا لكل ما يناقضها ؟ اذن كيف اصيبت بالصمت ههنا ؟

كيف صممت وماتت وعميت عيون وضمائير اخلاق كل العالم ؟ كيف سحرت لتصاب بكل هذا العجز او البلادة او النذالة او القسوة او بكل هذا القدر من الاستمتاع بالشماتة .. بكل هذا الصمت عن الرفض والنفى ؟

انها لقضية يصعب ان يوجد لها تفسير مفهوم معقول ، اعني بها ان العالم لم يشرع ويقرر باسلوب دولي ملزم منفذ ان يعد حكاما وزعماء وقادة وانبياء ووزراء ليصدرهم بالالزام العسكري او بالقرارات التصويتية الاجماعية الى الشعوب المتخلفة التي منها حتما ودائما جميع الشعوب العربية ، وليعلن طردها ومقاطعتها ودينونتها ومعاقبتها اذا هي او ان هي رفضتهم ، اكثر مما يجب ان يفعل ضد من يرفضون ان يتخذوا اي اجراء للعلاج والوقاية من الامراض والابوئة المنتقلة حينما تنزل بهم او تزحف عليهم ، وضد من يرفضون ان يقيموا اية حراسة على الامن والقانون لحمايتهما من الخارجيين عليهما ، لحماية الارواح والاموال والاخلاق والنظام من القتلـة واللصوص ومن كل الوان الفساد والاعتداء والتدمير والارهاب . . . وهل وجد او يمكن ان يوجد خروج على القانون والنظام واختراق للامن وعدوان عليه ورفض للعلاج والوقاية من الامراض والابوئة بل ودعوة لها اي للامراض والابوئة لتجيء وتستوطن، مثل ان يترك حكام الشعوب المتخلفة حكاما لشعوبهم ، مثل ان يترك حكام العرب حكاما ؟

في كل التاريخ كانت الشعوب والمجتمعات ولا تزال تستورد الالهة والانبياء والدعاة والمعلمين من خارج حدودها وتاريخها ولغاتها ، ليكونوا لها الهة وانبياء ودعاة ومعلمين ، طاردين وهازمين بل ومحقرين لاعتين لالهتها وانبيائها ودعاتها ومعلميها المحليين المواطنين الوطنيين . هل وجد اله او نبي او معلم او مذهبي واحد لم تستورده شعوب كثيرة ، صغرى وكبرى ، متقدمة وقوية جدا او متخلفة وضعيفة جدا ؟

اذن كيف لم يصبح شيئا مقررنا منفيذا دوليا استيراد الحكام . . . الملوك والرؤساء والزعماء والوزراء والقادة والثوار الى كل الشعوب والمجتمعات المحتاجة الى ذلك ولا سيما الشعوب العربية ؟ كيف فقد العالم كل ما يزعم له من شهامة ؟ ماذا يمكن ان يكون قد حدث لو ان هذا التصدير والاستيراد للحكام قد أصبح قرارا عالميا تاريخيا منفيذا ؟ ان الجواب لا بد ان يكون هو الجواب او قريبا منه لو جاء هذا السؤال : ماذا يمكن ان يكون قد حدث للمرضى والمشوهين والمصابين الذين كانوا يطببسون بالسحر والرقي والتماائم والشعارات والصلاة للموتى لو انهم طببوا بالعلم والطب – او ماذا يمكن ان يكون قد حدث للذين كانوا ولا يزالون يذهبون يصلون للالهة صلاة الاستغاثة اذا امتنع عليهم المطر واصابهم القحط . لو انه صدر اليهم من يسخرون الطبيعية ويصنعون السحاب ويفجرون المياه من احشاء الصخور بدل الصلوات للالهة الغافلة الصماء الخرساء المشغولة بهمومها والامها وضياعاها عن يصلون ويصرخون ؟ وبعد فماذا يمكن او ينبغي ان يحسب هذا الرأي في هذه القضية ، اجدا ام هزلا ؟ اما انا فاننظر ان يحسب هزلا ولكني اتمنى ان يصبح جدا . . . انا اربح ان يحسب او يعد علي جدا ولكن كم يسعدني ان يحسب ويعد علي كذلك ؟

لن استطيع ان انكر على من يحسبني هزلا او اتعجب منه ، ولكن هل استطيع
 الا اعجب او اسر بمن يحسبني جادا كل الجد ؟
 انه لن يهبط بزكائك او باستقامتك او بتهذيبك وادبك ان ترى ذلك هزلا ،
 ولكنه لا بد ان يعد صعودا في خيالك ان تراه جدا ، وصعودا في اخلاقك وانسانيته
 ان تتمناه جدا ..

اذن عليك ان تراه هزلا وان تتمناه جدا .. ان تتمناه جدا قد اصبح واقعا ،
 واقعا ..

ان هذا هو النموذج الانساني الذي اتمناه لك ..
 الست هنا اتمنى لك شيئا انت تتمناه لنفسك ؟
 اذن الست قد تمنيت لك افضل واكفى الصيغ الانسانية ؟



والآن .. هل تبدأ المنظمات الدولية والدول المتقدمة في عملية الانقاذ هذه اي
 في تصدير الحكام الى الشعوب العربية والى جميع الشعوب المماثلة بعد اختيار اتقى
 واكفى واقوى الاساليب لذلك ، بتخطيط وسلوك دوليين ملزمين ؟ هل يصاب العالم
 بشيء من الشهامة والشجاعة ليفعل ذلك ؟

حتما لن يستطيع الحكام المستوردون ان يهبوا الشعوب التي يصدرون اليها
 او ان ينبتوا فيها مواهب وطاقات اقوى من مواهبها وطاقاتها ، ولكنهم يستطيعون
 ان يفعلوا لها وبها مثلما يستطيع الراعي والمالك والبيطري الجيد ان يفعل لقطعانه
 وبها .. !

كم تفجعوني يا أصحاب المواهب الخرساء

لماذا لم تبتكر الحضارة او الالهة او الطبيعة وسيلة ما تستطيع ان تسحب او تمتص من كل انسان ، ساعة ولادته او قبل ولادته ، كل ما في مستقبله وما في تصميم ذاته من احتمالات الدموع والاحزان والضعف والهوان والنفاق والبلادة والنذالة والهزائم وكل اللوان التشوهات والعامات الجسدية والادبية ، وايضا تسحب منه او تقتل فيه كل قسوة وتعذيب الرؤية والتحديق والاشمئزاز والانفجاع والرفض ومشاعر الاغتراب وعذاب الاشتراط على الذات وعلى الاشياء بكل منطق واساليبه وفنونه ، وايضا كل اسباب العذاب والتعذيب والاحتراق الفكري والعاطفي والاخلاقي ؟ وهل توجد احوال مثل احوال هذا الاحتراق ؟ هل يمكن ان يدرك او يتصور ذلك الا المحترقون هذا الاحتراق ؟

كيف لم توجد هذه الوسيلة ، بل كيف لم تطرُح كقضية ؟

لماذا لم يحاول العلم أن يفعل شيئا من ذلك ؟ اليس ابتكار مثل هذه الوسيلة هو انفع وانبل من جميع الابتكارات التي كانت والتي سوف تكون او قد تكون ؟ هل يبتكر الابتكار بقدر ما هو سهل ام بقدر ما هو ضرورة ؟

كيف ابتكر التلقيح أو التحصين ضد الامراض والابوثة ولم يبتكر شيء من ذلك ضد السقوط أو الضعف النفسي أو الفكري أو الاخلاقي أو ضد العذاب النفسي أو الفكري أو الاخلاقي ؟ هل السبب هو القدرة هنا والعجز هنا ، ام هو الاهتمام والحماس هنا وفقد الحماس والاهتمام هنا ؟ هل تستطيع جميع الابتكارات ان تتفوق في نفعها وشرفها ومجدها على ابتكار واحد يحمي الفكر والضمير والارادة والنية والاخلاق والقلب من السقوط والهوان والنذالة والبلادة والسفاهة والعذاب واللبكاء والركوع ؟ في اي محراب او امام اي طغيان او تحت اي تفسير او تسويغ؟ هل يوجد ابتكار مثل الابتكار الذي يحمي الانسان من أن يكون نذلا او سفيها او حزينا معذبا مهينا ؟

الا يحتمل ان تبتكر هذه الوسيلة في وقت أت ؟ ومن هم الذين سوف يكونون اول من يبتكرونها ان كان محتوما ابتكارها ؟

هل يمكن ان تظل الحضارة في كل اطوارها عاجزة عن هذا الابتكار او رافضة له ولدفع تكاليفه ؟ انه لمن الصعب اتهام الحضارة بذلك : اذن فالمفروض ان تستطيع اي الحضارة ذلك وان تفعله . . اننا لنرفض اتهام الحضارة بانها سوف تظل عاجزة عن ابتكار طريقة للتلقيح ضد ان يهون او يتعذب الانسان .

نعم ، اذن من الذين سوف يكونون اول صانع لهذه الوسيلة التي سوف تسحب وتمتص من كل انسان ساعة ولادته أو قبل ذلك كل ما في ذاته ووجوده وظروفه من الاحتمالات الرديئة والاليمة الشريرة ؟

قد يكون المحتوم أو المرجح ان ترى ان العرب هم الذين سوف يكونون اول من يفعل ذلك . اليس مجد العرب هو السباق دائما ولا سيما في ابتكار واعطاء ما يصنع ويعلم الاستقامة والتقوى والسمو ويحمي من الفجور والخبث والهوان والحقارة والنذالة والعذاب وكل عدوان على كرامة الانسان أو على ذكائه وشرفه وصفائه وسعادته وحبه للالهة والنظافة والعبقرية والحرية والانسانية الراضية لكل تلوث وجبن وتنازل عن أي قدر من الكبرياء أو الصدق أو الشجاعة ؟

اذن اي العرب تحسب هم الذين سوف يكونون اول هؤلاء السباقين الى هذا المجد ؟ في حسابك ورؤيتك هل هم الثوار ام المحافظون . . الجمهوريون ام الملكيون . . النفطيون ام العاشقون المصلون للنفطيين الهاتفون بمجدهم وجمالهم ولجدهم وجمالهم . . المجددون المفسرون القارئون لتقواهم واصالتهم وعروبنتهم ، المؤرخون لانسابهم السماوية ولاسماء واوصاف وتواريخ ولادات حكاهم اي حكام النفطيين . . الراوون الناسخون لها من الواح وسجلات السماء ومن ضمائر ونبوات الانبياء . . الواجدون فيهم اي في النفطيين كل ذكاء الالهة وسخائها واصالتها وقوتها وحكمتها ورحمتها وحبها وكل بدواة الطبيعة واميتها الابدية ؟ نعم ، هل وجد واحب احد جمالا وذكاء مثلما وجد واحب العرب بلا نفط جمال وذكاء العرب المولودين في ابار النفط؟

اليس النفط هو اصفى واسخى دموع الالهة المتقاطرة من عيونها وضمائرها واخلاقها وحبها شوقا الى اوليائها وولاتها ومواليها ابناء العربية ، وراثا لالامهم ومجاعاتهم التاريخية ، واعتذارا وتعويضا وتكفيرا عن قحط صحرائهم بل عن قحط مواهبهم واخلاقهم وتاريخهم ؟ هل يوجد من يجب عليه ان يكثر عن ذنوبه بكل اساليب وتفاسير ولغات التكفير مثل من صاغ مواهب واخلاق وتاريخ الانسان العربي ؟

هل صاغت الالهة دموعها واحزانها ومحبتها صياغة اذكي أو أتقى أو أنفع من صياغتها لها حينما صاغت لتكون نفطا عربيا يذل كرامة وكبرياء وذكاء وقوة وحضارة جميع الاقوياء المتحضرين ؟ هل حاول احد التكفير عن ذنوبه مثلما فعلت الالهة

حينما حولت دموعها على العرب الى نطف عربي ، اعتذارا عن اصابتها لواهبهم و اخلاقهم و صحرائهم بالقحط الابدوي الرهيب في قبحه ؟

اجل ، هل تستطيع عيون او اخلاق او عقول او تقوى وصدق وكلمات العرب الذين لم يخلتهم الله نفطيين ان ترى او تفهم او تسمع او تقرأ او تجد شيئا من الجمال أو النظافة أو الشعاعية أو العبقريّة أو الرشاقة الموسيقية الانسانية التي تجدها متجمعة بكل المهابة في شخصية وكبرياء الذباب المستوى باسترخاء و امان و شموخ فوق عيون ووجوه و عقول و اخلاق و انوف و موائد حكام و انبياء و شعراء و ابناء و مفكري العرب الذين مجدّت الالهة و الطبيعة ذكاءهما و سخاءهما و شهاتهما و حكمتهما و عدالتهم ابا ن اعطيتاهم و ذهبتا تعطيانهم و تعطيانهم حتى و جب على كل من تبالغ الطبيعة أو الالهة في اعطائه ان يخاف على مقادير حظوظه من القيم الحضارية و الانسانية و الابداعية و على كل ما يحتمل ان يكون قد وضع فيه من موهبة و قدرة و احتمالات جيدة اذ قد يكون في هذا الاعطاء من التفاسير الحزينة مثل ما في اعطاء النطف العربي للانسان العربي ؟

اليس كذلك ؟ اليس الذباب قد تحول الى موهبة جمالية و فنية و دينية بل و الهية لانه لا يوجد و لم يوجد ضيف مكرم مستضاف محظوظ مثله في بيوت و على سرر و كراسي و موائد من اعطتهم الطبيعة و الالهة و ظلّتا اي الطبيعة و الالهة تعطيانهم و تعطيانهم ، محولتين عطايهما الى شيء رهيب عجيب اسمه النطف وله اسماء اخرى تقرؤها و تسمعها و تعرفها و تحفظها و تصلي لها و بها بكل الرهبة و التقوى و الاخلاص و الصدق و الخشوع كل الاذن و العقول و الضمائر و القلوب و الاخلاق بل و كل الجيوش و المصانع و الحقول و البيوت و المواصل و الحركات كل شيء ، بل و كل الدول بكل طبقاتها و منظماتها و عبقرياتها و ثقافتها .

نعم ، و ظلّتا أي الالهة و الطبيعة تعطيانهم و تعطيانهم هذا الكائن العجيب الرهيب حتى تنازل العطاء بل حتى رفض ان يصبح أو ان يرى نفسه مجدا أو مدحا أو امتيازاً أو خيراً أو تخصيصاً جميلاً أو مشكوراً أو مقبولاً ، بل حتى اصبحت كلمة عطاء تعني كل معاني الهجاء لان النطف العربي ليس الا عطاء ، عطاء الالهة و الطبيعة ؟

ايها الذباب المحظوظ كل هذه الحظوظ ، ما للتفسير او المنطق لهذه العلاقات الخاصة الجيدة جدا بينك وبين اصدقائك العرب ، نفطيين و غير نفطيين ؟ قل لنا ايها الذباب ما السر في هذه العلاقات و لك ان تنتظر منا الان نذيع هذا السر ان كنت ترفض اذاعته لانك تخجل منه او تخافه او تحترمه و تعجب به حتى لتأبى ان يذاع او يعرف . هل يمكن ايها الذباب المجيد الباصق مجده على كل مجد بل المكذب مجده لكل مجد ان تخنار اهلك و قومك بلا اسرار و تفاسير عجيبة ؟

لماذا لم تقسم الطبيعة او الحياة حظوظ الناس من الدموع و الاحزان و الالام و المكابدة ، من القلوب و العقول و الضمائر و العيون و الاخلاق الرائية الغاضبة الراضة

المحتجة المسترطبة المحترقة ، قسمة فيها عدل او مساواة او شهامة ؟ لماذا جاءت الالهة او الطبيعة مجنونة دائما في تقسيمها للحظوظ ؟ من علم الطبيعة او الالهة اخلاقها ومنطقها وشهواتها وضرباتها ؟

لماذا تصب كل شهوتها وقسوتها ، بل كل عبقريتها التعذيبية على قوم ، على عقولهم وضمائرهم ورؤاهم واخلاقهم واشتراطاتهم وعلى جميع تصوراتهم ونماذجهم الانسانية ، لكي تجمع كل محاباتها البلهاء المصابة بكل جنون ونزق السفه ، ملقبة بها اي بمحاباتها في ايدي وجيوب وافواه قوم آخرين ، وتحت اقدامهم وكراسيهم وحضيتهم وفوق مضاجعهم الخاملة النائمة المتثاقبة . . . لتجعل ما يقاسيه الفريق الاول تعنيفا وتعذيبا وهجاء لعيون وذكاء وضمائر ومجد وكبرياء وتاريخ الشموس والنجوم والسحاب ، وتجعل ما يستمتع به الفريق الثاني غناء ورقصا وصلاة وتدليلا لتتقوى ومنطق واخلاق واعصاب وطموح الحشرات ولكل فنونها واشواقها ؟ وهل السحاب او النجوم او الشموس افضل او اتقى عيوننا او قلوبنا او اخلاقا او كبرياء من الحشرات ؟

ايتها الحظوظ الوقحة البلهاء ، من الذين دبروك وفكروا لك وقسموك ؟ باي عقل او قلب او ضمير او شهوة فعلوا ذلك ؟

هل يمكن تصور من يستطيع او يقبل ان يكون هو المقسم الواضع المدبر للعقول والقلوب والضمائر والاخلاق والالام والحظوظ ومواهب الانفجاع والغضب والاشترط والروية ، لتجيء وتكون كما جاءت وكانت ؟

هل يمكن ان يوجد من يقبل ان يكون هو الذي صاغ ذات ومواهب الالهة او الطبيعة ؟

ألا يمكن أن توجد قوانين او مذاهب او قرارات يستطيع تنفيذها ويطلبها بتنفيذها لتبادل العيون والعقول والقلوب والضمائر ، ولتبادل مواهب الرفض والغضب والاستنكار والمقاومة والتحديق والعذاب الانساني الذي يقاسي منه الانسان لانه انسان لا لانه اعضاء ، يقاسي منه بقدر ما هو انسان لا بقدر ما هو اعضاء تعيش فيها وتهاجمها الادواء الجسدية ؟

ان البشر يقاسون باعضائهم فقط كما تقاسي الكائنات الحية الاخرى التي هي دون البشر اي دون الانسان .

اما الانسان الذي هو تخط للبشر وتفوق عليهم والذي جاء ليكون كتمن لوجودهم او كاعتذار وتويض عن وجودهم ، فانه يقاسي مقاساة انسانية ، مقاساة هي اقصى وادوم واشمل وابعد افاقا واعماقا وتفسير من كل مقاساة ، من كل مقاساة الجسم والاعضاء مهما كانت قسوة هذه المقاساة . . . ان مقاساة الجسم لن تكون اكبر من الجسم . اما مقاساة الانسان بمعانيه ومثله وتطلعاته الانسانية فانها اكبر من كل الكون ومن كل ما في ضميره من الهة وتفسير . . .

لماذا لم يصنع البشر في كل تاريخهم وتحت جميع نظمهم وشعاراتهم وظروفهم شيئاً من ذلك ؟

لقد فكروا في كل انواع العدالة والمساواة ، وتحدثوا طويلا وكثيرا عن ذلك وفعلوا اشياء كثيرة من اجله وحققوا الكثير منه . اذن لماذا لم يفعلوا شيئاً من اجل هذا النوع من العدالة والمساواة بل ولم يفكروا فيه او يتحدثوا عنه اعني العدالة والمساواة في العذاب الانساني اي العذاب الذي لا يراه او يقرؤه او يفسره او يفهمه او يضخمه او يقاسيه ، وايضا الذي لا يوقعه ، الا الفكر والقلب والضمير والحب والاشتراط على كل شيء ولكل شيء ؟ نعم ، حتى الحديث عن هذا العذاب لم يوجد من يتحدثه او يفكر فيه للرتاء او للعلاج . . .

هل العدل في تقسيم العمل والتكاليف الاجتماعية المختلفة اعظم او اوجب من العدل في تقسيم احوال وعذاب الفكر والقلب والضمير والرؤية والاخلاق والاشتراط والقراءة للاشياء الاليمية الهائلة التافهة البليدة . . . قراءتها بكل اشواق الانسان وحبه ومثله وطموحه وتعاليمه ؟ وهل توجد قسوة تساوي قسوة هذه القراءة . . . قراءة ما في جميع الاشياء من الام ومهانات وعبت وقفاة وغباء وهموم وتحطيم ونهايات سخيفة حزينة ؟

هل القضية هنا قضية عجز ام بلادة ام قسوة واهمال ونذالة ؟
 ألا يوجد من يستطيع ويريد ان يفعل هذا ؟ الا يوجد هذا الخير النبيل المنقذ الواحد ؟ اليس العدل في عذاب وتعذيب العقول والضمائر والرؤى والاخلاق والطموح والاماني هو اعظم وانبل عدل ؟

نعم ، الا يوجد من يستطيع ويقبل ان يأخذ مني بعض اخلاق عقلي وقلبي وضميري ورؤاي المحرقة المحترقة الفاجعة المفجوعة المقاتلة المتصادمة القارئة المسائلة ابدا ليعطيني شيئاً من رضا وصمت واغضاء واسترخاء وغيوبة ومسألة عقله وقلبه وضميره ورؤيته واخلاقه ومذاهبه واديانه امام كل الذنوب والتفاهات والتشوهات والنذالات والالام والاحزان والاهات والقبائح والفضائح المحاصرة لكل الافساق والتحديقات . . .

ان يأخذ مني شيئاً من اناتي وصرخاتي ويعطيني شيئاً من ابتساماته وضحكاته ؟

أليست عيون اكثر الناس في كل التاريخ والمجتمعات ، وكذا عقولهم وقلوبهم وضمائرهم واخلاقهم وآذانهم ، وايضا اديانهم ومذاهبهم ونماذجهم ومثلهم التعليمية والانسانية تعيش في مصالحة ومسألة بل في معانقة مصافحة مبايعة مصادقة دائمة ، في تلاؤم وتوافق شامل ، مع كل قبح وآلم ونفاة ونذالة وعار وجنون ، بلا اية نبضة او نوبة من نبضات او نوبات الغضب او الرفض او الكره او الانفجاع او من نيات المقاومة واردة التغيير . . . ؟

ليس كل الناس الاقلهم اعضاء واجساما اي حدودا او قيما ذاتية اي جسدية تجوع وتشنهي وتتغذى وتخاف وتبكي وتمارس الجنس بكل الافتضاح والصراخ والنزق .. وليسوا بشرا يعيش في أي منهم أي معنى أو تفسير من معاني الانسان وتفاسيره ؟ هل يقاسي شيء من الاغتراب والندرة والرفض مثلما تقاسي تفاسير الانسان ومعانيه بين البشر وفي تعاملهم مع حياتهم وذواتهم ؟

نعم ، الا يوجد من يريد ويستطيع ان يأخذ من ذاتي ويعطيني من ذاته باسلوب التبادل ونياته ، ولو عاما أو شهرا أو اسبوعا أو يوما أو حتى ساعة واحدة ؟ اريد أن اجرب الصمت والاسترخاء ، صمت واسترخاء الرؤية والفكر والقلب والضمير والمساءلة والاشتراط .. اريد أن اجرب صمت واسترخاء كل معاني وتفسير الانسان في ذاتي ولو بعض الوقت رجاء ان تهون احوال عذاب المواجهة القارئة الرائية المسائلة الحارة الحادة ..

الا يوجد من يتقبل ويستطيع ان يسحب شيئا من حرائق طقسي الفكري والقلبي والنفسي والاخلاقي ليلقي به على طقسه الفكري والقلبي والنفسي والاخلاقي ، ثم يهبني شيئا من برودة وهدوء طقسه اي طقسه الانساني بكل قيمه وتعبيراته لكي يصاب طقسي بشيء من البرودة والهدوء والاسترخاء ليكون محتملا ، ولكي يصاب طقسه بشيء من الحرارة والتوقد .. ليصاب بشيء من الحماس والحركة والرؤية والخفان .. ليكون صيغة من صيغ الحياة الانسانية .. ليصاب طقسي بشيء من الاغفاء المريح المفقود ويصاب طقسه بشيء من اليقظة البصرة المفقودة .. ليصاب طقسي بشيء من البلادة المتعة ويصاب طقسه بشيء من التحديق المتوحش الوقح ؟

ليكون بين الطقسين شيء من علاقات المودة والتفاهم والتلاؤم والجمال والتقبل .
ليعطي كل منهما الاخر بعض ما حرم منه ..
ليأخذ من الاخر شيئا مما اسرف في اعطائه له ..

الا يمكن ان توجد عمليات تبادل ولو جزئيا بين الطقوس الانسانية .. بين الطقوس المحترقة المحرقة اشتعالا وتفجرا والطقوس المتجمدة خمودا وبرودة ؟ هل يوجد اقسى واطح من تفاوت الطقوس الانسانية .. طقوس الضمائر والقلوب والعقول والرؤى والاخلاق ؟ اذن هل يوجد انبل من تبادل هذه الطقوس ؟

الا يوجد من يفعلون ذلك ولو شهامة او رحمة او عدلا او مجاملة او حياء او بحثا عن التجربة الاليمة او مشاركة في تحمل احوال العذاب والمقاساة ؟ ليست المقاساة الانسانية مستوى وقدرا انسانيين بل طموحا انسانيا بل تفوقا انسانيا ؟ هل يوجد اردا أو اخمد أو أهون أو أضيع ممن لا يقاسون كل ألوان المقاساة الانسانية واصعبها، ممن لا يقاسون لعجزهم أو خمولهم أو هوانهم أو هربهم ؟ ثم ليست المشاركة في

العذاب المشروع المحتوم العظيم وتجربته لذة ومجدا وشوقا وتحليقا فوق البلادة والنذالة والقبح ؟

هل يوجد انذل ممن لا يشاركون في العذاب النبيل ، ممن لا يجدون في هذه المشاركة كل النشوة ؟

ليس من انبل واتقى اساليب النبل والتقوى ان تبادل بشيء من طقسك المتجمد من الخمود والخمول والبرودة انسانا اخر بشيء من طقسه المحترق المتوهج المتفجر ، اي ان تستطيع ذلك وتفعله ؟

كيف تستطيع ان تقبل نفسك او ترضى عنها حين يكون طقسك الانساني ثلجا وحولك انسان اخر طقسه الانساني جحيم دون ان تنقل شيئا من ثلجك الى جحيمه وشيئا من جحيمه الى ثلجك وانت تستطيع ان تفعل ذلك ؟

اما اذا كنت عاجزا ان تفعل هذا وانت تريد وترى فعله فكيف يمكن ان يكون عذابك واشمئزازك واستقبالك ؟ انك اني يا صاحب الطقس الانساني الثلجي بين اصحاب الطقوس الانسانية المسكونة المشحونة بالجحيم اما نذل جدا او معذب جدا . ان لا يوجد رحماء كرماء اتقياء شجعان مغامرون فداثيون يتقبلون ويستطيعون هذا التبادل للطقوس الانسانية المختلفة والمتفاوتة في حرارتها وتفجرها وفي برودتها وخمودها اكثر من اختلاف وتفاوت طقوس الطبيعة ؟ الا يوجد هؤلاء الذين يستطيعون ويريدون وينفذون تبادل طقوس العقول والضمائر والقلوب والرؤى والاخلاق بل طقوس جميع المواهب الانسانية ، مواهب التقبل والرفض والرضا والغضب والتوقد والخمود والانفجاع والتلاؤم والاستسلام والمقاومة ومواهب الطموح والاشتراط والمساءلة ؟ هل وجد هؤلاء في التاريخ ، في اي طور من اطواره ؟ كيف لم يوجدوا ان لم يكونوا قد وجدوا ؟

اريد ان اجدهم فهل اجدهم ؟ هل يجيئون ؟ متى يجيئون ؟ هل يوجد تفاوت اليم وظالم ومستنكر مثل التفاوت في هذه الطقوس ، طقوس المواهب الانسانية ؟

انا في انتظار هؤلاء الرحماء الكرماء الاتقياء الشجعان المغامرين الفداثيين القادرين على هذا التبادل والمريدين الفاعلين له . فهل اجدهم ؟ هل اجد احدا منهم ؟ هل الناس مصابون بكل هذا القحط حتى لا اجد واحدا من هؤلاء ؟ اريد ان اجد هذا المبادل الواحد ولا اريد ان يكون قحط الانسان العربي مغلقا دون كل اختراق . .

آه يا اصحاب العقول والقلوب والضمائر والعيون والاذان والاخلاق الخامدة المسترخية الضاحكة الراضية الصامتة عن جميع الرؤى والمحاسبات والمحكومات والمحاورات والاشتراطات والمساءلات والانفعالات الانسانية ، وفي مواجهة كل القبائح والفضائح والنقائص والالام والنشور ، بل الراقصة المغنية الهاتفة لكل ذلك . .

آه يا اصحاب الذوات المغلقة دون كل مواجهة ومحاسبة ومساءلة انسانية
احتجاجية .

آه لو تجربون عذاب العقول والقلوب والضمائر والعيون الرائية المحاسبة المحاكمة
المطالبة المسائلة المشترطة . . لو تجربون عذاب من يرون ويفسرون ويحاسبون
ويحاورون ويشترطون ويقروون باعماقهم لا باصواتهم .
باشترطاتهم ورؤاهم ومواجهاتهم لا بتعاليمهم او مذاهبهم او اديانهم او خطب
زعمائهم وانبيائهم . .

آه يا اصحاب هذه العقول والقلوب والضمائر والرؤى والاخلاق الخامة المسترخية
الراضية الصامته بلا اي غضب او انفجاج او انفجار او توقد انساني . . ما اكثركم
واعنف تعذيبكم وترويعكم لذوي المواهب الاخرى المضادة . . لذوي الطقس الانساني
المضاد ، المضاد بكل القسوة والشمول .

آه لو تجربون العقول والقلوب والضمائر والعيون والاخلاق التي لم تتروها
او ترووها او تتعلموها من اباؤكم او تاريخكم او محاربيكم او تعاليمكم . .
لو تجربون الاذان والتفاسير الاخرى لتسمعوا وتفسروا بها ما تقوله الانسواء
العربية . . افواه النبوات والعبريات والشاعريات والزعامات العربية . . افواه
الالهة العربية والكتب المقدسة العربية . .

لتسمعوا وتفسروا بها ما قالته وانزلته وعلمته الالوهيات العربية . .
آه يا اصحاب المواهب الصامته عن كل شيء وفي مواجهة كل شيء بلا اي اعجاب
او غضب انساني ، بلا إي نبض او خفقان ، بلا اي حب او اسى انساني . .
آه لو تجربون المواهب الاخرى النابضة الخافقة المتفجرة المتنزية النازفة المسا
واحتجاجا ورؤية وقراءة واشترطا ومساءلة . .

آه يا اصحاب الاصوات الناطقة الصارخة والمواهب الصامته الخرساء آه يا
اصحاب المواهب المغلقة دون كل رؤية وقراءة وتفسير واحتجاج ونقد وغضب واشترط
وانفجاج .

آه . انكم لتعذبون وتفجعون وتعاقبون كل تفاسير وشروط الانسان في ذاتي . .
ان صمت كل معاني الانسان فيكم عن اي تعبير انساني ليتحول الى دمامة وبلادة
في وجوه وتفاسير كل الاشياء . . انكم لهجاء لكل تفاسير الحشرات فيكم . . لكل
منطق واخلق الاله المزعوم فيكم . .

**

هل تترثون لمن لا يقرأ أو يسمع الا ما تكتبه وتقوله الاقلام والافواه العربية ،
ولا يحاور او يخاطب او يعامل او يجد او ينتظر الا العقول والاخلاق والمواهب العربية؟
ارثوا له ان لم تستطيعوا ان تفعلوا له غير الرثاء . ان رثاءكم له مجاملة لعذابه
وانفجاجه . اليس الرثاء للمفجوع الروع صدقة اخلاقية ؟ اليس صدقة او هدية قلب
وضمير يتعذبان بالرؤية والتصوير والجوار والمواجهة ؟

هل يمكن ان يعد قلبا او ضميرا قلب او ضمير لا يقاسي بالرؤية والتصوير
والمجاورة والمواجهة ؟ هل يكون انسانا من لا يتصدق باحزانه او رثائه او دموعه
او بأهاته ان لم يستطع ان يفعل غير ذلك ؟ هل يوجد انذل ممن لا يهب حتى ولا
انفعالاته ؟

اذن ارثوا لعربي يرى ويسمع ويقراً ويفسر ويفكر ويحاسب ويشترط ويعامل
ويتعامل بعيون واذان وعقل واخلاق واحاسيس ومقاييس غير عربية بينما يعيش في
عالم كله عربي ، عربي النماذج والصور والتفاسير والاصوات .. عربي النبوات
والزعامات والعبقريات والانتصارات والكبرياء .. عربي الاديان والفنون والالهة ..
ويلي من عالم كل ما فيه عربي حتى الهته ونبواته واديانه وفنونه عربية الصيغة
والولادة والتفاسير والاصالة ..

نعم ، ارثوا له بعذاب وانفجاع وتوهج لا بخمود واسترخاء وبلادة .. اشفقوا
عليه ، رددوا الالهات من اجله فانه لا عذاب مثل عذاب انسان عربي يعيش في داخله
انسان غير عربي ، ويعيش خارجه في عالم كله عربي .. هل عرفتم او رأيتم مثل
هذا الانسان او تصورتهم عذابا مثل عذابه ؟

ان الرفق باي انسان محكوم عليه بان يعيش في عالم كل من فيه وما فيه عربي
لن يكون مستطاعا الا بان يكون الانسان الذي يسكن في ذاته عربيا ، عربيا جدا بكل
تفاسيره الانسانية .

اما الرفق الاخر البديل فلن يكون مستطاعا او متصورا الا بالا يكون عالمه عربيا ،
بالا يكون فيه شيء عربي اي في عالمه ..

أما أن تكون غير عربي الرؤية والضمير والقلب والتفكير والاخلاق والاشتراط
وان تعيش في العالم العربي وخدمودائما دون ان تقاسي كل ألوان العذاب الانساني فذلك
هو المحال السخيف اي الا ان تكون انسانا لثيما ندلا ، اي ممن يستمتعون ويسعدون
ويتغنون بالشماتة بالآخرين ، برؤية ومواجهة عارهم وفضائحهم ونقائصهم المثيرة .
ولكن هل غير العربي يرى العربي رؤية محاسبة ؟

هل يستطيع غير عربي المهوبة ان يقرأ اي عربي قراءة نقد او محاكمة او اشتراط
او انتظار لشيء ؟

اجل ، ان الرفق الاخر البديل هو الا يكون عالمه عربيا او يكون فيه اي شيء
عربي . حتى ارضه وسمواته وطقوسه الطبيعية يجب ألا تكون عربية . بل حتى
الهه يجب الا يكون حينئذ الها عربيا ..

ليس من اقصى اساليب التعذيب والتشويه والترويج ان تعيش او تتعامل اخلاق
أو صفات أو تعاليم أو ذات اله عربي داخل ذات انسان غير عربي أي أن يفرض على
مواهب غير عربية ان تعايش وتعامل من داخلها مواهب اله عربي ؟ وهل تستطيع
اية ذات غير عربية التفاسير ان تعايش من داخلها او خارجها الها عربي التفاسير ؟

حتى حبه اي حب اي انسان يعيش في داخل ذاته انسان غير عربي الرؤية أو العقل أو القلب أو الضمير أو الاخلاق أو الاشتراط والمحاسبة ، حتى حبه يجب الا يكون نجمة اي نجم حبه نجما عربيا ، كذلك يجب الا يكون فلكه أو سماؤه أو مداره أو قوانين جاذبيته عربية ٠٠ !

انظر الى هذا الانسان العربي والى كل عربي كيف ينظر في كل مرآة الى وجهه والى تاريخه والى ابيه والى كل ما حوله ، معجبا مبتسما راضيا مفاخرا مغنيا منشدا بكل الصراخ لمعلقاته واياته ورؤياته عن انتصاراته وعبقرياته وامجاده المائسة لكل مقابر التاريخ وكهوفه ونقوشه ، دون ان يبكي او يهرب او يمرض او يموت انصاعا او غضبا او خجلا أو أن يغض من صوته او يهون من اعجابه بوجهه او بمرآته أو بجمال وعبقرية اطفاله وزوجته وقبيلته وأهله أو بقريته أو خيمته أو منزله أو ساعة يده أو لون ثيابه أو فرسه أو ناقته أو تفوقه على جيرانه وعلى كل العالم ٠٠٠

أو أن يقلل من احاديثه عن امجاد عبوره أو يتوقر في احاديثه هذه .

نعم ، دون ان يفعل شيئا من ذلك استقباحا لكل ما يحاصر كل وجوده واتجاهاته من دمامات ونذالات وبلادات وسفه وسخف وعجز وطغيان وهوان وفضائح وهزائم والام وعاهات وتشوهات بشرية تحولت الى ثوار وسلطين وملوك ورؤساء وانبياء، يحكمون ويتجبرون ويذلون ويتألهون ويسرقون ويسوقون ويقودون الى الهزائم والالام والفضائح والمعامرات المجنونة يفعلون كل ذلك باسم الازل والابد ٠٠ باسم الارض والسماء والحياة والتاريخ والكون والقوانين والمذاهب والاديان والاخلاق والالهة ٠٠ باسم كل ذلك ومن اجله وتمجيده له ودفاعا عنه يفعلون كل القبح والسخف والسفه والبلادة والاكاذيب والعار والذنوب والعداوات ، بكل الجهر ونيات الاعلان ، بل بكل اساليب ولغات الانشاد والتباهي ٠٠ نعم ، ليس من اصالة الانسان العربي ان يتحدث عن اقبح واعظم رذائله باعجاب لا يتحدث بشيء منه احد من ذوي اضخم المزابل عن شيء من مزايه ؟ المباهة بنقائص الذات خلق عربي اصيل ٠٠ ان هذا الانسان العربي يفعل كل ذلك ويبدو كذلك دون ان يتفجر غضبا أو رفضا أو مقاومة أو روعا أو استقباحا أو محاكمة لان الانسان الذي يسكن في ذاته ، في عقله وقلبه وضميره وعينيه وطموحه واشتراطاته وفي ايمانه وتدينه وطاعته هو انسان عربي جدا ٠٠ عربي العين والاذن والعقل والقلب والضمير والاخلاق والاحاسيس والنماذج والخيال والطموح والكبرياء والشروط ٠٠ عربي الاله والانبياء والدين والشعر والفن واللغة والبلاغة والتصويت ٠٠ عربي الكرامة والتهديب والوقار والصدق والاحترام للذات وايضا عربي الثورة ٠ فطيع ان يكون انسان ما عربي الثورة ٠٠ العربي الثائر هل تستطيع قراءته أو تفسيره أو التحديق فيه مهما استطعت ذلك بالعربي غير الثائر؟ هل يجابى شيء أو تجود حظوظ أي شيء فيه مهما استطعت ذلك بالعربي غير الثائر ؟ كل ذلك للقبائح والفضائح والنذالات والشرور والذنوب التي لا يراها أو يقرؤها أو

يعايشها او يفسرها او يتعامل بها الا انسان عربي يعيش في داخله كل معاني الانسان العربي ؟ هل وجد مثل الموهبة العربية الاصلية غافرة لما لا يجوز او يمكن الفجران له ؟ هل تستطيع اية دمامة ان تتبرج مثلما تفعل بلا اي رهبة مواجهة للانسان العربي ؟

ما اذكاك واجملك واصدقك واعظمك وانبلك واتقاك يا اغبي الغباوات واقبـح الدمامات واكذب الاكاذيب واتفه التفاهات وانزل النذالات وافجر الفجور حين يكون الانسان العربي الذي لا يوجد في داخل ذاته الا الانسان العربي هو كل من يراك ويحاورك ويحاسبك ويطلبك ويقرؤك ويفسرك ويشترط عليك ويحاكمك باخلاقه ونماجه وطموحه وخياله وبآبائه وانبيائه واربابه وتاريخه . انه لا يوجد مجامل لجميع ألوان العيوب والنقائص والضعف والهبوط مثل الانسان العربي راثيا قارئاً مفسراً محاكماً معاملاً مشترطاً فاعلاً مؤملاً مطالباً ..

كريمة ونبيلة ومتواضعة انت ايتها الاخلاق والمواهب العربية في محاكمتك ومحاورتك ورؤيتك ومعاملتك لكل شيء ردي وقبيح وبيد . ولكن هل حدث او يمكن ان يحدث مثل هذا الاختراق للقوانين التي لا تخترق اي ان يتخلق انسان غير عربي في ذات انسان عربي ؟ وكيفما كان الجواب فاني اتمنى الا يحدث لك ذلك والا يكون قد حدث ..

ان العرب ليزلون يتحدثون بكل الاصوات عن امجادهم وعظمتهم التي قد كانت اي في زعمهم ورواياتهم عن انفسهم لانفسهم .. نعم ، انهم يظنون يتحدثون دائماً بكل الاصوات والمباهاة عن عظمتهم وامجادهم تلك الروية حتى ليبدو التفسير ان تحدثهم هذا هو الذي شغلهم واغناهم وعوضهم عن أن يصنعوا اي شيء من العظمة أو المجد بايديهم أو عقولهم أو اخلاقتهم ، ان يصنعوه بغير افواههم واصواتهم .. حتى ليبدو التفسير ان اصواتهم وافواههم قد سرقت من ذواتهم كل احتمالات ان تتخلق فيها عضلات او عقول او اخلاق أو أية طاقات اخرى ..

كانهم يرون ان الافواه هي كل الاعضاء والعضلات والعبقريات بل وكل الاخلاق والاديان والجمال والحب والعطاء .

كانهم يرون ان الحديث عن الشيء اعظم من فعل الشيء بل هو فعل للشيء .. ليسوا يرون ان فم الاله اقوى من عضلاته ، بل يرون ان فمه اي فم الاله هو الذي يفعل لا عضلاته ؟ اليس الاله في تدينهم وتصورهم وتعاليمهم فما ، فما فقط لا عضلات ولا اي شيء اخر ؟

ان الاله فم فقط، اذن هل يمكن ان يكونوا هم او أن يقبلوا أن يكونوا اكثر من فم ؟ هل يستطيعون أو يقبلون أن يكونوا أكثر من الاله ؟ هل يقبل أو يغفر تدينهم أو تصورهم أو تهذيبهم ان يكون الاله اكثر او اعظم أو أقوى من فم يصوت على الاشياء ويصوت لها ويصوت بها وتصوت به كل الاشياء ؟

اليس الاله في كل تعاليمهم واعتقاداتهم تصويتا يفعل ويعامل بالتصويت كما يعامل ويعبد بالتصويت ؟ اليس الصلوات والعبادات تصويتا ؟ اليس جميع اوامر الاله ووصاياه ووحيه الى عباده وانبيائه تصويتا ويراد لها وبها ان تتحول الى تصويت لتظل تصويتا ؟ اليس الصيغة الكاملة الدائمة للاله انه فم واذن : فم يصوت واذن تستمتع الى الاصوات الموجهة اليه بكل الشهوة والنشوة ؟

اليس كتابه المنزل على قومه العرب تصويتا بلا شبه ، تصويتا حول كل عربي الى جهاز مصوت في كل اوقاته على كل قضايا ومواقفه ولكل قضايا ومواقفه؟ اليس التصويت بهذا الكتاب قد حول المؤمنين به الى اسواق دائمة من الاصوات والمصوتين بلا مثيل في القبح والبلاهة ؟

لقد أنكروا واستبشعوا - مجتمعين او مختلفين - ان يكون الاله ايديا وأرجلا او اعضاء او طاقة او ذاتا حسية مرئية ملموسة متصورة محددة ، ولكنهم آمنوا بكل الحسم والصرامة بانه فم مصوت مسموع . ان فمه المصوت فيما يؤمنون ويعلمون هو كل علاقاته ومعاملاته مع كل الاشياء وكل الناس وبكل الاشياء وكل الناس . انه اي فمه المصوت هو كل عبقرياته وآياته وتحدياته .

انه فم مصوت يسمعه كل شيء ويصنع كل شيء بصوته اي بفمه المصوت ، وليس اي الاله ذاتا حسية مرئية تخطط وتنفذ وتريد وتعمل بطاقات وقوانين الذات الموجودة المحسوسة المحكومة بقوانين الكينونة واخلاقتها وشروطها وتفاسيرها وبقوانين الفعل او الخلق وضروراته وشروطه . ان الله لا يفعل بقوانين الفعل او بقوانين القدرة الذاتية بل بقوانين الفم اي الصوت .

وكذلك الانسان العربي . فالاله العربي والانسان العربي لا يتفاوتان في مواهبهما الذاتية مهما تفاوتتا في مكانتهما الاجتماعية .

اذن ايهما المعلم للاخر : الاله هو الذي علم الانسان العربي بان يكون فما مصوتا فقط ام الانسان العربي هو الذي علم الاله بان يكون كذلك ؟

ايهما الذي علم او صاغ او قلد او رأى الاخر واراده كذلك ؟ ايهما خلق الاخر على صيغته : الاله خلق الانسان العربي على صيغته ام الانسان العربي خلق الاله على صيغة الانسان العربي ؟ الا يكون التفسير ان الاله صاغ نفسه على صيغة الانسان العربي او ان الانسان العربي درب وروض نفسه ليكون صيغة لاله ؟ اليس العلاقات بين الاله العربي والانسان العربي توجب ان يصوغ كل منهما نفسه وادلاقه ليكون على نموذج الاخر ؟ اذن اليس الاله العربي والانسان العربي كلاهما ظالما ومظلوما لان كليهما قد صاغ الاخر على نمودجه ؟

نعم ، كأن افواههم اي افواه العرب قد سحبت من عضلاتهم وعضائهم وعقولهم وعيونهم واخلاقتهم بل وقد يقال : ومن تاريخهم ومستقبلهم كل احتمالات القدرة والهمة والرؤية والحما، والوظيفة . .

كان افواههم قد تحولت الى اقوى اجهزة امتصاص لامتصاص كل طاقات
 واشواق وتفاسير وطموح الانسان فيهم . . .
 كانوا لم تترك لهم شيئاً يطمحون او يشناقون اليه او يغارون عليه او يسألون
 عنه او يلتزمون به او يفعلونه . كانوا قد فرغتهم من كل معانيهم . . .
 كانوا اي افواههم شروخ او جروح رهيبة تنزف وتتساقط منها كل قيمهم وقدراتهم
 واشواقهم وامالهم . . . كانوا كل حظوظهم من الانسان . ليس فم الانسان هو اقوى
 واشمل اجهزة الاستنزاف والنزيف الكونية لطاقات الانسان ومعانيه ؟

كان الطبيعة او الالهة قد غلظت اشنع واقتل غلظة اذ قد جمعت ووضعت كل
 حظوظ الانسان العربي من معاني الانسان ومواهبه وحقوقه واشواقه في لسانه بينما
 كانت اي الطبيعة او الالهة تحسب انها تجمع ثم تقسم كل عبقرياتها على عبقرياته ،
 على اجهزة واعضاء عبقرياته ، بل بينما كانت تريد ان تفعل ذلك اي للانسان العربي . . .
 هل يمكن الا تخطيء الالهة والطبيعة ؟ بل ليست كل الاخطاء التي كانت والتي
 سوف تكون هي اخطاء الالهة والطبيعة ؟ واذا اخطات فهل يمكن ان تضع اخطاءها
 في غير ذات الانسان العربي ؟

ليس محتوما ان تخطيء حين تتعامل مع الانسان العربي ، ان تخطيء رهبة
 واستحياء وشعورا بالعجز والضالة ؟

نعم ، لعل الطبيعة او الالهة او هما معا اردتا ان تحابيا الانسان العربي وان
 تهياه كل عبقرياتهما وطاقاتهما مقسمة على كل معانيه واحتياجاته وقضايا حياته
 ليكون عبقريا ومتفوقا في كل شيء ، بل ليكون سارقا من كل الاخرين جميع
 حقوقهم وحظوظهم من العبقرية والتمتق ، فاخاطات اي الطبيعة والالهة فبداتا بصنع
 لسانه فاستهلك صنعهما للسانه كل اشواقهما وحماسهما وقدراتهما فاصيبتا بالارهاق
 والملل وحسبتا انهما قد صبتا في ذاته كل عبقرياتهما فاصبح عبقريا في كل شيء بل
 مالكا لكل العبقريات التي تطالب العدالة والمنطق بان تقسم على كل الشعوب ، وحينئذ
 هربت العبقريات الحضارية والفكرية والاخلاقية والنفسية والفنية والانسانية التي
 اردت الطبيعة والالهة ان تجمعها في الانسان العربي وتخصاه بها ، هربت مقسمة
 على جميع الشعوب الاخرى . نعم ، لعل الطبيعة والالهة بداتا ، بصنع لسان الانسان
 العربي وحين فرغنا من صنعه انطلق يصوت اي يتكلم ويفكر ويبدع في زعمه ، وحين
 سمعته اصابهما الروح . وحينئذ قررتا الا تخلقنا فيه اية موهبة اخرى خيفة ان تجيء
 كما جاء لسانه . . .

اذن هل من المحتمل او المنتظر او الجيد ان تعالجا اي الالهة والطبيعة خطاهما هذا
 وتكفرا وتتراجعا عنه وتعودا لتصنعا الانسان العربي كما اردتا صنعه وتعيدا اليه
 تجميع جميع العبقريات فيه وله ، جميع العبقريات التي هربت منه الى الاخرين ؟

هل نؤمل ان تفعل الطبيعة والالهة ذلك ؟ وهل تستطيعان فعله ؟ وهل من الخير للعرب او للعالم ان تستطيعا فعله وان تفعلاه ؟

هل تستطيعان ان تستكتا او تصبرا على خطئهما الرهيب هذا ؟ ولكن هل من اخلاق الطبيعة او الالهة التراجع عن اي خطأ او خلق من اخطائها او اخلاقها ؟

نعم ، لنظل نعلن بالتركرار الدائم الفاجع ان الطبيعة والالهة قد شغلنا بصنع لسان الانسان العربي فهربت جميع المزايا الاخرى الى الاخرين قبل ان تفرغا من صنع وتركيب لسانه لكي تصنعا وتركبا فيه شيئا من تلك المزايا الهاربة ، الهاربة باسلوب يشبه التدبير المتآمر الفرح بهذا الهرب ، المريد له . . . ونعلن ايضا بالتركرار الدائم عن الاحتمال الاخر وهو ان الالهة والطبيعة قد فجعتا حينما سمعتا الانسان العربي يتكلم اي يصوت فكفتا عن ان تخلقا فيه غير لسانه وكان لسانه اول ما خلقنا فيه . . .

ولكن هل نظل نعلن ذلك باسلوب ونيات البكاء ام باسلوب ونيات الشكوى المطالبة بالتراجع والتصحيح المنتظرة للتراجع والتصحيح ؟

اجل ، هل في اي شيء مما ينكر ويؤذي ويرفض ويباع ويحقر ويعذب ويسيء ويدمر ما ليس احد نتائج وعطايا غلطات الالهة او الطبيعة او هما معا ؟ هل يمكن ان توجد اية سخافة او دمامة او نذالة او وقاحة لولا غلطات الالهة والطبيعة ؟ اذن هل يوجد مذهب غير الاله والطبيعة ؟

ايتها النمال الضخمة ، ننصرع اليك ، الى مجدك وقوتك ، الى عضلاتك الادبية والجسدية . . . هبي قادة العروبة وانبياءها وزعماءها وحكماءها وشعراءها وفلاسفتها وكتابها واحرارها . . .

هبيهم شيئا من اخلاقك او ذكائك او حيائك او كبريائك او انتصاراتك ، او من صدقك ونظافتك ووقارك واتزانك ، او من عفتك وشموخ هامتك وقامتك وتحدياتك القارئة المفسرة المحاسبة المتعالية . . .

هبيهم شيئا من شاعريتك وفنونك وادابك ومنطقتك وتهذيبك وطهارة نياتك وضميرك ولغتك وتصويتك وصلواتك وايمانك وانتماؤك المذهبية والدينية والقومية والثورية ، ومن صمتك الوقور الذكي الحبي . . . هبيهم اي قدر من التقوى الدينية او الذهبية او التاريخية . . . ان هذه التقوى هي كل مزيتهم ودعواهم . . . فهل يعيشون منها شيئا ؟

اعيرهم ايتها النمال شيئا من بدانتك الفكرية والنفسية والاخلاقية والذاتية . . . اشفقي على نحافتهم الانسانية . . . على نحافة عقولهم وقلوبهم وضمائرهم واخلاقهم . . . على ضمور مواهبهم . . . على صمت الابداع والحضارة فيهم . . . علميهم كيف تكبر معانيهم وتفاسيرهم وكيف يصغر او يتصاغر زئيرهم . . . كيف يعلون ويجهرون افعالا ويخفتون ويتواضعون اصواتنا . . .

كيف تضيق وتهمس افواههم ، وكيف تتسع وتصرخ مواهبهم ..
علميهم وكوني بهم رحيمة ..

افترئي ايتها النمال بدانتك المعنوية والعضلية على نحافة العرب المعنوية والعضلية
لكي تتحولي الى اشفاق عليهم ورتاء لهم والى معلمة لعضلاتهم ومواهبهم الانسانية
ليكون فيهم شيء من ضخامتك العضلية والادبية ..

حدقي ايتها النمال في انتصاراتك القتالية لكي تشفقي على هزائم العرب
العسكرية ...

حدقي في مواجهاتهم لاحدى وحداتك اي للنملة اسرائيل واحاديثهم عنها وخوفهم
منها واستعداداتهم لها ، ثم انظري هل تستطيعين الا تذهبي تحاولين بكل الكبرياء
والاعجاب بالنفس ان تعلميهم شيئا من فنون القتال والقدرة على الانتصار وعلى
العظمة والشموخ حين مواجهة النمال .

نعم ، ثم انظري هل تستطيعين مهما كانت قسوتك وجلافتك الا تكوني بهم رحيمة
أو الا تتحولي الى معلمة لعضلاتهم ولواهبهم وطاقاتهم ومعانيهم الانسانية ..
الى معلمة راثية لكبريائهم الانسانية .. هل قرأت او فسرت يوما ما مواجهة من
مواجهاتهم لاحدى وحداتك اي لاسرائيل ؟ ..

ايتها النمال والبراغيث والصفادع والعصافير .. اخبري ابناء العروبة ان اجمل
واقوى وانظف واكرم الحشرات ليست اعلاها أو اقبحها أو قبحها أصواتا ، وان اعلى
الاصوات واقواها واذكاها واقدرها على الانتصار هي التي تطلقها العضلات والعقول
والاخلاق وليست التي تطلقها الافواه .. هي التي تفعل وتكون وترى وليست التي
تسمع ..

اخبريهم ان اللغات ليست اصواتا او كلاما او حماسا او بلاغة او كبرا . ولكنها
اي اللغات منطق وفكر وشعر وابداع وتهذيب ورؤية ووقار بل وصمت .
اخبريهم ان اللغة صمت ، صمت وانها لا تتحول الى نطق الا حينما تصبح فكرا
وشعرا وابداعا وحبا وحضارة واخلاقا .. اخبريهم انه لا شيء يعلم للصمت ويحتاج
الى الصمت ويطلب بالصمت مثل اللغة ..

اخبريهم ان الانسان قد اخترع اللغة ليفكر ويبدع ويحب ويرى ويقول الشعر
والفنون لا ليتكلم ، لا ليكون كائنا لغويا صوتيا ، اي عربيا .
لا ليكون نبيا أو زعيما أو معلما أو شاعرا عربيا كل مجده وطموحه وتاريخه مجد
وطموح وتاريخ لغة ..

لا لتكون كل مواهبه وابداعه واشواقه وانتصاراته وايمانه وتقواه ومذاهبه
وثوراته لغة ، لغة عربية . اخبريهم انها لم توجد لغة لتكون بديلا واغناء عن كل مجد
وعظمة وموهبة غير اللغة العربية ..

قولي لهم لقد ابنكر الانسان اللغة ليصمت ، ليصمت لغة وينطق حياة وفعلا وتفكيراً وتحديقا وتطلعا واحساسا لا ليكون لغة فقط كما كان الانسان العربي وكما يريد ان يكون وكما يفخر انه قد كان . .

قولي لهم ان الانسان ليس كائننا لغويا ولكنه كائن عاقل مفكر راء مفسر متامل صامت . انه لا يتكلم حين يتكلم ولكنه يفكر ويفعل ويحيا ويحب ويصادق . . علميهم ان الشجاع القوي القلب والفكر واليد والقدرة والابداع لا بد أن يكون جبان الصوت متواضعه ضعيفه حبيبه .

اجل ، ايتها النمال والبراعيث والضفادع والعصافير ، علمي وهبي انبياء العربيه وزعماءها وحكماءها وشعراءها وفرسانها وعباقرتها واحرارها وكتابها اشياء كثيرة من ضخامتك المضلية والادبية . . علميهم كيف يواجهون اسرائيل النملة وكيف يقرؤونها ويفسرونها ويرونها ويتحدثون عنها وينشدون قصائدهم ضدها وكيف يشتمونها ويحرقونها ويفسرون انتصاراتهم عليها أن لم يكن بد من ان يفعلوا ذلك . علميهم ايتها النمال كيف يتعاملون مع هذه النملة ، مع اسرائيل ، كيف ينظرون الى وجوههم في مراتها .

**

ويلتاه لامة لا بدان يكون او يبدو صادقا وعبقريا ومصيبا كل من ظن بها أردأ واقسى الظنون ، وكل من فسرها ويفسرها اقبح التفاسير واكثرها تشاؤما ، كما لا بد ان يكون مخطئا وكانبا وبليدا كل من فسرها او يفسرها تفاسير جيدة او جميلة او متفائلة . .

لامة لا بد ان تتحول الى تكذيب لكل المعجبين بها ، المنتظرين منها ولها ، والى تصديق لكل الساخرين بها المنكرين لمزاياها .

لامة لا بد ان يصبح انبياؤها واعدائها المتشائمون لها ومنها جدا هم اصدق واذكي الانبياء والاعداء واخدهم نبوات ، ويصبح انبياؤها واصدقائها المتفائلون لها وبها هم الكذب وابلد الانبياء والاصدقاء وأعماهم عيوننا . .

هل تصدق هذا ؟ هل تصدق انه لكي تكون نبيا صادق النبوة ابداء ، او اذا اردت ان تكون هذا النبي الصادق النبوة ابداء ، فان عليك لكي تكونه ان تكون متشائما بالموهبة والتفكير والاحساس والارادة والحياة والظروف والشهوة ثم أن تحول كل تشاؤمك هذا ، كل اوقاتك بكل طاقاتك الى احاديث عن العرب والى تفاسير لهم والى نبوات عنهم دون أن تتحدث عن احد سواهم او تفسره او تنتبأ له او عنه . . ان تكون مريضا جدا بالتشاؤم ، ثم تتحدث دائما بكل مرضك عن العرب وحدهم ؟

هل تصدق انك بقدر ما تكون مريضا بالتشاؤم في رؤيتك للانسان العربي تكون نبيا ؟

هل تصدق ان الانسان العربي هو اعظم محابة للمرضى بالتشاؤم وللمرضى بالقسوة في تفاسيرهم للناس وللأشياء ، كما انه اي الانسان العربي هو اقوى ثناء

على هؤلاء المرضى ؟ هل حول شيء المرض بالتشاؤم الى اذكى واصدق الفنون مثلما حولته الى ذلك، قراءة ورؤية ومحاسبة مواهب وطاقات الانسان العربي في كل عصوره ؟ نعم ، انك لتستطيع بسهولة ان تصبح نبيا لا تخطيء اية نبوة من نبواته وذلك بان تذهب تقراً وتفسر الانسان العربي في كل اجياله وسمواته قراءة وتفسير قاسية وشاملة في تشاؤمها ويأسها بلا اي تفاؤل او تأميل .
فهل تحب ان تصبح هذا النبي السهل الرخيص المعصوم ؟

ما اكرمكم وانبلكم ايها العرب .. انكم لتحولون الناس الصغار جدا الى انبياء لا تكذب نبواتهم بالكرم والنبل واليسر الذي تصدقون به الانبياء الكاذبين الذين لا تصدق اية نبوة من نبواتهم بالكرم والنبل واليسر والافتناع الذي به تتعلمون النبوات والعبيريات والعلوم وقراءة وكتابة وتفسير كل الاشياء من الانبياء الاميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون والذين يفاخرون بانهم لا يقرؤون ولا يكتبون ..
كل الرثاء لامة كل من فيها متفائلون او انبياء يعلمون التفاؤل لان كل من فيها كاذبون او بلا ذكاء او رؤية او طموح او نماذج او شروط على اي شيء يفعلونه او يريدونه او يواجهونه او يتصورونه او يتمنونه ..

كل من فيها متفائلون او انبياء تفاؤل لان كل ما فيها يفرض ويعلم التشاؤم ..
لانه ليس فيها شيء واحد لا يسخر من كل من يتفاعل او لا يقول لكل من يفكر في ان يكون متفائلا او معلما للتفاؤل : انظر الي واقراني وفسرني او لا قبل ان تفعل اي لثلا تفعل بل وحينئذ لن تفعل ، حتما لن تفعل !! ..

هل يمكن ان تتفاعل وانت عربي وتعيش في العالم العربي مالم تكن حشرة عمياء، حشرة امية ؟

لامة ليس فيها متشائم او غاضب واحد أي تشاؤما أو غضبا انسانيا مع انه ليس فيها شيء او احد لا يصنع كل الغضب وكل التشاؤم بكل تفاسيرهما ونماذجهما وصيغهما الانسانية والبرغوثية .

لامة ليس فيها ولم يكن فيها قط انسان واحد استطاع او اشتهى او اراد او فكر ان يغضب غضبا عقليا او اخلاقيا .. ليس فيها ولم يكن فيها هذا الغاضب الواحد لان كل من فيها وما فيها يصنع هذا الغضب لكل العقول والعيون والاخلاق التي لم تلدها وتعلمها وتروضها هذه الامة .

نعم ، ليس في هذه الامة ولم يكن فيها قط احد يغضب هذا الغضب لان كل ما فيها يصنع هذا الغضب .

ليس فيها من يتن أو يحزن أو يتعذب بفكره أو ضميره أو مثله أو اخلاقه ، مهما تحول كل من فيها وما فيها بكل تفاسيره التي اقصى مشاعر الحزن أو العذاب أو الشماتة أو الاشمزاز أو الرثاء أو الفرح أو الغضب لافكار وضمائر ومثل واخلاق وعيون كل من يواجهونها أو يقرؤونها أو يفسرونها أو يعاملونها أو يحاسبونها

بأي منطق أو نموذج أو اشتراط أو ينتظرون منها ولها ، من اصدقائها واعدائها ومن ليسوا لها باصدقاء أو اعداء .

لامة كل احزانها ومسراتها وحبها وبغضائها ورضاها وغضبها والامها ولذاتها وهزائمها وانتصاراتها وفواجعها . . برغوثية لا انسانية اي جسدية لا ادبية .

لامة لم يتعامل اي تفسير من تفاسير الانسان فيها مع اي موقف من مواقفها او مع اية مواجهة من مواجهاتها او مع اية نية من نياتها . . لامة لا شبيه لها في تنازلها عن ان تفسر نفسها او تفسر غيرها تفاسير انسانية او ان تطالب نفسها او تطالب غيرها باي التزام لاي شيء من هذه التفاسير الانسانية . . لامة ليست لها اية حدود او شروط او اشواق او هموم انسانية . . ان كل همومها واشواقها وشروطها وحدودها ذاتية . .

ليست لها اية مطالب او تمنيات انسانية . . ان كل مطالبها وتمنياتها مطالب وتمنيات عدد افرازية .

انها لا ترى او تقرأ او تفكر او تفسر او تحاسب او تحاكم أو تقبل أو ترفض أو تعجب أو تحب أو تفهم بعيونها أو عقلها أو ضميرها أو قلبها أو اخلاقها بل بجلدها ووثابها ويديها وبيتها وابنائها وقبائلها . . انها لترى وتفكر بيديها وجلدها ووثابها وقبيلتها أكثر مما تفعل ذلك بعيونها وعقلها وضميرها . .

حتى صلواتها وتدينها وايمانها ، انها لا تؤمن او تتدين او تصلي برؤيتها أو بقلبها أو بضميرها أو بأشواقها أو بنقواها أو بشاعريتها أو بتحديثها الى الاعالي ، بل بحركاتها وجياها وركبها واصواتها وهبوطها . ان صلواتها وايمانها وتدينها اصوات وحركات لا صلوات ولا ايمان ولا تقوى ولا محبة للالمة . .

نعم ، انها لا تصلي او تؤمن لانها حب او حنين أو ضمير أو رثاء أو غناء أو احزان أو دموع أو تحوييمات وتحليلقات انسانية بل لانها اجساد متحركة واصوات مستفرغة . انه ليس في داخلها انسان يصلي ويؤمن ولكن في وجهها جبهة تسجد وتسقط . . انه ليس في تعبدها او حبها اي معنى او تفسير من معاني او تفاسير التعبد او الحب . .

انه ليس فيها من يريد او يستطيع ان يحبك او يحترمك او يقف معك او حتى يقرأك او يذكرك او يتذكرك او يصفحك او يراك لانك قيمة حضارية او اخلاقية او فكرية او فنية او مذهبية ، كما انه ليس فيها من يستطيع او يريد ان يرفضك او يحزن لك لانك قيمة مضافة لكل هذه القيم الانسانية ولكل القيم الاخرى . . ليس فيها من يراك قيمة انسانية او ضد كل قيمة . . كل من فيها يراك شيئاً لا انساناً ، شيئاً يحتاج اليه كشيء او لا يحتاج اليه ، وهكذا يريدك . . امة كل من فيها انما يحسبك ويحاسبك ويقيسك بموازينه وابعاده وحدوده البرغوثية اذ ليس فيها من

له اية موازين أو ابعاد أو حدود انسانية اي ادبية من اي نوع ، او من يطالب بهذه الابعاد والحدود والموازن او الاوزان او يشترطها او يفترضها ٠٠

ليس فيها من يريد او يستطيع ان يفسرك او يحدق فيك باحثا عن اي معنى انساني ٠ ان كل من فيها لا يريد او ينوي الا أن يلمسك ويحسك ويقبضك ويزنك كما يفعل باية سلعة من سلعه الخاصة التي لا يطلب او يفترض او يشترط فيها اي معنى غير معنى السلعة ، السلعة التي لا يبحث او ينتظر فيها اي قدر من شـرف الانسان او كبريائه او ذكائه او اخلاقه او ضميره او قلبه او فكره او رفضه او غضبه او نظافته او شجاعته ٠

انهم جميعا لا يريدونك او يرونك او يفترضونك الا شيئا ذا حجم ووزن يسقط في ايديهم وموازنهم ، ولا يريدونك ان تكون او ان يروك انسانا ذا قيمة او صيغة تقهر او تبهر او تعجب عيونهم او عقولهم او اخلاقهم أو مثلهم المكتوبة المروية ٠٠ يريدونك شيئا يستجيب لشهواتهم لا انسانا يتحدى ويحاور عقولهم وضمايرهم وأخلاقهم ٠٠

انهم لا يستطيعون او يريدون ان يقرأوك او يفسروك او يفهموك او يعاملوك او يجدوك الا كذلك ٠ انهم لن يقوموك او يقدروك او يزنوك باية قيمة انسانية الا بقدر ما يفعلون ذلك مع ثيابهم وكراسيهم وسررهم ٠٠

انهم لا يبحثون فيك عن الانسان ان كان فيك اي انسان او اي قدر من الانسان ٠٠ ان كل بحثهم فيك عن الشيء ان كان فيك اي شيء او اي احتمال لاي شيء ٠ لهذا فانهم لا يفسرون او يحاسبون اي انسان بمقادير معاني الانسان فيه بل بمقادير معاني الشيء او احجام واوزان الشيء فيه اي الشيء الموضوع في حسابهم ٠٠

انهم لن يبحثوا فيك عن التفاسير الانسانية او يتقبلوها او ينتظروها منك أو يعاملوك او يحاسبوك بها الا بقدر ما يفعلون ذلك مع نياقهم واغنامهم ٠

انهم يريدونك شيئا يعيشونه ويعيشون به وفيه ومعه ولا يريدونك انسانا يحدق فيهم ويقرؤهم وينقدهم ويطالبهم ويحاكمهم ويشترط عليهم ويفسرهم بالتفاسير والنماذج الانسانية الصعبة ٠ انه مهما كانت صورك ولغاتك وملابسك واعضاؤك ظاهرة انسانية فانهم لا يقبلون منك الا ان تكون شيئا في جميع معانيك وتفاسيرك ٠

انهم ليعفونك من ان تفسر باي تفسير من تفاسير الانسان ، بل انهم ليقاوموك لئلا يكون فيك اي قدر من تفاسير الانسان ، بقدر ما يفرضون عليك الا تفسرهم او تحاسبهم باي تفسير من هذه التفاسير الانسانية ٠٠ وانا هنا افترض انهم يفهمون ان للانسان تفاسير انسانية غير تفاسيره الجسدية وافترض انهم يفهمون هذه التفاسير الانسانية ٠٠

انهم ليهابون ويأبون ان يفسروا احدا او أن يفسرهم احد أية تفاسير انسانية .
انهم ليرون في هذه التفاسير ، مفسرين او مفسرين بها ، اقسى اساليب التعذيب
والتعجيز ، والفضح لهم ...

انهم ليرفضون ويرهبون وجود الانسان في داخلهم بقدر ما يرفضون ويرهبون
وجوده في داخل من يرونهم او يفسرونهم او يعاملونهم او يواجهونهم او ينتظرون
منهم - اي الانسان الرائي الناقد المحاكم المحاسب المفكر المقاوم الصادق المشترط
لنفسه وعليها ولغيره وعلى غيره ..

ولكن هل يمكن ان يخافوا وجود مثل هذا الانسان اي الرائي الناقد المحاكم
المحاسب المفكر المشترط الصادق ؟ هل يتصورون وجوده ؟

هل جربوا وجوده لكي يخشوا وجوده او يتصوروا وجوده ؟
انهم لا يستطيعون ان يتصوروا معاشة او مواجهة مثل هذا الانسان بل ولا
حتى افتراض وجوده ، لا مستوطنا ذواتهم ولا مستوطنا اية ذوات حولهم ، تراهم
وتحاسبهم وتتعامل معهم .

انهم لا يستطيعون ان يتصوروا وجود مثل هذا الانسان الا بقدر ما يستطيعون
معاشته ومساكنته والالتزام به وبمعانيه ، يعونها ويعيشونها ويفرضونها على من
يعاشون ويعاملون ، ويفترضونها فيهم ..

اجل ، انهم لن يستطيعوا ان يتقبلوك او يتحملوك او يتلاءموا معك او ان
تسد نظراتك اليهم ما لم تكن مفرغا من كل معاني الانسان وتفاسيره بقدر ما هم
مفرغون من كل ذلك ..

**

اجل ، كل الرثاء لامة لا يوجد ولم يوجد فيها من قاسي او يقاسي بفكره او
ضميره او اخلاقه او مثله الانسانية او الحضارية او حتى الدينية او القومية او
الوطنية ، من اية دمامة او بلادة او نذالة أو هوان أو سفه أو سخف أو عار أو
انهيار . بل ليس فيها من استطاع او يستطيع رؤية شيء من ذلك او قراءته او
التفكير فيه مهما سد عليه كل طرقه وآفاقه واصبح كل وجوده ومعاشاته . هل يوجد من
يستحقون كل الرثاء مثل من لا تقاسي عقولهم او ضمائرهم او رؤاهم او اخلاقهم او
مثلهم اي انفجاع مهما واجهوا وعاشوا وهبطوا وفعلوا او فعل بهم ؟

ان جميع صيحات الغضب والاستنكار والوعظ التي يطلقها كل من في هذه الامة
باسم القيم الدينية او الفكرية او الذهبية او الاخلاقية ليست سوى صيحات لفظية
صوتية ، ليس فيها اي تفسير من تفاسير الفكر او القلب أو الضمير أو الصدق
أو العمق أو التقوى أو الارادة أو التصميم ..

لهذا لا يوجد ولم يوجد في هذه الامة من يرى او يفسر او يحاسب اي شيء
يفعله او يريد او يواجه ويجده ويعامله الا بالرؤية والمنطق والاخلاق والانفعالات

التي يرى او يفسر او يحاسب بها المصرصار او البرغوث الكون والناس وحياته واخلاقه وظروفه ..

لهذا ايضا فان تفاعل وتشاؤم كل آحاد وجماعات هذه الامة هما تشاؤم وتفاعل اجساد وغدد وخلايا وتصويت ووعظ وحكاية وليسا تفاعل او تشاؤم فكر او رؤية او ضمير او اخلاق او جمال او دمامة او خير او شر او مجد أو تفاهة او انتصار أو هزيمة . ليسا تشاؤم او تفاعل انسان . لهذا ليس في هذه الامة اي متشائم او متفائل بالتفاسير الانسانية للتشاؤم والتفاعل لانهما اي التشاؤم والتفاعل رؤية وحساب وتفكير ورصد بكل الاحاطة والجرأة والصدق والعمق ..

وهل في هذه الامة من يستطيعون ذلك او حتى يريدونه او يعرفونه ؟
ان التشاؤم والتفاعل اي بتفاسيرهما الانسانية والحضارية والعلمية ليسا الا تحليقا وتحديقا وطوفانا وانتشارا وغوصا بكل الفكر والتطلع والرغبة والحماس والبسالة في احشاء وخلايا وضماير ونبضات كل الاحداث والاشياء والذات الماضية والحاضرة والآتية . انهما اذن اي التشاؤم والتفاعل لا بعد واعلى من ان تصعد او تصل اليهما خطوات واجنحة كل ما في هذه الامة من خيول ونياق اصيلة في مواهبها العربية .

نعم ، امة كل اصوات كل من فيها لن تكون الا اصواتا لفظية جسدية نحاسية .. لن تكون فيها اية اصوات منطقية او فكرية او فنية او جمالية أو اخلاقية أو حتى كلامية او وعظمية او غنائية او عصفورية . لن تكون فيها اية اصوات انسانية اي مفسرة باي قدر او مستوى من اخلاقية او منطقية او شاعرية او غنائية الاصوات الانسانية ..

ان كل اصواتها لن تكون الا كأصوات التصادم بين اجساد الاشياء .. ولكن الفرق لا بد ان يكون كبيرا ومذلا مخجلا بين اصوات التصادم ، تصادم اجساد الاشياء واصوات انبياء وزعماء وقادة وشعراء وعباقرة وجماهير امتي العربية . ان اية اصوات لن تستطيع ان تهبط لكي تستطيع ان تكون ندا لاصوات عظماء امتي العربية او مثلها او شبيهة بها او قريبة منها ..

ان الحقد والتقيح والغباء والفحش والسفاهة التي لا بد ان تكون بكل السخاء والوفرة في اصوات انبياء وزعماء وقادة وشعراء وعباقرة امتي العربية ، في نبواتهم وشاعرياتهم وزعاماتهم وقياداتهم وعبقرياتهم ، لن يكون منها شيء في اصوات التصادم بين اجساد الاشياء . ليست اذن اصوات التصادم بين اجساد الاشياء متفوقة جدا بكل تفاسير التفوق على اصوات عباقرة وانبياء وعظماء امتي العربية ؟ اذن هل يستطيع كل ما في مشاعر واخلاق كل الاشياء من رثاء ان يصبح رثاء كافيا لامة تصيح كل اصوات التصادم بين كل الاشياء الجسدية اتقى واذكي واكثر تهذيبا وشاعرية وغنائية من كل اصوات كل نبواتها وزعاماتها وقياداتها وشاعرياتها

وعبقرياتها وكل اللوان فلسفاتهما، ومن كل اصوات كل كتبها المنزلة وصلواتها المتبذلة،
ومن كل اصوات كل آياتها وسورها المصابة بكل عاهات وتشوهات البلاغة الصوتية
العربية ؟

يا كل احتمالات الضمائر والقلوب والاخلاق والاحزان والانفجاع المختزنة
في طاقات ومواهب جميع الاشياء ، تحولي الى رثاء لكي تهيبه لامتي العربية التي لا
تستطيع اصوات نبواتها وزعاماتها وعبقرياتها واصوات آياتها وسورها في كتبها
المنزلة وصلواتها المتضرعة لالهتها المتوحشة ان ترتفع في ذكائها أو تقواها أو
وقارها أو تهذيبها أو في تقاسيرها الفنية أو الاخلاقية الى اصوات الطبول أو
الرعود أو الحجارة أو الى اصوات الكائنات الصالحة أو الهادرة أو الزائرة أو النابجة
أو الناعبة أو الناعقة ، مع ان اصوات الهة وعظماء امتي العربية هؤلاء هي كل
كلامهم وتفكيرهم وعبقرياتهم التاريخية والحضارية والانسانية والدينيية
والبلاغية بل والعسكرية ..

يا كل طاقات الرثاء في مواهب وعواطف كل الاشياء تحولي الى اشمل واعمق
رثاء لامتي العربية التي لم تستطع ولا تستطيع ان تعرف الفرق او تصنع الفرق
بين التصويت والتفكير ، بين التصويت والشعر .. ان تعرف ان اللغة شعر وفكر لا
تصويت ، او ان تريد أو تستطيع أو تعرف ان تجعلها كذلك ، أو أن تعرف ان
التصويت ليس حضارة أو قوة أو مجدا أو انتصارا أو تقوى دينية أو مذهبية أو
انسانية أو صعودا الى القمر ، وانه اي التصويت لن يصبح كذلك أو شيئا منه ،
مهما كان اي التصويت هو كل عبقریات النبوات والزعامات والقيادات والشاعريات
والديانات العربية .

اجل ، لامتي العربية التي لم تعرف ولا تريد أو تستطيع أو تنوي أو تتمنى ان
تعرف ان مجد الحديث عن الصعود الى القمر اقل من مجد الصعود اليه ، أو أن الحديث
عن هذا الصعود ليس صعودا ، او انه لا يجوز ادعاء الصعود بلا صعود ..

الفرس

صفحة

٥ الشمس بصمت ٠٠ أم القمر بصراخ
٧ حين وصل وفد من السماء الى القاهرة
٣٦ تعليم غير الموهوبين ٠٠ اضخم عملية تزوير
٧٤ انت مبصوق في راسك ولست مؤمنا
١٣٥ كن سهيلا بلا جواد ٠٠ لا جوادا بلا سهيل
٢٦٥ العلاقة بين فم النبي وآذان السوق
٢٨١ يوم يحاكم العرب البشر امام الاله
٣٠٩ اسمعوا ٠٠ كل الناس رعايا لنا
٣١٩ لماذا يلد الانسان الانبياء والقادة
٣٤٣ لماذا الاذن قبل العقل في بلاغة القرآن
٣٨٢ حينما تلد كل يوم نبيا
٣٩٥ لا تقرأوا هذا ٠٠ لثلا تشنقوا قبور أنبيائكم
٤١٩ اقرأوا هذا ٠٠ كي يتواضع اعجابكم بتاريخ قبوركم
٤٢٧ وما الناس الا منشدون لمجدنا
٤٨٥ لو قسمت العبقرية بعدل ٠٠ لما قامت اية حضارة
٥١٤ غربا ناعبا ٠٠ لا صقرا صامتا
٥٣١ المتنجي يروي معارك سيناء والجولان
٥٧١ مؤلف الكتاب ٠٠ من يؤلفه
٦١٣ يقتلون الذباب ويصلون لخالقه
٦٣٦ اللغة بلا موهبة ٠٠ أتبح اجهزة الاستفراغ
٦٤٩ لغة بلا مجد أو شرف
٦٦٠ هل اللغة منطوق
٦٩٥ غيروا القادة ولكن لا تنتظروا اخبارا جديدة
٧٥٨ لماذا لا نستورد حكامنا كما نستورد عقولنا
٧٧٨ كم تفجعونني يا اصحاب المواهب الخرساء

طبع في باريس سنة ١٩٧٧
على مطابع شركة مونمارتر
للطباعة والنشر تلفون : ٨٤٥٦٩٨٤